6 ème Année, No. 278

Lundi - 31 - 10 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٧٨ « القاهرة فى يوم الأثنين ٨ رمضان سنة ١٣٥٧ — ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

إحياء الأدب العربى

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشرت الصحف اليومية أن صاحب المعالى محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف « يعنى الآن بدراسة طائفة من المشروعات التى ترمى إلى بعث كتب الأدب العربى القديم ، وصوغها فى أسلوب عصرى يقرب من ذوق الطلاب ومريدى الأدب ، وإن الوزارة تفكر فى نشر المخطوطات المجهولة التى تتصل بالأدب المصرى وفيها فائدة للطلاب »

***

وإن الوزير الاديب ليصنع خير صنيع إذا وجه وزارة المعارف هذه الوجهة النافعة ، ولديها ولا ريب وسائلها الوافية . فالآداب العربية مشحونة بالذخائر النفيسة التى عليها طابع الذهن العربى والحياة الشرقية لا يشركها فيها أدب من آداب الأمم الأخرى بمثل هذه الخصائص أو بمثل هذه الوفرة . وعندنا فى الكتب المطبوعة والمخطوطة ثروة من أدب النوادر والفكاهات والأمثال والآراء الوجزة والملاحظات النفسية لا تجتمع فى أدب أمة أخرى . وأحسب أن الأجوبة العربية التى اشتهرت بالأجوبة المسكتة لو ترجمت كلها إلى اللغات الأوربية لغطت فيها على شهرة الأجوبة اللاكونية المنسوبة إلى إسبرطة والمأثورة بين الأوربيين

بالإيجاز والإبهام والمضاء، وتشبه هذه الأجوبة الأمثال والحكم والمشورات والنوادر التى يسوقونها بغير تعقيب ولا تفسير، ولكنها كبيرة المغزى عظيمة الايحاء عند التأمل فيها والتدبر فى أغراضها.

ويقترن بما تقدم كله سير « الشخوص » التاريخية التى ظلمناها باهمالها واستصغارها، وإن فى كلمة من بعض كلماتها، وفى حيلة من بعض حيلها، وفى خطة من بعض خططها، ما يسلكها بين أعظم الشخوص العالمية التى تحيا فى سجلات التاريخ بكلمة أو بمشورة أو بخليقة من خلائق السيادة والسياسة

هذه ثروة يسرف من ينبذها وهو فى حاجة إليها ، ويسهل علينا جداً أن نضمها بوفرتها بين أيدى الناشئة المصرية فتغنم منها الفوائد الذهنية وتغنم منها الثقة النفسية فى زمن كثر فيه المتحدثون بفضائل الأجناس والفصائل والأعراق

وقد نحصر الأسباب التى تحول بين الناشئة وبين هذه الثروة فاذا هى لا تخرج عن سبب من الأسباب الآتية وهى :

١ — التطويل والحشو

٢ — التشتت والاختلاط

٣ — صعوبة المفردات والمصطلحات

٤ — العبارات النابية التى كان المؤلفون فى جميع الأمم القديمة يقحمونها بين أخبارهم ولا يتورعون من التصريح بها لأنها من جهة لا تصل إلا إلى أيدى القليلين من نساخ الكتب للتعلم والاستفادة ، ولأنهم من جهة أخرى كانوا يعيشون فى زمن الفطرة التى لا تتحرج من بعض ما تحظره لباقات الحضارة وكناياتها

وجميع هذه الأسباب علاجها ميسور وعناؤها غير كبير

فالتطويل علاجه الاختصار ، ونعنى بالاختصار هنا حذف أجزاء وإبقاء الأجزاء الأخرى بنصها العربى القديم ، لأن المقصود بالإحياء هو هذا النص لا مجرد الحكاية ولا فحواها . وقد يجوز أن نختصر حكاية لا تهمنا حوادثها إذا كانت الحوادث هى المقصودة بالوعى والصيانة . أما إذا كان المطلوب هو نمط الأداء وأسلوب التعبير والنظر فى وضع الجمل والمفردات فينبغي أن يكون الاختصار بطريقة أخرى غير طريقة التلخيص وتغيير الكلمات ، ليعلم الطالب وهو يقرأ الكتاب أنه يقرأ المؤلف القديم لفظاً ومعنى ولا يقرأ كاتباً حديثاً ينقل المعانى من ذلك المؤلف القديم

وأما التشتت والاختلاط فليس أيسر من ردها إلى نسق واحد ونظام متلاحق . ولا ضير هنا من جمع مؤلفين عدة ومؤلفات شتى فى كتاب واحد إذا اتفقت الموضوعات والمناسبات مع الاشارة إلى أسماء المؤلفين وأسماء الكتب فى ذيل كل فقرة ، وإلحاق المنقولات بترجمة وجيزة للمؤلف وبيان وجيز عن الكتاب

أما صعوبة المفردات والمصطلحات فعلاجها الأوفق فى رأينا هو التفسير دون التغيير ، وأن يترك ما هو صعب لمن هم أقدر على فهمه من الطلاب ، وأن يقصر الناشئة الصغار على السهل السائغ فى المعنى وفى التركيب ؛ ولتدرس الكتابات المغلقة على النحو الذى تدرس به روايات شكسبير اليوم فى الجامعات والمدارس الثانوية ، أى مقرونة بالحواشى والهوامش ومقصوداً بها علم اللغة حيناً والاحاطة بالفحوى حيناً آخر ، وذلك أفضل من نقلها إلى عبارة أخرى تخرج بها من نطاقها وهو نطاق الأدب القديم

وأسهل الأسباب التى ذكرناها علاجا هو سبب العبارات النابية والأخبار « المكشوفة » كما نسميها فى اصطلاحنا الحديث ، فهذه كلها تحذف حذفاً من الكتب التى يتداولها الطلاب ولا يسمح بالاطلاع عليها فى المدارس ولا فى الأسواق العامة إلا لمن يريدها من الباحثين والمنقبين عن أطوار الشعوب ودقائق التاريخ

* * *

بقى أن نعرف ما هى الكتب التى يشملها الاختيار والاحياء ؟ وفى أى عنوان نلتمسها إذا طلبناها — مثلا — فى إحدى المكتبات ؟

أفى عنوان الأدب وحده أو فى غير ذلك من العناوين والأبواب ؟

والرأى ، فيما أحسب ، أن نوسع الاختيار حتى يشمل جميع الأبواب ولا ينحصر فى باب الأدب وحده بمعناه المشهور

فرب كلمة عارضة فى رحلة من الرحلات تصف مدينة أو رجلا أو شعبا من الشعوب هى أدخل فى باب الأدب من رسائل المنشئين البلغاء

ورب قصة فى سياق تاريخ هى أدب صميم وخيال محض ليس فيها من التاريخ بقدر ما فيها من الابداع والافتنان

ورب شاهد فى تفسير آية أو حديث يحتاج إليه الأديب أضعاف حاجة الفقيه

في سبيل الاصلاح

المشـــكلة الـكبرى
في حياتنا الاجتماعية
للأستاذ علي الطنطاوي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

سقت إليك في الفصل الماضي طرفاً من حديث المشكلة ، وانتهيت بك إلى الكلام على المشاكلة بين الزوجين ، وأنها ركن كبير من أركان السعادة الزوجية ، فاذا لم تكن مشاكلة ، وكان بينهما اختلاف في الغنى أو العلم أو الجاه كانت الحياة الزوجية موتاً بطيئاً . على أنه لا بأس أن يكون الزوج هو الأعلى في جاهه أو ماله أو علمه ، ولكن البأس كل البأس حين يكون الأدنى ، لأن الغنى والعلم والجاه من وسائل السلطان ، فاذا كانت المرأة زاحمت الرجل على سلطانه ، ونازعته رياسته ففسد الأمر ، واضطرب حبل الودّ . وأحسب أن مبدأ الكفاءة في الزواج (في الفقه الاسلامي) هو الدواء لهذا الداء

وأنا متحدث إليك في هذا الفصل عن سائر أسباب الخلاف بين الزوجين ، ولست أزعم أني مستقصيها كلها أو محيط بها ، فذلك ما لا أقدر عليه ، ولكني ذاكر منها ما انتهى إليّ خبره

موقف أمه وأهلها

فمن ذلك موقف أمه وأهلها ، فانه من أظهر أسباب الخلاف بين الزوجين، وأكثرها انتشاراً بين ظهرانينا، حتى أنه يبلغ منا العجب حين نسمع أن داراً تجمع بين الكَنَّة والحماة ، ولا تجمع إليهما النكد والشقاق والبلاء تصبّه على الزوج صباً ... فلا يكاد يروح إلى داره ليجد فيها الراحة بعد تعب النهار ، والهدوء بعد الكدح المضني ، والكدّ المميت ، حتى تستقبله المعارك والشكايات والدسائس ، وما أكثر القراء به عالمون . . . فيحار في أمره : لايدري أيسوء أمه وهي التي حملته جنيناً ، وربّته صغيراً ، وأحبّته وجملته أملها في حياتها ، أم يسوء زوجه وهي التي هجرت أهلها وفارقت عشها لتجعله أهلها من دون أهلها وأمنها ومفزعها ، ثم إنها قد تكون بريئة لا ذنب لها ويجد أن أمه لا ترضى عنه حتى يفارق زوجه — وييتّم أولاده — وزوجه لا ترضى عنه حتى يطرد أمه ، ويعصى ربه ، وهما خطّتان أهونهما أصعب الصعاب ، وخيرهما من شرّ الأمور ... وليس إلى إقناع إحداهما من سبيل ، لأن للمرأة منطقاً خاصاً ، يجعل بينها وبين الرجل هوة لا يلتقيان معها أبداً ، ويدع الرجل وإقناع ألف رجل أسهل عليه من إقناع امرأة واحدة ...

والخلاف بينهما أزلي ثابت لا تتغير أسبابه . فالأم ترى أنها هي سيدة الدار لأنها الكبرى ، ولأنها الأصل ، وأن على الكنة التي أحضرتها بيدها واختارتها برأيها ، أن تطيعها ، وتعمل بأشارتها ؛ والزوجة ترى أن الأم عجوز قد مضى زمانها ، وذهبت أيامها ، وأصبحت كالموظف المتقاعد ، له مرتب وليس له أمر ولا نهي ، وأنها هي السيدة في الدار، وأن لها الرأي في إدارتها.. ثم إنهما تختلفان على قلب الرجل ، فالأم التي عرفته وليداً ، وربته طفلا ويافعاً ، وكان لها وحدها — لا تطيق أن تراه وقد صار لغيرها ، ولا تقدر أن تبصر نفسها فريدة في غرف الدار ، كأنما لم يكن لها ولد لأن ولدها خال بزوجته ... والزوجة التي أعطت زوجها قلبها كله وحبها وحياتها ولم تجعل له شريكاً فيها ، لا تستطيع احتمال هذه الشركة بينها وبين هذه العجوز ،

ورب مجاز في استخدام لفظ مهجور تحتويه المعاجم يكون مفتاحا لأسرار التشبيه والتعبير عند واضعيه الأولين

ورب شتيت متفرق بين كتب الجغرافية والنبات والطب والكيمياء يتألف منه رأى جميع لا يستغنى عنه المقتبس والمستفيد

فالاقتصار على ما اشتهر من كتب الأدب يفوت علينا شوارد هذه الأبواب ويضيق علينا الأفق الذي نملك توسيعه إلى غاية مداه

فكل ما صلح للاقتباس والاطلاع فليقتبس من أي كتاب ومن أي باب ، وإذا كنا لا نأخذ كل ما في باب الأدب فليس صواباً أن نغلق كل ما عداه من الأبواب

إن المطلب عظيم ومستطاع ، وعند وزارة المعارف وسائله من المصادر ومن العاملين ، وكل عناء مبذول فيه هو عناء دون الفائدة المرجوة منه للجيل الحاضر ولمقبل الأجيال

عباس محمود العقاد

ولا يقنعها إلا أن يكون الزوج خالصاً لها ...

وما يقال فى الأم يقال مثله فى الأخت ، بل إن الأخت إذا كانت عانساً لم تتزوج ، وإذا كانت على بقية من شباب ، تكون أشد على الرجل من أمه ، لأنها أقل منها حباً وحناناً عليه ، وأكثر غيرة لمكان الصبوة من نفسها ، ولأنها ترى امرأة غريبة تستمتع بالزواج الذى حرمت هى منه ، ويكون هذا الزوج أخاها ، غلبتها هذه الغريبة عليه ، وحرمتها عطفه وحبه ، فيكون حرمانها مضاعفاً ...

هذا وليس ينفرد أهل الزوج بادخال الألم عليه ، وتنغيص حياته الزوجية ، بل يشارك فى ذلك أهل الزوجة ، يكرهون فتاتهم على الزواج بمن لاتريده ، لعلو سنه عن سنها ، أو قبحه وجالها ، فلا يحفلون إرادتها ولا يبالونها لأنهم يرونه غنياً ، فهم يبيعونها منه بيعاً ، أو صاحب جاه فهم يجعلونها وسيلة إلى الانتفاع بجاهه ، بل ربما زوجوا الفتاة بنت خمس عشرة ، بالشيخ أبى الستين ، ولم يستأمروها ولم يروا رأيها ، وربما زوجوها من الرجل القبيح . ولقد قال عمر (الرجل الملهم) فيما أحتفظ من قوله : « لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فأنهن يحببن ما تحبون » ... فتدخل الزوجة دار زوجها وهى له كارهة ، فلا يأتى منها إلا مساءته وإتعابه ، إن لم يسقها صباها وعجزه إلى أن تتصل بغيره من الفتيان أو تموت سلا وكمداً .

هذا طريق ، ولأهل الزوجة طريق آخر إلى إفساد الحياة الزوجية ، هو التقصير فى تربية فتاتهم أولاً ، وعجزهم عن ضبطها وتأديبها ثانياً . فاذا كانت الزوجة سيئة الخلق رعناء ، فانها تدع دار زوجها لأتفه الأسباب ، وتذهب مغاضبة تشكو إلى أهلها وتستعديهم ، فاذا كان أهلها عقلاء ردوها إليه ، وأصلحوا ذات بينهما ، ولا موها على خلوة بها ، كما يلومونه على خلوة به ، فيؤلف الله بهم بين القلبين ، وتعلم الزوجة أنه لاملجأ لها إلا دار زوجها ، ولا منجى لها إلا حسن خلقها فترضى وتستقيم ، وأما إذا كان أهلها جاهلين فانهم يغضبون لها غضبة الجاهلية فيعينونها على طلاقها ويزيدون فى عنادها فيخربون بيوتهم بأيديهم ، ويسوقون الشقاء إلى فتاتهم ، ويكونون شراً عليها وعلى زوجها ووبالاً ...

ودواء هذا الداء أن يبحث الرجل عن أخلاق الأسرة ، وأسلوبها فى تربية بناتها ، وحال أمها مع زوجها ومبلغ طاعتها له ورضاه عنها ، قبل الاقدام على الزواج ، فاذا اطمأن إلى ذلك وصاهر عاقلا حازما ، وكان الزواج برأى الفتاة ورضاها ، من غير احتيال عليها ولا إكراه لها ، فقد أمن جانب أهلها ، وبقى عليه جانب أهله ... والمصيبة بهم أشد ... والعلاج أن ينفرد عنهم بزوجته . فاذا لم يستطع ذلك ، فعليه بالحزم فى الأيام الأولى ، وأن يعرف لأمه حقها ، فان زوجه تطيعه وتتحرج عليه وتتربى على ما يأخذها به ، أما أمه فلا سلطان له عليها ... ولا عليه بعد ذلك أن يرضى زوجته فيما بينه وبينها ، ويعوضها بما فقدت من السيطرة فى الدار ، بما يدخل السرور على قلبها ويملؤه رضى وأملا والسبل إلى ذلك شتى

المشاكل المالية

أولها هذا (الجهاز) فكم ثار من أجله من خلاف ، وكم هدم من أسر ، وكم أصاب من بلايا ... يتنافس القوم من أجله فى إغلاء المهور حتى تبلغ الثلاث من الجنيهات ، فتبور سوق الزواج ، وتكسد البنات ، ثم إذا كتب الله على الزوج أن يدفع هذا المهر الفاحش ، لم يكن دفعه غنما للأب ولا لفتاته ، لأن عليه أن يدفع مثل ما دفع الزوج أو قريباً منه ، ثم يشترى بذلك كله أثاثا ومتاعا ، وما شئت من الخرثى[1] الذى لا ينفع فى دنيا ولا آخرة ، فمن خزانة محفورة منزّل فيها أدق الأصداف ثمنها سبعون جنيها ، ومن مقاعد وأرائك على نحوها ثمنها مائتان لكنها لا تقيم على الاستعمال عاما واحدا ، ومن ستائر للنوافذ ثمن إحداهن عشرة جنيهات ، ومن أوان فضية وقوارير كولونية تصف على المناضد صفا ، كصف الجند ثم لا تفتح أبدا ، والمناضد (نسيت المناضد) وثمن إحداهن عشرات الجنيهات ، وغير ذلك مما لا أعرفه ولا أذكر اسمه وإن كنت قد رأيته فى دور الحمقى والمغفلين ...

ولقد عرفت شابا مستور الحال أراد الزواج فطلبوا منه أربعمائة دينار ذهبى ، فباع داراً كانت لأبيه ، وأعدّ المهر ، فسلمه إلى أم الزوجة ، وضمت إليه أمها ثلاثمائة من عندها لتشترى بها جميعا (جهازاً) لابنتها ، فلما بلغه ذلك طار عقله وذهب يقنع أم الفتاة أن تشترى لها بذلك داراً (عمارة) يكون لها ملكها

(١) الخرثى : المتاع الذى لا فائدة فيه

وربيها وتبقى على الدهر فقبلت ومرت أيام فبلغه أنها قد عدلت عن ذلك وأنفقت المال كله في الجهاز ... فسألها عن السبب فاذا السبب أن البنت بكت وقالت : هل أنا دون ابنة فلان ، وقد جهزوها بكذا ..!؟ قالت الأم : « فقطع قلبي بكاؤها ، فلم يسعني إلا أن أفعل ما تريد ... »

وتم العقد واستأجر الزوج داراً فخمة (على نسبة الجهاز) فلم تمض إلا شهور حتى ركبه الدين ، فاضطر إلى استئجار دار تليق به ، ويحتملها مرتبه ، فلم يلق فيها مكاناً لهذا (الجهاز) فذهبوا يبيعونه ؛ فلم يأتهم بأكثر من مائة وعشرين ، وقد كان ثمنه سبعمائة ...

ومن مشاكل الجهاز أن الزوجة تجده رأس مالها ، وقنيتها في حياتها ، فتحافظ عليه محافظتها على روحها ، وتكره أن يدعى إلى الجلوس على مقاعده ضيوف زوجها ، أو أن يدخل غرفته زوار أهله ، وقد لا يكون في الدار غرفة للاستقبال سواها ، لأن الناس يجعلونها أبداً للاستقبال . فتبدأ المشاكل ... وقد تنتهي بالطلاق ... رأينا ذلك مراراً

وعندي أن الدواء إبطال الجهاز بالمرة ، وأن يفرش الرجل داره كما يريد ويستطيع ، ويُشتري بالمهر القليل الذي يدفعه الزوج عقار تملكه الزوجة ويسجل باسمها ، أو حلية ذهب تبقى لها محتفظة بثمنها

* * *

والمشكلة المالية الأخرى نفقات المرأة وكسوتها . وقد قدمت القول بأن كسوة النساء (إلا الضروري منها) تبذير من عمل إخوان الشياطين وإسراف لا جدوى منه ، وسبيل إلى كل ما يكره الرجل وتأبى العادات والمروءات وينكر الدين، من أجل ذلك قال عمر الذي ينظر من وراء الغيب بعينين من إلهام وتحديث « استعينوا على النساء بالعرى » وليس يرى العرى المطلق ، بل النزاهة عما يضيع المال والعرض معاً ...

أقص عليك قصة امرأة واحدة، فيها وصف لنساء كثيرات، تلك هي امرأة موظف كبير مرتبه ثلاثمائة ليرة سورية ، وهو مبلغ في دمشق ضخم، تخرج من دارها كل يوم في عربة أو سيارة لا تستطيع لثقلها أن تمشي ، فتطوف على بيوت الناس ، فأصبحت تعرف عشرات من الأسر الغنية المبذرة . فلا يمر أسبوع لا تدعى فيه إلى عرس أو حفلة إلا كانت زوجها كسوة جديدة . لأن من العار عليها أن ترى بثياب قد سبق فرئيت فيها من قبل . فتشتري الازار والرداء (أو ما يقابله في الاصطلاح النسائي فما أعرف ماذا أقول ...) والحذاء والجوارب ، ويتراوح عن ذلك (كما حدثني المسكين وحلف لي) ما بين ستين وتسعين ليرة سورية فلا يقوم مرتبه كله بكسوتها . فيستدين ليتم لها ما تريد وينفق على نفسه وأولاده . حتى هذه الدين وأصبح مضطراً إلى بيع أملاكه المرهونة ...

ومن النساء من لا تبلغ في الاسراف هذا المبلغ ، فتكتفي بنصفه أو ثلثه ، ولكن مرتب الموظف المتوسط نصف مرتب صاحبنا أو ثلثه ، فتبقى النسبة على حالها ؛ أما الوظفون الصغار كالمدرسين الذين يأخذون خمسين ورقة في الشهر وأربعين وثلاثين والصناع وصغار التجار ، فتصور أنت موقفهم من نسائهم ، فما يبلغ القول تقرير الحقيقة ووصف الواقع

ولست أزعم أن النساء كلهن عمياوات لا يبصرن حالة أزواجهن ، وأن قلوبهن قد قدت من حجر فلا تشفق ولا تحزن، بل إن في النساء عاطفة وحساً ، ولكنهن يألفن حالة ، فلا يطقن أن يراهن أحد على حالة دونها ، ويستحيين من صاحباتهن ورفيقاتهن ... ووراء هذه المشكلة الحزم في الأيام الأولى من الزواج (وهو رأس الأدوية كلها) وتقليل الاختلاط ، والاقتصاد في زيارة الناس ومصاحبتهم، وليس من بأس بعد ذلك أن يخصص الزوج لزوجته مبلغاً من المال لكسوتها يدفعه إليها مشاهرة ، ويدعها تفعل فيه ما تشاء ، على أن تقنع به ، ولا تسأله من بعده درهماً واحداً لكسوة أو ثياب . ولقد جرب هذه الطريقة كثير من الرجال فوجدوها صالحة مؤدية إلى الراحة والاطمئنان

مشاكل أخرى

إن من طبيعة المرحلة التي تجتازها اليوم أمم هذا الشرق الاسلامي : مرحلة الانتقال ، أنه يلتقي فيها عصران ، ولكنهما لا يأتلفان فيتحدان ، ولا يختلفان فيتباينان ، فينشأ عن ذلك هذا الازدواج في الحياة ، فيعيش قوم في عصر مضى ، وقوم في عصر لم يأت ، فكيف يلتقي الزوجان وبينهما عصر مديد ... هو يعيش محافظاً ، وهي تريد التجرد مما يحافظ عليه . هو متدين وهي رقيقة الدين ! إن كل شيء يحتمل ، ضياع المال والتعب

والشقاء ، ويجد الانسان عزاءه عنه فى انتظار ثواب الله ، فى الآخرة ، يجد عزاءه فى الدين ، فاذا ضاع الدين فأين يجد العوض منه والعزاء فيه ؟

لذلك كان أول ما يجب على الزوج أن يفكر فيه ، هو أن يختار زوجه من طبقته ورأيه ، محافظة أو تجديداً ، وإلا كان الزواج شراً كله

هذا أصل يتفرع عنه فروع كثيرة ، أولها : تأدية حق الله فى العبادة ، والمحافظة على الصلوات ، والرجوع إلى أحكام الدين فيما يختلف فيه من أمور الحياة ، إلى غير ذلك مما يراه المسلم رأس الأمر وملاكه ويسميه المجددون (المتجردون) رجعية وجموداً .

وثانيها : خروج المرأة من دارها ، وحالها عند الخروج وزيها وزينتها ، وتبرجها فى الأسواق وتيممها السينمات ودور اللهو ، وعرض مفاتنها على الرجال ، وما إلى ذلك مما يسميه المسلم وقاحة ورذيلة وقلة حياء ... ويدعوه المتجردون مدنية وتقدماً ...

وثالثها: الاتصال بالناس، وتخصيص الأيام الكثيرة لاستقبالهم ، وإضاعة الأموال فى إكرامهم وتعطيل أعمال الدار ، وتربية الأولاد فى سبيلهم — وما يجره الاختلاط الكثير ... الذى ينفر منه العقلاء ، ويرونه فساداً لا خير فيه ، وبابا لا يلج منه إلا كل ضرر ، لأن النساء لا يقبسن من النساء إلا السيىء المكروه ، ويراه أهل التجديد واجباً لا بد منه ، وفرضاً لا تكون المرأة متمدنة محترمة ... إلا به !

ورابعها : اتباع (المودة) والايمان بها إيماناً لا شك فيه ، والخضوع لها خضوعاً أعمى ، والتعامى عما تجر على الأسرة والأمة من ضرر . وهذه ثمرة من ثمرات الاختلاط المرة ، يراها العقلاء سخافة وحماقة ، ويعدها أهل التجرد والتجدد من فروض العين !

***

ومن هذه المشاكل الفرعية الخلاف على تربية الأولاد حين تحكم المرأة عاطفتها فتأبى على الأب أن يؤدب ابنه أو يأخذه بالحزم ، وهذا فضول من المرأة لا معنى له .

على أنها قد تثور الثائرة بين الزوجين لغير ما سبب واضح ، كأن يكون الزوج متألماً فى نهاره أو مصاباً بمصيبة لا يحب أن يسوء بها أهله ، فيدخل مقطباً من حيث لا يشعر فتحسب الزوجة أن ذلك موجه إليها ، فتغضب وتمرض ، فيألم الزوج فى نفسه ، ويظن أنها رأته فى مصيبة فأعرضت عنه بدلاً من أن تعطف عليه وتواسيه ، وينأى كل واحد منهما عن الآخر ، ويوسوس له الشيطان حتى يصبحا متنافرين حقاً ، وهذا مشهود يتكرر تمثيله دائماً ، وداء يعتاد الأزواج فى كل حين — ودواؤه الناجع كلمة يقولها أحدهما يشرح بها حاله ، وقهر لهذه الكبرياء الخبيثة التى تمنعه من هذه الكلمة

كلمة الختام

وبعد فهذا كله سهل يُتداوى منه بشىء من الحكمة والحزم فما دواء حماقة الآباء فى إغلائهم المهور ، وتحكمهم بهذه العادات الباطلة ، حتى أدى ذلك إلى «أزمة الزواج» التى اشتدت وعمّت؟

ومتى نجد الأب الذى يملك فى نفسه من الجراءة ، وفى رأسه من العقل ، وفى صدره من الدّين ، ما يكسر به هذا السدّ الذى يمنع عن الأمة كل خير وسعادة ، ويعيد لنا سعيد بن المسيب فى قصته التى رواها الرافعى (رضي الله عن الاثنين) ؟

هل فسد الزمان حتى ما نجد فى أربعمائة مليون مسلم (سعيداً) واحداً ؟

« دمشق » على الطنطاوى

مصر وعلاقتها بالخلافة

للدكتور حسن ابراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

خاض الجند العرب غمار الفتن السياسية التي قامت بين الخلفاء الأمويين والخارجين عليهم ، وكذا بين العباسيين ومناوئيهم . وكان لتدخلهم أثر ظاهر في هذه الفتن . وسنأتي بوصف موجز لها لنبين ما كان لدخول جند مصر في غمارها من أثر

تألب محمد بن أبي حذيفة على خليفة عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر وإخراجه إياه من الفسطاط إلى خلع عثمان ، وأسعر البلاد بنار الثورة التي انتهت بقتل عثمان وتولية علي بن أبي طالب ، وما تلا ذلك أيضاً من الحوادث التي قامت بين حزب علي وحزب معاوية ، وقيام الدولة الأموية . ولا غرو فقد كان لجند مصر في هذه الحوادث كلها نصيب وافر ، ناهيك بما كان من قتل عثمان الذي تمّ على أيدي الثوار من مصر دون غيرهم من عرب البصرة والكوفة

وفي عهد يزيد بن معاوية ، دعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه (سنة ٦٤ هـ) وصادفت دعوته نجاحاً عظيماً في بلاد العرب والعراق . إلا أن تنصّل محمد بن الحنفية بن عليّ بن أبي طالب عن مبايعة ابن الزبير ، ومبايعة يزيد بن معاوية لعدم وثوقه بأهل الكوفة الذين خذلوا أباه وأخويه من قبل ، وخروج الكيسانية مع المختار ابن أبي عبيد الثقفي ، ودعوتهم لمحمد بن الحنفية ؛ كل هذا فت في عضد ابن الزبير ، وآذن باضمحلال أمره

صادفت دعوة ابن الزبير في مصر بعض النجاح ، فشد أزره أنصار العلويين اعتقاداً منهم أنه يدعو لأهل البيت ، ولحق به كثير من المصريين ، وسألوه أن يبعث إليهم والياً من قبله ، فبعث عبد الرحمن بن جحدم الفهري ، فدخل مصر في شعبان سنة ٦٤ هـ في جمع من الخوارج من أهل مصر وغيرهم الذين انضموا إلى ابن الزبير في مكة . فاضطر عرب مصر من شيعة بني أمية إلى مبايعته على كُرْه

ولما بويع مروان بن الحكم في ذي القعدة سنة ٦٤ هـ كاتبته شيعة الأمويين في مصر سراً ، فسار في كثير من الأشراف وبعث ابنه عبد العزيز في جيش إلى أيلة (عند العقبة) ونشط ابن جحدم لحربه ، وأشار عليه بعض رجاله بأن يحفر خندقاً (موقعه الآن بجهة القرافة) فتمّ حفره في شهر واحد ، وفي ذلك يقول ابن أبي زمزمة الشاعر :

وما الجِدّ إلاّ مثل جدّ ابنِ جَحْدمٍ
وما العزْم إلاّ عزْمُه يوم خندقِ
ثلاثون ألفاً قد أثاروا ترابه
وخدّوه في شهرٍ حديث مصدّقِ

وبعث ابن جحدم الجيوش والمراكب لحرب مروان وابنه عبد العزيز ، فانهزمت جيوش والي ابن الزبير ، ولم ينفعه خندقه ، ودخل مروان عينَ شمس ثم الفسطاط في أول جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ . وبنى الدار البيضاء لتكون مقراً له ، وبايعه الناس إلاَّ نفراً ظلوا على تمسكهم ببيعة ابن الزبير ، فضرب أعناقهم[1] وكانوا ثمانين رجلا من المعافر . وقتل أيضاً سيّد لخم (الأكدر ابن حمام بن عامر بن صعب) فأبى زهاء ثلاثين ألفا من لخم ، وهم مدججون بالسلاح ، ووقفوا بباب مروان ثائرين فتوسط بعضهم في الصلح وانصرف الثائرون . واتفق أن توفى عبد الله بن عمرو ابن العاص في اليوم الذي قتل فيه الأكدر (١٥ جمادى الآخرة سنة ٦٥ هـ) . فلم يستطع القوم أن يخرجوا بجنازته لتألب الجند على مروان ، فدفن في داره[2]

لقد كان للجند العرب في مصر أثر ظاهر في الفتن التي انتهت بقتل عثمان وعلى أيديهم وحدهم تمّ ذلك . ولما انتشر أمر ابن الزبير في الحجاز والعراق وامتدّت دعوته إلى مصر حيث لاقت قبولا من نفوس العلويين أُخِذَت له البيعة على يد واليه عبد الرحمن بن جحدم الفهري ، ولما بويع مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ كاتبه أنصار الأمويين فسار إلى مصر وانتصر على أتباع ابن الزبير ثم دخل الفسطاط سنة ٦٥ هـ ، وبايعه الناس إلا نفراً قليلا أمر بضرب أعناقهم

---

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٤٠ — ٤٥ ، والمقريزي : الخطط ج ٢ ص ٣٣٧ — ٣٣٨

(٢) الكندي ص ٤٥ — ٤٦

كذلك كان للجند العرب فى مصر نصيب فى النزاع الذى قام بين العباسيين والأمويين، ذلك النزاع الذى انتهي بقيام الدولة العباسية. فلما أتى مروان بن محمد مصر فارا من وجه العباسيين لم يستطع أن يصد صالح بن على الذى تعقبه إلى مصر ، ولم يقو على مقاومته العباسيون ، لما كان من تألب الجند عليه في هذه البلاد ، فقد خرج القبط بسمهود ، وخالفه عمرو بن سُهَيل ابن عبد العزيز بن مروان ، وتابعه قوم من قيس ، ونزلوا فى الحوف الشرقى ، وأظهروا العصيان . ولما علم جند مصر بمسير مروان إليهم أجمعوا على منعه ، فلما قدم (٢٢شوال سنة ١٣٢هـ) لبس أهل الحوف الشرقى السواد لباس العباسيين ، وحذا حذوهم أهل الاسكندرية والصعيد

وعلى الرغم من هذا كله فقد استطاع مروان أن يدخل الجيزة ، ومن ثم شرع فى محاربة الجند العرب في الحوف الشرقى وفى الاسكندرية والصعيد ، وفى قمع فتنة القبط فى رشيد ، ثم قدم صالح بن على العباسى (١٠ ذو الحجة ١٣٢ هـ) فى إثر مروان ، فسار هذا إلى بوصير ، في كورة الأشمونين (من مديرية بنى سويف) فوافاه صالح بن عدىّ فى جيوشه وقتله (الجمعة ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ) ثم تعقب ذوى قرباه والمائلين له فى هذه البلاد ، ودخل الفسطاط (٢٣ المحرم سنة ١٣٣ هـ) ، وبذلك زال سلطان بنى أمية وتوطدت دعائم الدولة العباسية[1] . ولا شك فى أن لقيام جند العرب فى مصر فى وجه مروان أثرا ظاهرا فيما أحرزه صالح بن على العباسى من نصر معجل على مروان ، مما أدى إلى زوال سلطان بنى أمية زوالا لا رجوع بعده

***

استعمل العباسيون اسم الشيعة أداة لازالة الخلافة الأموية ، فلم يكد يتم تأسيس الدولة العباسية حتى قام النزاع بينهم وبين العلويين الذين أخذوا يكيدون لهم بالسيف حيناً وبالحيلة حيناً آخر . وفى خلافة المنصور (١٣٦ ، ١٥٨هـ — ٧٥٤ ، ٧٧٥م) دعا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على المعروف بالنفس الزكية إلى نفسه سراً ، وتلقب بأمير المؤمنين. ثم ظهر فى سنة ١٤٥هـ بعد أن صادفت دعوته نجاحاً عظيما[1] فى مكة والمدينة ، حيث اعترف الناس بامامته ، وأفتى الامام مالك بأحقيته بالخلافة من أبى جعفر . ومن المدينة أرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته

ولكن محمداً لم يعش حتى يرى نتيجة دعوته ، فقد مات على يد ابن موسى العباسى ، فدعا أخوه إبراهيم إلى نفسه ، وشد أزره كثير من فقهاء البصرة وغيرهم من ذوى الرأى والجاه ، وانضوت المعتزلة والزيدية تحت لوائه وعاونه الامام أبو حنيفة وراسله سراً . وبهذا كله تمكن إبراهيم من الاستيلاء على واسط والأهواز وفارس[2]

بيد أن حياته آلت إلى ما آلت إليه حياة أخيه من قبل . فقد قتله عيسى بن موسى (الاثنين أول ذي الحجة ١٤٥ هـ — ٦٨٢ م) فى موقعة باخمرا التى بين الكوفة وواسط[3] . ولقد ظهرت دعوة ابن عبد الله فى مصر وتابع كثيرون من أهل هذه البلاد ابنه على بن محمد الذى أنفذه أبوه لنشر الدعوة[4]

غير أن والى المنصور على مصر استطاع أن يحبط أعمال علىّ وأعمال من ناصروه ، وظل على ذلك حتى وصل إلى مصر خبر وفاة إبراهيم بن عبد الله فسقط فى يد الشيعة ، وانطفأت جذوة الثورة . ولا يعلم المؤرخون ما آل إليه أمر على بن محمد بن عبد الله[5]

كذلك كان لجند مصر نصيب كبير فى الفتنة التى قامت بين الأمين وأخيه المأمون شأنهم فى الفتن الخارجية التى كانت تنشب بين الخلفاء والخارجين عليهم أو المنافسين لهم ، وغدا اشتراك هؤلاء الجند فى الثورات مألوفاً لديهم ، حتى فى الأحوال التى لم يكن لمصر ثمت ما يدعو إلى الاشتراك فيها

ولسنا ندرى ما الباعث الحقيقى الذى كان يدفع هؤلاء القوم إلى الزج بأنفسهم فى غمار هذه الثورات . ولا شك فى أنه لم يكن لهذه الثورات علاقة ما بالعصبية العربية التى جاء الاسلام ماحياً

(١) الكندى : شرحه ص ٩٤ — ٩٧

(١) يحيى بن الحسين (مكتبة ليدن) مخطوط رقم ١٩٤٧ ورقة ١٥ أنظر كتاب « الفاطميون فى مصر » للمؤلف ص ٤٥ — ٤٦

(٢) يحيى بن الحسن (ليدن) مخطوط رقم ١٩٤٤ ورقة ١٥ ا وما يليها

(٣) أقرب إلى الكوفة منها إلى واسط وتبعد عن الأولى بسبعة عشر فرسخا . راجع ياقوت : معجم البلدان

(٤) المقريزى ج ٢ ص ٣٣٨

(٥) الكندى ص ١١٤

لها ، وإن كانت قد ظهرت فى مواطن كثيرة بعد الاسلام [1] .

ويظهر أن الجند العرب كانوا لا يزالون مرتبطين بدار الخلافة بروابط الجنسية أكثر من ارتباطهم بمصر نفسها ، إذ لم تكن القومية المصرية قد شملت بعد المصريين من القبط والعرب جميعاً .

غير أن الأمر الذى يسترعى النظر ما رواه الكندى من أن مصر كانت حين قام النزاع بين الأمين والمأمون فى أمن ودعة ، وكذا كانت راضية عن واليها جابر بن الأشعث الطائى ، وعن حكمه ، وأن هذا الوالى كان محبوباً لدى الخاصة والعامة فى هذه البلاد[2]

على أنه سرعان ما احتدم النزاع بين الأمين والمأمون بسبب ما كان من خلع الأمين أخاه المأمون وترك الدعاء له على المنابر وتوليته عهده ابنه موسى بدلا منه حتى غضب العرب فى مصر وغيرها ، وتكلموا فى خلع الأمين لنكثه العهد الذى تركه أبوه الرشيد وأودعه الكعبة الشريفة ، وهذا كاف وحده لإثارة سخط الناس عليه . وظهر فى مصر السرى بن الحكم الذى استغل هذا الظرف لنفسه لإعلاء شأنه ورفع ذكره ، إذ كان منذ أتى مصر فى أيام الرشيد خاملاً لا حيثية [3] له . فدعا إلى المأمون فبايعه نفر يسير . ولكنه ظل على نشاطه فى نشر الدعوة حتى دعا المأمون أشراف مصر إلى بيعته فأجابوه سرا . وأتى كتاب هرثمة بن أعين أحد قواد المأمون المدودين إلى وكيله على ضياعه بمصر وهو عباد بن حيان ، فقرأ هذا الكتاب (كتاب هرثمة) على ملأ من الجند فى المسجد ودعاهم إلى خلع الأمين فأجابه السواد الأعظم منهم وخلعوه (جمادى الآخرة سنة ١٩٦ هـ) ، ثم بايع الناس عبادا على ولاية مصر ، وأخرجوا والى الأمين من الفسطاط فثبت المأمون عبادا فى هذه الولاية .[4]

ولما علم الأمين بما حدث فى مصر من خلعه وإخراج عامله كتب إلى ربيعة بن قيس (رئيس قيس بالحوف) بولايته على مصر وكتب إلى اليمانية يطلب إليهم أن يقوموا بمعاونة قيس هذا فأظهروا دعوة الأمين وخلع المأمون ، وخرجوا إلى الفسطاط ،

(١) مثال ذلك النزاع الذى كان بين النزارية والمضرية ، وهو من أهم العوامل التى ساعدت على نجاح الدعوة العباسية

(٢) الكندى ص ١٤٦

(٣) الكندى ص ١٤٨

(٤) الكندى ص ١٤٨

ودارت بين الفريقين مناوشات وحروب كان النصر فيها فى جانب أنصار المأمون . على أنه لما بلغ قيسا قتل الأمين (المحرم سنة ١٩٨ هـ (وبيعة المأمون تفرقوا — شأنهم فى الفتن التى اشتركوا فيها . [1]

هذا ما كان من أمر اشتراك عرب مصر فى الفتن الخارجية وهى فتن سياسية فى جلها وإن كانت قد أُلبست لباس الدين ، ليكون تأثيره فى النفوس أقوى وأشدّ

ولا يعزب عن بالنا ما كان من الانقسامات المذهبية التى شطرت العالم الاسلامى شطرين : سنة وشيعة . ولقد كان لكل من هذين المذهبين فى مصر أنصار وأعوان ، كما كان بها أيضاً أنصار لمذهب الخوارج الذين اعتزلوا علياً ، فضلا عما كان لظهور المذاهب الأربعة من التأثير فى مصر حيث ساد مذهب مالك فى القرن الثانى للهجرة ، وظل على ذلك نحو قرن ثم ساد بعده مذهب الشافعى ، وبقى على ذلك إلى اليوم ، وإن كان التأثير من هذه الناحية لم يظهر فى ثوب عدائى مصحوب بفتن وحروب

وعلى الجملة فقد كان عمل الجند العرب فى مصر ينحصر فى عدة أمور

١ — القيام بالفتوح الخارجية لتأمين مصر من الغرب والجنوب

٢ — الاشتراك فى الغزوات البحرية التى قام بها الخلفاء الأمويون والعباسيون ضد الدولة الرومانية الشرقية أو القضاء على المحاولات التى بذلتها هذه الدولة حيناً بعد حين لاسترداد مصر

٣ — قمع الثورات الداخلية التى كان يقوم بها المصريون فى وجه الولاة

٤ — الاشتراك فى الفتن التى قامت بين الخلفاء والخارجين عليهم أو المنافسين لهم

وطالما انقسم العرب فى مصر على أنفسهم إلى فريقين : فريق يناصر الخليفة وفريق يناصر الخارج عليه والمنافس له

هذا إلى ما كان من قيامهم فى وجه الولاة والعمال إذا ما اشتطّوا فى جمع الخراج ومن انقسامهم على أنفسهم بسبب ما كان من ظهور الاختلافات المذهبية فى المدينة وفى دمشق وبغداد

(١) الكندى : كتاب الولاة ص ١٤٩ — ١٥١

التعليم والمتعطلون فى مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

الثقة بين رجال التعليم

قبل أن يتناول بحثنا المدرسة المصرية الحالية ، وما وقع فى تكوينها من أخطاء ، وما يجرى بين جدرانها من نقائص وعيوب وما نقترحه فى سبيل إصلاحها لتفى بالغرض من وجودها من مقترحات — لا بد لنا من التحدث إلى القارئ عن بعض الأمور الأساسية المتصلة بها اتصالا مباشراً لما لها من أثر فعال فى تكوينها وتأثير قوى فى كيانها . وهى أمور من الأهمية بحيث نرى أن من واجب طالب الاصلاح وضعها دائماً نصب عينيه ، فرجال التعليم على اختلاف طبقاتهم يألمون أشد الألم مما يصيبهم من أذى وحرج بسبب ضعف الثقة بهم الذى تظهر آثاره من آن لآن ، ويتردد صداه من وقت لآخر فى كل مكان . ولكن لعل ذلك كله بدأ منا وانتهى إلينا ، فكنا نحن مع الأسف الشديد السبب المباشر فى وجوده والعاملين دائماً على استمراره .

إن ضعف الثقة بين الرئيس والمرؤوس مسألة قديمة ، وهى

وقد ظل عرب مصر على ذلك إلى أيام المأمون الذى غالى فى عقوبتهم ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة فاستكانوا . ناهيك بما كان من إسقاط المعتصم العرب من الديوان ، فلم يشتركوا بعد ذلك فى فتن سياسية ولم تعد لهم كلمة ، واستعاضوا عن الاشتغال بالحروب والسياسة بالزراعة وكسب العيش عن طريق غير طريق العطاء ، وساروا فى مناكب مصر وانتشروا فى المدن والقرى ، واختلطوا بالسكان الأصليين اختلاطاً تاماً ، فانحطت العصبية العربية فى مصر وفى غيرها من البلاد ، ولم يحكم مصر بعد ذلك وال من العرب إلا عنبسة بن إسحق (سنة ٢٣٨هـ — ٢٤٢هـ) اللهم إلا ما كان من دخول هذه البلاد تحت سلطان الخلفاء الفاطميين مدة قرنين وتسع سنين (٣٥٨ — ٥٦٧ هـ)

حسن ابراهيم حسن

لم تقتصر على وزارة التعليم فحسب ، بل انتشرت فى جميع دواوين الحكومة المصرية ، فأزعجت الموظفين وجعلتهم جميعاً يفرون من المسئوليات ، ويلقون على غيرهم التبعات ، وأفقدتهم التعاون والتضامن فتعطلت الأعمال وساءت الأحوال حتى نهض المثل السائر : يوم الحكومة بسنة ، وأصبح معروفاً عند الخاص والعام .

وكانت وزارة المعارف من أقدم الوزارات التى تمسكت بذلك وحرصت عليه حتى هان أمر كل مرءوس على رئيسه ، وأصبح كل منهما يرى فى الآخر عدواً يحاول اقتناصه والايقاع به ، وبرزت إلى الوجود بين المتحذلقين منهم مسألة الأوامر الكتابية ، فكل كلمة تصدر عن رئيس لا تكون ذات قيمة إلا إذا كانت مكتوبة ممهورة بتوقيعه ، وكثيراً ما رأينا أحد المدرسين يتحدى ناظر مدرسته بقوله : « اكتب إلىّ رسمياً » فينزعج الناظر من ذلك ويخشى تلك الكتابة التى قد تجر عليه النكبات ، إذ كثيراً ما أدت إلى الانقسامات بين صفوف المدرسين ، وإلى الاضطرابات والارتباكات ؛ وكثيراً ما قامت الوزارة وقعدت وأرسلت بمفتشيها لاجراء التحقيقات وتحديد المسئوليات كما يقولون . لذا نرى معظم نظار المدارس يعاملون المدرسين عندهم بكل حذر . بينما نرى بعض المدرسين والمرءوسين يحصون على ناظرهم كل صغيرة وكبيرة ، حتى إذا جد الجد وجاء دور التحقيق بينهم أبرزوا ما حوته مذكراتهم من حركات الناظر ومخالفاته شهوراً طويلة . فهل فى جو مثل هذا الجو يمكن أن يطمئن والد على تربية ابنه وتثقيفه وتنشئته تنشئة خلقية فاضلة !

ظهر ضعف الثقة بين الرؤساء والمرؤوسين فى قانون نظام المدارس المتبع المعمول به من قديم الزمن فى مواضع عدة نذكر منها على سبيل المثال تحريمه على ناظر المدرسة أن يكاتب أية مصلحة أخرى إلا عن طريق الوزارة ، فكان ناظر المدرسة بالفيوم مثلا الذى رغب فى مكاتبة مجلسها البلدي لزيارة التلاميذ وابور المياه أو وابور الثلج لا يمكن أن يفعل ذلك رسمياً إلا إذا كتب للوزارة بذلك ، وهى فى دورها تخاطب بلدية الفيوم . وناظر مدرسة قنا الذى كان يرغب فى زيارة تلاميذه آثار الأقصر لا يستطيع ذلك إلا عن طريق الوزارة وهكذا . كذلك كان يحرم القانون على ناظر المدرسة تناول طعام الغداء بين تلاميذه بالمدرسة من نفس

الأصناف وبنفس الكميات التي يأكلونها حتى ولو كان ذلك على نفقته الخاصة حسب التعريفة المقررة، وذلك مخافة أن يحابيه طباخ المدرسة فيما يأكله من الطعام . في حين أن القانون إلى جانب ذلك يحرم على الناظر في موضع آخر مغادرة المدرسة أو تركها في أية لحظة من لحظات اليوم المدرسي لأي سبب من الأسباب حتى ولو كان لتناول طعام الغداء

وفي قانون نظام المدارس مادة أخرى تحرم على المدرس أن يعطي درساً خاصاً لتلميذ عنده في الفصل حتى ولو كان هذا التلميذ داخلاً في امتحان عام كامتحان البكالوريا أو الابتدائية بعيداً عن مدرسته وأساتذته . فاذا علمت أن هذا المدرس هو أعرف الناس بمواضع ضعف هذا التلميذ وهو أعلم طبيب بالطرق الناجعة لعلاجه لاتصاله المباشر به وإشرافه اليومي عليه وعلمه بعقليته وتعرفه لأسباب ضعفه تبينت مقدار تعنت المشرع في ذلك ومقدار عدم ثقته بالمدرس . لأن الذين نشأوا على هذا التشريع وقتلوه بحثاً يعللون ذلك بأن المدرس ربما يتأثر بالعلاقة الجديدة التي تنشأ بينه وبين هذا التلميذ إذا سمح باعطائه درساً خاصاً فيحابيه في أثناء الدرس العام أو يعمل على نجاحه آخر العام الدراسي إن كان ممن يمتحنون بالمدرسة ، هذا بالرغم من أن أوراق امتحان النقل جميعها توضع عليها أرقام سرية لاتمكن أي مدرس من أن يعرف أوراق أي تلميذ ، فعلام هذا التحوط وعلام كل هذا الخوف ؟

أما الأرقام السرية في الامتحانات فحدث عنها وعن أهميتها ولا حرج ، فقد كانت في بادىء الأمر توضع على جميع الأوراق التي يدون عليها التلاميذ إجاباتهم في الامتحانات العامة كامتحان الشهادة الابتدائية وشهادة الدراسة الثانوية ، ثم انتقلت عدواها إلى أوراق امتحان النقل في جميع مدارس التعليم العام في أنحاء المملكة المصرية بناء على قرار وزاري خاص فأصبحت هي السر الهائل من أسرار لجان الامتحان الذي إذا حاول أي إنسان كشفه لأي غرض كان عرض نفسه لأشد العقوبات ولأعظم النكبات ، ولايتولاها إلا من عرف بحفظه للأسرار وكتمانه لها كتماناً تاماً . ولكم وجدت لها ضحايا من رجال التعليم بين آن وآخر من الذين لايعملون بإحكام على كتم مكنوناتها وصون أسرارها المتينة . وبالرغم من نظر الرسميات لها هذه النظرة فهي في نظرنا اللطمة التي تصيب سنوياً صميم الثقة العامة برجال التعليم ، وهي الصفعة القوية المؤلمة التي يصفعون بها جبيناً في كل عام مرتين من غير أن يعيروها أدنى اهتمام بعد أن اعتادوها ودرجوا عليها . ولكنهم لو تأملوها لأدركوا أن هذا التحيز الذي يتهمون به ، وتلك المحاباة التي يرمون بها ، ويخشى من أجلها على تلك الوريقات أو الشهادات التي يتسلمها الطلبة ، والتي أصبحت اليوم تافهة القيمة لا تقدم الشخص في حياته ولا تؤخره ، وأن تلك الروح المقوتة التي يوصفون بها — ماهي إلا لطخة في جبينهم لايقرها إنصاف ولا عدل . بل هي نكبة من النكبات التي أصيبت بها الثقة العامة برجال التعليم يندى لها جبينهم وتحترق لها أفئدة المخلصين منهم على مدى الأيام، وسيظل الضمير العام لرجال التعليم متألماً ، وسيظلون أبداً وراء صفوف الهيئات والطوائف الأخرى ومحز عدم اكتراثها ، وستظل مصر مجافية لروح التجديد والاصلاح في تكوين ناشئتها ما دام هذا النوع من العمل قائماً ؛ فهي الامتهان للكرامة بعينها والقضاء على الثقة بكامل معانيها ، ولن تقوم لرجال التعليم قائمة إلى أن يتخلصوا من هذه الوصمة التي أصابت ضميرهم وصميم الثقة بهم . وإنها لبدعة دنلوب تحمل بين جنبيها التناقض الصريح في جعل المدرسين أنفسهم يمتحنون الطلبة الامتحان الشفوي في اللغات حيث يكون من السهل معرفة التلميذ للمتحن ومعرفة الممتحن للتلميذ . ومع كل ذلك فقد تمسكنا بها تمسكاً كبيراً وحافظنا عليها ونقلناها من الامتحانات العامة إلى أنواع الامتحانات جميعها ؛ وقد غلونا فيها وعمدنا إلى تنظيمها وتعميمها حتى شملت جميع المدارس وبعض كليات الجامعة مع الأسف بعد أن كان الواحد منا قديماً يأخذ معه في منزله أوراق الطلبة فيصححها باطمئنان على مهل ثم يعيدها ، كما يفعل القاضي بالقضايا ، وكما يفعل المهندس بالمقايسات والرسوم المختلفة ، وكما يفعل سائر الموظفين في باقي الأعمال العامة التي لها مساس كبير بمصالح الجماهير ، والتي بالرغم مما نسمعه كل يوم من ضبط المختلسين والمرتشين لم يفكر أحد قط في جعل البحث فيها سرياً كما يجرى عندنا ، حتى لقد أصبح المدرس الذي يقوم طول العام على

تعرف عقلية تلميذه ومقدرته ليس فقط ممنوعا من إبداء رأيه في نقله من فرقة إلى أخرى ، بل هو فوق ذلك متهم في أمانته ، متهم في ذمته ، متهم في أخلاقه ، مصاب في كرامته ، فهل يصح بعد انتزاع هـذه الثقة الغالية منه أن يؤتمن على تكوين الفضيلة وبث الأخلاق الحسنة في تلاميذه وأبنائه !!...

اللهم أنهـا نقمة حلت بالتعليم وأهله نسألك أن تزيحها عنهم حتى تعود الثقة بالمعلمين الذين يصفهم الناس إلى اليوم بهتاناً وزوراً بأنهم ورثة الأنبياء ، مع أنهم جردوهم من أثمن الفضائل وأغلاها .

ولقد كان لانتزاع الثقة العامة من رجال التعليم الأثر البالغ في رجال السلطة التعليمية العامة الذين ينتخبون من بينهم فضعفت الثقة بين المراقبين والمساعدين ، وبين المساعدين والمفتشين ، وبين المفتشين والنظار والمدرسين الخ ... وأصبح الواحد منهم يخشى الآخر ويحذره ويعمل ما استطاع على الهرب من المسئولية وإلقائها كلما جد الجد على غيره ، فأصيب الكثيرون منهم بالضعف والخور وفقدان الشخصية . وصار كل منهم يتلمس حرفية القانون فينفذها فقط مخافة أن يقال له يوماً إنه خالف القانون وصار كل تفكيره منصبا على ما هو مكلف به من غير أن يفكر في إصلاح أو تجديد ، لأنه يرى بعيني رأسه أن المتحمسين للتجديد المندفعين في تياره بمـا جبلوا عليه من حب للعمل والغيرة عليه كثيراً ما ينالهم الأذى من وراء ذلك إذا وقعوا في أتفه مخالفة للقانون حتى ولو كانت تلك المخالفة في صالح العمل وتقتضيها مصلحته. ونتج عن ذلك نتيجتان وخيمتان :

أولاهما : الجمود الفكري الذي استحوذ على المدرس في فصله والناظر في مدرسته . حتى صار الواحد منهم لا يعبأ بمعرفة شيء عن أصول التربية الحديثـة ومستلزماتها ولا يهتم بالتمشي مع أصولها خوف ما يقع عليه من المسئولية والأذى إذا حاول الشذوذ عما رسم له بتطبيق نظرية حديثة أو فكرة جديدة، وأصبح لسان حال كل منهم يقول « لماذا أتعب نفسي وأهتم بأي شيء قد يجر على مالا تحمد عقباه ؟ فما على إلا أن أردد كل عام الدروس التي رددتها من قبل أو أن أعمل العمل الذي كنت أعمله في الأعوام السابقة في سبيل الحياة وأكل العيش »

وثانيتهما : إعدام التعاون بين أعضاء المجموعة الواحدة، كل يفكر في نفسه غير مبال بغيره حتى لقد يمر العام كله على مدرسين في مدرسة واحدة لا يعرف أحدهم اسم الآخر كما قد يمر العام على مدرسين في فصل واحد لا يتذاكرون شيئاً عن أحوال تلاميذهم أو أخلاقهم أو عقلياتهم . وليس هناك أمر من الأمور يعرض عمل أية مجموعة أو طائفة من الناس للخيبة كفقد رابطة التعاون والتضامن بينهم ، وخصوصاً إذا كان ذلك بين جدران المدارس التي يجب أن يكون التعاون غرضاً من أغراضها الأساسية . فالمسألة أصبحت قاصرة على أن كل واحد منهم يعمل عمله المتكرر الممل المعاد سنة بعـد سنة بدون تأمل في إصلاح ولا تفكير في تجديد وأنى لهؤلاء أن يعنوا بملكة التأمل والتفكير في تلاميذهم إذا كانوا قد أصبحوا هم أبعد الناس عنها !!

عبد الحميد فهمي مطر

لا كرامة لنبى فى وطنه !

ولى الدين يكن يتجاهله المصريون

للأستاذ كرم ملحم كرم

مما يؤلم أن ليس لأديب مصر ولى الدين يكن صدى مسموع فى وادي النيل وهو الذى ملأ وادى النيل صيحات وأغاريد ، فالمصريون إخوانه لايحفلون به كما يحفلون بسواه من رجال الأدب والعلم ، فكأنه لم يكن ، مع أن ولى الدين بلغ مكانة فى الأدب والبيان يحن إلى بلوغها عدد وافر من بنى قومه . ومعظم هؤلاء الذين يكتبون اليوم فى مصر لا يجيدون الكتابة كما أجادها ولى الدين . فان لولى الدين فى الانشاء أسلوباً لم يسبقه إليه منشىء، وما جاراه فيه مقلد، فارتقى إلى ذروة سامية كان فيها نسيج وحده . فنفحنا بلغة القرآن كما نفحنا جبران خليل جبران بلغة التوراة ، وظهرت لنا فيه الفخامة ، والتشبيه البكر ، والرقة ، والبلاغة . وقد يكون فى بيانه أقدر كاتب عرفته مصر ، فما فى أسلوبه تقعر ولا تحذلق ولا ترهل ، بل قوة ورسوخ ، قوة مصدرها القلب ، ورسوخ لحمته الاخلاص ؛ فليس يكتب ولى الدين ليملأ فراغاً بل ليجود بما تزخر به نفسه من عواطف وأشجان .

وإن يكن ثمة أديب يدل إنشاؤه عليه فهو ولى الدين ، ففيما يكتب تجري نفسه : فيما يكتب الأنفة ، وولى الدين أنوف . فيما يكتب الجرأة ، وولى الدين جرىء ؛ فيما يكتب ثورة على الظلم وولى الدين ثائر على الظلم . فيما يكتب العظمة ، وولى الدين عظيم . فى أصله وفى قلمه . فان إنشاءه إنشاء ملوك ، وهو من حفدة أصهار الملوك والسلاطين

لقد استعان المنفلوطى بعواطف سواه لما كتب ، فزخرف ونمق؛ وذلك حسبه ، على حين أن ولى الدين خالق ، وهذا هو المنشىء البليغ . كتب ما يحسه بلغة رفيعة وجيزة تنطلق كالسهم فلا انحناء ولا التواء ؛ ومع كونها لغة ما قل ودل فانها لتموج بالزخرف كالعروس

ولولى الدين فى الأدب أنداد جروا مجراه فى الأنفة والسمو والنبل . ومن هؤلاء أبو فراس الحمدانى ، والشريف الرضى . أبو فراس طمع فى العرش الحمدانى والشريف الرضى فى الخلافة . وبين ولى الدين وبينهما شبه متعدد الوجوه فى عواطفه وشعره

ولى الدين عانى وحشة المنفى ، وأبو فراس ذاق مرارة الأسر . أبو فراس عاش ومات مقهوراً ، وولى الدين عاش ومات مقهوراً. شعر المتنبي طغى على شعر أبى فراس ، وشعر شوقى طغى على شعر ولى الدين . على حين أن قصيدة أبى فراس : « أراك عصى الدمع شيمتك الصبر ... » تساوى ديواناً . ولا جدال فى أن صاحبنا أبا الطيب يتمنى لو تكون له ، إلا أن عواطف المتنبي بعيدة كل البعد عن رقة أبى فراس فى غزله بعد رقة شوقى عن طبع ولى الدين

فلسنا نحس ونحن نقرأ شوقي قلبه يجول فى السطور . فما هناك غير شاعر ينقر العود ليطرب سامعه ، وربما ليرفعه إلي أعلى ذروة من عالم الطرب ؛ على حين أن ولى الدين فى شعره الغزلى يثب وثباً إلى القلب ويتلاعب به ويملكه ويذله ويدعوه إلى الاقرار مكرهاً بأنه فعل فيه فعله ، وبأنه تأثر كل التأثر به ، وبأن ما فى هذا الشعر يحاكى عواطفه وميوله ؛ فهذه نفسه مسبوكة فى أبيات من الشعر ذوات قواف وأوزان ، بينما هو يقف أمام شوقي وقفة الاعجاب ، وقفة الاحترام والخشوع ، فيتأثر عقله لا قلبه ، شأن كل منا أمام الأهرام وقلعة بعلبك وخرائب تدمر ، فنعجب بالصانع والمبتكر دون أن يكون لهذا الاعجاب صلة بالقلب . فالقلب يظل مستقراً فى زاويته لا تهتز منه الأوتار ، على حين أن تغريدة بلبل وزقزقة عصفور تحتلان منه الصميم

وهذا موقف أبى فراس من المتنبى : المتنبى شاعر القوة وأبو فراس شاعر المهجة المقروحة ، والاثنان لا يلتقيان . فالمتنبى لما عاد من مصر بالاخفاق ، واحتل قلبه اليأس لم يفكر فى سوى الهجو ، فى غير ضرب العصا ، فما جرى فى منظومه قلبه بل حقده ، بل أعصابه الثائرة وحنقه . فأطلقها تغلى كالمرجل الجياش :

عيدٌ بأية حال عدت يا عيدُ   بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟
أما الأحبة فالبيداء دونهم   يا ليت دونك بيداً دونها بيدُ

وهذا شعر ، ولكنه شعر حجرى مقدود من الجلمود !

وأبو فراس يئس كالمتنبي لدى وقوعه فى الأسر ، ولا نكير فى أنه كان أشد من المتنبي يأساً وقد نزعت منه حريته وبات تحت رحمة ملك الروم . على أن هذا اليائس لا يضرب بالعصا وهو ينظم الشعر ، فلا يقول كالمتنبي :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

بل ينشد :

أقول وقد ناحت بقربى حمامة : أيا جارتا هل تشعرين بحالى ؟

معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببال

أيضحك مأسور وتبكى طليقة ويسكت محزون ويندب سالى؟

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعى فى الحوادث غالى

وهذا الشعر يائس ، ولكن القلب يتكلم فيه ، لا الحنق ولا العصا ، وليس منحوتاً فى صخر !

***

فى طليعة الشعراء العاطفيين فى مصر اسماعيل صبرى وولى الدين . وما اشتملت العاطفة إلا فى الأيام الأخيرة فى صدر شوقي . ولقد اندفع إليها مضطرا . حمله عليها أبطال رواياته . فلا يسعنا القول أن شوقي شاعر عاطفى لكونه أنطق ليلى العامرية ومجنونها بالغزل والنسيب . فالموقف جره إلى ما كلف نفسه إياه . فنطق بيانه لا قلبه . كان مصوراً لا حساساً يعطينا من كبده

وفى هذه الناحية اختلف ولى الدين عن شوقى : ولى الدين كان عبد العاطفة . وكل شعر شذ به عن العاطفة كبا فيه . والدليل شعره السياسى . فأين هذا الشعر من القصائد المصهور فيها قلب ولى الدين ؟

فبينا أنت إزاء ولى الدين العاطفى فى حضرة شاعر من الطبقة الأولى إذا بك تجاه شعره السياسى أمام شاعر من الطبقة الثانية بل الثالثة ، وأين قصيدة :

الله فى وجدى وفى مأملى من لى بعود الزمن الأول

قد كنت أشكو عذلى فى الهوى وها أنا أثنى على عذلى

مللت عذب اللوم جهلاً به لو كنت أدرى الحب لم أملل

من قصيدته فى تهنئة سيد مصر يومذاك عباس حلمى الثانى :

هلمو بنا نحو الأمير نسلّم سلام على عباس مصر المعظم

ألا إن فى الأكباد شوقاً مبرحاً إليه فقد كادت من الشوق تدمى

ففى القصيدة الأولى تكلم قلب ولى الدين فأسمعنا أبرع الشعر ، وفى الأخرى تكلم لسانه بما تقضى به المجاملات فعدا سجيته ولم يكن من الظافرين .

وهذه حال ولى الدين فى قصائده كافة : يجلى فى شعر العاطفة ويكبو فيما جاوز هذا الشعر . ولسنا بحاجة إلى الأمثال وهى موفورة فى كل قصيدة من نظم الرجل . وأى جسامة فى الفرق بين قصيدته :

أعلمت الهوى الذى أخفيه أى سر فى القلب لم تعلميه؟

هو مأواك منذ كان وهل يحـ جب شىء فى البيت عن ساكنيه

وقصيدته فى رثاء أحمد خيرى بك :

ياروح خيرى حين جدّ الرحيلْ قفى قليلا وكفانا الدليل

الموت قد بت الذى بيننا لم يبق منه غير حزن طويل

فلا صلة بين القصيدتين ولا قرابة : فكأن هذه من نبع وتلك من نبع آخر . وعلى المرء أن يعالج ما خلق له ، وولى الدين على سمو منزلته فى الأدب ، وهو ممن يعشون أبداً فى الطلائع والنظائر ، لم يدرك الفوز فيما لم ينشأ عليه . لقد تفوق فى شعر العاطفة وكان عليه أن يملأ به ديوانه فحسب ، لا أن يجرى على ما ليس فيه !

***

ومع أن من حق مصر أن تفاخر برجل موهوب من أبنائها كولى الدين فانها لتحدق إليه شزراً كأنما يضيمها أن تتعرف إليه على حين تغبطها سائر البلاد العربية على أديب فريد فى نثره وفريد فى شعره العاطفى فى هذا العصر

يقول الناقمون على الرجل إنه ساير الانكليز فوقف عليهم قلمه ، ورحب باحتلالهم وادى النيل ، وجوابنا أن الانكليز ساعدوا على ترقية مصر، فان يدهم فى عمرانها غير منكورة عليهم. وفئة محترمة من زعماء مصر ، وبينهم من تربعوا فى العرش المصرى وكانوا منه كالسوار من المعصم ، اعترفت للانكليز باليد البيضاء على وادى النيل . فان يكن ولى الدين جارى هذه الفئة فلا عليه. وقد سمعنا النحاس باشا نفسه ، زعيم الوفد المصرى، يتدفق بالشكر لانكلترا على أثر إبرام المعاهدة المصرية الانكليزية !

وثمة من ينعي على ولي الدين عبثه بالتقاليد ، إذ حارب الخليفة ، وتزوج مسيحية ، وأطلق على أبنائه أسماء غريبة ، فانكره ذووه ومالوا عنه فمرف البؤس المرير :

تمودّ كلٌ بؤسها ونعيمها وعشنا على بؤسي ولم نتمودّ

على أنه ماشأن الأدب في حياة الأديب الخاصة ؟ هذه في واد وهو في واد . وإذا جئنا ندين الأدباء في حياتهم الخاصة اضطررنا إلى حذف تسعة أعشارهم من السجل . وهو مجهود سخيف !

ولقد بسم الحظ لولي الدين ، ولكن ما بسم له حتى مات ، وهذا نصيب المنكود من دنياه . كان ولي الدين من مؤيدي السلطان حسين كامل . فلما تولى السلطان حسين عرش مصر قرّب إليه الأديب الموهوب ؛ غير أن الموت زاحم مولى مصر على ابنها البار فدهمه داء الربو فمات وهو في حلوان ، وقيل إنه مات بالسل

***

ومهما يكن فليس ولي الدين ممن يجب الاغضاء عنهم وله على البيان العربي يدٌ طاهرة . عدا أن محاولة طمسه لن تأتي بفائدة ؛ والنقد كفيل بأن يحييه . فما أبقى ولي الدين من آثار أدبية يضمن له الخلود . فليس من أديب في مصر يأتي نوراً تلو شوق سوى ولي الدين ، أي إن إنكاره وغمط فضله لا يؤثران فيه ، بل يدلان على نية فاسدة . وإننا لننزه القوم في مصر عن التحزب في الأدب ، ويكفيهم أن يعلموا أن التحزب السياسي قضى على تسعة أعشار منظوم بشار بن برد وظل بشار من الخالدين !

« بيروت » كرم ملحم كرم

مصدر الهتلرية

منذ أعوام أصدر مستشار الريخ كتابه « كفاحي » متضمناً السياسة التي عول على السير بمقتضاها ، وهي سياسة صريحة لا مراوغة فيها ولا مداورة . فهل كان هتلر هو خالق هذه المبادئ وواضع تلك السياسة ؟

يرى فريق من المتتبعين لتطور السياسة الألمانية في نهاية القرن الماضي أن كل ما جاء به دكتاتور ألمانيا إنما هو مأخوذ عن المبادئ التي وضعها الأستاذ هنريك فن تريتشكي أستاذ التاريخ الحديث في جامعة برلين وبثها في محاضرات ألقاها على القوم في فريبرج وليبزج وبرلين ، أيام كانت ألمانيا تحرز النصر تلو النصر على الدانيمرك والنمسا وفرنسا (أعني في المدة ما بين ١٨٦٦ — ١٨٧٣) ووقت أن كانت تحتاج ألمانيا إلى روح من (مركب النقص) تدفعها على الدوام لأن تتبوأ القمة بين دول أوربا

يقول الأستاذ همبدن جاكسون في بحث نشره عن نظريات تريتشكي : « يحتمل أن تكون آراء تريتشكي قد استمدت مباشرة من كتاب (كفاحي) ، لولا أنها ظهرت قبل أن يعرف الوجود هذا الكتاب بنصف قرن » ولقد كتب تريتشكي يقول : « إن الحكومة هي القوة ، ووظيفة الحكومة الجوهرية هي شن الغارات ، وبدونها لا تكون هناك حكومة قط ، فلولا الحرب ما كانت الدولة . وينبغي أن يجعل المرء شعاره على الدوام : (إن الحروب دواء الأمم المريضة) كما أنه في الساعة التي تقول فيها الحكومة : (إن كياني ووجودي في خطر) ينبغي أن يغفل المرء البحث عن مركزه الاجتماعي ، وأن يتناسى كل حزب خصومته ، وينكر كل فرد ذاته ، وأن يعتقد أن ليست حياته بشيء إن هي قيست بخير المجموع . وفي هذه اللحظة ذاتها تتجلى عظمة الحرب التي تقول بوجوب تلاشي الضعيف ، أما المثل الأعلى للسياسة فهو الذي ينشد الحرب بينما تنفر منها المادية . ما أبعد الأخلاق عن الواقع حينما تحقر شأن الغلبة في الكيان الانساني »

ولقد حذا هتلر حذو تريتشكي فما حاد عن تعاليمه قيد شعرة ، فقال عن المعاهدات : « ليس فى وسع أية حكومة أن تجعل مستقبلها رهن مستقبل حكومة أخرى ، فلكل دولة الحق فى أن تعلن الحرب متى شاءت ، كما أن لهـا الحق فى أن تنقض أية معاهدة متى رأت فيها غلا لها . إن لـكل زمن معاهدة »

لم يقتف هتلر خطى الزعيم الدرس المتوفى عام ١٨٩٥ فى السياسية فحسب ، بل اتبعه في جميع نواحى الحياة السياسية والاجتماعيـة ، فمن قبل أعلن تريتشكي رأيه فى المسألة العنصرية الجنسية فقال « إن كلمة « نبيل » لا تفيد إلا معنى العنصرية ، ولا يمكن فهمها إلا على أساس اعتقاد أن المميزات الشخصية إنمـا يتوارثها الخلف عن السلف ، وأفضل ما فى الجنس الآرى صفة الشجاعة ، فرجاله دائما على أهبة امتشاق الحسام للذود عما كسبوه بقرائحهم » كما أن رأى هتلر فى النساء قد سبقه إليه تريتشكي من قبل فى قوله: «ليس للمرأة من وظيفة فى الحياة غير الزواج وتدبير المنزل . إن الجميع — حتى الذين لا يميلون بطبيعتهم للخير العـام — يكرهون استخدام المرأة فى المصانع » ويقول تريتشكي عن الجيش: « ليس له من حق فى إبداء الرأى ، وإنمـا هو قوة فعالة تنفذ ما يُلقى إليها . أما إذا خُوّل الحق فى إعلان رأيه اضطرب الأمن . وليس ثمت بلاء أنـكى على الدولة من جيش يتناقش ، ثم يفترق شيعا وأحزابا » وهذه الـكلمات التى ننقلها هنا ، جاءت فى محاضرة له ألقاها عام ١٨٩٢ م ، وفيها ما يميط اللثام عمـا أحاط مسألة التطهير التى جرت فى يونية ١٩٣٤ م عند ما قتل هتلر الجنرال فون شليخر ، وقادة فرق القميص الأسمر الذين حاولوا أن يكون لهم رأى فى إدارة دفة الحكم

أخذ تريتشكي يدعو إلى احتقار الجنس السامي ، ويذكي غضب عشرائه ويستغل حماسة طلابه فى تهديد اليهود لألـمانيا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر حيث يقول: « والآن حيث أصبح فى ميسور الآريين تصريف الشؤون المالية فقد انتهت مهمة اليهود ولم تعد لهم ضرورة . بل لقد أصبح خطرهم شراً جسيما يهدد كيان الدولة بانحلال قواها ، ويحمل هذا الأمر فى طياته نذير قيام جنسيات مختلفة » غير أن تريتشكي لم يستطع أن يضع حداً فاصلا « لليهودى الخالص » Pur sang وبين الذين يمتُّون للجنس الجرمانى بنسب فقال: « وأستطيع — إلى مدى بعيد — ألا أجد غير وسيلة واحدة لانقاذ هذا النشاط ، تلك هى تنمية مجهودنا القومي الذى ينبغى أن يكون طبيعة ثانيـة بجانب طبيعتنا ، وأن نلزم أنفسنا برفض كل ما لا يحمل الطابع الجرمانى ، فيعم الخير الجميع ؛ في ساحة الملاهى وصالات الوسيقى وفى قراءة الصحف ؛ أما حيث يوجد الفذى اليهودى فعلينا أن نبتره بتراً ، فان استطاع العيشَ بعـد ذلك فتبِـعَة هذا اللوم واقعة على المتساهلين معهم ، المترفقين فى بغضهم للجنس السامي »

ويرى تريتشكي أن حاجة ألمانيا إلى المستعمرات من المسائل التاريخية والسياسية والاقتصادية فيقول : « إن حربنا المقبلة الناجحة ، ستنجلى عن الحصول على المستعمرات بأية وسيلة ، فحاجتنا تاريخية لأن الألمان قاموا بأكبر مشروع استعمارى عرفه التاريخ منذ عهد الرومان ، ألا وهو استعمار الوثنية من الألب حتى نيفا Neva ؛ ثم هى مسألة معنوية لأن الأمم العظيمة فى التاريخ ترى واجبها فى طبع القبائل البربرية بطابعها ، والآن (١٨٩٢) نرى أن أوربا منهمكة فى إيجاد أرستقراطية عامة للجنس الأبيض على سطح الكرة الأرضية . كذلك هى مشكلة سياسية لأن الدولة التى ليست لها مستعمرات ستنتهى إلى مركز حقير، حتى ولو كانت قوية من ناحية أخرى، وخلاصة الموقف الألمانى تتمركز فى سعيه لأن يتكلم الناس قاطبة لغته حتى تكون لغة المستقبل »

هذه هى آراء تريتشكى ، وهى نفسها آراء هتلر

.. (ع . ع)

مطبوعات حديثة

أســـــلوب العقاد

للأستاذ سيد قطب

نصف الحياة اضطرابٌ   ونصفهـا أوزانٌ

هذا هو مذهب العقاد فى الحياة ، وهو مذهبه فى الفنون ، وهو رائده فى التعبير ... الشعر حركة فى الضمير ، وهزة فى الشعور — وهذا هو الاضطراب — وهو بعد ذلك لفظ مقروء وجرس مسموع — وهذه هى الأوزان — فاذا اضطربت العواطف واشتجر الشعور وماجت الأحاسيس ، فيجب — لتكون فناً — أن تضبطها الأوزان وتحدها الألفاظ ، ويحكمها التعبير

من فهم هذا المذهب على حقيقته ، فقد فهم أسلوب العقاد ، وتنبه إلى الدقة فى ترتيب المعانى وتنسيق العبارات ، وفى إيراد الألفاظ المعبرة عن المعنى بلا زيادة ولا نقصان

التعبيرات الطائرة ، والأساليب المزوقة ، والجمل المتراقصة ، كل أولئك لا نصيب له فى شعر العقاد ، لأن الشعر أقدس لديه من أن يكون ثوب مهرج ، أو قفزات بهـلوان ! وهو كذلك مالك لريشته ، منتبه لتعبيره ، فلا مجال لغير الدقة والقصد والاحكام

هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى أن الأحاسيس والمعانى التى يضطلع بها الأسلوب فى شعر العقاد ليست رخيصة مبتذلة ، ومعظمها ليس متداولا متعارفاً ، وهى على العموم ليست « ملقاة على قارعة الطريق » . فالأسلوب فى شعر العقاد إذن يضطلع بعبء لا يضطلع به عنه سواه ، وهو عبء من نتاج الانسانية الممتاز ، ومن ثروة الفن العالى ، ومن الخلاصات النفسية ، فمن حق هذا الأسلوب أن يتريث ويتأنى ، وأن يكون له وقار من وقار المعانى التى يحملها ، وجلال من جلال الأحاسيس التى يصورها ، وأن ينظر فيه أولا إلى مقدار الذخيرة الفنية التى يفيض بها ، وأن تكون الموسيقية الممتازة فيه هى موسيقى المعانى والأفكار والآفاق الجديدة التى يرتادها فى هدوء وعمق وسموق ، لا الموسيقية اللفظية الرخيصة وحدها ، وهى ليست بذات بال

وما أقول هذا لأن شعر العقاد تنقصه هذه الموسيقى اللفظية ففيه الكثير منها ، بل فى هذا الشعر مجموعة من القصائد التى تتوفر فيها هذه الخاصة ، قلما يوجد نظيرها فى دواوين الشعراء الموسيقيين ، كما أن الرصانة والجزالة فى عامة شعر العقاد ملحوظة واضحـة .

وإذا شاء أحـد أن يأخذ على بعض من ينتسبون للمدرسة الحديثة من الشبان قصوراً فى التعبير ، أو عدم عناية بالديباجة العربية السليمة ، فما هو واجد من ذلك شيئاً فى شعر العقاد بالذات ، ودون هؤلاء دواوين العقاد كلها إذا أرادوا

ولكن جماعة ممن يبيحون لأنفسهم أن يقتعدوا مقعد النقاد بلا مؤهلات ، يقسمون المواهب الانسانية تقسيما غريباً ، ولا يسمحون أن يحتاز إنسان لنفسه موهبتين أو أكثر ، كأنما يخشون نفاد هذه المواهب التى بين أيديهم ! فمن كان شاعر معان وأحاسيس ، فما هو بشاعر موسيقى وتعبير ، والعكس بالعكس ، إلا من يشاء لهم «الانصاف البديع» أن ينالوا أكثر من قسط ، وهؤلاء يجب أن يكونوا من خصوم العقاد !

ومن هنا كان العقاد — عند هؤلاء — كاتباً ولم يكن شاعراً ، فاذا سمحوا له بقسط من الشاعرية ، فليكن هذا القسط فى المعانى والأفكار ، وليبق الأسلوب والتعبير وقفاً على طائفة خاصة من غير المغضوب عليهم ، أو من أولئك الشعراء المريحين الذين لا يتعبون هؤلاء المحترمين فى فهمهم وفى التسلق إلى مستواهم الرفيع ، ولتختلف المقاييس حسب اختلاف الأهواء ، فتارة يكون الأسلوب الجيد هو الجزل الرصين ، حين يستعرضون للعقاد بعض القصائد السهلة الرشيقة ، وتارة يكون الأسلوب الجيد هو المذب اللذيذ حين يعرضون للعقاد بعض القصائد المتينة الرصينة ، ولو أنصفوا أنفسهم وأراحوها لقالوا : إن الأسلوب الجيد هو غير أسلوب العقاد فى كل حالة ، لأن هـذا ما يرضى نقصهم وقصورهم حيناً ، وحقدهم وتمنتهم أحياناً !

وهأنذا أفتح الجزء الأول من ديوان العقاد ، وهو الجزء الذى ابتدأ به حياته الشعرية ، وانتهى من نظمه وهو فى الرابعة والعشرين ، وأختار هذا الشعر بالذات ، لأن الشاعر فى إبانه لم تكن قد استقامت له بعد طريق البيان ، ولم يكن مالكا

لريشته وألفاظه ، وكان خليقاً أن يقصر ويعذر فى التقصير

ولكن شيئاً من هذا لا تلمحه فى ديوان الشاعر المبتدئ ، بل إننى لأريد أن أفهم كيف يكون الأسلوب العربى الرصين المشرق ، إذا لم يكن كالقطعة الأولى فى الديوان الأول بعنوان « فرضة البحر » ، حين يقول :

قطبَ السفين وقبلة الربان ... يا ليت نورك نافع وجدانى
يرجى منارك بالضياء كأنه ... أرق يقلب مقلتى ولهان
وعلى الخضم مطارح من ومضه ... تسرى مدلهة بغير عنان
كمطارح الأفكار فى لجج على ... لجج من الشبهات والأشجان
تخفى وتظهر وهي فى ظلمائها ... باب النجاة وموئل الحيران

***

أمسيت أحداقُ السفائن شُرَّع ... صور إليك من البحار رواني
كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى ... شمل الأحبة فيه والاخوان
جودىّ كل سفينة لم يبنها ... نوح ولم تمخر على الطوفان
فيها التقى بر وبحر واستوى ... شرق وغرب ليس يستويان
بسطت ذراعيها تودع راحلا ... عنها وتحفل بالنزيل الدانى
زمر توافت للفراق فقاصد ... وطنا ومغترب عن الأوطان
متجاورى الأجساد مفترق الهوى
متباينى اللهجات والألوان
فانظر إلى تلك الوجوه فإنها ... شتى ديار جمعت بمكان
فى فرضة متقاصر عن متنها ... موج أشم أحم ليس بوان
موج يطيف بها وقدران الكرى ... فيها طواف الضيغم الغرثان
ألقت مراسيها السفائن عندها ... وتحصنت منها بدار أمان
فكأن ضوء منارها نار القرى ... لو كان يُيمت ميت النيران

بل كيف يكون الأسلوب العربى المشرق إذا لم يكن مثل قصيدة « عزاء » فى الصفحة الثانية من الديوان الأول حين يقول :

يا شاكيا وصبا أحاط بنفسه ... أربع عليك لكل يوم كوكب
حمّل فؤادىَ ما يؤودك حمله ... إنى لأجلدُ للهموم وأصلب
أنت النعيم لناظرىّ وخاطرى ... عجبا وحقك من نعيم ينحب
يشكو من الدنيا الألى لولاهمو ... ما كانت الدنيا تحب وترغب
إما بكيتَ فلستَ أول شارق ... يجلو العيون وقد حواه الغيهب
قد كنت تبلغ ماتريد وتشتهى ... لو أن للأيام عينا ترقب
لا يذهبن بك القنوط فربما ... عاد الصباح وأنت لاه تطرب
دمع الشبيبة لا حرمتَ غمارَه ... يروى به اللب القضيض فيخصب

فأما حين يطلبون الرصانة وقوة الأسر وجزالة الأسلوب وفخامة التعبير ، فان الجزء الأول من ديوان العقاد يجيبهم إلى طلبتهم فى عدة قصائد أذكر منها « وقفة فى الصحراء » وفيها يقول :

هضابكِ أم هذى أواذيّ عيلم ... وهل فيك من ورد لغير التوهم
تخايلتِ كالدنيا وأقفرت مثلها ... فلا تخدعينى إننى لست بالظمى
أيا ربة الآل الخلوب وإنما
إلى الآل ركب الناس جماء فاعلمى !
خلوتِ فلا آثار حيٍّ توابتٌ ... عليك ولا آثار ميت معظم
نبا بكِ عن حال العمار وضده ... شماسٌ فلم تبنى ولم تتهدمى
تشابهت الأيام فيك فلم يكن
إلى السعد يومٌ أو إلى النحس ينتمى
صحارى من الدهر الفسيح جديبة ... كمهدك لم تعبس ولم تتبسم
لفيكِ وإن طال الزمان غوارب ... على الناس أخفى من غوارب أنجم
أضاءت عليها النيرات ولم تزل ... هنالك فى ليل من الغيب أبهم

***

إلى أى ركن فيك يلجأ هارب ... وفى أي ظل من ظلالك يحتمى
تسدبن أرجاء الزمان بحاصب ... من النار موار العجاجة مظلم
تثور كأفواج الدخان تطلعت ... إلى علو من قاصى قرار جهنم
إذا ما رآها الوحش ولى كأنها ... من النقع تجلى عن خميس عرمرم
يلوذ ببطن الأرض والأرض جمرة
خياشيمه م القيظ يبضضن بالدم
ويذهل حتى يفلت الليث صيده ... ولا تفرق الغزلان من ناب ضيغم
وما سكنتها الوحش إلا لأنها ... أحب إليها من جوار ابن آدم !
وقفت عليها والمطايا تقلنا ... مطايا تعود قبل ذاك وجرهم
ذميلا وإرقالا وما تستحثها ... سياط سوى الرمضاء أيان ترتمى

فقلنا بأوجار الضباع فأكرمت ... على البعد مثوانا ولم تتقدم
كرامة مضطر ويارب طارق ... بكرمه من لم يكن بالمكرم

هذه أو قصيدة « ليلة نابغية » حين يقول :

إلى أي قولي قائل أنت أميل ؟ ... وعن أي حاليك المشية تسأل؟
عرفت مدى شطر وشطر جهلته ... فحسبك من بلواك مالست تجهل
تنوص على الأوجاع بُهراً كأنني ... برىء من الأوجاع لا أتملل
فيالك من قلب إذا ما تململت ... قلوب الورى لم يغن عنك التملل
تماق إلا بالمحـال رجاؤه ... وأقسم لا يلهو ولا يتأول
ضمنتَ كدُفّاع الضرام لواعجاً ... أأنت لنيران اللواعج هيكل ؟
فيا من يراني والفؤاد كأنه ... إذا الليل أغضى قاتل يتزمل
ويا من يراني والنجوم كأنها ... نواظر من خوف المنية تقفل
كأن الفضاء لم ير الشمس مرة ... ولم يسر فيـه بدره المتهلل
أبيت وبي ليلان : ليل صباحه ... يرجّى وليل مدبر الصبح مقبل
أضمد جرحي باليدين وفيهما ... جراح يغشيها التجبيع المسلسل
وأحمل نفسي وهي ولهى طليحة ... إذا التام منها مقتل سال مقتل
إذا أدبر الليل استرحت وإنما ... يوكل بي الليل الذي هو أطول

* * *

عفاء على الأضواء ما ذا انتساخها الله
يالي وليـــلي آخر الدهر مسبل
فياشهب خطى بالرجوم على الدجى
وياصبح فاسمعني ويا ناس فانقلوا
ضوّلت سراجا ياشموس إذا خبا ... سراجي وليلي قاتم الجنح أليل

فأما حين يطلبون السلاسة والعذوبة ، فما أكثر ما يجيبهم ديوان المقاد الأول وحده إلى ما يطلبون ، وأقرب ما تقع عليه العين قصيدة الحب الأول ونقتطف منها قوله :

يهنيك يازهر أطيار وأفنان ... الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك لست بانسان فتشبهني ... إني ظمئت وأنت اليوم ريان
هذا الربيع تجلى في مواكبه ... وهكذا الدهر آنا بعده آن
تفتحت عنه أكمام السماء رضىً ... وزفه من نعيم الخلد رضوان
وشائع النور في البستان باسمة ... والأرض حالية والماء جذلان
الشمس تضحك والآفاق صافيـة
جلواء والروض بالأثمار فينان
وللنسيم خفوق في جوانبـه ... وللطيور ترانيم وألحان
في كل روض قرى للزهر يعمرها
ياحبـذا هي أبيات وسكان
مستأنسات سرى ما بينها عبق ... كما تراسل بالأشواق حبان
الورد يحمر عجبـا في كمائمه ... والياسمين على الأغصان ميسان
وللقرنفـل أثواب ينوعها ... عن البلور صناع الكف رقان
وللبنفسج أمساح ممسكة ... كأنه راهب في الدير محزان
وحبذا زهر الليمون يسكرنا ... منهن جام خلا من مثله الحان
والليل يحييه والأطيار هاجمة ... بلابل وشحارير وكِرْوان
مؤذن الطير يدعو فيه محتسبا ... فيستجيب له بر وغيـان
والصبح في حلل الأنوار طرزه
في الشرق والغرب أسحار وأصلان
كأنما الأرض في الفردوس سابحة
يحدو خطاها من الأملاك ربان
ضاق الفضاء بما يحويه من فرح ... فكل ما في فضاء الله فرحان
... الخ ... الخ

وعلى قيد صفحات من هذه القصيدة الرائقة الرائمة تجد « ليلة الأربعاء » وفيها يقول :

شف لطفاً عما وراء السماء ... نور بدر مفضض اللألاء
رق سجف السماء حتى كأن الـ ... عين تتلو هناك سر الفضاء
وسرى الطرف في الفضـاء فما يث
نيه ثان عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كالعباب فما في الـ ... كون غير الظلال من ظلماء
تلك أولى لوائح الصيف والصيـ ... ف يهيج في الليلة القمراء
يمن الله سعيه من رسول ... يطرق الأرض وافداً من ذكاء
مولد الأرض فهي تلبس فيه ... كل عام مطارف الأضواء
أضرم الجو بالمشاعل كالظا ... فر يعدو في إثر جند الشتاء

إلى أن يقول في عذوبة رقيقة :

ليلة الأربعاء بالله عودى وأعيـــدى ياليلة الأربعاء
ليلة أرسل الزمان بها عفـ ـواً فجاءت كحكمة البلهاء
قد نسينا الصباح حتى ذكرنا ه بنور من بدرها الوضاء
فوصلنا مساءها بصباح ووصلنا صباحها بمساء
وشربنا ونحن مرضى من الهم دواء أنعم به من دواء

ثم يقول من هذه القصيدة :

أين لا أبعد المهيمن داراً لك يامن أجله عن نداثى
أذكرتنى بك الكواكب والبد ر ونفح الرياض والصهباء
أنت أقصى منى ضمائر لوشئـ ـت لبانت فى غبطة وهناء
أنت شمس لهيبها فى فؤادى أنت نور لظاه فى أحشائى
أنت عندى كليلة القدر فى الدهـ ـر ولكن لن تستجيب دعائى
تتجلى فى كل حسن فأرعا ك وأنسى محاسن الأشياء

... الخ

***

تلك نماذج مختلفة من أسلوب العقاد فى أول ديوان يصدره منذ خمسة وعشرين عاما مرن فيها على النظم ، واستجابت له التراكيب وسلس له التعبير ، وتهيأ له خلالها ما يتهيأ لأى شاعر عادي من المران والدربة والاتقان .

فاذا استغنينا بالجزء الأول وحده ، فنحن واجدون للعقاد كثيرا من شعر الأساليب الفخمة الجزلة ، والأساليب الرصينة المتينة ، والأساليب العذبة السلسة ، وكل ما يعنيه الأسلوبيون ببدائع الأسلوب . ودع عنك ما وراء أسلوب العقاد من معان وفكر وأحاسيس وعوالم واسعة من الفن الفريد

فماذا يريد إخواننا الرافعيون ؟

إنهم ليستنفشون ثيابهم ويضعون أصابعهم فى آذانهم ، ويذهبون ويتجنون وينكرون ، وما على العقاد ولا على المدرسة الحديثة منهم ، بل لا كانت هذه المدرسة إذا كانت تنظر إلى رضاء الرافعيين !

« حلوان » سيد قطب

العـــزلة

للشاعرة ايلا هويلر ويلككس

بقلم السيدة فلة فهمى

إضحك ، يضحك معك العالم
إبك ، تبك وحدك
على الأرض الحزينة الهرمة أن تنشد سرورها ،
لكن لديها من الهم الكفاية .
غن ، تردد غناءك التلال ،
ولكن تنهداتك تتبخر فى الفضاء .
يلتقط الصدى الصوت الطروب
لكنه يحجم عن الصوت الحزين

***

إن تبتهج ، سعى إليك القوم ،
وإن تحزن ، ولوا عنك .
إنهم ليرغبون في أكبر قسط من لذاتك
بينما هم فى غير حاجة إلى هموم نفسك .
كن طروباً ، يكثر أصدقاؤك
وكن حزيناً ، تفقدهم جميعاً .
ليس هناك من يعف عن رحيق خمرك
لكن عليك وحدك أن تكرع علقم الحياة

***

أَوْلِمْ تزدحم قاعاتك
صُمْ ، ينصرف عنك العالم .
إنجح وامنح ، فذلك يعينك على الحياة
لكن ليس من يستطيع أن يحمل عنك آلامك
هناك مكان فى قاعات السرور . . .
لكل من يقطع مرحلة الحياة الشاقة ،
لكن علينا أن نجتاز واحداً فواحداً
ممر الألم الضيق . . .

فلة فهمى

الفهم

وصلته بالحكم الأدبي

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

قرأت فيما قرأت للمرحوم الرافعي كلاماً يقول فيه : إن الذوق الأدبي في شيء إنما هو فهمه ، وإن الحكم على شيء إنما هو أثر الذوق فيه ، وإن النقد إنما هو الذوق والفهم جميعا !

وهذا الذي قاله الرافعي كلام يتهالك في أوله ، بقدر ما يتماسك من آخره . نعم فقد أخطأ الرافعي إذ حسب أن الذوق الأدبي في شيء إنما هو فهمه ، فإن الفهم شيء والذوق شيء آخر ، وإذا كان الذوق يستلزم الفهم كما يقولون ، فأن الفهم كثيرا ما ينفك عنه فلا يستلزمه ولا يقتضيه . ولقد يتأتى للشخص أن يفهم الأثر الأدبي على خير ما يكون الفهم ، ومع ذلك لا يقع من ذوقه أدنى موقع ، كما هو حال كثير من علماء النحو ورجال اللغة ! !

ولكن الرافعي مصيب من غير شك إذ يرى « أن النقد إنما هو الذوق والفهم جميعا » فأن الناقد إنما تتم له الأداة ، ويصح له أن يحكم على الأثر المنقود ، إذا ما فهم ألفاظه ومعانيه ، ووقف على إشاراته ومراميه ، وتلمس له كلَّ وجهٍ يستقيم عليه منطوقاً ومفهوماً ، وكل مدلول يقتضيه صريحاً واستلزاما

تلك حقيقة هي من الوضوح إلى حد البداهة ، ولكن الدكتور طه حسين نقل كلاماً عن الشاعر الفرنسي بول فاليرى زعم فيه : أن موت الأثر الفني إنما يأتي من فهم الناس له ، فأنت إذا ما قرأت كتاباً وفهمته فقد قتلته وقضيت عليه . فهناك إذن جهاد عنيف بين القارئ والمقروء، فاذا فهم القارئ فقد غلب، وإنما الأثر الفني الخليق بهذا الاسم هو الذي يغلب القارئ ويعجزه ، ولكن دون أن يضطره إلى اليأس والقنوط ، ومن هنا كان النثر بطبيعة تكوينه أقرب إلى الموت وأدنى إلى الفناء لأنه أقرب إلى الفهم ، وأدنى إلى الهضم ! والدكتور طه لا يميز الناقد في هذه الثمرة عن أي قارئ آخر، بل ولا يرضى له أيضا بفهم « الأثر الفني الخليق بهذا الاسم » ليتم لذلك الأثر البقاء كما يقول ، ومن ثم فقد طار إلى الأوج بقصيدة « المقبرة البحرية » لصاحبه فاليرى ، وكل دليله في ذلك أنها استغلقت على النقاد فلم ينفتح لهم فيها باب الفهم ، على الرغم مما بذلوا في الفهم ووسعوا في التأويل ، وكأني بالدكتور الفاضل قد فاته أن اللغة — في أرق أوضاعها وفي أحط أوضاعها — ليست إلا سبيل الفهم ، والفهم إنما هو أساس المعرفة ، والمعرفة إنما هي قوام الحياة ، وصلة الانسان بالعالم . ثم كأني بالدكتور الفاضل قد نسى أنه من قبل ذلك ردّ كتاب رسائل الأحزان للرافعي ، وكانت حجته في ذلك أنه قرأ الكتاب فلم يفهمه وهو لا يستطيع أن يحكم على شيء استغلق عليه فهمه ، وتعذر دركه !

ومهما يكن من شيء فان هذا الذي نقله الدكتور طه على أنه من طريف أوربا له شبيه طريف في تاريخ الأدب العربي ، فقد حدَّث ابن سنان الخفاجي قال : جرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبي العلاء بن سليمان المعري ، فوصفه واصف من الجماعة بالفصاحة ، واستدل على ذلك بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء ، فعجبنا من دليله وإن كنا لم نخالفه في المذهب وقلت له : إن كانت الفصاحة عندك بالألفاظ التي يتعذر فهمها فقد عدلت عن الأصل في المقصود بالفصاحة التي هي البيان والظهور، ووجب عندك أن يكون الأخرس أفصح من المتكلم ، لأن الفهم من إشاراته عسير بعيد ، وأنت تقول : كلما كان أغمض وأخفى ، كان أبلغ وأفصح . وعارضه أبو العلاء صاعد بن عيسى الكاتب وقال : صدقت . إننا لا نفهم عنه كثيراً مما يقول، إلا أنه على قياس قولك يجب أن يكون ميمون الزنجي الذي نعرفه أفصح من أبي العلاء ، لأنه يقول ما لا نفهمه نحن ولا أبو العلاء أيضاً ، فأمسك !

وسواء أأمسك الدكتور طه كذلك الرجل أم لم يمسك ، فما يعنينا ذلك ، وليس من وُكدنا أن نطيل في تفنيد دعوى باطلة لا يمسكها دليل من عقل أو فهم ، وما كنا لنعرض لها بذكر لولا أن رأيناها قد جازت عند بعض الناس . وإننا لنمضي فنقرر بأنه إذا كان الحكم فرع التصور كما يقول المناطقة ، فان الفهم لا شك دعامة من دعامات الحكم الأدبي ، وشرط أساسي لا بدّ منه في تقدير الكلام والحكم على الأثر المنقود ، كما هو شرط

فى الحكم على أى شيء آخر ، وقديماً قيل : يكفى من حظ البلاغة ألا يُؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ، ولا جرم أن الناقد إذا لم يفهم ، واستباح لنفسه أن يحكم ، فهو إما مسيء إلى نفسه وفنه ، وإما مسيء إلى صاحب الأثر المنقود ، فاذا كتب الله له السلامة من الأساتين فذلك شيء بقضاء وقدر ، ولا صلة له بتقدير الفن ومقاييسه ، ولا يد فيه ولا عمل لمواهب الناقد وملكاته !

هذا وللجاحظ كلام حلو مستقيم يدخل فى هذا الباب ، فلا بأس من إيراده وإن كان مرده إلى جهة القائل لا إلى جهة الناقد . قال أبو عثمان : «قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعانى: المعانى القائمة فى صدور الناس ، المتصورة فى أذهانهم ، المختلجة فى نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن أفكارهم — مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة فى معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، وحاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمور ، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وإنما يحيي تلك المعانى ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إياها ، وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم وتجليها للعقل ، وتجعل الخفى منها ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً ؛ وهى التى تخلص الملتبس ، وتحل المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوحشى مألوفاً ، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون ظهور المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الاشارة أبين وأنور ، كان أنفع وأنجع فى البيان ... والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذي سمعت الله يمدحه ، ويدعو إليه ، ويحث عليه . بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم ... والبيان اسم لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى ، وهتك لك الحجب دون الضمير ، حتى يفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر ، والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع : إنما هو الفهم والإفهام ... وقال على بن الحسين رضى الله عنه : لو كان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة ، وجملة الحال فى صواب التبيين لأعربوا عن كل ما تخالج صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم ، وعلى أن درك ذلك كان يعدمهم فى الأيام القليلة المدة ، والفكرة القصيرة المدة »

ولعمرى لقد أصاب الجاحظ شاكلة الصواب فى قوله : إن الغاية التى إليها يجرى القائل والسامع إنما هى الفهم والافهام ، فالمسألة قسمة بين القائل والناقد ، فاذا كان من الواجب على الأول أن يقول ما يفهم ، فان من الواجب على الثانى أن يفهم ما يقال ، ومن ثَمّ كان طلبهم فى الشاعر الحاذق بالصناعة أن يكون شعره مفهوماً واضحاً يسبق معناه ولفظه ، وكان شرطهم فى الناقد إذ كان يدعى علم الشعر ويتحقق بالأدب ، أن يكون يفهم معانى الشعر ، وله دربة بالغامض والظاهر منها . وهذا رأى قويم تقع به مهمة البيان موقعها من جهة ، ومن جهة أخرى يستطيع الناقد أن ينهض بمهمته ، وأن يخدم الأدب والفن كما يجب ، فيميز بين الخبيث والطيب ، ويفصل بين الشريف والأصيل ، ثم هو يقضى فى ذلك ونفسه مطمئنة ، ورأيه عن ثقة وتثبت . وقد أجاد الآمدى وأفاد في هذا المعنى إذ يقول فى صدر باب من كتابه الموازنة :

أما بعد : فانى أدلك على ماتنتهى إليه البصيرة ، والعلم بأمر نفسك فى معرفتك بأمر هذه الصناعة — يريد صناعة النقد — والجهل بها ، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ... فأن علمت من ذلك ماعلموه ، ولاح لك الطريق التى بها قدموا من قدموه ، وأخروا من أخروه ، فثق حينئذ بنفسك ، واحكم يستمع حكمك ، وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك ، فاعلم أنك بمفردك عن الصناعة... لأن كل امرىء إنما يتيسر له مافى طبعه قبوله ، ومافى طاقته تعلمه ، فينبغى أصلحك الله أن تقف حيث وقف بك ، وتقنع بما قسم لك ، ولا تتعدى إلى ماليس من شأنك ولا من صناعتك ! !

على أننا إذ نقول الفهم ، فما نعنى فهما كالذى يقصد إليه عالم

كالمكبري مثلا إذ يقول في مقدمة شرحه للمتنبي :

« وأما بعد ، فإني لما أتقنت الديوان الذي اشتهر ذكره في سائر البلدان ، وقرأته قراءة فهم وضبط ... ورأيت الناس قد أعربوا فيه بكل فن وأغربوا ، فمنهم من قصد المعاني دون الغريب، ومنهم من قصد الأعراب باللفظ القريب ، ومنهم من أطال فيه وأسهب غاية التسهيب ، ومنهم من قصد التعصب عليه ، ونسبه إلى غير ما كان قد قصد إليه ، فاستخرت الله تعالى وجمعت كتابي هذا ... وجعلت غرائب إعرابه أولا ، وغرائب لغاته ثانياً ، ومعانيه ثالثاً ..» نعم ! نحن لا نمنع هذا الفن من الفهم وما هو على غراره من الأساليب التي انتهجها القدماء في شرح الآثار الأدبية ، لأن فهم الآثار الأدبية ليس هو بتفسير الغريب ، وإعراب المشكل من التراكيب ، والتنبيه على مذاهب الاستعارات والكنايات وما إلى ذلك من اصطلاحات أهل البيان ، فما هذه كلها إلا مجهود ضئيل قد يأتي بشيء ولكنه لا يأتي بكل شيء ، وإنما الوضع الصحيح لفهم الآثار الأدبية الذي يولد فينا الذوق الأدبي ، ويقوى فينا الشعور بالجمال ، ويصل بنا إلى مقصد الشاعر أو الكاتب ، هو أن نستنطق الأثر الأدبي في كل ما يلابسه ويحيط به ، وأن نتبين ما هناك من ميول وأهواء ، ونزوع واتجاه ، في كلام المؤلف ، وشعر الشاعر ، وبيان الخطيب فان من وراء هذا كله أشخاصاً ينطقون ويشعرون ، فاذا ما خالطنا هـذه الآثار ومازجناها ، أحطنا بظواهر أصحابها وبواطنهم ، واتصلنا بأسرارهم ودخائلهم ، وعرفنا خصائصهم وطبائعهم ، واهتدينا إلى أخلاقهم وميولهم ، ووقفنا على سلوكهم وأوضاعهم ، وفي هذا كله ما فيه من ثقافة للذوق ، ومتاع للعقل، ثم فيه ما فيه من إفادة للناقد ، وتسهيل عليه في درك الحقيقة التي ينشدها ، والصواب الذي يسعى إليه .

وهنا سؤال لا بد منه ، وقد يكون القارىء فطن إليه من قول المكبري : « ومنهم من قصد التعصب عليه ، ونسبه إلى غير ما كان قد قصد إليه » ، فأن القائل قد يقصد في قوله إلى شيء ، ولكن الناقد يذهب بفهمه إلى شيء آخر ، ما دام اللفظ يتحمله ، والتعبير يتسع له ، ثم إن الأفهام تختلف ، والنقاد يختلفون في استخلاص المعنى من اللفظ ، « فمنهم من تكفيه اللمحة البادرة ليتنبه إلى النكتة اللطيفة والتلميح البعيد المستظرف في عروض كلام الكاتب فيعدّ ذلك له من القلائد ويفهمه حسبما أراد به وقصد إليه ، ومنهم من يحسبها جملة جرى بها قلم الكاتب عن غير تعمد ، إذ أنه يرى فيها شيئاً يشبه وجهاً محجوباً بستر صفيق فلا يدري أحسن هو أم قبيح ، ومنهم من يمرّ بالكلام ولو سألته ماذا أراد به كاتبه لعجب من سؤالك ! إذ أنه لم يرَ فيه شيئاً استوقف خواطره ، وعلى حسب ذلك الفهم وذلك الشعور ينتقد ويحلل[1] » ويقدّر ويحكم ، وأنت لو نظرت إلى النقاد الذين انتقدوا المتنبي مثلا ، لعجبت من مدى خلافهم في تفهم معانيه ، والوقوف على أغراضه ، وهو نفسه يصوّر ذلك في أبرز صورة إذ يقول :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

إذن فماذا يكون حظ « الحكم الأدبي » من فهم الناقد ، وكيف يقع موقعه من الحق والصواب ما دام للناقد أن يذهب بفهمه على ما يرغب ، وما دامت أفهام النقاد تختلف في الدرجة والطاقة على حد تعبير المليين !

والجواب على هذا السؤال سهل قريب ، والتعليل له أسهل وأقرب ، فان الأمر ليس منوطاً برغبة الناقد يذهب فيه مذهبه ولكن هناك قيود والتزامات ، فالفهم المعتبر عنـدهم في تكوين الحكم الأدبي ، والذي يجب أن يتوجه إليه الناقد بكل ما عنده من علم وزكانة ، إنما هو الوقوف على غرض القائل وما يرمي إليه ، وإلى غير هذا الهدف لا يباح له أن يصوب النظر ، إذ المقصود إنما هو الحكم للقائل أو عليه ، والوقوف على حظه من العبقرية الفنية، وليس مما يصح في منطق العقل أن نحكم على رجل بغير مقصوده، وأن نؤاخذه بغير ما يريده !

إن من الواجب على القاضي في عرف القانون أن يحاول جهده الكشف عن نية المتهم فيما ارتكبه ليحكم عليه في غير ما حيف ولا جنف ، والناقد لا شك له مكانة القاضي ومهمته ، فمن الواجب عليه كذلك أن يفهم كلام القائل « حسبما أراد به وقصد إليه » ، والسابقون من النقاد قد عبّـدوا السبل إلى ذلك ، فاهتموا بالتغلغل في شخصية الشاعر أو الكاتب ، والكشف

(١) منهل الوراد ج ٣

عما أحاط به من العوامل والمؤثرات ليكون ذلك فى هداية الناقد ومعونته على فهم القائل حق الفهم ، ولذلك يقول «سانت بوف» : إن من أراد أن يكتب عن شاعر أو كاتب فليبحث حياته وسيرته بحثاً دقيقاً ليعرف كيف كان يعيش فى منزله وفى الخارج حتى يمكن تصويره فى جميع صوره ، ومن المأثور عن هذا الناقد الكبير أنه كان يهتم بقراءة رسائل الذين كان يرغب فى الكتابة عنهم الخصوصية وكذلك مفكراتهم واعترافاتهم لأنهم يظهرون فيها غالبا بمظاهرهم الحقيقية

ثم هناك ناحية هامة لا نحسبها تخفى على القارئ الفطن ، وهى أننا إذا تركنا الناقد يفهم فى الكلام كما يشاء ، ويحكم على الأثر المنقود حسبما يذهب إليه فهمه وتصوره ، فإن حكمه — والحال هذه — يكون على مواهبه هو ، ومدى إدراكه وفهمه، لا على مواهب القائل ومدى ما عنده من الفن والعبقرية . ولاشك أن هذا تعطيل لمهمة النقد ، وخروج بالحكم الأدبى عن وضعه ، ومن ثمّ فقد أخذ الوهم بعقول بعض الناس فزعموا أن النقد لا حقيقة له ، لأنه ليس إلا فهم الناقد لا فكرة القائل، بمعنى أننا إذ نكشف عن معنى فى تعبير أدبى ، فلسنا نكشف فى الواقع عن معنى قصد إليه الشاعر أو الكاتب ، ولكنا نكشف عن معنى انقدح فى ذهننا وتمثل لفهمنا ! وقد يكون هذا المذهب صحيحاً أو غير صحيح ، ولكننا لاشك نرده على أصحابه إذ نطلب من الناقد أن يكون فهمه إنما هو لمقصود القائل وما يرمى إليه ، وهذا أمر هين على الناقد المستكمل الأداة المتدرب بالمران

محمد فهمى عبد اللطيف

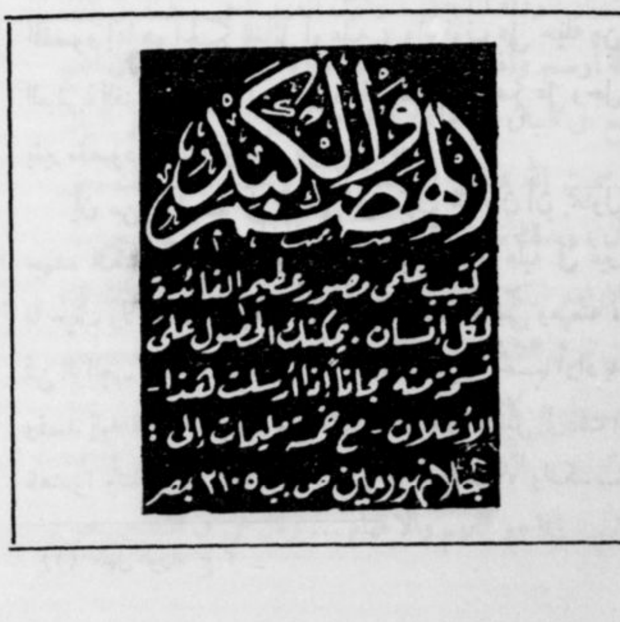

فردريك نيتشـــه

للأستاذ فليكس فارس

— ٣ —

ذلك كان فردريك نيتشه ، مجسّم القوة المفكرة التى دارت بها النائبات وحاصرتها الأوجاع وتصادمت مع تيارات الفلسفات التى كانت تهبّ فى ذلك العهد فى ألمانيا وفى أوربا بأسرها حاملة للعالم مبادئ تضعضع العقل وتهزّ المجتمع بتقويضها كل عقيدة تقيم أمام الانسان غاية لحياته

فقد كانت أفكار فيختته وشللينغ وهيغل وشوبنهور تهب جميعها ناشرة فى أوربا مزيجاً من مذاهب القدرية والعدمية ووحدة الوجود والارادة الحرة ، فقال شوبنهور إن روح الوجود قوة طائشة عمياء أدركت نفسها فى عقل الانسان وشعوره فوجم حائراً وفى نفسه ظمأ فى صحراء لا ماء فيها غير وهج السراب ، ولم يجد هذا الفيلسوف من علاج لهذه العلة غير التمرد على الحياة نفسها بترك ملذاتها والالتجاء إلى الزهد وانتظار الفناء فى ما يشبه النيرفانا وهى القوة التى تتلاشى كل شخصية فيها

وكانت الفلسفة الدينية تقاوم هذه التيارات للاحتفاظ بالعقيدة المسيحية بأبحاث لاهوتية ينسجها حول تعاليم عيسى رهطٌ من المفكرين كنويمن وكوردليج وكارليل وشلير ماخر وبيارلرووجان باينو وشارل سكريتان وأضرابهم فزجّوا بالانجيل فى مآذق مجادلات ليست منه وليس منها فى شئ . وهل خطر لذلك المعلم الانسانى وهو يدعو إلى تطهير النفس ومقاومة الظلم والأخذ بالرحمة وإقامة الاخاء بين بنى الانسان أن ينشئ مدرسة للتعليل عن مظاهر الكون ومنشأ الروح والانعكاسات من الآفاق والانطباعات فى السرائر ؟ بل هل خطر له أن يبحث علاقته بالله وعلاقته هو وحده أو هو وأبو الخليقة كلها بروح القدس ؟

* * *

وأخذ نيتشه بهذه التيارات تهبّ من كل جانب على فكره الوقّاد تلهبه الآلام وتثير تشوّقه إلى حال يمال فيها سبب وجوده وهدف صبره وجهاده

إن الرجل المتمتع بصحة الجسم وبشيءٍ من العزم يكتفي من هذه الحياة بما تعطيه، فاذا آمن بالله واليوم الآخر وقف عند إيمانه هذا مرتاحاً إلى ضميره، وإذا أُخذ بفلسفة الجحود رضي بهذه المرحلة من شعوره بذاته وطلب أوفر تمتع بأقل جهد

ولا يسطو القلقُ الفكري بخاصة في حالة الحيرة من أمر هذه الحياة إلاّ على الانسان الذي يؤدي ثمناً باهظاً من أوجاعه لكل لذّة يختلسها كالسارق من قوّته الأسيرة في ضعفه الجائر

إن مثل هذا الانسان إذا عززته القوة الخفية بالحس المرهف، يطالب الدنيا ببدلٍ لما يبذل فيها فيستنطق نفسه والآفاق ليعلم ما إذا كان لهذه الانسانية المعذّبة المجاهدة ما يبرر محنتها وجهادها

وفردريك نيتشه كان ذلك الانسان فما أرضته من الفلسفة اللاهوتية تلك الأحاجي التي أُحيطت المسيحية بها، وما كان ليرضى من جهة أخرى بهذه القوة الهوجاء التي صوّرها شوبنهور موجدةً لانسان لم يُعط له إلا التصوّر لاقامة أشباحٍ تتراقص حوله وهي غير كائنة إلا في وهمه

ونظر نيتشه إلى الوجود فرأى وراء صوره المتحولة مادة تتعالى عن الاندثار، فنشأت فيه فكرة العودة المستمرة، وبدأت صورة زرادشت ترتسم في ذهنه حتى استكملها فأنشأ كتابه في أوقات متقطعة من سنتي ١٨٨٣ و ١٨٨٥ في فترات كانت تسكن فيها حِدّة دائه أو هو يسكنها بما كان يتناوله من جرعات الكلورال المخدر. وهو نفسه يقول: إنه كتب كلاً من الأجزاء الثلاثة الأولى من زرادشت في مدى عشرة أيام كان فيها مأخوذاً بالهامه خاضعاً لقريحة تحكمت فيه فلم يستطع مقاومتها حتى أرهقته إرهاقاً

إذا نحن عرفنا هذا تجلت لنا العوامل التي ألقت على زرادشت وشاح الأحلام، فان نيتشه يقبض في فصوله على مشاعر قارئه ليمر به على رؤى يتسامى الخيال فيها إلى أوجه مفلتاً من رقابة القوى الواعية فكأنه يسير بمطالعه في عالم أحلام تبعث أشباحها من انطباعات القوى الواعية ولكنها تتبع في مرورها وحركاتها ما تحسبه تضمضماً في عالم القوى الساهية المجهولة

لقد ماشينا نيتشه في حلمه وهو يستعير لعقله الباطن أو لسريرته أو لفكرته الساهية اسم زرادشت الفارسي الذي قال بالخير والشر كقوتين تتنازعان حياة الانسان، فرأينا زرادشت المزيف لا يقلد الأصلي باتخاذه اتباعاً له وباقتباسه لهجة حكماء الشرق إلا ليعارض فكرة الخير والشر قائلاً: إنها نشأت دخيلة على الانسانية، وأن ليس لهذه الانسانية أن تتفوق على ذاتها إلا بانكار الخير والشر وتحطيم ألواح الشرائع المقدرة لقيم الأعمال، لأن كل شعب اشترع لنفسه ما لا يتوافق واشتراع جاره

ولكن نيتشه اللابس خيال زرادشت في رؤياه لم يتنبه إلى أنه يرتكب تناقضاً بيناً في دعوته إذ ينكر ما يراه من خير وشر طلباً لحالة جديدة يراها هو خيراً يريد أن يتسلح به للقضاء على شر ينكر وجوده

ولو كانت الحقيقة كامنة وراء الخير والشر كما يدعي زرادشت الجديد، أو بتعبير آخر لو أن هنالك حقيقة مجردة عن الخير فلماذا يطلب زرادشت هذه الحقيقة وهو يعلن أنها الخير كل الخير للانسانية إذا هي أدركتها ؟

* * *

إن تحديد الخير والشر في الكلمات العشر إنما هو أساس كل شرعةٍ تكفل حق الفرد ونظام المجموع

لقد تتناقض الأحكام التي تسنها الحكومات والجماعات في مجال الأزمان مستوحاةً من حالةٍ موقتة تدفع إليها حاجةٌ ملحّة، فتُكتب ألواحٌ تستبدَلُ بتبدُّل الوضع والملابسات ولكنَّ السننَ التي تستلهم من الشريعة الوحي بها لا يمكن أن تتعارض إذا هي سلمت من دخيلات الأوضاع الانسانية. وكلُّ شرعةٍ أصيلة تحتفظ بطابع مصدرها تتوافق حتماً وكلَّ شريعةٍ تحدّرت مثالها من ذلك الأصل

إنّ زرادشت الجديد لم يَجُل في مسارح حلمه فاتحاً لسريرته مجالات التفكير إلاّ وهو يحتفظ بانطباعاتٍ من تواريخ الأمم القديمة الوثنية وبصورٍ متناقضة من القوانين التي أبدعتها حكومات الغرب وجماعاته ونقاباته الصناعية والمالية فتمثلت هذه السننُ أشباحَ ألواحٍ تتراقص عليها ألوانُ البِدَع، فما وسع زرادشت إلاّ أن يثور عليها ويدعو أتباعه إلى تحطيمها

أما اللوحان الأوّلان وكلمة عيسى بأن يعامل الانسان أخاه بما يريد أن يعامله أخوه به والشريعة الأحمدية التي جاءت على أساس هذا المبدأ بخير الكلّيات تُستنبط منها الأحكام لكل جماعة ولكل زمان، فان زرادشت لم يبحثها، مع أن نفسه كانت تصبو إليها لشعوره بوجودها وراء أقنعة النظم التي أسدلها الغرب على مجتمعاته. وإذ كان لم يتميزها فما ذلك إلا لأن دماغه كان

يتصدّع بما حُشر فيه من فلسفة اليونان القديمة ومن مشاحنات أعلام عصره الدين شُغلوا بالجدل والمماحكات المنطقية المجردة حتى أتوا بنظريات تورث الدوار وتبلبل الفكر فيضطر من ألمّ بها إلى نبذها جميعاً لأنها كدود القبور يلتهم بعضها البعض الآخر بعد أن تتغذى من جيفة لا حياة فيها

وفى هذا الحلم يسير زرادشت هادماً كلّ ناموسٍ ونظامٍ لينبىء الناس بالخلود وبقاء الذات فى وجودٍ شبّهه بالساعة الرملية ينقلب أبداً قسمها المفرغ لاستفراغ قسمها الممتلىء

ولا يطمعنّ القارىء فى الظفر من زرادشت بما يثبت هذه العقيدة الراسية على خلود مبهم وعودة أشد إبهاماً لأنه لن يظفر منه بغير صور يلمحها لمحاً في بيان شعرى يتلبس الفلسفة دون أن يكون فيه أثرٌ لأى استقراء أو لأى تعليل فيخرج من استغراقه وهو لا يدرى أيقصد نيتشه من العودة المستمرة مايتوهمه الملحدون من خلود الآباء فى الأبناء أم هو يرى إلى عودة الشخصية بالذات ناسية ماضيها تاركة فى كل مرحلة من مراحلها جثة تتلوها جثة على مدى الأحقاب .

لقد تمرد نيتشه أمام العدم كما قلنا وخفيت عنه حقيقة الدين الذى أخذ به الغرب عن عيسى فأحاطه بالمعميات كما خفيت عنه حقيقة ما أنزل على محمد فشوّهه هذا الغرب بالافتراء والتشنيع تعصباً وجهلاً فوقف مفكراً جباراً لا يستسلم لفكرة العبث فى غاية الكون ولا يرضى بالنظم الاجتماعية التى أوجدتها الدنية وأسندتها إلى الدين. وهكذا هبّ يطلب للانسانية إلهاً منها يسودها، وللأرض معنى أبدياً يحول كل زوال فيها إلى خلود مستمر التجدد بين الخفاء والظهور فى حدود غير محدود ...

ولو تسنى لنيتشه أن ينفذ حقيقة الايمان الذي دعا عيسى إليه مكملا ما جاء به موسى لكان تجلى له إيماناً بالقوة ترفع الضعفاء لا بالضعف يسلط عليهم الأقوياء ، ولو تسنى له أن يستنير بما جاء به الاسلام من مبادىء اجتماعية عملية عليا تماشى ما جاء به عيسى ولا تنقضه لأدرك أن فى الدين الحق دستوراً يهدم كل ما أراد هو هدمه من صروح الفساد فى المجتمع، ويوجد الانسان المتصف بمكارم الأخلاق محباً للحياة والقوة والجمال والحرية دون أن يكسر حلقة الانسانية ويحاول الانطلاق منها وهو لا يزال يلبس تراب الأرض ويرسف فى أغلالها

ولكن نيتشه باندفاعه إلي معارضة الفلاسفة من معاصريه وبثورته على التفكير الدينى والتفكير المطلق فى آن واحد رأى أن التكامل النبل عطف الألوهية الراسخة فى الأذهان والتخلص من عقابها الصارم يقتضى الاعراض عن الزائلات والاستكانة إلى السلطة واعتبار العقلية الجنسية ملطخة بأوضار الخطيئة فثار على هذه الألوهية المزيفة التى ما عرفها الشرق فى أى دور من أدوار وحيه ، وهكذا كفر نيتشه بالله فأعلن موته واختناقه برحمته

هذا هو جحود نيتشه فى تعاليم زرادشت وهو فى تقديرنا إذا نحن استترنا بالدين الحق كما تدركه ذهنيتنا السامية جحودٌ يتجه إلى غير الإله الواحد الأحد رب الناس أجمعين .

بل إننا إذا ذكرنا القاعدة المثلى التى وردت فى حديث للنبى الكريم على قولٍ أو فى كلمة لأمير المؤمنين عمر على قول آخر ، وهى « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

إذا ذكرنا ذلك ، يتضح لدينا أن نيتشه قد ذهب إلى أبعد مدىً فى الامتثال للوصية الأولى وقد فاتته الوصية الثانية وهى وصية راسخة في أرواح أبناء هذه البلاد الشرقية العربية ، فليس إذاً فى عظات زرادشت ما يزعزع عقائدنا أو ينال من إيماننا ، بل إن فيها ما يتمشى والمبادىء العليا التى اتخذها السلف الصالح أساساً لاقامة عظمة الدين على عظمة الحياة .

(البقية فى العدد القادم)

فيلكس فارس

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

تشيعه

يقوم التشيع على أساس اعتقاد انحصار الخلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى على وقرابته من بنى هاشم ، وهو بعد هذا ذو درجات مختلفة فى الغلو والاعتدال ، فيصل فى الغلو إلى حد تكفير الصحابة الذين حالوا بين على والوصول إلى حقه فى الخلافة ويصل فى الاعتدال إلى حد الرضا عن الشيخين أبى بكر وعمر دون غيرهما ممن حكم بعدهما

وكان الكميت أول من ناظر فى التشيع مجاهراً بذلك ، وقد قال الجاحظ ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكميت بقوله :

فان هى لم تصلح لحىّ سواهمُ فان ذوي القربى أحق وأوجب
يقولون لم يورث ولولا تراثهُ لقد شركت فيها بكيل وأرحب

وهو يرد فى هـذا على من يقول إن النبى صلى الله عليه وسلم لا يورث كما يورث غيره ، فيقول إنه لولا تراثه وأن آل بيته أحق بالخلافة لأنهم ورثته لـكانت لتينك القبيلتين وغيرهما من القبائل العربية نصيب في الخلافة ، وكان الناس كلهم سواء فيها

ولكن الـكميت لم يكن يغلو فى تشيعه إلى ذلك الحد من تكفير أصحاب رسول الله ، وكان يتورع فى شعره عن لعنهم وإن كانوا مخطئين فى نظره ، وهو إنصاف من الـكميت لم يكن يعميه عنه خصومة الرأى . ويظهر أن هذا الانصاف كان طبعا له مع كل مخالفيه في الرأى ، وقد ذكرنا ما كان بينه وبين الطرماح ابن حكيم من المودة والألفة ، وكان الطرماح من شعراء الخوارج. ويجب أن نستثنى بنى مروان من هذا الاعتدال فى خصومته ، لأنه كان يغالى فى خصومتهم كثيره من الشيعة ، ولعل السبب فى ذلك أن خصومتهم كانت هى القائمة فى عهد الـكميت ، أما خصومة غيرهم فـكانت خصومة قديمة لا معنى لاحيائهـا والغلو فيها . وقد أفرط بنو مروان فى خصومتهم لبنى هاشم ، فأفرط الـكميت فى خصومتهم كما أفرطوا وغالى فيها كما غالوا .

وقد ذكر الكميت أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فى بعض هاشمياته فتحرج فى أمرهما بعض التحرج ، وقال فى ذلك :

أهوى عليا أمير المؤمنين ولا ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وإن لم يعطيا فدكا بنت النبي ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ما ذا يأتيان به يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

وكانت فدك قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهلها سنة سبع من الهجرة يدعوهم إلى الاسلام ، فصالحوه على نصف الأرض ، فقبل منها ذلك وصار نصفها خالصا له ، لأنه لم يوجف على ذلك بخيل ولا ركاب ، فكان ينفق ما يأتيه منها على أبناء السبيل ، وفعل ذلك الخلفاء الراشدون بعده ، فلما ولى معاوية أقطعها مروان بن الحـكم فوهبها مروان لبنيه ، ولما ولى عمر بن عبد العزيز ردها إلى ما كانت عليـه فى عهد رسول الله والخلفاء الراشدين ، فوليها أولاد فاطمة رضى الله عنها ، ثم أخذت منهم بعده ، ثم ردها المأمون إليهم سنة عشرين ومائتين ، وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم تصدق بها على فاطمة رضى الله عنها

وأما منع أبى بكر وعمر وفاطمة ميراثها فقد اعتمد فيه أبو بكر على ما سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » برفع صدقة على أنه خبر المبتدأ قبله ، والشيعة يروونه بالنصب على أنه حال لا خبر ، وتقدير الـكلام على هذا — لا نورث ما تركناه حال كونه صدقة — ويفهم من هذا أنهم يورثون غيره

وقال الـكميت فى ذلك أيضاً :

نفى عن عينك الأرق الهجوعا
وهمٌّ يمتري منهـــا الدموعا
دخيـــل فى الفؤاد يهيج سقما
وحزناً كان من جذل منوعا

لفقدان الخضارم من قريش
وخير الشافعين معاً شفيعا
لدى الرحمن يصدع بالمثاني
وكان له أبو حسن قريعا
حطوطاً في مسرته ومولى
إلى مرضاة خالقه سريعا
وأصفاه النبي على اختيار
بما أعيا الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم
أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تبايعوها
فلم أر مثلها خطراً مبيعا
فلم أبلغ بها لعناً ولكن
أساء بذاك أولهم صنيعا
فصار بذاك أقربهم لعدل
إلى جور وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائدهم فضلوا
وأقومهم لدى الحدثان ريعا
تناسوا حقه وبغوا عليه
بلا ترة وكان لهم قريعا

فهو في هذا أيضا يأخذ عليهم ما فعلوه في الخلافة مع على رضى الله عنه ، ولكنه لا يصل في أمره إلى لعنهم ، ولا يغمط ما كان لهم من العدل في الحكم كل الغمط ، وإن كان يرى أنهم أساءوا في ذلك وضلوا عن الحق ، وهذا غاية ما كان يمكن أن يقوله الكميت فيهم لترضى تشيعه ، ويلائم بين شعره وعقيدته .

وغدير خم موضع بين مكة والمدينة قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » وقال أيضا « من كنت مولاه فعلى مولاه » فقال عمر رضى الله عنه : طوبى لك ياعلى ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة

هذا ولا يزال المسلمون يتنازعون في كتب الكلام على هذا المنوال الذى لا يفيد شيئا في هذا العصر ، وقد خرج الأمر من أيدى بنى هاشم وقريش جميعا ، ولا معنى لهذا النزاع بعد مضي تلك الأزمنة التى كان له معنى فيها ، ولكنه الجمود على تلك الكتب هو الذى يجعلنا نعكف عليها ، وإن كانت تزرع بين المسلمين حقد بعضهم على بعض ، وتفرقهم أحزابا وشيعا في وقت هم أحوج فيه إلى الاتحاد والتحاب . ولعل الله يرزق المسلمين من المصلحين من يجمع كلمتهم بعد افتراقها ، ويربى فيهم خلق الانصاف والتسامح ، حتى تصفو بينهم هذه الحياة ، ويسود بينهم الاخلاص والمودة ، ولا يحملون من اختلافهم في الرأى سببا في الانقسام والتفرق ، لأن هذا الخلاف لا بد منه ، وهو إذا خلا من ذلك الغلو توسعة ورحمة .

عبد المتعال الصعيدى

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة الآنسة «ج. ب. ستيرن»

للاستاذ احمد فتحي

في تعاون خبيث بين عقلي الواعي والباطن ، يبدو لي دائماً أنني كنت — حتى الثامنة عشرة — قد أرصدت عمري كله لاخراج قصتي الأولى . ولكنني حين أرجع البصر في الموضوع ؛ أتبين أنني لم أخرج هذه القصة الأولى إلاّ بعد أن بلغت الحادية والعشرين . وإن أبعث للانسان على استدعاء صور الماضي أن يكون قد كتب قصته الأولى وهو لم يودع من عمره سوى ثمانية عشر ربيعاً ، وأن تكون قصته تلك على جانب من الأمانة الفنية، كما أذكر من أمر قصتي الأولى « بانتومايم » !

وحين أنظر الآن إلى القصص الأولى لكثير من الكتاب المعاصرين ، أجدها تتساوى في السطحية والضآلة وإظلام آفاق التفكير . فما أجد بينها واحدة كانت خليقة أن تبشر بخير ، غير أنها جميعاً تنطق أفصح النطق بما أحب أن أدعوه « فوضى السخرية ! » ... والحقيقة أنني كنت أميل كثيراً إلى القصص الساخر إلى ما قبل ظهور قصتي الأولى بسنوات . وهذا اللون الساخر نفسه من ألوان الفن القصصي ، كان صورة من أظهر صور العصر . وكم كنت أرقص طرباً كلما قرأت شيئاً لأحد من أعلامه ، ولا سيما كاتب « برونللا » وهو «لورنس هاوسمان» وكاتب « مهرج العصر » وهو « إرنست داوسن » !

ولقد كانت تلك سني حياة ساخرة عابثة مرتجلة ! .. ولربما أسفت عليها الآن وحننت إليها حنيناً ...

وتأثرت بطراز هذه القصص الساخرة فكتبت على غرارها كثيراً من القصص ، أذكر منها واحدة اسمها « بائع الأحلام » وكان هنالك كاتب اسمه « باري » وآخر اسمه « لوك » وإني لأذكر كيف كان أبي في أحيان كثيرة يقول لي « آه ... حينما تستطيعين أن تكتبي مثلما يكتب « لوك ! » ثم يهز رأسه في قنوط؛ دون أن يتم العبارة ..!

على أن أعلى مثال للقصة الساخرة كان ولم يزل ؛ ماثلاً في « كرنفال كوميتون ما كنزي » وقيمتها الخالدة ترتكز على ما فيها من دراسة صادقة حية لشخصية البطل ، ولكنني لم يكن يعنيني كثيراً منها ومن أمثالها من قصص هذا الطراز الساخر سوى بعض العبارات الملونة التي تتمتع بقسط أوفى من قوة الافصاح وصرامة التعبير . وإني لأذكر حين كنت في مستقبلي أتحدث إلى إحدى صاحباتي ممتدحةً قصة « الكرنفال » كيف أن صديقتي قالت في أسلوب رائع من النقد الفني « أجل ... هذا المؤلف يستطيع أن يكسو الصفحة من الورق منظراً طبيعياً ساحراً » ... وقد أغـلى هذا من طمعي ، وحسبتني مستطيعة أن أكسو — أنا الأخرى — صفحتي منظراً طبيعياً ساحراً ! جملت أتخيله ، بألوانه ، وظلاله ، ومشاهده ، ولم تكن هذه المحاكاة يسيرة ولا قريبة المنال ، فأن التزامها كان يقتضيني ثلاثة أمثال ما يلزمني من الوقت !

كنتُ إلى أن بلغت الحادية والعشرين ، أُعنَى بكتابة المسرحيات وحدها . لأنني كنت أودُّ حينذاك أن ألعب أدواراً في مسرحياتي إذا أخرجتُها ! وكذلك كنت أكتب الأشعار ، ومن قصائدي واحدة اسمها « هنا مضحكون آخرون » لا أزال أرويها إذا ألحّ عليها طلب حار ؛ ولكنه لا يوجد ! كما أنني كتبتُ ثلاث أقاصيص قصيرة حملتها بنفسي إلى محرر « المجلة القصصية » وكان في ذلك الوقت « ر . سكوتلاند ليدل » . ولقد كان — على غير توقع مني — إنساناً لطيفاً . انصرفتُ من حضرته بعد أن وعد بنشر أقاصيصي ، وبعد أن أمضينا وقتاً طيباً في حديث طيب . وفي بضعة الشهور التالية لم أسمع شيئاً عن هذه الأقاصيص ، ثم لقيت الرجل مصادفةً في شارع « أكسفورد » وما كاد يراني حتى أخبرني بأن أقاصيصي جميعها قد ظهرت في مجلته ، وأنه كان الأيسر أن أترك له عنواني كي يبعث إلى بثمن ما نُشر لي !

وبعد ، فقد أستطيع التحدث عن بدء كتابتي « القصة » بمعناها الصحيح . ولحسن الحظ أن الثامنة والأربعين تنظر إلي الحادية والعشرين بعطف وإشفاق ، وفي غير فزع ! كان الدافع لي على الكتابة هو تلك الخاتمة الفاجعة الأليمة التي انتهى بها « حُـبِّي » الذي حسبت أن لا نهاية تنتظره ! والذي كان غراماً شعرياً إلى غير حد !

كان « تشارلس » غض السن ، جذاباً ذكيّ الفؤاد . . . التقينا فى بعض حدائق « ميدنهد » ثم أهدى إلى نسخة من كتاب «لورنس» المسمى «ماكيافيلى الجديد» . ذلك الكتاب الذى ترك فى نفسى أبعد الأثر بفصوله الرائعة ، وبأنه هدية من حبيب القلب !

كان مغرماً بالطائرات ، ولقد حملني مرة على متن إحداها فى مساء ساحر ، وعدنا إلى بيته بعد أن انتصف الليل بساعتين ، ولقد تلقانى قومه فى شيء من عدم الارتياح ، والشك فى مستقبلى ككاتبة ! وعلى أى حال فان والدته من فورها قد أخذت تعلمنى كيف ترقع سراويل الرجال !

دامت خطبتنا عاماً . ولم يكن هنالك من المتاعب سوى افتقارى إلى المرانة فى البيت . فقد نشأت فى بيئة فتيات يهوديات من عائلات طيبة . ولم تكن هذه البيئة دينية على وجه الاطلاق. وإنما كانت تتميز بالزهد وتتشبث بأهداب الطهارة . وإنى لأذكر العبارة التى كانت الفتيات يستعملنها دائماً فيما بينهن ... « إنك لن تظفرى بزوج أبداً مالم تظلى نقية . . . وعذراء ! » وربما لم تكن هذه العبارة تعنينى وحدى ، ولكنها كانت تغنى فى جوى أنا ... ربما ؛ حقاً ؛ إنها لم تزل تغنى فى جو حياتى إلى الآن ! ..

إن شباب هذه الأيام ، على قلة تربيتهم ، يعرفون جيداً كيف يجيبون على سؤال شاب حار الدم ، خطب لنفسه فتاة يحبها ، وقد أمضى وقتاً طويلا وهو لا يستطيع الاقتران بها لعجزه عن التغلب على بعض العوائق الاقتصادية ! . أجل ، إن شاب اليوم يستطيع أن يقطع برأى حاسم فى مثل هذه المسائل . ولكن ، حين عرضت لى نفس الظروف لم أستطع أن أصنع شيئاً ، بل لم أعلم ماذا يراد أن يصنع بى . وقد ندر ما كنت أتحدث وخطيبي فى هذا الصدد ، بصفة غير مباشرة . وهذا من أظهر الفروق الملحوظة بين تلك الأيام ، وبين أيامنا هذه ! !

واعترف لى الفتى بأنه كانت له عشيقة ، امرأة جميلة ، ولكنها ليست « خاصة » ! وكانت تكبره فى السن .

« بالتأكيد ياتشارلس ، كان هذا قبل الآن ... » هذا ماقلت له ، دون أن أعلم أننى كنت وراء مطلب عسير ، هو النقاء التام فى الجسد ، كما فى الروح ! !

لم يرض أبى عن هذه الخطبة من أول الأمر ، وكثيراً ماكان يقول لى « ليس فى خلق هذا الفتى شيء من الثبات ، هل هو على شيء من الثبات ؟ كلا ! .. »

وكنا نلتقى ، كعاشقين مضطهدين ، فى ظل استياء أبى وتجهمه . ومضى عام كامل ... وكان « تشارلس » مهندساً بارعاً ولكنه كان قليل الصبر على عمله المسئم الذى لم يكن يبشر باتساع فى الرزق !

وفى بعض الأماسى ، حيث كنت أعيش معه ومع أمه ، صحب عشيقته إلى « درورى لين » وكان الصباح التالى مقروراً جهما . وكذلك كنت . وحين أقبل المساء اعترف لى بأنه لا يستطيع أن يحتفظ بأمانته لحبي أكثر من ذلك . وقذفني ببعض الألفاظ المؤلمة ! فأخذتنى المفاجأة شر أخذة . ثم افترقنا بوسيلة تمثيلية أكثر مما كان ينبغى ! !

كيف أعالج بقية أيام حياتى ؟ ! . هذا هو السؤال الذى ألح على خاطرى بعد فشل غرامي العظيم ! ولقد وثب إلى ذهنى أننى لو استطعت أن أكتب قصة من روائع الفن فسأبعث الحسرة والأسف فى نفس من نأى عنى بجانبه ...

فى مخدع أنيق فى « برايتون » ، وبغير تحضير تقريباً ، بدأت كتب السطور الأولى من قصتى الأولى .

كان على حوائط المخدع أستار جميلة مسدلة ، وكانت نيران الموقد تتلظى فى لهب ساطع براق . وإنى لأذكر القليل من ظروف كتابة « بانتومايم » وإن طريقتى الآن هى أن أظل أدور حول موضوع قصتى شهوراً ؛ قبل أن أبدأ فى تسجيل فصولها ؛ مع تسطير بعض الخواطر المبعثرة على أوراق منفصلة أجمعها فى النهاية فتكوّن هيكل الموضوع الناضج الذي أخرجه للناس . وفى ذلك الحين لا بد أن أكون بدأت تسجيل فصول قصتى مباشرة ، لأسرى عنى الألم ، وأزجى الفراغ الذى كان يملأ حياتى ، والذى كنت أشعر به دائماً .

وعقدت فى تلك الأثناء صداقة وثيقة مع فتاة فى مثل سنى اسمها « روز آلانيتى » هى اليوم تحترف الكتابة باسم « لوسين ونيرايت » وكانت هى أيضاً قد بدأت كتابة قصة . وكثيراً ما كنا نكتب مجتمعتين قلماً إلى قلم ! وكثيراً ما كان يحدث فى تروضنا بالمشى أن نقف بأسماء الناشرين الملقة على دورهم ؛ نفكر أى دور النشر الكثيرة هذه يحسن استقبالنا بعد حين ؟! ولقد

استقر رأينا على دار « بوولى هد » أخيراً ...

وحدث أن كنا فى بعض خلواتنا الفنية نكتب فى جوحالم حين طالعنا وجه رجل أبيض الشعر معقود الحاجبين ، عرفناه فيه « جون لين » ولم نشأ أن نصدمه باخباره بأننا نكتب « قصتين » ستعرض عليه أمر نشرهما فى القريب !

بعد فراغى من كتابة قصتى الأولى « بانتومايم » بعثت بها إلى والد « مارجريت هالستان » الذى كان قد أرضته مسرحية كتبتها منذ أربعة أعوام تقريباً حينما كنت فى « الأكاديمية المسرحية » واسمها « خادم الأجر » كانت مفزعة حقاً . وكانت له فى نشرها وجهة نظر خاصة .

وقرأ المستر « هرتز » قصتى فزعم أنها عمل فنى من الطراز الممتاز، وكان فى ذلك حسن الظن جداً، ولكنه لم يكن مصيباً . كان فى القصة الاجادة ولكنها لم تكن ترتفع إلى الدرجة الأولى . بل إنى لأقرر الآن أنها لم تكن أكثر من بشير بالتقدم . ولو أنه أتيح لى — الآن — أن أكتب رأيى فى نفسى — حينذاك — لما زدت على قولى : « لهذه الكاتبة استعداد حسن ، ولا يبعد أن تنبغ إذا استطاعت أن تقهر أخطاءها الشنعاء ! »

على أن الرجل قد كتب إلى يقول إنه قد أظهر على قصتى صديقاً له يدعى المستر « جيمس دوجلاس » وقد تفضل هذا بدوره فكتب إلىّ مطرياً يقول إنه قرأ القصة ، ثم دفع بها إلى صديقه « جون لين » . وظننت بذلك أننى أصبحت « فى عداد المؤلفين » الذى تعتمد عليه دار « بودلى هد » للنشر ! ولكن « جون لين » لم يلبث أن أعاد إلى قصتى مصحوبة بقوله « إن هنالك ناشرين يرضون بأن يقبلوا هـذا الهواء المزركش — على حد تعبيره — ولكن دارنا لا يمكن أن تفعل ذلك ! »

وانزعجت كثيراً ... فان قرار الرجل كان يبدو نهائياً بقدر ما كان يبدو فيه من تحقير ! ولم يكن لى من قوة الروح ما يبرر لى الظن بأن « جون لين » لم يكن يدرى عم يتكلم ! ولم يكن يتبين العمل الجيد حين يقدم إليه . أو لم ينشر « الكتاب الأصفر » ؟ ؟ أو لم يكشف الستار عن مئات العبقريات المغمورة وعلى أى حال فانى لا أكاد أذكر من الذى نصح لى بأن أبعث بقصتى إلى « كالثروب » وأن أسأله عما إذا كانت رديئة إلى هذا الحد !

ولم أكن لقيت أبداً أكبر الأخوة الذين يحملون اسم « كالثروب » ولكن ، عندما كنت فى السادسة عشرة كان « دونالد كالثروب » ممثلا محترفاً ، وكان بطلا فى نظرى ، وكان فوق ذلك يهوى واحدة من زميلاتى بالدراسة اسمها « نيللى » وقد رغب وإياها فى إخراج إحدى مسرحياتى ، ولكن أخاه الاكبر « ديون » نصح له بالعدول ، وإنما وعد بمساعدتى إذا كتبت خيراً منها في المستقبل ! !

ولقد تحقق وعده على الأيام . إذ قرأ لى « بانتو مايم » وما لبث أن كتب لى فى تظرف ورقة يقول إنه أوصى بي وصاة خاصة عند الوكيل الأدبى لأعماله ويدعى « جيمز بنكر » وكافه أن يرعانى . غير أننى ، فى قلة صبرى وقلة تجاربى . لم يكن يرضينى منه أقل من أن يقول لى « إن الدنيا تحت قدميك جميعاً . تفضلى ياعزيزتى يسى ستيرن » ! !

ودعانى المستر « بنكر » للقائه . فلما ذهبت إليه وسألته سبب هذه الدعوة ، قال إنهم يريدون أن يكسبوا مالاً عن طريقى ! وذكر لى أنهم يتبعون نفس الطريقة مع سواى وعدد لي أسماء اطمأننت إلى سماعها ، وتركت له القصة ، وجعلت أرتقب المستقبل !

واتفقت نهائياً على نشر القصة فى سبتمبر ١٩١٣ ، وظهرت للناس فى يناير ١٩١٤ . ولم تكن هذه سنة حسنة ليبدأ أى إنسان حياته العملية !

وأنا وإن لم أقرأ القصة قراءة كاملة منذ عام ١٩١٤ ، إلا أننى كثيراً ما أتصفح بعض فصولها بين الفينة والفينة ، فأجد فيها كثيراً من الهنوات التى أصبحت أنزه عنها أعمالى الأدبية ، غير أننى أجد فيها دائماً أشياء تبعث على الارتياح

وكثيراً ما أصادف من قرائى من يقول بأن « بانتومايم » قصتى الأولى والأخيرة ، وأننى لم أكتب مثلها أبداً !

بل قد يسألنى بعض القراء « متى أكتب » قصة جيدة مثلها ؟ فأبتسم ، وأقول « أرجو... فى القريب » !

احمد فتحى

رسالة الشعر

رحلة في الخيال القريب

في الريف

للأستاذ ابرهيم ابرهيم على

بينما كنتُ ذاهباً في السماء … حائماً كالشعاع فوق الماء
هائماً في الوجود أنشُد نفسي … حيث تصفو ، وأنفسَ الأصفياء

هارباً من حقيقة الأرض وحدى … سابحاً في حقائق الأحلامِ
مؤنساً وحشتى ببهجة روحى … وبنبع الجمال والأنغـامِ

أتملّى الوجودَ فوق ذراهُ … وأناغى النمال تحت التراب
وأرانى على جناحَىْ خيالى … فأرى الارضَ مثل لمع السرابَ

سارياً في حمـاية الله ربى … طائراً في مسارح الملكوتِ
لست أعدو محلقاً أتغـنى … بعلاه في منطقى وسكوتى

بينما ذاك جاذبتـني قلبي … وجناحىّ نزعـةٌ للريفِ
وأنا الريفُ منبتى . وحياتي … من نسيمَىْ ربيعه والخريفِ

فتهاديتُ أملأُ الروحَ من فيـ … ـض الحياةِ التى يُفيضُ الوادى
ساكباً في فؤاده من شجونى … آخذاً من شجونه في فؤادى

عابداً في جماله مجدَ ربٍ … جمل الريفَ آيةً في الجمال
خضرةٌ يغمر الضياء حلاها … ومروجٌ ملوّناتُ الظـلالَ

ليس أبهى من مشرق الشمس فيها … تحت غيمٍ وشجوها في الغروب
ولقد يغضب الشتاء قليـلاً … فيَشِى الضوء بالجبين الغضوبِ

يا لبدع الغمام باللون عنـد ال … لون (والطيفُ) ضاربٌ (بالقوس)
فاذا البدر ماجلته الليـالى … أخذت ليلها من الفردوس

جنـةٌ غير أنها في هوان … ضارب ظلّه على أهليهـا
كل من جاءها غريباً (تمنى) … وابنها وحده المعذّبُ فيها

ساد فيها السلامُ ـ والسلمُ إلا … في ظلال السيوف ـ ذلٌ مقيم
تعتدى فوقها الذئابُ . وترجوا … ورجاء الذئاب رأىٌ عقيم

أمّنوا في حماكِ يا مصرُ شعباً … ثم عاشوا عليكِ عيشَ الطريد
ربَّ قوتٍ مرارة الجوع فيه ! … وجياعٍ لم يشبعوا من ثريد

وبيوتٍ كأنهن كهوفٌ … أو قبورٌ بنين للأحيـاء
أقسم النور لا يَراهُنَّ إلا … من ثقوبٍ كأعين الرقباء

أيباعُ الهواء في مصر حتى … تحرمون الهواء تلك الدورا ؟
ونفوسٌ أم هـذه حشراتٌ … ليت شعرى أدخلتموها الجحورا !

تلك أنشودة العصور الخوالى … لو ضميرُ الزمانِ كان حميما
عجباً يا حمامة من بعيدِ … نسمعُ اللحنَ منكِ يجرى دموعاً

بت أصغى إليه من كل قلبي … آسراً لُبّيَ الذكاءُ العطوفُ
وعليـه من الأنوثة فيضٌ … وجمالٌ ، ونفحةٌ ، ورفيفُ

أأحييك في العظائم عوناً ! … أم أحييك باسماً للجروحِ ؟
فسلامٌ عليك يا ابنة مصر … وسـلامٌ إلى صديقةِ روحى

ابرهيم ابرهيم على

القبلة الأخيرة

للأستاذ ابراهيم العريض

وقفنا .. ولما يُشْرِقِ البدْرُ طالعاً   ولا سبَقتْهُ فى السماء نجومُها
على جدْوَل قد صقَّلتْه يدُ الصَبا   فمالتْ مع الأغصان فيهِ رسومها
وخرخرةُ الأمواهِ أثناء جريها   على حجَر يرفضُّ منه نظيمها
كترنيمة المانِىّ عند عُكوفهِ   على ضوءِ نار فى صلاةٍ يقيمها
وكنتُ على مابى من الُحْزنِ واجماً   وكانت هى الأخرى كثيراً وجومها
فلما رأيتُ الصمْتَ طال على جوًى   تُزكِّيهُ أُحدانُ الدموع وتومها
وعهدى بها ما شافهتْنى بغُنَّةٍ   من اللحْن إلا واستبانى رخيمها
نطقتُ اسمها همْساً لِترْفعَ رأسها   إلىَّ فلم تفعَل ولستُ ألومها
وأنَّى تُناغينى بسابق بِشْرِها   وأنفاسُها الحرَّى تكادُ تزيمها
فلمْ يكُ بدٌّ أن أُحدِّث بالذِى   يَسُرُّ وإنْ غال السعادةَ شُومها
فقلتُ انظُرى يامىُّ حولكِ للصَبا   تُرَاودُ أزهاراً فيزكو نسيمها
وللطير تشدو فى الغُصون صبابة   إلى إلفِها ـ لا مسَّها ما يَضيمها
وللموْج يصبو للتعانُقِ بعضُهُ   إلى بعضِهِ من غير أيْدٍ يقُيمها
وللغيْمِ فى حِضْنِ الغمامةِ يرتمى   كما يرتمى فى حِضْنِ خَوْدٍ حميمها
ترَىْ كل شىءٍ فى الحياةِ مسخَّراً   إلى الحبِّ موْقوفاً عليه نعيمها
يُخَيَّلُ لي أنَّ الطبيعةَ مثْلَنا   تحِسُّ ولولا ذاكِ ما طابَ خِيمُها
رأتْ ما بنا من لوْعةٍ فتألَّقتْ   كأحسنِ شىءٍ شُهْبُها وسديمها
لِتنجابَ عن نفسى ونفسِكِ ظلمةٌ   من اليأسِ لا يُفْضى لصُبح بهيمها
فصعَّدتِ الأنفاسَ من حرَّة الجوى   وقالت «بودى لو تعفَّت رسومُها
وأىُّ عزاء لى إذا شطَّتِ النوى   بأن خاتلتْنِى فى السماء نجومها
أتعلمُ هـــذا آخِرُ العهد بيننا   وتبغى سُلوِّى أى حال ترومها
أما ضمَّنا وشكُ الفراقِ هُنيْهةً   لنبكى حياةً زال عنا نعيمها
وإن كانَ بالحبِّ استتبَّ نظامُ ما   نراهُ كحبَّاتٍ حَلاها نظيمها
فما بالُنا نشْقَى كذا بودادِنا   ونجْرعُ كأساً لا يُطاقُ حميمها
أما نحْن أوْلَى من طُيورِ خميلةٍ   بألحانِ حبٍّ فى الحياةِ نديمها
أيُقضَى لنا من دُونِها بتَشتُّتٍ   فترْضَى به إلا شتاتاً يَضيمها»
فلمْ أتمالكْ دونَ أن مِلتُ نحْوَها   وبيْنَ ضُلوعى ما يكادُ يُقيمها
وقلتُ «ارفِقِى يامىُّ بالنفسِ حِسْبَة   فدَيْتُكِ خوفاً أن تطيشَ حلومها
أأشْفقتِ أن تُطوى صحائفُ حُبِّنا   وهيْهاتَ فى عَيْنىَّ خُطَّ رقيمها
أبَى لىَ قلبٌ طالَ فيكِ وجيبُه   وعينٌ هواها حيثُ أنتِ يَشيمها
بأن أتملَّى جُرْعةً من زُجاجةٍ   إذا لم يكُنْ ذكراكِ دوْمًا نديمها
أأسْلوكِ ؟ لا واللهِ حتَّى يَعودَ لى   شبابى وأحْلَى الذِكريَاتِ قديمها
ولو عادَ لى حقاً إذاً لقضيْتُهُ   كعهْدِكِ بى فى لوْعةٍ استَديمها
وهل أشبَهتْ دنيايَ إلا قلادةً   بديعًا دراريها .. وأنتِ يتيمها»
فأدنتْ فماً مثلَ الأقاحِ منوّرًا   تُوَدِّعُ . والأحشاء دامٍ كلُومُها
وقد أرْسَلَتْ من شَعْرِها حولَ وجْهِها   ففاحَ كعرْفِ الياسَمينِ شميمها
وضمّتْ على الصدْرِ اليدَيْنِ كأنما   هنا لِكَ شىْءٌ بالعذابِ يسومها
فقبَّلتها ما أسْعَفَ النفَسُ الّذِى   احتَبستُ جنُوناً قُبلة أسْتديمها
وأشرقَ نورُ البدْرِ من خلفِ غيْمةٍ   فغادرْتُها ... والنفْسُ ولهى ترومها

«البحرين»   ابراهيم العريض

أسيران

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

أيها الطائر الحبيس   ترنم كما تشاء
أنت فى أفقها النـد   ى كما كنت فى السماء
حولك السحر دافق   ما ترنمت ، والسناء
أنت فى ظلها الظليـل   كما كنت فى الخلاء
حولك الورد باسم   أبد الدهر فى نماء
كلما صحت شاديًا   أقبلت تسمع الغناء

أحكام الشريعة الإسلامية فى تعديل القوانين

قدم نائبان محترمان اقتراحاً هاماً يتضمن (١) مراعاة الشريعة الاسلامية كلما أريد تعديل فى القانون القائم (٢) رد القوانين القائمة بقدر الامكان إلى أحكام الشريعة الاسلامية (٣) إدخال عنصر يمثل الفقه الاسلامى فى لجنة تعديل القوانين ... وقد سبق أن بدأ الدكتور السنهورى النضال من أجل هذه الغاية ، وقد وافق مؤتمر القانون الأخير على حسبان الشريعة الاسلامية مصدراً عظيماً من مصادر التشريع العام الذى يحرص كل الحرص على خير الانسانية وتوزيع العدالة بين أفرادها . والذى نرجوه فى هذه الحركة أن تقوم كلية الشريعة بنصيبها فى العناية بهذا الأمر فتصل أسبابها بأسباب كلية الحقوق وتقرر دراسة القانون المقارن بها وتوسع مدى دراساتها الأخرى حتى يتيسر لخريجيها مشاركة إخوانهم خريجى الحقوق فى دائرة اختصاصهم وبذا يتسع مجال المستقبل لأبنائها وتحيا الشريعة الاسلامية على أيديهم .

كتاب المسيو هريو عن مصر

نشر فى الأسبوع الماضى بباريس كتاب المسيو هريو عن سياحته فى مصر وفيه مقدمة باهدائه إلى محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض عن باريس منوهة « بالشكر والامتنان والصداقة »

وقد قدم المسيو هريو إلى معاليه نسخة ممتازة من هذا الكتاب راجياً أن يتولى رفعها إلى جلالة الملك فاروق

شعر سافو بين أوراق البردى المصرية

ذكرت جريدة « كورديرى لاسيرا » أن الأستاذ فوليانو اكتشف شعراً من نظم الشاعرة الاغريقية سافو . ويقيم البرفسور فوليانو عادة فى برلين ولكنه يدرس آداب اللغة اليونانية فى جامعة ميلانو

وكان فى المدة بين سنة ١٩٣٤ و ١٩٣٧ يدير البعثة الأثرية التى اشتغلت فى مصر فى منطقة تبتونس وإحدى المدن بالفيوم وكان من نتائج أعمال هذه البعثة أن حمل الأستاذ فوليانو إلى ايطاليا ١٢ ألف ورقة من أوراق البردى وجدت فى أم البريجات . ويقال إن الجزء الأكبر من هذه الأوراق جاء من محفوظات إحدى الأسر الغنية التى عاشت فى العهد الواقع بين الامبراطورين طيبريوس و كومودس

وكان الأستاذ فوليانو يشتغل منذ ذلك الوقت بدراسة دقائق هذه الأوراق فوجد قطعاً هامة من بينها هذه القطعة المجهولة من شعر سافو الذى يوجد نصفه الآن فى برلين حيث تنسخ قبل نشرها على العالم

ملء آذانها غنا ... ؤك ما ذاع فى الفضاء
لست مثلى تضيع ألـ ... ـحانه كلها هباء
وإذا ما ظمئت جا ... دتك بالماء : أى ماء !
لست مثلى إذا تغنـ ... ـى تغني بلا رجاء
وتوافيك فى الصبا ... ح وتلقاك فى المساء
لست مثلى يحن فى ... كل يوم إلى اللقاء
حولك الخلد كله ... فلم النوح والبكاء
ليتنى ما حييت فى ... أفقها أنهل الضياء
ليتنى ما حييت فى ... جوها أنشق الهواء
ليتنى ما حييت فى ... سمعها أسكب الغناء
ليتنى ما حييت من ... كفها ألقط الغذاء
ليس من يشتكى الحيا ... ة كمن يشتكى الفناء
فدع النوح لا تخل ... إننا فى الأسى سواء

عبد الحميد السنوسى

هتلر والسامية

لعوامل اقتصادية وسياسية أخذ الزعيم هتلر ينمي الغرور القومي في نفوس الألمان بترديد ما زعمه (رينان) ومن ذهب مذهبه من تقسيم الناس إلى آريين وساميين، وقولهم إن الآريين يمتازون في أصل الخلقة بالعقل والاصالة والكفاية والسمو. ويرمي من وراء ذلك إلى تبرير ما يصنع مع اليهود من الاضطهاد والمصادرة والطرد، وتسويغ ما يطمح إليه من سيطرة النازية على شعوب الشرق. وفكرة هذا الامتياز لا تعتمد على أصل من العلم ولا سند من الواقع، على فرض أنك تستطيع وضع الحد الفاصل بين الآري والسامي. أما إذا علمت ما تقتضيه طبيعة الوجود من المزج الدائم بين الاجناس والتداخل المستمر بين الأمم، وعرفت اختلاف العلماء في موطن الآريين: أهو في وسط أسبانيا أم حول بحر البلطيق، فلا يداخلك الشك في أن الفكرة خرافة لا تنبت إلا في رأس مستعمر ماكر أو متعصب حاقد. والذي يعنينا من هذه الفرية أن هتلر جعل المصريين في الجنس الذي حكم عليه هو بالتأخر، ورماه بالعجز والزمانة والانحطاط في كتابه (كفاحي) (صفحة ٦٥٦ من الأصل) ونسي هذا السياسي المتعصب تاريخ المدنية وما قدمه الفراعنة والعرب للعالم من عبقريات الذهن وروائع الخيال وآيات الهداية. ولكن الدكتاتورية طغيان؛ والطغيان يتجاوز الحدود في كل شيء فلا يقف عند علم ولا منطق ولا عدالة

من نثر الأستاذ قسطاكي الحمصي

قرأت في (الرسالة) الغراء خطبة الأستاذ الفاضل السيد أسعد الكوراني في الحفلة التي أقامها الأدباء والكبراء في حلب تكريما لصاحب السعادة الأستاذ (قسطاكي بك الحمصي) وقد اطلعت على كتاب كريم بليغ كان الأستاذ قسطاكي بك قد بعث به إلى صاحب له أهدى إليه رسالة في مبحث علمي، فرأيت أن أتحف به القراء مضافا إلى ما رواه الأستاذ الكوراني من نثر هذا السري العالم الأديب الكبير

يا صديقي وعزيزي

وصلتني كلمتكم... فسرحت طرفي منها في روضة بلاغة نقَّطت أزهارها الغمائم، بل في عالم فضل جمع شتيت العوالم. ونقلتني سطورها الوجيزة إلى الهند والصين، ورفعتني آياتها المعجزة إلى أعلى علِّيين. وأبعدت بي في المكان والزمان، حتى حادثني كهنة مصر وفلاسفة اليونان. بل جاوزت بي عصور الخلق الحيواني وأحقاب ظهور النبات، بل تعدت ما قبلها من الدهور السحيقة لتكوّن الجمادات. ثم حلقت بي على أجنحة الفكر وأقدام الخيال، فجولت في العوالم الشمسية، ومن لي بشرح ذيالك التجوال. وعاينت بأعين العلم ما تعجز عن إدراكه أعيان الحس من آيات الجمال. ثم حدرتني إلى عالمنا السيّار، وسايرتني إلى آخر الأعصار. وعرّفتني جماعة من الحكماء الكبار كما كون ونيوتن وسبنسر وداروين وكنت ولامرك وهيكل علَم المتأخرين، وكثيراً من أضرابهم من تطأطئ لفضلهم شوامخ الرءوس، ويقال عند ذكر أسمائهم: لا عطر بعد عروس. فياحبذا كلمتك وما أوجزت، ولله درك ولله أنت. لازلت تدير علينا من صهباء فضلك كؤوسا، وتطلع لنا من سماء معارفك بدورا وشموسا

حلب في ٢٥ شباط سنة ٩٢٢ قسطاكي الحمصي

ذلك كتاب العلم والفضل والأدب والوجاهة في مدينة سيف الدولة، وعماد الدين وابنه نور الدين، وابرهيم هنانو، وابن يعيش، واحمد بن الحسين القائل:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد ... أقصير طريقنا أم يطول؟
وكثير من السؤال اشتياق ... وكثير من رده تعليل

كلما رحّبت بنا الروض قلنا: (حلب) قصدُنا، وأنت السبيل

القاريُ

غاندي وتشكسلوفاكيا

كتب غاندي في جريدته (هاريجان) فصلا بمناسبة المشكلة التشكسلوفاكية عاد فيه إلى مثله العليا يجترها ويبدىء فيها ويعيد، ومن رأيه أن أوروبا قد باعت روحها من أجل التمتع بهذه الدنيا فترة قصيرة أخرى من الزمان. ومن رأيه أيضاً أن السلم الذي جاء ثمرة لمؤتمر ميونخ هو فوز للقوة كما إنه هزيمة لها في الوقت نفسه... ثم استولى على غاندي وسواسه الصوفي فماب على التشك إذعانهم للقوة بعد أن تخلت عنهم فرنسا ومن ورائها انجلترا. وكان من رأيه أن يشهروا في وجه الألمان سلاح

المقاومة السلبية دفاعاً عن الشرف الوطني، لأنه إذا كان من الشجاعة أن يفضى المرء في محاربة عدو يفوقه في القوة والمدد، فانه يكون أكثر شجاعة إذا رفض أن يحارب ورفض أيضاً أن يذعن. وما دام الموت هو النتيجة في الحالتين فخير للانسان أن يكشف صدره للعدو ليقتله، من أن يمد إليه يده ليقتله، أو يعلأ جوانحه بالحقد عليه» — وروح العصر الذي نعيش فيه تسمى كلام غاندي تخريفاً لأن غاندي يريد أن يرى الناس كلهم فلاسفة. ونحن لا نشك في أن هذه الفلسفة الناندية هي علة شقاء الهند وسبب فشلها في نضالها ضد الأنجليز. ورحم الله المتنبي حيث يقول:

وإذا لم يكن من الموت بد … فمن العجز أن تكون جباناً

نادي الشبان الانجليز

في سبتمبر الماضي فكر رجال التربية الأنجليز في تأسيس ناد للشبان الذين هم دون العشرين ولا يقلون عن الخمسة عشرة سنة، وقد تأسس هذا النادي العجيب بالفعل وعقدت أولى جلساته في مساء الرابع من اكتوبر الحالي فكانت جلسة غريبة جمت الأخلاط والأشتات من الشبان والشابات من جميع الطبقات، وستمنى وزارة التربية الانجليزية بجلسات هذا النادي فتعين لكل منها مرشداً Chairman من أبرز رجال الفكر في انجلترا فيحاضر الأعضاء في موضوع خاص يختاره هو من الموضوعات التي تهم الشباب والتي تؤهلهم دراستها لفهم الحياة الصحيحة والمفروض في المحاضر أنه لا يفرض آراءه على الأعضاء ولذا فهو مستعد لمناقشتهم بعد المحاضرة ولا بأس من النزول على وجهة نظرهم إذا كانوا هم المصيبين. ووزارة التربية تنشد من وراء هـذا النادي تنشئة الشباب على حرية الرأي والاتصال المباشر بزعماء الفكر في البلاد، ويتغير أعضاء النادي في فترات قصيرة، وليس في ذلك تفويت الفرصة على من لا يحضر الجلسة لأن الأحاديث تذاع كلها من محطة الاذاعة البريطانية فيصغي إليها جميع الأعضاء الآخرين

في قول الامام العكبري

أورد من قول العكبري في الفعل (استحيا) ما فيه الايضاح الشافي لأن (رسالتنا) الكريمة، لسان حالها يقول مقال صاحب (الكشاف): «أنضج رأيك إنضاجاً، ولا تخدجه إخداجاً[1]»

قال الامام العكبري: «لا يستحي: وزنه (يستفعل) و(عينه ولامه) ياءان، وأصله الحياء، وهمزة الحياء بدل من الياء، وقرئ يستحي بياء واحدة، والمحذوفة هي (اللام) كما تحذف في الجزم ووزنه على هذا (يستفع) إلا الياء نقلت حركتها إلى (العين) وسكنت[2]، وقيل المحذوف[3] هي (العين) وهو بعيد» (***)

المؤتمر التمهيدي للشباب العربي

تلبية للنداء الذي وجهه إخواننا العرب في المهجر إلى العالم العربي، أجمع فريق من الشباب — يمثل مختلف الهيئات وشتى النزعات — على عقد مؤتمر تمهيدي للشباب العربي يبحث في أهم شؤون القضية العربية من جهة، ويكون بمثابة خطوة أولى لعقد مؤتمر عربي عالي من جهة أخرى

ولا ريب أن من أهم ما يضعف الحركة القومية العربية هو انقسام أبناء الوطن الواحد إلى أحزاب متنابذة متشاكسة وعدم الاهتمام برفع مستوى الشعب الثقافي والاقتصادي، وإنقاذه من الأمية والبؤس، وإيقاظ الوعي القومي الشامل، بوسائل فعالة تتجلى آثارها في ارتباط الأواصر ووثوق الصلات بين منظماته الشعبية المختلفة، فيؤدي اشتراكها في الحركة الوطنية — وهي في هذه الدرجة من الوعي والشعور المشترك — إلى نمو تلك الحركة واتساع أفقها

ولقد درست اللجنة التحضيرية للمؤتمر التمهيدي للشباب العربي هذه القضايا واتفقت بالاجماع على برنامج شامل يبحث في أهم عناصر الحركة القومية العربية لتكون أساساً لأعمال المؤتمر التمهيدي

واللجنة التحضيرية تأمل أن تاتى جوابكم الكريم على دعوتها لحضور هذا المؤتمر حال وصول هذا البيان إليكم، كما أنها ترجوكم إذا أردتم المساهمة في بحث نقط من نقاط المنهج المرفق بهذه الدعوة أن تبعثوا بكلمتكم إليها قبل موعد انعقاد المؤتمر بعشرة أيام على الأقل ليتسنى لها ترتيب أعماله وتنظيم شؤونه

وسيعقد المؤتمر في مدينة دمشق في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٨ الموافق لعطلة عيد الفطر المبارك

منهج المؤتمر التمهيدي للشباب العربي

أولاً: المؤتمر قوي شعبي عربي

ثانياً: يعتبر المؤتمر أن القومية العربية هي مظهر الشعور

---

(١) من المجاز: أخدج أمره لم يحكمه، وأنضجه أحكمه، وكل نقصان في شيء يستعار له الخداج (الأساس)

(٢) تخففت في هذا الفعل (استحيا) لالتقاء الساكنين بعد أن قلبت ألفا

(٣) قد يكون تطبيع والأصل المحذوفة

هكذا تكلم زرادشت

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

صديقي الأديب النابغة فليكس فارس علم من أعلام البيان في الشرق العربي ، عرفته العروبة على منابرها في سوريا ولبنان خطيباً مفوهاً يدعو لاحياء الثقافة العربية ؛ وعرفته لغة الضاد ذائداً عن حياضها أمام تيار العجمة الدخيل ؛ وعرفه الشرق العربي رسولا يرفع رسالة غيبيات الشرق أمام يقينيات أوربا الجارفة و « رسالة المنبر إلى الشرق العربي » التي أصدرها منذ عامين صرخة مدوية إلى الضمير العربي تظهر لك فليكس فارس على حقيقته . فهو ينظر للعالم من ناحية ارتضاها شعوره فسكن إليها عقله ، وقبلها وجدانه فنزل عندها فكره . فهو شاعر في تفكيره وفنان في منطقه وداعية في علمه ؛ ولهذا تقع على الشيء الكثير من المفارقات في كتابه ، تلك التي أجليناها في نقد مستفيض نشرته لنا مجلة « العصبة » في العدد الثاني والثالث من السنة الرابعة . ذلك أن فليكس فارس رجل يؤمن بخيالات الأمس ويعيش في ذكريات الماضي ، فهو يعيش في الحاضر بكيانه المادي ، أما عقله وروحه فهماً في الماضي ، ينظر إليه بمنظار ناصع مكبر ؛ أما الحاضر فمنظاره أسود مصغر ، ولهذا تجده يهيب بأهل الشرق أن يخلعوا عنهم رداء مدنيـة الغرب التي لبسوها في العصور

الشامل للشعب القاطن في البلاد العربية المرتبط بجامعة اللغة والثقافة والآلام والأماني والبيئة الجغرافية

ثالثاً : يعتبر المؤتمر أن الحركة القومية العربية هي الافصاح العملي عن شعور التضامن الذي يشمل العرب في شتى أقطارهم ، وهو يرى أن من أهم عناصر الحركة القومية العربية ما يلي :

أولاً : التحرر من الاستعمار الأجنبي بالوسائل التالية :

ا — إيقاظ الوعي القومي بين سائر أفراد الشعب ومكافحة الدعايات الأجنبية

ب — تضامن العرب في سائر أقطـارهم للحصول على استقلالهم وحرياتهم

ج — تحقيق التنظيم الشعبي الحر ضمن أهداف الحركة القومية العربية

د — تأمين حرية الفكر والكلام والاجتماع وسائر الحريات العامة والفردية للعرب في كل قطر من أقطارهم

ا — نشر الثقافة بين جميع أفراد الشعب

ب — تعميم التعليم الابتـدائي الاجباري المجاني ، وتوحيد برامج التعليم في الأقطار العربية

ج — إنشاء مؤسسات ثقافية شعبية في كل قطر من الأقطار العربية والسعي للتقرب بينها

د — تحرير المرأة بتعليمها وتثقيفها

ثالثاً : إنقاذ الشعب العربي من الفقر والبؤس بالوسائل التالية :

ا — الانتعاش الاقتصادي العام

ب — تشجيع الانتاج الوطني الزراعي والصناعي وحفظ ثروة البلاد الطبيعية

ج — توثيق العلاقات الاقتصادية بين الأقطار العربيـة والعمل على رفع الحواجز الجمركية بينها

د — رفع مستوى حياة الشعب

رابعاً : إيجاد صلة وثيقة بين العرب وإخوانهم في المهاجر ودعوتهم للمساهمة العملية في إنهاض البلاد اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً

الأخيرة وأن يرجعوا لفطرتهم التى تفجرت منها فى الماضى أنوار الموسوية والعيسوية والمحمدية

هذا هو صديقى فليكس فارس كما عرفته من مطالعة كتابه « رسالة المنبر »

ولقد ترجم أخيراً أثرين عن اللغة الفرنسية ، أولهما قصة لألفريد دى موسيه ، وثانيهما كتاب زرادشت لفردريك نيتشه

وترجمة هذين الأثرين من قبل صديقنا فليكس فارس مدعاة لنا للتساؤل عن الأسباب التى دفعته لترجمتهما !

يقول أديبنا النابغة فى تمهيد لقصيدة « رولا » لألفريد دى موسيه وقد نشرتها له المقتطف فى عدد مايو من هذه السنة : « إن فى بذل البيان لتفكير الغير كثيراً من التضحية لكاتب اندغم تفكيره فى بيانه ، لأن هذا البذل يستلزم إقامة حاجز بين القوة المبدعة مما كمن فيها تذكاراً وتنسيقاً ، علماً بالاستقراء وعلماً بالحس الباطنى ، وبين قوة التعبير تصويراً وتلويناً وتنغيماً . وفى هذا الفصل من الجهد ما لا يدركه إلا من يعانيه ، ولا يعانى هذه المشقة كل من يقتحم الترجمة إطلاقاً ؛ فان من الترجمة ما لا تتعدى الاقتدار على النسخ ، وليس هذا النوع ما نعنى ، فالمترجم الذى ينقل كتاباً يبحث فى صناعة أو مسألة اقتصادية لا يكون عمله إذا هو امتلك ناصية اللغتين إلا عبارة عن كتابة ما سطرته الريشة من الشمال إلى اليمين بكلمات يخطها القلم من اليمين إلى الشمال ، ولمثل هذا العمل قيمته ولا نكر ، غير أنه جد بعيد عن مجال البيان الأدبى ، وليس فيه غير أثر الجهد والاطلاع والدقة ، إذ لا يمكن أن يتضمن شيئاً من شخصية المترجم الأدبية

شتان إذن بين من يترجم ومن يسلخ إنشاءه عن تفكيره ليكون هيكلا سوياً من البيان تحتله روح مؤلف مبدع فنان »

ومهما يكن قيمة هذا الرأى فان فيه عنصراً من الحق فى بيان منحى الترجمة عند أديبنا . إذن فلنا أن نتساءل — ويكون لتساؤلنا محله — عن العناصر التى تكافأت بين هذين الأثرين البيانيين وبين نفس المترجم ، حتى كبد نفسه جهد إسكات ما فيه من القوة المبدعة ، وعمل راضيا على إعارة بيانه بلغته لتفكير غيره ؟

إن فى الإجابة على هذا السؤال حل مشكلة ترجمة أديبنا لهذين الأثرين دون غيرهما من تراث الأدب والفكر الغربى !

أما « الاعترافات » فهى قصة حب « الفريد دى موسيه » ل « جورج صاند » وهي تمتاز بعمق الاحساسات وزخور الشاعر ، ولكن فكرتها وخيالها ضعيفان . ذلك أن « الفريد دى موسيه » كان « رومانيا » يغلب شعوره عقله وإحساساته تفكيره ، ومن هنا كان لا يقدر على التحليق فى أجواء الخيال ... وهذا الطابع الذى يسم « الاعترافات » هو الذى تجاوب مع نفس المترجم ، ذلك أنه من طراز المؤلف فى طابعه الشخصى

هذا إلى أن القصة وإن لم يكن لها مقام يذكر فى تاريخ الفن القصصى ، فان أديبنا المترجم فتن بما فيها من إحساس صادق ووصف جميل ، هو كل ما للاعترافات من ميزة . ومن هنا نجد أن المترجم نزل عن بيانه لموسيه راضياً . ذلك أن الصور والإحساسات التى ضمنها موسيه فى كتابه قريبة من نفس المترجم ليست غريبة عنه ، فهذا موسيه يرى مع فليكس فارس أن داء العصر — الذي حاول موسيه أن يصوره فى مستهل كتابه فأخفق — نتيجة للمدنية الآلية . وهذا الداء ظاهرة من ظواهر اليوم فى جيل شباب هذا الشرق العربى ... ومن هنا أعتقد أن المترجم رأى في الاعترافات علاجاً أدبياً لداء العصر . ومن هنا نري أن فليكس فارس لم يترجم كتاباً بترجمة « الاعترافات » إنما وجد فى الفريد دى موسيه من يعبر عن إحساساته وأفكاره تعبيراً صادقاً فى « الاعترافات » فنقلها للعربية وكأنه ينشئها من نفسه

إذن فليس لنا أن نعيب على المترجم نقله كتاب «الاعترافات» إلى العربية ، مهما كان رأينا فى الاعترافات ، ذلك أن الأفكار والاحساسات المبثوثة فى « الاعترافات » تنبع من صميم نفس المترجم . فكل اعتراض عليها اعتراض على طبيعة بشرية !

أما كل ما يمكن أن يدار من البحث حول ترجمة الاعترافات فهو مقدار نصيب الترجمة العربية من روح الأصل الفرنسى ، ونحن نعتقد اعتقاداً أولياً أن المترجم مهما يكن مقدار تصرفه فى الترجمة ، فان روح الاعترافات فى أصلها الفرنسى لا شك قوية واضحة فى الترجمة ، ذلك أنها لا تنزل من المقدرة على الترجمة وإنما تنزل من روح المترجم

أما كتاب « زارازوسترا » لفردريك نيتشه ، فان بعض

الصعوبة يبدو للنظر إذا حاولنا أن نثبت وحدة المزاج بين الفيلسوف الألماني والمترجم العربي ، ذلك أن المؤلف مشهور بتجديفه والمترجم مؤمن مشهور بإغراقه في التدين ... وأين الإلحاد من الإيمان ؟

ولكن لو نظرنا للبواطن ، فاننا نجد وحدة في المزاج بين المؤلف والمترجم ، هذه الوحدة تقوم على الاغداق والطبيعة الفنية ، ذلك أن نيتشه فلسفته ليست نتيجة لقريحة فلسفية إنما هي تجربة الدنيا أملت على طبيعته الفنية ما أملت ... ومن هنا كان نيتشه فناناً أكثر منه فيلسوفاً . وروحه الفنية قديمة، وللطابع العبري نتيجة، لتأثره بالآداب العبرية التي تبحر فيها . وهذه الروح السامية Semitischen هي التي أخذ بها المترجم ، بما فيها من الحقائق إزاء الوحدة المتجلية للكون في روح الفيلسوف الفنان . ومن قبل التفت الأديب الناقد عباس محمود العقاد في دراسة سريعة له للمتنبي إلى أوجه الشبه بين نيتشه والمتنبي ، ورأى لهما فلسفة في الحياة واحدة ، نتناول سننها وصروفها ، ولا تتناول مصادرها ومصائرها . ولقد وقف العقاد وقتئذ حائراً في تفسير أوجه الشبه بين شاعر العرب الكبير ومفكر ألمانيا وفنانها الكبير ، وهو لو ذهب من ناحية الطبيعة الفنية يعلل أوجه الشبه بين الرجلين مستعينا بالعوامل التي تكافأت مع هذه الطبيعة ، لكان نجح في بحثه أضعاف ما نجح .

مضى صديقنا فليكس فارس يترجم عن نيتشه كتابه ، مأخوذا بهذه الروح ، ونحن نظلم أنفسنا ونظلمه ونظلم الحقيقة إذا ذهبنا نقارن بين كتاب زارازوسترا في أصله الألماني وبين ترجمته العربية ، لأن أديبنا المترجم رجل أنصب تفكيره في بيانه عن طريق الاشتراك بين العلة والمعلول ... ومن هنا كانت ترجمته سلخ لتفكيره عن انشائه — كما يقول هو — ليكون انشاؤه هيكلا سويا من البيان تحتل روح مؤلف مبدع صاحب بيان وفن كفردريك نيتشه . ولما كان السلخ غير مستطاع في كل الحالات كانت أفكار المترجم تتسرب إلى تفكير نيتشه فتختلط به أو تجعل مفهوم كلامه ينحرف بعض التحريف حتى يجوز المكافأة لنطق المترجم ، وآثار هذا الانحراف جلية في الترجمة ، تارة في صورة تصرف، وطورا في صورة تفسير وتأويل. ومن هنا كان لنا أن نعتبر الترجمة تحمل طابعاً شخصياً يتصل بالمترجم ، لا عند بيانه فحسب بل بتفكيره ومنطقه إلى حد كبير

ولا أدل على هذا من تصرف المترجم في كلام نيتشه وتأويله وتخريجه عباراته تخريجا يبعدها كل البعد عن مفهوماتها.

يقول نيتشه في فصل «بين غادتين في الصحراء» على لسان «زارازوسترا» نشيداً يستهله بقوله :

إن الصحراء تتسع وتمتد فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء عليها! يالمهابة !

يالبداية تليق بمهابة صحراء إفريقيا !

تليق بأسد أو نذير يهيب بالناس إلى مكارم الأخلاق

إنها لروعة لم تسطع عليكما يا صديقتي عند ما أتيح لي أنا ابن أوربا أن أجلس عند أقدامكما تحت ظلال النخيل .

حي على الصلاة ! »

فهنا « أسد الصحراء » رمز « للنبي » رمز « لانبعاث الفضائل العليا وتمردها على الجحود والتضعضع في الحياة ! ... و« سلام » رمز « لحي على الصلاة ! » .

هذا ما يقرره صديقنا في مستهل الترجمة ، ولو ذهب لتدعيم تأويله إلى عالم أخصائي في فلسفة نيتشه هو الدكتور « روبرت رينجر » أستاذ الفلسفة بجامعة فينا — الذي يظهر أنه يوافق صديقنا المترجم بعض الموافقة في تأويله — إن صح ما نقله المترجم عنه ! ...

ولكننا لو راجعنا الدكتور « رينجز » وخاصة مجلده الضخم عن نيتشه ، فاننا لا نجد وجهاً في كتاباته يتفق مع تأويل أديبنا النابغة فليكس فارس .

ومع هذا فرأى الدكتور رينجر « لا يقدم ولا يؤخر في الموضوع ، ذلك أننا نجد تفسير هذه الرموز جلية في كتاب «زارازوسترا» من مطالعة النشيد في ضوء روح الكتاب عامة . ونحن نقدر أن « أسد الصحراء » رمز للعقل الانساني الطموح إلى نيل حريته وبسط سيطرته على حياته ؛ أما الصحراء فنفهمها على أنها الحياة المتحررة . أما صرخة الأسد أمام غادات الصحراء فهي صرخة الارادة في الانسان الطموح لنيل حريته ، وغادتي الصحراء ، هنا هما فضائل الحياة ، ولكن أي حياة ؟ ... ترجع الحياة المستعبدة .

(البقية في العدد القادم)

اسماعيل احمد أدهم

رد على رأى

الأستاذ توفيق الحكيم

فى إنهاض المسرح المصرى

نشرت «الأهرام» الغراء فى الأسبوع الماضى خلاصة المذكرة التى قدمها أديبنا الكبير الأستاذ توفيق الحكيم إلى لجنة رقية التمثيل العربى، فاطلعت عليها اللجنة المذكورة وأقرتها . وخلاصة هذه المذكرة هى أن الأستاذ يرى أن الملاحظ فى حركات ازدهار المسرح فى جميع الأزمنة وجميع البلاد أنها كانت نتيجة عوامل ثلاثة :

أولاً — رقى الجمهور الذى يرتاد المسرح

ثانياً — قيمة الكتاب الذين يكتبون للمسرح

ثالثاً — خطر النقاد الذين يذيعون أعمال المسرح

ولا ريب أن « الناقد القديم » يشكر أديبنا الكبير على مساهمته فى معالجة هذا الموضوع الدقيق بتحقيق أدبى استنباطى يسرنا أن يكون أكثره متفقاً مع ما نشرته الرسالة فى أعدادها الماضية حول هذا الموضوع

ولكنا نخالف الأستاذ الحكيم فى قصره إنهاض المسرح على مراعاة العوامل الثلاثة السابقة دون أن يعنى قليلا أو كثيراً بالعوامل التمثيلية البحث التى هى الأصل — كما هو معروف — فى نهضة المسرح وفى تحقيق العوامل التى ذكرها الأستاذ الحكيم وهذه العوامل هى (المسرح) و(الاخراج) و(التمثيل) بمستلزماته المتعددة ؛ وهى ما أسميناه فى مقالاتنا السابقة (العرض) . وقد قلنا فى صدده ما نصه[1] : « ولكن قيمة البضاعة هى أهم العوامل فى جذب (العميل) بلا مراء . وكلما ازداد احتواؤها على الميزات والخصائص التى يرغبها ويريدها ، ازداد إقباله عليها وتشجيعه لها وأنجح الفرق لدينا هى التى تميزت إدارتها بفهم مزاج الجمهور وميوله . ومع ذلك فهناك بدهيات عامة يتفق عليها الجميع دون مراعاتها لإنهاض حقيقى للمسرح ... » الخ

ويخالف الأستاذ كذلك فى بعض ما اقترح لانهاض المسرح من وسائل عملية مريبة فقد قال فى صدد (تهذيب النقد الفنى) :

« أما النشر فى المجلات فيوزع جزء كبير منه على أصحاب الصحف المجهولة الذين يهددون ويتوعدون ويخشى من لسانهم البذىء . فطريقة الدعاية فى الفرقة إذن عتيقة وينبغى أن تستبدل بالنشر فى أمهات الصحف اليومية فقط ليلة التمثيل ، على أن يعنى بالنقد المالى كوسيلة من وسائل الاعلان . وذلك بأن يتفق مع أربع جرائد يومية كبرى ومجلتين أسبوعيتين أدبيتين كبيرتين على أن يلحق بكل منها أديب كبير معروف يعين بالذات يكتب فى كل أسبوع مقالا أدبياً عن المسرح وتتولى الفرقة دفع أجره من مال الدعاية . بذلك تضمن الفرقة أن ستة كتاب كبار مسموعى الكلمة يكتبون عن أعمالها فى ست صحف كبيرة بمعدل مقدور كل يوم وتلك دعاية واسعة النطاق لا تعدلها دعاية أخرى ، دعاية يصل صداها إلى كل الآذان المهذبة ... الخ »

ونحن لا نحب أن نعلق على هذا الكلام بأكثر من رجائنا الأستاذ الكبير أن يذكر لنا أسماء ستة من كبار الكتاب المعروفين فى استطاعتهم التحدث عن المسرح الحديث الذى يسيغه ويسير به جمهور عال ومؤلف نابغة ! فاذا فعل كنا لحضرته شاكرين !

(الناقد القديم)

(1) ص ١٠١٩ من العدد ٢٧١ من الرسالة

6 me Année, No. 279

Lundi - 7 - 11 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٢٧٩ « القاهرة فى يوم الأثنين ١٥ رمضان سنة ١٣٥٧ — ٧ نوفبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــــرس

من مآسى الحياة

شـــيطان !

كان الناس منذ عهد قريب يقرأون فى القصص الغربية أفانين من فجور النفس وخفة الهوى و بغى الفتنة ، فتفيض عيونهم من الدمع رحمة للزوجة التى أعمتها الغواية ، وللزوج الذى أشقته الخيانة ، وللطفل الذى أيتمه الطلاق ؛ ثم يُسَرِّى عنهم أنها فجائع إن تكن فى الغرب فنحن فى الشرق ، وإن تكن من زور الخيال فنحن فى حقيقة الواقع . حتى عشنا معيشة أوربا ، وفتحنا دورنا لكل طارق، وصدورنا لكل متودد، فأصبح ما يجرى هنا صورة لما يجرى هناك ، وما كان معدوداً من خداع الفن صار جارياً على نظام الطبيعة !

عرفت زوجين شابين تعارفا بالجمال وتآلفا بالحب ، ثم عاشا على اختلاف الدار والجنس معيشة أهل الجنة: صفاء غير مشوب، وولاء غير مكذوب ، ورخاء فى ظلال النعيم والأمن يبسط المشاعر وينشر الأنس ويجمِّل الحياة

كان الزوج مثلاً فى الإخلاص والرعاية لزوجه ، فلا يفكر إلا فيها ، ولا يسعى إلا لها ، ولا يفهم وجوده إلا مضافاً إليها ومتصلاً بها . وكانت الزوجة آية فى الوفاء والطاعة لزوجها ،

تقاسمه هم العمل ، وتساهمه دعة المنزل ، وتبادله رجاء المستقبل ، وتتقلب معه فى الشدة والخفض غير متبرمة ولا متجهمة . وكانا معاً بهجة الأسرة وأنس الأصدقاء ، فلا يخلو بيتهما من سمر ، ولا ليلهما من زيارة ، حتى أصبحا فى بيئتهما الخاصة مثلاً مضروباً فى الزوجية الموفقة والحياة السعيدة

وكانت حياتهما الأوربية تقضى عليهما أن يكابدا التعرف العارض والخلاط المستمر . والعصمة من شرور الأخلاق فى مثل هذه الحال لا تجد لها مناطاً إلا ثقة الزوج فى الزوج ، واطمئنان النفس إلى النفس . وثقة الرجل المثقف فى المرأة المثقفة أصبحت فى المجتمع الحديث من القضايا المسلّمة والأمور المفروضة. فلا ينبغى أن تحوم حولها شبهة ، ولا يقوم عليها جدل

وكان فيمن يختلف إلى بهوهما الأنيس الباش فتى من أهل الرواء ، خداع الملامح ، خلاب الأحاديث ، يعد نفسه فى الطراز الأول من ثقافة الفكر والخلق . تقلب طويلا بحكم منصبه فى البيئات الدبلوماسية المختلفة ، فحذق الكلام والهندام ، ومهر الغناء والرقص ، وأحكم النظرة التى تنفذ ، والبسمة التى تقول ، واللفتة التى تعجب ؛ وامتلأ ذهنه من صور الدنيا وحوادث الناس ، فكان جميل المحاضرة عذب الفاكهة حتى ليستولى على المجلس فلا يترك فيه مسمعاً إلى أحد . وكان مَذّاءاً يتمزى على زملائه ، ويتبجح بالحظوة عند رؤسائه ، ويلقى فى روع السامع أن له المكانة المرفوعة والكلمة المسموعة والغد المضمون . فاستطاع بكل أولئك أن يخدع الزوجين بمظهره عن جوهره ، فكبر فى نفس السيد ، وحلا فى عين السيدة

***

ودخل هذا الفتى جنة الزوجين دخول إبليس ، فحرك فيها السَّموم وسَقَى عليها الكدر ! فلا الزهر نفاح باسم ، ولا النسيم رخىٌّ أرِج ، ولا الجو بهيج طلق ، ولا العش الصادح فى أفياء الشجر ناعم آهل ! وسوس الشيطان لحواء قال لها : إن السعادة فى بيت غير هذا البيت ، والثروة عند رجل غير هذا الرجل ، والجاه فى منصب غير هذا المنصب ! وهذه المزايا التى لك على الأتراب فى الجسم والفكر والطبع لم يجملك بها الله لتحبسيها فى هذا القفص الشعرى الذى تهدهده الأحلام على نغمات الحب والأمل . ليست الحياة كلها شعراً يا حواء ! وإن بجانب النفس الشاعرة نفوساً أخرى هواها فى المال واللهو والسلطان والعظمة . ومن زعم أن نعيم الدنيا فى الغزل، وزينتها فى الرياض، وبهجتها فى المنى، فقد أنكر المعروف وتجاهل الواقع . وكان الشيطان المُغْوِى حدثَ نساء، فعرف كيف يندس بالخديعة إلى الزوجة الضعيفة ، فأصغت إلى نزغاته بأذنها ثم بقلبها . ثم أصبحت فإذا زوجها مسؤوم ، وبيتها موحش ، وعيشها تافه ؛ وأحست برباط الزوجية يشتد على حناياها اشتداد الوثاق على ضلوع الأسير . لم تعد الجنة فى عينها هى الجنة ، ولا آدم فى قلبها هو آدم ! وأوهمها الخيال أو الخبال أن النعيم المقيم هو فى أكناف إبليس على متون السحب وربى الجبال وشطئان الأبحر . ولكن عشر سنين قضتها مع الزوج الوفى فى نشوة متصلة من الحب المواصى لا يمكن أن تخفت أصداؤها المذبة فى لحظة . فكانت كلما تخلصت من فعل الغواية صارحت زوجها بأنها تحب هذا الفتى حباً غطى على بصرها وبصيرتها فهى لا ترى ولا تفهم . وسألته يوماً أن يحتال لبرئها من هذا الخبل ، فاتفقا على أن ترحل إلى أوربا تنشد فى أجوائها المختلفة السكينة والسلو ، حتى إذا أقبل الصيف وتعطل العمل لحق بها زوجها ، فربما انجاب الغشاء عن العين والقلب فأبصر الأعمى ورشد الغوى ! ولكن الفاجر علم بسفرها المفاجئ فطلب إجازة طويلة من الوزارة التى يعمل فيها وتبعها إلى مصيفها وهى وحدها توازن فى هدوء العزلة بين ماضى الزوج الواضح ومستقبل الحبيب المبهم ، فأسقط من يدها الميزان ، وأيقظ فى نفسها الحيوان ، وأفسدها على نفسها وعلى زوجها وعلى أهلها فساداً لا يرجى معه صلاح !

ثم امتدت يد القدر تحل عقدة الرواية ، فإذا الزوج وحيد يعانى غصص الألم ، والزوجة مطلّقة تتجرّع مرارة الندم ، والشيطان الرجيم يقطع البحر عائداً إلى منصبه الكبير فى وزارة الخارجية يشارك فى أمور الدولة على هذا الخلق ، ويتصل بالأمم المخدوعة على هذا الوجه .. !

احمد حسن الزيات

فى رمضان

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

ليقل من شاء ما شاء ، فانى أعتقد أن الله تعالى يغفرلى ذنوبى وخطاياى جميعاً جزاء لى على صبرى فى رمضان . ومن كان له أولاد كأولادى ، وخدم كخدمى ، فان هؤلاء شفاعة كافية له بلا نزاع ، وإذا كان القارئ لا يصدق ، ولا يؤمن كإيمانى بشفاعة هؤلاء لى ، فلينتظر حتى تقوم الساعة وينصب الميزان

عددت أبواب الغرف وما إليها فاذا هى عشرون ، ومنها تتألف جوقة موسيقية لا تفتر ولا تهدأ فى ليل أو نهار ، وقد يئست من حمل خادمتنا العجوز التى حملتنى طفلا — على كتفها أو ذراعها لا فى . . . — على تزييت هذه الأبواب ، وما أكثر ما قلت لها إنى أشفق على هـذه الأصوات الرخيمة أن تبح ، فكانت تتبسم — أو تظن أنها تتبسم — وتقول : « الله يخليك يا سيدى ! » . فأقول لها : « لا تخافى على فان عمر الشقى ، باق أى طويل ، ولمن غيرى يكون وجع القلب ؟ كلا : لا تخافى ، وإنى لفى أمان من الموت ما بقيت لى ، فاذا ذهبت أنت بعد عمر طويل ، فان هناك الأولاد . . . ؟ كلا . لا خطر على من هذا الردى العادى الراصدلغيرى ، المتربص بسواء »

فتدعولى بطول العمر ، ولـكنها لا تزيت الأبواب ! وقد حاولت أن أنهض أنا عنها بهذا العبء ، فكادت تدق عنقى ، فكففت بعد ذلك ، ورضت نفسى على السكون إلى هذه الموسيقى

ومن طرائف هذه الخادمة العجوز أنها لا تكاد تسمع ، أو تبصر ، فهى لا تكاد تفهم . وأنا رجـل خفيض الصوت جداً ، وأحتاج أن أكلمها ـ فما من هذا مفر فى بعض الأحيان ـ فأنادى أحد الأبناء الأفاضل وأقول له — وأنا أعلم أن هـذا يسره — انقل عنى بصوت عال ، فيفعل ، ولـكن اللعين يصيح فى أذنى أنا ! ! ثم يقع على الأرض من الضحك

ويكون الولدان الصغيران فى المدرسة ، وتكون بى حاجة الى كلام الخادمة، فماذا أصنع ؟ لقد جربت عبث الصياح ، فأنا أقول لها « هاتى قهوة » . فتغيب شيئاً ثم ترتد إلى ، وتدعونى أن « أتفضل » فأتعجب ، وأسأل نفسى : « ماذا يا ترى ؟ هل شرب القهوة يستدعى أن تجرنى هذه العجوز إلى غرفة أخرى ؟ » وأطيع ، وأخرج ، وأتبعها ، فاذا هى قد أعدت لى طشتاً وإبريقاً وسجادة للصلاة ! !

لهذا صرت إذا احتجت أن أطلب منها شيئاً ، أكتب لها رقعة بما أريد ، تذهب بها إلى البقال أو النجار ، أو الجيران ، ليشرحوها ويبينوا لها ما فيها ، وما أكثر ما يمابثها البقال ! ! ولا أستطيع أن أنهرها ، أو حتى أن أظهر لهـا الغضب أو الامتعاض ، أو الضجر ، فقد ربتنى صغيراً ، وليس هذا ذنبى ، ولـكنها تعدنى « ملـكا » لها ، وترى أن هذا يخولها حقوقاً على ، فالبيت كله بيت « ابنها » بما فيه ، ومن فيه ، ومن كان لا يعجبه هذا فلينفلق !

على أن مصيبة الأولاد أدهى ، تكون الساعة الخامسة صباحاً ، فأسمع نقراً على الباب ، فأفتح عينى وأقول « تفضل .. تفضلا ... تفضلوا ... أو تفضلن » فيدخل اللعين الصغير الذى نسميه « ميدو » — وهى عندنا صيغة التصغير لعبد الحميد — فيدور بيننا هذا الحوار

— بابا

— نعم ياسيدي

— صباح الخير أولا

— صباح الخير ياسيدى . خير إن شاء الله ؟

— الساعة كم الآن ؟

— الساعة ؟ أو ليس عند ماما ساعة ؟

— عندها ساعة . ولكنها قالت لى البارحة إنها خربت ووقفت

— هى قالت ذلك ؟ وحضرتك صدقتها ؟

— وهل ماما تـكذب ؟

— أعوذ بالله ! ! مستحيل ياســيدى . وهل يكذب إلا الكذاب ؟

وأخبره أن الساعة الخامسة فيقول

— أنا ذاهب إلى المدرسة

فأصيح ، وأستوى قاعداً ، « أى مدرسة يا أخى ؟ وهل صارت المدارس فى عهد هيكل باشا تفتح قبل الفجر ؟ أما إن هذه لبلية ! رح يا أخى ، رح نم ! »

فيقول « بس اسمع يا بابا »

فأقول وأنا أعيد رأسي إلى الخدة: « سامع . تفضل »

— بق الافندى قال لنا « يجب أن نكون موجودين في منتصف الساعة الثامنة، وأن من يتأخر عن هذا الوعد لا يشترك في الرحلة »

فأشتهي أن أقول في هذا « الافندى » أشياء كثيرة . وأقولها فعلا ، ولكن في سرى ؟ كما كانت تفعل حماتى . أى نعم حماتى ، فقد كانت فى هذا قدوة ، ومثلا يحتذى . وكانت إذا سخطت على إنسان ، توسعه ذماً ، وسباً ، ولعناً ، فى سرها ! وكانت تجد فى هذا شفاء لغليلها ، فتتبسم ، وتتنهد ، وتضع يدها على قلبها وتقول « أيوه كده ! الحمد لله ! كنت ساطق »

وأقول للغلام « ولكن أين نحن من هذا الموعد ؟ اذهب ، ونم »

فيقول : « لا يا بابا ، لئلا أتأخر ! »

فأقول: « يا أخى ، وما ذنبي أنا إذا تأخرت حضرتك »

فيقول : « إنما أردت أن أسألك هل أصوم ؟ لأنى أكلت فى السحور مع ماما »

فأهز رأسي ، وقد فهمت ، ذلك أن ماما لا بد أن تكون هى التى أوعزت إليه أن يبكر فيسألني هل يصوم أو لا يصوم وأقول له:

« إنك صغير ، جداً ، والصيام غير مفروض عليك ، ثم إنك ذاهب لتلعب ، وتنط ، فستجوع بسرعة ، فيجب أن تأخذ معك طعاماً وإلا مت من الجوع »

فيسألنى « وماذا آخذ معى ؟ إنهم لم يُعدوا لى شيئا »

فأغتنم هذه الفرصة ، وأقول له « يا عبيط ! كيف تقول إنهم لم يعدوا لك شيئاً ؟ أو تتهم ماما بمثل هذا الاهمال ؟ »

فيسألنى « هل تعنى ... ؟ »

فأقاطعه وأقول بصوت كالهمس « اسمع ، لقد هيأت لك ماما كل شئ ، ولكنها لم تخبرك حتى لا تخرج قبل الأوان ، ثم لتفاجئك فتسرك ... ماما لطيفة ، أليست كذلك ؟ (فيهز رأسه موافقا) ولكنى صرت أخشى الآن أن تتأخر ، وقد قال لك الأفندى إن من يتأخر لا يشترك فى الرحلة ، فاذهب إلى ماما ، وأيقظها بلطف ، وصبحها بخير ، وارج منها أن تعطيك ماهيأت لك ... وستتنى لك أنها صنعت شيئاً ، لأنها تعتقد أنك بكرت جدا ، وساعتها كما تعلم واقفة ، فأفهمها أن الوقت قد أزف ، وخذ ما تعطيك ... والآن اذهب ، ومع السلامة ، وإن شاء الله نراك ونراها بخير »

فيذهب مسرورا ، فأنهض خفيفا ، وأمشي إلى الباب على أطراف أصابعى ، وأوصده بالمفتاح ، لأنى أعرف ما يحل بى إذا تركته مفتوحا !!

والمثل يقول « جن الذى نجا من الموت ! » فلا تمضى دقائق حتى أشفق أن يتهشم الباب ، ويتحطم رأسي ، فلا يسعنى إلا أن أفتحه ، فتدخل ماما ، كالأعصار وتصيح بى :

« ما هذا الذى صنعت ؟ تغرى الولد بى ، فيوقظنى فى هذه الساعة وأنا صائمة !! »

فأقول : « ساعتك واقفة ؟ أليست كذلك ؟ »

فتقول ، وهي تغالب الضحك « يعنى إيه ؟ »

فأقول، وأنا أعود إلى السرير « يعنى دقة بدقة، والبادي أظلم ! »

فتقول : « راجع إلى السرير ؟ تقلقنا وتنام ! شئ جميل ! »

فأقول: « من الذى أقلق صاحبه ؟ »

فتقول: « إنك أنت سبب القلق والمتاعب كلها فى هذا البيت »

فأقول : « غفر الله لك يا امرأة ! اذهبي وتوبي إلى الله واستغفري لذنبك عسى أن يرحمك »

فلا يجدى هذا النصح ، وينتهى الأمر بأن أجمع المخدات المبعثرة فى الغرفة ، وأعيدها إلى حيث كانت ، وأنا أنهج من التعب ، وأتمثل بقول الشاعر :

« ومن ظن أن سيلاقي الحروب   وأن لن يصاب، فقد ظن عجزا »

وهكذا ، وهكذا ، إلى آخره ، إن كان له آخر . فالحق أن أجرى عظيم فى رمضان !

ابراهيم عبد القادر المازنى

مصر وعلاقتها بالخلافة

للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب

من ولاة العصر العباسي الذين عرفوا بالخير والعدل واكتساب محبة الأهلين موسى بن عيسى [1] الذي ولى مصر ثلاث مرات. فقد اشتهر بالعدل فى البلاد وتحبب إلى النصارى فأذن لهم ببناء الكنائس التى هدمها سالفه على بن سليمان وقد أشار عليه بذلك قاضياه الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة، بحجة أن إرجاع الكنائس المستحدثة فى الاسلام من مستلزمات عمارة البلاد. ومما يدل على عناية هذا الوالى بالعمارة ما كان من زيادته فى جامع عمرو [2].

وكان عنبسة بن إسحاق (٢٣٨ — ٢٤٢ هـ) آخر من ولى مصر من العرب. وكان من أحسن الولاة الذين ولوها فى هذا العصر، مما حدا بالمؤرخين إلى القول بأنه أظهر من العدل مالم يسمع بمثله فى زمانه. وقد بلغ من تورعه وبغضه للمظاهر أنه كان يروح من دار الامارة إلى مسجد العسكر ماشياً. وكان آخر من أموا الناس فى المسجد. وقد بنى المصلى الجديد سنة ٢٤٠ هـ إذ رأى أن المصلى القديم ضاق بالمصلين. وكذلك حصن دمياط وتنيس بعد أن أغار عليها الروم سنة ٢٣٨ هـ فبقيت دمياط فى يد المسلمين إلى أن استولى عليها الصليبيون سنة ٦١٦ هـ [3]

على أن عدل عنبسة وورعه لم يكسباه حب الناس جميعا، فقد كان مكروها من البعض لاعتقاده بمذهب الخوارج مما دفع بالفضل ابن يحيى إلى أن ينحى فيه باللائمة على الخليفة لتوليته إياه مصر. وما قاله أيضا من شعر يتهم فيه هذا الوالى بالتراخى عن طرد الروم من هذه البلاد وقت استيلائهم على دمياط وتنيس كما تقدم

مَن فتى يبلغ الامام كتاباً عربيا ويقتضيه الجوابا
بئس والله ما صنعت إلينا حين وليتنا أميرا مصابا

(١) ابن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس.

(٢) الكندي ص ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٧

(٣) الكندى ص ٢٠١ و ابن دقاق ج ٥ ص ٨١

خارجيا يدين بالسيف فينا ويرى قتلنا جميعا صوابا
ثم يمشي إلى الصلاة نهارا وينادى السحور، ضل وخابا

ومن هنا نتبين كيف كان اعتقاد عنبسة بمذهب الخوارج — إن صح أنه كان يعتقد به — سبباً فى الحط من شأنه وإظهار ما أتاه فى حكمه من عدل وما أظهره من ورع، بمظهر العسف والظلم حتى أدى ذلك بالفضل إلى اتهام هذا الوالى بالقعود عن نصرة المسلمين حين أغار الروم على مصر، فقال الفضل للخليفة المتوكل:

أترضى بأن يعطى حريمك عنوة وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمار أتى تينيس والروم وثب بتينيس رأى العين منه وأقرب
مقيمون بالأشتوم يبغون مثلما أصابوه من دمياط والحرب ترتب
فما رام من دمياط شبرا ولا درى من العجز ما يأتى وما يتجنب
فلا تنسنا إنا بدار مضيعة بمصر وإن الدين قد كاد يذهب [2]

لم يل مصر بعد عنبسة وال من العرب كما تقدم، فقد وليها بعده يزيد بن عبدالله (٢٤٤ — ٢٥٣ هـ) من موالى المنتصر العباسى وكان كغيره من الأتراك من السنيين الثلاثة. وكان شديداً صارماً وأتى فى عهده بكثير من الاصلاح وقضى على كثير من معايب المجتمع، فمنع النداء على الجنائز وضرب من نادى عليها، وعطل الرهبان وتتبع العلويين فلحقتهم منه شدائد وأهوال [1]

وورد إليه كتاب الخليفة المستعين بالاستسقاء لقحط كان فى العراق، فاستسقى الناس فى يوم واحد. وفى عهده خرج بالاسكندرية رجل يقال له جابر بن الوليد واجتمع إليه خلق كثير من العرب والقبط والنوبيين فاستولى على الكريون وسنهور وسخا وسمنود، فأنفذ الخليفة مزاحم بن خاقان مدداً لواليه على مصر. وظلت ثورة جابر ابن الوليد على حالها طوال عهد يزيد بن عبد الله الذي صرف فى ربيع الأول سنة ٢٥٣ هـ وولى بعده مزاحم بن خاقان فواقع جابر بن الوليد فى أرض الجيزة والفيوم حيث أسر فى جنبويه من كورة البدقون (المكتبة الجغرافية

(١) الكندى ص ٢٠١ ابن دقاق ج ٥ ص٥٣ المقريزى خطط ج ١ ص ٢١٤، ٣١٢

(٢) الكندى ص٢٠١، والبيت الرابع من المقريزى خطط ج١ ص٣١٤

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

١٣ — دكتور!

سألني اليوم صديق لي من المدرسين :

— ألا تعرف قصة المسيو تريس ؟ إنها إحدى العجائب !

قلت : لا والله ، فأي شيء هذا المسيو تريس ؟ وما هي قصته ؟

قال : رجل فرنسي تخرج في إحدى دور المعلمين الأولية ، ولكن الأبواب سدت عليه في بلده ، وضاقت به الحيل ، فلم ينل وظيفة ، ولا استطاع أن يحصل شهادة ثانوية (بكالوريا) ، فشد رحاله إلى الشام ، فكان فيها معلماً ...

قلت : ليس في هذا عجيب ، بل العجيب أن يكون غير هذا !

قال : لم أبلغ بك مستقر العجب بعد ... لقد درس هذا الرجل سنين ، ثم خطر له يوماً خاطر ، فقال لي :

— لقد سمعت أن المسلمين يحجون ...

قلت له : نعم

قال : أفلا تخبرني عن حجهم ، كيف يكون ، وما هي صفاته ، وكيف تكون الرحلة إليه ، وما هو خبر المحمول الذي كان يذهب به كل عام ؟

في أسئلة أخرى هذا سبيلها قال صديقي فقلت له : إني لا أعرف إلا طرفاً من هذا ولكني آخذك إذا شئت إلى من يرشدك إليه . وأخذته إلى رجل كان جمالا يرافق الحج . فأنبأه بما يريد ، فلما كان بعد أيام جاءني المسيو تريس ، وقد كتب ذلك في كراسة عرضها علي لأنظر فيها . فنظرت فاذا هي أعجوبة الدهر التي يعجز عن مثلها صاحبنا أبو العبر[(١)] حين كان يقف على الجسر في بغداد فيكتب كل مايسمع ، فاذا ملأ الصحيفة قدها قدداً تخالف بين أجزائها ، ثم قرأ ما يجيء فيها ، فيجيء بكلام ليس في الدنيا أحمق منه ... وإذا هي كراسة مضحكة عجيبة يعد صوابها ولا يحصى خطؤها ، على أنها في زعم صاحبها دراسة للحج عند المسلمين ، سمّى فيها الجمل الذي يحمل (المحمل) باب السلام ، وسمّى إمام الحرم المكي (أمين الصرّة) وجعل تبوك على أبواب مكة ... ومثل هذا الهذيان ...

قال صديقي : فرددتها إليه رداً جميلا ، وتخلصت منها وعاد الرجل إلى بلده ، ومرت شهور طويلة ، وإذا أنا بالبريد يحمل إليّ الرسالة مطبوعة ، مكتوباً عليها :

الأطروحة التي نال بها مؤلفها شهادة الدكتوراه من جامعة باريس !!

علي الطنطاوي

(١) هو أبو العباس بن محمد بن أحمد وينتهي نسبه بعلي بن عبد الله ابن العباس — تحامق لما رأى الحماقة أجدى عليه وجعل كنيته أبا العبر وجعل يزيد فيها كل سنة حرفاً حتى مات وهي (أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك !)

ج ٦ ص ٢٨٢ ، ٨٣ — المقريزي خطط ١ ص ٧٣) وبعث به إلى العراق في رجب ٢٥٤ هـ[(١)]

هذا وكان عامل مزاحم بن خاقان على الشرطة أزجور التركي فقد منع النساء من دخول الحمامات ومن زيارة المقابر وسجن النوائح ومنع من الجهر بالبسملة وأمر بتمام الصفوف عند الصلاة وعهد إلى رجل من العجم فكان يستعمل السوط في تنفيذ هذا الأمر . ومنع من استعمال المساند والحصر للجلوس في المسجد ومن التثويب ومن أن يؤذن المؤذن يوم الجمعة في مؤخر المسجد . ثم صرف أزجور عن الشرطة في ذي القعدة سنة ٢٥٣ هـ وولي مصر أحمد بن مزاحم باستخلاف أبيه له فجعل أزجور على الشرطة ثانية ثم وليها أحمد إلى أن مات (١ من ربيع الآخر سنة ٢٥٤هـ) فولي مصر أزجور وظل على ولايتها إلى رمضان من هذه السنة فوليها بعده أحمد بن طولون

حسن ابراهيم حسن

(١) الكندي ص ٢٠٢ — ٢١٠

الحقائق العليا فى الحياة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الإيمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

« ألفاظ إذا نطقت بها تتحرك لها فى نفسى دنيا كاملة ! »

تلك أعمدة الكون الخفية ، تسكن قممها عقول المتأملين ، وتسجد على أقدامها قلوبهم . قد أسبغ خالق الكون وواهب الحياة على العقول والأرواح ظلالاً من تكريمه واحترامه حين أوجد لها هذه الحقائق ، وأوحى لها أن تتعرف إليها كما أوحى إلى الأجساد أن تتعرف إلى التراب والماء والغذاء والهواء ...

وليت شعرى ! هل تسعفنى خواطرى الدائمة الدوران حول هذه الحقائق فتحضرنى جميعها وأنا أكتب عنها ؟

إنى أبدأ الكتابة الآن وليس فى نفسى إلا صور مبهمة منها . أما تركيز أفكارها وتجميعها وتجنيدها وعرضها ، فأمر أسأل « الحق الأول الأكبر ! » أن يتولى هو بفنه الخالق « إخراجه » من قلمى العاجز كما يخرج النخلة السحوق من النواة الضئيلة !

* * *

وإن تعجبوا فعجب لجاد الأقلام وطين الألسنة حين يتولاها الجشع فيحاولان أن يمسكا السيالات التى لا تمسك !

وليت شعرى ! متى يأتى الانسان الذى يستطيع أن يقول كل مافى رأسه بألفاظ ترضيه وتترجم عن التيارات العميقة المتلاطمة فى قرار قلبه ؟

إنه لا شك الانسان الأخير الذى يختتم به وجود الانسانية هنا على الأرض ... ولعلها ما تلاحقت أنسالها فى الأرض إلا لتقول « الأسماء كلها » التى علمها الخالق أباها آدم ...

فالانسان الأخير هو آدم ثان جاء ليختم الدورة التى بدأها آدم الأول ... هو الانسان الذى صبت فيه كل جداول البيان وسكنت فيه كل أطياف المعانى ، فوعى كل كلمة نفسية ولفظية اختلج بها قلب أو فكر أو لسان ...

هو الانسان الذى يأتى بعد أن لم يبق شىء فى عالم الآفاق وعالم الأنفس إلا وجد له لفظاً إنسانياً يصوره ويحدده ...

هو ابن الانسانية الواحدة الماثلة التى تنقلت فى الدهور والأحقاب فوقع عليها كل الضوء وكل الظلام ! !

١ — الإيمان :

أنا الآن فى « الرستمية[1] » على أديم الأرض مباشرة ، وتحت السماء مباشرة ... حافى القدمين مجرودهما ، جاث على الركبتين معقورهما ، شاخص العينين محرورهما ، مرهف السمعين مشدودهما ، صامت الشفتين معقودهما ... فى الظلام الصارم ! والريح تصفر فى كل مايحيط بى من مبان ومنافذ وأشجار ... وبنات آوى تعوى وتمترك على قرب منى ... وكلاب الرستمية وكلاب تلك القرية الماثلة على رأس تعريجة من تعاريج نهر « ديالى » تتبادلان نباحاً دائماً متشابهاً هو عندى نغم يهيىء فى نفسى جواً معنوياً لليالى القرى والخيام . . والنوم ذائع السلطان منشور الأعلام على مبانى « دار المعلمين الريفية » ، وعلى أجساد ساكنيها من الطلاب والمعلمين . . وكل ما فى جسمى ونفسى يقظ : كل خلية وكل شعرة ، وكل قوى جاذبة أو دافعة ، وكل خاطرة جديدة عابرة أو مخزونة غابرة ، مستجمع أرواح آبائى وأرواح أنسالى . . فى خيالى ، وجميع حياتى الذاهبة فى الأزل والآتية فى الأبد !

أنا فى ساعة خيال أو عقل ، وفى جد أو مجانة ؟ لا أدرى . لا أدرى إلا أن الرحى الدموية الحمراء التى فى صدرى تدور دوراناً لا عهد لى به من قبل ...

أنا أيتها الأكوان الناطقة والصامتة الموغلة فى الصمت ، أحاول أن أتكلم عنك بين يدى أبى وأبيك ! بالكلمة التى أعيانى النطق بها كما أعيا كل كائن يحسها حقيقة شائعة فى نفسه ولكن لا يستطيع البيان ...

أدير فكرى وكل حواسى فى الدنيا لأجد ابتداء القول ، فلا أظفر إلا بالاستغلاق ؛ وإن كنت أظفر بامتلاء أوعية أخرى لا سلطان للبيان على نقل ما فيها ..

(١) ضاحية فيحاء من ضواحى بغداد

كل فراغ حياتي مملوء بخواطر مستبدة بي ، ألاقي بها الحركة والركود ، والنور والظلمة ، والبحر والصحراء ، والنملة والجمل ، والعلم والجهل ، والسلامة والسقم ، وكل شيء ، وكل شيء ، وكل شيء ...

فاعذروني أيها الفارغون !

واطلبوا التوفيق لقلمي المسكين الذي يتصدى للنار ليكتب فيها عنها ...

ويتصدى للريح العصوف ليحملها قبل أن تحمله وتذروه مع الهشيم ...

* * *

الايمان ؟!

يالله من ابتذال الألفاظ الكريمة ونزولها من لمات الفكر العالي وسبحات الروح، إلى رؤوس الأغبياء والجامدين والمحدودين!

ويالله من جناية التجسيم والتشبيه على المعاني التي حياتها في أن تكون مطلقة متفردة منساحة في محيطات ربها انسياح الكهرباء والجاذبية والاشعاع !

ويالله لغذاء الملائكة إذا ولغت فيه الكلاب والخنازير والقردة !

وأواه من الذين ينظرون إلى الألفاظ الحية نظرهم إلى الحجارة والصخور !

أخذوا هذه الكلمة التي لا يمكن أن يكون قد نطق بها ناطقها الأول إلا بوحي ، وصاروا يلوكونها كما يلوك الملقنون بعض الألفاظ يلقونها على أجساد الموتى ...

أخذوها من معادنها ومناجمها العميقة في قلوب الأنبياء وخواطر الأصفياء وألقوها في أفواه التماسيح والقردة، فصارت تمض وتقهقه بها ممسوخة في غير موضعها ، كموسيقي الجنازات.

أخذوها كما يأخذون الوردة المنضورة المطورة من غصنها ، فلا يزالون يبتذلون شذاها على أنوفهم المزكومة ، وحريرها بين أصابعهم القاسية ، حتى يمزقوها فلا يبقى منها في أيديهم غير جثة مسحوقة يلقونها في التراب ...

أخذوها من نصابها في قلوب الأنبياء وخواطر الأصفياء . ووضعوها على قلوبهم الضيقة كما توضع الشموع على القبور ...

صيروها ملكا لكل بليد أبله ، تموت وتنطفىء على شفتيه الكلمات المنيرة كما تموت العروس في جلوتها ...

ثم وضعوها في قواميسهم وكتبهم بجانب هذه الجمادات والجيف : تراب . رصاص . ذهب . حديد . معدة .. !

فياموحي المعاني ! حررني من ألفاظهم الميتة الجامدة التافهة، واحلل عقدة من لساني حتى أبين معناك في قلبي . وما أهول معناك فيه !

الطبيعة كلها أوتار مرنة، وكلمات مبينة ، وأصابع مشيرة ، يسمعها ويقرؤها ويراها ذلك الراهب الذي سجنته بين ضلوعي !

وأناملي الآن تحاول أن تشير إليك بالقلم والمداد في رموز أغني بها وأبكي !

ليس الكلام هنا شيئا يذكر بجانب الفكر ، وليس الفكر شيئا يذكر بجانب الوجدان ...

ولكي أكتب عن معناك كتابة عارف ... لا بد لي من من جسد آدم الذي لامسته يدك ، وعمر نوح الذي طال فيه صبرك ، وعقل ابراهيم الذي سمى أمامه نورك ، وأذن موسى التي رن فيها صوتك ، وإنشاد داود الذي ترقرق فيه نغمك ، ويد عيسى التي كان معها إذنك ، وكمال محمد الذي انطلقت منه إلى الانسانية كلمتك الخاتمة ...

أجل ! لا بد لهذا أن أغتسل بالبحر كله، وأتوضأ بالشعاع كله، وأتوج بالشمس والقمر والنجوم .. ثم أندمج في كل شيء لأتسمع إلى الهمسات والأحاديث الدائمة بين العوالم والأكوان عن الظاهر الباطن ، والأول الآخر ... المتكبر ! الذي أذابها وأفناها انتظار لمحة لوجهه ذي الجلال !

ولكن يا طين آدم ! مالك ولهذا العلو الشاهق ؟

يا خنفساء الغبراء ! لا تحلمي بجو النـور . . .

يا جُعَل ! إن شذا الورد يخنقك . . . فلا تطلب سكنى الرياض . . .

كيف يقوى على سنا الرب قلب ليس يقوى على سنا المربوب !
والكمالات لا تناهى لدى الله فلا بد من بقاء الغيوب

أجل يا « با كثير » !

ولكن الذي يتصدى لكبرياء الالهية ، إنما يحاول أن يبلغ أقصى حدوده وأدنى حدودها ليعود فيقول كلمة تريح ذلك الراهب السجين ، وتكون مشاركة منه في عزف اللحن الدائم

مع أوتار الطبيعة ، وفى تسجيل الكلمات البينة مع أقلام الطبيعة ... حتى يرى بعد ذلك كأنه هذه طائرة بجوها الموسيقى ، تخفق بجناحيها فى رئات الناس ، وترقص فى ضياء عيونهم ، وتأكل من حبات قلوبهم ، وتنفرد فى منطقة الصمت من أفئدتهم !

***

قد لا يدرك الايمان على حقيقته إلا المؤمن الأخرس الأصم . . . الذى لم يقل ولم يسمع إلا الكلمات النفسية التى لا تصب بقوالب من الألفاظ الضيقة التى قد تكون منحرفة الوضع أو مبهمة الدلالة أو ناقصة الموسيقى . ولكل معنى فى النفس جو موسيقى يجب أن يصحبه فى اللفظ

وإنى أرثى للذين لم يعرفوا الآلهية إلا من ألفاظ الكتب ! ولأن الناس صاروا يأخذون عقيدتهم فى الآلهية من الكتب ومن الأفواه ، اختلفوا وتفرقوا وتباينت الصور التى فى رؤوسهم منها . ولو أنهم أخذوها مباشرة من الطبيعة الواضحة الواحدة ، التى ليس فى كلماتها انحراف فى الوضع ، ولا إبهام فى الدلالة ، ولا نقص فى الموسيقى . . . لاتفقوا وتلاقوا على فهم المعنى الواحد الذى يملؤها ، كما كانوا أول زمانهم قبل تشعب الكلام بهم ووجود ميراث من الكلمات الملوطة التى تمحو طابع الفطرة البسيطة التى لا تعرف الرموز ولا تستغنى بها عن النماذج الواضحة التى تملأ الطبيعة

ويا لله من جناية الناس على وسائل إنقاذهم ورفعهم من حضيضهم !

إن الملهمين والعلماء يفتحون لهم أبواب أقفاصهم وسجونهم حتى ينطلقوا ويفروا منها إلى الطبيعة . ومن الطبيعة تفد عقولهم إلى خالقها وصاحب المشيئة الغالبة عليها . ولكن الأغبياء والمحدودين من الدعاة يعودون بهم ثانياً إلى الأقفاص والسجون ويسدون أبوابها بالأوثان والأنصاب والصور والرموز ، ويلهونهم بالخرافات

وعندئذ تموت وتنطمس الكلمات الحية المنيرة ، فينطقون بها ويخيل إلى رائيهم من ذوى البصائر أنهم يلفظون حجارة أو جثثاً ميتة للمعانى الكريمة . . .

وإذا انقلب الوضع فصار الراعى يهتدى بالقطيع ، فهنالك ضياع الجميع . . .

***

وهنا أسأل :

لماذا لا تخدمون الايمان أيها الكتاب الموهوبون فتخدموا بذلك أقلامكم وتخدموا الحياة والفن ؟

لماذا تلسعكم النار وتتحول أقلامكم إلى عقارب تلفونها بسرعة من أيديكم إذا ما سجل أحدكم كلمة مؤمنة ؟

أنا أعرف السبب . أعرفه وأعزو إليه كل هذا الضعف : هو أنكم تأنفون من أحاديث العوام والعجائز والفقراء الذين جعلوا الايمان غذاءهم وعزاءهم لأنهم فقدوا كل شيء سواه . فهم يعتزون به ويتزيدون فيه بأحلام المحرومين . فمن هنا تراكمت فى نفوسكم « عقد نفسية » خفية فى العقل الباطن تعقل أقلامكم عن الخوض فى المعانى السامية . . .

ولكنى أعيذ فطنتكم أن تجعلوا يد البستاني مرآة للبستان . .

وإنكم إذ تتحاشون الحديث فى الايمان لمحرومون من منابع الالهام الدائم ، وحياة اللذة بالشعر ، وحياة اللذة بالعلم ، وحياة اللذة بالقوة ، وحياة اللذة بالمجد الشخصي ، واحترامكم لأنفسكم !

أتدرون أنكم لا تسبحون إلا فى الضحضاح من المعانى المكشوفة الدائرة حول الظاهر من الحياة الدنيا ، وأنكم تدورون فى هذا الضحضاح دوراناً مضحكاً » ؟

أتدرون أنكم بإهمالكم رصد الأفق الذى تأتى فيه كل الحقائق والجلالات والكمالات والرائعات من عالم الخفاء وعالم الظهور ، قد ضيعتم أعلى نغم وعطلتم شعركم من أعذبه ؟

هبوا أنكم لم ترضوا بحديث بعض المأثورات من كتب الدين عن الالهية ، فلماذا لا تحدثون أنتم الانسانية بحديثكم الشخصى عنها وهى تملأ كل نفس عالمة أو شاعرة ؟

وهبوا أن بعض الأنجاس ولغوا فى هذا النبع ، فهل معنى ذلك أنه تنجس عند الذين يعرفون من أين ينبع وإلى أين ينتهى ؟

كلا ! لن تذهب مسؤولية ذوى الطباع الرحبة فى التكلم للحق إذا تكلم فيه الجامدون أو الدجالون ، بل إن مسئوليتهم تبدأ من هنا . . .

وإن الذى يخرج من الدنيا كاتبا أو شاعرا أو فنانا أو عالما أو متأملا ، ثم لا يترك فى ميراثه حديثا عن « ملك الأكوان ! » لاريب أن يحكم عليه الحق بأنه أعمى ، لأنه مر على حجرات جدرانها كلها مرايا فلم يرها ولم يحدثنا عنها . . .

عبد المنعم خلاف

« بغداد — دار المعلمين الريفية »

مقالات في كلمات

للأستاذ محمود غنيم

العدل المطلق

أسرفت القوانين على اختلاف أنواعها فى توخى العدالة ، ولكن يظهر أن تحقيقها لا يزال يقتضى الانسانية انتظار زمن طويل ، إن لم نقل : إن ذلك مستحيل

أرأيت ذلك الذى يطيح القصاص برأسه جزاء إثم اقترفه ؟ لقد حكم القضاء بإدانته مرتاح الضمير ، معتقداً أنه أقر الحق فى نصابه ، وقابلت أنت الحكم بالهتاف للعدالة ، ونسيت أن لهذا الحكم العادل ناحية فيها ظلم صارخ . ما ذنب أطفال هذا المجرم الذين أسقطهم القضاء من حسابه ، فحرمهم كاسبهم ، ورماهم باليتم من غير إثم اقترفوه ؟ أغلب الظن أن القصاص العادل مهد لهؤلاء الأطفال البرآء سبيل الاجرام ، فكأنه استأصل شراً وأنبت شروراً ، وأراح الانسانية من وجه ثم أتعبها من وجوه

ما ذنب المرأة يلقى زوجها فى أعماق السجون باسم القانون ، فتتضور تلك الحرة جوعاً ، أو تأكل بثديها ؟ وقد تكون حياتها — وهى البريئة الطليقة — أشأم من حياة زوجها — وهو المذنب السجين — ؟

وكم تكون دهشتى كلما تذكرت حكم الفقهاء فى طلاق السكران المتعدى ! إنهم يوقعون طلاقه تغليظاً عليه ، كأن مسألة الطلاق لا تعنى إلا إياه ، وليس الرجل فيها إلا طرفاً من طرفين ، بل من عدة أطراف ، إذا لم نسقط من حسابنا شريكته فى الحياة وأطفاله الصغار . ألسنا بذلك نكون قد قضينا على زوجة ، وشردنا بنين ، لأننا أردنا أن نلقى على رجل سكران درساً أشك كل الشك فى قسوته ؟ أجل ، فمن الجلى أن الرجل هنا يرتكب أخف الضررين ، ففى استطاعته أن يتزوج لأن أمر زواجه موكول إليه ، أما الزوجة المنكودة — التى لم تعاقر الكأس ولم تغش الحان — فعليها أن تنتظر ثم تنتظر ، لأن أمر زواجها ليس إليها

كانا يهتف للمساواة ويعتبرها ضرباً من ضروب الانصاف ، ولكنى ألاحظ أن ذنباً واحداً قد يقترفه اثنان ، معيشة أحدهما فى السجن لا تختلف عنها كثيراً فى منزله ، بينما يؤثر ثانيهما الانتحار على أن يقضى فى السجن سحابة نهار . فهل تعتبر توحيد الحكم عليهما من العدل فى شىء ؟ ثم ماذا تقول إذا كان أحدهما متعطلا لا كسب له ، وكان للثانى عمل يدر عليه الربح الوفير ؟ لا شك أننا فى هذه الحالة نكون قد حكمنا على الثانى بغرامة فادحة ، لم يصب الأول منها قليل ولا كثير

ولقد يتخاصم المتخاصمان أحدهما فى سعة من الرزق يستطيع أن يستعين بجيش من مهرة المحامين ، بينما ثانيهما مقل لا يستجيب له إلا من يقنع بالأجر الطفيف ، وهكذا يسوى القانون بينهما فى كل شىء ، ويغفل هذه الناحية الحساسة ، ذات الأثر البالغ فى تكييف الحكم ، وتكون النتيجة أن ينتصر باطل الأول على حق الثانى باسم العدل والقانون

وبعد فلست أجهل أن القوانين لا تنظر إلى الأفراد بمقدار ما تنظر إلى المجموع ، وأنها كثيراً ما تضحى بمصلحة الفرد فى سبيل الصالح العام ، ولكننى أبحث عن العدل المطلق ، العدل الذى لا يشحذ مديته على كبش من كباش الفداء

اللذة السلبية

عرفت بالتجربة أن من أطيب الأوقات التى تمر بالانسان تلك الأوقات التى ينسى فيها نفسه بسفر طويل وإن كان لغير غرض ، أو بإمعان فى تفكير وإن لم يكن من ورائه طائل ، أو بانهماك فى « لعبة » وإن كانت غير ذات جدوى . وجلى أن الانسان لا يفيد من ذلك فائدة يستطيع أن يرجع إليها ما يشعر به من لذة ، فهل مصدر تلك اللذة هو مجرد نسيان الانسان نفسه حيناً من الدهر ؟ إن صح ذلك فأحر بنا أن نطلق على هذه اللذة اسم « اللذة السلبية »

أغلب الظن أن ذلك صحيح ، وعليه يكون مجرد الشعور بالحياة عبئاً على الأحياء ، ويكون الاحتيال على التخلص منه بين فينة وأخرى داعية سرور وارتياح . ومما يدعم هذه النظرية

تلك اللذة التى يشعر بها المخمور ، وماذا يفيد المخمور من جرعات الراح التى يتجرعها بين تنغض الأسرة وتقطيب الوجه ، إلا فترات غيبوبة ينسى فيها نفسه ، ويعدم شعوره ، ويفارق حيويته إلى حين؛ حتى إذا ذهبت نشوته ، وتسرب إليه شعوره ، ودع نعيمه ، وعاد إلى دنيا الهموم ؟

إذا وافقتنى على ذلك استطعنا أن نحل ذلك اللغز الذى حير الأفهام من قديم الزمان ، وهو « متى يستشعر النائم لذة النوم » إن قلت: قبله ، قلنا : لا يستشعر الانسان لذة شئ قبل مباشرته، وإن قلت: أثناءه، قلنا: لاشعور للنائم . وإن قلت : بعده ، قلنا : ما شعور الانسان بلذة شئ فات ؟ أقول : إذا وافقتنى على تلك النظرية استطعنا أن نعتبر لذة النائم من نوع اللذة السلبية ، أعنى تلك اللحظات التى غرق فيها فى السبات ، فغاب عن الوعى ، واطرح أعباء الحياة ، وتخلص من نير الشعور

ولعل من هذا كان حظ الانسان من الآلام النفسية يتناسب مع مبلغ حدة شعوره ودقة إحساسه طردا وعكسا ، فان ذا الحس المرهف أشد حيوية من غيره . والمشاهد أن أشد الناس تمتعا بالحياة هم أقلهم حظا من التفكير والاحساس ، لأنهم إلى الموت أقرب منهم إلى الحياة . ومن قديم قيل :

والعيش خير فى ظلا ... ل النوك ممن عاش كدا

غير أننى أخشى إذا تمشيت مع هذه النظرية أن أنحدر إلى القول بأن الموت هو السعادة الأبدية

اللذة والألم

هل تحسب أن بائع العطور يستشعر ما تستشعر أنت لها من رائحة زكية ؟ إن الانسان ليجلس فى بستان برهة من الزمان ، فتصاب أعصاب حاسة شمه بالشلل ، حتى مايفرق بين ورد وريحان ، أو فل وياسمين

هذا مثل مادى يبين لنا تصريف اللذة والألم فى الحياة ، فالنظر الجميل إذا أدمنت التحديق فيه أصبح مألوفا عاديا لايحرك مشاعرك ؛ والطعام الشهى إذا أكثرت تناوله فقد جاذبيته ، بل قد يصل إلى درجة تعافه معها النفوس . ولقد يظفر الموظف بأجازة يوم فيشعر بغبطة لا حد لها ، ثم يسامح بعد ذلك شهورا فتفقد المسامحة سحرها ، بل إن الألم الذى يستثقل وطأته الانسان يتسمم به الجسم على مر الأيام ، ويخف حمله بطول المران عليه

إذن لا بد من ألم الجوع والظمأ حتى يستشعر الانسان لذة الشبع والرى ، ولابد من جحيم الفراق حتى يشعر بنعيم الوصال ، ولا بد من حرارة العمل حتى يحس برد الراحة ، بل لا بد من المرض حتى يدرك الانسان أنه صحيح معافى . بعد هذا نستطيع أن نقول بملء الفم : إن الألم شرط فى إحداث اللذة ، وإن النعيم المحض لم يكتب لمخلوق فى هذه الحياة ، وإنما تمنى به الكتب المقدسة البررة الصالحين فى دار الخلود . ومن هنا التمس الناس السعادة من قديم الزمان فى كل مكان فأعياهم التماسها ، لأنهم يبغونها صرفا غير مشوبة بشائبة ، ولم يفطنوا إلى أن الألم شرط فى إحداثها ، ومقوم من مقوماتها

اللذة والألم متكافئان ، حظ الناس منهما واحد ، مهما تفاوتت أقدارهم فى الهيئة الاجتماعية ، وتفاوت حظهم من الجاه والمال ، غاية مافى الأمر أن لكل منهما صورا وأشكالا متباينة وإن كان الشعور به فى قرارة النفس واحدا

فعزاء للفقراء ، وليعلموا أنهم هم وأرباب المال والجاه . على قدم المساواة

« كوم حماده » محمود غنيم

التعليم والمتعطلون في مصر

المدرسة وتكوين الاخلاق

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

قيمة الأخلاق وتكوينها

كان خير ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى « وإنك لعلى خلق عظيم » وقوله : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » وفى هذا الدليل القاطع والحجة القوية على ما للأخلاق الكريمة من أثر فى الحياة . والأخلاق الكريمة لا يحتاج إليها الانسان فى الزعامة أو القيادة أو الرياسة فقط، ولكنه يحتاج إليها فى جميع الأعمال والمهن والحرف على اختلاف أنواعها، لما يجرى فيها من معاملات بين الناس وأخذ ورد، ومد وجزر، تتطلب جميعها الحكمة وحسن التدبير والحسنى فى القول ، والصدق والأمانة فى العمل . ولا غرو فالأخلاق الكريمة عماد تكوين الأمم وأساس نهضتها ورقيها . وفي ذلك يقول المرحوم شوقى بك :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول المغفور له سعد زغلول باشا : « نحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم ، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة »

والأخلاق كما تورث بذورها عن الآباء والأمهات تربى فى النشء. وأمتنها وأقواها ما نشأ عليه الطفل منذ نعومة أظفاره، وهى فوق ذلك تربى في الشاب واليافع والكهل ، بل وفى الشيخ بالتعود والمرانة ورياضة النفس . وليس شيء أدل على ذلك من آيات التأديب المختلفة التى نزلت فى القرآن الكريم حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم . « أدبنى ربي فأحسن تأديبى » فمن تلك الآيات الشريفة قوله تعالى : « يا أيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر » وقوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » الخ . وانظر إلى قوله تعالى تعليما وتأديباً للمؤمنين : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا » وإلى قوله « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولي بهما، فلا تتبعوا الهوي أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »

كل تلك الآيات المحكمات وغيرها تدل دلالة واضحة على أن الآداب تكتسب بالتعليم والمرانة والتعويد . فاذا فاتت الطفل فرصة تأديبه وتعويده الأخلاق الكريمة فى منزله فيجب ألا تفوته تلك الفرصة فى مدرسته حتى يستقبل الحياة العملية مزوداً بالزاد المثمر المنتج وحتى لا تضيع عليه فرصة ذهبية هى أولى الفرص بالتأديب والتمرين . وهى فوق ذلك أحسنها وأثمنها وأغلاها . ولقد أيد ذلك الرأى علماء التربية والباحثون فأقاموا الدليل تلو الدليل على أن الأخلاق تربى فى الانسان وتقوى فيه بالتعويد ورياضة النفس . وقديماً قالوا فى الحكم والأمثال « الحلم بالتحلم، والكرم بالتكرم»

فلم يبق إذن شك فى ذلك وليس فيه ما يدعو إلى البحث والتنقيب إنما الذى يدعو إلى البحث والتنقيب هو :

أولا — معرفة تلك الأخلاق الكريمة التى يجب أن يتصف بها الانسان فى حياته

ثانياً — طرق غرس تلك الأخلاق وتعهدها وما فعلت المدرسة المصرية فى هذا السبيل وما لم تفعل

ثالثاً — معرفة ما يتصف به شباننا فى الوقت الحاضر من صفات لا تناسب نهضتنا ولا تتفق مع ماضينا وقوميتنا بما يقعد بهم عن الاقدام على الأعمال الحرة فيؤثر تأثيراً سيئاً فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ويؤدى إلى عرقلة سير النهضة القومية . وأخيراً بحث الطرق العملية المؤدية إلى استئصال ذلك

الأخلاق المطلوبة

مما لا شك فيه أن الأخلاق القويمة التى نصت عليها الشرائع السماوية كالصدق والأمانة والجد والاستقامة والصبر وفعل الخير وإحقاق الحق والعدل والمساواة فى حرية الرأى والشورى ... الخ هى الأسس التى يجب أن يعنى بها كل مصلح، والتى يجب أن يبثها فى ولده كل والد ، وفى تلاميذه كل مدرس . على أن هناك أموراً

خلقية أخرى قد تؤدى إليها المحافظة على الأمور السابقة وتعودها كما يلزمنا المجتمع الحاضر وأحوال المدنية الحاضرة وأساليب الحياة الحالية بالعمل على خلقها في نفوس أبنائنا فرادى وجماعات حتى يتمكنوا من الخوض فى معترك الحياة والنهوض بهذه الأمة نهضة حقيقية فعالة ويرفعوا رأس بلادهم ويثبتوا أقدامها بين الأمم الراقية .

هناك تكوين الشخصية القوية، وهذا يستلزم تقوية إرادة الفرد بمختلف الوسائل وتنظيم حياته وتوجيه نشاطه ، وتوزيع العمل واللهو على أوقاته ، ويستلزم تعويد الفرد على أن يكون ذا رأى مستقل يدافع عنه فى صراحة وجرأة وقوة ، ويستلزم أن يكون الفرد ذا جاذبية خاصة أساسها حسن المعاشرة والمجاملة وعمل الخير مما يحبب فيه معاشريه ، ويجذب إليه كل من يحتك به ويعامله ، ويستلزم أن يتعود تحكيم عقله فى ميوله وأهوائه ، فكلما استطاع الانسان كبح جماح شهواته والتغلب على أهوائه وميوله ، ارتفع بنفسه فى عالم الفكر وسما بروحه سمواً يجعله قوى الشخصية مؤثراً فى غيره تأثير المغناطيس فى الحديد

وهناك غرس فكرة النظام واحترام القانون فى نفوس الناشئين منذ نعومة أظفارهم حتى يعتاد الفرد ذلك من صغره من غير أن يحتاج إلى رقيب يحاسبه ويتتبعه أو إلى دافع خارجى غير نفسانى يدفعه ، ويستلزم ذلك تربية الضمير وتقويته حتى يكون كل إنسان رقيباً على نفسه يحاسبها دائماً على كل صغيرة وكبيرة . حدثنى صديق اعتاد أن يسمر بعض الليالى عند أحد الوزراء السابقين الذين تلقوا علومهم العالية في بلاد الانجليز : أن ذلك الوزير قص عليه قصة صغيرة وقعت له فى تلك البلاد فى أحد أيام الصيف ، وكان قد سافر إليها للنزهة والترويض . وتتلخص تلك القصة فى أن أحد أصدقائه الانجليز دعاه يوماً للصيد فخرج معه إلى مكان ناء بعيد عن أعين الناس ، ثم دعتهما ظروف الصيد إلى الافتراق فافترقا كل يطلب صيده ، فلما وجد المصرى نفسه وحيداً وقد هجمت عليه جموع من الطير التى يعلم أن القانون يحرم صيدها لم يتردد فى إعمال بندقيته وخرطوشه فيها حتى صاد منها كمية كبيرة معتقداً أنه فاز برزق عظيم وأنه سيسر صديقه به . ثم ما لبث أن التقى الصديقان ، فكانت دهشة الانجليزى عظيمة لما رآه يحمل الطير المحرم صيده ، وأخذ يلومه على ارتكابه مخالفة قانونية ، فأجابه السيد المصرى بأن الفرصة كانت سانحة لذلك وأنه لم يره أحد ، فما كان جواب صديقه إلا أن قال له : ولكنك يجب أن تكون أميناً على تنفيذ القانون فى كل مكان وزمان سواء أكنت وحيداً أو معك غيرك ، ثم أعطاه درساً عملياً فى احترام القانون ، فذهب به إلى أقرب مخفر للشرطة فسلم الطيور كلها هناك ودفع عنه فى الحال الغرامة التى يجب دفعها نظير ارتكاب تلك المخالفة

هذا درس عملى عظيم إذا توخت مثله المدرسة فى تربية أبنائها على احترام القانون والنظام العام أنتج أحسن الثمرات ، وجاد بأطيب الخيرات والبركات. ثم لماذا نذهب بعيداً وعندنا من أمثال ذلك فى صدر الاسلام الشىء الكثير ؛ فلقد خرج عمر ابن الخطاب ذات ليلة يتفقد أحوال رعيته ، فلما تعب اتكأ على جدار فى جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها : يا بنتاه قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء . فقالت : يا أماه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟ فقد أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء . فقالت : قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فانك بموضع لا يراه عمر ولا منادى عمر . فقالت الابنة : والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء . كل ذلك وعمر يسمع تلك المحاورة فقال لمولاه أسلم : « علم الباب واعرف الموضع » . ثم مضى ؛ فلما أصبح الصباح قال : « يا أسلم ، إمض إلي الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها ؟ وهل لهما من بعل ؟ » . فذهب ورجع فأخبر عمر ؛ فدعا ولده وقال : « هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه . ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد ؟ » . فقال له عاصم : « أنا يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى » . فزوجها من عاصم فولدت له بنتاً وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وهو ذلك الخليفة الذى يضرب به المثل فى الورع والتقى والزهد وإحقاق الحق وإقامة العدل

عبد الحميد فهمى مطر

العقيـــدة الشعرية

للأستاذ أحمد خاكى

يفرّق النفسيون فى العصر الحديث بين الايمان العلمى والايمان الشعري . أما الايمان العلمى فهو الذي يقوم على قواعد المنطق من فرض واستنباط واستقراء، ومن إثبات القضايا أو نفيها. إنه هو الايمان الذى يقوم على الواقع قبل كل شيء ، فهو يصدر عن الأشياء التى تقع فى الحس ، وهو الايمان الذى قام على تثبيته أمثال بيكون ، وديكارت وهو الذى أقام العلم والفلسفة بما واتى حياتنا المادية من تقدم . أما الايمان الشعرى فيختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فهو يقوم على جملة من الآثار النفسية تثبت فى نفس الفرد عن طريق العادة أو التخيل أو التصوّر ؛ فهو لا يرتكز على حقيقة محسوسة ملحوظة ، بل هو فيض خيالى مما تصوره الغريزة أو الرغبة أو الفطرة . وهو بعد ذلك ضرب من اللعب إذا أحسن التعبير عنه كان فناً له خطره

الايمان العلمى هو الذى يدفعنا إلى درس النجوم وعلاقات بعضها ببعض ؛ ولكن الايمان الشعري هو الذى يحبب إلينا النظر إلى تلك النجوم . الأول نتيجة لدراسة منطقية خارجة عن نفس الانسان ، أما الثانى فهو نتيجة لآثار العوامل الخارجية فى نفس الانسان . الأول يعدنا بالقيم العلمية التى تكاد تثبت فى كل زمان ومكان ، والثانى بالقيم الأدبية أو الجمالية التى يختلف تقديرها باختلاف المقدّر والزمان والمكان

ولقد ازدهرت نظرية اللاشعور أو العقل الباطن في هذا القرن حتى أظهرت لنا نوعاً من العقائد الأدبية يعتنقها الشعراء فى قرارة أنفسهم دون أن يحسوا بوجودها . وأظهرت لنا كذلك أن الشاعر أو الأديب أو المتفنّن قد يكون صاحب عقيدتين فى وقت معاً : أولاهما علمية تتصل بحقائق الحياة، والثانية شعرية تتصل بالخيال . وكان لهذه الفكرة خطر في النقد الحديث ، لأنها قلبت أوضاع النقد، وثارت بالتقدير العلمى القديم، ونبهت النقدة إلى أن يتدسسوا فى أطواء الشاعر حتى يروا معانيه التى كتبها بوحى من عقله الباطن دون أن يكون عليها سلطان من عقله الواعى. وحسبنا من كل ذلك أن نثبت أن الأدب يقوم على هذه العقائد الشعرية، وأن أكمل الشعر هو الذى يصادف مثل هذه العقيـدة الشعرية عند سامعيه أو قارئيه

ويولد الايمان الشعرى مع خيال الطفولة ، وهو كذلك يميز عقلية الهمج . ذلك بأنه يتصل بغرائز الفطرة الأولى : بالخوف والحب والعداوة والجنس . فاذا تقدمت البيئة الأدبية إلى مرتبة عليا من مراتب المدنية استملى المتفننون بذلك الايمان الشعرى فتناولوه تمثيلا فى النحت والتصوير والموسيقى والشعر وأطلق عليه الناس بعد ذلك اسم الفن . وهو لذلك يميز الانسان فى أحط درجاته، ويميزه كذلك فى عصور الفن الزاهرة. فالانسان الأول كان يقيم عفريتاً يعبده ليرضى خياله المفزوع ، والانسان المتمدن ما يزال إلى اليوم يصوغ امرأة من الذهب والعاج ليرضى رغبته الملحة . والعفريت والمرأة كلاهما نتيجة لذلك الايمان الشعرى الذى ينكر الواقع ويمنو للخيال . كلاهما يتفجر من نفس المعين، ولو أن هذا قد هذب وذاك ما يزال فى حاجة إلى التهذيب . وكلاهما نتيجة غريزة من الغرائز : الأول نتيجة الخوف ، والثانى نتيجة الحب الجنسى .

***

وقد ذهب النقدة لذلك إلى أن الشعر ليس من شأنه حقائق الأشياء ، وأن الحدود بين العلم والشعر ينبغى أن تكون ظاهرة لايعتدى أحدهما على الآخر. وليس عند هؤلاء شعراً ما يعالج قضايا منطقية، بل ليس شعراً ما يعرض لنواحى الخلق العام . فان آفاق الشعر لا تمتد إلى حيث ينبغى أن يبدأ النثر . بل لقد أمعن الناقد الانجليزى Richards فى ذلك حتى قال إن الكذب آية من آيات الشعر (1) فالشعر من الوجهة النفسية يرتكن على الخيال لا على الواقع ، والعقيدة الشعرية هى الحالة النفسية المثلى لعمل الشعر ، وهى كذلك الحالة النفسية لاستيعابه .

وإذا نحن حاولنا أن نطبق تلك المعايير النفسية على الشعر العربى وجدنا أنها تستقيم لحد كبير . والأصل فى التشبيه والمجاز والاستعارة أن تكون خداعاً نفسياً . وليس الشعر شيئاً إلا إذا

(1) ذلك يتفق مع رأى المتأخرين من شعراء العباسيين فقد قالوا : أعذب الشعر أكذبه .

كان تشبيهاً ومجازاً واستعارة. على أن شعراء العرب قد علوا عن تلك المرتبة الأولى من مراتب القصيدة الشعرية، وبعضهم قد تخيل فأنطق الجماد، وبعضهم قد تدله فصور المرأة تصويراً نفسياً دقيقاً.

وإليك بعد ذلك بعض أبيات لابن خفاجة الأندلسي يصف فيها جبلا حتى ترى مي إلي أى حد تنطبق هذه القطعة على الواقع وإلى أى حد تنطبق على الخيال :

وأرعن طماح الذؤابة باذخ ... يطاول أعنان السماء بغارب

يسد مهب الريح عن كل وجهة ... ويزحم ليلاً شهبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كأنه ... طوال الليالى مفكر فى العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم ... لها من وميض البرق حمر ذوائب

أصخت إليه وهو أخرس صامت ... فحدثنى ليل السرى بالعجائب

وقال إلى كم كنت ملجأ قاتل ... وموطن أواه تبتـل تائب

وكم مر بى من مدلج ومؤوب ... وقال بظلى من مطى وراكب

ولاطم من نكب الرياح معاطفى ... وزاحم من خضر البحار غواربى

فما كان إلا أن طوتهم يد الردى ... وطارت بهم ريح النوى والنوائب

فما خفق أيكى غير رجفة أضلع ... ولا نوح ورقى غير صرخة نادب

وما غيض السلوان دمعى وإنما ... نزفت دموعى فى فراق الصواحب

وأحسب أن كل بيت من هـذه الأبيات جدير بالتقدير . وهى جميعاً تكون وحدة جمالية لها أثر كريم فى النفس . على أنها لا تنطبق على الواقع إلا قليلاً . فاذا أنت حاولت أن تتأثر عنصر الحقيقة من هذا الشعر لم تجد من هذا البيت وذاك البيت إلا أنه كان جبلاً عالياً مر كثير من الناس به فى أيامه الخوالى . أما الجبل الذى يسد مهب الريح والذى يعتم عمامة سوداء من النسيم لها ذؤابات حمر من البرق؛ هذا الجبل الذي يسكن فيفكر، ويتحدث فيتفلسف، والذى ترجف ضلوعه من الأسى، وتذرف دموعه من الوجد ؛ ذلك الجبل ما هو إلا خيال سام يصور الواقع لـكنه فوق الواقع ؛ وهو هو الذي نسميه شعراً

وإنمـا تمتاز هذه القطعة من الشعر بالجمال لأن فيها وحدة تسوى بين أجزائها جميعا ، وفيها كذلك علو بالخيال من بيت إلى بيت ، فهى تبدأ بشئ كالواقع لكنها تنتهى بشئ كالخداع .

على أنك تستطيع أن تقدرها إذا كنت فى حالة نفسية خاصة ، حالة نفسية تعترف بإيمان الشعر أو بالخداع أو بالخيال (سمه ماشئت)

لكنك لا تستطيع أن تقدرها إذا أنت وقفت بين البيت وبين البيت تحاول أن تتشكك فى صدق المانى وتحاول أن تنسكر على الجبل أن يتـكلم أو على الغيم أن يكون عمامة أو على الأيك أن يكون ضلوعا

* * *

على أن ذلك الايمان الشعرى يمتلك النفس أكثر ما يمتلكها عند قراءة القصة أو عند مشاهدة الرواية المسرحية أو عند قراءة ملحمة طويلة فى الشعر . فاذا أنت ذهبت إلى المسرح لتشهد « هامات » أو « سان جان داراك » فلست بمدرك ما فى كل ذلك من الجمال إلا إذا وهبت نفسك لتلك العقيدة الشعرية . وربما علمت أن « هامات » لم تحدث فى التاريخ ، وأن بعض وقائعها قد يكون محالا، وأن شبح الملك المقتول الذى يظهر فيها إن هو إلا ابتـكار أتى به الخيال ؛ ربما علمت كل ذلك ولـكن أحسبك لا ترضى — وأنت مأخوذ بسورة الجمال — عن إنسان يحاول أن يقول لك إن هاملت لم تحدث وإنها كلها لغو من عمل الخيال . ذلك بأنك تحاول وأنت تشاهدها أن تمارس ذلك الخيال ممارسة شعرية فيحلو لك أن تنسى عقيدتك العلمية، ويحلو لك أن تؤخذ أنت بالعقيدة الشعرية وأن تخدع لأن ذلك الخداع فى نفسه جميل . وهذا هو الذى يحدث بين جنوبنا حينما نبكى عند رؤية المأساة ، وهو الذى يضحكنا عند مشاهدة المهازل والمباذل على الستار الفضى

يروى عن سيدة أنها كانت تشاهد « عطيل » على المسرح . وحينما مضى الفصل الأول والثانى وجاء دور الوقيعة التى قام بحبكها ياجو تأثرت السيدة تأثرا شديدا لأنها رأت أن ياجو يغرر بعطيل تغريرا . فصاحت بعطيل : « إن هذا اللعون يخدعك أيها الأسود النبي » وفعل مثل ذلك أحد النظارة حينما رأى القوم يأتمرون بيوليوس قيصر، فقد حاول أن يطلع قيصر نفسه على سر المؤامرة. ومثل السيدة والسيد كثير بيننا . بل فى الحق أننا جميعا مثل ذلك لأننا نكون مأخوذين بنوع من أنواع الخداع حينما نشاهد القصة المسرحية

ومثل ذلك يقال عن القصص الأخرى والروايات وعن الملاحم الشعرية الطويلة، فعلى قارئ هؤلاء أن يكون له من الايمان الشعرى ما يطوع له أن يرى نواحى الجمال فيها وما يستطيع به أن ينكر الواقع وأن يحسب الخيال واقعا . وفى الحق أن هذا أظهر ما يميز البيئات الأدبية التى ازدهرت فيها القصص المسرحية والشعروالروايات الأدبية الأخري . والقصيدة الشعرية هي التى تفسر لنا كيف كان الناس يؤمنون أيام شيكسبير بتلك القصص التى صاغها للمسرح مع ما فى أكثرها من خروج عن جادة المنطق السليم . بل نحن لانستطيع أن نفهم رجلا كشيكسبير إلا إذا قدرنا غرام بيئته بالشعر المسرحى وبالقصة المسرحية . ولا يمكننا أن نقدر كل ذلك حتى نزن عقائدهم الشعرية .

وفى الحق أن شيكسبير قد أفلح فى خلق مسرحياته لأن القصيدة الشعرية ملكت نفوس الناس في عهد اليزابث . كان هؤلاء هم الذين يدفعون المال ليشهدوا المسرحيات، وكان هؤلاء عاملا هاما من عوامل الاخفاق أو النجاح . ولقد تميز هذا الجيل فى تاريخ انجلترة بأنه كان يؤمن إيمانا شعريا عميقا بما ياتى عليه حتى لقد كان يتذوق الشعر ويستوعب قصص المسارح . وكذلك يمتاز رواد السينما فى العصر الحاضر بتلك العقيدة الشعرية . والمسرحيات وروايات السينما فى نفسها تقوم على خداع العقل وخداع النظر وخداع السمع، لكن شيئا منها لن يصح فى روع الناظر أو السامع حتى يكون له قدرة على الايمان الشعرى .

احمد خاكى
المدرس بدار العلوم

جورجياس
او البيان
لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٤ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأزكاها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(١)

ط — وإذاً فقد رأيت بالمقارنة يا بولوس أن طريقة مناقضتك لا تشبه طريقتى فى شىء . فأنت تفضل موافقة « الجميع » على موافقتى، وأنا أفضل اقتناعك وحدك وشهادتك وحدها، ولذلك قد عنيت بكلامك وتصويتك ولم أعن بالآخرين ؛ فليبق ذلك إذاً معروفاً فيما بيننا، ولنمض الآن إلى اختبار النقطة الثانية التى كانت موضوع نزاعنا . أترى « العقاب » عند « الاجرام » أفدح الشرور كما ظننتَ ، أم ترى « الفرار من العقاب » هو الأفدح كما ظننتُ أنا ؟ أو فلنمض هكذا : ألست ترى أن كلا من « العقاب بعدل » ، و « لقاء جزاء الخطيئة » واحد ؟

(١) انتهى سقراط فى العدد الماضى من إثبات أن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله . وستراه اليوم محاولا إثبات أن الفرار من العقاب أفدح من التقدم إليه « المعرب »

ب — بلى

ط — والآن هل تستطيع أن تقول إن كل ما هو عادل ليس « بجميل [1] » بقدر ما هو عادل ؟ فكر قبل أن تجيب !

ب — بلى يا سقراط فانى أعتقد أن الأمر كذلك

ط — فلنفحص ذلك أيضاً ، إذا فعل « فاعل » شيئاً ، ألايكون ضرورياً أن يكون هناك «منفعل» يتأثر بفعل «الفاعل» ؟

ب — يلوح ذلك

ط — وذلك الذى يتحمل ما يفعل الفاعل ؛ ألا يجب أن يكون تابعاً له تماماً ؟ ولنأخذ مثلا : إذا طرق أحدهم ؛ ألا يجب أن يكون هناك « شىء » يطرق ؟

ب — بالضرورة

ط — وإذا طرق الطارق بشدة أو بسرعة ، ألا يكون الطرق على المطروق شديداً بالمثل أو سريعاً ؟

ب — بلى

ط — وإذاً فالنتيجة بالنسبة للمطروق كما يريدها الطارق !

ب — نعم

ط — وبالمثل إذا أحرق إنسان ، فيجب أن يكون هنالك « شىء » يحرق !

ب — حتما .

ط — وإذا أحرق الحارق بشدة وسبب ألماً شديداً ، فان المحترق يتأثر كما يريد الحارق ؟

ب — نعم

ط — وإذا قطع إنسان ألا يكون الأمر بالمثل إذ يكون هنالك « مايقطع » ؟

ب — بلى .

ط — وإذا كان القطع واسعاً أو عميقاً أو مؤلماً ، أفلا يقاسى « المقطوع » مايريده القاطع ؟

ب — ذلك واضح

ط — فلتر بالاجمال إذا كنت توافقنى على ماقلته توا فى جميع هذه الحالات : وهو أنه كما يكون فعل المؤثر تكون النتيجة فى المتأثر

ب — إنى أوافق

ط — وإذا كان الأمر كذلك فخبرنى : أتحمل العقاب فعل وإيلام أم انفعال وتألم ؟

ب — إنه بالضرورة « انفعال وتألم » ياسقراط

ط — فهو إذاً « ألم » من ناحية شخص « فاعل » ؟

ب — بلا شك لأنه « ألم » من ناحية من يعاقِب

ط — ولكن ذلك الذى يعاقِب بعقل وحق ، أتراه يعاقب بعدل ؟

ب — نعم

ط — وإذاً فهل تراه يقوم فى عقابه بعمل عادل أم لايقوم ؟

ب — إنه يقوم بعمل عادل !

ط — وذلك الذى يلقى جزاء خطيئة ارتكبها ، ألا تراه يُعامَل معاملة عادلة ؟

ب — ذلك ظاهر

ط — وقد اتفقنا على أن العادل جميل ؟

ب — من غير تناقض

ط — وإذاً فأمامنا رجلان ، أحدهما يفعل فعلا جميلا ، والآخر — وهو المعاقب — يتحمل ذلك الفعل ؟ !

ب — نعم

ط — ولكن إذا كان العمل جميلا فانه يكون حسنا ، لأنه إما أن يكون جميلا أو نافعاً

ب — ذلك محتوم !

ط — وإذاً فذلك الذى يتحمله المعاقَب ويقاسيه شىء حسن

ب — يلوح هذا

ط — وهو يخرج منه على ذلك بنفع ؟ !

ب — نعم

ط — وهل هذا « النفع » هو النفع الذى أتصوره ؟ هل تهذب نفسه إذا عوقب بعدل ؟

ب — ذلك محتمل جدا

ط — وإذاً فذلك الذى يعاقَب يتخلص من رداءة نفسه وشرها

(١) ذلك لأن العدل « ترتيب » ، والترتيب نظام ، والنظام جمال ، بينما الظلم فوضى ، والفوضى قبح ، وإذاً يكون عقاب الظلم ارتدادا إلى النظام والجمال « المعرب »

ب — نعم

ط — أولا تراه يتخلص بذلك من أفدح الشرور ؟ لنختبر السؤال على ذلك النحو ؛ أدلك الذي يريد أن يجمع ثروة كبيرة ، أهناك — فيما تتصور — شر له غير الفقر ؟

ب — ليس من شر له غير هذا :

ط — وفي تركيب الجسم : أليس الضرر في رأيك هو الضعف والمرض والتشويه وكل النقائص التي من ذلك النوع ؟

ب — بلى

ط — أو لا تعتقد أن للنفس هي أيضا نقائصها ؟

ب — بالطبع

ط — أو لا تطلق على هذه النقائص الظلم والجهل والجبن وأسماء أخرى مماثلة ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذن فقد عرفت أن لهذه الأشياء الثلاثة : وهي الثروة والجسم والنفس ، ثلاثة رذائل وشرور ، هي الفقر والمرض والظلم

ب — نعم

ط — والآن أي هذه الرذائل أكثرها « قبحاً » ؟ أليست هي الظلم ، وأعني به رذيلة النفس ؟

ب — من غير جدال

ط — وإذا كانت هذه الرذيلة أكثرها « قبحاً » ، فهي بالأحرى أكثرها « رداءة » ؟

ب — وكيف تقول بذلك يا سقراط ؟

ط — ذاك هو السبب . أليس أقبح الأشياء قبيحا هكذا لأنه يسبب « ألماً » أكثر ، أو « خسراناً » أفدح ، أو هما معاً ؟ ذلك ما قلناه من قبل !

ب — تماماً

ط — أو لم نعرف منذ هنيهة أن أقبح الأشياء هو « الظلم » أو هو بوجه عام « رداءة النفس » ؟

ب — لقد عرفنا ذلك حقاً

ط — أوليس أقبح الأشياء قبيحاً هكذا لأنه أكثرها ألماً وإيلاماً ، أو أكثرها خسراناً ، أو أكثرها جلباً للاثنين معاً ؟

ب — بالضرورة

ط — وإذن فالألم الأكثر في أن نكون ظالمين وشرهين وجبناء وجهلاء ، وليس في أن نكون فقراء ومرضى ؟

ب — يبدو لي أنه كذلك ياسقراط تبعاً لما قلنا .

ط — وإذاً يجب أن تكون « رداءة النفس » أقبح الأشياء ، لأنها تفوقها جميعاً بما تسببه من خسران هائل خارق للمعتاد ، ومن شر مسرف عجيب ، لا من الألم فحسب تبعاً لقولك

ب — ذلك واضح

ط — وذلك الذي يزيد هكذا بالخسران المفرط هو أفدح ما يوجد من الشرور ؟

ب — نعم

ط — وإذاً فالظلم والشره « ورداءة النفس » على العموم ، هي أفدح شرور العالم ؟؟

ب — ذلك ظاهر

ط — والآن ما هو الفن الذي يخلصنا من الفقر ؟ أليس هو الاقتصاد ؟

ب — بلى

ط — ومن المرض ؟ أليس هو الطب ؟

ب — بلى ، من غير نزاع

ط — ومن رداءة النفس وظلمها ؟ إذا كان وضع أسئلتي على ذلك النحو يحيرك فسأجملها هكذا : إلى من نذهب بأولئك الذين هم مرضى الجسوم ؟

ب — إلى الأطباء يا سقراط

ط — وإلى من نذهب بأولئك الذين يتركون نفوسهم فريسة للظلم والشره ؟

ب — أتريد أن تقول إننا نذهب بهم إلى القضاة ؟

ط — أليس كذلك كيما يلقوا جزاءهم ؟

ب — بلى

ط — والآن ألا نعاقب الناس ، عند ما نعاقبهم ، بحق لأنا نطبق « عدلا » خاصا ؟

ب — ذلك واضح

ط — وهكذا يحررنا الاقتصاد يا بولوس من الفقر ، والطب من المرض ، والعدالة من الظلم والشره !

ب — ذلك واضح

« يتبع » محمد حسن ظاظا

من مشاكل التاريخ

طبيعة الفتح الاسلامى (*)

للأستاذ خليل جمعة الطوال

اعتاد المؤرخون الأقدمون ، وجاراهم فى ذلك بعض المحدثين أن يسموا وقائع الفتح الاسلامي «غزواً» ؛ وفاتهم ما تحمل هذه الكلمة فى تضاعيفها من معانى النهب ، والسلب ، والعبث ، والتمثيل ، وما هو فى أحكام هذه الأمور من أنواع الجرائم والشرور التى نهى عنها الاسلام وتجافاها المسلمون فى فتوحهم . ولقد أطلق هؤلاء المؤرخون هذه الكلمة على الفتح الاسلامى سهواً وتساهلا ، وما أحسبهم قصدوا بها هذه المعانى المستنكرة التى تؤدى إليها ؛ فأخذها عنهم المتعصبون على الاسلام ، والكارهون لهذا الدين الحنيف وفسروها بما أملته عليهم منازعهم وأحقادهم ، ثم روجوا لها فى كتاباتهم ، حاسبين أنهم بذلك قد قوضوا أركان الاسلام ، وصدعوا بنيان حضارته ، تلك الحضارة السامية التى ما زالت ولن تزال منارة العدل والانسانية والحرية

وأكثر ما يضحكنا من هذه البدع المضللة ، والحملات الطائشة ، ما جاء فى كتاب تاريخ آسيا لهربرت كوفين إذ يقول : « إن الديانة الاسلامية التى يقدسها مائتان وثلاثون مليوناً من الناس تنطوى على آثام اجتماعية تئن منها الانسانية ، وإنها لم تقم إلا على حب الغزو والنهب ! »

وما هرف به أيضاً العالم الأثرى كارمون جانو إذ يقول : « إن الحضارة الاسلامية ليست إلا فظائع الغزو العربى »

ولئن كان لهؤلاء عذرهم فى جهلهم أساليب اللغة العربية وتجاهلهم حقيقة البلاد العربية وتاريخها ، فما بال القارئ بمن يعيش فى بيئة هذه الأمة ، ويقف على أساليب لغتها ، وبدائع حضارتها ، ثم لا يرى لها بعد ذلك حسنة إلا مسخها سيئة . . . بل سيئة تكاد ألا تكون فى مقدور بشرى مهما كانت درجة انحطاطه فى سلم المدينة ، وحلقة التطور ! وأعني بذلك الرجل المتحامل المتغرض الأب لامنس إذ يقول : « إن العربى أثبت فى فتوحه أنه جبان ضعيف فى الجندية ، لا يفكر فى غير المغانم ، وأن العرب ظهروا كما كانوا على عهد الرسول وسطاً فى القتال ، وعلى استعداد للنهب ، يحجمون أمام الخطر . . .

وأن لا قابلية لهم بشىء من أسباب الحضارة ، بل الفضل لأولئك المتفسخين فى فارس والعراق والشام ومصر وغيرها ، من الأقطار التى افتتحت ، وأن الحروب الصليبية وقائع البسالة ، وكان الصليبيون عجباً بأنظمتهم وترتيباتهم ، وأن اليهود عوملوا فى عهد الحروب الصليبية فى الغرب معاملة حسنة»

عجباً ! أفنتهم بكل هذه الوحشية ويظل فى الدنيا من يذكرنا بخير ويدرس تاريخنا باعجاب ! ويشهد بحضارتنا بفخر وإكبار ؟

وإننا إذ نحاول دحض هذه المفتريات ، وإزالة هذا الكلف من وجه التاريخ ، فلسنا نكيل لها الحق بالصاع الذى كالت لنا به التهم والشتائم ، وإنما نستند فى تفنيدها إلى استفتاء التاريخ ، واستنطاق الحق واستقراء الحوادث ، ثم إلى شهادة من لا تجمعهم بالعرب صلات الرحم وعلائق الدم وأواصر القربى ، ولا أية صلة تدفعهم إلى التحيز

إن الدعوة الصالحة لدين الله هي الأساس الذي ترتكز عليه دعائم التاريخ الاسلامى ، ذلك التاريخ المجيد الذى لم ينصف قط بمنازع الأهواء ، وأغراض العالم

ومن سمع بقوم يخرجون فى سبيل ربهم ، يدعون أعداء الله إلى الله ، فيلق هؤلاء فى طريقهم القتاد .. والأشواك ، ويعفرون وجوههم بالطين والتراب ، ويحرضون عليهم سفهاءهم وصبيانهم ينالونهم بمختلف أنواع المهانات والموبقات ؛ فيهجرون أوطانهم وأملاكهم وأغنامهم ، وإبلهم ، ليشتروا بها نفوسهم! ثم يبيعون نفوسهم الموت ليشتروا بها وجه ربهم؟ من سمع بقوم تكون هذه حالهم وتظل نفوسهم مع ذلك متعلقة بأعراض الدنيا الزائلة ، بمباهج الحياة الفانية ... ؟

إن الغزو — وما فى معناه — لا يكون إلا بين القبائل المتباعدة ، والعشائر المتعادية ، فيغزو بعضها بعضاً ، طلباً لأخذ ثأر ، وأملاً بكسب غنيمة ، والكل يعلم حق العلم أن المسلمين

(*) صورة من كتابنا « تحت راية الاسلام » المائل للطبع

لم يناهضهم بادئ بدء إلا أهلهم الأقربون ، ومنهم لحمهم ودمهم ، وعشيرتهم القرشية ، وفيها عصبيتهم وفخرهم . ولسنا نعلم قط أن قبيلة كانت إلباً على غيرها فانقلبت فجأة وصارت حرباً على نفر من أفرادها ، طمعاً فى مغنم ... ! أو حبًّا فى أخذ ثأر ... !

وأى ثأر يكون لكل من على ، وأبى بكر ، وابن الخطاب ، ومن إليهم من المهاجرين عند إخوانهم القرشيين فينضموا إلى جانب محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو من علمت بضعف بطانته وقلة عدته وعتاده للأخذ به ... ؟

ألأجل غنيمة يهجر الانسان بيته ووطنه وماشيته وثروته ، ليكافح أهله ، ويناوئ عشيرته ... ؟ كلا ... ! ثم كلا . لقد خرج هؤلاء على أهلهم من أجل دعوة سامية ، وما قاتلوا وجاهدوا إلا في سبيل الذب عنها « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »

أرأيت كيف أن الاسلام لا يبيح الاعتداء مطلقاً ، ولا يوجب القتال فى سبيل الله إلا دفاعاً ... ؟ !

لقد هاجر المسلمون عن بلادهم إلى يثرب هرباً بعقيدتهم السامية من أن يئدها الشرك ، وهى لما تؤد للعالم رسالة الحق والتوحيد . وهناك فى يثرب تعاود النفوس عنجهية القبيلة ، وشنشنة الجاهلية ؛ ويكاد الشر أن يستفحل بين المهاجرين والأنصار ، لولم يتدارك النبي (ص) الموقف فيقف فيهم منادياً : «يا معشر المسلمين : الله الله . اتقوا الله. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الاسلام ، وقطع به عنكم أمور الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم »

أرأيت نبل هذا الخطاب وسموه ؟ لم يقل أيها المهاجرون ! ولا أيها الأنصار ... ! فليس فى الدين قبائل ولا عشائر ، وإنما الجميع إخوة ، ففيم إذاً نخوة الجاهلية ، وحزازات الصدور ، وشنشنة النفوس ... ؟ وفيم القتال فى غير سبيل الله ؟

ولقد اقترح بعض الصحابة على النبى بعد ما استقروا في المدينة أن يأذنوا قريشاً بالحرب ، ويقاتلوها ويجزوها شراً بشر فيشفوا صدورهم مما تجد عليها ، فدعاهم النبي إلي السكينة ، وقال لهم : « لم يؤذن لى بالقتال بعد »

فأى إنسان بشرى تناله قريش بمثل ما نالت به النبي (ص) ويكون فى بطانة قوية أطوع له من بنانه ، ثم تعرض عليه أخذ الثأر له فيدعوها إلى الهدوء والسكينة ، لأنه لا يقاتل طلباً لثأر ، ولا شفاء لغيظ ، بل استجابة لأمر ربه ، وهو لم يأمره بالقتال بعد

وظن بعض الجاهلين أن النبى إنما استمال اليثربيين بما توعدهم به من المغانم المادية ، والاسلاب العظيمة ، وهم في ظنهم هذا أبعد ما يكونون عن الحق . وحاشا للنبى أن يشحن النفوس بمثل هذه الأمانى الباطلة الفانية « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » وإنما أغراهم بشيء أسمى من المغانم ، وأسمى من الذهب والفضة ؛ وذلك العلق النفيس الذى تشوفت إليه النفوس كان ... الجنة ...

ألا فانظر إلى هذا الموقف السامى الذى وقفه الرسول (ص) فى صفوف اليثربيين عند ما حاول أخذ بيعتهم ، وقف صلى الله عليه وسلم وقال :

— أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

فمد البراء بن معرور يده ، وكان سيد قومه وكبيرهم ، وقال: بايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة : ، ورثناها كابراً عن كابر .

وهم القوم بالبيعة فاعترضهم العباس بن عبادة قائلاً : « يامعشر الخزرج ! أتعلمون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس . فان كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأخذ أشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن فدعوه فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة . وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة »

فأجاب القوم : إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا يارسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟ . .

وكان المنتظر أن يمنيهم بخير الدنيا وجاهها ، وكان المنتظر أن يمنيهم بما تمنى به القادة والساسة المتحمسين إذ يسوقونهم إلى ساحات القتال ، ويعدونهم بشتى الوظائف والأموال ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، بل سكت هنيهة ، ثم رد عليهم مطمئناً وقال :

الجنة ... !

لقد كان الفتح الاسلامي فتحاً دينياً مبيناً لا شائبة فيه للأهواء المادية، وكانت تسيره عاطفة روحية سامية تمقت الغزو والنهب والسلب. وليس أدل على ذلك من هذه الكلمة السامية التي ترويها لنا كتب السيرة عن النبي (ص) حين كان يطوف بقومه في بدر ويقول: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة ...». فقال عمير بن الحمام وبيده تمرات يأكلها: بخ بخ، ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء! ... ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل

ولقد كتب الله للمسلمين في هذه المعركة النصر على المشركين وأسروا منهم سبعين أسيراً، وكان منطق الغزو يقضي أن يفتك بهم، بل كان منطق الحرب ... يقضي أن يفصل بهم ذلك أيضاً لا سيما وقد ناله منهم قبلا الذل والمهانة، ولكن الاسلام لا يقر أخذ الثأر، ويأبى على المسلمين أن يقاتلوا لهوى وحقد في نفوسهم؛ ولهذا فقد قبلوا منهم فدية قانونية عادلة (لاتتجاوز مقدور أضعفهم) بل إن فيهم من أطلق سراحه بتعليم عشرة من أطفال المدينة القراءة والكتابة، وهذه الفدية الجديدة تنافي ما أشيع من عداء الاسلام للعلم وحثه على الغزو

وكان من أسرى بدر سهيل بن عمرو، وكان سهيل قد شنع بخطبه على الرسول، فقال له عمر بن الخطاب: دعني أنزع ثنيتي عمرو فيدلع لسانه، فلايقوم عليك خطيباً في موطن أبدا

وكان ذلك أقل ما يجب أن يفعله الرسول (ص) برجل شنع عليه بخطبه، وهو لو فعله لما تجاوز العدل قط، ولكن الرسول (ص) تنزه عن الحسد، والحقد، وتطهر قلبه بالاسلام من جميع أهواء النفوس في الجاهلية، فما كان منه إلا أن قال: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً»

ياله من إيمان سام! يعلو بالنفس عن أحقاد الدنيا، ويجعلها على اتصال بخالقها، فلا تتدلى لحضيض الأهواء البشرية الفاسدة

فقد أدب الله نبيه فأحسن تأديبه، وليس من الأدب قط أن يمثل الانسان بأخيه ولو كان نبياً! ... ولهذا أبى الرسول أن يمثل بسهيل بن عمرو، بل رده إلى قومه عزيزاً مكرماً، ليعلم البشرية بذلك درساً سامياً كاد جهلها به أن يرديها في هوة الشقاء.

ولسنا نتبين جلال هذا الموقف، وسمو هذا العفو، إلا بمقارنتهما بتمثيل قريش وغدرها .. فمن ذلك ما حدث لقتلى المسلمين في واقعة أحد «فقد طافت هند بن عتبة والنسوة اللاتي جئن الميدان معها، تجدع آذان القتلى وأنوفهم؛ ولما وصلت إلى حمزة بن عبد المطلب بقرت بطنه وأخرجت كبده فلا كتها فلم تسغها فلفظتها واتخذن من آذانهم وأنوفهم قلائد عدن بها إلى مكة»

وانظر إلى هذه الحادثة التي يتمثل فيها اللؤم والغدر بأجلى مظاهرهما، والتي قابل بها المشركون القرشيون إخوانهم المسلمين بعد أن عفوا عن أسراهم، وكان في قدرتهم أن يمثلوا بهم، ويجزوا أعناقهم عن أجسادهم؛ فقد طلب أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري من النبي (ص) بعثاً يبشر قومه في نجد، وكان النبي يعرف غدر قريش والمشركين، وكان يقدر سوء مصير هذا البعث الذي سيبعثه إليهم، ولكن عامر بن مالك ما زال به حتى حمله على إيفاد هذا البعث، فلقيهم عامر بن الطفيل عند بئر المعونة ففتك بهم جميعاً دون أن يبدؤوه بحرب أو عداء، وهكذا قضوا في سبيل الله يحملون إليه أرواحهم الطاهرة على أكفهم البريئة وكانوا (٧٥) شهيداً، فتأمل! ...

ولقد كانت هذه الحادثة، وما تجلى فيها من ضروب التفظيع كافية لأن تستفز النفوس النافية، والأحقاد الجاهلية والحزازات الذميمة، ليأخذ المسلمون بثأرهم، ولكن هيهات! هيهات! فعصر الثأر قد مضى وانقضى، وليس لهم إلا أن يصبروا على هذا الكيد والبلاء

وفي غزوة دومة الجندل دعا النبي عبد الرحمن بن عوف وسلمه اللواء وقال له: «خذ يا ابن عوف، سيروا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم»

فمن هذه الوصية الخالدة، وما فيها من أسمى المبادئ الانسانية تتبينون حقيقة الاسلام وقاعدة جهاده ضد من كفروا بالله وناوؤا رسوله، وأذلوا المؤمنين ...

«البقية في العدد القادم»

خليل جمعة الطوال

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة الآنسة (ويلا فيلد)

للأستاذ أحمد فتحي

لقد ظلت أول قصة كتبتها حتى اليوم بغير أن تنشر، ومن ودي أن تبقى كذلك أبد الدهر دون أن تخرج للناس

ولقد كتبتها أيام كانت أحلام مثيلاتي من الطالبات منحصرة في أن يتم للواحدة مرح الشابة «الأيرلندية» العابثة!. ومن المحقق أنني كنت متأثرة في قصتي الأولى بهذه الروح. وإني لأذكر عنها القليل جداً، ومن ذلك القليل أن البطلة كانت تسمى «بليس» وأنني جعلتها تموت وهي غضة السن: أعني لم تمدُ السبعين! بينما كنت أنا بين الثانية عشرة والرابعة عشرة. ولم يكن الحب — في تلك الأيام — ليخطر على بال إنسان لم يودع عشرين ربيعاً من عمره

على أن كثيراً من المشاهد التي كنت قد بنيت عليها هيكل تلك القصة ظل عالقاً بذهني مدى عشر سنوات كاملة، تقمص بعدها إهاب قصتي الأولى الجدّية «زيللا»

***

وربما كان من الخير أن أشير هنا إلى أن قصتي الأولى «زيللا» لم تكن أكثر من دراسة «سيكلوجية» لفتاة بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة، كان عليها أن تعاني اضطراب وراثة مختلطة تضطرب بين انجليزية وفرنسية

وحينما فكرت في أمرها أول الأمر وأنا في غرفة دراستي، كنت أوثر أن تكون لها نفس صافية، بينما تفتقر إلى الخلق الشخصي القويم، حتى أنها تخدع نفسها بنفسها، وينتهي بها الحال إلى أن تعود غير خليقة أن تؤتمن على أية حقيقة على وجه الإطلاق

ولم تكن القصة التحليلية — حينذاك — قد عرفت سبيلها إلى الذيوع؛ ولاسيما في الأوساط المدرسية؛ وبذلك كان اختياري الطبيعي لهذا الطراز محددا للمنهاج الذي التزمته ودرجت عليه في مستقبل أيامي

ولقد علمت، عامدة أو غير عامدة، أن البطلة الأنموذج فيما كان تتاح لي قراءته من القصص، لم تكن تعنى كثيراً بمطابقة الحقيقة ومحاكاتها. حتى أن تلك القصة العظيمة التي كتبتها «ماري كولنديلي» باسم «الطمام الأحمر» والتي ضمنتها كثيراً من أروع الشخصيات، لم تخل من هفوة أوشبه هفوة، في تصوير بطلتها «راشيل» فتاة خيرة راجحة العقل. فان المؤلفة لم تشأ أن تبرز بطلة قصتها في الصورة السمجة التي لا بد أن تكون عليها في الحياة الواقعة؛ وهذا سر ضعفها. بل لقد بلغ إبرازها بهذا الوصف الخير من الثقل حد الطغيان على باقي شخصيات هذه القصة التي اختلط فيها الخير والشر مثل اختلاطهما في أفراد الجنس البشري بغير استثناء!

ولقد أوليتُ هذه القصة «الطمام الأحمر» عناية فائقة، لأنها كانت أول قصة عصرية حيوية أذكر أنني قرأتها بعين النقد وأعدت قراءتها مرات ومرات، كما أصنع دائماً بالكتب التي أفضلها، وبذلك استطعت أن أحللها بكل دقة، في حدود طاقة طفلة في مثل سني حينذاك

ولقد وضح لي منذ ذلك الحين أن رغبات الناس وتأثراتهم حيال الظروف المختلفة أمر ليس من السهل أن يُقرأ، أو يُكتبَ عنه، وأن تنزيه المؤلف لبطل قصته عن الأخطاء، من أشنع الأخطاء! وكذلك أُعجبت ببطلة قصتي «زيللا» من التعرض لمثل هذه المؤاخذة. والحقيقة أنه كان يروق لي أن أبرز نقائصها أكثر مما كان يروقني إبراز ما فيها من فضائل، فلم أكن أرغب مطلقاً أن أسمو بها عن المزالق الطبيعية التي يتورط فيها نظائرها من الشباب!

وبعد بضع سنين، حين كانت القصة بين يدي الناشر، كاشفته برغبتي في تغيير اسمها باسم آخر رمزي هو «الحرباء» ولكنه ردّني عن هذه الرغبة في رفق، زاعماً أن من القسوة على

البطلة أن أشبِّهها بهذا الحيوان البارد المتلوِّن !

على أنه قد يوجعنى أن أضيف إلى ما تقدم أننى حين كتبت « زيللا » لأول مرة ؛ وقبل أن أبدل فيها كثيراً أو قليلا ؛ كنت قد ختمت فصولها بمأساة فاجعة . وكذلك كانت تُختَتَم غالبية القصص التى قدر لى أن أقرأها إلى ذلك العهد . وعلى أى حال فقد كنت فى سنّ لا يتورع فيها الانسان من أن يبتسم للفواجع ! وإنما كنتُ فى الواقع أفوق من عاصرونى بجمل الفكرة فى قصة « زيللا » تمهّد لتصوير البطلة فى موقف مفاجأة عنيفة يتلخص فى اقتحامها بيتاً وهو يحترق ، كى تنقذ طفلا ؛ فاذا بها تجد نفسها طعمة للنيران فتحترق وتموت !

وأظن أنى شعرت فى غموض بأن وجود هـذا الطفل فى ذلك البيت المحترق ، يعلل اقتحام الفتاة النيران بدافع غير ميء ! حتى ولو لم يكن الدافع لهـا على ذلك هو روح بطولة ، وأؤكد أننى لم أتصرف تصرفاً كهذا فى حياتى ، مهما كان الدافع إليه مما يجعله — فى نظرى — على درجة عظمى من البطولة الحق ! !

على أننى قرأت بعد ذلك بأمد ، كتاباً للمستر « روبرت هيوبنس » اسمه « الجبان » انتهى أمر بطله إلى نفس تلك النهاية ذاتها ، غير أن الصورة النفسية فيه كانت أقلّ رداءةً ! كما أنى قبل أن أضع لختام قصتى فكرة احتراق البيت ، كنت أنوى أن أختتمها بانتحار البطلة ! وكانت خاتمة كهذه خليقة بإنجاح القصة فى نظرى !

* * *

وبعد أن لبثت هذه الخواطر الفجّة المتداعية متأرجحة فى ذهنى ست سنين أو سبعاً ؛ نتج منها آخر الأمر شىء له هيكل « القصة » ... على أن عملى لم يكن ليتجاوز تصوير بعض الشخصيات التى خالطتها وخبرتها من كثب وتأثرت بها فى مدارس الرهبنة

وإنى لأذكر جيداً أننى لم أنفق أكثر من سنة شهور أوسبعة فى تسجيل فصول هذه القصة تسجيلا نهائياً . على أنى لم أكن أكتب إلا فى أوقات فراغى ؛ وقد أخذت أوقات الفراغ هذه فى التضاؤل بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، واستؤنفت الأعمال بهمة ونشاط

على أن فصول القصة لم تُكتَب تباعاً ، وإنما كنت أشرع فى الكتابة حالما أحس الرغبة فى ذلك ، فأثبت الحلقات الضرورية ، بحيث أصل بين الصفحات كلما بدا لى أنها قد انفصل بعضها عن بعض . وهذه الطريقة — إذا جازت تسميتها كذلك — كانت كل ما فى وسعى ، لأنه لم تكن لدى أية فكرة إنشائية عن فن القصة ، بل لم يكن وجود مثل هذه الفكرة ليخطر ببالي . وإنى لأتصور أن قليلا من قصص الناشئة قد كتب بمثل ما كتبت به حرارة العاطفة . ولقد استمرأت الكتابة بسرعة وبقلة اكتراث ؛ وكان مضحكا أن أقرأ الفصول الطوال على أصدقائى فى صوت مرتفع ؛ وكان من هؤلاء الأصدقاء واحدة فقط تتنبأ لقصتى بصلاحيتها للنشر ، وربما لم يكن بين الباقين من آمن بصحة نبوءتها !

وفرغت من الكتابة فى « إيستر » عام ١٩١٦ حين كنت معتزمة الرحيل ، وقد كنت أؤمل أن أنتهى من أمرها قبل رحيلي ، وإنى لأذكر جيداً كيف كتبت بعض الصفحات الأخيرة وأنا جاثية إلى منضدة ، بسبب عـدم وجود مقاعد ساعتذاك فى بيت الغرباء الذى كنت فيه ، وما كدت أنتهى من الكتابة على هذا النحو حتى هرعت فلحقت القطار

* * *

وإنى الآن لأستدعي ذكريات صفحات هذه القصة بعد فراغي من كتابتها بقليل ، وكيف كنت لا أظن كلمة واحدة منها تحتمل الحذف ، فضلاً عن جريان القلم الأحمر على نصف صفحة كاملة مثلاً . وكذلك كنت شديدة الاعتداد بهذا العمل الأدبى الذى كتبته بأقصى سرعة تسمح بها حركة القلم على الورق ، حتى أننى كنت شديدة الاعتقاد بأن قصتى فوق التنقيح وفوق التصحيح

على أنى لا أزال حتى اليوم ، وبعد احتراف الكتابة عشرين عاماً ونيفاً ، كما كنت وثيقة الايمان بأن إعداد الفصول للنشر إعداداً نهائياً هو أصعب مراحل الانتاج الأدبى على وجه الاطلاق

ومن الخير أن اسمى المستعار الذى ظهرت به أعمالى الأولى كان من اقتراح شقيقتى ولكنه لم يكن من ابتداعها، إذ كان اختراع قصصى معاصر شهير، ولكننى وقفت إلى توقيع حرفى حسن هو « ا . م » ولم أكن أقصد به أن يخطىء الناس فيظنونى رجلا ولكننى استعملته متابعة لكاتب معاصر كنت ولا أزال أقدمه على سواه.

ونصحت لى إحدى الصديقات بالبحث عن ناشر؛ ولم تلبث هي أن قدمت قصتى إلى « وبليام هاينمان » فوافق على نشرها على الفور. ولا أزال أحتفظ بذلك الخطاب الرقيق الذي بعث به إلى حينذاك.

ولم يكن لأمي علم بأننى وضعت كتاباً . ولقد كان عندها واحد من الأقرباء لا يفقه الأدب حين بلغتها برقية مني بأن كتابي قد وافق عليه الناشر! وبعد ساعة واحدة، وصلتها برقية أخرى علق عليها ذلك القريب الجاهل بقوله لأمي « لعلها تخبرك أن الأكاديمية الملوكية قد قبلت إحدي لوحاتها الزيتية » ؟!

وعلى أي حال، فقد كان اسم «زيللا» من وضع مكتب الناشر « هاينمان » وربما كان على التحقيق من وضع المستر «ف. تومسون» الذى كان يقرأ له كل ما يراد نشره!

وظهر الكتاب فى مارس ١٩١٧ . وصادف ظهوره نجاحاً فائقاً كباكورة أعمالى القصصية . وقد ظل الناشر نفسه يجهل اسمى الحقيقى حيناً طويلا بعد ذلك

ومما هو جدير بالاشارة أن المستر « هاينمان » قد تفضل — بعد ظهور الكتاب — فدعاني إلى الغداء، حيث قدمنى إلى ثلاثة من مشاهير الأدباء المعاصرين، وهذا ما لم يكن يطمع فى مثله ولا بعضه أى قصاص مبتدئ ! ولكننى كنت صغيرة السن جداً كما كنت قليلة الخبرة بأمور الحياة الأدبية، فلم أومن بهذا الفضل! بل إن غداء المستر « هاينمان » قد ظل أول وآخر عهدى بالمجتمعات الأدبية إلى الآن!

***

وكلما أعدت قراءة قصتي الأولى « زيللا » بعد الطبع، استرعت نظري فيها جدة خاصة، أظنها الطابع المميز لمعظم الأعمال القصصية الأولى، كما تسترعى انتباهي أيضاً طريقة كتابتها التى أصبحت بها بعيدة العهد. والواقع أنها لم تكن قصة بالمعنى الصحيح بقدر ما كانت تسجيلاً تعقُّبياً لما تميزت به البطلة من ضعف طبيعى جر على حياتها أسوأ العواقب. على أنى أعتقد بأن استمراض شخصياتها لم يكن رديئاً . وكما أسلفت، أرى أن ضعف هذه القصة ينحصر فى طريقة بنائها، وفى انعدام العقدة الفنية فيها، بحيث أنها كان من الجائز أن تختتم فى منتصف فصولها، دون الاستطراد إلى مئات من الصفحات الأخرى.

ولكن . . . بعد أن تم كل شيء أحسست بشعور دافق من الارتياح يغمرني . ولست أنسى أبداً تلك اللحظة السعيدة التى تسلمت فيها النسخ الخمس الأولى من قصتى هدية من الناشر . . . ! !

المترجم
أحمد فتحى

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنــــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ٢٦ —

وتعجب ما كايلان وتعجب الناس معه من هذا المحامى الذى يدلى برأى في الخطط الحربية كأنه من أصحاب الحرب وممن لهم بفنونها خبرة ؛ وما عرف عنه أنه شهد حرباً من قبل ، اللهم خلا تلك المعركة الضئيلة التى اشترك فيها وهو فى صدر شبابه متطوعاً ضد الصقر الأسود ...

ولكن الذين يؤمنون بسر العبقرية لم يروا فى الأمر عجباً ؛ وكذلك كان الذين تربطهم بالرئيس صلة من كثب ، والذين رأوا رجاحة عقله وسلامة منطقه وقوة لقانته . ومن ذا الذى يقول إن الكتب هى التى أوحت إلى نوابغ العالم فى شتى مناحى الحياة ما أتوا به من المعجزات ... ؟ إنما يسير هؤلاء على نهج من فطرتهم وعلى هدى من نور عبقريتهم ...

وهل التوت الأمور على ذلك الرجل فى السياسة ولم تكن له بأسبابها من قبل صلة ؟ أو لم يحمل الذين أشفقوا أول الأمر من رياسته على محبته ثم على الاعجاب به ؟ وإذا كان هذا هو شأنه فى السياسة ولم يتعلمها فلم لا يكون كذلك فى أمور الحرب وهو قد استهان بالمعلمين الاخصائيين فى تعرف مداخلها بادئ الرأى ؟

أخذت الأزمة تشتد فى الميادين ، وذلك بتوالى الهزائم على أهل الشمال إذ كان هؤلاء ينقصهم القادة القادرون ، ولولا أن كان لهم لنكولن فى كرسى الرياسة يومئذ لحاق بهم الفناء ؛ والذين يتتبعون أدوار الحرب يشهدون أن النصر فى النهاية كان مرده إلى شخص الرئيس فلقد كان وحده جيشا مغالبا ، وكان وهو رجل الأمة وحده أمة فى رجل ...

وكان القواد فى الميادين يبذلون ما فى وسعهم لا يألون جهدا للوصول إلى النصر ، ولقد كان لبعضهم خطوات موفقة فى هذا السبيل ونذكر من هؤلاء جرانت الذى سوف يعظم شأنه حتى يصبح رجل هذه الحرب

أما ماكليلان فقد ظل على حاله يدرب جنده ويطلب المزيد من الفرق ، والرئيس صابر على ذلك لا ينفد صبره وإن أوشك أن ينفد صبر الناس ، فلقد كانوا يستعجلونه الزحف على رتشمند عاصمة الجنوبيين

ومع أن الرئيس قد أمره بالزحف فى نهاية يناير عام ١٨٦٢ أى بعد نحو تسعة أشهر منذ بدأت الحرب ، فانه لبث مكانه حتى شهر مارس ثم أخذ يتحرك ولكن فى بطء وحذر مما دعا الرئيس أن يطلب إلى وزير الحربيـة أن يستحثه ولكن ما كان أعظم دهشتهما حينما كتب إليهما ذلك القائد يطلب المزيد من الرجال ، وحجته فى ذلك أن العدو متكاثر أمامه

وفى مثل هاتيك الظروف التى كانت تتطلب من الرئيس ما أشرنا إليه من جهد يأبى القدر إلا أن يصوب إليه سهماً يصمى مهجته ويوشك أن يذهب بلبه ويزعزع فؤاده ، فلقد غالت المنية أصغر بنيه وهو صبى فى العاشرة من عمره . ولقد كان وأخاه يزوران مستشفى من مستشفيات الحرب فسرت إليهما العدوى ، ولم يقو الصغير على المرض فذوى كما تذوى الزهرة ولدت مع الصبح ولم يكن لها إلا مثل عمر الندى ...

لقد ارتاع الرئيس ووهى جلده أمام تلك المصيبة ورأى الناس ذلك الطود الأشم يتمايل ويتخاذل من الوهن وهو لا يستطيع أن يخفى عن الناس جزعه ولوعته ؛ وإنه ليجهش بالبكاء كما يجهش الصبى وفى عينيه حزن وحسرة وفى وجهه صفرة كصفرة الموت.. علم من الممرضة أنها فقدت زوجها وولديها فسألها ذلك العملاق الذى يحمل عبء قومه كيف تحملت تلك المصائب ؟ فأجابته أنها تحملت ضربات الدهر ضربة ضربة وأنها تثق فى رحمة الله فنه العزاء والسلوان ... وهنا يجيبها ذلك الرجل العظيم الشديد البأس أنه سيحاول أن يتعلم الصبر منها وأنه يثق أيضاً فى رحمة الله وأن الله سيهبه العزاء ثم يردف قائلا « أتمنى لو كان لى مثل إيمان الأطفال هذا الذى تتحدثين عنه » ... ويعبر عن مبلغ

حزنه بقوله « إنها أعظم محنة لا قيتها في حياتي . . لم كان هذا ؟ لم كان هذا ؟ » .

ولقد كان الرئيس لنكولن في محنة قومه ثبت الجنان حتى لتتزعزع الجبال ولا يتزعزع ، ولكنه كان مع ذلك رؤوفا عطوفا يكره الحرب ويتألم منها أكثر مما يتألم الناس جميعاً ، ويتمنى أكثر مما يتمنى غيره أن تضع أوزارها في أقرب وقت ... ولذلك كان ينكر على المتشددين تشددهم ، ولا يقر أحداً على قسوة أو يطاوعه في صرامة ، فاذا أنس الرئيس من محدثه غلظة على العدو تجهم له وأشاح عنه ، في حين أنه كان يقبل على من يطلب إليه اللين والمغفرة وهو يقول له وللناس جيماً أنه يمقت تلك الحرب من أعماق قلبه وإنه ما دخلها إلا وهو موقن أنها شر لابد منه ، وما أراد بها إلا أن تكون علاجاً لمضلة باتت تهدد كيان بلاده ... أما أن تكون انتقاماً وعلواً في الأرض واستكباراً فليس هو من ذلك في شيء ...

وكثيراً ما كان يصدر من الأمر ما يتعجب منه القواد ولا يشايعونه الرأى فيه وإن نفذوا ما أمر به . ساقوا إليه في تلك الأيام شاباً حكم عليه أن يرى بالرصاص لوجوده نائماً في الخطوط وكانت عليه الحراسة ؛ فسأله الرئيس عن سبب نومه فعلم أن ذلك كان بسبب الاجهاد فانه كان متعباً من قبل وأخذ الحراسة بدل زميل له مريض . وهنا صرفه الرئيس ولم يرض أن يكون جزاء اجتهاده ومروءته الاعدام ... وما قيمة قوانين الحرب عنده ؟ إنما هو يستمد قوانينه من قواعد الانسانية ، ولذلك تراه يصيح بالقواد « إني لا جلد لى أن أفكر أنني ألقى الله ودماء هذا الشاب المسكين على يدى » ...

***

أجاب الرئيس ماكيلان إلى ما طلب وأمده بالرجال لكيلا يكون للقائد حجة عليه ، فلقد كان يشيع في الناس من أول الأمر أن عدم تحرك القائد إنما يرجع إلى أن الحكومة تضن عليه بالمال والرجال . . . ولقد كتب إليه الرئيس خطاباً كان مما جاء فيه « أحسب أن القوات التي سيرت إليك قد بلغتك ؛ وإذا كان الأمر كذلك فإنك الآن في الوقت الذى ينبغى أن تضرب فيه ضربة . . إن العدو بتأخرك يكسب نسبياً »

ولم يسع القائد إلا أن يصرح في رسالة له أنه واثق بعد من النتيجة وأنه أخذ في الزحف ، ولكنه في الوقت نفسه أخذ يشكو من المطر الهطال ومن الطرق الوعرة، فكان هذا هو جهد ما فعل ... وأخيراً لم ير الرئيس بدأ من أن يبرق إليه في الخامس والعشرين من مايو يقول : « أظن أنه قد أزف الوقت لكي تهاجم رتشمند أو تدع هذا العمل جانباً وتأتى للدفاع عن وشنجطون »

فكأنما أراد ماكيلان في ذلك الوقت أن يكيد للرئيس ، أو كأنما أراد أن يحاق مشاكل جديدة يتخذ منها ذريعة لهذا الجمود فلقد كتب إليه ينتقد الموقف الحربى كله في جميع الميادين ولم يقتصر على شؤون الحرب ، بل راح ينتقد الحكومة في جميع شؤونها !

وتقدم القائد بعد ذلك نحو رتشمند تقدما بطيئاً ، فأدى ذلك إلى أن أرسل الثوار المدد إلى جيشهم الذى كان في طريقه لتهديد وشنجطون، وهنا لا يتردد ماكيلان في أن يرسل إلى وزير الحربية قائلا إنه يزمع أن يتراجع . ومما جاء في رسالته قوله : « إذا أنا نجيت هذا الجيش فأني أقول لك في بساطة إني في ذلك لن أدين لك بشكر ، لا ولا لأى شخص في وشنجطون ، فلقد بذلتم قصارى جهدكم لتحطيم هذا الجيش »

وكان القائد لى في ذلك الوقت يزحف على وشنجطون ، وكان على حمايتها بوب أحد قواد الشمال ومعه ثمانية وثلاثون ألفا من الرجال ولكن جيش لى كان أكثر عددا وأشد بأسا ؛ وتبين أن خير وسيلة لرد لى عن وجهته أن يبادر ماكيلان بالزحف على رتشمند لا أن يتراجع ويتباطأ كما فعل

ولما يئس الرئيس منه في هذا السبيل أرسل إليه يدعوه لحماية العاصمة ، ولكنه أبى أن يطيع حتى هذا الأمر وكتب يقول إنه سيجيبه إلى ذلك « إذا رأى الظروف تسمح به » وكان ذلك في شهر أغسطس ، ولقد عاد الرئيس فكتب إليه يطلب إليه القدوم بكل ما في وسعه من سرعة وأبرق إليه القائد هاليك يستحثه ولكنه لم يأبه بذلك كله ولم يصل إلا بعد شهر من هذه الدعوة ...

وكان أمرا طبيعيا أن تنزل الهزيمة بالقائد بوب وأن تبيت وشنجطون معرضة للسقوط ؛ ولقد عاود الذعر هذه المدينة على

نحو ما حدث غداة الهزيمة في معركة بول رن ، بل لقد كان الموقف يومئذ أشد هولا ؛ إذ اختلفت وجهات النظر في مجلس الوزراء واحتدم الجدل في المجلس التشريعي ، وارتفعت الأصوات بطلب عقد الصلح مع الجنوبيين، الأمر الذي خيف منه أن يؤدي إلى انحلال العزائم ... ولكن لنكولن وحده بقي على عزمه وثباته يعالج الموقف بالصبر والحزم ويهيب بالرجال ألا يتخاذلوا وينكصوا على أعقابهم ...

ولقد كان للناس من هذا الصبر والثبات مثل ما يكون من النصر في معركة ، وبذلك تضاءل فزعهم وعادت إليهم الثقة ووقفوا إلى جانب رجلهم

ثم إن الرئيس ضم عدداً من الجيوش بعضها إلى بعض وجمل منها جيشاً جديداً وضمه تحت قيادة ماكيلان ، وطلب إليه أن يقابل لى بهذا العدد الهائل الذي بلغ مائتي ألف، فلم يفعل ماكيلان كما طلب الرئيس فأصاب أهل الشمال هزيمة أخرى في شهر سبتمبر

وأخيراً التحم جيش ماكيلان وجيش لى في معركة عنيفة هي معركة انتيتام ، فلم ترجح كفة أحدهما ، ولكن لى اضطر أن أن يوقف الزحف ، بل اضطر أن يعبر نهر بوتوماك الذي كان على أبواب العاصمة ، متراجعاً بذلك عنها ، فكان على ماكيلان ألا يضيع هذه الفرصة فيتعقب الجيش المتراجع ويعركه في تراجعه ويوقع به هزيمة تفت في عضده ، ولكنه قعد دون ذلك على رغم إلحاح الرئيس عليه أن يفعل ، وراح يطلب المدد من جديد . . . وأصدر الرئيس إليه أمراً أن يسير في أثر الجيش المتراجع ولكن دون جدوى

ولقد بلغ من استهتار العدو بقوة الشماليين أن عبر أحد القواد الجنوبيين النهر بجنده وسار حتى اقترب من وشنجطون وألحق بأهل الشمال هزيمة منكرة ، وأحاط بجيش ماكيلان ، ولولا قلة عدد جنوده لأدى هجومه إلى كارثة ليس بعدها كارثة

على أن ماكيلان قد أساء إلى نفسه قبل كل شيء ، فلقد فقد منزلته عند الناس ، وبعد أن كان اللوم يوجه أول الأمر إلى الرئيس وحكومته أصبح يوجه إلى هذا القائد الذي أضاع كثيراً من الفرص بجموده ... وراح الناس يتهمونه بأنه يفعل ذلك لغرض في نفسه، وهكذا أخذ يتضاءل شأنه حتى هان أمره على الناس وتأنى الرئيس أن يعزله ليبحث عن قائد غيره ...

وربما أُخِذَ على الرئيس طول صبره على ماكيلان ومصانعته زمناً على الرغم من تطاوله في غير مبرر ؛ وبذلك يكون الرئيس هو الملوم في ضياع الفرص أو يكون على الأقل شريكا لماكيلان فيما هو خليق به من اللوم ؛ ولكن الرئيس لم يكن غراً، فهو يعلم أن كثيراً من جنود ماكيلان مفتونون به ، يخلعون عليه من صفات العبقرية ومن معاني البطولة ما لا يتهيأ لقائد غيره . وكذلك كان لماكيلان أول الأمر في قلوب الناس من غير الجند مكانة عظيمة ، وإذاً فلم يكن من الحكمة في شيء أن يقف الرئيس منه موقف البغض والنفور فيؤدي موقفه هذا إلى فتنة في وقت أن كانت البلاد أحوج ما تكون إلى الاتحاد ولم الشمل

على أن لنكولن كان بمصانعته ماكيلان على هذا النحو يظاهره على حقيقته ويكشف للناس عن مواطن ضعفه ، بينما كان هو يبهرهم بقوة صبره ، تلك الخلة التي كان لها أعظم الأثر في إنقاذ البلاد من الخطر في تلك الأيام العصيبة ، وأي صبر هو أعظم من هذا الصبر في زمن توالت فيه على الرئيس الهموم والشدائد ؟

لقد كان ابراهام يتلقى الأنباء عن عدد القتلى والجرحى وهو أكثر الناس إشفاقاً وجزعاً ، ولقد كان يسأل عن العدد من الفريقين المتحاربين لا من فريقه فحسب فيحزن لهؤلاء جميعاً ، كأبناء أمة واحدة

ولقد كان الرئيس يذرف الدمع على ما يصيب رجاله في تلك الحرب الهائلة . ذهب ذات مرة إلى مقر أحد الجيوش فعلم بموت صديق له كان من جلسائه في سبرنجفيلد ، فأسرع إلى العودة مضطرباً يداه على صدره كأنما يمسكه أن يتصدع، وعيناه تفيضان، وعلى وجهه شحوب وكدرة ، وإنه ليسير بين الجنود لا يلتفت إلى تحياتهم فلا يردها من شدة الغم وتكاد لا تقوى على حمله رجلاه ..

وفي تلك الأيام كان لا يفتأ يقرأ شكسبير، ففي مآسيه صدى لنفسه الحزينة . على أن عينيه تغمان ذات مرة على تساؤل أم ولهى تقول : « لقد سمعتك أيها الأب الكاردينال تقول إننا سنرى ونعرف أصدقاءنا في السماء . ولئن كان هذا حقاً فلسوف

الكميت بن زيد
شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هاشمياته :

تكاد الهاشميات أن تكون كل ما بقي من شعر الكميت. وقد كان للكميت شعر كثير بلغ إلى مونه خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً ، ولا أدرى كيف ضاع هذا القدر الكثير من شعر الكميت ، ولعل شهرة الهاشميات هي التي غطت على غيرها من شعره ، فشغل الناس بها عنه .

ومن هاشمياته لاميته التي تبلغ تسعة وثمانين بيتاً ، وقد ابتدأها بقوله :

ألا هل عَم فى رأيه متأملُ
وهل مُدبرٌ بعد الاساءة مُقبلُ

فافت به أهل عصره من الهزل إلى الجد ، وأرسلها صرخة قوية فى آذان أولئك الغافلين ، ليصحو من غفلتهم ، ويتنبهوا إلى الخطر المحدق بهم ، وهو فى هذا ينسي شخصه ونفسه ، ولا يفكر إلا فى مصلحة أمته ، ولا شك أن من ينظر إلى هذا المطلع وخطره يدرك الفرق الشاسع بينه وبين المطالع العابثة التى اعتاد شعراء العربية أن يفتتحوا بها قصائدهم .

وقد مضى بعد هـــذا يضرب في هذه اللامية على هذا الوتر فقال :

وهل أمة مستيقظون لرشدهم ... فيكشف عنه النعسةَ المتزملُ
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى
مساويهم لو كان ذا الميلُ يعدل
وعطلت الأحكام حتى كأننا ... على ملة غـــير التى ننتحل
كلام النبيين الهداة كلامنا ... وأفعال أهل الجاهلية نفعل

إلى أن قال :

فتلك أمور الناس أضحت كأنها
أمورُ مُضيعٍ آثر النومَ بُهَّـل

ثم أخذ يوجه صرخته إلى خاصة الأمة وساستها ، بعد أن صرخ بذلك فى دهمائها وعامتها ، فقال :

فياساسة هاتوا لنا من حديثكم ... ففيكم لعمري ذو أفانين مِقول
أأهل كتاب نحن فيه وأنتم ... على الحق نقضى بالكتاب ونعدل
فكيف ومن أنى وإذ نحن خلفة ... فريقان شتى تسمنون ونهزل
بُرينا كبرى القدح أوهن متنه ... من القوم لا شارٍ ولا متنبل

إلى أن قال :

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم
فحتَّام حتَّام العنـــاء المطول
رضوا بفعـال السوء عن أمر دينهم
فقد أيتموا طوراً عـداء وأثكلوا
كما رضيتْ بخلا وسوء ولاية ... لـكلبتها فى أول الدهر حومل
نباحا إذ ما الليل أظلم دونها ... وضرباً وتجويعاً خبال مخبلٌ
وما ضرب الأمثـال فى الجور قبلنا
لِأجورَ من حكامنا المتمثـــل
تحلُّ دماء المسلمين لديهمُ ... ويحرم طلع النخـلة المتهدِّل
وليس لنا فى الفىء حظ لديهمُ ... وليس لنا فى رحلة الناس أرحل
فيارب هل إلا بك النصر يُرتجى ... ويارب هل إلا عليك المُعول

ثم انتقل إلى تذكير الناس بمقتـل الحسين رضى الله عنه ، فقص من أمر هـذه الحادثة الأليمة ما يثير الشجن فى النفوس ، ويملؤها غيظا وسخطا على هؤلاء الملوك ، وفى هذا يقول :

ومن عجب لم أقضـه أن خيلهم ... لأجوافها تحت العجاجة أزمل
هَماهِمُ بالمستلئمين عوابس ... كحِدآن يوم الدَّجن تعلو وتسفل
يحلِّئن عن ماء الفرات وظله ... حُسَيناً ولم يُشهر عليهن مُنصل

أرى ابني ثانية » . فانظر إلى الرجل يضع الكتاب ويكب بوجهه على كفيه فيملأهما من روافد دمعه ...

ذلك هو الرجل الذى كان يقوم على شؤون هاتيك الحرب. فلله ما أقسى الأيام ! إن فؤاده ليكتوى بنارها كلها؛ وإنه ليحس كل ضربة أو طعنة تصيب كل رجل غيره من الرجال ، ولكن عليه أن يحمل الأهوال ، وإلا فمن يحملها كما يحمل من الأبطال ؟

« يتبع » الخفيف

كأن حسيناً والبهاليل حوله ... لأسيافهم ما يختلى المتبقل
فلم أر مخذولا أجل مصيبة ... وأوجب منه نُصرة حين يخذل
يصيب به الرامون عن قوس غيرهم ... فيا آخراً أسدى له الغى أول

إلى أن قال :

فان يجمع الله القلوب ونلقهم ... لنا عارض من غير مزن مكال
على الجرد من آل الوجيه ولاحق ... تذكرنا أوتارنا حين تصهل
نكيل لهم بالصاع من ذاك أصوعاً ... ويأتيهم بالسجل من ذاك أسجل

ثم انتقل إلى مقصوده من الدعوة إلى بني هاشم بعد أن ألهب النفوس بذلك وحركها للثورة فقال :

ألا يفزع الأقوامُ مما أظلّهم ... ولمّا تجيهم ذات ودقين ضئبل
إلى مَفزَعٍ لن يُنجىَ الناس من عمىً ... ولا فتنة إلا إليه التّحوُّلُ
إلى الهاشميين البهاليل إنهم ... لخائفنا الراجى ملاذ وموئل

إلى أن قال :

فيارب عجل ما يؤمل فيهم ... ليدفأ مقرور ويشبع مرمل
وينفذ فى راض مقر بحكمه ... وفى ساخط منا الكتاب المعطل
فانهم للناس فيما ينوبهم ... غيوث حياً ينفى به المحل ممحل
وإنهم للناس فيما ينوبهم ... مصابيح تهدى من ضلال ومنزل
لأهل العمى فيهم شفاء من العمى ... مع النصح لو أن النصيحة تقبل

ثم أخذ يشرح موقفه من هذه الدعوة الهاشمية ، ويلائم بين حاله فى هذه الدعوة الحارة فى شعره ، وحاله فى إحجامه عما يبذله غيره من نفسه في سبيل تأييدها ، ويبين أنه إنما ينتظر بذلك الثورة الكبرى التى تقضى على دولة بنى مروان ، فلا يبخل وقتها بشىء من نفسه وماله ، ولا يرضى بذلك الاحجام الذي يلجأ إليه ، فقال :

لهم من هواى الصفو ما عشت خالصاً ... ومن شعرى المخزون والمتنخل
فلا رغبتى فيهم تغيض لرهبة ... ولا عقدتى من حبهم تتحلل
وإنى على حبيهم وتطلعى ... إلى نصرهم أمشى الضراء وأختل
تجود لهم نفسى بما دون وثبة ... تظل بها الغربان حولى تحجل
ولكننى من علة برضاهم ... مقامىَ حتى الآن بالنفس أبخل
إذا سُمت نفسي نصرهم وتطلعت ... إلى بعض ما فيه الزعاف الممثل
أتتنى بتعليل ومنتنى المنى ... وقد يقبل الأمنية المتعلل
وقالت فعد أنت نفسك صابراً ... كما صبروا أى القضاءين يعجل
أموتاً على حق كمن مات منهم ... أبو جعفر دون الذى كنت تأمل
أم الغاية القصوى التى إن بلغتها ... فأنت إذن ما أنت والصبر أجمل
فان كان هذا كافياً فهو عندنا ... وإنى من غير اكتفاء لأوجل
ولكن لى فى آل أحمد أسوة ... وما قد مضى فى سالف الدهر أطول
على أننى فيما يريد عدوهم ... من العرض الأدنى أسم وأسمل
وإن أبلغ القصوى أخض غمراتها ... إذا كره الموت اليراع المهلل

ثم قال فى ختامها :

فدونكموها يال أحمد إنها ... مقللة لم يأل فيها المقلل
مهذبة غراء فى غب قولها ... غداة غد تفسير ما قال مجمل
أتتكم على هول الجنان ولم تطع ... لنا ناهياً ممن يلن ويرحل
وما ضرها أن كان فى الترب ثاوياً ... زهير وأودى ذو القروح وجرول

عبد المتعال الصعيدى

فردريك نيتشــــه

للاستاذ فليكس فارس

(تتمـــــــة)

وفى اعتقادنا أن نيتشه قد فاق كل كاتب فى تصويره واجب الانسان نحو الحياة، الدنيا لأن العلماء الماديين من جهة اعتبروا الحياة زائلة فما اهتموا لرقىّ الإنسان الأدبي فيها قدر اهتمامهم باطالة حياته وإيلائه التنعم الأوفر بالجهد الأقل، ولأن المفكرين المؤمنين، من جهة أخرى، ما كان بوسعهم أن يفكروا للأرض ويحصروا كل جهد فيها كأنها دارُ قرارٍ لأن العمل للأرض ليس إيمانهم كله بل هو نصف إيمانهم، أما نيتشه فبعد أن أقفل على تفكيره وخياله كلّ نافذة يمكن للروح أن تتطلع منها إلى السماء، وبعد أن تاقت نفسه إلى الخلود فاستنزله كمعنى لهذه الأرض كما يقول جاعلاً هذا التراب وطنَ الانسان الدائم، لم يسعه إلا توجيه كل قواه لتصوّر إنسانيةٍ تتمتع بكل ما يمكن اعتصاره من الدنيا وتبلغ عليها من الرق مرتبة الألوهية

***

تلك حقائق لم تفت ثلاثةً من أعلام الشرق العربى أهابوا بنا إلى ترجمة زرادشت ونشره فى هذه البلاد لتسديد عزم الشبيبة فى هذه المرحلة التى يتوقف على نهضتنا فيها مستقبلنا واستعادة أمجاد تاريخنا. أولئك الثلاثة هم المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعى فقيد الشرق والعروبة والاسلام، والأستاذ حافظ عامر بك قنصل مصر العام فى الآستانة مؤلف رسالة الحج التى كان لها دوىٌّ فى أوساط المفكرين، والأستاذ احمد حسن الزيات القابض على آداب الغرب باطلاعه وتفكيره والرافع عَلَمَ الآداب الشرقية بقلمه، وقد تفضل الأستاذ المشار إليه فنشر فى مجلته الرسالة أكثر من ربع الكتاب فى مدي سنة، ولولا تقديرنا أن الزمان سيطول على نشره برمّته لما كنا بادرنا إلى طبعه كاملا مستقلا

إن ما دعانا وأصحابنا المشار إليهم إلى تقرير ترجمة زرادشت هو أننا نظرنا إلى فلسفته من الوجهة اللامسة للمبادىء الدينية الاجتماعية التى نتجه إلى أحياء حضارتنا القديمة على أساسها، وقد رأينا أن هذا المؤلف الفريد فى نوعه ليس من الكتب التى تنقل إلى بياننا لما لها من قيمة فلسفية وأدبية فحسب، بل هو من الكتب التى يجدر بالناشئة العربية درسها كما يدرسها طلاب الجامعات فى كل قطر أوربى، فان كتاب زرادشت قد أثر التأثير الأكبر فى تطور الحركة الفكرية فى أواخر القرن التاسع عشر فى عالم الغرب، واشتمل من المبادىء على ما كان ولا يزال محور الخلاف المستحكم بين ذهنيته وذهنية الشرق العربى بوجه خاص. ولقد مضى على ظهور هذا الكتاب زهاء نصف قرن ولم يكن العالم العربى فى ذلك العهد على اتصال وثيق بالحركة الفكرية الغربية، فلم يسمع فى هذه البلاد بنيتشه وفلسفته إلا بمقالات موجزة، وكل ما عرف عنه هو أنه يدعو إلى التحرر من ربقة الأوهام واطراح الزهد واليأس والاتجاه إلى إيجـاد الانسان المتفوق.

ولعل المفكرين يسلمون معنا بأن خلوّ المـكتبة العربية من هذا المؤلف الفريد الذى ترجم إلى جميع اللغات الحية فاتخذ أنموذجاً بين أبنائها للصراحة والاخلاص فى طلب الحقيقة يعد نقصاً فى هذه المكتبة ويسجل قصوراً علينا، لذلك اقتحمنا إعارة بياننا لكتاب زرادشت الذى قالت فيه الموسوعة الكبرى إنه لا يعد أروع ما كتب نيتشه فحسب، بل أروع ما كتب فى اللغة الألمانية على الاطلاق.

ولا بد فى ختام تمهيدنا من لفت المفكرين إلى فصل من كتاب زرادشت عنوانه « بين غادتين فى الصحراء » وفيه نشيد لخيال زارا « صفحة ٢٥٤ » فاننا وقفنا عنده ملياً لأنه من نوع البيان المستغرق فى الرمزية فلا يفهمه القارىء إلا بحسه الـكامن وقد لا يتفق اثنان على تأويله تأويلا واضحاً جلياً.

ولو أننا ترجمناه بالحرف لجاء كأحد الرسوم التى ابتدعها أنصار التكعيب يقف الشاهد أمامها فلا يدري أجبلا يرى أم شجرة أم إنساناً.

لذلك اضطررنا إلى ملء بعض الفراغ بين الخطوط، وإلى الالتجاء لكسر النتوءات عند نقل بعض المكعبات المبهمة الصارمة، فجاء هذا النشيد أقرب إلى البيان المألوف دون أن يخرج عن أصله الرمزي الذى يحتاج إلى كثير من الاستغراق فى تفهم معانيه وخفنا أن نكون تجاوزنا حد الخطوط الأصلية فى النقل

فرجعنا إلى عالم معروف من علماء الغرب ممن أحاطوا بفلسفة نيتشه وذهبوا إلى حد بعيد فى تحليلها وهو حضرة الدكتور روبرت ربننجر الأستاذ فى جامعة فينا نمرض عليه ما رأيناه فى رموز نشيد الصحراء، ونسأله إقرارنا على ما أصبنا فيه وتصحيح ما قد نكون ضللنا فى تبيانه ، فوردنا جوابه مؤرخاً فى ١٩ أبريل من هذه السنة وفيه يقول :

« إننى أرى خلاصة معنى النشيد فى فقرته الأولى المكررة فى آخره وهى : إن الصحراء تتسع وتمتد ، فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء » فان نيتشه قد رمز بالصحراء إلى الوجود القاحل الذى لا غاية له ، وقد أتيت على بحث هذا الرمز فى كتابى « جهاد نيتشه من أجل معنى الحياة وغايتها »

« أما سائر ما فى النشيد فأراه يرمى إلى وصف أجواء الصحراء المتمتعة بالحرية وهى بابتعادها عن المعمور تولى أبناءها الحياة الساذجة الطاهرة على نقيض ما تورثه ثقافة أوربا الشمالية من الخشونة والكثافة

أما كلمة « صلاة » فقد أصبتم فى ترجمتكم إياها « حىّ على الصلاة »

« هذا وقد يكون النبى محمد هو المرموز إليه بأسد الصحراء ونذيرها على حسب تأويلكم »

لقد سرنا وأيم الله أن يوافقنا هذا العالم على تأويلنا وإن يكن ذهب فى تفسير اتساع الصحراء وامتدادها إلى غير ما ذهبنا إليه ، فقد كنا صارحناه بأن ما فهمناه من اتساع الصحراء وامتدادها وتهديد من يطمح للاستيلاء عليها إنما هو انبعاث الايمان الحق بالفضائل العليا وتمردها على الجحود والتضعضع فى الحياة

وقد كان دليلنا على صحة مذهبنا ما ورد فى النشيد من صراحة تؤيدنا خاصة فى الفقرة الأخيرة وهى :

« ارتفع يا مظهر الجلال ، ولتهب مرة أخرى نسمة الفضيلة

« وياليت أسد الفضائل يزأر أيضاً أمام غادات الصحراء ، فلنه أقوى ما ينبه أوروبا ويحفزها إلى النهوض

« وهأنذا ابن أوربا لا يسعنى إلا الخشوع لدوى هذه الآيات البينات »

للعالم الأوربى تأويله ولنا تأويلنا ، وللصحراء فى بلاد العرب رموزها فلندع للأزمان تأويلها ولنكرر ما جاء فى نشيد الجاحد الطامح إلى الخلود

« إن الصحراء تتسع وتمتد ، فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء »

إن عبير الشرق لا يضوع من نشيد الصحراء فحسب — بل هو يفوح من كل حكمة ينطق بها زرادشت أمام مشاهد التضعضع الأوربى ، ولسوف يقف رجال العلم من أبناء الضاد عند كثير من أقواله فيعرفون فيها آية من الآيات التى أوحيت لأنبيائهم أو ألهمت لحكمائهم أو حديثاً لذلك الأمى الأعظم الذى تناول أدق القضايا الاجتماعية فردها إلى مكارم الأخلاق ليحلها جميعاً

إننا ونحن نخط هذه الأسطر نتذكر صديقنا فقيد الشرق المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعى الذى قل من جاراه فى تفهم دين الله والشعور بالقومية العربية ووحدة الانسانية . إننا لنذكره ونحس بما كان يمكننا أن نستمده من ثقافته العريقة ومعارفه الواسعة من آيات وأحاديث وحكم يتجلى فيها ما أجمع مفكرو الغرب على الخشوع أمامه من نظرات زرادشت الصائبات فى اتجاهات العالم المتمدن وفى طلب رقى الانسان والاهابة به إلى العمل فى الأرض كأنه خالد عليها لا يموت

غير أننا إذا كنا حرمنا الآن من هذه النجدة فى كتابة تمهيدنا هذا فلن تحرم البلاد أعلاماً يقومون بهذا الواجب نحو مهبط وحى الله ومنبت العباقرة من السلف والمعاصرين

فليكس فارس

من أصداء البحر

بين عشية وضحاها

للأستاذ إبراهيم العريض

— ١ —

على شاطيء البحر – فى قرية   تلوح بعزلتها الدائمة
كأن الدجى لفها بالسكون   فما برحت دهرها نائمه
تطل عليها عروس النهار   فتلبث فى جوها حالمه
وللبدر فى أفقها قبلة   تطول ... ولكنها ناعمه
بناء يذكر سكانها   بشامخ أبنية العاصمه
يقيم به نائب – أمره   مطاع – وسطوته غاشمه
فلو أيقظ البحر أمواجه   لمرت بأعتابه لائمه
كذلك كان شعور السواد   من الذل نحو اليد الحاكمه
وأكواخهم وسط هذا الإطار   تموج بألوانها القاتمه

* * *

وتفتح نافذة القصر خود   مساء وتمعن إمعانها
فيحلو لها أن ترى الشمس تسجد   سجدة شكر لمن زانها
وهبها توارت وراء الغيوم   فهل تنكر الأرض إحسانها
ويعرض مرآته البحر حتى   تجمل – سافرة – شانها
وأمواجه فى هدوء أمام الـ   نعيم تلملم أردانها
فلا هو يتركها تستقر   ولا هى تهجر شطآنها
وتبصر فى قارب فتية   تمد إلى الصيد أشطانها
فيغمرها فرح بالحياة   فتعلن للقصر عصيانها
وتخرج نشوى على رمله   تردد كالطير ألحانها

* * *

وتركب فى زورق كالهلال   يعوم بها نجمة زاهره
فتأخذ فى جذفه باليدين   وفى صدرها موجة زاخره
ويلثم فاها نسيم الأصيل   فينـدى بأنغامها العاطره
إلى أن تغيب وراء السديم   بعيدا بأحلامها الطائره
ويدركها أول الليل عند   فنار يغض لها ناظره
فتشهد مركزها فى الظلام   ومن حولها الأفق كالدائره
وتلمح من بعد قصرها   يدل بأنواره الباهره
فتثنى أعنتها للرجوع   ... ولكنها ترتمى خائره
ويستيقظ البحر بعد الهجوع   ليملى إرادته القاهره

* * *

ويشرق إحساسها فى الصباح   مليا على همسات البشر
فتملكها رعشة للذى   يمر على ذهنها من صور
وتذكر ما كان من حظها   ومن حظ زورقها المنكسر
وكيف تقوم بها موجة   وأخرى على جانبيها تمر
فتصرخ صرختها للحياة   وفى حلقها نفس يحتضر
فتمتد كف لإنقاذها   من الغيب ... ذلك ما تذكر
وتشعر بالدفء تحت اللحاف   فتعجب كيف احتوتها السرر
وتفتح ناظرها بعد لأى   على شبح قائم ينتظر
يناشدها وعلى ثغره   بنان تشير بأن تستقر

* * *

وتستغرق الخود فى نومها   وتأخذ حظا من العافيه

ويفترُّ في شفتيها دمٌ   كطلٍّ على وردةٍ زاكيه
وتحتَ يديها يزلُّ النصيفُ   عن برعمَيْ صدرِها ناحيه
وملؤهما عزةٌ بالجمالِ   جمالِ أنوثتِها الغافيه
فيحنو عليها الفتى في خشوعٍ   ويستر أطرافها العاريه
ويعزفُ لحنًا على عودِهِ   يذكّرُ عهدَ الهوى ناسيه
وينبعثُ النغمُ العذبُ من   تململِ أوتارِهِ القاسيه
إلى أن تفيقَ فتاةُ القصور   وتطرفَ أهدابُها ثانيه
فتبسطُ راحتَها كالغريقِ   وفي ثغرِها قبلةٌ طافيه

ويسألُها عن عهود الصبا   وأترابِها في القرى .. مَنْ هُمُ
فتُغضي حياءً ... وفي رقةٍ   تبوحُ له بالذي تكتمُ
« يداكَ تجودانِ لي بالحياةِ   فشكرًا على الجودِ يا منعِمُ!
وهبتكَ قلبي . خذني إليكَ   ومُرني أطعكَ بما تحكمُ »
وتلبثُ في صمتِها برهةً   ليفهمَ منها الذي يفهمُ
ولكنهُ لا يحيرُ الجوابَ   كمَنْ رابَهُ أمرُها المبهمُ
فتنطقُ باسمِ أبيها له   وتبسم ... يا حسنَ ما تبسم
فينفرُ منها نفورَ الظليمِ   وقد ثارَ في مقلتيهِ الدم
« أأنتِ ابنةُ النائبِ المستبدِّ   وأهواكِ .. إني إذنْ مجرمُ »

فترجعُ للقصرِ عندَ الأصيلِ   طريدةَ آمالِها الخائبه
قضتْ يومَها حافلاً بالشعورِ   كأحفلِ أيامِها الذاهبه
فتشعرُ مثلَ شعورِ الغريبِ   وإن لم يطلْ عهدُها غائبه
فترنو إلى البحرِ ... حتى تراهُ   يسيّرُ في موجِهِ قاربه
فتنشدُهُ حبَّها لو يصيخُ   وتذري له دمعَها عاتبه
أيا حاسرًا زندَهُ للبحارِ   تذوبُ له حسرةً كاعبه
أسأتَ بيَ الظنَّ حتى خجلتُ   ولم تكُ في نيتي شائبه
ضربتَ بحبيَّ عرضَ الجدارِ   وأنكرتَ من سؤددي جانبه
وغاظكَ أنَّ أبي ظالمٌ   ألستَ بظلمكَ لي صاحبه
وتخنقُها عبرةٌ في النعيـ   ـمِ تلهبُ من لونِها شاحبه

ويمضي لطيتِهِ ضاحكًا   يؤدي - على بؤسِهِ - واجبه

— ٢ —

توالتْ على القصرِ عشرونَ عامًا   أسابيعُها مثلُ أعيادِها
توافي الفتاةَ عروسًا، فزوجًا،   فأمًّا، تحنُّ لأولادِها
وأعلقهمْ بحشاها ابنةٌ   فدتْها الأهالي بأكبادِها
تغنّي .. فتصغي إليها الطيورُ   وتطربُ من حسنِ إنشادِها
وتلمحُ صورتَها في المياهِ   فتضحكُ من قولِ حسادِها
ولو أنها نزلتْ في الجنانِ   لأزرتْ بأجملِ أورادِها
يخفُّ إليها نسيمُ الربيعِ   يذكّرُها يومَ ميلادِها
ووالدُها غائبٌ في البلادِ   يقومُ بتنظيمِ أجنادِها
فيكتبُ مستملحًا لو تسيرُ   إليهِ فيحظى بإسعادِها

وتصحبُها أمُّها للسلامِ   على زوجِها .. وهيَ لا تبتسمْ
فقد علمتْها صروفُ الزمانِ   بأنَّ الطلاقةَ شيءٌ يذم
يذمُّ . ولابنتِها نظرةٌ   تبشُّ إلى كلِّ وجهٍ - وفمْ
وتجري بها الفلكُ وسطَ البحارِ
وأمواجُها دائمًا تلتطمْ
فتلقي بها تارةً كالدلاءِ   وترفعُها تارةً كالعلَمْ
إلى أن يلوحَ لها - حيثُ لاحَ   قديمًا - فنارٌ ينيرُ الظلَمْ
فتذهلُ واجمةً ... كالذي   يرى شبحًا في ثناياهُ دمْ
وتذكرُ حبًّا خلا في الوجود   لشخصٍ طوى صفحتيهِ العدم
فتبسمُ .. لكنَّ في نفسِها   مرارةَ ذكرى تثيرُ الألمْ

على أن ذاكَ الفتى لم يمتْ   فقدْ صارَ نابغةً في الفنون
تلقّى من الكونِ إلهامَهُ   ومثّلَ آياتِهِ في اللحون
فما هيَ إلا الضحى في امتدادٍ   وما هيَ إلا الدجى في سكون
كأنَّ على يدِهِ العودَ طفلٌ   يبثُّ الورى شجوَهُ بالأنين
يرنُّ .. فتقطرُ منهُ القلوبُ   .وتأخذُ موضعَها في العيون
ويصغي إليهِ المحبُّ الغيورُ   ويدركُ في الحبِّ سرَّ الجنون

العيد الألفى لمدينة القاهرة

قررت الحكومة الاحتفال بانقضاء ألف عام على تأسيس القاهرة كما ذكرنا من قبل، وننشر اليوم أن البيان الرسمى الذى بنى عليه هـذا القرار يتضمن أنه فى العام القادم سينقضى ألف عام هجرى على تأسيس مدينة القاهرة . وقد عزمت بعض الهيئات والمعاهد فى أنحاء مختلفة على أن تحتفل بهذا الحادث التاريخى الذى يهم العالم الاسلامى أجمع . وقرر معهد المباحث الاسلامية بمدينة بومباى وهو من أهم المعاهد الاسلامية فى الهند أن يشترك فى الاحتفال بهذا الحادث ، وسيضع كتاباً يحتوى على وثائق خاصة بتاريخ القاهرة لم تنشر من قبـل ، وهى مستقاة من مخطوطات عربية فى حوزة المعهد المذكور، على أن تقدم نسخة من الـكتاب مجلدة تجليداً فخما إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الأول

ولا حاجة إلى تبيان ما ينتظر أن يكون لمثل الاحتفال الذى نحن بصدده من الشأن فى الشرق الاسلامى بوجه خاص . لذلك رأى مجلس الوزراء أن يقرر احتفال الحكومة الملكية بانقضاء ألف عام هجرى على تأسيس القاهرة ، وأن يعهد إلى لجنة خاصة فى اتخاذ الاجراءات اللازمة لوضع برنامج لذلك الاحتفال وجعله خليقاً بمصر فى عهدها الجديد

بعثة الامام الشيخ محمد عبده

أصدر صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بتعيين الدكتور محمود البهى قرقر والدكتور محمد ماضى خريجى بعثة الشيخ محمد عبده ، مدرسين فى كلية أصول الدين : أولهما لتدريس الفلسفة، وثانيهما لتدريس التاريخ الاسلامى، وهما حاصلان على درجة الدكتوراه فى هذين العلمين من جامعة هامبرج فى ألمانيا ، وقراء الرسالة يعرفون الأستاذين بأبحاثهما الجليلة فى الأدب والاجتماع

وتنعطفُ الأمُّ نحوَ الرضيعِ ... وفى صدرِها جدوَلٌ من حنين
ويحلُمُ بالجِدِ طرفُ الجَبانِ ... وإنْ ذاقَ فى الجِدِ كأسَ المنون

لأنَّ المعانىَ من كلِّ لونٍ ... تفوزُ بجلوَتِها فى الرنين
ويُبصِرُها وهوَ فى محفلٍ ... يُوَقِّعُ أنغامَــهُ فى الغزَلْ
وقدْ حوَّلَ الصمتُ تلكَ العيونَ ... شِفاهاً تدلُّ على ما تدلّ
فيذكرُ زورَقَها فى الظلامِ ... ومَشهَدَها تحتَ نابِ الأجلْ
فيَشعُرُ بالوخزِ ـ وخزِ الضميرِ ... ـ على قطعِهِ حبلَها المتَّصِل
فيُنشِدُ ... والعودُ بينَ يديهِ ... يُرَجِّعُ كالطفلِ ما يرتجِلُ:
« أمَا كُنتَ حاضِرَنا يا هلالُ ... عشيَّةَ ضاقتْ عليها السُّبُل
فألفيتُ نفسِيَ وسْطَ الغمارِ ... وأدركتُ فيها بقايا الأمَل
كأنِّى ـ وقد حضَنتها يداىَ ... ـ أودُّ لها فى ضُلوعى محَل
ولو نزلتْ فى صميمِ الفؤادِ ... لعزَّ على غُلَّتى أن تُبَلّ »
وتطرَبُ مِنْ لحنِهِ البنتُ حتَّى ... تُناشِــدَهُ أنْ يُعيدَ الغزَل
وتسألُ عن شأنِه مَنْ يكونُ ... فتجذِبُها أمُّها بالعجَل
وتهمِسُ فى أذنِها دونَ أنْ ... يرَى الحفلُ ما مسَّها من خجَل:
« بُنيَّةَ ! هذا فتًى مِنْ قُراكِ ... تعرَّفَ بى فى الصِبا المرتحِل
وخُيِّــلَ لى أنَّهُ ميِّتٌ ... ولكنَّ للهِ شأناً أجَل
أغرَّكِ منهُ النسيبُ الجميلُ ... على ثغرِهِ يُشتَهى كالقُبَل
دعيهِ . فعنْدى بقلبٍ طَواهُ ... ـ على فنِّهِ ـ مُقفِرًا كالطلَل »

« البحرين » ابراهيم العريض

مسألة شكسبير وبيكون

من أنباء لندن أن البحث في كنيسة وستمنستر مدفن العظماء عن قبر أدموند سبنسر الشاعر الانكليزى الذى كان معاصرا لشكسبير لم يجد شيئاً، وقد قام بهذا التفتيش جمعية فرنسيس بيكون وغرضها منه أن تبرهن على أن الاسمين هما لمسمى واحد، وأن الذى اشتهر باسم شكسبير هو فى الواقع فرنسيس بيكون لا غيره

وكان هذا الحفر بناء على وثيقة مؤرخة سنة ١٦٠٠ قيل فيها أن أدموند سبنسر دفن فى الكنيسة وأن عددا من معاصريه أبنوه بقصائد دفنت معه. وان خط رثاء شكسبير لسبنسر يثبت أنه خط بيكون. وقد أخرجت بضعة توابيت يظن أن تابوت سبنسر أحدها ولكن أهل الشأن لم يسمحوا بفتحه إذ لم يثبت أنه لسبنسر، وهو مصنوع من الرصاص

شريعة عربية

روى الأديب المهذب (ح، ح) فى بحثه (مصدر المنازبة) فى (الرسالة) الغراء قول (تريتشكى): « فلولا الحرب ما كانت الدولة، وينبغى أن يجعل المرء شعاره على الدوام أن الحروب دواء الأمم المريضة » ومقالة (نظرية) الجرماني هذه هى شريعة العربية وقد شرحها الكلحبة العرنى فى بيته:

إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت
حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

وفى معانى (الجهاد) ما يزيد هذا البيت إيضاحا. وقد قال غربى: كان سلطان العرب ما قاتلوا، فلما تركوا الحزب وادّعوا ذهبت ريحهم (***)

أمة عربية تزول

أذاعت شركة الأنباء الايطالية « ستيفانى » فى جميع أنحاء العالم هذه البرقية:

روما — تلقى الدوتشي من كبار الشخصيات العربية فى ليبيا — كالأمير سليمان القرفيلى، ومفتى ليبيا وقضاة طرابلس ودرنة وطبرق، ورئيس المحكمة الشرعية — برقيات تعرب عن خالص شكرهم وشكر أهالى ليبيا العرب على ما منحت تلك البلاد من شرف اعتبارها جزءاً من إيطاليا، وقد أضافت البرقيات أن عرب ليبيا لن ينسوا الخدمات التى أداها وما زال يؤديها الدوتشي لبلادهم وأنهم على استعداد للعمل معه مخلصين إلى النهاية فى جميع الظروف

ومعنى هذه البرقية التى نشرت على العالم العربى فلم يحفل بها أحد ولم تعلق عليها صحيفة — أن السلطات الايطالية اللوبية أرغمت أولئك العرب المساكين على أن يسدوا الشكر (خالصاً) إلى حكومة روما على تلك المنحة العظيمة التى قدمتها إليهم، وهى خمسة ملايين من الايطاليين سيغمرون ليبيا ويحولونها إلى منطقة إيطالية خالصة، ثم لا يكون للعرب بعد أن توزع أملاكهم على المهاجرين المستعمرين، إلا قفار الصحراء الجديبة يعيشون فيها على الضر والفقر دون أن يكون لهم فى أمور البلاد السياسية والاقتصادية لسان ولا يد!

هذه فلسطين أخرى ولكن فلسطين تستطيع أن تقول وأن تعمل؛ أما طرابلس فلا تقول ولا تعمل إلا ما يريده الحاكم بأمره

بس ...

قال الكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى مبحثه فى (العامية والفصحى) فى (الرسالة الغراء): « وأما بس فلا مثيل لها، ولا غناء عنها بغيرها فى اللغة العربية » وهو قول حق كله، واللفظة عربية كل العربية، وإن كان الأصل من فارس. وقد ذكر بهاء الدين العاملى فى (كشكوله)، ونقل قوله الزبيدى فى (تاجه): « بس كلمة فارسية، وليس للفرس فى معناها سواها، وللعرب حسب، وبجل، وقط — مخففة — وأمسك واكفف، وناهيك، ومه، ومهلا، واقطع، واكتفْ »

أجل، إن فى لغة (الجزيرة) كل ذلك لكن لم تظارف واحدة من أليّا الآنسات العشر — كما يرى الأستاذ المازنى — ظرف تلك الفارسية

ونطق باللفظة (اللسان) غير ذام ولا ناقد: « وبس بمعنى حسب فارسية » والفارسيات المتعربات أمر يا أستاذاً فى العربية

وأخبرنا السيوطى في (المزهر) والخفاجي فى (شفاء الغليل) أن (الخليل) أودعها (العين) غير منسوبة إلى فرس ولا عرب: « بس بمعنى حسب » وتابعتنا (الخليل بن احمد) تلاميذ تلاميذه، كلامهم على الراس والعين

وروي (المزهر) عن كتاب (الشاكهة) لمحمد بن المعلى الأزدى: « تقول لحديث يستطال: بس، وعن أبى مالك:

البس القطع ، ولو قالوا لمحدث : بسا كان جيدا بالفا بمعنى المصدر أى بس كلامك بسا ، أى اقطعه قطعا ، وأنشد :

يحدثنا عبيـــد ما لقينا   فبسك ياعبيد من الكلام

القارئ

جورج هويتفيلد

مضى قرنان من الزمان على موت جورج هويتفيلد أعظم خطباء الأنجليز ووُعّاظهم فى القرن الثامن عشر . وقد هبت انجلترا وأمريكا تحتفل بذكرى الرجل العظيم الذى خطب عشرة ملايين منهم فعلمهم جميعاً الرحمة ومحبة الله والتفانى فى خدمة البشر والتجرد من زخرف الحياة وباطلها لتكون زخرفاً وجنة للجميع . وكثيرون منا لايعرفون هذا الرجل الذى شاد بخطبه وعظاته نصف ما فى أنجلترا وأمريكا من ملاجىء ومستشفيات ودور للخير . حقا إن شهرة هو تيفلد لم تبلغ فى العالم من الذيوع ما بلغته شهرة لوثر أو كلفن أووسلى ، وهذا لأنه لم ينشىء مذهباً جديداً أو فلسفة جديدة ، لكنه فى الحقيقة كان أخطب منهم وأنفع للخير العام، لأن خطبه الممتلئة بالحرارة والاخلاص لم تقد الناس إلى الحرب وإهراق الدماء والمذابح بل قادتهم إلى البر والمؤاخاة والعطف بينهم ، وإن من أظرف ما يروى من أخباره أن الرئيس فرنكلين كان يسمع عنه وكان لا يحبه ، فدعاه أحد أصدقائه مرة إلى اجتماع سيخطب فيه هو يتفيلد فذهب على كره منه . فلما سمع الشطر الأول من خطبته — وكان موضوع الخطبة الحث على جمع التبرعات لعمل خيرى — تحرك شىء من العطف فى قلب فرنكلين وعزم على التبرع بقليل من السنتات (السنت : مليمان) فلما بلغ الخطيب نصف خطبته ثار العطف فى قلب الرئيس أكثر فعزم على التبرع بدولارات، فلما فرغ هويتفلد هب فرنكلين فأفرغ فى صندوق التبرعات كل ما كان في كيسه من السنتات والدولارات والجنيهات !

فهل من وعاظنا الأفاضل من يبلغ مبلغ جورج هويتفلد ؟

جورنج رجل ألمانيا الحديدى

ظهر هذا الكتاب بالانجليزية لمؤلفه هـ . و . ريان، وقد تناول فيه المؤلف حياة المارشال جورنج فأرخها تأريخا جيلا من يوم نشأته فى المدرسة القروية الحربية البروسية إلى عمله فى فرق الطيران الألمانى زمن الحرب ، إلى هجرته إلى السويد بعد هزيمة ألمانيا ، فزواجه هناك من زوجته كارين التى قاسمته شظف العيش وشدة الحياة ، التى وضعت فى حياته اللبنات الأولى للمجد والمستقبل الحافل . . . ومن أبرع فصول الكتاب تلك التى تتناول عهد الصداقة بين هتلر وجورنج . فقد عهد هتلر إلى صديقه تشكيل الحزب الوطنى الاشتراكى فقام بمهمته على أحسن الوجوه وشكل فرق الفرسان البنية، وكان مبدؤه إعادة الثقة إلى الشعب الألمانى ثم بناء ألمانيا الجديدة . وقد حدث شغب فى ميونخ كاديؤدى إلى اعدام جورنج لولا أن صدر عفو شامل فأنقذت حياته وفى الحقيقة أنقذت حياة ألمانيا . ثم سلك سبيله إلى الريخستاج فصار أحد أعضائه البارزين . ولما صار هتلر مستشاراً عهد إلى صديقه بتنظيم الطيران فى ألمانيا وتدعيم اقتصادها فى وقت واحد فقام بالمهمتين أحسن قيام . وكون لألمانيا أسطولا جويا لم تشعر به فرنسا إلا فجأة فاذا هو ضعف قواتها الجوية عدداً وأهبة واستعدادا، ولولا هذا الأسطول ما جرأت ألمانيا على احتلال الرين غير عابئة بقوات أعدائها الكثيرين. وجورنج مع ذلك رجل مثل عملية وهو صاحب الصيحة الآرية الدوية كما أنه هو الذى طهر ألمانيا من اليهود

سياسة الغد

كتاب جليل الموضوع مستقل الرأى مستقيم التفكير ، أخرجه الأستاذ (ميريت بك بطرس غالى) كما تخرج الطبيعة ثمرتها فى إبانها : عالج فيه الأستاذ الخطط السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يجب أن تسير عليها مصر فى عهدها الجديد علاجاً بارعاً نزيهاً صريحاً لم يتقيد فيه بمذهب خاص ولا حزب معين . والكتاب لجلالة موضوعه ومكانة مؤلفه يستحق أن نعود إلى الحديث عنه بالتفصيل فى العدد المقبل

ناد أدبى للطلبة المغاربة بمصر

اجتمع الطلبة المغاربة بمصر بحثوا فى تأليف ناد ثقافى تعاونى وكونوا لجنة تحضيرية لوضع مشروع قانون أساسى له

وفى الساعة التاسعة من يوم الأربعاء ٢٦ أكتوبر تناقشوا فى مشروع القانون الذى قدمته اللجنة التحضيرية ثم وافقوا عليه ، وانتخبوا لجنة تنفيذية لتدير أعمال النادى وتحقق أغراضه الثقافية والتعاونية من الطلبة

محمد العربى العلمي سكرتير والمهدى بنونه مساعد له وعبد الكريم غلاب أمين الصندوق وأحمد بن المليح والعربى بناني ومحمد المسقوى وعبد العزيز الوارثى أعضاء

هكذا تكلم زرادشت

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

إن نيتشه نفسه يوافقنا على هـذا التفسير ، فهـو يقول ص ١٧ من الترجمة العربية :

« وهنالك فى الصحراء القاحـلة (أعنى صحراء الحيـاة القاحلة) يتم التحول الثانى فينقلب العقل أسداً لأنه يطمح إلى نيل حريته وبسط سيادته على صحرائه ...!

وفى هذه الصحراء يفتش عن سيد ليناصبه العداء كما ناصب سيده السـابق ، فهو يستعـد لمكافحة التنين (الواجب) والتغلب عليه »

ولست أدرى كيف غفل صديقنا المترجم عن هذا مع أن قلمه جرى به فى الترجمة ؟ وكيف تغافله الدكتور « روبرت ربننجر » إن صح ما ينقله صديقنا المترجم عنه

أما الفقرة الأخيرة من النشيد ، والتى يجد فيها المترجم سنداً لتأويله على زعمه ، فهذه الفقرة لا تؤيده فى رأيه بعد أن وضح التفسير الصحيح وإنما هى تؤيدنا فى تفسيرنا الذى ذهبنا إليه

أما ترجمة عبارة (سلاه) (حىّ على الصلاة !) ففيها نظرة؛ ذلك أن نيتشه كان إخصائيا فى الآداب العبرية. ومعروف فى الأدب العبرى أن لفظة (سلاه) ترد فى أواخر الأناشيد ، والدليل على هذا قائم فى سفر الأناشيد فى العهد القديم وقد ترجم إلى (سلاه) عربياً فى كلا الترجمتين اليسوعية والأميركية . هذا إلى أن نيتشه نقلها كما هى إلى الألمانية واختتم بها عبارات أناشيده . وظلت على نصها العبرى فى جميع التراجم مع ظهور مفهومها فى اللغة العبرية للجميع ، إذاً فليس هنالك وجه لأن يذهب المترجم ليفسرها بأن نيتشه يقصد بها (حىّ على الصلاة !)

أما تقدير الدكتور (روبرت رينجر) فلا قيمة له ، ذلك أنه يعرف عن نيتشه أنه متصل بالآداب السامية ، فلما وجد تفسيراً للكلمة فى العربية وافق المفسر فى رأيه ، وهو لو درى أن نيتشه كان وقوفه مقصوراً على آداب العبريين ، لعلم أن مفتاح الكلمة فى لغة العبريين وليست فى لغة العرب ، ومن هنا كان له أن يرفض تفسير المترجم !

وهنالك فى التمهيد الذى قدم به صديقنا المترجم مآخذ كثيرة نحصر الكلام هنا على أهمها وأكثرها مجانبة للواقع

يقول المترجم :

(يريد نيتشه خلق الانسان المتفوق — يعنى السبرمان — جباراً كشمشون، وشاعراً كداود، وحكيما كسليمان. فهو يكاف الطبيعة مالا قبل لها به ويطمح إلى إيجاد جبابرة لا يصلحون لشىء فى المجتمع لأن الحيوية لا تتصرف من مختلف نوافذها الجسمية فى آن واحد دون أن تقبض على صاحبها لتوقفه من سلم الارتقاء على مرتبة معلقة بين الاعتلاء والانحطاط فيكون منه لا الانسان المتفوق بل الانسان « التافه » القصير الحياة والقاصر فى كل عمل يباشره .)

وهذا الرأى يصح ولكن إذا كانت القوة الحيوية فى الأحياء لا يمكن زيادتها فيهم حتى يكون من تصرفها من مختلف نوافذ الحياة مايجعل الحى يقف فى مرتبة التفوق من سلم الارتقاء . من هنا لا يصح هذا الاعتراض على نيتشه ، ذلك أنه يقيم فكرته فى مجىء السبرمان من ازدياد القوى الحيوية عن طريق ترك المجال للتنازع للبقاء فيبقى القوى الأصلح . وتعمل سنة الانتخاب على

تثبيت صفة القوة فى سلالات هذا القوى الذى خرج منتصراً من معمعة التنازع على البقاء .

يقول المترجم :

(من تبصر فى أحوال الناس وطرائقهم فى الحياة ، لا بد له أن يسلم أخيراً بأن لكل شخصية حياتها بما كمن فى حوافزها ولكل شخصية ميتتها بما خفى من أدواء جسمها وعالى إرادتها وبما وراءها من مقدمات وحولها من نتائج)

وهذا الرأى فكرة أولية يؤمن بها صاحبها فليكس فارس وتدور من حولها آراؤه فى الشرق والغرب ، وهذه الفكرة فيها عنصر من الخطأ ، وموضع الخطأ عدم ملاحظته العوامل والمؤثرات الطبيعية والاجتماعية التى تترك أثراً ثابتاً فى فطرة الأحياء يتكافأ مع حوافزهم الطبيعية . وقد جلينا فى سلسلة مقالاتنا المدرجة على صفحات (الرسالة) عن الغرب والشرق كيف تنزل جميع آراء صديقنا من هذه الفكرة الأولية ، وشرحنا أوجه الضعف بتفصيل فيها ، فلا داعى هنا للافاضة .

يقول نيتشه :

(إن مافطرنا عليه هو أن نخلق كائناً يتفوق علينا ، تلك هى غريزة الحركة والعمل)

ويعلق على هذا الكلام المترجم بقوله :

(ما هذه الفطرة التى يراها نيتشه رافعة الانسان إلى التفوق على ذاته وأنساله إلا حافز الحب وفى أعماقه غريزة الانتخاب تجتذب الزوجين إلى اتصال يشدد أحدهما فيه ماوهن فى بنية الآخر .)

وهو فى تفسيره هذا وتعليقه يحمل نيتشه أفكاراً لم تمر بخاطره فضلا عن أنه يخالف العلم الحديث بمقدراته .

يقول نيتشه إن غريزة الحركة والعمل فى الحياة تعمل لخلق كائن يتفوق على أبويه ، وهو فى هذا يماشى فكرة أن التطور مدفوع للارتقاء ، فاذا كانت الحياة هى الحركة والعمل ومجبولة على الارتقاء ، فاذن كل نتاج الحياة يتفوق على أصله . وهذه فكرة مستقلة بذاتها عن فكرة المترجم حين يقول: إن حافزة الحب بما فى أعماقها من غريزة الانتخاب الزوجى يجذب الزوجين إلى اتصال يشدد أحدهما فيه ما وهن من بنية الآخر

ومع هذا ففكرة المترجم واهنة لو نظرنا إليه من ناحية العلم البيولوجى ، ذلك أننا نعرف من بحوث الأستاذ جوليان هكسلى المعروف أن المظاهر الخارجية فى الحياة وخصوصاً الصفات « النفسية » وعلى وجه خاص الحب لا يتعدى أثرها « إحكام الروابط النفسية بين الأحياء بعد أن يهبط الميل الفسيولوجى إلى درجة العدم » . من هنا لنا أن نقول إن حافز الحب مهما كان له من الأثر فى إحكام الروابط النفسية بين الأحياء فانه لا يتعدى دائرة المظاهر الخارجية للحياة ولا يصل بتأثيره إلى العالم الداخلى فاذن رأى صديقنا المترجم يخالف مقررات العلم البيولوجى الحديث وأمانة البحث تضطرنا إن نقول إن بعض الباحثين إلى الآن لا يزالون يحملون بعض الظاهرات الطبيعية فى التناسل على الصفات « الروحية » ذلك أن هذه الفكرة بقية من آثار الرأى العامى الشائع فى أن للمظاهر الروحيـة أثراً فى تكوين الجنين . ويستحسن أن يراجع المترجم بحوث الأستاذ جوليان هكسلى فى هذا الوضوع

ومن هنا نرفض كل مانقله المؤلف من فصل (منابت الأطفال) من كتابه (رسالة المنبر إلى الشرق العربى) مقدرين أنه لا صلة بينها وبين الأبحاث العلمية الحديثة فى البيولوجيا

يقول المترجم :

(إن الدين الذى يهاجمه نيتشه إنما هو صورة لأصل شوهها الغرب)

وهذه الفكرة تدور فى كلامه، ذكرها فى كتابه (رسالة المنبر) مراراً ورددها فى مناظرته مى عام ١٩٣٧ وجاء يكررها على صفحات (الرسالة) أخيراً ، وها هو ذا اليوم يذكرها فى تمهيد يقدم به ترجمته لكتاب زارازوسترا . ومع كل هذا فالفكرة خاطئة فالغرب لم يشوه الدين الذي أخذه من الشرق ، وإنما كل مافعله ، أنه جعله يتكافأ مع طبيعته الحيوية الانسانية فأسبغ عليه صوراً ليست منـه ، ولكنها من طبيعته ، فكان من ذلك صورة للدين تغاير الصورة التى هى عليها فى الشرق

إذن فالتعبير بأن الغرب شوه الدين تعبير خاطئ ، وصحة التعبير أن يقـال إن الدين الذى أخذه الغرب عن الشرق كيفه على حسب طبيعته حتى يقبله، وهذا التكييف إن اعتبر تشويهاً فى نظر المترجم

هو فى الواقع خلع للثوب النبى عن الأديان وجعله إنسانياً !

يقول المترجم :

(إن الدين قد أراد للانسان تكاملا روحياً يهيئه إلى إدراك باريه وراء المحسوس فى حين أن نيتشه ، وقد أنكر ما لا تقع الحواس عليـه ، أراد أن يفلت الانسان من حدود إنسانيته على هذه الأرض فيجعلها جنة خلد يستوي عليها بجبروته إلهاً ...)

ونحن نقول :

(إن نيتشه لم يفعل أكثر مما استلزمته عقليته الآرية وعقله الانساني المتحرر من تقاليد الماضى ، وهو لم يحاول أن يجعل الانسان يفلت من حدود إنسانيته بل عمل أن يرد الانسان لحقيقته فى عالم الطبيعة بعد أن حاولت الأديان أن تفلته من حدود الطبيعة وبجعله خاضعاً لمـا وراء الطبيعة ، حتى أصبح الانسان حيواناً ميتاً فيزيقيا)

إن وجهة النظر تفترق من اعتقاد ثابت بالغيب أو بانكار لها وإيمان باليقين الواقع ، ومن هنا فالفرق بينى وبين صديقى المترجم أنه رجل غيبى وأنا رجل ضد الغيبيات على خط مستقيم

والناحية الغيبية عند صديقى هى التى جعلته ينكر التطور كحقيقة بيولوجية إذ قال :

(إن المخلوقات كلها فى سلسلة الوجود لا تملك الانعتاق من حدود أنواعها مهما كرت القرون وتعاقبت الأجيال ، لا يمكن للجماد أن يفلت من مملكته إلى مملـكة النبات، ولا للنبات أن يجتاز حدود مملـكة الحيوان ولا الحيوان ، أن يجتاز مملـكة الانسان

لذلك كان الذاهب فى طلب إنسان يتفوق على الانسانية كالمحاول استنبات الشجرة حيواناً أو استبدال الحيوان إنساناً

لقد كرت القرون على مبدأ التاريخ الذى نعلم وعلى ما لانعلم من حقب كرت ما وراءه ، والانسان لم يزل هذا المخلوق الدائر أبداً ضمن حلقة إنسانيته)

ويؤسفني أن يرجع صديقى فليكس فارس عن أفكار عصره القهقرى إلى أفكار القرون الوسطى

يقول أمين الريحانى فيلـوف الفريكة فى خطاب لصديقه وصديقى فليكس فارس على صفحات المقتطف :

(ألا إن فليكس لصديق عزيز قديم . وقد طالما ترافقنا فى جادات العقل والروح واتفقنا ، بل كنا دوماً فى طليعة الحملات حملات الحرية والعلم ، على معاقل الظلم والظلام

وإنى لأرى فليكس اليوم فى غير تلك الطلائع والحملات ، إنى أراه اليوم واقفاً فى المؤخرة وهو يتلفت إلى الوراء ويجنح بعض الأحايين إلى جادات لا أثر فيها للعلم الحديث ، وللنزعات الفكرية الحرة ..!)

وإنى وإن كنت أوافق فيلسوف الفريكة فى الشطر الثانى من كلامه عن صديقى فليكس ، فاننى لأشك فى صدق الشطر الأول منه ، فى وقوف صديقنا فليكس في طليعة حملات العلم ، ذلك أننى لا أتصور إنساناً يقف فى طليعة حملات العلم ولو قبل الحرب العظمى ويكون منكراً للتطور . لقد كان فليكس فارس فى طليعة حملات الحرية فى سوريا قبل الحرب، ولكن لم يكن فى طليعة حملات العلم . هذه حقيقة يجب أن نعرفها . إن كانت للصداقة واجباتها فان للحقيقة حقوقها ...

بالأمس كنت أقلب بين يدى كتاباً عن نظرية التطور عند القدماء لأوتو فولنجر الـكاتب الألمانى المعروف . وقد جمع مؤلفه فى القسم الثانى منه كل ما قاله كتاب العرب فى موضوع التطور واليوم انتبهت فاذا بصـديقى فليكس يرى التطور ويتصوره بالصورة التى جعله عليها إخوان الصفا وابن مسكويه منذ قرون . فيذهب للرد عليهم جانحاً إلي صور من التأمل والتخيل أبعد ما تكون عن أساليب العلم والعلماء

لا شك عندى أن صديقى فليكس يسير فى المؤخرة من سير الزمن ، يعيش بعقله فى عصر سابق لقيام النهضة الحديثة

إن الشخص الذى يتحدث عن المواليد الثلاثة وعوالمها وعن عدم إمكان الجماد أن يفلت من حدود عالمه إلى عالم النبات ، وعن عدم إمكان النبات أن يفلت من كونه إلي مملـكة الحيوان... إنما هو شخص يعيش بأفـكاره فى العصور الوسطي ، ونحن لانرضى بمثل هذه الحياة لصديقنا ، ولكن ليس بيدنا من أمر!...

يقرر الصديق فليكس أن كرّ القرون وتعاقب الأجيال لا يُمَكِّنُ النوع من الانعتاق من حلقة نوعه ... فكأنى بالصديق أولا : من الذين يتصورون النشوء والتطور يجرى لطول الآماد وكرّ القرون وتعاقب الأجيال . ثانياً : أنه من الذين لم يقفوا على المباحث الحديثة فى التطور وخصوصاً تجارب

« مورغن » و « مللر » و « جوهانسن » حتى أنه يكرر القول بعدم امكان النوع أن ينمتق من حلقة نوعه

أما عن التصور الأول فقد نبه إلى فساده من قبل « شارلس روبرت دارون » في كتابه أصل الأنواع ، إذ قال فى الفصل الرابع (ص ٢١٨ من الترجمة العربية ، طبعة أولى و ج ٢ ص ٤٠ من الطبعة الثانية — ترجمة صديقنا اسماعيل مظهر) مانصه :

(إن كر الصباح ومر العشى ، ومضى الأزمان المتتابعة لا يحدث فى الانتخاب الطبيعى أثراً ما إيجاباً أو سلباً . ولقد اضطررت إلى التكلم فى هذا البحث لأن بعض الطبيعيين أيقن خطأ بأنى أعتقد أن لمضى الأزمان وترادف العصور ، الأثر الكلى والجولة الواسعة في تغيير صفات الأنواع ، على قاعدة أن صور الأحياء عامتها كانت ممعنة فى تغاير الصفات بتأثير سنة طبيعية مؤصلة فى تضاعيف فطرتها بيد أن مضى العصور وتلاحق الدهور لا يتعدى أثرها تهيئة لظروف ظهور التغايرات المفيدة للكائنات الحية وانتخابها انتخاباً طبيعياً واستجماعها ثم تثبيتها من طبائع الصور العضوية ، ولا جرم إن لذلك أثراً بيناً ، غير أنه بعيد عما يتوهمون ، كذلك يعد مضى الوقت طبائع الكائنات الحية من حيث تأثيرها الآلى ، إلى قبول تأثير الحالات الطبيعية قبولاً مباشراً »

لقد كان صديق اسماعيل مظهر يرد على جمال الدين الأفغانى مزاعمه فى هذا الموضوع بنفس هذا الكلام منذ خمس عشرة سنة . واليوم يدور دولاب الزمن ، وأقف أنا من سيره أعيد كلام صديقى فى تصحيح مزاعم الصديق فليكس .

أما عن الأمر الثانى فصديق فليكس يظهر تماماً أنه لم يقف على حقيقة البحوث التطورية الحديثة ، وهو قد ظن أن الخلاف الذى نشب فى أوائل القرن العشرين بين مدرسة لامارك ومدرسة دارون ومدرسة وزمان دى فريس حول مجرى التطور إن دل على شىء فانما على أن نظرية التطور واهنة .

والواقع أن التطور اليوم خرج من حدود النظريات وأصبح حقيقة أولية فى علم الأحياء ، وإن كان هناك من خلاف فهو حول تفسير التطور والعوامل والمؤثرات التى تدفع إليه .

وليس من شأنى هنا أن أنقل للصديق فليكس آخر الآراء الحديثة في تفسير التطور ، فليس خلافنا معه على التفسير إنما على التطور نفسه ، فان الصديق فليكس ينكره كحقيقة علمية وهنا موضع الافتراق بيننا .

وإنى وإن كنت من غير المشتغلين بمباحث الأحياء فان وقوفى على مباحثه وقوفاً تاماً يسمح لى أن أقول مع شكسبير إننى مستعد لدفع ألف أسترلينى لمن يثبت ولو من وجهة نظرية أن التطور ليس حقيقة علمية !..

إنى مستعد لدفعها وبعد ذلك إعلان إفلاسى و كسر قلمى .. كما قال فى مسألة مماثلة من قبل جوجول .

وذهب صديق فليكس إلى الخلط بين الالحاد والعدمية بين Athié و Nihilism ، فهو يقول : « الملحد هو الذى يرى أمامه ووراءه العدم والزوال » وهو فى ذلك يوافق الأديب الناقد الأستاذ عباس محمود العقاد رأيه فى أن « الملحد من يجحد الحياة وهو من هنا يريد أن يقول إن نيتشه نظراً لأنه لم يجحد الحياة » فهو مؤمن !

غير أنى أرى أن هـذا الرأى فى الالحاد توسع فى فهم معناه إلى أكثر مما يحتمله معنى الالحاد ، فان الالحاد عندنا « الملحدين » حالة سلبية بالغيبيات ، وناحيتها الايجابيــة اعتبار اليقينيات أساس المعرفة .

وأظن أن هذا الرأى يتسق مع مفهوم الالحاد أكثر من رأى الصديق فليكس وفكرة العقاد .

وبهذه المناسبة أحب أن ألفت نظر الصديق فليكس إلى ذلك الحديث الذى جرى منذ شهرين تقريباً على المائدة فى داره بينى وبين الصديق الدكتور حسين فوزى والدكتور محمود عزمى وأديب حلب سامى الكيالى ، وكيف انتهى بنا الحديث إلى أن الالحاد حالة غير حالة العدمية

ومن هنا لا أجد بدًّا لرد فكرة اعتبار الالحاد والعدمية وجهتين من النظر لا تختلفان

العدمى هو الذى جحدته حياته فجحدها ، وكثير من الملحدين عدميون ، ولكن هذا ليس بدليل على أن الالحاد والعدمية مظهران من حالة واحدة

هذه ملاحظات سريعة على التمهيد ، نوطئ بها الكلام عن نيتشه وفلسفته وقيمة تفكيره فى عالم الفلسفة وأثرها فى ألمانيا

(أبو قير) اسماعيل أحمد أدهم

6 me Année, No. 280

Lundi - 14 - 11 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨٠ « القاهرة فى يوم الأثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٥٧ — ١٤ نوفبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

الغازى كمال أتاتورك

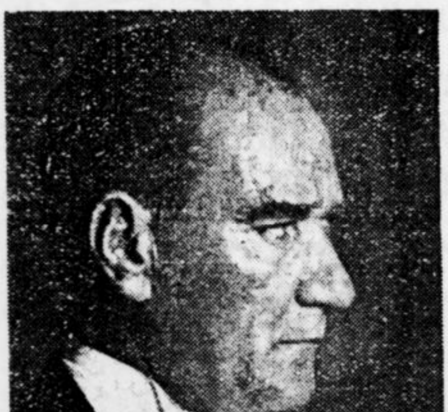

ربما كان (كمال أتاتورك) أضعف من (مصطفى كمال) فى الدلالة على نشور دولة فى قائد، ونبوغ أمة فى رجل، وبلوغ حكومة فى زعيم، وتاريخ نهضة فى حياة فرد! فإن (مصطفى كمال) اسم على كل اولئك نقشته فى الآذان والأذهان الأقدار المصرّفة والعبقرية الخلاقة فى مدى عشرين سنة! ولكن (أتاتورك) لقبٌ أطلقوه على النسر المحلق بعد ما قبض مخلبه وطوى جناحه، فلم يطر معه فى جو، ولم يقع به على فريسة، ولم يدل إلا دلالة الأبوة على الأسرة الطائعة والألفة الجامعة والرعاية الحنون!

لم يكن مصطفى كمال رحمه الله رجلاً من رجال المصادفة والحظ ، يرفعه إلى البطولة خلو الميدان ، ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة ؛ وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يوشك أن يضل ، والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت . والغالب فى هذا الصنف من الناس أن يكون مستبداً برأيه حاكماً بأمره ، لأنه يظهر والقوم فى ضلال أو انحلال فيكون تفرده بالأمر تنبيهاً من الله وتوجيهاً من الطبيعة ؛ ومن ثَمَّ كان المضاء والفداء والإيثار والعدل من أخص صفاته

جرت الطبيعة فى تهيئة مصطفى كمال على منهاجها فى تهيئة الأبطال ، فولدته فى مهد الفقر ، وربّته فى مدارج القرية ، وغسلته بأنداء الحقل ، وسقته من عرَق العمل ، ففلح الأرض ، ورعى الغنم ، وتلقى من الطبيعة الصافية الحرة أخلاق البطل الذى رمى المنجل وأخذ السيف ، وانصرف عن قيادة القطيع إلى قيادة الأمة

تستطيع أن تقول : إن الوراثة المختلطة والنشأة القروية والبيئة المقدونية والأم الصالحة قد فعلت فعلها جميعاً فى تكوين مصطفى كمال ؛ ولكنك لا تستطيع أن ترد إلى عامل من هذه العوامل ذلك القلق الروحى الذى استولى عليه فى جميع أطوار عمره، فتركه ثائراً لا يهدأ، وطامحاً لا يرضى، ودائباً لا يستقر . إنما هو سر النبوغ يذيع، وقبس الإلهام يتقد، وفيض الحيوية يزخر ؛ فهو راعٍ قلق فى المرعى ، وطالب ثائر فى المدرسة ، وقائد متمرد فى الجيش ، وزعيم مسيطر فى الحكومة

رأى مصطفى طغيان عبدالحميد يخنق الحرية ويزهق النفوس ويرهق الضمائر ، فقاومه وهو يافع فى جماعة (الوطن) ، وهاجمه وهو شاب فى جمعية الاتحاد والترقى ، وقضى على تراثه كله وهو كهل فى المجلس الوطنى الكبير. ثم كان فى كل عمل تولاه يمضى مُضىَّ الأمر المقدور، فلا يتقيد برؤسائه الألمان ، ولا بزملائه الترك ، إذا رأى الفوز فى خطته أو الصواب فى رأيه

وعصفت الحرب الكبرى بغليوم وبوحيد الدين ، ومزقت معاهدة (سِفْر) رقعة الأمبراطورية العثمانية بين الحلفاء ، فكان لكل حليف درة من تاج محمد الفاتح ، حتى لم يبق للخلافة إلا موضع العرش . ونزل الخليفة ووزراؤه على حكم القادرين فاعترفوا بالضيم واستكانوا للمذلة . واعتقد الناس أن (الرجل المريض) قد لفظ نَفَسه فلا حسٌّ ولا حركة . ولكن الشعوب الحربية يتنخلها الانتخاب الطبيعى فلا تموت بالصيحة كما تموت الشعوب الوديعة ، فبقيت الروح التركية تضطرم وتفور فى مصطفى كمال ورفاقه الميامين على شعاف الأناضول ، فجمعوا فلول الجيش المحطم وكرُّوا به على اليونان فكبكبوهم فى البحر ، وضعضعوا عزائم الأحلاف فهادنوهم فى (مودانيا) مهادنة النصر ، وعاهدوهم فى (لوزان) معاهدة الاستقلال .

وبُعثت تركيا من جديد على صرخة كمال وأنصاره كما يبعث المقبور على نفخة الصور ، عارية من دنياها القديمة ، منقطعة عن ماضيها الغابر ، فاستبدلت الجمهورية بالخلافة ، والقبعة بالطربوش ، وفصلت بين الدنيا والدين ، وكتبت من الشمال إلى اليمين ، وأدارت ظهرها للشرق ، وساوت بين الرجل والمرأة فى الحق ، وسجلت نفسها فى عصبة الأمم من مواليد هذا القرن !

قالوا : إذا كان محمد من جهة البشرية معنى العرب ، فان مصطفى كمال من هذه الجهة معنى الترك . ووجه الشبه فى زعمهم أن أتاتورك أحيا وجاهد وأصلح وشرع ، وأن مبادئه ستنطبع فى العقلية التركية فلا تصدر إلا عنها ولا تسير إلا عليها ؛ وقد فاتهم أن نهضة محمد يسددها قرآن ويسندها وحى ، وأن نوطتها فى القلوب آتية من اقتناع العقل لا من شدة السلطان ؛ وقد انتقل العرب على هُدَى قائدهم الأعلى من حال إلى حال لا يقاس ما بينهما من البعد والاختلاف بما بين حالي الترك ، ومع ذلك ظلوا فى طريقهم الواضح إلى الله ثلاثة عشر قرناً ونصفاً لا ينكصون ولا يضلون . فليت شعرى أيظل الترك فى طريقهم إلى الغرب بعد أن همد الصوت المُهيب وسقطت العصا المهددة ؟ إن الناس ليختلفون فى الجواب عن هذا السؤال . ولعل كثرتهم يعتقدون أن التغلب على العقائد المغروسة والتقاليد الموروثة والآثار الماثلة لا يتيسر فى مثل هذه المدة . ولكن المختلفين والمتفقين كلهم لسان واحد فى أن كمال أتاتورك أعظم من أنجبت تركيا شجاعة قلب وبراعة ذهن وأصالة رأى وطهارة يد وسلامة ضمير

تغمده الله برحمته ، وجعل ثوابه كِفاء لصدق جهاده وحسن نيته

أحمد حسن الزيات

بقية السحر والمثنوية

للأستاذ عباس محمود العقاد

في كتاب حديث باللغة الانجليزية عن الآثار الدينية بمصر ذكر المؤلف معانى المعابد القديمة وطواف المسلمين بها فى المواسم وفى غير المواسم يلتمسون قضاء الحاجات أو يطلبون وقاية الأبناء والأعزاء ، ويعلقون على جدرانها خيوطاً أو خلقاناً تتصل بأصحابها كرامة الصنم أو القديس القديم ، وقال المؤلف بعد ذلك ما معناه أن هؤلاء المسلمين ولاشك هم من عنصر الفراعنة الأقدمين ، وأن هذه العقائد هى سلسلة الوراثة من الآباء إلى الأبناء والأحفاد

ومثل هذا التفسير يجوز لو كانت العقائد مما يورث فى الدماء وراثة تشريحية كما يقولون فى مصطلحات العلم الحديث ، ولكن العقائد لا تنتقل هذا الانتقال ولا تبقى إلا بآثارها فى المجتمع أو بأساسها من النوازع النفسية الخالدة ، وليس منها الايمان بولى مخصوص أو بمكان محدود . بل ذلك هو حكم العرف والتقليد

لقد لاحظنا كثيراً فى الصعيد أناساً يذهبون إلى أصنام الفراعنة ولا سيما آلهة النسل — يطلبون الذرية ويفرضون على أنفسهم النذور ، ويتلون بعض العزائم والدعوات . ولاحظنا كثيراً أناساً من المسلمين يطوفون بغير المعابد الاسلامية دفعاً لمرض أو اتقاء لبلاء ، فلم يخطر لنا أنهم يصنعون ذلك بفعل الوراثة المتغلغل فى التركيب على غير علم من ذويه ، وإنما خطر لنا أنها بقية من السحر وبقية من الايمان بعناصر الشر تساور الناس من جميع الأديان

فالمسلمون والنصارى واليهود والمجوس والبوذيون يلجأون إلى السحرة للتعوذ من الشرور ، ولا يقول أحد إنهم أبناء أمم قديمة كانت تدين بهذا الدين أو ذاك ، ولكنهم فى الواقع يؤمنون بالسحر اليوم كما كانت الأمم القديمة تؤمن به على السواء فى أفريقيا وأوربا وآسيا والأمريكتين وكل صقع من أصقاع العالم . ولو بقى فى أستراليا مثلا رجل واحد يلجأ إلى ساحر ليحميه بالرقى والتعاويذ لما جاز أن يقال إن هذا الرجل من نسل المصريين الأقدمين لأنهم كانوا أمة يسود فيها طائفة من السحرة والكهان . بل كل ما يجوز أن عقيدة السحر لها مرجع واحد من نوازع النفس الانسانية ، وهو خوف المجهول والايمان بوجود عناصر شريرة تصيب الناس ويتأتى لهم اتقاؤها بالطلاسم والهدايا والقرابين ، على أيدى السحرة من ذوى الصلة بتلك العناصر أو تلك الأرواح

فالمسلم المصرى الذى يلجأ إلى صنم فرعوني لا يتوجه إلى ذلك الصنم لأنه يعبده أو يحس فى نفسه نوازع الوراثة من قبل الآباء والأجداد ، ولكنه يتوجه إليه كما يتوجه إلى ساحر يخدم الشياطين ويصون الناس عن أذاها بجعل معلوم ، ومن دأبه أن يتوقع الشرور من جانب الشياطين ، فكيف يتفق على مهادنتها ومسالمتها إلا أن يكون الاتفاق على أيدى وسطائها المقبولين وسفرائها المقربين ؟ إن الاتفاق مع شيخ من الشيوخ الصالحين قد يطول أمره ، وقد يكون إشهارا للحرب يستميت فيها الشيطان ثم ينهزم آخر الأمر بعد التنكيل بمن أثاروه وناوأوه . ولم هذا التطويل وهذه المجازفة ؟ وماذا يجدى المتوسل المسكين أن ينهزم الشيطان فى نهاية المعركة على يد الشيخ الصالح ؟ أليس أحكم من ذلك وأدنى إلى النجاح أن تهدئ من ثورة الشيطان بالتوسل إلى سفرائه المعروفين ؟

تلك هى الحالة العقلية أو الحالة النفسية التى تحفز بعض المسلمين إلى ابتغاء المعونة من الساحر أو من الصنم الفرعونى المهجور

ونقرب هذه الحالة بعض التقريب فنسأل : ماذا يصنع الفلاح المصرى اليوم إذا علم أن منسراً من اللصوص هجموا على داره فانتزعوا منه طفله وحيوانه وأنذروه باحراق زرعه ؟

إنه لا يؤمن بحكومة مشروعة لأولئك اللصوص ، ولا يحبهم ، ولا يرضى عن وجودهم ، ويعلم أن الطريق المشروع هو تبليغ الحكومة ، وأن الحكومة إذا دخلت فى حرب سجال مع أولئك اللصوص فالغلبة لها لا محالة ، واللصوص مقبوض عليهم في يوم من الأيام بغير جدال

ولكن ما العمل إذا قتل اللصوص طفله وحيوانه وحرقوا زرعه وداره قبل وصول الحكومة إليهم ونجاحها فى القبض عليهم ؟ أليس الأجدي من ذلك أداء « الحلاوة » المفروضة والتماس السلامة من هـذا الطريق القريب ؟ وهل يقدح ذلك فى طاعته للحكومة وإخلاصه للقانون وكراهته لمنسر اللصوص ؟ ؟

هذا بعينه هو أسلوب المسلم المصرى فى التفكير حين يعن له أن يحمى نفسه وأبنـاءه من أذى الشياطين أو أرباب الكفر القديم .

إنه يؤمن بالله ويعرف أنه هو الاله الوحيد الحقيق بالطاعة والعبادة ، وأنه إذا توسل إلى ولى من أوليائه الصالحين فهو منتصر فى نهاية المعركة لا محالة ، ومطمئن إلى جانب الله مالك الملك وقامع الانس والجن والمردة والشياطين .

ولكن ما العمل إذا قتل الشيطان ابنه أو مسه بطائف من الخبل قبل انهزامه فى المعركة التى يشنها عليه ولى الله ؟ أليس الأجدى من ذلك أداء « الحلاوة » المعلومة وكتابة الحجاب المطلوب وتسليم الأتاوة وكفى الله المؤمنين القتال ؟ ؟

فالسحر هو مهادنة بين المؤمن وعناصر الشر إيثاراً للدعة والايجاز فى علاج الأمور، وليس فيه إيمان بإلـه قديم ولا تراث من دم موروث فى العروق .

***

ويشبه الايمان بالسحر الايمان الخفى بالثنوية فى نفوس الجهلاء وبعض المتعلمين .

لقد كانت مدام دى ستايل تقول إنها ملحدة ولكنها تعتقد وجود الشياطين ، أو إنها فقدت رجاءها فى الخير ولكنها لم تفقد خشيتها مما فى العالم الظاهر والباطن من شرور .

والمسلم اليوم يؤمن بالله ، وأن إبليس رسول الشر فى هذه الدنيا غير مشلول الحركة ولا مغلول السواعد ، فقد يصيب من أراده بالضرر ثم يكون المرجع فى دفع ذلك الضرر إلى الله .

ولم يكن هـذا اعتقاد الأقدمين من جميع الأمم مصريين وهنديين وفرساً وعرباً وأوربيين وأمريكيين .

بل كان اعتقادهم أن للشر إلهاً مناهضاً لاله الخير يتصاولان ويتصارعان ، ولـكل منهما معابده وكهانه وشعائره وصلواته ، ومنهم من كان يصلى ويتقرب لاله الشر دون إله الخير . لأن إله الشر هو المخيف المؤذى الذى لا يكف عن الاساءة إلا بمهادنة وقربان ... أما إله الخير فلا خوف منه ولا انقطاع لخيره ، إذ هو مطبوع عليه انطباع زميله على النكاية والايذاء .

بطلت هذه العقيدة وخلفتها عقيدة التوحيد ، ولكنها ذات رجعات وعقابيل تظهر فى المتقدين والملحدين . فأما المتقدون فثالهم أولئك الجهلاء الذين يتوجهون إلى صنم فرعونى قديم ، وأما الملحدون فثالهم مدام دى ستايل التى تخاف المفاريت والشياطين ولا تخاف الله . وفيما تقدم كله تفسير لما أشكل فهمه على الأستاذ مورتون مؤلف الكتاب الذى أشرنا إليه .

عباس محمود العقاد

الحقائق العليا فى الحياة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الايمان · الحق · الجمال · الخير · القوة · الحب

« بعض الألفاظ إذا نطقت بها تتحرك لها فى نفسى دنيا كاملة ! »

١ — الايمان

أعجب لفنان لا يؤمن وهو دائماً يقلب حواسه فى الطبيعة !

ألا يحس الرباط الجامع بينها وبين قلبه ؟

أهو يعجب إن رأى صنمة إنسانية تحاكى نماذج الطبيعة ، ولا يعجب من النماذج الحية نفسها ، التى تقذفها الأرحام وتتفتح عنها الأكام ، وتنسجها ظلمات الأرض ، وتصبغها أضواء السماء ؟

ألا يعجب من يقظة القوانين الدائمة الصيانة للذرة والمجرّة وما بينهما ؟

أنا أدعو كل ملحد إلى شىء واحد : أن يعيد النظرة مرة ثانيـة فى أبجدية الحقائق ، وأن يستحضر روح طفل يفتح عينه لأول مرة على الحياة فيرى فيها كل شىء جديداً : الحياة الماثلة فى الطبيعة المجردة لا فى الطبيعة « المحفوظة فى علب » كما يعبر الأستاذ توفيق الحكيم

أدعوه أن يترك الألفاظ الاصطلاحية التى ساقها الجدليون وأهل الخلاف ، فدخلت إلى فكره واحتلته وخنقت الأصوات الطبيعية التى تنبعث فيه منادية إلى الأوليات والمبادئ الفطرية دائماً . بل إنى أدعو كل ذى لب وقلب : أن ابتدئ حياتك ! كن طفلاً من جديد ... أنظر إلى الدنيا بعين ريفى أبله فوجئ بزينة المدينة ... إنس ألفاظ الناس وتعاليمهم . إن كثيراً من معلوماتك دخلت إليك وأنت قاصر لا تميز الخبيث من الطيب . إنهم خدعوك فى الحق وخدعوك فى الباطل . فليس كل الحق عندك حقـاً ، وليس كل الباطل كذلك ... وقد بنيت أحكامك بعد أن كبرت واستقللت على أشياء لم تتأكد من صحتها ولم تختبرها بكل عقلك وإلهامك . فأعد النظر فى كل شىء تظفر بلذة عظمى : لذة انكشاف حقيقة نفسك ودنياها لك

لقد أتى « ديكارت » أبو الفلسفة الحديثة بالعجب العجاب حين أعاد النظر فى نفسه ودنياها من جديد ... إنه جدد حياة الفكر البشرى كله حين جدد حياة نفسه فهدم كل ما فيها ثم أعاد ما يستحق البناء منه وذرى أنقاض الباطل فى الريح وفى وجه الشيطان ...

سترى الناس لا يسيرون على الجادة ، ولكن يتفرقون على بنيات الطريق ودروبه المسدودة أو الموصلة إلى التيه ... أو أنهم يستدبرون وجه الطريق ويستقبلون قفاه ... أو أنهم يتخذون قطاع الطريق أدلاء ومرشدين ورواداً ...

إن الطب يدعو إلى صحة الأجسام بتصفية الفضلات والزوائد والأخلاط الضادة ...

فلماذا لا تصفى كل ما فى نفسك لتذهب فضلاتها وزوائدها وسمومها . . ؟

إن هذا يذكرك نفسك دائماً ولا يدعك تذهل عنها بالاشتغال بقشور حياتها وبالنزاع الكاذب عليها ، ولا يشغلك عن مواكب الحياة التى تمر أمامك فى كل لحظة

إنه مسح لزجاجتها حتى تكون شفافة صادقة الوصف والنقل لما وراءها ...

والذهول عن النفس بالخبز والذهب والحديد ، فَقدٌ لها وإهدار لحياتها الحقيقية ، وسوء فهم لطرق إمتاعها . وإن طعم الحياة لا يذاق إلا بالتيقظ الدائم لها فى كل لمحة ونَفَس

والانسانية هى هذه النقطة ، لأن الحيوان فى ذهول دائم يسير مكباً على وجهه لا يتيقظ إلا إلى مشتهاه . ولذلك غلب الذهول عن الشئون الوضيعة ، على عقول الفلاسفة والفنانين الصادقين ، لأنهم دائماً فى شغل بصيد الخواطر التى تقفز وتحوم حول حواسهم وأفكارهم

ومتى ابتدأت حياتك شعرت بنفسك ثم شعرت بيد قاهرة خفية تدفعك من غير إرادة منك ولا استشارة لك إلى هذه الدار العجيبة الكبيرة الماثلة : الدنيا . وتلك اليد هى مناط الايمان . يجن العقل ولا يستطيع أن يتصور أن الطبيعة خالية منها أو خارجة عن طوعها ...

فالايمان أن تقذف بنفسك دائماً في أحضان هذه القوة القاهرة الحامية لحقائقها وقوانينها وأن تكون معها كما يكون الطفل مع أبيه: يلوذ به ويعوذ، ويعتز ويفرح، ويفتخر وينتسب.

الايمان هو استمداد القلب قوته وحياته من واهب الحياة وقيوم الدنيا . فالانسان به مسندٌ ظهره إلى جدار السموات والأرض ، مُحْتَمٍ بقوانينها ، مسلط عليهما ، سائر دائماً في صف مجدهما وحقهما : مجد الحياة وميزان العمل فيها ، شاعر أنه قوة خادمة للإلهية عاملة ناصبة للتعمير وإقرار الحياة فيهما ، فإنه قيوم صغير نائب عن القيوم الأكبر ، تتجدد فيه الحياة بتجدد خواطره ويتدفق فيه فيض مستمد منها يحيا به كل الحيوات ...

ثم هو في مخاطبة دائمة مع المشيئة الغالبة العالمة المبدعة التي تلتقي عندها الخلائق

وإن إدراك معنى من معاني الالهية في خفقة من خفقات الروح أمر يحطم الحدود الضيقة التي يعيش فيها الانسان ، ويجعله يتسع للعالم كله ، فيرى الخلائق جميعها تلتقي وتزدحم وتنصب في قلبه ... فمن من المتأملين لا يريد أن يرى الدنيا جميعها في لحظة خارجة عن حدود الزمان ؟

من منكم يا راصدي الدنيا يأبى لنفسه هذا الاتساع وهذا الادراك لكل شيء في موضعه الحقيقي بين يدي الاله ، سواء أكان صغيراً صغيراً كالذرة ، أم كبيراً كبيراً كالمجرّة ؟!

قولوا ياموصدي أبواب العلم في وجوههم وفي وجوه الناس !

أجيبوا يا مدمري سعادة الانسان ومهدري معناه ومضيعيه في الأشواك والصخور بين السعالي والغيلان !

أجيبوا يا مشرديه في أودية التيه ، وخاطفيه من أحضان أبيه وقاذفيه إلى قرار اللعنات والطرد والحرمان والفقد الذي ليس معه عزاء !

أجيبوا فاني لا أفقه ما ترمون إليه إلا أن تكونوا قطاع طرق الرحمة ومطاردي الانسانية من فراديس سعادتها .. ولن تكونوا بذلك إلا شياطين ممسوخة لا تظهر في أثوابها ، أو مأجورين للشياطين تدفع لهم أجورهم من الشهوات !

أجيبوا يا باحثين عن فراديسهم وهي في قلوبهم ... ولكن بينهم وبين أن يعيشوا فيها شيء واحد : هو أن يؤمنوا أنها في قلوبهم قبل أن يروها وبعد أن يروا الحقيقة الكبرى التي تملأ الأكوان فلا يجحدوها ...

أجيبوا ياصانعي الألفاظ ومبلبلي خواطر الناس وجالبي شقائهم الدائم بالعمى عن كل شيء يضيء والصمم عن كل شيء يصيح !

إنهم يبحثون عن سعادتهم فيما وراء قلوبهم، ولذلك يهدمون كل شيء ويقتلعون كل شيء من مكانه ويفتحون كل « قمقم » كما يفعل الذي يبحث عن متاع ضائع ثمين أليم الفقد ...

كل هذا لأنهم اخترعوا طائرة وسيارة وراديو وتلغراف . . لذلك أغضوا عن البعوضة والبعير ، ونسوا خالقهما وما بينهما .. نسوا الذي اخترع الآلة العجيبة التي في رؤوسهم ، وهي التي اخترعت هذه الأعاجيب التي بها يفتنون ..

يقول توماس كارليل ما معناه « إن رفع اليد إلى أعلى لا يقل عجباً عن طيران جسم في الجو، وسماع الصوت من قرب لا يقل عجباً عن سماعه من آخر الأرض »

فالمبدأ المعجز موجود منذ الخليقة يراه كل ذي فكر يعبد الحق الأصيل ولا ينساه إذا رأى محاكاة له

***

والايمان وصاية واسعة المسئولية على كل شيء : يشمل رعاية النفس والقربى والرحم والوطن والانسانية والحيوان والجماد ... نعم الجماد فله على المؤمن أن يضعه موضعه في الفكر وأن يجمله ويسخره ويتأمله ويسبغ عليه من حياته هو ...

فالمؤمن ليس فردياً أنانياً ضيقاً حياته له وحده . حتى عياله ؛ إنه يلازم لجيش المبدأ الذي يعمل له ، هو متجرد من سلطان كل شيء ، لأن معه كل شيء ؛ إذ كان على موعد مع ما يفنى منه هنا حيث يتلاقيان عند ملتقى كل شيء، عند الله الذي إليه تصير الأمور فله عين ممتدة البصر وراء الفاني تصير معه وتعرف مقره النهائي ، فلا يشعر فقده ولا يحرم رفده لأنه معه على اتصال فيما وراء الحجب والكثافات ... فأيُّما سمو وخلود للنفس يشبه هذا فيما بين يدي عشاق الخلود من الفنانين والعلماء ؟ فمن يتبع الخلود فليلتمسه عند ملتقى كل شيء وكل ظل وكل ضوء وكل صوت .

ما بين المؤمن وبين الالهية شيء من الحب لا يقاس معه شأن آخر من شئون الحب في قليل ولا كثير ... لأنه يدري أن أباه

الحقيقى هو واهب الحياة وحافظها والقائم عليها والمنظم لآلاتها فى جسده . وليس لأبويه من ذلك الحب شىء إلا لأنهما سبيل شعوره بهذه الرحمة والحب من الالهية التى أوجدته ليتمتع بأفانين الدنيا وأفانين النفس ، وإنه ليرجع إليه فى كل أمر سار أو ضار بفرح طفل أو حزنه ، وإنه ليدرى أن لضحكه ودموعه صدى عنده . وشتان بين معتقد هذا وحسه وبين من يرى نفسه وحيداً بين معارك الدنيا وحرب الشر والخير ، ليس معه عين أبيه ترعاه !

إن الثانى يدخل إلى الدنيا ويراها داراً من غير صاحب يملكها ويتعهدها . فهي عنده شيوع ليس لأحد فيها حرمة إلا بمقدار قوته ، فيأخذ منها جهرة إن وسعه الجهر ، وخلسة إن أحس القهر . لا حدود أمام أطماعه . وأطماعه غير محدودة ، والانسانية عنده قطعان آبدة متوحشة لا رحمة بينها ولا حب إلا فى نطاق الضرورة .

وأى شقاء للنفس إذا لم تعرف أن للدنيا مالكا ! إنه شقاء يوحى بالجريمة فى صور فظيعة فاجعة كجريمة « نيرون » فى حرق « روما » بأهلها . وكجرائم « جوف فوشيه » وزير نابليون ، الذى استعمل كل ذكائه فى التنكيل والتخريب وخدع نفسه إذ كتب على قبره « الموت نوم أبدي » ، وكجرائم الفوضويين والمعطلين والدهريين الذين يرتكبون كل شنيعة على حساب العدم

* * *

لايدخل نفس المؤمن شىء إلابعد استئذان إيمانه . وماعرفت سلطاناً لشىء على النفس مثل سلطان الايمان كما غرسه وعمقه القرآن . وإن النفس لتلاقى به كل شىء ، فان كان من عوامل البطش استمدت من جبار السموات مدداً عليه ، وإن كان من عوامل الرحمة استمدت من الرحمن صوراً من رحمته

وإن المؤمنين ليصبرون على غزو الشبهات لعقولهم ولايدعونها تصل إلى قلوبهم . وهم أكثر الناس انقذافاً بالشبهات لأنهم ليسوا أغبياء ولا عجزة مغفلين عما فى الدنيامن الأحاجى والألغاز؛ فعقولهم دائماً فى احتكاك مع حقائق الحياة وما فيها من الآراء والمذاهب والأديان وفى تعجب دائم قد يصل بهم إلى درجة الحيرة « ولم تزل الحيرة سمة العارفين »

ولم أر إلا واضعاً كف حيرة على ذقن أو قارعاً سن نادم

* * *

نهاية إدراك العقول عقال وغاية سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
قالوا وقلنا دعاوى ما تفيد لنا إلا الأذى واحتجاجاً فى الداجاة

وإنهم ليعلمون أن الله راض لهم الفتنة ليصفيهم ، ولا يأخذ منهم إلى قدسه وسبحات عرشه إلا من يثبت على اتجاهه إليه رغم حجب الغيب الكثيفة من جهة ورغم أضاليل الحياة وتناقض بعض صورها فى ظاهر بعض العقول القاصرة ، ورغم همزات الشياطين ونزغهم « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون »

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون »

وإنهم ليكتمون ما عساه يصيبهم منها فى صدورهم علماً منهم أنها أمراض طارئة فى عصر الشك الذى يصيب كل باحث كما أصاب الغزالى أبا الزهد والمعرفة حتى تكسرت عنه العقائد الموروثة » كما يقول فى كتابه : « المنقذ من الضلال » ، فيرون تحصين الناس منها حتى تبرأ قلوبهم ويهديهم الله إليه بعد جهادهم فيه ، فيعرضوها بعد ذلك مع دوائها وبراهين كذبها وبطلانها وعلماً منهم كذلك أنهم ما أوتوا علمهم كل شيء ، وأن أساطين العلم المادى لم يعرفوا إلى الآن ما هى المادة التى هى أول ما يدرك.. دع عنك ما خفى فى عالم الآفاق وعالم الأنفس ، وعلماً منهم كذلك أن أكثر الناس ليسوا مثلهم متفرغين للتفكير فى الحقائق ومقابلة بعضها ببعض ، وإنما أكثرهم يأخذون الحقيقة أو الشبهة أو الأضلولة فيعيشون بها طول حياتهم ، وقد يموتون عليها إلا أن يتداركهم الله بمن يغسل قلوبهم من الشبه والأضاليل

* * *

تلك ذخيرة الايمان فى قلب ! فأين منها تفريغ الالحاد للقلوب من كل معانى عزائها وهنائها وقوتها وخلودها ؟ أين منها ملؤه لها بكل معنى أثيم أو تافه أو فان ؟ يا ويل من أراحم فارغى القلوب وقد صاروا الآن لا عدد لهم !

لقد ضاعوا لأنهم فقدوا ميراث عزائهم ولم ينالوا الدنيا

وعندى أن كل ملحد واجب عليه إخلاصاً لالحاده أن يكون مجرماً سفاكا أنانياً وحشياً حتى يحقق مقتضيات إلحاده

فلا فائدة من الأخلاق والعلوم والبدوات ما دام القلب فارغاً من الله . وقد قلنا فى مقال « حرمة البيان » « ما هو الحق ؟ ما هو الشرف ؟ لولا الله ، كل المعايير ساقطة باطلة مبتذلة إذا لم تكن فى يده هو . . . كل الصدق كذب ... وكل الخير شر ، إذا لم يقله لنا هو ... ! »

لعمر الحياة لو كان الايمان كذباً لكان أنفع من الصدق ! وما دام الانسان يطلب السعادة والراحة فلماذا لا يطلبهما هنا ؟ لماذا يخطئ معنى دوائهما ؟ افرضوه كذباً ... فهل برئت حياتكم من الكذب ؟ إنها مجموعة أكاذيب مات منها حكاؤكم غيظاً أيها الناس !

إنه قياس أدركه الأقدمون واختار العقلاء منهم ما عبر عنه شاعرهم بقوله :

إن صح قولكما فلست بخاسر   أو صح قولى فالخسار عليكما

وما دمتم تقيسون قيمة الشىء بالمنفعة ، فأيما شىء أنفع من معنى الايمان فى حياتكم ؟ إنه أعظم معنى جلب النفع للبشرية . وقصة تقدم الانسانية هى قصة المؤمنين منها ؛ فانهم هم الذين تسلموا قيادها مرحلة مرحلة لأنهم أحسوا الايمان بالقيوم الأكبر فأحسوا الوصاية نيابة عنه على القطيع القاصر ، وحملوا أعباءه ونهضوا بها نهوض الجليدين الضليعين الذين لم يستول عليهم ضعف البشر لأنهم أولو العزم الذين فى قلوبهم ذلك المعنى الحديدى الذى لا يفلت منه شىء : وهو الصبر ! « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فكل معانى شرف الانسانية شعب وفروع من تلك الأرومة

ولذلك لو تغيرت فكرة الالهية يجب أن تتغير موازين الخير والشر . ولكم فى ضمير الانسانية إيماناً عميقاً بالخير من غير سبب ظاهر، وكفراً عميقاً بالشر من غير سبب ظاهر؛ وقد أدى ذلك الفيلسوف الانجليزى « باركلى » إلى أن يأخذ من هنا برهانه على أن هناك عقلا أعظم قد أقر موازين الخير والشر فى القلوب كما هما ، لأن الخير والشر عنده كذلك

« الرستمية »   عبد المنعم خلاف

التعليم والمتعطلون فى مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

هناك غير ذلك حب التضحية والايثار ، وفى هذا يقول الله فى كتابه الكريم : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وهذا يستلزم أن يمرن الفتى أو الشاب أو الرجل على عمل الخير والاحسان إلى الغير فى القول والعمل وأن يقلل من التفكير فى شخصه ومصلحته الخاصة . وأن يتعفف عن العمل لنفسه فقط . وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أحب لأخيك ما تحب لنفسك » ويقول سنيكا : « لو أعطيت الحكمة كلها لنفسى على أن أستأثر بها وأمنعها عن إخوتى بنى الانسانية لكرهت الحكمة »

ولا شك أن تمرين الانسان نفسه على حب غيره ومساعدته مع التقليل من حب نفسه يدفعه إلى الاحسان المستمر . وإلى البذل ثم إلى التضحية وإيثار غيره على نفسه . وهو أعلى مراتب السمو الانسانى .

ومن أحسن الامثال التى يمكن أن تضرب فى التضحية والايثار ما قرأناه عن أمة اليابان الفتية وإقدام أبنائها على بذل المهج والتضحية بالنفوس فى سبيلها . من ذلك أن الحكومة أعلنت عن « طوربيد » اخترعه أحد المخترعين يستلزم دخول إنسان فيه يوجه إلى هدفه إذا ماقذف ، فاذا اصطدم بالهدف بارجة كان أونسافة أو غواصة انفجر بمن فيه فقتله فى الحال. ولكنه فى الوقت نفسه يفتك بهدفه فتكا ذريعا ثم أعلنت عن حاجتها إلى أربعمائة شخص لهذا الغرض المهلك . فتقدم إليها سبعة آلاف شاب يطلبون تلك التضحية عن طيب خاطر . وفى تاريخنا الاسلامى أمثلة كثيرة من التضحية والايثار فلقد ورد عن سيدنا على بن أبى طالب زوج فاطمة ابنة الرسول أنه قال لها يوماً : جهزى لنا طعاماً . فقالت : والله ليس عندى غير الماء . فقال لها : إذن أمسك اليوم صائماً . ثم قال لها فى اليوم التالى : جهزى لنا طعاماً يافاطمة. فقالت: والله ليس عندى غير الماء. فأمسك صائما ثم تكرر ذلك فى اليوم الثالث . وفى اليوم الرابع خرج إلى السوق

فرهن بعض الأشياء عند يهودي واشترى بما أخذه من نقود دقيقاً وسمناً وعسلاً وأحضره إليها . فجهزت الطعام ولما جلسا للأكل دق الباب فقام فوجد رجلا يبكي فقال له: ما خطبك؟ قال: لي عشرة أيام لم أذق الطعام . فعاد فأخذ إليه ثلث الطعام . ولما جلس مع زوجه إلى الأكل دق الباب ثانية فقام فوجد امرأة ومعها طفل رضيع يبكيان فقال : ما خطبك ؟ قالت : لهذا الطفل اليتيم خمسة أيام لم يذق الطعام . فذهب فجاءها بالثلث الثاني من طعامه . ثم عاد فجلس مع زوجته للأكل فدق الباب ثالثة فذهب فوجد رجلا مسلماً كان قد أسره الكفار ثم هرب منهم ولم يتذوق الطعام منذ خمسة عشر يوماً فجاءه بالثلث الأخير من الطعام ، ثم خرج إلى المسجد جائعاً ، فوجد رسول الله جالساً فابتسم لما رآه وقال له : لقد أنزل الله فيك قرآناً قال : وما هو يارسول الله ؟ فقرأ « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » فسر علىّ بذلك سروراً عظيما . وكان هذا نعم الغذاء الروحي . بأمثال هذه القصص والحوادث يجب أن يتعلم الناشئة كيف يكون البذل ، وكيف يكون الايثار

ثم هناك بعد ذلك تعويد الناشئ الاعتماد على النفس والتغلب على الصعاب بالمكافحة والمثابرة وهو خلق نجد شباب اليوم أشد ما يكونون حاجة إليه في معارك الحياة ومنافساتها القوية ، ويستلزم أن يمرن الفتى على الصبر على المكروه واحتمال المشاق والمثابرة على العمل فلا يتبرم إذا أخفق ولا ييأس إذا فشل . بل يتابع عمله ويستأنف جهوده مستبشراً بالمستقبل مملوءاً أملا وثقة بالنجاح والوصول إلى هدفه عاجلا أو آجلا مهما لقى من عنت أو إرهاق جاعلا نصب عينيه مثله العليا حتى يفوز بما يبغى . فقد قال نابليون بونابرت : « لامستحيل على قلب الشجاع » وإن أخوف ما أخاف على شبابنا ضعف العزائم وقلة الاقدام وعدم المثابرة . ولو أنهم قرأوا شيئاً من تاريخ المخترعين والمصلحين والمجاهدين . وما لقيه من عنت وإرهاق هؤلاء وأولئك من أمثال نيوتن وجاليليو واستيبر وجان دارك ومصطفى كامل وفريد وسعد زغلول ؛ بل لو أنهم قرأوا مالقيه صاحب الرسالة الاسلامية في سبيل دعوته من عنت وإرهاق واضطهاد وعذاب وتشريد لعرفوا حقا كيف تكون قوة الايمان وكيف تنجح المثابرة والمصابرة

وتلك صفات إذا غرست في الفتى ، وتعهد المشرفون على تكوينه وتربيته تغذيتها وتقويتها بالمثل الصالحة أنتجت الانتاج المفيد المثمر، وإن في قول العلامة بوفون « ليست العبقرية إلا الصبر الطويل » لدليل آخر على ذلك

وهناك فوق كل ما تقدم خلق آخر جدير بأن يعنى به العناية كلها في وقتنا الحاضر وهو خلق غير فردى ، بل خلق جمعي يبث بين الجماعات المكونة لطوائف مختلفة في سبيل مصلحة الجماعة وفائدتها . ذلك هو التضامن وهو الذي يقول فيه الحديث الشريف « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ولقد أصبح هذا الخلق ضرورياً لمختلف الطوائف لأنه من الأمور التي يبني عليها نجاحها في معترك الحياة ، وإن طوائف العمال في مختلف الممالك لم تنجح النجاح الباهر الذي أدى بها إلى تسلم مقاليد الحكم كما حصل في انجلترا إلا بتضامنها وتعاونها وتساندها . وإن في اشتراك جماعات الطلبة في عمل واحد لا يقوى عليه فرد واحد منهم كما هو الحال في معظم أنواع الألعاب الرياضية لطريقة ناجحة تعودهم هذا الخلق المفيد . تلك هي الأخلاق التي يجب على كل والد أن يتولى غرسها في ولده ، كما يجب على كل مدرسة أن تتعهدها وتنميها وتشجعها في أبنائها . وإنه لما يؤسف له حقاً أن المدرسة الحالية توجه أشد عنايتها إلى الكتب ودراستها والمناهج واستيعابها وملء عقول التلاميذ بمحتوياتها ليؤدوا فيها الامتحان المطلوب منهم في آخر العام من غير أن تعنى العناية المطلوبة بتكوين النشء التكوين الخلقي الذي تتطلبه الحياة . يقول صمبلز في بدء كتابه عن الأخلاق « الأخلاق من أمهات القوى في هذا العالم . وهي في أبهى مظاهرها تمثل الطبيعة البشرية في أرقى أشكالها . لأنها تظهر الانسان وهو في أرقى خلاله ، ثم إن النوع البشرى خاضع مسخر للرجال ذوى الكد والاستقامة المتشبعين بالأخلاق الراقية والأغراض الصادقة الخالصة، لأن الاعتقاد في مثل هؤلاء والثقة بهم والتشبه بأعمالهم غرائز في النفس . أولئك هم دعائم ما في هذا العالم من خير ، ولولاهم لكان الوجود في هذا العالم عبثاً ، ولئن كانت العبقرية تحرك الاعجاب فان الأخلاق ضامنة التوقير والاجلال . ذلك أن هذه منشؤها قوة العقل ، وهذى منشؤها قوة القلب ، والقلب عادة صاحب السيطرة في الحياة .

فالمبقريون في المجتمع بمنزلة الذهن من الانسان ، وذوو الأخلاق بمنزلة الذمة . وبينا أولئك يعجب بهم إذ هؤلاء يهرع إليهم » وقال أيضاً : « كم من أناس لا يملكون من الدنيا سوى أخلاقهم ، وهم بفضلها كصاحب التاج المدل بتاجه ، وليست طهارة الأخلاق وحسنها من مستلزمات ذوي العقول المثقفة بالمعارف . فقد يجتمع التفوق العقلي والأخلاق السافلة فيبذل المتعلم المثقف لذوي المقامات الرفيعة . ثم يتغطرس على ذوي المنازل الوضيعة » وقال جورج هربرت : « قليل من الحياة الصالحة خير من كثير من العلم والمعرفة » ثم قال صميلز في موضع آخر » ليس الاستعداد العقلي ولا التفوق الذهني بنادرين في العالم، ولكن هل يعتمد على الاستعداد العقلي وحده؟ وهل يوثق بالتفوق الذهني ؟ كلا . اللهم إلا إذا رافقهما الخلق فهو الحلة التي تضمن لصاحبها التبجيل والتعظيم ، وتحمل غيره على الثقة به ، وهو أساس كل فضيلة ، ويظهر في معاملة المرء وسلوكه ، وهو الاستقامة والاخلاص في العمل وله نور يسطع في كل قول وفعل، هو الباعث على ثقة المرء بنفسه والحامل للناس على الثقة به، والمرء ذو المكانة في العالم هو الذي يصح الاعتماد عليه، هو الذي إذا قال إن له علماً بشيء كان عالماً به حقاً ، وهو الذي إذا قال إني فاعل شيئاً فعله حقاً ، وهكذا يحصل الواثق بنفسه على ثقة الناس به واعترافهم بقيمته » وقال مرتن لوثر : « ليست سعادة الأمم في كثرة أموالها ؛ ولا في قوة استحكاماتها ، ولا في جمال مبانيها وشاهق قصورها، إنما سعادتها في أبنائها المثقفين ورجالها المهذبين الذين استنارت بصائرهم واستقامت أخلاقهم ، فهؤلاء قوتها الأساسية وعظمتها الجوهرية » فهل بعد هذا كله يحق للمدرسة أن توجه كل جهودها إلى الثقافة ودراسة ما في بطون الكتب إعداداً للامتحان من غير أن تكترث بمادة الحياة الأساسية وهي الأخلاق ؟ وهل بعد هذا ننتظر من خريجي مدارسنا أن يقوموا على العمل ، وأن يسيروا في حياتهم السيرة الحميدة المطلوبة وقد أهملتم هذا الاهمال

اهمال المدرسة للأخلاق ونتائجه

وإني لا أستطيع أن أفسر إهمال المدرسة في تقوية أخلاق النشء والعمل على تكوينهم تكويناً خلقياً عالياً إلا بأمور ثلاثة :

الأول : اندفاع المدرسة في تيار السياسة التعليمية التي رسمت لها عملياً من قبل وجعل النجاح في الامتحان في نهاية العام الدراسي هو الغاية التي ليس وراءها غاية من غير أن يفكر ولاة الأمور وقادة التعليم فينا تفكيراً جدياً عميقاً فيما يستدعيه الاصلاح الحقيقي للمدرسة وما يتناسب مع نهضتنا الجديدة وقوميتنا .

الثاني : صعوبة ما يستدعيه العلاج الخلقي الدرسي من درس وفحص وتمحيص وما يستلزمه من مرونة في العمل وعدم الوقوف عند الخطة الآلية التي تسير عليها المدرسة الحالية من حيث قياس الأعمال بالدرجات في الامتحانات ونتائجها . وما يستدعيه فوق ذلك من السلطة المركزية من الديوان العام إلى أيدي المشرفين الفعليين على المدارس . وهو الأمر الذي لا زال يقاوم إلى اليوم

الثالث : عدم ثقة القابضين على زمام الأمر في الوزارة بالمشرفين على المدارس والقائمين بالأمر فيها مما حال بين أولئك وبين ثقة غيرهم بهم . فأدى ذلك إلى انحطاط مستوى رجال التعليم الأدبي ونفوذهم في الهيئة الاجتماعية وفي هذا ما فيه من النزول بالمدرسة إلى مستوى لا يليق بها .

من أجل هذا أهمل تكوين الخلق في المدرسة فانحطت الأخلاق العامة وتدهورت وصرنا اليوم نواجه في شبابنا حالة سيئة لا يرضاها وطني محب لبلاده : نرى شبابنا عاطلا خلوا من حب المغامرة والاقدام والنزول إلى ميدان العمل والكفاح في الحياة مليئا بأنواع الخنوثة والطراوة ، وعدم القدرة على المثابرة والنضال واتجه همه إلى العمل بمض عادات الفرنج التي أصبح كثير من الفرنج يستقبحونها ويمقتونها كالخلاعة والرقص وحب اللهو والدعارة، وصار أحب شيء إليه التأنق في الملبس وارتياد محال اللهو والفجور والتهتك في الطرقات ، وارتكاب المحظورات والمحرمات ، والعمل على الحصول على المال اللازم لذلك بالتدليس والغش والنصب والتزوير والاحتيال، مع الخروج على المبادىء العامة المقررة في الأسرة والمدرسة، فالصغير يريد أن يرغم الكبير على الاستماع لأمره وتنفيذ رأيه ، والتلميذ يرغب في أن يقود أستاذه وناظر مدرسته كما يشاء هواه . وقد ساعده على ذلك ما نعرف نحن كما يعرف غيرنا من رجال التعليم من مآس كثيرة وقعت في المدرسة بسبب أخطاء خلقية كبيرة ارتكبها الطلبة

وأرادت المدارس أن تقمعها بالعقوبة الرادعة ولكن الوزارة عن طريق الشفعاء السوء كانت تهمل رأى المدارس بل كانت تجبرها أحياناً على القيام بعكس ما تراه بالانتصار للمخطئين والخارجين على حدود الآداب والفضيلة مما أدى فى بعض الأحايين إلى نقل ناظر المدرسة أو بعض المدرسين الذين لا يروق لهم ذلك .

ولم يقف الأمر عند المدرسة بل انتشرت الفوضى الخلقية انتشاراً مخيفاً يشفق على هذه الأمة منه عقلاؤها . ويكفى أن ندلل على تمسك الكثيرين من المتعلمين بأهداب الفضيلة وكرم الأخلاق مما يقع تحت حسنا ونظرنا فى المجتمع المصرى فى كل يوم وفى كل لحظة : فهلا سمعت برجل الصحافة الذى يهاجم أشراف الناس وأبرياءهم ، وهم هادئون آمنون فينهش أعراضهم ، ويقذفهم بأشنع التهم وأفحش السباب ، حتى إذا ما استدعاه أحدهم ونقده الجنيه أو الجنيهين ، انقلب فى يوم وليلة مادحاً له معتذراً عما سلف منه بمختلف الأعذار السخيفة ، فاذا ما نفحه شيئاً جديداً بعد ذلك كال له من المدائح ما يجعله فى مصاف الأبطال والمجاهدين ؟ وهلا سمعت بذلك الموظف الذى يدين بمركزه الكبير لوزير من الوزراء فتراه يتردد على منزله كل يوم ليقدم له فروض الطاعة والولاء وليقوم بخدمته فى كل ما يطلبه منه مهما جل أو قل ، ثم هو فوق ذلك يخضع لهواه فى كل صغيرة وكبيرة مهما كانه ذلك من الشطط والانحراف عن جادة الحق والعدل ، فاذا تبين منه قليلا من الانتقاد أو الامتعاض من موظف آخر صغير لسوء فهم أو التباس فى أمر أسرع فأنزل به السخط وألبسه ثوب الذل وصادره فى رزقه وكرامته مهما كان ذلك الموظف الصغير مخلصاً فى عمله مؤدياً لواجبه مستقيماً فى حياته محتفظاً بكرامته . والأدهى من ذلك أننا نجهد ذلك الموظف الكبير الذى ظلم الناس وداس كرامتهم متابعة لهوى سيده ينقلب فى طرفة عين عليه إذا ما زحزحت الظروف ذلك الوزير عن مركزه ، وحل محله غيره يخالفه فى الرأى . فموظفنا العظيم لا ينقطع عن زيارات سيده السابق ولا يقطع علاقته به فحسب، ولكنه فوق ذلك يتحامل عليه وعلى أعماله أمام سيده الجديد إرضاء له ، وهو فوق ذلك يحاربه بكل قوة ، وينقلب عدواً لدوداً له . وبذلك يكسب عطف سيده الجديد ويضمن الرقي على يديه . وهل بلغك خبر ذلك المحامى النابه الذى يوكله أحد المتقاضين فى قضية له ، وينقده نصف الأجر ظاناً أنه سيعمل فى صفه بأخلاص ، فاذا به يتصل بالخصوم ، ويأخذ منهم من المال كل ما تصل إليه يده ليهمل فى حقوق موكله فتضيع عليه حقوقه ؟ وهلا قرأت فى الجرائد اليومية حيل المحتالين والنصابين وحوادث التزوير والتدليس ، والاعتداء على العفاف والطهر مما يتزايد ضرره كل يوم وتملأ به الجرائد صفحاتها ومع ذلك فهناك فوق ذلك والأسفاه كثير مما لا يصل إلى تلك الجرائد ! هذه بعض الحال السيئة التى وصلنا إليها ، وهى تنخر فى عظام الأمة نخرا ، بينما قادتنا وساستنا لاهون عنها ، مع أن معظمهم قد ذاق الأمرين منها واكتوى بنارها ، فجدير بهم أن يعنوا بها قبل عنايتهم بأى أمر آخر مهما كان هاما . وإنى لأرى محلا للعناية بها وإصلاحها غير المنزل أولا ، والمدرسة ثانيا ، وإذا كان المنزل أساسه وقائده وحاكمه هو المرأة ، وتربية المرأة متوقفة كذلك على المدرسة ، فقد صارت المدرسة عندنا هى الحجر الأساسى فى تكوين الأخلاق وإصلاحها .

يقول صميلز فى كتابه الأخلاق : « وهكذا اضمحلت رومة ثم لحقها الدمار لما عم أبناءها فساد الأخلاق ، واستولى عليهم حب اللهو والخمول ، حتى كانوا فى أواخر أيامهم يرون العمل لا يليق إلا بعبيدهم . أمسك أبناؤها عن التحلى بما تحلى به آباؤهم الأولون من فضائل الخصال فسقطت الدولة ولم تكن أهلا للبقاء . وهكذا تسقط الأمم الخاملة المنهمكة فى اللذات ، الراتعة فى بحبوحة الترف ، والتى تستنكف العمل الصالح ، تسقط لامحالة ويخلفها فى عظمتها الأمم الحية العاملة » ثم يقول فى موضوع آخر « ومجمل القول أن سلامة الأمم والحكومات تتوقف على سلامة الأخلاق ولن تكون أمة عظيمة من أفراد فاسدى الأخلاق ، مهما لاحت عليهم آثار الحضارة والرقي . ولكنهم لا يلبثون أن يتلاشوا متى صادفتهم عقبة أو غشيتهم شدة . ولن يكونوا ذوى قوة حقة ورابطة متينة وسلامة تامة إلا إذا اتصف كل فرد منهم بالصفات الجميلة والخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة » .

عبد الحميد فهمى مطر

رد على مقال

ولى الدين يكن

وشعره السياسى

للأستاذ محمد مجاهد بلال

قرأت فى العدد ٢٧٨ من الرسالة فصلا للأستاذ كرم ملحم كرم عن ولى الدين يكن، فسرنى أن يتحدث أديب من بيروت عن ولى الدين؛ فان ولى الدين لا يذكره المصريون، كأنه لم يعش بينهم ولا يتحدثون عنه، كأنه لم يكن شيئاً ذا بال. ويرحمه الله فهو القائل (... وليس رجل ينكره معارفه ويتجافاه أقرب أقاربه إلا الأديب، فهو إذا برّز على أقرانه حسدوه وإن قصر عنهم حقروه)

ومن الحق أن أقول إننى لم أكد أفرغ من قراءة المقال حتى أحببت أن أقول شيئاً فى ولى الدين، لا لأن الأستاذ كرم حبّب هذا الشاعر إلىّ، فانى أحب ولى الدين من قبل، وقد كتبت عنه أكثر من مرة، وإنما لأن الأستاذ له رأى فى شعر ولى الدين السياسى لم أستطع فهمه، فهو يقول:

«ولى الدين كان عبد العاطفة، وكل شعر شذ به عن العاطفة كبا فيه، والدليل شعره السياسى؛ فأين هذا الشعر من القصائد المصهور فيها قلب ولى الدين؟ فبينا أنت إزاء ولى الدين العاطفى فى حضرة شاعر من الطبقة الأولى إذا بك تجاه شعره السياسى أمام شاعر من الطبقة الثانية بل الثالثة»

ولقد جرى فى أكثر حديث الأستاذ معنى هذا الكلام واتضح أنه حكم على شعر الرجل السياسي حكما لا أقول قاسيا وإنما هو بعيد عن ولى الدين

والغريب أن الأستاذ حين أراد أن يقيم الحجة على رأيه تجاهل شعر ولى الدين السياسى كله ولم يذكر منه إلا هذين البيتين:

هلمو بنا نحو الأمير نسلم سلام على عباس مصر المعظم
ألا إن فى الأكباد شوقا مبرحا إليه فقد كادت من الشوق تدمى

مع أن هذين البيتين لا يدخلان فى باب الشعر السياسى بقدر ما يدخلان في باب التهنئة والمديح!

أحب الآن إذاً أن أعرض لشعر ولى الدين السياسى وأن أعرض له فى شئ من الايجاز، فانى أعلم أن صفحات الرسالة ممدودة ووقت فراغى محدود

***

شعر ولى الدين السياسى جله عذب وجله قد نطق به (وقلبه مصهور) وأظن أن القلب لا يصهره حب الغوانى فقط — كما يفهم من مقال الأستاذ — وإنما تصهره الآلام جميعا مهما كانت مصادرها. والذى يعرف تاريخ ولى الدين وحياته بين القاهرة والآستانة وسيواس يعرف أن شعره السياسى لم يكن عبثا وإنما كان ينطق به وعواطفه ملهبة وقلبه ملتاع.

لقد كان ولى الدين أصدر بالقاهرة جريدة سماها (الاستقامة) فمنعت حكومة الآستانة دخولها إلى الممالك العثمانية واضطر أن يوقف صدورها ويودعها بقصيدة جاء فيها:

ولى أمل أودى الزمان بنجحه وخيبه سوء الظنون فخابا
ولو شئت وفيت الليالى حسابها عليه ولكن لا أشاء حسابا

ومنها:

فمن مبلغ عنى الغضاب الألى جنوا
بأنى امرؤ ما إن أخاف غضابا
أذم فلا أخشي عقابا يصيبنى وأمدح لا أرجو بذاك ثوابا
علام أحابى معشرا أنا خيرهم ومثلى إذا حابى الرجال يحابى

إلى أن قال:

ولما غدا قول الصواب مذمما عزمت على أن لا أقول صوابا
فجافيت أقلامى وعفت (استقامتى)
ورحت أرجى للسلامة بابا

فهل من الحق أن ننكر فى هذه الأبيات قلب ولى الدين وعاطفته وهل من الحق أنه قد كبا فيها؟ لا أظن.

وهذه أبيات من قطعة أخرى قالها ولى الدين فى منفاه:

فؤاد دأبه الذكر وعين ملؤها عبر
ونفس فى شبيبتها وجسم مسه الكبر
وآمال مضيعة ووقت كله هذر
وعيش عذبه مضض وعمر صفوه كدر
أما ياليل من صبح لمن سهروا فينتظر

ومنها :

علام نلوم أعداء ... على شر إذا قدروا
بلوناهم لدن شبوا ... أنفسناهم إذا كبروا
نصحناهم فما انتصحوا ... زجرناهم فما ازدجروا
لقد صلدت قلوبهمُ ... كأن قلوبهم حجر
إذا ائتمروا على كيد ... فأنا سوف نأتمر
فمن نخشى وفوق العر ... ش مهما يشتجر بشر

فهل من الحق أن ننكر فى هذه الأبيات أيضاً قلب ولى الدين وعاطفته ؟ وهل من الحق أنه قد كبا فيها ؟

وانظر إلى ولى الدين وهو يصور رجال العصر الحميدى وقادته فى أبيات لا تقل جمالا عن سالفتها :

كفى حزناً أن الرجال كثيرة ... وليس لنا فيما نراه رجال
نحكم قوماً لا يسألون قائلا ... وإن قام كل العالمين فقالوا
إذا ارتقبوا أمراً فذلك منصب ... أو اطّلبوا شيئاً فذلك مال
بنال تسوس الأسد شر سياسة ... وما ساس أسداً قبل ذاك بنال

***

أما بعد : فالأستاذ كرم موافق على أن ولى الدين يجيد ويسمو ويبرع ويروع حين يصهر قلبه ، فهل حالات ولى الدين التى دفعته إلى أن يقول هذا الشعر الذى قدمتُه لا تصهر قلبه؟ وماذا ننتظر من رجل تحولت آماله آلاما سوى أن نسمع منه صدى قلبه المصهور ، ومن رجل منفى سوى أن ينطق بما يكابد ويعانى ، ومن رجل حر أبى — يرى حريته مكبوتة ولسانه معقوداً — سوى أن يترجم لواعجه وفواجعه ؟

إحدى اثنتين : إما أن يكون ولى الدين يجيد ويروع حين يصهر قلبه — كما يرى الأستاذ — وإذاً فهذه الأبيات جيدة رائعة ، وإما أن هذه الأبيات ليست جيدة ولا رائعة — كما يرى الأستاذ كذلك — وإذاً فولى الدين لا يجيد ويروع حين يصهر قلبه

فليختر الأستاذ لنفسه إحدى السبيلين

« طهطا » محمد مجاهد بهلول
تفتيش المعارف

كتاب المبشرين

اغلاطه اللغوية

لأستاذ جليل

كتاب (المبشرين) أغلاطه فى اللغة وغير اللغة — يا أخا العرب — كثيرة . وهذا نموذج من تخليطه اللغوى :

١ — فى الصفحة (٤٧١) : « أهل المدينة القربى من القتيل »

قلت : قالت العربية : الأقرب ، ولم تقل فى مؤنثه القربى كما لم تقل فى الأظرف والأكرم والأشرف : الظرفى والكرمى والشرفى ، وهذا باب مرجعه السماع . وإذا جاءت فى (أفعل التفضيل) أل غابت من . قال المفصل : « وتمتوره حالتان متضادتان لزوم التنكير عند مصاحبة من ، ولزوم التعريف عند مفارقتها » وبيت الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى ... وإنما العزة للكاثر[1]

قال فيه شارح الكافية : « من ، فيه ليست تفضيلية بل للتبعيض أي لست من بينهم بالأكثر حصى كما تقول مثلا : أريد شخصاً من قريش أفضل من عيسى (عليه السلام) فيقال : محمد (عليه السلام) الأفضل من قريش ، أى هو أفضل من عيسى من بين قريش » وقال صاحب (الخصائص) وشارح (المفصل) فى البيت مثل ذلك

٢ — فى الصفحة (٤٣٥) : « واستنزلهم على حكم يهودى خائن متمسلم ، اسمه سعد بن معاذ » وجاءت (متمسلم) فى الصفحة (٣٦٥) أيضاً

قلت : لا يقال : تمسلم الرجل أى أسلم أو انتحل الاسلام ظاهراً إن كان كتاب المبشرين قصد هذا المعنى . وتمسلم فى العربية معناه تسمى بمسلم ففى (القاموس المحيط) : « ويقال : كان يسمى محمداً ثم تمسلم أى تسمى بمسلم » وأسلم من هداه الله وتسلم : دان بدين العدل والمساواة . قال (لسان العرب) :

(١) الحصى : العدد الكثير تشبيهاً بالحصى من الحجارة فى الكثرة

« كان فلان كافراً ثم تسلم أي، أسلم ، وكان كافراً ثم هو اليوم مسلمة يا هذا »

٣ — في الصفحة (٣٩٧) : « أشد أذى لهم وأبلغ نكاية عليهم »

قلت : يقال : نكى فيه ونكاه لانكى عليه ، والأقوال العربية وكتب اللغة كلها تخطئ المبشرين . قال (الصحاح) : نكيت في العدو نكاية إذا قتلت فيهم وجرحت ، قال أبو النجم : (ننكى العدا ونكرم الأضيافا) وفي (النهاية) : أو ينكى لك عدواً ، ومثل ذلك في اللسان والتاج والأساس والمصباح ، وقد يهمز ، لغة فيه

٤ — في الصفحة (٢١) : « ثم أبادهم بنو اسرائيل عن بكرة أبيهم » وفي الصفحة (٤١٠) : « وإهلاك أهل قرية عن بكرة أبيهم »

قلت : ليس لكلام المبشرين معنى وأصل هذا القول : (عن بكرة أبيهم) مثل ، والأمثال لا تغير ، وقد ذكرته كتب الأدب واللغة وأوضحته ، قال (مجمع الأمثال) : « جاؤا على بكرة أبيهم ، قال أبو عبيد : أي جاءوا جيماً لم يتخلف منهم أحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة . وقال غيره : البكرة تأنيث البكر وهو الفتى من الابل، يصفهم بالقلة أي جاؤا بحيث تحملهم بكرة أبيهم قلة . وقال بعضهم : البكرة ههنا التي يستقى عليها أي جاءوا بعضهم على أثر بعض كدوران البكرة على نسق واحد . وقال قوم : أرادوا بالبكرة الطريقة كأنهم قالوا : جاءوا على طريقة أبيهم أي يتقيلون أثره . وقال ابن الأعرابي : البكرة جماعة الناس يقال جاءوا على بكرتهم وبكرة أبيهم أي بأجمعهم . قلت : فعلى قول ابن الأعرابي يكون على في المثل بمعنى مع أي جاءوا مع جماعة أبيهم أي مع قبيلته؛ ويجوز أن يكون على من صلة معنى الكلام أي جاءوا مشتملين على قبيلة أبيهم . هذا هو الأصل ثم يستعمل في اجتماع القوم وإن لم يكونوا من نسب واحد . ويجوز أن يراد البكرة التي يستقى عليها وهي إذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم عنها أحد ، فشبه اجتماع القوم في المجيء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم »

وأورد المثل الصحاح واللسان [١] والأساس [٢] والتاج من المعجمات ، وكتاب (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري ، وكتاب غاية الأرب في معاني مايجرى على ألسنة العامة في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب للمفضل بن سلمة ، وروت هذه المصنفات بعض ما كتبه الميداني في شرح المثل .

٥ — في الصفحة (١٦٠) : « إلى أمر جسداني فقط » وفي الصفحة (٢٠٣) : « بملاذ جسدانية »

قلت : النسبة إلى الجسد جسدى ، وإذا كانت العربية لم تجز الجسمانيات — كما قال ابن أبي الحديد في شرح النهج — وفيها الجسمان بمعنى الجسم فكيف يكون حالها مع الجسداني والجسدانية؟ وليس الجسداني نسبة شاذة كما قال صاحب (أقرب الموارد) بل هي خطأ ، وجريدة الشاذ الطويلة في باب النسبة معروفة ...

٦ — في الصفحة (٢٩٤) : « لكثرة ما انتشب بينهم من الحروب مهدوا »

قلت : انتشب مطاوع أنشب أي اعتلق ، وأنشبه هو فيه أي أعلقه فأنشب ، وأنشب البازى مخاليبه في الأخيذة . وانتشب حطباً جمعه ، وانتشب طعاماً له ، ذلك ما قالته العربية ، ولم تقل : أنشبوا فيهم الحرب فانتشبت ... وقد جاء في اللغة وهو من المجاز — ناشبه الحرب أي نابذه ، ونشبت الحرب بينهم نشوباً اشتبكت .

٧ — في الصفحة (٢٣٢) : « لا يحل فيه صيد الوحش ولا قنص الطير ولا اختضاد الشجر »

قلت : في اللسان والتاج : « اختضد البعير أخذه من الابل وهو صعب لم يذلل لخطمه ليذل وركبه ، حكاها اللحياني ، وقال الفارسي : إنما هو اختضر » وقالت اللغة : خضد الشجر وخضده أي قطع شوكه ، وخضد العود أي ثناه فانخضد وتخضد وسدر

(١) فيه : ابن جني : عندى هو من قولهم : بكرت في كذا أي تقدمت فيه ، ومعناه جاؤا على أوليتهم أي لم يبق منهم أحد بل جاءوا من أولهم إلى آخرهم .

(٢) فيه : وأصله حديث الدهيم . (قلت) قال اللسان : قيل للداهية دهيم أن ناقة كان يقال لها الدهيم . وغزا قوم من العرب قوما فقتل منهم سبعة إخوة فحملوا على الدهيم فصارت مثلا في كل داهية . وفي النهاية : جاءت هوازن على بكرة أبيها : هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة ووفور العدد وأنهم جاؤا جميعا لم يتخلف منهم أحد .

مخضود ومخضد وخضيد، وفى الحديث فى شجر المدينة : حرمتها أن تعضد [1] أو تخضد . ومن حديث الدعاء : تقطع به دابرهم وتخضد به شوكتهم . وهذا مجاز[2]

٨ — فى الصفحة (٣٥٨) : « تذييل على الثلاثة فصول الأولى من المقالة » ومثل ذلك فى الصفحة ٤٧٦

قلت : أخطأ المبشرون فى (الثلاثة فصول) قال شارح المفصل : « فالطريق فيه أن تعرف المضاف إليه بأن تدخل فيه الألف واللام ثم تضيف إليه العدد فيتعرف بالاضافة على قياس غلام الرجل » وفى (أدب الكتاب) : « تقول : ما فعلت ثلاثة الأثواب ولا يجوز العشرة أثواب » قال ذو الرمة وروى الشاهد المخصص وشرح المفصل :

أمنزلتى مىّ سلام عليكما ... هل الأزمن اللاتي مضين رواجع
ولا يرجع التسليم أو يكشف العمى ... ثلاث الأثافى والرسوم البلاقع

وقال الفرزدق وهو فى شرح المفصل :

ما زال مذعقدت يداه إزاره ... يسمو فأدرك خمسة الأشبار

وقد قالوا : (الثلاثةُ الكتُب) والكتب وصف كما فى أدب الكتاب و (الثلاثة الكتبِ) شبهوا ذلك بالحسن الوجه كما فى المخصص ، وهذا شاذ ، وعند الكوفيين قياس كما قال الرضى . و (الثلاثة كتبا) ناصبين على التمييز كما فى شرح الكافية .

٩ — فى الصفحة (٣٨٢) : « حتى نجحت فيهم هذه الأكذوبة » ومثله فى الصفحة (٣٨٧)

قلت . هذا الكلام خطأ إذ لم يستعمل الفعل (نجع) فى العربية لشئون الشر وأمور الضر ، وأصل الفعل وحقيقته يوضحان معناه . قالت اللغة : نجع الطعام فى الانسان : هنأ أكله أو تبينت تنميته واستمرأه وصلح عليه . ونجع فيه الدواء: نفعه وعمل فيه. ونجع فى الدابة العلف ، وماء ناجع ونجيع إذا كان مريئا ، وماء نجوع كما يقال : ماء نمير ، والنجعة طلب الكلأ ومساقط الغيث وقال الأعشى :

لو أطعموا المن والسلوي مكانهم ... ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا

ومن المجاز : نجع فيه الوعظ والنصح والخطاب وانتجعت

(١) تقطع (٢) الصحاح ، الجمهرة ، تهذيب الألفاظ ، مفردات الراغب ، النهاية ، اللسان ، التاج

فلانا أى طلبت معروفه . وفى المقامات الحريرية : فناشدناه أن يعود، وأسنينا له الوعود. فلا وأبيك ما رجع، ولا الترغيب له نجع

١٠ — فى الصفحة (١٢٦) ما كان يجهل ما لزخرف الخطابة من فعل السحر وسلب الألباب فلذلك لم يهمل شيئا من بهرج البيان وزخرف الخطابة فيما ادعاه من الوحى »

قلت : أرادوا أن ينجدوا فغاروا ، قصدوا ببهرج البيان زينة البيان أو حسنه أو جماله (وهو ما يعنيه الأصل الانكليزى وما تدل عليه العبارات قبله وبعده) والبهرج فى العربية هو الردئ قال الأساس : كلام بهرج وعمل بهرج وكذلك كل موصوف بالرداءة . وفى اللسان : « واللفظة معربة وقيل : هى كلمة هندية أصلها نبهلة وهو الردىء نقلت إلى الفارسية فقيل : نبهرة ثم عربت فقيل : بهرج ، ومكان بهرج غير محمى ، وقد بهرج فتبهرج. ومثل ذلك فى الجمهرة والنهاية والتاج . وقول (أقرب الموارد) : « تبهرجت المرأة تزينت » — خطأ ، والأصل الصحيح تبرجت « وتبرجت المرأة تبرجا أظهرت زينتها ومحاسنها للرجال » كما فى التاج . وفى (الكتاب) الذى جاء يهدى الناس ويهذبهم : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »

١١ — فى الصفحة (٢٥٦) : « مدعاة إلى الشك معثرة للضعفاء » .

قلت : قول المبشرين معثرة — خطأ ، ولهم فى العربية المزلة والمضلة [1] والمزلقة ، وقد أرادوا أن يقيسوا فوقعوا فى المأثور وفى تاريخ بغداد أن بعضهم : « طلب [2] النحو فذهب يقيس فلم يجىء فقال : قلب وقلوب ، وكلب وكلوب ، فقيل له : كلب وكلاب » .

١٢ — فى الصفحة (٩٥) « يؤيد الأحكام الشفاهية »

قلت : فى (الكتاب) : « إعلم أنك إذا أضفت (نسبت) إلى جمع أبداً فانك توقع الاضافة على واحده الذى كسر عليه ، فاذا لم يكن له واحد[3] لم تجاوزه حتى تعلم » فالنسبة إلى الشفاه شفىّ

(١) بفتح الزاى والضاد وكسرهما
(٢) أروى الخبر أملوحة غير مصدقة
(٣) من لفظه ، قال شرح المفصل : تقول فى النسب إلى محاسن محاسنى لأنه لا واحد له من لفظه . وهـذا مذهب ابن مالك فى الألفية « وعبارته فى التسهيل — كما ذكر الأشمونى — : وذو الواحد الشاذ كذى الواحد القياسى فيقال فى الملامح لمحى » وأبو زيد لاينسب إلى الواحد الشاذ

أو شفهى أو شفوى ، وقد أنكر الأخيرة الجوهرى ، وأثبتها الأزهرى . وتجمع الشفة على شفاه وشفوات وكلمته مشافهة ومشافاة » كما فى المصباح

١٣ — فى الصفحة (٤٣٢) : « أو أن يرجع إليها منشد »

قلت : مقصود الكتاب يقتضى الناشد ، وفى أكثر كتب الأدب واللغة ، الناشد الطالب والمنشد المعرّف . قال التبريزي في شرح المعلقات : « يقال : نشدت الضالة إذا طلبتها وأنشدتها إذا عرفتها » ومثل ذلك فى الصحاح والأساس والنهاية ، وروى الأساس والجمهرة (والبيت للمثقب العبدى) :

يصيخ للنبأة أسماعه ... إصاخة الناشد للمنشد[1]

وفى اللسان : « قال أبو عبيد : المنشد المعرف ، والناشد هو الطالب . ومما يبين لك أن الناشد هو الطالب حديث النبى (صلى الله عليه وسلم) حين سمع رجلا يَنشد ضالة فى المسجد فقال : (يأيها الناشد ، غيرك الواجد) معناه لاوجدت . وقال ذلك تأديباً له حيث طلب ضالته فى المسجد . وفى (التاج) : وقال كراع فى المجرد وابن القطاع فى الأفعال ، وأنشدتها بالألف : عرفتها لا غير

١٤ — فى الصفحة (٢٣٥) : « وكادت مذاهبهم (أى القرامطة الباطنية) تقلب الاسلام ظهراً لبطن »

قلت : شرّقت هذه الجملة وغرّبت مقصودهم . قال الميدانى في (مجمع الأمثال) : « قلب الأمر ظهراً لبطن ، يضرب فى حسن التدبير ، واللام فى (لبطن) بمعنى على ، ونصب ظهراً على البدل أى قلب ظهر الأمر على بطنه حتى علم مافيه » وفى اللسان والتاج والمصباح : قلب الشىء ظهراً لبطن : اختبره . وفى الأساس : ومن المجاز : قلبت الأمر ظهراً لبطن ، وضربوا الحديث ظهراً لبطن ، قال عمر بن أبى ربيعة :

وضربنا الحديث ظهراً لبطن ... وأتينا من أمرنا ما اشتهينا

وفى النهاية : وفى حديث معاوية لما احتضر وكان يقلب على فراشه فقال : إنكم لتقلبون حوّلا قلّبا إن وُقى كبة النار : أى رجلا عارفاً بالأمور حتى ركب الصعب والذلول ، وقلبها ظهراً لبطن . وكان حسن التقلب . وفى (نجعة الرائد) للشيخ اليازجى

(١) الأسماع جمع السمع

فى فصل فى الفحص والاختبار : واستقصيت فى التنقير ، وتقصيت فى التفتيش ، وقلبت الأمر ظهراً لبطن

١٥ — فى الصفحة (٢٥) : وجه النجاشى جيشاً إلى اليمن لينقذ من فيه من النصارى من اضطهاد ملكهم الملقب بذى النواس وكان يهودياً »

قلت : الملك المقصود فى هذا الخبر يقال له ذو نواس (لا ذو النواس ولا أبو النواس ...) وقد ذكرت ذلك كتب التفسير والتاريخ[1] والأدب واللغة ، قال الكشاف فى (قتل أصحاب الأخدود) : فسار إليهم ذو نواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفاً فى الأخاديد . وفى خزانة البغدادى ، قيل : إن خلفا الأحمر كان له ولاء فى اليمن ، وكان أميل الناس إلى أبى نواس فقال له يوماً : أنت من اليمن ، فتكنّ باسم ملك من ملوكهم الأذواء ، فاختار ذا نواس[2] ، فكناه أبانواس بحذف صدره ، وغلبت عليه . وفى (الجمهرة) النوس مصدر ناس ينوس نَوسا وهو الاضطراب وبه سمى ذو نواس ملك من ملوك حمير لذؤابتين كانتا تنوسان على ظهره

قلت : قد يكون لكلمة نواس فى الحميرية غير هذا المعنى

١٦ — فى الصفحة (٣٧) : إذ بين هاتين الأمتين عظيم مشابهة . وفى الصفحة (٥٣) : فكان لقريش شديد انصباب عليها[3]

قلت : إضافه الصفة إلى موصوفها خطأ ، قال شارح المفصل : الصفة والموصوف شىء واحد لأنهما لمعنى واحدة ، فان كانت الصفة والموصوف شيئاً واحداً لم يجز إضافة أحدهما إلى الآخر . وقد ورد عنهم ألفاظ ظاهرها من إضافه الموصوف إلى الصفة والصفة إلى موصوفها والتأويل فيهـا على غير ذلك[4] . وقال

(١) في المروج ، وفى التنبيه للمسعودى : ذو نواس

(٢) فى أخبار أبى نواس لابن منظور : نواس وجدن ويزن وكلاع أسماء جبال لملوك حمير ...

(٣) ومثل ذلك فى الصفحات : ٤، ٨١، ١٤٧، ١٨١، ١٩٦، ٣٥٩

(٤) فى هذا الشرح : ومنه قولهم : (جائبة خبر) ومعناه خبر يجوب الأرض من بلد إلى بلد فلما قدمها وأزالها عن الوصفية احتملت أشياء وترددت فيها فأضافها إلى الخبر إضافة بيان ، ومثله (مغربة خبر) يقال : هل جاءكم مغربة خبر يعنى خبراً طرأ عليكم من بلد سوى بلدكم فهو لذلك غريب ، فلما قدمها احتملت الخبر وغيره فأضافها إلى الخبر على ما تقدم لتلخيص أمرها وتبيينه ، والهاء فى جائبة ومغربة للمبالغة كعلامة ونشابة

الدماميني: إعلم أن إضافة الموصوف إلى صفته والصفة إلى موصوفها لا تنقاس

وقال الشيخ عبد الله البستاني (رحمه الله): لا يجوز أن يضاف اسم إلى مرادفه ولا موصوف إلى صفته ولا صفة إلى موصوفها لأن الغرض من الاضافة المعنوية التعريف أو التخصيص ولا يتعرف الشيء بنفسه، ولا يتخصص بها، فان سمع عن العرب الخلص ما يوهم شيئاً من ذلك أول وقيل: إنه شاذ لا يقاس عليه؛ وإن سمع عن المتأخرين حكم عليه بأنه غلط لا يجوز استعماله

١٧ — في الصفحة (٤٠١): كان قد نفى الاعجاز عن القرآن تضميناً في مواضع متعددة[1] من الكتاب نفسه

قلت: أخطأوا في قولهم (تضميناً) حسب قصدهم المتعسف والحال يقتضي — كما يريدون — لفظة الالماع أو التلميح أو التلويح أو الايماء وما ضارع ذلك. ففي اللسان ضمّن[2] الشيء الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر وقد تضمنه هو. ومثل ذلك في الجمهرة والصحاح والأساس والتاج والمصباح

١٨ — في الصفحة (٩١): وحذره ما يحيق به ويقومه من التهالك إذا لم يكف عما هو فيه

قلت: التهالك في الجملة خطأ، والمبشرين في العربية الهلك والهلاك والتهلكة والمهلكة والانهلاك والاهتلاك. وقد أوضح «الأساس» معاني التهالك: تهالك على الشيء إذا اشتد حرصه وشرهه، وأنا متهالك في مودتك، وتهالكت في هذا الأمر إذا كنت مجداً فيه مستعجلا، ومر يتهالك في عدوه: يجد، وتهالك على الفراش تساقط عليه، وتهالكت في مشيتها: تفيأت[3] وتكسرت. ومثل ذلك مفرقاً في الصحاح والنهاية ومفردات الراغب والجمهرة واللسان والتاج وشرح المفضليات لأبي القاسم الأنباري

١٩ — في الصفحة (٣٤٢): أن الشيعة يجعلون علياً نداً لمحمد، والسنية ينكرون أن علياً أو واحداً من الأنبياء كائناً من كان يمكن أن يكون نداً لمحمد

قلت: الند المثل المخالف، وقد اجتزأ ببعض كتب اللغة بقوله: الند المثل وهو في الكتاب الكريم والحديث والأقوال العربية النظير المناوئ. قال الكشاف فلا تجعلوا لله أنداداً: الند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ، قال جرير:

أتيماً تجعلون إلى نداً ... وما تيم لذي حسب نديد

ونادَدت الرجل خالفته ونافرته من ند ندوداً إذا نفر وقال في (الفائق): الند والنديدة مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده أي يخالفه. وفي الحديث في كتابه لأكيدر: وخلع الأنداد والأصنام، وذكرت النهاية قول الفائق في الند. وقال اللسان والتاج والمصباح مقال الكشاف. وقال لبيد (والبيت في الجمهرة والصحاح واللسان والتاج):

لكيلا يكون السندري نديدتي ... وأجعل أقواماً عموماً عماعما[1]

وأما قول (سال) إن الشيعة يجعلون علياً نظير محمد فمن خلط المربانيين فالشيعة فرق لا يعلم عددها إلا الله والامامية منها ثلاث وسبعون فرقة كما يقول الرازي في رسالته (اعتقادات فرق المسلمين) وإن عني سال بالشيعة إخواننا الامامية أصحاب الانتظار فقولهم وقول إخواننا الجماعية في سيد الوجود (صلوات الله وسلامه عليه) واحد. وقد أوضح ذلك علامتنا الكبير (الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء) في مؤلفاته

الاسكندرية

* * *

(١) متعددة هنا خطأ وسيأتي إيضاحها

(٢) في التاج والمضمن من الشعر ما ضمنته بيتا. هذا من اصطلاحات أهل البديع ومن البيت ما لا يتم معناه إلا بالذي يليه. هذا من اصطلاحات أهل القوافي وليس ذلك بعيب عند الأخفش. والمضمن من الأصوات ما لا يستطاع الوقوف عليه حتى يوصل بآخر، وفي التهذيب: هو أن يقول الانسان: قف فل بإشمام اللام إلى الحركة

(٣) فيأت المرأة شعرها: حركته خيلاء وتفيأت لزوجها تكسرت له وتميلت غنجا «الاساس»

(١) في الجمهرة: وأشتم أقواما. (العماعم) الجماعات المتفرقة أي أجعل أقواما مجتمعين فرقا، والعماعم جمع العم: الجماعة وقيل الجماعة من الحي. السندري شاعر كان مع علقمة بن علاثة وكان لبيد مع عامر بن الطفيل فدعي لبيد إلى مهاجاته فأبى

من مشاكل التاريخ

طبيعة الفتح الاسلامى

للأستاذ خليل جمعة الطوال

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

يقول درمنغهم في كتابه حياة محمد : « ... وكان محمد يفضل اهتداء رجل واحد إلى الله على جميع غنائم الدنيا »

وهل فى تاريخ الحروب والأديان وصية بلغت من السمو الأنسانى مبلغ هذه الوصية التي أوصى بها النبي (صلى الله عليه وسلم) معاذ بن جبل الأنصارى حين سيره على رأس وفد إلى اليمن ، وقال له : « يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك ما مفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له »

تلكم هى ضالة المسلم المنشودة بعد أن يجرد قلبه من حب المال ، ومتاع الدنيا . وتلكم هى الطريق إلى هذه الضالة : شهادة فلجت الشرك ، وإيمان زعزع الأصنام

الجنة هي ضالة المسلم التى أخرجته إلى ربه مجاهداً للحصول عليها . الجنة التى لا تشرى بالصكوك ، والتى لا تنفع فيها الأموال . الجنة التى ليس فى استطاعة بشر أن يلجها وإن غفر له جميع أهل الأرض ، إلا أن يكون مؤمناً بالله ، وبرسله والأنبياء ، الجنة التى ليس للمرء فيها أن يغفر لأخيه ، وأن يحل ذنوبه وخطاياه ، إلا أن يغفر له الله وهو خير الغافرين

أسر المسلمون فى غزوة بنى المصطلق عبد الله بن أبى ، وحاول عمر بن الخطاب قتله ، فقال له الرسول (ص) : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس وقالوا إن محمداً يقتل أصحابه ...

ثم سمع ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى عزم ابن الخطاب ، فجاء النبى (ص) وقال له : بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلاً فرنى به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني . وإنى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل رجلا مؤمناً بكافر فأدخل النار .

فقال له الرسول : إنا لا نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا

تلكم هى روح الفتح الاسلامى السامية

الله أكبر ! رجل يتقدم لقتل أبيه متطوعاً ، ليحمل رأسه بيده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لكيلا لا يكون عليه غضاضة فى دينه ، إن هو رأى غيره يقتله ، فتحمله عزة الجاهلية على الأخذ بثأره ، فيقتل مؤمناً بكافر ، ويدخل النار !

سبحانك ربى ! أية قوة جمَّاتَ فى رسالتك هذه ، حتى استطاعت أن تحول النفوس الضارية إلى شملة روحية سامية أضاءت الكون وقد كان ظلاماً حالكا !

أيحسنُ النبى صلى الله عليه وسلم ويترفق برجل طعن فيه ، وشنع عليه ، ويظل مع ذلك فى الدنيا من بتهمه ، ويفترى عليه ..

هذه هى روح الفتوح الاسلامية على عهد النبى صلى الله عليه وسلم التى لم يعرف التاريخ قط فتوحاً أرحم وأشرف وأعدل منها. وأما روح الفتوح الاسلامية الأخرى ، فحسبكم دليلا عليها هذه الوصية المثلى السامية التى أوصى بها الصديق قواده حين سيرهم لبث الدعوة إلى الاسلام : « لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا توقدوا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيراً ، إلا لمأكلة

وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له :

وسوف تقدمون على قوم : يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فاذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها

لقد كان الفتح الاسلامى فتحاً روحيًّا مبيناً ، خضعت له الجزيرة بأسرها دون أن تجري الدماء فيها أنهاراً ، فتحاً دام تسع سنوات لم يقتل فيها إلا (٢٤٠) من المشركين و(٢٥٨) من المسلمين . ولا عجب إذا اتصف بهذه الروحانية السامية ، لأن الروحانية كانت العامل الأكبر فيه . فمن أين جاء الجاحدون بهذه الغزوات الدامية التى امتلأت بها كتبهم ، وبحت بها حناجرهم ؟ من أين جاءوا بهذه المغانم والأرزاق والأسلاب التي أغرت المسلمين على التمادى فى الغزو والنهب والسلب ؟!

إنه فتح كان الدين غايته ، ولولا الدين لكان له غير هذا الشأن

كتب عدى بن أرطأة عامل العراق إلى عمر بن عبد العزيز يقول : « إن الناس قد كثروا فى الاسلام ، حتى خفت أن يقل الخراج » فكتب إليه عمر يقول : « والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا »

أما والله لو أن حاكما كتب إلى حكومة بلاده ، يصف لها قلة خراج ولايته ، لما تحرجت تلك الوزارة عن عزله ، ولاجتمعت الأمة بأسرها تعالج تلك الأزمة الاقتصادية المخيفة ، ولكن الاسلام إنما جاء ليهدى القلوب ، لا ليبتز الجيوب « فان الله إنما بعث محمداً هادياً لا جابياً »

قال عمر بن عبد العزيز فى خطبة له : « وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم حتى نستوى نحن وهم وأكون أنا أولهم » اه . ولسنا بحاجة إلى التعليق على هذه الجملة الموجزة وعلى ما تنطوى عليه من الكره لا للغزو والنهب والسلب فحسب ، بل لجميع متاع الدنيا

تلكم هى حجة الخصوم فى حب الاسلام للنهب والغزو ، قد سقطت بين أيديهم ، قصاصة ورق ، تتلاعب بها الرياح وأمواج الحقيقة ...

أما القول بأن العرب كانوا وسطاً فى القتال فلا يدل إلا على جهل صاحبه بالفطرة العربية ، وبأخلاق سكان الصحارى الموحشة ، والبرارى المقفرة ، التى يقوى فيها الذئب ، وتصول السباع . ومن شك فى تبريز العرب وبصرهم بأحوال القتال ، فليستنطق ربوع الأندلس والهند وفارس وأفريقا ، بل وفرنسا ، يوم كانت خيول مصر وقحطان تسرح فى شرق البلاد وغربها . وكان مجرد اسم العرب يوقع الرعب فى قلوب الأعداء لما كان يبلغهم من أنباء فروسيتهم وبطولتهم ...

بقى أمر الحروب الصليبية ، وقول من قال إنها كانت حروب البسالة والشهامة وأن الصليبيين كانوا عجباً بأنظمتهم وترتيباتهم . ولسنا نزيد فى دفع هذا الكلام الغث على إيراد شهادات وأقوال بعض المستشرقين الكبار ، وذلك لنكون بعيدين عما يدفع الغير لاتهامنا بالتغرض والتحيز

يقول ديسون : « آن لنا أن نتناول الحروب الصليبية بالبحث تلك الحروب التى بذرت روح العداء بين الاسلام والمسيحية ... فلقد مشى فيها أقوام كان همهم السلب والنهب والسرقة والقتل ، وزاد فى ذلك ما وجدوه فى طريقهم إلى القدس من وعثاء السفر والمشقات . والحقيقة أن الصليبيين — عدا من كان فى جيوشهم من اللصوص والمجرمين — قد ظهروا للعالم كبرابرة مخيفين ، وقد أظهروا فى آسيا صنوفاً من الوحشية والفظائع لم تعهدها قط هذه البلاد التى كان قد مر عليها أربعة قرون آمنة فى ظل نظام عربى لم تر له من قبل مثيلا

وقد اقتحم الصليبيون القدس فى ١٥ يولية ١٠٩٩ وقتلوا فى اليوم نفسه عشرة آلاف من المسلمين التجأوا إلى جامع عمر ظناً منهم أنه يحميهم من وحشية أعدائهم ، ولم يكفهم هذا قط ، ولا نقع غليل نفوسهم المطشى للدماء بل راحوا فى الأسبوع نفسه يقتلون من المسلمين واليهود والمسيحيين (غير الكاثوليك) ما يناهز (٦٠) الف نسمة

وكان خلفاء الصليبيين كأجدادهم فظاعة وعسفاً حتى لقد وصفهم بعض كتاب المسيحية وصفاً مؤلماً ، وقال أنهم ليسوا من المسيحية الغراء فى شىء ..

وقال الأب ريموند داجيل : « لقد اشتد القتل فى هيكل سليمان ، وكثرت فيه الجثث حتى أن الجند الذين قاموا بهذه الذبحة لم يعد بامكانهم أن يطيقوا الرائحة التى كانت تتصاعد من جثث القتلى » .

وقال روبرت ل موان : « لقد بدأت مذبحة الترك فى ١٣ ديسمبر ولم يكف ذلك اليوم لقتل جميع الأسرى فأجهزنا على البقية فى اليوم التالى » .

وقال ميشو : « تعصب الصليبيون فى القدس تعصباً لم يسبق له مثيل حتى شكا منه الكتاب المنصفون من مؤرخيهم ، فكانوا يكرهون العرب على إلقاء أنفسهم من أعالى البروج والبيوت ، ويجعلونهم طعاماً للنار ، ويخرجونهم من الأقبية ، وأعماق الأرض ، ويجرونهم فى الساحات ويقتلونهم فوق جثث الآدميين. ودام الذبح فى المسلمين أسبوعاً حتى قتلوا منهم على ما انفق على روايته مؤرخو الشرق والغرب سبعين ألف نسمة ، ولم ينج اليهود كالعرب من الذبح فوضع الصليبيون النار فى المذبح الذى لجأوا إليه ، وأهلكوهم كلهم بالنار ... »

وجاء فى تاريخ الأمير حيدر : « ... أخذ ريشارد قلب الأسد سبعمائة من أسرى المسلمين وقتلهم على رأس تل عكا ، بمرأى من عساكر صلاح الدين ، وبقر عسكره بطون المقتولين ليروا إن كان فيها شىء من الجواهر والذهب ، ظنا منهم أنهم ابتلعوا

شيئاً منها، وحباً بالانتفاع بمرازئهم بتخذونها دواء يستشفون به . »

وجاء في التاريخ العام للافيس ورامبو : « .. بلغت دماء المسلمين التي سفكها الصليبيون في المسجد الأقصى حداً فظيعاً بحيث كان الفارس منهم وهو راكب تصل إلى رجليه دماء المسلمين التي سفكت في ذلك الحرم المقدس ، وسالت كالسيل المنهمر !! ... »

وكتب ريكولدوس حوالي عام ١٢٩٤ في مدح المسلمين قائلاً : ومن ذا الذي لا يعجب بحماستهم وخشوعهم في صلاتهم ، وبرحمتهم الفقير وبتقديسهم اسم الله والأنبياء والأماكن المقدسة ، وبحسن عشرتهم ، ولطفهم مع الغريب ؟ »

ولله درغوستاف لوبون إذ يقول « كان يتظاهر الصليبيين بأنهم يقصدون خدمة دينهم بالاستيلاء على القبر المقدس ، ولكن الواقع أنهم كانوا منحلين من جوهر الدين، وأقرب إلى نزع شعاره متى رأوا مغنماً لهم ، أو فاحشة يأتونها

شهادات في الفتح والحضارة الاسلامية : —

جاء في مقالة : للعالم الفرنسي ليوتي — نقلاً عن الأهرام — « وإذ كان فريق من ذوي الأغراض الملتوية ، يزعم أن الاسلام — بفتوحه — يبعث على التدمير والفوضى والتعصب ، فأني بعد أن قضيت بين المسلمين مدة من الزمن في الشرق والغرب ولم أكتف بما قرأته عن الاسلام في الكتب — أقول، إن جميع تلك المزاعم لا نصيب لها من الصحة : » ...

وقال العالم الأمريكي لوثروب ستودارد ، في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) : ما كان العرب قط أمة تحب إراقة الدماء ، وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضد من ذلك أمة موهوبة جليلة الأخلاق والمزايا ، تواقة إلى ارتشاف العلوم ، محسنة في اعتبار نعم التهذيب ، تلك النعم التي قد انتهت إليها ، من الحضارة السالفة ، وإذ شاع بين الغالبين والمغلوبين التزاوج ووحدة المعتقد ، كان اختلاط بعضهم ببعض سريعاً . وعن هذا الاختلاط نشأت حضارة جديدة ، وهي جماع متجدد التهذيب اليوناني والروماني والفارسي . وذلك المجموع هو الذي نفخ فيه العرب روحاً جديداً ، فنضر وأزهر ، وألفوا بين عناصره ومواده بالعبقرية العربية والروح الاسلامي ، فاتحد وتماسك بعضه ببعض. فأشرق وعلا علواً كبيراً ، وقد سارت الممالك الاسلامية ، في القرون الثلاثة الأولى من تاريخها أحسن سير فكانت أكثر ممالك الدنيا حضارة ورقياً وتقدماً وعمراناً ، مرصعة الأقطار بجواهر المدن الزاهرة ، والحواضر العامرة ، والمساجد الفخمة ، والجامعات العلمية المنظمة ، وفيها مجموع حكمة القدماء ، ومخزن علومهم ، يشعان إشعاعاً باهراً . وظل طيلة : هذه القرون الثلاثة يرسل على الغرب النصراني نوراً ... »

ويقول هربرت جورج ولز : « ساد الاسلام لأنه كان أفضل نظام اجتماعي وسياسي تمخضت عنه الأعصر ، وكان حينما حل يجد أمماً استولى عليها الذل والكسل ، وتفشى فيها الظلم والعسف ؛ ويجد حكومات متفسخة غاشمة ، مستأثرة مستبدة ، لا تربطها برعاياها أية رابطة ، فمدّ إلى البشرية يد المساعدة والانقاذ ... » .

وقال سيديو « إن الاسلام هو الدين السامي الذي استطاع أن يسير في فتوحاته دون أن يترك وراءه أثراً للجور ، وكانت ترحب به جميع الأمم المغلوبة على أمرها لحكم الروم والفرس ... »

أفبعد هذه الشهادات الصريحة تقوم ضد الفتح الاسلامي حجة ، وينهض دليل ؟

هذه صورة من كتابنا « في الدفاع عن الاسلام » الماثل للطبع ، وسنتقدم في الأعداد المقبلة بكلمة أخرى نصور فيها الحضارة الاسلامية الزاهرة ، ومبلغ ما وصلت إليه من التقدم والرقي ، وما ذلك إلا نُصرةً للحق ، وخدمة للعلم ، والله خير الناصرين .

شرق الأردن — خليل جمعة الطوال

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

للأستاذ محمد سعيد العريان

١٨٨٠ — ١٩٣٧

— ٤٢ —

مقالات منحولة

كثيراً ما تدعو الدواعي كاتباً من الكتاب إلى إنشاء مقال لايذيله باسمه؛ ويكاد يكون من الشائع المألوف أن يقرأ القراء مقالاً في صحيفة من الصحف غير معزوٍّ إلى قائله، أو مرموزاً إليه رمزاً ما! ولكن من غير المألوف أن ينشىء كاتب من الكتاب مقالة أو فصلا من كتاب، أو كتاباً بتمامه، ثم ينسب ماينشئه إلى كاتب غيره.

وللرافعي في تاريخه الأدبي حوادث من مثل ذلك؛ فثمة مقالات، ورسائل، وكتب متداولة مشهورة، يعرفها القراء لغير الرافعي، وهي هي من إنشائه وكدِّ فكره وعصارة قلمه، ولكنه آثر بها غيره زهداً عنها أو التماساً للنفع من ورائها. ولو أني أردت أن أستقصي ما أعرف من ذلك لأغضبت كثيراً من الأحياء أحرص على رضاهم وأخشى غضبهم؛ ولقد كنت على أن أطوي هذا الفصل حرصاً على مودتهم، ولكني وقد وضعت نفسي بهذا الموضع لأكون مؤرخاً بعيداً عن التهمة – لم تطب نفسي بكتمان الشهادة، فاذا لم يكن بوسعي أن أذكر كل ما أعرف، فحسبي اللمحة الدالة والاشارة الموجزة، وللحديث بقية إلى حين، ومعذرة إلى أصدقائي ...

***

في سنة ١٩١١ أصدر الرافعي كتاب تاريخ آداب العرب فتقبله الأدباء بقبول حسن، وكتبت عنه المقالات الضافية في كبريات الصحف، ولكن ذلك لم يكف الرافعي؛ ففي ذات يوم قصد إلى جريدة «المؤيد» فلقي هناك صديقه المرحوم احمد زكي باشا فأهدى إليه كتابه ورجاه أن يكتب فصلا عنه؛ فقال زكي باشا: «وماذا تريدني أن أكتب؟» قال الرافعي: «تقول وتقول...» قال زكي باشا: «فاكتب ما تشاء وهذا إمضائي ...!» وجلس الرافعي إلى مكتب في دار الجريدة، فكتب ماشاء أن ينسب إلى صديقه في تقريظ كتابه، ثم دفعه إليه فذيله باسمه ودفعه إلى عامل المطبعة ...

وقرأ الناس في اليوم التالي مقالاً ضافيا بامضاء «أحمد زكي باشا» في تقريظ «تاريخ آداب العرب» شغل الصفحة الأولى كلها من الجريدة. ولكن أحدا من القراء لم يعرف أن كاتب هذا المقال هو الرافعي نفسه، يثني على كتابه ويطري نفسه!

ولهذه الحادثة أخوات مع زكي باشا نفسه؛ فانه لما أنشأ الرافعي نشيده «اسلمي يامصر ...» قرأ القراء مقالاً في الأخبار بامضاء احمد زكي باشا، يثني على النشيد ويطري مؤلفه، ولم يكن كاتب هذا المقال أحداً غير الرافعي؛ بل إن أكثر المقالات التي يراها القراء في الكتيب الصغير الذي نشره الرافعي عن نشيده هذا [1]، هو من إنشائه أو من إملائه!

وقد ظل هذا (التعاون) وثيقا بين المرحومين زكي باشا والرافعي إلى أخريات أيامهما؛ ومنه أن زكي باشا كان على نية إعداد معجم لغوي كبير قبيل وفاته، وكان للرافعي في إنشاء هذا المعجم أثر ذو بال، وفيه فصول كتبها الرافعي بتمامها وأعدها للإمضاء ... ولكن المنية أعجلت المرحوم أحمد زكي باشا عن إصدار هذا المعجم، وأحسبه مازال محفوظاً بين مخلفاته المخطوطة

***

ويتصل بسبب إلى هذه المقالات التي كان ينحلها الرافعي صديقه زكي باشا، ما نحل أخاه المرحوم محمد كامل الرافعي من شرح ديوانه الذي أصدر منه جزءين ١٩٠٣ – ١٩٠٤؛ فان شارحهما هو الرافعي نفسه، وفيهما عليه ثناء وإطراء

***

في الحادثتين السابقتين إشارة إلى بعض الأسباب التي كانت تحمل الرافعي على أن ينحل أصدقاءه بعض ما يكتبه؛ وهنالك أسباب أخرى:

في سنة ١٩١٧ وقعت في طنطا جريمة قتل مروِّعة؛ وكانت القتيل امرأة عجوزاً مسموعة بالغنى والشح والكزازة، تزوَّجها قبيل مقتلها شاب من الشباب العابثين طمعا في مالها، فلم يلبث معها إلا قليلا ثم وقعت الجريمة!

وتوجهت التهمة أول ما توجهت إلى زوجها الشاب، ثم

---

(١) نشيد سعد باشا زغلول، المطبعة السلفية

انصرفت عنه إلى أختها وزوج أختها فسيقا إلى قفص الاتهام ، وكانا شيخين عجوزين فيهما بلاهة وغفلة ، فلم يستطيعا الدفاع عن نفسيهما ، وهـيّأتا بغفلتهما وبلاهتهما الفرصة للمجرم الحقيقى أن يحوك حولها الشبكة وأن يصوّب عليهما أدلة الاتهام لينجو هو من العقوبة ...

كان المجرم الحقيقى معروفاً للجميع ، ولكن المحكمة بما اجتمع لديها من براهين مصنوعة لم تجد أمامها غير هذين البريئين المغفلين فألقت بهما إلى السجن المؤبد ؛ وقضيا فى السجن بضع سنين !

شيخان على أبواب الأبدية ، يساقان إلى ظلام السجن ليس من ورائه إلا ظلام القبر ، ولم يقترفا جريمة أو يرتكبا إثماً ... ولكن القانون قد قال كلمته ، والقانون حق وواجب الاحترام ؛ فلم تبق إلا الرحمة الانسانية شفيعاً من قسوة القانون ...

وسعت أسرة السجينين إلى المحامى الأديب الأستاذ حافظ ع تطلب إليه أن يكتب استرحاماً فى أمرهما إلى أمير البلاد ، لعل فى عطفه ما يأسو الجرح ويخفف وقع المصاب ، وجعلت له أجراً على ذلك مائة جنيه !

وماذا يقول المحامى فى قضية فرغت المحكمة من أمرها وقال القضاء كلمته ؟

ليس هذا سبيل المحامى الذى يرتّب القضايا ويستنبط النتائج ويستنطق الصامت ويستوضح الغامض ؛ لقد فات أوان ذلك كله فلم تبق إلا كلمة الشاعر الذى يخاطب النفس الانسانية فيجتلب الرحمة ويستدر العبرة ويحسن الاعتذار عن البشرية من أخطائها فيذكى العاطفة الخابية ويوقظ الاحساس الراقد ويتحدث إلى القلب الانسانى حديث الوجدان والشعر والعاطفة ...

وقصد الأستاذ حافظ إلى صديقه المرحوم الرافعى ، ليضع القضية بين يديه ويسأله أن يكتب الاسترحام إلى أمير البلاد ، وسمى له أجرة إن توفق فى مسعاه

وقرأ الرافعى القضية وأحاط بها من كافة نواحيها ، ثم شرع قلمه وكتب ... وبلغت صيحته حيث أراد فأفرج عن السجينين فى مايو سنة ١٩٢١

وتناول الرافعى أجرته على ذلك من المحامى سبعة عشر جنيهاً واستبقى المحامى لنفسه ثلاثة وثمانين ...

فى هـذا الاسترحام الذى كتبه الرافعى فى بضع وأربعين صفحة ونحله صديقه المحامى ليطبعه باسمه ، لون من أدب الرافعى غير معروف لقرائه ؛ فيه تحليل نفسى بديع ، وفيه شعر إنسانى يبلغ الغاية من السموّ ، وفيه منطق واستنباط وملاحظة دقيقة لا تجد مثلها فى أساليب الأدباء

وقد ظل هذا (التعاون) الأدبى متصلاً بين الرافعى وصديقه الأستاذ حافظ إلى ما قبل موت الرافعى ؛ ولكن هذا (التعاون) قد خرج من نطاق القضايا والمحاكمات إلى نطاق أدبي آخر ليس من حقى أن أتحدث عنه اليوم[1] ... وعند الأستاذ الزيات بقية الخبر ، تحدث به الرافعى إليه فى مجلس ضمنا نحن الثلاثة ...

***

وفى شهر ديسمبر من سنة ما، قصد الأستاذ جورج إبراهيم إلى صديقه الرافعى ، يطلب إليه أن يعد كلمة عن المسيح لتلقيها فتاة مسيحية فى حفلة مدرسية فى ليلة عيد الميلاد ...

وكتب الرافعى المسلم كلمة مسلمة فى تمجيد المسيح فدفعها إلى صديقه ... وألقتها الفتاة فى حفل حاشد من المسيحيين المثقفين تخلبت ألبابهم واستحقت منهم أبلغ الاعجاب

وفى الشهر التالى كانت هذه الخطبة المسيحية الرافعية منشورة فى « المقتطف » منسوبة إلى الفتاة . وكانت عند أكثر القراء المسيحيين إنجيلاً من الانجيل

تحت يدى الآن النسخة الأصلية من هـذه الخطبة مكتوبة بخط الرافعى ، وهى النسخة التى بعث بها إلى صديقه الأستاذ جورج ليدفعها إلى الفتاة ؛ وفى صدرها بخطه إلى صديقه : « هذا ما تيسر لي على شرط الفتاة ، فنفح فيه ما شئت ، واضبط لها الكلام . والسلام »

وفى آخرها يتفكه مع صديقه («وعلى الأرض السلام، وفى الناس المسرة » والمضرة ، والمعرة يا عم جورجى[2])

***

وكان الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى — صهر الرافعى — من تلاميذ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده المقربين ، وكان أدنى منزلة إليه من كثير من تلاميذه ، على أن تأثره به كان من الناحية الأدبية وحسب ، على حين كان تلميذه المقرب المرحوم السيد رشيد رضا مخصوصاً بالرواية عنه فى الناحية الدينية ، فكلاهما من تلامذة الأستاذ الامام ولكن لكل منهما نهجه وشرعته

(١) حدثنى حديث هذه القضية الأستاذ الأديب جورج ابراهيم صديق الرافعى وملازمه من لدن نشأته

(٢) ننشر هذه الخطبة فى العدد التالى من الرسالة إن شاء الله

فلما هم الأستاذ البرقوقي أن يصدر مجلة البيان[1] — وكان السيد رشيد رضا قد سبقه بإصدار مجلة المنار — قصد البرقوقي إلى الرافعي يقول له : « إنني لا أتصوَّر كيف يصدر العدد الأول من (البيان) وليس فيه كلمة أو حديث أو مجلس من مجالس المرحوم الأستاذ الامام ، وأنا كنت أدنى إليه مجلساً من رشيد رضا الذى لا يصدر عدد من مجلته — المنار — إلا وفيه حديث أو خبر أو مجلس من مجالس الشيخ محمد عبده ! »

قال الرافعي : « فابدأ العدد الأول بما شئت من حديثه أو مجالس درسه ! »

قال البرقوقي : « ولكني لا أجد عندى ماأرويه عن الامام ؛ لقد ترك الشيخ فى نفسي أثره ولكنه لم يترك فى ذاكرتى من حديثه ومجالسه شيئاً يستحق الرواية ! »

قال الرافعي : « ... ولا بد من ذكر شيء عنه فى البيان ! »

قال : « بلى ، وإلا غلبنى رشيد رضا واستطال عليَّ عند قرائه بأنه هو وحده تلميذ الامام وراويه ! »

وضحك الرافعي وأطرق هنيهة ، ثم تناول قلما وورقة وكتب ...

وصدر العدد الأول من مجلة البيان ، وفيه حديث يرويه البرقوقى عن الشيخ محمد عبده فى مجلس من مجالس درسه ؛ بأسلوب من أسلوبه وروح من روحه وبيان فى مثل بيانه ؛ وما قال المرحوم الامام شيئاً من ذلك ولا تحدث به ، ولكنه حديث مصنوع وضعه الرافعي على لسان الأستاذ الامام ونشره البرقوقي ليقضى لبانة فى نفسه ...

... ألقى إليَّ الرافعي هذا الحديث ساخراً ، ثم دفع إليَّ العدد الأول من مجلة البيان وهو يقول : « اقرأ ؛ أترى هذا الحديث من مهارة السبك بحيث يجوز على القراء أنه من حديث الأستاذ الامام ؟ »

وضحكتُ وضحك الرافعي وعاد يقول : « ولكن تمام الفكاهة أن السيد رشيد رضا لما قرأ هذا الحديث المصنوع ، التفت إلى جلسائه قائلاً : « وأى حديث هذا حتى يبدأ به البرقوقى مجلته ؟ لقد كنت حاضراً مجلس الشيخ ، وسمعت منه هذا الحديث ، ولكني لم أجد له من القيمة الأدبية ما يحملني على روايته ... ! »

. . . واستمرّ هذا (التعاون) أيضاً بين الرافعي والبرقوقي طول المدة التى كانت تصدر فيها مجلة البيان ، فأىّ مقال قرأت من أعداد هذه المجلة فشككت فى نسبته إلى مُذَيِّله باسمه ، فاحمله على أنه مما كتب الرافعي من الأدب المنحول ...

ويدخل فى هذا الباب كثير من المقالات كان الرافعي يكتبها بأسماء طائفة من ناشئة المتأدبين ؛ ليدفع عن نفسه فى معركة ، أو يدعو إلى نفسه لمنم ، أو ليعين صاحباً على العيش ، أو ليوحى إلى (صاحب الامضاء) إيحاء يدفعه إلى الاستمرار فى الأدب والأمل فى أن يكون غداً من الكتاب المشهورين . . . وليس يمنيني فى هذه الناحية أن أسمي أحداً أو أشير إليه ، إذ كان الذى كتبه من ذلك ليس له من القيمة الأدبية ما يدعونا إلى الحرص على تصحيح نسبه ، وأكثره لغو مما يُنشر فى بعض الصحف لملء الفراغ

محمد سعيد العريان

* * *

١ — إلى الأخ الأديب على نور الدين بالمنصورة : وساوسك يا صديقي لا تقوم على أساس ، فطب نفسا ورض قلبك على الاطمئنان ، فليس فى ظروف قضيتك ما يحملك على هذه الأوهام جميعا ، وأنت فى حاجة إلى الاستجمام والراحة لتصح نظرتك إلى الحياة والناس !

٢ — إلى الأستاذ الفاضل إبراهيم على أبو الخشب : ليس عندى علم فيما تسألنى غير الاستنتاج ، ولست أجد لنفسي بذلك حقا فى الدخول بين الرافعى وحافظ ، أو بين حافظ والامام — على أن الصداقة بين الرافعى وحافظ يرجع تاريخها إلى سنة ١٩٠٥ ، أى بعد نشر ديوانى الرافعى وحافظ . تحياتى وأشكر لك

٣ — الأديب وديع سليمان — نابلس : فلانة هي التى ظننت وأشكر لك رأيك

٤ — الأديب محمد يوسف الرفاعي — بصرة — العراق : شكرى لك ولاخوانك . في كتاب « حياة الرافعي » الذى يصدر قريبا جواب ما سألتنى

(١) مجلة البيان : هي مجلة أدبية كان لها فى حلبة الأدب قبيل الحرب صولة وسلطان ، وهى غير البيان التى كان يصدرها المرحوم ابرهيم اليازجى

كلمة أخيرة

بين العقـــــاد والرافعي

وبيني وبين الرافعيين

للأستاذ سيد قطب

من بين الرسائل التي تلقيتها في أثناء كتابة هذه الفصول رسالة يقول فيها كاتبها الأديب « صلاح الدين الصدفي » بعد كلام كثير :

« . . . ونحن يا سيدي من سكان الريف الذين كثيراً ما يتأثرون بالآراء المتداولة ، والاشاعات المفتعلة ، وقد كنا نعتقد أن العقاد كاتب سياسي من الطراز الأول ، ولكنا نفضل عليه في الكتابة الأدبية آخرين ، أسهل منه في الفهم ، وأعرف لدى الجماهير ، ثم تابعنا كلماتك فاستطاعت أن تشوقنا إلى قراءة مؤلفاته النثرية على ضوء جديد ، ولكنا إلى أمد قريب كنا لا نميل إلى الاعتراف بشاعرية العقاد ، فان كان شاعراً فهو شاعر الفلسفة والتأمل لا شاعر العاطفة ، وإذا سلمنا أن له في شعر العواطف شيئاً ، فما كنا نصدق أنه شاعر غزل . وأخيراً انكشفت عنا هذه الحجب التي بثتها فينا دعايات مغرضة ، وإذا بنا نفهم أن العقاد هو كل أولئك ، وأنه ممتاز في جميع مناحي الشعور ، متفوق في كل هذه الاحساسات، وأسفنا على ضياع زمن طويل، لم نتنبه فيه إلى خصوبة هذا الانتاج الوفير . . . »

هذه الرسالة جماع ما ورد إلي في رسائل متفرقة ، وفي هذه الفقرات القصيرة ما يبرر البسط والتوسع الذي عالجت به « غزل العقاد » خاصة ، وإن كنت أحس أن في القول متسعاً وأن غزل العقاد وشعره عامة ، يصلح لدراسات مستفيضة ، ولشروح وتآليف تحمل منه – كما يستحق – مذهباً قائماً ، معروف المعالم ، واضح السمات .

وشعر العقاد فن خصب ، صالح للدراسة على أنماط مختلفة من الطرق والأوضاع ، فتستطيع أن تدرس فنونه كل فن على حدة كما صنعت في «غزل العقاد» وتستطيع أن تدرس اتجاهاته وتلتمس لها أمثلة من مختلف فنونه ، كما صنعت في محاضرتي عام ١٩٣٤ عن « وحي الأربعين » . وحيثما اتجهت في الدراسة وجدت مادة جديدة ، وذخيرة فنية ، لأن العقاد صاحب طبيعة وصاحب فلسفة معينة في الحياة .

وقد اخترت أن أعرض « غزل العقاد » لأن الغزل عامة ، وعند العقاد خاصة ، معرض لجميع القوى النفسية التي تجيش بالشعر ، وتحفز للتعبير ، وفيه تستطيع أن تدرس نظرة الشاعر للكون والحياة وأغراضهما الأصيلة وآمالها الخالدة ، وتقف على رأيه في المثل العليا والأخلاق والفضائل ، وتميز إحساسه بالمرأة والفنون والجمال ، على نحو ما رأى القراء في الفصول السابقة .

ثم لقد كان هناك دافع آخر لاختيار الغزل فلقد كان حديثي عن الرافعي في غزله أو ما كتبه هو على أنه غزل ، وكان أمامي لاثبات رأيي في كلا الرجلين طريقان : الأول أن أعرض ما قاله الرافعي في هذا الباب وأفنده ، وهذا عمل أعتقد أن لا غناء فيه ولا جدوى منه لي ولا للقراء ، فقد قرأت كل ما كتبه الرافعي في هذا الباب ، فاذا هو خواء مقفر من كل عاطفة وإحساس ، فاذا أنا عرضته ، فانما أعرض قطعة من صحارى النفوس ليس فيها ندى ولا حياة ، ولن يصبر القراء معي – إذا أنا صبرت على قطع هذا القفار الموحش المتشابه الأرجاء. وبحسبي وحسبهم ما استعرضه من مثل هي نماذج لكل ما هناك

والثاني – وقد اخترته – أن أعرض غزل العقاد ، فأكشف عن هذا العالم الحي المائج المضطرب بشتى الانفعالات والاتجاهات ثم يخلص بنا القول فيه إلى أن كل ما تجده هنا لا تجده عند الرافعي ، لأن العقاد والرافعي مختلفان متناقضان

ولقد شاءت الظروف أن يكون العنوان : « بين العقاد والرافعي » فتوجد رابطة بين اسمي هذين الرجلين ، لا وجود لها في أدبيهما ولا اتجاههما ولا في شيء مما يصح فيه التشابه والارتباط

والواقع لقد كان في هذا الجمع بينهما ظلم لكليهما : فأما العقاد فمظلوم – ولا شك – أن يقرن اسمه إلى اسم الرافعي ، وبينهما هذه الهوة السحيقة الفاصلة ، الهوة التي تفصل بين الصورة الفنية ترمز إلى معنى وتكاد تجيش بالحياة ، وتهمس بالنطق والتعبير والنقوش التي نراها على أبواب المساجد ونوافذها : خطوطاً متعرجة أو مستقيمة ودوائر ومثلثات ومربعات كلها من عمل

المسطرة والبركار، ولا شيء وراءها غير المهارة في اللعب والتزويق

فعشاق الصور الفنية محال أن يلتفتوا إلى هذا العبث على أبواب المساجد وأمثالها من شغل « الأرابسك » المعروف عند النجارين، مهما بلغ التفنن في نقوشه وألوانه، وعشاق «الأرابسك» لا يتطلعون إلى فهم الصور الفنية بحال من الأحوال

والرافعي كذلك مظلوم — ولا شك — أن يقرن اسمه إلى اسم العقاد؛ فيطالبه النقاد حينئذ بالحياة والحركة والعمق، أو يطالبونه برأى معين في مسائل الحياة الكبرى وفي نواحي الاحساس والشعور، وارحل في عالم آخر غير هذا كله، عالم الأخشاب المنقوشة والشرفات المزركشة، والأصباغ والألوان.

وما زلت كلما عدت إلى قراءة شيء من كتابة الرافعي، يمتد بي الخيال إلى « البهلوان » الذي « يتقصع » في مشيته ويضع يده في خاصرته، ويأبى أن يسير في الطريق بخطوات سهلة كما خلقه الله!

***

أما شأن الرافعيين معي، فشأن الرافعي مع العقاد سواء بسواء. كنت أعرض لهم الحياة الناجحة الهائجة، فيعرضون لي النصوص والألفاظ؛ وكنت أحاول أن أفتح أبصارهم وأفتق إحساسهم، وأفهمهم أن في الدنيا شيئاً غير التعبير المزوق، وغير اللفتات الذهنية القريبة، والمعاني اللولبية، والجمل المتثنية المترافصة، فيأبوا إلا أن يعودوا إلى هذا العبث العابث في لف ودوران

ولست على استعداد أن أستعيد ما قلت وقالوا، فقد أنفقوا — على ما يظهر — كل رصيدهم في هذه الكلمات المكرورة المعادة التي كتبوها، وما هذا بعجيب، فما لهم رصيد سوى بضع جمل وبضعة تعبيرات، وما كان لهذا العالم المصنوع الذي يعيشون فيه، ولا ينفذون منه أبداً إلى ضجة الحياة، أن يكون له رصيد مذخور سوى الخواء والاقفار

ولكنني أريد أن أعرض لبعض ما قاله مندوبهم الأخير، وأعاد به ما قالوه واحداً بعد الآخر في جهد وإعياء شديد

لقد أخذ يردد نغمة العوام في الموتى والأحياء، ويعتمد على شعور هؤلاء العوام في تقدير موقفي وأنا أتحدث عن العقاد الحي، وموقفهم وهم ينافحون عن الرافعي الذي مات

والمسألة — في ظاهرها — كما يقولون، ولكن الواقع غير ذلك، فأنا في دفاعي عن العقاد أمجد وأشرف من دفاعهم عن الرافعي، إذا كان مناط الحكم في هذا ما يناله كلانا من ربح أو خسارة، على النحو الذي يفهمونه هم من الربح والخسارة

فماذا يكلفهم الدفاع عن الرافعي؟ إنه لا يكلفهم شيئاً، بل على العكس يكسبهم حسن الأحدوثة — لدفاعهم عن رجل ميت — عند عوام القراء والأدباء في هذا البلد وهم بحمد الله كثيرون؛ ويكسبهم — كما يريدون — سمة الدفاع عن الدين، وأتباعه بالملايين في مصر والبلاد العربية؛ ويكسبهم محبة الأسلوبيين والعاجزين عن التحليق في الأجواء الفنية العالية، وهؤلاء يكونون تسعين في المائة من القراء بل من الأدباء، ولا يتعرضون لخطر واحد مما يتعرض له أنصار العقاد

أما الدفاع عن العقاد فيكلفني التعرض لغضب الكثيرين من ذوي النفوذ في هذه الوزارة وفي كل وزارة، ومن بينهم كثير من رؤسائي في وزارة المعارف نفسها، لأن العقاد رجل لم تبق له قولة الحق صديقاً من السياسيين، وكثير ممن يظهرون صداقته يكنون له غير ذلك لأنهم ينفسون عليه شموخه واعتداده بنفسه وتعاليه على الضرورات

ويكلفني خصومة الأدباء من المدرسة القديمة والحديثة على السواء. فأما أولئك فسبب سخطهم معروف، وأما هؤلاء فلأنهم ينفسون على العقاد أن يعطيه ناقد بعض ما يستحق من تقدير، ومن لا يعرف هذه الحقيقة فأنا — وقد أتاحت لي الظروف الاطلاع على داخلية كثير من الصحف والأدباء — أعرف ذلك وأعرف أن الكلمات التي يقدر فيها العقاد لا تجد طريقها سهلا للظهور في الصحف على اختلاف أهوائها ونزعاتها السياسية، واختلاف المشرفين عليها من الأدباء وغير الأدباء

ويكلفني خصومة كثير من ناقصي الرجولة — وهم أعداء العقاد الطبيعيون — وكثير من ناقصي الثقافة الذين لا يفهمون العقاد فيحملونه تبعة عدم فهمه ولا يكلفون أنفسهم عناء الدرس والثقافة. وكثير من مناقي الطباع الذين يستخذون أمام كل أدب حي. وكثير وكثير ممن يؤلفون أكثرية القراء في هذا البلد المنكوب...

وقد يفهم هؤلاء النفعيون أن للعقاد الآن نفوذاً ننتفع به؛ فلهؤلاء أقول: إن للعقاد نفوذاً نعم، ولكنه لا يستخدمه

في قضاء المصالح وتنفيذ الأغراض ، إنما يحتفظ به لنفسه في إبداء آرائه ، واستقلال شخصيته ، وتحطيم من يستحق التحطيم وبناء من يستحق البناء

وذلك بغض النظر عن طبيعتي الخاصة في الانتفاع بنفوذ الأصدقاء ، ذلك الانتفاع الذي يبدو غير مفهوم ، حينما كنت أناصر العقاد وهو خصم الوزارات القائمة ، وأوقع على ما أكتبه بإمضائي الصريح ، في أحرج الأوقات

فخرافة الموتى والأحياء لا يرددها هؤلاء ، إلا كما يرددها الأميون والعوام

وقد استكثر مندوبهم الأخير أن أقول : إن العقاد انتصر على الوفد وعنده عدة المال وعدة الحكم وعدة الماضي الوطني وكل عدة تؤهل للنجاح .

والذين يعيشون في ظلام الجحور يحق لهم أن يعجبوا لهذا الكلام . أما الذي وقف على صنوف محاربة الوفد للعقاد وهو في إبان سطوته ، وعرفوا أنها لم تقف عند الخصومة الشريفة في سلاح ولا وسيلة ، والذي يذكر الظروف التي خرج العقاد فيها على الوفد وما تلاها ، فانما يعلم أنني اقتصدت في هذا المقال !

الذي يعلم أن هذه الخصومة وصلت إلى حد محاربة العقاد في اللقمة ، فلم تكتف بمحاربة الصحف التي يعمل فيها حتى يكف عن الكتابة الشهور الطوال ، بل كانت تدفع لأصحاب المكتبات مئات الجنيهات حتى لا تبيع كتابا للعقاد ، وأي كتاب ؟ إنه كتاب سعد زغلول الزعيم الأول لهؤلاء الخصوم ؟

والذي يعلم أن هذه الخصومة هاجت وماجت لأن العقاد ألقى محاضرة من محطة الاذاعة الحكومية — على عهد الوزارة الصديقة — ولأن هناك مبلغا يدفع قيمة لهذه المحاضرة ، فاما أن تكف المحطة عن محاضرات العقاد وإما أن تعاقبها الحكومة باهمال تحصيل الضريبة !

والذي يعلم أن هذه الخصومة كانت تلجأ إلى أصدقاء العقاد لتتخذ منهم جواسيس عليه وتدفع لهم ثمن هذه الجاسوسية علاوات وترقيات ومكافآت ، فلم يسلم من هذا الاغراء إلا القليلون من خواص العقاد !

الذي يعلم هذا وسواه ، ويعلم أن العقاد خرج والوفد في عنفوان قوته الأدبية والمادية ، وجرؤ على ما لم يجرؤ عليه إنسان قبل ، فحطم قداسة الأصنام ؛ ولقح هذا الجسم الضخم بجراثيم الفناء التي ظلت تعمل عملها حتى خرّ بعد ذلك في الميدان

الذي يعلم كل ذلك لا يستكثر ما قلت ، إلا أن يكون كصاحبنا يعيش في صومعة لا ينفذ إليها الضياء

وحكاية الدين والأدب ، التي لج فيها ، وجعلها محور الحديث ، وقد تهكمت عليها من قبل ، لأنها لا تناقش بغير التهكم ، فأريد أن أفهم إذا نحن سرنا على هذه القاعدة العجيبة ، وأسقطنا من حسابنا الأدب غير الديني في الأدب العربي كله ، ما ذا يبقى لنا بعد ذلك من هذا التراث الضخم ؟ اللهم إلا قصيدة البردة وبانت سعاد وبعض الأدعية والأوراد !

وصاحبنا أستاذ الكيمياء في كلية الطب — هكذا كتب أخيرا ليهدنا بعلمه الغزير وينكر علينا علمية التفكير وعلمية الأفكار ، ويشرح خواص الذهب الوارد في بيت الرافعي . ومع هذا يطاوعه علمه أن يقول : إن الكيماويين يصفون الذهب بأنه فلزنبيل ، والذي وصل إليه على القليل أن هؤلاء الكيماويين يصفون الذهب بأنه فلزنبيل لأنه لا يتفاعل مع الأكسجين ولا مع كثير من الأحماض ، ويصفون معدنا كالحديد مثلا بأنه فلزنشيط لسرعة تفاعله ، لأن مدار وصفهم للفلزات قائم على أساس التفاعل لا الثمن ، ولا أدري من أين أتى صاحبنا بهذا القول الفريد !

ولست أعنى بهذا أن أناقش الكلام الطويل العريض الذي فسر به أبيات الرافعي ، فسواء كان الذهب نبيلا أو خسيسا ، فسيبقى شعر الرافعي وأدبه كله يدور حول الصور الذهنية الكابية ويتيه في القفر الجامد اليباب

***

وبعد فقد رأى الناس مما كتبه هؤلاء وما كتبه الرافعي قبلهم ، أنه ليس من اليسير عليهم فهم العقاد ، وأنه ليس من مصلحة العقاد أن يفهموه ، فما هم بمستطيعين فهمه حتى يسف هو ويقفر ويمسخ خلقاً غير هذا الخلق الباسق الجبار .

ولقد اطمأن العقاد إلى مكانه من الشهرة ومقامه من الخلود ، فما يعنيه أن يثلبه ألف رافعي ، وما ينقصه أن يقول فيه هؤلاء الرافعيون .

وفي نهاية هذا البحث أجد لزاماً على أن أشكر للرسالة وصاحبها إفساح هذا المجال ، وأرجو أن أكون قد أفدت القراء بقدر ما استغرقت من فراغ . والسلام .

حلوان — سيد قطب

جورجيـــاس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٥ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة العرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(١)

ط — وأى هذه الأشياء التى تتكلم عنها تعتبر أجلها ؟؟

ب — أية أشياء ؟

ط — الاقتصاد والطب والعدالة ؟

ب — أعتبر العدالة أجل الثلاثة يا سقراط .

ط — وما دامت هى أجلها ، فهي إذاً تلك التى تنتج أعمق اللذات أو أعظم المكاسب أو هما معاً .

ب — نعم .

(١) قال سقراط فى ختام العدد الماضي إن « العدالة » هى التى تحررنا من الشرة والظلم ، وإن الاقتصاد والطب يحررانا بالمثل من الفقر والمرض . وسنرى اليوم كيف يواصل حديثه فى إثبات أن تحمل العقاب أسعد للنفس من الفرار منه ، وذلك ما يعتبر شديداً وعنيفاً على الناس لا سيا في عصرنا المادى الراهن . « المعرب »

ط — وإذاً فاللذيذ أن نكون بين أيدى الأطباء ، وأن نترك نفوسنا لملاجهم !

ب — لست أعتقد فى هذا !

ط — ولكن الانسان يربح من العلاج ، أليس كذلك ؟

ب — بلى

ط — ذلك لتخلصه من شر كبير ، فهو يفضل أن يتحمل الألم وأن يستعيد الصحة !

ب — من غير شك .

ط — وفى هذه الظروف ، متى نكون فى أفضل حالات الصحة ؟ أعند ما نكون بين أيدى الأطباء ، أم عندما لا يكون بنا مرض قط ؟

ب — ظاهر أن ذلك يكون عند ما لا يكون بنا أى مرض

ط — ذلك لأن السعادة لا تقوم فى الواقع — كما يلوح — فى أن نتخلص من الشر ، بل فى ألا يكون لدينا شر قط .

ب — ذلك صحيح .

ط — وأى الرجلين يكون جسمه أو نفسه مصابة بالشر ؟ وأيهما يكون أشقى من الآخر ؟ أذلك الذى نعالجه ونخلصه من شره ، أم ذلك الذى لا يعالج ويبقى بشره ؟

ب — يبدو أنه ذلك الذى لا يعالج

ط — أولم نقل إن من يلقى جزاء خطيئته يتخلص من أفدح الشرور وهو رداءة النفس ؟

ب — قلنا ذلك حقا

ط — وقلناه لأن العقاب يجعلنا حكماء ، ويضطرنا لأن نكون أكثر عدلا ، مادامت العدالة طباً لرداءة النفس

ب — نعم

ط — وإذاً فأشقى الناس هو ذلك الذى لا رذيلة أو رداءة فى نفسه ، لأنا قد رأينا أن « رداءة النفس » أفدح الشرور

ب — من غير أدنى شك

ط — ويأتى بعده من تخلصه من « رداءته » !

ب — يلوح هذا !

ط — وذلك الذى تخلصه هو الشخص الذى ننبهه ونعذله ، ونوبخه ونعنفه ، ونقدمه ليلقى جزاء فعلته !

ب — نعم

ط — وذلك الذى يعيش كأشقى ما يعيش الناس ، هوذلك الذى يحتفظ بظالمه بدلا من أن يتخلص منه

ب — نعم

ط — أوليست هذه تماما حالة الشخص الذي يرتكب أفظع الجرائم ، وينهج أظلم المناهج ، ثم ينجح في وضع نفسه فوق الإنذار والعقاب والتأديب ، كما فعل — تبعا لقولك — « أرشليوس » وكما يفعل الطغاة الآخرون من خطباء وسلاطين ؟

ب — يلوح ذلك .

ط — إن هؤلاء ياعزيزى بولوس قد سلكوا تقريبا نفس السبيل الذى يسلكه من يصاب بأخطر الأمراض ، ولكنه يعمل على إهمال سؤال الأطباء عن أمراضه الجسمية ، وعلى الفرار من علاجهم ، لأنه يخشى — كما يفعل الأطفال — من أنهم إذا عالجوه بالنار والحديد فانهم يسببون له شراً . ! ألست تتصور حالتهم على ذلك النحو ؟

ب — بلى .

ط — والسبب فيما يلوح جهلهم ثمن الصحة وحالة الجسم السليم . وإذا شئنا أن نحكم تبعا للأصول التى اتفقنا الآن عليها فانا نقول إن من يسعون لتجنب العقاب يعتزمون تماما أن ينهجوا نفس هذا السبيل يابولوس ! ذلك أنهم ينظرون للألم ويغمضون أعينهم عما فيه نفع لهم ولا يعرفون كم يجب أن يشكو المرء من السكنى مع نفس مؤذية فاسدة ظالمة كافرة ، أكثر من شكواه من السكنى مع جسم مريض معتل .! ، ومن هنا تراهم يعملون كل ما يمكنهم عمله لكيلا يكفروا عن خطيئتهم ولا يتخلصوا من أفدح شرورهم ، فيحصلون لأنفسهم الثروة والأصدقاء والمهارة التى تمكنهم من إقناع الناس بالكلام ! ولكن إذا كانت مبادئنا صحيحة فانظر أنت ماذا ينتج عن ذلك البحث ، أم تريد أن نخرج منه نحن بالنتائج ؟[1]

ب — نعم ، إذا سمحت !

ط — ألا ينتج عنها أن أفدح الشرور هو أن نكون ظالمين وأن نعيش فى الظلم ؟

ب — بلى ، كما يتضح

ط — أولم نعرف من الناحية الأخرى أن الانسان يخلص نفسه من ذلك الشر إذا لقى جزاء خطيئته ؟

ب — ذلك ممكن !

ط — وأن عدم العقاب لا يفعل أكثر من الابقاء على ذلك الشر ؟

ب — بلى !

ط — وإذاً لا يكون ارتكاب الظلم من حيث فداحة الشر إلا فى المنزلة الثانية ، ولكن الظلم الذى لم يلق جزاءه هو أول الشرور وأفدحها ؟

ب — يلوح هذا

ط — أولم نك ياصديقى العزيز فى نزاع بشأن هذه النقطة ؟ لقد كنت تقول إن « أرشليوس » سعيد لأنه ارتكب أفظع الجرائم وفر من كل عقاب ، وكنت أزعم — على النقيض — أن « أرشليوس » وكل من لا يعاقب على خطيئته يكون بالطبع أشقى الناس وأتعسهم ، وأن من يرتكب ظلماً يبقى دائماً أكثر شقاء وتعاسة من ذلك الذى يتحمله ، وأن من لا يلقى جزاء خطيئته يظل أشقى من ذلك الذى يكفر عنها أليست هذه هى النقطة التى تحدثت عنها ؟

ب — بلى

ط — ألم يتضح أن الحق فى جانبي ؟

ب — يلوح هذا !

ط — ذلك هو المعقول ، فاذا كان هو الحق يا بولوس فما عسى أن تكون فائدة البيان ؟ إنه يجب فى الحق — وتبعاً للمبادئ التى اتفقنا الآن عليها — أن نتجنب قبل كل شىء ارتكاب الظلم نظراً لأن ذلك يكون فى نفسه شراً كافياً . ألست ترى ذلك صحيحاً ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذا ما ارتكب أحد ظلما ، وكان هو المرتكب له بنفسه أو شخص آخر ممن يهمهم أمره ، فيجب أن يذهب عن طيبة خاطر إلى القاضى حيث يكفر عنه بأسرع ما يمكن كما تذهب

(١) سيعود أفلاطون هنا إلى وظيفة البيان الحقة مرة ثانية لأنه كان يفهمها فهما آخر غير فهم السفسطائيين والمهرجين كما قلنا فى مقدمة المحاورة كان يعتقد ويعلن أن الخطيب يجب أن يتعلم العدل ويحصر بيانه فى إعلانه للناس وتعليمهم إياه « المعرب »

إلى الطبيب ، ويجب أن يعجل بالذهاب خوفاً من أن يزمن معه مرض الظلم ولا ينتج إلا قرحة لا تشفى ، وإلا فماذا نستطيع أن نقول خلاف ذلك يابولوس إذا ظلت مقدماتنا صحيحة ثابتة ؟ أليست هذه هي الحالة الوحيدة التي تتفق فيها نتائجنا معها[1] ؟

ب — وماذا نستطيع أن نقول خلاف ذلك ياسقراط ؟

ط — وإذن لكيما ندفع عن أنفسنا اتهام الظلم عندما نكون قد ارتكبنا خطيئة ، أو ارتكبها والدانا أو أبناؤنا أو أصدقاؤنا أو وطننا فإن البيان لا يكون له عندنا أي استعمال يابولوس إذا لم نقبل على النقيض وجوب اتهام أنفسنا أولا ، ثم والدينا وأصدقائنا في كل مرة يرتكبون فيها ظلما ! وإذا لم نوافق على وجوب عدم إخفاء خطايانا على الاطلاق ، وعلى ضرورة إظهارها في وضح النهار كيما نكفر عنها ونستعيد بذلك صحتنا ! ، ثم إذا لم نقبل تقوية أنفسنا وغيرنا حتى لا نتراجع ، وحتى نتقدم بشجاعة وبعين مفتوحة كما نتقدم أمام الطبيب ليبتر أعضاءنا أو ليكويها بالنار ! وإذا لم نسلم بوجوب اتباع الحسن والجميل دون النظر إلى الألم ، وإذا لم نرض بأنه إذا كانت الخطيئة التي ارتكبناها تستحق الضرب فلنتقدم إليه ، أو السجن فلنمد أيدينا للقيد ، أو التعويض فلندفعه ، أو النفي فلننف ، أو الموت فلنتحمله ، وإذا لم نك أول من يقف في وجه أنفسنا وأقاربنا ونستعمل البيان فقط لتخليصنا من أفدح الشرور — وأعني به الظلم ، وذلك بالكشف عن أخطائنا ! فترى هل يجب أن نقول هنا نعم أو لا يابولوس

ب — يبدو لي أن ذلك غريب يا سقراط ولكنه ربما كان نتيجة لما قلناه من قبل !

ط — وإذا فيجب إما أن ننكر ما قلناه ، وإما أن نسلم بهذه النتائج !

ب — نعم ، إنه لكذلك[2]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

---

(١) يجب إذاً أن يذهب الجاني ليعترف بجريمته أمام القضاء وليلقى جزاء ما جنت يداه ؛ أليس في ذلك أساس « الاعتراف » في المسيحية ؟ أوليس فيه من الحكمة العالية ما يسمو على كل حكمة ؟ ولكن منذا يستمع لافلاطون ؟ أين مجرمو اليوم من تلك المبادىء ؟ إن السياسيين ليجرمون في حق أمم وأجيال بأسرها ولكنهم مع ذلك يكذبون ويدعون أنهم أصلحوا ! ! « المعرب »

(٢) وهكذا يبلغ أفلاطون الذروة في هذه المبادىء ، وسنرى في العدد القادم ما هو أسمى « المعرب »

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

وللكميت أربع هاشميات أخرى غير هذه الهاشمية اللامية السابقة ، وقد اتجه في مطالعها اتجاهاً جديداً ينكر فيه الاتجاهات العابثة التي اعتادها الشعراء في مطالع قصائدهم ، وهي هاشميته الميمية التي تبلغ (١٠٢) من الأبيات ، وثلاث هاشميات بائية تبلغ الأولى منها (١٣٨) من الأبيات ، وتبلغ الثانية (٦٧) بيتاً وتبلغ الثالثة (٢٨) بيتاً

وقد قال في مطلع هاشميته الميمية :

من لقلبٍ متيَّمٍ مستهام ... غير ما صبوةٍ ولا أحلامِ
طارقات ولا ادكارَ غوانى ... واضحات الخدود كالآرام
بل هواى الذى أُجنُّ وأُبدى ... لبنى هاشم فرُوعِ الأنام

وقال في بائيته الأولى ، وهي التي ذكرنا أنه عرضها على الفرزدق فأعجب بها ، وفضله على الشعراء جميعهم ، من بقي منهم ومن مضى :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب
ولا لعِباً منى وذو الشوق يلعبُ
ولم يُلهنى دارٌ ولا رسمُ منزل ... ولم يَتطرَّبنِى بنانٌ مخضبُ
ولا أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية ... أمرَّ سليمُ القرن أم مرَّ أعضب
ولكن إلى أهل الفضائل والتقى ... وخير بنى حواء والخير يطلب

وقال في مطلع بائيته الثانية :

أنى ومن أين آبك الطرب ... من حيث لا صبوة ولا ريَب
لا من طلاب المحجبات إذا ... ألقى دون المعاصر الحجب
ولا حمول غدت ولا دمن ... مر لها بعد حقبة حقب
ولم تهجنى الظؤار والمنزل الـ ... ـقفر بروكاً ومالها ركب
جرد جلاد معطفات على الا ... أورق لا رجمة ولا جلب

ولا مخاض ولا عشار مطا   فيل ولا قرح ولا سلب
مالى فى الدار بعد ساكنها   ولو تذكرت أهلها أرب
لا الدار ردت جواب سائلها   ولا بكت أهلها إذ اغتربوا
يابا كى التلعـة القفار ولم   تبك عليه التلاع والرحب
أبرح بمن كلف الديار وما   تزعج فيه الشواحب النعب
هـذا ثناء على الديارِ وقد   تأخذ منى الديار والنسب
وأطلب الشأو من نوازع اللـ   ـهو وأتى الصبا فنصطحب
وأشغل الفارغات من أعين الـ   ـبيض ويسلبننى وأستلب
إذ لتى جثلة أكـفنها   تضحك منى الغوانى العجب
وصرت عمّ الفتاة تذئب الـ   ـكاعب من رؤيتى وأثئب
فاعتتب الشوق عن فؤادى والشـ   ـعر إلى من إليه معتتب
إلى السراج المنير أحمد لا   يعدلنى رغبة ولا رهب

وقال فى مطلع البائية الثالثة :

طربت وهل بك من مطرب   ولم تتصابى ولم تلعب
صبابة شوق تهيج الحليم   ولا عار فيها على الأشيب
وما أنت إلا رسوم الديار   ولو كن كالخلل المذهب
ولا ظعن الحى إذ أدلجت   بواكر كالاجل والربرب
ولست تصب إلى الظاعنين   إذا ما خليلك لم يصبب
فدع ذكر من لست من شأنه   ولا هو من شأنك المنصب
وهات الثناء لأهل الثناء   بأصوب قولك فالأصوب
بنى هاشم فهم الأكرمون   بنو الباذخ الأفضل الأطيب

فالكميت فى كل هـذه المطالع ثائر على شعراء العربية الذين اتخذوا افتتاح القصائد بالنسيب عادة لهم ، ولا يعبأ بما يتكلف لهم فى ذلك الاتجاه الذى جد عليه أولهم وآخرهم ، بل يهزأ بسؤالهم الديار ووقوفهم على الأطلال وبكائهم التلاع القفار ، لأنه لا فائدة فى سؤال من لا يجيب ، ولا معنى لبكاء الديار وهى لا تبكى أهلها إذا اغتربوا عنها .

والحق أنه لم يكن هناك معنى فى قصائد المدح لافتتاحها بإظهار الهوى إلى غير الممدوح ، لأن هذا من الفضول الذى يجب أن يقلع عنه كثيره من كل فضول ، والواجب أن يذهب فى هذا إلى مثل ما ذهب إليه الكميت من حصر قصده فى الممدوح وحده ، وعدم العناية فى شعره بغيره ، والاتجاهات فى ذلك كثيرة لا تقف عند هذا الاتجاه الذى وقف عنده الكميت فى شعره ، وإن كان قد افتتن بعض الافتتان فيه

وقد جاء أبو نواس بعد الكميت فقلده فى هذه الثورة على ذلك التقليد الشعرى ، وعابه فى بعض مطالع شعره كما عابه الكميت فى مطالعه ، ومن ذلك قوله :

صفة الطلول بلاغة القدم   فاجعل صفاتك لابنة الكرم
لا تخدعن عن التى جعلت   سقم الصحيح وصحة السقم
تصف الطلول على السماع بها   أفذو العيان كأنت فى الحكم
وإذا وصفت الشىء متبعاً   لم تخل من غلط ومن وهم

ولكن التجديد فيما فعله الكميت لا فيما فعله أبو نواس ، لأن أبا نواس لم يزد على أن استبدل بالنسيب فى المطالع وصف الخمر ، ولا فرق عندى بين افتتاح القصائد بهذا أو ذاك ، لأن كلا منهما أجنبى عن القصيدة ودخيل فيها ، وما وصف الخمر إلا نسيب فيها كالنسيب فى النساء سواء بسواء ؟

عبد المتعال الصعيدى

الطفـــل

لشاعر الهند رابندرانات طاغور

بقلم السيدة الفاضلة «الزهرة»

النعاس الذى يهوم على عينى الطفل . . . هل يدرى أحد مأتاه ؟

أجل . فقد زعموا أنه هناك فى تلك الغيمة البديعة الفاتنة ، الراقدة فى ظلال الغاب الذي تضيئه الحباحب بأنوارها الخافتة . . . حيث برضت برعمتان دقيقتان، يخيم بين تلافيف أوراقهما الناعمة ، مرود عجيب صيغ من سحر حلال ليكحل طرف الطفل . . .

من هناك يجيء النعاس، ويداعب أجفان الطفل وهو راقد فى مهده

الابتسامة التى ترف على ثغر الطفل وتطوف حول شفتيه وهو راقد فى مهده . . . هل يعلم أحد من أين تجيء ؟

أجل . فقد زعموا أن موجة ذهبية من موجات نور الهلال عند أفوله مست حافة إحدى سحب الخريف المتبددة ، فولدت هناك أول ابتسامة ، وكان مولدها فى حلم الصباح المغتسل بالأنداء . . . من هناك تجيء الابتسامة التى ترف على ثغر الطفل وهو نعسان .

النضارة الرقيقة الناعمة التى توفر أعضاء الطفل بأثمارها ، وتزين ملامحه بأزهارها ، فتضحك عن الأقحوان ، وتتنفس عن الريحان . . . هل يدرى أحد أين كانت مخبوءة من قبل ؟

أجل . فانها حين كانت الأم عذراء فتية قد انطوت فى حنايا قلبها بعناية تجسمت فيها أبلغ أسرار الحب وأجل خفايا الحنان . . . هناك كانت النضارة الرقيقة الناعمة التى تتفتح أكمامها فى صباح وجه الطفل ويترقرق ماؤها على ديباجة خده

«الزهرة»

اللقـــاء الأول

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

هل تذكرين لقاءنا لما التقى ... طرفى وطرفك فالتقى القلبان
فى ليلة صخابة وضاءة ... من كل مبتهج بها زوجان
أقبلتِ مثل الفجر يفترس الدجى ... فاذا العيون جميعهن روان
تمشين مشرقة الجبين محاطة ... بالسحر فى جمع من الخلان
فتلفتتْ عيناى نحوك وانثنى ... قلبى وأفلت من يدىَّ عنانى
ومشيتُ نحوك واجفاً مترددًا ... فكأننى أمشى إلى بركان
متثاقلاً فى خطوتى متعثرًا ... متهيبًا مستهترًا فى آن
ثم اتجهتُ إلى الرفاق محييًا ... وجلست منك على شفير دان
وطفقت أهذى فى الحديث لعلنى ... أخفى الجوى وأصد من هيمانى
فسألتِهم عمَّنْ أكون ورنَّ فى ... أذنى سؤالك كالحيا الهتان
ورنوتِ فى خفر إلىَّ ورقة ... لما علمت من الصحاب مكانى
وأتى الشراب مصفقاً فدعوتنى ... للشرب خجلى فالتقى الكاسان
وشربتُ من فمك الجميل المشتهى ... راحًا فهيَّج صبوتى الراحان
وتجاوبت فى النفس أصداء المنى ... وسرت حميا الخمر فى جثمانى
وخشيت أن تطغى علىَّ لواعجى ... فمضيت فى هذرى وفى هذيانى
أنا من تسامى للكمال فلم أجد ... إلاك فى هذا الوجود الفانى
أنا من تدلّه فى هواك وإن أكن ... لم أقض فى دنياك غير ثوان
أنا من بعثتِ الروح فيه فجاءة ... ودعوتِه فسعى من الأكفان
أنا من علمتِ ومن جهلتِ حنينه ... فتركتِه فى ملتقى الوديان
يشدو فيذهب شدوه فى عاصف ... داوى الصدى طاغ على الآذان
أبدًا ينوح ولو سمعت نواحه ... لشجاك ما يلقى من الأشجان
فلكم بكيتُ فما وجدتُ مشاركاً ... لى فى الأسى يبكى لما أبكانى
ولكم ضحكت وما ضحكت وإنما ... أخفيت فى الضحك ما أشجانى
واضيعة الألحان إن لم تسمعى ... حتى الصدى واضيعة ـ الألحان

عبد الحميد السنوسى

الوداع

للأستاذ أمجد الطرابلسي

إلى دمشق وأحبابي فيها أهدى
آخر ما نظمته تحت سمائها ...

ماذا أقول لإخواني وأصحابي ؟   لعلَّ صمتى قبلَ البَيْنِ أحرى بى !
يالوعةَ الوجـــد في دارى ومرتبعى !
ماذا ... إذا احتجبتْ دارى وأحبابي ؟
يا قلبُ ويحك ! هـذا البين قد نعبت
غربانُه ... قُتلت من شرٍّ نعّاب !
ألم يكن عهدُنا ـ والدهر ذو ترةٍ ـ   هزءا بهزء ، وألعاباً بألعاب ؟
أيامَ دأبُ الزمانِ الغرّ مظلَمتى   لهواً ، وسُخريتى من ظلمه دابى !
أيامَ يُذهق لى الأكوابَ مترعة   سُمًّا، فأجرعُ كالصَّهباء أكوابى
فما لحصنِك قد خارتْ جوانبُه ؟   كالبيت فى القفر لم يُشدَدْ بأطناب
يَظَلُّ فى عَصَفَاتِ الرِّيح مُصطفِقاً   يئنّ أنَّ الثكالى إثرَ تنحاب
يميل والعاصفَ المجنونَ مُرتنحاً   كالراقصات تهادى بين شُرّابِ !
قلبى ، رشادَكَ ! لا يفزعْكَ أن صهلت
خيلُ النوى تستحثُّ الركبَ فى بابى
أهلى حَوالَيَّ ... ماذا أنت قائله   لهم قُبيلَ نوًى كالليل فى الغاب ؟
قلبى ! أعِنـدكَ أن تشكو لهم حُرَقاً
تشويك من لاعج فى الصدر ملهابِ
فما فغرت ـ على ماطال من وجعى ـ   فماً بشكوى لصحب أو لأغراب !
ولا سجدتُ لغيرِ اللهِ فى زَمَنى   ولا وَقَعتُ على أيدٍ وأعتابِ
ولا بسطت يدى للذلّ أقبله   ولو علمت لديه كل آرابى
هُوَ الشباب ! فلا كان الشبابُ إذا   لم يستسغ رشفاتِ العزّ فى الصّاب !
لا عاش إمَّا حنا للبغى هامَتَهُ   أو ضمَّ برديهِ فى الدنيا على عاب !

***

دمشقُ يا فرحة الدنيا وبسمتها   ويا مراتعَ تهيامي وتلعابى !
يا ممرح الفيدِ كالأحلامِ حالمةً   ومسرحَ الصيد من صحبى وأترابى
مالى عدوتُ إذا ماسرت منفرداً   لم ألقَ غيرَ جميل فيكِ جذاب ؟
كأنَّ عينىَّ قبل اليوم ماوقعت   على جمالك هذا الرائع السابى !
كلُّ طريف تروع القلبَ جِدتهُ   يا طولَ شغل فؤادِ الهائم الصابى
يا منبعَ الحسن والإحسانِ ! كم سكرت
من راحِ ذلك أحنائى وأهـــدابى
ما زلتُ أعشق فيك الحسن فى دَعَـةٍ
حتى عشقتُ جراحاتى وأوصـــابى !
أمّ الميامين ! قد غنّت ملاحمها   فيك البطولات فى شجو وإطراب
وجرّرت من ذيولِ المجد سابغة   على بطاحك فى تِيهٍ وإعجاب !
دمشق أنتِ التى فجّرتِ من كبدى
ينبوعَ شِعريَ يجرى ... أىّ سكّاب
كما جرى (بَرَدَاك) العذبُ منفجراً   ما عاقه طولُ أزمانٍ وأحقاب
مازال فوقَ مشيبِ الدهر منسرباً   يجرى كطفل على الآلام وثّاب
أدرت لى من كؤوس الحسنِ ألعبَها   بأنفس وخيالاتٍ وألبـــاب
أرضٌ سماءٌ رياضٌ أنهرٌ أفقٌ   حُسنٌ أفانينُ . ماعدّى وتحسابى !
شدوتُ فيك لحوناً كلُّها عجبٌ   رتّلتها بين أفراحى وأتعابى
ما كانَ أضيعَ ألحانى يرُدّدها   بعدى صداها كأن الريح تهزابى
غداً ... سأمضى ولكن أينَ مُنصرفى
لا الدار دارى ولا الأحباب أحبابى !
لا (نَيْرَبٌ) تتصبّاني خمائلهُ   أو (غُوطة) تتلقانى بترحاب !
غداً سألفتُ جيدي لاأرى أحداً   حولى يشاطرنى همّي وتطرابى
إلاّ خواطرَ من وَجدٍ يعذبنى   صَبْرًا، ويلهب صدرى أى إلهاب
وذكرياتٍ عن الأحباب ماثلة   من واضح خَضِلِ الألوان أو كابى
غداً . سأركبُ بنت اليم راقصة   على مُتونِ دَفوع الموج عبّاب
تَشقّ بى مسبح الحيتانِ مائسة   كأفعوان على البطحاء مُنساب
فى ليلةٍ كطيوفِ الجنّ راعبة   مجنونةِ الموج والإعصار مغضاب

خلفَ الغيومِ ظلامٌ خلفه أمَدٌ … من خلفِهِ الغيبُ فى صمتٍ و إضباب
من خلفِهِ القدَرُ الفجّاع ملتثما … عن العيون ، كميناً خلف حُجّاب
غداً ... إذا هبَّ طامى اليم يقذفنا … غيظاً يموج له كالهُضْب غلّاب!
وحارَ فى أمرِهِ الملاّح وانبعثت … حَوْلَيَّ أصوات نوّاح ونُدّاب
وحَوَّمَ الموتُ ، فى كفّيْهِ منجلهُ … وَرَفَّ فوق ضحاياه على قاب
أقول للوكب: ما شغلى بهولِكم … وفى فؤادى أعاصيرى وتصخابى؟

***

أينَ السبيلُ ؟ وهذا الليلُ معتكرٌ … لا كوكبٌ فيه لمّاعٌ ولا خابي !
أمضى غدًا نحو آفاقٍ تمجّ دمًا … وحاجمٍ بِبنى الإنسانِ لهّابِ !
حيثُ الرّعاة على القطعانِ جائرةٌ … تسوقها خلفَ أطماعٍ وأسلاب
تُلقي بها للرّدى المنهومِ هيِّنةً … سِربًا يموتُ على أشلاءِ أسراب!
تذيقها الجوعَ ألوانًا مُلوَّنةً … كيما تُسلّمها بالظفر والنابِ
كيما تقيمَ على أشلائها نُصُبا … من مفخرٍ كدوىّ الطبل كذّاب!
زعامةٌ أبدعوها فتنةً عَجَبًا … على ظهورِ صعاليك وأوشابِ
تستعبدُ الناس، إذ تعمى بصائرَهم … فى عصر نورٍ وعرفانٍ وآدابِ !
دعوا الشعوبَ تآخى قبلَ مَصرعِها … لا تلعبوا بقلوبٍ أو بأعصـــاب !
لا تستفزّوا بها الأحقادَ نائمةً … أو ترفدوا اللّهبَ الخابى بأحطابِ
لا تهدموا الكون كى تبنوا تعاظمَكم … وتستطيلوا بشاراتٍ وألقـابِ
لولا كُمُ كان هذا الخلقُ فى دَعةٍ … يستمرئ السلمَ فى أمنٍ و إخصاب

***

إيهٍ دمشقُ ! أرى الأيّامَ مُثقَلةً … تحبو إليكِ بأطماعٍ و إرهاب
رغمى اليومَ أمضى عنك مُغتربًا … والليلُ حولك داجٍ غيرُ مُنجاب
ماذا تجيءُ به الأيّامُ ؟ لا بصرى … يجلو الغيوبَ ، ولا وهمى بنقّاب
أراكِ فى ظلمةِ الأحداثِ واقفةً … على رَوابيك منها شرُّ جلباب
تَسْتَنْبِئين الليـــالى وهى صامتةٌ … صمتَ الرّدى فوق أرماسٍ وأنصابِ !
ليلٌ ثقيلٌ تهادَى شهبُهُ فزعًا … من حادثٍ مُستكِنٍ فيه رَيّاب
لؤمُ السياسة قد جَرَّبتِهِ زَمَنًا … كم بارقٍ فيه للأبصارِ خلّاب
إن السياسَةَ فى تدجيلها سُبَحٌ … للذكرِ فى كفّ فتّاكٍ وسلّاب !
وأختكِ القدس ما زالت جراحَتها … تنصب منها دماها أىّ تصباب
لم يرحم البغى فى أكواخها ولدًا … فى حجرِ أمٍّ . ولا شيخاً بمحراب!
ويلَ اللئيم ! أما راضت شكيمتَه … بالأمسِ صفعةُ صَدقِ العزمِ غَضّابِ
ذئبٌ على الحَمَل السّاجي فإن زأرت … أُســـدُ العراك تولّى أىّ هرّاب !
أمسى يوارى عن الأبصار خزيته … بيرقع السلم خوفَ الهزء والعابِ
هذا السلام ذبيحًا فوق مَدرجه … فكيف أنقذته يا شرّ كذّاب !

***

عفواً بلادى ! سأمضى عنك ، لا كبدى … حرّى ، ولا مضجعى بالمُقْلَقِ النـــابى
ماذا أخافُ وأنتِ الخلدُ أجمَعُهُ ؟ … هل فى خلودِكِ من حظٍّ لمرتاب ؟
ألَسْتِ من حطّمَ الأجيالَ صَعْدَتُهُ … وصارعَ الدهرَ فردًا غيرَ هيّاب
بأنى الخطوبُ وتمضى عنك مُتْعَبَةً … وأنتِ فى عزمة الرئبالِ فى الغابِ !
كم فيكِ للفاتحِ المأفونِ من حُفَرٍ … غطّيتِها برياحينٍ وأعشاب
ثوى بها فتناسَى الدهرُ سيرتَه … وأنتِ باسمة من غيرِ إجلاب

***

يا أهلُ ، عُذرَكم ! ماذا أقول لكم … فى موقف بفؤاد الصخرِ لعّاب !
أرى القوافى تُعاصينى وأعهدها … كأخضر زاخرِ الأمواج صخّاب!
تنهلّ من خافقٍ كالوبلِ مندفقاً … من مُزنة فى أكفّ الريح مسكاب
خلف الجفون دموعٌ جدّ حائرةٍ … لولا الحياءُ لقد أوحت لكم ما بى
مثل السجين على القضبان منعكفاً … يفرى الحديد بأظفارٍ وأنياب
تجري دماه عليها وهو يقضمها … هيهات يظفر! ما للسجن من باب!

« بيروت »

أمجد الطرابلسي

معرض « بونابرت فى مصر »

أقيم فى متحف « الأورانجرى » بحديقة « التويلرى » فى باريس معرض يحتوى على أهم ما له علاقة بالجنرال بونابرت قائد الحملة الفرنسية فى مصر . وقد كثر إقبال زائرى هذا المعرض لمشاهدة الصور والتماثيل ورسائل قائد الحملة ، وقد خطها بيده ، ورسوم الضباط والعلماء والفنيين الذين رافقوا الحملة . ويرى زائر المعرض أيضاً رسوم المماليك وملابسهم وسروج خيولهم وسلاحهم الثمين ، كالطبنجات ، والقدارات التى يضعونها فى مناطقهم أوعلى جوانب سروج خيلهم ، واليطقان ، والسيف المدلى من السرج . وكان نصل السيف ماضيا يؤثر تأثيرا شديدا فى المضروب به ، وقد قال « لارى » كبير أطباء الحملة إنه رأى للمرة الأولى فى حياته ، فى موقعة الصالحية ، تأثير سيوف المماليك : فكثيرون من الجرحى كانوا قد فقدوا أعضاءهم كلها أو جانبا كبيرا منها بضربة سيف

وكان للمماليك أربعة وعشرون قائداً يحمل كل منهم « بيرقا » كان الصدر الأعظم التركى أو حاكم مصر يسلمه إليه حينما ينعم عليه بلقب « بك »

وفى المعرض نماذج من تلك « البيارق » ويعلو كل بيرق كرة مذهبة أو صفيحة معدنية عليها كتابة . ويعلق فى عصا البيرق الطويلة أذناب الخيل . وكان عدد تلك الأذناب يدل على أهمية المنصب عند الأتراك فى ذلك العهد

وفي المعرض صورة كبيرة تمثل معركة الأهرام ويرى الناظر فيها السيوف المصلتة وغلافاتها والقدارات والخيول وسروجها والبيارق وغير ذلك تغطى وجه الأرض ، وقد كانت تلك المعركة قاضية على سلطة المماليك فى مصر والنظام الذى وضعه فيها السلطان سليم الأول العثمانى من نحو ثلاثمائة سنة

كتابة التوراة والانجيل وأوراق البردى المصرية

ألقى السير فريدريك كنيون محاضرة ألقت ضوءا جديدا على تاريخ كتابة التوراة وذلك بفضل اكتشاف أوراق البردى فى مصر . ومصر هى الدولة الوحيدة التى أمكنها الاحتفاظ بهذه الأوراق السريعة التلف

وقال المحاضر إن الآثار المهمة التى يرجع إليها فى تحديد تاريخ كتابة التوراة اكتشفت سنة ١٨٨١ . ولكن منذ ثلاثة أعوام كان شاب من طلبة العلم يبحث فى مكتبة رايلندز فى مدينة منشستر فعثر على مجموعة أوراق من البردى تركت فى مكانها نحو ثلاثين أوأربعين عاما . ودقق فيها فوجد بينها قطعة صغيرة تحتوى على بضع آيات من انجيل القديس يوحنا مكتوبة فى النصف الأول من القرن الثانى للميلاد

ولو أن هذه الورقة الصغيرة وجدت قبل خمسين عاما لوضعت وقتئذ حدا لخلاف شديد كان ناشبا فى شأن التاريخ الذى كتب هذا الانجيل فيه . فهى تدل على أن هذا الانجيل كان منتشراً فى قرية ريفية صغيرة من قرى مصر سنة ١٤٠

وعثر الطالب نفسه سنة ١٩٣٦ على أقدم قطعة معروفة من التوراة ممزقة من السفر الخامس من أسفار موسى كتبت فى القرن الثانى قبل المسيح

فهذه الاكتشافات وأمثالها قربت إلى حد محسوس الشقة بين التواريخ التى كتبت فيها أسفار التوراة وتواريخ أقدم المخطوطات الموجودة منها

أسبوع الكتاب الألمانى

خطب الدكتورغوبلز وزير الدعاية فى فيمار بمناسبة « أسبوع الكتاب الألمانى » ومما قاله إن مبيعات دور الطباعة والنشر فى ألمانيا فى خلال السنة الماضية زادت مرة أخرى وبلغت هذه

الزيادة ٢ ، ١١ فى الكتب العلمية و ٤ الكتب الأدبية . وصدر فى الأشهر الستة الأولى من هذه السنة ٣٨٥٢ كتابا (فى سنة ١٩٣٧ ٢٣٢٧ كتابا) فتكون الزيادة ٨ ، ٦٥ فى المائة ويوجد فى ألمانيا الآن نحو ٤ آلاف مكتبة فى المعامل . ثم أعلن الدكتور غوبلز إنشاء صندوق معاشات للمؤلفين الألمان وقال إنه سينظم معرض عظيم للكتب بعد وقت قصير

بين الرافعى والكرملى

جاء فى كتاب الأستاذ الكرملى إلى المرحوم الرافعى الذى نشره الأستاذ العريان فى الرسالة مسائل يستفتيه فيها وطلب إلى القراء أن ينشروا ما يرون من رأى فيها ولعله يأذن لى أن أقول شيئاً فى بعضها ... قال الأستاذ الكرملى : فى صفحة ٨ ورد ذكر (المصنع) والعرب لم تنطق به ، على أن القياس لا يمنعه ألا يتخذ الكاتب البليغ الكلمة التى جرت على أسلات السلف وهى (الطراز)؟

والذى أرى أن الكلمة التى هى أولى أن يتخذها الكاتب البليغ وجرت أيضاً على أسلات السلف هى كلمة « المعتمل » فقد جاء فى فتح البارى على البخارى للعلامة ابن حجر فى الجزء الثانى ص ١٠ ... أنه سمع أبا سعيد الخدرى يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أرأيت لو أن رجلا كان له معتمل وبين منزله ومعتمله خمسة أنهار فاذا انطلق إلى معتمله عمل ماشاء الله فأصابه وسخ أو عرق فكلما مر بنهر اغتسل منه الحديث ... فالمصنع لم تنطق به العرب والطراز لا يدل إلا على الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجديدة ليس غير، أما المواضع التى تصنع فيها أشياء أخرى غير الثياب فلا يطلق عليها الطراز إلا على سبيل التوسع والتجوز .

أما « المعتمل » فهو يشمل كل المواضع التى يعمل فيها (العامل) .

وقال الأستاذ الكرملى أيضاً : وفى تلك الصفحة : (تراها - أى الطاقات - عطرة بيضاء) وأنا لم أجد إلى الآن فى شعر أو نثر من وصف جمعاً مؤنثاً سالماً لعاقل أو لغير عاقل بوصف مفرد مؤنث .. الخ . أقول إن هذا السؤال قد أجاب عنه الرافعى قبل أن يطبع كتابه وحى القلم فقد جاء فى مقالته لحوم البحر .. وترد الأمواج نقية بيضاء كأنها عمائم العلماء » علق على هذه الجملة فى الهامش قال : يرى بعضهم أن مثل هذا الوصف خطأ ، وأن الصواب أن يقال « بيض » ، ولسنا من هذا الرأى وقد غلط فيه المبرد ومن تابعوه لغفلتهم عن السر فى بلاغة الاستعمال مرة فى الوصف بالمفرد ومرة فى الوصف بالجمع انظر « الرسالة سنة ثانية ص ١٤٨٧ »

« الرشيدى »

برنرد شو والمدارس والتعليم

وجهت مجلة عالم المدرسين الانجليزية استفتاء عاما إلى عظماء رجال الفكر فى انجلترا عن المدارس والتعليم وما إليها من شئون وحصرت الاستفتاء فى تسعة أسئلة تسلمت إجابة (شو) عنها فكانت إجابة عجيبة صريحة لا تصدر إلا عن شيخ الأدباء الفتيّ الجبار الذى يزدرى كل شىء فى العالم ولا يعجب بأي شىء . سئل شو عما يقدر اليوم أكثر من حياته المدرسية أو الجامعية الماضية فأجاب فى بساطة وسخرية : لا شىء. فقيل له: وماذا تأسف عليه من هذه الحياة ؟ فقال إنه لا يأسف إلا على ذهابه إلى المدرسة أو الكلية !!

وسئل عما إذا كان أحد من مدرسيه قد أثر فيه فوجهه إلى الخير أو الشر ؟ فنفى أن يكون أحد منهم قد ترك أثره فيه وأنهم لم يكونوا يحبونه مطلقاً ولم يكونوا يفقهون من وسائل التربية السيكلوجية كثيرا ولا قليلا

وسئل عن الكتب التى تركت طابعها فى نفسه أكثر من غيرها فى طور طفولته، فذكر أنه قرأ كل ما تيسر له من الكتب إلا كتب الأطفال التى كان يمقتها، ثم أورد الكتب التى ما يزال صداها يملأ ذاكرته فكانت ثلاثة هى رحلة الحاج لجون بنيان وألف ليلة وليلة وروبنسون كروزو

ونفى فى سؤال رابع أن يكون لفئة المدرسين فى هذا العصر طابع خاص يلفت إليهم النظر ، ويميزهم من سواهم من سائر الناس . ثم أجاب عن شطر آخر من السؤال ، فقال إن المدرس سجان برغمه للأطفال الشياطين يحبسهم سحابة النهار حتى لا يصيبوا أمهاتهم بالجنون .

١ – سياسة الغد
للأستاذ مريت بك بطرس غالى

٢ – التصوف الاسلامي
للدكتور زكى مبارك

كتابان قيمان لأستاذين جليلين أولهما ابتكار فى السياسة والآخر ابتكار فى الأدب . ومن يمن الطالع وحسن التوفيق أن (مطبعة الرسالة) قد افتتحت جهادها فى خدمة الثقافة بطبع هذين الكتابين . وقد تلقت الأندية السياسية والصحافة اليومية كتاب الأستاذ مريت بك بما هو أهله من التنويه والتقدير والبحث ، وستجد الصحف الأدبية والمقامات العلمية فى كتاب الدكتور مبارك كشفاً جديداً لناحية مجهولة من أدبنا العربى يستوجب التسجيل والشكر . وإنا نكتفى اليوم بنشر مقدمتى الكتابين بياناً لغرض الكاتبين وتمهيداً لما سنكتبه عنهما فى عدد قادم .

— ١ —

قال الأستاذ مريت بك :

من عادة الكتاب فى الشئون العامة أن يستهلوا حديثهم بأن يصبغوا أحوال بلادهم بألوان سوداء قاتمة ، كى يتخذوا من ذلك وسيلة لإقدامهم على معالجتها ؛ وما كنت لأعدل عن هذه المادة

وسئل عن الجمع بين الجنسين فى التعليم إلى سن الرابعة عشرة ثم ما بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، هل هو مع الجمع أو هو ضده ؟ فقال إنه لا يصلح للحكم في هذه المسألة على أنه لا يرى فى الجمع أى بأس لا سيما للأبناء الذين ليس لهم أخوات والبنات اللاتى ليس لهن إخوة

وسئل عما يلاحظ فى شباب هذا الجيل من الفظاظة والكسل وانعدام روح المجازفة، فاعترف بكل ذلك، لكنه فضل شباب هذا الجيل من هذه الوجهات على شباب عصره ، بل فضلهم على نفسه هو حينما كان طفلاً وشاباً

وسئل عن هذه الفروع المملة من التعليم والتى لا تسيغها نفوس التلاميذ : هل ينبغى مع ذلك أن تكون جزءاً مما يفرض عليهم تعلمه ؟ فقال : « حسن ! وهل يسيغ أحد من التلاميذ جدول الضرب مع شدة لزومه ؟ » . ثم أوصى بوجوب إثارة الرغبة فى نفس التلميذ ليحفظ الجدول وما شابهه وإفهامه أنه بدون هذا الجدول لا يستطيع أن يتصرف فى النقود التى يعطيها له أبوه لينفقها وإلا يبعثرها هباء ؛ وبهذا يقبل الطفل على كل صعب مملول فيحفظه بدافع الرغبة لا بدافع الرهبة والخوف من العقاب

وسئل عما عسى أن تكسبه الأمة أو تخسره فى حالتى تعميم المدرسة الابتدائية أو المدرسة الأولية كخطوة أولى لتعليم الطفل . ويظهر أن (شو) أميل إلى تعميم المدرسة الابتدائية لأن هناك (نهاية صغرى) من المعلومات التى يجب تلقينها للأطفال لا يمكن ولا يصح بأى حال أن ينقص منها شىء ما داموا سيحيون فى جماعة إنسانية متمدينة

وبقى السؤال الرابع ... وهو أعجب الأسئلة كلها لأنه يتعلق بالخط ! وهل من المهم أن يكون فرعاً من فروع التعليم المدرسى قائماً بذاته ؟ وقد حتم (شو) أن يكون الخط كذلك . غير أنه رأى أن تزود المدارس بصور من خط ميكائيل أنجلو ليضاهي التلاميذ خطوطهم بها .. وهذا ما لم نفهمه من (شو) فخط أنجلو لا يصلح مطلقاً أن يكون خطا لأبناء هذا الجيل من الكاتبين بالحروف اللاتينية ، وكان الأجدر به أن يحتم تدريس الخط كفرع من فروع التعليم المدرسى وحسب

لولا أن أحوالنا الحاضرة أضحت تنطق بنفسها عما نحن عليه ، وقد شغل فكرنا جميعاً بعلامات الضعف فى النظام السياسى والقومى ، ومظاهر التفكك الاقتصادى والاجتماعى . وشاهدنا فى السنتين الأخيرتين على الأخص اهتماماً عظيما بمشاكلنا الداخلية فى جرائدنا ومجلاتنا ومحاضراتنا وفى حديث الناس عامة ؛ وترجع هذه الظاهرة الجديدة فى حياتنا القومية ، على ما أظن ، إلى أنا على أثر اكتساب حريتنا الوطنية انتقلنا إلى عصر جديد فى تاريخنا ، حتى بدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومي أصبح الآن فى أيدينا ، وليس لأحد سوانا أن ينظمه ويكونه . وقد غطت قضية الاستقلال خلال العشرين عاماً الماضية على شئوننا الداخلية إلى حد ما ، وصرفتنا عنها بحيث خيل إلينا أنها على درجة من الرقى مقبولة . وكم كانت خيبتنا عظيمة حين عدنا من الشئون الخارجية إلى الشئون الداخلية ، فوجدناها فى منتهى الضعف والتقهقر

وحالة مصر فى الحقيقة لا تدعو إلى الاطمئنان : فأمامنا اضطراب مستمر فى الحياة القومية ، وأزمة محققة فى الآداب العامة ، ومشاكل اقتصادية واجتماعية قد تصل فى القريب العاجل إلى الحد الأقصى من الخطورة . وليست تلك العوامل بخافية على أحد . وقد أوجدت عند بعضنا شيئاً من التشاؤم فى المستقبل ، وانتشر القلق فى صفوف الشعب ، من فلاحين يشعرون به ولا يفهمون أسبابه ، إلى مثقفين ومتعلمين يرون الأخطار فى جلاء ويتوقعون تضخمها فى السنوات القادمة . غير أن علامات الضعف والتفكك لا تظهر على صورة واحدة لكل منا ، ولم نبحث وراء تلك الدلائل الخطيرة والعديدة عن الأسباب الأصلية التى عملت على تكوينها وظهورها . وكان لعدم تعودنا مواجهة تلك الشئون المعقدة أن أخذنا ندرسها ونتناقش فيها منفصلاً بعضها عن بعض ، ولم نفطن إلى وحدة الحياة القومية وإن بدت مختلفة المظاهر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً

زد على ذلك أن عدم الاستقرار السياسي والإداري يجعل الوزارات التى تتوالى على كراسى الحكم غير قادرة على أن تعد برنامجاً للإصلاح والتقدم ، وتواصل تنفيذه منسقة بين مختلف التدابير الحكومية وغير الحكومية . حتى أن سرعة التقلب السياسي وكثرة المشاكل الوطنية وتعقدها تبعد برجال السياسة والادارة عن الأغراض البعيدة التى كان يجب عليهم ألا يفارقوها أبداً ، وتجرهم نحو المجادلات الحزبية والمسائل الوقتية أو الثانوية ؛ فتظهر تلك المجادلات وهذه المسائل بمظهر هام جداً كلما قربت وضاق الوقت عن حلها ، مما يؤدى إلى قرارات غير محكمة وحلول غير كاملة ، فتبقى سياسة الدولة عديمة التواصل كثيرة التردد والتقلب

وليس الغرض من هذا البحث أن ندرس جميع المسائل التى تواجه الدولة المصرية فى الوقت الحاضر ، ولا أن نستعرضها واحدة بعد أخري ونقترح حلاً وتدبيراً لكل منها ؛ بل الغرض أن نلقى نظرة إجمالية على كافة مظاهر النشاط القومي مع التدقيق فى العوامل الأساسية التى أدت إلى تضخم مشاكلنا ومصاعبنا ثم نرسم بعض الخطط العامة التى يحسن العمل على مقتضاها لمعالجة هذه الأخطار . وإلى جانب ذلك نبين حاجتنا الحيوية إلى الوحدة والتناسق والتواصل فى سياسة الحكومة لتكفل تقدم الأمة سياسيًا وقوميًا ، وتضمن علاج ما يمكن علاجه من أحوالنا الاقتصادية والاجتماعية

وإذا كانت سماء مصر ملبدة بغيوم الأخطار الخارجية والمصاعب الداخلية ، فجدير بنا ألا نرهب هذا أو نخشاه ، ولنطمئن على كل حال إلى ما في قلوب المصريين من عزم وشهامة وإخلاص فى خدمة الوطن . ولقد اتفق أول عهد مليكنا المحبوب مع شروق شمس الاستقلال الوطنى الذى قضى الشعب المصرى قروناً يتطلع إليه ، فأصبح عهد « فاروق الأول » حلقة اتصال بين مفاخر مصر القديمة وآمال مصر الحديثة ، والله نسأل أن يهدينا سبيل التقدم والفلاح ؟

— ٢ —

وقال الدكتور زكي مبارك :

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

أما بعد فهذا كتاب التصوف الاسلامي ، وهو كتاب شغلت به نفسي نحو تسع سنين ، وأنفقت في تأليفه من الجهد والعافية ما أنفقت ، في أعوام لو ابتلي بمثلها أصبر الصابرين وأشجع الشجعان لألقى السيف وطوى اللواء ، فقد كنت في حرب مع الناس ومع الزمان ، ويا ويح من ابتلته المقادير بإفك الناس وغدر الزمان !

ولكن الله عز شأنه لم يخلق الشر إلا لحكمة عالية ، فقد قويت عزيمتي بفضل ما عانيت في حياتي من ضروب الاضطهاد ، واستطعت أن أقيم الدليل على أن الظلم قد يعجز عن تقويض عزائم الرجال .

وهل كان من هواي أن أسرف على نفسي مثل الذي أسرفت فأقضي عشرين سنة في الحياة الجامعية بين القاهرة وباريس كانت كلها نضالاً في نضال ؟

هل كان من هواي أن تخلو حياتي من الهدوء والطمأنينة فلا أصبح ولا أمسي إلا في عراك وكفاح ؟

هل كان من هواي أن أنتهي إلى ما انتهيت إليه فلا يكون لي من نعيم الحياة إلا ما أصوّره بقلمي من حين إلى حين لأوهم نفسي أني أعايش الأحياء ؟

تباركت يا ربي وتعاليت ! فلولا لطفك وتوفيقك لما استطعت بفضل الجد أن ألقى أهل زماني بالاستطالة والكبرياء .

ومن هم أهل زماني ؟

هم الكسالى الظرفاء الذين حرمهم الله نعمة البلاء بإقذاء العيون تحت أضواء المصابيح .

***

ينقسم هـذا الكتاب إلى قسمين : التصوف في الأدب ، والتصوف في الأخلاق .

وقد كان هذا الموضوع فيما يظهر غامضاً أشد الغموض ، فقد طلب مجلس الأساتذة بكلية الآداب أن نقدم له مذكرة نشرح بها الغرض من هذا الكتاب ليقبل أو يرفض جعله موضوع رسالة لامتحان الدكتوراه . وقد أجبنا يومئذ بأننا نريد أن نبين كيف استطاع التصوف أن يخلق فنًّا في الأدب ومذهباً في الأخلاق ، وهو موضوع يستحق الدرس بلا جدال .

وكان مجلس الأساتذة على حق ، فقد كنا في حيرة مظلمة الأرجاء ، وكنا لا ندري كيف نتوجه ، وكل ما كنا نملك حينذاك هو الاطلاع على العناصر وتصور ما لها من أهمية لو وضعت في نظام واضح مقبول .

ولكن السبيل إلى ذلك كان في غاية من العسر والصعوبة ، فقد كنا جمعنا ألوفاً من الجذاذات لا ندري كيف نربط بعضها ببعض ، وكيف نسوي منها رسالة للدكتوراه في الفلسفة تستوفي الشرائط الجامعية .

وتجسم الخطر حين نظر المؤلف فرآه يخترق المصاعب وحده بلا هادٍ ولا معين ، فقد كان ظفر بإجازة الدكتوراه قبل ذلك مرتين ، مرة من الجامعة المصرية ومرة من جامعة باريس ، وكان ذلك كافياً لأن ينصرف عنه الأساتذة ويتركوه يكتب ما يشاء كيف شاء .

ولكن أولئك الأساتذة الذين اعتمدوا على كفايته العلمية لم يتركوه بلا حساب ، فقد تدخلوا في تصميم الرسالة وخرّبوها بأيديهم مرتين ، فخرج منها كتاب نشر منذ سنين هو كتاب (المدائح النبوية في الأدب العربي)

والشر قد يكون باباً من الخير في بعض الأحيان .

***

نوقش هذا الكتاب بجلسة علنية في مساء اليوم الرابع من أبريل سنة ١٩٣٧

ناقشته لجنـة عنيفة قهرت المؤلف على التواضع ، وهو خلقٌ لم يعرفه من قبل ، واقترحت أن يحذف أشياء وأن يضيف أشياء .

وقد رجع المؤلف إلى الكتاب فنظر فيه من جديد وأضاف إليه طائفة من الفصول فى الأدب والأخلاق ، وحرر بعض الهوامش التى تحدد ما كان يحتاج إلى تحديد فى بعض المواطن ، وانتفع بإقامته فى العراق فتعقب الصلات بين التصوف والتشيع، وقد أعانه ذلك على إمداد كتابه بحيوية جديدة سيرى القارىء شواهدها وهو ينتقل من بحث إلى بحث .

***

هذا ، وقد يجد القارئ ما يثيره فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب . فان وجد ما يشوكه ويؤذيه فليرجع إلى ما شاكه وآذاه بالدرس والتأمل مرة أو مرتين أومرات ليوافق أويعترض على هدًى وبصيرة . وليتذكر أن الدراسات الفلسفية لا تقوى ولا تجود إلا إن سلمتْ سلامةً تامةً من الرياء وتخوف العواقب

والمؤلف يرجو أن يتذكر القارئ أيضاً أن الصوفية كانوا من أقطاب الحرية الفِكرية ، فحاربة هـذه الحرية باسم الغيرة عليهم خطأٌ لا يقع فيه رجلٌ حصيف

وفى ختام هذه الكلمة الوجيزة أدعو الله تباركت أسماؤه أن يُسْبِغ على هذا العمل الخالص لوجهه الكريم حُلة القبول، إنه قريب مجيب .

زكى مبارك

أفاعي الفردوس

ديوان من الشعر الجيد الحي ، أصدره الشاعر اللبناني إلياس أبوشبكة، وقد كتب الأستاذفليكس فارس عنه مقالا تحليلياً سننشره فى العدد القادم .

6 me Année, No. 281

Lundi - 21 - 11 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨١ « القاهرة فى يوم الأثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٥٧ — ٢١ نوفبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــــرس

من مآسى الأخلاق

بعد عشرين عاماً فى الجهاد

فى اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ بُعث نبى الوطنية سعد زغلول ، وأُوحى إليه أن يذهب هو وإخوته إلى جون بول يدعونه إلى الحق ، كما أُوحى إلى موسى أن يذهب هو وأخوه إلى فرعون يدعوانه إلى الإيمان . وجون بول كان يزعم كما زعم فرعون أن له ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحته . فقال له سعد قوله اللين لعله يخشى أو يتذكر ، فأبى واستكبر ، ثم طغى وتجبر ، فهدَّد وشرَّد ، ثم قتَّل ونكل ؛ فسلط الله عليه وحدة الأمة النبيلة فرمته بأُسودها وأشبالها ، بنسائها ورجالها ، بصليبها وهلالها ؛ فلم يجد بدًّا من التسليم لقوة الروح وسطوة الإيمان وغلبة الحق ، فتنزل عن الحماية ، وساوم على الاستقلال ؛ فما زالت الأمة تداوره وتصابره حتى استردت حقها المسفوه بفضل الزعامة الرشيدة والرأى الجميع والقلوب المؤتلفة والفرص المواتية

وولى الأمر بعد الرسول الوطنى خلفاؤه الأربعة الراشدون ، فأحسنوا الولاية ووصلوا الجهاد وصدقوا العهد ، حتى بغى مروان ، وقُتل عثمان ، فشتَّتِ الوحدة ، وتشعث الرأى ، وتصدعت القيادة ،

وذاق الناس بعضهم بأس بعض، وحمل كل فريق على كل فريق بالأذى والهُجر، يرميه بالفسوق والمروق، وينبزه بالجبانة والخيانة، حتى أُصيبَ الرأى العام بنوع من الأفَن لا يستقيم معه منطق ولا يبلغ عليه جهاد!

***

هـذان سرادقان نصبا فى مكانين متقاربين فى ساعة واحدة لغاية واحدة، فماذا رأى الرائى وسمع السامع فى حفلين أقيما لتمجيد الجهاد والتضحية، وتجديد الاتحاد والألفة؟ رأى فريقين كانا فى حومة الشرف وميدان الشهادة إخوان سلاح فى معسكر واحد، يتحملون مكاره الرسالة كالأنبياء، ويهشون للقاء الموت كالشهداء، ويجهلون أن لهم أنفساً بشرية تبغى المتاع وتطلب السلطان. فأصبحا بعد النصر فِرَقاً فى يد الهوى، يعادى بينهم الحق كما يعادي بينهم الباطل، ويجرى عليهم من أنفسهم أضعاف ما كان يجرى عليهم من العدو

رأى ذلك وسمع خطيبين يعبر كل منهما عن رأى فريقه، فلم يدعا فى مفردات اللغة كلمة تدل على الفشل والفلول إلا تراشقا بها على تصفيق الأيدي وتصديق الألسن من كل جانب. فإذا أخذت بشهادة كل فريق على صاحبه — ولا يخلو الفريقان من شهود عدول — حكمت ولا بد بأن الأمة إنما كانت تسير إلى غايتها من الحرية والاستقلال على هـدى سليقتها الموروثة، تدعوها الانسانية الطموحة، وتحثها الرغبة الملحة، وتساعدها المثل الدولية

تحية المهد الملكى المبارك

على حواشى الفردوس من دار المُلكِ السعيدة تَطُوف أمانىُّ شُعوب، وتهفو عواطف قلوب، وتلهج ألسنة صادقةٌ بالدعاء، وتفيض جوانح زاخرة بالولاء، وتتنزّل الدعوات والتهنئات على مطلع البـدر، كما تتنزّل الملائكة والرُّوح فى ليلة القَدْر!

***

وعلى كِلَلِ الورد من مَهْدِ الاميرة الوليدة تَشِـع هالاتٌ من نور الحب، وتَشِيعُ نفحاتٌ من سرور الشَّعب، وتتلاقى بسمات المِلكين العظيمين، لأُولى ثمرات القلبين الكريمين، وتَرِفُّ نسمات الرضا الجميل، من عِطاف الوادى وضفاف النيل!

***

فِرْيالُ يا حلية العرش ودرَّة التـاج الفريدة! إنك وحـدة الحب الملكى الصادق والحب الشعبى المكين، وإن مولدك مظاهرة سماوية من أعياد الدنيا والدين: عيدِ نزول القرآن، وعيـد الجمعة الأخيرة من رمضان، وعيد افتتاح البرلمان، وعيد الفطر والإحسان!

***

كذلك عهد أبيك المظيم يا فريال: جمالٌ وجلال، ويمن وإقبال، وشباب وآمال، وقلب كله لله، ورأس كله للوطن!

أما القادة والأدلاء فقد وقفوا على جانبي الجيش يتنافسون فى الرياسة، ويتحاسدون على الجاه، فتتعارض المطامع، وتتنـاقض الخطط، ولا يكون من وراء ذلك للمجاهدين إلا الضلال أو التقهقر

ذلك حكم الواقع إذا صدقت شهادة كلا الحزبين على أخيه؛ وإلا فهو عَكَرُ الأخلاق المشوبة رسب بإذن الله إلى حين؛ فلما انقضي جهـاد العـدو واطمأنت النفوس إلى وساوسها وأهوائها، ثار ما فى القاع، من الأكدار والأطماع، فانقلب الأمر نزاعاً على ولاية الحكم، وصراعاً على قسمة الغنيمة!

***

قالوا إننا أمة تبـدأ وحـدة وتنتهى آحاداً، وتفشـل جماعة وتنجح أفراداً، وتضعف قادة وتقوى أجنـاداً؛ فليت شعرى حتام يصدق هـذا القول فى أمة تزعم أن لها قومية متميزة، ومدنية مستقلة، وعقلية متجانسة، وثقافة متحدة؟؟...

احمد حسن الزيات

أتاتــــورك

للأستاذ محمود غنيم

طاف الحمام بساهل الأتراك
صبراً « فروق » قد احتسبت فتاك
ماذا فرد يوم وورى بل هوى
من أفقه فلك من الأفلاك
صاد القضاء النسر وهو محلق
واها لنسر عالق بشراك

مات مصطفى كمال، وليس عجيباً أن يموت في هذه السن الباكرة، إنما العجيب أن يمتد به الأجل فوق ذلك! إن ثمانية وخمسين ربيعاً عمر قصير إذا أضيفت إلى رجل من عامة الرجال، أما إذا أضيفت إلى عاهل الترك فإنها بمثابة قرون وأجيال. لو كان هذا الرأس من ماس لذاب؛ ولو أن تلك الأعصاب من حديد لاعتراها البلى؛ ولو أن هذا الجسم قلة من قلل الجبال، لأسلمه العمل المضنى إلى الانحلال.

مات مصطفى، وأسدل الستار على ذلك الوجه الذي قدت عضلاته من الجرانيت، وانطفأت هاتان العينان بل الكوكبان اللتان تشعان السحر والمغناطيس، وتنفذان إلى أعماق القلوب، وتنمان عن إرادة من فولاذ.

مات الرجل الذي كان معبود قوم، وقذى في عيون آخرين. مات الثائر الذي حكم القضاء الجائر بإعدامه، فلم يصبه سهم من سهامه. مات الذي طالما نصبت المؤتمرات شركاً لاغتياله، فلم يقع في حباله. مات الذي ناهض السلطان، ودوخ اليونان، وحارب الحلفاء في صف الألمان، فلم يجد الموت إليه سبيلا، كأنما هو في جفن الموت والموت وسنان.

مات مصطفى ميتة ابن الوليد على فراشه، لم يقطع شلو من أشلائه، ولم تسل قطرة من دمائه، فلا نامت أعين الجبناء!

كانت أمة محلولة العرى، مفككة الأوصال، أنهكها من الداخل استبداد الخلفاء، ومن الخارج انتصار الحلفاء؛ غريبة في أوربة بدينها وعاداتها، لا هي من الشرق ولا هي من الغرب، فجمع مصطفى تلك الأشلاء المتناثرة، ووائم بين هذه الأطراف المتنافرة، حتى استقام له شبه هيكل من العظام، كساه لحماً، وركب له أعصاباً، وشق فيه حواس، ثم نفخ فيه من روحه، فإذا هو بشر سوى، مقطوع الماضي عن الحاضر، لا يمت أوله إلى آخره بآصرة من الأواصر، فلا غرو إذا قلنا: إن مصطفى كمال، طراز وحده في الرجال. وإننا لنجور عليه وعلى الحق معه إذا قارناه بموسوليني في الجنوب أو بهتلر في الشمال، فإن المعجزة إنما هي في إحياء الميت، أما إحياء الحي فليس من المعجزات في شيء. فإن كان هناك فقيد يستحق التخليد، تضاف إلى اسمه البلدان، وتقام له التماثيل في كل مكان، فهذا هو مصطفى كمال، لا غيره من أشباه الرجال الذين تنحت لهم التماثيل من الصخر، وكان جديراً بها أن تصاغ من الشمع، ثم تسلط عليها أشعة الشمس

لم يكن الأثر الذي أحدثه مصطفى كمال قاصراً على رقعة من الأرض، ولكنه غير اتجاهات الأفكار، وامتد إلى النظم التي تواضع عليها البشر، فقلبها رأساً على عقب. إنه لم يؤمن بسنة التطور في إنهاض الأمم، ولم يعترف للزمان بعمل في تكوين الشعوب، بل قال بالطفرة، ثم شفع القول بالعمل، فدفع بأمته من خلف، في قسوة وعنف، ثم سار وأوغل في سيره، والناس في شك من أمره. ولشد ما شده العالم حين رآه يجتاز السبيل، ويتخطى المقاييل، بالغاً بأمته حيث يريد في سلام واطمئنان، والزمان ينظر إليه في خجل، لأنه أسقطه من حسابه ولم يعترف له بعمل

كان مصطفى مثالاً حياً للرجل الثائر، أظلته الثورة من مهده إلى لحده، ما حمل على رأى إلا جرّحه، ولا سيم خطة إلا فندها، ولا حارب تحت لواء قائد من القواد، إلا وجه إليه مرير الانتقاد. ثار في طفولته على فلح الأرض ورعى الأغنام، وثار في شبابه على عبد الحميد ثم على وحيد، وثار في كهولته على العادات والتقاليد. وليست عظمة الرجل في أن يثور، فإن الثائرين في الرجال كثير، وما أيسر الانتقاد، وأسهل الهدم على من أراد! ولكن مصطفى لم يكن هادماً فحسب، بل كان هادماً بانياً، يبني الجديد على أطلال القديم، ولا يعمل المعول حتى يضع التصميم

أراد مصطفى استقلال بلاده فلم يلجأ إلى الكلام، إلا بمقدار ما يمهد الكلام للحسام، ولم يلجأ إلى الاستجداء، لعلمه أن الاستقلال أخذ لا عطاء، ولكنه أسمع الغاصب المحتل صوت

احتجاجه عن طريق المدافع المدوية ، والسيوف المقعقعة ، فكان صوتاً يخترق حجاب السمع ، وكان أذاناً يطرق الصم من الآذان. وما كان لمصطفى بفلول جيوشه الحديثة العهد بالانهزام أن يطارد المحتلين ، وأن يكبح جماح الجيران الطامعين ، ولكنها العقيدة المتغلغلة فى الصميم ، إذا اقترنت بالحق الصراح ، والرغبة المدججة بالسلاح ، لم يقف فى طريقها شىء ، بل اجتاحت هى كل شىء ، ولم تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم

وهكذا استطاع مصطفى أن يخلص الأوطان ، من احتلال الغاصب وجشع اليونان ؛ ولكن ماذا يفيد جلاء الغاصبين ، والبلاد واقعة تحت نير السلاطين باسم الدين ؟

على رسلك يا مصطفى ، إن طريق الدين شائك وعر المسالك فلا تجرح فيه عواطف الأتراك ، بل عواطف المسلمين أجمعين . إياك والتعرض للخلفاء ، فان للخليفة قوة أربعين من الأولياء . إن المسلمين لا بد لهم من إمام ، وإن الخلافة ركن من أركان الاسلام . بمثل هذا تعالت الأصوات ، من مختلف الجهات ، ولكن لمصطفى أذناً صماء ، لا تصيخ إلي النداء . هو لا يريد الخلافة ، فليكن ما يريد ، ثم يضرب الضربة القاصمة ، فيطوح بالخليفة فى مجاهل الأرض ، وتتطاير شظايا عرشه فى الفضاء . أما الفقهاء فلهم أن يبدوا ما يحلو لهم من الآراء ، وأما الصحف والكتاب ، فلهم أن يحكموا هل أخطأ أو أصاب

ترى ماذا كان يكون من أمر الخلافة لو طرحها كمال على بساط البحث ، وانتظر فيها قرار المتضلعين من رجال الدين ؟ أغلب الظن أنها كانت تسلك الأدوار التى سلكتها من قبل مسألة خلق القرآن فى عهد بنى العباس ، تتناطح حولها الحجج ، وتتقارع البراهين ، ثم ينتقل التناطح من الحجج إلى الرءوس ، والتقارع من البراهين إلى السيوف والتروس ، ثم لا ينتهى الأمر ، أو ينتهى إلى لا شئ ؛ ولكن مصطفى يعرف ذلك ، ويعرف بجانب ذلك أن منطق الواقع يغير وجوه الرأى ، ويحول اتجاهات الأذهان ، ويحمل على التسليم والاذعان . وكأنى به جالسا على أحر من الجمر ، وأعضاء المجلس الوطنى يتداولون الآراء فى مسألة الخلافة ، حتى إذا نشب الجدل وطال النقاش ساعة من نهار ، لوح لهم بحبل المشنقة فصدر القرار

ليت شعرى ما ذا فعل مصطفى ؟ أتراه افتات على عروش الخلفاء ، أم أجهز على جريح لا يرجى له الشفاء ؟ أهى نزعة من نزعات الالحاد ، أم التخلص من عضو دب إليه الفساد ؟ للتاريخ وحده أن يحكم ؛ غير أنى أبرئ من الالحاد مترجم القرآن ، ومعز دين الاسلام ، ومرغم الأجانب على احترام الجمات ، وإنما هو النفوذ الدينى أسئ استعماله ، فوجب استئصاله ؛ ذلك النفوذ الذى تغلغل فى كل مصلحة ، واعترض طريق كل إصلاح ، والذى لم يوسم به عصر دون عصر ، أو يسلم من شره مصر دون مصر . ذلك الذى جعل مصطفى برماً برجال الدين لا بالدين ، حتى إنه ليقول فى فورة من فوراته النفسية : « لوددت لو أستطيع أن أقذف بالأديان جملة فى أعماق البحار »

وما كان لمصطفى ليضطغن على الاسلام لذاته ، ولو لم يحترمه دينا لاحترمه مقوما من مقومات القومية التركية ، تلك القومية التى كانت هدفه الوحيد بعد أن أغمد سيفه وعاد من الميدان

على أن مصطفى بشر يخطئ ويصيب ، وقد يكون جار ليعدل ، وانحرف عن الجادة ليصل إلى الطريق القويم . وإنك لن تخيط الثوب حتى تحدث الابر فيه ثقوبا . ورحم الله القائل « إنا لن نصل إلى الحق حتى نخوض الباطل خوضاً »

ليس الرجل العظيم جديراً بهذا اللقب حتى يكون عظيما فى كل شئ ، وقد برهن مصطفى على أنه رجل سلم كما أنه رجل حرب . ما كاد يخلص من قيود وطنه بالتحطيم ، حتى تناول داخليته بالتنظيم ، فأظهر فى ذلك ما لم يكن ينتظر من رجل تخرج فى الميدان ، لم يعتد إلا حمل السلاح وإطلاق النيران . انظر إليه يقوم « بتتريك » كل شئ ، ويتعصب لقوميته حتى إنه ليحظر التعليم بغير اللغة التركية ، ويقصى فى سبيل ذلك كثيراً من معاهد الجاليات الأجنبية . ثم انظر إليه لا يمنعه تعصبه الأعمى لقوميته أن يستعير من الغرب الحروف اللاتينية ، فيفرضها فرضا ، ويطوف حاملا سبورته مبشرا بها فى الأندية والمسارح . ثم انظر إليه يفرض القبعة على الرءوس ، ويقذف بالقلبق والطربوش وغير هذين من الأغطية المختلفة الأشكال ، التى كانت تجعل من الأتراك شبه « كرنفال » . إن مصطفى القائد خبير بعلم النفس ، مدرك تمام الادراك الارتباط الذى بين النفوس ، وبين أغطية الرءوس ،

فمل مصطفى ذلك كله فى ثوان ، وإن قوماً لا يزالون إلى الآن ينتظرون حكم الفقهاء فى ترجمة القرآن ، وهم كلما هموا باستبدال لباس بلباس ، انتظروا حتى يحكموا الدليل والقياس

إن سر عظمة مصطفى هو في أنه رجل عملى ، لا يعرف المناقشات البيزنطية . ما يحتاج إلى قرون ، ينفذه فى لحظة بقوة القانون . وإنه ليؤثر الاقدام على الخطأ على التردد فى الصواب ، بل إنه ليحيل الخطأ صواباً بشدة اقتناعه وسرعة اندفاعه . بذلك استطاع أن ينفذ برنامجاً واسعاً من الاصلاحات ، وأن يعلن الجمهورية ، وأن يلغى الألقاب ، وأن يقضى على نفوس كرادلة الاسلام ، وأن يحقق غير ذلك من الأغراض التى لم تحققها الثورة الفرنسية إلا بعد عشرات من السنين ، أروت فيها خشب المقصلة بدماء الملايين .

وبعد ، فهل لنا أن نضيف مصطفى كمال إلى نابليون بونابرت وإلى محمد على باشا ثم نعتبر هؤلاء دليلا على أن رجال الميدان بما تعودوا من سرعة البت وصرامة الأحكام — أصلح لحكم الشعوب من رجال القانون الذين يتحرون المنطق فى الأحكام ، ويطيلون البحث فى فقه الألفاظ ومدلول الكلام ؟

وهل لنا أن نعتبر هؤلاء دليلا على أن الحكم الدكتاتورى العادل هو أصلح أنواع الحكم التى تساس بها الدول ؟ إننى لأميل إلى ذلك كل الميل . بيد أنهم يقولون : إن الدكتاتور يبنى نفسه على أنقاض غيره ، ويقوى شخصيته على حساب إضعاف شخصيات الآخرين . ولئن صح ذلك فاننى لأشفق على تركيا الفتاة ألا تجد خلفا لمصطفى ، أو تجد خلفا يشغل زاوية من زوايا كرسيه العريض ويترك سائره شاغرا

« كوم حماده » محمود غنيم

من ذكريات لبنان

راهب الوادي

للأستاذ على الطنطاوى

كنت فى بيروت فملت صخبها وضوضاءها وأحسست أن قلبى جائع لا يشبعه إلا الجمال، ونفسى عطشى لا يرويها إلا الحب ، وتمنيت أن أعيش يوماً فى الجنة ... وما أقرب الجنة من ساكنى بيروت تلوح لهم من شرف السماء كما تلوح الفراديس لعينى العابد المتبتل ... وتبدو لهم بذراها المكللة أبداً بالثلج رمزاً للصفاء والطهر ، وهاماتها المرفوعة الشمخرة صورة للعظمة والمجد ، وصخورها الماثلة التى تتلو على الدنيا سورة الخلود ، وسفوحها الحالية بأشجار الصنوبر والسرو التى تصف الحياة الباسمة ، والجمال الباقى ، وقراها الضائعة فى الضباب المطِر ، وغاباتها السكرى بالنشيد الحلو ، وشعابها ومساربها التى يمرح فيها الحور العين ، والولدان المخلدون ، آمنين فى مثابة العشاق ، وحمى المحبين ، وأوديتها العميقة عمق السر فى نفس الصبّ المدله يحب أن يذيعه ثم يضنّ به فيختزنه فى صدره ، الرهيبة رهبة الأزلية عند أبناء هذا الوجود الفانى ... الساحرة سحر المجهول الذى يحبه الناس بمقدار ما يخافونه !

وكانت الدنيا تخطر فى حلل الربيع ، وكانت الطبيعة فى عرس، فخرجت مع فئة من تلاميذى نؤم دنيا الأحلام ، وجنة المستعجل، وذهبنا نصعد فى الجبل على غير ما طريق ، بل لقد تنكبنا الطرق عمداً ونأينا عن السبل المسلوكة ، والقرى العامرة ، لنرى الطبيعة العذراء ، ونبصر الجمال البكر ، لا الذى ازدحم عليه الواردون ، فلم نكن نبلغ الذروة بعد طول الجهد ، ونحسب أننا قد وصلنا حتى تظاهر لنا من ورائها ذرى وضهور فنعود إلى التسلق طربين ، والطبيعةُ ، ويح الطبيعة ، تعرض علينا من فتونها ألواناً ، وتغرينا بالحب ما وسعها الاغراء ، فلم تلبث أن أيقظت فى نفوسنا بنات الهوى ، وشياطين الغرام ، فاذا نحن نفتش فى أثناء نفوسنا عن ذكرى حب قديم ، أو أمل بحب جديد. . . وإذا نحن نحس بهذه

العاطفة المبهمة التى يبعثها الجمال فى النفوس الشاعرة ، فنزهد فى المال والجاه والمجد ، ولا نطلب من الحياة إلا خلوة هادئة على صخرة من هذه الصخور . نقضى فيها العمر كله مع من نحب فى قبلة واحدة ... وهل يتسع عمر الانسان (ليت شعري) لأكثر من قبلة واحدة ؟

* * *

لبثنا صاعدين ساعات طوالاً ، والطرق تتسع بنا أو تضيق ، والقرى تبدو لنا خيالاتها كأنها الأمل الباسم يومض نوره من خلال الأمل الطاغى ، وهى متكئة على أكتاف الصخور ، أو نائمة فى حجر الجبل نومة الطفل المدلل فى حضن أمه الرؤوم ، والمشاهد تتبدل لنواظرنا أبداً ، فلا تترك جيلاً إلا إلى ما هو أجل ، فلا ندرى فيم نتأمل ، وأين ننظر ، كالذى يشهد معارض الفن الجميل فيحار أين يقف ، وعلى أى لوحة يلقى البصر ...

إن لبنان معرض للفن العلوى الذى أبدعته يد الله ، فمن لم ير لبنان (لبناننا الشرق النقى الطاهر ، ولبنان القوم المرح الشاعر) لم ير من دنياه شيئاً !

* * *

بلغنا من الصعود ما لا نطيق أكثر منه ، فنظرنا إلى أقدامنا ، فاذا تحتنا أودية وأودية لا ينال البصر أدانيها ، وإذا هى غارقة فى الضباب ، ومحجوبة بالسحاب الذي علونا عليه فصار جريه من تحتنا ، وإذا هى مهولة مخيفة ، ولكنها سبيلنا مالنا من الهبوط إليها بد ، بعد أن أضنانا الطريق وبلغنا هذه الذرى الخالية ، فتوكلنا على الله وأخذنا نهبط فزعين ، ولم يكن ثمة من طريق فكنا نثب من الصخرة ، وننحدر فى المسيل ، ونتزحلق على الحصى ، والوادى العميق لا يزال كما كان غارقاً فى الضباب ، كأنه صورة مبهمة لاحت لشاعر ، أو فكرة غامضة أو مضت فى رأس عالم ، وكنا كلما هبطنا درجة فتحت لنا صفحة جديدة من كتاب الجمال السرمدى ، فلا نكاد نقرأ منها حرفاً ، لأن لنا من حيرتنا وتعبنا وفزعنا ما يشغلنا عن تلاوة آيات الجمال ...

حتى إذا مضت ساعات وآذن النهار بالرحيل ، بلغنا قرارة الوادى ، فاذا هو خال موحش يبدو لنا كأنه قبر ، وإذا الأشواك والأزهار والأوراد قد حفت به متشابكة مؤتلفة حتى لا سبيل إلى بلوغه ، ولم تكن قد مستها يد بشرية مدمرة ، فبقيت على طبيعتها متعانقة لم يفسد ألفتها شيء ، ولم يعبث بجمالها عابث ، فدرنا حولها نفتش عن مجاز نجوز منه ، فوجدنا بعد لأى طريقاً ضيقاً ملتوياً ، فسرنا فيه نلتوى معه حتى بلغنا الأعماق ...

كان الوادى ضيقاً عميقاً كأنه فجوة صغيرة ، فنظرنا فى جوانبه فلم نلق أثراً لانسان فرفعنا رؤوسنا فاذا نحن نبصر على الجانبين جداراً هائلاً من الصخر ، لا يبلغ البصر أعاليه ، وإذا نحن فى بئر عميقة نائية عن الدنيا ، لم تبلغها الحضارة بخيراتها ولا بشرورها بعيدة عن البشر لم يصلوا إليها ، ولم يعلموا بها فأيقنا أنا قد كشفنا سراً من أسرار الطبيعة في هذا الجبل. وكم للطبيعة فيه من أسرار لم يكشفها إلى اليوم أحد ! ... وملكتنا رهبة المكان فسرنا صامتين، وابتعدت عنهم أنقب فى جوانب الوادى، فاذا أنا بسلسال ماء يهبط من الذرى العالية يقطع مئات الصخور والحدور ، حتى يستقر في هذا الوادى ، كأنه رسالة الحياة وهديتها إليه فذهبت أتبع مجراه ، وأتقصى أصله ، فاذا أنا ألمح داراً متوارية وراء صخرة من الصخور الضخمة ، وإذا أنا أسمع صوتاً يختلط بخرير الينبوع ، ورن صداه الخافت الفاتن فى سكون الوادى الضيق ، فيهز من القلوب حباتها ، فأعجب من هذا الصوت وأقبل عليه على حذر فاذا أنا أتبين فيه هـذه الأغنية اللبنانية الخالدة ، التى تحمل عبقرية الأجداد ، وصورة آلامهم ومسراتهم ، وخوالجهم وهواجسهم ، فيتلقاها الأحفاد ويزيدون عليها آلامهم وآمالهم فلا تنتهى أبداً ، بل تبقى دائماً نشيد الشعب ، بل أغنية القلب...

عَ اليادل يادل يادل ... ...

لَطْلَعْ عَ راس الجبل   وَشْرِف على الوادى
وقول يا مرحباً   نَسِّم هوا بلادى
يارب يطوف النهر   ويعتلى الوادى
لَشْمِل زنودى جسر   وَمَرّى البنية

* * *

يارايحين على حلب   حبي معاكم راح
يامشيلين العنب   فوق العنب تفاح
كل مين حبيبه معو   ونا حبيبي راح
يارب نسمة هوا   ترد الحبيب ليا

فهزنى الغناء فأقبلت على الرجل يدفعنى الاستطلاع والفضول ويردني الفزع وخشية المجهول ، وأثبته نظرا فاذا شيخ هِمٌّ أبيض اللمة واللحية بأسمال بالية، فلما رآني وثب مرتاعاً فِعْل من لم يرَ إنساناً قط وقذف في وجهي بصرخة هي إلى صراخ الوحش النافر أدنى منهـا إلي صياح الناس ، وولى هاربا ، نخفته ، ولكني تجلدت، وتبعته ففررت بأرض مزروعة ورأيت عدداً من الشاء نفرن مني لما أبصرنني ، فأدركته عند باب الدار ، فجملت ألطف به وأكلمه ، وهو ينظر إليّ وقد امحت وحشيته الأولى وصار وجهه كوجه طفل برئ ، وجعل يصغي إلى كلامي ، شارد البصر يحاول أن يتفهم معناه ويردد بعض الكلمات بصوت خافت رهيب، فوقع في نفسي أنه مجنون ، أو أنه قد نسي الكلام وكان الليل قد بسط على الدنيا جناحيه ولم يبق لنا بد من المبيت في هذا الوادي ، فعدت ألطف بالشيخ وأكلمه حتى انطلق لسانه فتكلم ...

قال :

... نعم خالفت إرادة السلطان ، وفررت بها إلى هذا الوادي. أليست ابنة عمي؟ أليس الحب يؤلف بين قلبينا ؟

فهممت أن أسأله عنها ، ولكني وجدته لا يبى الكلام وخفت إن أنا سألته أن يفوتني حديث قد لا أسمع مثله أبداً فسكت وعاد هو يقول :

لقد عشنا سعيدين لا نرى أحداً ولا يرانا ، نزرع هذه الأرض فنأ كل من ثمرها ، ونسوق هذه الماشية فننال من ألبانها ولحومها ، وكنا أسعد الناس ، ولكنها ماتت ، ماتت منذ أربعين سنة فماتت معها نفسي . وهذا هو قبرها ...

وبكى الشيخ فأبكانا ثم قال :

إن أعيش من بعدها بلا حياة ، أنا ميت ، فاقض فيّ ما أنت قاض . خذني إلى السلطان عبد الحميد ليقطع رأسي ، لم يبق لي من الدنيا أرب بعد أن ماتت ... لقد عشت بحبها ، وأموت على حبها وهذا يكفيني ...

ثم قام مسرعا فاختفى بين أدغال الوادي ، وترك لنا بيته وطعامه وشرابه فلبثنا فيه ننتظر الصباح

« بغداد » علي الطنطاوي

التعليم والمتعطلون في مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

خطة الاصلاح الخلقي

والآن وقد كشفنا عن الضعف الخلقي الذي تفشى في شبابنا بسبب إهمال المدرسة للناحيـة الخلقيه نرى لزاماً علينا أن نرسم للمدرسة خطتها التي نعتقد أنها إذا سارت عليها أمكنها أن تصلح من شأن أبنائها . ولسنا ندعى العصمة من الخطأ في ذلك ولكن هذه الخطة هي التي هدانا إليها اجتهادنا وتفكيرنا .

فعلى المدرسة أن تخصص مدرساً لكل عدد من التلاميذ لا يزيدون على العشرين يراقبهم ويدرس أحوالهم ، ويكون لكل واحدمنهم سجل خاص يدون فيه جميع المعلومات الصحية والخلقية والعلمية المتعلقة به وتحتفظ المدرسة بهذا السجل منذ بداية التحاق التلميذ بها . وعلى هذا المدرس أن يكون مركز الاتصال بين مدرسي هـذا التلميذ الآخرين وإدارة المدرسة من جهة ، وبين ذويه وأهله من جهة أخرى ليتعرف كل شيء عنه ، وليباحثهم جميعاً في أمره وفي تنظيم حياته وفي ترقية حاله وفي إصلاح معوجه كلما لوحظ فيه انحراف عن الصراط المستقيم . وإنا نرى أن التعاون في ذلك بين المدرسة والمنزل من المسائل الجوهرية التي تقي التلميذ شر الشطط والانحراف عن جادة الحق بما يفرض عليه من رقابة شديدة ساهرة تقدم له المساعدة التي يتطلبها ، وتبذل لذويه الارشاد اللازم لصون صحته وأخلاقه ، وتشرف على تنظيم أوقات فراغه وسيره في سبيل التقدم المطرد والنجاح المضمون ، فيسير نحو الرجولة المنشودة . وهوفوق ذلك أمر يلزم ذويه بالعناية به والاهتمام الدائم بأمره وملاحظته والسهر على تقويمه . وبالرغم مما يلقيه هذا الواجب الجديد الثقيل على المدرس من عبء ومجهود متعب فانه يخفف عن المدرسة كثيراً من أعبائها وإجراءاتها الصورية المتعبة غير المثمرة التي تقوم بها مثلا في حالة تغيب التلميذ أو مرضه أو تأخره أو تأديبه الخ ..

وفوق هذا فاننا نعلم أن كثيراً من التلاميذ الذين يتعلمون بالمدارس الابتدائية والثانوية يضطرون بحكم بعد المدرسة عن منازلهم أن يقطنوا وحدهم فى مساكن كثيراً ما تكون قذرة وغير لائقة لعدم وجود من يعنى بأمرهم . وليس هناك من يشرف على أحوالهم المعيشية ، أو يرقب عن كثب أحوالهم الخلقية فيرشدهم إذا أخطأوا ، ويردهم عن غيهم إذا حادوا عن الصراط المستقيم ؛ وفى هذا إفساد لكثير من الشبان من الوجهتين الصحية والخلقية . وإن فى وجود هذا المدرس المشرف لضماناً كبيراً يحول دون ذلك لأن فى إمكانه أن يفحص أحوال تلاميذه خصوصاً منهم من لايعيشون تحت رقابة أهليهم . ويصح أن يجمع عدداً من المتقاربين فى أحوالهم المالية والمعيشية فيساعدهم على سكنى منزل واحد وعلى إيجاد خادم يقوم بخدمتهم فينتظم بذلك حالهم المعيشية ، ويشرف إشرافاً تاماً على تكوينهم الخلقى . فلو أن المدرسة عنيت بهذا الأمر حق العناية وحققت هذه الرقابة الدائمة على تلاميذها لخدمت الأخلاق والفضيلة والقومية المصرية خدمة كبرى ، ولأدى هذا العمل إلى رفع المستوى الخلقى والقومى إلى حد كبير ، ينهض بمصر نهضة قوية ، ويضعها فى مصاف البلاد العظيمة . والنجاح فى ذلك شرط أساسى يتلخص فى أن يعمل المدرسون هذا العمل الجليل عن طيب خاطر وأن يعتبروه خدمة وطنية عظيمة تقدرها البلاد قدرها . ولا بد لهؤلاء المشرفين من أن يخفف عنهم عبء العمل المضنى فى نواح أخرى

ثم إن على المدرسة فوق ذلك أن تعنى عناية تامة بالرياضة البدنية المصحوبة باجراء تدريبات عسكرية نظامية مستمرة . وعليها أن تدرب أبناءها جميعاً على المخاطرات واقتحام العوائق وتذليل الصعاب كالفروسية وغيرها كالسباحة والتجديف وركوب الخيل وأنواع المهارة الرياضية . وعليها أن تشعر الطالب بأن الألعاب الرياضية والتدريب العسكرى وأعمال الفروسية من ضروريات الحياة التى يجب على كل واحد أن يأخذ منها بقسط وليست زينة تبرزها المدرسة فى حفلاتها الرياضية السنوية فحسب لتباهى بها أترابها ولتظهر بها على غيرها ، فاذا انتهت أيامها ماتت الرياضة بالمدرسة حتى تبعثها بعد عام أو عامين فكرة إقامة حفلة أخرى كما هو واقع اليوم، فكل تلميذ يجب أن يقدم على الألعاب الرياضية ويلازمها كل يوم ممارسته لغيرها من الأعمال المدرسية الأخرى . والواجب أن تخصص المدرسة نصف ساعة على الأقل يومياً للتدريب والتمرين الشخصى وأن تكون صفاً عسكرياً نظامياً عاماً يومياً ، ويجب أن يخصص للتدريب العسكرى فوق ذلك جزء من العام فى شهر يناير كأسبوعين أو ثلاثة بصفة خاصة

وليس الغرض من ذلك تقوية الجسم واعتدال الصحة فحسب، بل هناك فوق ذلك غاية أخرى لا تقل أهمية عن هذه وهى تكوين الخلق القويم بتعويد الطالب مغالبة الصعاب والاحتمال والصبر وحب النظام واحترامه وإطاعته وحب التضامن والتعاون مع غيره من أترابه وإخوانه . وهذه كلها أمور تتطلبها الحياة الاجتماعية اليوم وتدعو إليها النهضة القومية . ويعقب ذلك مباشرة الاهتمام بمسائل الرحلات والاكثار منها فلا يصح أن ينقضى أسبوع من غير أن تقوم المدرسة برحلة رياضية فى الهواء أو فى الصحراء أو فى النهر أو البحر أو فى الحقول الخضراء اليانعة ، حيث يدرس التلاميذ بطريق غير مباشر طرق المواصلات وطبيعة الجهة صحراوية أو إقليمية أو بحرية وما يجرى فوق سطح البحر أو تحته مما ينتفع به الناس . هذا إلى الرحلات العلمية التى يجب أن يقوموا بها لدراسة طبيعة البيئة المحيطة بهم ، وما يجرى فيها من صناعات وتجارات وزراعات . فالواجب على المدرسة أن تجعل من نفسها قطعة من الحياة الاجتماعية العامة المحيطة بها ، وعلى المدرسة كذلك أن توجه عنايتها إلى خلق المشروعات الاقتصادية والخيرية بين جدرانها . وإن فى قيام التلاميذ بحركة مقصف داخلى بها حيث يقوم بعضهم بشراء مستلزماته وبيعها وإيجاد سجلات لذلك وتدوينها ، كما أن فى قيامهم بصنع بعض الأدوات المنزلية البسيطة من الخيزران والجلد والقش الخ وبيعها فى أسواق خيرية يقيمونها — لعملاً نافعاً يستحق الاهتمام والتشجيع .

وناهيك بما يمكن أن يقوموا به فوق ذلك من أعمال البر والاحسان إلى اليتامى والفقراء والمساكين مما يبث فى نفوسهم الشفقة والرحمة . وهو أمر نادر الوجود بالمدرسة المصرية اليوم بينما نجده عملا ضرورياً فى كل مدرسة أجنبية . وعلى الأخص فى مدارس البنات إذ يغرسون فى قلب البنت العواطف الكريمة: عواطف الرحمة بالضعيف والشفقة على المسكين ، والبر بالعاجز

واليتيم. وإن من أوجب الواجبات إدخال هذا النظام سريعاً والعمل به لما يخالفه من جو كريم ملؤه العطف والحنان ولما يربيه فى الصغار من حب البذل والجود فى سبيل الخير. وكثيراً ما سمعنا عن مدارس أجنبية بين ظهرانينا تقوم بعمل الكسى وتوزيعها هى والحلوى فى أيام الأعياد على الفقراء والمساكين. وإذا كانت المدرسة المصرية قد استحدثت فى سنيها الأخيرة نظام توزيع الجوائز على المتفوقين علمياً من أبنائها فجدير بها أن تخص البرزين من تلاميذها فى كرم الخلق والحدب على الضعيف والعطف على البائس المسكين. وأن تخص أقوم التلاميذ أخلاقاً وأكثرهم رجولة. جدير بها أن تخص هؤلاء أيضاً بالتشجيع وأن تمنحهم الجوائز والمنح تشجيعاً لذوى الأخلاق الفاضلة وتنبيهاً لغيرهم إلى ما تستحقه تلك الأخلاق من تكريم وتقدير. وليكن لنا فى قرين الملكة فكتوريا أسوة حسنة. فلقد كان رجلاً طيب القلب، طاهر الفؤاد، يقدر الأخلاق الكريمة حق قدرها فكان كلما قرر مكافأة سنوية لمعهد من المعاهد جعلها لأرقى الطلبة خلقاً، ولمن يؤمل فيه أن يكون رجلاً كبير القلب طاهر الفؤاد عظيم الشمائل، ولم يكن يجعلها لأذكى الطلبة أو أنبههم أو أكثرهم مدارسة للكتب، أو أنبغهم فى العلوم

ثم إن على المدرسة بعد هذا وذاك أن تحبب أبناءها فى القراءة ومدارسة الكتب وتذوق ما فى بطونها. وعليها أن تتخير لهم الكتب المناسبة لعقولهم فتكثر للأطفال من القصص الصغيرة المليئة بحوادث التضحية والبطولة وأبطال الرجال وقادتهم، وأن تضمنها ما كان لعظيم أخلاقهم من سر فى بطولتهم. فلكم يحلو للطفل أن يحدثه أستاذه أو كتيبه عن بعض المواقف العظيمة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم، أو عمر بن الخطاب، أو عمر بن عبد العزيز. وكم يحلو له أن يقرأ شيئاً عن مصطفى كامل أو سعد زغلول، أو جان دارك، أو غاندى، أو غيرهم من الأبطال المليئة حياتهم بالنوادر والقصص اللطيفة التى تحفز الطفل إلى التقليد والنسج على ذلك المنوال فيشب معجباً بأعمال البطولة النادرة ويتمنى فى نفسه دائماً لو أتيح له أن يكون كواحد من هؤلاء الأبطال. ولا شك أن هذا يدفعه فى شبابه بل طول حياته إلى الأعمال العظيمة، كما أنه يحول بينه وبين كل رذيلة أو عمل حقير. وفي المدرسة الثانوية يجب أن يكون فى صلب جدولها درسان على الأقل أسبوعياً للمكتبة لكل طالب يكلف فيهما تحت إشراف مدرسه بدراسة تاريخ حياة بطل من الأبطال ليكتب عنه ويحاضر فيه إخوانه ويسمر معهم متحدثاً عن سيرة بطله وأعماله ونوادره وأحواله. وفى بطون التاريخ كثير من الأبطال السياسيين وغير السياسيين من المستكشفين والمخترعين وجبابرة العقول والفلاسفة. ولا شك فى أن متابعة سير هؤلاء ومدارسة أحوالهم من أشهى وألذ ما يخاطب به عقل فتى تستهويه البطولة والعبقرية، كما أنى لا أشك فى أمنية كل شاب أن يصير بطلا كأولئك الأبطال مما يحفزه فى أن يسير سيرتهم وينهج نهجهم. بهذا العمل لا نكون قد حققنا غرضاً واحداً، بل عدة أغراض، إذ نعود الطالب الاعتماد على نفسه فى البحث والدرس كما نعوده تذوق القراءة والمطالعة واعتيادها، وحصر أوقات فراغه فيها، ونغرس فيه فوق ذلك حب البطولة وتقديرها والسعى المتواصل إليها. ويا حبذا لو عملت المدرسة من ناحية أخرى على تحبيب تلاميذها فى الفنون الجميلة من موسيقى وتصوير وشعر، وذلك بأن يدرس المشرف صاحب سجل التلميذ ميول التلميذ منذ بدء اتصاله بالمدرسة واتجاهه، ثم يحاول أن يقوى فيه تلك الميول حتى يتجه به إلى أحد هذه الفنون فيسير فى تعلمها لأنها لا تربى فى الانسان الذوق السليم فحسب، ولكنها تصرف الشاب عن الاتجاهات الفاسدة وتجعله يعرف كيف يقضى أوقات فراغه فى هوايته التى جذبته إليها من غير أن يتأثر بقرناء السوء أو يفكر في غير اللهو البرىء لا اللهو الفاسد الذى يجر كثيراً من الشبان إلى الدمار والهلاك

إذا قامت المدرسة بكل ذلك، ولن تقوم به إلا إذا تخلصت من قيودها الحالية، فإنها تكون قد حققت الغرض الأسمى من وجودها لأنها أحاطت أبناءها بسياج متين من الأخلاق الفاضلة وأعدتهم إعداداً حسناً للكفاح الدائم، والنضال المستمر المنتج فى الحياة، ذلكم الكفاح والنضال اللذين يكونان الرجال ذوى العقول المثقفة والضمائر الحية، والأخلاق الطاهرة القوية، مما يكفل لهم النجاح فى أعمالهم والنهوض بأمتهم. وليس للأمة عدة تتكئ عليها فى هذا السبيل غير المعلمين الأكفاء الأمناء الذين يقدرون واجبهم تمام التقدير ويسهرون على أدائه خير أداء تعاونهم فى ذلك الأمهات المثقفات العارفات بطرق تنشئة الأطفال على الفضيلة وقيادتهم قيادة صحيحة إلى الحياة الفاضلة السامية. ولن يتوج هذا النجاح

إلا بسهر الحكومة سهراً فعالاً على حماية أبناء البلاد وعنايتها بناشئتها ومعونتها المنزل والمدرسة معاونة صادقة فى سبيل الطهر والفضيلة وواجبها المحتوم فى ذلك يقضى عليها بأن تسن تشريعاً خاصاً يحرم على الأطفال والشبان قبل سن محدودة ارتياد محال اللهو والمقاهى العامة ومحال القمار وغيرها مما يفسد الأخلاق ويقضى عليها إذا كانت لا تستطيع أن تقضى على المحال المفسدة وتحمى جمهور الشعب من مفاسدها. وواجبها المحتوم يقضى عليها أن تنشىء مراكز متعددة للألعاب الرياضية فى مختلف جهات المملكة يلتحق بها الشبان بعد انتهائهم من المدرسة فيقضون فيها أوقات فراغهم وتكون مكاناً لتسليتهم وسمرهم وتقوية أجسامهم بدلا من تلك المقاهى العامة التى انتشرت فى كل مكان وأقل ما يقال فيها أنها تعلم الكسل وتعود الاهمال وتباعد بين الرجل المتزوج وأولاده مما له أثر سيء جداً فى حياتنا الاجتماعية والمنزلية

وإنى أسأل الله أن يوفق العاملين إلى استئصال تلك الآفات الاجتماعية حتى تصبح أمتنا خير أمة أخرجت للناس

عبد الحميد فهمى مطر

الفن

للفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون

ما هو الغرض من الفن ؟ لو قدر للحقيقة أن تصطدم بحواسنا وضميرنا ، ولو كان فى مكنتنا أن نتصل اتصالاً مباشراً بالأشياء وبأنفسنا ، إذن لكنت أعتقد بأن الفن شيء غير ضرورى . أو بعبارة أوضح لكنا نصبح جميعاً فنانين ، لأن أوتار نفوسنا ستهتز حتماً بالاتحاد مع الطبيعة ؛ ولكانت عيوننا تؤازرها ذواكرنا ، تتقطع من الفضاء آيات من روائع الفن لتثبيتها على صفحة الزمن ؛ ولكان نظرنا يلتقط فى طريقه أجزاء من التماثيل منحوتة فى رخام الجسم البشرى الحى لا تقل روعة من التماثيل الأثرية القديمة ؛ ولكنا نسمع نفحات حياتنا الباطنة تتردد فى أعماق نفوسنا كأنها ألحان موسيقية ، تارة مرحة وأطواراً مشجية، وفى الغالب غريبة غير مألوفة . كل ذلك يوجد حولنا، كل ذلك يوجد فينا ، ومع ذلك فاننا لا نميز بجلاء شيئاً من ذلك كله. إنه يوجد بين الطبيعة وبيننا، أو بالأحرى يوجد بيننا وبين ضميرنا الذاتى وشاح مسدول ، وهذا الوشاح يراه العامة من الرجال كثيفاً ولكنه فى نظر الفنان والشاعر خفيفاً حتى ليكاد يكون شفافاً عارياً . فأية حورية من الجن قد حاكت خيوطه الناعمة ؟ وهل نسجته خبثاً ودهاء أو مودة وتحبباً ؟ إن الحياة فرض واجب لا بد منه . والحياة تحتم علينا أن نتناول من الأشياء التى تكتنفنا ما نحن فى حاجة إليه فى علاقاتنا بها . إن الحياة موقوفة على العمل والمثابرة . والحياة هى ألا يقبل المرء من مؤثرات الأشياء المرئية إلا ما كان نافعاً ملائماً لطبيعته بحيث يتسنى له أن يجيب على اختلاجات هذه الأشياء برجعة متناسبة . وأما ماعداها من المؤثرات فيجب أن تضمحل وتتلاشى أو لا تصل إلينا إلا مضطربة مشوشة . . . إننى أنظر وأعتقد بأننى أرى، وأصغى وأعتقد بأننى أسمع ، وأدرس نفسى وأعتقد بأننى أقرأ فى أعماق فؤادى . بيد أن ما أراه وما أسمعه فى العالم الخارجى ليس إلا ما تستخلصه حواسى لإنارة طريق عملى . إن ما أعرفه من نفسى ليس إلا ما يتجلى للنظر ، أى ما يشترك فى العمل . وإذن فان حواسى وضميرى لا تكشف لى إلا عن ناحية موجزة من نواحى الحقيقة العملية . ففى الرؤيا التى تمثلها لى حواسى وضميرى من الأشياء ومن نفسى، تتلاشى الفروق التى لا ينتفع منها الرجل، وتتضاعف المشابهات التى يستفيد منها الرجل ، وتتجلى أمامى السبل التى سيطرقها عملى وهى السبل التى سلكتها الانسانية بأسرها وقطعتها من قبلى . إن الأشياء رتبت طبقاً للفوائد التى يمكننى أن أستخلصها منها ، وهذا الترتيب هو الذى أشاهده أكثر مما أشاهد لون الأشياء وشكلها . لا شك فى أن الرجل أرفع مكانة وقدراً من الحيوان من تلك الناحية ، وإنه لقليل الاحتمال أن تفرق عين الذئب بين الجدى والحمل؛ فكلاهما فى نظر الذئب فريسة مستساغة ، وكلاهما سهل المنال ، وكلاهما صالح للالتهام . أما نحن فاننا نفرق بين العنزة والخروف ، ولكن هل ترانا نميز بين عنزة وعنزة وبين خروف وخروف ؟ إن فردية الأشياء والكائنات تغيب عنا كلما تبين لنا أن فى جلائها نفعاً مادياً، بل فى الأحوال التى نتبين فيها تلك الفردية (كما فى الظروف التى نتبين فيها الفرق بين رجل ورجل آخر) فان أعيننا لا تلتقط تلك الفردية بالذات ، أى بعض التآلف الغريب الذى يوجد بين

الأشكال كما يوجد بين الألوان ، ولكنها تلتقط لمحة أو لمحتين تسهيلاً للتحقق العملى من وجود الشبه بينهما

ومجمل القول أننا لا نرى الأشياء فى ذاتها وإنما نقتصر فى أغلب الأحيان على قراءة ما هو مكتوب على البطاقات الملصقة بها . وهذا الميل الناشئ عن الحاجة يزداد كذلك تحت تأثير الكلام والنطق ، لأن الألفاظ (فيما عدا أسماء الأعلام) تعبر كلها عن الأنواع . إن الكلمة التى لا تعبر إلا عن ماهية الشىء المألوفة المادية ولا تدل إلا على مظهره المبتذل تنساب بين الشىء وبيننا فتحجبه عنا وتخفى شكله عن أعيننا إن لم يكن هذا الشكل قد توارى خلف الضروريات التى كانت السبب فى خلق تلك الكلمة . ولا يقتصر الأمر على الأشياء الظاهرة وإنما يتمداه كذلك إلى حالاتنا النفسية التى تتوارى عنا وتختفى وراء جوهرها الذاتى . عند ما نشعر بالحب أو بالحقد ، وعند ما نشعر بالسرور أو بالكآبة ، فهل شعورنا بالذات هو الذى يصل إلى ضميرنا بآلاف التموجات الشاردة وآلاف الأصداء العميقة التى تجعل منه شيئاً من خصائصنا الذاتية المطلقة ؟ إذن لكنا نصبح كلنا روائيين ، وكلنا شعراء ، وكلنا موسيقيين . ولكننا فى أغلب الأحيان ، لا نرى من حالتنا النفسية إلا انبساطها الظاهر . إننا لا ندرك من مشاعرنا إلا مظاهرها القريب عنا ، والذى حدد اللفظ معناه كلية لأنه يكاد يكون متشابهاً دائماً ، وظروفه تكاد تكون واحدة عند جميع الرجال . وهكذا فان الفردية تغيب عنا حتى فى شخصنا . إننا نتحرك فى وسط محيط من الاعتبارات والرموز كأننا بداخل دائرة محاطة بسياج تتبارى فيه قوتنا مع سواها من القوات ؛ فاذا ما سحرنا العمل وجذبنا إلى المجال الذى اختاره ، فى سبيل مصلحتنا ، أخذنا نعيش فى منطقة متوسطة بين الأشياء وبيننا ، خارجة عن الأشياء وخارجة عنا كذلك . بيد أن الطبيعة توجد ، على سبيل اللهو ، نفوساً أكثر انفصالاً عن الحياة . إننى لا أتكلم عن ذلك الانفصال المقصود الثابت بالبرهان والناتج عن التفكير والفلسفة ، وإنما أتكلم عن انفصال طبيعى يعد غريزياً فى تقويم الحس والضمير ، ويتجلى فى الحال بطريقة بريئة للنظر والسمع والتفكير . فاذا كان هذا الانفصال تاماً ، وإذا كانت النفس تكف عن الاشتراك فى العمل بواسطة حاسة من حواسها ، أصبحت تلك النفس نفس فنان لم يرَ العالم مثلها منذ الأزل . وإنها لتسمو فى جميع الفنون معاً ، أو بمعنى أصح تصهر جميع الفنون فى بوتقة لتخلق منها فناً واحداً ؛ وتنظر إلى الأشياء فى سذاجتها وطُهرها الأول . وكذلك تكون الحال فى الأشكال والألوان وأصوات العالم المادى وأدق حركات الحياة الداخلية . بيد أننا لو فرضنا ذلك لكنا نحمل الطبيعة فوق طاقتها . ثم إذا نحن دققنا النظر فى الذين اختارتهم الطبيعة من بيننا لتجعل منهم فنانين فاننا لا نلبث أن نتأكد من أنها لم تأت ذلك إلا عفواً عن غير عمد، وأنها لم ترفع الوشاح الذى يسترها إلا من جانب واحد ، ونسيت أن تقيد الشعور بالحاجة فى اتجاه واحد . ولما كان كل اتجاه يقابله ما نسميه حاسة ، فان الفنان ينقطع عادة للفن بواسطة إحدى تلك الحواس وبتلك الحاسة فقط . من هنا نشأ تنوع الفنون . ومن هنا أيضاً نشأ تخصص الميول . فمن الناس من يتعلق بالألوان والأشكال ؛ ونظراً لأنه يحب الألوان لمجرد الألوان ، والأشكال لمجرد الأشكال ، ويميز كلا منها لذاتها لا لذاته ، فان الحياة الداخلية لتلك الأشياء هى التى تتجلى أمام النظارة خلال أشكالها وألوانها فيدخلها رويداً رويداً فى إحساسنا المضطرب القلق من تلك المفاجأة . إنه ينزع عنا ، ولو لفترة قصيرة ، تلك القيود التى تربطنا بأوهام الشكل واللون التى ما فتئت تعترض أعيننا وتحول بينها وبين الحقيقة . وإنه ليستطيع بذلك تحقيق أكبر مطمع للفن وهو – بالنسبة لموضوعنا – إزاحة الستر الذى يخفى الطبيعة عنا . ومنهم من ينطوون على أنفسهم ويقفون جهودهم على البحث عن الشعور وعن حالة النفس على ما هى عليه من سذاجة وطهر ، خلال آلاف الأعمال المتولدة التى تعبر عن الشعور ، أو من الكلمة التافهة الاجتماعية التى تعبر عن حالة نفسية فردية وتستكملها . وإنهم – لكى يستحثونا على محاولة مثل هذا المجهود فى أنفسنا – يجتهدون فى إطلاعنا على شىء مما وقعت عليه أعينهم وبعبارات منتظمة موزونة يقولون لنا – أو بالأحرى – يوحون إلينا بأشياء لم توضع الألفاظ للتعبير عنها . وسواهم يبالغون فى تعمقهم ويمعنون فيه ؛ فتراهم تحت ستار هذه الأفراح وتلك الأحزان التى يمكن التعبير عنها بالألفاظ ، يتمسكون بأشياء لا علاقة لها ألبتة بالكلام ، أو ببعض نغمات من نغمات الحياة والتنفس هى أعمق فى صدور الرجال من أدق مشاعرهم لأنها تمثل الناموس الحى الذى يختلف باختلاف الأشخاص ، ويعبر عن كبتها ووجدها ، وعن حسراتها وآمالها . فاذا استخلصوا تلك النغمات وضاعفوها فانهم يفرضونها علينا ويلفتوننا إليها ، ويعملون على

فن القــــراءة

للأديب نصري عطا الله سوس

القراءة فن له قواعد وأصول . ومهما جد القارئ واجتهد فلن يحصل على ثمرة مجهوده إلا إذا اتبع تلك القواعد والأصول اتباعاً دقيقاً . وكلامنا هذا لا ينصب على كل ما يقرأ ، بل على الأدب وحده باعتباره أثمن وأرفع أنواع القراءة ؛ ولا على كل من يقرأ ، بل على من يعتبر الكتاب صديقاً ومرشداً ومعلماً ، ومن تضطرم في قلبه جذوة الشوق إلى المعرفة وفهم الحياة والتمتع بها إلى أقصى حد ممكن واكتناه أسرارها

***

ينبع الأدب من قدس أقداس النفس ، يضمنه الأديب زبدة حياته، وصفوة اختباراته ، وما يضطرم في قلبه من آلام وآمال وما يصطرع في ذهنه من آراء عن حقيقة الحياة والموت والقدر واللذة والألم والطبيعة والخالق وغيرها من مشكلات الحياة التي لن تحل أبداً . والأديب هو ذلك الشخص الدقيق الاحساس الرقيق الشعور الذي يتأثر بكل عوامل الحياة أتم التأثير وأقواه ، والذي منحته الطبيعة القدرة على التعبير عن آرائه وإحساساته التي دفعت به إلى الكتابة . والكتاب الجيد من أثمن النعم التي تتيحها الحياة لمن حبته الذوق والفهم ، لأنه خلاصة حياة عظيمة غنية واسعة الآفاق بعيدة الغور؛ وهو ينبوع عذب، فيه رى وفيه حياة لأثمن وأرفع ناحية من نواحي الطبيعة الانسانية . فالكتاب الجيد يعمق ويهذب شعورنا ويوسع آفاق نفوسنا ويقوى قدرتنا على التفكير ويفتح أعيننا على أنواع من الجمال لم نكن نعرفها أو نحس بها . والانسان منهوم بحب الحياة ، ودّ لو عاش أعماراً مضاعفة وتذوق كل ماتفيض به الحياة من لذات وآلام ، ولكن العمر شحيح . ومن جهة أخرى فالحياة بخيلة لا تتيح أو تسمح لكل إنسان أن يقلب أبصاره بين آفاقها ويخوض بحارها باحثاً عن دررها . لم تتح الطبيعة هذا إلا لأشخاص معدودين جعلت كل واحد منهم أشبه بقيثارة تستنطقها كل أنغامها ، وهم الأدباء والشعراء . وبقراءة ما خلف هؤلاء نشبع حب الحياة في نفوسنا . فالكتب تضيف أعماراً إلى أعمارنا ، وهي سياحة في المكان والزمان . فالقارئ الجالس على كرسيه في غرفة ضيقة يطوف بذهنه في فجاج الأرض كلها ، بل يرق إلى السماء ويتملى أنوارها ، ويرتد إلى الماضي السحيق يحدق في كهوفه وظلماته ، ويتقدم إلى المستقبل البعيد يتملى بهاءه وجلاله . فاذا كان الأدب على هذه القيمة والأهمية فكيف نقرأه ؟

١ — أول شروط القراءة هو حسن اختيار الكتاب، فالعمر لا يتسع لقراءة كل ما كتب في لغة واحدة — ناهيك بأدب أمتين أو ثلاث — ولا كل ما كتب يستحق القراءة . والملاحظ أن الأدباء — وهم أحسن من يجيدون القراءة — لا يعيرون أهمية كبيرة لما يكتب في عصرهم ، بل يوجهون كل اهتمامهم إلى الكتب التي أثبت الزمن قوتها وحيويتها وقدرتها على البقاء . والزمن وحده هو الذي يحكم للكتاب أو عليه ؛ والزمن وحده هو الذي حفظ لنا هوميروس وأفلاطون وشكسبير وأضرابهم ، لأن أدبهم يشتمل على عناصر الحياة الجوهرية التي لا حياة بدونها . وكم من أديب عاش ومات في غمرة النسيان ! وكم من

الاندماج فيها عفواً وبغير ما دافع منا كما يندمج المتفرج في حلبة الرقص دون أن يشعر ، ويحملوننا بذلك على أن نهز في خبيئة نفسنا أوتاراً متحفزة ترقب من يلمسها لتصدح وترتفع نغماتها

فسواء أكان الفن رسماً أو تصويراً أو شعراً أو موسيقى فلا غرض له إلا أن يمد الرموز النافعة والاصطلاحات المشروعة المسلم بها في المجتمع وكل مايستر الحقيقة عنا ليقف بنا إزاء الحقيقة بالذات وجهاً لوجه . إن الجدل بين المذهب الوجودي والمذهب المثالي في الفن نشأ من نزاع على تلك النقطة . فلا شك في أن الفن ليس إلا مظهراً جلياً مباشراً للحقيقة ، بيد أن هذا السمو في الادراك يستلزم القطيعة مع العرف المصطلح ، ونزاهة غريزية محصورة في الحس أو الضمير ، كما يستلزم كذلك شيئاً من اللامادية في الحياة وهي ما اصطلحوا على تسميته دائماً بالمذهب المثالي ، بحيث يمكن القول ، بغير ما تورية أو مجاز ، بأن المذهب الوجودي هو في العمل بالذات، بينما المذهب المثالي هو في النفس، وأنه لا يمكن العودة إلى تلمس الحقيقة إلا بقوة الخيالية دون سواها

هنري برجسون

ترجمة سليم سعدة

أديب تألق ثم خبا ! وكم من أديب يعيش على فضول الكتاب والقراء . علينا أن نهمل كل هؤلاء وأمثالهم وأن ننتخب ما نقرأ من بين أحسن ما كتب. هذا إذا أردنا أن نحيا حياة ذات قيمة.

٢ — العامل الثانى هو إجادة القراءة . فهناك قراء يوجهون كل همهم إلى الاحاطة Comprehensoin وينسون الاجادة Apprehensoin ، والعنصران قلما يجتمعان إلا فى القليل النادر. وقراءة كتاب واحد قراءة تفهم وإمعان أجدى من قراءة عشرة كتب قراءة سطحية . إن الكتاب — كما قلنا — هو زبدة حياة المؤلف ، والقارئ النابه لا يتجه إلى مجرد القراءة العابرة ، بل إلى تكوين صلات وعلاقات مع المؤلف . فلنجعل نصب أعيننا صداقة المؤلف يجب أن نفهم الكاتب كما نفهم صديقاً : نحيط بظروف حياته : آماله وآلامه ، أحلامه وهمومه ، فكهاً أو وقوراً ، متفائلا أو متشائماً ، وهكذا ... والخلاصة أنه يجب أن نفتح قلوبنا ليصب الكاتب فيها دمه ونترك ذلك الدم يجرى حاراً فى عروقنا

٣ — العامل الثالث هو نظام القراءة ، فكثير من القراء يتبعون فى مطالعاتهم سبيلاً ملتوية : كتاب من الشرق وآخر من الغرب ؛ كتاب حديث وآخر قديم ؛ وهكذا دون ضابط ولا نظام . وهذا المسلك قلما يثمر بل الواجب أن نختار كاتباً معيناً ونقرأ كل ما كتب ، لأن كتب الكاتب ما هى إلا جوانب متعددة لشخصية واحدة ، ولا حق لنا أن نتحدث عن كاتب أو نصدر عنه حكما إلا إذا درسنا أدبه دراسة وافية كاملة . ويجب أن نتبع فى هذه الدراسة نظاماً خاصا ، فيجب أن ندرس كتبه حسب ترتيب كتابتها ، فلا نتناول إنتاجه فى أوان شيخوخته ، ثم فى أوان شبابه الأول ، ثم فى أوان نضجه ، بل يجب أن نبدأ بقراءة باكورة إنتاجه ، ثم ما تبعه ، ثم ثالث كتاب أخرجه ، وهكذا ... وبهذا فقط يتاح لنا أن نعرف تأثير الحياة والتجارب فى تطور شخصية الكاتب : كيف شق لنفسه طريقاً إلى فلسفته ؟ وكيف خاص إلى آرائه عن مشكلات الكون ؟ هل ابتلته الحياة بالفتور واليأس ؟ هل شك فى عدالة الكون وعاف الحياة ؟ أم هل انجلت عن ناظريه عمايات الصبا وغواياته ودعا إلى الحياة الفاضلة مؤمناً بالله مبرراً سلوكه مع الانسان ؟ هل بقى ساخراً لا يعرف لنفسه فلسفة ولا يخلص إلى عقيدة حتى ذهب فى طريق من ذهب ؟ وما أثر ظروف حياته من فقر وغنى وصحة ومرض فى نفسه ؟ هل تغلب عليها واحتفظ بنضارة قلبه وسلامة روحه ؟ أم تركها تتسرب إلى أدبه وتكسبه لونها الخاص ؟ هل تأثر بروح عصره وجارى سلفه ومعاصريه أم أثر هو فى روح العصر ووجه الأدب فى طرق جديدة وتناول بالنقد والتفنيد ما استهجنه ودعا إلى مثل جديدة ؟ وما أسباب كل هذه المسائل ودواعيها ... ؟ هذه كلها موضوعات يهتم بها القارئ الحصيف ، ولكن لا يمكنه أن يكون رأياً عادلا عنها إلا إذا قرأ بنظام . بهذا فقط يتأتى لنا دراسة الحيـاة نفسها دراسة شاملة تفهمنا روحها وطبيعتها وفلسفتها . إن التفكير المجرد قلما يخلص بالمرء إلى نتائج سليمة ، وعلماء النفس فى الوقت الحاضر يدرسون مخلفات الأدباء بهذه الطريقة التى أسلفنا ويكونون نظرياتهم على هدى تلك الكتب ، ذلك لأنها تنبع من صميم الحياة الواقعية ، والحياة أعمق وأشمل من أن يحكم المرء عليها وليس وراءه إلا تجاربه ؛ والفلسفة قلما تسعف الانسان بعقيدة تغير حياته وتجملها ، بل هي غالباً تبتليه بضروب الشك فى قيمة الحياة والحيرة فى معناها . ولكن الأدب وحده ينبع من أعماق الحياة ويصور ما نعانيه ونحسه من آلام وآمال ، وهو الصورة الحقيقة الصادقة للحياة كما هى . بعكس الفلسفة فهى سياحات « فكرية » فى عالم المجهول ، وما من مذهب فلسفى إلا ومذهب آخر يناقضه ، وكل له دعائمه وبراهينه ؛ فلا عجب إذاً أن يترك علماء النفس كتب الفلسفة إلى الأدب يهتدون بهديه فى تكوين نظرياتهم

٤ — العامل الرابع هو المقارنة : كيف يمكننا بعد ذلك أن نقدر الأديب تقديراً صادقاً ونصدر حكمنا له أو عليه ؟ لا يمكننا أن نفعل ذلك إلا إذا درسنا معاصريه وتبينا أين يتفق معهم وأين يختلف عنهم ، لأن ظروف الحياة التى أثرت فيهم واحدة لأنهم أبناء عصر واحد ، ولكنها أثرت فيهم تأثيراً مختلفاً ، وسبب هذا الاختلاف هو تباين طبائعهم ومشاربهم ، وبالمقارنة والموازنة بين المعاصرين يتسنى لنا أن نميز الأديب الكبير من غيره . فدراسة معاصرى شكسبير مثل بن جونسون ومارلو وبومنت وفلتشر ،

توضح لنا عظمته وجلاله . وإذا درسنا يوروبيدس وسوفوكلس ألفى كل منهما نوراً ساطعاً على شخصية الآخر . وكذلك إذا درسنا شارلس دكنز مع وليم تاكرى ، وتنسون مع براوننج ، والأخطل وجرير والفرزدق ، وبشار وأبو نواس ، وأبو تمام والبحتري ، وهكذا ...

٥ — بقي أن نشير إلى عنصر هام من أهم العناصر التى تمكن القارئ من الاستفادة التامة مما يقرأ وهو الصبر والتجاوب مع الكاتب . وكم من قارئ يترك الكتاب بعد قراءة صفحة أو اثنتين لأن الكاتب يختلف عنه ميولا ومشربا ، وليس أخطر على القارئ من اقتصاره على قراءة ما يتفق ونظرته إلى الحياة . ومن ملاحظات الكاتب الألماني أميل لدفيج أن القراء فى العصر الحاضر يطالبون الكثير من القصص لا لغاية إلا تبرير آثامهم وزلاتهم بحجة أن أبطال القصة سلكوا نفس المسلك ، وهذا جبن وخور . والواقع أن الكتاب الذي يهاجم أفكارنا وعقائدنا يفيدنا أكثر من غيره . والمعركة بين الكتاب والقارئ ليست بأقل متعة أو جدوى من معركة شريفة بين شخصين إذ يجتهد كل فى تبرير رأيه بإظهار براهينه وأدلته ويحاول إفحام خصمه بتفنيد مستنداته، وفى ذلك ما فيه من إذكاء الفكر وشحذ الذهن ومعاودة النظر فى الآراء والأفكار والمعتقدات وتبديلها أو تعديلها على هدى نتيجة المعركة . فلم لا نسلك المسلك نفسه مع الكتب؟ ولعل هذا يجدى مع الكتب أكثر مما يجدى مع الأشخاص ، لأن النفس الانسانية مزيج من الخير والشر، وقد يعمد الانسان إلى هزيمة خصمه بأى ثمن — حتى التضحية بالحق — مدفوعاً بالأثرة وحب النصر والفخر ، ولكنه لا يسلك هذا السبيل مع الكتب خصوصاً إذا كان أصحابها قد ماتوا من زمن

يقول الفيلسوف الانكليزى « باكون » :

« لا تقرأ كي تناقض أو تفند ، ولا كى تؤمن وتسلم جزافاً، ولا كى تجد موضوعاً للحديث والمناقشة ، بل كى تتبصر وتتأمل »

والتأمل ضرب من الصلاة ... والصلاة جنة الروح !

نصرى عطا الله سوس

الأحـــلام

هل فى حقائق الحياة الثابتة ما يفوق الحقيقة التى تؤكد لنا أن الأحلام تصح ؟!

إن هذا العالم المدهش العجيب الذى يتجدد كل يوم أمام أنظارنا الحائرة ؛ بل إن هذا العالم المفعم بالروائع والآيات الفائقة حد التصديق فى الأمس القريب ، يجيش بربوات الأحلام التى لا تلبث أن تتحقق اليوم ، ويتوج تحققها هامة التفكير الطويل، والانتظار المترقب المستطلع ، والكفاح الوجيع الصبور ، والفشل الذى يعقب الفشل ، ثم الفوز المبين أخيراً !

وما من معجزة تحيط بنا — فان الطائرات وآلات الصور المتحركة وأجهزة الجهر (الميكروفون) والأسلاك البرقية واللاسلكية والقطارات والسفن — قد كانت فى أحد الأيام حلماً تحركت به بعض الخواطر ، وهمس فى طائفة من الضمائر الإنسانية

ولقد كان العالم يهزأ بالحالم ويسخر ويشك فى أمره أعواماً مديدة ؛ إلا أن الحالم لا بد أن يبوء بالفوز

وقلَّ مَن جدَّ فى أمر يطالبه   واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقد يرى الحالم أن الناس سينظرون من خلال الحجر ، أو يتكلمون عبر البحر ، أو يحلقون فوق السحاب ، أو يبصرون شيئاً على بعد عشرة آلاف ميل ، فيتم ذلك جميعه . وقد يحلم أنه يتناول قطعة من الرخام ويصوغها فى قالب يأسر الألباب على مر الأحقاب ، أو أنه يرسم صورة سيدة ذات ابتسامة رصينة مفكرة ويظل الناس يتأملون هذا الابتسام بخشوع لا يبليه تقادم العهد وكر الأزمان

وقد يحلم أنه يكتب شيئاً يستنزف الدموع من مآقى الذين لم يولدوا بعد ؛ أو أنه يؤلف قطعة من الموسيقى تدوى فى أروقة الدهور ... فيتم له ذلك كله ...

إن المجاهد فى سبيل فكرة عظيمة أو مقصد نبيل ؛ والمخترع الذى يكد فى معمله والعالم الأديب الذى يستخرج ودائع الغيوب ويحل دقائق الأشكال ويزيل معترض الأشكال ؛ والشعب الذى يكافح لنيل الحرية ؛ إن كلا من هؤلاء لا يحلم عبثاً ، كما أن الجنس البشرى الذى يحن إلى الأصلح والأبقى ، ويتوق فى قرارة النفس الانسانى إلى حياة وادعة تفيض بالأمن والسعادة لا يحلم سدى، لأن الأحلام تصح وتتحقق

ترجمة : (الزهرة)

ولي الدين يكن

للأستاذ كامل يوسف

اطلعت على مقال الأستاذ كرم ملحم كرم عن المرحوم ولي الدين بك يكن. وبما أنني اتصلت بأسرة الشاعر اتصالا كليا أثناء إقامتي بحلوان فاسمحوا لي أن أصحح ما قيل من أنه مات مسلولا. والحقيقة أنه كما ذكر الكاتب كان يشكو الربو، وكان يلجأ إلى تخفيف وطأته عليه بحقن المورفين، وقد أدمن على تعاطيه حتى ضعفت صحته فمات من الانفزيما، وورث ابنه الشاعر الكبير فولاد يكن هذا الداء وأدمن عليه حتى قضى على صيته الأدبي الذي كان يبشر بمستقبل باهر

كان المرحوم ولي الدين بك يكن ثائراً على القديم في كل شيء، وكتاباته التي كان ينشرها في المقطم تحت اسم « زهير » وجمعت فيما بعد في مجلدين شاهد على ذلك. وتجديده في الشعر والنثر لا ينكره أحد. وله مؤلفات عدة كلها تدور حول كفاحه في سبيل الحرية ومناهضة الظلم. وكان أبي النفس فكان يرفض أن يبيع ضميره؛ وطالما حاول أصحاب النفوذ إغراءه بالمناصب العالية والخير الوفير نظير إيقاف حملاته عليهم، ولكنه أبى أن يبيع ضميره ورضي بحياة البؤس، ولا يصدق إنسان أن أثاث منزل ولي الدين بك يكن كان كأحقر منزل رجل عادي وهو سليل أصهار العظماء، وذلك كله في سبيل تحقيق غايته من نصرة الحرية والمظلوم ومحاربة القوة الغاشمة

ولولي الدين يكن مؤلفات كثيرة طبعت، ونشرت وله مؤلفات لم تنشر، وقد جمعت السيدة زوجته (وهي أرمنية) بعض أشعاره ونشرتها على أمل أن تحصل منها على شيء يقوم بحاجة الأسرة الفقيرة، ومن مؤلفاته رواية تمثيلية تدور وقائعها في تركيا على تحرر تركيا الحديثة وإعلان الدستور وعن الدسائس والمظالم في عهد السلاطين، وهي الأشياء التي خبرها ولي الدين بك بنفسه وأجاد الكتابة فيها. وكنت اتفقت مع أسرة الشاعر على تنقيحها لتمثيلها على المسارح المصرية لولا ما حاق بالأسرة من نكبات، منها خيبة كريمته الوحيدة (وكانت تسمى فكتوريا أحيانا وزينب في أحيان أخرى) في زواجها على الدوام، ومنها النكبة التي حلت بابنه الشاعر فولاد إذ انحدر إلى هوة إدمان المخدرات

وكان مما لا شك فيه أن ولي الدين بك يكن سيخلد ذكره في شخص ابنه فولاد يكن، وهو من الشعراء المصريين الأفذاذ الذين كتبوا بالفرنسية، وقد أعجبت بنبوغه الكونتس فالنتين دي سان بوا حفيدة لامارتين (وهي من كبيرات الكاتبات والشاعرات بفرنسا) فاحتضنته، وقدمته لدور النشر في باريس فنشروا له ديوانه البديع « أغاريد شاب شرقي » وهو ديوان شعر يفيض بالعاطفة والجلال والجمال، تقرأه فتجد فيه روح أهازيج شكسبير، وقد نقده كبار الكتاب في فرنسا وأعجبوا به، وقال عنه الكاتب الفرنسي المشهور « بول ريبو » إنه يفيض بالروح البيرونية نسبة إلى بيرون، ونعت الشاعر بأنه همزة الوصل بين مصر وفرنسا. وكان فولاد قوة هائلة في العمل الأدبي، فقد كتب تاريخ « سعد زغلول أب الشعب » في أسبوع ونشر في فرنسا. وله ديوان كبير اسمه « أغنية الأرض » وهو ملحمة كبيرة مكونة من عشرين ألف بيت عن الحياة وتطوراتها وتاريخ البشرية حتى اليوم. وقد أرسل هذا الديوان لفرنسا لنشره، ولكن منع ظهوره تخلي الكونتس دي سان بوا عنه لما ساء صيته الأدبي من إدمانه على المخدرات وتركه الأدب والاتجاه إلى التسول مما أحزن قلوب جميع من لمسوا في هذا الشاب النبوغ المبكر

ومن الظريف أن يقارن الانسان بين الشاعر الوالد والشاعر الابن، فقد نظم ولي الدين بك قصيدة عن كليوبترا، كما نظم ابنه فولاد قصيدة عنها في ديوانه « أغاريد شاب شرقي » ولا أنكر أنني أعجبت بخيال صديقي فولاد ومعانيه وحسن أسلوبه، ويمكنني أن أقول إن الولد بز أباه في هذا المضمار

وقد اشتغل فولاد في الصحف الفرنسية مدة طويلة، ولكنه أعلن عليها الحرب وناهض أصحابها في اعتقاداتهم الفكرية، وكانت نتيجة ذلك أن منع من التحرير في الصحف الفرنسية، وأنشأ له جريدة أسبوعية لم تعمر طويلا. وكان له قدرة هائلة في الأدب. وكان يترجم شعر العقاد وشوقي شعراً بكل سهولة؛ وكان إذا نظم لا يترك مكانه قبل أن يكتب نحو مائتي بيت، ولكن الداء قضى على كل هذه المواهب. عزى الله الأدب عنه وعوضنا منه خيرا

كامل يوسف

عضو بالمعهد الفلكي البريطاني

من روائع أدب الغرب

الانســـــان

L'HOMME

لشاعر الحب والجمال لامرتين

للأديب حسين تفكجي

— ١ —

« أرسل إليك يا صاحبة السمو ، قبل أن أضع رأسي على الوسادة ، الكتاب الصغير الذي تفضلت باعارتي إياه البارحة ، ويكفيك أن تعرفي أنني لم أنم وبقيت ساهراً ، حتى لاحت تباشير الصباح ، وخرجت طيور الفجر من أعشاشها ، لأتم قراءته ولأطلع على ما احتواه بين جلدتيه ، من روائع المعاني ، وجميل القول . سوف لا أتنبأ لك بشدة تأثيره في أذواق الجمهور من القراء إذ يكفي أن أجمل من نفسي ذلك الشعب الذي سيطلع على هذا الكتاب لأقول : إن هناك رجلا ، وسيشغل الكثير من صفحاتنا »

« من كتاب تاليران إلى الأميرة تالمون »

— ٢ —

« وعقب مدة قليلة أثار هذا الكتاب فضول الطبقات الراقية في الروسية . فان النبيلات تجادلن وتسابقن لاقتناء نسخة منه ؛ فالتي خانها الحظ ولم تحظ باقتناء هذه النسخة ، كانت تكتب في دفترها مقاطع من أجل الأشعار التي قالها لامرتين ، وتجبر نفسها على حفظ أشياء منها . فالسعيد من اقتنى كتاباً من (التأملات) إذ كان يحرص عليه كمن يحرص على مفتاح النجاح وطريق السعادة

« من مذكرات أتون شي »

— ٣ —

يا لجريمة لامرتين الفظيعة ! فهو سبب نصف جنوننا ، فنساؤنا يردن أن يكن أمثال إلفير

« فكم أصابنا البرد وألزمنا الفراش أياماً طويلة ، لأننا أردنا أن نتمثل شعره ، فسرنا على شاطىء البحيرة الزرقاء ، نتأمل جمال القمر في السماء ، وبدائع أمواج الماء ، وروائع الطبيعة على الغبراء ، في الليالي الباردة التي كانت تحمل إلينا معها نسيم الليالي الغابرة التي قطعها لامرتين ، بينما عوامل الأمراض تنازعنا قوانا وتتسلط على أجسامنا »

« إن لامرتين واللورد بيرون ، أدارا رؤوس نساء الجيل الحاضر ، ولفتا أنظارهن إلى عظمة الوجود والحب »

« الكونتس داش »

— ٤ —

أيها الشاعر الباكي ، أيها الناظم الشاكي ، أيها المؤلف الغائب عن عيني ، إنك رمز الجبن والخوف

« فما أشبهك بورقة خريف جففت يد القدر خضرتها ، وجردتها من رائع نضرتها ، تناقلها نسمات النهار الباردة بين وديان غير معروف مداها ، وجبال غير مفهوم منتهاها ، تحط دون أن تعرف أين ، وترقب النسيم ليرفعها من مكانها إلى حيث لا تعرف إلى أين !

ما ذا يحوي شعرك من جمال ؟

ما الذي يضم بين أبياته من نضرة ؟

لا شيء !

ما معنى الشاعر المحتضر ؟

قصيدة يأس من الحياة وخوف من النضال من أجل الوجود . أيها الحيوان الباغم ، لست أول نائح على أريكة خضراء ، فقد سبقك كثيرون ، ولكنك كنت موفقاً في التعبير عما تكنه جوارحك

« موريس ألبر »

***

آراء متناقضة ، سطرتها أقلام كتاب متباينين ، لتقدير مزايا ومساوىء شاعر ، فمنهم من تأمل في قطعة الخلود ، وعرف في شعره معنى الحياة ، وفهم بين أبياته مفهوم الحقيقة ؛ ومنهم من حمل على هذا الشاعر الباكي الذي لا يرى فجر الحياة إلا من وراء منظار أسود ، ولا يتأمل وجه البسيطة إلا بالنشيج والبكاء . فكل ما يقع تحت عينيه يرمز إلى ذلك الحب الذي قضى وحل اليأس مكانه في سويداء الفؤاد

نحن لم نأت بهذه الآراء لنوازن بينها ، ولنميز بين حسنها وقبيحها ، بل أتينا بها لأنها تعبر عن موجة الأفكار التي اجتاحت عصره ، وعن الأثر الذي أحدثه كتابه الصغير « التأملات » الذي أصدره الشاعر ، فنترجم قطعة من شعره سماها « الانسان » وأهداها إلى اللورد بيرون الشاعر الانكليزي الذي قتل في حرب استقلال اليونان ، والذي كان لامرتين معجباً بشعره ، مأخوذاً بروعة ألفاظه إذ قال : اللورد بيرون في نظري هو أكبر شاعر

عرف الطبيعة في زمننا الحاضر . إن من شعره ما يسكرني ، وإن من بيانه ما يسحرني ، إذ وجـدت في أقواله خيوط أمل تربط أصواتاً تجيش في صدري ، وتفور في سويدائي »

ولكن بالرغم من أن تفاؤل لامرتين يقابله شك بيرون ، فان الشاعر لم يجد مانعاً من أن يرسل هديته إلى نقيضه في أقواله لأنه أراد أن يجره إلى أفكار أقل شيطانية من أفكاره الأولى فهل أصاب أو أخطأ ؟ لا نعرف ! بل نحكم عليه بعد قراءة الشعر الذي أرسله إلى الشاعر الشاك

الانسان

— ١ —

أنت الذي يجهل العالم اسمك الحقيقي ، أيها الروح الخفي الشاك . مهما كنت يا بيرون شيطاناً أو ملاكا ، عبقرية ميمونة أو مشؤومة ، فان أغانيك تصوب إلى نفسي بريق الأمل ، وتحمل إلى روحي دعة الحل

أعشق في أشعارك الخالدة أنغامها الغريبة كما أعشق ضوضاء العاصفة المحتدمة ، التي يمتزج بهدير الصاعقة ويعلو مع أصوات الشلالات المنحدرة

إلى الليل تأوي ، وإلى الرعب تلجأ

ما أشبهك بجبار الفضاء ، وملك الصحاري ! بالنسر الذي يكره السهول ولا يهوى سوى الصخور الوعرة ، التي ألبستها يد الشتاء ثوبها الناصع ، والتي تفتتت تحت ضربات الصواعق المتوالية . يجد لذته على شواطئ غطيت بحطام البواخر الغارقة ، وملئت بأشلاء السفن المحطمة . ويذهب عنه حزنه مرأى الحقول المخضبة بدماء المعركة . بينما البلبل الفريد ، ينشد أسقامه ، ويغني آلامه ، وهو يبني عشه على شوطئ السواقي الجاريات ، بين الحقول الزاهرات

يجـد النسر لذته فوق قمم الأنوس ، التي تخترقها الذرى الحادة كأسنة الرماح ، فيشق فضاءها بجناحيه ، تاركا ظله يرتسم فوق الهوات الفاغرة فاها . وهنـاك وحيداً يصيخ لصيحات الفريسة المتعالية التي تحيط به أعضاؤها المختلجة ، فوق صخور تقطر زواياها دماً . وعندما تحتدم رياح العاصفة ينام مسروراً فوق بقاياها

— ٢ —

ما أشبهك بنسر السماء هذا يا بيرون !

فان أصوات اليأس أجمل أغانيك

الألم هدفك ، والرجل ضحيتك

سبرت بعينك كالشيطان غور الهوة طباتها نفسك ، غمرت بعيداً عن الإلـه والأضواء ، بعـد أن ودعت أملاً راحلاً . فأنت مثله اليوم تسيطر على الأرجاء المظلمة ، والأصقاع المعتمة . فاجمل عبقريتك التي لا تقهر تعلو بلحن جهنمي ، وتنشد أنشودة الظفر تحت ظلال عرش إلـه الشر

— ٣ —

ولـكن أية فائدة تجنى من نضال النهاية المحتمة ؟

بأي شيء يدفع العقل المنيد القدر ؟

ليس له كالمين ، إلا أفق محدود !

فلا تسدد جميل أنظارك إلى أبعد من هذا المدى ، ولا تقدح زناد فكرك دون نفع وسدى ، فتجد كل شيء منا يفر . الـكل ينطفئ كالشمع . الـكل يمحى من الوجود . ولـكن كيف ؟ ولم ؟ من يعرف ؟ فان يديه القادرتين قبضتا على الوجود والبشرية ، ونشرتا في حقولنا الغبار ، وجعلتا الأهواء والظلام والأنوار . فهو يعرف ما يعمل . وهذا يكفي فالـكون تحت إمرته ويده ، وليس لنا سوى اليوم الذي نعيش فيه

إن جريمتنا هي أننا بشر ، فينا فضول المعرفة .

ولـكن الجهل والخضوع هما قانونا هذا الوجود .

بيرون ! إن هذه الـكلمات قاسية عليك .

ولـكن لم التراجع أمام الحقيقة ؟

إن شرفك أمام الاله هو أنك صوغ يديه ، فاشمر واخضع في سجنك المقدس .

أنت ذرة محمولة ، تموج في هـذا النظام العالي ، فتمم إرادته بطاعتك ، لأنك مخلوق بارادته ، وحياتك تمجد هذا الوجود الذي تموت فيه ، حيث مصيرك .

أواه بعيداً عن الاتهام . قبّـل ذلك الرسف الذي تحاول تحطيمه ، واهبط من صفوف الآلهة التي تذهب جرأتك ، فالـكل جيد ، والـكل جميـل ، والـكل عظيم في مكانه . ففي ناظر خالق الوجود تحوي الحشرة عالما بنفسها .

— ٤ —

ولـكنك تقول إن هذا القانون يثير عداءك ، ولا يبدو في نظرك عن هوى غريب ، وشرك نصب ليكبو العقل في كل خطوة يخطوها .

لتعترف بذلك يابيرون دون أن نحاكه .

ما أشبهني بك . فمعلى انتمر فى الظلمات ، ولكن ليس على أن أشرح لك حقيقة العالم ، فالذي أبدع الوجود يلقنك الدرس الوافى .

كنت كما سبرت عمق الهوة ضمت فى فيافيها .

وفى هذه الدنيا لم أر سوى الألم يرتبط بالألم ، والنهار يتبع سير النهار ، والشقاء يلازم ظل الشقاء ، والانسان السخيف بطبيعته ، اللامتناهى بنذوره ، إله زل من عليائه ، يفكر فى سمائه .

حرم مجده القديم ، فاحتفظ من مقدراته الضائعة بالذكرى وغور ميوله السحيق يتنبأ عن عظمته المقبلة .

إذا علا أو سفل ، فالانسان سر عميق .

مقيد فى سجن الحواس ، على هذه الأرض . أسير يشعر بان له قلبا ولد يتنشق نسيم الحرية .

فياله تعساً يتعلل بالأمانى .

ويريد سبر غور العالم ، بناظريه الضعيفين

ويود أن يعشق دائما لولا أن ما يحب سريع الفناء .

كل فان يشبه طريد جنة عدن ، عندما طرده الإلـه من الجنـة السماوية ، فلمح بنظره الحدود المشؤومة التى تحيط به ، فجلس باكياً على الأبواب المغلقة دونه . سمع من بعيد ، من المسكن الالـهي زفرة الحب الخالدة ، ونغمات السعادة ، وأغاني الملائكة المقدسة ، تصل إلى أحضان الالـه لتمجد فضائله ، فهبط من السماء ، ثم أطلق نظراته من عنانها ، فوقعت على مصيره المؤلم ...

— ٥ —

يا لبؤس من يسمع أناشيد عالم يهواه وهو ناء فى منفى الحياة السحيق !

يرى الطبيعة تناضل خمر الخلود التى ارتشفها

يتأرجح كالحلم ، عندما يرى الحقيقة ضيقة فى مكانها ، والمستحيل واسعا فى فضائه ، والروح مثقلا بالميول لا يجد مأوى يغرف منه حباً وعلوماً أبداً . والرجل فى محيط الجبال والنور ، ظمآن ، لا يروى غله ، فيسكر بالأحلام ، كي تعذب رقدته ، ويعود إلى نفسه إذا ما فاجأته يقظته

— ٦ —

وا أسفاه ! ما كانت آخرتك ؟ وما هى مقدراتى ؟

فقد شربت مثلك ، كأس الشك مترعة

وعيناى كعينيك ، فتحتا الأجفان دون أن تنظرا !

فعبثاً فتشت عن كلمة الوجود . طلبت أسبابه من الطبيعة . سألت آخرته من كل مخلوق . واستفهمت من الفلم حتى ألم . فرجع طرفى كليلا ، ونظرى حسيراً ، قبل رؤية قرار هوة العالم

كشفت غطاء الأزمان التى هرعت ، وأرجعت الأجيال التى مرت ، ماراً بالبحار ، مردداً أقوال الفلاسفة ، ولـكن العـالم بقى أمامي ، كما هو أمام علماء اللاهوت « كتاباً مغلقاً »

ولأتبين كنه الطبيعة كنت أفر بروحى إلى أحضانها

وخيل إلى أنى أجد معنى لهذه اللغـة الغامضة ، فدرست القوانين التى تدور حبها ، أجرام السموات ، فكان نيوتن يعتمد عبنى فى مهولها المنيرة . تأملت بقايا رفات المواهل ، ورأيت رومة متـدثرة فى ظلمات قبورها المقدسة ، والقديسين وقد أقضت مضاجعهم . وزنت بيدى رفات الأبطال ، وطلبت منه معنى الخلود الذى يأمله كل البشر ، ولـكن لم أجد فى هـذا الغبار الفانى معنى الخلود

ماذا أقول ؟

لازمت سرير الموتى ، لتفتش نظراتى عن معناه فى العيون المحتضرة

وعلى هذه الذرى التى توجتها الثلوج مدى الدهر

وفوق هذه الأمواج التى خططتها عواصف الرياح

ناديت دون مجيب

اقتحمت عثار الأحجار وظننت كالعرافة أن الطبيعة بمشاهدها النادرة سـترى إلينا باحدى عجائبها ، فأحببت أن أغمر نفسى فى هذه الرغبات الصامتة التى تتوالى

ولكنى ، فى سكوتى وهياجى ، فتشت عبثاً عن كنه هذا السر العظيم ، فرأيت في كل مكان إلها لا أفقهه . رأيت الشر أثر الخير دون خبرة ، ودون هدف يسيران كالصدفة ، رأيت فى كل مكان الشر يختار ، فجدفت بحق السماء دون معرفة ، فرن صوتى ولاحق السماء كالصدى المدوى ، ولكنه لم يرهب القدر ، ولم يغضب الصير

« البقية فى العدد القادم » صبحى تفكجى

مقدمة المنهج الجديد

لتدريس الدين في مدارس الشام

للأستاذ الشيخ بهجة البيطار

« في مصر اليوم ميل قوى إلى الاقتراب من سائر البلدان العربية ، وتوحيد برامج التعليم فيها جميعاً . كما أن في مصر نهضة إسلامية قوية ، امتدت إلى ديار الشام فحفزت وزير معارفها الجليل إلى إجابة طلب الأمة وتلبية نداء مؤتمر العلماء ، فزاد ساعات الدروس الدينية في المدارس الابتدائية والثانوية ، وأصلح مناهجها ، وهذه هي المقدمة التي كتبها عالم الشام (كما كان يسميه الامام السيد رشيد رضا) الأستاذ الشيخ بهجة البيطار بتكليف من الوزارة لمنهج الدين في المدارس الثانوية ، اقترحت عليه نشرها في الرسالة لأن فيها دليلا على حركة فكرية جديدة في بلاد الشام ومن مبدأ الرسالة تسجيل الحركات الفكرية ولأن فيها عوناً على ما نريد من توجيه برامج التعليم في الأقطار العربية ، ولأنها بعد هذا كله فصل علمي قيم »

علي الطنطاوي

الاسلام دين عام لجميع الشعوب والأقوام « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » والقرآن هو الذي هدى من دانوا به من الأمم إلى جميع ما تمتعوا به من صنوف النعم ، وهو الذي أظهر على أيديهم تلك المدنية الزاهرة ، التي جددت ما اندرس من المدنيات الغابرة ، وأوجدت أصول مخترعات الأمم المعاصرة . وبناء على هذا الأساس ، نوجه أنظار الأساتذة الكرام وأفكارهم إلى ما يأتي : —

١ — بيان أن القرآن الحكيم هو الذي هدى السلف إلى الجمع بين مصالح الروح والجسد ، فهم بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد ، وزكت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات ، عُنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدّها الاسلام من الفروض ، وأوجبها على الأمة إيجاباً لا هوادة فيه . قال تعالى : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » وهذا النظر علمي عملي ينتج أفضل النتائج والثمار ، وقال : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » وهذا التسخير تسخير تمكين وانتفاع ، واكتشاف واختراع ، وقال : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وهذا خطاب عام لهذه الأمة يدعوهم ويوجه نظارهم إلى ماخلق تعالى في جوف هذه الأرض من الكنوز والمعادن ، ويرشدهم إلى الاستفادة منها ، ويثبت أن جميع ما استحدثته أمم الغرب في هذا العصر من القوى البرية والبحرية والجوية ، ومن قوى الكهرباء ، وسائر ما ظهر في الوجود من المخترعات والمكتشفات ، هو مما أرشد إليه الاسلام ، فردُّه ردٌّ لنصوص القرآن ، وتعطيل لأحكامه ، وتجريد لهذه الأمة من كل ما يعزز قوتها وينمي ثروتها ويحمي حوزتها ويدفع عوادي الشر عنها . وأي جناية على الاسلام وأهله أشد من هذه الجناية ؟

٢ — بيان موافقة تعاليم القرآن وهدايته ، لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، وأن مثل هذه الآيات الكريمة السابقة هي التي أرشدت سلفنا الصالح إلى ما في السموات من أسرار ومنافع ، وما في الأرض من كنوز وذخائر ، فارتقت عقولهم وأفكارهم بالعلوم الالهية ، والفنون الصناعية ، إرتقاء سادوا به الأرض ، وساسوا به العالم سياسة هي في نظر المطلعين على تاريخ الأمم القديمة والحديثة أفضل مثال للعدل والرحمة ، ثم بيان أن شقاء البشر الحاضر العام لأمم الحضارة وما فيها من فوضى الآداب والاجتماع ، لا يزول إلا باتباع هداية الدين

٣ — تطبيق ما في القرآن الحكيم من المواعظ والعبر ، على حال أهل هذا العصر والاتيان بالشواهد والأمثال على ذلك ، وبيان الفرق بين ماضي المسلمين وحاضرهم ، وحجة القرآن الكريم عليهم

وهذا كله من موضوع علم التفسير : تذكر هذه الآيات الكريمة بمناسباتها وتفسر بالظاهر المتبادر منها ، بأسلوب ينطبق على أذواق الطلاب وأفهامهم ويحملهم على العمل بها في أنفسهم وفي أمتهم

٤ — مما يجب بيانه في دروس التوحيد قولُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه « إنما تُنقض عُرى الاسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية » وهنا يبين أن العرب كانوا في جاهليتهم مؤمنين بوجود الله تعالى ، موحدين له في أفعاله من خلق ورزق وإحياء وإماتة ، وتصريف لجميع الأمور . وهذا هو المسمى « توحيد الربوبية » ويستشهد لذلك بالآيات الكريمة كقوله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُن الله » و كقوله : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ... الآية » و كقوله : « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ... الآيات »

وإنما كان شركهم في توحيد الألوهية، أي في توحيد العبادة، وهو أنهم لم يقصروا عبادتهم بأنواعها على مستحقها وهو الله وحده كالدعاء والخوف والرجاء، والاستعانة والاستغاثة، والذبح والنذر ليقربوهم إلى الله على زعمهم، قال تعالى: « ألا لله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى... الآية » وقال تعالى: « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله... الآية » فرد الله عليهم هذا الزعم الباطل بهذه الآيات نفسها، وبالآيات السابقة في توحيد الربوبية « ولئن سألتهم » « قل من يرزقكم » وأقام عليهم الحجة بما أقروه من انفراده تعالى بأفعال الربوبية، على ما أنكروه من وجوب إفراده تعالى بالعبادة

ومن صنيعهم أنهم كانوا في الشدائد يخلصون لله في الدعاء كما قص علينا من شأنهم بقوله: « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذاهم يشركون »

٥ — من المهم بيان أن الخوف نوعان: خوف عادة كالخوف من عدو أو سبع مثلاً، وهذا خوف طبيعي لا محذور فيه، وخوف عبادة، كالخوف من تصرف غائب أو ميت، بعباد الله، كتصرف الله بمخلوقاته، وهذا فيه كل المحذور لأنه يتضمن اعتقاد أن لبعض المخلوقات قدرة على التصرف بأنفس الأحياء وأموالهم، كقدرة الله تعالى، وهذا يخالف الحس والواقع، ويناقض عقيدة التوحيد بأفعال الله تعالى. وهكذا سائر الصفات منها طبيعي ومنها غير طبيعي؛ فمن الطبيعي مثلاً خوف موسى عليه السلام من عصاه لما انقلبت حية « قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » ومن غير الطبيعي حب بعض المخلوقات حب عبادة، كما يحب المؤمن ربه، قال تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله » أو خشيته كما يخشى المؤمن ربه، ومن شواهده قوله تعالى « إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » ومن الأول أيضاً (أي الطبيعي): « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » ومن الثاني (أي دعاء العبادة): « وأن المساجد لله، فلا تدعوا مع الله أحداً » وهكذا الاستعانة والاستغاثة، منها ماهو عادي طبيعي كاستعانة الناس بعضهم ببعض فيما يقدرون عليه، ومنه قوله تعالى: « فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه »، فهذا داخل في دائرة الأسباب والمسببات، ومنها ما هو فوق قدرة البشر، كشفاء المرضى في الدنيا وإدخال الجنة في الآخرة، فهو خاص بمن هو على كل شيء قدير؛ ومنه قوله تعالى: « إياك نعبد وإياك نستعين »؛ فيجب التمييز بين الأمور الكسبية والأمور الغيبية. فالأولى يمكن طلبها بأسبابها ومن القادرين عليها، والثانية عبادة، وهي لا تكون إلا لله وحده، فيُلجأ إليه في طلبها ويُتوكل عليه في تحصيلها. وليُنتبه لهذا الفرق فإنه عظيم

٦ — بيان أن عرب الجاهلية كانوا أربع فرق: فرقة كانت تدعو الجن، والثانية الملائكة، والثالثة تعبد الرسل والصالحين، والرابعة وهي أحط الفرق الأربع كانت تعبد الأوثان التي نحتتها على مثال الصالحين. وهذا البيان، من افتراق المشركين إلى أربع فرق قد بينه القرآن، وكلم كل فرقة بحسب ما تعتقد ورد عليها، وإليك الآيات التي تدل على ذلك:

الأولى: الفرقة التي كانت تدعو الجن « ويوم يحشرهم جميعاً، ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون، فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرا »؛ وقال تعالى في شأن هذه الفرقة أيضاً: « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له (اخترعوا) بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون »؛ وقال تعالى في شأن دعاة الملائكة والرسل والصالحين وهما الفرقتان الثانية والثالثة: « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، إن عذاب ربك كان محذوراً » ولا يمكن لعاقل أن يزعم أن الأصنام كانت ترجو رحمة أو تخشى عذاباً

وقال تعالى في شأن الفرقة الرابعة وهم عبدة الأوثان الذين نحتوها على مثال الصالحين: « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين، ألهم أرجل يمشون بها... الآيات » وجميع هذه الفرق كانوا يعتقدون أن الخالق لكل شيء هو الله تعالى، وأن دعاءهم لمن يدعون ليقربوهم إلى الله زلفى، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم جميعاً بقوله: « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وقد تقدم ذلك. ومن هنا يتبين خطأ من يظن أن الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام وحدهم، وقد علمت أن القرآن الكريم تكلم مع كل الفرق

٧ — يراجع تفسير هذه الآيات الكريمة قبل إلقائها على الطلاب فى كتب التفاسير المعتمدة ، ليعلم سياقها وسباقها ، والأسباب التى نزلت فيها وما فسرها به من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعون لهم باحسان كتفسيرى إمام المفسرين ابن جرير ، والحافظ المحدث بن كثير . ثم تفسر بأسلوب سهل خال من المصطلحات ، فيكون الأستاذ قد جمع فى تفسيرها بين القديم والحديث على أصح الوجوه وأحسنها .

أما الآيات الكونية فيرجع فيها أيضاً إلى ما فسرها به العلماء من محققى هذا العصر .

٨ — تشرح فى دروس الفقه أركان الاسلام الخمسة التى وردت فى حديث « بنى الاسلام على خمس » ويبين معنى كلمة التوحيد التى هي ركن الدين وأساسه الأعظم ، وأنها (أى لا إله إلا الله) مسقطة لجميع آلهتهم (أى العرب قبل الاسلام) هادمة لأنواع عباداتهم ، ومثبتة لعبادة الله وحده الذى وحدوه بربوبيته (أى بأفعاله) ولم يوحدوه بألوهيته (أى بعباداتهم له كما تقدم) فمعنى (لا إله) هو نفى لكل معبود فى الوجود وإبطال لعبادته ، وكلمة (إلا الله) إثبات لعبادة المعبود بحق وحده وهو الله تعالى ، ولو كان معناها (لا خالق إلا الله) أو ما هو فى معنى ذلك من أفعال الربوبية كالرزق والاحياء والاماتة لما استكبروا عن النطق بها ، لأن هذه الأفعال لم يدعوها لآلهتهم ، وتقدم بيان هذا فى توجيهات التوحيد ، فيجب على الأساتذة أن يشرحوا هذه الحقيقة لأنها أصل الأصول وحقيقة الحقائق .

٩ — بيان المقاصد الدينية والحكم الاجتماعية للصلاة والزكاة والحج والصيام ، وتبين أيضاً فوائد العبادات فى معترك الحياة العملى والجهاد القوى . (فالصلاة) الروحية البدنية التى هى فرض عام على كل مكلف ، تنهى عن الفحشاء ، وأشد الفواحش والمنكرات فتكاً وهتكاً هى تلك الجيوش المنوية التى فتحت بلاد الشرق لما عقولها وجسومها وجيوبها كالخمر والميسر والزنا والربا والانتحار ، فكثير ممن أضاع الصلاة واتبع الشهوات وقع فى هذا التيار الذى أسلمه إلى الجنون أو المنون ، فكان ذلك من أشد المصائب على الوطن . (والصيام) الذى يدعو إلى إمساك المعدة عن الطعام ، وسائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له ، يعلم الثبات على خلق (أى مبدأ) قويم لا محيد عنه . فالصائم الذي يغلب عقله شهوته ولا يخون دينه بالأكل نهاراً — سراً أو علانية — لا يمكن أن يخون وطنه أو يخدع فى أمره فيبيعه بثمن بخس من غير أهله . (والزكاة) إعطاء نصيب معلوم من المال للفقراء والمساكين الذين أقعدهم العجز عن العمل ، دون الكسالى المتسولين القادرين على الأكل من كسب أيديهم (وبقية الأصناف الثمانية فى آية : إنما الصدقات للفقراء والمساكين ...) فاذا حفظت الزكوات والوصايا لمستحقيها ووزعتها عليهم جمعيات التعاون على البر والتقوى ، ذوات الاختصاص بتمييز المستحقين من غيرهم ، كانت هذه أفضل طريقة تجمع بها الأموال من المحسنين لإطعامهم وإيوائهم وتعليم أبنائهم . (والحج) أعظم مؤتمر إسلامي حر ، وأكبر نقابة فى الدنيا تبحث فى شؤون المسلمين ومصالحهم ، وتوازن بين ماضيهم وحاضرهم ، وتدافع عن حقوقهم وحرياتهم ، وتؤلف بين شعوبهم وقبائلهم . ثم هو فريضة الاسلام والركن الاجتماعى العام الذى يربط أفراد الأمة الاسلامية بعضهم ببعض ، ويشد أواصر التآخى والتراحم بينهم ، وينزع الضغن والحقد من بينهم فيصبحون بنعمة الله إخواناً .

١٠ — المعلمون ورثة الأنبياء فى تعليمهم وأخلاقهم ، ومن شأن أساتذة الدين أن يكونوا من أكمل البشر وأفضلهم فى آدابهم وأعمالهم ومعاملاتهم ، ويجب أن تتجلى فيهم مزايا العبادات المذكورة فى هذه المقدمة وفوائدها ، وأن يكونوا هم صورة كاملة لها ، فهم القدوة الصالحة التى ينشدها الطلاب والمدارس ، والمثل العليا تستملى من صفاتهم وأعمالهم ، لا من الكتب التى بين أيديهم فحسب . والرجاء فى أساتذة الدين أن يصحبوا طلابهم فى المصلى والمسجد (لا فى المقهى والملهى) ويكونوا أئمة لهم فى بعض الصلوات ، ومؤتمين بهم فى البعض الآخر ، ولا يرى الطلاب من معلمهم مأخذاً لهم يتمسكون به (كعادة التدخين الضارة مثلاً) بل يجب أن يلاحظ رؤساء المعارف كافة والمعلمون منهم خاصة ، وأساتذة الدين على الأخص ، أنهم ليسوا أشخاصاً عاديين لأنهم يربون أرواحاً ويصلحون إصلاحاً ، فبهم يقتدى ، وبهديهم يهتدى ، وليذكروا قول المصلح الأعظم صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . »

محمد بهجة البيطار
عضو المجمع العلمى العربى بدمشق
وأحد أعضاء لجنة (تنقيح المنهج)

من الأدب المنحول

في عيد ميلاد المسيح

المرحوم مصطفى صادق الرافعي

« قلت في العدد الماضي إن صديقاً من أصدقاء الرافعي طلب إليه مرة أن يعد كلمة عن المسيح لتلقيها فتاة مسيحية في حفلة مدرسة أجنبية في ليلة عيد الميلاد ...

« وكتب الرافعي كلمة في تمجيد المسيح فدفعها إلى صديقه. وألقتها الفتاة في حفل حاشد من المسيحيين ، فكانت عند أكثرهم إنجيلا من الانجيل ... »

« فهذه هي الكلمة التي عنيت » سعيد العريان

أيها السادة :

ملك من ملائكة الرحمة ، يهبط من سماء الله آتياً من حدود الأبد ، ولجناحيه حفيف طالما أنست به نسمات الجنة ، وتملقت بأطرافه أرواح أزهارها الخالدة ، كأنها معاني الورد في لفظ عطر الورد ...

صفّ جناحيه العظيمين ثم خفق بهما خفقة ، فانزوت له سماء وسماء ، وأسلمه فضاء إلى فضاء ؛ فإذا هو في ذؤابة هذا الكوكب الأرضي ؛ فوقف هناك عند الحد الذي أقامه الله بين المعنى الخالد والمعنى الفاني ، الحد الذي يبتدىء منه ضوء الشمس رقيقاً مستشمراً من رحمة الله ، فيكون للمخلوقات الأرضية نوراً وحياة معاً ، وهو في أصله لهب ماحق لو ألقيت فيه كرة الأرض لاستحالت في لحظة واحدة شعلة واحدة

هناك حيث تزدحم الأقدار ، على مداري الليل والنهار ، وقف الملك الكريم ولا تزال على قوادم جناحيه مسحة زاهية من نعيم الخلد ، ولا يزال فيها روح من ريحان الجنة ... وقف ينظر فاذا الأرواح الانسانية صاعدة من الأرض في زحام ، منهزمة من شرور الناس أيّ انهزام ، متقهقرة إلى ربها بعد المعركة بلا نظام.

فصرف وجهه ناحية ثانية ، فاذا دعوات المظلومين ، وأنات المحزونين ، وتأوهات المساكين ، وزفرات الوالدات والوالدين فانفتل إلى ناحية غير الناحيتين ، فاذا الحياة الأرضية كأنها خيط وضع من مقراض الفناء بين شقين ، أو غريق يخبط في لجة بين ساحلين ، ولا يدري قبره في أي الساحلين ، أو المحكوم عليه بالموت أوقف بين سيفين ، ولكن الموت واحد في السيفين .

فلم يبق من الجهات الأربع إلا جهة واحدة فتحول إليها الملك ، فاذا هناك في أقصى الأفق معنى الرحمة الانسانية وقد انكمش وتضاءل وأخذ منه الهزال كأنه مريض ، أو كأن الحزن على الناس قد أذابه فقطع الرجاء منهم وانزوى في ناحية ينتظر نهاية هذا القدر المنصب من السماء على الأرض .

جزع الملك من ذلك وكاد ، وهو قطعة من الخلد ، يداخله الخوف ويخالجه الشك وتمسه بعض آثار الحياة الفانية ، فقال ما بالي قد تبللت أجنحتي من رشاش هذه الدموع وهذه الدماء ، وما بال هذا العالم الآخر ليس فيه إلا متألم لميت أو متألم لحي أو متألم لنفسه ، وما بال الحياة قد أمست من شدة بؤسها وكدرها وهمومها تطحن أكثر مما يطحن الموت ؟ هل بقي شيء إلا النفخة في الصور ، وبعثرة من في القبور ، ووقوف الفلك الدّوار فلا يدور ، وانطفاء نور الأرض فلا ظلام ولا نور ؟

وقف الملك الكريم أربع سنوات وأشهرا [1] وهو ينتظر يوما يرى فيه السماء مسفرة الوجه برضا الله ونعمته ، بعد غضبه ونقمته ، فلما سطع ذلك اليوم المضيء وأبرقت بفجره أسارير السماء هز الملك جناحيه على المشرق والمغرب وانتفض في جو الأرض انتفاضة ملائكية أطفأ بردها غيظ القلوب المتأجج الذي تشاتمت به أفواه المدافع زمنا طويلا ، وهب نسيمها الآتي من الجنة فدفع إلى ناحية الجحيم كل روائح البارود ودخان القنابل ولهب النار

ثم ضحك الملك مسروراً فانتثر من ضحكه الابتسام على كل الشفاه ، وأصبح جو الأرض من مطلع الشمس إلى مغربها وهو يتلألأ كأنه ثغر طفل يضحك في وجه أمه .

وسمع الملك حمد الناس وشكرهم وتهنئة بعضهم بعضا ، ورأى الأرض وقد سكنت بعد غليانها وأقبل أهلها يصلحون ما فسد ، ويبنون ما تهدم ، ويديرون في الأرض حركة جديدة ويسخرون العناصر لبناء الطبيعة الاجتماعية أو لهدمها كما كانوا يفعلون

(١) يشير إلى سني الحرب ، وأحسبه أعد هذه الخطبة في عيد الميلاد من سنة ١٩١٨ « العريان »

نظرة خاطفة

تطورات الادب الحديث

للاستاذ فؤاد الطوخى

لو بعث أعرابى فى الجاهلية وقرأ ما تفيض به أقلام الكتاب فى هذا العصر لأعجزه فهم المعانى والمرامى ، بل لأعجزه فهم التراكيب والأساليب، ولخرج من مطالعته وكأنه لم يقرأ ولم يفقه شيئاً . ذلك لأننا تكتب بلغة العرب وندرك الأشياء بعقول هى أقرب ما نكون إلى عقول الغربيين، ونستمد منهم العلم ونستوحيه، ونرتوى من مناهلهم ونغترف، ولا يزال العالم العربى كله يترسم خطاهم ويلف لفهم ، ويعاونه على ذلك مرونة اللغة ، فهى تتسع لمختلف الأساليب وشتى التراكيب ، ولا تنقصها الابانة عن معانى الغرب كما أبانت عن معانى الشرق .

وهذا التطور الناشيء من طغيان أدب الغرب على اللغة قد تقلت موازينه على التطورات الطبيعية التى تصيب اللغات من توالى الأجيال وما يلابسها من اختلافات فى عالم الفكر وأساليب الحكم وصعود في المشاعر الانسانية وهبوط . وما الأدب الرفيع إلا دعامة من مقومات الأمة ، ومظهر من مظاهر حياتها ونزعاتها؛ بل ترجمان نهضتها يكشف عن أسرارها ويظهر ما كمن فى نفسيتها وما استتر . فلما تهيأت أسبابه إبان النهضة المصرية الحديثة فى عهد الخديو اسماعيل لم يكن بين المصريين من يعرف الصحافة أو يستسيغها ، فنشطت جماعة من أدباء سوريا ممن كان الاستبداد التركى قد أرغمهم على الهجرة إلى أرض الفراعنة — إلى غرس بذور الأدب ، فرحب بهم اسماعيل باشا وشجعهم على إصدار الصحف والمجلات وإنشاء فرق التمثيل وقرض الشعر وتأليف الكتب الأدبية . واتصلت مصر بسوريا اتصالاً أدبياً وثيقاً ، ولسنا نقول إنهم أجادوا فيما أخرجوه للناس بادىء ذى بدء ، ولكن معظم تلك الأقلام على اختلاف ألوانها لا يروقك منها اليوم إلا النذر اليسير . ولم ينزل المصريون إلى هـذا الميدان إلا بعد فترة من الزمان . وكان الأزهر الشريف يومئذ يغط فى الجمود غطيطاً حتى جاءه جمال الدين فأحيا مواته ونفخ فيه من روحه ، وغادر مصر بعد قليل وقد أسلم راية النهضة إلى الأستاذ الامام العظيم الشيخ محمد عبده ، فعمل مع من التف حوله من تلاميذه الأخيار على إعلاء كلمة الأدب ، وأرسل من صحن الأزهر الشريف شعاعاً من النور لم يلبث أن بسط رواقه على بعض الأرجاء. ومنيت هذه النهضة بصدمات عنيفة يوم أرغم نصيرها ومحييها الخديو اسماعيل على اعتزال الحكم، وعاد الجمود ولكن لا يمكث طويلا، وإنما مكث إلى أن تدور دورة الأيام وتهدأ الأعصاب ويستجم الأدب قوته ويستعيد سيرته، إذ هيهات أن يحول حائل دون نمو شجرة أحكم زرعها وقوى أصلها. وما هى إلا عاصفة أثارها العرابيون حتى نفض الأدب عنه غبار المدأة وخرج يتلمس مكانه تحت الشمس ، وكان الشيخ محمد عبده فارس هذا الميدان أيضاً فجال بقلمه وصال، بل كان رئيس الوزارة نفسه البارودى شاعراً وكاتبا ، وملأ عبد الله نديم الميادين والطرقات بخطبه وقصائده وأزجاله ، وعالج آل المويلحى فنوناً من الأدب لا تزال بلاغتها تهز القلوب وتثير الشجون . وجاء الاحتلال فجاء معه الجمود للمرة الثالثة ، ولكن لا ليستقر أيضاً وإنما يهدأ قليلا ريثما يعود الأدب من جديد ملكا ذا سطوة وبأس منادياً بالحرية مصوراً شعور الأمة بمقت الحكم الأجنبي . وفى ذلك الحين بدأ نجم شوقى يعلو ويلمع ، وتلاه حافظ ، وتربع على دست الصحافة الشيخ على يوسف فى دار « المؤيد » ثم تلاه الاستاذ الامام أحمد لطفى السيد فى دار « الجريدة » وكانت لا تزال الصحافة السورية راجحة الكفة قوية الشكيمة . وأناخت على الأدب الحرب العظمي بكلكلها ولكن ما جاءت سنة ١٩١٩ حتى وصل الأدب ما انقطع ، ولا حق ما سابق ، وهب أقوى

فقال : الآن أصلحت بين الناس وأصلحت الناس للناس ، ثم رمى بطرفه إلى الجهات الأربع فاذا معنى الرحمة قـد ملأها واستفاض عليها ، فهز جناحيه صاعدا فى فلك النور ، وفى أذنيه تهليل الناس وصلواتهم ، حتى إذا انتهى إلى أفقه الأعلى كانت الكلمة الأخيرة التى دخلت معه إلى سماء الله هي نفس الكلمة الأولى التى خرجت من سماء الله

« وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة »

سلطانا وأكبر نفوذا . فازدادت المجلات والجرائد المصرية دون السورية زهورا وانتشارا ، واتسع مجال التأليف ، وتعددت نواحى التفكير .

وأبرز ما يبدو فى الأدب العربى الحديث هو الحيرة وعدم الاستقرار والخلو من الوحدة والتجانس والتماثل ؛ فهو لم يعد بعد طور التكوين ولم تقم له شخصية جلية فهو فى ذلك إنما يتمشى مع روح الأمة ومشاغلها وأمانيها ، ففى مصر مثلا كان أكبر مايشغل الأذهان ويتغلغل فى النفوس هو السعى فى سبيل الحرية ، فانطبع الأدب بهذا الطابع وظهر أثره فى الصحف والمجلات والخطب والتقارير وما إلى ذلك ، فتغنى الشعراء بأناشيد وطنية تمس نواحى الأمل تارة ، ونواحى الألم تارة أخرى ، وكلما تطورت المواقف تطور معها الأدب وجرت بها أقلام الكتاب من حيث يشعرون أو لايشعرون .

ومن العجب العجاب أن الأدب الرفيع قد لاقى من صنوف التنكيل والمقاومة من جبروت الحكومات المستبدة ، ومن استهتار الجمهور به ومن إغضاء أغنيائنا عن تعضيده مالو حدث فى غير مصر لتحطمت الأقلام ونضبت الأفهام ، وساد الظلام ، ولكن كتابنا استبسلوا واحتملوا الفواجع فى سبيل الاعراب عن آرائهم الحرة ، فنالوا تقدير العارفين وخلدوا فى تاريخ مصر المجاهدة صحائف من نور . على أنه لن يمر زمن طويل ، مالم تتأثر مصر بمؤثرات دولية ليست فى الحسبان ، حتى تهب من أقصاها إلى أقصاها إلى الأخذ بأسباب الاصلاح ويتبع ذلك تطور وتجديد فى عالم الفكر وعالم القلم ، وتدور رحى المعارك الصحفية على الأعمال لا على الأشخاص ، وعندئذ تبرز الشخصية المعنوية للأمة وتبرز معها شخصية الكتابة والكتاب فتستقر فى قرار مكين وتصبح فى مأمن من زعازع السياسة ومنازع الأغراض فلا يعصف بها استبداد ، ولا يلويها عن قصدها حب فى سيطرة أو استعباد

على أنه رغم تلك الاضطرابات العامة والقلاقل الجمة ، فان مصر بحمد الله قد ظفرت بطائفة من الكتاب لا تقل علماً وأدباً وقوة ومثابرة عن أمثالهم فى أعظم الأمم المتحضرة المجاهدة ، وما ذلك إلا لما هم عليه من ذكاء نادر وعلم وافر ومضاء فى العزيمة وقوة فى الشكيمة . وإذا حق لمصر أن تفخر بأبناء الجيل الحاضر فمن الانصاف أن نضع فى مقدمتهم الأساتذة الكرام « العقاد ، والزيات ، وهيكل ، وطه حسين ، والمازنى ، وزكى مبارك ، وسلامة موسى » وغيرهم .

والظاهر أن الحكومة قد فطنت إلى ضرورة تشجيع الأدب فقررت منذ عام وبعض عام منحهم جوائز على موضوعات يتبارون فيها ، فكانت فكرة موفقة ، ولا نعلم لماذا لم تستمر فى ذلك ! ولعلها تذكر أن من أكبر الأسباب التى دعت إلى ظهور طائفة كبيرة من الأدباء والشعراء الخالدين فى العالم العربى ، الصلات القيمة والمنح الكريمة التى وهبها إياهم الخلفاء تقديراً لنبوغهم وتشجيعاً لغيرهم . ولسنا بملتمسين غير العدالة — إن لم يكن الحق — إذا نحن وجهنا نظر حكومتنا إلى ضرورة منح المجلات الراقية فى مصر إعانات كفيلة بتوطيد دعائمها حثاً لها على الاستزادة من خدمة قرائها تعميماً للثقافة وتعضيداً للعلم ، ولها فى ذلك أسوة بالمدارس الحرة ودور المسارح والملاهى

فؤاد الطوخى

بين الفن والنقد

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

تدرج الطبيعة بالانسانية فى مدارج الرقى والكمال ، وتنهج بها مناهج السمو والتطور ، فتحرص على النافع وتختار الأصلح ، وتجدّد دائماً ! فتنتقل الناس من حال إلى حال ، وتخرج بهم من وضع إلى وضع ، وما أداتها فى هـذا إلا الشخصيات العظيمة ، والنفوس الكبيرة ، والارادات القوية الوثابة ، التى تحمل فى أطوائها عظمة الطبيعـة نفسها ، فاذا هى فى أعمالها وحياتها ومواهبها برامج سامية للجنس ، وشرائع عالية للنوع ، وعوامل ناهضة بدهماء الناس من ظلمة الخمول ، وحمأة الانحطاط ، ومُثل رفيعة تثير بروعتها فى النفوس أعمق الخواطر ، وتلهمها الانشاء والخلق والابداع !

وما الأدب فى وضعه الشامل ، ومادته المتصلة بكل شئ إلا دنيا حافلة ، وإنسانية كاملة ، فهو — كما يقول مكسيم غوركى — مرآة الحياة تنعكس على زجاجته المصقولة ، فى هدأة الحزن أو ثورة الغضب ، سائر مشاكل الحياة وشعابها المترامية ، وخيوطها المشتبكة ، ومناحيها المتنائية ، كما تنعكس كذلك على أديمه الشفاف كافة رغباتنا وشهواتنا ومشاعرنا وآمالنا ، والجداول العميقة الراكدة لحماقتنا وطيشنا ، وسعادتنا وشقائنا ، وشجاعتنا وفرقنا ، أمام الغد المجهول ، والمصير المحتوم ، ومعانى الحب والبغض لدينا ، وسائر معايب نفاقنا وعار أكاذيبنا ، ومهانة خداعنا ، وركود أذهاننا ، وآلامنا التى لا ننتهى منها ولا تنتهى منا ، وجلة آمالنا الخفاقة الملهبة لشعورنا ، المتنزية فى خواطرنا ... وبالاختصار هو كل ما يحيا به العالم وسائر ما يعتمل وينبض فى قلوب البشر ...

فدنيا الأدب هى دنيا الناس تامة كاملة ، يصـوزها لنا الأسلوب المهذب ، ويرسمها التعبير الفنى الجميل ، وإن النهج الذى تسلكه الطبيعة فى دنيا الناس للسموّ بالانسانية ، والترقى بالعالم ، هو هو بعينه النهج الذى يحتذيه النقد فى دنيا الأدب لخدمته وصقله وتهذيبه واختيار الأصلح منه ... كما تفعل الطبيعة تماماً فى دنيا الناس المادية المحسوسة ، وما النقد إلا رسالة من رسالات الطبيعة وعمل من أعمالها ، فمن المعقول أن يحتذيها فى مهمته ، وأن يكون على غرارها فى وضعه ، فهو — على ما يجب أن يكون — إرادة قوية تكشف وتوضح ، وتختار وتميز ، وتنفى وتثبت ، وتزجر وترشد ، قد تبتر الضعيف ، وقد تحابى القوى ، وما قصدها فى ذلك إلى البطش والانتقام ، ولا إلى المداهنة والمحاباة ، ولكنها تقصد إلى صقل الخواطر ، وتهذيب المشاعر ، وتطهير الأفكار من مظاهر البساطة الأولى التى تكون للناس إذ يخرج من أحافير الأرض ، فما تزال تتعهدها بذلك حتى تقيمها على الوجه الصحيح النافع ، فاذا هى سمو بالانسانية ، وصلة بالحياة ، ومادة للخلود ، ومبعث الروعة والجلال على مدى الدهر وطول الأيام ...

والأدب والنقد يهدفان إلى غاية واحدة ، ويتعاونان فى مهمة متفقة ، فالأدب — كما يقول الرافعى — يقدّر لهذا العالم قيمته الانسانية بأضافة الصور الفكرية الجميلة إليه ، ومحاولة إظهار النظام المجهول فى متناقضات النفس البشرية ، والارتفاع بهذه النفس عن الواقع المنحط المجتمع من غشاوة الفطرة ، وصولة الغريزة ، وغرارة الطبع الحيوانى ؛ والنقد من وراء الأدب فى هذا كله ، يصح له هذا « التقدير » من جميع جهاته ، ويسدده على طريقه القويم ، ويدله على الصور الرائعة التى يصح أن تكون مثلاً أعلى لما نطلبه من جمال الحياة وجمال العواطف ، ومن ثم كان النقد — كما يقول شوقى — حارس الأدب ، ومكمل الكتاب والكتب ، ومن ثم أيضاً كان النقد أساساً لكل نهوض أدبى مثمر ، فاذا ما رأيت أدباً مهذباً يغمر أصحابه بالحياة ، ويؤدى لهم غـذاء العواطف والعقول ، ويملأ نفوسهم باليقظة والحكمة والاحساس ، ويرفعهم عالياً إلى الكمال الانسانى ، ثم رحت تلتمس السبب فى ذلك فلن تجده إلا النقد ، ثم النقد ، ولا شىء غير النقد ...

قال لى أديب كنت أبسط له هـذا الرأى : ولكنك تعلم ياصاحبي أن أهل الفن قوم خلقهم الله أحرار المواهب ، فهم يطلبون حرية الفكر ، وذلك عندهم كل شيء ، ولعلك تذكر فى ذلك قول ملتون الخالد « أعطنى حرية القول ، وحرية الفكر ، وحرية الضمير ، ولا تعطنى شيئاً غير ذلك » والنقد إنما هو ضرب من ضروب الحجر على هذه الحرية وحبسها عن التحليق فى سماء الفن وجو الحياة الفسيح ، ولاشك أن الفنان إذا ما فقد حريته

فقد فقد عبقريته ، وتلاشت شخصيته ... ثم أنت تعلم أن حياة الفن إعجاب وتقدير ، وأن الفنان فى حاجة كبيرة إلى العطف والثناء والمدد والبخور ، ولكن النقد كثيراً ما يرهق أعصاب الفنانين — وهى الدقيقة المرهفة — بصلف الأستاذية ، وعنت الحزازة وعبث التطفل ، وكثيراً ما هوى فنانون صرعى هذا الطغيان أو قل هذا اللؤم ، وكثيراً ما أحجم كرام فضلاء عن الظهور فى الميدان ضناً بأعراضهم أن ترتع فيها الألسنة الضراة، وصوناً لآثارهم أن تبتلى بلئيم لا ينصف ، أو جاهل يتعسف . وقديماً قيل : أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل ! وهذا ما يجعلنى أعتقد أن النقد عداوة للأدب، وتهجم على كرامة الفن، وأنه طاغية مستبد ، يهدم ويثبط ، ويندفع فى جبروته واستبداده لا يلوى على شىء ولا يحفل بشىء ولا يفيد فى شىء . . . وهذا ما جعلنى أيضاً أرتاح لصنيع ألمانيا يوم حرمت النقد الأدبى ، ووقفت به عند عرض الموضوعات وبسطها دون التعليق عليها أو إبداء أى رأى . ولقد كان وزير الدعاية الألمانية على حق إذ يقول فى بيانه الذى أصدره فى ذلك الصدد : إن الفن لا يفقد شيئاً إذا ما بعد أولئك النقدة الأغرار من الميدان ، إذ العظمة الزائفة تسقط من غير أن يسقطها النقد ، أما أصحاب العظمة الحقيقية فيجب أن يسمح لهم بحرية الابتكار ، والاحتفاظ بكرامتهم الفنية ، ويجب أن تصان العبقرية الصحيحة من كل ما يؤذيها ويمهد لسقوطها !

ولقد يبدو هذا الكلام طريفاً لبعض الناس ، وأذكر أنى سمعت صداه فى ندوة أدبية ، وقرأت كلاماً بمعناه فى إحدى الصحف ، ولكنه فى الواقع أفن من الرأى لا يصح فى عقل ، ولا يستقيم فى منطق ، فان النقد ليس مصادمة لحرية الفنان فى شىء ولكنه نهوض بهذه الحرية إلى الأوج ، وارتفاع بها عن العبث ، وتقويم لها على المبادىء القويمة ، والرغبات النافعة ، وإذا كان له أن يقف بالفنان عند حدود ، أو يلزمه بقيود ، فليست هى إلا الحدود الفنية ، والقيود التى هى معالم الفن نفسه ودعائم كيانه ، وبالتزامها يسمو وينهض، وبمراعاتها ينمو ويفرع. فاذا ما أباح لنفسه أن يتعداها وأن يستهين بها ، هان أمره ، وهاض شأنه وذهبت شخصيته ، وانتهت رسالته ، كتلك القيود التى يتملص منها بعض الناس ، من تفريط فى حق اللغة ، وعدم العناية بالأسلوب ، والاستهانة بأوضاع العرف والأخلاق ، والتقاليد والدين !

ثم لماذا يناهض النقد الأدب ؟ والنقد والأدب صنوان يجمعهما الفن إلى أصل واحد ، ويربطها برباط العصبية والقرابة، أو على الأقل برباط الود والصداقة ، فاذا ما نظر النقد إلى الأدب وهو ينصح له ، أو يسخر منه ، أو ينكر عليه ، أو يعجب به ، فما هو فى هذا كله إلا الصديق الحدب ، والرفيق المخلص ، من واجبه أن يصور الأدب أمام نفسه بأغلاطه ومساوئه ، وصوابه ومحاسنه ، وأن يرى فى ذلك الرأى الصريح المخلص ، كما يفعل الأدب تماماً إذ يصور الحياة أمام نفسها بأغلاطها ومساوئها ، وصوابها ومحاسنها ، وأن يحكم فى ذلك برأيه وتقديره ، ولا عيب على النقد فى صنيعه هذا ، كما لا عيب على القاضى إذا ما أعلن كلمة الحق ، والواصف إذا ما قرر حقيقة الموصوف ، والصديق إذا ما صارح صديقه بالذى فيه ، ولكن العيب ألا يؤدى ذلك جهده ، ويهمل له وسمه ؛ وإن من خطل الرأى أن نحسب النقد عداوة للأدب ، وتهجماً على كرامة الفن ، وأنه طاغية مستبد لا يحفل بشىء ولا يفيد فى شىء ... فأن الطبيعة ليست بقاسية من ذهابها بالزبد ليبقى ما ينفع الناس ، والطبيب ليس بمتجبر ولا بمستبد إذا ما بتر العضو الفاسد لينجو المريض . والصائغ لا يقصد الشر إذا ما تناول حجر الماس بالاحراق والصهر والصقل ليخلص جوهره وتنجلى لمته ، وكذلك قل فى النقد إذا ما وضع الحق فى نصابه ، ودافع عن الفن فى نسقه الأعلى ، وعمل على تخليصه من شوائب الفضول والدعوى المزورة والمآرب المتهمة ، وإن من انقلاب الأوضاع والاستهانة بالحقائق أن نحسب التهذيب عداوة ، والصراحة تهجماً ، والتطهير هدماً وتثبيطاً ، وإذا كان بعض الأدباء لا يفيدون من النقد صقلاً وسمواً وتهذيباً وإرشاداً فليس الذنب ذنب النقد ، ولكنه التفريط منهم فى الانتفاع بالرشد والاصاخة إلى النصيحة ، وما هم إلا كالمريض ، يصف الطبيب له الدواء ، ويقدر عليه الغذاء ، ويقرر له ما يأتى وما يدع ، ولكنه يستهين بهذا كله ، وما يزال حتى ينوء بعلته ، ويتلف بدائه ، ثم يتبجح فيلحى الطبيب ! !

على أننا إذ نقول النقد ، فأنما نعنى ذلك الفن الجليل بقواعده المقررة ، وأصوله المحررة ، وغايته الشريفة ، وهو شىء أسمى من التقييم والتقريظ والاستجداء، وأنبل من العبث والغرور والتفيهق،

وأرفع من الشتم والحسد والحزازة وكل اعتبار شخصى ، وإن من اختلاط الأمر أن نحسب كل هذه من باب النقد ونعتبرها منه ، وما هى إلا اعتبارات رخيصة ، وسفاسف تافهة ، وشرور وآثام شأنها مع النقد شأن الأعشاب الضارة فى الروضة المطار . والنقد برىء منها ، بل إنه ليناهضها كما يناهض كل أذى وشر . ولقد صدق شوقى إذ يقول : « من نقد على غضب أسخط الحق ، ومن نقد على حقد احترق وإن ظن أنه حرق ، ومن نقد على حسد لم يخف بغيه على أحد ، ومن نقد على حب حابى وجمح به التشيع ، وإنما النقد فن كريم ، وهو آلة إنشاء ، وعدة بناء ، وليس كما يزعمه الزاعمون معول هدم ولا أداة تحطيم ... »

ثم إننا إذ نقول الناقد فلسنا نريده من أولئك المزورين الأدعياء الذين ليس لهم أداة النقد ، ولا عندهم وسائله ، ولكننا نعنيه من أهل النظر المميز ، والمتأمل الفاحص ، أولئك الذين لهم قدرة الحكم ، وفيهم قوة الصواب ، وعندهم وسائل الترجيح ، وغايتهم الانصاف ، وشأنهم خدمة الفن ، وهم من ضميرهم فى يقظة تلقى فى روعهم دائماً أن الناقد مستهدف يعرض عقله وثقافته وحكمه على الناس ، فاذا لم يخلص للحقيقة ، ولم يفطن إلى مواقع الصواب فى كل هذا عرّض نفسه للزراية والسخرية ، وتدلى بعقله وفنه إلى أسفل ...

والقوم فى أوربا يفهمون النقد بهذا المعنى ، ويجرون فيه على هذا الاعتبار ، والناقد لا يقوم فيهم إلا بهذه القوة وعلى هذا الشرط ، ولذا نجد النقد عندهم قد أزهر وأثمر ، وأفاد ونفع ، فهو مجلى العبقريات ودعائم النبوغ وظل التأليف ، وعضد الفن ، يذعن له الأدباء فى ارتياح واطمئنان ، ويرمقونه بالاجلال والاكبار ويصيخون لكلمته بالوعى والانتفاع ، وبهذه الروح الطيبة استطاع « تين » أن يخلق « ستاندال » ويرفع من « كانت » [1] ، ويدين تسمة أعشار الطبقة الراقية من الفرنسيين فى القرن التاسع كما يقول بعض المؤرخين !

أما عندنا ، فوعدنا بذلك بقية المقال .

محمد فهمى عبد اللطيف

---

(١) مما يروى أن ستاندال الروائى المشهور بطريقته النفسية كان مبغوضا لدى النفر القليل الذى عرفه فكتب تين مقالا امتدح فيه طريقة ستاندهال فلم يمض على ذلك يومان حتى كان اسمه طلاع الأرض ، وكذلك يرون أن أوغت كانت الفيلسوف المشهور لم ينل ماناله من الصيت والذكر إلا بعد أن قرظه تين وأثنى عليه .

الكميت بن زيد

شاعر العصر المروانى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

وقد سلك الكميت مسلكا متقاربا فى قصائده الأربع ، فهو فى ميميته يتخلص من مطلعها إلى ذكر بنى هاشم فيقول فيهم :

بل هواىَ الذى أجنُّ وأبدى ... لبنى هاشمٍ فروعِ الأنامِ
للقريبين من ندًى والبعيدي ... ن من الجور فى عُرى الأحكام
والمصيبين باب ما أخطأ النا ... سُ ومرسى قواعدِ الاسلام

إلى أن يقول فيهم وفى خصومهم من بنى مروان :

ساسةٌ لا كمن يرعى (؟) النا ... سَ سواءً ورعيةَ الأنعام
لا كعبد المليكِ أو كوليدٍ ... أو سليمان بعدُ أو كهشام
رأيهُ فيهمُ كرأى ذوى الثُّلْـ ... ـةِ فى الثائجاتِ جُنحَ الظلام
جزُّ ذى الصوف وانتقاء لذى المخ ... ة نعقاً ودعدعاً بالبهـــام
من يمت لا يمت فقيداً ومن يحـ ... ـيَ فلا ذو إلٍّ ولا ذو زمام
فهمُ الأقربون من كلّ خيرٍ ... وهم الأبعدون من كل ذام

ثم يتخلص من ذكرهم إلى ذكر جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيمضى فى مدحه وذكر مناقبه الشريفة :

أسرة الصادق الحديث أبى القا ... سم فرعِ القُدامس القدّام
خيرُ حىّ وميتٍ من بنى آ ... دم طرًّا مأمومهم والامام

إلى أن يقول فيه :

أبطحى بمكة استثقب الا ... ه ضياء العمى به والظلام
وإلى يثرب التحول عنها ... لمقام من غــير دار مقام
هجرة حولت إلى الأوس والخز ... رج أهل الفسيل والآطام
غير دنيا مخالفاً واسم صدق ... باقياً مجده بقاء السـلام

ثم يأخذ بعد هذا فى ذكر باقى أصولهم فيقول :

ذو الجناحين وابن هالة منهم ... أســد الله والكمى المحامى
لا ابن عم يرى كهذا ولا عـ ... ـم كهذاك ســيد الأعمام
والوصى الذى أمال التجوبـ ... ـى به عرش أمة لانهدام
كان أهل العفاف والمجد والخيـ ... ـر ونقض الأمور والابرام
نالنا فقده ونال ســوانا ... باجتداع من الأنوف اصطلام
وأشتت بنا مصادر شتى ... بعد نهج السبيل ذى الآرام

إلى أن يقول :

وأبو الفضل إن ذكرهم الحلـ   ـو بنىّ الشفاء للأسـقام
صدق الناس فى حنين بضرب   شاب منـه مفارق القمقام

وأبو الفضل هو العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت الشيعة إلى عهد الكميت يدا واحدة إلى أن تفرقوا فى عهد العباسيين إلى علويين وعباسيين ، فعادى بعضهم بعضاً بعد أن آل الملك إليهم ، واستأثر به بنو العباس كما استأثر به بنو مروان قبلهم . وقد أخذ بعد هذا كله فى الحديث عن نفسه فى هذا الأمر الذى أخذها به ، واستسهل صنوف البلاء فى سبيله ، فقال :

فيهم كنت للبعيدين عما   واتهمت القريب أى اتهام
وتناولت من تناول بالغيـ   ـبة أعراضهم وقل اكتتامى

إلى أن يقول :

ولهت نفسى الطروب إليهم   ولهاً حال دون طعم الطعام
ليت شعري هل ثم هل آتينهم   أم يحولن دون ذاك حمامى

وقد أراد أن ينتقل من ذلك إلى ذكر ناقته ووصفها على عادة الشعراء قبله ، ولكنه يجعل ذلك فى ختام قصيدته ولا يبدأ به فى أولها كما كانوا يبدءون به ، فلا يؤثره بهذا على مقصوده الذى ملك عليه مشاعره ، وفى هذا يقول :

إن تشيع بى المذكرة الوجنا   ء تنـفى لغامها بلغام
عنتريس شملة ذات لوث   هوجل ميلع كتوم البغام

إلى أن يقول فى الختام :

ما أبالى إذا حضرت إليهم   نقب الخف واعتراق السنام
بقض زور هناك حق ضرورى   ن ويحيى السلام أهل السلام

وكذلك يسلك الكميت ما يقرب من هذا المسلك فى بائيته الأولى ، فقد تخلص من مطلعها إلى ذكر حال نفسه وما يلاقيه فى سبيل رأيه فقال :

بنى هاشم رهط النبى فإننى   بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم منى جناحى مودة   إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا   مجنا على أنى أذم وأقصب

إلى أن قال :

يعيبوننى من خبهم وضلالهم   على حبكم بل يسخرون وأعجب
وقالوا ترابى هــواه ورأيه   بذلك أدعى فيهم وألقب
على ذلك إجرياى وهى ضريبتى   ولو جمعوا طرا على وأجلبوا

وأحمل أحقاد الأقارب فيكم   وينصب لى فى الأبعدين فأنصب

ثم أخذ فى ذلك الحجاج الذى جمع فيه بين الشعر والعلم ، ولعله هذا كان أول عهد العرب بذلك الأسلوب فى الشعر :

بخاتمكم غصباً تجوز أمورهم   فلم أر غصباً مثله يتغصب
وجدنا لكم فى آل حاميم آية   تأولها منـــا تقى ومعرب
وفى غيرها آياً وآياً تتابعت   لكم نصب فيها الذى الشك منصب
بحقكم أمست قريش تقودنا   وبالفذ منها والرديفين نركب
وقالوا ورثناها أبانا وأمنا   وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
ولكن مواريث ابن آمنة الذى   به دان شرق لكم ومغرب
يقولون لم يورث ولولا تراثه   لقد شركت فيه بكيل وأرحب
ولا كانت الأنصار فيها أدلة   ولا غيباً عنها إذا الناس غيبوا
فإن هى لم تصلح لقوم سواهم   فإن ذوى القربى أحق وأقرب

إلى أن قال :

فيالك أمراً قد أشتت أموره   ودنيا أرى أسبابها تتقضب
يروضون دين الحق صعباً محرماً   بأفواههم والرائض الدين أصعب
وقد درسوا القرآن وافتلجوا به   فكلهم راض به متحزب
فمن أين أو أنى وكيف ضلالهم   هدى والهوى شتى بهم متشعب

ثم أخذ فى مدح بنى هاشم فقال :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها   ويا حاطباً فى غير حبلك تحطب
ألم ترنى من حب آل محمد   أروح وأغدو خائفاً أترقب
أناس بهم عزت قريش فأصبحوا   وفيهم خباء المكرمات المطنب
خضمون أشراف لهاميم سادة   مطاعيم أيسار إذا الناس أجدبوا

إلى أن قال :

وقد غادروا فينا مصابيح أنجما   لنا ثقة أيان نخشى ونرهب
أولئك إن شطت بهم غربة النوى   أمانى نفسى والهوى حيث يسقب

ثم ختم ذلك كله بوصف ناقته كما فعل فى ميميته فقال :

فهل تبلغنيهم على بعد دارهم   نعم يبلاغ الله وجناء ذعلب
مذكرة لا يحمل السوط ربها   ولا آيا من الاشفاق ما يتعصب

إلى أن قال :

كأن حصى المعزاء بين فروجها   نوى الرضخ ماقى المصمد المتصوب
إذا ما قضت من أهل يثرب موعداً   فمكة من أوطانها والمحصب

عبد المتعال الصعيدى

إلى شباب القصصين

كيف احترفت القصة

قصة المستر فرانك سونيرتن

للأستاذ أحمد فتحي

إن ثلاثين عاماً قد تصرمت بعد إخراج قصتي الأولى سنة ١٩٠٩ . ولذلك فإني أعتذر من عدم تذكري سوى القليل من محتوياتها

كنت في ذلك الحين أعمل في بعض مكاتب النشر ، أراجع « البروفات » ، وأحرر بعض الرسائل إلى المؤلفين ورجال الطباعة لقاء خمسة وثلاثين شلناً في الأسبوع

وكان من عادتي أن أتناول وجبات طعامي في بعض مشارب الشاي ، أو في مطعم رخيص في « سانت مارتن لين » يقال له مطعم « سانت جورج » . وبعد أن أفرغ من عشائي تتشعب بي المسالك ، فإما أن أذهب إلى ملهى للتمثيل ! أو أمضي إلى حيث أسمع محاضرة واحد من الأعلام ، وأتوجه إلى بيتي لأكتب بعض الخواطر على منضدة تخيط عليها أمي الثياب ، ويرسم عليها أختي بعض الصور لبعض المجلات التي تصدر من أجل الناشئة !

ولم تكن آمالي معلقة باحتراف القلم بل كان من ودي لو أغدو صحافياً لا قصصياً . غير أني كتبت قصة طويلة كاملة وأنا في الثامنة عشرة ، ثم أحرقتها ! وأتبعتها بأخرى وأنا ابن عشرين ولكنها كانت قصيرة جداً ، وكان اسمها « الطريق الحق » عرضتها على ستة من رجال النشر قبل إحراقها . غير أن واحداً من هؤلاء الناشرين جميعاً لم يرفضها بطريقة تبعث على اليأس ، بل أعادوها إليّ مصحوبة بكلمات التشجيع ، وبعد تجربة أخرى ، كتبت قصتي الأولى الناجحة « القلب السعيد » !

وكانت قصة « القلب السعيد » على ما أذكر تنتظم طائفة من الشخصيات ، منها البطل ، وهو شاب مرح موفق في مثل سني وشقيقته ، وصديق له ، وحبيبته ، وأمه ، وأبوه الذي كان يغشى حقيقة حاله غموض كثير . . . كما كان من الشخصيات الملحوظة كذلك فتاة خادم في مشرب ، ورجل آخر غير موفق إلى خير

لم تكن لي شقيقة ، ولا أب ، ولم أكن أعرف — في ذلك الحين — مثل تلك الفتاة الخادم في مشرب الشاي ، ولا مثل ذلك الرجل الذي يخطئه التوفيق على الدوام ، وأما الأم فقد كانت تختلف تماماً عن أمي ، التي كانت أقل النساء إيثاراً لنفسها ، وأملهن حظوة بالسعادة ! وهكذا لم يكن في القصة من شيء قد استوحيته الحقيقة الماثلة سوى البطل الشاب المرح الموفق . وكذلك لا تعدم الحياة وجود أمثاله على الدوام !

كان هذا الشاب أجنبياً عن البلاد ، يشتغل في وكالة لبعض الأعمال الخارجية ، وقد عرفته من طريق أخي الذي كان صديقاً له ، وكان يعول أخته ، ويجهد أن يعين حبيبته على أمور حياتها . وقد حدث أن خرج وإياها في نزهة ، وانتهى بهما المطاف إلى مشرب للشاي ، حيث اتفق أن رأته يقبل الفتاة خادم المشرب . ولقد جرّت عليّ هذه الأزمة الأخيرة — في القصة — تعنيف صديقة كانت على وشك الزواج ، إذ ساءها أن بطل قصتي لم يكن على شيء من متانة الخلق ولا الثبات على حب واحد !

ولست أدري ماذا حدث لقصتي بعد ذلك من حيث تسجيل الحوادث ولا أظنها كانت متأثرة بواحد من كتاب السلف ، عدا « لويزا آلكوت » التي كنت قد قرأت له أقاصيص متتابعة منذ عام ١٨٩٤

وحين ألتفت إلى الوراء ثلاثين عاماً ، يبدو لي أن مؤلف « القلب السعيد » رجل آخر لا يحمل اسمي ولا يمت إلي بسبب . وإن صورته الشمسية لتنطق بأنه كان ذا رأس مستطيل ، غزير الشعر ، وأنه كان بارز عظمتي الوجنة ، قصير النظر برغم بريق عينيه ، كما أنه لم يكن من النوع الذي تسهل قراءة عواطفه وخلقه من صورته ومظهره الخارجي ، سوى ما كان يبدو عليه من إمارات الجد والوقار ؛ التي يتميز بها علماء الشباب ، ولكنه — إذا صدقت

ذا كرتي — لم يكن على شيء من الجد ولا الوقار ! كما أنه لم يكن من العلماء بحال !

***

كتبت « القلب السعيد » في الأمسية وأيام العطلات الأسبوعية ، خلال أربعة شهور أو خمسة ، وكما صنع «شيكسبير» في قصته « بن جونسون » لم أكن أعمد إلى تجفيف سطر واحد !

وكما أن فرصة النشر لم تكن حينذاك أكثر من وهم يتأرجح ويضطرب في ذهني ؛ كذلك كانت هذه الفترة من الزمن أهنأ أيام حياتي ... فقد كان من الفكاهة المستملحة أن أخترع أناساً لا أعرفهم ، وأروى عنهم قصة فضفاضة الفصول ، ثم أعمد إلى تسجيل الاختراع والحديث في سطور ! ولقد سمعت بعد ذلك أنني طالما ضحكت في كتاباتي ضحكا طليقاً ؛ ولكني كنت أضحك من غير أن أعني ... ومن المحقق على أي حال أن كتابتي على تلك الحال لم تكن منجاة لي من الجمود أو الاستخذاء ! لأن الكاتب كلما كان مرحاً ، وكلما كان له أصدقاؤه وملاهي حياته ، وكلما كان مستمتعاً بمحاسن أيامه إلى غير حد — كان غير ذي حاجة إلى إجهاد خياله لافتعال المفاجآت والحوادث . على أن تفكيري كان حاداً بالتأكيد ، ولكنه لم يكن علمياً منظما . وكان تكوين جسدي متيناً . غير أن سلسلة من الأمراض الموهنة قد تركتني سقيم الجسد هزيلا ، غير قادر على مباشرة الألعاب الرياضية ، وكل حظي منها لم يكن — فيما سلف — أكثر من العبث بكرة صغيرة في شوارع « لندن » الخلفية ! غير أني كنت كثيراً ما أروض بالسير على القدمين ، كما كنت أتطلع في سعة ، وأفكر في إتقان ، وأغشى مدينة « لندن » وريفها بين رفقة يفوقونني خبرة بالحياة ، كما كنت قليل الحفل بالمستقبل !

***

أستطيع أن أقرر أني لم أتوخ في كتابة «القلب السعيد» نهجاً خاصاً أدين به في الحياة الواقعة نفسها . كانت تروق لي نظرية « الاشتراكية» بيد أني لم أكن أتحمس لها تحمساً فعلياً ولقد كنت في تلك الأيام ، حين كان رزقي خمسة وثلاثين شلناً في الأسبوع ، كما أنا اليوم ... بعد أن اتسع رزقي كثيراً ... شديد الايمان بأن كل إنسان إنما هو الذي يصنع دنياه الخاصة ! بغض النظر عن موارد رزقه . كما كنت ولم أزل شديد الايمان بأن السعادة إنما هي ذخيرة شخصية ، تعوزها الطبيعة المرحة السامية أكثر مما تعوزها الاعتبارات الاقتصادية ! وهذه الطبيعة المرحة هي التي جلوتها في شخص بطل « القلب السعيد » فلقد شرق في الأرض وغرب في غير كبير اهتمام وفي غير ما صراع أو جهاد ! ولكنه كان يترقب الحب الذي يجده القارئ في آخر القصة ، ومثله الأعلى لم يكن يعدو الزواج السعيد ، وبيت الأسرة ، والأطفال ، في قناعة بالقليل ورضى بالواقع !

وحدث في عام ١٩٠٨ أن المستر « فيشر آنون » الناشر المعروف ، أعلن مسابقة قصصية عامة ، أرصد للفائز الأول فيها جائزة قدرها مائة كاملة من الجنيهات . وكان هذا القدر من المال خليقاً أن يسيل له لعاب مثلي ... ولذلك أنجزت كتابة قصتي « القلب السعيد » وتقدمت بها بين المتسابقين . وأعقبت ذلك نتيجة محتومة مرتقبة ، ولقد كان يرضيني أن أكون عاشر الفائزين إلا أنني لم أربح ... وكانت صدمة لي ، ولكنها لم تكن شديدة القسوة ، وبعد ذلك أتيح لي حظ نادر ...

كنت — كما قدمت — أعمل في ذلك الحين ببعض مكاتب النشر : أقرأ « البروفات » وأحرر بعض الرسائل ، وكان رئيسي في ذلك العمل رجل اسمه « فيليب لي وارنر » كان يعمل معي قبل ذلك في مكان آخر ، وكان قد قرأ لي من قبل قصتي القصيرة « الطريق الحق » . وقد اتفق أن سألني بعد فشلي في المسابقة ماذا أكتب، فلما رويت له خبر المسابقة ودخولي بالقصة الأخيرة وفشلي ، طلب أن أطلعه على تلك القصة ، فأجبت رغبته . وبعد أن قرأها دفع بها إلى ثلاثة من أصدقائه الذين يعتد برأيهم . وإني أقرر هذا حتى لا يتوهم بعض البعيدين عن محيط النشر أن فيه سبيلا إلى التحايل . . . وبعد أن تلقى الرجل آراء أصدقائه هؤلاء طلب إلى إحداث بعض التحوير في القصة ، واعداً بنشرها بعد ذلك . ومن عجائب المصادفات أنه كاشفني بذلك في نفس اليوم الذي كنت أحتفي فيه عيد ميلادي الرابع والعشرين !

***

تحدث كل الأصدقاء بحسن حظى ، وكانوا جميعاً يشكون في نجاح قصة أنا كاتبها . وقد جاء نجاحها مناقضاً عن كفايتي ! والحق أنه كان لي على الدوام أصـدقاء يقفون في صفي لمواجهة ما يكتنفني من أخطار الغرور في النفس ! ولم أكن أغضب لهذا أبداً . بل على العكس من ذلك ، كنت دائماً أعترف بما كانوا يغمرونني به من صفو المودة .

ولم يكن الكتاب « القصة » عملاً جيداً تماماً . فلقد كان مكتوباً في سرعة فائقة وفي قلة اكتراث . وكان بذلك أبعد ما يكون من صفات العمل الأدبي الجدى ، وأبعد ما يكون من الجدارة بالكتابة عنه ، أو مديحه ، ولكنه على أي حال كانت تميزه ظاهرتان ينبغي أن يعنى بهما كل شاب يريد أن يكتب قصة؛ فقد كانت فيه جدة أصيلة ملحوظة ، فضلا عن اندماج المؤلف في الشخصيات التي خلق منها أبطال قصته !

وبعد ظهور الكتاب ، بهرني ما استقبلته به الصحف التي تحفل بفن القصة ، والحق أنها كانت رفيقة به كريمة عليه . فقد امتدحته كأنما يتفرد كاتبه بعبقرية من طراز خاص ! وقارنته بأعمال « ديكنز » الخالد ! وأسرفت في التنويه بما فيه من أصالة وطرافة . بل لقد بلغ من كرم محرر « المانشستر جارديان » أنه قال « ... لقد بدأ المستر فرانك سونيرتن — أنا — أعماله الأدبية بإحدى الروائع . فقد جمل أبطال قصته في ارتباط وثيق ، كما أفاض عليهم حيوية ملحوظة ؛ وكل ما في كتابه يعتبر هدية ممتازة إلى الفن القصصي من الشخصيات ، والطبيعة ، والحوار . وليس بعد ذلك من شيء يجعل القصة جديرة بالنشر ، خليقة بالاقبال !

ونفدت سبعمائة نسخة من الـكتاب في موسمه الاول ولم يكن هذا أمراً مرضياً تماماً . ولكنه لم يكن في تلك الأيام نتيجة سيئة . فقد بلغ نصيب الناشر من ثمن هذه النسخ ثلاثين جنيها . بينما أخرج « أرنولد بينت » كتابه الأول فلم يكسب أكثر من جنيه واحد بعد أجر من وقع فصوله على « الآلة الكاتبة » !

واستأنفت الـكتابة بعـد ذلك ، لأن الناشر تلقى تشجيعاً كافياً لأن يتفق معي على نشر قصة أخرى . وهذه أيضاً حقيقة لهـا حظ من الأهمية . فان القصة الأولى للـكاتب إن لم تكن أكثر من محاولة غير ناجحة ، فان قصته الثانية خليقة أن تكون بداية طيبة لاحترافه هذا الفن !

وأنا الآن لا أكتب قصصي بالسهولة التي كنت أكتب بها منذ ثلاثين سنة . والواقع أن الانسان كلما تقدمت به السن تزايد شعوره بصعوبة التمشي مع كل الأساليب ! وشعوره بتضاؤل استقلاله وحقوقه كمؤلف . ولـكن ، حينما كنت أكتب قصتي « موسم الفـكاهة » ، وأنا ابن ثلاث وخمسين سنة كنت أحس بذلك النشاط الذي كان لي حين كنت أكتب « القلب السعيد » قبل ذلك بثلاثين عاماً كاملة .

وحين شرعت في كتابة هـذا المقال لم أكن قد تصفحت كتابي الأول منـذ ظهوره ، ولـكني وجدتني مضطراً إلى ذلك حين هممت بتدوين هذا الفصل ، لأكتشف ذلك الموضوع الذي دارت عليه فصـول كتابي الأول الذي أشعر بأني مدين له ، إذ مهد لي السبيل إلى فن من الحياة لقيت فيه ألواناً من السعادة .

فرانك سونيرتن

جنـــون الأقوياء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

ملكوا الأرض واستباحوا حِمَاها   واستطالوا بجِنَّةِ الأقوياء[1]
وسعوا ينشرون فى الأرض سرا   مُنْكَرًا فى شريعة الأتقياء
تارة فى الخفاء بالمكر يَعْدُو   نَ وطوراً فى جهرة العظماء
أهْوَنُ الوِزْرِ مَا أَتَوْنَ جهاراً   من صيال وقسوة وبلاء
والذى فى الخفــاء أقتل للنفـ   ـس وأقسى لصوله فى الخفاء
إن رأوا نقص أنفس فى خصوم   اســتزادوه بالأذى والدهاء
أفسدوا أمرهم ودسـوا دُعَاةً   كى يَهِيجُوا تشاحن الأشقياء[2]
واســـتمالوا سمع اللئيم بلؤم   زاده خِســـة على الأدنياء[3]
كصيال الشعوب بالمكر والكيـ   ـد وإنْ أحرزت صفاتِ العلاء
حَلَّلُوا للوشاة أن تشتفى من   لاعِجِ الحقد بالأذى والعـداء
خدعتهم أرصادهم أم رأوا أنْ   سماحا بشرهم كالجـزاء[4]
مَكَّنُوهُمْ مما أرادوا من الشـ   ـر جزاء لخَوْنِهِمْ والرياء
ذاك أنَّ العـــدوّ أرخصُ شأناً   مِنْ تَحَامِى الإجحاف فى الإيذاء[5]
قَرَّظُوا العلم والحضارة جهراً   وتقاةً لله أو للقضـــاء[6]
ثم ساسوا بالختل فى السر ما شا   ءوا وشاءت جوامح الأهواء
لا رقيبٌ على الخفاء ولا الصو   لةِ فيه ولا عديمِ الحيـــاء
عدموه للكفر بالله والنا   س سوى ما رجوا من الآلاء

(١) جنة أي جنون بكسر الجيم
(٢) هؤلاء الدعاة هم عمال السياسة الذين يعملون فى السر
(٣) أى يدرســـون أماكن الضعف فى أخلاق الأمم ويحاربونهم ويستدرجونهم ويخدعونهم ويؤثرون فيهم بأساليب السياسة الخفية من طريق أوجه الضعف فى الأخلاق
(٤) الارصاد الجواسيس
(٥) تحامى الاجحاف التفادى من الظلم وتحامى متعدية وتفادى لازمة والمعنى أن العدو أهون من أن يمنعوا عمالهم السياسيين من إرضاء شهوات أحقادهم (٦) تقاة تقوى بضم التاء

عَلَّمَ العِلْمُ صائلا إنما النا   س كَنَمْلٍ سَوَاؤُهُمْ كَسَوَاء
زعموا زعمهم وسموه علـــماً   واستطالوا بلؤم ذاك الذكاء
وأباحوا لِحِقْدِ كل وَلِيّ   مُثْلِجًا نار إحنــة الأحشاء[1]
ثم قالوا وسَـــطَّرُوا فى ضمير   إنه من ضرورة الأشياء
قِسْ على ما بدا من الشر جهراً   فى حروب ونزوة وعــــداء
ما أَجَنُّوهُ وهو أبلغ فى الكِذْ   ب وفى كل قسوة واعتداء[2]
وقديماً جُنّ القوِىُّ بمـــا طا   ع له من تزلف الضعفاء[3]
وضموه فى منزل الله كُفْرًا   فطغى واستباح سفك الدماء[4]
ورأى الخـــير والفضيلة ما شا   ء وإنْ كان من أذى الأدنياء
ورأى الشر والكبائر ماعا   ف وإن كان سيرة الأبرياء
وكذا المرء وهو ليس وَلِيّ الـ   ـحُكم يطغى بنصرة اللؤماء[5]
وسواءٌ شعب وفردٌ وذو السـ   ـطان أو سادر من الدهماء[6]
صنعوا الشر حِسْبَةً ولوجه الـــلـ   ـه، شاهت وجوههم من رياء
أو لحقدٍ قد مَوَّهُوهُ بخـــير   وتباهوا بحسن ذاك الطلاء
أو برأى الأحرار صــاغوا قيودًا
واستباحوا فى الناس سفك الدماء[7]
وجنون القَوِىّ أقبح من قو   ة وحش يقوى بغير ذكاء
إيهِ لغز الحياة هل دورة الـ   ـشر والخير غير ذات انتهاء
لعبــة ما أراه أم خَبَلُ الأنـ   ـفس أم نزوة من الحمقاء
إِحَنٌ فى الحياة مثل خطوط   نسجوها فى البُرْدَةِ السِّيَرَاء[8]

(١) الولى الناصر المخلص الموالى أى أباحوا لعمالهم السياسيين أن يشتفوا بأعمالهم فى السر (٢) أجنوه أى أخفوه
(٣) مثل بعض الفراعنة أو امبراطرة الرومان مثل كاليجولا أو غيرهم وطاع ثلاثى لازم بمعنى دان له أما أطاعه فرباعى متعد
(٤) لأنهم كانوا يقدسونهم فى العبادة
(٥) أى أن جنون الطغيان والقوة ليس مقصوراً على الامبراطرة والفراعنة بل يشمل كل من يجد نصراء يستعز بهم حتى ممن صغرت مرتبته
(٦) ويستوى فى جنون القوة والطغيان الشعوب والأفراد، والسادر المستهتر الخليع والدهماء عامة الناس
(٧) برأى الأحرار أى باسم الديمقراطية أو الوطنية
(٨) السيراء المخططة بكسر السين وفتح الياء

فغدت نُهْزَةَ الفنون هو الفنّ ... كَنَحْلٍ يشتار أَرْىَ الشقاء[1]
هل لِسِحْرِ الفنون أنْ دَلَفَ الدهـ ... ـر وساغ الأنامُ لُؤْمَ البقاء[2]
سحرها يترك اليَبَابَ عمارًا ... حافلا بالنعـــيم والآلاء[3]
ويُحِيلُ الخسيسَ من معدن العيـ ... ـش شريفاً بصنعة الكيمياء[4]

عبد الرحمن شكرى

فلسطين

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أتلك فلسطينية الكرْم فاسقنى ... سلافاً غذاها بطن واد مطهر
سقانى مجيب جرعة فتمثلت ... مناظر من شتى عصور وأدهر
كأنى أماشى الناصريَّ وصحبه ... إلى هيكل نائى الجوانب نير
لحطم ماااستعلى بها من زخارف ... وهوَّن أمر التائه المتجبر
تضاءلت الأحبار فى ذرواته ... أمام عزيز ليس بالمتكبر
وذلت أنوف شامخات إلى الذرى ... وضاق الثرى منه بكنز مبعثر
فلسطين هذى لايتيه بها الغنى ... فبشر بذل كل خد مصعر
ومستضعف فيها قليل نصيره ... يعود على الدنيا بنصر مؤزر
فلسطين هذى تنكر اليأس أرضها ... وماهو فى أرض سواها بمنكر
رأيت بها الأموات تحيا فجاءة ... أأرض فناء تلك أم أرض محشر
وعينين عمياوين دنياهما الدجا ... تبلجتا مثل الصباح المنور
وأبرص تؤذى العين رؤية جسمه
فقرت به العينان من حسن منظر
وما كان عهد الله فيها لينقضى ... ولا كان عهـد الله بالمتغير

عبد اللطيف النشار

(١) نهزة فرصة ويشتار يجمع العسل أو مادته والأرى العسل أو المادة التى تصير عسلا والمعنى هو أن الفنون فى الحياة تستخرج من آلام الحياة أقاصيص وعبرا وحكمة تصير لذة فنية تهون شقاء الحياة

(٢) دلف تقدم أى هل يسير الدهر والعيش سيرتهما لكي تتمكن الفنون من ابتكار سحر جمالها وهل يرضى الأنام بلؤم الحياة من أجل لذة الفنون

(٣) اليباب القفر المجدب (٤) أي أن للفنون كيمياء تحول مظاهر الحياة الخسيسة إلى مظاهر رائقة جميلة ثمينة فكأن الفنون فى عالم المحسوسات والمعقولات هى حجر الفيلسوف المنشود فى عالم الماديات

مناجاة صورة ..!

للأديب رفيق فاخورى

إليك أبثُّ رسيس الهوى ... وأكشف عن جرحه فأذن
لديك الضماد فَدَاوِ الجريح ... ومُدَّ يد الراحم المحسن
تعهَّدْ جراحى ونحِّ الطبيب ... فإن البلاسم لم تغننى
لحاظك منها تشعُّ الحياة ... فيا عجبًا كيف لم تحيِنى
وهذا المحيَّا الحبيب الرواء ... أثار شجونى فأشـــقينى
وثغرك وهو معين الظماء ... أجـــدَّ غليلى ولم يسقنى

***

جـــلاك المصوِّر لى آية ... حجبت سناها عن الأعين
وقلت: ألا فامرحى فى الخيال ... وهبّى على قلبى المــدجن
هبوب الحياة على الهامدين ... وعرف الورود على المجتنى
وصونى بهاءك عن لامس ... وحسنك عن ناظر ممعن

***

نفارك أحـــلى فلا تركننّ ... إلى الناس يومًا ولا تسكن
فإنى أخشى عليك الغرام ... وأشفق من دائه المزمن
على ناظريك دلال الصبا ... ووجهك روض النعيم الجنى
وأنت ـ على قدرة فى الجنون ـ ... أرقُّ وأندى من السوسن
ومثلك يغوى الخلىَّ البرئ ... ومثـــلى عن صبوة لا ينى

***

تمتع بحسنك يا فاتـــنى ... فعود صبائك قد ينحنى
وقد يخلق العمر هذا الجمال ... وتذهبـــه غولة الأزمن
وتسرى الكهولة فى مأنس ... يطير له القلب إذ ينثنى

« حمص » رفيق فاخورى

عصمت إينونو

انتخب المجلس الوطني في أنقرة القائد (عصمت إينونو) رئيساً للجمهورية التركية، وهو من نوابغ الترك، وقد قالت الصحف الغربية والشرقية إنه أعظم رجل عند القوم اليوم. ومما يعرف عنه أنه ذو أخلاق عالية، منها التواضع والحياء، وهو من بيت تقوى ودين، وأبوه ورع صالح، وقد ورث عنه شيئاً كثيراً، وبينه وبين أسرة عربية في فلسطين قرابة. وأذنه عن لغو الناس صماء ... ومن قول الأمير شكيب أرسلان فيه — وقد لاقاه في لوزان حين ذهب إليها رئيساً للوفد التركي بعد الانتصار وذاك الصيت الحربي وكانت له في المؤتمر تلك الشهرة السياسية:
« وجدت أعضاء الوفد التركي جميعهم يحملون حقداً على العرب حاشا عصمت باشا »

فهل تتلاقى في عهد هذا الرئيس قلوب ألف بينها الاسلام وكادت تفرقها حوادث الأيام؟

***

ماذا يرى ج . ب . بريستلي؟

لخصنا للقارئ في الأسبوع الماضي رأى برنرد شو في شباب هذا العصر ووسائل التعليم فيه. وكان أهم ما عرض له شو أنه لا يعترف لأحد من معلميه في شرخ شبابه بفضل عليه، وأنهم كانوا آلات شيطانية لكبت غرائز التلاميذ وكف أذاهم عن أمهاتهم لا غير، وأنه لا يذكر مدرسته الأولى بخير سواء أكانت مدرسة أو جامعة، وهو يفضل تعميم المدرسة الابتدائية كمرحلة أولى لتثقيف النشء ولا يرى مانعاً من تدريس المواد الجافة لأنها تنفع في المستقبل وضرب لذلك مثلا بجدول الضرب وأوصى بضرورة لباقة المدرس في تدريس هذه المواد، ثم تكلم عن الجمع بين الجنسين في غرفة الدرس فلم ينكره بل حتمه، وذكر الكتب التي كان لها أكبر الأثر في توجيهه الأدبي فخص ألف ليلة وليلة الكتاب العربي الخالد ورحلة الحاج لجون بنيان وروبنصون كروزو لديفو وختم حديثه بضرورة تعليم الخط على أن يكون مادة مستقلة

وقد اطلعنا بعد ذلك على رأي ج . ب . بريستلي فرأيناه يعتذر عن الاجابة عن هذه الأسئلة (بالقطاعى!) لأن الأسئلة (القطاعى) أو التي لا رابط بينها تربكه، ثم هو لا يستطيع أن يبدى رأيه بصراحة في مدرسى المدارس إطلاقاً لأن أباه الذي ما يزال حيًّا يرزق ما يزال مدرساً في مدرسة أولية كذلك ... وفي قوله هذا جزء من رأيه ... وقد ذكر أن أبناءه تلاميذ في مدرسة داخلية وقد اختارها لهم لا عن تفكر وتفضيل، بل مدفوعاً بتيار العصر والعرف! أما أحسن ما يجب أن يتحلى به المدرس فهو أن يكون ذا حماسة لفنه ومقدرة طبيعية على النقد بحيث يؤثر في تلاميذه وينمى فيهم غرائز النقد والذكاء والبصر بالأشياء. ثم نعى على المدرس أن يكون متحذلقاً موحشاً ... ولا جرم فهذا المدرس يكون قليل الثقافة قليل الخبرة، وعلى ذلك يكون أخيب المدرسين!

وبريستلي يحبذ الجمع بين الجنسين في التعليم على شريطة أن يفصل بينهما بعد الرابعة عشرة. أما ما يؤخذ على شباب هذا الجيل من الكسل والفظاظة وانعدام روح المجازفة، فهو لا يرى ذلك ولا يوافق عليه ويعزو القليل منه الملاحظ فيهم، إلى روح العصر نفسه، لأن روح العصر حببت إلى الناس الترف والعيش على هامش الحياة دون التوغل في أعماقها، ولذا لا يلومهم على أنهم قُنّع ... لأنهم إذا عدوا طور الشباب إلى طور الرجولة أقبلوا على مصاعب الحياة وتمرسوا بها، فلو علمناهم قليلا من النظام لظفروا بكل ما واجههم فيها

١٣ نوفمبر والأدب

مما يؤسف له أن تصدر مجلاتنا الأدبية وليس في واحدة منها إشارة إلى ١٣ نوفمبر. ولسنا نستثنى الرسالة من تلك الملاحظة بل نحن نكاد نخصها بها لأن ١٣ نوفمبر هو يوم فاصل في حياتنا

ومع ذلك فقد صدرت الرسالة مساء ذلك اليوم وليس فيها إشارة إليه ... والمجلات الأدبية تعد ثبتا للحوادث وسجلا لتوقيعات الأمة، ولم يكن أولى من الرسالة بأن تكون كذلك. ثم نحن نبحث عن صوت الأدباء في ذلك اليوم فلا نكاد نسمع لهم ركزا، مع أن اليوم هو يومهم قبل أن يكون يوم الساسة الذين أقاموا السرادقات ليطعن بعضهم بعضا وليوجه بعضهم إلى بعض أقذع ألوان السباب والتشهير والشتم، وهم في ذلك ينسون أنهم قادة أمة وزعماء شعب وكان أليق بهم ألا يظهروا بهذا المظهر الزرى. ولكن المسئول عن هذا هم الأدباء لأنهم سمحوا للسياسة بأن تطغى على الأدب في هذا اليوم المقدس الرهيب الذي يحمل للأمة ذكرى جهادها .. وتلك ملاحظة عسى أن تنفع في السنة الآتية د . خ

(الرسالة) : وقع عيد الجهاد في يوم الأحد، وهو يوم خروج الرسالة من المطبعة، فلم تستطع أن تقول كلمتها في العيد؛ فلعل في ذلك عذرا لدى الأستاذ

دار العلوم وكلية اللغة العربية

الذي ينكر فضل دار العلوم في نهضة اللغة العربية في الشرق الحديث هو ضال جاحد قلبه، ولكن الذي ينكر أن كلية اللغة العربية هي شيء عظيم جدا في حياة الأزهر الحديث هو رجل لا يتصل بنهضة هذا البلد ولا يدري عن أطيب ثمارها شيئاً ... فكلية اللغة العربية التي لا يدخلها إلا حامل ثانوية الأزهر والتي يدرس الطالب فيها لباب هذه اللغة وآدابها ثم يعود فيتخصص في التربية أو علم النفس أو أدب اللغة أو التاريخ على نخبة من جهابذة العلماء المصريين من رجال الجامعتين ودار العلوم ... هذه الكلية هي منشأة جديرة بالاحترام والفخر والعطف ... ومصر مع ذلك في حاجة إلى المعهدين معا، وكنا نطمع في أن تشتد أواصر المحبة والعلم بينهما بجامع الثقافة ووحدة الغرض، لا أن تدب عقارب الغيرة بينهما فينتقص أحدهما الآخر من أجل مناصب التدريس في معاهد الحكومة .. ونحن نرى أن تتدارك الحكومة هذه الحالة فتجعل مناصب التدريس الخالية في معاهدها قسمة عادلة بين المعهدين ... على أن لنا رأيا في ضم المعهدين سنبديه في حينه

عناية وزارة المعارف العراقية بحركة الترجمة والتأليف

قالت جريدة الأخبار البغدادية : —

وجهت مديرية التربية والتدريس العامة بوزارة المعارف في بغداد كتاباً إلى كل خريج مدرسة عليا من الشباب الدارس في خارج العراق يتضمن تنبيه معالي الأستاذ رضا الشبيبي وزير المعارف في تنشيط حركة الترجمة والتأليف، وقد رجت من هؤلاء الشبان المتعلمين أن يقوم كل منهم بتعريب الكتاب الذي يختاره في موضوع اختصاصه على أن يكون في نشره فائدة علمية في خدمة الثقافة في العراق والبلاد العربية عامة. على أن يقوم المترجم بأعلام مديرية التربية والتدريس بالكتاب الذي وقع عليه اختياره قبل الشروع في الترجمة .

وفيما يلي نص كتاب وزير المعارف في هذا الصدد :

لوحظ أن حركة الترجمة والتأليف العامة في البلاد ضئيلة الانتاج، ولما كانت هذه الوزارة حريصة جداً على تشجيع الانتاج العلمي وعضد حركة الترجمة والتأليف بجميع الوسائل المستطاعة نرى أن تذيعوا على كافة خريجي الجامعات والمعاهد العلمية العالية سواء كانوا موظفين في هذه الوزارة أو غيرها أن هذه الوزارة على استعداد أن تعاضدهم في نشر ما يقومون بترجمته من الكتب القيمة كل في موضوع اختصاصه إما بشراء حق الترجمة إن قبل تقرير الكتاب في المدارس أو بغير هذه الطريقة. هذا على شرط أن تقتنع هذه الوزارة بأن العمل يؤدي إلى خدمة نهضتنا العلمية أو الفنية في العراق .

أمة عربية تزول !

كان للكلمة الموجزة التي كتبناها عن مصير طرابلس الغرب تحت حكم الدوتشي (حامي الاسلام !) صدى قوي في البلاد العربية فثارت النفوس بالاستنكار، وتحركت الألسن بالاحتجاج، وتردد ذلك كله في الصحف الحرة اليقظى، وسنقتطف منها نبذا تدل على قوة الوحدة الشعورية في الأقطار العربية :

قالت جريدة (الرأي العام) العراقية تحت عنوان (طرابلس — برقة ضحية الاستعمار الايطالي) بعد أن نشرت قرار المجلس الفاشستي بضم طرابلس الغرب إلى إيطاليا :

« إننا نقف موقف المتفرج على ما يراد بقوم هم من العروبة في الصميم، وقد كتبوا صفحات نضالهم ضد القوة الاستعمارية الغاشمة بدمائهم الكريمة، فأية غضبة أعلناها في سبيل طرابلس الغرب العربية وهي تتمزق إرباً؟ وأية مظاهرة قمنا بها لنعلن سخطنا ولو بالمظاهرات على هذه الهمجية التي تفرضها دولة مستعمرة هي من ألد أعداء العرب على قطر عربي استنجد بنا ألف مرة ومرة وناشدنا النجدة والمعونة؟

لحد هذا اليوم نخلع على بعض رجالات العرب صفات البطولة لمواقف مجيدة كانت لهم ضد الاستعمار الايطالى أيام الدولة العثمانية غير العربية ، أفلا يكون شىء من ذلك أثناء وجود دول عربية ذات مركز قوى إن لم تتمكن من حشد الجيوش وجمع الجموع فهى غير عاجزة عن رفع صوتها وإعلان احتجاجها على الأقل ؟ أو يعيش رجال من العرب على حساب البطولة « العربية » فى أيام العهد « العثمانى » غير العربى وهم أتباع ، بينما لا تكون لهم تلك البطولة عينها أو بعضها وهم سادة وزعماء فى بلدان عربية منبعثة من جديد ؟ وما معنى هذا ؟ وأية قومية عربية هذه ؟

لا مفهوم للوحدة العربية التى نتغنى بها إذا كانت طرابلس الغرب أول ضحايا الاستعمار الوحشى من البلدان العربية لا مدلول لها فى منطق « الوحدة » ولا يعنينا أمرها بشىء ، ولا تهزنا مأساتها الدامية . لا مفهوم للوحدة العربية ما دمنا لا نهاجم المستعمرين والمفترسين البلدان العربية على حد سواء . إن هذا الأمر بعيد جداً عن الوحدة بل عن الوطنية « ما دمنا نقول بوطن واحد عربى » بل بعيد عن صفات العروبة ومزاياها .

وقالت فى موضع آخر :

فى جزء غال من أجزاء الوطن العربى المقدس يعيش شعب عربى أبى فى بحران من الظلم الفادح والاستبداد العنيف .

شعب أعزل من كل شىء غير قوة الايمان ، شعب فقد كل شىء غير الشرف ، لا يزال يقاوم الخطر الذى يكتسحه ، ويرد عن العروبة الداهية التى تدهمها ، شعب من هذا الطراز يعتقد أن على العرب واجبا نحوه يجب أن يؤدوه ، وفرضاً له يجب أن يقضوه

إن تأييد الشعب العربى الطرابلسى البرقاوى فى نضاله ضد الاستعمار الايطالى الفاشستى أمر محتم على كل عربى يتألم لألم إخوانه العرب ويخشى المصير الذى صاروا إليه ، لأن عطف العالم العربى على المناضلين الطرابلسيين وتأييده لهم يزيدهم قوة فوق قوتهم وإيماناً على إيمانهم

ويفهم فى الوقت نفسه المستعمرين أن قضية الطرابلسيين هى قضية العرب أجمعين ، وأن على الذى يريد صداقة العرب أن يصادق إخوانهم الطرابلسيين لا أن يتزلف إليهم بيد ويبطش بالأخرى بإخوانهم . . .

حول مقال

سيدى الأستاذ الزيات

تحية وسلاما وبعد فقد قرأت يا سيدى ضمن ما أقرأ لك ما كتبته تحت عنوان « شيطان » فى عدد الرسالة الغراء رقم ٢٧٩ . والحقيقة أنك قد أتيت على وصف هذه المأساة أدق وصف وحللت شخصياتها أوضح تحليل . وأغلب الظن بل ومما لا أشك فيه أن هذه الصورة ليست من نسج الخيال إنما هى بنت الحقيقة، وليس من الغريب أن تقع أمثال هذه المآسى فى بلدنا هذا بل إنها واقعة فعلا فى معظم البيوتات المصرية سواء منها الكبيرة أو دونها كل على قدر ما نال . وقد أصبح هذا الداء هو « داء العصر » ولا بد أنك ياسيدى الفاضل ترى معى أنه داء عضال لا يرجى برؤه إلا إذا لحظته العناية وقيض الله له نطاسيا بارعا يستخرج المصل الكافى لقتله — وهذا حسبنا — أو على الأقل يكون واقيا لبقى المجتمع شره الوبيل

وإنى لأضع هذه الرسالة فى عنقك فلأنت خير من يرسل لرفع لوائها وينفث فى الأمة روح المرونة والتوازن بين عادات الغرب الضارة وبين عاداتنا الشرقية الكريمة كى تصلح الشئون ويسعد القوم

والسلام عليكم ورحمة الله قارئ

توحيد برامج التعليم فى الشرق الاسلامى

نشرت الصحف مقالا للأستاذ الجليل محمد العشماوى بك عن توحيد برامج التعليم فى الشرق العربى تناول فيه تاريخ الثقافة العربية بعد الاسلام مشيرا إلى الوحدة فى الأصل والطريقة والتفكير والغاية التى كان يسير عليها التعليم فى مدارس بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وتونس ، ثم ذكر نهضة العلوم الحديثة وتبدل روح العصر وما ينبغى لمصر أن تقوم به لتضطلع بحق بالزعامة التعليمية فى الشرق العربى فاقترح أن أن تعنى المدارس المصرية بدراسة أحوال هذا الشرق وعاداته وتاريخه ودعوة بعض أفراده من شعوبه المختلفة للدراسة فى مصر على نفقة المعاهد المصرية وغير ذلك من الوسائل التى تسهل توحيد البرامج فى بلدان الشرق فيما بعد ، والتى لا يمكن تنفيذ المشروع بدونها . والمشروع بعد هذا جميل وليس خياليا كما يظن دعاة استقلال القومية المصرية أو المعارضون لفكرة اتحاد الشرق العربى لأنه لا يضر وطنيتنا فى شىء ، بل هو يقويها ويزيد فى مقوماتها ويفتح أمام شبابنا ميادين فسيحة لخدمة إخواننا وبنى عمومتنا فى الممالك الشرقية . ونحن لا نشك فى نجاح هذا المشروع ما دام قد نال عناية الرجال المسؤولين

أفاعي الفـــردوس

ديوان الأستاذ الياس أبو شبكة

بقلم الأستاذ فليكس فارس

ديوان يحوى ثلاث عشرة قصيدة من شعر الأستاذ إلياس أبو شبكة نشرته جريدة المكشوف البيروتية فاسترعت نبراته الأسماع، واستوقفت معانيه تفكير المتأملين

إلياس أبو شبكة نسيج وحده بين شعراء العرب اليوم. ولا أقصد بهذا الوصف أن أرفعه فوق أترابه، فهو وإن كان فى الطليعة من نسور الخيال، لا يسبقهم تحليقاً، ولكنه يند عن سربهم نافراً من خطوط الأنوار فى أجوائهم إلى مسارح الغيوم السوداء فلا يدور إلا فى مقاصف الرعود، ولا يطوى جناحيه إلا ليحط قوادمه على أدواح الغابات الموحشة أو على فوهات البراكين

أبو شبكة نسر ثائر مروع لا تستهويه سقسقة الجداول ولا عيون الأزهار ولا ناهدات الأثمار على الأماليد، وليس فى إنشاده تغريد بلبل أو غناء شحرور. إن للنسر صرخات مدويات لا يأنس لها إلا من يتعشق ولولة الرياح على القمم، وهدير الأنهار فى الأغوار

سمعت أبا شبكة يرسل أوائل صرخاته فى القريض وأنا أحول أنين بلادى الخافت إرعاداً أطلقه من قمم المنابر، فكأنني سمعت جباراً إنشاده قرقعة سلاح، وأشعاره خطب قيودها دروع لا زرد أغلال

ولو أن أبا شبكة لم يمد جناحيه إلى آفاق الدنيا ولم يطلق نظراته على مجالات الشر فى المجتمع الانسانى، لو أنه حصر تشاؤمه وثورته فى حدود بلاده ولم يصطدم بالعواثر من آمال متقدميه، وقد ملأت منعطفات المصاعد كأنها أشلاء، لكان هذا الشاعر يتيه اليوم على أرض الناس لا أرض أجداده، لكان اختار له منفى أو اختير له منفى

من أوائل قصائد هذا الشاعر أبيات وجهها إلى منذ أربع عشرة سنة يشكو بها الحياة وهو لما يزل على عتبة الشباب وقد نشرتها جريدة الشعب، ويلذ لى بل أرى من دعائم بحثى أن أقتطف منها بعض أبيات:

قال مفتتحاً:

أشكو إلى قلبك يا سيدى ... قلباً ثوى فى حقلى الأسود
أطلقته طفلاً ولما نما ... أصبح محتاجاً إلى مرشد

وقال:

فارس، ما للحر من راحة ... فى وطن يرتاح للأعبد
ويل الشباب الغض من قلبه ... إذا أملوه ولم يهتد
يا شاعر الآلام هذا دمى ... ذوبته شمعاً على معبدى
هذى شكاتى ياخطيب العلى ... أرفعها للرجل الأوحد
وجدت فى نفسك مالم أجد ... فى أنفس مخمدة هجد
لامست فى أناتها ثورة ... أخمدت النار ولم تخمد

* * *

هذه الأبيات يزفر بها صدر فتى لم يبلغ العشرين، فيها شرارات من اللهيب المندلع اليوم من كل بيت يرسله أبو شبكة، وإننى لأغتفر له الآن إغراقه فى وصفى بالرجل الأوحد لأنه كان وهو يتلفت إلى فى ثورته يناجى ما كمن فى نفسه من مُثل يهفو إليها

وقبل أن أعرض لديوان «أفاعى الفردوس» أرى أن أقف عند قصيدة الحجر الحى التى أنشدها صاحب هذا الديوان أمام تمثال المنفور له «فوزي المعلوف» فى حفلة إزاحة الستار عنه فى السنة الماضية، فأقتطف منها نماذج لاستقرار الالهام وتطور البيان

أطبق جناحيك معقوداً لك الظفر
فقد وصلت وشوط المجد مختصر
ماضر وكرك أن تأتيه منطفئاً ... ما دام قلبك فى جنبيه يستعر
عيناك فى الحجر المصبوب ساهرة
يقظانة فيهما أحلامك الغرر
تواجه الليل هول الريح صاخبة ... ماضرك الذئب جوعاناً ولا النمر

نيران عبقر فى عينيك إن مردت … هوج الدجى فعلى عينيك تنصهر
مهما طغى الليل لا تشقيك زوبعة … إلا على جانبى وقبيك تنصهر
يقظان والناس عمى فى مراقدهم … سيان ناموا على ذل أم احتضروا
عار علينا تنام الليل هانئة … عيوننا وعباب الليل معتكر
لم يبق من رومة إلا صفائرها … ومن قياصرها إلا دمى كسر
رفعت عنك ستار الناس منتفضاً … أيحجب الخلد من يفنى ويندثر
هذى الستارة كانت فى تشددها … عليك آخر قيد شده البشر
كأنها وهى تنضى خلعة كذبت … من الفناء لحاء عنك يقتشر
منذ ابن مريم والأكفان هاوية … عن النبوغ وصخر القبر منحدر
كم فى بلادك من نفس تود على … وقح عورتها أن تسدل الستر

وبيت الختام هو هذا :

لرب حىّ غدا فى قومه حجراً … ورب ميت غدا حياً به الحجر

هذا أنموذج من شعر أبي شبكة أخذناه من الأماليد ومن الجذوع وكلاهما صلب كالأرز ينقصف عوده ولا يلتوى

وإلى الشعراء الآن مقتطفات من ديوان أفاعى الفردوس ، الديوان الحامل أسلوباً لا يمكن لأحد أن ينكر جدته وروعته . وقد جاء أبو شبكة بطابع مستحدث فى الشعر العربى سيبقى هو عميده الأول حتى فى الزمن الذى سيكثر فيه أشياعه ويفوقون فاتح وهاتك أستاره

لم يشأ شاعرنا أن يتقدم بديوانه دون تمهيد نثرى بسط فيه رأيه فى الشعر فجاء بنظرات صائبات تسلسلت فى درس عميق يطل فيه من شخصية شاعر حكيم له ثقافته واطلاعه الواسع وأحكامه كشرقى مستقل فى مبادئه لا يؤخذ بالتيار الغربى الذي يجتاح إلهام عدد وفير من الشعراء فى هذا العهد

اسمع أبا شبكة كيف يواجه مسألة الاستلهام فى أوطانه :

« وإننى لأسأل ماذا ترانا نستطيع بهذا القاموس الضيق ، هذا القاموس المتورد ، نتشبث به للتعبير عن أعمق حقائق النفس فترفع الكلفة بيننا وبين اللغة ولا نتورع عن سلوك مهامه غائمة كأننا فى حلم؛ وقد يخيل إلينا ونحن نسلك هذه المهامه أننا نسير فى الطريق الشعري السوى بينما نحن فى الحقيقة لا نحاول إلا الخروج عن أنفسنا مستعبدين لنظريات خاطئة بل مضرة يحرر منها حتى مبدعوها أنفسهم »

إلى أن قال مستنتجاً :

« فالمدارس الشعرية سجون، ونظرياتها قيود، والشاعر لا يعيش فى جو العبودية هذا؛ فالطبيعة هى جو الفسيح تتكيف إحساساته بتكيف المظاهر المتقلبة فيه، وإذا خرج الشاعر عن هذا الجو خرج عن نفسه وكذب على نفسه »

هذا ما يقوله أبو شبكة عن المدارس الشعرية التى حسن لدى الغربيين أن يدعوها مدارس. وإنا لنرى الفرصة سانحة فى معرض هذا البحث لنقول كلمة موجزة عنها وعن الخطأ فى تصورها وتسميتها

إذا صح أن نطلق مدارس على المذاهب العلمية والفلسفية فهل يصح أن نطلق هذه التسمية على أساليب الشعراء فى بيانهم وعلى ما تستلهمه الأنفس من سرائرها ومما حولها من المشاهد ؟

إن أتباع المدارس العلمية والفلسفية ينقسمون أرهاطاً على عقائد معينة تختلف إحداها عن سائرها اختلافاً بيناً ، فهنالك طرائق وأوليات يسلم بها أشياع كل مدرسة كأنها قانون إيمان إن جنح عنه واحد منهم خرج حتماً من رهطه ليدخل فى رهط مدرسة أخرى. وأين فى الشعر مثل هذا الاجماع مادامت السليقة وحدها هى المتحكمة فى خواطر الشاعر وإحساسه ولهجته وطريقة بيانه ؟

لذلك يقول لك أبو شبكة :

« إن بول فاليرى الذى جاء بنظريات خلقت فى الأدب الغربى جيلا مضمضماً لم يحد عن صراط « ماليرب » ولم يتمرد على القاعدة الكلاسيكية فى النظم؛ وإنى لأجد فى شعر فاليرى أبياتاً يستطاع دسها فى شعر لامارتين»

إن التضمضع الذي يشير أبو شبكة إليه إنما تشاهده بين فئة المتأدبين والمتشاعرين فى كل أمة، لأن المشتهرين فى كل نوع من أنواع الفنون ينتصبون فى خيال محاولي الابداع مثلا عليا يطالبونها بخلع العبقرية عليهم كمكافأة لتقليدهم وتصنعهم

أما الفنان الحقيقى فان طابع شخصيته يتغلب على جميع المؤثرات التى تدور به والخاطرات التى تتسرب إلى سريرته من مطالعاته، فهو يريك أبداً سيماه فى إنشائه، ويسمعك نبراته فى موسيقى بيانه ، حتى ولو تجلت فى أقوال من تقدموا وعاصروه من أهل فنه

إذن ليس فى الفن — وأخص منه البيان على الاطلاق — ما يصح أن يدعى مدرسة؛ وإن كان هنالك من هم بحق أساتذة، فليس لهؤلاء الأساتذة تلامذة بمعنى التلمذة الصحيح، إذ ما يمكن لطالب الأدب أن يستفيد من أدب معلمه سوى تقليده والسير فى ركابه إذا لم يكن لهذا الطالب شخصيته المستقلة التي تجرى فى مسالكها مقتبسة من كل ما يدوى فى أجواء الأدب من نبرات العبقرية دون أن تجارى أحداً وأن تقلد أحداً

من الذين تسنموا ذروة الشعر فى النهضة الحديثة شعراء تغنى

كلمتان فى الفرقة القومية
وفى رواية كرنفال الحب

ليس فى الأدباء ، ولا بين أكثرهم تشاؤماً من الفرقة القومية وأشدهم يأساً من استصلاحها — من يتمنى لها الراحة الأبدية، بل بالعكس كلهم يرجو أن تعصف بهـا عاصفة خريف تهيء قابليتها لحياة جديدة فى ربيع مقبل

لتشاؤم الأدباء ويأسهم أسباب وجيهة أوضحوها فى شتى المناسبات ، ولكن القائمين بأمر الفرقة كانوا يختلقون الأعذار لهؤلاء « المتذمرين المستائين » يعزونها فى الغالب إلى أغراض ذاتية ، فى حين أن ليس هناك متذمر أو مستاء ، كما طاب لمدير الفرقة أن يحرف الوصف تخفيفاً لوقع التشاؤم واليأس فى النفس ، أو أغراض ذاتية ، بل هناك كثرة من الأدباء يائسة كل اليأس من استصلاح هذه الفرقة القومية

ليس بمستغرب أن يفيض مدير الفرقة بالأحاديث ينشرها فى الصحف محشوة بالوعود الحلوة والأمانى الزاهرة ، بل المستغرب أن يكرر هذه الوعود على نسق واحد فى مطلع كل موسم للفرقة وعند اختتامه ذاهلا عن أدباء غيورين على هذه المؤسسة الأدبية يراقبون سـير أعمالها حباً لها ، لا سيما وراء غرض كما يتوهم حضرة مديرها الهمام

أما سمعته يقول فى جريدة البلاغ: « يمكننى أن أؤكد أن الفرقة القومية سائرة فى طريقها ، ونحن نعمل لاستكمال كل نقص لاحظناه فيها ؛ ونحن نعلم الآن العيوب التى فينا وسنعمل على علاجها بالقدر المستطاع حتى تصبح الفرقة قادرة على تأدية الرسالة التى تأسست من أجلها » وأنت لو ناقشته الحساب على هذه الأقوال لسمعت منه قولا فى المخرجين والممثلين والمؤلفين والمربين

الاشارة إليهم عن ذكرهم، وقد كان لكل منهم طابعه الخاص، فما كان أسلوب حافظ ليشبه أسلوب شوقي مثلا، غير أنك تجد عشرات من الشعراء قلدوا الأول وعشرات قلدوا الثانى فنظموا على وتيرة كل منهما دون أن يبلغ واحد منهم مرتبة أمير الشعراء أو مرتبة شاعر النيل .

وإننى لا أزال أذكر ما شاهدته من ظاهرة التقليد هذه أيام إعلان الدستور حين تسنم المنابر عدد قليل ممن استوحوا الساعة فألهموا البيان إلهاماً، إذ لم تمض أسابيع حتى غصت المنابر بالمتلذذين فكنت تسمع أصوات أمراء المنبر وتشهد حركاتهم تقليدا، فمنهم من هو صورة مشوهة للريحاني، ومنهم من تلبس خيال الغلاييني أو بجاعص أو . . . ولكننى لم أر واحدا من هؤلاء المقلدين الذين استنامت شخصيتهم الباهتة للاستهواء بلغ مقاماً له شأنه فى مراتب الخطابة

وهنالك ظاهرة أخرى فى الفن الغنائى قد تدهشك إذا أنت انتبهت لما يسمعك إياه المذياع كل يوم من أصوات عديدة لأم كلثوم تخرج من حناجر عشرات المغنيـات ، ومن أصوات عديدة لعبد الوهاب يسمعك إياها عدد من المغنين يتزايد يوماً فيوما .

هذه هي المدارس فى الفن، وما هى إلا عبارة عن تجمع كتل من المقلدين حول الأفذاذ النابغين، فما أقل عدد الهاتفين بأصوات تعلق دماء القلوب فى نبراتها ، وما أكثر الصخور الصماء تدوى فى فراغها الأصوات تقذف بنبرة لتخنق نبرات .

هذه كلمة أؤيد بها نظرية صاحب ديوان «أفاعى الفردوس» فى إنكار المدارس فى الفن ، أو بالحرى فى إظهار هـذه المدارس على حقيقتها . وما كان أبو شبكة إلا من الثائرين على التقليد والحدود ، وهو فى شعره أصل مستقل لا يعرف لشعوره حداً إلا ما ينشأ من شعور نفسه

« البقية فى العدد القادم »

فليكس فارس

أشد مما قاله مالك فى الخمر بأسلوب شعرى يلف به اللعنات بلفائف من حرير، ويتعمد تحاشى ذكر لجنة القراءة صاحبة الرأى فى إقرار الرواية قبل تمثيلها كما يتحاشى ذكر أعماله وهو المسؤول الأول والأخير عن تقديم الرواية وعن إعطاء الحساب عن وقعها فى نفوس الناس ومبلغ أثرها فيهم

أكتفى الآن بهذه الكلمة لأقف عند الرواية التى اختارتها الفرقة لحفلة الوسم، الوسم الذى قال فيه مدير الفرقة قبل أزوفه « إننا ننظر للمستقبل أكثر مما ننظر إلى الحاضر »

الرواية واسمها « كرنفال الحب » تأليف شارل ميريه وتعريب الأستاذ محمد خالد (كذا) تدور حول فتاة ربتها فى الدير أمها الممثلة رامية من وراء ذلك إلى جعلها صالحة للزوجية فالأمومة كيلا تذوق طعم الحياة التى ذاقتها هى . فلما شبت الفتاة وزايلت الدير تعرفت فى بيت أمها بشاب علقت به وذهبت معه إلى أقصى حدود اندفاعات الشباب

يتقدم كهل غنى فى طلب يد الفتاة من أمها، فتفرح لهذه السعادة، فتستدعى ابنتها لتزف إليها بشرى الحظ السعيد فتجيبها الفتاة بأنها تحب شاباً وهو يحبها وأنه سيتزوج بها، ولكنها عند ما تفاتح الحبيب بالزواج يداور ويتهرب من المسؤولية فتثور ثائرتها ثم تطرده من بيتها وقتما تصام عن سماع اعترافها له بأنها ستصبح أماً وأن ابنه ينبض فى أحشائها، وتعود إلى أمها تعلن لها رغبتها فى الزواج من الكهل الغنى مشترطة أن يتم الزواج فى أسبوعين

ترقد الزوجة على جرح الحب، وتوهم الزوج أن ولدها من صلبه . وفى حفلة رقص تنكرية يظهر الحبيب لجاذة حبيبته وهو متذرع بذرائع إذكاء العاطفة النسائية وغيرتها النائمة الاضطرام، فتلتهب فيها شعلة الحب القديم وتتخاذل فيها فروض الزوجية أمام دواعى الحب

تثور الظنون فى صدر الزوج وهو كهل، وعاقل، وحكيم، وإذ يتأكد أن زوجته ما برحت تكتم الحب الأول وتحن إلى حبيب الشباب، وهى تفتديه بكل ما تملك، يعمل على استصلاح سيرة حبيبها الأفاق فينجيه من ورطة مالية كادت تؤدى به إلى السجن، ويجمع بينهما فى بيت واحد، ثم يعلن إخلاء السبيل لهما يتمتعان بثمرة الحياة لأنهما شابان متحابان .

هذه خلاصة لموضوع الرواية التى أتجنب التعليق عليه لأنه يمثل ناحية من صور الحياة الباريسية طاب للفرقة عرضها فى مستهل موسمها . فاختيار الرواية منوط بمدير الفرقة، والمدير يقول إن للفرقة رسالة وإنه عامل على تحقيق الرسالة . فهل رأى ووجد فى هذه الرواية « الكرنفال » جميع المزايا التى تحقق رسالة الفرقة وتوائم المزاج المصرى ؟ وهل هو الذى فرض ترجمتها تحقيقاً للخطة التى اختطها وأعلنها فى أحد أحاديثه فى جريدة البلاغ إذ قال ما نصه « إن عمل الفرقة الآن يمكننا من توزيع العمل بانتظام، وترجمة الروايات بناء على طلبنا، وذلك بأن نعهد إلى شخص معين بترجمة إحدى الروايات التى نراها صالحة لأن تمثل على المسرح » أو أنها فرضت عليه فتقبلها طائعاً راضياً ليقول كعادته « والله يا سيدى هذا اختيار لجنة القراءة وليس اختيارى أنا » ليتنصل من كل تبعة ومسؤولية ؟ ؟ أرجو أن يجيب حضرة المدير على هذه الأسئلة لينير لنا السبيل .

***

أما المسرح فقد ظهر فيه روح جديد، وإن سرنا أنه شمل الاخراج والاضاءة وحركات الممثلات والممثلين إلا أنه ساءنا بطغيانه على طبيعة التحدث فجعلها تفتعل النسق الباريسي فى كر الكلام ولفه وإطلاقه بسرعة إلى حد أننى كنت أفقد جملاً بأكملها تضيع المعانى معها .

أريد ألا أنسى أن المخرج فرنسى، والرواية فرنسية، ومزاج المدير مزاج فرنسى، فلا بدع أن تعلو السحب الفرنسية جو مسرحنا المصرى . وهذا يفسر لنا معنى اقتصار الفرقة على تمثيل أربع روايات فى هذا الموسم، منها اثنتان معربتان، وواحدة مقتبسة فى وسع المخرج الفرنسوى استيعابها وإخراجها على وجه صحيح ووضع فنى مستحب .

ابن عساكر

5me Année, No. 282

Lundi - 28 - 11 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨٢ « القاهرة فى يوم الأثنين ٦ شوال سنة ١٣٥٧ — ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

إصـــــلاح الصحافة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من وعود خطاب العرش الأخير أن « تعنى الحكومة بما يرفع مستوى الصحافة ويحفظ كرامتها، ويكفل فى حدود القانون حريتها، وأن تعرض على البرلمان مشروعاً لهيئة الصحافة ينظم مالها ولرجالها من حقوق وامتياز، وما عليهم من تكاليف وواجبات»

وهذا عمل واجب، ولكن كيف يكون ؟

إصلاح الصحافة والصحفيين أمر محمود مطلوب، ولكن من هم الصحفيون قبل كل شيء ؟

هذه أول صعوبة فى المسألة، لأن إنشاء هيئة للصحفيين ليس كإنشاء هيئة للمحامين أو للأطباء أو للمهندسين ؛ إذ كل طائفة من هذه الطوائف لها شروط محدودة ومؤهلات معلومة لا يقع الخلاف عليها . أما الصحفيون فليس من السهل تعريف الصحفى الذى يجب أن يحسب منهم على وجه يبطل فيه الخلاف

فهل الصحفى هو مالك الصحيفة ؟ أو هو المحرر فى مكتبها ؟ أو هو المراسل لها من الخارج، أو هو مدير أعمالها ؟ أو هو الكاتب أو المحصل أو الوكيل أو متعهد البيع الذى يتصل بها ؟

كل أولئك يعملون فى الصحافة وينتظمون تحت عنوانها ، وليست مصالحهم مع ذلك متفقات فى جميع الأحوال ؛ فما هو

من مصلحة مالك الصحيفة قد يكون إجحافاً بمحرريها وموظفيها، وما هو من مصلحة المحررين قد يكون إجحافاً بمالكها أو متعهد بيعها ، وقد تتسع المشكلة بين الفريقين حتى تتناول المشكلة « الأبدية » القائمة بين العمال وأصحاب الأموال

فأما إذا قلنا إن الصحفي هو الكاتب أو المشرف على مادة الكتابة فما هو شرط الكاتب في صحيفة يومية ؟ وما هو شرط الكاتب في مجلة من المجلات على اختلاف أغراض هذه المجلات ؟

قد تكون الصحيفة قانونية فهي في حاجة إلى كفاءة محام ، أو طبية فهي في حاجة إلى كفاءة طبيب ، أو مدرسية فهي في حاجة إلى كفاءة معلم . وقس على ذلك سائر الصناعات والموضوعات

بل ربما كانت كفاءة الطبيب حين يكتب في صحيفة طبية ألزم من كفاءة الطبيب حين يعالج المرضى في مستشفاه، لأن الكفاءة في الرجل الذي ينشر علمه على الألوف ألزم منها في الرجل الذي يقصده أفراد مسؤولون عن الثقة به والذهاب إليه . وإذا سهل الاتفاق على صفة المحرر الذي يتصدى للكتابة الطبية أو الفقهية، فما هي الصفة التي تشترط في السياسي وفي الأديب ؟

لا نقول إن حصر المرشحين للكتابة في الموضوعات الفقهية أمر ميسور مأمون العواقب ، فإن المتفق عليه أن طائفة من رؤساء المذاهب القانونية لم يكونوا من أهل القانون في التربية والنشأة ، وإن كان هذا الحكم لا يسرى على كبار الشراح والمفسرين

ولكننا نريد أن نقول إن الاتفاق ميسور على الصفة الواجبة في الفقيه ، غير ميسور على الصفة الواجبة في السياسي والأديب

فثلاثة من كبار ساسة العالم الآن كان أحدهم نقاشاً والثاني حداداً والثالث ابن أسكاف أخفق في صناعة أبيه

وغير هؤلاء وزراء ورؤساء وزارات كان منهم الاقتصادي والمحامي والمعلم والصانع الصغير

فاذا كانت هذه شروط قادة الأمم فما هي شروط الكاتب في صحيفة سياسية ؟ وما هي شروط الكاتب في صحيفة أدبية ؟

على أننا ندع الكفاءة للمادة التي يكتبها الصحفي ، وننظر إلى الكفاءة التي لا غنى عنها لمن يمارس الصناعة الصحفية

فليس كل قانوني ضليع بقادر على ترويج صحيفة قانونية ولو كان أقدر الباحثين في مذاهب التشريع ، لأن صناعة الصحافة غير صناعة الفقه القانوني ، وغير وضع الشرائع وتطبيق الأحكام ،

فاذا اكتفيت بالصنعة العلمية فقد تستثنى بذلك صنعة الصحفي التي لا بد منها لترويج الصحيفة ولفت الأنظار إليها وتنظيم إدارتها وبيعها ، وقد تقضى على الصحافة وأنت تريد لها الكرامة والارتقاء

ونحن هنا في مصر لم نعرف بعد مدارس الصحافة، ولم نبلغ بعد ما بلغته الأمم الأوربية من شيوع التعليم وذيوع الثقافة العامة ، فكيف تكون الصعوبة عندنا إذا كانت صعوبة الاهتداء إلى « الصحفي المطبوع » لا تزال قائمة في أمة كالأمة الانجليزية ؟ وأين تذهب صحافتنا إلى جانب الصحف الانجليزية التي تطبع الملايين وتجمع من الموارد ما يضارع موارد بعض الدول الصغار ويقرأها أناس كلهم أو جلهم متعلمون مثقفون ؟

قال ويكهام ستيد الصحفي الذي زاول الكتابة في أكبر صحف العالم : « لن تخرج صحيفة من الصحف بغير مجهود مكتب التحرير أي مجهود الصحفيين الخبيرين فمن هم الصحفيون الخبيرون ؟ لقد بذلت شتى المساعي لتدريب الصحفي على صناعته، وقامت مدارس للصحافة ، ثم لا يزال مشهوراً مقرراً بين الكثيرين أن الناجح في الصحافة لا يجوز امتحان نجاح ولا يحصل على درجة مدرسية ولا على رخصة من رخص الحرف والصناعات ، ولعله وهو يشتغل بجلب الأخبار وبيع الأخبار لا يبدو في مرتبة أرفع من مرتبة البائع الجوال الذي يجمع الدريهمات في الطرقات بالنداء والصياح، إلا أن « الوظيفة » التي يؤديها الصحفيون تخولهم مكانة اجتماعية فوق مكانة أناس ينحصر همهم كله في اصطياد العيون والأسماع . فمن أين لهم هذه المكانة ؟ ... أحسب أن مرجعها الأخير إلى إدراك الجمهرة العامة بالبداهة الفطرية أن عمل الصحافة الحق إن هو إلا رسالة أو مهمة ، وأنها شيء فوق الحرف وغير الصناعة، وسط بين الفن وبين دعوة التبشير ، وأن الصحفي الحق موظف غير رسمي وظيفته أن يخدم مصالح الجماعة الانسانية ، فهو بهذه الشارة يولد ولا يصنع ، وقد يفتقر إلى التدريب والاختبار ولكنه لا يوجد في الدنيا تدريب أو اختبار يجعله صحفياً صالحاً مالم تكن في نفسه تلك الشرارة الحية التي تميز بين الصحفي الحق والآلة الصحفية ... وليس أحمق بل ليس أفجع في بعض الحالات من تخيل بعض الناشئين أنهم متى أفلحوا في المدرسة أو الجامعة وأنسوا من أنفسهم قدرة على صوغ الكلمات فهم خلقاء أن

يفلحوا فى الصحافة إذا ظفروا بعمل من أعمالها، ولعلهم يضيعون سنوات من أعمارهم قبل أن يعلموا أنهم أخطأوا الطريق ولم يدركوا « المهمة التي بغيرها لايكون العمل فى الصحيفة إلا مذلة خاوية من السلوى القلبية »

هذا ما يقوله خبير من أكبر خبراء الصحافة الانجليزية عن مؤهلات الصحفى بين أناس فيهم من أبناء الجامعات والمدارس العامة والفنية عداد من عندنا من عارفى الحروف الأبجدية، فكيف يكون الحال بيننا يوم نأخذ في انتقاء الأعضاء الصالحين «لهيئة» الصحافة ؟ وماهى شروط العلم والاختبار التى تفصل بين الأصلاء والأدعياء ؟ وما هو ضمان البقاء فى تلك الهيئة مع ضمان حرية الآراء، وحرية الاغضاب والارضاء ؟

فى البلاد « الفاشية » قانون صريح يجيز للوزير المختص أن يصدر قراراً حكومياً بفصل الصحفى فاذا هو مطرود من جميع صحف البلاد، محرم عليه استئناف ذلك القرار إلى مراجع القضاء

وفى البلاد الديمقراطية يباح لمن يشاء أن يكتب وأن ينشئ الصحف وأن يشتغل بأعمال الصحافة دون احتياج إلى إذن من الحكومة أو رخصة باصدار الصحيفة

فأين نقع نحن بين الطرفين النقيضين ؟! أصحفيون موظفون فى دواوين الحكومة ؟ أم صحفيون لا يحسبون حساباً لغير قانون الأخلاق الذى يدين به جمهرة القراء ؟

لسنا فاشيين ولسنا بالغين من الحرية الديمقراطية مبلغ الولايات المتحدة وبلاد الانجليز، فلنكن وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء، ولنترك بقية من درجات الارتقاء يرتقيها الصحفيون مع ارتقاء القراء أجمعين، حتى يكون القراء هم الحكم الفاصل فى آداب الكتابة الصحفية فلا نحتاج فى كل شىء إلى نصوص القانون وزواجر المحاكم، إذ ليس من الانصاف أن تطلب من الصحفى أدباً فوق أدب قرائه مجتمعين، فاذا كان أدبهم كافياً ففيه الغنى عن الزواجر الحكومية، وإذا كان به نقص أو تخلف فالأولى علاج هذا النقص والتخلف قبل كل شىء، لأن علاج الصحافة وحدها ليس باليسير وليس بالمفيد

عباس محمود العقاد

انحنى

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

بقلم الآنسة الفاضلة « الزهرة »

إنحنى وتسامى بى عن هذا المربأ يا جوزفين
إنحنى وأشرفى من المرتفعات المذهبة، والهضاب السرمدية.

أو لست ترين كيف أجاهد لادراك القمم السنية، ولكن لافتقارى إلى الأجنحة أرانى عاجزاً عن بلوغ تلك الأنجد التى أتوق إلى الجرى فى غلاء أمجادها بكل قوي نفسي

إنى ألتمس طريقى، دون أن أستشعر الحزن والوحشة. لأن عوامل الشباب والأمل والصحة تجعلنى أظل سعيداً. ولكن وهج الأشعة الساطعة كثيراً ما يبتلى أعيننا بالجهر والبهر فلا ننظر، وإذا نظرنا كنا عميان لا نبصر. وأنا أتمسس التلاع والروابى، محاولا تسور يفاع رفيعة، لا أستطيع الاهتداء إليها، ولذا أود أن تعلمى أن حاجتى القصوى تهيب بك أن ... تنحنى وتتسامى بى عن هذا المربأ

لم يمض وقت بعيد مذ كنا نطأ معاً يفاع هذه الطريق عينها. وأنت تعلمين كيف كانت تلك الصفائر الملتوية تنفه نفسينا بل كيف كانت تلك المنحدرات التى حسبناها مهلة قريبة تمغل أقدامنا بالتعب المعيى والمزاولة المؤجلة، وتصدف بنا عن الجادة. فانحنى وتسامى بى عن هذا المربأ.

أما أنت فلم يعوقك احتفال تشمير، ولم يلبثك تأهب معاد، بل واصلت سيرك إلى الأمام فى رصانة، وصمدت إلى فروع العلى فى هدوء وأمن، وتركتنى هنا — غير مختارة — ياحبيبتى جوزفين وسأقنع إلى النهاية باللبث فى هذا المكان لأن الحياة تفيض بالوعود.. ولكن ياصديقتى، ألا تحققين غايتى القصوى فتنحنى وتتسامى بى عن هذا المربأ؟ لقد غدوت قوية حكيمة مع أنك كنت ضعيفة ساذجة وقد أوتيت دقة فى الحس، وصرت تدركين كل مطالب النفس، وتشعرين بأدق خوالجها وحاجاتها.

وأعرف أن العام الذى قضيته فى جوار خالقك، قد جملك خطيرة النفس، رفيعة الأهواء، مبرورة المقاصد، شريفة المساعى؛ وأوقن أنك تشهدين كفاحى، وتبصرين ما يصهر نفسى من حنين وتوق إلى تفرع ذرى المعالى وتوقل معارج المكارم.

فانحنى وارفعينى إلى القمم السرمدية « الزهرة »

الحقائق العليا فى الحياة

الايمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

« ألفاظ إذا نطقتها تتحرك لها فى نفسى دنيا كاملة ! »

للأستاذ عبد المنعم خلاف

٣ — الايمان

الايمان والفلسفة :

قالت عقلية القرن التاسع عشر للزهوة بالكشوف العلميـة والناقة على قضايا بعض الأديان وقيودها وخرافاتها التى تراكمت عليها بتوالى العصور : إن العلم والايمان لا يجتمعان . وقد سارت فى تفسير كل شىء خارج عن حدود المـادة والمخابير والمعامل ، بتأويل مادى وآلى ، وطغت الفلسفة المادية على الفلسفات التجريدية، وأفرغت الطبيعة من «الارادة، والعقل» وجعلتها رهينة بالصدفة وأعطت للزمن حكم التصفية والتوجيه ، وأعطت القوى العمياء قوة الاختيار حتى قالت « إن الوظيفة تخلق العضو ! »

وكفرت بحقيقة « السببية » والارتباط بينها وبين « المسببية » ... إلى آخر ما زخرت به كتب هذه الفلسفات مما يصل في بعض الأحيان إلى درجة الهذيان .

وقد كان يجوز أن نقبل هذه الفلسفات التى تسند إلى القوى العمياء بعض « الفاعلية » لو أنها جعلت وراء هذه القوي إرادة واحدة منظمة مختارة موجهة . ولـكنا لا نقبل بحال أن تكون هـذه القوى فاعلة بذاتها مستقلة عن ذلك النظام العام الموضوع بتدبير محكم ، وإلا رجعنا بعقولنا إلى درجة أشبه بطور الوثنيات القديمة التى كانت تعبد بعض القوى قصورا من عقولها عن إدراك قوة كلية عامة تدبرها جميعها »

وإن أول سؤال يرد على عقل متوسط هو : ما هو العامل الموفق بين فاعليات هذه القوى المتضادة العمياء هـذا التوفيق الدائم المطرد البديع لو أن الأمر كان كما يزعمون من تسلط تلك القوى العمياء على الكون ؟

والغلط الفاحش المغرور الذى لا يقبـله العقل العام المتزن ، أن تتخذ حياة الأرض ، وهى ما هى من الصغر والضآلة ، مقياسا للحكم على العالم كله فرشه وحشوه وعرشه !

وقد وصل هذيان هذه البلبلة إلى حد فظيع من الرجم بالغيب باتخاذ الفروق التى تساق فى الأصل لملء بعض الفجوات التى بين حقائق العلوم كأساس مسلم للحكم عليه ، مثلما اتخذوا الأثير ، وليس هو أكثر من فرض فرضه بعض العلماء ليحل به بعض مشاكل الطبيعة ، ولا يزال هـذا الفرض بين رفض وإثبات إلى اليوم .

ويتعجب العقل البسيط السائر مع أبجديات الطبيعة من أن يصل تفكير بعض الناس — بله كبار الفلاسفة — إلى مثل ما وصل إليه من هدم الحقائق بالفروض !

* * *

ليس المقصود من الحياة الفكرية ألا يرضى العقل بالأوليات الظاهرة المسلمة وأن يمعن فى الغوص والتعقيد ليخرج بفروض غريبة شخصية ليحل بهـا مالا يفهمه من قضايا الكون كما هو الطابع الغالب على الفلسفات ، وإنما المقصود من الحياة الفكرية أن يكون التأمل فيها ممهدا للاثبات والعلم اليقينى . فلا يفلت الخيال فى حالة الصحو كما يفلت فى حالة النوم أو التخدير ... وما من شك فى أن عصور الفلسفة كلها لم تفد الانسانية بمقدار ما أفادتها الطريقة التجريبية التى دعا إليها فرنسيس بيكون فانها الطريقة التى قفزت بالانسانية إلى أسباب رقيها السريع فى القرنين الأخيرين ، لأنهـا تركت عالم الأحـلام والبدوات والفروض الشخصية التى قد لا تفهم إلا فى رءوس القائلين بها وقد لا تكون ناضجة الفهم فى رءوسهم أيضاً ... واتخذت البديهيات البسيطة والمركبة أساسا بنت عليه صرح العلم الحديث

ولقـد كان جزاء هؤلاء الذين يسرفون فى اتباع الظنون والفروض ويتركون البسائط المعقولة بالبديهة إلى الأوهام ، أن يعيشوا منكدين أشقياء متشائمين مرضى مضروبين بالشك والألم والبلبلة والشذوذ منفيين من الحياة ! وهاهم أولاء أبو العلاء وشوبنهاور ونيتشه أمثلة تضرب فى ذلك ...

(البقية على صفحة ١٩٥٠)

في غار حراء

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذا يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف ، ونحن في البلد الأمين مكة وقد قضينا مناسك الحج ...

قلت لبعض الرفقاء : هلم إلى غار حراء . فأخذنا سمتنا صوب الشمال ضحوة النهار ، منا الراكب ومنا الراجل ، وملء القلوب اشتياق وسرور ، وعلى الوجوه التهلل والبشر

بلغنا جبل النور — جبل حراء — بعد أربعين دقيقة . وملنا مع الدليل ذات الشمال فاذا امرأة تنحدر من السفح مسرعة تصيح : « أنتم غادين ؟ » فقلنا : ما تبغين ؟ قالت : هنا الطريق . فاتفقنا على أن تهدينا السبيل إلى الغار . ونظرنا إلى الجبل فاذا السفح ينتهي إلى قمة شاهقة ملساء ، قطعة واحدة من الصخر قائمة

سارت فاطمة أمامنا مصعدة خفيفة سريعة لا تبالي الشوك والحصى وأطراف الصخور الحديدية كأنها أروى ترتع على السفح

سارت في طريق مملة يبين فيها بين الحين والحين تمهيد الانسان ؛ هنا حجارة مرصوصة يرتقي عليها الصاعد ، وهناك جدار صغير من حجارة مركومة أو مبنية تعصم المرتقي أن يزل عن الطريق

تتابعنا صاعدين جاهدين منحنين على المرتقى الصعب، وما في النفوس من رفعة الذكرى أجل وأرفع، وما يبهر النفس من رهبة المكان أبهر وأروع ، مما يثقل الجسم في توقل هذا الطود العظيم . وكأنما نرتقي في التاريخ وعبرته، ونصعد في جلال الحق وعظمته، ونطمح إلى السماء ، لا إلى قنة حراء . ألسنا مقدمين على مشرق النور ، ومطلع الحق ، ومهبط الوحي ، وملتقى السماء والأرض ؟ لكأن هذه الأشعة المرتدة عن هذه القمة الملساء العالية بقية من نور الحق تتألق في حراء ، أو آي من القرآن لاتزال ترددها الأصداء

صعدنا ثم صعدنا حتى انتهينا إلى صخرة مُظلة، فأوينا إليها قليلا نستجم ونمسح العرق . ثم رقينا تتلوى بنا الطريق ذات اليمين وذات الشمال حتى بلغنا مستوى فيه حوض كبير طوله ثمانية أمتار وعرضه ستة وعمقه أربعة، بعض جوانبه الصخور، وبعضها جدار من الحجر ، يجتمع فيه مياه المطر . وقد صادفنا فيه ماء صافيا باردا فشرب من شرب وتوضأ من شاء ، وجلسنا هناك جلسة شربنا فيها الشاي واسترحنا ، وجمعنا قوانا لبلوغ القمة

بعثة الجامعة المصرية صاعدين إلى قمة حراء يتقدمهم الدكتور عزام

على ذروة الجبل بقية جدار تحيط بمستوى ضيق في وسطه صدع في الصخر . يزعم العامة أن عند هذا الصدع شُقَّ صدر الرسول . وللعامة في الأمكنة المقدسة أوهام يصلونها بمواضع من الأرض والجبال والأبنية والأشجار . وكأن السلطان عبد العزيز رحمه الله صدَّق هذا الزور فأمر أن تبنى على المكان قبة عالية كان ارتفاعها ثمانية أمتار . فلما جاء الوهابيون هدموا القبة والجدار إلا بقية

وقفنا على الذروة نسرح العيون حولنا بين جبال وأودية ونري مكة وجبالها وقلاعها ودورها

هذه قمة حراء فأين الغار ؟ جنوبي هذه القمة درجات هابطة على السفح منحوتة ومبنية ، هبطنا زهاء ثلاثين درجة ثم مررنا فلنا نحو اليمين إلى صخرة هائلة مائلة على الجبل ، وتخللنا مسلكاً

ضيقاً قصيراً بينها وبين السفح إلى مستوى صغير، فإذا أمامنا سفح منقطع ينحدر إلى أرض سحيقة، وعلى يميننا قمة حراء التي كنا فوقها، وعلى يسارنا الغار: غار حراء العظيم! فجوة ضيقة تميل على مدخلها صخور تدعم بعضها حجارة مبنية. فأما سعة الغار فرقد ثلاثة متجاورين، وأما علوه فقامة رجل، وفي نهايته صدع ترى منه الأرض والجبال إلى مكة.

هنا فر محمد بن عبد الله بنفسه — فر إلى ربه من ضوضاء الحياة وأكاذيبها، من مظالم الناس ومفاسدهم، من باطل العقائد وزورها — أوى إلى هذا الجبل، إلى هذا الغار، إلى قلب الخليقة! هنا طود أشم يطل على أودية ألحت عليها الشمس المحرقة ليس بها من معنى الحياة إلا نبت ضئيل، وليس بها من ذكرى الحياة إلا أثر السيل بعد المطر. ووراء الأودية جبال شامخة تتداول عين الرائي؛ وعلى بعد مكة، بين هذه الأودية والجبال وتحت هذه السماء الصاحية حقائق لا يشوبها تمويه ولا تزوير، ولا يلحقها تبديل ولا تغيير، ولا يمسها رياء ولا نفاق.

فرّ محمد إلى هذه الحقائق لا فرار الراهب يترك الناس لينجو بنفسه، ولكن كما يلجأ إلى الشاطئ من يحاول إنقاذ إخوانه الغرقى. هنا جمع محمد نفسه وفتح قلبه وناجى ربه، وهنا تجلى الله لهذه النفس الزكية، وأضاء على هذا القلب الطاهر، هنا جاء الوحي ونزلت الآية: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم» وهي فاتحة القرآن، وغرة الاسلام، ومسجلة سعادة الانسان. لله ما وعى هذا الغار من آيات! وياعجبا كيف ثبت على هذه الرجفات، و «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله!». قلت من قبل في شعر الصبا:

لعل جبال مكة لا تزال يجلجل فوقها هذا المقال
ويخفض رأسها ذاك الجلال وما نسيت بغار حراء ذكرى

والآن أقول: ألا يسمع هنا ذلك الصوت مدويا مردّدا؟ ألا يرى هنا هذا النور طائفا بحراء متلألئا؟ ألا يجد الواقف هنا روحا من الايمان، ويسمع وحيا من القرآن؟

خرج محمد صلوات الله عليه من هذا الغار، من حضن هذه الخليقة وهو أشبه شيء بها؛ خرج حقيقة من حقائق الله نقيّة جليّة صريحة، لا تبديل ولا تزوير، ولا لبس ولا تغرير، ولا اخفاء ولا اضطراب. خرج قانوناً من قوانين الله التي تسيّر الشمس والقمر والنجوم، وتمسك السماء والأرض، يمضي قُدماً إلى الغاية المقدورة مضي النجوم في حبكها، والشمس في فلكها

تمثل الرسول هابطاً من حراء وقد حمل عبء النبوة واضطلع بأمانة الرسالة، وأفضى الله إليه بوحيه وكلفه هداية خلقه

ليت شعري أهبط ونفسه قريرة هادئة كما ينزل النور من الشمس والقمر، أم نزل ونفسه جائشة مجلجلة كما ينزل الغيث بين الرعد والبرق؟ لست أدري، ولكنه نزل ديناً جديداً، وعصراً وليداً، وتاريخاً مديداً، وإصلاحاً شاملاً، وهدى كاملاً، ورحمة للعالمين

أيها الغار! يا مولد الحق، ومطلع النبوة، ومأوى محمد! لولا أن محمداً الكريم ههنا لقبلت أحجارك واكتحلت بترابك

أيها الغار! من لي فيك بخلوة، من لي بخلوة فيك!

ناداني صحبي: هلم فقد حان الرجوع، فعدنا إلى مكة

عبد الوهاب عزام

على الخبير سقطت

للأستاذ قسطاكي بك الحمصي

أطلعني بعض الأصحاب الأفاضل على العدد ٢٧٧ من مجلة الرسالة الوضيئة، وقد رأوا فيها اسم هذا العاجز مذكوراً في مقالة على كتاب المبشرين جاء في حاشية منها استشهادي بأخلاق ونزائع الأخ الحبيب بل أستاذي الجليل الشيخ ابرهيم اليازجي رحمه الله فلم أر بداً من إجابة طلب الأستاذ العلامة صاحب المقالة، وقد دلني قوله على يقين حضرته بما كان بين الامام وبيني من متين الود والاخلاص ومستسر الأحاديث واتصال المكاتبة مدة ربع قرن أو تزيد

ولقد أورد حضرة الصديق الفاضل صاحب الرد على المفترين مانشره في الضياء الامام اليازجي رداً على صديقه وصديق الامام صاحب المنار — طاب ذكرهما — مافيه بلاغ

على أني وفاء بمهدي عند الوداع الأخير لذلك الامام الجليل بترديدي قول الشريف :

لادَرَّ دَرِّي إن مطلتك ذمة في باطن متغيب أو بادي

وكرامة لتحقيق بغية هذا الأستاذ الجليل أشفع الحجة بالحجة فأقول :

إن الشيخ اليازجي لفرط شغفه بلغته العربية كان منصرفاً عن جميع الملاذ الدنيوية لا يطرب لشيء كطربه لأحاديث اللغة والفنون، وقد جذبه ذلك الشغف إلى إجلال القرآن واحترامه إجلالا واحتراماً لا يفوقه فيهما أكابر أئمة المسلمين، لأنه هو عماد اللغة العربية وركنها الشديد، وهي التي أفنى أيام حياته كلها في حبها. وكان رحمه الله يقول : لولا القرآن لماتت اللغة العربية، وبموتها تنقرض الأمة العربية وتتداخل في أصول جيرانها الأقوياء والعياذ بالله. وقال لي يوماً في عرض الحديث عن الطاعنين في لغة القرآن كلاماً أذكر معناه وإن تبدلت الألفاظ :

من المعلوم أن القرآن أنزل لدعوة قوم إلى عبادة الله والايمان برسالة محمد، وكانوا هم وكثير غيرهم من قبائل العرب عباد أصنام، وهم أهل لغاتها، ولم يكن لهم ومنذ كتب لغة وقواعد نحو وصرف، ولا يعرفون من ذلك سوى أشعارهم وأحاديثهم وما يروونه من أقوال خطبائهم وفصحائهم، فلو رأوا في لغة القرآن عوجاً أو أمتاً ومحمد يتحداهم بفصاحة لغة كتابه وفيه: «قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» وكثير من أمثال هذه الآية. أقول لو رأوا فيها أغلاطاً تخالف متداول لغاتهم لأنكروها عليه وهم لم يقفوا في معاداته وإنكار رسالته عند حد، فقد قالوا عنه أوله؛ إنه شاعر مفتون وساحر ومجنون، وأمثال هذا من القحة والشتم فما الذي صدهم عن المجاهرة في الطعن على لغة الكتاب بعد كل التحدي المؤلم الذي كان يتكرر في آياته؟ فان زعم الطاعنون اليوم أن أولئك قد طعنوا ولم يصل إلينا كلامهم أجبناهم أن الكتاب ذكر قولهم فيه إنه مجنون، وهل هناك نعت يعد أشد إيلاماً من هذا النعت؟

وجملة القول أن الامام الشيخ ابراهيم اليازجي كان يرى في المطاعن المذكورة نقص اطلاع أصحابها على علوم اللغة وقواعدها وتشعبها في القبائل الكثيرة من العرب. والكتاب كما هو معلوم لم ينزل لأهل قبيلة أو قبيلتين من أفصح القبائل العربية بل لجميع العرب، كما أن واضعي القواعد العربية وجامعي لغاتها لم يحيطوا في كتبهم بكل ما تداولته جميع تلك القبائل، بل اقتصروا على الأفصح تارة وحيناً على الأشهر والأعم لتكون اللغة في ميسور المتعلمين، وهم مع كل احتياطهم وأخذهم بالأحزم لم يجمعوا إلا نحو الثلث من ألفاظ اللغة كما روى كثير من أكابر العلماء كأبي عمرو بن العلاء وابن سيرين وغيرهما. وقل مثل ذلك في قواعدها. قال ابن جني: أخبرني فلان عن فلان عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني في كتابه الكبير في القراءات قال: قرأ على أعرابي بالحرم «طيبي لهم وحسن مآب» فقلت له طوبى، فقال طيبي، فأعدت فقلت طوبى فقال طيبي، فلما طال علي قلت طوطو قال طي طي. أفلا ترى إلى هذا الأعرابي كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء ولم يؤثر فيه التلقين؟

وقال: سألت يوماً محمد بن العساف كيف تقول ضربت أخوك. فقال أقول ضربت أخاك. فأدرته على الرفع فأبى وقال لا أقول ضربت أخوك أبداً

وحكى الكسائى أن قضاعة تقول مررت بَهْ والمالُ لِهْ وأنه فاش فى لغتها

ونحن نعلم أن بعض العرب قالوا مررتُ بأخواك وضربت أخواك ، وكل هذه وغيرها لغات كثيرة موثوق بها وردت عن العرب. والقرآن ورد على سبع لغات منها، فالطعن فى لغته أو لغاته ضعف وقوف على لغات العرب وأقوال العلماء والشراح وهو أمر مفروغ منه

وقال ابن جنى: قلت مرة لأبي بكر أحمد بن على الرازى رحمه الله وقد أفضنا فى ذكر أبى على ونبل قدره ونباوة محله : أحسب أن أبا علىّ قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا . فأصغى أبو بكر إليه ولم يتبشع هذا القول

فاذا كان ابن جنى وهو الامام الجليل بين العلماء المتقدمين والمتأخرين يقول عن أستاذه أبى على الفارسى وما أدراك من هو ؟ إنه انتزع من علل العلم ثلث ما وقع لجميع العلماء إلى عهده وهو يخشى أن يكون قد اشتط فى هذا الحكم، فما عسى أن يبلغ علم هؤلاء الطاعنين فى لغة القرآن من علم أبى على الفارسى وابن جني وأمثالهما من المتقدمين وفلاسفة الاسلام وشراح القرآن ؟

هذا الكلام وأمثاله دار كثيراً بينى وبين الشيخ إبراهيم اليازجى ، وكل من نقل عنه وأذاع حرفاً مخالفاً لما رويته من مذهبه أعلاه أعده كاذباً مختلقاً مفترياً يستوجب اللعنة من الله والناس

وفى الختام أكرر الشكر لحضرة الأستاذ العالم الأجل الذى استشهدنى فوفقنى لنفى الافتراء البحت، وأشكر لصاحب الرسالة الأديب الفاضل إفساحه صفحة منها لكلامى . لابرح خير معوان لنشر الفضائل، ولا زالت رسالته لأفصح اللغات أم الرسائل

« حلب » قسطاكى الحمصى

ليلى المريضة في الزمالك

للدكتور زكى مبارك

صديقى ...

سألتنى أن أكتب كلة عن ليلى المريضة فى الزمالك، فأثرتَ فى صدرى لوعة محرقة كنت أرجو أن تصير بفضل الكتمان والتناسى إلى الخمود

وماذا يهمني من أمر تلك الانسانة الظلوم ؟

إن الدنيا كلها سخفٌ فى سخف ، والحب كله بلاء فى بلاء ، فلتمض تلك الذكريات إلى جحيم النسيان والجحود

وقد تعلمت فى حياتي أشياء ، وكان أغنى ما تعلمت هو اليأس من وفاء القلوب

وأقسم بالله وبالحب ما خططت هذه العبارة إلا وأنا أقاوم طغيان المدامع ، فمن الحسرة واللوعة أن أنْفُضَ يدى من العواطف بعد أن جعلت الكتابة فى العواطف مذهباً أدبياً له أنصار وأشياع فى سائر الأقطار العربية

ولكن خيبتى فى الحب لها أسباب

وآه ثم آه ، من الاعتراف بالخيبة !

ليت ضلالى فى هواى كان دام حتى أخرج من دنياى وأنا موصول العطف على الملاح !

فان سألتَ عن أسباب القطيعة بينى وبين ليلى المريضة فى الزمالك فانى أحدثك بأن تلك الأسباب ترجع فى جلتها إلى سبب واحد هو العظمة الحقيقية التى فطر الله عليها قلبي

ومعاذ الأدب أن أكون من المفتونين أو المخدوعين ، فلى قلب ماعرف الناس مثل جوهره النفيس فى قديم أو حديث هو قلب فطر على الحب والعطف والوفاء

وقد شاء هـذا القلب أن يبسط حنانه على ليلى المريضة في الزمالك .

فماذا صنعت تلك الحمقاء ؟

***

لا تسأل كيف كنا إلى خريف سنة ١٩٣٧

كنا عاشقين

وما أسعد العشاق !

كنا نعرف أطايب الخلوات على شواطىء النيل

وما أسعد من يستصبحون بظلام الليل على شواطىء النيل!

كان قلب ليلى أصغر من قلبي

ولكنها مع ذلك كانت تملأ قلبي ، وهو قلبٌ يرضى بالقليل في بعض الأحيان

وكنت أتلقى القليل من عطف ليلى بالحمد والثناء

والذوق كل الذوق أن تفرح بالقليل من الملاح

كانت ليلى تَعِد وتخلف ، وكنت أرى إخلافها من الدلال

وكنت أروضها بنفسي على الاخلاف ، لأني كنت أحب أن أخلق منها دُمْيَةً روحانيةً أعاقر في محياها كؤوس النبل والصفاء

وكان ما أردت وأراد الحب العذريُّ حيناً من الزمان

أردنا مرة أن نؤلف رواية ...

فهل ألفنا الرواية ؟

ليتنا ألفنا الرواية !

آه من ليلى ومن زماني !

* * *

ودامت دنيانا في قَبض وبَسط ، وبُؤس ونعيم ، إلى مساء اليوم الثامن عشر من الشهر التاسع سنة ١٩٣٧

ففي ذلك المساء تفضلتْ ليلى فدعتني إلى تناول العشاء لتمنحني القبلة الموعودة قبل رحيلي إلى العراق

وكانت لحظة من الحياة لن أنساها ما حييت ، وإن كدَّرتها ليلى بعد ذلك

أحبك يا ليلى ، أحبك لتلك اللحظة التي بللت نجوم السماء

أحبك يا ليلى وإن صيَّرتِ حياتي بؤساً في بؤس ، وشقاء في شقاء

أحبك يا صغيرة القلب ، ويا ضعيفة العقل ، ويا قليلة الوفاء

أحبك يا مثال النزق والطيش والجنون

أحبك لتلك اللحظة القصيرة التي بددت أضواؤها ظُلمات قلبي

* * *

وفي اليوم التالي رحلتُ إلى بغداد وأطياف الزمالك تؤنس روحي

ثم سمعتْ ليلاي في الزمالك أني تعرفت إلى ليلى المريضة في العراق

فماذا صنعت الحمقاء ؟

أرادت أن تنتقم مني ففتحت أبواب قصرها للواغلين من أدعياء الأدب والبيان

ولم تكتف بذلك ، بل أعلنت غضبها عليَّ في رسائل نشرتها في مجلة الصباح

وأسرفت الشقية في الحمق فنشرت في مجلة الصور أخبار سهرة تناول فيها السامرون عندها أكواب الصهباء

وكانت الشقية تعلم أن ذلك سهمٌ سيصيب صدر حبيبها في العراق

ولكني تجلدت وتماسكت ، وكتبت إليها أعتب في رفق ولطف

فأجابت الحمقاء :

« هل كنت تنتظر أن أضع يدي على خدي إلى أن ترجع من بغداد ؟ »

خبر أسود !

خبر أسود !

خبر أسود !

كذلك هتفتُ كما يهتف الفلاح المصري حين ينزعج ، وعبارات الفلاحين تسبق إلى لساني حين يثور غضبي

إن ليلى المريضة بالزمالك لا تريد أن تضع يدها على خدها حتى أرجع من بغداد ، وهي تعرف أني هاجرت إلى العراق لغرض نبيل هو توثيق علائق المودة بين مصر والعراق

وهل تفهم المرأة هذه المعاني ؟

آمنتُ بالله ، وكفرتُ بالحب !

* * *

أما بعد فقد انتهى ما بيني وبين ليلى المريضة في الزمالك ، وقد حرمتُ على نفسي رؤية الزمالك إلى أن أموت ، فحدثوني

يا رفاق عن أضواء الزمالك وأيام الزمالك وليالى الزمالك ، حدثونى كيف يغنى الكروان فى الزمالك . حدثونى كيف تكون أشجار الزمالك فى الليل . حدثونى كيف يثب النيل ليقبل أقدام الزمالك ، حدثونى كيف تصبر عنى ليلاى فى الزمالك . حدثونى كيف تغيب الشمس عن الزمالك . وكيف يطلع القمر على الزمالك . وكيف تثور عواصف الحب والبغض فى الزمالك

حدثونى ، حدثونى ، حدثونى

انتهى حُلم الحب ، وانتهت أيام الزمالك ، وانقضت ليالى الزمالك

تلك الزمالك لم تكن إلا قطعة من وطنى ، ولو شئتُ لقلت إنها قطعة من كبدى

فى الزمالك تعلمت طب الأرواح والقلوب

وبالزمالك شقىَ روحى ومرض قلبى

فأين السبيل إلى الرجاء ؟ بل أين السبيل إلى اليأس ؟

أحبك يا غادة الزمالك ، أحبك ياغادرة ، وأعشق ضلالى فى هواك النبيل وهواك الأثيم

ليلاى ، ليلاى

ما زال روحى الظامئْ يحوم على وِرْدك النمير ، فارحمى الطائر الذى يرفرف حول حماك فى السَّحر والضحى والأصيل ، ويخفق بقلبه وجناحيه كلما دَعَته الشوق إلى صهباء الرضاب

أنا مشتاق إلى الكوثر الممنوع الذى كانت قطراته تُسكر روحى وتعفِر فؤادى

أنا مشتاقٌ إلى النار التى كوتْ كبدى ، فتى أواجه تلك النار المَصُوف ؟

سأقبّل قدميك حين أراك ياشقية ، ولكن متى أراك ؟ متى أراك ؟

أفى الحق أننا تخاصمنا إلى آخر الزمان ؟

أفى الحق أن عربدة الهوى لن تعود ؟

لقد شمت فينا الشامتون ، فتى يندحر الشامتون ؟

إننى واثق بطهارة قلبك ياشقية ، ولولا ذلك لأصليتك نار العقوق .

لحدثينى متى ترجعين إلىّ ؟ متى ترجعين ؟ متى ترجعين ؟

***

ليلى ، ليلاى التى خرجت من حماها كما خرج آدم من الفردوس ، ليلاى أجيبى

مضت أعوام وأنا أتلقى منك تحية رمضان، فأين تحية رمضان؟

إن الناس يذكرون موتهم فى هذه الأيام يامعبودتى ، وأنا قتيل الهوى ، فمن يذكرنى إذا صدفت عنى ؟

لا تؤاخذينى بما جنيت فى حب ليلى المريضة فى العراق ، فما كانت ليلاى هناك إلا صورة من صور الطهر والنبل والعفاف

أحب ليلاى فى العراق ، وإن تأذيت بذلك فاصنعى ما تشائين

***

أيتها الحمقاء فى الزمالك

لا أحب أن أراك إلا يوم تعرفين أنى صاحب الفضل على جميع الملاح، فلولا قلمى ولولا بيانى لصارت الصبابة ألعوبة من الألاعيب

أنا أنتظر الجزاء الحق على وفائى وإخلاصى

أنتظر أن تكون دنيا الصباحة والملاحة طوع يدى

فان لم تفعلى — وستفعلين — فودعى دنيا الرفق والحنان

ليلى ، ليلاى

إلى صدرى ياعروس الزمالك

إلى صدرى ياجارة النيل

إلى صدرى العاشق الوفى الأمين

زكى مبارك

من دموع القلب !

« مهداة إلى الأستاذ أنور العطار »

للأستاذ علي الطنطاوي

« هل تذكر يا أنور ، يوم جزنا بمقبرة الدحداح ونحن طفلان يتيمان في طريقنا إلى المنزلين الصغيرين المتجاورين في (السمانة) فوقفنا ساعة على القبرين المتدانيين نزور أبوينا ... ثم ذهبنا مسرعين لنودع آلامنا صدر الأم ؟

أتذكر ما قلت لى يومئذ عن حبك أمك وتعلقك بها ، وما قلت لك ؟ أتذكر أننا اتفقنا على أن الحياة مستحيلة علينا بعد الأمهات وأننا سنبقى معهن أبداً وشملنا جميع وعقدنا متصل ؟ لقد كان ما ظنناه مستحيلا يا أنور ... لقد ماتت أمى وأمك واحتواهما ذلك القبر الذى حوى أبوينا من قبل وعشنا بعدهما ... لم نعد نملك منهما يا أنور إلا دموعا حرى في العين وحسرات لاذعات في القلب ... لقد غابتا إلى الأبد ! » (علي)

لست أدرى ما الذى يحملنى على ذكر الماضى ونبش عظامه النخرة ؟ وما الذى يغرينى بأن ألتمس مكان أحلامى من الواقع ... وأنا أعلم أن الماضى قد ذهب بمسراته وأحزانه ولم يبق فى يدى منه إلا هذه الذكريات التى طالما حاولت أن ألقى بها فى الزاوية المظلمة من نفسى لتنام فيها إلى الأبد ، فكانت تستفيق كلما أردت نسيانها فتسود صفحة الحياة فى ناظرى حتى لا أرى فيها جميلا ولا بهيًّا ... وأنا أعلم أن أحلامى التى بنيتها بقطع قلبى ، وأنقاض أيامى ، ورويت رياضها بدمع عينى ، قد جف زهرها ، وصوّح نبتها ، وانهارت أمام عينى دفعة واحدة ، كما ينهار بيت من ورق اللعب ضربته كف إنسان ... فأيست منها وذهبت أعيش بقلب محطوم وكبد مكلومة ، فأضحك وأمرح حتى ليظننى الناس أسعد الناس وأنا أشقاهم وأخيبهم أملا ، وأشدهم ألماً ...

فلماذا أعود الليلة إلى الماضى التى ماتت أيامه ، وماتت أحلامه ومات ناسه ؟

***

كنت أطل من شرفتى فى الفندق على شارع الرشيد فى بغداد الذى يمثل الحياة ويفسرها ويصور حقيقتها أكثر من تصوير الأدباء وتفسير الفلاسفة ، بل إن ساعة واحدة تشرف فيها على شارع الرشيد أجدى عليك فى فهم الحياة من دراسة عشر سنين فى هذه الكتب ...

وماذا فى الكتب إلا الحيرة والضلال ؟ ومنذا الذى تبلغ به الحماقة وتفيض على نفسه حتى يدعى أنه فهم الحياة من الكتب ؟ أنا أحد صرعى هذه الكتب وضحاياها فسلونى عن خيبتى وخسارى؟

قالت الكتب : إن المستقيم أقصر الخطوط فاسلكه تصل ، واستقم تبلغ غايتك ، فسرت قدماً فاصطدمت بأول جدار لقيته فشج رأسى وقمدت مكاني ، واستدار غيرى والتوى كما تستدير طرق الحياة وتلتوي فوصل

قالت الكتب : كن فاضلا واحرص على مكارم الأخلاق فهى السبيل ، فوجدت أهل الرذيلة هم الذين يصلون ، ورأيت أسفل الناس أخلاقاً صار أستاذاً للأخلاق فى أكبر مدرسة ، فعجبت من سخر الحياة !

وقالت الكتب : الحق ، وقالت الحياة : القوة ... وقالت الكتب : الفضائل . وقالت الحياة : الشهوات . وقالت الكتب... ولكن لم يكن إلا ما قالت الحياة !

ونظرت إلى شارع الرشيد ، فاذا السيارات من كل جنس ولون ، والعربات من كل شكل ونوع ، والدراجات والعجلات ، كلها يعدو يريد أن يصل أولا ، وكلها يزاحم ، وكلها يزأر ويصيح ويهدد ، ولكنها إذا بلغت الغاية رأت أنها لم تصل إلى شىء فعادت أدراجها تزاحم وتعدو وتصيح ...

فقلت : كذلك الحياة ... سباق وتزاحم ، ولكن ماهى الغاية ؟ لا شيء ... !

***

ودخلت الغرفة وأغلقت علىّ بابى ، وأردت أن أفىء إلى عزلة أسكن فيها نفسى ، وأجد فيها راحتى ، ولكن الباب قرع ، وجاء السيد حيدر الجوادى ، الرجل الذى ملك على الدكتور زكى مبارك أمره ، وأطربه وأعجبه حتى غدا لا يصبر عن سماعه حينما

رآه ، وحتى اضطره إلى الغناء فى المكتبة العامة ، وقال له : غنّ هاهنا فوالله ليتحدثن بها الناس وليقولن إن زكى مبارك ابتدع الغناء فى المكتبات ... جاءنى فغنانى (أبوذية) من (أبوذيات العراق) التى ما أظن أن إنسيا أو جنيا عرف نغمة أشجى منها وأسرع إلى القلب وصولا ، وأشد للألم تصويراً . هى قطرات من الدمع صورت نغما . هى خفقات القلب صيغت نشيدا . هى... هى خلاصة الفن العبقرى الذى يصور الألم العبقرى ... فهز نفسى هزا عنيفاً ، فتح صفحاتها جميعا ووصل ماضيها بحاضرها ، وأسلمها إلى ذهلة عميقة — لذة ممتعة — ولكنها أليمة موجعة ، ذكرت (العتابا) تلك الأغنية التى ترن بها أبداً أودية لبنان ، وتنحدر أصداؤها على سفوحه وحدوره ، ولا يدرى أحد من هو الذى وضعها ونظم مطلعها وألف لحنها ، (العتابا) الخالدة التى يشترك فى تأليفها العصر الجديد والعصر الغابر ، ويزيد فيها كل جيل أدواراً فيكون منها الصورة الصادقة لعواطف الشعب وهواجسه وأمانيه وذكرياته ، تلك التى تعيش فى ترنيمة السواقى المتكسرة على الشعاف والصخور لتبلغ قرارة الوادى ، وفى نشيد الرياح فى الأودية البعيدة ، وفى همس الأوراق فى غابات الصنوبر الضاحكة ، وفى عطر كل زهرة ، وصمت كل صخرة ، وأشعة الشمس المطلة من وراء الذرى للسلام ، والمشرفة من آخر الأفق للوداع ، وفى نور القمر الذى يغمر لبنان بفيض من الشعر والحب والسحر ، وتعيش فى كل ذروة من لبنان !

* * *

رجعتنى هذه (الأبوذية) إلى سالفات أيامى ، فذهبت أعرض صور حياتى فيها وهى تمر بى متتالية متعاقبة كمناظر السينما ملتفة بضباب الماضى ، فأرى مآسيها المغسولة بالدموع وفواجعها الدامية ولكنى لا أرى منظر بهجة ولا سرور ... فهل أرى البهجة والسرور بعد أن أشرفت على الثلاثين ؟

كنت أفكر دائماً فى المستقبل ، وأنتظر المستقبل ، فها هو ذا المستقبل قد صار حاضراً ، فهل وجدت فيه إلا الخيبة والألم ؟ لقد جربت الصناعات والفنون ، وطوفت فى البلدان ، فما أفدت من ذلك كله إلا أنى تركت فى كل بلد قبراً لأمل من آمالى . لقد أضعت الحب والمال ، وأضعت المجد الأدبى ، حتى هذه الألحان التى تدور فى نفسى ضاعت منى ... فلم أستطع أن أسمعها الناس أغانى وأصواتاً ، ما سمع الناس إلا أقصر أغانى وأقبحها ، وتلك هى مقالاتى التى نشرتها ، فتى يسمعون أجمل ألحانى وأطولها ؟

فى المستقبل !

يا ويح نفسى ! هل بقى لى مستقبل إلا الموت الذى غدوت أحبه وأناديه لو كان يسمع النداء ؟

* * *

لقد وجدت المستقبل عدماً فهل علىّ من لوم إذا عدت إلى ماضىّ أعيش فيه ؟

فى هـذا الماضى دفنت أمى ، وفيه دفنت أبى ، وفيه دفنت أحلامى ... لقد أحببت كثيراً وتألمت أكثر مما أحببت ، ولكن الحب الحقيقى الواحد الذى انطوى عليه قلبى ، والألم الفرد الصادق الذى عرفه ، هو حبى أمى ، وألمى لموتها ، وكل ما عداهما حب كاذب ، وألم عارض

إنى لأنسى البلاد كلها حتى منازل حبى ، وربوع هواى ، ولكنى لا أنسى أبداً ذلك الزقاق الضيق الذى يمتد من العقيبة فى دمشق إلى رحبة الدحداح ، لأن سعادتى ولدت فى أول هذا الزقاق ، وماتت فى آخره حين مات أبى وأمى ...

فيارب ارحمنى بالنسيان ، وأين منى النسيان ؟

إنى لأنظر إليها الآن وهى مريضة على فراشها ، كأنما كان ذلك منذ ساعة ، فيبكى قلبى ولا أستطيع أن أكتب عنها حرفاً . لا أحب أن أنشر أحزانى حتى لا تلوكها ألسنة الناس ، فليبق الألم فى صدرى أحمله وحدى ... أنا لا أصدق أن هذه السنين السبع قـد مرت على ذلك الحادث ... أأنا أعيش سبع سنين لا أرى فيها أمى ، وقد كنت آلم إن غبت عنها يوماً ؟ أأعيش وهى نازحة لا تعود بعد عام ولا عشرة ، لا تعود قبل يوم القيامة ؟

اللهم صبراً فإنى والله ما أطيق الصبر !

يقولون إن المصيبة تبدأ صغيرة ثم تكبر ، ولكن مصيبتى بأمى تنمو فى نفسى كل يوم !

لم أعد أجد فى الحياة ما يغرينى بها ، ويرغبنى فيها ؟ وماذا فى الحياة ؟ كل لذة فيها مفشاة بألم ، فيها الربيع الجميل ، ولكن فيه بذور الصيف المحرق ، والشتاء القاسى . وفيها الحب ، ولكن لذة الوصال مشوبة بمخافة الهجر . وفيها الصحة والشباب ، ولكنهما يحملان الهرم والمرض . فيها الغنى ، ولكنى ما عرفته وما أحسبنى سأعرفه أبداً .

لقد كرهت الحياة ، وزادها كراهة إلىّ هؤلاء الناس ، فلم يفهمنى أحد ولم أفهم أحداً . إن حزنت فأعرضت عنهم مشتغلاً بأحزانى قالوا ، متكبر ، وإن غضبت للحق فنازعت فيه قالوا ، شرس ، وإن وصفت الحب الذى أشعر به كما يشعرون قالوا ، فاسق ، وإن نلت كلمة الدين قالوا ، جامد ، وإن نطقت بمنطق العقل قالوا ، زنديق ، فما العمل ؟ إليك يا رب المشتكى فما لى فى الدنيا بعد أمي صديق !

تلك هي التى كانت تقبلنى على علاتى ، والناس لا يقبلون إلا محاسنى . تلك التى كانت تحبنى أنا ، والناس يحبون أنفسهم فىّ . تلك هى الحبيبة الوفية التى لا تهجر ولا تخون ، تلك هى دنياى ، فوا أسفى ، إن دنياى قد احتواها التراب !

لم يبق من آثار هذا العالم الحافل بالاخلاص والحب إلا قبر منعزل وساقية صغيرة ، تميل عليها شجرة صفصاف ، وهذا كل شيء . . .

إنى لأقدس ذكرى هذه الشجرة ، وأخشع لها . إن حركات غصونها لتحرك فى نفسى عالماً كاملا ، ولكنها لا تبالى ذكرياتى ولا تحفلها . إنها قائمة تحنو على اللص الفاتك ، كما تحنو على الحب الثاكل ، وتؤوى المجرم الهارب ، كما تؤوى الشاعر المتغزل ، فما أضيع ذكريات المحبين عند الطبيعة ، وما أضيعها عند الناس !

لقد انصرف عنى السيد حيدر الجوادى ، ونام عني أصحابى ، وتركونى أتجرع غصص آلامى وحيداً ، فمن هو الذى يعطف على ، ويشاركنى حمل الآلام ؟ لقد أيست من الطبيعة ومن الأصحاب ، فهل تسعدني أنت يا أيها المحسن المجهول الذى لا أعرفه أبداً ؟ أنت يا من يجوز مع الشمس بمقبرة الدحداح يزور حبيباً له طواه الرمس ، هل تمن على غريب متألم فتحيي عنه هذه البقعة وتعطف على ذكريات له فيها ، هى أعز عليه من الحياة ، لأنها كانت جمال الحياة ؟ هل تترفق فى سيرك وتتئد وتعلم أن فى هذه الرمال التى تطؤها أطلال قلب كان من قبل عامراً سليما . . . ترفق فانك لو ملكت حاسة تدرك بها الذكريات لرأيت فى هذه البقعة ما بين رمالها وترابها ، بقايا قلب محطوم ، بقايا دامية حزينة شاكية ، ولسمعت نشيجها

ما تصدع هذا القلب من هجر الحبيب ، ولا هدته أحداث الغرام ، ولكن عصفت به عاصفة من موت الأم فهدت أركانه ، فاسكب على بقاياه قطرة من الدمع تحييها بها ساعة ، أو قل كلمة تسعد بها روحه الحزينة ، ثم توجه إلى القبر المحبوب ، إلى قبر أمى وأبى أيهـا الصديق المجهول ، فاسأل الله لساكنيه الرحمة والغفران ، فما بقي لى بعدهم أحباء ، ولا بعده دنيا . . .

لقد تركت تحت أقدامك قلبي وحبي يا أيها المحسن المجهول ، فارفق بهما . أسعد هذا اليتيم الضعيف ، وإن كان الناس يدعونه شيخاً ، وإن كان فى الثلاثين من عمره !

رب ، رحمة لهذا اليتيم الضعيف ، ابن الثلاثين !

« رب اغفرلى ولوالدى ؛ رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »

(بغداد — المدرسة الغريبة) على الطنطاوى

غريب اللغة فى الميزان

للأستاذ عبد القادر المغربى

من مشاكل الحياة ما لا يمكن حلّه، أو لا يرضى الناس أن يتلقوا حلّه من شخص واحد مهما علت منزلته فى العلم والفضل لما يصادم ذلك من التحزب لرأي، والمنافسات بين المتنازعين، حتى ينزلوا أخيراً على حكم الجماعات التى لا تجد النفوس (غالباً) حرجاً من التسليم لها والرضى بحكمها

ومن هذا القبيل مشكلة إيجاد كلمات جديدة نحتاج إليها فى نهضتنا الحديثة، سواء أكانت تلك الكلمات أعجمية الأصل، أو عربية لكنها غير مأنوسة الاستعمال، فان ضجيج النزاع يشتد حول تلك الكلمات ويَرَى كل من المتنازعين أن يُحكّم ذوقه غالباً، وعلمه أحياناً، فى قبول هذه الكلمة، وعدم قبول تلك. والتشاؤم بكلمات اللغة يرجع فى الأعم الأغلب إلى أمور أربعة:

١ — كون الكلمة من أصل أعجمى أو عامى

٢ — كون الكلمة غريبة غير مأنوسة الاستعمال

٣ — كون الكلمة مأنوسة للمعنى مكروهة اللفظ ككلمة (ضيزى)

٤ — كون الكلمة على العكس مأنوسة اللفظ لكنها مكروهة المعنى كالكلمات الدالة على ما يستحى من ذكره

ويهمنا من هذه الأقسام القسم الثانى: وهو كون الكلمة غريبة لا يُعنى بها إلا المتخصصون فى اللغة لكن استجدّ فى لغة حياتنا اليومية فراغ لا يسده إلا بعض تلك الكلمات الغريبة، فكيف نصنع؟ هل نستعملها غير مبالين أذواق القراء؟ أو نهجرها غير مبالين إهمال مصدر من مصادر تنمية اللغة، ولا تعطيل معدن تستخرج من شذراته مادة لتلك اللغة التى يخشى أن تطغى عليها الألفاظ الأعجمية

وعندى أن ليس كل غريب اللغة مما يحسن هجرانه وترك الانتفاع به، بل إن من كلماته ما استجمع شروط الفصاحة وإنما يعوزه الاستعمال فيُصقل ويصبح مأنوساً مألوفاً

ومرادى بالغريب هنا ما يجهله عامة متأدبى هذه الأيام. فهذا ما نريد أن نردد القول فيه، ونميّز بين ما نحن فى حاجة إليه وما نحن فى غنية عنه

هذه كلمة (سياسة) لا نستعمل معها مرادفها وهي كلمة (إيالة) فان إيالة الرعية وسياسة الرعية شيء واحد؛ بل ربما كانت (الإيالة) أشهر من (السياسة) فى استعمال أهل اللسان الأولين: آل البلاد والرعية أوْلاً وإيالةً، وتأوّل البلاد (من التفعّل)؛ ويقلبونها أحياناً فيقولون (تألّى) ومنه قول الشنفرى فى بيتيه المشهورين (وأمّ عيالٍ قد شهدت تقوتهم الخ)

وقد عنى بأم العيال رفيقه فى اللصوصية (تأبط شرا) إلى أن قال (أيّ أولٍ تألّت) أى أيّة سياسة مشؤومة ساستنا بها تلك الأم فى توزيع الزاد علينا

وقد يقال أيضاً إن فعل آل إيالةً أعرق نسباً وأشد أصالة فى المعنى المراد من فعل ساس سياسة

ذلك أن السياسة تستعمل حقيقة فى سياسة الدواب، ومن سياسة الدواب نقلت إلى معنى سياسة الرعية، بينا كلمة (إيالة) خاصة بسياسة الرعية وإدارة مصالح البشر، ولكن هل يشفع كل هذا بها، فترزق الحظ وتحيا بالاستعمال، أو يتشاءمون بها ويهملونها إلى حين؟

(بِزّيزَى) بكسر الباء وزايين معجمتين أولاها مشددة بينهما ياء ثم ألف مقصورة، تقول العرب: (رجعت الامارة أو الرياسة بزيزى) أى ما عادت تؤخذ بالاستحقاق والكفاية بل بالقوة فمن عز وقوى عليها بزها وسلبها مستحقها. فكلمة (بزيزى) من فعل (بز) المأنوس والمشهور لاستعماله فى المثل السائر (من عز بز) أي من قوى سلب. فما أحوجنا إلى إحياء هذه الكلمة وما أكثر المقامات التى تعرض للكاتب أو الصحفى ويتفقد كلمة (بزيزى) فلا تخطر له

ولا أرى كلمة (فوضى) تسد مسد (بزيزى) إذ أن بينهما فرقاً لا يخفى على البصير

فهل يرضى كتابنا عنها ويفسحون لها المجال على أسلات أقلامهم؟ أم يتأففون بها كما تأففوا بالايالة:

وكلمة (أبهل) ما الرأى فى إحيائها من رمسها؟ يقال: أبهل الوالى رعيته إذا تركهم يفعلون ما شاؤوا. وكثيراً ما أصبح الأمر فوضى فى أطراف المملكة أو فى بعض بواديها بسبب عجز الحاكم أو بسبب سوء إيالته (أى إدارته) فهذه الحال هى الابهال تبهل الحكومة بلدا وتعجز عن ضبطه فتعم الفوضى فيه، ففعل (أبهل) من أجدر كلمات اللغة بالحياة وأولاها بالاستعمال

يقول قائل إننا نشعر بالاستغناء عن كلمة الابهال وتصاريفها ما دام لدينا تعابير أو جمل مركبة نستعملها مكانها

نعم ولكن إذا تدوولت واستعملت استجد فى نفوسنا شعور وألفة لها: مثل كلمة (هيأة) فى قولنا (هيأة المحكمة) و (هيأة كبار العلماء)، فان كلمة رجال القضاء والقانون كادت تجمع على أنه لا تقوم مقامها كلمة سواها مع أن الحاكم والحكام كانوا في غنية عنها أكثر من ألف ومائتى سنة. وهذا كالسيارات والتليفونات فى بلاد كمصر مثلا كانوا يعيشون من دونها، أما اليوم فلم تعد تستتب للناس حياة ولا يطيب لهم عيش إذا حصل إضراب وعطلت السيارات والتليفونات عن العمل

***

زارنى بالأمس زائر كريم من كتاب الصحف وجرى بيننا ذكر الحاجة إلى أوضاع جديدة تقوم مقام تلك الأعجمية. فأجبته ما الفائدة من إجهاد أنفسنا فى وضع كلمات عربية جديدة إذا كنتم تأنفون منها بسبب شىء من الغرابة أو الثقل تجدونه فيها فما أسهل إيجاد الأوضاع علينا. ولكن ما أصعب قبولها عليكم

قال: وما مثال ذلك؟ قلت: قد يكون للدولة جيش مختلط من وطنيين وغير وطنيين فهل تقبلون أن نطلق عليه اسماً كانت تعرفه العرب وهو (البريم)؟ وأصل معنى البريم خيط ثخين يفتل من عدة خيوط مختلفة اللون. فالعرب منذ القدم سموا الجيش المتعدد الأجناس (بريماً) تشبيهاً له بالبريم أعنى الخيط المذكور. فقال: ينبغى قبول كلمة البريم لخفتها وإحكام وضعها. أما (البزبزى) و(الابهال) فلا. ثم أخذ يجادل ويحتج لنفسه بقول الأستاذ (أحمد أمين) وهو:

« إن علينا اليوم أن نختار الألفاظ التى تناسب العصر ويرضاها ذوق الجيل الحاضر »

قلت: وقال الأستاذ (عزام) ما ملخصه:

« إن علينا اليوم ألا نجعل الذوق حكما فى اللغة لأنه يقتصر على المألوف من الكلمات ويعد ما عداه ثقيلا نابياً. وعلى الكاتب ألا يجعل نفسه أسيراً تتصرف به الأذواق الخاصة، بل يستملى فطرته فتملى عليه من الكلمات ما يلائم الذوق العام. الألفاظ أجل من أن يتحكم فيها الذوق وحده. الحاجة الملحة خلاقة الألفاظ. وهذه الحاجة لا تبالى بالأذواق؛ فكم من كلمة أجنبية ثقيلة استعملها كتاب العرب وألفتها أذواقهم: كالبروبوغندا والأرستقراطية والميتافيزيقية الخ. وما دام هناك معان شديدة وجب أن يكون إزاءها ألفاظ شديدة، ولا مندوحة لنا عن استعمال تلك الألفاظ لمعانيها كما نستعمل الألفاظ اللينة لمعانيها أيضاً. ونكون فى عملنا هذا أحراراً دون أن تأخذنا رحمة بالأذواق، وكما يعالج لين الحضارة بالرياضات الخشنة القاسية ينبغى أن يعالج لين اللغات بالألفاظ الخشنة القاسية أحياناً. وإن حاجتنا اليوم إلى الابداع تسوّغ لنا أن نتخيّر من الألفاظ ما نشاء ثم نطبع ذوق الأمة على مشيئتنا هذه. وما أشد حاجتنا إلى كثير من الألفاظ الجديدة التى إذا استعملناها أعانتنا فى الافصاح والابداع. نعم إذا كان للمعنى الواحد عدة ألفاظ حق للذوق أن يختار منها أحلاها وأرشقها لا أن يعمد إلى أسمجها وأثقلها فيؤثره على المألوف إغراباً وتنطعاً اهـ »

وقول الأستاذ عزام هذا يشبه ما قلته مراراً: من أن كلمات اللغة في المعاجم تحكى الأدوات المنزلية فى المنازل: منها اللطيف المرهف الذى يصفّف في محاريب الدار (صالونها)، ومنها الضخم الجافى الذى يخبأ فى أقبيتها وسراديبها، ولكل أداة وظيفة لا تستعمل فيها الأداة الأخرى؛ فللصديق الزائر متكأ الحرير ومروحة الريش وأكواب السكر؛ وللص الدار الهراوة ويد الهراس ومشحوذ الخنجر

وشتان بين خشونة هذه ونعومة تلك، كما أنه شتان بين كلمات (الجَعْظَرِيّ) و (الجَوَّاظ) اللذين استعملهما النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله (أهل النار كل جَعْظَرِيّ جَوَّاظ) وبين كلمات (كَيِّس فَطِن حَذِر) التي استعملها (صلى الله عليه وسلم) في حديث (المؤمن كيِّس فطن حذر)

وكلمة (ضوطار) من كلمات أو أدوات المعاجم القديمة، فهل نستثقلها ونهجرها لثقالتها؟ أم ندّخرها كما تدّخر المراوة للص فنخبأ (الضوطار) للرجل الذي ينزل ميدان السياسة ولا سلاح له يضمن له الفوز إلا الجهل والمخرقة فنلقّبه بضوطار السياسة كما لقبه بذلك الشيخ جمال الدين أو الشيخ محمد عبده في جريدتهما (العروة الوثقى)

* * *

جاء في صحف الأخبار أن الطيار (فلان) حاول أن يبلغ بطيارته أعلى قمم جبل هملايا وهي قمة (أفرست) وبعد قيامه بما أخذه على نفسه ذكر أنه علا بطيارته في الهواء اللاق والحاذى لسفح الجبل عدة مئات من الأميال صعداً قبل أن يبلغ القمة المذكورة وقبل أن يبلغ الفضاء الذي فوقها. فالهواء المحاذي للجبل ماذا يسمى؟ يسمى (نفنفاً). فهذه الكلمة نحتاج إليها للتعبير عن الهواء الذي لا يكون مطلقاً فوق الجبال وإنما يكون محصوراً بينها ومحاذياً لسفوحها، فلا مندوحة للطيارين عن استعمال كلمة (النفنف) في لغة الطيران ومن استثقلها كان أثقل منها لعمرى.

يقول الطيار: ثم جاوزت النفنف وأصبحت في الهواء المطلق فوق قمة (أفرست) فبماذا نسمي هذا الهواء أو هذا الفضاء الذي طرت فيه؟ نسميه (اللوح) ونقول له إن طيارتكم بلغت اللوح أو أخذت تسبح في اللوح. و (اللوح) بضم اللام الهواء بين السماء والأرض.

يقول المتشائم بغريب اللغة: إن اللوح فيها غرابة فهل من كلمة غيرها تؤدي معناها؟

نعم كلمة (سُمَّهى) بضم السين وتشديد الميم وألف مقصورة في الآخر.

فيقول: هذه أشد غرابة من تلك وفيها ثقل ليس مثله في كلمة (اللوح) فلنوطن أنفسنا إذن على قبول (اللوح) وصقلها بالاستعمال.

يقول الطيار إنه عاد فارتفع بطيارته إلى أقصى مناطق الهواء بحيث أصبح التنفس عسيراً عليه. فماذا نسمي الهواء ثمّة؟

نسميه (السُّكاك) بضم أوله، وفسره علماء اللغة بالهواء الذي يلاقي عَنان السماء، وفسروا (العنان) بالذي يبدو لك من السماء إذا نظرتها، والذي تراه منها هو زرقتها، والزرقة أقصى طبقات الهواء أومناطق الهواء، في بادىء النظر، فالسكاك إذن هو الذي يكون في أعلى أو أقصى طبقة في اللوح

فيحسن أن ندخل في لغة الطيران هذه الكلمات الثلاث:

(النفنف) هو ما بين الجبال

(اللوح) هواء الفضاء بين السماء والأرض

(السكاك) هواء أعلى طبقات اللوح

ونكون أهملنا كلمة (السُّمَّهى) مستغنين عنها باللوح لثقالتها التي ينفر منها المتشائمون. ويطرب لها اللغويون المخصصون. وحاصل القول أن كلمات المعاجم أدوات كأدوات المنازل: منها الضخم الثقيل، ومنها المرهف الخفيف. فعلى الكاتب اللبق أن يستعمل كلاً في محله اللائق به. وسلام

«دمشق الشام» المغربي

بيت المغرب فى مصر

للأستاذ سيد قطب

هيأ عقد المعاهدة بين مصر وانجلترا للدولة المصرية الحديثة، أن تنتهج سياسة شرقية عربية كانت تطمح إليها من قبل، فيحول دون انتهاجها أولا مشاغل الوطنية باستكمال الاستقلال، وثانياً تيارات السياسة الاستعمارية المضادة للوحدة العربية الشرقية

وتطرد مظاهر هذه السياسة الجديدة فى التفكير المصرى الآن، وتتحقق بوسائل عملية لم تكن بارزة من قبل

فالأزهر اليوم يرحب بالبعثات الشرقية عامة، وهو وإن كان من قبل مثابة طلاب هذه البلاد، إلا أنه في هذه الأيام يشملهم برعاية خاصة، تتوجها رعاية الفاروق المظيم لهذه البعوث التى تفضل جلالته بحمل الانفاق على الكثير منهما من جيبه الخاص

والجامعة تزخر بالكثيرين من أبناء البلاد الشقيقة، وتسهل لهم الطرق لاستكمال دراستهم بها

ودار العلوم تهم بانشاء قسم داخلى للاخوان الشرقيين بها، مبالغة فى توفير أسباب الراحة والدراسة المنظمة لهم

وفى الوقت ذاته تتجه مصر إلى جاراتها العربية للنظر فى توحيد البرامج أوتقريبها على الأقل، ويعقد مؤتمر فى تونس للثقافة العربية قوامه الأساتذة المصريون

وكذلك تمد مصر يدها بخيرة أبنائها لهؤلاء الجيران الكرام، يحملون إليهم العلم والنور والخبرة فى شتى الشئون

هذا كله فى عالم الثقافة، فأما فى عالم السياسة فان قضية فلسطين كانت محكا لتوثق الروابط بين مصر والبلاد العربية كلها؛ وقد نالت هذه القضية عطف كل مصرى واهتمامه، وآخر مظاهر الاهتمام كانت في المؤتمر البرلمانى ومؤتمر الجامعة. كما أننى أعلم من مصادر وثيقة أن الحكومة المصرية قدمت لحكومة لندن مذكرة خاصة بهذا الموضوع، ضمنتها رأيها قويا حازماً صريحاً، وإذا كانت لم تشأ نشر هذه المذكرة، فقد اختارت بهذا أن تتبع الطرق الدبلوماسية المناسبة للمعاهدة

***

فى خلال هذه اليقظة التى تغمر الضمير المصرى تجاه البلاد العربية، افتتح « بيت المغرب فى مصر » فكان افتتاحه فى هذا الأوان علامة من علامات التوفيق، ومظهراً من مظاهر الحيوية العربية الكامنة التى تنبثق فى أفضل المناسبات

وهو دليل جديد على الثقة بمصر، والتوجه إليها من أطراف الشرق العربى والمغرب العربى، هذه الثقة التى يحق للمصريين أن يفخروا بها، وأن يعنوا باستدامة أسبابها، وتمكين روابطها

وقد أحسنت مصر استقبال « بيت المغرب » واشتركت الحكومة والشعب بالحفاوة به وبسكانه، لتفتح قلبها اليوم لمثل هذه الصلات، بعد ما خلصت من قيود الاستعمار

ولقد كان لى من قبل حظ معرفة الرجل الوطنى العامل الذى يشرف اليوم على بيت المغرب بأقسامه الثلاثة (مقر البعثة، ومكتب التبادل الثقافى، ومعرض الفن المغربى) إذ كان يدرس بمصر عام ١٩٢٩ وكانت وجهتنا إذ ذاك مع نخبة من أكرم الاخوان المصريين والشرقيين أن نؤلف جمعية للطلبة من هؤلاء وهؤلاء، تمكن من الروابط بين الجميع، وتعمل للمستقبل فى توثيق العلاقات وتسهل للطلبة الشرقيين وسائل العلم والراحة فى مصر

وكان الأستاذ المكى الناصرى أشد المتحمسين للفكرة، وكنا نجتمع — غالباً — فى داره بمصر للمباحثات فى تحقيق هذا الأمل الكريم

فمن حسن الحظ أن يكون هذا الرجل هو الذى يتولى الآن تنفيذ فكرة « بيت المغرب » إذ هو أصلح رجل مغربى — فيما أعتقد — لتنفيذها، لسابق معرفته بالأوساط المصرية وسابق تفكيره فى مثل هذه المشروعات

***

ورؤيتنا لبيت المغرب حقيقة ملموسة، تثير فى نفوسنا التساؤل: متى يكون لكل أمة عربية بيت فى مصر على مثال هذا البيت الوطيد؟

إن اليوم الذى تكون فيه لكل بلد شرقى بعثة دائمة فى مصر على هذا المثال لهو اليوم الذى يتم فيه توحيد الثقافة والاتجاه بين هذه الأمم، فتتم لها العزة العربية التى نحلم بها فى المستقبل القريب — إن شاء الله —

« حلوان » سيد قطب

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

- ٢٧ -

ولقد كانت هذه السنة الثانية للحرب أسوأ الأيام التي مرت بالرئيس طيلة حياته . وأي شيء أشد سوءاً من الهزيمة والخذلان ؟ وإن الرئيس ليخشى أن تنحل العزائم وتخور القوى وبخاصة حين أحس الناس أن الحرب لا بد أن يطول أمدها ويشتد سعيرها . وها هو ذا تهامس الأمهات بدأ يصل إلى مسمعيه . وليته كان تهامس الأمهات فحسب ، فان كثيراً من الرجال قد أخذوا يبدون تململهم وتذمرهم ويعلنون عن رغبتهم في وضع حد لهذه المحنة القومية ...

وكان مما يكرب الرئيس ويوجع نفسه أن كثيراً من الناس كانوا يلومونه ويرجعون سبب الهزائم إليه ؛ ويغفلون في ذلك عما كان يفعل قواده وعلى الأخص ما كليلان ، ذلك الذي كانت محبته والثقة به إحدى خطايا الجماعات

رجحت كفة الجنوبيين في البر ولكنهم في البحر كانوا أذلة ؛ ذلك أنهم لم يكن لهم مثل ما كان لأعدائهم من الجاريات المواخر فيه ؛ ولقد استطاع أحد القواد البحريين وهو فرَّاجت أن يسير في تلك السنة بسفنه إلى نيوأورليانز فيصليها من ناره ويأخذها عنوة ، وكان انتصاره هذا وإذلاله أهل الجنوب على هذا النحو مما خفف على الشماليين بعض ما كانوا يلاقونه في البر من هوان وذلة ... ولسوف تكون تلك القوة البحرية في النهاية عاملا من أهم عوامل النصر ، الأمر الذي لم يفطن إليه أهل الجنوب إلا بعد فوات الفرصة ...

***

وبينما كانت الحرب تتأجج نارها ويتفجر بركانها ، وتتواثب في البر والبحر شياطينها ، كان الرئيس يفكر في أمر هو أعظم ما فكر فيه من الأمر ... ولقد كان من أجل مواهبه أنه كان يتبين الأمور على حقيقتها مهما التوت عليه سبلها واختلطت وشائجها ، وهو في ذلك يأتي بنظره فيتبين حقيقة موقفه وموقف أعدائه ثم يسدد خطاه على هدى مما رأى دون أن تفوته صغيرة أو كبيرة مما تقع عليه عيناه ...

وتبين الرئيس موقفه فأخذ يتحفز ويستجمع قواه ليقدم ، ثم عزم وصمم فليس من الاقدام بد ؛ وليس لما عسى أن يأتي من المعارضة أي وزن عنده ... ومتى عقد ابراهام النية على أمر ثم تخاذل عنه أو تهاون في العمل على إنفاذه ..؟

صمم الرئيس أن يضرب الضربة التي طالما انتظر أن تواتيه لها الفرصة ... أجل، أراد الرئيس اليوم أن يضمن تاريخ البلاد ، بل وتاريخ الانسانية، أجل عمل قام به ألا وهو تحرير العبيد! وإنه لن يحجم اليوم أن يعلن رسمياً وفي مجال واسع ما سبقه إليه فريمونت وهنتر، ولن يتردد أن يأخذ بما رفض من قبل مهما يكن من الغرابة في موقفه ، ولكن أية غرابة وهو كفيل أن يوضح للناس قضيته وأن يحملهم على قبول حجته ؟

الحق أن الرئيس لم يغفل يوماً عن مسألة العبيد ، ولم ينس ذلك النظام المنكر البغيض الذي نشأ على مقته وازدرائه والذي طالما تمنى أن تنجو البلاد من آثامه.. ولكنه كان يحرص ألا تفسد مسألة العبيد عليه قضية الحرب ، ولقد كان محور تلك القضية كما مر بنا المحافظة على الوحدة ؛ فلما رأى تحرير العبيد قد أصبح عاملاً من عوامل نصرة تلك القضية وعنصراً من عناصر نجاحها ، لم يتردد ولم يخف ومضى قدماً إلى غايته ...

وكان الرئيس قد خطا خطوة في هذه المسألة في أوائل السنة الثانية من سني رياسته (٦ مارس سنة ١٨٦٢) وذلك أنه أرسل إلى المجلس التشريعي مقترحاً أن يصدر المجلس قراراً به تعوض الولايات التي تقضي على نظام العبيد فيها تدريجياً تعويضاً مادياً عادلاً ، وأصدر المجلس ذلك القرار ولكن الولايات المحايدة عارضته ورفضته وهي المقصودة قبل غيرها به ... ودعا الرئيس ممثليها وحاول إقناعهم ولكنهم لم يقتنعوا فمنيت الفكرة بالفشل ولم يفد

الرئيس منها إلا أنه تعرض لنقد هـذه الولايات ولومها ثم للوم دعاة التحرير من جهة أخرى لأنهم رأوا فى الفكرة ترددا وتقاعداً وهم يريدون التحرير العاجل فى غير تحفظ أو تراجع .

وكان الرئيس لا يزال يقلب الأمر على وجوهه فهو يخشى من التحرير العاجل الشامل أن يغضب الولايات المحايدة فتنضم إلى الاتحاد الجنوبى، وكان يمدذلك، والحرب قائمة، كارثة ؛ ثم هو يخاف أن يتهم أنه ما أثار هـذه الحرب الضروس إلا من أجل نظام العبيد مع أن الدستور يقر ذلك النظام .

وهو فى الوقت نفسه يرى أن تحرير العبيد سوف يدعوهم إلى التمرد على ساداتهم فى الجنوب فتضعف شوكتهم ، هذا إلى رفضهم العمل فى فلاحة الأرض بعد ذلك فيضطر البيض إلى العمل مكانهم فتتضاءل جيوشهم وتضعف مواردهم، فضلاً عن أن التحرير من شأنه أن يكسب الرئيس وحكومته عطف الدول المتمدنة فى أوروبا فلا تناوئه وهو فوق ذلك جيماً يقضى على ذلك النظام البغيض الذى تنفر منه الانسانية وتستخذى له ، والذى مافتىء الرئيس ينتظر يوم الخلاص منه ...

ولكن يبقى بعد ذلك حكم الدستور فى الأمر ، فالدستور يقر امتلاك العبيد، وإذا أقدم الرئيس على التحرير خرج بذلك على الدستور وهو الحريص على مبادئه العامل منذ اشتغاله بالسياسة على المحافظة عليه وتقديسه ... على أنه يجد مخرجاً من ذلك فالمسألة تدعو إليها ضرورة حربية وهو مستطيع أن يحمل الممثلين بسهولة على تعديل الدستور فى هذه النقطة ...

بذلك لا يعوز الرئيس إلا الفرصة المناسبة وقد لبث يترقبها... ولهذا كان يرفض أن يشايع دعاة التحرير قبل أن تحين الساعة فلا عجب أن يرفض فى مايو من تلك السنة ما فعله القائد هنتر ولكن ليفعله هو بعد حين ...

لبث الرئيس يترقب الفرصة ، وكانت البلاد يتزايد فيها الشعور بضرورة القضاء على العبودية ، ويتجلى ذلك الشعور فى تلك العبارة التى كتبها قبل ذلك بنحو ثمانية شهور أحد الكتاب المؤرخين والتى جاء فيها « إن هذه الحرب الأهلية هى الأداة التى سخرها الله لاقتلاع جذور العبودية ، وإن أعقابنا سوف لا يرضون بنتيجتها إلا إذا كان مما تحدثه الحرب ازدياد عدد الولايات الحرة هذا هو ما يتوقعه الجميع وهـذا هو الأمل الذى ينشده جميع الأحزاب »

وكانت أولى الخطوات العملية التى جاءت مظهراً لهذا الشعور أن أصدر المجلس فى ابريل قراراً بالتحرير العاجل فى العاصمة وما حولها ؛ ولما وقع لنكولن على هذا القرار قال : « عندما تقدمت باقتراح إلى المجلس عام ١٨٤٩ للقضاء على العبودية فى هذه العاصمة ولم أكد أجد من يستمع إلى ذلك الاقتراح ، لم أكن أحلم أنه سوف يتحقق بمثل هذه السرعة »

ولقد كان هذا القرار بمثابة مقدمة لما سيتلوه فى القريب من تحرير شامل عاجل للعبيد فى الولايات جيعاً ، ذلك العمل الذى سوف يضاف إلى تراث الانسانية ويعد من مآثر البشرية فى هذا الوجود

وكان على ممثلى الولايات المحايدة ، تلك الولايات الوسطى أن تعتبر بما جاء فى هذا القرار ، لكنهم ظلوا على عنادهم على الرغم من أن الرئيس قد دعاهم إلى مؤتمر آخر فى يوليو سرد لهم فيه وجهة نظره وأطلعهم على حججه

أخذ الرئيس يتحين الفرصة ولكن الموقف الحربى فى صيف ذلك العام كان على مابينا من حرج وشدة ، فالقائد ماكيلان فى زحفه على رتشموند متلكئ متردد، ولقد تراجع فى يوليو تراجعاً مهيناً مخجلا وإنه ليرفع عقيرته بالسخط على رجال الحكومة فى العاصمة كما أسلفنا ، الأمر الذى تألم له الرئيس أشد الألم ووقع منه فى غمة شديدة وحيرة

وأراد الرئيس أن يفرج عن نفسه فيعلن التحرير فى تلك الآونة ، ولكن سيوارد أشار عليه أن يتريث ويرجئ المسألة إلى حين ، فانه إن فعل اليوم وأعلن التحرير عد ذلك منه ضرباً من اليأس وهو مهزوم مستضعف ... ورأى الرئيس وجاهة رأى صاحبه فآثر التريث والصبر قائلا: إن التحرير معناه يومئذ « آخر صرخة فى الهروب »

وأخـذت الأصوات ترتفع من كل جانب بمطالبة الرئيس باعلان قرار التحرير ، ومن ذلك ما جاء فى جريدة نيويورك تريبيون على لسان محررها جريلى وهو ذلك الصحافى العظيم الذى كانت تربطه بالرئيس صلة منذ بدأ يعظم شأنه فى الحزب الجمهورى .

كتب جريلى فى عبارة صارمة يأخذ على الرئيس تردده ويطلب إليه فى لهجة أقرب إلى الأمر منها إلى الرجاء أن يعلن تحرير العبيد.

ولقد عجب الناس حين رأوا الرئيس يرد بنفسه فى الصحيفة على محررها ومما جاء فى رده قوله « إذا كان هناك من لا يحافظون على الوحدة إلا أن يحافظوا على نظام العبيد فانى لست معهم ، وإذا كان هناك من لا يحافظون على الوحدة إلا أن يقضوا على نظام العبيد فاني لست معهم ! إن غرضى الأسمى هو أن أحفظ الاتحاد وليس هو أن أحفظ أو أنفى على العبودية . فاذا تسنى لى أن أنقذ الاتحاد دون أن أحرر عبدا واحدا فعلت ذلك ، وإذا كان فى وسعى أن أنقذه بتحرير جميع العبيد فعلت ذلك ... وإذا استطعت أن أحافظ عليه بتحرير بعض العبيد وترك البعض فعلت ذلك أيضاً ... »

وكان جيش الجنوبيين يزحف على وشنجطون بقيادة لى وقد عبر نهر بوتوماك ونزل فى ولاية مارى لند، وأسقط فى يد الشماليين وباتت عاصمتهم فى ذعر وهلع . . . وحزن الرئيس وضاق صدره بما كليلان وأقسم لئن ارتد العدو ولحقت به الهزيمة ليعلنن قرار التحرير إثر ذلك

وأخيراً التحم الجيشان فى سبتمبر: جيش لى وجيش ما كليلان وارتد الجنوبيون عقب معركة أنتيتام التى أشرنا إليها وكان تراجعهم فى اليوم السابع عشر من الشهر

وفى اليوم الثانى والعشرين من هذا الشهر دعا الرئيس مجلس الوزراء إلى الاجتماع عنده ، ولم يكن أحد من الوزراء يعلم الغرض من هذا الاجتماع، ولما اكتمل جمعهم فتح الرئيس كتاباً كان يقرأ فيه ، وأخذ يقرأ فى صوت جهورى قصة فيه أعجبته وهو يضحك والوزراء يضحكون ويعجبون إلا أحدهم وهو ستانتون فكان يضيق بكثير مما يفعل الرئيس وبما يأتيه من ضروب المزاح ، وهو لا يدرى أن مثل هذا الرجل فى تلك الشدائد أحوج ما يكون إلى أن يرفه عن نفسه ويخفف عنها بعض ما بها ... وإلا فكيف يستطيع أن ينهض بذلك الحمل الذي تنوء به الجبال ؟ وكثيراً ما يكون ضحك بنى الانسان مغالبة منهم لما يجيش فى نفوسهم مما يصبه الدهر عليهم من آلام وخداعاً منهم لأنفسهم عما بها ولو ساعة أو بعض ساعة

ولما فرغ الرئيس من تلاوة القصة غامت أسارير وجهه وبدت عليه أمارات الجد ودلائل الاهتمام والحزم ، فأخرج من جيبه ورقاً طويلاً كتبه بخط يده وتلاه على الأعضاء فاذا هو قرار التحرير

أعلن الرئيس أن العبيد فى جميع الولايات بعد اليوم الأول من السنة الجديدة أحرار وأن الحكومة ستعترف بحريتهم وتساعدهم على بلوغها وأنها ستقوم بتعويض الولايات الموالية عما تطلقهم من العبيد . . . وبهذا الاعلان ضرب نظام العبودية ضربة سوف تكون القاضية عليه ، وبه تحقق حلم طالما منى الرئيس به نفسه ، ورأى ذلك النجار — الذى وقف فى صدر شبابه مرة فى مدينة أورليانز يشهد سوق العبيد — نفسه يقضى على ذلك النظام فيعلن باسم حكومة هو رئيسها أن عبودية بعد اليوم المحدد وأن الشعب الأمريكى جميعه شعب حر ، وأن أمريكا دولة حرة وأمة حرة

أعلن الرئيس كلمته وأدى رسالته، وشهد ابن الغابة اليوم الذى يقف فيه موقف الآمر الذى ينطق باسم شعب فى أمر طالما شغل باله وبال الأحرار فى ذلك الشعب ، ورأى العالم نوعاً جديداً من الحركات الكبرى تؤثر فى تاريخه وتضاف إلى سجله ، حركة من تلك الحركات التى تنقل تاريخ الشعوب من فصل إلى فصل

وهزت البلاد من أعماقها فرحة عظيمة ، وراح الناس يعلنون عن ابتهاجهم بالزينات ينصبونها والليالى يقيمونها ويملأونها بأفراحهم واحتفالاتهم ومظاهر حبورهم

وانهالت على الرئيس رسائل التهنئة والاعجاب يحملها البرق والبريد من أمريكا ومن خارج أمريكا ... فلقد تلفتت أوربا تنظر ما تفعله الدنيا الجديدة للمرة الثانية من أجل الحرية ، فهذه الدنيا التى ولدت الديمقراطية فى القرن الماضى تئد العبودية فى هذا القرن وتضع اسم رجلها وهدية أحرارها لنكولن إلى جانب اسم بطلها ومحررها وشنجطون الذى انتزع لها استقلالها بحد السيف من الغاصبين من أعدائها

والرئيس صامت لا يعرف البطر كما لا يعرف الخور ؛ يتلقى تهانى المهنئين وكلمات المعجبين بحزمه فى سكون وتواضع ، وإنه ليحس ألا يزال بينه وبين يوم الراحة جهاد وجلاد يرى مظهرهما تلك الحرب التى ما فتىء يتزايد سعيرها ...

« يتبع »

الخفيف

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤٣ —

من شئونه الاجتماعية

لم يكن الرافعي عضواً فى جماعة من الجماعات ، ولا منتسباً إلى حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف ؛ إذ كان يؤثر الوحدة والاستقلال فى الرأى . وكان من التعصب لرأيه والاعتداد بنفسه بحيث يأبى أن ينزل عن رأى يراه مجاملة لصديق أو خضوعاً لرأى جماعة ينتسب إليها ؛ وكان له من علته سبب آخر نبهتُ إليه عند الحديث عن نشأته . ثم إن الرافعي لم يكن رجلاً اجتماعياً يلتزم ما تفرض عليه الجماعة من تقاليد ويتخذ أسلوبَ الناس فيما يليق وما لا يليق ؛ فهو لا يعتبر إلا رأيَه أو حاجتَه أو مصلحتَه فيما يكون بينه وبين الناس من صِلات ، ولم يكن يعرف هذا (النفاق الاجتماعى) الذى يسميه الناس : التقاليدَ، أو الأدبَ اللائق !.. فهو بذلك كان عالماً منفرداً يسير فى نهجه إلى الهدف المؤمّل على وحى الفطرة أو هَدْى الإيمان . سمِّ هذا شذوذاً فى الُخلق ، أو سمّه استقلالاً فى الرأي وأسلوباً من التعبير عن الشخصية المتميزة بخصائصها ؛ فلا يعنينى هنا إلا إثبات هذه الحقيقة فى التاريخ كما شهدتها فى معاملاته وفى صِلاته بالناس ، وكما لمحتها فى جملة من أحاديثه ...

... هذه الأسباب هى أهمّ ما كان يباعد بين الرافعي والاشتراك فى الجماعات ، أو يباعد بينها وبينه !

على أن ذلك لم يكن يمنعه أن يكون هواه مع جماعة من الجماعات أو حزب من الأحزاب فى وقت ما لسبب ما ، ولم يمنعه ذلك أن يكون عضواً فى بعض الجماعات

وأول أمره فى ذلك — على ما أعرف — أنه شرع وهو شاب لم يجاوز العشرين فى تأليف جماعة من الشباب تدعو إلى نوع من الاصلاح الدينى ؛ وكان معه على هذا الرأى صديقان من أترابه ، أذكر منهما الأستاذ عبد الفتاح الرق المحامى ؛ وقد اتخذوا (مسجد البهى) فى طنطا مكاناً لاجتماعهم وتبليغ دعوتهم ، وطنطا ، كما قد يعرف كثير من القراء ، مركز هام من مراكز الثقافة فى مصر ، وفى أهلها حفاظ وتحرج ، ولها صبغة دينية نشأت من أن فيها معهداً دينياً كبيراً فى (الجامع الأحمدى) كان فى وقت ما يشتد عدْواً فى مسابقة الجامع الأزهر بالقاهرة . والأزهريون فى طنطا ، كالأزهريين في القاهرة إلى عهد قريب : أكثر أهل العلم فى مصر حفاظاً على القديم ، وأسرعهم إلى سوء الظن بكل إصلاح جديد ، من ذلك لقى الرافعي وصاحباه فى دعوتهم ما لقوا من عِداء طلبة الجامع الأحمدى وعلمائه ، حتى هم الطلبة مرة أن ينالوهم بالأذى فى أبدانهم ... فلم يجد الرافعي وصاحباه فى النهاية بداً من التسليم ، وانحلت الجمعية الرافعية الصغيرة ...

حدثنى الرافعي حديث هـذه الجمعية فى خريف سنة ١٩٣٢ بعد ثلث قرن مما كان ؛ وكنت ذهبت إليه يومئذ فى وفدٍ ثلاثة ندعوه إلى الاشتراك معنا فى جماعة أنشأناها بطنطا فى ذلك الوقت باسم « جماعة الثقافة الاسلامية » تدعو فيما تدعو إلى العمل على إحياء الشعور بمعنى القومية الاسلامية العربية ، واتخذت لذلك وسائل وشرعت نهجاً ؛ وكانت تضم فيمن تضم طائفة ممتازة من أهل الرأى والعلم والأدب ، لكل منهم صوت ورأى وجاه فى قومه . . .

ولبى الرافعي دعوتنا بعد تمنع ، وانتظمت الجماعة على رأى واحد إلى هدف واحد ، فلما استكملنا الأهبة ، دعونا الشباب المثقفين فى طنطا إلى اجتماع عام فى ناد كبير ، وكان الرافعي من خطباء الاجتماع ...

صعد الرافعي إلى المنصة ، فوقف برهة يجيل نظره فى ذلك الجمع الحاشد ، ثم انطلق فى خطبته ...

وعلى أن الدعوة إلى الاجتماع كانت عامة ، وكان موضوعه هو الثقافة الاسلامية ؛ فانه لم يشهد هـذا الاجتماع من شيوخ (الجامع الأحمدى) ومدرسيه غير ثلاثة من الشيوخ ،

وطائفة غير قليلة من المدرسين غير الشيوخ ؛ ولم يفت الرافعي أن يلاحظ ذلك ؛ فمال في خطبته إلى هذه الناحية ، ينعى على شيوخ الأزهر أن يتجاهلوا واجبهم في مثل هذه الدعوة ، وأن يؤثروا القعود على الجهاد لله ! وكان فيما قاله : « . . . إن أديباً كبيراً من وزراء الدولة قد قالها مرة منذ ثلاثين سنة : لو قعد حمارى فى الأزهر خمس عشرة سنة لخرج عالماً . وما نحب أن يقولها اليوم أحد ليلحد فى كفاية طائفة من أهل العلم والدين هم أكرم علينا . . . ! »

قالها الرافعي في حماسة وانفعال وفي لهجة خطابية صارمة ، فسمع المجتمعون همهمة عن يمينه وشماله ، أما عن يمينه فكان الشيوخ الثلاثة قد آذاهم ما قال الرافعي ، وأما عن الشمال فكان طائفة من المدرسين غير الشيوخ فى الأزهر قد خافوا أن تؤوّل كلمة الرافعي تأويلاً ينالهم بالشر من إخوانهم الأزهريين . . .

وعلى أن الرافعي كان برئ الصدر فيما قال ، ويعلم الأزهريون قبل غيرهم أن هواه معهم ، وعلى أن صدر كلامه وخاتمته لم يكن فيه ما ينبئ عن قصد الاساءة ، فان هذه الكلمة التى قالها قد أحدثت دوياً بين الأزهريين تهدد الجماعة فى نشأتها

وسعى ساع إلى شيخ الجامع الأحمدي (المرحوم الأستاذ محمود الديناري) فأنبأه أن الرافعي قد قال فى خطبته : « لو قعد حمارى فى الأزهر بضع سنين لخرج أعلم من شيخ الأزهر ... ! »

وكتبها كاتب فى رسالة خاصة إلى الأستاذ الجليل الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر ... ! »

وتسامع بها الشيوخ على ما حكاها الراوى فراحوا يتناولون الرافعي وجماعته بما وسعهم من التجريح فى أعراضهم ودينهم ومقاصدهم ، وقال قائل منهم : « وما حاجتنا إلى هذه الجماعة فيما تدعو إليه ؟ لقد انتشر الاسلام ومد ظلاله فى العالم على حد السيف فما يغنى غناءه فى هذه الدعوة كاتب يكتب أو خطيب يخطب ! »

وامتدت هذه القالة الطائشة على لسان طائفة ...

وعرف الطلاب من الأمر ما عرفوا فأعلنت طائفة منهم الحرب ، وسمت طائفة فى وفد إلى مدير المديرية تطلب إليه أن يقمع هذه الفتنة بسلطانه ، واصطبغت المشكلة صبغة سياسية إذ كان للأزهريين يومئذ فى السياسة دولة وسلطان ...

وإذ اتصل الأمر بالسياسة فقد فزع طائفة من الموظفين المنتسبين إلى الجماعة فآثروا البراءة منها على الدفاع عنها ، وأشفقت طائفة على مصير الجماعة فأوفدت وفداً إلى الأستاذ الديناري شيخ الجامع يحقق له الرواية ويبدد سوء الظن ويعتذر ... ولكن شيخ الجامع رد الوفد رداً غير جميل وقال عن الرافعي ما قال ...

وجاء الخبر إلى الرافعي بما أحدثت كلمته ، فما أفزعه من ذلك إلا أن يصدق شيخ الأزهر ما نقل إليه منسوباً إلى الرافعي وإنهما لصديقان من زمان ... فكتب إليه :

« ... وإن شيخاً من علماء الجامع الأحمدي يزعم أن الاسلام قد انتشر على حد السيف ، وهذا كلام ، وسيبقى كلاماً ما دمت ساكتاً عنه ، فاذا عرضتُ له بالمناقشة فقد تغير وجهه ، لو كان وجه النهار لاسودّ ! »

وعلم شيخ الأزهر حقيقة الدعوى التى ادعاها خصوم الرافعي عليه وما زادوا فيها ونقصوا ، فكتب يعتذر إليه ، وكتب إلى شيخ الجامع الأحمدي ...

وكان الرافعي جالساً إلى مكتبه فى المحكمة حين جاءه الرسول يدعوه إلى مقابلة شيخ الجامع الأحمدي فرده ، وعاد يدعوه ثانية ويلح فى الرجاء فحدد الرافعي موعداً ...

وذهب إلى لقاء الشيخ فاستقبله العلماء بالباب فى حفاوة بليغة ، وسموا بين يديه مهرولين إلى مكتب الشيخ ؛ قال الرافعي : « ووجدت الشيخ فى انتظارى وبين يديه (إعجاز القرآن) ؛ فما لقيني حتى قال : « أتعرف يا سيدى أننى مدين لك ؟ هذا كتابك لا أجد لى رفيقاً خيراً منه ؛ إنه زادى وعمادى . ثم عبث فى درج مكتبه قليلا فأخرج ورقة فيها شعر مكتوب ، فدفعها إلىّ وهو يقول : وهذه قصيدة أعددتها لأنشدها بين يدى المليك فى طريق عودته إلى القاهرة من مصيفه ؛ لا أجد من يصلحها خيراً منك ، فأنت أنت للشعر والبيان ! »

قال الرافعي : « وبدون هذا كانت تقنع نفسى وترضى ، ولكنها كانت وسيلة الشيخ إلى استرضائى بعد الذى قال عنى منذ أيام ؛ طاعة لأمر شيخ الأزهر ... ... ! »

تم الصلح بين الرافعي والأزهر ، ولكن الأزمة التى كانت لم تبق على الجماعة فانحلت بعد ما طار منها أكثر أعضائها من

الموظفين خشية التهمة بالسياسة ، وكان للسياسية يومئذ حديث طويل ...

ولم يشترك الرافعي على ما أعلم في غير هاتين الجماعتين

***

ولم تتهيأ للرافعي رحلة من الرحلات يفيد منها علماً أو تجربة طول حياته ، غير رحلة أو رحلتين — لا أذكر — إلى الشام ، لم يفارق مصر إلى غير الشام من بلاد الله ؛ فزار طرابلس حيث ما تزال أسرة الرافعي لها ذكر وجاه ، وزار لبنان حيث عرف صاحبة حديث القمر في سنة ١٩١٢

على أن الرافعي كان يحب الرحلة ويطرب لها ويتمنى لو أتيحت له ولكن موارده المحدودة كانت تقعد به ؛ ولما كان في بطانة المغفور له الملك فؤاد ، كان له جواز سفر مجاني في الدرجة الأولى على خطوط سكة الحديد المصرية ؛ فكان يعد حصوله على هذا الجواز ظفراً بأمنية عزيزة ، لأنه أتاح له أن يتنقل ما شاء بين البلاد من غير غرم ، فلا يكاد يستقر في بلد ، فيوماً في القاهرة ، ويوماً في الاسكندرية ، ويوماً في بور سعيد ؛ يفيد من هذه الرحلات ما يفيد لأدبه أو لبدنه وأعصابه . حدثني مرة أنه كان ينظم قصيدة من مدائحه الملكية فأحس شيئاً من التعب والملال ، فقصد إلى المحطة فاتخذ مقعده في قطار كان على أهبة السفر إلى بورسعيد ، فأتم قصيدته هناك ثم عاد ...

وقد كان هذا الجواز هو سبب ما بينه وبين الابراشي باشا مما فصلت مجمله في فصل سابق ، حين امتنع الابراشي باشا عن مد أجل هذا الجواز بعد انتهائه !

وكان يغبط الذين يجدون في طاقتهم أن يقضوا الصيف من كل عام في أوربا ويتمنى لو أتيح له ، ليفيد من ذلك شيئاً يجدي على أدبه . على أنه مع ذلك كان يرحل إلى أوربا أيان يريد ، ولكن في السيما ...

كان يسمى السيما : خارج القطر ! ويزعم أن في ذهابه لمشاهدتها كلما سنحت له الفرصة غناء عن السفر ، فسواء عنده أن يرحل إلى أوربا في قطار أو باخرة ، وأن ترحل إليه أوربا بحالها في رواية يشاهدها على ستار السيما ؛ فلكليهما أثر متشابه في نفسه ؛ وذلك بعض مذهبه في فلسفة الرضا والسعادة !

وكم كان ظريفاً أن تسمعه يتحدث إلى صديق من أصدقائه قائلا : « هل لك أن تصحبني الليلة إلى خارج القطر ؟ » يلقي هذا السؤال بلا تكلف ولا قصد إلى الفكاهة ، لأن كلمة (خارج القطر) كانت عنده علماً عرفيا على السيما لا يحتاج إلى تعليق !

***

وكان عجيبا في إيمانه بالغيب، وتناجي الأرواح ، وتنادي الموتى والأحياء ؛ وكان يؤمن بالسحر والعرافة ؛ وكثيراً ما كنت تسمع منه : «حدثتني نفسي ... أُلْقِيَ إلي ... هتف بي هاتف» وكان يعني ما يقول على حقيقته . جلست إليه مرة في منزله ، فأخذنا في حديث طويل ... وعلى حين غفلة سكت ، ثم قال : « كيف صديقنا مخلوف ؟ » قلت : « لم أره من زمان ! » قال : « إنه قادم الساعة ... لقد أُلْقِيَ إلي ... أحسبه الآن يصعد في السلم ... ! » فما كاد يتم حتى دق الجرس . وكان الأستاذ حسنين مخلوف هو القادم ، وسألت الأستاذ مخلوفا : أكان على موعد مع الرافعي ؟ فنفى لي كل ظنة !

وسألني مرة أخرى: « ماذا تعرف عن صديقنا م ؟ » قلت : « لا جديد من أخباره ! » قال : « يهتف بي الساعة هاتف أنه في شر ! » وفي صباح اليوم التالي كان نبأ شروعه في الانتحار منشوراً في الصحف ! ... وفي الرسائل التي تبادلاها بعد هذه الحادثة ما يبعد الظن بأن الرافعي كان يعلم شيئاً !

وكان بينه وبين رجل قضية ، فغاظه ، وجاءني الرافعي يوما محنقاً وهو يقول : « سينتقم الله منه ! سينتقم الله منه ! قلبي يحدثني بأن القصاص قريب ! » وفي الغد جاءنا نعي الرجل ، وكنت مع الرافعي وقتئذ ، فتندت عيناه بالدمع ، وتناول سبحته وأخذ يتمتم في صوت خافت وشفته تختلج من شدة الانفعال !

هذه حوادث ثلاث رأيتها بعيني ، ولعلها من عجائب الأخبار عند بعض القراء ، وأحسبني قد رأيت له غير ذلك ، ولكني لا أتذكره الآن ...

وحدثني أن أباه كان مسافراً مرة إلى بلد ما ، وكان عليه صلاة ، فافترش مصلى وأخذ يصلي على رصيف المحطة ، وإنه لكذلك إذ جاء القطار ، قال : وكان أبي حريصاً على ميعاد هذه السفرة ، يخشى شيئاً لو تأخر عن موعدها ، وما كان بين موعد

قدوم القطار وسفره ما يتسع لصلاة الشيخ ؛ ولكن الشيخ استمر في صلاته على وَنًى واطمئنان ؛ وما تحرك القطار إلا بعد أن فرغ الشيخ من صلاته ، واطمأن في كرسيه ، وحيًّا مودِّعيه ووَدَّعي ؛ وكان سبب تأخير القطار شيئاً غير مألوف يتصل بشأن من شئون المحطة !

وأحسبه ذكر مرة في بعض ما كتب كيف ثقل نعش أمه على كتفه ثم خفَّ !

وأخبرني أنه لما مات أخوه المرحوم محمد كامل الرافعي استحضر روحه فلبت نداءه ، وكان بينهما حديث لا أذكره ؛ وحاول مرة أن يعلمني وسيلة لتحضير الأرواح ولكني لم أتعلم !

وكان يحفظ كثيراً من الأدعية والدعوات لأسبابها !

ولما وقع في حب (فلانة) ونال منه الوجد بها ، لجأ إلى العرافين في أمل يأمله ، فكتب تميمة فعلقها في خيط فربطها في سارية بأعلى الدار تتلاعب بها الريح ... قال : ولكن أمورا عجيبة مفزعة وقعت لي ولأهلي ولسكان الدار جميعاً في خلال اليومين اللذين كانت التميمة معلقة فيهما ؛ فأيقنت أن ذلك من ذلك ؛ فان لكل تميمة غايتين : إحداهما ما تأمل وثانيتهما مما تخاف ، وكان ما وقع لي وما يتهددني من شر أكبرَ عندي من الأمل الذي أرجو ؛ فندمت على ما كان ، وتسللت إلى السطح فحللت رباط التميمة وفضضت خاتمها ... قال : فما فعلت ذلك حتى عادت الأمور تسير على عادتها في رفق وأناة ، وزال ما كنت أحذر وهدأتْ نفسي من ناحيته ؛ فما كان شأني في الحالتين إلا كراكب سفينة هبتْ عليها عاصفة ثم قرت ! ... قال : وما كان الذي وقع لي في هذين اليومين مما يقع في العادة ، ولا كانت نهايته ، وقد فضضت خاتم التميمة، بالنهاية التي تنتظر ..!

وكان يؤمن إيماناً لا شك فيه بأن يوماً ما سيأتي فيرتد إليه سمعه بلا علاج ولا معاناة ، لأن بشيراً من الغيب هتف بهذه البشرى في نفسه وهي لا بد واقعة ! وقد مات وعلى مكتبه رسالة من صديقه الأستاذ فليكس فارس يشير عليه بتجربة لترد عليه سمعه الذي فقده منذ ثلاثين سنة أو يزيد ، ورسالة أخرى من صديقه الأستاذ حافظ عامر فيها شيء يشبه ذلك !

وأحسبه قال لي مرة أو مرات وكنت جالساً أتحدث إليه :

« ارفع صوتك بالحديث لعل الساعة الموعودة قد حانت فأسمع ما تقول ! »

ولو أنني ذهبت أستقصي ما أعرف من مثل هذه الأخبار ما وسعني الوقت ، وفي بعض ما قدمت الكفاية لمن يلتمس أسباب العلم

* * *

وكان الرافعي ولوعاً بالرياضة البدنية من لدن نشأته ، يعالج أسبابها في أوقاتٍ رتيبة ، وكان المشي الطويل أحبَّ رياضة إليه

خرجت مرة في جماعة من صحبي يوم شم النسيم الرياضة بُعيد الفجر ، وكان معنا ماؤنا وطعامنا وقد عزمنا أن نقضي اليوم كله في الخلاء ، فلما صرنا على بعد ميل من المدينة والشمس لم تشرق ، لمحت الرافعي على بعد يخب في مشيته على حافة قناة بين زرعين ؛ فلما دنوت منه رأيته يميل فيبلل كفيه بأنداء الفجر على أوراق البرسيم فيمسح بها وجهه وهو منتبط مبسوط ؛ وأقبلت عليه أسائله ، قال : هذه رياضة تحلو لي كثيراً ، فما أتركها إلا لعارض ، بل إني ليطيب لي أحياناً أن أخرج من البيت قبل الفطور لأجول هذه الجولة ، ثم أعود لأفطر وأخرج إلى الديوان .. قلت : وهذا الندى الذي تغسل به وجهك ؟ قال : إنه ينضِّر الوجه ويردُّ الشباب ! ثم سأل : وأنتم أين تقصدون ؟ قلت : هذه رياضة لا نقوم بها في العام إلا مرة ، وإن معنا لطعاماً وماء وحلوى ؛ فهل تصحبنا ؟

قال : وددت ولكن في غير هذا اليوم . . . أسأل الله لكم العافية ! ونالنا في هذا اليوم شر لم نتوقعه ، فعدنا قبل أن ينتصف النهار محزونين ! ...

وسمع الرافعي بما نالنا فقال : « هو ذلك ! إن الشر ليتربَّص بالمسلم الذي يحتفل لهذا اليوم أكثر مما يحتفل لمطلع المحرم ! هذه وصية أب ! »

... وكان يعالج كثيراً من وسائل الرياضة غير المشي ، وقد أتقن أكثر تمرينات « صاندو » الرياضي الفرنسي المشهور . وقد اجتمعت على مكتبه مرة صورتا الشيخ محمد عبده وصاندو ؛ فاسترعى اجتماعهما ملاحظتي ، فقال : « هاتان قوتان تعمل في

نفسى : قوة فى روحى وقوة فى جسدى ! »

وكان سباحاً ماهراً ، وكانت له جولات فى السباحة يشهدها شاطئ سيدى بشر فى الصيف ، وكان يقصد هو وأسرته للاستحمام هناك جانباً من الشاطئ غير مطروق لمنفوانه وشدة موجه وكان يمزح ويسميه « بلاج الرافعى » إذ قل أن يقصد إليه للاستحمام أحد من المصطافين فى سيدى بشر غير الرافعى وأسرته

ولا يطعن فى قدرة الرافعى على السباحة أنه أوشك أن يغرق مرة ؛ كان ذلك قبل منماه بأشهر ، وكاد يغرق معه طائفة من أولاده ، لولا أن أسرع حارس الشط لنجدتهم

وللرافعى صورة طريفة تصورها منذ بضع عشرة سنة ، وتمثله فى زى أبطال الرياضة المشهورين : عارى الجسد بارز العضلات ؛ وددت لو حصلت على هذه الصورة !

وله مقالات مشهورة عن الرياضة البدنية ، نشرها مسلسلة فى مجلة « المضمار » الرياضية التى كانت تصدر فى القاهرة منذ بضع عشرة سنة

وكانت عنايته بالرياضة من أسباب قوته البدنية ، ومن أسباب قوته العصبية أيضاً ، ومن هاتين كان اصطبار الرافعي على العمل الشاق فيما يعالج من شئون الأدب

ولكنه وا أسفا ... قد مات بغير علة ، لأن القدر أقوى من احتيال البشر !

« شبرا » محمد سعيد العريان

من رحلة الشتاء

في مضارب عجيل الياور
شيخ مشايخ شمر
للآنسة زينب الحكيم

تركت بغداد فى مساء الاثنين ١٤ من مارس سنة ١٩٣٨ مستقلة القطار إلى كركوك والساعة التاسعة مساء، فوصلتها فى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى ، ذلك لأن المسافة من بغداد إلى كركوك زهاء ٣٢٦ كيلو مترا ، وخط سكة الحديد هذه يمتد على ضفة نهر ديالة اليمنى ثم اليسرى ، وعرضه متر واحد ، ولا تتجاوز سرعة القطار عليه ٢٥ كيلو متراً فى الساعة . لأنه بنى على أسس واهية ، كالجسور الخشبية والقواعد الترابية . ولأن الأدوات التى استعملت فى إنشاء السكك الحديدية هناك لم تغير منذ ذلك الوقت ، فقد بليت .

سيارة الرحلة فى كردستان
من الأسبوع الثالث من مارس إلى الأول من ابريل سنة ١٩٣٨

وإدارة سكة الحديد هى التى تقوم برعاية هذه السكك فى العراق، ولولا العناية التى تبذلها لكان سير القطر من أخطر الأمور ، ولأصبح السفر من جهات العراق النائية إلى بعضها عسيراً .

من كركوك أخذت سيارة إلى الموصل ، فقطعت ١٦٠ كيلو متراً فى جادات ولو أنهـا معبدة إلا أن المطر الغزير قد أتلف أجزاء كبيرة منها ، فكاد السير عليها يكون مستحيلاً .

بعد أن قضيت بضعة أيام فى الموصل رأيت فيها معالمها التاريخية ، والانشائية ، وجزءاً كبيراً من أطرافها (كبلدة تلكيف ، والشيخ عدى ، والعمادية وغيرها) ، وبعد أن فرجنى على بساتينها الغناء ، ومبانيها الجديدة المشيدة ، وشوارعها المرصوفة الواسعة ، السيد خير الدين بك العمرى رئيس بلدية الموصل ، أخذت السيارة منها إلى معاقل قبائل شمر العتيدة .

كنت قد أرسلت خبراً للشيخ عجيل الياور برغبتى فى زيارتى معاقله ، فلما بلغنى خبر ترحيبه واستعداده لارسال سيارة من سياراته الخاصة الفخمة تحملنى من الموصل إلى خيامه ، شكرت له ترحيبه ، واعتذرت من قبول الذهاب فى سيارته ، لأن سيارتى كانت حاضرة . فقبل العذر عن هذه ، ولكنه حتم أن يستقبلنى رجاله فى مناطق معينة من الطريق ، وأن يصطحبنا دليل منهم إلى الخيام ، خشية أن نضل .

مدخل شارع الفاروق من مبدأ فتحته
وهو أحد الشوارع الانشائية الواسعة بالموصل

قمنا بالسيارة صبيحة يوم الثلاثاء ٢٢ من مارس ١٩٣٨ من الموصل ووجهتنا « تل أعفر » — وتل أعفر هذه قرية فى وسط الطريق الذى طوله خمسون ومائة كيلو متر بين الموصل ومضارب قبائل شمر بالشلقاط .

تقع هذه القرية على نهر دجلة الذى رأيت النساء يغسلن الأوانى والثياب على ضفتيه ، وأدهشتنى طريقة غسل النسوة للملابس ، إذ تمسك كل امرأة مطرقة خشبية لدق الثياب . ولست أفهم الصلة بين إزالة الأوساخ من الثياب وبين دقها بذاك المضرب الخشبى وهى موضوعة على صخرة سوى تمزيقها ، مالم يكن لديهن سر لانفهمه ! !

فى تل أعفر أبى مستقبلونا من رجال الشيخ عجيل الياور إلا أن نشرب الشاى . فأجلسونا فى شيخانة (مشرب الشاى) بسيطة ، أحسن الموجود فى القرية ، وغير مزدحمة بالناس . بعد دقائق قدم لنا الشاى الأسود فى كوبات صغيرة ، وكان طعمه مثل الماء المذاب فيه (الشبة) الثقيلة جدا

ثم واصلنا المسير ، ومعنا دليل الشيخ . أما عن رداءة الطريق فحدث ولا حرج ، المطر المنهمر يكاد يغرق السيارة بمن فيها ، أما العشب الأخضر النضر على جانبى الطريق ، والأزهار البديعة الألوان ، المختلفة الأنواع ، فتسبح كلها فى لجج متموجة . وظهر الجو كأنما خيم عليه ضباب متكتل ، إذ يسمع تساقط المطر ولا ترى وحداته لغزارته وسرعته

منظر من مناظر الطبيعة العظيمة الهائلة ، فضاء فى فضاء لا يحجب النظر فيه إلا الأفق ، ويجرى الانسان فيه بقوة العلم والاختراع . فلا ماء المطر على غزارته يستطيع إطفاء نار السيارة ، ولا السيارة تكل عن مسابقة العواصف والمطر ، ولا إرادة الانسان بمستضعفة حتى تبلغ المرمى

الطبيعة عاصفة ثائرة . والانسان جبار لاينثنى عزمه متى عزم

هانحن أولاء نترك الطريق الطينى المبلل بعد أن سرنا عليه ساعات ، ويشير الدليل بالسير على مروج خضراء غارقة فى الماء ، وبدأ الخفاق يدق بقوة وسرعة ، فالعشب مرتفع ، ولا يؤمن معه العثار ، ولكن من ذا الذى يجرؤ أن يزيد من مخاوف السائق الكردى التعب ، الذى هدته وعورة الطريق ورداءة الجو ؟ !

سيرى على بركة الله أيتها الجارية ، وأى بركة تحدث لها ، إذا كان عليها أن تصطدم فجأة بسيل جارف كون نهراً عالياً ؟! إن للبادية لمخاطر ومفارقات ، وإن لرجل البادية لنظرا

أشار الدليل على السائق بتحويل اتجاهه ، وبشق الأنفس خرجنا من المأزق سالمين

هاهى ذى النفس تنتعش ، والصدر ينشرح ، فقد ظهرت بعض بيوت الشعر ، وفى مقدمتها الخيام البيضاء — خيام العلم والنور ، والكرم والضيافة — التابعة لشيخ المشايخ

وهاهى ذى عيون البدو ترمقنا من بعيد ، وسيارة الشيخ تسرع فى استقبالنا ، ونصل إلى المضارب أخيراً ، فنزيل عناءنا بشر الشيخ وسجاياه العربية البدوية الكريمة : أهلا ومرحباً ، هاهو ذا المطر قد كف، والسماء بدأت تنكشف، والعاصفة أخذت تهدأ . إن فى مقدمكم الخير بنزول الغيث فما أكرمه من مقدم .

فسلمنا عليه وجلسنا خارج الخيام ، على مقاعد من قماش ذات مسندين وظهر من الخشب (مثل ما نستعمله على ظهر الباخرة أو فى الحديقة) فقلت فى نفسى : غريب هذا فى هذه البيئة ! وما أسمع إلا والشيخ صفوك بن الشيخ عجيل الياور وولى عهد ملك البادية يقول : —

You are wel comed. We are very happy to see you here.

« مرحباً بكم . إننا سعداء جداً برؤيتكم هنا »

قال ذلك فى نطق صحيح ولهجة انجليزية أمريكية . فذهلت ! شيخ بدوى قح ، يرتدى الملابس البدوية والعقال ، وبينه وبين الحضر أميال وأميال ، أو إن شئت فقل بينه وبين العالم والحياة أجيال ، يكون هو هذا المتكلم الداعب فى لباقة ولياقة !؟ ياما فى الدنيا عجايب !

وقلت : إنها مفاجأة ظريفة من رجل الصحراء ، فاستدرك مسرعاً وقال : بل من رجل البادية

قلت : وما الفرق بين الصحراء والبادية أيها المعلم اليقظ ؟

قال : إن الصحراء مجدبة ورمالها أخشن وترا كمها أسمك . أما الأرض هنا (أى بين النهرين دجلة والفرات — موزوبيتميا Mosoptamia) فمن أخصب بقاع العالم

حقا لقد رأيتها كلها مغطاة بالعشب المترعرع بقوة ، ونبات القمح والشعير حسن النماء ، وشجر الزيتون مورق مورف ... انصرفت إلى تفكيرى الخاص برهة ، أعلل سبب تحول هـذه الصحراء إلى بادية ممرعة . وأسعفتنى معلوماتى الجغرافية ، فتبينت أنه الرافدان بمـا امتازا به من روافد طمبية سميكة إبان الفيضان ، ولعدم تنظيم تصريف مياههما لقلة مشاريع الرى ، تفيض هذه المياه المتدفقة عاماً بعد عام على المساحات الشاسعة جداً فيما بين النهرين وعلى جوانبهما الأخرى . فتتشبع الأرض سنوياً بالمياه ويمتزج رملها بالطمى ، فأصبحت بقاعاً من أخصب وأصلح البقاع الزراعية فى العالم

ولذلك لون التربة أغبر بين الصفرة والحمرة والسمرة ، فلونها مخالف لما نراه فى صحراء ليبيا أو قرب غزة والعريش مثلا

هذا تصحيح من رجل البادية عرفه بالتجربة العملية وليس من الكتب ، ورجل البادية ولو أنه محدود التفكير إلى حد كبير لبيئته وظروفه ، إلا أنه كما لحظت حاد البصر نافذ البصيرة متوقد الذكاء كريم ، له استعداد قوى للتقدم ، ولكنه شديد الرضى سريع التسليم

منظر من حديقة الطيارين بالموصل
ويرى السيد خير الدين بك إلى اليمين . وهو رئيس البلدية
وله الفضل فى الانشاءات الحديثة بالموصل

ومن أهم ما لفت انتباهى اعتماده على القدرة الإلـهية ، أو على من يتوسم فيه رعاية مصالحه ؛ وكل البدو فى هذه المناطق خاضعون للنظام العشائرى البحت ، ويأبون تدخل الحكومة فى فض مشكلاتهم من أي نوع ، ولو فرض وكان لبعضهم مشكلات تصل إلى المحاكم فى بغـداد أو غيرها مثلا ، فشيخ مشايخ شمر أو ابنه ، هو الذى يمثـل هؤلاء أمام الجهات المختصة ويدفع عنهم ويفض هذه القضايا . ولهذه الاعتبارات وأشباهها تخضع القبائل لرئيسهم خضوعاً تاما، وهو يسهر على مصالحهم . ويسرني أن أذكر بعض المشروعات الاصلاحية التى بدأت فعلا بين هذه القبائل البدوية فى المقال التالى

زينب الحكيم

من روائع أدب الغرب

الإنســـان
L'HOMME

لشاعر الحب والجمال لامرتين

للأديب حسين تفكجي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

— ٧ —

ولكن ذات يوم وقد غرقت في خضم السعادة، وأنعبت السماء بشكواى المرة، غمرني نور سماوي يبارك ماشئمت، فخضعت دون مقاومة إلى صوت أوحى إلى نشيد الحق الذي تفجر من قيثارتي:

المجد لك في الأزمان والخلود
أيها العقل الخالد والارادة العليا
أنت الذى يعرفك الوجود
وتذكر كل صباح أسماؤك الحسنى
فنفختك البدعة انحدرت نحوى
وظهر من كان طيات العدم لعيني!
عرفت صوتك قبل أن أعرف نفسى
فرميت بروحى حتى أبواب الوجود
ها أنذا العدم يحييك قبل أن يولد
ها أنذا! ولكن من أنا؟ ذرة مفكرة
من يستطيع قياس المسافة بيننا؟
أنا الذى أستوحى منك خلقه السريع
دون علم من نفسي، أدار حسب هواك
ماذا يجب على نحوك؟ أيها الخالق العالى؟
المجد للانهائى العظيم
الذى أبدع الكل من نفسه
لتسر أيها الخالق العظيم، لما خلقته يداك
فأنا أتيت لأتمم أوامرك العليا
مُر؛ أطلب، افعل، في الأزمان والمكان
وسخرني لأسبح بعظمتك في يومي ومكاني
فذاتى، دون شكوى، دون أن تسألك
بسكون، تسرع لتمجد عظمتك

و كهذه الأجرام الذهبية التي في حقول الفراغ
أنبع بكل هوى، ذلك الذى ينير لى الطريق
غارقاً في النور أو ضائعاً في الظلام
سأمشي حيث تدلنى
مختاراً منك لأهدي العالم
وعاكساً عليهم نوراً غمرتنى به
فارتمى محاطاً بأسرى النجوم
وأقتحم بخطوة جبارة هوة السموات
أو معتزلا وحيداً مهملا من نظراتك
لا تبدع منى أنا المخلوق المجهول
إلا ذرة منسية على شاطئ العدم
أو نقطة من الغبار تحملها الرياح
فأفخر بمصيرى لأنه صنع يديك
وأذهب إلى كل مكان لأرد إليك واجباً
وبقلب مفعم بحبك أخضع لقانونك
حتى انتهى إلى درك القبر هاتفاً:
« المجد لك »

— ٨ —

يا ابن الأرض البسيط، مصيرى ونهايتي لغز
ما أشبهنى بقمر الليالى، أيها السيد العالى، ينير الطرقات المظلمة، حيث تقوده يداك، يعكس من جهة أنواراً خالدة، ومن جهة أخرى، يندمر في الظلمات القاتلة

الرجل هو نقطة مشؤومة جمت بقدرة إلهية نهايتين
كلما تقدمت خف شقائي فأعبد دون أن أراك حكمتك البالغة
المجد لك يا من خلقتنى وأبدعت أجمل الوجود
وفي هذه الأثناء، رازح تحت أثقال سلاسل الجسد، من المهد إلى اللحد تقودنى الخصومة. أسير يندمر ني ظلام حالك في طريق صعبة المسالك. غير عارف أيان أحمل أثقالى، وجاهلا أيان أحط رحالى. أردد أنشودة الطفولة التي انحدرت كمياه شلال تجتمع لتتمكر.
« المجد لك » فقد اختارنى الشقاء حين قذفت على هذه الغبراء وأمسكتنى بيمينك، تتقاذفنى كألعوبة حية

أطعمتنى مجبولا بالدموع، خبز التعاسة وأسقيتنى من غضبك هتفت: «المجد لك»، ولكنك لم تنصت إلى ندائي، فأرسلت إلى الأرض نظرة حيرى، وانتظرت في السماء يوم عدلك ولكنه قام أيها السيد العالي، ليزيد آلامي

« المجد لك » البراءة مجرمة فى ناظريك

شىء وحيد بقى لى تحت هذه السموات ، مزجت بنفسك

أيامنا والشجون. حياتها حياتى . وروحها روحى، وكثمرة مازالت

ناعمة على غصنها ، تأملها ناظرى ترفع من حضنى قبل أن تينع .

أردت أن تكون الضربة هائلة . ولكنك سددتها بهدوء ،

لتجعل الفؤاد منى حساساً

فكنت أقرأ فى أسارير‌ها ، التمثل فيها جلال الموت مصيري

وأرى فى نظراتها ، نبراس الحياة ، الذى بعد عنى

فكانت يد الحمام تتقاذف منها الزفرات

ولكنها أبداً ، كانت تردد همسة الهيام

فكنت أهتف لشروق الغزالة ، أيتها الشمس أمهلى يوماً

كجرم يطلب رحمة ، تحت ظلمات متكاثفة

هبط حياً ، دركات اللحد

ورأى شعلة براقة تتنازعها أيدي الحياة والموت ، فينحنى

نحوها ، ليحفظها فيراها تخبو ثم تلفظ الأنفاس

فكنت أود أن أحفظ الروح قبل أن تسير فى طريق السموات

كنت أفتش عن كنهه فى ناظريها المحدقين بالفضاء

هذه الزفرة ، سيد الوجود ، نشرت شذاها فى أحضانها

وبعيداً عن هذا العالم المترع بالضوضاء رحلت قافلة آلامى

فاعف عن يائس جذف بحقك فى ساعة غضب

فانى أجرؤ وأطلب الغفران

المجد للسيد العالى

من خلق الماء للخرير ، والنسيم للسريان

والشمس للنور ، والانسان للألم

— ٩ —

لقد كلتُ حكمتك بحقى

فالطبيعة المديمة الشعور تخضع دون إدراك

اكتشفتك وحدى عند ما مستنى الحاجة

فأنا أقدم لك نفسى ضحية بكل خضوع وإرادة حرة

فوحدى أطعتك بذكاء

وحدى أنعمت نفسى فى هذه الإطاعة

وصرت أنفذ فى كل مكان ، وتحت كل سماء

قانون طبيعتى وأمر إلهى

فأنا أعبد فى مقدراتى ، حكمتك العالية

وأخضع لإرادتك فى آلام تجيش فى صدرى

المجد لك . المجد لك

صيرنى إلى الذل ، أو اقذفنى إلى العدم

فسوف لا تسمع منى سوى كلمة :

« المجد لك أبداً »

— ١٠ —

وهكذا ارتفع صوتى نحو القبة الزرقاء ، فقدمت المجد إلى

السماء ، والسماء تنى ما بقى

— ١١ —

اصمتى يا قيثارتى

وأنت الذى تمسك بيديك قلب البشرية الخفاق « بيرون » تقدم

وخذ منها شلالات أنغام منسجمة فقد خلق الله العبقرية لتمجد الحقيقة

صعد نحو السماء نغماتك ، يا مرتل الجحيم

فالسماء نفسها ، ترسل للمعذبين ، هذه النغمات

فيمكن أن تفى من صوتك شعلة حية ، تنزل حتى قرارة نفسك

ويمكن أن قلبك الحساس ، تحت تنقلات مقدسة ، سيسر

من هذه النغمات

فيخترق ظلام الليل ، برق وضاء

فتفيض علينا ، من نور ينمرك

— ١٢ —

أواه ! إذا كانت قيثارتك مجبولة بالدموع ، تزفر تحت أصابعك

رنات الألم ، فمن أعماق الظلال الخالدة ، كالملاك الهابط من عليائه ،

بطوى الجناح ، ويرتفع نحو نور النهار ، لينصت إلى نغمات مقدسة

أصداء هذه القبة الزرقاء ، أصوات أوتار نار مذهبية ينصت إليها

الآلهة ، وهى ترتفع من ساراڤان

تشجع أيها الطفل الهابط من صفوف الآلهة

فانك تحمل على جبهتك الطابع العالى

وكل رجل ينظر إليك ، يرى فى عينيك الشعاع الخابى لنور

السموات

ملك الأناشيد الخالدة ، اعرف نفسك بنفسك

واترك « لولد الليل » الشك والتجديف

وابغض كلمات يغشونك بها. فلا مجد حيث لا فضيلة

تعال وخذ مكانك فى مجلسك الأول ، بين أطفال أتقياء ،

من المجد والنور ، الذى أراد الله تصويرهم بزفرة مختارة

لقد أبدعهم ...

للغناء ، والدعاء ، والرضاء

حسين عسكري

الحقائق العليا فى الحياة

(بقية المنشور على صفحة ١٩٢٤)

إن شوبنهاور قد كذب كذبة بلقاء ، وخرف خرفا عبقريا ! حين زعم أن العالم معدوم لاوجود له إلا فى تصورات الانسان .. وحين أسند العمى والهوج إلى « روح الوجود » وحين زعم أنها لم تدرك نفسها إلا فى عقل الانسان وشعوره ، ولذلك أراد أن يغيظها بتمرده عليها وترك ملذاتها التى هى ملذاتها فى واقع فلسفته ... وكان الأولى بشجاعته هذه أن يقضى على جسمه جملة واحدة حتى يغلق باب المتاع الذى فيه أمام روح الوجود المتعطشة إلى إدراك نفسها فيه وتمتعها بذلك الادراك ...

إن أقل ما يجب عقلياً « لروح الوجود » وخالق هذا الكون العجيب أن يتصف بصفات الانسان العادى المتوسط المحترم بين الناس — بله السوبرمان — فكيف يسلبون المشيئة الغالبة على الكون الصفات الضرورية لبعض ما أوجدته ؟! كيف يعطى الخالق ما لا يملك هو من صفات التدبير ؟

مهما فلسف الانسان فلن يستطيع أن يهدم الايمان العام بحقيقة « السببية » البديهة المستقرة فى كل نفس إنسانية أو حيوانية استقرار وجود تلك النفس .

ومنذ عهد « طاليس » إلى الآن ما استطاع فيلسوف أن ينتزع فطرة الانسانية فى إيمانها بهذه الحقيقة وينتزعها من إلهامها ؟ ولئن كان بعض الشذوذ والانحراف يحمل بعض المتأملين على الاعتقاد بأنه هدمها فى نفسه هو ، فلن يحكم العقل العام عليه إلا بالجنون !

إن الطفل حين يلتقم ثدى أمه لأول مرة بعد ولادته ليحس الشبع لأعظم مفحم لأكبر فيلسوف يهدم تلك الحقيقة ... بل إن إدراك البذرة للانبات فى الظلام والثرى المبلل لأدعى إلى اعتبار تلك الحقيقة من الالهامات الفطرية فى كل الكائنات الحية .

والذى يزعم نفسه عاقلاً قادراً على أن يحكم على « روح الوجود » بما يريد ثم فى الوقت نفسه يسلبه — عز وتعالى عما يصفون ! — قوة الحكم والتدبير والادراك لجزاؤه . . . ما جزاؤه ؟ إن اللغة تضيق عن نعت له يرضى غيظ السموات والأرض من دعواه ! جزاؤه أنه قال ما قال وذلك حسبه لعنة...

« ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق »

« من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ »

فما بالك بمن ينكره بتاتاً أو يرميه بالطيش والهوج !

ومما يجب أن يلتفت إليه أن أجرأ الناس على الشك فى الخالق أو الالحاد فى ذاته وصفاته كان مبعث جرأتهم السكر والتخدير... والسكر نوعان كما بينا فى مقالنا « حنظل وتفاح » : سكر باللذة وسكر بالألم . وجرأة السكارى باللذة جرأة سطحية ، جرأة طيش وسخرية واندفاع كجرأة الخيام والنواسى . ولكن جرأة السكارى بالألم جرأة غيظ وحقد وعناد وتمرد وقنوط وتحد . وهؤلاء هم أثقل شراً وأكبر لعنة

فالمعرى وشوبنهاور ونيتشه غضبوا على الحياة ونظامها وأدمنوا الآلام ، وصاروا يناقشون الخالق مناقشة الند للند ... فلا الخير خيره ولا الشر شره كما رسمهما هو فى الطبيعة والشريعة وإنما الخير والشر ما يرسمون هم وأضرابهم

وقد أطفأ الأولان شعلة الحياة فى جسديهما ، ودعوا إلى إطفائها فى أجساد الناس جميعاً ، حتى تخرب الأرض وتفنى إنسانيتها

وماذا كانت تكون النتيجة لو أن الناس كلهم كانوا رهبان تمرد وعصيان كالمعرى وشوبنهاور ؟ وكأنى بالانسانية وقفت موقفهما قائلة للخالق : هاك الحياة التى أحييتنا مردودة عليك منطفئة الشعلة ! دونك الأرض بحيوانها وشجرها ومرافقها لا نريد . لا نريد ! وها نحن أولاء رهبان شر أيها الآله إلى أن نموت !

ولكن الانسانية التى فى فطرتها وإلهامها الايمان والطاعة والعبادة لا تنفك تطرد من حياتها هذه الدعايات الشاذة السامة كما يطرد أفرادها عن أجسادهم البثور والقروح والدمامل ، ولا تزال سامعة مصغية واعية لذلك الصوت الذى يدوى بهذه الكلمة: « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ! » . ولا تزال سائرة مأخوذة إلى غايتها فى سلاسل من الضرورات والرغائب . بل لا تزال جنانُ الحياة وأماسيُّها تنشد قائلة وهى سائرة على الطريق :

« وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هرباً »

« وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ؛ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً »

« ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا »

***

ما هى حدود الايمان فلسفيًّا ؟ إنها فى رأيى هذه :

أنا إنسان صحا من غيبوبة عدم لا يعرف مبتداها ، فأدرك نفسه وفتح حواسه على ذلك البيت الهائل البديع : الدنيا ، فتساءل بما فيه من إبهام السببية البديهية : من خلقنى هكذا بديعاً كامل الأدوات لحياتى فى هذا البيت ؟

ثم تساءل : ومن خلق هذا البيت العجيب الهائل بأرضه وسمائه وهوائه ومائه وإنسانه وحيوانه وقواه وقوانينـه الدائمة الصيانة له ؟

ثم تساءل : ومن أدخلنى فى هذا البيت من غير أن يستشيرنى؟

ثم تساءل : ومن سيخرجنى من هذا البلد من غير إرادة منى كذلك ؟

تلك الأسئلة الأربعة هى أبواب الايمان بخالق . ومن بين الأجوبة عرف الانسان صفات هذا الخالق من وحدة وعلم وحكمة وقدرة وقهر وقدم وبقاء وإرادة وغيرها من الصفات ، ثم أحس الاعجاب بذلك الخالق المبدع ، ثم أحس الحب كل الحب له ، لأنه أكرمه ونعمه حين أخرجه من العدم وأسبغ عليه الحياة مع أدوات الاطلاع عليها ، ثم أدام الفكر فيه . ومن الحب والفكر نشأت العبادة ...

أما كنه ذات الخالق وزمانه ومكانه وشئونه وغاياته وأسرار صنعته ، فأولئك أمور يستطيع الانسان أن يدركها حين تستطيع النملة الصغيرة أن تدرك المحيط الهادى ! ولله المثل الأعلى ...

تلك هى حدود الايمان بخالق ، فى تفكير بسيط متزن لا لجوء فيه إلى غيبيات وسمعيات ، وإنما إلى مقدمات عقلية هى « قدر مشترك » فى عقل الفيلسوف وعقل الفلاح ، والمتمدن والمتوحش وهى ما يمكن سلوكه من الطرق إلى تبيين جـذور الايمان بالتفكير . ولا داعى بعد ذلك إلى ما لا يفهمه العقل العام المشترك بين زنوج إفريقية وأقزام الاسكيمو وفلاسفة الشرق والغرب .

ولكن ما هو مصير الانسان ؟

ذاك سؤال يكاد يكون له قيمة الأسئلة الأولى عند كثير من الناس غـير أن هناك فارقاً كبيراً بين قيمة الجواب عليه وقيم الأجوبة على الأسئلة الأربعة . ذلك لأن الجواب عليه متفرع من الأجوبة السابقة ولا يصح إلا إذا صحت هى . بل قـد يكفى بعض العقول ويريحها من حيرتها أن تؤمن بالخالق وبالحياة الدنيا فقط ولو لم يكن هناك مصير آخر يحيا فيه الانسان . لأننا لا نستطيع أن نبحث فى غايات الخالق لعجزنا عن ذلك البحث « وإنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً » « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »

وتكفى الحياة والانعام بهـا على من خرج إليها وأحسها ، سواء كان على نعمى أو بؤسى ، وازعاً للايمان بالخالق وحبه والتقرب إليه . أما الحساب على الخير والشر ، فالخير جزاؤه فيه والشر جزاؤه فيه .

وهذه نزعة صوفية متطرفة تشذ عن العقل العـام ، والقدر المشترك ولا تتحاكم إلى سـنن الخالق وقوانينه فى الفطرة ولا تطلب منه أن ينفذ ما كتبه على نفسه وقد « كتب ربكم على نفسه الرحمة : ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه »

ذلك استطراد لجأنا فيـه إلى الاستشهاد بالقرآن مخالفين ما اتبعناه فى بحثنا هذا الذى لا يستند إلا إلى التفكير وحـده ، لأننا فى منطقة تسليم وخير مطلق عن تلك النفوس التى ترى أن تفنى فى إرادة الخالق « إما الى جنة إما إلى نار »

ونعبده من غير شىء من الهوى ولا للنجا من ناره وعـذابه

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغـداة والعشى يريدون وجهه »

***

ونعود فنقول : إن كل ما فى الأرض من قرائن يدل على أن الانسان هو المقصود بالخلقة فيها ، وما عداه فمخلوق له لينتفع به . وله من حياته الفكرية والنفسية ما يشعره بهذا القصد . فانها حياة سامية غاية السمو معقدة غاية التعقيد فيها جانب عظيم غير خاضع للحياة الحسية الأرضية ، ويكفى فى سموها أنها حياة متيقظة لنفسها ومتيقظة للدنيا كلها باحثة عن أسرارها المخبوءة فيها وراء الأجرام والكثافات ، حالمة بصور علوية لكمالها هى وكمال الدنيا ، تزعم

أنها قادرة على تنقيح الطبيعة ، وإعادة الخلقة كلها على وجه آخر أكمل ! وقد وصلت بالفعل إلى بعض مفاتيح الطبيعة عن طريق العلم وهى تفكر الآن بجد للوصول إلى المفاتيح الأخرى ، وستصل

والقرآن يقول : « سنريهم آياتنا فى الآفاق . فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقد ابتدأت الآيات فى عالم الآفاق وعالم الأنفس بأعاجيب ، فما بالك بما تنتهى إليه ؟ ويقول : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً » وتأمل فى قوله « وظن أهلها أنهم قادرون عليها » فاذا عرفت أن « الظن » هو الأفق الذى تحت العلم والجزم مباشرة تبين لك مقدار ما ستصل إليه قدرة الانسان فى الآباد الآتية حتى يتوهم أنه قادر على الأرض.

فهل من المعقول بعد تلك القيمة العظيمة للانسانية أن تمضى من الحياة كما تمضى الحشرات والبذور من غير مصير علوى يتحقق فيه القصد من حياتها الأرضية التى خلق فيها كل ما فى الأرض ؟ إن سنة التطور والترقى التى يقول بها العلم الحالى تأبى التسليم بهذه الخاتمة الأليمة لتلك الحياة الانسانية الرفيعة ...

تقول بعض الفلسفات : إن الحل لهذه المشكلة هو فى القول بالرجعة المستمرة إلى الأرض بالحياة فى الأفراد الآتين من النوع . فالكمال الذى ينشده الأفراد ويحلمون به سيتحقق فى النوع . وكأن الانسانية فى خيال هؤلاء هى المعنى الواحد فى الأفراد . أما أجسام الأفراد فهى أثواب تنضوها الانسانية فى الأجيال المتعاقبة وتلقيها جثثاً ميتة على طريقها إلى غايتها ...

ولكن فى هذه الفلسفة إهداراً تاماً للفرد وارتداداً بالانسانية إلى أفق واطئ جداً هو أفق النبات والبذور ، دع عنك أفق الحيوان . ونظرة واحدة الى إخراج الأفراد من الأرحام بصور متعددة الوجوه وشكول مختلفة فى العقول والنفوس — وهذا فى الانسان فقط — تحملك على الجزم والاعتقاد بأن القصد فى الطبيعة متوجه الى خلق الفرد بالذات وإحساسه على انفراد بالحياة التى فيه هو ، وأنه مخاطب وحده من « إرادة الحياة »

وإن هـذه الفلسفة لتبعث القنوط فى الفرد لأنه يشعر معها كأنه مسمار فى نعل الانسانية ! وإنها لتبعث فيه الشرود والجموح فى الحياة لأنه لا غاية فردية له من حياته ، ولا هو يدرى الغاية من وجود الانسانية كلها ...

وإذا كانت الشيوعية لم ترضها الانسانية فى الغايات الاقتصادية فتفنى فيها جهود الأفراد للمجموع فناء مطلقاً فكيف ترضاها فى غايات الحياة ؟

وفى قنوط الأفراد وفى جموحهم دواع إلى خسة النفس ودناءتها وثورتها على الحياة بحيث لا يرجى للانسانية بعدها ترق ولا اصلاح للحياة الجمعية .

الحق أن الفرد مقصود بالخلق ، مخاطب من واهب الحياة رأساً بما فيه من الادراك مراعى فيه تميزه بصورته ونفسيته ليشعر بفرديته وغايته الأنانية أولا . والقدر المشترك الذى بينه وبين الانسانية لا يحمله مطلقاً على الاعتقاد بأنه فيها كبذرة فى نوع من الشجر ، ولا كمسمار فى نعل ، ولا هو يشبه أخاه كما يشبه التراب التراب ، والنملة النملة ... فالفروق بين أفراد الأنواع الأخرى فروق ضئيلة لا تكاد تميز فى الصورة ولا فى الادراك بخلاف الانسان فان تنوع صوره الظاهرة والباطنة أمر محير !

« وبعد » فانى لأتساءل دائما : ما الذى أوجد فى نفوس الانسانية ذلك الشعور الثابت بأنها لا تفنى ولا تنتهى حياتها بدخولها المقبرة ؟ ولماذا لم تحملها إرادة الحياة ، على غير هذا الشعور لو أن الأمر كان غير ذلك ؟

ثم لماذا نجد فى خيالنا صورة لحياة كاملة لا قيود فيها للجسم ولا للروح ؟ من أين لنا هـذه الصورة ؟ إن كل شىء قد حظى بكماله فى دنياه بغير نزوع منه إلى حياة أكمل . مما يدل على أنه قد خلق للحياة هنا فقط ، بخلاف الانسان فانه يشعر كأنه طير مقصوص الجناحين لا يزال يحلم بالجو الذى خلق ليعيش فيه .

وكيف يؤمن مثل « أديسون » أو « ماركونى » بأنه يفنى فناء لا رجعة بعده بينما الأرض مملوءة بآثاره فى الكشف والاختراع ؟

إن العلم يقول إن الأرض ستفنى بفناء الشمس أو انطفائها فأين يصير ما هنا من الفكر والعلم ؟ وماذا يفيد كمال النوع الانسانى لو أن الحياة كانت للنوع لا للأفراد كما يقول نيتشه وأصحاب مذهب « الرجعة » ؟

ألا إن الموت « ولادة ثانية » كما يعبر الانجيل

هذا ولا يزال لحديث الآخرة بقية نرجئها الآن بعد ما طال الحديث ...

« الرستية » عبد المنعم خلاف

يا فلسطين (*)

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

إلى شهداء الحرية من أحفاد صلاح الدين ، إلى أشبال أسود حطين ، إلى المجاهدين المرابطين فى سبيل الله

الأثرى

إصبرى فى الحادث المستفحلِ ... إنما العزةُ لِمَنْ تستقتلِ
واسألى (نيرونَ) يُذكِ نارَهُ ... فى سواد البأسِ نُورُ الأملِ
وانهدِى ما قارع الحقُّ هوًى ... باطلاً يومًا ولم ينخذلِ
لا تُراعِى من كَمِىٍّ مُبطِلٍ ... قوّةُ الحقِّ سلاحُ الأعزلِ
أو تمُدِّى من يدٍ ضارعةٍ ... تسألينَ العدلَ من لم يعدِلِ
عَزَّ هذا الحقُّ إلا بدمٍ ... جامحِ النزْوةِ حُرٍّ يغتلى
فأريقيهِ رخيصًا هيِّنًا ... يا فِلَسطين وإلاَّ تُؤكَلى
أحرزَ الغايةَ مَنْ حاولَها ... وحوى النصرَ الذى لا يأتلى

***

ليس ما دوّى حديثًا أولاً ... عنكِ . كم مرَّ له من مَثَلِ !
أيقظ الشجوَ : فمن قلبٍ هفا ... واهنَ العزمِ ، وجفنٍ مُسبلِ
غير أنى ـ والهوى مختلفٌ ـ ... سرَّنى من حيث أحيا مأملى
كنتُ أخشى ، والقرى أضحتْ قِرى ... أنْ تكونى من كريمِ المأكلِ
فاذا الدم أبيًّا يغتلى ... وإذا الروحُ عزيزًا يعتلى
وإذا القومُ الذى أيأسنى ... جامحُ الثورة ماضى المُنصُلِ
من شبابٍ كشراراتِ الغضا ... وشيوخٍ كصَياصِى الجبلِ
وعقيلاتٍ كأمثالِ الدُّمَى ... هِجنَ أمثالَ الأُسودِ الجُفَّلِ
سِرنَ صدرَ الصفِّ سرباً باسلاً ... يتحدَّينَ حرابَ الجحفلِ
أىُّ معنى عبقرىٍّ لاح فى ... خوضهِنَّ النارَ خوضَ البطلِ
يا وقاها اللهُ أنفاسَ الصَّبا ... كيف قاسَينَ سَمومَ الجُهَّلِ !

أيُّها الجيشُ الذى ناضلَها ... قد عرفناكَ منيعَ المَعقِلِ
فترنَّحْ نشوةً أنْ رُعتَها ... وهىَ عزلا من ظُبى أو أَسَلِ
واسترِ الوجهَ أوِ اكشفْهُ فلا ... تخشَ أن يغشاه عارُ الخجلِ
معشرٌ مستوحشٌ ما هذَّبتْ ... من حواشيهِ وصايا الرُّسُلِ

***

إيه (جونْ بولُ) . وما شئتَ فخذْ ... فيهِ من مكرِ عويصِ الحِيَلِ
قد كشفنا كلَّ كيدٍ مختفٍ ... وحللنا كلَّ عقدٍ مُعضِلِ
الصَّهاينُ ؟ فمَنْ همْ فى الملأ ؟ ... أوَ ليسوا خَوَلاً من خَوَلِ ؟
إنما أنت الذى ينصرُهُمْ ... يا عدوًّا جاء فى زىِّ وَلِى
لن تكونَ الدهرَ من أكفائنا ... أبدًا فى هيِّنٍ أو جَلَلِ

***

أبشرى إنَّ الصباحَ المُزجِى ... يا فلسطينُ أراه ينجلى
كيف لم ترتقبى من فرجٍ ... وبنوكِ الصيدُ حرزُ المَوئلِ ؟
أنا لم أحسبْ ، وهذا روحُهُمْ ... أنْ تَظلِّى تحت حكم السفَلِ
سنةُ الكونِ التى نعهدُها ... أن يكونَ النُّجحُ حظَّ الأمثلِ

***

ساعِفى (بغدادُ) أنضاءَ الوغى ... من بنى العمِّ وراء (الكرمل)
رَحِمٌ موصولةٌ أوشاجُها ... لم يُقطِّعها نكالُ الدُّوَلِ
طالما راموا تفاريقَ العصا ... والعصا تلقفُ كيدَ الدجَلِ
حَبْلُها جامعةٌ مرجوَّةٌ ... من تخوم (الريف) حتى (الموصلِ)
إننى ألمحُها ظافرةً ... تستقِلُّ التاجَ منضورَ الحُلِى
للعدا اليوم ، وهمْ ينضونَهُ ... لا تظلُّ الشمسُ فوق الحملِ
وأرى فى مطلعِ الآتى لنا ... منزلَ البدرِ ومرقى زُحَلِ
خلِّ عنكَ اليأسَ ينأى جانبًا ... يا كليلَ العزمِ وأصحبْ أملى
انطوى الماضى فلا تنشرْ له ... صُحُفًا نضّاحةً بالعِلَلِ
وأْتِ يومكَ يسعى دائبًا ... فارتقبْ شارقةَ المستقبلِ

« بغداد » محمد بهجة الأثرى

(*) من ديوان « ظلال الأيام »

إلى الدكتور زكى مبارك

ردًّا على قصيدته (وحى بغداد) التى نشرت بالرسالة

للأستاذ ابراهيم أدهم الزهاوى

ما كنت أعلم أن ثغر المغرم   يفترّ عن أمل الوجود الأعظم
حتى وجدتك فى « الرسالة » منشداً   ولرب إنشـاد بغير تـكلم
حببت لي طعم الغرام وإنه   مرٌّ بثغرى مثل طعم العلقم
إن التى أحببتها بسقامها   «حب» لـكل مهذب لم يسقم
ما زلت أنشـد فى هواها شرداً   يقطرن فى وجه الصحائف من دمى
ماضر «ليلى» أن تكون سقيمة   إن كان ذاك السقم غير ميتم
فلسوف نبرئ داءها بدوائها   ونعيدها لجلالها المتقـدم
وممالك يحـدو بها أمثالكم   تطأ السماء بخفها والمنسم
أقلامكم متيقظات للعـلى   تنفي السهاد على عيون النوّم
يهوي أبو الحسن الرضى يراعه   فيزوره بتلطف وتبسم
نزلت حكومتك التى أصدرتها   فى قلبـه برءاً بقلب المسقم
لم ترض دون العبقرية للذى   هتك الحجاب على بنات الأدهم
إن «الشريف» لشاكر لك خدمة   وأبو الشريف ومن إليـه ينتمى
خلدته وخلدت فى تخليده   ولو انه من همِّ كل مترجم

* * *

قد سار فى الدنيا « الزكى » مباركا   وحباله عن مصر لم تتصرم
صيت كأن الشمس قد نفخت به   من روحها فسما سمو الأنجم
العقل تنهضه العقول فيستوى   كالزرع تنبته غيوث الموسم
لله در يراعـة فى كفه   شماء مثل شعوره المتضرم

* * *

إن العراق ترنحت أعطافه   لـمـا لهجت بحمده المتحتم
وطن الجدود ومنتهى أمجادهم   وقصيدة الدنيا التى لم تختم
دار الخلافة كل قلب نحوها   من منجد فى سيره أو متهم
وكأنما أطلالهـا فى عينه   آماله الـكبرى التى لم تنجم
فخراً لدجلة أن تكون مقيمة   أبداً على العهد الذى لم يخرم

* * *

وقف الزكى بيانه العالى على   إنشاء جيل بالعـلاء متيم
وكساه بالحلل الوضاء كأنما   بالنور يكتب لا بحبر أسحم

* * *

يا أيها الوادى السعيد أعدته   فأعدت خـير مهذب ومعلم
كانت نوادينا تنير بنوره   تفتر عن مثل الصباح المقدم
تلك الدعابات التى يأتى بها   تشفى القلوب ولو جرت فى مأتم
يدرى اللبيب بأنها الجد الذى   يأبى على الدنيا أداء المغرم
شافى جراحات الآسى لم يجد   لجراحه بين الورى من مرهم
وكذلك القلب الـكبير فانه   وجدان قلب فى القلوب مقسم
ولدته مصر وكم حسام قاطع   ولدته مصر وكم سنان لهذم
بلد إذا ما أفلست أيامنـا   جادت سحائبه بدرّ مفعم
طلعت شموس بيانه فتكشفت   ظلماء عاشت ضعف عمر القشعم
سل ميت الآثار من أومي له   فأتى يحدثنا بغـير تلعثم
الله سدد للكنانة سهمها   فتصيب مقتل كل خطب مرزم
بلد إذا ذكرته ألسننا صفت   كل القلوب لذكره المتبسم
للرافدين صبابة فى نيـله   ولنيله ضعف الشعور المضرم
قطران قد طبع الزمان هواهما   من دون أقطار الأنام بميسم
عاشا لمجد العرب إن لمجدهم   نبأ سـتعلمه إذا لم تعلم

« بغداد »   ابراهيم أدهم الزهاوى

آراء طريفة فى التربية والتعليم

تواصل مجلة (دنيا المعلمين) الانجليزية نشر إجابات زعماء الفكر على أسئلتها التسعة التى لخصنا للقراء إجابات برنرد شو ويرستلى عنها ، وقد أجابت مس دافنى دى موريير ، وهى من كبيرات الأديبات هناك ومؤلفة ربيكا ، ولن أكون صغيرة مرة أخرى ، وفندق جاميكا ، ورحلة بوليوس ...الخ فكانت إجاباتها متزنة وأكثر اعتدالا من إجابات شو ... وقد ذكرت مس دى موريير أنها لم تذهب إلى مدرسة ما ، بل تعلمت فى منزلها على أيدى مدرسين خصوصيين وأنها لما بلغت الخامسة عشرة كانت تقرأ أمهات الكتب الأدبية والتاريخية وتدرسها بنفسها .. ولما سئلت عما تأسف لأنها لم تحصله ذكرت الأعمال المنزلية التى لم تخلق المرأة إلا لتتعلمها ، وخصصت من ذلك الطبخ وأشغال الابرة والخياطة ولم تجحد أثر معلمها كما فعل شو ... وذكرت أنها قرأت أول ماشغفت بالقراءة كتب الأدب الكلاسيكى ثم شدت القصص فقرأت أحسن ما كتب أدباء قومها ... واستنكرت عادة منح التلاميذ مكافآت اعترافا بتفوقهم ، لأن هذه المكافآت تولد فى نفوس أصحابها الغرور والزهو كما تولد فى نفوس الآخرين الحسد والحقد أو تجعلهم يعتقدون أنهم أقل من زملائهم ذكاء وأحط مرتبة ... ولم تستنكر مس دى موريية الجمع بين الجنسين فى فصل واحد إلى سن الرابعة عشرة ، لكنها صرحت أن الجمع بينهما بعد هذا هو منكر يؤدى إلى آفات الغريزة الجنسية ومهاترات الغزل السمج بين الجنسين ... واستنكرت دراسة بعض المواد الجافة كاللاتينية والرياضيات المعقدة غير العملية وتعميمها فى المدارس ... ثم رفضت الاجابة عن بعض الأسئلة الأخرى

المسرح الأوربى

صدر أخيراً فى أمريكا كتاب ضخم عن المسرح الأوربى لمصنفه الأستاذ توماس . هـ . دكنسون تناول فيه تاريخ المسرح فى أكثر الممالك الأوربية — ما عدا انجلترا — منذ نهاية الحرب الكبرى إلى اليوم وما جد فيه من صنوف التجديد والتيارات الحديثة . ولم يكتب المصنف كل فصول الكتاب ، بل قام بذلك إخصائيون ممن لهم اتصال بالحركات المسرحية فى كل من الممالك الأوربية ، ومن هنا قيمة الكتاب ... ونستطيع أن نقول : إن المستر دكنسون لم يكتب إلا مقدمة الكتاب التى تناول فيها شرح الاتجاهات الحديثة فى المسرح الأوربى عامة والعوامل الاجتماعية التى خلقت هذه الاتجاهات ... وقد كتب عن المسرح الروسى الأديبان يوسف جريجور و هـ . و . ل . دانا ، وعن المسرح الألمانى الأديب المؤرخ يوليوس باب ، وعن المسرح الفرنسى العلامة أدموندى ، وعن المسرح الايطالى سيلفيو داميكو ، وكتب عن المسرح الاسبانى الأديبان دى كاندو وجون جارن ... وفى الكتاب فصول ممتعة عن المسرح فى كل من تشكوسلوفاكيا وبولنده وبوغوسلافيا والمجر ورومانيا وبلغاريا والسويد ودنمركة ... أما لماذا لم يعقد فصل عن المسرح الانجليزى فذلك — فى رأى المصنف — أن هذا المسرح لم يجار نهضة التجديد التى عمت المسارح الأوربية وأن المقصود من الكتاب أن يكون دراسة لمسارح القارة تنفع المسرح الانجليزى — والكتاب جليل الفائدة فعسى أن يعنى به ممثلونا أو أن ينقله أحدنا إلى العربية

أين كان يكتب تشيكوف قصصه

كان تشيكوف الأديب الروسى الكبير طبيبا ولم يكن أديبا ثم نسى الطب واحترف الأدب، فنبغ فيه ولم ينبغ فى الطب، وهو فى ذلك مثل ولز الذى درس الكيمياء والصيدلة فجذبته صناعة القلم وآثر أن يفرغ لها، ومثل هذا يقال عن مؤسس المسرح الجديد الأديب النرويجى العظيم إبسن الذى درس الكيمياء ثم نزع إلى الأدب وتفرغ له، ويكاد يكون زعماء الأدب فى العصر الحديث من العلماء وليسوا من الأدباء

هذه ملاحظة عارضة بدت لنا خلال دراساتنا لحياة تشيكوف تلك الحياة الحافلة الارستقراطية التى تختلف عما عرفناه من حياة زملائه وأنداده الأدباء الروس الذين ذاقوا من شظف العيش وهوان الأيام ما جعل آدابهم عصارة من البؤس وترجمانا للبائسين وأروع ما يلفت النظر من حياة تشيكوف هذا المنزل الريفى — أو الكوخ الهادىء المكون من غرفتين اثنتين — والمنعزل عن قرية فيسكينو — التى كان منزله الفخم بالقرب منها ... لقد بنى تشيكوف هذا الكوخ وسط حديقة من أشجار التفاح لتكون مهبط وحيه، ومرتع خياله الخصب، الذى أنتج للعالم تلك الثروة الهائلة من القصص والدرامات

حول كلمة «أنوثة»

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء

تحيات طيبات، وبعد فقد قرأنا فى العدد ٢٧٩ من مجلتكم الزاهرة قصيدة الأستاذ ابراهيم العريض «بين عشية وضحاها» الرائعة. ولقد لفت نظرنا كلمة «الأنوثة» فى قوله

وتحت يديها يزل النصيف ... عن برعمى صدرها ناحية

وملؤهما عزة بالجمال ... جمال أنوثتها الغافية

وشككنا فى وجود هذه الكلمة. ثم جاء «اللسان» يؤيد ما ذهبنا إليه. قال فى مادة «أنث»

«ويقال تأنث الرجل فى أمره وتخنث، والأنيث من الرجال، المخنث.

«والتأنيث خلاف التذكير وهى الأناثة»

أما كلمة «ذكورة» التى تقابل كلمة «أنوثة» فلم يذكر صاحب اللسان الا فى موضعين لا يقابلان فى معناهما «الأنوثة»

قال فى مادة «ذكر»:

«التذكير خلاف التأنيث، والذكر خلاف الأنثى والجمع ذكور وذكورة وذكار ...»

وجاءت فى مادة أنث أيضاً

«روى ابراهيم النخعى أنه قال «وكانوا — أى العرب — يكرهون المؤنث من الطيب ولا يرون بذكورته بأساً.

«وأما ذكورة الطيب فما لالون له، مثل الغالية، والكافور والمسك، والعنبر والعود ..» ﻫ.

ومعنى ذكورة الطيب، أى ما كان منه مذكراً، ولا يوجد إذن كلمة «أنوثة» وإنما «أناثة» وهى كلمة لا بأس بها، حبذا لو تقوم مقام تلك التى شاعت كثيراً، وحسب كثير من الناس أنها صحيحة.

«دمشق» صلاح الدين المنجد

بين السيكلوجية والطب

أخذت بعض كليات الطب فى أوربا تدخل دراسة السيكلوجية فى برامجها بما لها من الفائدة فى تشخيص بعض الأمراض إن لم يكن فى كل الأمراض. ويجمل بكلية الطب المصرية أن تحذو حذو هذه الكليات فقد انتشر السل فى مصر كما انتشرت أمراض أخرى كالجنون والصرع وضعف الأعصاب، والطبيب الذى لم يدرس السيكلوجية الحديثة يعجز فى أكثر الأحيان عن تشخيص هذه الأمراض، وقد أصدرت الدكتورة العالمة إليانور . ا . مونتجومرى كتاباً جليل الفائدة فى هذا الباب بحثت فيه عن العلاقة بين السيكلوجية والطب، وهل يستطيع الطب أن يصف للعلل الأخلاقية كالجبن واللؤم وتعشق الاجرام من أجل الاجرام دواء مادياً غير العلاج الذاتى الذى تصفه السيكلوجية ... وقد تناولت المؤلفة وظائف الغدد التى تتحكم فى أخلاق الشخص وتقررها وذكرت أن الطب وحده هو الذى يستطيع أن يتحكم بدوره فى هذه الغدد، ومن هنا العلاقة الكبيرة بين السيكلوجية والطب

أفاعي الفردوس

ديوان الأستاذ الياس أبو شبكة

بقلم الأستاذ فليكس فارس

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وإلى الشعراء الآن نماذج من قصائد الديوان الذي أردنا أن نرسم مصغراً عنه ببعض خطوطه :

شمشون :

هي قصيدة رمز فيها الكاتب إلى كل جبار في الحياة تصرعه خدعة الضعفاء، وإلى كل شاعر تلعب الغواية بحياته دون أن تضلل قوة إلهامه فينتقم بهذا الالهام من نفسه ومن أعدائها .

اسمع الشاعر يخاطب دليلة ليصورها بقوله الرائع :

ملقّيه ففي أشعة عينيـ ـك صباحُ الهدى وليل القبور
وعلى ثغرك الجميـل ثمارٌ حجبت شهوة الردى في العصير
ملقّيه فبين نهديك غامت هوة الموت في الفراش الوثير
هوة أطلعت جهنمُ منها شهواتٍ تفجرت في الصدور
ملقّيه ففي ملاغمك الحمر مساحيق معدن مصهور
يسرب السم من شفافتها الحـرى إلى ملبس الردى في الثغور

ثم عد فاسمع كيف يصف دليلة عند ما جاءت ترقص أمام شمشون وهو مربوط إلى عمد الهيكل وقد دار به عداته الساخرون .

تزوير أدبي

عمد بعض المرتزقة من الناشرين إلى طبع قصة تافهة بعنوان «قتيلة الجوع» نسب تأليفها إلى الأستاذ توفيق الحكيم وكتب اسمه على غلافها، وذلك لكي يضمن رواجها بين العامة من القراء

وقراء الرسالة عامة يعرفون الأستاذ توفيق الحكيم بفنه وأدبه ، ويعرفون مؤلفاته وقصصه جميعاً ، فما كان بنا من حاجة إلى نص هذا الخبر لولا رغبتنا في أن يلتفت إلى مغزاه القائمون على شئوننا لعلهم يجدون في مثله ما يحفزهم للتفكير في حماية الأدباء والمؤلفين من شتى الآفات التي تنوشهم من كل جانب !

العصور

صدر العدد الأول من مجلة العصور مصدقاً لما قدرناه لها في أنفسنا من قوة التحرير وصدق الأسلوب وشرف النزع . وقراء الرسالة يعرفون صاحبها الأستاذ محمود محمد شاكر بقوة الأدب وقوة الدين وقوة الخلق، فهيهات أن يجدوا في العصور إلا أثر هذه القوى مجتمعة في قلمه الرصين واختياره الموفق . وإنا لنرجو للأستاذ الصديق أن يوفقه الله فيما نصب نفسه له من الجهاد الصادق في خدمة الدين واللغة والثقافة

لماذا أنا مسلم ؟

أخرج الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي الطبعة الثانية من كتابه «لماذا أنا مسلم» ممتازة بكثير من الزيادات والتنقيحات. وقد وضع المؤلف هذا الكتاب على هيأة مناظرة بين قس من علماء المسيحية المبشرين، وبين شاب مسلم يفهم حقائق دينه فهماً صحيحاً : يوجه القس إلى الشاب المسلم الاعتراضات والشبه التي يتصيدها المبشرون لمحاولة تشكيك المسلمين في دينهم ، فيرد عليه الشاب في أدب ولباقة ، مفنداً تلك الشبهات والاعتراضات بمنطق سليم وعبارة فصيحة وحجج دامغة . وقد تناولت المناظرة أهم المسائل التي يتوهم فيها خصوم الاسلام مآخذ يأخذونها عليه

ويمتاز هذا الكتاب بحسن معالجة الموضوعات التي تناولها بأسلوب متسق وعبارة جلية وتدليل قويم

وهو يقع في (٨٨) صفحة من الحجم المتوسط ويطلب من مكتبة الشرق الاسلامية ومطبعتها بشارع محمد علي أمام دار الكتب المصرية

وإذا قينةٌ يخالجها السكر … على مشهد من الجمهور
فتثنت تضاجع الجوَّ نشوى … من تلوى قوامها المحرور
رقصةُ الموت يا دليلة هذى … أم تُراها اختلاجة فى المحرور

ثم اسمعه يتكلم بلسان شمشون :

بددي يا زوابع النار أعدا … ء إلهى ويا جهنم ثوري
وتنفس يا موقد الثأر فى صد … ري وأغرق نسلى الربا فى سعيري
وامصصى يا دليلة الخبث من قا … بي فكم مرة مصصت قشوري

فى هيكل الشهوات

فى أحد الأبيات الأولى من هذه القصيدة ينجلى للقارئ معنى أفاعى الفردوس وهو العنوان الذى اختاره الشاعر لديوانه ، قال عن النساء :

فهن من حية الفردوس أمزجة … يثور فيهن من أعقابها عصبُ

ثم يعود فيخاطب إحدى أخوات الشقاء قائلا :

أخاف في الليل من طيف يسيل على … موجات عينيك حيناً ثم يغتـــرب
طيف من الشهوة الحمراء تنزله … خمرُ الليالى وفى أعماقه العطبُ
ووجهك الشاحب الجذّاب ترهبنى … ألوانه يتشـــهى فوقهـا اللهب
مازلت تنتصبين الليل فى جَهَد … حتى تجمد فى أجفانك التعب
وما السواد الذى فى محجريك بدا … إلا بقايا من الأحشاء تنتصب

سدوم

قصيدة تعد بحق من أروع منظوم أبى شبكة وكنت ترجمتها كلها إلى اللغة الفرنسية فنشرتها مجلة « لاسيمين » فقدرها كثيرون من الأجانب قدرها فقالوا لى : إن لهذا الشعر طابعاً مستقلا فهو وإن ضاهى شعر « بودلير » فإنه لا يمت إليه بسبب . وقلما يشهد الأجانب بروعة لنا دون أن يرجعوها إلى أسلوب من أساليب إلهامهم :

فى صدرك المحموم كبريت إذا … لعبت به الشهوات فجر أضلعه
فى صدرك الدامى مناجم للخنى … أورثتها نارَ الزرارى المزمعه
فبكل صقع من ضلوعك قسمة … خُـلع على لهب الشباب موزعه

ثم يتحول الشاعر بعد وصف رائع لسدوم القديمة مخاطباً مدنية هذا الزمان قائلا :

إسدوم هذا العصر لن تتحجبى … فبوجه أمك ما برحت مقنعه
كانت منكرة كوجهك عندما … هبت عليها من جهنم زوبعـه
قذفتك صحراء الزنى بحضارة … ثكلى مشوهة الوجوه مفجعه
بؤرٌ مسترة الفساد بخـدعة … نكراء بالخز الشهى مرقعـه

ويغير الشاعر فى القصيدة نفسها الوزن والقافية مخاطباً هذه المدنيـة :

أسليلة الفحشاء نارك فى دمى … فتضرمى ما شئت أن تتضرمى
أنا لست أخشى من جهنم جذوة … ما دام جـسمى يا سدوم جهنمى
طوفت بى ميتاً بأروقة اللظى … فحملت تابوتى وسرت بمأتمى
وعصبت بالشبق المجمَّر جبهتى … فرفعتهـا فى عصرى المتهكمِ
علمتِنى لغةَ النبوة عنـد ما … فجَّرت ألغام السموم بمنجمى
مهلاً كلانا يا سـدوم مسلحٌ … فلظاك فى جسمى وثأرى فى فمى

الشهوة الحمراء

أنا اتحدنا ليوم واحد وغدا … يأتى فيخلفنى قوم بحبهم
سيعشقونك يوما يغنمون به … ما غادرت منك ساعاتى لليلهم
وسوف تنسين (يا أخت الدما) فمهم … كما نسيتِ على رَغم الدماء فمى
عشرون قلبا شربت الحب من دمها … وما شبعت ولم يشبعك شربُ دمى
إذن فسوف تظلُّ النفس جائعةً … حتى يجف دم فى غفلها النهم

هربتُ فى الكوخ

أيها الفجر يا حبيب الشقيين … ويا مشعل الهوى والشباب
أيها الكوخ والعيون سكارى … بخمور لم تمـــتزج بعذاب
لا تجسى قلبي فلم يبق فيه … من بناء الماضى سوى أخشاب

* * *

وانصرفنا وقبل أن أنواري … عن جمال الشاطئ وعن ساكنيه
قلت للمـــرأة التى آلمتنى … حين قالت الله ما يشقيه
لى قلب أفرغته فاتركيه … فى الهوى فارغاً ولا تملأيه

الطرح

وهى آخر قصائد الديوان

اسمع الشاعر يقول بلسان والد الجنين الساقط ثمرة مهرئة عن شجرة الحب :

حملت أمك القنوط إلى وجهى … وكنت الرجاء فى أعماقى
جئت فى سحنة المسوخ فلِمْ … حطمت حلماً نما على أحداقى
ألأنى بذلت حبى ولم أطعمك … منه سوى الفتات الباقى ؟

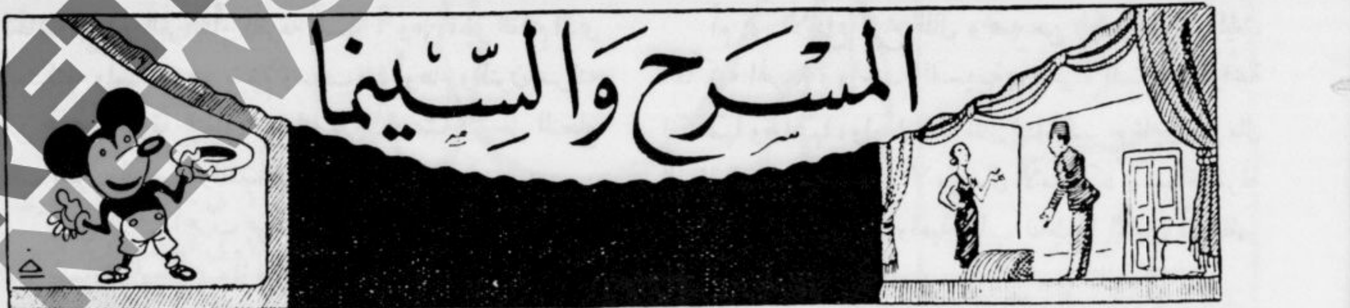

الفرقة القومية ومديرها

« إذا وجد من هو أصلح منى لادارة الفرقة فانى على استعداد للنزول له عن وظيفتى مع معاونته بكل ما فى طاقتى »

هو ذا لب الحديث الذى نشره حضرة مدير الفرقة فى جريدة البلاغ دحضاً لاشاعة استقالته من وظيفته

فإشاعة الاستقالة هذه ليس مصدرها « أشخاصا يلذ لهم أن يذيعوا هذه الإشاعة لأنهم يريدون فيها شفاء لمرض نفوسهم الثائرة على كل ما هو كائن فى الوجود » بل مصدرها مدير الفرقة نفسه ، فقد سمعتها منه فى مرتين ، وقد قالها لى فى مناسبتين ، وقد تحققت بطلانها فى ساعتها كما تحققت غرضه من ترويجها وهو النيل ممن يتوهم أنهم يعملون على الحلول محله فى وظيفته

لا شأن لى فى الانحياز إلى هؤلاء المرضى فى نفوسهم الثائرة على كل ما هو كائن فى الوجود ، والإشادة بكفاءتهم وجدارتهم فى فهم فن المسرح وفيما يصلح لمزاج الشعب ويناسب ثقافته . ولا غرض لى فى التحزب لمدير الفرقة الصحيح المعافى ، المتواضع كثيراً فى كل شىء ، والمتواضع كثيراً جداً فى فهم أبسط فنون المسرح ، وإنى ما أوردت هذه الحقيقة إلا لأسفر عن طرف من وجه واحد من وجوه تصريف الأمور

ثم يهتف بلسان الحياة قائلاً :

أهلك المائتون فى رحمى الحب ... وسمّوا الزلال فى ترياقى
فطرحت الأقزام فى أسواقى ... عِبَراً للدمار فى العشاق
ورأيت الفردوس لفت أفاعيه ... غصونى وكشت أوراقى
وتراءت لى الطبيعة دنيا ... من كمال نسيقة الأذواق
فرأيت الجماد شبعان حباً ... كل صدر عليه ثدى ساق
إن فى الحب صورة الله لكن ... أين فى الخلق صورة الخلاق ؟

هذا هو الشعر يتغلغل فى تفكيرك وشعورك وذوقك فى آن واحد إلى أعماقها جميعاً ؛ وكل شعر لا يتحد ثالوث الحكمة والشعور والموسيقى فيه إنما هو محاولة فاشلة

غير أن الشاعر الذى يريد أن يحكم موسيقى بيانه فى الدماغ الفكر والحس المرهف محكما يتوازى سلطانه فيهما لا يوفق إلى إيجاد الوحدة فى كل بيت من أبياته . إن هذه الوحدة وهذا الاتساق والتشابه من حيث الصياغة فى كل أجزاء القصيدة إنما يوفق إليها من نظم الحكمة آيات لها ترتيبها وتسلسلها أو من نظم دموعاً وابتسامات وحقداً ونزوات لأنه لا ينقر قيثارته إلا بإضراب واحد، أما من يستنطق أوتاره بهدوء التفكير وثورة العواطف فى آن واحد فليس لك أن تطالبه إلا بالاتساق فى الصورة الكاملة التى يقدمها لك لأنه يجمع على لوحته بين المتنافرات من الخطوط والألوان

إن شعر أبوشبكة يوقفك منه تجاه فيلسوف ومتشرع ومؤمن وكافر وطاهر وعاهر، ويوقفك من قصائده تجاه عراك بين الفكر والشعور والبيان ، فاذا ما شهدت هذه العناصر الثلاثة تتماشى على وتيرة واحدة فى كثير من أجزاء قصائده فانك لترى أحدها يسطو فى أماكن كثيرة على رفيقيه فيخضعهما لسلطانه

إن « أبوشبكة » لا يهمه فى فنه إلا أن يصور لك منعكسات الكون على نفسه ، ونفسه تتنازعها خلجات قلبه وخاطرات دماغه، فهو يحس بأن الحياة المضللة قد أفسدت الانسان، ويشعر أن فى الانسان نسمة تتململ بين ما حبكت الأجيال حولها من قيود فيصور لك هذا العراك المنيف بين ما هو كائن وما يجب أن يكون.

وفى لوحات أبوشبكة من دقة التصوير ما لا تراه إلا نادراً فى لوحات الأقدمين والمعاصرين من شعرائنا، لأن ريشته تجود فى القبح من ألوانها بقدر ما تجود على الجمال، فهو لا ينزلق بها على الشر انزلاقاً بل يثبتها فى مجالها حتى ينشبها فى أقصى الحقيقة فيأتيك بأروع ما يصور القبح ويصف الشرور والضلال

فليكس فارس

الخاصة بمدير الفرقة أو بالفرقة نفسها ، وعن الجو القاتم الذى استكثفه واستلبده هو بغيوم وسحب من أوهام وظنون صرفته عن غرض الفرقة الثقافى وجعلته يترقب برعشة الوجل النخاع اللب هبوب العاصفة وانقضاض الصاعقة

يحلق بى أن أعرب عن شعورى أن استقالة مدير الفرقة تعد خسارة فادحة ، وأزعم أنه قد يشترك معى كثير ممن قد يعتقدون اعتقادى ، إذ لا بد لكل عمل مستحدث من ضحية ، فالمدير الحالى خير كبش يقرب على مذبح المسرح، غير أن الأوان لم يأن بعد ، ولا عيد الاضحى بقريب

قد كان يتمنى مدير الفرقة أن يكون ضحية مقدسة فعلاً للمسرح ، كما هو مقدر لكل صاحب رسالة ، ولكن أين رسالة الفرقة القومية غير المكتوبة على الورق ؟ أين رسالة مديرها وهل ظهرت براعيمها أو نبتت قرونها بعد ؟

بدأت الفرقة أعمالها بلهيب حزمة القش خبا وهجها ، وبردت حرارتها ، وبقى من رمادها لموسمها الرابع ثلاث روايات، اثنتان معربتان وواحدة مقتبسة ! ومن يدري فقد تحمد فى العام القادم للفرقة القومية عملها المريض فى هذا العام لأنها قد تمن علينا بإعادة تمثيل روايات مثلتها فى عامها الأول ، أو يطيب لها أن تتبنى الروايات التى مثلتها الفرق الأهلية كما تبنت فى هذا العام رواية « مجنون ليلى » وتهمل الروايات الجديدة الموضوعة كما أهملت الكثير من الروايات التى دفعت أثمانها لمؤلفيها وقبرتها فى مدافن الفرقة لعدم صلاحها فنياً أو إسكاتاً لمؤلفيها الأفاضل

كل شئ ممكن الوقوع ، وكل فرض فى هذه الفرقة جائز ، والذى يهمنا هو معرفة تشخيص العلة ثم العمل على مداواتها ؛ ولذلك نسأل أين علة الفساد ، أين عوامل الانحطاط ؟

أهى الجهل بأصول الفن أم النفرة عن روح المسرح ؟

أهى فى الأمة التى لا تتذوق الآداب والفنون الرفيعة ؟

أهى مرض الصحافة التى أفسدتها الفرقة بمال الاعلانات فصدت أقلام الأدباء والنقادعن خط كلمة فى غير امتداح مدير الفرقة والثناء عليه

أهى فى المؤلفين الذين انصرفوا عن الفرقة أو انكمشوا وتباعدوا عنها ضنا منهم بكرامتهم الأدبية أن تكون عرضة لممثلين أعلمهم أجهل من كرٍّ — مع استثناء واحد أو اثنين منهم — لهم الكلمة الأولى والأخيرة فى الحكم على صلاح الرواية للتمثيل أو عدم صلاحها ؟

أهى فى الأدباء الذين انصرفوا عن الفرقة لأنهم لا موائد لديهم كموائد هذا البربرى وذاك الحبشى طافحة بكل مايطيب للعين والفم؟

أم هى الاطماع بربح المال وجمعه من إعادة تمثيل روايات الفاكهة المحرمة ، والحب والدسيسة ، والمرأة المسترجلة الرائجة لفكاهتها وفهاهتها ، وادخار هذا المال لبناء مسرح خاص من مال للفرقة القومية الخاص ، لا من مال الأمة ، كأن مسألة الفرقة مسألة تجارية أو عزبة زراعية طاب لناظرها الأمين أن يظهر لسيده ومولاه مقدار ما ادخر من ربح مدة نظارته ؟!

قد تكون هذه العلل متجمعة هى بعض أسباب تدهور الفرقة ، ولكن العلة الدفينة فى نفس المدير دون سواه . هى فى نفسه وحده — وإنى أتعمد مؤقتاً تجاهل العلة المستوطنة فى لجنة القراءة وسأعود إلى شرحها قريباً — لأن حضرة المدير يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه لا يوجد بين الستة عشر مليوناً من الأنفس من هو أصلح منه لادارة الفرقة ، وأنه إذا فرض المستحيل ووجد هذا الذى لم تلده أمه بعد، فان حضرة المدير — حفظه الله — « على أتم استعداد للنزول له عن وظيفته » على شرط أن يبقى معه « يعاونه بكل ما فى طاقته »

لست أحاول تقصى عوامل هذا الوهم الراسخ والاستمساك الأخطبوطى وتحليلها خشية أن تتفكك أو تنحل عناصر قدسية حضرة المدير النهادية المتساندة ، ولا الايغال فى استكناه بواعث الوهم واستنتاج النتائج ، بل أقول : إن رجلا كائناً من كان يقوم فى ذهنه مثل هذا الوهم الباطل القائم على الايمان المحدود لا يرجى صلاح للمسرح على يديه ألبتة . إن رجلا يؤمن إيماناً محدوداً أن كل ما يقدمه للناس هو أكثر مما يتذوقون، وأدسم مما يفهمون، وكفاية على ثقافتهم التى لا تستوعب ، ومداركهم التى لا تفقه سوى رواية اليتيمة ، وبناتنا سنة ١٩٣٧ وأضرابهما . إن رجلاً كهذا ، لا حيلة معه لمئة ناقد وألف ناصح ومشفق على النهضة الأدبية ، إذ ليس فى وسعهم أن يجعلوا ثقباً فى الماء كما يقول الفرنسيون فى أمثالهم ، ولا أن ينهضوا المقعد الذى قال له المسيح « قم احمل سريرك وامش » فقام ومشى .

لسنا والحمد لله فى زمن العجائب الخارقة، بل نحن فى زمن لا نقبل فيه التدجيل والخرافات، ولا عبادة الأصنام، ننظر إلى الماضى لماماً، بيد أن طموحنا إلى المستقبل عظيم نستمده فى طموح مليكنا الشاب الجميل ، ومن روح الأدب الجميل الذى لا يقر غير الروح الشاب.

هل مدير الفرقة يعوزه الشباب ؟ هل لجنة القراءة فتية ينبض دم الشباب فى عروقها ؟ أو هو وهى شن وطبقة رضى الله عنهما ؟! سوف نرى .

ابن عساكر

6 me Année, No. 283

Lundi - 5 - 12 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٨٣ « القاهرة فى يوم الأثنين ١٣ شوال سنة ١٣٥٧ — ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــــرس

من مآسى الحياة

ليت للأوقاف عينا !

ليت للأوقاف عيناً تخترق الُجـدُرَ وتشق الأستار فترى ماذا يصنع البؤس بأهله !! إنها وا أسفا تسمع ولا تبصر : تسمع ذلك البؤس الملحّ الوقح الذى يغضب ويصخب ويثور ، ثم يقتحم عليها الحجّاب والأبواب ومعه فوق لسانه الملحف بطاقة من كبير أو وساطة من موظف . وهذا البؤس الذى يدع لأهله قوة السعى وبراعة الحيلة لا يكون فى أكثر حالاته إلا طمعاً أو حرفة. أما ذلك البؤس الدفين الصامت الذى يستعين على ضحاياه بكبرياء نفوسهم فيسلبهم الحس والحركة ، ويمنعهم الأنين والشكوى ، فلا يراه إلا الله الذى فرض الزكاة ، وأوجب الرحمة ، وجعل على عباده خليفة منهم ينطق بلسانه ، ويرى بعينه ، ويحكم بأمره

إن فى بعض الدور ومن وراء الستور ظلالاً من الحياة الغاربة على أمثال الخيال من بنى آدم ؛ تنسم أنفاسهم الضعيفة بما بقى من أرواحهم الخافتة فى إسلام مؤمن واستسلام صابر . فإذا كشفتهم الحاجة للعيون حسبهم الجاهل أقوياء من الصبر ، أغنياء من التجمل ، حتى يستوفوا أجلهم المكتوب وتذهب بهم المنون وهم فى وحدة الفقر ، كما تذهب شمس الصحارى بأنداء الفجر

كان لنا جارٌ مدرس فى مدرسة شبرا الثانوية يجثم تحت جناحيه أربع بنات وثلاثة بنين وزوجة وأم ، يقلبهم على ما يشتهون من لذاذات العيش الغرير، فيأكلون أكل السرف ، ويلبسون لباس الترف ، ويلهون لهو مجانة ؛ حتى كانت غُرَف البيت من فيض النعيم ومرح العافية كأعشاش البلابل سالمتها الأحداث فى جنة من الحَب والماء والشجر . ثم لحظتهم عين الدهر فأصيب الأب بمرض السكر : وعقر إصبعه الحذاء ذات يوم فأصابته قرحة ساعية[1] . نقلوه إلى المستشفى القبطى فبتر الجراح رجله . وسعت عليه زوجه بالمال والأمل فلم تستطع أن ترد قضاء الله ولا أن تدفع عادى الموت . . . وانقلب المنزل الفرح المرح النشوان قبراً رهيباً يغشاه الحزن ، ويجلله السواد ، وتخيم عليه الوحشة . فلا زوار يَقْدمون بالهدايا ، ولا سمار يغـدون بالأنس ، ولا ولائم تشرق فيها النفوس والكؤوس كل جمعة

وبحثت الزوجة عما خلف الزوج الراحل فلم تجد غير ذلك المال الذى كان تحت يدها وقد أنفقته كله فى العلاج والجنازة . ونجمت حول بيتها الحزين رءوس الدائنين تندلع ألسنتها بالمطالبة الفاضحة . ففزعت إلى وزارة المعارف تسألها أن تسرع فى أداء ما لزوجها من الحق ؛ فأعطتها بعد لأى مكافأته على السنين السبع التى قضاها فى مدارسهـا . فقد كان من قبل مدرساً بأحد مجالس المديريات ، فلم يجتمع له الزمن القانونى لاستحقاق ورثته جزءاً من المال على سبيل المعاش . وذهب الغرماء بالمكافأة ، وبقيت الزوجـة وحماتها وبنوها السبعة فى غشية الهم وصـدمة الواقع ، يتلمسون نفساً من الكرب أو شعاعاً من الرجاء يطالعهم من قريب أو صديق فلم ينالوا . وتذكرت الأيم المسكينة أن زوجها كان يعلّم ابن وزير الزراعة فلاذت به تسأله أن يساعدها بجاهه على تربية أولادها فى مدارس الوزارة ، فتخلص منها بخمسة جنيهات ثم أغلق من دونها بابه

كان بين الزوجين ماتة قرابة ؛ وكانت أسرتهما من الأسر الريفية التى ألوى بها الدهر المديل، فلم يبق منها إلا عجائز وأيامى يعشن على معونة الأستاذ الفقيد ، ثم موظف صعلوك فى شركة سنجر لم تره الأرملة إلا يوم الجنازة . وقد حملها بغروره على أن تنفق خمسين جنيهاً على ليلة المأتم ، لأن أقطاب التعليم وأعيان الأدب لا يمشون إلا على الطنافس الفارسية، ولايجلسون إلا على الـكراسى الذهبية !

وكان للفتاة الـكبرى خاطب غنى من أصحاب أبيها ، فلما وقف على حال الأسرة بعد كاسبها انقطع خبره فكأنما غابا معاً فى قبر واحد ! وعجزت الأم عن دفع المصروفات المدرسية لبنيها وبناتها ، فظلوا حولها فى البيت يندبون الميت ، ويبكون الحي ، ويسدلون على مأساتهم الفاجعة ستاراً من الصمت والعزلة حذر الشامت . فما كان بابهم ينفتح إلا لتجار الأثاث القديم يخرجون منه بصفقة بعد صفقة من الفرش أو المتاع

ولبثوا على هذه الحال ستة أشهر لم يدفعوا عنها شيئاً من كراء المسكن للحاج محمود ، حتى أدركته عليهم شفقة المؤمن ، فنزل لهم عن الدَّين ونقلهم إلى غرفتين على سطح من سطوح منازله الـكُثْر يسكنونهما من غير أجرة

وتركنا حى شبرا منذ خمس سنين فلم نعد نعلم من حال هذه الأسرة المنكوبة شيئاً

وفى صباح أمس الأول كنت فى ميدان باب الحديد، فتقدم إلىّ صبى من باعة الصحف يحيينى وهو يبتسم . فتفرسته فإذا هو إبراهيم أوسط الأخوة الثلاثة ! فصحت به مستطار القلب من دهشة المفاجأة :

— ماذا فعل الله بكم يا مسكين ؟

— مرضت أمى بالروماتزم فلا تنهض ، وعميت جدتى من الحزن فلا تسعى ، وتزوجت أختى الـكبرى من أحد السعاة فلم تصبر على عشرته غير ثمانية شهور . فهى تخيط بالأجرة ، وأختى الوسطى تدبر المنزل ، وأختاي فلانة وفلانة تخدمان ، وأخواى فلان وفلان يعملان، أحدهما صبى كواء، والآخر خادم بقال، وأنا كما ترى . وكل ما نكسبه فى اليوم لا يتجاوز ثمن الخبز !

* * *

ألا ليت شعرى هل تقيم الحـكومة فى عهد الفاروق الصالح المصلح . الركن الخامس من الدين وهو الزكاة ، فتتحقق به أخوة الإسلام ، وتنجلى عن الناس هذه الآثام والآلام ؟

احمد حسن الزيات

(١) القرحة الساعية هى التى تمتد من موضع إلى موضع وهى خلاف الواقفة

القاهرة فى العيد

للدكتور زكى مبارك

لم يبق شك فى أن القاهرة أجل مدينة فى الشرق ، وقد تكون فيها خصائص لا تعرفها باريس ولا برلين . وترجع تلك الخصائص التى تفردت بها القاهرة إلى ما فيها من اختلاف الألوان والأذواق ؛ فهى ملتقى للحضارات الشرقية والغربية ، ومجتمع للصحيح والعليل من العقائد والمذاهب . فالمسلمون ألوان ، والنصارى أشكال ، واليهود أخياف . وفيها مع ذلك ناس لا يدينون بغير التهالك على مطالب الشهوات والحواس

والمدنيّة المنيفة هى ذلك . هى اصطراع الشك واليقين ، والغىّ والرشد ، والهدى والضلال : وليست المدنيّة أن يهتدى الناس جميعاً أو أن يضلوا جميعاً ؛ وإنما المدنية فى تعقيد المذاهب ، واشتباك العقائد ، وتناحر الأجناس . هى تلك الصورة التى توجب أن تقوم الحانة بجوار المسجد ، وأن تدق أجراس الكنيسة بين المواخير ، وأن تكون فى الجامعات أركان يخلو فيها المقامرون ، كالذى كنا نراه فى أروقة السوربون

تلك هى المدنيّة . فلا تعجبوا إن رأيتم من رجال الدين من يلطخها بالسواد فى الخطب والمقالات ، لأن رجال الدين لا يتمثلون سيادة الفضيلة إلا فى مكانين : الجنة والصحراء

وإنما كانت الجنة مجالاً لسيادة الفضيلة لأن أهل الجنة أعفتهم المقادير من النضال فى سبيل الأرزاق . والنضال فى سبيل الأرزاق هو الأصل فى خلق الضغائن والأحقاد ، وهو الذى بلبل أهواء العالمين فأغراهم بالقتال حول المذاهب الاقتصادية ، والمسالك المعاشية .

ومن فضائل الجنة أنها ستبيح الناس جميع ما يشتهون من رغائب الحواس ، وبذلك ينعدم القلق الذى يساور أصحاب القلوب والأذواق . ولعل هذا هو السر فى خُلوّ الجنة من الشعراء والكتاب والمفكرين ، فما سمعنا أن الجنة ستكون فيها خطب أو قصائد أو مقالات أو مؤلفات ، لأن هذه الفنون الأدبية ليست فى الواقع إلا صورة من ثورة العواطف والأذواق والأحاسيس ، وأهل الجنة أراحهم الله من هذا الجهاد

والبادية مجال لسيادة الفضيلة فى رأى أهل الدين لأنها توحى إلى القلوب معانى الزهد والتصوف فينعدم الطمع أو يكاد ، وبانعدام الطمع تزول أسباب الدس والكيد والزور والبهتان

* * *

هنا القاهرة

أليس كذلك ؟

بلى ، وأنتم جميعاً تعرفون !

كنا نسمع فى عهد الطفولة أن الشياطين تقيّد فى رمضان ، ثم يحل وثاقها بعد ذلك

ولكن وزارة الأوقاف أو مشيخة الأزهر فى مصر تعرف أن الشياطين تنجو من الأصفاد والأغلال فى مكان واحد : هو القاهرة ، ومن أجل ذلك يترك الوعاظ أعمالهم فى الأقاليم التى قيدت فيها الشياطين ويفدون للوعظ فى مساجد القاهرة التى لم تقيد فيها الشياطين

وإنما كان الأمر كذلك لأن القاهرة مدينة عظيمة جداً من الوجهة الاقتصادية . والعظمة الاقتصادية هى الأساس لجميع المشكلات ، وهى مصدر الحروب ، وهى مثابة الشياطين

وعند النظر فى هذه الدقائق نعرف كيف فطنت وزارة الأوقاف إلى سَوق الوعاظ إلى القاهرة فى أيام رمضان

ولكن هل شمرت الجارك بأقوال الوعاظ فى رمضان ؟

وهل يسر الحكومة أن تشمر الجارك بأقوال الوعاظ فى رمضان؟

ليتنى أملك حرية التعبير عما أريد أن أقول !

لو كنت أملك حرية التعبير لقلت : إن فى مقدور الحكومة أن تراقب الجارك فى شهر رمضان ، ولو فعلت لاستراح الوعاظ من محاربة الشياطين فى رمضان

ولكن الحكومة لن تفعل ، لأن هناك شيطاناً يصدها عن ذلك هو شيطان المدنية الذى يجعل حرية التجارة من الشرائع . وهذا الشيطان الأعظم هو الذى جعلنا نُزَكى ونختال كلما ذكرنا أن القاهرة أعظم مدينة فى الشرق

* * *

أترك هذه الفلسفة وأشرع فى كلام آخر قد ينفع بعض النفع

أما أقضى العيد فى القاهرة ، وهى أول مرة أعرف فيها ملاعب القاهرة فى العيد

فقد كنت فى الأعوام السوالف أقضى العيد فى سنتريس قبل أن يرزأنى الدهر بموت أبى ، ثم شاءت المقادير ألا أعرف العيد فيما عدا ذلك إلا فى باريس وبغداد ، فقد دخلت باريس أول مرة فى يوم عيد ، ثم خرجت منها بعد أداء امتحان الدكتوراه فى يوم عيد ، وأنا أواجه العيد فى القاهرة بعد عيدين قضيتهما فى بغداد ...

فهل يكون عجيباً — وهذا حالى — أن أفرح بالقاهرة فى العيد ؟

أنا فى عيد أيها الناس ، فدعونى ألهو وألعب يوماً أو يومين !

هذا هو العيد ، وتلك هى القاهرة

فاعذرونى إن جننت وفتنت بالقاهرة فى يوم عيد

لن أذهب إلى نادى المعارف فى بغداد لأسأل عن رؤية الهلال، ولن أقضى مساء الشك بمنزلى فى شارع الرشيد

وما الموجب لذلك ؟ لقد صمنا رمضان ثلاثين يوماً ولم يبق إلا أن نواجه الباسمين والباسمات فى شارع فؤاد

إى والله ، هذا شارع فؤاد فى ليلة عيد !

وهل ينتظر شارع فؤاد ليلة العيد ؟

وهل رأى الناس فى مشرق أو مغرب شارعاً مثل هذا الشارع فى الحيوية والابتهاج والانشراح ؟

إن شارع فؤاد لا ينتظر ليلة العيد ، فجميع أيامه ولياليه مواسم وأعياد

وما ظنُّ القارئ بشارع يشهد بأن القاهرة أجمل بقعة فى الأرض وأنها طليعة الفردوس ؟

ما ظن القارئ بشارع يتموّج فيه الحُسن ويصطخب فيه الفُتون ؟

ما ظن القارئ بشارع يراه أصحاب الأذواق من المعارض الدولية للصباحة والملاحة والجمال ؟

ما ظن القارئ بشارع هو الشاهد على أن القاهرة أصبحت أعظم مرجع من مراجع الشعر والخيال ؟

وما عسى أن أقول فى شارع كان ولا يزال أعظم مصدر من مصادر الوحى لشعراء وادى النيل ؟

* * *

نحن فى شارع فؤاد ، وهذا مشربٌ كُتِب على بابه بأحرف من النور الوهاج :

رمضان ولّى هاتها يا ساقى مشتاقةً تسعى إلى مشتاق

رمضانُ ولّى ؟ رمضانُ ولّى !

وهو كذلك !

هاتها يا غلام !

وما أكاد أنطق بهذا اللحن الطرُوب حتى يدخل شيخ من أعلام رجال الدين فيقول : ما أتى بك ههنا يا دكتور !

فأجيب : أنا فى ضيافة أبى حنيفة النعمان !

ويسارع الشيخ فيطلب كأساً من قهوة أبى الفضل لا قهوة أبى نُواس

ويغلبنى التجمل والتوقر فأطلب كأساً من قهوة أبى الفضل وأصدف عن قهوة أبى نواس

وما هى إلا لحظة حتى نشتبك فى جدال مزعج ، ثم يتوافد أمثاله وأمثالى ، فتتحول الحانة إلى حلقة من حلقات الأزهر الشريف ، وينظر إلينا غلمان الحانة مبهوتين مذعورين

كيف تنقلب الحانة إلى مثل ما انقلبت إليه فى ليلة عيد ؟

وكيف أعود شيخاً متحجرفاً متنطرساً لا يعرف غير جدال الفقهاء ؟

أيها الشيخ

صددت نفسى ، صدّ الله نفسك !

ولكن لا بأس ، فتلك هى القاهرة التى يصطرع فيها الهدى والضلال ؟

* * *

خرجت من الحانة مصدوع الرأس من قهوة أبى الفضل ومن الجدال حول الحرام والحلال ، فأين أذهب ؟

أين أذهب ؟ أين أذهب ؟

هذا صديق خفيف الروح ، ولكنه أيضاً معمّم وإن كان يحمل الطربوش ، ذلك بأنه يحمل فوق قلبه عمامة أضخم من

عمامة الشيخ الفَضالى ، وما رأيت الشيخ الفَضالى ولكن عمامته سارت مسير الأمثال . وكان هذا الصديق معمَّم القلب لأنه يعايش رجال الدين بالأزهر الشريف

وأين أذهب فى ليلة العيد مع هذا الصديق المطربش الرأس المعمم القلب ؟

هل أردّه إلى مشارب القهوة والشاى فى حى سيدنا الحسين ؟

أغلب الظن أنه يتشهى السهر بسقط اللوى بين شارع الألفى وشارع إبراهيم !

* * *

رباه ما هذا الذى أسمع ؟

لقد سمعت أشياء لم تكن تخطر فى البال . فهل أستطيع أن أصرح ؟

هل أستطيع أن أقول إن حى الأزهر صار قطعة من القاهرة تشتبك فيه نوازع الرشد والغى ، والهدى والضلال ؟

أنا أعرف أن الأماكن التى تصطبغ بالصبغة الدينية تنتفع من الاتسام بسمة الدين . ولكنى أنكر أن يصل الجشع ببعض الناس إلى الوقوع فى مهالك الانتفاع .

يجىء جماعة من جاوة أو من الهند أو من الصين للاستصباح بنور الأزهر الشريف فيحيط بهم ناس لا يؤذيهم أن يستغلوا سمة الأزهر أسوأ استغلال

ولو كان هؤلاء المستغلون تجاراً لخف الأمر وهان . ولكنهم يتصلون بناس لهم فى المعاهد الدينية مكان ، ولهم مع رجال الدين صلات .

فهل يعرف هؤلاء الغافلون خطر ما يجنون على الأدب والوطنية حين يستبيحون « استغفال » بعض الوافدين على الأزهر من أهل جاوة والهند والصين ؟

إن من حق الحى الأزهرى أن ينتفع من صفته الدينية . ولكن من واجبه أن يراعى أصول الأدب والذوق فلا يفارقه زائر إلا وهو معمور القلب بأطيب الذكريات ، فن العيب أن نشوه سمة الأزهر وسمة مصر لنحصل على منافع خسيسة لاينصب لها ميزان .

وقد آن لشيخ الأزهر أن يعرف أنه مسئول عن كرامة ذلك الحى ، آن له أن يفكر فى تنظيم هيئة خالية من المطامع تشرف على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية فى الحى الأزهرى ، فان لم يفعل فسيجنى عواقب الاهمال بعد حين .

أيتها القاهرة

ماذا تُظهرينَ وماذا تُضمرين ؟

إكشفى القناع قبل أن يمزقه القلم أقبح تمزيق

* * *

مضت ليلة العيد وجاء يوم العيد

الدنيا تموج بالمحاسن والفاتن فى كل أرجاء القاهرة ، وكل ما كان فى القاهرة مباح إلا الحدائق

ولماذا ؟ لأن النعيم بحدائق القاهرة مقصور على أطفال اللاجىء فى يوم العيد

الحمد لله

« لا يزال فى القاهرة مجالٌ للطيبات »

أما بعد فقد انقضت أيام العيد ، وبقيتَ يا قلبى بلا عيد

أين أيامك ياقلبى وأين لياليك ؟

وما حظك من هذه المدينة التى تموج بالسّحر والفتون ؟

أ كل حظك أن يطوف بك العقل حول هذه الأشواك ؟

ليت عهدك بالغواية كان طال ، وليت الأقدار رحمتك من ثورة العقل فى هذه الأيام !

كُتبَ عليك يا قلبى أن تعيش بين أدغال المدنية ، حيث لا يحنو قلب على قلب ، ولا يأنس روح بروح ، ولا تأتلف نفس مع نفس ، إلا بروابط وثيقة من أصول المنافع ، وآه ثم آه من عصف المنافع بأهواء القلوب !

أترانى غدرت بك ، أيها القلب ؟

احذر أن يمرّ هذا فى وهمك ، فما كنتُ إلا أ كرم صاحب وأشرف صديق

وهل غدرتُ بأحد حتى أغدر بك ؟

لقد عانيتُ فى سبيلك ما عانيتُ فطوّفتُ بالمهالك والمعاطب لأروى ظمأك المشبوب ، ولأريك مطالع الأهلة فى القاهرة والاسكندرية وباريس وبغداد

وما زلتُ أتلطف بك يا قلبي وأترفق ، وهل صادفتُ من صادفتُ من كبار الكتاب والشعراء إلا لأزفَّ إلى رحابك كرائم المعاني ؟

ولكنك — مع فضلي عليك — تلقاني باللوم في بعض الأحيان

وإلا فما هي حجتك في الهيام بعروس الزمالك ؟

عرفتُ حجتك يا قلبي ، أنت تريد أن تصدني عن الحتف الذي ينتظرني في البلد الذي أعرف وتعرف

أنت تريد أن تصدني عن « الحبيبة الوفية » التي ترسل بعض جدائلها المعطرة في كل خطاب ولم تظفر مني بجواب ، شكر الله فضلها الجميل وعفا عني

عرفت حجتك يا قلبي ، فأنت تريد أن تقول :

ويحسبُ نسوانٌ من الجهل أنني إذا جئتُ إياهن كنتُ أريدُ

فأقسم طرفي بينهن سويّةً وفي الصدر بونٌ بينهن بعيدُ

أتريد أن تقول ذلك ؟ وكيف وأنا أحب معك عروس الزمالك ؟

أحبها من أجلك يا قلبي ، وأحبها لأنها سمية الاسم الذي تعرف وأعرف

أحب التي هنا والتي هناك ، وأطلع كما يطلع القمر بكل سماء ، وأهيم هيام النسيم بجميع الحدائق والبساتين

ولكن متى تجيب صاحبة الجدائل المعطرة يا قلبي ؟

حدثني متى تجيب ، فقد يحملها اليأس على الصدود

أيها الجمال

تحدث ولا تقل غير الحق

هل عرفتَ قلباً أشرف من قلبي ، وضميراً أطهر من ضميري ؟

وأنت أيها الليل

هل عرف المحبون من أسرارك ما عرفتُ ؟ وهل استصبحوا بظلامك كما استصبحتُ ؟

« مصر الجديدة » زكي مبارك

مقالات في كلمات

للأستاذ محمود غنيم

الحياة والأمل

قالوا : إن فرعون حينما أراد أن يبلغ الأسباب ، أسباب السموات فيطلع إلى إله موسى، هيء له تابوت ذو أربعة أعمدة، ثم علق في أسافل تلك الأعمدة أربعة نسور خماص ، وفي أعاليها أربعة حملان مسلوخة الجلود ، ثم استقل فرعون التابوت فانطلقت النسور تشق أجواز الفضاء، تمني نفسها عبثاً بذلك اللحم الغريض، ثم كان من أمرها ما كان

وما أظن أننا في هذه الحياة إلا أشبه بتلك النسور ، وما أظن الغاية التي نسعى إليها أقرب من تلك الحملان ، مع تعديل طفيف في طرفي التشبيه ، فنسور فرعون تسعى وراء أمنية لا ينسنى تحقيقها ، ونحن كلما تحققت لأحدنا أمنية أسلمته إلى أخرى ، وهكذا يقضي الانسان عمره وراء سلسلة من الآمال متصلة الحلقات غير متناهيتها ، حتى يخر صريعاً وأمانيه حوله ، وقد حال بينهما من الموت سد منيع

هذا طالب ينشد شهادة ، وهذا حامل شهادة ينشد راتباً ، وهذا ذو راتب يريد أن يتضاعف ، إلى آخر تلك السلسلة التي لا تنتهي حلقاتها

ثم هذا شاب يريد أن يتزوج ، وهذا زوج يريد أن ينجل ، وهذا ناجل يريد أن يرى أنجاله رجالاً ، إلى آخر تلك السلسلة التي لا تنتهي حلقاتها

ثم هذا قائد يريد أن يكون وزيراً ، وهذا وزير يريد أن يكون أميراً ، وهذا أمير يريد أن يوطد نفوذه أو يوسع رقعة ملكه

قالوا لنابليون ذات عشية إذ كان يرصد في السماء الأنجما

بعد افتتاح الأرض ماذا تبتغي ؟ فأجاب أنظر كيف أفتتح السما ؟

الحياة نار مشبوبة وقودها الأمل ؛ وهي قطار ، وهو بمنزلة البخار ، وإن للطبيعة في خداع الناس عن هذا الطريق أفانين ، فهي تزين للانسان الغاية من الغايات ، فيدمى إخمصيه سعياً وراء

تحقيقها ، حتى إذا جاءها لم يجـدها شيئاً ، فتلوح له بأخري ، وهكذا يقضى الانسان حياته فى سعى متواصل ، وهى لا تتورع فى هذا السبيل عن خداع الناس بالحق وبالباطل ، وعندها لـكل صنف من الناس صنف من الآمال يخلب لبه ويغريه ببريقه . أرأيت ذلك الشيخ المحطم الذى يقف بإحدى قدميه على حافة القبر ، والذى لا زوجة له ولا عقب يرث ما له من مال أو لقب ؟ لقـد اخترعت الطبيعة له شيئاً يقال له طيب الأحدوثة ، وخلود الأسماء بعد الفناء ، فأجهدته فى شيخوخته المحطمة ولم تدعه يقضى أيامه المعدودة فى أمان واطمئنان

قرأت فى بعض المجلات أن الامبراطور غليوم لا يزال يمنى نفسه بالعودة إلى عرش ألمـانيا ، وأنه لا يزال يترقب اليوم الذى يثوب فيه الشعب الألمانى إلى رشده ، فيستدنيه من منفاه ، ويسلم إليه مقاليد الأمور . ولعلك لا تعلم أن المحكوم عليهم بالاعدام لا ييأسون من الخلاص حتي ساعة التنفيذ ، ولهم فروض لا تخطر بالبال ، تنتهى كلها إلى غاية واحدة هى النجاة

إنها الطبيعة ، الطبيعة التى سلحت النساء بالنعومة والجمـال لإغراء الرجال ، والتى سلحت الزهر بطيب العرف وألوان الطيف ليجذب الطيور فيشاطر الريح حمل حبوب التلقيح . هى هى التى حاكت لنا خيوط الآمال ، لنتعلق بها فيعمر الكون ، ويسير نحو الـكمال فليت شعرى ، ماذا يدعوها إلى ذلك كله ؟ أهو شىء لا نعلمه ؟ أم لا شىء ؟

الايمان بالحظ

قال صديقى فى تهكم : ألم يبلغك نبأ التعيينات الجديدة ؟

قلت : لا ، وماذا يعنيك من أمرها ؟

قال : إن بين المعينين مدرساً جديداً ، كان بالأمس لى من الأولاد ، فأصبح الآن من الأنداد

قلت : وماذا فى هذا ؟

قال : فيه شىء كثير ، فقد كان صاحبنا هذا هدفاً لسهام المعلمين ـ وأنا من بينهم ـ وكان المثل فى كساد الذهن ، وقلما وقعت عينى عليه إلا ناعماً أو متثائباً . وكنت أعتبره « ترمومتر » الفصل ، ما فهم أمراً إلا اعتبرته مفروغاً منه مفهوماً من الجميع

قلت : هون عليك ياصديقى ، وماذا أنت فاعل إذا جاءك هذا المتثائب النؤوم غداً يفحص أعمالك ، ويقفك منه موقف المسؤول من السائل ، تتلقى إرشاداته ، وتتقبل نصحه بقبول حسن ؟

إنك ياصديقى لا تؤمن بالحظ ، أما أنا فاننى مؤمن قوى الايمان به . أعتقد أن للجد (بفتح الجيم)، المرتبة الأولي فى تصريف الأمور ، وللجد (بكسر الجيم) المرتبة الثانية ، فلو شبهنا العالم بفلك لـكان الأول بمنزلة الربان ، والثانى بمنزلة السكان

لعل التربة التى أنبتت نابليون ـ أنبتت من أمثاله عشرات لهم مواهبه ومقدرته على تعبئة الجيوش ، وتسلق الجبـال ، واختراق البحار ، ولـكن أحدا منهم لم يمهد له الحظ ما مهد لبونابرت من الأسباب . ولو أتيح له ذلك لـكان نابليونا ثانيا يصرف ملوك أوربة تصريف قطع الشطرنج ، ويلعب بمجيئتها كما يلعب الأطفال بالصلصال

إن الحظوظ والمصادفات تلعب دوراً هاما فى تاريخ الجماعات بله الأفراد . ومن يدرى ماذا يكون مصير مصر لو لم يقع مارك أنطوان فى حب كليوباطرة ؟ وماذا يكون مصير الاسلام لو لم يتح للمسلمين التغلب فى بدر ؟ بل ماذا كان يكون مصير البشرية جماء لو لم تهف نفس حواء إلى شجرة الحنطة أو التفاح ؟

إذا قلت ياصديقى : إن الرجال يسعدون أو يشقون بما يقدمون من أعمال ، فما بال الأطفال ، يولد أحدهم فى الغربال ، وتدق لثانيهم البشائر قبل مولده فاذا استهل وجد عرشا يمهد له ، وأمة تراض على طاعته ، وتهافتت عليه المراضع ، وترامت على أقدامه الحواضن ؟

إن الانسان ياصديقى ليقضى زهرة شبابه فى كد وتحصيل ، ثم يسعى حتى ينتعل الدم فى سبيل الوصول إلى منصب يدر عليه فى عام ما يتقاضاه بعض المطربين فى يوم من الأيام ، فهل كون الطرب صوته ، وخلق لهاته بيديه ؟

وماذا عملت الفتاة تخلع عليها الطبيعة مسحة من جمال ، فيتهافت على بابها من الخطاب وفود ، بينما لا تجد أختها زوجا من عود ؟

وبعد ، فاذا قلنا : إن الملوك قادوا الجيوش فتبوؤا العروش ، فعلى أى أساس شرف الله — جلت حكمته — برسالته أناسا من الدهماء ، فجعلهم أنبياء ، وبشر بهم قبل ميلادهم بمئات من السنوات ؟

قال صديق : الآن آمنت

قلت : إذن استرحت

الذوق والشعر

تتناول قطعة من التفاح فتحس لها طعما لذيذاً ، ثم لا يطالبك إنسان أن تقدم على لذتها دليلا ، ولو حاولت ما استطعت إلى ذلك سبيلا . وتشم عبير الزهر ، فتقول : إنه طيب ، ولو سئلت : لماذا هو طيب ؟ لم تحر جواباً . وتسمع عزف الموسيقى أو خرير الغدير أوسجع الطيور ، فتقول : صوت شجى ، ولكن لماذا هو شجى ؟ لست تدرى ولا المنجم يدرى . وتستطيع أن تقول مثل ذلك فى كل منظر جميل يقع طرفك عليه ، فلا يطالبك إنسان بتعليل جماله ، ولو فعلت لطال بك البحث والتدليل ، دون أن تنتهى إلى تعليل

ولكنك حين تستطيب قطعة من النظم طالبك النقاد بإيراد العلل والأسباب ، كأن طيب الشعر في الذوق غير طيب التفاح فى الفم ، والزهر فى الشم ، والموسيقى فى السمع ، والحسن فى العين

إنه الذوق ، ثم الذوق وحده ، الذوق الذى يجعلك تشتهى طعاماً وتعاف آخر ، هو الذى يجعلك تسيغ شعراً وتغص بشعر ؛ وهو الذي يقسم القافية إلى قافيتين ، إحداهما تشج الجبين ، والثانية أندى على الأكباد من العذب البراد ؛ وهو الذى يقسم دواوين الشعراء إلى قسمين ، أحدهما للخلود ، والثانى للوقود

لا يخضع الشعر لمنطق النقاد ، فاعتبر كل ما صح من أقيستهم فى ذلك سفسطة لا طائل تحتها . وكم من شعر هوجم واستعملت فى مهاجمته أسلحة الأقيسة والبراهين ، وآخر ناصرته تلك الأسلحة فمات الثاني فى مهده ، وبقى الأول خالداً ، تتداوله الرواة ، وتتناوله الشفاه ...

أرأيت لو قال لك قائل : إن صوت الجمل أشجى من صوت العصفور لأن الأول ألذ طعما وأكبر حجما ، وأوفر شحما ولحما ، أو قال لك : إن ريح البصل أطيب من ريح الزهر لأن الثانى مرير الطعم ، سريع الذبول ، لا يصلح الطعام بخلاف الأول . أرأيت لو قال لك قائل ذلك هل تصيخ إليه ؟ إنه لم يكذب ولكنه لن يجد له سميعاً

من هذا القبيل قولهم : إن هذا الشعر حافل بالمعاني الفلسفية ، والنظريات الكونية و ... و ... ثم هو مع ذلك لا يحرك مشعراً من مشاعرك ، ولا يمس وتراً من أوتار قلبك ، بل يسمعه النائم فلا يستيقظ ، والصاحى فينام . وهبه نافعاً كما يقولون ، فما مثله مع ذلك إلا كمثل « زيت الخروع » يستعيذ من شره الانسان ، وإن صحت به الأبدان

حاول ما استطعت أن تعلل سر الجاذبية فى الشعر ، فسوف يعييك البحث . لن تستطيع رجعها إلى لفظ ولا إلى معنى ، فرب لفظين مترادفين أحدهما يقيم البيت ، وثانيهما ينقضه من أساسه . ورب معنى واحد فى بيتين ؛ أحدهما يثير الاعجاب ، والثانى يثير السخرية والاستهزاء

أيها القارئ ، إذا تلاءم الشعر وذوقك فخذه ، وإلا فدعه ، فان قبح الأول لك مقبح ، أو حسن الثانى لك محسن ، فاهزأ بقوله ، واضحك منه ملء شدقيك ، ثم استفت قلبك

إنى أومن بالذوق ، ولكننى بجانب ذلك لا أجحد أن الأذواق تختلف ، وأن منها الفاسد الذى لا يصلح للحكم ، بيد أن الذوق على ما به من هنات لا يزال فى نظرى أصلح المعايير التى يقاس بها الشعر ، فينبغى أن نعول عليه ، وعليه وحده ، حتى نهتدى إلى مقياس محسوس تقاس به المعنويات ، كما تقاس الحبوب بالقدح والصاع ، والأطوال بالباع والذراع

« كوم حماده » محمود غنيم

في سبيل الإصلاح

داء الشــــباب !

« الخوف من الكلام في هذا الداء هو الذي أوقعنا فيه »

للأستاذ علي الطنطاوي

... وهل داء الشباب إلا الميل الجنسي الذي يملأ نفوسهم ، ويسيطر على أرواحهم ، ويتراءي لهم في كل جيل في الكون ، شيطاناً لعيناً يقود إلي الهاوية وإبليساً من أبالسة الرذيلة ، يدعو إلى دين الهوى ، وشرع الشهوات ، ويحدر عقل من يستجيب له فينزل به من مكانه في الرأس إلى غير مكانه ، ويجعل صاحبه عبداً للجسم ، مؤتماً بالشيطان ؟

وهل يأتي ممن كان إمامه إبليس ، وشرعه هواه ، إلا قطّ في شهر شباط [1] . بل ما يبلغ والله أن يكونه ، فان القط تشمله الشهوة شهراً في العام ، وسائر أيامه للصيد والوثب والسعي للرزق وما خلق الله له القطط ، وعبد الشهوة من الناس تتعبده الشهوة في كل حين ... وللقط طريق واحد إلى بلوغ شهوته هو (الطريق الذي (شقه) الله لبقاء الجنس ، تبعاً للسنة التي سنها ، أما عبيد الشهوة من البشر فلهم مائة طريق . تسعة وتسعون منها تخالف سنة الله ، وقوانين الحياة ، وتأباها المجاوات ، ويترفع عنها الحير ، ولا يرتضيها لنفسه (صاحب اللمنات) ابليس ... والقط في شهر الشهوة ، لا ينسى قِطيته ولا يدع صيد الفار ، ولا السعي للعيش ، والرجل إذا تعبدته الشهوة ينسى إنسانيته ، ويهمل الواجب عليه ، ويقعد عن المشي في مناكب الأرض في طلب الرزق ، بل لقد تبلغ به السفاهة والجهالة أن يفرّ من الحياة منتحراً جباناً ذليلاً ، لأن ... لأن امرأة لم تعطه من نفسها الذي يريد ، ولو عقل عقل القط لتركها إلى غيرها ، وليس يبالي القط مادام قد قام بقسطه من حفظ النسل ، أكانت صاحبته بيضاء مبرقشة أوسوداء حالكة ، ولم نعهد قطاً قطع نفسه بأسنانه ، أو ألقى بها في البركة ، حزناً على حبيبته القطة . . والقط (بعد ذلك) يبقى عزيزاً ، يطارد القطة مرفوع الرأس ، مشدود العضل ، بادي القوة ، والرجل إذا استعبدته الشهوة يصبح ذليلاً حقيراً ، كافراً بالرجولة. فيهمل دروسه إذا كان طالباً لأن صاحبته (أو شيطانته) لم تدع له وقتاً ولا عقلاً للدرس ؛ وإذا كان موظفاً أنسته عيناها أمانة العمل ، وحرمة المصلحة ، وواجب الشرف ، وقدسية العدل ؛ وإذا كانت صاحبة سره في تجارته نسي التجارة ، وأضاع الأمانة والربح ، وأهمل السعي والعمل . . . فلا يكون من وراء الشهوة إلا ذل النفس ، وموت الشرف ، والضعة والتسفل : المعلم سيد تلميذته ، والمدير أمير سكرتيرته ، والطالب عزيز حيال رفيقته ، فاذا جاءت الشهوة ، ذل المعلم فكان هو التلميذ وهي السيدة ، وذل المدير فكان هو الأجير وهي الآمرة ، وذل الطالب فكان من رفيقته بمثابة كلبها ... يتبعها ويبصبص لها !

أو ليس من الذل أن تكون حياتك معلقة بغيرك ، وسعادتك بيد سواك ، فأنت مضطر إليه ، وأنت لعبة في يديه ، إن أقبل عليك سعدت ، وإن أعرض شقيت ، وإن مال إلى غيرك اسودت أيامك ، وتمنيت الموت ؟

هذا والله الذل الذي لا ينفع معه المال الكثير ، ولا الجاه العريض ، ولا . . . « ملك انكلترا وتوابعها . . . » ، وهذه هي حقيقة الحب ، الحب الذي ألهم الشعراء !

* * *

على أن الحب في الأصل جيل مقدس ، وعلى الحب قام الوجود كله وائتلف وسار إلى غايته ، والشهوة نافعة لازمة لم تخلق عبثاً ، ولا أداة للشر ، بل خلقت حياة للجنس وعصمة من أن يمحى أو ينقرض ، ولسنا نحقر الحب ولا نذم الشهوة ، وإنما نذم الغلو فيهما ، وولوجهما من غير بابهما ، وأخذهما على غير الوجه الذي خلقه الله لهما . . . نذم منطق الشهوة ، وللشهوة منطقها الذي يسلب الدين دينه والحكيم لبّه ، ويريه أن له الحق في كل النساء ، وأنه لم تخلق امرأة إلا للذته (هو) ومتعته ، ويصنع له إبليس أدلة هذه الدعوي فيقبلها بعقله الذي انحدر من رأسه ، ويتلقاها بأعصابه الهائجة المجنونة ، ثم يدله إبليس على سبل تحقيقها ، فيسلكها لا يبالي الدين ولا العرف ولا المروءة ولا شيئاً مما واضع

(١) أي فبراير ... أفليس من العجب أن عرب مصر لا يفهمون اسم الشهر حتى يترجم لهم إلى لغة الانكليز ؟

(الرسالة) كان العرب يعرفون الشهور بأسمائها الافرنجية وقد سردها صاحب العقد الفريد فيما سرد من سائر الأسماء

على إجلاله الناس ويتم إبليس عمله ، فيدخل فى رءوس نفر من الأدباء ، ثم ينطق بلسانهم ، ويخط بأقلامهم ، هذا الأدب الوقح البذىء ، أدب أبى نواس من الأولين ، وآباء نواس من المصريين ، الأدب الذى يستقر فى أدمغة الشباب استقرار صناديق البارود فى أصول البيوت ، فلا يلبث أن يتفجر عند الشرارة الأولى ، تخرج من عين امرأة ، فينسف عقل صاحبه ودينه ، وأخلاق الأمة وصيانتها ، ويقطع نسلها ويؤلف (المشكلة الكبرى) التى عرضنا من أسابيع إلى وصفها ... ولا نعدم مع ذلك من الناس من يعجب بهذا الأدب ويكبره ويسمى صاحبه بأسماء الجهابذة الأعلام من أرباب البيان وحملة الأقلام ...

وهل فى الأدب المكشوف ، إلا كشف سوأة من سوءات الفكر ، وعورة من عورات الضمائر ، يحرص العقلاء على سترها كما يسترون عورات الجسم ؟

أستغفر الله ماذا أقول إن الناس قد كشفوا عورات الجسم على السواحل وفى المصايف ، وأبدوا كل سوأة ، وافتخروا بها ، وسموها جمالاً وكمالا ، وصوروها وملأوا بها جرائدهم ومجلاتهم ، أفيلام الشاب إن جن جنونه ، واشتعلت فى أعصابه النيران ؟

أخطبوا أيها المدرسون ما وسعكم الجهد ، واهرقوا ما انفسح لكم سبيل المراء ، وقولوا للشاب كن ديناً عفيفاً . إنها لن تجدى عليه خطبكم ، ولا يستقر فى نفسه هراؤكم ؛ إنه يخرج فيسمع إبليس يخطب بلغة الطبيعة الثائرة فى السوق على لسان (حال) المرأة المتبرجة ، وفى الساحل على لسان الأجساد العارية المغرية ، وفى السينما على لسان المناظر المتهتكة المثيرة ، وفى المكتبة على لسان الجرائد المصورة والروايات الخليعة الماجنة ، وفى المدرسة على لسان أصحابه الفساق المستهترين ... ولسان المدرسين حين يدرسون شعر أبى نواس القذر رسمياً فى المنهج !

إن الشاب تتعبده الشهوة فيخضع لها ، لأن سهامها تنصب عليه من كل جانب ، فلا يطيق أن يتقيها ، فيصورها له خياله عالماً مسحوراً عجيباً ، وجنة فينانة غريبة ، فيتمنى دخولها ، فلا يجد من دونها حجاباً ، بل يجد من يسوقه إليها ، ويحفزه عليها ، فلا يخرج منها أبداً ، ولا عليه إن ماتت الأمة أو عاشت ، فهل فكر أحد من أطباء الأخلاق فى هذا الداء ؟

بناء الأخلاق ينهار ، وسوق الزواج يبور ، ونسل الأمة ينقطع ، والمخازى والرذائل تنم وتنتشر ، والقادة والمصلحون وأرباب الأمر يرون ذلك كله ، فلا يبالونه ولا يفكرون فيه ، ولا يفتشون له عن علاج ... مع أن العلاج هين ميسور والعقاقير دانية قريبة ، لاينقصها إلا يد تمتد إليها فتأخذها لتجرعها المريض وأين تلك اليد ؟

* * *

إن الله الذى وضع الشهوة فى النفوس جعل دواءها الزواج ، فاذا تعذر الزواج فهنالك طرق للوقاية من الفاحشة ، وهنالك السدود دونها والحجب : هنالك الدين ، فاذا علمتم الشاب دينه ، وعرفتموه ربه ، ونشأتموه على التوحيد الخالص ، والإيمان الصحيح حتى يعلم أن الله مطلع عليه ، لاستحيا من الله أن يأتى الفاحشة بسمعه وبصره ، كما يستحى أن يأتيها على مشهد من أبيه الذى يجله ، أو أستاذه الذى يحترمه ، ويعلم أن من حق الله عليه ، وقد أعطاه هذه الأعضاء وأنعم بها عليه ألا يستعملها إلا فى طاعته ... هذا أول سلاح تدرأ به المعصية ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » أى لا يستطيع أن يزنى وهو مؤمن أن الله مطلع عليه ، ناظر إليه ، ولنمه الحياء من الله إن لم يمنعه الخوف من العقاب

وهنالك الشرف ، فاذا ربيتم الشاب عليه ، وجعلتموه يحس به ويقدره قدره ، وأفهمتموه معنى المروءة وقيمة العرض ، لمنعه من الفاحشة ما كان يمنع الجاهلى الشريف ، من أن ينظر إلى جارته حتى يوارى جارته مأواها

وهنالك الصحة ، فلو عودتموه الرياضة ، وعرفتموه قيمتها ، وأنبأتموه أن الله جعل مع العفاف الصحة والسلامة ، ومع الفاحشة الضعف والمرض والمصائب السود لاقتصد فى اتباع الشهوة ، إن لم يكف عنها ، ولم ينظر إليها إلا من سبيلها ، وسبيلها الزواج

وهنالك طيب السمعة ، وحسن الذكر فى الناس ، وهنالك الكثير من الأسلحة والحجب

* * *

والعلاج كله فى يد وزارة المعارف وآباء الفتيات

أما وزارة المعارف ، فتستطيع أن تعنى بالأخلاق العامة ،

فتبذل جهدها فى مراقبة الجرائد والمجلات والروايات ، وتبث الوعاظ ينشرون فى الناس الفضيلة ويرغبونهم عن التهتك والعرى

وتستطيع قبل ذلك كله أن تهتم بأخلاق التلاميذ ، فتوكل بهم من يفهمهم (قبل سن البلوغ) حقائق الحياة الجنسية بأسلوب علمى يضرب فيه المدرس المثل بتلاقح الأزهار ، واجتماع الحشرات والطيور ، ويبين لهم بشاعة الفاحشة على مقدار ما يتسع له القول وأضرار (العادات السرية السيئة) ويكون حكيما فى بيانه، فلرب بيان مثل هذا ، يخلو من الحكمة ، فيقود إلى الرذيلة بدلا من أن يصرف عنها

وتستطيع وزارة المعارف أن تعلى من شأن درس الدين ، وتختار له من المدرسين من يكون قدوة فى سمته وخلقه وسيرته ، فان المدرس يفعل بسيرته فى نفوس الطلاب ما لا يفعل بمحاضراته وتدخل هذا الدرس فى الفحوص والامتحانات العامة ، وتجعل الطلاب (يرسبون) إذا قصروا فيه ، لأن الطلاب لا يمكن أن يعنوا بدرس لا (يرسبون) إن قصروا فيه

وتستطيع وزارة المعارف أن تلزم المدرسين بأن يكونوا مثالاً كاملاً للاستقامة والعفة والمروءة ، وأن يكونوا قدوة للطلاب صالحة ، فانا قد رأينا من ليس كذلك ، رأينا من يصحب طلابه إلى دور الفحشاء !

وتستطيع وزارة المعارف أن تضع القوانين الصارمة لحماية عفاف الطلاب من أنفسهم ومن غيرهم ...

أما آباء الفتيات الذين لا يزوجوهن إلا بيعاً ، فهم رأس البلاء ، ولكنه لا ينفع معهم الكلام

***

أما أنتم يا إخوتى الذين يقرأون هذا الفصل من الشباب ، فانى أنصح لكم (وأنا شاب مثلكم) ، بأن تصرفوا ميولكم إلى جهة علوية ، فان الميل كالبخار المتصعّد من القدر قد يجد سبيله فيدير الآلة ، ويسيّر القاطرة، وقد يحتبس فتنفجر به القدر ، وقد يسيل على الأرض هدراً ، فأنا لا أحب أن تسيل ميولكم هدراً ، ولا أن تضيق بها نفوسكم حتى تنفجر ، بل أحب أن تتساموا بها فتسوقوها فى طريق الفن والابداع

إن من يفكر فى المرأة ، ويزداد به الشوق إليها ، ولا يجدها زوجة لأن الآباء يضنون ببناتهم حليلات ويبذلونهن للناس خليلات ، يستطيع أن يصب شوقه فى القطعة من الشعر أو القصة من القصص ، أو أن يصور شوقه نغمة جديدة ، أو صورة بارعة يشعر إذا صنعها بمثل ما يشعر به من بلغ — ما كان يريد — ويجد الاطمئنان ، ويمشى فى طريق النبوغ

وإن الشباب إذا دأب على المطالعة والبحث ، ورغب فى التفوق على رفاقه فى المدرسة ، أو الفوز على خصومه فى الجرى أو الملاكمة ، أو استغرق فى تجارة فشغلته ، أو صناعة فملأت حياته لا يجد فى نفسه بقية للشهوة ، إنما تستعبد الشهوة من كان فارغ الرأس واليد والوقت

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أى مفسدة !

***

وبعد فهذا داء عضال فتاك ، فأين أطباؤه ، وأين من يتنبه إليه ؟ أين الكتاب الباحثون فيه ؟ أين أولو الأمر المعنيون به ؟ أين الغُيُر على الدين والأخلاق ؟ ألم يبق منهم أحد ؟ !

« بغداد — المدرسة الغربية »   على الطنطاوى

كتـــاب المبشرين
من اغلاطه في العربية
لأستاذ جليل

— ٦ —

٢٠ — فى الصفحة (٧٠) : أما الكنيسة الغربية فقد كان فيها من تهالك داماسوس وأورسكينوس فى الشاحة على منصب الأسقفية ما أفضى إلى ...

قلت : فى القول : (من تهالكهما فى الشاحة على منصب كذا) — حذلقة بل عسلطة؛ ولو قيل : كان فيهما من تهالكهما على منصب كذا لاستقام الكلام ؛ تهالك على كذا اشتد حرصه عليه ، والمشاحّة التى أقحمت هنا الاقحام ، معناها الضنة ، والإحكام يقتضى فى هذا المقام (التشاحّ) — إن أريدذلك — لا المشاحة ، فى الصحاح : فلان يشاح[1] على فلان أى يضن به . وفى اللسان والتاج : تشاحا على الأمر تنازعاه لا يريد كل واحد منهما أن يفوته وتشاح القوم فى الأمر؛ وعليه شح به بعضهم على بعض وتبادروا إليه حذر فوته وتشاح الخصمان فى الجدل كذلك

٢١ — فى الصفحة (٧٠) : أسقفية رومة

قلت : فى كتب التاريخ والأدب واللغة وغيرها (روميّة) لا رومة ، وهما روميتان إحداهما — كما قال ياقوت — بالروم ، والثانية بالمدائن[2] . وفى معجم البلدان : « ورومية من عجائب الدنيا بناء وعظما وكثرة خلق ، وهى اليوم بيد الافرنج وملكها يقال له : ملك ألمان ، وبها يسكن البابا التى تطيعه الفرنجية ، وهولهم بمنزلة الامام متى خالفه أحد منهم كان عندهم عاصياً يستحق النفى والقتل ، يحرم عليهم نساءهم وغسلهم وأكلهم وشربهم فلا يمكن أحدا منهم مخالفته » وفى شعر القيسرانى فى نور الدين

(١) فى الكليات فى تفسير قولهم : (لامشاحة فى الاصطلاح) : يقال لا مشاحة فى الاصطلاح أى لا مضايقة فيه بل لكل أحد أن يصطلح على ما يشاء إلا أن رعاية الموافقة فى الأمور المشهورة بين الجهور أولى وأحب

(٢) المدائن : مدينة كسرى قرب بغداد سميت لكبرها وبها إيوانه ، وقيل : هي عدة مدن متقاربة ، وفيها قبر سلمان (رضوان الله عليه)

(رضى الله عنه) : « فؤاد رومية الكبرى لها يجب » وأما رومة فقرية بطبرية كما فى القاموس وفي اللسان موضع بالسريانية . ورومة أرض بالمدينة وفيها بئر رومة كما قال ياقوت وفى كتابه : « وفى الحديث : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكان لرجل من بنى غفار بئر يقال لها بئر رومة ، وكان يبيع منها القربة بمُد ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بِعنيها بعين فى الجنة ، فقال : يا رسول الله ، ليس لى ولعيالى غيرها لا أستطيع ذلك . فبلغ ذلك عثمان (رضوان الله عليه) فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم[1] »

٢٢ — فى الصفحة (٧٠) : فيخرج (يعنى أسقف رومية) فى المواكب والأبهة بالمركبات والحفات مسرفا فى ترك العيش ولا إسراف الملوك

قلت : أرادوا أن إسراف الأسقف يزيد على إسراف الملوك فجاء مقصودهم معكوسا . وكان ابن الحريرى قد قال فى (الدمياطية) غدوت قبل استقلال الركاب، ولا اغتداء الغراب. فقال احمد الشريشى أي ولا مثل اغتدائه، فحذف مثل المنصوبة بلا وأقام اغتداء مقامها لأن (لا) لا تنصب المعارف ، أراد أن اغتدائى قبل أن يغتدى الغراب ، والغراب أكثر الطير بكورا ، وهذا إذا طلبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ، تقول العرب : فتى ولا كمالك ، يريدون أن مالكا أفضل من الفتى ، ومثله مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء[2] ، فهذا مذهب العرب فى ذكر (ولا) بين الشبهين ، وكلام العرب فلان أبكر من الغراب لا الغراب أبكر من فلان ولا فائدة فى ذلك فاذا حققت لفظة (ولا) فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى كلام العرب انقلب المعنى . ويستعمل أهل فاس فى مغربنا لفظة (ولا) فى تشبيهاتهم على حد استعمال الحريرى ، ولا يستعملها أهل الأندلس[3]

٢٣ — فى الصفحة(٣٢٣) يحترزون عن التشبيه غاية الاحتراز

(١) وسبلها . والحديث خرجه الفضائلى . وقد رواه المحب الطبرى فى (الرياض النضرة) وذكر فى كتابه أنها كانت ليهودى فاشتراها ذو النورين

(٢) ثلاثة امثال اوردها الميدانى وشرحها ، وذكرها ابو الحسن الاخفش فى حواشى الكامل وقال : تضرب هذه الامثال للشىء الذى فيه فضل وغيره افضل منه

(٣) ابن خلدون فى الجزء الأول : ... وأهل الاندلس اقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا

قلت : احترز وتحرز إنما يعديان بمن لا بعن، ففي أقوال العرب وكتب اللغة[1] : احترز منه وتحرز أي تحفظ وتوقى كأنه جعل نفسه في حرز منه . ولم يجيء في كلام عربي مثل هذا القول : احترز غاية الاحتراز بنيابة غاية عن المصدر ، ولم يذكره نحويون متقدمون ولا زاد هذا النائب أو النائبة .. متأخرون

٢٤ — في الصفحة (٢٤٦) : فالنصارى قد حرم عليهم دينهم السكر والزنى وفيهم مع ذلك من يباهي بارتكاب الفاحشة ومن يفتخر بادمان السكر[2]

قلت : لم يقصد كتابهم بقوله يباهي ... المفاخرة بل قصد الافتخار كما قال من بعد : ومن يفتخر ... بالصواب يتباهى بكذا أو يبتهي به ؛ ففي الأساس: وأنا أتباهى به، ولي به افتخار وابتهاء قال أبو النجم :

ليس المحاذر أن يمد قديمه والمبتهي بقديمه — بسواء

وفي اللسان والتاج : العرب تقول : إن هذا لبهياي أي مما أتباهى به[3]

٢٥ — في الصفحة (٣٨٦) : وتمرن سائرهم[4] في حمل السلاح

قلت : في اللغة مرَن وتمرن على الشيء لا تمرن فيه . قال الامام الجاحظ[5] : أية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الأعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع . وفي الصحاح : مرن على الشيء مروناً ومَرانة تعوده واستمر عليه ، وفي الأساس : من المجاز مرنت يده على العمل ، ومُرِّن وجهه على الخصام والسؤال

(١) الصحاح ، الأساس ، اللسان ، التاج

(٢) يقال : أدمن الأمر وأدمن عليه : واظب كما في الأساس فهذا الفعل يتعدى بنفسه وبالجار لا كما قال اليازجي في الضياء (١) الصفحة ٤١٩) والصواب ترك الجار لأن هذا الحرف يتعدى بنفسه

(٣) في نجعة الرائد لليازجي : يقال : فخر الرجل بكذا وافتخر وتباهى

(٤) في الدرة : فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يقولون قدم سائر الحاج واستوفى سائر الخراج فيستعملون سائراً بمعنى الجميع وهي في كلام العرب بمعنى الباقي ، في كل باق قل أو كثر . وفي النهاية : والناس يستعملون سائراً بمعنى الجميع وليس بصحيح وقد تكررت هذه اللفظة في الحديث وكلها بمعنى باقي الشيء ، وفي الدرة وشرحها وفي التاج كلام كثير في هذه اللفظة ، وفي مجمع الأمثال : نزل رجل جائع بقوم فأمروا الجارية بتطييبه ، فقال : بطني عطري ، وسائري ذري ...

(٥) أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني : أخبرني بعض أصحابنا قال: ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته فتيق اللسان ، فقلت له : من أين لك هذه الذلاقة ؟ قال : كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت ، فلم أجر على ذلك مدة حتى صرت إلى ما ترى

وفي المخصص : مرّنت فلاناً على الأمر . ومثل ذلك في الجمهرة واللسان والمصباح والقاموس وشرحه ، وأقوال العرب

٢٦ — في الصفحة (١٢٨) : كان الله يستأنف بلطفه إعلانه للناس على لسان أنبياء متمددين[1]

قلت : لا يمد من الكلام (على لسان أنبياء متمددين) قال الأساس : بنو فلان يتمددون على بني فلان أي يزيدون عليهم ، وفي اللسان ، قيل : يتمددون عليه يزيدون عليه في العدد ويتمادون إذا اشتركوا فيما يمادّ به بعضهم بعضاً من المكارم ، وفي الصحاح : وإنهم ليمادون ويتمددون على عشرة آلاف أي يزيدون على ذلك في العدد

٢٧ — في الصفحة (٣٨٥) : وهم عدد قليل في قبائل العرب المديدة[2]

قلت : المديدة الحصة — كما في اللسان — والمديد الكثرة ، والمديد العدد ، والمديد النـد والقرن ، والمديد الرجل يدخل نفسه في قبيلة ليمد منها وليس له فيها عشيرة ، وهو في عديد بني فلان أي يمد فيهم

فمديدة القوم مثل متمدديهم ...

٢٨ — في الصفحة (٩١) : وأفرغ جهده في كف محمد عن التمادي بالأمر

قلت : تمادى هو في الأمر ، وتمادى به الأمر ، قال المتنبي :

إلى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي[3]

وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد

وفي اللسان : وتمادي فلان في غيه إذا لج فيه وأطال مدى غيه أي غايته . وفي النهاية : ومنه حديث كعب بن مالك فلم يزل ذلك يتمادى بي أي يتطاول ويتأخر

٢٩ — في الصفحة (٢١٦) : لم يكن للقبلة من الأهمية عندهم ما صار لها بعد ذلك . وجاءت الأهمية في الصفحة (٢٨٠)

قلت : أرادوا أن يقولوا : من المنزلة أو القدر أو الخطر أو الشأن فقالوا (الأهمية) وهي لفظة منكرة عامية أوجردية لم تعرفها العربية في وقت وهي منسوبة إلى الأهم ، وهو اسم تفضيل من هم ،

(١) ومثل ذلك في الصفحات ١٥ ، ١٦٥ ، ٢٦٣ ، ٢٩٣ ، ٣٣٦

(٢) ومثل ذلك في الصفحتين ١٢٧ ، ٤٢١

(٣) العكبري : أي إلى كم أبلغ المدى في التقصير ، يستبطئ نفسه فيما يروم

وهو فى الحقيقة للفعل (أهم)(١) إذ ليس فى اللغة همه الأمر بالمعنى الذى يعرف لأهمه وإن قالت كتب فيها وهمّ كأهم ، وفى كلامهم الأمر المهم ، ولم يقل جاهلى أو مخضرم أو إسلامى أو مولد متقدم أو مولد متأخر : الأمر الهام كما تقول العوام وفى مفردات الراغب : وأهمنى كذا حملنى على أن أهتم به قال الله تعالى : وطائفة قد أهمتهم أنفسهم .

وفى الأغانى فى سيرة أعشى همدان : فلم يبق أحد فى المجلس إلا أهمته نفسه وارتعدت فرائصه . وفى الصحاح : الأمر المهم الشديد . وفى الأساس : وزل به مهم ومهمات . وقال عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد :

أبى دهرنا إسعافنا فى نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له : نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا ، إن المهم المقدم(٢)

فقولهم : فلان ذو أهمية ، وكان تزيد عند قومه أهمية ، ولم تكن لكذا أهمية — من الكلام المعتل

٣٠ — فى الصفحة (٦٩) . يتعنت بها كل من المتناظرين على الآخر

قلت : فى اللغة تعنته أى طلب زلته لا تعنت عليه . قال الأساس : وتعنتنى : سألني عن شىء أراد به اللبس على والمشقة . وفى النهاية فى حديث عمر : أردت أن تعنتنى أى تطلب عنتى وتسقطنى . وقالوا : أعنت عليه أمره أدخل الضرر عليه فيه . وفى النهاية : فيعنتوا عليكم دينكم أى يدخلوا الضرر عليكم فى دينكم . وقد قالت معجمات عصرية : وربما عدى تعنت بعلى ، وهذه التعدية غير محققة .

ومن أقوالهم فى النهى عن تعنت العلماء — والقول فى العقد —

إذا جلست إلى العالم فسل تفقها ولا تسل تعنتا

٣١ — فى الصفحة (٤٣٨) : فاشطرت هذه الشريفة أن تتزوج بالغلام ريثما يتهيأ للمولى أن ينكحها ، فلما تهيأ له ذلك أظهر

قلت : ريثما فى هذا الكلام للحين الطويل كما تدل القصة فى كتابهم على ذلك ، وهو فى العربية للمدة القصيرة ، وأصله مصدر أجرى ظرفا(١) ، وأكثر ما يستعمل مستثنى فى قول منفى . ومن الأدلة على قصر المدة لهذا الحرف قول الشنفرى (أو خلف الأحمر) فى لامية العرب :

ولكن نفسا مرة لا تقيم بى على الذأم إلا ريثما أتحول

وقول أعشى باهلة فى رثاء المنتشر :

لا يُصعب الأمرَ إلا ريث يركبه
وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر(٢)

وقول بعضهم :

ولى نفس حر لا تقيم بمنزل على الضيم إلا ريثما أتحول

وفى النهاية : فلم يلبث إلا ريثما قلت أى إلا قدر ذلك . وفى اللسان : عن الكسائى والأصمعى : ماقعدت عنده إلا ريث أعقد شسعى . ويقال : ما قعد فلان عندنا إلا ريث أن حدثنا بحديث ، ثم مر أى ما قعد إلا قدر ذلك ، ومثله فى التاج وفى المصباح : ووقف ريثما صلينا أى قدرما . وفى المقامات الحريرية فى الصنعانية : فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه . وفى النجرانية : فأمسك ريثما يعقد شسع ، أو ينشد نسع

(***)

للكلام بقية — الاسكندرية

(١) وقد يكون بناؤه من هذا الفعل فى شرح الكافية : وعند سيبويه هو قياس من باب أفعل مع كونه ذا زيادة ويؤيده كثرة السماع كقولهم : هو أعطاهم للدينار وأولاهم للمعروف وأنت أكرم لى من فلان وهو كثير ويجوزه قلة التغيير لأنك تحذف منه الهمزة وترده إلى الثلاثى ثم تبنى من أفعل التفضيل فتخالف همزة التفضيل همزة الأفعال وهو عند غيره سماعى مع كثرته

(٢) رواهما ابن رشيق فى العمدة وابن خلكان فى الوفيات . وفيهما الادماج وهو نوع من الاستطراد

(١) قال الرضى : وأما إضافة ريث إلى الجملة نحو توقف ريث أخرج إليك فلكونه مصدرا بمعنى البطء مقاما مقام الزمان المضاف ، والأصل زمان ريث خروجى أى مدة أن يبطىء خروجى حتى يدخل فى الوجود

(٢) يجوز استعمال ريثما بغير ما ولا إن كما فى البيت والأمر فى طبعة اللسان بضم الراء والصواب فتحها

من رحلة الشتاء

في مضارب شمر

المشاريع الإصلاحية في البادية

للآنسة زينب الحكيم

١ — بدأ الشيخ عجيل الياور شيخ مشايخ شمر منذ سنة ١٩٣٠ يستعمل نفوذه ليوطن البدو التابعين له في قرى ، يطالب بأرضها لهم من الحكومة العراقية بحيث تكون وجهتهم احتراف الفلاحة ؛ وقد تمت هذه الصفقات لبعضهم فعلا ، وشجعهم الشيخ الياور بشراء بعض الآلات الزراعية من ماله الخاص ، مثل المحاريث التي استجلبها من ألمانيا عند ما زارها في أثناء زيارته الأخيرة لأوربا

كذلك ساعدهم بشراء بعض المواشي ، وبذور النبات ، وغرضه من هذا كله أن يسهل لهم احتراف الفلاحة وتحبيبها إليهم . على أني علمت أن هذه التجربة لم تسفر عن نجاح يوازي ما بذل من مساعدات وتشجيع . إذ وجد الشيخ أنه من العسير جداً استقرار البدو — ومن يستطيع أن يحد من حريتهم ؟! — ومع هذا استقر كثير من رؤساء العشائر في بعض القرى التي كونوها

ولعله لا يخفى على فطنة القارئ أنه وإن كان ملك البادية يعطف على البدو من رعاياه ، ويعطي لهم باليمين ، فانه يأخذ منهم باليسار أتاوات وجمولا على محاصيلهم وأغنامهم وجمالهم وغيرها . وهذا السبب عينه مما ينفر البدو في الاستيطان لكراهيتهم الخضوع للضرائب والتجنيد وما شابه ذلك

٢ — مدرسة ابتدائية

مما أثلج صدري حقيقة ، وجود مدرسة ابتدائية في وسط البادية . تأسست هذه المدرسة سنة ١٩٣٢ ، وبدأت أهلية حيث أنشأها الشيخ عجيل الياور على نفقته ، وبدأت بعدد قليل من الأولاد ، ولكنه عظيم بالنسبة لعوامل البيئة هناك . فافتتحت بخمسة وعشرين إلى ثلاثين ولداً من أبناء البدو ، ومن بينهم أولاد شيخ المشايخ بالضرورة ، يذهبون جميعاً لتلقي الدروس بالأمر المشدد من الشيخ وأمره مطاع ، وإن خالف ذلك ميولهم الخاصة . وشجع الشيخ هؤلاء بمنحهم السكن والملابس

سارت المدرسة في سبيل التقدم ، وسعى الشيخ لأن تدخل تحت إشراف الحكومة العراقية حتى تفوز بمنهج منظم ، وأساتذة فنيين ، وفعلا في سنة ١٩٣٤ أي بعد سنتين من إنشائها ، صارت مدرسة حكومية تمدها وزارة المعارف العراقية بالمعلمين والأدوات المدرسية من حيث الأثاث (وهو عبارة عن خيام بيضاء كبيرة ، ومناضد ومقاعد لجلوس الأولاد ، وسبورات مع حواملها) . أما أدوات الطلاب فلا تزال على نفقة الشيخ

وصار عدد تلامذتها الآن من ٥٠ إلى ٨٠ تلميذاً ، يتناقص أو يتزايد العدد بين هذين الرقمين بالنسبة لتنقل العشائر للرعي

الشيخ عجيل الياور ، شيخ مشايخ شمر في الوسط ، وفي طرف الصورة إلى اليسار ابنه الشيخ صفوك الياور ، وفي طرف الصورة الأيمن ، المدرس الأول بالمدرسة الابتدائية

ويوجد بين الأولاد بعض البنات ، وبالمدرسة ستة صفوف (أو فصول) وتتراوح أعمار التلاميذ بين ست ، وست عشرة . (وقيل لي : أحياناً يأتي إلى المدرسة أطفال في سن الرابعة أو الخامسة)

ويدرس بها على منهاج المدارس الابتدائية العراقية ، واللغة الانجليزية هي اللغة الأجنبية التي يتعلمها التلاميذ ابتداء من الصف الخامس ، ويستمر تعليمها في السادس

زرت هذه المدرسة في خيامها البديعة ، وكان حادثاً في حياة الأولاد وتجاربهم أن يروا سائحة مصرية ، فلحظت أنه بقدر

سرورهم بهذه المفاجأة ، كانت دهشتهم من سفر سيدة تلك المسافات البعيدة حتى وصلت إليهم . وكان شغفهم زائداً لسؤالهم إياى أسئلة شتى ، كما بدا لى على وجوههم ، ولكن كيف يجرؤون على مخاطبة سيدة !

كانت الدروس التى حضرتها فى مختلف الفرق متنوعة ، وكان أول درس حضرته:

(ا) درس حساب ، فبعد أن انتهى الأولاد من حل تمرين أعطى لهم فى دفاترهم ، وبعد تصحيحه أيضاً ، حبب إلىّ أن أعطيهم بعض التمارين العقلية ، فأدهشنى توقد ذكائهم ونشاطهم العجيب . وفى أثناء ذلك فاجأت التلاميذ باختبار ذكاء بسيط ، فقلت : تعلمون شيئاً عن الموازين مثل الرطل والأقة مثلاً ؟ فقالوا: نعم . قلت : وأيهما أكثر ربحاً للشارى ، أرطل من البندق مقشور أم رطل بدون قشره ؟ فرفعوا أيديهم . وسألت أحدهم واتفق أنه خلط فى الاجابة ، فلم يرض باقى التلاميذ عن هذه الاجابة ؛ ولكنهم نظاميون جداً ، فلا يجاوبون بدون إذن . وفاجأنى تلميذ صغير من بينهم قبل أن أسأل غيره، بالسؤال الآتى: من فضلك، أيهما أكثر عدداً ٢+٢ أو ٢×٢؟ قلت: لعلى لا أعرف ذلك، فلنسأل باقى التلاميذ. فقال: لا، هذه بتلك. فضحكت وسررت من جرأة البدوى النجيب ، ولمست سمات الانتصار على محيا زملائه

وهل يرضى البدوى بالهزيمة ولو كان فى ذلك حتفه ؟!

هنا أريد أن أوجه نظر القارئ الكريم إلى أن مشروع اختبار الذكاء أو غيره من الحركات الحديثة فى التربية ، ليست مقصورة على عقل واحد أو جماعة واحدة ، وليست من اختصاص أمة دون أخرى

إن لكل أمة مقاييسها ، ولولم يكن لدى هؤلاء البدو مقاييس ذكاء خاصة يعرفونها ويفهمونها فيما بينهم لما عاملنى هذا البدوى وزملاؤه من نوع عملى وجملوها (دقة بدقة)

(ب) كان ثانى درس رأيته درس جغرافيا . دخلت الفصل وحييت التلاميذ ، وكانوا أكبر سنا من الفرقة التى رأيتها وجدت خريطة كبيرة للقطر المصرى معلقة على السبورة ، وبدأ الأستاذ يناقش تلاميذه فى معلوماتهم عن بلادى ، فكان حسن ذوق ومجاملة لطيفة ، وانتهزت الفرصة وقلت : ربما لم يسبق لكم يا تلاميذ رؤية مصرية قبلى ؟! فقالوا : لا ، ونحن سعداء برؤيتك . فشكرتهم ، وقلت : أو كنتم تتخيلون المرأة المصرية كما رأيتم الآن ؟ قالوا : لا ، كنا ننتظر رؤيتها فى ثياب سوداء ، فإن من العيب أن تلبس المرأة الثياب الملونة ، ولا سيما ما كان منها أبيض . قلت : لماذا ؟ فقالوا : إن اللون الأبيض من سمات الرجل ، أما المرأة فلها الثياب السود . (لم أستطع الوصول إلى التعليل المنطق منهم لهذا التخصيص ، ولعلها مجرد عادة نشأت من الاقتصاد فى الغسيل لقلة الماء والصابون فى الصحراء)

المدرسة الابتدائية بمضارب عجيل الياور فى الجزيرة قرب سنجار

قلت: وهل تريدون أن تسألونى شيئاً عن مصر؟ قالوا بشوق: نعم . كيف حال فاروق الملك الشاب ؟ وهل هو تقى ؟ وهل هو يشبه سيدنا غازى الأول ؟ وهل فرح بالزفاف الملكى ؟ (قد وصلتهم أخبار الزفاف كلها وسمعوا حفلاته بالمذياع ملك شيخهم)

أجبتهم عن كل أسئلتهم ، وقد أصغوا إليها فى شوق زائد وسرور وغبطة

(ح) زرت التلاميذ فى أثناء درس فى اللغة العربية ، وكان مطالعة مع شرح بعض المعانى والإعراب . فسألت تلميذاً أن يُعرب « جلس التلاميذ بنظام » وحقا كانوا قد فعلوا ذلك ، وأردت أن أمتدحهم إذا ما فرغوا من إعراب الجملة ، فكان أول ماوجه المعلم أنظارهم إليه نطق الجيم فى جلس غير معطشة فقال :

هل لحظتم يا تلاميذى كيف تنطق السيدة المصرية الجيم فى جلس ؟ إنها خففتها وفق ما اتبعوه فى بلادهم

طلبت إلى الأستاذ أن يسمعنى التلاميذ بعض قطع شعرية مما يحفظون وبعض أناشيد ، وقد فعلوا ، أما الأناشيد فتلحينها ضعيف

ولما جاء دور المحفوظات استأذنت المدرس فى أن أختار أنا التلميذ ، وكان من بين التلاميذ شبيه لعنترة صغير ، فبتوارد الخواطر ، اخترت هـذا الأسود ليسمعنا قطعة من محفوظاته . ولكن التلاميذ ضحكوا وتغامزوا فيما بينهم على هذا الأسود ، وعلى غرابة اختيارى ، واتهموا ذوق . فقلت : أيها التلاميذ النجباء لماذا تضحكون ؟ ألا يذكر أحد منكم الفارس العربى المقدام الشاعر الهمام ، عنترة العبسى الذى كان يقول :

« لئن أك أسوداً فالمسك لونى » ؟

ويقول :

لئن يعيبوا سوادى فهولى نسب يوم النزال إذا ما فاتنى النسب ؟

ما أسرع البدوى إلى النخوة والشهامة ! لقد اعترف الأولاد بخطئهم حالا ، وقالوا فى نفس واحد : قم يا عنتر ونحن نتبعك . وقام هذا الأسود الصغير ، وألقى قطعة حماسية بالغة . ووالله لا أنسى أبداً منظر التلاميذ من خلفه ومن حوله ، وهم يشتركون معه فى الإلقاء الحماسى ، وكأنما تتحرك القناة فى أيديهم ، والأصائل تكر بهم وتفر لهزم العدو ، ولكسب شرف العرب . بارك الله فى أبناء البدو الناهضين وقواك الله ياقبائل شمر

بعد هذه المعركة الحماسية قلت لتلميذ فى طرف الخيمة ، وقد شهدت على وجهه انفعالا : ماذا تريد أن تنال لو خيرت فى نيل أمنية ؟ قال فى غير توان : فرس أصيلة ، لأريك أنى أبز عنترة العبسى وأباه

فتوجهت إلى الشيخ وسألته : كم ثمن الفرس الأصيلة ؟ وعزمت أكيدا أن أترك للتلميذ ثمن الفرس لينال رغبته ، ولكن الشيخ لم يقبل ، ووعد أن يعطيه فرسا من عنده

(د) حضرت درساً إنجليزياً « مطالعة ، ومحفوظات ، وتركيب جمل » والتقدم الذى لحظته على التلاميذ كبير ، ولفت نظرى توقد ذكاء تلميذ من بينهم ، وشدة لمعان عينيه ، فسألت : من يكون هذا التلميذ ؟ فقيل لى : إنه ابن الشيخ عجيل الياور الذى ساح فى أوربا كما سمع والده بعد حضور حفلات تتويج ملك الانجليز

فسألته عما أعجبه أكثر من غيره من البلاد الأوربية ؟ فقال فى إيجاز وتأكيد : أعجبت بسويسرا لجمالها ، وانجلترا لتقاليدها ونظامها ، وألمانيا لاختراعاتها ونظامها ونظافتها . وهذا التلميذ موجود الآن بكلية فكتوريا بالاسكندرية هو وأخوه ، حيث أحضرهما إلى مصر ، أخوهما الأكبر الشيخ صفوك الياور ، وألحقا بهذه الكلية من بدء العام الدراسى . وكانت مفاجأته لنا بالزيارة حلماً تحقق . هذا ويجلس تلاميذ مدرسة البدو هذه لتأدية الامتحان النهائى لمرحلة التعليم الابتدائى ، فى الأماكن التى تخصصها الحكومة العراقية ، فيرحل التلاميـذ عادة إما إلى لجنة الموصل أو سنجار

وقد وجد أن أولاد البدو فى مستوى أولاد الحضر ، بل يفوقونهم فى نسبة النجاح فى الامتحانات العامة

ما دخل العلم بيئة طيبة إلا أثمر فيها وأنتج نتاجاً حسناً . وإنى أعلق أهمية كبرى على هذه المدرسة فى إيقاظ البدو، وأعدها أول نواة صالحة للأخذ بيدهم فى مدارج الحياة الانسانية الحقيقية

« للحديث بقيه »

زينب الحكيم

للتاريخ السياسي

المفاوضات

وتأثير ألمانيا فيها

للدكتور يوسف هيكل

« تعقدت المشكلة التشيكوسلوفاكية في شهر أغسطس (آب) سنة ١٩٣٨ وأخذ تعقدها يزداد حتى كادت تفجر قنبلة الحرب العالمية . غير أنه كان لا يزال هناك أمل في إيجاد حل لهذه المشكلة عن طريق المفاوضات بين الحكومة التشيكوسلوفاكية وممثلي حزب السوديت . وبعرضنا لها نتكلم عن المناورات الحربية الالمانية ومهمة اللورد رنسيمان ، ونبين تطورات المفاوضات ، ونذكر تأثير خطاب الهر هتلر على سيرها . »

غادر اللورد رنسيمان لندن إلى براغ في أغسطس (آب) ، موفداً من الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية ، ليكون وسيطاً بين حكومة براغ وحزب السوديت . وكانت مهمته بذل الجهود لمنع فشل المفاوضات السائرة بين الدكتور هودزا رئيس حكومة تشيكوسلوفاكيا ، وممثلي الهر هنلاين رئيس حزب السوديت . وفي حالة فشل هذه المفاوضات أعد اللورد رنسيمان مشروعاً من عنده ، يوفق به بين وجهتي نظر الفريقين المتنازعين ، ليضمن السلام ويبعد شبح الحرب العامة ، الذي كان يحوم في جو أوربا الوسطى .

ولما أخذ اللورد رنسيمان يدرس الوضعية في تشيكوسلوفاكيا، جابهت ألمانيا العالم باستعداداتها الحربية الهائلة التي دعتها مناورات اعتيادية تاريخ ابتدائها ١٥ أغسطس (آب) .

وفي الواقع كانت التعبئة ، أي التجنيد ، لهذه المناورات تعبئة عامة أقلقت الدوائر السياسية واضطرب منها الرأي العام . إذ صدرت الأوامر بتعبئة جميع الأطباء والممرضات . وتلقى الرجال القادرون على حمل السلاح والذين لم يدعوا إلى الخدمة حتى ذلك الوقت ، الأمر بأن يكونوا في كل وقت مستعدين لتلبية أوامر السلطات ، وحظر على كل ألماني دون الخامسة والستين من العمر مغادرة ألمانيا إلى بلد آخر . وألغيت جميع أجازات العمال في السكك الحديدية ، وأبطلت معظم قطارات السفر لافساح المجال للقطارات العسكرية ، وصادرت السلطة معظم سيارات « الباصات » (أوتوبوس) . وأخذت إنشاءات الطرق نحو الحدود التشيكوسلوفاكية تسير بسرعة عظيمة ، وإقامة القلاع على ضفاف الرين وإتمام خط « سيكفريد » المواجه لخط « ماجينو » تجري بسرعة لم يسبق لها مثيل . ثم أرسلت الجيوش إلى حدود تشيكوسلوفاكيا ، واحتلت القوى العسكرية قلاع الرين والثكنات المواجهة للحدود الفرنسية .

وكان الغرض من هذه الاستعدادات الحربية الهائلة ، غرضاً سياسياً هو التأثير على سير المفاوضات بين حكومة تشيكوسلوفاكيا وممثلي حزب السوديت ، والتهويل على حكومتي لندن وباريس ، لتفسحا المجال لتحقيق المطالب الألمانية .

في هذا الجو الصاخب سارت المفاوضات بين الدكتور هودزا ، والهر هنلاين . وكان الأول ، أي رئيس الوزارة التشيكوسلوفاكية يستند في موقفه إلى تحالفه مع باريس وموسكو، وإلى التحالف العملي بين لندن وباريس . وكان الثاني أي رئيس حزب السوديت يستند إلى الهر هتلر . وكل منهما كان يعتقد أنه الأقوى ، وكل منهما كان يريد من الآخر أن يتراجع عن موقفه . ولهذه انقطعت المفاوضات مراراً ، ولم تستأنف إلا بفضل جهود اللورد رنسيمان وتسامح الحكومة التشيكوسلوفاكية . ورغم ذلك كانت نهايتها فشلا تاما . وإننا لذا كرون أهم تطوراتها :

قدم حزب السوديت الألماني مذكرة إلى حكومة براغ ، في ٧ يوليو (تموز) الفائت ، وعرض فيها الدخول في مفاوضات على أساس تحقيق المطالب التي جاء ذكرها في المذكرة وهي لا تختلف عن المطالب الثمانية التي أعلنها الهر هنلاين في خطابه الذي ألقاه في كارلسباد في ٢٣ ابريل (نيسان) سنة ٩٣٨. وكانت الحكومة حينئذ آخذة في وضع نظام الأقليات. وفي ٩ يوليو (تموز) اجتمع الدكتور هودزا مع مندوبي الهر هنلاين وباشروا المفاوضات . وفي ١٥ منه صدر بلاغ رسمي مشترك يشير إلى أن الاتفاق تم على أن تكون مذكرة السوديت ونظام الحكومة بشأن الأقليات بمثابة أساس مفاوضات بين الحكومة والسوديت .

سارت المفاوضات ، وكان يحضرها مندوبو الأحزاب البرلمانية في تشيكوسلوفاكيا ، فظن الرأي العام أن الطرفين واصلان إلى نتيجة إيجابية تؤدي إلى الوفاق بينهما وزوال خطر الحرب العالمية .

ولكن بينما كانت المناورات الحربية الألمانية على أشدها ،

والرأى العام متجه نحوها ، أعلن مندوبو السوديت ، فى ١٧ أغسطس (آب) ، عدم قبولهم النظام الجديد الذى وضعته الحكومة لتحسين حالة الأقليات . وأبلغوا اللورد رنسيان بأنهم لا يرون فائدة من مواصلة المفاوضات مع الحكومة .

اهتم اللورد رنسيان للموضوع ، وبذل جهودا فى إقناع مندوبى السوديت بضرورة العدول عن رأيهم هذا ، فطلب وفد السوديت مواصلة المفاوضات مع الوزارة فقط ، مفاوضة الند للند فى جلسات لا يحضرها مندوبو الأحزاب البرلمانية . فقبلت الحكومة طلب السوديت ، بعد تدخل الدكتور رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية واللورد رنسيان فى الموضوع على أثر ذلك وافق مندوبو السوديت على مواصلة المفاوضات مع الوزارة ولكنهم أصروا على رفض الاقتراحات التى عرضت عليهم .

عمدت الحكومة إلى منح السوديت الألمان امتيازات جديدة كتعيين عدد كبير من رجالهم فى وظائف كبيرة مختلفة . غير أن حزب السوديت قابل هذه الامتيازات بالاستخفاق والامتعاض . وللوصول إلى اتفاق حاولت الوزارة التشيكوسلوفاكية فى ٢٥ أغسطس (آب) إيجاد قاعدة جديدة للمفاوضات ، غير أنه ظهر فى اليوم التالى أن الأزمة التشيكوسلوفاكية بلغت حد الخطر ، إذ شقة الخلاف واسعة بين الطرفين يتعذر سدها ، لوقوف حزب السوديت موقف التصلب والتشبث بمطالبة كاملة غير منقوصة . وكانت ألمانيا تشجعه على هذا الموقف وتحثه على عدم التساهل . وأخذت الصحف الألمانية حينئذ تحمل حملة شعواء على تشيكوسلوفاكيا من أجل حوادث تافهة لا قيمة لها ولا أهمية . وكان ذلك دليلاً على أن ألمانيا لا تريد حل مسألة السوديت بمفاوضات حرة

وبسبب خطورة الحالة الدولية ضاعف اللورد رنسيان نشاطه بإيماز من لندن ، وبذل جهوداً لمتابعة المفاوضات . فاجتمع فى ٢٨ أغسطس (آب) بالهر هنلاين ، وقصد مساء ٢٩ أغسطس (آب) قصر الرياسة وقابل المسيو بنيش ومهد الاجتماع الهر هنلاين بالرئيس وشاع حينئذ أن ذلك الاجتماع يأخذ مكانه بعد ظهر ٣٠ أغسطس (آب) . غير أن هذا الاجتماع لم يتم ، وبدلاً منه اجتمع الرئيس بنيش بالدكتورين كوندت وسبيدوسكى من زعماء السوديت . وعرض عليهما اقتراحات جديدة للحكومة التى وضعت على أساس تقسيم البلاد إلى مناطق ذات حكومات مستقلة لها سلطات واسعة على مثال سويسرا . وقد أكدت المقامات المتصلة ببعثة اللورد رنسيان ، أن السوديت الألمان لا يرفضونها إذا تركوا وشأنهم ، ولم يقع عليهم ضغط من جهة الألمان . وفى ٢ سبتمبر (ايلول) اجتمع الدكتوران كوندت وسبيدوسكى برئيس الجمهورية من جديد ، وبسطا له آراء السوديت فى الاقتراحات الجديدة ، التى قدمها إليهم فى ٣ أغسطس (آب) ، وهى تدل على أن حزب السوديت لم يقرر رفض اقتراحات الحكومة بل أبدى فى صددها تحفظات كثيرة يتطلب الاتفاق عليها مفاوضات شاقة طويلة

وفى هذه الأثناء أى فى أول سبتمبر (ايلول) كان الهر هنلاين قد ذهب إلى « برختسكادن » لمقابلة الهر هتلر بإيماز من اللورد رنسيان . ولدى عودته ذهب المستر جوانكين ، مساعد اللورد رنسيان ، إلى بلدة آش فى ٤ سبتمبر (ايلول) وقابل الهر هنلاين واطلع منه على ما دار بينه وبين الهر هتلر من حديث ، ثم عاد وأطلع اللورد رنسيان على ما سمع من الهر هنلاين

وبعد عودة الهر هنلاين من ألمانيا اجتمع بمندوبى السوديت الذين كانوا يفاوضون الحكومة ، وعلى أثر ذلك نشر حزب السوديت فى ٥ سبتمبر (ايلول) بلاغاً له مغزاه ، طلب فيه تحقيق مطالبه الثمانية التى أعلنت فى كارلسباد ، حالاً وغير ناقصة

جدت حكومة براغ فى ٥ سبتمبر (ايلول) فى وضع اقتراحات جديدة لحل مشكلة السوديت ، راعت فيها تحقيق مطالب الهر هنلاين الثمانية ، حسما للنزاع ، وتحقيقاً للوصول إلى اتفاق سلمى .

وفى اليوم التالى قابل الدكتور بنيش زعماء السوديت وأسلمهم الاقتراحات الجديدة ، أو ما سمى « النهاج الرابع » . وهذا النهاج يحتو على تسع مواد توجز كما يلى :

١ — تمثيل الجنسيات والعناصر بالوظائف الحالية والمستقبلة نسبة لعددها

٢ — تعيين الموظفين فى الأقاليم من جنس أكثرية السكان

٣ — تجديد نظام الأمن بتقسيمه إلى بوليس الدولة وبوليس الأقاليم ، ويعين للأقاليم بوليس من جنس سكانها

٤ — مساواة لغات الأقليات باللغة التشيكية

٥ — القيام بعمل واسع النطاق فى سبيل إنعاش الحركة الاقتصادية فى المناطق الألمانية التى أصيبت بأشد أضرار الأزمة . منها منح هذه المناطق قرضاً تبلغ قيمته خمسة ملايين جنيه بشروط متهاودة

٦ — تقسيم البلاد مقاطعات مستقلة استقلالا ذاتياً ومتساوية في الحقوق على أساس عنصرية السكان

٧ — إنشاء إدارة خاصة للاقاليم في جميع الادارات المركزية يديرها وطنيون ، لمعالجة المسائل المتعلقة بجنسياتهم

٨ — المحافظة على حقوق المواطنين القومية بقوانين خاصة ، ويكون للهيئات التمثيلية المختلفة حق الاعتراض على أي تدخل في حقوق أو مصالح الجنسيات التي تمثلها . وستكون سجلات خاصة لكل جنسية

٩ — اتخاذ احتياطات حالية للوصول إلى اتفاق على هذه النقاط التي لا تتطلب احتياطات تشريعية . أما فيما يتعلق بوضع قوانين جديدة، فإن الحكومة ستحضرها بالاشتراك مع حزب السوديت الألماني . وستعرض المشروعات على البرلمان وتنفذ بأسرع وقت ممكن

قابل الألمان السوديت اقتراحات الحكومة هذه بارتياح ، وقبلوها في ٧ سبتمبر (إيلول) أساسا للمفاوضات ، لأنهم رأوا فيها تحقيقا يكاد يكون تاما لنقاط كارلسباد الثمانية ، فساد التفاؤل وعظم الأمل بالوصول إلى حل ودي . غير أنه في اليوم نفسه وصلت براغ أنباء حادث « ماهريش استراو » فأثارت غضب الألمان السوديت فقرروا قطع المفاوضات . أما حادث ماهريش استراو فيوجز فيما يلي:

وصل في ٦ سبتمبر (إيلول) كثيرون من ممثلي حزب السوديت الألمان إلى ماهريش استراو لمطالبة السلطة بالتحقيق في بعض الأخبار التي يؤخذ منها أن الألمان السوديت الذين كانوا قد اعتقلوا عوملوا في السجن معاملة سيئة . ولما دخلوا دار المحافظة تجمع الأهالي الألمان خارج الدار. فأعمل البوليس الركبان فيهم الضرب بالعصي والسياط لتفريقهم . ويقال إن البوليس ضرب اثنين من نواب السوديت على الرغم من تلويحهما بشهادتيهما القانونية

اهتمت حكومة براغ لهذا الحادث ، واتخذت التدابير لعدم تكرره ، ولتحسين معاملة المساجين الألمان . وطلب رئيس وزارة براغ مقابلة النائبين كوندت وروش ، فاجتمع بهما مساء ٧ سبتمبر (إيلول) ، ودارت محادثة سوى على أثرها حادث مهريش استراو وانتهت بالاتفاق على استئناف المفاوضات

وبينما كانت حكومة براغ جادة في حل المشكلة التشيكوسلوفاكية بالاتفاق مع السوديت الألمان بمنحهم مطالب زعيمهم الثمانية ، فاجأت جريدة التيمس ، المعروفة بصلاتها الوثيقة مع حكومة لندن ، العالم في ٧ سبتمبر (إيلول) مقترحة في مقال رئيسي ، حل المشكلة التشيكوسلوفاكية عن طريق فصل الأقاليم السوديتية وضمها إلى ألمانيا . ومصرحة « بأن إرادة الأهالي الذين يعنيهم الأمر ستكون عاملا له أهمية فاصلة في أية تسوية يرضى أن تكون دائمة » وهذا الحل غاية ما يصبو إليه السوديت الألمان ، وما يرمي إليه الهر هتلر . غير أن السوديت الألمان لم يجرؤوا حتى ذلك التاريخ على طلبه ، ولم يأملوا تحقيقه

وبينما كانت المفاوضات تسير في براغ بصعوبة ومشقة ، ومن غير أن توصل إلى نتيجة إيجابية ، قرب يوم الاثنين الموافق ١٢ سبتمبر (إيلول) ، وهو تاريخ إلقاء الهر هتلر خطابه التاريخي ، الذي كان ينتظره الناس في جهات الدنيا الأربع . فأحالوا نظرهم عن تشيكوسلوفاكيا ، واتجهوا نحو نورمبرغ ، حيث انتقل إليها مركز النظر في المشكلة التشيكوسلوفاكية ، وحيث يلقي زعيم ألمانيا كلمته الخطيرة

كان خطاب الهر هتلر شديد اللهجة عنيفاً ، ولم يكن في الامكان في أحوال دولية عصيبة كأحوال شهر سبتمبر (إيلول) الفائت ، أن يلقي زعيم ألمانيا خطبة أشد لهجة من الخطاب الذي ألقاه في مؤتمر نورمبرك وكان « ضربة أصابت أساس سياسة التوفيق التي سار عليها المستر نيفل تشمبرلين » ، كما قالت النيويورك تايمس في ١٣ سبتمبر

فقد حمل فيه على الحكومات الديمقراطية حملة شعواء ، ملؤها السخرية والازدراء ، وهاجم حكومة براغ هجوماً عنيفاً بعبارات ملؤها الاهانة والتحقير . ومما قاله بصدد المشكلة التشيكوسلوفاكية:

« ... إني أعلن أن هذه المخلوقات المضطهدة (أي السوديت الألمان) إذا لم تحصل على حقها وعلى المساعدة التي تستطيع المطالبة بها فانها ستنال هذا الحق وهذه المساعدة منا .. لقد سبق لي أن أعلنت أني لا أتحمل بعد الآن أن يظل هؤلاء الملايين الثلاثة مضطهدين ، وأرجو من رجال سياسة الدول الأجنبية أن يعلموا أن هذا ليس كلاماً بلا معنى » . وبعد أن ذكر الفوهور أن ألمانيا ضحت كثيراً في سبيل السلم قال « إن الشعب الألماني ليس مستعداً لأن يقبل آلام ثلاثة ملايين ونصف مليون أو يشترك في تحملها.

إني أستطيع أن أؤكد لساسة لندن وباريس أننا عازمون على الدفاع عن مصالحنا في جميع الظروف . وإني أفضل أن أتحمل الضيق والخطر والاضطهاد على أن أعدل عن تحقيق هذا الواجب »

وبعد أن أبان الأعمال التي قام بها منذ ٢٨ مايو (مايس)

الأخير لتعزيز قوى ألمانيا الحربية قال : « لقد بذلت هذا الجهد لأضمن السلم ، ولست على استعداد لأن أشاهد اضطهاد الشعب الألماني في تشيكوسلوفاكيا بهدوء لا حد له. إنهم يريدون الشروع في مفاوضات وتسويف الأمور ولكن ذلك لا يمكن أن يدوم »

« إن ما يريده الألمان هو حق تقرير مصيرهم بأنفسهم ، وهذا ما يتمتع به كل شعب بدون شك . إنى أريد أن ينتهى اضطهاد ثلاثة ملايين ونصف مليون من الألمان فى تشيكوسلوفاكيا ، فان المسألة مسألة مواطنين ألمان ، ولا أرغب فى أن تنشأ على الحدود الألمانية فلسطين أخرى ، فألمان تشيكوسلوفاكيا لن يظلوا بدون دفاع ولن يتركوا لأنفسهم ... »

وقد ختم الهر هتلر خطبته بقوله : « إننا لن نذعن بعد الآن لارادة أجنبية ، وإننى أقسم على ذلك وليساعدنى الله »

أصر الهر هتلر فى خطابه على وجوب إعطاء السوديت الألمان « حق تقرير مصيرهم » ولم يطلب صراحة فصلهم عن حكومة براغ وضمهم إلى ألمانيا ، لعلمه حق العلم بأن الألمان السوديت إذا أعطوا حق تقرير مصيرهم يقررون الانضمام إلى الريخ الألمانى ، وليظهر للعالم بأن ألمانيا لا تريد التوسع فى أوربا وإنما البلاد المأهولة بالألمان ، خارج حدود الريخ، تريد الانضمام إليه

كان لخطاب الهر هتلر تأثير عظيم على نفسية الألمان السوديت وأنتج تغييرا أساسيا فى مطالبهم القومية ، إذ أعلنوا أن مطالبهم الثمانية المعلنة في كارلسباد لم تعد أساسا صالحا للمفاوضات . وطافت جموعهم فى الشوارع طالبة الاستفتاء ، وقامت مظاهرات نادي القائمون بها بالانضمام إلى ألمانيا ، هاتفين: « شعب واحد ريخ واحد ، زعيم واحد » .

أدى هذا الهياج إلى حدوث اضطرابات ومصادمات اضطرت الحكومة إلى إعلان الأحكام العرفية . غير أن ذلك لم يرق حزب السوديت فأنذر الحكومة فى ١٣ أيلول وقدم إليها مطالب منها إزالة هذه الأحكام . وأمهلها ست ساعات ، مهددا بعدم استئناف المفاوضات . وردت الحكومة على هذا الانذار بأنها لا ترى مانعا من قبول مطالب الحزب إذا وجه الزعماء إلى الشعب نداء يناشدونه فيه احترام القانون والنظام ، وجاء وفد منهم إلى براغ للمفاوضة فى هذا الشأن .

لم يأبه حزب السوديت لرد الحكومة ، بل أصدر بلاغا جاء فيه « أنه لم يعد من الممكن مواصلة المفاوضات على الأسس التى اتبعت حتى الآن . ولذلك أعفى الهر هنلاين الوفد من مهمته وشكره على جهوده » . وفى اليوم التالى طلب حزب السوديت رسميا من حكومة براغ أن يكون للألمان السوديت حق تقرير مصيرهم . ونقل الحزب مركزه من براغ إلى اشن ليكون قريبا من الحدود الألمانية .

وفى ١٦ أصدر الهر هنلاين بيانا قال فيه « إننا نريد أن نعيش عيشة الألمان الأحرار ، إننا نريد أن نعود إلى الريخ » . وأخذت صحف الألمان تحمل حملة عنيفة على تشيكوسلوفاكيا ، ومما قالته جريدة « فولكشر بيوباختر » صباح ١٧ سبتمبر (أيلول) ، أن الوقت قد حان لابعاد المسيو بنيش عن مسرح السياسة الدولية الأوربية وإزالة دولة من خريطة أوربا .

إن انقطاع المفاوضات أضاع الأمل فى الوصول إلى حل سلمي، دون تدخل الدول الأخرى » ، وقال اللورد رنسيمان فى الكتاب الذى أرسله إلى المستر تشمبرلن فى ٢١ سبتمبر (ايلول) إن مسئولية قطع المفاوضات النهائية فى رأيى ، تقع على الهر هنلاين والهر فرانك ، وعلى هؤلاء من مؤيديهم ، داخل البلاد وخارجها ، الذين كانوا يحضون على أعمال العنف وعلى الأعمال غير الدستورية»

أقلق خطاب الهر هتلر وما تبعه من اضطرابات وقطع المفاوضات فى تشيكوسلوفاكيا ، الرأى العالمى وبالأخص فى لندن وباريس ، ودعاهما إلى بذل آخر ما لديهما من جهود فى سبيل حفظ السلام . فما هي هذه الجهود ؟ وماذا كانت ثمرتها ؟ هذا ما سنعرضه فى مقال آخر .

يوسف هيكل

المستشرقون الايطاليون

في مؤتمر بروكسل الدولي

للدكتور أومبرتو ريتزيتانو

نشرت «الرسالة» الغراء في عددها (٢٧٤) مقالا بسطت فيه أعمال مؤتمر المستشرقين الدولي العشرين المنعقد بمدينة بروكسل في الثلث الأول من سبتمبر الماضي بدار الأكاديمية البلجيكية. وقد لاحظت أن الدكتور مراد صاحب المقالة لم يذكر في حديثه عن المؤتمر إلا ثلاثاً من المحاضرات التي ألقاها المستشرقون الايطاليون ، بينما كانت لمستشرقي إيطاليا في المؤتمر المذكور بحوث قيمة في موضوعات طريفة ، ولذلك أرى أن أتلافى هذا السهو على صفحات هذه المجلة المجيدة . ففي القسم الأول الخاص بالعلوم المصرية والأفريقية القديمة مثل إيطاليا الأستاذ بيننيو فرارو مدرس علم الآثار واللغات السامية والحامية في جامعة مونتفيديو عاصمة الأورجواي بأمريكا الجنوبية، وكان موضوع محاضرته «الضمير في اللغات الكوشية» المنتشرة في بلاد الحبشة . وأعقبه في هذا القسم نفسه المدير العام للشئون السياسية في وزارة أفريقيا الايطالية بروما (وهو اسم أطلق حديثاً على وزارة المستعمرات) الذي أسهب في الكلام عن الأبحاث الايطالية في لغات السدامة الشرقية ومركزها بين اللغات الأخرى، ولخص في نهاية خطابه النتائج التي وصل إليها الايطاليون في هذا الميدان العلمي

أما في القسم الرابع الخاص بالهند فقد مثل إيطاليا فيه الأستاذ أمبردجيو باليني من جامعة ميلانو ، والأستاذ فيتوري بيزاني مدرس تاريخ اللغات الكلاسيكية المقارن بجامعة كاليري بجزيرة سردينيا، فقرأ أولهما بحثاً من أبحاثه الطريفة استرعى الانظار، وألقى الثاني محاضرة عن «المهابهاراتا» وهو الكتاب المشهور عند الهنود — وعن تكوينه الاول

أما القسم الثامن الخاص بالعلوم الاسلامية، فقد اشترك في الكلام فيه جم غفير من المستشرقين الايطاليين. ومن المعروف أن إيطاليا تهتم اهتماماً متواصلا بعلوم الشرق الأدنى نظراً لما لها من المصالح السياسية والتجارية والثقافية في هذه الأصقاع. وهذا هو بلاشك السبب الأساسي الذي يدفع الايطاليين إلى الاسترسال في دراسة هذا القسط من أقساط علم الاستشراق . فتكلم الأستاذ جويدي مدرس اللغة العربية وآدابها في جامعة روما عن نشرته الحديثة عن مخطوطات الكندي المنقولة من نسخة أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢، كما ألقت السيدة الدكتوره لاورا فيتشيا فاليري المدرسة بجامعة نابولي بحثاً عارضت فيه مشروع تيسير قواعد اللغة العربية وذكرت آراءها بصراحة في هذا الموضوع الخطير الذي تعنى به وزارة المعارف المصرية في وقتنا هذا — كما قام الأستاذ «بومبي» القانوني الايطالي من جامعة ميلانو ، بذكر بعض الملاحظات الانتقادية في مقارنته بين الكتابين المعروفين «بالمجلة» و«مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الانسان» للمرحوم محمد قدري باشا

أما في الأدب العربي الأموي فقد تكلم من المستشرقين الايطاليين الأستاذ جابرييلي من معهد نابولي الشرقي ، والدكتور ريتزيتانو كاتب هذا المقال ، فتكلم أولهما في خطبة فصيحة عن الشاعر الأموي «كثير عزة» وراويه جميل، والعلاقات الودية التي كانت بينهما. أما الثاني فقد تكلم عن الشاعر الأموي «أبو محجن نصيب بن رباح» وعن الضرورة القاضية بدراسة وافية لشعراء العصر الأموي المقلين لمعرفة شتى الأخبار الموجودة في شذور إنتاجهم الشعري المتفرقة في مختلف كتب الأدب والتاريخ، كما اقترحت السيدة الفاضلة «أولجابينتو» نشر دراسات عن الرحالة الايطاليين ورحلاتهم في الشرق الأدنى. ولعمري إن هذا المشروع ليستحق كل الاهتمام لأنه سيقدم مساعدة مهمة لعلم الخرائط الجغرافية ونقدها.

كذلك عرفنا الأستاذ بومباتشي من جامعة نابولي بكتاب قد سكنت ريحه عن النحو التركي ألفه راهب يسوعي في القرن السادس عشر

ومما لا شك فيه أن علم الاستشراق في أوربا وبصفة خاصة في إيطاليا قد ازدهر ازدهارا عظيما في الفترة الواقعة بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر. وإن اهتمام بلادنا بالعلوم الشرقية يرجع إلى عناصر مختلفة من بينها الروح التجارية المتواصلة ، والتبشير المذهبي الديني في بلاد الشرق؛ وعلى العموم الرغبة العلمية المستمرة. ولقد التفتت النهضة الايطالية نحو الشرق — الأدنى منه والأقصى —

فى دائرة الانتاج الأدبى حوالى منتصف القرن الماضى حين ثبت أن الحاجة ماسة فعلا إلى ضرورة الاستمرار فى هذه الناحية من نواحى العلم والأبحاث ، وإنى لا أتردد فى القول بأن كل الفضل يرجع إلى المستشرقين الثلاثة ميكيلى آمارى وجرارنا دواسكولى وانيازيو جويدى فى كثير مما شرع فيه ومما تم من التقدم وإيقاظ الهمم فى هذه الفترة . كما أنه كان من أسباب إنجاح هذه الحركة العلمية الجديدة المساعى القيمة التى قام بها هؤلاء الأنصار الثلاثة الذين استوفت أبحاثهم ودراساتهم وانتشرت فى العالم أجمع

دكتور
أومبرتو ريتزيتانو

الكونتس فالنتين دى سان بوا

للأستاذ كامل يوسف

جرى قلمي فى كلامي عن المرحوم ولى الدين بك يكن بذكر الكونتس فالنتين دى سان بوا ، وبما أنها من الدوحة الشاعرة التى أنجبت لامرتين شاعر الجمال والحب ، ومؤلف عشرات الكتب التى تفيض بالشاعرية والخيال الخصيب ، أحببت أن أكتب كلمة عنها لتعريف المصريين بها

فهى حفيدة لامارتين ، أو على الأصح ابنة ابنة أخته ، ورثت من خال أمها الروح الشاعرية وسمو الخيال ، فكانت شاعرة من الطبقة الأولى لا يشق لها غبار. ويمتاز شعرها بالروح الصوفية . وهو ككل شعر صوفى مبهم يحتاج للشرح والتعليق حتى يدرك القارىء كنهه . وقد بدت هذه النزعة فى ديوانها الشعرى الذى اشتهرت به ؛ ويكاد يلمس القارىء لهذا الديوان روح نيتشه فى كتابه « هكذا قال زرادشت » ، بل إنه يسير على نمطه فى الأسلوب. وقد أبديت رأيى هذا فى عام سنة ١٩٢٨ للأدباء الذين كانوا يحيطون بها فلقى منهم التأييد ، لأن الكونتس كانت تعجب بنيتشه كشاعر فذ ، خصوصاً فى سفره « هكذا قال زرادشت » وكانت لا ترى فيه فيلسوفاً له مدرسة فلسفية خاصة

وهذه الروح الصوفية هى التى حدت بها إلى الاقامة بمصر ، فهى زوجة وزير من وزراء فرنسا وزارت أسبانيا ، وشاهدت هناك جامع قرطبة ، فأعجبت بالفن العربى ، واتخذ هذا الاعجاب صورة فعلية فأرادت أن تلمس حياة الشرق وتختبر روحه ، فتركت فرنسا بما فيها من مدنية وجاءت إلى مصر باعتبارها المركز الروحى للبلاد الشرقية ، وكان هذا الولع بروح الشرق المتصوفة دافعاً لها على إصدار مجلتها الشهرية « فينكس » للدفاع عن أمم الشرق قاطبة . وقد أنفقت على هذه المجلة مالاً وفيراً ، وظلت أكثر من عامين وهى تسخر قلمها البديع لهذه الغاية السامية ولكنها لم تستطع الاستمرار فى إصدار مجلتها لنضوب مواردها من أملاكها بمقاطعة سان بوا بفرنسا ومن ربح مؤلفاتها الكثيرة ، وذلك عند هبوط سعر الفرنك فى سنة ١٩٢٨

وقد بدت الروح الصوفية عند الكونتس دى سان بوا فى أجلى صورها عند ما لجأت إلى أسلوب مبتكر للتعبير عن المعانى الباطنية للحقائق الظاهرة ، وقد أطلقت على هذا الأسلوب لفظ « الميتا كوري » وقد جاهدت كثيراً فى نشره فى فرنسا وأمريكا وأنفقت المال فى سبيل تقريبه للأذهان ، ولكن غموضه كان عقبة كأداء فى سبيل ذيوعه . وقد نشرت كثيراً من الرسوم بريشتها لإيضاح غاياتها ، ولكن العالم الأدبى لم يفهم ما تريده الشاعرة من هذه الحركة الصوفية . وقد حاولت أنا وصديقى الشاعر فولاد يكن أثناء اتصالنا بها بحلوان أن نفهم هذه الحركة كما يجب ، فلم نخرج منها بأكثر من أنها نوع من الرمزية فى الشعر والرسم ترمى إلى إبراز المعانى الباطنة لظاهر الأشياء . ولما رأت عدم استعداد العقول لفهم نظريتها — التى تقول إن فنانى الاغريق كانوا يعملون بها — اتجهت للدفاع عن بلاد الشرق المهضومة الحق ...

وقد أقامت الكونتس دى سان بوا بحلوان بقصر محمد بك أنسى بشارع سيد احمد باشا . وكانت دارها ندوة للأدباء زارها فيها الدكتور ماردريس المستشرق الفرنسى المعروف وقدم لها ترجمته الفرنسية لكتاب « ألف ليلة وليلة » وكتب الاهداء بالعربية : « هدية من الشيخ الماردريسى » . وكان أول من اتصل بها من المصريين الشاعر الكبير فولاد يكن ، وحدث ذلك على أثر زواجه من مدام (س) الفرنسية (وهى زوجة أحد كبار كتاب فرنسا) التى استقدمتها وزارة المعارف لتتولى نظارة مدرسة بنات الأسر الراقية . ومع أن هذا الزواج لم يطل فقد كان سبباً فى تعرف الأستاذ فولاد يكن بالكونتس ؛ وقد رأت فيه الشاعرة مواهب شعرية تنبئ عن مستقبل زاهر فى عالم الشعر فاحتضنته ،

وجمانه كابنها ، وأقام بمنزلها بحلوان يأكل ويشرب ويتريض معها كأنه فرد من أسرتها . وقد أنتجت هذه الصداقة ثمارها إذ قدمته لدور النشر الفرنسية فنشرت له بعض مؤلفاته الشعرية والنثرية مقدمة بقلمها البليغ

وكان يجتمع فى دارها الأدباء . وقد قدمنى فولاد يكن إليها كأديب ناشئ مهتم بالأدب السكسونى وخصوصاً فن برنارد شو الذى كنت أؤلف فيه فى ذلك الوقت كتاباً عن آرائه فى الحياة والأدب والفن والسياسة . وكانت تعرف عنى هذا الاهتمام فكانت تدعونى « برنارد شو الصغير » . وقد قدمتنى فى إحدى حفلاتها الماسونية لاحدى زوجات سلطان تركيا المخلوع التى قدمت إلى مصر وألقت بنفسها فى النيل عند قصر النيل . وكانت هذه الأميرة على غاية من جمال الخلق والخلق ، تركت فى نفسى أثراً لا يمحى، إذ تمثل لدى فى هذه اللحظة عظمة الملك ممثلة فى شخص هذه السيدة الكريمة ؛ وهى فى رزانتها وصمتها أبلغ منها وهى فى أبهة العرش . وقد حدث أن ثارت بين أديبين مناقشة عن أدب هوجو ، وكان أحدهما يرى أنه فن مزخرف أجوف ، وكان يعارضه الآخر بأنه أدب حى ، وأبديت رأيي فى هذه المناقشة بأسلوبى الفرنسى العاجز ، وكنت وقتئذ لم ينضج على بالفرنسية لانصراف للأدب الانجليزى، فسخر من أسلوبي صديقى فولاد يكن، ونعته بأنه فرنسى صينى ، ولم ينجنى من حملته علىّ إلا السلطانة ، فقد عطفت على بأن قالت : إن أسلوبي كإنسان لم يدرس الفرنسية بالمدارس لا بأس به . وقد حمدت لها هذا الموقف الذى خلصنى من المأزق الذى تورطت فيه

وتشاء الصدفة أن أقرأ إبان تعرفى بالشاعرة الكبيرة قصة « روفائيل » ترجمة الأستاذ الكبير احمد حسن الزيات ، وأردت أن أذكر لها اهتمامنا فى مصر بأدب جدها لامرتين، فذكرت لها أننى أقرأ ترجمة عربية لرفائيل تكاد فى بلاغتها أن تكون صورة ثانية للأصل الفرنسى ؛ وذكر الاستاذ فولاد يكن تمكن الأستاذ الزيات من لغة العرب والفرنسيين مما جعل الترجمة تحفة من التحف فى أدبنا المصرى الحديث ، وقد أعجبت الكونتس بذلك كثيراً . ولكنها كانت لا ترى فى « رفائيل » العمل الفنى الذى يجب أن يخلد به اسم جدها بمصر ، وقالت فى ذلك إنه مؤلف يسوده الاغراق فى المبالغات مما جعله فى مرتبة أقل من غيره من المؤلفات الأخرى ، وقد ذكر الدكتور منصور بك فهمى فى مقدمته لترجمة الأستاذ الزيات مثل هذا الرأى ، وأن ذلك قد دعا لامرتين نفسه إلى إعادة النظر فى مؤلفه هذا فى الطبعات التالية فأبعد عنه بعض المبالغات العاطفية التى أخذها عليه النقاد

وللكونتس دى سان بوا رسامة ماهرة ترسم بالزيت وتحفر على الخشب ويشوب رسومها الروح الصوفية ، وهي تزين دارها بهذه الرسوم. وقد بلغت براعتها فى الرسم أنها كانت تحفر صورتها على الخشب فكانت ملامحها تنطق كأنها رسم فوتوغراف . وقد انصرفت فى السنين الأخيرة إلى التحرير الصحفى وتولت رياسة تحرير أمهات الصحف الفرنسية بمصر . ويمتاز أسلوبها الفرنسى بالجزالة الكلاسيكية ، وقد اكتسبت أثناء إقامتها بمصر صداقة الشخصيات البارزة في المجتمع المصرى

وأختم كلمتى عنها بما تبديه من عطف على الشرقيين ، فقد كانت تغشى حفلات العرب الذين يعيشون فى الخيام بقرية حلوان البلد الواقعة على النيل فى الليالى القمرية ؛ وكانت تعجب بسمرهم ؛ وكانت تنثر على أطفالهم النقود ، لذلك كانوا يحفظون لها هذا الجميل . وقد أعربوا عن عرفانهم لهذا الجميل فأهدوا إليها كلبا من كلابهم الضخمة ، أطلقت عليه اسم « بطل » وكان هذا الكلب موضع عنايتها ، وكانت توكل إليه حراسة دارها ، وعند ما تركت حلوان وأقامت فى إحدى فنادق القاهرة الفخمة أخذته معها ، وكانت تفخر به على الدوام لأنه (عربون) مودة لا يصح التفريط فيه

كامل يوسف
عضو بالمعهد الفلسفى البريطانى

حاشية : يأسف الكاتب لعدم إيراد أمثلة من شعر الكونتس ورسومها لأن مكتبته فى طريقها إلى كوم حمادة حيث سيحل ترحاله .

الحـــالمون

ترجمة السيدة الفاضلة «الزهرة»

الحالمون هم الذين أقطعونا فى الدنيا جوانب العيش الخصب المريض، والخير الجم المستفيض، وأرشدونا إلى مبادرة السوانح، وفتحوا لنا أمصار الفرص البيض. ولعله لم يخطر لك ببال مطلقاً أن ما تردد فيه طرفك، وتمدّه من خاص ملكك فى هذا الكون الوسيع، منتسب إلى عطاء حلم رائع تحقق، ورؤيا مجيدة صدقت ...

أدر الطرف حولك واسأل : مَنْ ذا الذى منحنا النعم المألوفة لدينا، والصنائع الشائعة بيننا؟ ومَنْ ذا الذى أسبغ علينا النور ليلاً، وحبانا بالمقدرة على الطواف حول العالم؟ ومَنْ ذا الذى أباد الوباء ومحق الطاعون، وأعاننا على قهر جميع العلل والأدواء؟

لقد ملأت جميع هذه المواهب الكبيرة صدر العالم، وتتابعت علينا تتابع القطر على القفر، فورثناها مع الهواء الذى نستنشقه، وتلك الصيحة الظافرة تنبعث إلينا من أروقة الزمن قائلة : «وجدتها! وجدتها!»

إن أرخميدس لم يقم بمظاهرة هائلة حين باح للعالم بسر الثقل النوعىّ، ولكنه قفز من حمامه فجأة، وراح يركض فى طرقات المدينة متهللاً، ويهيب بالناس قائلاً : «وجدتها! وجدتها!»

وكذلك كانت تلك الروح الزخارة، التى أنعشت دنيا العلم قاطبة، دون أن تضطرب بحب الكسب والنفعة الشخصية، فى كيان أى رجل ممن أثقلوا الكواهل بأياديهم التى يفرض لها الشكر ويتحتم، لأنهم بذلوها فى سبيل المصلحة العامة، وأضافوها إلى حصائل العمران من فيض سجاياهم البارة، بسخاء نفوسهم الأمارة بالخير، المطبوعة على المعروف كأنه غريزة فيها تشبه غريزة التغريد في الطير، وعنصراً من عناصرها يحاكى الجمال والشذى فى الزهر ... وكانوا جميعهم سعداء مغتبطين إذ مكنوا الانسان من حكومة نفسه، وضاعفوا قدرته على تصريف أموره والأخذ بناصيتها، وقد حملوا ألوية جهادهم، وبنود كفاحهم، وكلمات كبار «الجالدين» المستميتين من معشر الرومان، تتدفق من شفاههم، ولكن بروح من النبل الذى يبز كل ما اختلج من معانيه فى حياة أولئك الرومان الغرّ الميامين وكأنهم كانوا يخاطبون الانسانية بلسانهم قائلين :

«نحن الذين نوشك أن نموت موت الايثار والمفاداة نحييك يا قيصر!»

حقاً إن انتصاراتنا الباهرة على ويلات الحياة مسجلة في سير كثير من أولئك الجالدين البررة. ولئن لم يكن الموت فى سبيل العرفان وآيات الجهاد من نصيبهم على الدوام، فان مثابرتهم الصامتة كثيراً ما كانت محفوفة بجرائر جسيمة تتحيف الصبر وتهد الأركان وتجعل الموت عذباً مستساغاً؟

وإننا لنعلم أن «ولیم هارفی» حين أعلن فى محاضراته المتواضعة سير الدورة الدموية فى الجسم الانسانى، وفتح الأذهان لأول مرة لتفهم سر من أسرار الوجود المظيمة لم يكن يطمع فى منحة أعظم من إقبال الناس على أبحاثه وقبولها بروح العطف، بيد أن العالم أبى عليه هذه المنحة. وغاليلو لم يتطلب منفعة من اكتشافاته التى جلّت للأفهام حقائق كثيرة فى الفلسفة الطبيعية، بل كان جزاءه التهديد بالتعذيب، ووجد غنمه الأكبر فى نجاته من هول الخازوق والعذراء : آلة التعذيب بمطّ الجسم!

ولقد مات «تيخوبراه» فى أحضان الفاقة والشقاء لأنه قشع عن العقول البشرية غيوم الترهات والخزعبلات التى كانت تدفعها إلى الفزع من الأجرام السماوية والكواكب السيارة. وقد أحدث «دارون» وهو فى مرتقاه الرفيع، فوق ذروة تلال «كنت» ثورة عظيمة فى العقول لم يسبق لها مثيل فى كل ما أحدثه عالم من علماء الطبيعة. بل إن الراهب «مِندل» فى حديقة صومعته المشمسة، وبنحله وبيازلته قد بلغ حيث لم تبلغ جهود دارون فى كل ما توصل إليه لاكتشاف ناموس الوراثة. ومع ذلك فقد لاقى هذان الرجلان المناجزة والعداء «مع أن راهب برن الشيخ» قد أسبغ مَنّاً عظيمة كفلت الغذاء الصالح للانسان والحيوان، وأدخل على نتاج العالم الحيوانى والنباتى تقدماً لم يسبقه إليه أى إنسان بل أى جيل من الناس. وكل من يبنى

أن يجيء اليوم بسلالة جديدة من الماشية والأغنام ، أو نوعاً جديداً من الزهر والتمر والبر والحنطة، لابدله أن يتبع النواميس التى اكتشفها وفسرها الراهب الشيخ فى حديقته ببلدة «برن» وكل ديون العالم تقصر عن الوفاء بحقوقه التى لم يتقاض لأجلها شيئاً من العالم ، أو يفرض عليه أجراً لها ، بل إنه لم يؤثر نفسه بامتياز من امتيازاتها أو يحتكر حقاً من حقوق اكتشافها، وذلك لأنه كان رجلاً من الرجال الذين يتمنون بالأحلام .

وكذلك كان الحال فى الثروة المادية التى تنشط اليوم مئات الصناعات والحرف ، وتوطد دعائم حضارتنا ، ونحن لا نستطيع بحال من الأحوال أن نحصى أياديها لأنها لا تعد ، ولا تقف عند حد . على أن الاستفادة بها والتغنى بذكرها هما جل ما يبغيه أولئك الأعلام الذين جدوا وسعوا دون أن يتطلبوا جزاء ولا شكورا فى سبيل الانارة والنهوض بالانسانية .

ولقد انتقل العالم من عصر الحديد إلى عصر الفولاذ فعصر الكهرباء واللاسلكى ، وجميع هذه الاكتشافات الأساسية التى غيرت وجه الوجود من عصر إلى عصر قد أغدقها علينا رجال أفاضوا شآبيب رحمهم وسحب معلوماتهم وذكائهم كعطايا سمحة لأهل جيلهم . فنحن نشيد عمراننا على أسس وضعها أولئكم المجاهدون الصناديد الذين اتخذوا من ميادين النزال ومعامع الكفاح مدارس للبحث والتفكير والاستقراء ومعملات للاختبارات والتجارب العلمية . ولقد قدم نيوتن ونابيرلمصرهما آلتين من أفضل ما جاءت به مستحدثات العلوم الرياضية فزودوا العلم بقوة عقلية تفوق كل وصف . وقد أثبت الطبيب دالتون تلك الصورة النهائية القطعية لنظريته العجيبة — نظرية تركيب الجوهر الذرى . كما وضع العالم الانجليزى جول الأساس الراسخ لجميع الأعمال الباهرة التى تجرى الآن فى دائرة « استحالة الاقتدار » وقد ورث العلامة العظيم جيمس كلارك مكسويل ثروة طائلة من أمالى الفلسفة الطبيعية فاستغلها فى التمهيد لاكتشاف التموجات الأثيرية بعد أن تمكن من إدراك أبعادها وتقدير مساحاتها ومقاييسها . وتناول هنريك هرتز الألماني أعمال ذلك العلامة الانجليزى فتمكن من إشعاع أمواج اليكترماجنتيكيه (المغناطيسية الكهربية) بواسطة جهاز كهربائي للذبذبة وجعل العامل الأساسى لانتاج هذه الأمواج الشرر الصغير الذى كان يظهر من ثغرة صغيرة فى أداة معدنية فيعبر الغرفة دون أن تكون هناك أية حلقة للاتصال غير الهواء . ولقد انسحق قلب دافيد ادوارد هو ، من جراء الفشل الذى صادفه فى تجاربه اللاسلكية ، ولكن جيلاً من الناس الباحثين المستطلعين أفلحوا فى تحقيق أحلامهم التجريبية حتى ظهر أخيراً المخترع الايطالى العظيم جوليلمو ماركونى وتناول أبحاث أسلافه ولم يزل بها حتى تمكن من زيادة الاشعاع وتحسينه وتنميته وضبطه ، وتوصل إلى إتمام اختراعه فلم يكد يشارف السابعة والعشرين من سنى حياته حتى برهن على مخترعه عملياً وأذاع إشارته اللاسلكية الأولى عبر المحيط الأطلنطيقى ، وبذلك أكمل اللاسلكى أهم رحلة فى حياته مثبتاً للملأ أنه كان سائراً به فى الطريق الموصل إلى ذروة النجاح النهائى بعد أن تجشم صعوبات هائلة وذلل عقبات كبيرة .

ولا شك فى أن أغلبنا يعرف عظم ما ندين به لصمام الحرارة « الترمونيكى » الذى اخترعه الأستاذ « فلمنج » ولا يخفى علينا أن ذلك الصمام ينبعث من كوكبة (هى المصباح الكهربائى) ولكن كم منا يذكر أن هذه الكوكبة لم تكن لتوجد لولا تلك الأنبوبة المفرغة التى ابتكرها سير وليام كروكس ؟ على أن هذه الأنبوبة التى كانت فكرة تتردد فى مخيلة ذلك الرجل المستطلع ، صارت فيما بعد مهداً للخوارق التى بذت جميع ما سبقها من أعمال قوى الطبيعة الغامضة، فقد اكتشف فيها وبوساطتها أشعة «إكس»، وإن من العسير أن نذكر نصف المدهشات التى تأتت من هذه الأنبوبة العجيبة ...

إننا نعيش كل يوم على المواهب الباهرة التى قدمها لنا «هنرى كافنديش» الذى اكتشف غاز الايدروجين ، وجوزيف بريستلى الذى اكتشف الأكسجين، والكيماوي الفرنسى لفوازييه الذى علمنا وظيفة التنفس ... ولكننا قلما نفكر فى الأحلام الطويلة التى استرسل فيها جميع أولئك الفطاحل ، ولعلنا ننسى أن بريستلى فر إلى أمريكا قانعاً من الغنيمة بالسلامة فى سبيل كرازته عن الأكسجين ، وأن الفرنسيين قضوا على حياة

لفوازييه بحد المقصلة الجهنمية مجاهرين بأن الجمهورية ليست فى حاجة إلى جمهرة الكميائيين، وأن العدل يجب أن يأخذ مجراه

إن هذه الفيافى التى نجوس خلالها مترامية الأطراف وعرة المسالك ولكنها عظيمة حقاً لأن رجالاً مجدودين عظاء قد عبدوها وأخضعوها لسلطاننا حباً فى العلم والعرفان ، لا طمعاً فى الربح والكسب :

مقاديم وصالون فى الروع خطوهم ... بكل رقيق الشفرتين يمانى
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية حال أم بأى مكان

على أن هذا لم يكن قصارى جهدهم فان أولئك الناس الذين كانوا ينهضون للعمل مبكرين ويهجعون متأخرين ليكتسبوا من الطبيعة أدق أسرارها وغوامضها ويستغلون أعظم قوى اقتدارها من أمثال الذريات الكائنة ، قد رصدوا ساعاتهم للكد دون أن يعرفوا طعماً للراحة؛ وكانوا إذا تمت المعجزة على أيديهم وتمكنوا من استخدام الجوهر الفرد فى هد الرواسى وزلزلة الجبال وفى إفادة العالم — الذى يكونون جزءاً غير منظور منه — يقدمون هذه المعجزة دون قيد ولا شرط، ويطلعونها عليه طلوع الشمس التى تحفظ الحياة على الأرض . ونحن جميعاً نجنى ثمراته ونتقاسمها دون أن نبذل فى سبيل الحصول عليها فلساً واحداً . وهكذا تتتابع فصول تلك القصة العجيبة التى بدأت مذ شرقت أول شعاعة من شعاعات العلم والمحبة تبدد الظلمات الداجية والأطماع الأشعبية من العقل المعجى والفكر المتوحش القاسى . وإننا لن نجد ما يتلو علينا فصول تلك القصة مراراً وتكراراً، بل إن أفصح من ذلك الذى تحدثنا به تواريخ الطب والجراحة الفائقة عطفاً وحباً ورحمة . فما من مصل مما يستعمل لشفاء الأمراض إلا وينتمى إلى ذلك المصل الواقى الذى منحه للعالم بسخاء دكتور جنر لحمايتنا من تبريح الجدرى . ولا تجرى عملية عظيمة على يد أحد الجراحين اليوم إلا ونجد الجراح والمريض يلهجان بحمد المزة الالهية من أجل جيمس سمبسون الذى جعل القيام بالعمليات الجراحية الخطيرة ممكناً ميسوراً بفضل اكتشافه جواهر المخدرات التى تفقد الاحساس بالألم . أما لويس باستور الذى علم الناس التحرز من المرض بالتطعيم وحفظ الأغذية والسوائل العضوية بالتعقيم فلم يتقاض على جهوده غير الثناء والشكران . وجاء جوزيف لستر واتبع أفكار باستور واستخدمها فى محو الألم ودرء السموم عن الأجسام فكان عدد الذين أنقذهم من الموت أكثر من الذين أبادهم نابليون، وضفر للسلم من أكاليل المجد فوق ما ضفرته الحرب لأعظم أبطالها الظافرين . وقضى حياته وهو يكدّ ويحلم ويحقق حلمه، وبفضله أصبح ميسوراً للجراحة اليوم القيام بكافة صنوف العمليات وأصبح الطبيب القادر على أداء تلك العمليات يفاخر بما أسدته إليه طريقة لستر من تفادى التسمم بل أصبح ينشرها الملأ فيكبر لها مشاهير الجراحين وينهل من فيضها جماعة الطلاب المتعطشين ويجملونها قبلة أنظارهم

وأحسن وجه فى الورى وجه محسن
وأيمن كف فيهم كف منعم

ولقد كان لستر يتقاضى مبلغ خمسمائة جنيه من موسر يجرى له إحدى عملياته ، أما الأجر الذى كان يتقاضاه من فقير لاجئ إلى أحد المستشفيات الخيرية فلم يكن يتعدى عبارة «أشكرك ياسيدى» تتدحرج على شفتى ذلك البائس بصوت مختنق متهدج ؛ وكان الرجل العظيم يعود إلى بيته بقلب يطفح شكراً لله تعالى الذى آتاه القدرة على تخفيف بلاء الصعلوكين

وإذا الرجال تصرفت أهواؤها ... فهواه لحظة سائل أو آمل
ويكاد من فرط السخاء بنانه ... حب العطاء يقول هل من سائل

بيد أن ظواهر هذا البذل الانسانى العظيم لا تقف عند هذا الحد لأن أولئك الرجال الذين يمسحون عنا أمراضنا لا يترددون فى الخطار بحياتهم دون ريث ولا إمهال

مسترسلين إلى الحتوف كأنما ... بين الحتوف وبينهم أرحام
آساد موت مخدرات مالها ... بين الصوارم والقنا آجام

ولا يوجد علاج أو وقاية من أمراض المنطقة الحارة إلا وقد ابتاعوه لنا بأعمارهم الغالية وأنفاسهم الثمينة ، فكان الواحد منهم يجرب علاجه فى جسمه قبل أن يجربه فى مريض . وتاريخ الطب حافل بآيات الشجاعة والولاء والبطولة التى لا تقل عما تفيض به أخبار أعظم الفاتحين

بل إننا حين نذهب بحديثنا إلى عصرنا الحالى العظيم ـ عصر

الهندسة العملية وإقامة الجسور والقناطر العجيبة ، وحفر الترع والقنوات المدهشة نجد الحالم من ورائها جميعاً ، ونجد السفن تجرى من محيط إلى محيط وادعة مطمئنة فى قناة باناما حين كانت الحياة الانسانية لا تساوى قيمة ربع عشرة أيام لعامل عادى ، ولولا أن رجلاً اسمه رولاند روس جلس يحلم ليلة بعد ليلة من خلال منظاره المكبّر ثم عثر أخيراً على البعوضة التى تحمل جراثيم الموت وأخبر العالم أننا نستطيع أن نهزأ بالحمى الصفراء وبالحمى النافضة (الملاريا) لو فعلنا بهذه البعوضة ما فعله باستور بالطمام وليستر بالجراح لما حفرت ترعة بناما . وقد جنى مهندسوها وبناتها أرباحاً طائلة من ورائها، ولكن الرجال الذين ابتدعوها فى أحلامهم ورسموا فكرتها وسموا لتحقيقها لم يأخذوا لأنفسهم شيئاً لأنهم كانوا من ذوى الأحلام وكأن الشريف الرضى كان يعنيهم حين قال

وركب سروا والليل ملق رواقه ... على كل مغبر المطالع قاتم
حدوا عزمات ضاعت الأرض بينها ... فصار سراهم فى ظهور العزائم
تريهم نجوم الليل ما يبتغونه ... على عاتق الشعرى وهام النعائم
وغطى على الأرض الدجى فكأننا ... نفتش عن أعلامها بالمناسم

وهكذا كان الناس يحلمون ويحققون أحلامهم فصيروا عالمنا أجل وأعظم من عالمهم، ومنحوا العالم قوة ليس وراءها مطامع لحالم؛ ولا فوقها منزع لأمنية ولا مرتقى لهمة ، وأصبح من الميسور للانسان الآن أن يجعل من هذه الحياة الدنيا فردوساً ينقش فيه صورة جنة الخلد ويفرش عليه محاسن النعيم الأبدى

(الزهرة)

الى شباب القصصين

كيف احترفت القصة

قصة السيدة ستورم جيمس

للأستاذ أحمد فتحي

حين كنت فى جامعة « كمبردج » عام ١٩١٤ ، تقدمت بأطروحة عن « القصة الحديثة فى أوربا » علمت أنهم سيكافئونني عليها بدرجة جامعية أخرى فوق الدرجة التي أنا متقدمة لاحرازها، وكان ذلك مدعاة لسروري بعض السرور فى ذلك الحين !

وكنت طوال سني دراستي أعلق آمالي باحتراف التدريس ، وكان الأساتذة يعلمون هذه الآمال ويرعونها . ولست أدري ماذا حدث بعد فراغي من الدراسة ووداعي للجامعة ؟ فقد تنكر عقلي لكل تلك الآمال العريقة ! وانقلب كالوحش وقع وشيكا فى الشرك ! وتملكته قوة جامحة غضبى ... وحين ألتفت إلى الوراء أراني وقد كنت بلهاء صغيرة غير مؤذية ، لا تدرى ماذا عساها أن تصنع ، ولا تكاد تتبين سبيلها السوى فى الحياة !

وتحت تأثير ظنوني الكبار بضرورات حياة يكفلها رزق ضيق لا يزيد على خمسين شلناً فى الأسبوع ، التحقت بنادى القراء ، وكانت لى فى تلك الأيام الطويلة فسحة من الوقت أنفقها فى القراءة. ولأول مرة كنت أقرأ وأقرأ غير مدفوعة باعداد أطروحة للجامعة ! ولقد كان كل شيء أقرأه يتيح لى اجترار بعض ماتختزنه حافظتي. على أن القصص قلما كانت تشبع نوازع نفسي. ولقد تناولت أجزاء كتاب « تاريخ النهضة الايطالية » واحداً فواحداً ، وعشتُ بينها فى تأثر وحبور لا يوصف . وعلى الرغم من جهلي بالقيمة العلمية التى يمتاز بها ذلك الكتاب ، فاني مدينة له بدين لن أقوم بوفائه ما حييت !

وبعد تلك القراءات الكثيرة ، وفى تلك الأيام التى لم أكن أجد فيها الراحة الكافية لاستئناف القراءة ، كنت أكتب وحدي ... وكذلك بدأت تسجيل فصول قصتي فى بطء . وإني لأود الآن أن أستدعى ذكريات حالتي النفسية والعقلية حين بدأت كتابة القصة ، فلست أدرى ماذا كان يروق لى أن أصنع ! ومن المحقق أنني لم أكن أتوق إلى تأليف قصة ، ولا ابتكار شخصيات ؛ وفى الكناشة الضخمة — التي أحتفظ بها وحدها — صفحتان أو ثلاث تحوى مذكرات مبعثرة متناثرة كنت قد ضمنتها نواة لقصتي الأولى ؛ وإن معظمها ليبدو لى الآن بلا معنى كما تحوى كذلك مذكرات قصيرة جداً عن شخصيات القصة ؛ التى ألاحظ فيها شيئاً واحداً فريداً ، هو أنني لم أكن قد وضعت لهـا فكرة تامة شاملة ... على أن بعض هـذه المذكرات كان ينتظم النظريات الحيوية التى كنت أومن بها فى ذلك العهد

لا شيء يمشني على تصفح هذه القصة الأولى لأرى كيف ائتلفت من تلك المذكرات المتناثرة فصول كتاب كامل ومن الواضح أن رغبة الطبيعة فى أن تجعل مني كاتبة قصصية ، لم تكن أعظم من رغبة الجامعة فى أن تجعل مني مدرسة فيها ! فليس فى تلك القصة الأولى ثمت فكرة ناضجة ؛ بل بضعة مناظر مترابطة . وليس فيها شخصيات ؛ بل عظام جافة فى وادى عقلي لأفكار مجتمعة لى من سِنِي قراءتي المقيمة ، مقتبسة من « العصر الحديث » متذاكرة من أحاديث التلاميذ . ولا أستثنى من ذلك سوي نسمات سرت إلى قصتي من سماء الوحي ... ! إذ حدث أن تحرر ذهني مرة من صلته بأفكار الناس ، متخذاً سبيله بين آمال الحرية الطليقة ، مما سأذكره مفصلاً فيما بعد !

وشبت الحرب فرحت إلى « ليفربول » وكان أن أحكم على الشرك الذى ظننتني قد نجوت من أسره ! إذ تزوجت وغدوت ربة بيت لم أكن أرجع عن بعض أعماله إلا وقد أنجزت كل أجزائه ؛ وبقدر بغضي للخدمة أصبحت أكثر أمانة من أية سيدة يمكن كراؤها لذلك . وما كان فى وسعي أن أقرأ أو أكتب فى غرفة غير وثيرة إلى أبعد حد ... ! وقد كتبت النصف الباقي من قصتي فى فترات الراحة التى كنت أخلو فيها من عناء الأعمال المنزلية كالطبخ والغسل وتنظيف الأثاث وغير ذلك . ولم أكن قد أنجزت هذا النصف الباقي حين وضعت طفلي فى منتصف عام ١٩١٥ فى « هويتبي » . وبعد ذلك أهملت القصة على ركن من رف ظلت به خمسة شهور فى برد من الغبار !

وفى ديسمبر عدت ثانية إلى « هويتبي » ومعي طفلي وقصتي التى ألقمتها حقيبة ثيابي فى الدقيقة الأخيرة ساعة الرحيل . إذ خطر لى أنني سأكون فى سعة من الوقت تهيئ لى فرصة الكتابة. وكانت الحرب حينذاك مستأثرة بأصدقائي ... محيطة كل شيء بالظلال من كل جانب . غير أن ذهني كان صغيراً جداً وكذلك كانت سني ، فلم أكن أتطلع إلى المستقبل بغير آمال وحدها ...

سرت عدوى « السعال » من شقيقتي إلى طفلي وهو في شهره السادس . غير أن إصابته لم تكن حادة عنيفة . على أنه كان يستيقظ مرات في الليل ليسعل . وذات ليلة كنت راكعة إلى جوار مهده أعنى به وهو نائم ، وأتلهى باضافة شيء إلى قصتي . وكنت ساعتئذ أكثر ما أكون تشتت بال ورهافة سمع . فحدث أن تمثل لي شاب سميته من فوري « بوسكت » ؛ بلغ من شدة تصوري وجوده أن حسبته حقيقة ماثلة لا خيالاً طارقاً ؛ بل لقد خفت أن يكون من لصوص الليل ، غير أني ما لبثت أن هدأت إلى هدوئه ، فقد بدا لي — هو نفسه — خائفاً ! بوجهه المستدير ، وقسماته الغامضة المعقدة . كما تبينت للوهلة الأولى نواحي ضعفه ، وغير ذلك من طباعه وعاداته ! واتفق أن استيقظ الطفل ليسعل فجأة ؛ فأقبلت عليه وما زلت به أطايب خاطره حتى عاوده النوم ، ثم رجعت إلى رجل خيالي « بوسكت » الذي لم يكن فارق ذهني بعد ... ! وظللت أستوحيه ما أكتب حتى صرخ الألم في ركبتي وأنا راكعة عليهما ؛ وحتى تقاصت عضلات معصمي ، وسرى البرد إلى جسدي فاقتادني راغمة إلى الفراش !

ولم أنجز الكتاب كله في ذلك الحين أيضاً ... ولكني أضفت إليه بعض العبارات في أيامي الأخيرة في « هويتبي » . وحدث ذات مساء أن أطفئت الأنوار الكهربائية إيذاناً بغارة جوية من مناطيد « زبلن » . فالتمست في الظلام ورقة صغيرة جعلت أكتب عليها قطعة شعرية من القصة — إلى جانب أمي — على ضوء شمعة ؛ وحين فرغت من نظمها كانت الأنوار قد عادت . فأخذت أقرأ الشعر لأمي ، وأنا شديدة الإيمان بأنه شعر رائع ، وهي تزعم كذلك أنني شاعرة مطبوعة !.

وفرغت من الكتاب عام ١٩١٦ في « كمبردج » ولا أستطيع الآن أن أستدعي الكثير من الذكريات عن ذلك العهد . غير أني كنت ولم أزل قليلة الفراغ كثيرة التاعب . وعلى أي حال فقد انتهيت من كتابة القصة ، ثم رقمتها على آلة كتابية عتيقة بالية ، فاستغرق ذلك حيناً ...

وحين رحلت عن « ليفربول » في ربيع ١٩١٧ ، كان معي الكتاب مكتوباً بأحرف الآلة الكاتبة ، بعد أن رفضه أحد الناشرين لما « دكورث » وقد أرسلته من « ريدنج » إلى ناشر آخر . ومع أن الكتابة القصصية لم تكن تروق لي كثيراً ، فقد لبثت أرتقب ما ذا يقدر لكتابي الأول ، الذي هو محاولتي القصصية الأولى ! وجه إلى المستر « فيشر آنون » الناشر المعروف — الدعوة للقائه ، والحق أنني اضطربت لتلك الدعوة ، وتهيبت ذلك اللقاء . وقبل أن تتم المقابلة آثرت أن أمر بالرجل الذي يقرأ للمستر « آنون » ما يراد نشره ، وقد تلطف الرجل معي ورق حديثه ، ولا أحسبه قد أشار على باحراق قصتي ! ثم لقيت المستر « آنون » نفسه في غرفة مكتبه الأنيقة . وبعد حديث قصير اقترح على أن أقدم إليه أعمالي القصصية « الستة » التالية ! وما كان لي غير إقرار هـذه الصفقة المقترحة من جانب واحد ! غير أن فكرة كتابة قصة بعد أخرى — بدأت تفزعني . وحين هممت بالانصراف من حضرته شيعني إلى الباب ، كأي جنتلمان مهذب رقيق الحاشية ، وفي اللحظة الأخيرة قدم إلى نسخة من قصة « طريق النسر » مصحوبة بقوله « إني أعطيك هـذا الكتاب لتقرئيه ، ولترى كيف ينبغي أن تكتب القصة »

ومضى هذا الحادث عنيفاً . وتركت القصة في مكان لا أذكره ، وافتقدتها فلم أعثر عليها إلا بعد حين ، فأرسلتها إلى دار « كونستيبل » للنشر ، وكنت في بعض ريف « هامشتر » حينذاك .

وتلقيت من « كونستبل » أنهم راضون عن القصة ، راغبون في لقاء المؤلفة ، بيد أني كنت قد زهدت في هذا اللقاء ، بعد ما حدث في لقائي للناشر السابق الذي أراد أن يعطيني درساً في الفن على يدي بعض كتبه ! ومن الجهة الأخرى — لم أكن أود إنفاق أجر السكة الحديدية في سفرات لا أريدها ! وكذلك كتبت إلى « كونستبل » أستفهم عما إذا كانوا جادين في رغبتهم نشر قصتي ؟

وأعتقد أنني سررت حين علمت أن كتابي سيطبع وينشر حقاً ! والواقع أني لا أكاد أذكر شيئاً عن ذلك ، ولكني أرجح أني تلقيت الأمر في قلة اكتراث . وإن ذاكرتي لتختزن القليل من مشهد جلوسي في غرفة بمنزل « ميخائيل سادلر » في لندن ، وإني لأتصور الغرفة الآن وطولها ميل أو أكثر ، كما أتصورني وأنا أعبر طولها ذاك حابية على كفي وركبتي !. وبعد أن تناولنا الطعام تناولت قلمي فأجريته فوق بعض عبارات من القصة زعم صاحبنا أنها غير ملائمة . ولقد ساعد على اقتناعي برأيه السيء فيها زهدي في احتراف القصة . كما أنني تركته يستبعد كلمات من العنوان نفسه

وبعد أن تم التعاقد بيني وبين دار « كونستيبل » للنشر بأسابيع فجأتني حاجة عنيفة إلى المال ، فكتبت إليهم أطلب نقوداً . في حين أنني لم أكن أعلم ماذا صنعوا بعد إتمام التعاقد؟ غير أنني كنت متأثرة باحساس باطني جديد يخيل إلى أن تصرفي ذاك لم يكن أكثر من مشاكسة لا بأس بها ! ثم إني قلت لنفسي

إنهم قبلوا نشر كتابي ... ولا بد أن يكون شيئاً ما ؟ . ولم يكن يتطرق إلى ذهني أن قبول نشر هذا الكتاب لم يكن أكثر من رغبة من الناشر في مساعدتي ! . .

وإن أي إنسان يتوهم أن الناشرين – عدا واحد أو اثنين – قوم غلاظ القلوب – لخليق أن ينكس رأسه خجلاً ، فقد تلقيت بعد خطابي عشرة جنيهات ، ومعنى ذلك أن دار « كونستيبل » للنشر قد زادت خسارتها مقدار هذه الجنيهات العشرة !!

وظهرت القصة في أوائل عام ١٩١٩ ، وعبثاً أحاول تذكر شعوري في ذلك الحين ، وأنا شابة صغيرة السن خاملة الذكر . وكل ما أذكره أنني لم أصادف في الأيام الأولى بعد ظهورها أحداً من الأصدقاء أستطيع التحدث إليه في شأنها . ولعل هذا لم يكن يعنيني كثيراً . . .

ولم يسرني كثيراً – في جهالتي – أن الصحافة قد احتفت بقصتي الأولى . وهي على أي حال لم تظافر بإطراء مسرف . ولكنها لقيت اهتماماً ملحوظاً . ولقد احتفظت حيناً طويلاً بما كتب بين المدح والقدح ؛ احتفظت بهذه الكتابات أربع سنين أو خمساً ، في حين أنني كنت أحرق كل شيء من الخطابات والصحف وسواها ، وكذلك أصنع الآن ، غير أنه يندر أن أحفل بما تكتبه الصحف عني وعن كتبي . ولن أترك بعد موتي قدراً كبيراً من الأوراق ، فإني أمزق خطاباتي بعد تحرير جوابها إلى أصحابها ، كما أمزق المذكرات التي أضمها لموضوعات كتبي ، وكذلك أصنع بمفكراتي الخاصة . كما أني أميط كل أثر لي عن وجه هذه الأرض التي سوف أرحل عنها جد آسفة ....!!

ومن المحقق أنه يكون من بواعث ارتياحي أن أحرق كل نسخة أعثر بها من قصتي الأولى هذه ، وقد نسيت أن أذكر أن اسمها كان « الوعاء يغلي » . . . ومن دواعي اغتباطي أنني موقنة من أنها لم تكن عملاً أدبياً يستحق أن يباع للقراء ! ومن حسن الحظ أن حقوق الطبع بيدي ، فلن يتاح لهذه القصة أن يعاد طبعها أبداً ... إلا إذا عقدت مسابقة في أردأ القصص ! والحق أنها كانت رديئة إلى حد لا يصدقه إنسان . ولكنها قد لا تكون أردأ ما كتبت أنا ! وإن رداءتها المنقطعة النظير لتثبت أني لم أكن أبداً قصصية موهوبة . ولكن فيها درساً لا ينساه كاتب مبتدئ لم ينشأ في أسرة يتكنفها جو أدبي . فلم يكن بجواري حين كنت أكتب قصتي الأولى إنسان واحد يحبوني بنصح أو تحذير . كذلك لم يكن لي من ذوق طبيعي في الأدب ، غير أنه كان بي جوع شديد إلى المعرفة ، شجع في أشنع أغلاطي كمؤلفة ! . . كان رأسي بمثابة « الخلية » تضم « عسل » الرجال الآخرين. وكانت العلة في ذلك هي تلك البرامج الجامعية التي تنتهي بمثلي إلى نيل درجة علمية في اللغة وآدابها . فلقد لبثت ثلاث سنوات أقرأ وأقرأ وأقرأ ... من غير تمييز ! ومن غير أن أجد جواً صالحاً لكي أنضج بما استوعبت في قراءاتي المتعاقبة . وخلفت الجامعة بذهن تعصف به الأصداء ! من غير أن تهذب ملكة النقد الطبيعية في ذهني . والحقيقة أن كاتباً موهوباً لم يكن ليستطيع أن ينتج بمثل ما قدر لي من سهولة الانتاج ! فإن لي لمقدرة على التفكير المنظم والصبر ؛ ولكنها مقدرة قصيرة النظر ! تذكرني دائماً بحصان ركبته مرة واحدة في حياتي ، إحدى عينيه تالفة ، ويتوهم أنه يستطيع اجتياز أي حاجز !!

وبالرغم من نسياني كل شيء عن قصتي الأولى يخيل إلي أنه كانت تبدو فيها مهارة فنية خشنة غير صقيلة ؛ كانت لي في تلك الأيام ولم يتناولها أحد من الناشرين أو الصحافيين بحسبان أنها كتاب « شاب » ناشئ ، مما يجعلني أعتقد أنها كانت عملاً ضئيلاً جداً ، لا يمكن أن يجد مثله اليوم سبيلاً إلى النشر . ولو أن ناشراً أخرجه للناس لما لقي شيئاً من عناية النقد ولا التفات الصحافة

على أن الكاتب المبتدئ الآن قد أصبح عليه أن يقتحم ميداناً شديد الزحام ؛ يكون حسن الحظ لو لم يختنق فيه بعد بضع دقائق ! . فإذا وفق إلى استرعاء الأنظار كان خليقاً أن يأمل في نقد ينتفع بمضه . وهذا الزحام الشديد لا يمكن أن ينكره كاتب ناشئ قليل الأنصار . وإن خير آماله ليجب أن يعقد بعقد صداقات نافعة في الجو الأدبي بأسرع ما يستطيع . فمثل هذه الصداقات خليق أن ينقذه من إضاعة وقته سدى مشتغلاً بكتابة قصة لا يبلغ من أمرها أكثر من أن يسمع لأجلها بضع كلمات تافهة تلق بعدها وهي ترسب آخر الأمر . ومتى علم ذلك الكاتب الناشئ كان جديراً ألا يرفض المشورة بعقد مثل هذه الصداقات محتجاً أن فيها تجنياً على روحه الفني ووقته . وعليه أن يذكر

شجــــرة الذكرى

للأستاذ محمود الخفيف

وَيحَ مَن شجّت يداه الشجَره   وطوت أغصانها المزدهره
ويح من أهوى بفأسٍ لا تنى   تَركتْ أشلاءَها منتثره
قطعتْها سَرحةً طيّبةً   تَبسُطُ الظلَّ وتؤتى الثمَره

***

جئتُ والصيفُ على أهبته   ويدُ الدُّنيــا تُعفّى أثرَه
والخريفُ السَّمحُ فى أعقابه   يتقصّى فى هُدوءٍ خبَرَه
يسألُ القريةَ عما ادّخرت   لليالى المرّةِ المُعتكِره
لا يرى غيرَ فتورٍ سابغٍ   فى نواحيها وصمتٍ حيّره
أتُراها لمحتْ فى بُردِه   شبَحًا للكُدرةِ المُنتظَره ؟
أم ترى أذهلَها ما مسَّها   من لظًى كانت بها مُستعِره ؟

***

جئتُ كالحاجّ وفى مُهجتِه   فرحةُ الناسكِ يقضى وطَره
طفتُ بالقرية من أركانها   كل حُسنٍ أتملّى صُورَه
أتقرّى أينما سِرتُ يدَ الدهـ   ـرِ وأحصى من قريبٍ غِيَره
كلَّما أبصرَ طرْفى للبلى   أثرًا دبَّ إليها كدّرَه
وإذا أبصرَ فيها طارفًا   زادهُ العيشُ عليها أنكرَه !

كلُّ ما غـيّرَ من صُورتِها   كم تمنّى عندَهُ لو لم يرَه !

***

ملتُ للبُستانِ فى أطرافها   ملعبٌ ما كان أحلى منظرَه
فتوقّفتُ لدى مَدخلِه   وتلفّتُّ أريدُ الشجَره
لم أجدْ غيرَ فضاءٍ بلقعٍ   وبقايا أغصنٍ منتشِره
شدَّ ما أوجعَ نفسى أن أرى   ذلك المنظرَ أو أن أذكُرَه
منظرٌ يعرِف ما يبعثُه   من أسًى كلُّ فؤادٍ خبَره
طاف بالبستان منهُ وحشةٌ   فترى الدوحَ عليها غبَرَه
وترى الأطيارَ فى ألحانه   ساهماتٍ ساءها ما غيّره !

***

سَرحةٌ كنّا نرى أيّامَنا   من جديدٍ عندها مُخضوضِره
ولقد كنتُ إذا ما جئتُها   عادَ من عُمرىَ سِنُّ العشره
رُحتُ ألقانى لديها ناشئًا   لا يرى فى العيشِ إلا زهرَه
يعشقُ الريفَ ويهوى شمسَه   ويُناجى فى الليالى قمرَه
إبن عشر تضحك الدنيا له   ليتَــه لم يتجاوز صِغرَه

***

هذه الدوحة كانت مُلتقى   ومقيلاً للصحاب البرَرَه
كم جعلْنا عندها موعِدَنا   وزمانُ اللهو يُزجى زُمرَه
فنهلْنا الودَّ عذبًا صافيًا   لم يشُبْهُ عنتٌ أو أثرَه
زمنٌ قد أدبرَت أنعُمُه   هذه السَّرحةُ كانت مظهرَه
لمستْ كفّى جنانى عندها   وتبدّت مُقلتى مُستعبِره
وحنانى صاحبى مُستنكرًا   وفؤادى مُنكرٌ أن يزجُرَه !

***

كلُّ موتٍ يتراءى لبنى المو   تِ ترى الأعيُنُ فيه نُذُرَه
تلفحُ الأنفسُ فى غمْرتِهِ   يدُهُ العابثةُ المُقتدِره
والذى تألفُهُ نفسُ الفتى   يحسَبُ الناقصَ فيه عُمرَه

محمود الخفيف

داعيًا أنه ينبغى له اختيار أضأل الضررين ... ! ولقد أصبح رزق مثله فى ذلك الميدان وكثير غيره، أعسر مما أتيح لى منذ عشرين سنة. فإن كسب المال غداً أقل يسراً مما كان عليه فى ذلك الحين.

ومع هذا فماذا ربحت؟ عشرة جنيهات فى مقابل عمل ثلاث سنين! بل إن هذا المبلغ لم أكسبه بالطريق العادى فى الواقع ...

وإنى لآسفة حتى الآن على أنى لم أحترف التدريس !

ستورم جيمسن

من وحي العيد

آخر الأناشيد

للأستاذ أحمد فتحي

طابَ لي الزُّهدُ فانْخلِي أو فجُودي
لا أُبالي بالوَصْلِ أو بالصُّدُود

قد تبرَّأتُ من حماقةِ عُمْرٍ ... ضاعَ بين السَّقامِ والتَّسهيد
وأسَتْ جُرحيَ الليالي وأضحيـ ـتُ كما تُبصِرِينَ جِدَّ سَعِيد
ضاحِكاً للحياة ، أهزأُ بالأحْـ ـزانِ ، في عَزْمةٍ ، وبأسٍ شديد
ناعِمَ البالِ ، راضياً بخلاصي مِن فُتُونِ الهوى وأسْرِ القيُود
أتغنَّى كالطَّيرِ ، أملأُ دُنيا يَ . بألحانِ صادحٍ غِرِّيد !

ليسَ بالطارقِ خيالُكِ إنْ أغْـ
ـمِضتُ يُقصِي عن ناظرِيَّ هُجُودي

لا ، ولا عادَني من الشَّوقِ طيفٌ يُلْهِبُ الحبَّ في فؤادي العَميد !

قد مَضى الحبُّ ؛ وانطلقتُ من الأسْـ
ـرِ لظِلِّ الطَّلاقةِ الممْدُودِ !

دُونَ ذي الرَّاحةُ التي كنتُ أرجُو نِعَمٌ مِن راحةٍ ؛ وعَيشٍ رَغيد
يا فتاتي : لقَدْ صحا بعدَ ما أسْـ ـقيتِه مِن سُلافةِ العنقُود
ذلكَ القلبُ ! لم يعُدْ لكِ سُلطا نٌ عليهِ ، فلتبخلِي ، أو فجُودي !
أنْصِتي ، لو وَعيتِ رَجْعَ نَشيدي أنا شاديكِ في غداةِ العيد
لا تُشيحِي عنِّي بوجهكِ حتَّى تأخُذي من فمي حديثَ الخلود
الأماني ... أحَبُّها في بيَاني والتحايا أرَقُّها تغريدي !
وأنا الكافلُ الخلودَ لحُسْنٍ عبقريٍّ مِن مُقلتَينِ وجيدِ
رُبَّما رجَّعَ الزَّمانُ قوافِيَّ م وأصغَتْ آذانُهُ لنشيدي !

أنا شاديكِ في غداةِ العيد
فاسْمَعي حِكمةَ الجوَى واستعيدي

أنتِ أطفأْتِ جذوَةَ الحبِّ إذ أخْـ ـبَبْتِ تذْكِينَ نارَها بالصُّدُود
لا يرُوعنَّكِ التجنُّبُ منِّي ... والتقلِّي بعدَ فرْطِ شوْقٍ أكيدِ
غايةُ الشَّوقِ سلْوةٌ واصطبارٌ وكذا النارُ أمرُها للخمودِ

وكأيَّامِنا ... تحُولُ وشيكاً ... بيضُ هاتِيكِ بعدَ تلكَ السُّودِ
حِكْمةُ اللهِ لا دوامَ لحالٍ ... من نُحوسٍ في الحظِّ ، أو من سُعُود
ولكِ الصَّبْرُ يا فتاتي ، ولي منْـ ـهُ كفاءُ المؤمِّلِ المستزيدِ

جانِبي الوَجْدَ ، وامرَحِي من جَديدِ
وإلى البِشْرِ والتَّفاؤلِ عُودي

وابسِمِي يبْتَسِمْ لكِ الزَّمَنُ الجهْـ ـمُ ، ويغشى الحبورُ وجهَ الوُجودِ
واغنَمِي صفْوَهُ وقد جاءَ يسعَى عِيدُ آمالِكِ الحِسانِ ، وعِيدي

وانشُدِي في الأنامِ « قيساً » جديداً
علَّ أن تبعثِي الهوى من جديدِ

ما تزالينَ من شبابِكِ في غضٍّ م ربيعٍ ، يحكيه غَضُّ الوُرودِ
لا تُضيعيهِ في ابتئاسٍ ووَجْدٍ آفةُ الحُسْنِ لوْعةُ التَّنكيدِ
أو تبالِي هوايَ حينَ تقضَّى فهواكِ الخليقُ بالتَّجديدِ !

يا ليالي غرامِها : لا تعُودي !
قدْ حنَى الدَّهرُ بالتَّجاريبِ عُودي

لا رَعَى اللهُ من زمانٍ تقضَّى في كِذابِ المُنى وخُلْفِ الوُعودِ
قد أقرَّ السُّلُوُّ عينيَّ وأراحَ فُؤادَ المعذَّبِ المعمُودِ

فِيمَ أذوِي الشبابَ بالدَّمعِ والسُّهْـ
ـدِ وأرضَى في الحبِّ طولَ الجحودِ ؟

إنَّما الحُسْنُ فتنةٌ تتبدَّى تخْلِسُ اللُّبَّ من حكيمٍ رشيدِ
وضلالُ الهوى اضطرابٌ من الفِطْـ ـنَةِ بينَ التَّرغيبِ والتَّزهيدِ
وسُمُوُّ الأرواحِ فضلٌ من اللهِ م ووَحْيٌ من العزيزِ الحميدِ !
حبَّذا العُمرُ في زهادةِ نفسٍ عزَفَتْ بي عن كلِّ حسناءَ رُودِ !

أحمد فتحي

مصرع قصيدة ... !

للأستاذ سيد قطب

أحسست مصرعها بنفسي بين التأوه والتأسي
وسمعت حشرجة الجريح تئن في أطواء حسي
هي من بنات الشعر لم تولد ، ولم توأد لوكس !

المركزية في التأليف

في الجامعة وفى وزارة المعارف (شركات) للتأليف ، تفرض مؤلفاتها فرضاً على الوزارة وعلى المدارس وعلى التلاميذ . وهذه الشركات قد بلغت من السلطان والثقة بالنفس والحرص على الغلبة بحيث صارت مناهج التعليم موكولة إليها تغير فيها وتبدل ، وتمحو وتثبت ، وتنقض وتبرم ، وبحيث قد أغراها ما أغرى على أن تتعارك وتتصارع وتتوسل بوسائلها لتضمن كل (شركة) لنفسها الغلبة على ما دونها من شركات التأليف والاحتكار ؟

وأولى هذه الشركات هي شركة الجامعة ؛ وثمة شركتان أخريان في مكتب تفتيش اللغة العربية في وزارة المعارف . وقد بلغ من تنافس هـذه الشركات فى التأليف ما نسجل مظاهره فيما يأتي :

١ — وضعت لجنة تيسير قواعد اللغة العربية — وأعضاؤها من شركة الجامعة للنشر والتأليف ، منهجاً جديداً للبلاغة في السنة التوجيهية ، يقوم على أسس وأصول لا نعرفها من قواعد البلاغة . وإذا كان هذا المنهج جديداً في موضوعه على التلاميذ وعلى المعلمين جميعاً ، كان لا بد من كتاب ولا بد من مؤلِّف ... ونشطت (شركة الجامعة) لمهمتها ؛ ولكن نبأ جاءها أن إحدى الشركتين فى مكتب التفتيش تعمل ناشطة لاخراج الكتاب المرجو في وقت قريب لا تستطيع لجنة الجامعة أن تسبق إليه ؛ ولكن حرص الجامعة على أن يكون كتابها أسبق ظهوراً ، قد ألهم أساتذة الجامعة خطة ، فأصدروا قرارهم بوقف العمل بهذا المنهج حتى تفرغ الجامعة من إصدار كتابها . ومضى شهران من السنة الدراسية قبل أن يعلم التلاميذ والمعلمون فى السنة التوجيهية أن المنهج الذى أعدوا له ودرسوا منه قدراً ما قد وقف العمل به ..

٢ — وللسنة التوجيهية منهج فى الأدب وضعته كلية الآداب، وألف له فيمن ألف اثنان من خيرة المعلمين فى وزارة المعارف . وراج كتابهما منذ العام الماضى رواجاً أغرى إحدي الشركتين فى مكتب التفتيش على مشاركتهما فى ثمراته؛ فصدرت منه الطبعة الثانية منذ قريب وعلى غلافها اسم صاحب العزة المفتش الأول إلى أسماء كثيرة منها المؤلف ومنها صاحب التوقيع ...

وكانت شركة الجامعة تعمل عملها لاصدار كتاب فى الأدب التوجيهى حين جاءها النبأ بصدد كتاب المفتش الأول وزملائه، فسعى ساعيها إلى وزارة المعارف يستعديها على (شركة مكتب التفتيش) . وفي اليوم التالي كان كتاب سرى من وزارة المعارف على مكاتب نظار المدارس جميعاً يمنعهم استعمال كتاب المفتش الأول ويتوعدهم بأقصى العقاب !

جاشت لفاتنة على الشطآ ن ذات رضا وأنس
نضجت محاسنها كما نضجت قطوف جَنًى بغرس
وحسبتها صينت على الـ أنظار من قطف ومس
فهممت أدعوها دعا ء الفن فى خطرات همس
شعراً يسجل حسنها للكون فى أحناء طرس
وإذا الأيادى القاطفا ت تجول فى عبث وبخس!
يا ويل قطاف الجما ل بغير ما ورع ونطس
بينا نحوم عليه فى تقوى كما نرنو لقدس !

***

وإذا التى جاشت بنفسى تثوى مضرجة بحسى !

« حلوان » سيد قطب

واحتج التلاميذ ، واحتج المعلمون ؛ وحق لهم أن يحتجوا ما داموا لا يجدون أمامهم كتاباً فى منهج الأدب التوجيهي غير الكتاب الذى يحمل اسم المفتش الأول . ولكن شركة الجامعة التى تحرص على الغلبة فى هذا التنافس العجيب قد التمست لذلك وسيلة قريبة ، فأشارت بأن يوزع كل ما طبع من كتابها على التلاميذ قبل تمامه ملزمة ملزمة ، وحسب المطبعة أن تسبق التلاميذ بدرس واحد ما دام هذا يحقق الغاية ويفوت على شركة مكتب التفتيش حق الانتفاع بالكتاب الذى ظنت بإصداره أنها ستستأثر بالسوق . .

هذان مثلان حسبنا أن نذكرهما باختصار وبلا تعليق ؛ ولا نظن الفضوليين بعد ذلك يلحون فى السؤال : لماذا تتغير مناهج التعليم بين عام وعام قبل أن تظهر ثمرة التجربة فى منهج من هذه المناهج ؟ فهل لهم فى هذين المثلين جواباً لما يسألون ؟

(م . ا)

اللغة العربية فى مدارس إيطاليا

أبدت الحكومة الايطالية أخيراً رغبتها فى إدخال اللغة العربية بين برامج التدريس فى معاهدها بإيطاليا ، فاتصلت ببعض الجهات الرسمية فى مصر وطلبت إليها إمدادها بالمدرسين الفنيين وموافاتها بالمنهج الذى تقترحه . وقد أبدت هذه الجهات رغبتها فى إجابة هذا الطلب ، غير أنها ترى إرجاء ذلك إلى العام المقبل ، نظرا إلى ابتداء العام الدراسى الحالى فى مصر

ويؤخذ من البيانات الخاصة بهذا الموضوع أن الحكومة الايطالية شرعت فى تدريس اللغة العربية فى مدارسها تحت إشراف بعض المستشرقين الايطاليين . وقد طلبت إلى الحكومة المصرية ، فى الوقت نفسه ، تقوية التعاون الثقافى بين البلدين واقترحت لذلك أن توفد أستاذا ليقوم بتدريس اللغة الايطالية فى كلية الآداب المصرية على أن يتقاضى مرتبه من حكومة بلاده ، غير أن جامعة فؤاد الأول أبدت للحكومة الايطالية شكرها على ذلك ، معتذرة من عدم إمكانها إجابة هذه الرغبة ، فى الوقت الحاضر ، لأن اللغة الايطالية غير مقررة فى مناهج الدراسة بكلية الآداب ، ولأن أمر تقرير دراستها يرجع إلى مجلس الكلية والجامعة . ثم ذكرت أنها ستعرض الموضوع على هذين المجلسين لاتخاذ قرار فيه .

الثقافة فى خدمة السياسة

نشرت الصحف خبراً قد يبدو بريئاً فى مظهره ، ولكنه يحمل بين سطوره نتائج سياسية خطيرة . ذاك هو الخبر الخاص بالجهود التى أخذت تبذلها إيطاليا فى سبيل توثيق العلاقات الثقافية بين مصر وإيطاليا خصوصاً فى ميدان التعليم . .

وبديهى أننا نتمنى مخلصين إيجاد تعاون فكرى وثيق بين جميع بلاد العالم . فمثل هذا العمل إذا تم بين الأمم ، سيساعد بلا شك على إزالة أسباب الخلاف وسوء التفاهم التى أحدثت وهناً ظاهرا فى الروابط التى تربط بلاد العالم بعضها ببعض . ولكن فيما يختص بإيطاليا ، لا يسعنا إلا أن نحترس ونتحفظ . ومما يبرر موقف التحفظ الذى نقفه أن كل ما يحدث فى إيطاليا من الأمور خاضع للسياسة ، حتى العلم والأدب . والمعروف أن السياسة الايطالية ترمى إلى غزو الشرق وإعادة الأمبراطورية الرومانية ، بعد إخضاع الشعوب الشرقية واستعبادها . وما اقتراح إيطاليا إرسال مدرسين لتعليم اللغة الايطالية فى المدارس المصرية على حسابها الخاص ، إلا مظهر من مظاهر هذه السياسة ووسيلة من شتى الوسائل التى تستخدمها الدعاية الايطالية لتمهيد الطريق أمام السياسة الفاشية .

لقد ازدادت الأمور تحرجاً منذ قررت الحكومة الايطالية تحويل لوبيا إلى ولاية إيطالية بحتة ، وطرد أهلها العرب إلى قفار الصحراء ، ليحل محلهم خمسة ملايين من الايطاليين . وما هذه الاقتراحات الايطالية الخاصة بالثقافة. إلا وسيلة لتخفيف وطأة الأثر السيء الذى أحدثته فى نفوسنا مطامع إيطاليا فى الشرق

مبادلات ثقافية! فليكن . ولكننا لا نسمح بحال أن تكون تلك المبادلات الثقافية شركاً للمطامع السياسية

(ع . ن)

دار العلوم وكلية اللغة العربية

نشرت الرسالة (العدد ٢٨١) فى البريد الأدبى كلمة بهذا العنوان تضمنت استنكار الخصومة بين المعهدين من أجل مناصب التدريس فى المدارس ، والاشارة بأن تسوى الحكومة بين خريجى المعهدين فى هــذه الوظائف . والواقع أن دار العلوم فى مستقرها الطبيعى ، ومحاولة المنافسة آتية من جهة الأزهر ، فليس من الحق أن يطالب الأزهريون بالتدريس فى المدارس ، فى حين لم يطلب أبناء دار العلوم بوظائف التدريس فى الأزهر . وليس من المساواة الحقيقية أن يمين الأزهريون فى وظائف التدريس بالمدارس دون أن يمين أبناء دار العلوم فى وظائف التدريس بالأزهر .
هذا إلى أن الأزهر يولى بعض المدرسين من غير علمائه مهمة تدريس العلوم الحديثة بمعاهده ويهمل أبناء دار العلوم وهم أجدر بها

على أن دار العلوم فى عهدها الجديد تنفرد من بين جميع معاهد التعليم بدراسة اللغات الأجنبية والسامية وآدابها ، إلى جانب الدراسة المستفيضة للغة العربية وأدبها، وهذه الدراسة لها أثرها فى خدمة العربية وإسباغ الجدة عليها وتجلية آدابها وتبرئتها من الجمود

وعلى أن دار العلوم أحد معهدى التربية اللذين تنظمهما وزارة المعارف لاعداد المعلم الفنى وتبذل الأموال والجهود لتوفير أساليب التربية الحديثة فيهما ، وجعلهما البيئة الصالحة لاعداد المعلم الذى تتطلبه حاجة الأمة فى نهضتها التربوية . فأن تجاوز الوزارة المعلم الذى تنشئه على عينها وتمــده لمهمــة خاصة إلى غيره ليس من حسن تصريف الأمور وإقرارها فى قرارها . ووزارة المعارف اليوم جادة فى وضع الأسس الثابتة للتعليم ، وقد بدأت هــذه الأسس بتنظيم دار العلوم ومعهد التربية. إذ عليهما يقوم كل بناء فى التعليم

(ع . ح . غ)

البحوث العلمية فى البحر الأبيض المتوسط

عقدت اللجنة الدولية للبحوث العلمية فى البحر الأبيض المتوسط اجتماعها السنوى فى باريس ثم أنجزت أعمالها فى اجتماع ثان عقدته فى مونا كو برياسة الدكتور جول ريشار مدير متحف الابحاث المائية فى مونا كو

وبعد أن تناول الأعضاء بعض المسائل الادارية انتقلوا إلى البحث العلمى فعالجوا مسألة بعض أنواع السمك وتوحيد المناهج لتحليل مياه البحر الأبيض المتوسط والقواعد العلمية لصناعة المأكولات المحفوظة فى ذلك البحر

وقدم رئيس كل وفد بياناً عن الأعمال التى تمت فى بلاده فتكلم الدكتور حسين فوزى مندوب مصر فقال إن المصلحة التى يديرها والتى تبحث فى هذا العلم فى مصر قد أطلق عليها بأمر جلالة الملك فاروق الأول اسم « معهد فؤاد الأول للأحياء المائية وصيد الأسماك » تخليداً لذكرى الراحل العظيم مؤسسها . وقد بسط الدكتور فوزى ما كان من تشجيع جلالة خليفته لهذا المعهد

واقترح الدكتور فوزي وضع الباخرة « مباحث » تحت تصرف البعثة التى ستوفدها اللجنة للقيام ببعض الابحاث فى شرق حوض البحر الأبيض المتوسط وذلك بجميع ضباطها وبحارتها مع أثنين من الاختصاصيين المصريين ، وقد تقرر أن تتولى مصر مفاوضة الدول الأخرى التى تريد الاشتراك فى هذه البعثة وذلك قبل الانعقاد القادم للجمعية العمومية للجنة فى مدينة البندقية

مسابقة التأليف

كانت وزارة المعارف قد أعلنت عن مسابقات فى مختلف العلوم والفنون والآداب ، ابتغاء حث رجال التعليم على البحث والدرس والتأليف

وقد بدأت الوزارة تتلقى رسالات فى هذا المضمار

وستبدأ الوزارة فى الشهر القادم فى تأليف لجان التحكيم لفحص هذه الرسائل توطئة لاعلان النتيجة

جيروم تارو فى الأكاديمية الفرنسية

انتخب المسيو جيروم تارو عضواً فى الأكاديمية الفرنسية فى الدور الأول بأكثرية ١٩ صوتاً ضد ١١ صوتاً نالها المسيو فرنان جريج . وكانت إحدي أوراق الاقتراع بيضاء

وقد ولد جيروم تارو فى ١١ مايو ١٨٧٤ فى سان جونيان بمقاطعة « فسيين العليا » . وقد كان مديراً لجامعة بودابست ثم انقطع إلى الكتابة والتأليف بالاشتراك مع شقيقه جان تارو . ونال الشقيقان جائزة جونكور سنة ١٩٠٦ لكتابهما « دنجلاى كاتب شهير » . وقاما برحلات كثيرة خصصا لها كثيراً من مؤلفاتهما ومنها : « فى بريطانيا » ، « فى فلسطين » ، « مراكش أو سادة الأطلس » ، « رباط أو الساعات المراكشية » . وقد نال جيروم وجان تارو سنة ١٩١٩ الجائزة الكبرى للآداب

عبقرية الشريف الرضي

تأليف الدكتور زكي مبارك

بقلم الأديب حسن حبشي

الدكتور مبارك من أكثر أدبائنا إنتاجا . لا يكاد يضع القلم من كتاب حتى يتهيأ لتأليف آخر . وهذه ناحية من النشاط محمودة . وإنه ليخيل لقارئ كتب الدكتور زكي أنه يضن بما يضطرم في نفسه من خواطر ، وما يجول في ذهنه من أفكار وآراء ألا يسجلها في مؤلفات يطالعها الناس ، ومن هنا كانت كثرة ما كتب ، وقد اعترف هو نفسه بذلك في مؤلفه هذا (ج ٢ ص١٩٧) في الفصل الذي عقده عن حجازيات الشريف

وكتاب (عبقرية الشريف الرضي) والتصوف الاسلامي آخر مطبوعات الدكتور وليسا آخر مؤلفاته ، وأحسب أن لن يكون ثم كتاب أخير له حتى لا يكون في الوجود زكي مبارك

والمترجم له من فطاحل شعراء العربية ، وهو مغمور إن قيس بأنداده الذين ذهبوا بالذكر والشهرة ، أما الرضي فلم يظفر إلا ببضعة أسطر أو صفحات مبعثرة في ثنايا الكتب الأدبية ، وببعض مقالات نشرت هنا وهناك ، وذلك على الرغم من الدور العظيم الذي مثله على مسرح السياسة والأدب في عصره

تناول الدكتور زكي في هذا السفر صاحبه الرضي من نواح عدة ، إلا في السياسة فقد مر عليها مرا سريعا ، كما ألم ببعض مواقف الشريف وحوادثه ، غير أنه كان يعرض أحيانا للرواية دون بحث أو نقد ، وقد يكون ظاهرا فيها الوضع . أو َ ماترى ذلك فيما نقله عن صاحب التبيان (ج ١ ص ٢٧٨) من أن المرتضى نظم ذات يوم أبياتا فوقف به بحر الشعر ، فأشار على من يحملها إلى الرضي ليتمها فأتمها بقوله :

فردّت جوابا والدموع بوادر ... وقد آن للشمل المشتّ ورود
فهيهات من ذكرى حبيب تعرّضت ... لنا دون لقياه مهامه بيد

قال أبو الحسن النحوي : « فأتيت بها المرتضى ، فلما قرأها ضرب بعمامته الأرض وبكى وقال : يعز عليّ أخي يقتله الفهم بعد أسبوع » فما جاء الأسبوع إلا وجاء نعي الرضي . هذا ما نقله صاحب التبيان ، وجاء به صاحب العبقرية ، فانظر ماذا كان تعليقه ونقده عليها . قال : « ... وهذه نادرة يستبعدها الناس ، ولكنها طريفة ، إذ تجعل موت الشريف بالشعر شبيها بحال من يخنقه أرج الأزهار فيموت » أما كاتب هذا المقال فلا يرى فيما نقله الدكتور عن صاحب التبيان إلا قصة ظاهراً فيها الوضع ، وأية دلالة على موت الشريف قد اشتمل عليها البيتان السابقان ؟ ثم أين نقد الدكتور لهذا الوضع الظاهر ؟ أشهد لقد غلب خيال الشاعر على موقف الناقد في تعقيب المؤلف . فان في تعليق الأستاذ مبارك بهذه العبارة السابقة روحا من الشعر ، وعبيقا من الفن الأدبي

ألمّ الدكتور زكي بنواح عدة من الشريف الشاعر ، وأحسب أن مقاله عن الجندي المجهول الذي استهل به كتابه ، إنما هو من المقالات التي تظهر فيها شخصية الرجل الذي يقدر كل التقدير منزلة الشريف ، فهي رثاء للعبقرية الموءودة في كل زمان ، ونفحة من نفحات الاجلال للنبوغ المقتول ، وللذكاء المحكوم عليه بالأهمال في الشرق .

أفرد المؤلف فصلا عن (أسرار العلائق بين الرضي والصابي) مع ما بين الاثنين من اختلاف في العقيدة ، وقد صور المؤلف في مستهله قوة الصلة التي كانت تجمع بين أبي إسحق الصابي وأبي أحمد الموسوي والد الشريف ، ويعرض لأثر الكتاب في هذا العصر (ص٤٩ ج ٢) ، وإلى الألفة والتوافق في المذاهب الأدبية ، وهذا من الفصول القوية التحرير ، القوية العرض ، الدقيقة البحث في هذا الكتاب ، وحجة الدكتور في هذه الصداقة التي تجمع بين الاثنين أن الصابي كان يحبب للشريف أن يطلب الخلافة الاسلامية لنفسه ، وكان الشريف شابا والشبان « يحبون أن يصلوا إلى قمم المجد في يوم وليلة ، ويبحثون عمن يزكيهم ويؤيدهم ويدعي لهم التفوق ، وقد نلفت الشريف وهو طفل فرأى شيخاً جليلاً يتنبأ له بمستقبل جليل فأحبه كل الحب » وفي هذا

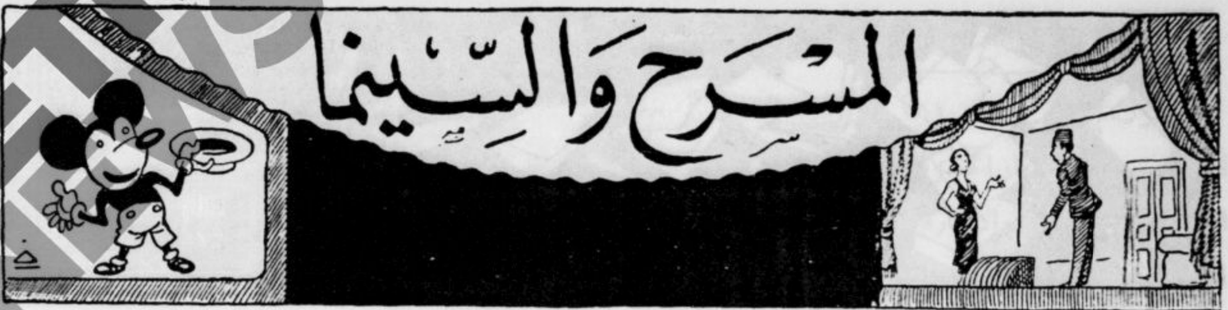

الفرقة القومية

«مجنون ليلى» المدير ولجنة القراءة

لا مرية فى أن لعزة النفس، وحب المجد، والأطماع الذاتية أثراً جليلا فى حياة الرجل؛ ولا ريب فى أن نصف العبقرية، هو الصبر يكلل هامة الرجل العامل الدءوب بإكليل الظفر. فنحن إن كنا لا نغالط ولا نتهاون فى تسمية أعمال مدير الفرقة بأسماء لاتقبل أكثر من معنى واحد، فلأننا نرى إلى دغدغة عزة نفسه وتشبثه بالمجد الذى يطمع أن يختتم فيه سفر حياته فى الفرقة القومية، وإلى مداعبة صبره الدال على نصف عبقرية — كما يقولون — لم نر بعضها فى أعماله بهذه المؤسسة الأدبية، نفعل ذلك لنستثير كوامن النخوة فيه فتدفعه — برغم شيخوخته — إلى العمل الكامل الذى يرضى النفس الأدبية ويغذى الروح الأدبى العام. ولهذا نعد اختيار رواية «مجنون ليلى» وتمثيلها على مسرح الأوبرا مأثرة طيبة نذكرها لحضرة المدير بالخير الكثير، على رغم أن له فى هذه الرواية رأياً خاصاً كان ينفثه فى المجتمعات الأدبية والأرستقراطية، فيقول فيها إنها مجموعة أناشيد تختلف بالأوزان والقوافى، وإن الحوار فيها هزيل سقيم، وإن الباعث على تأليفها نزوة قامت فى رأس شوقى بك فى أيامه

الفصل بالذات إيماءات خفيفة للنوازع والحوافز السياسية التى كانت سائدة فى ذلك العصر. ولكم كنت أحب أن يعقد المؤلف فصلا أو فصلين يتناول فيهما الشريف الشيعى، وما هما بالكثير على شاعر اختلف المؤرخون — العرب والأوربيون على السواء — فى مسألة تشيعه، ثم هى تتصل اتصالا وثيقاً بالحركة السياسية فى عصره، وتصور ميل الشريف للفاطميين فى مصر بقوله:

أحمل الضيم فى بلاد الأعادى وبمصر الخليفة العلوى
من أبوه أبى، ومولاه مولا ى إذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سيدا النا س جميعاً: محمدٌ وعلىّ

لقد جاءت هذه الأبيات عفواً فى كتاب (عبقرية الشريف) وكان الأمثل أن يتناول المؤلف مسألة تشيع الرضى، وقد عدها الكثيرون) ومنهم ابن الأثير فى الكامل (ص ٨ ج ٨)، والمقريزى فى اتعاظ الحنفا (ص ١٥) اعترافاً صريحاً من الشريف الرضى بصحة نسب الفاطميين إلى على بن أبى طالب.

وفى كتاب الشريف مقدمة، وللمقدمات عندى أهمية قصوى فهى عرض موجز للكتاب، ولربما كانت المقدمات فى بعض الكتب كتباً بذاتها لها قيمتها الأدبية والفنية والنقدية، كهذه التى يكتبها برنارد شو وألدوس هكسلى وغيرهما. أما مقدمة كتاب اليوم فهى إشادة بالكتاب والكاتب، وإن كانا فى غير حاجة إلى ذلك، إذ أن المؤلف عد الرضى أعظم شاعر عرفته العربية لأنه كتب عنه، ولايدانيه فى مرتبته المتنبى الذى يرى الدكتور زكى أنه سيكون أعظم شاعر — هو الآخر — يوم أن يكتب هو عنه

وإنى لأسأل الدكتور ماذا يكون موقفه إن هو أبصر هذه المقدمة فى كتاب لشاب؟ أكبر الظن أنه كان يتناوله بسيف المحارب ومبضع الجراح

هذه أوجه النقد فى كتاب (الشريف الرضى) الذى ألفه الدكتور وطلع به على أهل العراق فى محاضرات سمعوها ثم قرأها من بعدهم الناطقون بالضاد فى كل صقع وناد

وأسلوب صديقنا الدكتور أسلوب عربى قوى، لا عوج فيه ولا التواء، ينساب فى كثير من المواضع كالجدول الصافى، كما أن مطالع جزءيه هذين يندر ألا يقع على تعابير ذاتية مبتكرة، فليقرأ الأدباء كتابه على أنه سفر بحث ونقد وأدب

محسن حبشى

الأخيرة لتأليف الروايات الشعرية البعيدة عن بساطة الطبيعة أو شيء من هذا المعنى . فاغضاء المدير عن رأيه وتنازله عن النقد الفني لروح الرواية ومبناها ، وسعيه إلى إبرازها على المسرح بعد إدخال بعض محسنات زخرفية عليها بالانشاد ، وإظهار جهود الفرقة بالاخراج البديع والأضواء المتناسقة ، قد أفاء على الرواية ظلا فنياً بارعاً لا أحسبه خالصاً لوجه الفن والأدب؛ وأ كادأسمع وسوسة شيطاني تقرر أسباباً نفسية خاصة بحضرة المدير وهي :

أولاً : الافلاس الأدبي . وثانيا : الكسل العبقرى . وثالثاً : حب الوقوع تحت تأثير أدبي ومعنوى إرضاء لطبيعة الشعراء فى الوحى والالهام ؟ !

ولما كان تبيان ذلك قد يستغرق منا صفحة قد يكون فى كتابتها الآن ما يقطع سلسلة الكلام عن إظهار علل انحطاط الفرقة وتدهورها ، فانا نرجىء هـذا الايضاح إلى ما بعـد . أما الآن فلا ينبغى أن يفوتنا أن نهنئ الممثل احمد علام الذى استطاع بلباقة وكياسة أن يبعث هذه الرواية من مرقدها ، وأن يجيد إجادة موفقة تقمص روح المجنون إلى حد حسبناه قد مسّه طيفُ جنةٍ مثله ، كما نمتدح اقتـدار الممثل الألمعى عباس فارس على إيفاء كل دور يمثله حقه الأكمل ، وأن نطمئن حضرة مدير الفرقة بأن رواية المجنون خـير رواية تدرّ الجنيهات لا القروش تترع خزانة الفرقة وتغمرها بالربح

* * *

حصرت ، فى مقال سابق ، علة انحطاط الفرقة وتدهورها فى مديرها الفاضل نفسه لاعتقاده أن ليس فى الأمة المصرية من هو أصلح منه لادارتها ، واستنتجت من هذا الزعم أن لا وسيلة فى صلاح يرجى من رجل محدود المقيدة ، وتعمدت تجاهل علة مستوطنة مستعصية فى لجنة القراءة إلى حين . وهأنذا أقول إن علة هـذه اللجنة هى من ذات نوع علة المدير ، أو هى جرثومة واحدة تقسمها قسمة عادلة خمسة أشياخ اكاربكيين ذهناً وعقلاً، لم يدخل « بعضهم » مسرحاً ولم ير تمثيلا أو داراً للسينما إلا فى القليل النادر

أردت استطلاع آراء هؤلاء السادة الأجلاء واحداً بعد واحد فأجاب الأول على سؤالى قائلا مانصه: « مهمة اللجنة تنحصر فى قراءة الروايات التى تقدمها الفرقة ، وإصـدار الحكم عليها إما بالقبول كما هى ، وإما بالقبول بعد التعديل ، وإما بالرفض »

قلت : هل تنظرون إلى الرواية إذا كانت مستكملة الخصائص الفنية المعروفة أم تستمعون إلى رأى مدير الفرقة؟ فقال:

« قد جرت العادة بأن مدير الفرقة هو الذى يتولى تقديم الروايات مشفوعة بتقارير عنها ، وهو على جلالة علمه، ووافى أدبه ونفوذ نقده يأخذ نفسه في هذا الباب بالتحفظ التام »

سألت: هل لرأى النقاد المسرحيين قيمة فى نظر اللجنة؟ فأجاب:

« الواقع أن النقاد المسرحيين إنما يبدون آراءهم بعد تمثيل الرواية حيث يكون الأمر قد انتهى وخرج عن يد اللجنة ، على أنه قد يحدث أحياناً أن نرجع بواسطة مدير الفرقة بالضرورة إلى رأى كبار المخرجين (؟) و كبار الممثلين (كذا) فيما إذا كان يمكن تمثيل الرواية على الصورة التى قدمت بها أو لا »

قلت : إذا أجمع النقاد على القول بعدم صلاح رواية مثلتها الفرقة فهل من الحق الأدبي والفنى تحدي النقاد وتخطى أقوالهم وإعادة تمثيل الرواية ؟ فقال :

« قلت إنه بمجرد إجازة رواية يخرج الأمر من يد اللجنة بتاتاً ولا تستطيع أن تعمل شيئاً »

قلت : من يكون المسؤول عن هذا إذا وقع، وقد وقع فعلا، فاعادة تمثيل روايات تزرى بسمعة فرقة أهلية متواضعة فضلا عن الفرقة القومية ، منها رواية اليتيمة وغيرها . . فقال:

« أرجو إعفائى من هذا السؤال »

قلت : ألا تريد أن تقول كلمة فى الدفاع عن لجنة القراءة وقد قبلت هذه الروايات الشلولة ، وفى الدفاع أيضاً عن مدير الفرقة وقد مثلها ثم أعاد تمثيلها ؟ فكرر الرجاء بأن أعفيه من الرد ومن الخوض فى هذا الموضوع ، وقد تفضل فحدثنى حديثاً ودياً خاصاً تناول فيه ناحية من « الأخلاق الحكومية » كما سماها لا أسمح لنفسى بنشره الآن

قلت : هل خطر للجنة أن توازن بين الروايات التى مثلتها الفرقة وبين الروايات التى تمثلها الفرق الأهلية وفرق الهواة لتعرف مبلغ تقدم الفرقة القومية على الفرق الأهلية ؟ فقال :

« إننا لا نقارن بين الروايات التى تقدم للفرقة وبين غيرها ، لأن المقارنة تقتضى فحص الروايات الأخرى وهى لم تقدم إلينا

قلت : أليس من واجب مدير الفرقة أن يفعل ذلك ليقدم

للناس ، على الأقل ، أحسن ماتمثله الفرق الأخرى . فأجاب بعد هنيهة من تفكير :

« ليس لأحد سبيل على أحد ، والفرقة القومية إنما تختار من بين الروايات التي تقدم لها هي ، وليس لها سلطان على من لا يقدم إليها روايته »

قلت : هل لاحظتم تقدماً في تأليف الروايات خلال السنوات الثلاث ، لأني أزعم أن الروايات التي مثلتها الفرقة في عامها الثالث أحط منزلة من الروايات التي مثلت في العامين الثاني والأول ؟

اعترض محدثي الفاضل على الشطر الثاني من السؤال قائلا

« إني أجيبكم عن الشطر الأول فقط : على العموم يمكنني أن أؤكد لكم أنني شخصياً كنت من بضع سنوات في شبه يأس من نجاح التأليف التمثيلي في مصر . على أنني لم يرعني ، وخصوصاً في أثناء قراءة الروايات التي قدمت للمباراة في هذا العالم ، لم يرعني إلا أن أرى شبه طفرة في الروايات المؤلفة مما يدل على أخذ الفكر الروائي في نضوج بل في نضوج سريع . حقيقة أننا لم نبلغ الكمال ولم نقترب منه بعد ، ولكن يمكنني أن أقول إننا نمضي سراعاً إلى الكمال . ويحسن في هذا المقام أن أقول إن الجودة النسبية لم تقتصر على الروايات الست التي أجيزت ، بل إن هناك روايات أيضاً ، وإن لم تصل في نظرنا إلى مدى هذه ، فان مؤلفيها ولا شك يستحقون الاعجاب والتقدير »

انتقلنا إلى الكلام عن أسباب صدوف كبار الأدباء من مؤلفين ونقاد عن الفرقة القومية ، وعبرتُ عن هـذا الرأي بصراحة تؤلم اعتداد أعضاء لجنة القراءة بأنفسهم . فقال محدثي الفاضل بشيء من الحماس المتزن :

« لاشيء يبعد المؤلفين عن الفرقة القومية سوى تهيبهم كتابة الرواية المسرحية ووقوفهم في صف واحد مع الكتاب الناشئين »

أكتفي بهذا القدر من الحديث لضيق المجال ، تاركا التعليق عليه إلى المقال التالي ، وبذلك يكون قد تيسر لي حضور تمثيل إحدى الروايات التي فازت بجائزة المباراة التي قال عنها وعن أخواتها حضرة محدثي الفاضل إنه رأى فيها شبه طفرة تدل على نضوج الفكر الروائي ومضيه سراعاً إلى الكمال

ابن عساكر

6 me Année, No. 284

Lundi - 12 - 12 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٨٤ « القاهرة فى يوم الأثنين ٢٠ شوال سنة ١٣٥٧ — ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

من مآسى الحياة

بل ليت للأوقاف قلبا !

ذلك ما ابتدرنى به رجل يهدف للخمسين أشمط الرأس أصهب الشارب جركسى البشرة، يترجم كلامه عن العزة، وينم هندامه على الفاقة، ويشير سَمْتُه إلى مسحة من الارستقراطية تتراءى ضئيلة على معارف وجهه وحركات يده

دخل علىّ المكتب أول أمس فى أدب كأدب البيوتات الكريمة الدارسة: سلام تحس فيه تواضع المملوك وكبرياء الملك؛ وبسمة متملقة تجرى على شفتيه الرقيقتين كأنها من طبعيتها خِلقة؛ وأسلوب هذبته (الإتيكيت) فهو مختار اللفظ موزون الإشارة؛ ثم شكر لى المقال الذى افتتحت به عدد الرسالة الماضى وقال :

إذا كان طلاب الأوقاف الخيرية يتمنون أن تكون للوزارة عين، فإن طلاب الأوقاف الأهلية يتمنون أن يكون لها قلب. أولئك يشكون أنهم ييأسون من وراء عينيها فلا ترى، وهؤلاء يشكون أنهم يشقون بين يديها ولا ترحم ! وما دام المستحقون لا ينالون نصيبهم من الحق، فكيف ترجو أن ينال المتعفون نصيبهم من الخير؟

كان الرجل يتكلم كلام الشاكي الكظيم يهمه أن يقول ولا يهمه أن يسمع. فتركته يستريح إلىّ بما في نفسه، لا أعترض عليه ولا أصحح له، فإن عليّ أن أبلغ مسامع أولي الأمر زفرات الصدور المكروبة، وعليهم هم أن ينظروا إن كان مبعثها خطأ النفس على النفس، أو خطأ الناس على الناس.

قال محدثي وهو يضع سيجارته الملفوفة باليد في مبسم طويل من الآبنوس:

— إذا عذرنا وزارة الأوقاف على أنها لا تسعف أولئك المنكوبين الذين انفرد بهم البؤس في ظلام الدور، ومنعتهم الأنفة عن الخروج إلى النور، فكيف نعذرها على أنها تُدخل البؤس بيدها على قوم جعلهم أهلوهم في ذمتها وأمانها، تحفظ لهم الملك وتثمّره، وتبسط عليهم الرزق وتوفره؟ أنا ضحية من ضحايا الأوقاف الأهلية، اعتمدتُ منها على جُرُف منهار فهويت إلى قرارة الفاقة. لم أُهيأ للعمل الحكومي بشهادة، ولا للعمل الحر بصنعة؛ وإنما نشأت في بيت جدي فلان باشا نشأة المترفين المدللين، أجيد ركوب الخيل، وأحذق أنواع الصيد، وأساهم في تجميل حياة القاهرة بالسرف في الملاهي، والقصف في البيوت، والمقامرة في السباق، والافتتان في المظهر. وكان أبي رحمه الله ناظراً على ما وقف جدي على أسرتنا الكبيرة المتشعبة من الضياع والرباع، فكان يغرق رغباتي في فيض من المال لا يغيض ولا يُخلف. فلما توفاه الله آلت النظارة من بعده إلى أرشد أعمامي، فانقبض عني شيء من بسطة العيش. وكان لي بنون وبنات نشأوا في نعمة أبي، كما ينشأ النبات الرِّبْعي في خصيب الأرض، فلم أرد أن يمس نضرتهم ذلك الضيق الذي جره علينا طمع الناظر، فبعت ما ورثت عن أبي، وعشت سنين على الخفض والسعة. حتى إذا لم يبق إلا الوقف أخذت أُروض نفسي وأهلي على التدبير، فاختصرت المسكن، واختزلت الأثاث، وضيقت المطبخ، ورضيت أن أركب (التاكسي) وأن أجلس في (النيوبار)... وليت ذلك يا سيدي دام! فإن كبار المستحقين شغبوا على الناظر فعزلوه، وتألبوا على خلفه فشلوه، واستحكم بينهم الشقاق فلم يتفقوا على ناظر منهم. ثم لم تنقطع أسباب هذا الخلاف، إلا «بتنظير» وزارة الأوقاف!

كان لجوء المستحقين إلى تنظير الوزارة، كلجوء القطين المتنازعين على قطعة الجبن إلى تحكيم القرد. فلم يَبق لهم على الأعيان الموقوفة عين ولا يد. وأدارتها الوزارة على المنهج الحكومي فأرهقتها بالكتاب والنظار والمفتشين والمراقبين والخبراء؛ ولكل واحد من هؤلاء طريقة في العمل ورأى في الإصلاح يتغيران بتغييره. فالبناء الذي أُقيم يُهدم، والمصرف الذي حُفر يُردم؛ ثم يُستأنف البناء والحفر في مكانين آخرين! وهكذا دواليك: يتعاورُ البناء والتخريب، ويتعاقب الاقتراح والتجريب، حتى تذهب غلة الأرض بين نفقة الإدارة وحصة الوزارة! وأما الدور فهي قصور فسيحة ذات أسوار وحدائق رغب الناس عن سكناها لمخالفة طرازها لمقتضيات المدنية الحديثة. وأغفلتها الوزارة فلم تفكر في تجديدها واستغلالها، ولا في بيعها واستبدالها، وإنما تركتها لمعول الزمان فلا تؤجرها إلا مخازن للتجارة وزرائب للحيوان ومساكن للفعلة!

كان دخلي على عهد الناظر الطماع ستمائة جنيه في العام، فأصبح على عهد الوزارة شيئاً لا أسميه! فهو سنة يكون ستين، وسنة يكون ستة، وسنة يكون مطلاً، وسنة يكون دَيناً! وأنا وزوجتي وأولادي نكابد غصص الحرمان في ركن رطيب من إحدى دورنا الخربة؛ فالبنون لا يجدون عملاً لمكانهم من الجهل، والبنات لا يجدن أزواجاً لمكاني من الفقر، ولا نقضي أيامنا السود إلا على اقتراض من الجزار والبدّال والعياش والقماش، حتى ضاق بنا العيش، وعافنا الوجود، وأصبحنا إذا دخلنا أقضنا الهم، وإذا خرجنا أمَضّنا الخجل...

يا سيدي! إن الوقف إن حفظ العين فقد أضاع الرَّيع. وليس لهذه الغاية الحمقاء وقف الواقفون. فسبيل الإصلاح في عهد الصلاح أن يُحَل؛ فإن المرء أدرى بشأنه وأعلم بخيره، وليس من يعمل لنفسه كمن يعمل لغيره...

احمد حسن الزيات

تحيـــة الشتاء

للأستاذ عباس محمود العقاد

الحرية والأمان هما قصارى أمل الانسان

وكون الانسان آمناً في سربه حراً في عمله ورأيه هو المطلب الذي لا يتخطاه إلا وهو ظالم نفسه وظالم غيره، إلا أن تكون سيادة على الآخرين برضى منهم وشهادة له بالاستحقاق، وتلك غاية لا يطمع إليها كل إنسان

وللحرية من الطبيعة موسم، هو الصيف

وللأمان من الطبيعة موسم، هو الشتاء

فبركة الصيف هي الطلاقة، وبركة الشتاء هي الطمأنينة، وهذا إذا صلحت الأحوال ... فأما إذا فسدت فلا بركة في صيف ولا شتاء

***

إذا لاح الصيف خرج الناس إلى المنازه، وكرهوا الحدود والقيود، فلا سقوف ولا أسوار، ولا غطاء ولا دثار، وإنما الحرية كأنما الانسان نفس من الهواء، لا يريد إلا نفساً من الهواء

وإذا لاح الشتاء فالرياح تزمجر، والسماء تمطر، ومن فوقنا حجاب ومن ورائنا حجاب، ولا سرور إلا أن تسكن إلى الدفء الوثير بين الجدران

وهكذا تتمثل في الطبيعة غاية مطالب الانسان: الحرية والأمان

والناس يزعمون أن البركة كلها في الربيع، وأنه موسم الزهر والفاكهة، ومشهد الحب والجمال، ومعرض المدينة والريف. فهل بقيت للشتاء بقية بعد هذه المحاسن والخيرات، وبعد يقظة النفس ويقظة الدنيا؟

والناس لا ينصفون، أو لعلهم ينصفون وينسون. فبعد الربيع يبقى الشعور بالربيع، ومن أوفى نصيبا من هذا الشعور؟ أهل الربيع أو أهل الشتاء؟ الذين يجدون الربيع سهلا غير مرقوب، أو الذين يجدونه عسيراً بعد ارتقاب واشتياق؟

ما عرف الربيع أناس كالذين اختبروا قسوة الشتاء، فالشمس ضيف ثقيل في بلاد الصيف القائظ، وطلعة جميلة في بلاد الشتاء الفارس؛ والزهرة فتاة مبتذلة من فتيات الطريق عند من يشهدونها في كل يوم وفي كل مكان، وهي عروس خفرة و «رسولة» مبشرة عند من يشهدونها آونة بعد آونة، ومقبلة مع الخير والحرية ومحاسن الأرض والسماء

أهكذا وحسب؟

كلا. بل للشتاء أثر في تقويم الجمال غير هذا الأثر في تعريفنا بقيمة الربيع

للشتاء أثر في أمم الشمال نلمسه فيما رزقته من حصافة وخيال، فهو الذي علمها الشعر والفن، وهو الذي علمها العمل والصناعة، وهو الذي علم أقوامها أن يطلبوا شيئاً فوق الأمان والحرية، ونعني به سيادتهم على الأمم التي جاءتها حرية الطبيعة بغير عناء

تخيل رجل الشمال الثالج والريح تعصف، والبرق يخطف، والرعد يقصف، والسماء لا شمس فيها ولا قمر، والأرض لا زهر فيها ولا ثمر، والنفس لا ترى لها مدى تمتد فيه إلا أن تئوب إلى سريرتها وتتغلغل في طويتها، وتخلق الصور وتناجي الأحلام وتأنس بالخواطر والأشجان

وتخيل هذا الرجل منفرداً في كوخ منفرد، ولا بد من انفراد في ساعة من الساعات وفي أمد من الآماد

ألا ترى أنه خليق أن يعمر عالم السريرة بخلائق الخيال، وأحلام الشوق والجمال؟

ثم تخيل قوم هذا الرجل سنة بعد سنة وجيلا بعد جيل، وكل سنة تضيف إلى قدرتهم على كفاح الشتاء قدرة جديدة، وإلى حيلتهم في دفاع البرد حيلة مفيدة، وإلى عزيمتهم في درء السيول والأمطار عزيمة رشيدة. فكيف تراهم يكونون بعد مائة شتاء وبعد ألف عام، وبعد ما لا عداد له من أجيال وسلالات؟

ثم تعلم أن الأعصاب هي خزانة الأخلاق الموروثة والقوة النفسية المذخورة، فماذا تكون الأعصاب التي تفتلت على هذا الجلد وهذا الجليد؟ وماذا تكون الطاقة فيها على استيعاب الشعور واختزان الأحاسيس وتصور الأخيلة والأشكال؟

ففي الشتاء تربية للخيال، وتربية لوحي السريرة، وتربية للأعصاب وتربية للأخلاق، وفي كل أولئك استزادة من نصيب الشعور، ونصيب الفهم، ونصيب العزيمة، ونصيب الخلق والابداع

ومن ثم يأخذ القوم من الربيع فوق ما يعطيه أهله المرضين عنه الجاهلين بقدره ، الناظرين إليه عن عرض كأنه زينة نظر فى ساعة صفو أو ليلة سمر ، فلا أعماق له وراء ذلك ولا أسرار

على أن الشتاء قد يفرط فى قوته وقسوته حتى لتبطل فيه كل حيلة الانسان فلا يبقى له غير حيلة الحيوان : جلد دب مسلوخ ، وإيواء إلى كوخ، كأنه كهف، أو كهف كأنه كوخ، وهكذا شتاء القبائل الحافين بقطب الشمال

وإن الصيف ليفرط فى طلاقته حتى تنقلب إلى مطاردة كأنها اللاحقة بالسياط الكاوية، فتبطل فيه كل حيلة الانسان، ولا يبقى له غير حيلة الحيوان : بركة ماء ، أو ظلال غابة غبياء ، وكذلك صيف خط الاستواء .

ولا بركة فى هذا ولا فى ذاك ، وإنما البركة فيما لم يجاوز الحدين من هذين الموسمين

***

وبعد فنحن نذكر بركات البرد والحر ، فهلا ذكرنا أناساً لا يجدون البركة فى أوان ، ولا فى مكان ؟

يقول حكيمنا :

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرى أو أمير مدوج
وقد يرزق المجدود أقوات أمة ويحرم قوتا واحد وهو أحوج

هذا الواحد أولى بذكر الألوف ، لأنه واحد تجتمع منه ألوف ، ولن ينساه فى مستهل الشتاء إلا مخلوق يستحق النسيان ، بل يستحق الذكر بالسبة إن كانت قوانين أبناء آدم لا تذكره بالزجر والعقاب

ما تمنيت لمصر عملا من أعمال الأمم التى هدمت الديمقراطية إلا إعانة الشتاء التى يخرج كبراء الألمان لجمعها من الخاصة والعامة فى الطرقات والأسواق : ذلك عمل مجيد نحن به أولى ، ونحن إليه أحوج ، ونحن عليه أقدر، فيما يبدو لنا من تفاوت بين رخاء بلادنا وضنك البلاد الأخرى

فاذا ألهمنا أن نعين المحتاجين منا إلى معونة الشتاء فقد حق لنا أن نسبغ على شتائنا صفة الأمان الشامل ، وأن يشتمل علينا جميعاً راضين آمنين ... ونرجو أن نلهم هذه البرة فما فيها مشقة على قادرين ولا أشباه قادرين

وكل شئ تقال فيه كلمة ثناء ، حتى الشتاء

عباس محمود العقاد

رجال التربية والتعليم فى وزارة المعارف

للدكتور زكى مبارك

الذى يقرأ الجرائد المصرية يتوهم أن وزارة المعارف عبارة عن بناية فسيحة الأرجاء ، يجلس فيها الموظفون هادئين وادعين يتبادلون التحيات والسجائر والشاى والزنجبيل

وإنما يكثر اللغط حول وزارة المعارف لأن موقعها بين سائر الوزارات، يشبه موقع كلية الآداب بين سائر الكليات. فوزارة المعارف تهتم بتعويد الناس على فصاحة الكلام فيكثر حولها الكلام الفصيح، بالنقد والتجريح ؛ وكلية الآداب تحرص على أن تتفلسف فيكثر فى نقدها المتفلسفون ، ولا يظلمك من يرد إليك بعض ما تنفق !

والحق أن وزارة المعارف فى هذه الأعوام لا تعرف الهدوء ، فهى نار تستعر فى الصباح والمساء

ومن كان في ريب من ذلك فليزر مكاتب الوكلاء والمراقبين والمفتشين ، فان فعل فسيعرف أن فى القاهرة مكاناً يشبه برج بابل فى أساطير الأولين

يستطيع من يهمه الوقوف على مصادر الحيوية فى وزارة المعارف أن يزور أى مكتب من تلك المكاتب ليوقن بأن الجد الصريح هو أساس العمل فى تلك الدار الفيحاء

احضر إن شئت إلى تلك الوزارة وفي يدك قلم وقرطاس لتدون ما تسمع من الجدل حول المذاهب التعليمية ، ولتدون ملاحظاتك الخاصة على مذاهب أولئك القوم فى الحياة ، وإنى لموقن بأنك ستخرج من ذلك بمحصول نفيس

ويحسن ألا تمر على مكتب وكيل الوزارة أو مكتب الوكيل المساعد ، فان الاستفادة من هذين المكتبين لا تضمن إلا لمن عرف سرعة الكهرباء فى إنجاز الأعمال

ويغلب على الظن أن الرجل الذى اسمه محمد العشماوى يملك شيئاً من مواهب الشعراء ، فسرعته فى تسوية المشكلات ليست إلا ضرباً من أعمال الشياطين

أما عوض إبراهيم فتظهر قدرته السحرية حين تصبح الأعمال كلها فوق كاهله حين يغيب الوكيل. وهذا الرجل من كبار الأكفاء ومن أعمدة وزارة المعارف، وإن كان يتعرض لطغيان الألسنة من حين إلى حين

وفي برج بابل هذا ناس لا يتكلمون إلا قليلاً، أمثال حسن فائق ومحمد حسين وصادق جوهر وأحمد عاصم والمجاتي ومحمد الدمرداش، ولكن في هؤلاء الرجال الصامتين خصوصية عجيبة، فهم يعتقدون أن وزارة المعارف دارهم، ولا يخطر في بالهم أنهم موظفون، وإنما يكافحون ويجاهدون وكأنهم يدبرون ملكهم الخاص، وما وقع بصري على هؤلاء الرجال إلا أحسست الغيرة تلذع قلبي، فأنا أتمنى أن أملك بعض ما يملكون من قوة وإخلاص ويؤذيني أن يكونوا أصدق مني في خدمة الواجب

ولكن برج بابل لن يكون كله صمتاً في صمت، وهل يصمت برج بابل؟ هيهات!

هناك محمد فهيم الرجل البسام الضحوك الذي تلقاه فيقلب مشكلات التعليم كلها فوق رأسك، ويفرض عليك ألا تغادر مكتبه إلا بعد ساعة أو ساعتين. وهذا الرجل متعب جدا، لأنه ينتقل بك من موضوع إلى موضوع، ويبلبل رأسك ولسانك بلا ترفق، فمن الحزم ألا تمر عليه حين تزور وزارة المعارف

وهناك نجيب حتاته، وهو رجل لا تعرف أين يذهب. فهو يلطف حين يشاء، ويثقل حين يشاء، فان لطف — وهو الأغلب — طاف بك حول مشكلات كثيرة تمسّ التعليم وتمسّ المجتمع. وإن ثقل — وهذا قليل — سلم عليك بأطراف أصابعه كما يصنع مدير الجامعة المصرية

وهناك علي الجارم — جعل الله كلامي خفيفاً عليه — وهو رجل كثير المزاح، ولكن إقباله على الواجب يبهرك ويرضيك

وهناك محمد جاد المولى، وهو في مظاهره ومخبره صورة صحيحة من الطيبات في أدب القول وشرف النفس

وعندنا طموم مراقب المستخدمين، ومكانه في وزارة المعارف يشبه مكان محمد الهراوي في دار الكتب المصرية، كلاهما يسأل عن الحساب، مع أن الأدب عندهما فوق الحساب

وعندنا توفيق الحكيم الذي حوسب أمام مجلس التأديب منذ أيام، وهو في رأيي «أعقل» رجل في وزارة المعارف بعد طبيب ليلى المريضة في الزمالك

ولتوفيق الحكيم قصة وقضية، وكيف لا تكون له قصة وقضية وهو صديق طه حسين؟

هذا الرجل أعلن عداوته للمرأة بضع سنين، ولم تعد عليه تلك العداوة بسوء، فظن لغفلته أن العداوات كلها سواء فأعلن أنه يعادي المرأة ويعادي النظام البرلماني، ولكن النظام البرلماني غير المرأة، لأنه محروس برجال أشداء يقابلون الجميل بالجميل!

* * *

أترك هذا وأنتقل إلى أحاديثي مع عمدة برج بابل حفظه الله

فهل تعرفون من هو عمدة برج بابل؟

هو المحدث البارع الذي لا يسكت أبداً والذي قضى الله أن ألقاه من يوم إلى يوم؟

من هو عمدة برج بابل؟ من هو؟ من هو؟ ألا تعرفون؟

هو محمد رضا الذي يقيم بمصر الجديدة ويطرب لسماع القرآن بالألحان

ابتليت من هذا الرجل بداهية، وابتلي مني بداهية:

ابتليت منه بداهية لأن لقاءه يوجب أن أكون صافي الذهن حاضر البديهة، ومن المزعج أن أطالب بصفاء الذهن وحضور البديهة، لأني لا أذهب إلى وزارة المعارف إلا بعد أن تكون أعمالي أخمدت ذهني وأذوت نشاطي

وابتلي مني بداهية لأني سأسجل عليه كل شيء، وسأصنع معه ما صنعت مع الرجال الذين عرفتهم بوزارة المعارف العراقية، وأنا رجل رمته الأقدار في ذاكرته بشذوذ عجيب، فأنا أنسى الأعلام والأرقام بصورة مزعجة مخيفة، وما قدمت كتاباً إلى رجل من أقطاب وزارة المعارف إلا سألت كاتبه الخاص عن اسمه بالضبط لأقيده في ورقة قبل أن أخط اسمه على الكتاب، ولكن ذاكرتي في الحوادث والمعاني قوية إلى حد الشذوذ، فأنا أستطيع اليوم أن أدون أول محاضرة سمعتها بالجامعة المصرية سنة ١٩١٣ وأستطيع اليوم أن أدون جميع المحاضرات التي سمعتها في جامعة باريس.

وأستطيع أيضاً أن أسجل الكلمات التي سمعتها من الدكتور هيكل باشا، الكلمات التي تشهد بأنه يشجع التأليف بالقول لا بالفعل.

محمد رضا يتكلم في كل وقت كما يتكلم الفرنسيون في كل وقت

فهل أستطيع أن أعطيه درساً عساه يقتصد في الكلام بعض الاقتصاد؟

إليكم مادار بيني وبينه منذ أيام:

دخلت عليه وفي مجلسه رجلان نسيت اسمهما مع الأسف، ولعل أولهما يسمى رفمت

وابتدأ فسألني عن الليسيه الفرنسية المصرية بمصر الجديدة، فقلت إن مديرها هو المسيو دي كومنين، أعظم أصدقائي في دنياي، فاستطرد وقال: وما رأيك في ذلك المعهد بعد أن زرته مرتين؟ فقلت: إن الغاية نبيلة ولكن تحقيقها صعب، لأن هذا الرجل، يريد أن يصل تلاميذه إلى البكالوريا المصرية والبكالوريا الفرنسية في وقت واحد

ثم انتقلنا بسرعة إلى الأصول التي يجب أن يراعيها أساتذة اللغة العربية في المدارس الأجنبية. فقلت إن الخطر كل الخطر أن يفهم تلاميذ تلك المدارس أن عندنا لغتين، الفصيحة والعامية، فهذا الفهم الخاطيء يشعر التلاميذ بأن اللغة الفصيحة لغة ميتة وأن مكانها يشبه مكان اللاتينية بالنسبة إلى الفرنسية والايطالية

وهنا يحسن أن نسجل ما اتفقنا عليه في ذلك الحوار الطريف

اتفقنا على أن التلميذ إذا كتب « محطة باب الحديد » فليس من واجب المدرس أن يشطب كلمة « محطة » ويضع مكانها كلمة « محط » بحجة أن هذا هو اللفظ المختار في كتب المطالعة المدرسية

وإذا كتب التلميذ « بائع متجول » فليس من حق المصحح أن يشطب كلمة « متجول » ويضع مكانها كلمة « جائل »

والتلاميذ جميعاً يقولون « قط » بضم القاف كما يقع على ألسنة الناس في أكثر البلاد العربية، فليس من الحتم أن نصحح هذه الكلمة كل يوم وأن ننص على أنها بالكسر، لأن سيرورتها مضمومة تشهد بأن الضم لغة من اللغات وإن لم تنص المعاجم على ذلك

وإذا قال التلميذ « فرشة » فليس من الواجب أن نفرض عليه أن يقول « فرجون » لأن الفرشة ذاتها مخففة من الفرجون

وإذا قال التلميذ « أجفف وجهي بالفوطة » فلا نفرض عليه أن يقول « القطيلة » لأن الكلمة الأخيرة مهجورة ومنسية وثقيلة، ولا كذلك الكلمة الأولى فهي مأنوسة ومألوفة لجميع الناس.

وإذا قال التلميذ جلست على « السفرة » فلا نحتم عليه أن يقول « المائدة » لأن السفرة كلة فصيحة وإن كان العرف نقلها من وضع إلى وضع.

وإذا قال التلميذ « الليالي القمراء » فلا تلزمه بأن يقول « الليالي القُمر » لأن الكتاب في العصر الحديث تسامحوا في هذه القضية، ولأن أسئلة الامتحان بوزارة المعارف جاء فيها مرة كلمة « الليالي القمراء » ولأن للشيخ النجار كتاباً اسمه « الأيام الحمراء » ولأننا نستثقل عبارة « الحدائق الغنّ » ونستخف عبارة « الحدائق الغناء »

وإذا قال التلميذ « خَطوة » بالفتح فلا توجب عليه أن ينطقها بالضم، لأن الفتح لغَيَّةٌ وهو اليوم أسهل وأفصح

وإذا سكن التلميذ بعض أواخر الكلمات فلا تفرض عليه أن يراعي التحريك في كل وقت، إلا إذا كان يهمك أن تختبره في الاعراب، لأن من المستبعد جداً أن يكون العرب التزموا الاعراب في جميع المواطن، وهم قد نصوا على أنه يجوز نصب الفاعل ورفع المفعول عند أمن اللبس، ومعنى ذلك أن الاعراب لا يطلب إلا لتحديد المعاني.

وأغلبُ الظن أن العرب لم يلتزموا الاعراب إلا في موطنين اثنين: الشعر والقرآن.

وإنما التزموا الاعراب في الشعر لمراعاة الوزن، والتزموه في القرآن لأن القرآن نيظم نظماً غنائياً فهو في أغلب أحواله كلام موزون روعي في وزنه أن يصلح للترنم والترتيل

واتفقنا على أن اللغة العربية ليست بدعاً بين اللغات، فالتعبير بها يختلف باختلاف أقدار المخاطبين؛ والمدرس الحق هو الذي يفرق بين ما يعبر به وهو يلقي درساً في مدرسة أولية، وما يعبر به وهو يلقي درساً في مدرسة ثانوية؛ والمدرس الغافل هو الذي يتكلم بطريقة واحدة في جميع الفصول

واتفقنا على أن أساليب التعليم لا يجب أن تكون واحدة في جميع المدارس، وإنما يجب أن نراعي مقتضيات الأحوال فنسلك في المدارس الأجنبية غير ما نسلك في المدارس المصرية

وأصول التربية نفسها توجب ذلك. إنها توجب أن تخاطب كل تلميذ بأسلوب خاص بعد أن تدرس نفسه حق الدرس، لأن الناس يختلفون في العقول كما يختلفون في الوجوه. وهذا لا يمنع من أن تكون هنالك سياسة عامة يعامل بها جميع التلاميذ

واتفقنا على أن مدرس اللغة العربية يحق له أن يكون أقرب الأساتذة إلى قلوب الطلاب، لأن عنده فرصاً لا تتاح لسواه، إذ كان يقدر بلباقته أن يجد في دروس المطالعة والمحفوظات

والأدب مجالاً لمحادثة الطلبة في معان كثيرة تتصل بالعقل والقلب والوجدان

ومدرس اللغة العربية يستطيع إذا كان من أصحاب المواهب أن يضع في صدور تلاميذه بذور الشوق إلى الشاركة الجدية في الحياة الأدبية والفنية والاجتماعية . وفي مقدوره إن أخلص لواجبه أن يدفع تلاميذه دفعاً إلى رحاب الواجب في خدمة الوطن الغالي . وهو يستطيع أن يخلق منهم رجالاً يفرقون بين المعاني الوطنية والمعاني الانسانية بحيث يصبحون فيما بعد من دعائم الحياة القومية

مدرس اللغة العربيـة مسئول قبل سواه عن خلق الروح المعنوي في المدارس لأنه يملك التعبير الجميل ، ولأنه ارتاض على سياسة القول ، ولأن لديه فرصاً كثيرة يستطيع بها توجيه التلاميذ إلى شريف الأغراض وكريم المعاني

***

ثم انتقلنا إلى موضوع شائك هو تحديد الفروق بين المدارس المصرية والمدارس الأجنبية

والظاهر أني أحب المدارس الأجنبية حبا يجعل ذنوبها حسنات ، وقد فصلت رأيي في حضرة رخا بك وارتضاه ، فما هو ذلك الرأي ؟

من بين أبنائي ثلاثة يتعلمون بمعهد الليسيه في مصر الجديدة. وهؤلاء الأبناء الثلاثة يختلفون عن أخيهم الأكبر الذي يتعلم في مدرسة مصرية . فأخوهم الأكبر يأخذ مصروفه على أسلوب رتيب لا يتغير ولا يتبـدل ؟ أما أولئك الثلاثة فيزعجون المنزل بالمطالب المتنوعة في كل يوم ، وقد قاست أمهم ما قاست حين كنت بالعراق، فلما اختبرتُ الأمر بنفسي ضِـقْتُ به ذرعاً لأول وهلة؛ ثم تبينت أن تلك المطالب المتنوعة هي شواهد الحيوية في الحياة المدرسية ، فالتلميذ لا يجد الفرصة ليهدأ ويـكن ، وإنما يشعر بالمسئولية تتجدد أمامه في كل لحظة ، فهو اليوم في حاجة إلى كتاب ، وكان بالأمس في حاجة إلى كراس ، وهو غداً في حاجة إلى ثوب جديد للحفلات ، وهو بعد شهر سيقدم إلى المدرسة ديناراً للاشتراك في رحلة مدرسية ، إلى آخر ما لا آخر له من موجبات اليقظة في المدارس الأجنبية

أقول إن هذه المطالب راعتني لأول وهلة ، ثم رأيت أن هؤلاء الأبناء حالهم أحسن من حال أبيهم ، الأب المسكين الذي يخترق شوارع القاهرة في كل يوم ولا يراها ، لأنه لا يمتطي تراماً أو سيارة إلا وهو مشغول بمطالعة الجرائد والمجلات أو مراجعة بعض الأوراق

أترونني على حق في استحسان هذا المذهب في التثقيف ؟

إن كنت مخطئاً فاعذروني لأن اتصالي بالأجانب حبّب إليّ الحركة وزهدني في السكون !

هل تصدقون أنني لا أستريح إلى الدعوة التي تكررها الجرائد في الصبح والظهر والمساء ، الدعوة إلى الوفاق والاتحاد والائتلاف ؟

هل تصدقون أني أعتقد أننا نختلف أقل مما يجب ، وأنه ينبغي ألا نعرف غير النضال والصيال ؟

هل تصدقون أن التجارب علمتني أن الراحة نذير الموت ؟

هل تصدقون أني نفرت من منزل جميل في باريس لأن أصحابه كتبوا على بابه عبارة تشير إلى أنه معروف بالهدوء ؟

هل تصدقون أني لم أسترح في بغداد إلا حين اهتديت إلى منزل يحيط به الضوضاء ؟

الحق أن مزاجي أفسدته المدنية الحديثة فساداً لا يرجى له صلاح ولكن هذه هي المدنية ، وهذا هو عقل العصر الحديث ، وأنتم تطالبون أن نروضكم على التخلق بأخلاق العصر الحديث

***

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم انتقلنا إلى تعليم البنات فعرفنا بعد الأخذ والرد أن البنت في المدرسة المصرية تقتل قتلا بالدروس ، فلا تستطيع أن تكون بهجة البيت في المساء

والواقع أننا كنا أخطأنا في تقـدير مناهج التعليم بمدارس البنات، فقد كانت البكالوريا واحدة للبنات والبنين مع أن المزاج يختلف بين النوعين أشد الاختلاف

وقد لوحظ أن البنات في المدارس الأجنبيـة يعاملن معاملة تقوم على أساس العطف والرفق ، والمفهوم عند الأجانب أن البنت إنما تتعلم لتصلح تمام الصلاحية لتكون ربة بيت .

ولوحظ أيضاً أن مديرات المدارس الأجنبية يحاولن أن يعرفن كيف تعيش العائلات التي تجيء منها التلميذات ليستطعن تلوين الحياة المدرسية بألوان مختلفات

وهـذا شيء قد لا تعرفه المدارس المصرية لأن الصلات قد تكون مقطوعة بين المدرسة والبيت

والظاهر أنى لا أزال أستجيد الوصف الذى أطلقته على مدارسنا منذ أكثر من عشر سنين حين سميتها «مجازر بشرية» فنظام هذه المدارس لا يتيح فرصة للتعمق ، وإنما يلهى الطلبة بالقشور لكثرة ما يعرض عليهم من العلوم والفنون

وسيجىء يوم يعرف فيه الناس أن أسلافنا كانوا أبصر منا بالمذاهب التعليمية لأنهم كانوا يعرضون على الطالب علوما قليلة ثم يفرضون عليه أن يتعمق

ولو شئت لقلت إن المدارس الفرنسية تريح التلاميذ من الدروس يومين كاملين ، ومع ذلك لم يقل أحد بأن الفرنسيين تخلفوا فى الميادين العلمية

ولو شئت لقلت إن الامتحانات عندنا لا تزال جائرة الميزان، فليس من المعقول أن يكون تلاميذنا من الضعف والجهل بالمنزلة التى توجب ألا ينجح من كل مئة غير عشرين أو ثلاثين

وهناك مجموعة يعرفها جميع المعلمين ، وهى مجموعة الأسئلة الخاصة بالامتحانات العمومية ، ونظرة واحدة إلى تلك المجموعة تشعر المنصف بأن الممتحنين لا يرون التيسير من الأمور ذوات البال ، والأساتذة أنفسهم يحتاجون إلى تأمل يسير حين ينظرون إلى الأسئلة المسطورة فى تلك المجموعة ، فكيف يصنع التلاميذ وبينهم وبين أساتذتهم من الفروق ما تعرفون ؟

ولو شئت لقلت إن أسئلة الامتحانات العمومية يضعها رجال مكدودون من بين المفتشين والمراقبين ، والعقل يفرض أن يتفرغ لوضعها جماعة من الأساتذة ينقطعون إليها أسبوعاً أو أسبوعين حتى تسلم من العنت والارهاق

أحب أن يشعر التلميذ المتوسط بأن من حقه أن ينجح . أحب أن يشعر التلميذ الضعيف بأنه قد ينجح إذا ضاعف من نشاطه وبذل ما يملك من العافية فى الاستعداد للامتحان

ولكن هذه آمال لا تتحقق إلا إذا غير الممتحنون ما بأنفسهم فعرفوا أن الشهرة بالشدة والعنف مطلب سخيف .

ثم ماذا ؟

ثم تحدثنا عن الصلة بين المدرسة والبيت ، واتفقنا على أن الواقع أننا نتكلم ولا نفعل

وأين المدرس الذى يجد من الوقت ما يزور فيه بيوت التلاميذ؟

وأين الناظر الذى يجد فى جيبه ما يسعفه بأن يقيم للتلاميذ وآبائهم حفلة أو حفلتين ؟

لقد حاولت ذلك بنفسى ثم عجزت ، لأنى كنت أخرج من المدرسة مكدوداً لا أصلح لشىء

ولو شئت لصرحت بأن المدرسين يعجزون عن متابعة النشاط المدرسي ، لأن المناهج لا تقيم له أى ميزان ، وهو سخرة يقوم بها المدرسون بلا جزاء

* * *

أما بعد فهذه صورة لساعة لطيفة قضيتها مع الأستاذ رخا بك. فان أعجبته هذه الصورة فذلك ما أرجوه ، وإن رآنى أذعت ما لا ينبغي أن يذاع فليعرف أن هذا مذهبي ، وعليه أن يعقل لسانه حين يرانى

يا مصر

إنك تستعدين لأخطار عظيمة فى بناء الجيل الجديد ، فاعرفى ما تأخذين وما تدعين، واحذرى أن يعتقد أبناؤك الأوفياء، أنهم لا ينالون منك حسن الجزاء

وأنتم أيها المدرسون

ثقوا بأن واجبكم الأول هو التغلب على المصاعب ، المصاعب التى تواجهكم فى الحياة المعاشية والحياة المدرسية ، واعرفوا أن الاخلاص للواجب هو الكفيل بأن يرفع عن كواهلكم أثقال العيش وأعباء التعليم

إن التدريس مهنة لا يعرف فيها الراحة إلا من يتعب نفسه فى تأدية الواجب ، ولايشقى فى هذه المهنة إلا من يؤديها بتهاون واستخفاف

إن العناية التى تبذلونها فى إلقاء الدروس تمدى تلاميذكم بالجد والنشاط، وتروضهم على النظام، وتغريهم بحب التفهم لما يسمعون وما يقرأون

وأنتم القدوة الصحيحة للتلاميذ، فاحذروا أن تعدوهم بالضجر واليأس . وتذكروا دائماً أن المدرس المنشرح الصدر ، المبتهج النفس ، هو وحده الذى يقدر على جعل المدرسة أحب إلى التلميذ من كل مكان

إن فى الدنيا متاعب كثيرة تنتظر رجال الغد من تلاميذكم ، فأعطوهم من ذخائر الأمل والبهجة ما يدفعون به متاعب الحياة فى الأيام المقبلات . والله بالتوفيق كفيل .

مصر الجديدة زكى مبارك

كتـــاب المبشرين

من اغلاطه في العربية

لأستاذ جليل

(بقية المقال السادس)

٣٢ — فى الصفحة (٣٣٠) : مضطر على أفعاله

قلت : اضطر على كذا خطأ والصواب اضطر إلى كذا « ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار » « وقد فصل لكم ما حرَّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » وفى الجمهرة : والضرورة والضارورة واحد وهو الاضطرار إلى الشئ ، ومثل هذه التعدية في كلامهم وفى كتب اللغة . وفى كتاب الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى هذه الفائدة: ولهذا المعنى قال المحققون من أهل العربية إن حروف الجر لا تتعاقب حتى قال ابن درستويه : (فى جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة ، وإفساد الحكمة فيها ، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس) وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها ، ووقع كل واحد منهما بمعنى الآخر فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد ، فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعانى . ولعل قائلا يقول : إن امتناعك من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد — ردٌّ على جميع أهل اللغة لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا : هو العقل ، أو الجرح قالوا: هو الكسب، أو السكب قالوا : هو الصب ، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء ، وكذلك الجرح والكسب، والسكب والصب، وما أشبه ذلك. قلنا ونحن أيضاً كذلك نقول ، إلا أنا نذهب إلى أن قولنا اللب وإن كان هو العقل فانه يفيد خلاف ما يفيد قولنا العقل . ومثل ذلك القول وإن كان هو الكلام والكلام هو القول فان كل واحد منهما يفيد بخلاف ما يفيده الآخر ، وكذلك جميع ما فى هذا الباب

٣٣ — فى الصفحة (٣٢٩) : فى كل محرس من الليل

قلت : إن كان المراد الحرس فالحرس الدهر أو وقت من الدهر دون الحقب[1] . والذى يقال فى هذا المقام هو الجرس أو الجرش ، فى تهذيب الألفاظ لابن السكيت : مضى جرش وجرس من الليل ، وفى الصحاح : أي طائفة منه ، وفى المخصص مضى جرش من الليل والجمع جروش وأجراش ، وقد يقال بالسين وفى اللسان : وقد يقال بالشين ، وفى التاج : أتيته بعد جرش من الليل — مثلثة — ما بين أوله إلى ثلثه وقيل هو ساعة منه ، والسين لغة ، قال أبو زيد : مضى جرش من الليل أى هَـوِىٌّ (أى هزيع من الليل أى طائفة منه ...)

٣٤ — فى الصفحة (٨٠) : ثم حسن لخديجة وهى أرملة ذات شرف ونسب أن تتخذه فيخرج فى تجارتها

قلت : فى كلام العرب وأكثر كتب اللغة: الأرملة التى مات زوجها وهى فقيرة . قال المصباح قال الأزهرى : لا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة فاذا كانت موسرة فليست بأرملة . وفى الأساس : وأرملت ورملت[2] من زوجها ولا يكون إلا مع الحاجة . وفى اللسان والتاج ، قال ابن الانبارى : سميت أرملة لذهاب زادها وفقدها كاسبها ومن كان عيشها صالحاً به ، ولا يقال إذا ماتت امرأته أرمل إلا فى شذوذ لأن الرجل لا يذهب زاده بموت امرأته إذا لم تكن قيمة عليه ... والرجل قيم عليها ، وتلزمه مؤنتها ولا يلزمه شيء من ذلك . وفى القصيدة الطويلة — كما يسميها أديبنا الكبير الأستاذ الرومى — المنسوبة إلى أبى طالب فى مدح سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى ، عصمة للأرامل

وأنشد ابن بري :

ليبك على ملحان ضيف مدفّع وأرملة تزجى مع الليل أرملا[3]

٣٥ — فى الصفحة (١٣٢) : وقد تكرم عليه فى آخر سنة من عمره بأن متعه بالنظر إليه

(١) الحقب هنا ثمانون سنة أو أقل من ذلك وهو بضم الأول والثانى وبضم الأول وسكون الثانى

(٢) قال : وهو من الرمل كأدقع من الدقعاء

(٣) لم يذكر المخصص فى فصل (نعوت النساء مع أزواجهن) الأرملة وذكر الأيم والعزبة : فلانة أيم — بتشديد الياء — وقد آمت من زوجها وتأيمت ، والعزبة التى لا زوج لها وامرأة عزبة وعزب بغير هاء وصفت بالمصدر . وقال في باب (ذهاب المال ونفاده) : يقال للرجل ولولده إذا كانوا محتاجين هم أرملة وأرامل وأراملة ورجل أرمل

قلت : تكرم عليه خطأ ، والتكرم تكلف الكرم ، وتكرم تكلف الكرم قال المتلمس :

تكرم لتعتاد الجميل ولن ترى أخا كرم إلا بأن يتكرما

وتكرم عن كذا أي تنزه عنه وترفع . قال أبو حية :

ألم تعلمي أني إذا النفس أشرفت على طمع لم أنس أن أتكرما

ولم يجيء في كلام العرب ولا في معجمات الألفاظ ولا في معجمات المعاني تكرم عليه بمعنى أفضل عليه ، تفضل عليه ، أجدى عليه ، من عليه ، تطول عليه ، تندى عليه ، تسخى عليه ، أسدى إليه ؛ يدى عليه ، أيدى عليه ، أنعم عليه

٣٦ — في الصفحة (٣٩٦) : أما الوعد فانه عرف من شدة انهماكهم على الملاذ الشهوانية

قلت : لا يقال في العربية انهمك على الشيء بل انهمك فيه. فني حديث خالد بن الوليد (رضي الله عنه) أن الناس انهمكوا في الخمر . وفي الصحاح : انهمك الرجل في الأمر أي جد ولج ، وكذلك تهمك في الأمر . وفي الأساس: انهمك في الباطل وفلان منهمك في الني . ومثل هـذه التعدية في الجمهرة والنهاية واللسان والمصباح والتاج والمعجمات المصرية . والملاذ في اللغة جمع ملذ وهو موضع اللذة . وفي الفائق : النبي صلى الله عليه وسلم : إذا ركب أحدكم الدابة فليحملها على ملاذها : أي ليسرها في المواضع التي تستلذ السير فيها من المواطىء السهلة غير الحزنة والمستوية غير المتعادية[1] والشهوانية نسبة إلى الشهوان أو الشهواني وهو شديد الشهوة ومنه قول رابعة : ياشهواني . والشهوة اشتياق النفس إلى الشيء كما في المصباح ، أو نزوع النفس إلى ما تريده كما في مفردات الراغب . فماذا يعني كتاب المبشرين بكلامه الطمطماني ؟

٣٧ — في الصفحة (٣٤٠) : قال الغزالي قد انتهى قوم في الشطح (لعله يريد الشطط) والدعاوى المريضة إلى دعوى الاتحاد بالله وارتفاع الحجاب .

قلت : لا يريد الشطط بل يريد الشطح ، وإن من يجهل هذا المصطلح المشهور عند المتصوفة لجاهل . وهذه اللفظة إن لم تضمها العربية من قبـل فهي كلمة اصطلاحية . ولم يكتب في التصوف كاتب ، ولم يؤلف في طريقة القوم مؤلف، إلا ذكرا هذا الشطح كثيراً . ولن يسد شطط الشاطين ولا طائفة كبيرة من خلط المبشرين مسد الشطح . . . جاء في التاج : اشتهر بين المتصوفة الشطحات وهي في اصطلاحهم عبارة عن كلمات تصدر منهم في حال الغيبوبة وغلبة شهود الحق عليهم بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق كقول بعضهم أنا الحق، وليس في الجبة إلا الله، ونحو ذلك . وفي التعريفات : الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى ، وهو من زلات المحققين ، فانه دعوى بحق يفصح بها العارف من غير إذن إلهي بطريق يشعر بالنباهة[2] ...

٣٨ — في الصفحة (٤٣٧) فهذا الكلام يستلفت نظرنا من جهتين

قلت : استلفت خطأ ، وإن قيل : قال سيبويه في (هذا باب استفعلت) : (وتقول استعطيت أي طلبت العطية ، واستعتبته أي طلبت إليه العتبى، ومثل ذلك استفهمت واستخبرت أي طلبت إليه أن يخبرني) . قلنا : جاء ما ذكره سيبويه ولكنهم لم يقولوا استلفته أي طلب لفته ؛ ثم اللفت في اللغة لىّ الشيء عن الطريقة المستقيمة، ولفته لواه على غير جهته — كما في اللسان — فيكون معنى الجملة حسب بناء هذا الفعل ؛ (وهذا الكلام يطلب لىّ نظرنا على غير جهته من جهتين ..) وهناك نظران : نظر البصر ونظر البصيرة فأيهما المقصود ؟

٣٩ — في الصفحة (١٥٣) ويعتقد المسلمون بعصمة الأنبياء

قلت : قالوا : اعتقد كذا بقلبه — كما في الصحاح — ولم يقولوا اعتقـد بكذا . وفي المصباح : اعتقدت كذا : عقدت عليه القلب والضمير

٤٠ — في الصفحة (٥٩) : على أنها كانت أيضاً تعلق في الـكعبة باسم الأمة مكتوبة في ثوب قبطي بماء الذهب

(١) المكان المتعادي غير المستوى (الأساس)

(٢) في مقدمة ابن خلدون : وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بهـا أهل الشرع فاعلم أن الانصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس ، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ؛ وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذر ... (قلت) كاد ابن خلدون ينقلب صوفيا ، والواردات في كلامه جميع الوارد وهو من اصطلاح المتصوفة، وهو كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد كما في التعريفات

قلت : اضطر (سال) أن يقول فى (ثوب قبطى) حتى يوضح فى لغته اللفظة . ولو كان مترجم (المقلة) وذو الذيل ممن شدا من العربية شيئاً لجاب الكلمة التى وضعتها اللغة أو التى أوردتها كتب الأدب فى خبر الملقات والتعليق وهى القباطى ومفردها القبطية . قال ابن رشيق فى العمدة : « وكانت الملقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة . وقال صاحب العقد : « . فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة[1] وعلقتها فى أستار الكعبة[2] »

والقبطية فى الشعر القديم وفى الحديث . جاء فى الفائق : كسا (صلى الله عليه وسلم) امرأة ، قبطية[3] فقال مرها فلتتخذ تحتها غلالة لا تصف[4] حجم عظامها . ومن حديث عمر (رضى الله عنه) لا تلبسوا نساءكم القباطى[5] فانه إلا يشف، فانه يصف

***

أجتزىء بما أوردت من أغلاطهم وسائرها سيظهر فى وقت، فى كتاب

«الأسكندرية»

***

(١) أدرجه : طواه

(٢) قال ابن الأنباري فى طبقات النحاة : إن هذا لا أصل له . وقال أبو جعفر احمد بن محمد النحاس : أن حمادا هو الذى جمع السبع الطوال ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة .

(٣) بالضم والكسر والضم أكثر عند صاحب القاموس والكسر أكثر عند صاحب الصحاح

(٤) لانعلم ما وراءها لأنه إذا علم حجم الأعضاء لرقته والتصاقه باللابس فكأنها تصفه (الزمخشرى)

(٥) بتشديد الياء وتسكينها القباطى ثياب إلى الدقة والرقة والبياض تعمل بمصر نسبت إلى القبط (التاج ، الأساس)

سر العالم

لشاعر الهند رابندرانات طاغور

ترجمة الأديب عبد الوهاب مصطفى بحلاق

عندما مرت الدهور، وتردد النحل على حدائق الصيف، وابتسم القمر لزنبقة المساء، وبعث البرق قبلاته النورانية للسحب، ومرح ضحكاته فى الفضاء.. وقف الشاعر فى ركن مشحون بالأشجار مكلل بالسحب ، وظل قلبه صامتا كالزهرة ... يستطلع خلال أحلامه كما يفعل الهلال، ويهيم كما يفعل نسيم الصيف لغير ما غرض.. !

وفى إحدى ليالى إبريل عندما بزغ القمر كفقاعة ماء من أعماق الغرب ... وكانت إحدى الفتيات مشتغلة برى النبات وأخرى تطعم غزالها، وثالثة ترقص لطاووسها بدأ الشاعر يغنى:

« آه ... أنصتوا لأسرار العالم ... إنى أرى أن الزنبقة شاحبة مصفرة لأنها تحب القمر ... وزهرة اللوتس تسحب قناعها أمام شمس الصباح، والسبب جلى لو أنعمتم التفكير. ومعنى طنين النحل فى أذن الياسمين الصبوح قد عزب عن خاطر العلماء ولكن الشاعر يعلم .. ! »

وذهبت الشمس فى تورد الحياء، وصعد القمر متمهلا خلف الأشجار، وهمست ريح الجنوب لزهرة اللوتس أن الشاعر ليس بساذج كما يظهر منه. فشبك الفتيات والشبان أيديهم وصاحوا:

« لقد انكشف سر العالم .. ! »

ثم نظر بعضهم فى عين بعض وأنشدوا :

« ليطر سرنا أيضا على أجنحة الريح .. ! »

عبد الوهاب مصطفى بحلاق

رسالة من باريس

بعض الدكاترة الفخريين

الذين منحوا الدكتوراه الفخرية في فرنسا هذا العام

للباحث الأديب مصطفى زيور

— ١ —

سيدي رئيس تحرير الرسالة وأستاذي العزيز

ولا يغضبك من تلميذك أن يذكرك بعهد كرت عليه الأيام ، وطواه الدهر في صفحات بدأ يعلوها الاصفرار . فكم في مثل هذه الذكريات من العذوبة ما ترق له النفس ، وتذوب حنانا ، يرسل في قسوة الحاضر سحر الماضي ، فنرضى ونبتسم ... ثم ينسينا التأهف على الماضي حسنُ الظن بالمستقبل . وهكذا تدفعنا دائما مناعة النفس ضد التبرم بحقائق الحاضر أن نلوذ بما نتصوره سحر الماضي ، حتى ترهقنا الحقيقة ونرى قلم الزمان يجر رقما جديدا في حساب الأعمار ، فندير إليه ظهورنا ونتعلق بآمال المستقبل

فاذا أنكرت من تلميذك حديث الحنان ومنطق العاطفة ، وإذا اتهمته بسوء النية في إثارة حديث الأعمار ، فهو يدفع عن نفسه بأن التلميذ غير مسئول إذا اصطنع حديث العاطفة — ولو لم يكن هذا في فطرته — إذا كان أستاذه هو صاحب ذلك الأسلوب الموسيقي في ترجمة « آلام فرتر » و « رفائيل » ؛ وهو متأهب بعد ذلك أن يسل حسام المنطق الجاف ، منطق العقل الخالص ، يعالج به مشكلة الأعمار ويقيم الدليل على أنه لم يكن ماكراً خبيثاً في إثارتها ، وهو الذي لا يقنع بتلك الحجة البائسة تساق للسلوة عما مضى من الشباب ، في قولهم إن مع المشيب نضوجا وحكمة ، فما كانت هذه الحكمة في الغالب إلا خمودا في جذوة الحياة ، وفرقا من اعتناق ثائر الأنظار تضطرب من تحتها الأرض . لا يقنع تلميذك بهذا بل هو مصطنع لسان الطب يعالج به مشكلة الأعمار فيقول : إن ما يختلج أعضاء المرء من الحيوية لا يقاس بما مر من السنين على بزوغ هذه الحيوية . وقديما قال الفرنسيون : وما عمر المرء إلا عمر عروقه On a l'age de ses artères وهو ما يعبر عنه بلغة البيولوجيا الحديثة (أو قل علم الحياة حتى يرضى عني أنصار ترجمة المصطلحات العلمية) بأن مبلغ الطاقة الحيوية في المرء موقوف بما عليه إفراز غدده الصماء كما وكيفاً ، وبما تطيقه مجموعته الاشتراكية بالفعل وبالقوة . فاذا كانت المقاييس الحديثة لنشاط هاتين المجموعتين قد أدت إلى تقرير مبادئ جديدة في حساب الأعمار يستند إليها علم حديث يدعونه بيوتيبولوجي Biotypologie يرمي إلى تمييز الشخصية الحيوية للأفراد لتوجيههم في معترك الحياة ، بأن يدلهم على ما يصلحون له وما يطيقونه ؛ وإذا كنا نرى هذا البحث الجديد قد جعل من بعض الشيوخ شبابا ومن بعض الشباب شيوخا ، أفلا يرى معي أستاذي أن لا بأس على الشيوخ إذا كان نشاطهم شابا ، وأن يخفف الشباب من غلوائه إذا كان نشاطه متقاعدا هرما ؟

فاذا لم يرضك مني حديث المنطق بعد حديث العاطفة ، وهممت أن تجري قلمك الأحمر على هذا اللغو تحذفه من كلمي كما تعودت أن تفعل معي قديما في « كراسة الانشاء » فاني أهيب بك أن تسمح لي بالاستئناف أمام أستاذي أحمد أمين ، فلعله يكون أقل صرامة في الحكم ، وقد سمعته يشير إلى تلك الظاهرة النفسية التي تدفع بالكاتب إلى الحرص على آثار قلمه والاعتزاز بها الغث منها والسمين ، كما تحرص الأم وتحب فلذات كبدها ، الدميم منهم والجميل

وبعد فهأنذا أفي بوعد قديم فأكتب « للرسالة » صفحات أردت أن أشير فيها إلى بعض تيارات الفكر العلمي الحديث في الغرب ، التي تعنيها تلك المظاهر الدولية تمان لحاملي لوائها تقدير الأوساط العلمية ، فتجيزهم جوائز فخرية مثل جائزة نوبل أو الدكتوراه الفخرية تمنحها لهم الجامعات

وقد كان منح الدكتوراه الفخرية Honoris causa هذا العام في الجامعات الفرنسية حادثاً جللا بالنسبة لمصر ، فقد رأينا لأول مرة أديباً مصرياً ينال هذا الشرف وهو الدكتور طه حسين بك . ولست أشك أن غيري كتب في الجرائد المصرية يبين خطر هذه المنحة . وحسبي أن أشير إلى أن الجامعات الفرنسية ضنينة بأجازاتها فلا تمنحها لغير العلماء الذين ثبت فضلهم على العلم ؛ فلم نر إينشتين يُمنح الدكتوراه الفخرية من باريس

إلا سنة ١٩٢٩ بعد أن نال جائزة نوبل مرتين. وها نحن أولاء نرى بين العلماء الذين فازوا بهذا الشرف هذا العام اثنين من العلماء هما « تزنت جيورجي » و « كارر » قد سبق أن فازا بجائزة نوبل الأول للطب والثانى للكيمياء لقيامهما — منفردين — بأبحاث خطيرة فى مسألة الفيتامين كما سأبين بعد

وليس فى عزمى أن أقدم إلى قراء الرسالة الدكتور طه حسين بك كما سأقدم إليهم العلماء سورنسن ، وتزنت جيورجى ، وكارر من بين العلماء الذين فازوا بالدكتوراه الفخرية من فرنسا هذا العام، فإن عميد كلية الآداب ليس فى حاجة إلى أن يقدم إلى صحف الأدب العربى ، كما أنه ليس فى عزمى أن أتناول بهذه المناسبة مؤلفاته الأدبية بنقد أو تحليل ، فلم يكن الأدب من عملى ولم أكن يوماً من الأدباء

وحسبي أن أردد ما قاله ممثل الجامعة الفرنسية فى عميد كلية الآداب من المقابلة بينه وبين أديبهم الفرنسى رينان، فقد قال : إن رينان كان أديباً فذاً ولكنه كان إلى ذلك مؤمناً قوى الايمان بمستقبل العلم نصيراً له ؛ وكذلك الدكتور طه فى مصر فهو إلى صفاته الفنية فى الأدب قد بث فيمن حوله روحاً علمية صحيحة وأنفق من الجهد فى نصرة الروح العلمية والأخذ بمنهجها ما يجعله حقيقاً أن يحتفل به العلماء قبل الأدباء . ومن أجل هذا فإنى أسجل له تحيتى هنا

العلامة سورنسن S. P. L. Sörensen

يمتاز هذا الكيميائى الدانمركى بعبقرية مبتدعة فى طرائق البحث التجريبى واختراع الوسائل الفنية التى يدعونها بتلك الكلمة اليونانية الأصل « تكنيك » ؛ ولعل العلماء البرزين فى هذا النوع من النشاط العلمى أقل حظاً من غيرهم فى ذيوع الشهرة وجريان أسمائهم على أفواه المتعلمين ؛ ذلك لأن هذه الوسائل وما يتصل بها من الأجهزة تبقى فى العادة داخل المعامل يستغلها الباحثون فى الكشف وتحقيق الفروض، فاذا ما انتهى إلى جمهور المتعلمين شىء منها فهى نتائج هذه البحوث : قانون طبيعى، أو نظرية جديدة فى تفسير طائفة من الظواهر تحمل اسم قائلها ولكنها غفل من اسم مخترع الوسائل التى أدت إلى هذا الكسب الجديد فى ميدان المعرفة . ومع ذلك فان هذه الوسائل كثيراً ما كانت تكأة لفتوح خطيرة فى العلم بل تكأة لعلم بأمره ؛ فكثير منا يعلم مثلا أن جاليليه هو أول من أقام الدليل على صحة نظرية كوبرنيك في دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها ، ولكن كم منا يعلم أن هذا الجهاز البسيط المقرب للأبعاد المدعو تلسكوب، والذى خرج من خلاله كل محصولنا الحالى في علم الفلك بل كل هذه الثورة على جدل القرون الوسطى النظرى وتوجيه العلم نحو الملاحظة والتجريب ، كم منا يعلم أن المنظار المقرب يحمل اسم جاليليه ؟ ثم كم من الأطباء فى العالم الذين يستعملون كل يوم منذ أكثر من قرن ذلك الجهاز المدعو « ستتوسكوب » أى السماعة الطبية ويقيمون تشخيصهم على ما يسمعونه خلالها ، كم منهم يعلم أنها تحمل اسم الطبيب الفرنسى الكبير « لَينِك » مؤسس فن التشخيص السمعى ؟

اتجه نشاط سورنسن بعد بحوث فى الكيمياء المعدنية نحو دراسة المكون الرئيسى للمادة الحية : المواد الزلالية المسماة فى الاصطلاح الدولى بروتيد ؛ بدأ باستخلاصها فى حالة النقاء أى خالصة من المواد الأخرى العالقة بها مما مكنه ومكن غيره من الباحثين من دراسة خصائصها الكيميائية والفيزيقية ؛ أجرى عليها تجربة التحليل الغشائي ، أى النفاذ خلال الأغشية وهى أجسام من أصل نباتى أو حيوانى ذات ثقوب دقيقة (مثل جلود الحيوانات) لا تسمح لغير الجزئيات الدقيقة مثل جزئيات الملح الذائبة فى الماء باختراقها ، بينما الجزئيات الزلالية لا تنفذ منها . ونتيجة هذا التحليل الغشائى أن الجزئيات الغريبة العالقة بالجزئيات الزلالية تنفذ خلال هذه الأغشية تاركة الجزئيات الزلالية فى حالة النقاء . وهكذا تبدو لنا المحلولات المحتوية على مواد زلالية كأنها تسلك مسلك المحلولات الغروية (نسبة إلى الغراء) أى تلك المحلولات التي تختلف عن المحلولات العادية — المسماة بالمحلولات البلورية مثل محلول الملح — بكبر حجم جزئياتها مما يمنعها من اختراق تلك الأغشية ، والتى تختلف عنها أيضاً بأنها لا تترك بعد تبخير السائل الذائبة فيه دقائق متبلورة بل تترك جسما يشبه الغراء

ولكن هذه الحقيقة ، حقيقة وجود المواد الزلالية وبالتالى المادة الحية على الحالة الغروية تحمل نتائج غاية في الخطورة؛ ذلك أننا نعلم أن المحلولات الغروية تنفرد بصفات خاصة يرجع إليها السبب فى ثبات هذه المحلولات أى بقاء الجزئيات منتشرة فى السائل لا تسقط ، فاذا ماحدث اضطراب فى هذه الصفات فان جزئيات المحلول الغروى تتهالك بعضها على بعض أى تفقد ثباتها فينهار المحلول الغروى . ولما كانت المادة الحية توجد على الحالة الغروية فان بقاء الحياة واستمرارها يترجم عنه من الناحية الفيزيقية

بثبات الحالة الغروية ، وفناء الحياة أو اضطرابها يترجم عنه من الناحية الفيزيقية بانهيار الحالة الغروية

أما أهم هذه الصفات التي يرجع إليها ثبات الحالة الغروية فهو وجود شحنة كهربائية من نوع بعينه تحملها الجزئيات المنتشرة فتدفعها إلى التباعد بعضها عن بعض فتمنعها من التهالك . فاذا ما أدخل على المحلول الغروي جسم يحمل شحنة كهربائية مضادة لشحنته لا تلبث جزئيات المحلول الغروي أن تتجاذب مع هـذا الجسم الغريب وفقاً للقانون الطبيعي الذي يقرر التجاذب بين جسم موجب وآخر سالب، وبالتالي ينهار المحلول الغروي ؛ وهذا مايحدث بين السموم المفرزة من الجراثيم وبين الجزئيات الزلالية في الأنسجة الحية . ومما يجدر ذكره أن تقدم الكائن الحي في السن وانحداره نحو الهرم يقابله تغير في الصفات الغروية الخاصة بأنسجته ينتج عنه تباطؤ في نشاطها ؛ وهكذا يمكننا أن نقرر دون خشية الخطأ أنه في اليوم الذي تتم لنا فيه معرفة جميع الصفات الغروية نكون قد كشفنا الغطاء عن جميع معميات المظاهر الفسيولوجية في الصحة والمرض

ومن المسائل التي استرعت اهتمام سورنسن مسألة الوزن الجزيئي للزلاليات، أي وزن أصغر جزء له نفس صفات الجسم الذي يتركب من عدد كبير من هذه الجزئيات ؛ فاستعان بالضغط « الأسموزي » أي الضغط الذي يحدثه دفع محلول على جدار غشاء إذا وجد من الناحية الأخرى من هذا الغشاء محلول ذو تركيز يختلف عن تركيز المحلول الأول . وبواسطة قانون « فان تهوف » الذي يبين العلاقة بين الضغط ودرجة الحرارة المطلقة والتركيز الجزيئي يصبح من السهل استنتاج الوزن الجزيئي . أدت هذه الطريقة سورنسن ثم « أدير » إلى تقدير الوزن الجزيئي لزلال البيض بـ ٣٤ر٠٠٠ وبضعف هذا العدد لزلال الدم . وقد حققت التجارب التي أجريت بواسطة طرق فيزيقية أخرى هذا العدد كما حققت أن المواد الزلالية المختلفة لا تختلف في وزنها الجزيئي إلا بأنها حاصل ضرب هذا العدد في أعداد صحيحة . وليس في ذلك غرابة، فنحن نعلم أن المواد الغروية تتكون من وسط منتشرة فيه دقائق مؤلف كل منها من عدد معين من الجزئيات قد يختلف من مادة غروية إلى أخرى . ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف في الوزن الجزيئي فان مايسترعي النظر حقا هو ضخامة حتى أصغر قيمة وجدت للوزن الجزيئي في الزلاليات وهي ١٧ر٠٠٠ (يلاحظ أنها نصف ٣٤ر٠٠٠) ؛ ذلك لأننا لا نعرف جسما يقترب وزنه الجزيئي من هذه القيمة مما يدل على شدة التعقيد في تركيب المواد الزلالية ؛ ومع ذلك فان تحليل هذه المواد إلى عناصرها الأولية لا يؤدي إلا إلى أربعة عناصر بسيطة هي الكربون والهيدروجين والأكسجين والأزوت ، ثم في معظم الحالات أيضاً الكبريت . إذن فالتعقيد لا يأتي من ازدحام عدد كبير من العناصر الأولية، بل من النظام الداخلي في ارتباط هذه العناصر . كيف تتركب إذن هذه المواد ؟

إذا أجرينا على المواد الزلالية تحليلا تخمريا أي بواسطة الخمائر مثل خمائر الأمعاء فانها تنحل في النهاية إلى عدة أجسام بسيطة التركيب إلى حد ما ، يدعونهـا الأحماض الأمينية أي أجسام يبينها وجود وظيفة حمضية بجانب وظيفة أمينية (وهي وظيفة قلوية تحتوي على الأزوت منتشرة في المواد العضوية) ؛ وعلى ذلك كان من السهل أن يتحد حامض أميني مع حامض أميني آخر بأن ترتبط الوظيفة الحمضية لأحدهما مع الوظيفة الأمينية للآخر، كما أنه يمكن أن يتحد هذا الجسم المزدوج الجديد مع حامض أميني ثالث بنفس الطريقة وهكذا . وقد تمكن فيشر من تركيب نحو ثمانية عشر حمضاً أمينياً بعضها مع بعض فنتج لديه أجسام لها كثير من خصائص المواد الزلالية . هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الأحماض الأمينية نفسها يمكن تركيبها من أجسام بسيطة . وقد كان لسورنسن الفضل في دراسة وتركيب أحد هذه الأحماض الأمينية الهامة وهي الأرجينين، كما كان له فضل ابتداع طريقة للتقدير الكمي للأحماض الأمينية في محلول يحتوي عليها

(للبحث بقية) مصطفى زيور

للتاريخ السياسي

جهود المستر تشمبرلين وما ادت إليه

للدكتور يوسف هيكل

« علمتني التجارب أن الضعف في القوة العسكرية يعني الضعف في السياسة . » تشمبرلن — ٦ أكتوبر

إن خطاب الهر هتلر في نورمبرك وما تبعه من اضطرابات في تشيكوسلوفاكيا ، وقطع المفاوضات بين حكومتها وحزب السوديت الألمان، أقلق الرأي الدولي ولاسيما في لندن وباريس . فقام المستر تشمبرلن ، رئيس الحكومة البريطانية ، بالاتفاق مع المسيو دلاديه رئيس الحكومة الفرنسية ، يبذل جهود شخصية لم يكن أحد يتوقعها منه ، لابعاد شبح الحرب العالمية وتثبيت السلام . وإننا في عرضنا لهذه الجهود نتكلم عن مباحثات برختسكادن ومشروع لندن ، ونذكر مطالب الهر هتلر الجديدة ، ونبدي ما تلاها من الذعر الدولي ، وما تم في مؤتمر مونيخ

مباحثات برختسكادن ومشروع لندن

اشتدت خطورة الحالة في تشيكوسلوفاكيا في ١٣ سبتمبر (ايلول) وخشي حدوث حرب أهلية بين التشيك والألمان السوديت على أثر انتشار الاضطرابات بين المتمصرين في كثير من المقاطعات السوديتية ، وذلك مما كاد يؤدي إلى تدخل الجيوش الألمانية ، وبالتالي إلى مساعدة الجيش الفرنسي لحكومة براغ . وهذه الأعمال الحربية إن وقعت ، لا تلبث أن تصبح حربا عالمية بتدخل الدول الأخرى عملا بالمحالفات التي تربطها مع براغ وباريس من جهة ، ومع برلين من جهة ثانية

وبما أن النظام الدكتاتوري الذي يضع مصير البلاد في قبضة رجل واحد قلل الانتفاع من النظام الديلوماسي الاعتيادي ولاسيا في ساعات الأزمات، لذلك قرر المستر تشمبرلين، بالاتفاق مع حكومة باريس ، الذهاب إلى ألمانيا ، ومقابلة الهر هتلر ، ليتحقق ما إذا كان لايزال باقيا أي أمل في حفظ السلام . فأرسل إليه في ١٤ سبتمبر (ايلول) برقية قال فيها :

« نظرا لازدياد تحرج الحالة أرى أن آتي لمقابلتكم بقصد السعي لايجاد حل سلمي . وفي عزمي أن آتي بطريق الجو ، وإني مستعد للسفر غدا . فأرجو أن تخبرني عن أقرب وقت تستطيع فيه مقابلتي ، وعن المكان الذي نجتمع فيه » . فرد الهر هتلر على هذه البرقية بقوله إنه مستعد لمقابلة رئيس الوزارة البريطانية غداً في برختسكادن

طار المستر تشمبرلين إلى ألمانيا صباح ١٥ سبتمبر (ايلول) فوصل برختسكادن الساعة الرابعة . وبعد تناول الشاي مع زعيم ألمانيا أخذ رجلا الدولة يتباحثان . ولم يحضر مباحثاتهما هذه التي دامت ثلاث ساعات غير المترجم

خلال هذه المحادثات أبان الهر هتلر بوضوح وتأكيد ، وجوب إعطاء السوديت الألمان حق تقرير مصيرهم ، والعودة إلى الريخ إذا كانوا يريدون ذلك . وإذا لم يعطوا ذلك الحق فان ألمانيا تأخذه لهم بالقوة .

وقد تذمر الهر هتلر من تهديدات بريطانيا له فأجاب المستر تشمبرلين على ذلك أنه يجب التفريق بين التهديد والانذار . وقد يكون للهر هتلر سبب معقول من التذمر لو أن المستر تشمبرلين مكنه من التفكير في أن بريطانيا لا تدخل ضده في حرب مهما كانت الظروف ، ولكن عملياً توجد حالات إن وقعت تضطر بريطانيا إلى دخول الحرب ضد ألمانيا .

ظهر للمستر تشمبرلين أن الهر هتلر كان يتأهب إلى اكتساح تشيكوسلوفاكيا مما جعله يسأله لماذا مكنه من السفر إليه مسافة طويلة ، مادامت نتيجة ذلك ضياع وقته فقط . فأجاب الهر هتلر على ذلك أنه لو أن المستر تشمبرلين يؤكد له هناك (أي في ألمانيا) وفي ذلك الوقت ـ أن الحكومة البريطانية تقبل مبدأ حق تقرير المصير ، لكان (أي الهر هتلر) مستعداً لبحث الطرق والوسائل لتنفيذ ذلك . ولكن إذا كانت الحكومة البريطانية لاتعتبر هذا المبدأ ، فان من الحق ألا تكون هناك فائدة من متابعة المحادثات . غير أن المستر تشمبرلين لم يكن حينئذ وفي ذلك المكان في حالة تمكنه من إعطاء مثل ذلك التأكيد ، فأعلم محادثه أنه يريد العودة للمشاورة مع زملائه في هذا الشأن ، إذا امتنع الهر هتلر عن القيام بأعمال عدائية ريثما يتمكن من معرفة جوابهم . فوعده الهر هتلر بذلك .

***

عاد المستر تشمبرلين إلى لندن صباح ١٦ سبتمبر (أيلول)، معتقداً أن لا شىء يحول دون احتلال الجيوش الألمانية تشيكوسلوفاكيا إلا منح الألمان السوديت حق تقرير مصيرهم فى وقت قريب. وكان ذلك، فى رأيه، الأمل الوحيد فى الوصول إلى حل سلمى.

وفى اليوم نفسه، وبطلب من المستر تشمبرلين عاد اللورد رنسيمان من براغ إلى لندن. ولما سأله الصحفيون عن رأيه فى الموقف أجاب: « كنت أود لو أننى أعرف عن الموقف ما تعرفون، وأخشى ألا يكون عندى من المعلومات ما أفضى إليكم به غير القول بأن الحالة دقيقة جداً وأنها بين يدى الله ».

وفى مساء ذلك اليوم عقد مجلس الوزراء البريطانى جلسة، حضرها اللورد رنسيمان. وفى هذه الجلسة عرض رئيس وزارة بريطانيا لزملائه ما سمع من الهر هتلر، وما حمل من فكرة عن موقف الجيش الألمانى إزاء المشكلة التشيكوسلوفاكية. وفى هذه الجلسة أيضاً أوقف اللورد رنسيمان الحكومة على الحالة فى تشيكوسلوفاكيا وأبدى لها ما يعتقده من حل حاسم لمشكلاتها.

بعد أن عرض اللورد رنسيمان سير المفاوضات ووضع مسؤولية فشلها على الهر هنلاين ومعاضديه داخل البلاد وخارجها قال: «مع ذلك فاننى أعطف على قضية السوديت. إنه من المؤلم جداً أن يخضع الشعب لحكم شعب غريب» ثم أبان أنه حين وصوله كان زعماء السوديت المعتدلون لا يزالون يرغبون فى حل يبقيهم داخل حدود الدولة التشيكوسلوفاكية، لتأكدهم أن الحرب ستقضى على بلادهم لأنها ستكون ساحتها. وقد حاول اللورد الوصول إلى مثل هذا الحل ولكنه لم ينجح، لتصلب أتباع الهر هنلاين وإيجادهم العراقيل أمام تحقيق الحلول المرونة. لهذا أخذ اللورد رنسيمان يدين بأن المقاطعات المأهولة بأكثرية كبيرة ألمانية يجب أن تعطى حالاً حق تقرير مصيرها، وأنه إذا كان لابد من إلحاق بعض الأقاليم بألمانيا، وهو يعتقد بضرورة ذلك، فانه يجب أن يكون حالا ومن غير تأخر. لأنه وجد — حسب رأيه فى ترك الحالة غير جلية — خطر حقيقى: خطر حرب أهلية. ولذلك يرى وجوب اتباع سياسة سريعة حاسمة. أما إجراء الاستفتاء فى المقاطعات التى تكون أكثريتها الساحقة ألمانية، فما هو إلا عمل شكلى إذ الأكثرية من سكان هذه المقاطعات تحبذ الانضمام إلى ألمانيا. والاستفتاء لا يؤدى فى هذه الحالة إلا إلى تهيج شعور الجمهور، وبالتالى إلى نتائج سيئة. لهذا فان اللورد رنسيمان يوصى بضم هذه الأقاليم التشيكوسلوفاكية إلى ألمانيا

أما الأقاليم التى فيها النسبة الألمانية قليلة فانه يوصي باعطائها الاستقلال الذاتى ضمن حدود الجمهورية التشيكوسلوفاكية

وبعد أن عرض اللورد رنسيمان مسألة الحدود، تناول الأوجه السياسية التى تتعلق بسلامة الجمهورية التشيكوسلوفاكية وبتحسين علاقاتها مع مجاوريها اللاصقين، ولتحقيق ذلك يوصى:

١ — منع الأحزاب والأشخاص فى تشيكوسلوفاكيا الذين يشجعون اتباع سياسة الخصومة لمجاوريها، من متابعة تحريضهم حتى ولو باتخاذ وسائل قضائية ضدهم

٢ — تغير حكومة براغ علاقاتها السياسية الدولية كما تعطى تأكيداً لجاوريها بأنها لا تريد مهاجمتهم فى أى ظرف من الظروف، أو بالاشتراك فى أى اعتداء عليهم تنفيذاً لمعاهدات مع دول أخرى. ومعنى ذلك إلغاء حكومة براغ لمحالفاتها الدفاعية مع فرنسا والروسيا

٣ — ضمان الدول الرئيسية — الذين يهمهم السلام فى أوربا — حدود تشيكوسلوفاكيا فى حالة التعدى عليها، غير المحرض عليه

٤ — عقد معاهدة تجارية بين تشيكوسلوفاكيا وألمانيا إن كان ذلك مفيداً لاقتصاديات البلدين

***

كان لتقرير اللورد رنسيمان تأثير عظيم على الحكومة البريطانية. وقبل أن تضع خطتها النهائية، رأت من الضرورى استشارة الحكومة الفرنسية، فدعا المستر تشمبرلين المسيو دلاديبه رئيس وزارتها، والمسيو بونيه وزير خارجيتها إلى لندن للتشاور مع الوزراء البريطانيين فى ١٨ سبتمبر (أيلول)

اجتمع الوفد الفرنسى بالوزراء البريطانيين، وأبان له المستر تشمبرلين مطالب الهر هتلر ورأى الحكومة البريطانية فيها، وأوقفه على ما وصل إليه اللورد رنسيمان. وقد تم الاتفاق بينهم على مشروع لحل النزاع الألمانى التشيكوسلوفاكي يضمن تحقيق مطالب زعيم ألمانيا ويحتوى على النقط التالية:

١ — فصل المناطق المأهولة بأكثرية ألمانية عن تشيكوسلوفاكيا وضمها إلى الريخ .

٢ — عدم إجراء الاستفتاء ، للصعوبات التي تنجم عنه ، والاستعاضة عنه بالتنازل عن المقاطعات التي كان يجب إجراء الاستفتاء فيها .

٣ — تأليف لجنة دولية ، تكون تشيكوسلوفاكيا أحد أعضائها ، لتعيين الحدود التشيكية الجديدة والاشراف على تبادل السكان .

٤ — تعهد حكومة بريطانيا بالاشتراك بضمان دولي للحدود التشيكية الجديدة بدلا من معاهدات الدفاع الحالية .

وافقت الوزارة البريطانية بالاجماع على هذا المشروع ، أما في فرنسا فاعترض عليه أربعة من الوزراء . وفي ٢٠ سبتمبر (إيلول) أرسلت حكومة براغ ردها على مشروع لندن إلى الحكومة البريطانية ، أبانت فيه الأسباب التي تدعوها إلى عدم قبول التنازل عن الأرض السوديتية . وأشارت إلى أنها لا يمكنها فقط قبول الاقتراحات الانكليزية الفرنسية التي وضعت دون موافقتها ، وطلبت أن يكون الخلاف بين تشيكوسلوفاكيا وألمانيا موضع التحكيم ، وفقا لمعاهدة عام ١٩٢٦ المعقودة بين هذين البلدين ، وأن تعيد حكومتا لندن وباريس النظر في المسألة ؛ غير أن سفيري بريطانيا وفرنسا زارا الرئيس بنيش في الساعة الواحدة والربع من صباح ٢١ سبتمبر (ايلول) وألحا عليه بضرورة قبول مشروع لندن ، وقد أفهماه أن الحالة في بريطانيا لا تمكنهما من دخول حرب دفاعاً عن تشيكوسلوفاكيا ، وبالتالي فان الحكومة الفرنسية لا تستطيع نجدة حليفتها . فقضت حكومة براغ ما بقي من الليل في درس الحالة . وفي الصباح أصدرت بياناً ذكرت فيه الأسباب التي اضطرتها إلى قبول مشروع لندن . ومما جاء فيه ، أنه « لم يسع رئيس الجمهورية والحكومة إلا قبول اقتراحات الدول الكبرى لأننا وجدنا أنفسنا بلا معين » .

على أثر ذلك اضطرب الرأي العام في تشيكوسلوفاكيا ، وقامت في البلاد مظاهرات وطنية ، واحتشدت الجماهير أمام قصر الرياسة صارخة « فليحي سيروفي ، وليحي الجيش » . فأطل الجنرال سيروفي مفتش الجيش العام من شرفة قصر الرياسة وألقى خطاباً قال فيه : « إنكم لا تعلمون الأسباب التي حملت الحكومة على اتخاذ القرارات الأخيرة . إني أحب الجمهورية بقدر ما تحبونها . إننا لا نستطيع أن ندفع بالشعب إلى الانتحار » . فأجابت الجماهير « إننا نفضل الانتحار ولا نريد أن يمس شرفنا . نريد الكفاح » . . . وكانت النساء على الأرصفة يشهقن بالبكاء ، والدموع تتساقط من أعين رجال البوليس .

وفي صباح ٢٢ سبتمبر (أيلول) استقالت وزارة الدكتور هودزا وأعلن تأليف وزارة قومية برياسة الجنرال سيروفي ، رجل تشيكوسلوفاكيا القوي .

ورغم مطالب بولندا وهنغاريا التي زادت تعقيد المشكلة التشيكوسلوفاكية فان الدوائر السياسية ظنت أن الأزمة الدولية قد انفرجت بقبول تشيكوسلوفاكيا مشروع لندن الذي هو عبارة عن تحقيق مطالب الهر هتلر . واعتقدت أن طيران مستر تشمبرلين إلى ألمانيا للمرة الثانية في ٢٢ سبتمبر (إيلول) مكلل بالنجاح . فهل تحقق ظن هذه الدوائر ؟ هذا ما سنعرفه في المقال المقبل

يوسف هيكل

فى اللغة

المؤنث والمـــذكر
فى اللغات السامية
للأستاذ عمر الدسوقى

« تقدم إلى قراء الرسالة كاتبا جديداً من نوابغ الشبان الذين جمعوا بين الثقافتين الشرقية والغربية وهو الأستاذ (عمر الدسوقى). فقد تخرج فى دار العلوم سنة ١٩٣٢ ثم أرسل إلى انجلترا للتخصص فى اللغات السامية ، فدرس منها الحبشية والحميرية والآرامية والعبرية ، ودرس إلى جانب ذلك اللغات الفرنسية فى انجلترا وجرنوبل بفرنسا ، والألمانية بانجلترا وجامعة « بن » ، ودرس أيضا الفلسفة فى جامعة لندن ، وحاز بكالوريوس الشرف فى اللغات السامية من معهد اللغات الشرقية بلندن . وقد وعد الاستاذ أن يخص الرسالة ببحوثه القيمة فى المواد التى تخصص فيها »

ما الفكرة التى حدت بالساميين إلى تأنيث بعض الأسماء وتذكير بعضها الآخر ؟

وهل كان هذا التقسيم معتمداً على فكرة تشبثت بها أذهانهم وتصوراتهم أم كان ذلك عفواً ومن غير قصد ؟ لماذا كان الذهب مذكراً والفضة مؤنثة ، والكرسي مذكراً والمائدة مؤنثة ، والبيت مذكراً والدار مؤنثة ، والقمر مذكراً والشمس مؤنثة ؟ تسأل علماء اللغة وكتب اللغة فلا تجد جواباً شافياً ، اللهم إلا هذا التقسيم القديم ، وهو انقسام الاسم إلى مذكر ومؤنث ، والمؤنث إلى حقيقى وغير حقيقى ومعنوى ومجازى ولفظى ؛ ولكن لماذا لحقت تاء التأنيث وأخواتها المؤنث غير الحقيقى ؟ أو لماذا اعتبروا بعض الأسماء مؤنثاً ولو لم تكن بها إحدى علامات التأنيث ؟ هذا ما سيدور عليه البحث الآنى : —

نجد فى اللغات الأوربية الهندية مذكراً ومؤنثاً ، وألفاظاً لاهى بالمذكرة ولاهى بالمؤنثة ، وهى ما تسمى بالانجليزية Neuter ، وأن بعض اللغات الأوربية قد اقتصر على المذكر والمؤنث كالألمانية والفرنسية ، ونجد بعض كلمات فى الانجليزية مؤنثة أو بعبارة أصح تعتبر مؤنثة ، مع أنها بعيدة عن فكرة التأنيث من حيث « الجنس » أى فمثلاً كلمة Ship سفينة مؤنثة ، وكلمة moon أى قمر مؤنثة ، وكلمة engine أى آلة مؤنثة ، ولكنها كلمات قليلة لعلها أثر من آثار الماضى . أما اللغات السامية فقد أتحدت على تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث ، واتحدت فى الأسماء التى تؤنث ، وهذا ما جعل المستشرقين – ماعدا نولدكه وفنسنج – يقولون إن الساميين قد قاموا بهذا التقسيم حينما كانت لغتهم لا تزال لغة واحدة Proto-Semitic ، وإن نظرتهم إلى الأشياء كانت نظرة عميقة جعلتهم يتخيلون فيها المذكر والمؤنث .

اعتبر العرب بعض الأسماء مؤنثة وإن لم تكن بهـا علامة تأنيث ، ولا تدل على مؤنث من حيث الجنس كالدار والنار ، والذراع والأصبع ، والسوق واليمين ، والأرض والأذن والعين والسن والشمس والحرب ، وهذا ما يسمى مؤنثاً مجازياً ؛ ونجد من هذا النوع خمسة عشر اسماً فى جسم الانسان ، وأحد عشر اسماً من أسماء الآلات ، وأحد عشر اسما لأجزاء السماء والأرض ، واسمين للأمكنة ، وخمسة للحيوانات (١) . ويلاحظ أن هذا المؤنث المجازى يخرج تدريجيا فى بعض اللغات السامية من المؤنث إلى المذكر ؛ فمثلاً كلمة « رحى » وكلمة « كأس » نجد كلاً منهما فى العربيـة والسريانية مؤنثة وفى الآرامية مذكرة ، ومؤنثة تارة ومذكرة أخرى فى اللغة العبرية . وخذ مثلاً كلمة « شمس » تجدها مؤنثة دائماً فى اللغة العربية ، ومذكرة دائماً فى الآشورية ، ومؤنثة تارة ومذكرة أخرى فى الآرامية والعبرية (٢)

أما فى الحبشية فقد تطورت هـذه الكلمات تطوراً آخر ، فحينما نسي الناس الفكرة الأصلية للمؤنث والمذكر حدث خلط حتى فى الكلمات المنتهية باحدى علامات التأنيث (٣)

ويظهر أن هذا الانتقال من المؤنث للمذكر لم يتبع فى كل حال انتقال الكلمة من معناها الأصلى إلى معنى جديد كما حدث فى كلمة « دار » حين أصبحت فى العبرية « دور » بمعنى الجيل ، وانتقلت بذلك من المؤنث إلى المذكر ، بل ربما كان هذا الانتقال لضعف فكرة التأنيث كما فى « رحى ، وكأس » .

---

(١) أنظر كتاب Wright الجزء الأول ص ١٨١ ، ١٨٢

(٢) أنظر كتاب Winsing - Some Aspects of Gender in the Semitic languages.

(٣) أنظر كتاب Dillmann, Ethiopic Grammar ص ٢٧٢

وقد استرعى نظر بعض العلماء وجود بعض علامات التأنيث لا فى الاسم الدال على مؤنث حقيقى فحسب، ولا فى الأسماء التى اعتبرها الساميون مؤنثة لفظاً، بل فى بعض المصادر وبعض الجموع، وكثير من الكلمات التى تدل على الكثرة والقوة. فنجد الألف المقصورة علامة من علامات التأنيث كما فى سلمى وحبلى، وليلى؛ ونجدها فى جمع فعيل، كصريع وصرعى وجريح وجرحى، وقتيل وقتلى، وميت وموتى ... الخ. ومعنى هذا أنه لا فرق فى العلامة بين صيغة المؤنث وصيغة الجمع.

ونجد الألف الممدودة علامة من علامات التأنيث كما فى شقراء وزرقاء وصحراء، وورقاء، ونجدها فى جمع فعيل بمعنى فاعل إذا كان وصفاً لعاقل معتل اللام أومضعفاً مثل أغنياء وأشداء وأقوياء؛ ونجدها كذلك فى جمع فعيل بمعنى فاعل وصفاً لعاقل غير معتل اللام ولا مضعفاً مثل كرماء وجبناء، وبخلاء وسعداء وعظماء؛ وهذان الجمعان من جموع الكثرة.

ونجد أيضاً التاء علامة من علامات التأنيث كما فى فاطمة وسكينة؛ ونجدها كذلك فى بعض أوصاف الذكور للمبالغة كعلامة وفهامة وبحاثة، وراوية ونابغة، وداهية وقعدة، وجثمة[1]، وضجعة ونؤمة، وفى العبرية «قوحِلة» وهو الذى يؤم الناس فى الصلاة. ونجد أيضاً هذه التاء تلحق الجموع لفاعل وفَعَلة، وخائن وخونة، وعامل وعملة، وكاتب وكتبة، وكامل وكملة، وطمام وأطمعة، وغلام وغلمة، وصبي وصبية، وجهبذ وجهابذة؛ وفى العبرية «أو رحاه» جماعة المسافرين.

وتأتى هذه التاء فى المصادر كتجارة وزراعة وصباغة، وحمرة وزرقة ودكنة وعذوبة ونباهة، ومجادلة ومسابقة ومخاصمة، ودحرجة ووسوسة وبعثرة وزمجرة، وتلبية وسيطرة

والتاء فى السريانية كعلامة للمبالغة والكثرة والمصدر والمؤنث ليست نادرة ولكنها تأتى مع «آن» وذلك موجود بالعربية أيضاً؛ فنجدها فى المصدر غليان وفيضان وخفقان، وفى الوصف عطشان وظمآن، وفى الجموع إخوان وفرسان وشجعان وفتيان وغلمان وولدان وسودان وحمران[2]، وهى الصيغة المألوفة فى الحبشية لجمع العقلاء ونحوهم؛ ونجدها فى العبرية بأسماء التفضيل دلالة على بلوغ النهاية «ريشون» الأول، و «آحرون» الآخر

(١) الجثمة: البليد النوام (٢) جمع أسود وأحمر

و «حيصون» الخارج، و «حيخون» الداخل، و «عليون» الأعلى ... الخ

وتأتى فى الآرامية علامة لجمع المؤنث. ويقول الأستاذ مولر Müller إنها كانت أول الأمر «آت» كما فى مسلمات وفاضلات، وأصبحت «آن» قياساً على جمع المذكر فى الآرامية وعلامته الياء والنون

وليست هذه العلامات قاصرة على المؤنث والجمع والمصدر، ولكنها تلحق الكلمات الدالة على أمور معنوية: مثل رحمة، ورأفة، وشفقة، وقسوة، وغلظة، وكرة، وحياة، وشقاوة، وسعادة وبلواء وبأساء وبغضاء، والعلامة هنا تدل على «شدة» ومتانة فى المعنى entensity كما يقول العلامة فنسنج Winsing، ويقول أيضاً إنها تلحق المصغر لتفخيمه وتعظيمه مثل حديا ومجيلى وحيا[1]

يدلنا كل هذا على ما يأتي: —

أولاً: ليس للمؤنث علامة خاصة به من حيث كونه مؤنثاً باعتبار الجنس

ثانياً: وجود صلة وثيقة بين المؤنث والجمع والمصدر والأسماء الدالة على الكثرة والقوة والأمور المعنوية

ثالثاً: هذه الصلة هى دلالة الجميع على بلوغ النهاية وتركز الفكرة ومتانتها

رابعاً: وعلى هذا فالفكرة التى حدت بالساميين إلى تأنيث بعض الأسماء تأنيثاً حقيقياً أو غير حقيقى هى دلالة هذه الأسماء على بلوغ النهاية فى بابها أو لعظمتها[2] وما عليك إلا أن تقرأ صفحة من أحد معاجم اللغة فى باب الهاء لترى ذلك واضحاً جلياً: فالقهقهة شدة الضحك، والكمه العمى ولد به الإنسان، والكنه جوهر الشيء وغايته، والكهمة الناقة الضخمة المسنة العجوز... الخ[3]

وسأبين فى المقال الآتى إن شاء الله لماذا نظر الساميون هذه النظرة المملوءة إكباراً وتعظيماً للمؤنث.

محمد الدسوقى
بكالاريوس الشرف فى الآداب من جامعة لندن
ومدرس بحلوان الثانوية

(١) المجيلى: الخطوة السريعة، والحيا: نشوة الخمر

(٢) أنظر كتاب الأستاذ Brochelmann وهو Précis de Lirquistique. ص ١٢٧

(٣) القاموس المحيط، طبعة بولاق، باب الهاء، ص ٢٨٦

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعى

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

- ٤٤ -

الخاتمة

مات الرافعى فانطوت صفحة من تاريخ الأدب فى مصر وانقرض جيل من أدباء العربية كان له مذهب ومنهاج ؛ ولكن الرافعى الذى مات وغيّبته الصفائح قد خلّف وراءه تراثاً من الذكريات والآثار الفنية ستتعاقب أجيال قبل أن يفرغ الأدباء من دراستها والحديث عنها ؛ وإنها لذكريات تثير فى كل نفس ما تثير من عوامل الكره أو المحبة ، وإنها لآثار ...

أما هذه الذكريات، على ما تبعث فى نفوس طائفة من الأدباء من معانى الغضب أو معانى الرضا ، فقد أثبتُّ منها فى هذه الفصول ما قدرت عليه ؛ وليس يعنيني ما تترك من أثر فى نفس قارئها ، إذ كانت غايتى التى أحرص عليها هى جلاء هذا التاريخ لقراء العربية كما أجد صورته فى نفسى وأثره فى وجدانى ، متجرداً ما استطعت من غلبة الهوى وسلطان العاطفة وتحكم الرأى ؛ لأضع بين يدى كل قارئ — اليوم أوغداً — المادة التى تعينه على الدرس والحكم والموازنة

وأما آثاره الأدبية فقد فصّلت الحديث عن بعضها فى بعض ما سبق من هذه الفصول ، وإلى القارئ جملتها مرتبةً على التاريخ الزمنى :

١ — ديوان الرافعى : ثلاثة أجزاء ، صدرت بين سنتى ١٩٠٣ و ١٩٠٦ ، وقدم لكل جزء منها بمقدمة فى معانى الشعر تدل على مذهبه ونهجه ، وهى مذيلة بشرح يُنسب إلى أخيه المرحوم محمد كامل الرافعى وهو من إنشاء المترجم نفسه

٢ — ديوان النظرات : جزءان ، صدرا بين سنتى ١٩٠٦ و ١٩٠٨

٣ — ملكة الإنشاء : كتاب مدرسى يحتوى على نماذج أدبية من إنشائه ، أعدّ أكثر موضوعاته وتهيأ لإصداره فى سنة ١٩٠٧ ، ونشر منه بعض نماذج فى ديوان النظرات ، ثم صرفته شئون ما عن تنفيذ فكرته فأغفله ، وقد ضاعت (أصوله) فلم يبق منه إلا النماذج المطبوعة فى ديوان النظرات

٤ — تاريخ آداب العرب : صدر فى سنة ١٩١١ بسبب من إنشاء الجامعة المصرية ، وبراه أكثر الأدباء كتابَ الرافعى الذى لا يعرفونه إلا به

٥ — إعجاز القرآن : وهو الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب ، طُبع ثلاث مرات ، أخراها فى سنة ١٩٢٦ على نفقة المغفور له الملك فؤاد

٦ — حديث القمر : أول ما أصدر الرافعى فى أدب الانشاء ، وهو أسلوب رمزى فى الحب تغلب عليه الصنعة ، أنشأه بعد رحلته إلى لبنان فى سنة ١٩١٢ ، حيث التقى لأول مرة بالآنسة الأديبة (م . ى) فكان بينهما ما كان مما أجاءت الحديث عنه فى بعض الفصول من قصة حبه

٧ — المساكين : فصول فى بعض المعانى الإنسانية ألهمه إياه بعض ما كان فى مصر من أثر الحرب العامة أنشأه فى سنة ١٩١٧

٨ — نشيد سعد باشا زغلول : كتيِّب صغير عن نشيده : « اسلمى يا مصر ! » الذى أهداه إلى المرحوم سعد زغلول فى سنة ١٩٢٣ ، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ؛ وأكثر ما في الكتاب من المقالات هو من إنشاء الرافعى أو إملائه

٩ — النشيد الوطنى المصرى : « إلى العلا ... » ضبط ألحانه الموسيقية ، الموسيقار المشهور منصور عوض

١٠ — رسائل الأحزان : كتاب أنشأه فى سنة ١٩٢٤ يتحدث فيه عن شئ مما كان بينه وبين فلانة ، على شكل رسائل زعم أنها من صديق يبثه ذات صدره

١١ — السحاب الأحمر : هو الجزء الثانى من قصة حب فلانة ، أو الطور الثانى من أطواره بعد القطيعة ، صدر بعد رسائل الأحزان بأشهر

١٢ — المعركة تحت راية القرآن : هو كتاب « الجديد

والقديم » وفيه قصة ما كان بينه وبين الدكتور طه حسين لمناسبة كتابه « في الشعر الجاهلي » ، صدر في سنة ١٩٢٦

١٣ — على السفود : قصة الرافعي والعقاد ، نشرته مجلة العصور في عهد منشئها الأول الأستاذ إسماعيل مظهر ، ولم تذكر اسم مؤلفه ورمزت إليه بكلمة « إمام من أئمة الأدب العربي »

١٤ — أوراق الورد : الجزء الأخير من قصة حبه ، يقوم على رسائل في فلسفة الجمال والحب أنشأها ليصور حالا من حاله فيما كان بينه وبين فلانة، ومما كان بينه وبين صديقته الأولى صاحبة حديث القمر

وتعتبر كتبه الأربعة : حديث القمر ، ورسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد — وحدةً يتم بعضها بعضاً ، لأنها جميعاً تنبع من معين واحد وترمى إلى هدف واحد وإن اختلفت أساليبها ومذاهبها

١٥ — ؟ ؟ ؟ : كتاب لا أسميه ، أنشأه في صيف سنة ١٩٣٥ ، استجابة لرأى صديقه فلان وإليه ينسب !

١٦ — وحى القلم : مجموع مقالاته في الرسالة بين سنتى ١٩٣٤ و ١٩٣٦ إلى مقالات أخرى ، طُبع منه جزءان

***

وله عدا ذلك كتب لم تطبع أهمها ما يأتى :

١ — الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب : تام التأليف والتصنيف تقريباً

أسرار الإعجاز : فيه فصول تامة التأليف ، وفصول أخرى أجمل فكرتها في كلمات على ورق أو أشار إلى مصادرها ، وكان الرافعي يعتد بهذا الكتاب اعتداداً كبيراً ، وهو جدير بذلك حقاً ؛ وقد أطلعنى — رحمه الله — على فصول منه ، كما تحدّث إلىّ عن نهجه في تأليفه ، وأذكر أن نهجه فيه كما يأتى :

ا — يتحدث في صدر الكتاب عن البلاغة العربية ، فيردها إلى أصول غير الأصول التى اصطلح عليها علماؤها منذ كانت ، ويضع لها قواعد جديدة وأصولاً أخرى

ب — ويتحدث في الفصل الثانى عن بلاغة القرآن وأسرار إعجازه ، مسترشداً في ذلك بما قدم في الفصل السابق من قواعد

جـ — ويتناول في الفصل الأخير من الكتاب ، آيات من القرآن على أسلوب من التفسير يبين سر إعجازها في اللفظ والمعنى والفكرة العامة ؛ ويعتبر هذا الفصل الأخير هو صلب الكتاب وأساسه ؛ وقد أتم الكتابة — إلى آخر يوم كنت معه — عن بضع وثمانين آية على هذا النسق ؛ وقد نشر منها في الرسالة بضع آيات مفسرة على ذلك النهج ، جملها في بعض أقاصيصه (١)

٣ — ديوان أغانى الشعب : وهو ديوان من الشعر جعل فيه لكل جماعة أو طائفة من طوائف الشعب نشيداً أو أغنية عربية تنطق بخواطرها وتعبر عن أمانيها ؛ وقد أنجز الرافعي طائفة كبيرة من هذه الأغانى نشر بعضها وما يزال سائرها بين أوراقه الخاصة ومؤلفاته التى لم تنشر . وأكثر الأغانى في هذا الديوان مأنوس اللفظ رشيق المعنى مما يجمل وقعه في النفس ويخف جرسه على الأذن .

٤ — الجزء الثالث من وحى القلم ؛ وفيه سائر المقالات التى كتبها، سواء منها مانشر في الرسالة وغيرها من المجلات والصحف، وما لم ينشر من قبل

٥ — الجزء الأخير من الديوان : وهو مجموعة كبيرة من شعره بين سنتى ١٩٠٨ و ١٩٣٧ ، بما فيه من شعر الحب ، والمدائح الملكية التى أنشأها للمغفور له الملك فؤاد

هذا إلى شتيت من المقالات والرسائل الأدبية أنشأها لمناسباتها ومنها كثير من مقدمات الكتب المطبوعة ، بعضها منسوب إليه وبعضها منحول مجهول النسب !

***

وعلى كثرة ما ألف الرافعي وأنشأ من الكتب والرسائل والمقالات والشعر ، فانك لا تكاد تجد كتاباً من كتب الرافعي في دكان من دكاكين الوراقين ، اللهم إلا نسخاً من كتاب وحى القلم في مكتبة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التى طبعته قبل نعى مؤلفه بأشهر

أما المطبوع من سائر الكتب فقد نفد من السوق ، وأما غير المطبوع منها فمازال ورقات وقصاصات على مكتبه ، وإنى لأخشى أن يمضى وقت طويل قبل أن نتنبه إلى ضرورة العناية بهذه المؤلفات التى خلفها الرافعي ورقات مخطوطة يكاد يبليها الاهمال والنسيان أو يسبق إليها العث والقوارض

ولدى الدكتور محمد الرافعي مشروع لاحياء تراث أبيه ،

---

(١) اقرأ في قصة « سمو الحب » تفسير قوله تعالى . « وراودته التى هو في بيتها ... » الآية

من رحلة الشتاء

فى مضارب شمر

أكبر بيت من الشعر فى الجزيرة (موزوبتميا)

للآنسة زينب الحكيم

زرت جملة من بيوت البدو عاليها ومتوسطها وفقيرها . فوجدتها كلها تتحد فى نوعية النسيج التى صنعت منه ، وفى النظم التى اتبعت فى إقامتها منذ القدم

أما الفروق التى بينها ، فمن حيث الحجم وازدياد الأثاث ، وإن محتويات تلك الديار بسيطة ساذجة بوجه عام ، ولا تشمل إلا أهم الأدوات الضرورية للحياة المتقشفة . على أن من أكبرها وأعمرها وأكثرها تحضراً ، دار ملك البادية شيخ مشايخ شمر

زرت هذه الدار ، فاذا بها دار طويلة عريضة ، متينة الأوتاد قوية الحبال ، مهفهفة الجوانب . كلها من نسيج صوف الأغنام والجمال ، على شكل دهليز طويل مقسم إلى حجر ، وهذا التقسيم إما بالنسيج أو بالحصير (السمار) ، وأرضها مفروشة بالأكلة أو بالسجاد العجمى الجميل أو بالحصير ؛ ويتبع هذه الدار على مسافة قريبة جدا منها دور أخرى ، منها ما يختص بالمطبخ أو بالمخازن الخ

وصف الحجرة التى استقبلتنى السيدات فيها

خباء من الشمر فى أحد أطراف الدار عن يمين الداخل إليها طالما تخيلناه وتمنينا رؤيته ، وضع فى الجهة اليسرى منه نوع من السرير العريض ، عليه فراش وثير مغطى بغطاء من الحرير الخالص اللون . وإلى جانبه (شلت) زرابى مبثوثة على الأرض المغطاة بالسجاد العجمي ، وتحت السرير حقائب وصناديق ، تبينت فيما بعد أن بها ملابس وحليا ، وحلوى تقدم للزائرات

الشيخ عجيل الياور وأولاده بين زوارهم من المصريين أمام بيت من بيوت الشعر الكبيرة فى الشلقاط بالجزيرة

كانت السيدة الأولى التى استقبلتنى ابنة الشيخ عجيل الياور ، وهى فتاة رائعة الحسن : لون خمرى جميل ، وخد أسيل ، ولحظ كحيل ، ووجه مستدير عليه وشم قليل . إذا تكلمت فكأنما صوتها موسيقى الجنة العذبة الشجية قد انبعثت إلى عالمنا ، دلال فى وقار كالنسيم إذا سرى ، وكالزهر إذا تمايل

اسمها ملك وهى ملك حقا ، تفيض رقة إذا حودثت ، وتذوب عاطفة إذا استلهمت ، حياء فى غير تعمل ، وشمم فى غير تكبر . عرفتنى بعدد من زوجات أبيها وأخيها ، كلهن كحيلات الطرف أو متكحلات ، يغطى الوشم الأخضر أجزاء من وجوههن وأجسامهن ، فمنهن من غطت كل ذقنها برسومه ، أو زججت

لست أدرى أيجد الوسائل لتنفيذه أم تحول دونه الحوائل وتمنع منه الضرورات !

على أنى أكاد أو من بأن هذه ليست هى الوسيلة للمحافظة على تراث الرافعى ؛ فليس من الوفاء للرافعى وحسن الرعية لأولاده أن تحمل عليهم هذا العبء وما انتفعوا من أبيهم بأكثر مما انتفع كل أديب وكل مسلم وكل عربي فى مصر وغيرها من بلاد العربية .

هل عرفت الحكومة المصرية أو عرف الأدباء فى مصر ما عليهم لأسرة الرافعى من حق قبل أن تحمل عليها هذا العبء إلى ما تنوء به من أعباء ؟ إنه عقوق وكفر وإنكار للجميل !

« شبرا » محمد سعيد العريان

***

١ — إجابة لرجاء القراء فى سوريا ولبنان والعراق ، قد جعلنا آخر الأجل لقبول الاشتراكات فى كتاب « حياة الرافعى » أول يناير سنة ١٩٣٩ ، وهو قريب من موعد صدور الكتاب إن شاء الله

٢ — ليس ما نشرناه فى الرسالة من هذه الفصول هو كل « حياة الرافعى » فان ما ينشر فى صحيفة غير ما ينشر فى كتاب « العريان »

حاجبيها به ، ومنهن من وشمت شفتيها بحيث لا تظهر حمرتهما ، وإنما اندمج لون الوشم مع لون الشفاه فصار اللون أخضر داكنا. وبعضهن طرزن قبب أعينهن برسوم غريبة ، هذا والحناء تخضب أناملهن وأكفهن وكعوبهن

أما « ملك » فكانت فى زينتها وأناقتها تفوقهن جميعاً رقة ودقة وملاحة

سألتها كيف تمضى أوقاتها ، فقالت إنها لا تعمل شيئاً (هذا لأنهـا ابنة ملك البادية بالضرورة) قلت : ولكن ألا تضجرين ؟ قالت: بلى، ولكن هنا ما كينة خياطة أخيط عليها أحيانا . قلت : وهل تقرئين وتكتبين؟ قالت فى غضاضة وألم : لا، إنهم لم يعلمونى . قلت : وهل لك شقيقات؟ قالت: لا، أنا وحيدة. قلت : إذن تفضلى معى إلى مصر وأكون أختا لك والدار دارك أنت . توهجت وجنتاها بالدم العربى النقى ولمعت عيناها ، وانحبست أنفاسها ، ثم قالت فى حرارة: لا يسمحون (تعنى أباها وأخاها) قلت: قد يسمحان، قالت : قولى لهما

وفعلاً سألت أخاها (لأن والدها كان قد سافر إلى بغداد) إذا كان مما يتمشى وتقاليدهم أن تسافر البنت إلى بغداد أو إلى مصر مثلا ، فقال: هذا ضد نظام العشائر. فسألته لماذا لا تتزوج « ملك » فقال : هي لا تريد ، ومن جهة أخرى حتى يتيسر من يناسب مقامها (فهمت من سياق الحديث أن الزواج هناك يجرى على أساس سياسى بحيث تصير بعده مصاهرات صداقة واكتساب قوة للعشيرة)

الملابس

أعجبت بثياب تلك البدوية ، فعزمت على أن أرتدى زيًّا كاملا منها حتى أصوَّر به . وأسرعت فأخرجت من صندوق تحت السرير، ثوبين من الحرير أحدهما أحمر والآخر أخضر ، بأردان طويلة واسعة . فارتديت هذين الواحد فوق الآخر

ثم ارتديت معطفاً من الجوخ الثمين يقارب طول الثوبين ، وردنه طويل واسع مفتوح إلى نصف الذراع ، ثم ارتديت معطفاً ثانياً من الجوخ أيضاً أقصر من الأول وعلى نظامه فيما عدا ذلك ، وهما مزركشان بتطريز جميل . ووضعت على رأسى نوعين من الغطاء ، أحدهما رفيع والآخر سميك ، وحليت معصمى بجملة من الأساور الذهبية ، ووضعت على رأسى حليات ذهبية ، وعلقت فى شعرى قرب أذنى مثلثين من الذهب الخالص المطعم بالأحجار الكريمة ، لا يقل الواحد منهما عن نصف رطل

وطوقت جيدى بطوق من الذهب فى إحدى أطرافه حلية ذهبية دقيقة الصنع جميلة المنظر جداً . وفوق هذا كله ارتديت العباءة الصوفية الشفافة ، ثم العباءة الصوفية الثقيلة التى تستعمل فى الشتاء

شعرت أنى مشلولة الحركة ، ثقيلة الخطى ، لا أستطيع التنفس ، عكس ما تتمتع به صديقتى « ملك » البدوية التى تمتاز بخفة الحركة ورقتها . والانسان ابن العادة

الطعام الذى تناولته فى مضارب شمر

من أهم ما كنت أرقب مشاهدته ، تناول الطعام على الطريقة البدوية فى البادية ، ولما كان وصولى إلى مضارب الشيخ عجيل الياور بعد الظهر ، فانهم بالضرورة لم يعزموا على بتقديم الغداء ، ولا ينبغى أن نتصور أن أهل البادية يستطيعون إعداد طعام بالسرعة التى يؤدى بها هذا العمل فى الحضر

ويصعب جداً على نفس البدوى أن يظهر بغير المظهر اللائق به ، لا سيما أمام الزوار الأجانب ، أو أبناء العشائر الأخرى

وقد قدّم لنا الشيخ الشاى الحار اللذيذ مع اللبن على طريقتنا نحن ، فكان أول فنجان من الشاى استسغت طعمه من مدة طويلة ، وقدم معه أنواعاً من البسكوت الجاف الأفرنجى

العشاء

وفى المساء ، حوالى الساعة الثامنة ، دعينا إلى تناول العشاء فى خيمة بيضاء كبيرة أقيمت فى وسطها مائدة أنيقة الترتيب أفرنجية . وكان النُدُل من العرب النجديين السود البشرة ، يقدم ألوان الطعام على أحدث نظام ، قلت : يا حضرة الشيخ ، ما لهذه النظم والقيود أتينا . قال : فى الصباح تأكلون على الطريقة البدوية . قلت: ولكننا نسافر فى الصباح الباكر ، قال: لا ، بل تبقون ثلاثة أيام على الأقل ، قلت : شكراً ، ولكن وقتنا محدود ، فقال : إذاً يكون الرحيل بعد الظهر

وجاء الصباح ، وجلسنا حول مائدة الإفطار ، وكانت أيضاً

على أحدث نظام أوربي أنيق ؛ فقلت : حقاً لقد خسرنا القضية في هذه الرحلة ياحضرة الشيخ ، قال : لا ، الغداء سيكون بدوياً فلا تخاف ، وحقاً لقد كان

الغداء البدوي

انتشرنا بعد تناول طعام الفطور في البادية نستجلي مباهجها ، ونستكشف أزهارها، ونجمع أنواعها الغريبة ، ونبحث عن الكمأة «الكمه» — وهي نوع من الفطر يوجد تحت الأرض ، يشبه البطاطس ، ولا ورق له ولا فروع — يستعملها البدو كنوع من الخضار يطهى مثل البطاطس . ويجفف منه كميات كبيرة لفصل الصيف المجدب

عند الساعة الثانيـة عشرة ظهراً دعينا لركوب السيارات ، وإذا بها تسير بنا من حيث خيام الشيخ إلى قلب البادية ، فقطعنا نحو عشرة أميال على بساط سندسي جميل على أرض مستوية ثابتة ، حتى وصلنا مجرى ماء يجري في مساحة طويلة وسط البادية . (كونته سيول الأمطار الغزيرة) وهناك وجدنا عبيد الشيخ ، قد فرشوا سجادة عجمية نفيسة حمراء اللون ، قرب مجرى الماء . ووضعت صينية كبيرة فضية وعليها حَمَل محمر ، ومعه أرز الزعفران المزخرف بالكشمش (أي الزبيب)

قال الشيخ : هكذا يكون أكل البدو ، وضرب بيمناه في الأرز المحشي به الحمل ، وأخذ منه كبة طيبة إلى فمه ، ثم بدأ يوزع علينا من اللحم الشهي . فكانت أكلة بدوية بحتة ، بين مظاهر الطبيعة الخلابة ، والنفوس العربية الكريمة والأيدي السخية

تفضل الشيخ فسمح لي باستخدام صحن خاص أضع فيه الكمية التي أستطيع أكلها ، وما كدت أنتهي منها حتى أمر الندل أن يضع لي كمية أخرى ، وما أرى إلا وقد حمل المغرفة وملأها بالأرز وفتات اللحم، وينوي وضعها في صحني ، فقلت له: لا أريد مزيداً، أشكرك، فظل ممسكاً المغرفة بيده الممدودة نحوي وقال : ولكنه أمرني (يعني أن سيده قال له ضع طعاماً للسيدة) ومن سلوكه وتوخيه تنفيذ أمر شيخه المطاع ، شعرت ضمناً أنه يقول «من لم يمت بالسيف مات بغيره» ، وكبشة الندل كانت «غيره» على التحقيق . ما أشد إصرار البدوي ، وما أقوى عزيمته . قلت : حسن أطع أمر الشيخ بارك الله فيك . فوضع ما بالمغرفة في صحني وسار جذلاً

الآنسة زينب الحكيم بالوسط والشيخ صفوك الياور إلى اليمين بالبيداء مع الصيد

بعد أن تناولنا الفاكهة ، وغسلنا أيدينا بالماء الدافئ والصابون ، انطلقنا للصيد . وكانت محاولات الرماة كلها غير صائبة ، ما عدا الشيخ صفوك الياور ، فقد رأى ثلاثة من طير الحبارى الكبيرة ، فقال : لأرمينها ونحن في السيارة ، أسرع ياسائق ولا تتوقف أبداً أو تبطئ . وها هوذا يصيب طائرين من الثلاثة ، حملنا واحداً منها معنا هدية لأصدقائنا في أربل ، فإن هذا الطير لذيذ الطعم بعد الطهي

وبذلك انتهت زيارتنا للبادية مع شديد الأسف

« الحديث بقية »

زينب الحكيم

طاقة أفكار

للأديب محمد فهمى

إن أبطال التاريخ هم أفرادٌ متحمسون للمُثُل العليا إلى درجة الجنون . ومجنونٌ واحد من هـذا النوع فى مصر يغير مجرى تاريخها . . .

الثقة الهائلة بالنفس والايمان بهـا إلى غير حد هما مفتاح العظمة .

ثلاثة لا يصح أن يطلبها فى الحياة عاقل : الراحة . السعادة . الوفاء .

لقد عاد الغرب إلى الوثنية ، ومعبوده تمثال من الذهب على صورة المرأة .

يُخَيَّل إلى أن كل ما يقوله الفلاسفة والحكماء عن الحقيقة كذب صراح ليس بينه وبين الحقيقة أية صلة ، والدليل على ذلك أنهم منذ آلاف السنين للآن لم يتفقوا على رأى فى تعريفها ، وحتى آراء الشخص الواحد وحكمته تتغير وتتبدل حسب حالاته النفسية وانفعاله بالبيئة ثم هى لا تثبت كلما تمادت به السن . أما الحقيقة (إذا كانت حقا هناك) فما زالت بِكراً عجيبة ما دَخل خدرها مغرم !

لو فهم الفنان الحياة لما صار فنانا .

ينظر الفنان إلى الناس وكأنهم أشباح تعيش فى عالم الوهم والخيال وينظر الناس إلى الفنان كأنه طيف بشر يعيش فى عالم أوهامه وخيالاته ...

لولا نصفنا الأسفل لصرنا ملائكة .

ابحثوا عن النفوس الشريفة بين المغمورين .

يصعد البارزون فى الحياة والمجتمع عندنا على جثث صرعى المثل العليا .

إذا عشقت الحياة وضحيت فى سبيلها بكل شىء غمرتك بالرضا وهناء العاشقين . وأما إذا ازدريتها ومضيت صاعداً نحو « المثل الأعلى » عدوها اللدود جردت خنجرها وطعنتك من الخلف . فاذا أصابتك قتلتك وإذا أخطأتك صرت معبود اللاهين . فاذا بها تسعى إليك ذليلة خاشعة تتمرغ عند قدمي معبودها الجبار . ولكن حذار أن تصغى لتوسلاتها، إنها تضمر لك الانتقام الهائل المروع . فاذا انخدعت هوت بك من حالق فاذا أنت سخرية اللاهين !

الطمع رأس الفضائل كلها، والنفوس الشريفة تحققه بالوسائل الشريفة فيكون طموحاً والنفوس الدنيئة تسعى إليه بدنىء الوسائل .

الطمع هو الذى يقود الانسانية إلى الأمام . فالطموح إلى السيطرة والطمع فى امتلاك الشرق والغرب هو الذى قاد الاسكندر من مقدونيا إلى الهند — فامتزجت ثقافات وولدت ثقافات . وهو الذى قاد قيصر إلى أنحاء أوربا حتى بريطانيا « انجلترا » فنشر لواء الحضارة الرومانية بين البرابرة . وهو الذى قاد ويقود الأوربيين فى مشارق الأرض ومغاربها وسيَّر ويسير الحضارة والانسانية إلى الأمام

القناعة داء الشرق العضال فمن لى بطبيب يداوى هذا العليل ؟!

لأن تكون كل فضائلك القناعة والزهد فى الحياة فأنت أبعد الناس عن الفضيلة ؛ فان المشهورين بالقناعة والزهد من السلف الصالح وأبطال الاسلام كانوا على قناعتهم أكبر الطامعين فى ثواب الله ورضائه ، ومن أجل هذا قاموا بأعمال جليلة من الفتوحات والغزوات . وهم فى هذا يتفقون ورجال الغرب الذين قادهم طمعهم فى السيطرة والجاه إلى التحكم فى أمم الشرق ولا فرق غير أن طمع الأولين كان فى نعيم آجل ، وطمع الأوربيين فى نعيم عاجل

ما يتعلمه الشيخ من الشاب هو تجاهل الأمر الواقع فى طلب المثل الأعلى وازدرائه المستحيل

أقارن بين الشباب والشيوخ فأرى كفة الأولين أرجح ، فالشباب يفتقرون إلى الحنكة وخبرة الحياة وهذا ما سيكتسب بطول العمر . أما الشيوخ فينقصهم الحماس والثقة التى لا حد لها وهذا ما فقدوه إلى الأبد

الحياة كالمرأة ، لكي تنال رضاها يجب أن تفعل من أجلها كل شىء

الكبر فى الرجل زراية وفى المرأة وقاية

إذا رأى الثور مظاهرة من الجماهير تهتف بطلب الحرية

والاستقلال — ظن أنهم جائعون يطلبون الملف والشعير وهكذا لا يعرف الجاهل من الحياة إلا أنها أكل وشرب :

آه . ما أسهل أن ينصح الانسان غيره ولكن ما أصعب أن يعمل هو بهذه النصائح :

الوفاء . الشرف . الأمانة . فضائل يكثر التحدث بشأنها والتحسر عليها والنعى على المجتمع لاغفاله أمرها، وماذلك إلا لأن هؤلاء الذين يتحسرون عليها لا يذكرونها إلا إذا كانوا هم فى حاجة لأن يعاملهم بها الآخرون، أما عندما تطالبهم هذه الفضائل بالعمل بها فانهم يشيحون عنها بوجوههم ثم ينسون أن غيرهم لا يفعلون إلا مثل ما فعلوا

الحب شيطان جميل

قل لمن يطلبون الراحة فى الحياة . مهلاً فانها تنتظركم ولسوف تملونها ... هنالك فى القبر

« القاهرة » محمد فهمى

رد على باحث فاضل

بين الغرب والشرق

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

تتبعت فى شىء غير قليل من الامعان والتدبر ما كتبه « باحث فاضل » على صفحات « الرسالة » أخيراً تحت عنوان « بين الشرق والغرب » تعليقاً على ما جاء فى المقالين الأول والثانى من مقالاتى فى الردّ على ما أثاره صديقنا الأديب النابغة « فليكس فارس » من اعتراضات استمدها مما قاله فى مناظرة جرت له معنا منذ عام أو أكثر ، وذلك فى صلب مقال نشرته له « الرسالة » وجهها لفنان مصر « توفيق الحكيم » بمناسبة ما كتبه عن الشرق والغرب فى قصته « عصفور من الشرق » .

وقد راعنى من كتابة باحثنا الفاضل تخبطه فى أمور لا أعتقد أن لها سبباً غير ضعف كفاية التأمل والقياس العلمى عند الجيل الحاضر من كتاب العربية ، فقد انساق باحثنا إلى مواقف ما كان ليقفها لو كان التأمل والقياس عنده اكتملت أسسهما من المنطق العلمى . والمسألة بعد لم تخرج بينى وبين باحثنا المفضال عما كان بيني وبين الصديق « فليكس فارس » ، خصوصاً وأن الكثير من أجزاء مقال الباحث مقتلعة من المادة التى جابهنا بها مناظرنا « فليكس فارس » ، والتى كانت مقالاتنا فى « الرسالة » بياناً مفصلاً لزيفها ، وأنها لا تثبت لـكى تقف على قدميها لترجح رأياً . لأنها تحمل في طياتها أدلة ضعفها . وبعد فباحثنا الفاضل حاول أن يكون فى كتابته منطقياً على قدر الامكان، فجاء فى الشطر الأول من تعليقه بكلام يرد فيها كلامنا إلى أصولها الأولى وخطوطها الأساسية ، ويفصل فيها برأى عنده ، هو الحد الفاصل على ما يرى بين اعتقاد له فى الشرق واعتقاد لنا فى الغرب .

والمسألة لم تخرج عن كونها قضية إن احتملت الجدل من ناحية المنطق الشكلى من حيث هو إدارة الكلام فى صور من الأقيسة لأثبات وجهة من النظر معينة، إلا أنها من ناحية الواقع لا تحتمل الجدل ؛ ذلك أنهـا أولية من الأوليات التى تنزل من مواضعات فكرنا الحديث من حيث لقح بالمنطق العلمي . ونحن فى ردنا على ما أثاره باحثنا الفاضل من اعتراضات ظنها تقوّم وجهة نظر فى تفاضل الشرق على الغرب ، فاننا نرجو أن نفصل الكلام بعد فى موضوع الغرب والشرق موجهين البحث إلى وجهه الصحيح بعد أن تشعب وطال باعتراضات استلزمت ردوداً منا وكلاماً .

وأول شىء ننظر فيه مع باحثنا المفضال فى أساس المفاضلة ، وهل تقوم على أس من شطر العالم إلى شرق وغرب كما هو فى تقويم البلدان . أما باحثنا فهو يرى هذا ، فلـكل من الشرق والغرب عنده عادات وطبائع تباين الأخر ، ولقـد اتسع مدى هذا التباين حتى ألبس العقلية فى كل منها مظهراً خاصاً تميزت به عن الآخر . » ونحن من جهتنا نتفق إلى حد ما مع مفهوم هذا الكلام ، ولكن نقطة الافتراق أننا نرى طابع العقلية الانسانية كان يتأثر فى كل من الغرب والشرق في عصور التاريخ بمد وجزر العقليتين الشرقية والغربية فى حالة جزر ، ويقابل ذلك مد من جهة العقلية الشرقية فان عوالم من الغرب كانت تدخل فى منطقة المد الشرقي فتتأثر بطابع العقلية الشرقية ، وأحياناً

كان يحدث العكس . إذاً فيجب أن نكون محتاطين في قبول الأساس الجغرافى فى تقسيم العالم إلى شرق وغرب . لأن الشرق كان يمتد فى بعض عصور التاريخ فيشمل بقاعاً من العالم الغربى ، كان يصل إلى سفوح جبال البرانس بأسبانيا وسلسلة جبال الكرابات والطونة فى البلقان ولمبارديا في إيطاليا ، كما أنه كان يتقلص فى بعض العصور فينحسب إلى الصحراء العربية في الشرق الأدنى والصحراء الكبرى فى أفريقيا . وهذه مسائل ملحوظة من التاريخ لا تحتاج إلى بيان ، فمن هنــا يتضح أن كلامنا عن التفرقة بين الشرق والغرب إلى ما يمكن له من طابع للغرب وطابع للشرق أدق ما يمكن أن يكون أساساً لبحث الفروق الـكائنة بين طبيعة العقل الشرق وطبيعة العقـل الغربي . والوضوع بعد ذلك راجع لمفهوم الشرق والغرب من علم تقويم البلدان ، ولكن ليس بالصورة القاطمة التى تستخلص من التحديد الجغرافى الصرف ، وإنما على وجــه مرن يتفق والواقع الملموس .

وبعد فيتبين أن ما حارفيه باحثنا الفاضل فى تحديد معنى الشرق والغرب من كلامنا واضح ليس فيه موضع للبس أو غموض أو إبهام . أما أنه يرى بعد هذا كله أن كلمتى الشرق والغرب مجهولتا المعنى والتحديد فى كلامنا ، فلسنا نرى لـكلامه هذا وجهاً ، وهو الذى بعد أن انتهى من تلخيص رأينا فى طبيعة العقلية الغربية وطبيعة الذهنية الشرقية ذهب يقول : (إلى هنا أحسن الـكاتب صنعاً — يعنى بذلك دراستنا لطبيعة العقلين الشرق والغرب — ولو أنه لم يتمد مدلول هذا، يعنى بذلك أننا لو وقفنا عند هذا الحد ولم نعمل على كسب تحليلاتنا العقلية صفة الشعبيات لـكان بحثه (بحق) أوفى ما يكتب فى بحث مظاهر العقليات) ولسنا نعرف كيف يتفق رأيه فى اعتبار بحثنا أو فيما يكتب بحق في بحث مظاهر العقليات من حيث تتناول الفروق الـكائنة بين طبيعة العقل الشرق والعقل الغرب مع قوله إن مفهومى الشرق والغرب بقيا مجهولى المعنى فى كلامنا ...

إذن لنا أن نصرف النظر عن هــذا الـكلام الذى يخترمه التناقض والاضطراب ، ولننظر فيما يعيبه علينا من إكسابنا العقليات مظهر الصفات الشعبية ، فهو يرى أن ليس ثمة فرق أساسى بين طبيعة العقليات جميعها . وعلى هذا فالصورة الذهنية لـكل شعب — عنده — يغلب أن تكون مرآة للشكل المتكون من تفاعل خصائص ذلك الشعب التاريخية مع البيئة . وباحثنا الفضال فى رأيه هذا يفترق عنا عنــد نقطة أساسية ، ذلك أننا نرى أن هنالك فروقاً بين عقليات الشعوب ، فطبيعة العقل الألمــاني غير طبيعة العقل الفرنسى ، وطبيعة العقلين الألمانى والفرنسى غيرها بالنسبة لطبيعة العقل الانجليزى. ذلك أن طبيعة عقل شعب ما ليست سوي خصائص ذلك الشعب منعكسة من مرآة نفسه ...، وطبيعة عقل الشعب يتلون بها العلم تلوناً كبيراً ذلك بحكم أن العلم نتاج ذو شكل خاص للعقل الانسانى ، وهذه حقيقة تنكشف لمن يتعمق فى المسائل العلميــة الصرفة . وأنا شخصيا بحكم اختصاصى فى العلم الرياضى لى أن أتـكلم عن هذه الفروق فى مادة تخصصى ، وكل مالى الآن أن أفعله هو أن أنقل لباحثنا الفضال بعض السطور من كتابنا « الفيزيقا والرياضة والمنطق » الذى نشره غوستاف م . فيشر عام ١٩٣٠ بالألمانيــة عن ليزيغ وينا ، وذلك عن الصفحة ٢١٨ فقد جاء هنالك ماترجمته :

(إن التمايلين اللذين نلمسهما فى علم الرياضة، من حيث رجوع أحدهما بوتيرة سير الاستدلال الرياضى للحدس Intiution والآخر للمنطق logic — مرده ما هنالك من فروق بين طبيعة الذهن الألمانى من الجهة الأولى والذهن الفرنسى من الجهة الأخرى .)

وقد جاء فى هامش كتابنا هــذا تعليق على هذه الفقرة ننقله كما هو مترجماً للعربيّة :

(أما قطب أن التمايلين الأساسين فى علم الرياضة راجع لطبيعة العقلين الألمانى والفرنسى وما بينهما من فروق فذلك حقيقة أولية لايتنازع عليها ، غير أنه يجب أن نلاحظ أن هنالك من الرياضيين فى ألمانيا من تأثر بالعقلية الفرنسية وطابعها الخاص ، أذ كرمن هؤلاء شيخ المدرسة التحليلية فى الرياضة جوتفريد ويلهلم ليبنتز ، فقد كان المذكور تلميذاً لديكارت ، وكانت عقليته عقلية فرنسية صرفة . أما فى فرنسا فهناك قد تأثروا بطرائق العقلية الألمانية نذكر منهم البروفسور شارل هيرميت من دهاقنة العلم الرياضى البحت فى القرن التاسع عشر ، والمسألة بعد ذلك راجعة فى العموم إلى طبيعة العقلين وخصائصهما .)

وإني لأذكر أنني منذ مدة لا تتجاوز ربيعاً واحداً من عامنا هذا كنت في زيارة الصديق حسين فوزى فى مكتبه بإدارة الابحاث الألمانية، وكان على مكتبه بضعة أعداد من مجلة «نيتشر» الجديدة وفى أحدها وقفت على مقال لعالم ألمانى كبير على ما أذكر هو رئيس لمعهد وبلهلم للبحث العلمي يقرر فيه أثر الدم السامى فى العلوم الوضعية ، وأنه يجنح إلى صور يعليها من الخيال على العلم فتعرقل سير العلم الصحيح . وهذا كلام إن لم نتفق مع صاحبنا عليه فى تفاصيله فلا يمكننا أن ننكر أن فيه من وجهة عامة عنصراً من الحق ، أنى من جهة التجريد الذى هو طبيعة الذهن السامى .

إذا صح هـذا ، من أن العقليات تكتسب الصفة الشعبية كثيراً على عكس ما ذهب إليه باحثنا الفاضـل فى تعقيبه على ما كتبناه سقط كل ما أقامه على هذا الوجه من آراء

وبعد فللباحث الفضال سقطات استوجبها عدم تعمقه فى مدلول عباراتنا والنظر إلى ما وراء ألفاظها الظاهرة ، فهو يتساءل قائلاً : متى بدأ الانسان يتحسس الخالق فى شر مخلوقاته ، أهو الشرق مصريا كان أو أشوريا أو كلدانيا أو عربيا أم بدأ به اليونان والرومان والسكسون ؟ والسؤال على هذا الوجه لامعنى له بالنسبة لنا ، لأن الأصل فيه تحسس الخالق بآثاره فى مخلوقاته ، فالخالق هنا أصل والمخلوقات أو الطبيعة فرع . ونحن نقدر أن مثل هذا النظر كان من خصائص العقل الشرقى !.. وليتأمل بعد موضع كلامه باحثنا الفضال !...

غير أن السؤال لو وضع فى صيغة أخرى تتفق مع نظرة العقلية الغربية للأشياء لكانت إفادته : متى بدأ الانسان النظر فى الطبيعة ؟ ومتى انتهى من نظرته هذه إلى الخالق ؟ أهو الغربى أم الشرقى نظر على هذا الوجه ؟ فان السؤال يستقيم له إجابته من أن مثل هذه النظرة من خصائص العقلية الغربية

والواقع أن باحثنا الفاضل يلزمنا عسيراً مثل هذه الاعتراضات ووجه العسر أنها تضطرنا أن نعيد القول ونكرره ونتكلم فى الأوليات

ووجه آخر من أوجه اعتراضات الكاتب ، ذلك قوله : إذا كان الشرق قد أدخل العنصر الروحى فى تقدير المعاملات بين الناس فهل يتنافى ذلك مع العقل السليم ؟ وهل يتهم بعد ذلك بأنه قاصر ؟

لا ... أيها الباحث ! ولكن قبل كل شيء يجب أن تنتبه إلى هذه الحقيقة وهو أننا لم نقل إن الشرق يدخل عنصراً روحيا بين الأشياء حتى تنحلنا هذا الرأى ، وكل ما قلناه إن الشرق يدخل العنصر الغيبي فى الأشياء لأن نظرته غيبية acculte فجعلتها أنت العنصر الروحى ... وشتان بين العنصرين ، وأين كلامك من كلامى هذا !...

ثم مسألة أخرى ... قلنا إن الغرب اتجاهه فى النظر للأشياء البدء من العالم المنظور ، أعنى عالم الطبيعة ، وهو ينتهى منه إلى العالم غير المنظور إن كان هنالك ثمة وجه لمثل هـذا الانتهاء . ولـكن باحثنا الفاضل يتساءل متى بدأت هذه العقلية فى الغرب بحثها عن الخالق عن طريق الطبيعة ، وهو يجيب أن الشرق هو الذى سبق الغرب بمثل هذا الاتجاه ، وما كان الغرب إلا مقلداً لها ومتأثراً بهـا وبأسبابها . وهذا وهم عريق فى الخطأ ، وناحية الخطأ أن الباحث الفاضل توهم أن معنى النظر فى العالم المنظور والبدء منه أن ينتهى منه الانسان للعالم غير المنظور . والمسألة لم تخرج عن أن صاحبنا ينظر لكلامى من ناحية عقليته الشرقية وهنا موضع الداء فى كلامه

« البقية فى العدد القادم »

اسماعيل أحمد أدهم

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نفسها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ....

— ٢٨ —

وكان على الرئيس ورجال حكومته بعد قرار التحرير أن يبذلوا غاية جهدهم ليضعوا حداً لتلك الحرب ، فان انتصار أهل الجنوب معناه القضاء على كل شيء، فيه تصبح الحرية مجرد أمنية وتصير الوحدة ضرباً من الوهم ...

ولقد انقضت تلك السنة الثانية للحرب والجنوبيون أرجح كفة ، ففيها أرغم ماكيلان كما رأينا على التراجع وكان من رتشمند عاصمة الجنوب على بضعة أميال ، وفيها حلت الهزيمة بالقائد بوب وهو يدافع عن طريق العاصمة الشمالية ، وكذلك انتصر الجنوبيون فى الميادين الغربية ؛ ولقد كان مرد تلك الانتصارات إلى كفاية قوادهم وحسن نظام جنودهم ...

وفى نهاية تلك السنة حل محل ماكيلان فى قيادة الجيش الرابط على نهر بوتوماك ، فى طريق العاصمة ، قائد آخر هو بيرنشيد ؛ ولقد برهن هـذا القائد الجديد على كفايته فى بعض الأعمال الحربية من قبل ، ولذلك اتجهت الأنظار إليه فى مركزه الجديد ، وراح أهل الشمال يعلقون الأمال على تغيير القيادة ، أن كان قد ألقى فى روعهم أن ما حل بهم من الهزائم فيما سلف إنما يرجع إلى سوء تدبير ماكيلان ...

ولكن فى الجيش عدد كبير من الجند قد آلمهم أن يفارقهم قائدهم أو أن يحال بينهم وبينه على هذا النحو ، لذلك لم يحسنوا لقاء القائد الجديد أو لم يشعروا تحت رايته بمـا كانوا يشعرون تحت راية ماكيلان من حماسة

وزحف القائد الجديد على رأس جيش ليحتل فردريكسبرج على الضفة الأخرى للنهر ، حيث كان يرابط لى قائد الجنوبيين العظيم ؛ ووقف القائد الشمالى تجاه خصمه يفصل بينهما نهر وتوماك ، وقف ينتظر أن توافيه هناك تلك المعابر المتنقلة التى لا بد له منها ليعبر النهر ولـكن المعابر وصلته متأخرة فاستطاع خصمه القوى أن يحصن المرتفعات حول المـكان ، فلما أخـذ يعبر النهر هو وجنوده انصبت عليهم النيران الحامية من كل صوب ، ونظر القائد فاذا كثير من جنده حوله صرعى لا يقل قتلاهم عن الجرحى ، فكان لا بد أن يتراجع وكانت هزيمة جديدة تضاف إلى سلسلة الهزائم فى ذلك العام المشئوم ...

وحمل الجرحى إلى وشنجطون فضاقت بهم المستشفيات حتى لقد حول عدد كبير من الكنائس وغيرها من الأبنية إلى أمكنة للجرحى ، وطافت النذر بالمدينـة ، وانعقدت فى جوها سحب الغم مركومة سوداء ، وأخذت الناس غاشية من الحزن ورجفة من الذعر زاغت لهما الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ...

وأخذت الأنظار تتجه إلى البيت الأبيض وليس فيهـا من معانى الأمل بقدر ما فيها من معانى اللوم والغيظ ، وكأنما كانت ترف من حوله أرواح القتلى فتلبسه كآبة وتشيع فيه ما يكرب النفوس ويؤلم الصدور ...

وأخذ يظهر فى العاصمة حزب جديد ترمى أغراضه إلى وضع حد لهذه الحرب بأية وسيلة ، وألفى الرئيس نفسه بين تيارين ، فهنا من ينادون بوضع حد لتلك المحنة ، وهنا من يطلبون إعادة ماكيلان إلى القيادة والسير فى الحرب ولـكن فى سرعة وحمية وإقدام ، وغير هؤلاء وهؤلاء قوم يطالبون بتغيير القواد والبحث عن وسائل جديدة تكفل النجاح ، وقوم آخرون خيل إليهم أن الفرصة قد سنحت لهم لاعلان رأيهم فى مسألة تحرير العبيد وكان رأيهم ألا يمس ذلك النظام بما يغير من أصوله ...

وترامى إلى الناس فضلا عن مزعجات الحرب وشائعاتها أن المجلس التشريعى منقسم بعضه على بعض ، وأن مجلس الوزراء نفسه قد شاع الخلاف بين أعضائه ، ورأى الناس مما يشاع ويذاع أنهم على حافة الـكارثة ...

ولكن السنديانة ثابتة على رغم العاصفة لا تنال الريح العاتية شيئاً من ثبوت أصلها وسموق فرعها . أو لم يك فى الغابة منبتها

وكان فيها غذاؤها وريها؟ . . . أجل ، إن رجلا واحدا هو الذى بقى أمام هذه الشدة رابط الجأش صارم العزم قوى الايمان، وذلك هو الرجل الذى ألقت عليــه الأقدار عبء قومه دون غيره من الرجال فكانت كأنما اختارته عن بينة مما تبيت وتدبر !

وقف ابراهام عزيزاً لا يهون ، صلبا لا يلين ، بصيرا لا يطيش حلمه ، أميناً لا يخون العهد الذى قطعه على نفسه ، مؤمنا لن يقعد حتى يتم رسالته أو يموت ... وكان موقف الرئيس هذا هو كل ما بقى للقضية من عناصر القوة ... ولكن أية قوة لعمرى هى أعظم وأبقى من تلك القوة ؟ ألا إن الظروف التى بالغت فى قسوتها على الاتحاد وأنصاره قد عوضتهم من جهة أخرى خير العوض بأن جعلت على رأسهم ذلك الرجل العظيم ...

وليت شعرى ماذا كان عسيا أن يحدث من أول الأمر لو لم يكن على رأس البــلاد هذا الذى درج من بين أدغالها ؟ بل ماذا كان عسيا أن يحدث فى هذه الآونة الدقيقة التى لم يكن للبلاد فيهــا من عاصم إلا الصبر كأعظم ما يكون الصبر ؟ وأى صبر هو أشد وأبلغ من صبر ذلك العود الراسخ الأشم ؟

وكان من قواد الحرب يومئذ قائد يدعى هوكر وهو فى المرتبة الثانية من بعد بيرنسيد ، راح فى ذلك الوقت يذيع فى الجند أن البلاد أشد ما تكون حاجة إلى ديكتاتور يقضى على المنازعات ويرغم الأحزاب أن تحبس هذرها وتدفن خلافها ، وأن الجيش لن يقوده إلى النصر إلا مثل ذلك الرجل الذى يقبض بيد قوية على أزمة الأمور فى الدولة وفى الميادين جيعاً ! ... ولقــد ذاعت أفكار هوكر حتى لقد اجترأ ضابط كبير أن يعلن « أن الجيش وعلى رأسه ماك الصغير يستطيع أن يطهر المجلس التشريعى والبيت الأبيض » ... قالها فى غير تحرج وإن كان قد ألقى القبض عليه من أجلها ...

وكتب لنكولن إلى هوكر يعاتبه على ما يذيع من أفكار ويحذره العاقبة ويعينه قائداً لجيش بوتوماك ، ومما جاء في خطابه قوله : « إنك لن تستطيع أنت ولا نابليون — إذا قدر له أن يبعث — أن ترجع بخير من جيش هذه هى روحه ... ألا حذار من التعجل ، حذار من التعجل ، ولكن أقدم فى نشاط وحية لا تخبو وا كسب لنا النصر »

انتهى العام الثانى لهذه الحرب الهائلة ، وقد لاقى الشماليون ما لاقوا من الهزائم ، ولاقى الرئيس من عنت الظروف والرجال ما لاقى ، وحل العام الثالث فلاقى الرئيس فى مستهله وفود المهنئين بالعام الجديد وباليوم الذى يحل فيه موعد التحرير ، والرئيس مشغول بالحرب وما تتطلب من الرجال والمال ... وها هو ذا يملى الآمال على ما عسى أن يفعل هوكر ويسأل نفسه ترى ماذا سيكون نصيب القضية فى هذا العام

وزار الرئيس ميدان القتال على نهر بوتوماك وقضى هناك أسبوعاً يشرف بنفسه على الجيش ثم عاد إلى العاصمة يمنى نفسه بالعوز الذى يضع حداً لهذا القلق الذى تزايد حتى عم الرجال جميعاً

وتحرك جيش بوتوماك فى إبريل من تلك السنة ولكنه مالبث أن هزم هزيمة منكرة فى شانزلورزفيل ، بعد أن أبلى فى المعركة بلاء حسناً أول الأمر ... ثم انقطعت أخبار الجيش عن العاصمة بعد الهزيمة حتى بات الناس فى حيرة شديدة ... ورضى لنكولن من الغنيمة بالإياب ، فكان يمنى نفسه أن يعود الجيش إلى موقفه الأول فيمنع الطريق إلى العاصمة . . . وأخيراً وصلته رسالة من القيادة أن الجيش قد عاد إلى موضعه ، ولقد تسلمها الرئيس وقرأها فتندت جفونه ، وهو يقول لمن حوله من أصحابه : ماذا عسى أن يقول الشعب ؟ ماذا عسى أن يقول الشعب ؟ واشتد به الغم حتى ما يفلح كلام فى الترفيه عنه ...

وركب الرئيس وجماعة من صحبه زورقاً بخارياً إلى حيث رابط الجيش، فاستطلع واستفهم القائد عن سبب الهزيمة ثم رجع إلى المدينة وقد عقد النية على أمر ... أعلن الرئيس ما يشبه الأحكام العرفيــة ، لحد من حرية الصحافة ومن حرية القول ، وأنذر من يعمل على عرقلة قضية الاتحاد أنه سوف يقدم إلى المحاكم العسكرية لتنظر فى أمره ، ولم يعبأ الرئيس فيما فعل بالنقد الشديد يوجه إليه من كل جانب ، فلقد كان مستنداً إلى أحكام الدستور الذى يخول له أن يتخذ عند الخطر ماتتطلبه مصالح البلاد من الأحكام

وحل الورق محل الذهب والفضة فى المعاملة إذ كانت الحكومة فى حاجة إلى المال لتنفق منه على هذه الحرب الضروس ، ولقــد التجأت من أجلها إلى القرض . . . وعمت الضائقة حتى شملت الناس جميعاً وهكذا ظهر للناس أن هذا العام الجديد أشد هولاً مما سبقه

ولكن هذه الشدة لم تأت بالغرض منها ، فلقد وجد أعداء الحرب وأعداء القضية فيها فرصة لنشر آرائهم ، وسرعان ما تألفت فى نواح كثيرة من البلاد جميات سرية تعمل على مقاومة الرئيس وحكومته بكل ما يمكن من الوسائل

وجهر فريق من ذوى الرأى والمكانة بمقاومتهم هذه السياسة ومن هؤلاء ولندنجهام وهو نائب عن أهايو فى المجلس التشريعى.. ولقد أخذ هذا الرجل يعمل فى نشاط وقوة على معارضة كل مشروع فى المجلس يراد به نصرة قضية الحرب ، وفى خارج المجلس راح يطلق لسانه فى الرئيس بكل فاحش من القول فتارة يسميه « الملك لنكولن » وتارة يسخر من ذلك الرجل الذى يريد « أن يخلق الحب بالقوة ، وأن ينمى شعور الأخاء بالحرب » وتطرف ذات مرة فهتف بسقوطه فى مجتمع احتشد فيه عدد من الديمقراطيين الذين أعجبوا به

وكان برنسيد يقود الجيش فى الجهات التى تقع فيهـا أهايو مدينة ذلك النائب ، ولقد أعلن القائد أن كل شخص يعمل ضد الحرب وقضية الاتحاد جزاؤه أن يقدم إلى محكمة عسكرية لينال عقابه على يديها ... ورد ولندجهام على هذا بخطاب حماسى احتشد الناس فى تلك الولاية لسماعه ودعا الناس إلى رفض هـذا القرار وعصيانه ؛ ولم يسع القائد إلا أن يقبض عليه ويسوقه إلى المحكمة العسكرية فقضت بحبسه فى أحد الحصون هناك ...

وارتفعت الأصوات بالاحتجاج على هذا الفعل الذى يتجلى فيه خنق الحرية، فغير لنكولن حكم الحبس بالنفى إلى خارج مناطق النفوذ الشمالى، وأرسل ذلك النائب المتمرد إلى الولايات الجنوبية فى حراسة نفر من الجند

تكاثفت السحب واكفهر الجو، ولم يعد يرى الناس بصيصاً من نور الأمل، فيئسوا من النصر، وتحرجت الأمور حتى ما يعرف لنكولن نفسه ماذا يفعل ! . . . ألا هل من قائد يكسب معركة واحدة فيعيد الرجاء إلى النفوس، والأمن إلى الخواطر، والعزم إلى القلوب ؟

إن هزيمة الشماليين فى شانسلو رزفيل كانت أقسى ما لاقوا من المحن ، حتى لقد عد مايو وهو الشهر الذى وقعت فيه الهزيمة شر الأيام هولا فى تاريخ تلك الحرب الأهلية الكبيرة ... ولقد كانت خسائر الشماليين فى تلك المعركة بعد ما ذاقوا من الهزائم من قبل ، مما يثبط الهمم ويحل العزائم بينما خرج منها الجنوبيون ولم يخسروا كثيراً اللهم إلا إذا ذكرنا خسارتهم الفادحة بموت قائدهم جاكسون الذى خر صريعاً من رصاصة طائشة أصابته من يد أحد جنوده ...

ها هو ذا الرئيس يفكر ويدور بعينه يتلمس القائد الذى يفلح مسعاه بعد أن خابت مساعى القواد ... ألا من له بهذا القائد ؟ من له بهذا القائد ؟ ... ولكن أين جرانت ؟ إنه هو الرجل ، وإن قلب الرئيس ليلتفت إليه فى هذه المحنة كأنما يلتفت من إلهام . لقد برهن جرانت على كفايته فى بعض المواقع وإن لم تكن بذات بال ، وحسبه النصر فيها على أى حال ، ولعله لا يتخلف عنه النصر إذا ألقيت على عاتقه القيـادة فى غيرها من المعارك الكبيرة ... لقد استطاع أن يستولى على حصني هنرى ودونلسن على نهر المسيسبى فى فبراير من عام ١٨٦٢ سنة الكروب والهزائم واستطاع كذلك أن يحمل الجنوبيين فى أبريل على التراجع فى معركة حامية حدثت فى أبريل من تلك السنة

وكان الرئيس لا يعرف جرانت معرفة شخصية ، ولكن هاتيك الانتصارات فى أوقات عز فيها النصر تنم عن كفاية ، وتدل على بطولة ، وإن عين الرئيس البصيرة لتستشف من وراء تلك الأخبار الرجل المرجو ... وإذا فليرسل الرئيس إليه وليعطه الراية ولينتظر النصر على يديه

ولكن بعض الرجال يلقى إلى الرئيس من أنباء ذلك الرجل أنه بابنة العنقود مولع حتى ما يفيق منها إلا قليلا ، فاستمع إلى الرئيس وقد هداه قلبه الذي لا يكذبه ودلته بصيرته التى لا تخطئه، استمع إليه يقول لهؤلاء الناس « أرجو أن تدلونى : أى نوع من أنواع الويسكى يشرب ذلك الرجل لأرسل منه دنا لكل قائد من قوادى الآخرين » !

أيقن الرئيس أن سوف تنقشع السحب ويتنفس الناس الصعداء ، فلئن لم يكن لهم إلا ثقتهم فى رجلهم ، لقد امتدت عيناه البصيرتان إلى القائد الذى يكون فى ميادين القتال مثل إبراهام فى البيت الأبيض ، رشيدا لا يزوغ بصره ، قويا لا يكل عزمه ، ثابتا لا يخف حلمه ، حكيما يعرف ما يأخذ مما يدع ، جريئا مؤمنا يرى الحياة الحقيقية فى أن يموت فى سبيل مبدئه ...

« يتبع » الخفيف

خطرات في الحياة والموت

عند رؤية جمجمة

للأستاذ عبد الرحمن شكري

رحيقك يا كأسَ النهى والمشاعر ومهبط سر الله بين السرائر (١)

أكأس الحجا أين الرحيقُ تَرَشُّفَتْ علالاته نَشْوَى النهى والبصائر (٢)

أجُرِّعَهُ ثغر من الموت ظامئٌ طوى ماطوى من فطنة وخواطر

حوتها عوادى الدهر إلا أقلها إذا خُطَّ لفظ فى بطون الدفاتر

بدا الناس جيلاً بعد جيل كأنهم تَهَاوِيلُ سِحْرٍ أو سمادير ناظر (٣)

وما تُدْرِكُ الألبــاب منهم عديدهم إذا استجمعتهم بين ماضٍ وحاضر

كأن لم يَلُحْ منهم إذا الموت غالهم وَميض الثنايا أو بكاء المحاجر

ولم يعرفوا الآلام تُحْسَبُ أنها سَتَخْلُدُ فى جسم إلى الموت صائر

فأين مضت أحقاد قوم كأنها لهيب جَحِيمٍ خَالِدٍ فى السرائر

وأين ولوع بالجمــال كأنه زعيم بتخليد الوجوه النواضر (٤)

وأين فِعَالٌ يحسب الناس أنها على جبهة الأيام من وشم قادر

وأين جيوشٌ دَكَّتِ الأرضَ خَيْلُهَا مضت حيث لا تمضى خواطر شاعر

وأين الغزاة الفاتحون وقد بدوا كانبعث الأشْبَاحَ نَفْثَةُ ساحر

فهل أنتِ ممن قد جنته سيوفهم وداسته خيل تحتها بالحوافر

أم ازدان تاج قد لبست بحكمة بها اسْطَعَتِ تصريف الصروف الدوائر

وهل أنتِ مِمَّنْ دَبَّرَ الشرَّ لُبُّهُ وأحكم زَهْوُ النفس جَرَّ الجرائر

أم الخــير ما حنت إليه نوازع لديك وإن لم تحتقب خير غادر (١)

لقد كنتِ وكر اللب لو أن عاديًا من الموت لم يهبط عليك بكاسر (٢)

بِكِ ارتاع مسعود إذا ارتاح يائس بذكرى الردى يرجو عُلَالَةَ صابر

قد اختلف الأقوام فى العيش والردى فَمِنْ ظافر يهوى الحياة وخاسر

هنيئاً لكل ما يرى من عُلَالَةٍ بحسن حياةٍ أو بنجوى المقابر

وما عَلَّلَتْ نفسُ الفتى بِمَنِيَّــة ستطوى هموم العيش طى الدساكر (٣)

سوى رغبة فى العيش يرهب صرفه فيعدو على البُؤْسَى بذكرى الغوابر (٤)

بذكرى الحتوف الجاليات على الورى من الراحة الكبرى أجلَّ البشائر

عبد الرحمن شكرى

---

(١) الخطاب موجه إلى الجمجمة والمراد بالرحيق رحيق الفكر والادراك

(٢) كأس الحجا أى الجمجمة

(٣) التهاويل : الصور والرسوم والنقوش، والسمادير ما يرى الوسنان أو الأعشى من الأشباح

(٤) زعيم بكذا : أى كفيل به

---

(١) احتقب : ادخر أو حمل معه يقال احتقب خيراً أو شراً

(٢) الكاسر : الطائر المفترس والمرادِ بوكر اللب الجمجمة والوكر عش الطائر

(٣) الدساكر : جمع دسكرة وهي في هذا المعنى بيوت للهو والشراب وتأتى بمعنى القرى الصغيرة

(٤) البؤسى بياء فى آخر الكلمة البؤس

(تنبيه) في قصيدة (جنون الأقوياء) الصواب ما أتوه لا ما أتون وقسوة وحش ويقسو لا قوة ويقوى ، والنحل لا النخل

الليـــل

للأديب حسن حبشي

أيها الليلُ: أيها الكاهنُ الصا — مِتُ مِن فجرِ عُمرِكَ الوَسْنانِ
نشأَتْ في ظِلالِ صَمتِكَ أحلا — مٌ فكانَتْ كالزّنبقِ الغَيْسانِ
وا كتسَتْ مِنْ جلالِ رَوْعَتِكَ الكبرى
تهاويلَ حُسْنِها الفتّانِ
وتبدَّتْ كغادةٍ نسجَ الحُسْـ — نُ لها تاجَ رِقّةٍ وحَنانِ
شاعَ في النفسِ نورُها، ومحا لأ — لاؤُها ظُلمةَ الفؤادِ العاني
أتُراها يدُ المَسيحِ أزالَتْ — كلَّ يأسٍ مِنْ خاطري المِدْجانِ؟
كم سُكونٍ يفوحُ بالعِطرِ رفّافاً
وبالشِّعرِ والهوى الرّيّانِ
ولكمْ فيكَ نغمةٍ رقصَ القلبُ
لها هاتفاً بشتّى المعاني
أترى هذهِ النجومُ نوافيسٌ — بمِحرابِ أُفقِكَ الفتّانِ
من بناهُ وشعشعَ النورَ فيهِ — ساحرَ الحُسنِ فتنةَ الأذهانِ
أيهذا الظلامُ يا أُفقَ العُمْـ — رِ، ويا معبدَ الأماني الحِسانِ
إنما أنتَ هيكلٌ جَمُّ الظنِّ — عَلى بابِهِ جهولُ البيانِ
لم تطأ قدسَ أرضِهِ أو تجُبْهُ — غيرُ أوهامِ شاعرٍ فنّانِ
نظمَ الحبَّ والجمالَ نشيداً — وقّعتهُ يدُ الهوى في الأغاني
وتغنّى يا ليلُ في صمتِكَ المُشْـ — جي طَروباً بمُسكِرِ الألحانِ
بعدَ ما حطّمتْ هواهُ المنايا — ورمتهُ بكالحاتِ الأماني
وطوى صفحةَ الشبابِ على كُرْ — هٍ، وأغضى على شَباةِ السِّنانِ

حسن حبشي

الى صاحبة السمو الأميرة فريال

بسمة المـــنى

للأستاذ ابراهيم مأمون

يا ابنةَ التاجِ مِنْ أبيكِ مثالٌ — هو في الصِّيدِ مَضربُ الأمثالِ
هو وحيُ السماءِ في نهضةِ الدِّيـ — نِ نمتهُ جلائلُ الأعمالِ
عصمَ الشعبَ من نيوبِ العوادي — وأعزَّ الحمى بالاستقلالِ
ولدى مهدِكِ الطهورِ رسومٌ — هي غرسُ الندى ونبْتُ الكمالِ
أنجبتكِ العُلا وظلَّكِ الطهـ — رُ وما زلتِ في أعفِّ ظِلالِ
وغدت مصرُ في رحابِكِ فِردَوْ — ساً لولدانِها، وللأطفالِ
انظروا ضافيَ المبرّةِ يمتدُّ — فيكسو طفولةَ الأقلالِ!
فاضَ نورُ المِهادِ حتى كساهم — نضرةَ النورِ ضافيَ الأذيالِ
بين أيديهم الأمانيُّ تسمو — في ثغورِ المنى وحسنِ المآلِ
خطروا أمسِ بالبلادِ يطوفو — نَ ومن نورِهم سنا الإجلالِ
فإذا مصرُ من سناهم نعيمٌ — وإذا هم مطالعُ الإقبالِ
لو رأيتَ الجنانَ قلتَ هم الوِلْـ — دانُ، أو هم فرائدٌ وغوالِ
هبةُ اللهِ للمليكَيْنِ «فريا — لُ» فأنعمْ بما حبا ذو الجلالِ

* * *

يا ابنةَ التاجِ: خلفَ ركبِكِ ركبٌ — حولَهُ الدهرُ والملوكُ موالي
فاملئي المُلكَ مِنْ أريجِ المعالي — واجعلي المهدَ غابةَ الأشبالِ
كتبَ اللهُ أن يعزَّ بكِ الطهـ — رُ وتعتزَّ صاحباتُ الحِجالِ
نهضَ الدينُ بالفتاةِ قديماً — وسقى الوائدينَ كأسَ النكالِ
فاحشري الدينَ في ظلالِكِ يصطـ — فِ وفي الدينِ أعظمُ استقبالِ
ربّما كنتِ كالبتولِ مكاناً — تضربينَ الأبطالَ بالأبطالِ
ربما كنتِ مريمَ ابنةَ عِمْرا — نَ تحلّينَ فوقَ كلِّ منالِ
حفصةُ الأمسِ سايرتْ أبويها — ومشى الدينُ خلفها في احتفالِ
حفظتْ عِزّةَ الكتابِ من الدهـ — رِ وصانتهُ من يدِ الأهوالِ

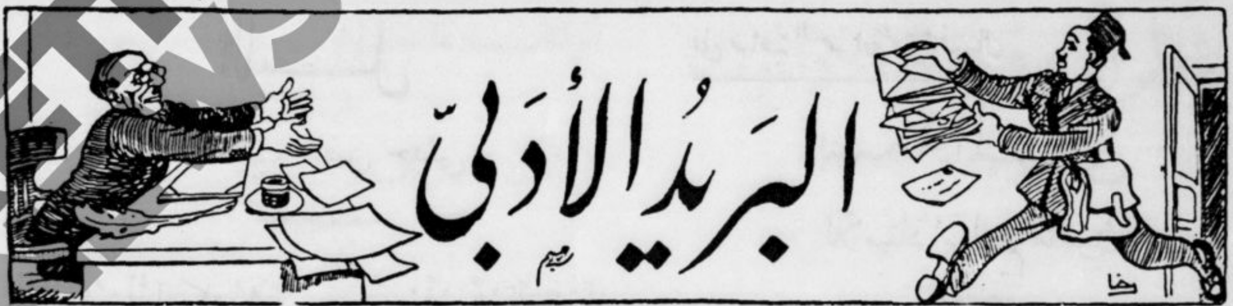

احمد زكى باشا والرافعى

فى المقال رقم ٤٢ من مؤلف الأستاذ محمد سعيد العريان فى « مصطفى صادق الرافعى » أن « زكى باشا (شيخ العروبة) كان على نية إعداد معجم لغوى كبير قبيل وفاته ، وكان للرافعى فى إنشاء هذا المعجم أثر ذو بال ، وفيه فصول كتبها الرافعى بتمامها وأعدها للامضاء »

والذى أعرفه حق المعرفة ، للصلة التى كانت بينى وبين احمد زكى رحمه الله ، أن ذلك المعجم كان مجموعة من الجزازات على الطريقة الافرنجية ، وهى الطريقة التى حذقها احمد زكى دون غيره من أهل اللغة عندنا فيما أعلم . وقد اتفق لى غير مرة أن أنظر فى هذه الجزازات فكانت من خط أحمد زكى أو من خط كاتبه الخاص . هذا وقد وقع لى أن أطلع على مسودات القليل المدون من هذا المعجم ، فاذا الخط خط احمد زكى . ذلك ما أعرفه وربما غابت عنى أشياء ، أو ربما كان احمد زكي يستشير الرافعى كما كان يستشير غيره من المشتغلين باللغة ، وليس فى ذلك مغمز .

أما حديث المقالات التى كان يكتبها الرافعى يمدح فيها نفسه ثم يستدرج احمد زكى إلى توقيعها فمن الغريب أن يمدها الأستاذ العريان مما انتحله احمد زكى وهو من تأليف الرافعى .

والحقيقة أن هذه المقالات مما أراد الرافعى، لسبب فى نفسه ، أن ينسبه إلى أحمد زكى . ب . ف

الأستاذ محمد محمود باشا

قال صاحب المقام الرفيع الأستاذ محمد محمود باشا رئيس الوزراء فى خطبته الغراء فى الاسكندرية[1] : « نحن الآن نجتاز (أوقاتٍ) ملأى بالأحداث والعبر » . وصاحب المقامات المشهورة أبو محمد الحريري فى (ملحة الاعراب) يقول :

(١) يوم رفع الستار عن تمثال الخديو اسمعيل

والحيراء فيّأتْنا نُهــاها وأشاحتْ عن شِرعة الجهّال
نِصْف دين السماء يُؤخذ عنها ومِن الله والنبيّ أمالى !
أنتِ فى الدين ينهن وفى الحر ب لجندرك فى صفوف القِتال
قد حشدْنا لدى الزفاف الغراء ين وركب الملوك والأقيال
وسألتُ البيان ترديد ما قا ت فأغضى وما استجاب سؤالى
وإذا بى أجيل فى مولد الطه ر قصيداً فى عزة وتعالي
سوف ألقاه بالقصيد حَفيا فوقَ ما تعهدُ اللّغى من الأقوال
والبيان الموهوب لا يعرف العو نَ ، ولا ملجأ إلى التسآل
أنا لا أعرف الخواطر تنسا ب سواء ولا اتفاق المقال
ربّما تجمع السباقَ المذاكى ولكلٍ ميزانه في المجال !
ربما يعرض الأديب أديباً فتراه كناحت التمثال
والدرارى وإن نُظِمْن عقودا مَيْزتهن قدرة اللآل
والقوافى إذا اتحدن بحوراً ضل فيهن سابح الأوشال
فتياتِ البلاد قد بسم الدهـ ر وزالت فوادح الأغلال
هذه مصر ترتجيكنّ للمجـ د وحمل اللواء غير أوال
إيه ثَبِّتْن للحنيف لواءً وأزِنَّ الطريق بالأعمال
واستَعِذْن التاريخ فى صحف الغيـ ب كما كان فى السنين الخوالى
تلك « فريال » فى التقى فتمشيـ ن إليها على تُقًى واعتدال
واتخذْن الكتاب فى نهضة الشر ق دليلاً تُزِلْنَ كل اعتلال

* * *

يا مَليكَىْ كنانة الله فى الكو ن رسا الملك فى أصول الجبال
فاهنآ تهنأ البلاد بفريا ل مدى العمر فى السنين الطوال
طلعتْ مطلع الجلال على الشر ق فكانت لمصر أيمنَ فال

ابراهيم مأمون

وكل ما كسِّر فى الجموع كالأسْد والأبيات والربوع
فهْو نظير الفرد فى الاعراب فاسمع مقالى ، واتبع صوابى

وقال الناظم فى الشرح : « وفى جمع التكسير ما يوجد فى آخره ألف وتاء فيتوهم المبتدىء[1] أنه من قبيل جمع المؤنث السالم الذى لا تفتح تاؤه فى النصب ، وذلك مثل أبيات وأقوات وأموات فهذه الجموع الثلاثة من نوع جمع التكسير ويدخل تاءها النصب »

والأستاذ محمد محمود باشا من الفصحاء المربين إذا خطب . وكان الشاعر العظيم (أحمد شوقى) يقول لى : « إنه من المشنوفين بالعربية » لغة آبائه الكرام العرب ، وقد صادق الأستاذ الرئيس — ولم يماد كدأب كثير من عمال السلطان — كتب اللغة والأدب . والكبير المشهور تقلده الناس مخطئاً ومصيباً ؛ ومن أجل ذلك كتبنا هذه الأسطر

القارىء

دار العلوم وكلية اللغة العربية

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الكريمة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قرأت — بإعجاب يمازجه الشكر — ما كتب تحت العنوان الآنف ، فى عدد الرسالة رقم ٢٨١ ، وشاركنى فى عرفان هذا الجميل كل أزهرى .

وقد أتاح لى إعلانَ هذا الشكر ما كتبه حضرة (ع . ح . خ) فى العدد (٢٨٣) رداً على الكلمة السالفة ، إذ أورد حضرته شبهات ليس من الخير أن تمضى بلا جواب .

يرى حضرته أن محاولة المنافسة بين المعهدين آتية من جهة الأزهر ؛ وأنه ليس من المساواة الحقيقية أن يعين الأزهريون فى وظائف التدريس بالمدارس ، دون أن يعين أبناء دار العلوم فى وظائف التدريس بالأزهر ؛ وأن أبناء دار العلوم أجدر بتدريس العلوم الحديثة ، والأزهر يوليها سواهم ؛ وأن دار العلوم فى عهدها الجديد تنفرد من بين جميع معاهد التعليم بدراسة اللغات الأجنبية والسامية وآدابها ، إلى جانب الدراسة المستفيضة للغة العربية وأدبها ، دراسة تبرئها من الجمود ؛ وأن دار العلوم تنشأ فى كنف الوزارة وعلى عينها . الخ .

وأكبر الظن أن حضرة (ع . ح . خ) هذا لا يمت إلى دار العلوم بنسب قريب ؛ إذ لو كان من صميم أبناء الدار الكريمة لعرف أن فى مختلف المعاهد الدينية : الابتدائية والثانوية ، عدداً ليس بالقليل من أبنائها ، يعرفون من حسن زمالة إخوانهم الأزهريين ما ينكره حضرته ، ويشاركونهم فيما لهم وما عليهم ، إلا فى الرواتب ، فان حظ أبناء الدار منها أسعد . وإذا كان حضرة الكاتب يريد بالعلوم الحديثة التى ذكر الجدارة بدراستها : العلوم والآداب ، فجوابه عند حضرة صاحب العزة خالد بك حسنين ورجاله ، لا عند الأزهريين الشيوخ .

فأما كلية اللغة العربية ، فالدراسة فيها إلى رجال من الأزهر يتولون دراسة العلوم الأزهرية فى كتبها القديمة ، يزاملهم صفوة من خير رجال الدار ، على رأسهم أستاذ الأساتيذ : أحمد بجاتى ؛ ويتولون دراسة الانشاء ، وفقه اللغة ، وأدب اللغة ، للفرق العالية ، ويشاركهم بعض من لا يذمون مشاركته من الأزهريين فى الفرق الأخرى .

ويستأثر بالدراسة فى تخصص التدريس رجال من أعضاء البعوث : أبناء دار العلوم وأبناء الجامعة ، لا يشاركهم فيه أزهرى واحد فى كلتا سنتيه ؛ وهم أنفسهم الذين يقومون على تمرين طلابه ، وامتحانهم ، وتخريجهم . فان لم يكن فى كل أولئك ضمان لتبرئة الأدب من الجمود ، فلا أبرأه الله إلى يوم القيامة ... ولئن نامت عين الوزارة عن هذه الجهود المشتركة ، إنها لنؤوم . .

ولقد تجنى الكاتب على الأزهريين فى رميهم بالتعدى ومحاولة المنافسة ، كما بالغ فى الآمال التى يبنيها على المعهد الجديد لدار العلوم. ولو راجع ذاكرته ، لذكر أن الاتفاق بين الأزهر والوزارة على حلول كلية اللغة محل دار العلوم بالتدريج ، حديث مفروغ منه . كما أنه لو رمى بنظره بعيداً ، للمح أن دار العلوم الحق تنقرض ؛ وأن المعهد الجديد سيميل بها عن مقامها الكريم إلى التعاليم الغربية الجامحة التى تباعد بين القديم الخالد ، وبين ناشئة الأمة ورجال مستقبلها . ومن لنا بدار العلوم ؟!!

عذيرك من خليلك من مراد أريد حياته ، ويريد قتلى[1]

وأما بعد ، فان بين الأزهريين وبين الخلص من أبناء دار العلوم من الروابط والصلات ما لا يدفعه تهافت الواغلين ، ونزوات الطائشين ، من أبناء المعهدين : كلية اللغة العربية ، ودار العلوم .

أزهرى

---

(١) المبتدىء فى ذلك الزمان فى اللغة مثل أستاذ فى كلية أوجامعة اليوم .

(١) «الرسالة» : روى الأستاذ الكاتب هذا البيت على هذا النحو وهو لدريد بن الصمة وصوابه :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

حول المركزية في التأليف

قرأت في الرسالة بتوقيع (م . ا) نقداً لمناهج الأدب وتأليف الكتب للمدارس ، فلايسعني إلا أن أصحح ما تورط فيه الكاتب من خطأ قد يكون تلقفه من أفواه النـاس من غير أن يراجع الكتب قبل أن يخط حرفا .

ونحمد الله أن الحملة ليست موجهة إلى المادة العلمية في الكتب، وإنما هي راجعة إلى اشتراك المفتشين والمدرسين ، ولكن ماذكره الكاتب من أن بعض المفتشين اشترك باسمه في كتبنا فهو تجن وتحكم. ولوكان في الوسع أن أقول : كتب فلان وأرشده فلان، وحقق معه المراجع العلمية فلان ، لندم كاتب الرسالة فيما خاض مع الخائضين

وأما كتاب السنة التوجيهية الذي ألفه اثنان من زملائنا في العام الماضي فهو واحد من الكتب التي اشتركنا فيها ، ومادام الكاتب المقنع قد جار على الحقيقة وظلم الناس ، فأنا مستعد أن أضع أمام عينيه في إدارة الرسالة نسخة قديمة ونسخة جديدة من التي اشتركنا فيها ، وعليه أن يراجع الموضوعات موضوعا موضوعا القديم منها والحديث ، وأنا واثق أنه سيعود إلى ما كتب بالتصحيح إن كان يقصد وجه المصلحة العامة .

حسنين حسن مخلوف

المعاهد العلمية الاسلامية في الهند

جاء من عليكرة أن اللجنة العامة للمعارف في الهند اجتمعت في جامعة عليكرة الاسلامية للنظر في تنظيم التعليم في الهند . وقد بسط الدكتور راكز حسين للجمعية برنامجه الخاص بالتعليم وهو يلخص في أن تجعل الحكومة التعليم مجانياً وإجباريا في المدارس الابتدائية للأولاد لمدة ثمانية أعوام والبنات لمدة ستة أعوام ، وأن يفرق بين البنين والبنات في المدارس المشار إليهـا ، وأن تكون لغة التدريس في كل مدرسة لغة المقاطعة التي فيها المدرسة، وأن يتعلم التلميذ صنعة يدوية أو فنية ، وأن ينشأ فرع لاخراج المعلمين من الطلبة المسلمين ، وأن تساعد الحكومة المدارس الأهلية، وأن يكون التعليم الديني إجبارياً في المدراس

ومن أنباء كلكوتا أن رئيس وزراء البنغال السيد فضل الحق رأس حفلة افتتاح المدرسة الاسلامية العليا في كلكوتا . وقد ألقيت خطب ترحيب عديدة من منـدوبي المدارس الاسلامية فرد رئيس الوزراء وقال : إن الضرورة كانت تقضي بفتح مدرسة لتعليم لغة الأوردو وأثنى على الثقافة والأدب البنغالي . وتألف بعد ذلك موكب سار مع الوزير إلى باب المدرسة ففتحه السيد فضل الحق بمفتاح من الفضة

بين مصر ولبنان

حضر الأستاذ السيد محمد عمر منيمنه مدير الكلية الشرعية على رأس بعثة الكلية لمصر؛ وقد وفق لأخذ قرار مجلس الأزهر الأعلى بمعادلة شهادة الكلية الشرعية الثانوية الأزهر ، وأدخل خمسة طلاب في كليات التخصص في الأزهر، وثلاثة في دار العلوم العليا ، وواحدا في جامعة فؤاد بكلية الآداب .

والأستاذ محمد عمر منيمنه مدير الكلية الشرعية يسعى لدى المراجع الرسمية لتكون الكلية الشرعية في بيروت مشمولة بالرعاية الملكية والماضدة السامية الخاصة فندعو له بالتوفيق ...

الاذاعة المدرسية وتفاهة المكافآت

أشرنا مراراً إلى الجهود الجبارة التي تبـذل في جميع الممالك الغربية ولا سيما انجلترا من أجل الاذاعة المدرسية ؛ وأشرنا مراراً إلى الميزانية الضخمة التي تمدها انجلترا سنويا لهذه الاذاعة ونحن هنا في حاجة إلى ستين إذاعة — لا غير — ثلاثون منها للمدارس الابتدائية والثلاثون الأخرى للمدارس الثانوية ، وكلا الاذاعتين صالحتان لجميع السكان غير التلاميذ — فلو أن الوزارة جعلت مكافأة الاذاعة الواحدة جنيهين لكان المبلغ المطلوب لهذه الاذاعات الستين مائة وعشرين جنيها ... ولـكن وزارة المعارف تقول: لا لا ! هذا المبلغ يرهقني ! اجعلوا مكافأة الاذاعة الواحدة خمسين قرشاً فأدفع لكم عن الاذاعات الستين ثلاثين جنيها ، وأنا لا يهمني أن تنفق انجلترا على إذاعاتها المدرسية تسعين ألف جنيه فانها دولة غنية وهي تعني بالتربية الصحيحة أكثر مني !

ومع ذلك فالوزارة تطمع في اشتراك كبار رجال التربية في الاذاعة المدرسية ولو بالمجان !

بين الإسلام واليهودية

كتب إلينا الدكتور م . ه . يقول : إن ما يبديه العالم الاسلامى اليوم من روح العداء لليهود يخالف تقاليد الاسلام . فقد ظل اليهود خلال القرون العصيبة آمنين فى حمى المسلمين بالأندلس وتركية ومصر وسورية، وذلك لقوة الرابطة بين العرب واليهود فى أصل الجنس وأصل الدين وأصل اللغة وأصل الوطن . وكان الأحرى بأبناء العم أن يعطفوا على السامية المضطهدة فى بلاد الدكتاتوريات القائمة على عصبية الجنس واللون ومجافاة الانسانية والدين ...

ونحن نؤكد للدكتور م . ه . أن ليس بين المسلمين واليهود إلا فلسطين . ونقصد باليهود هنا الصهيونيين الذين يريدون أن يجعلوا من فلسطين وطناً قومياً لهم على حساب العرب . أما اليهود المصريون والعراقيون وغيرهم ممن لا يدين بالصهيونية، ولا يساعد على هذه الامبة الانجليزية، فانهم يعيشون مع المسلمين فى كل مكان على وفاق تام وأخوة شاملة

اللغة الأجنبية ومعلمو اللغة العربية

جاء فى الأهرام بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٨ تحت عنوان (تنفيذ خطة الاصلاح فى معهد دارالعلوم) أنه قد « استقر الرأى على إنشاء قسم لتعليم اللغات الأجنبية وآدابها لخريجى دار العلوم على أن تكون الدراسة ليلية . وسيذاع فى الأيام القادمة بيان بأغراض هذا القسم ونظام الدراسة فيه ، على أن يبدأ العمل فيه من منتصف الشهر الحاضر »

وهذا إصلاح جدير بالثناء يتقبله خريجو الدار بنفوس راضية مطمئنة متشوقة إلى الكمال ، راغبة فى الاستزادة من العلم . فاللغات الأجنبية الآن من أعظم مناهل الثقافة فى العلوم والآداب؛ وهم شديدو الرغبة فى ورود مناهلها ، ولديهم الاستعداد للاستفادة منها، حتى تجدى عليهم فى أدبهم ورسالتهم التى يودون أداءها على أحسن الوجوه وأكملها

ولكن ليس كافياً أن تفتتح الوزارة قسما لتعليم اللغات الأجنبية وآدابها ، وتنادى المعلمين : هلموا إلى هذا القسم ، فاذا هم إليه يوفضون ، ومنه يستفيدون مادة جديدة ؛ ثم إذا هم يصدرون عنه وقد حمدوا الورد والصدر ، ورووّا نفوسهم من معينه ، ومحيوا ريّا من نميره ؛ وإذا هو أصبح طيب الأثر لديهم عظيم الجدوى على علمهم وأدبهم وصناعتهم

لا . ليس هذا كافياً ، بل لابد أن تنظر الوزارة إلى الموضوع من ناحية أخرى : تلك هى أنهم ينوءون الآن بعملهم ، فلا يتوقع لهم أن يصلوا إلى الفائدة المرجوّة ما لم يجدوا الوقت فسيحاً يمكن لهم من إتقان عملهم الأصلى أولاً ومن التحصيل المثمر ثانياً

إن المعلم الابتدائى مثلا يقوم بتدريس ٢٤ حصة فى الأسبوع؛ وقد يكون لديه عمل إضافى كمكتبة المدرسة ، فيشغل نفسه بالتحضير والتدريس والتصحيح وغير ذلك من الأعمال الاضافية ؛ ثم لا يجد وقتا للاستجمام وتجديد المعلومات والاطلاع على ما يجد من البحوث ؛ مع أنه كان أولى من غيره بالبحث والاطلاع والانتاج ؛ ولكن عمله الأصلى يأكل وقته ويلهيه عن العناية بشأن نفسه ، بل يورثه الكلال والأسقام

كنا فى لجنة امتحان لا تزيد على عشرة معلمين من خريجى دارالعلوم ؛ ولعل القارئ يأخذه العجب إذا علم أن ستة من هؤلاء كانوا على الطعام يتناولون أدوية تساعد على الهضم وتنظيم عمل المعدة وهم فى سن تمد عند غيرهم سن الشباب ؛ ولكن الذى خبر المهنة وأحس متاعبها يعجب كيف لا يصطحب العشرة جميعهم قارورات الدواء إلى مقر الامتحان !

إنى لأعرف كثيرا من معلمى اللغة العربية أقبلوا على تعلم اللغة الانجليزية حتى نالوا منها قسطا كبيرا جديرا بأن يفيدهم لو بقى فى نفوسهم ، وهيهات أن يبقى مع تتابع أعمالهم المرهقة

وهذا واحد منهم تعلم ستة أشهر بمدرسة أجنبية ، وحصل من اللغة الانجليزية فى هذه المدة القصيرة ما لم يحصله التلميذ فى ثلاث سنوات . أتدرى ماذا من أمره بعد ذلك ؟ لقد قضى سنة يتردد على أطباء العيون والمعدة والأسنان والمفاصل والأعصاب . أما ماعرفه فما لبث أن استحال ضبابا غائما ، ثم تصاعد بخاراً دائبا

إذا كانت الوزارة تعتزم الاصلاح حقا ، فلتتخذ الوسيلة لذلك بتخفيف العبء عن معلمى اللغة العربية ؛ ولتجعل أقسام اللغة الأجنبية فى المدن الكبرى متعددة ليسهل على كل معلم أن يرد القسم القريب من مسكنه ؛ حتى يحفظ وقته ، ويحصل أكثر ما يستطاع

ولا يجولنّ بخاطر أحد أن المعلمين يرجون التخفيف بطرا وتجنيا . لا بل إن كل نقص فى الكم يقابله تحسين وتجويد فى الكيف . فلتسلك الوزارة السبيل القاصدة تحمد غبها وتجد خير النتائج إن شاء الله

مدرس

حول بيت للكميت بن زيد

قرأت في العدد ٢٨١ من مجلة (الرسالة) الكريمة ما كتبه الأستاذ البحاثة الشيخ عبد المتعال الصعيدي عن « الكميت بن زيد ، شاعر العصر المرواني » وقد ورد في هذا الفصل بيت من هاشمية الكميت الميمية ذكر الأستاذ أن الشاعر قاله في بني هاشم وفي خصومهم بني مروان ، ورواه على الوجه التالي :

ساسة لا كمن يرعى (؟) الناس سواء ورعية الأنعام

وإذا ما رجعت حضرته إلى هاشميات الكميت بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي [1] المطبوعة في ليدن عام ١٩٠٤ م بعناية المستشرق جوزيف هوروفتس [2] ، رأى هذا البيت على وجهه الأصلي الصحيح كما نذكره :

ساسة لا كمن يرى رعية النا س سواء ورعيـة الأنعام

هذا ما أردت تبيانه وعرضه على الأستاذ الصعيدي عن طريق (الرسالة) الغراء والسلام ...

« الأعظمية — بغداد » (ص)

موقف مصر تجاه فكرة العروبة

تلقينا بعد الفراغ من طبع هذا العدد مقالا لصديقنا الأستاذ الجليل ساطع بك الحصري وجهه إلى الدكتور طه حسين بك رداً على ما جاء في الحديث المنسوب إليه في جريدة المكشوف البيروتية حول موقف مصر من فكرة العروبة ، فأرجأناه مضطرين إلى العدد المقبل

فرنسس برت ينج والحياة المدرسية

لخصنا للقراء آراء برنرد شو وويـلي ومس دي موربير في المشاكل المدرسية التي استفتتهم فيها مجلة عالم المدرسين الأنجليزية ، وقد نشرت المجلة في عددها الأخير رأي الأديب الكبير فرنسس برت ينج ، وأهم ما ذكره الأستاذ هو أسفه على أنه بدأ تحصيله كبيراً وشكا من ضعف حافظته ، واعترف بما كان لترجمة الأنجيل الانجليزية من الأثر العظيم في توجيهه الأدبي ... ثم أنكر أثر مدرسيه فيه ... وإلى هنا يتفق أولئك الأدباء الأربعة في هذه النقطة ... ولم يخصص كتاباً كان له فيه أثر يذكر ، بل كانت كل الكتب لديه سواء ، وذلك أنه كان يقرأ مفهوماً لا يبقى على شيء ولا يفضل شيئاً على شيء . . . ونحن نعلل ذلك بمزاجه الديني الفج ، وإن يكن اليوم من أكبر الأدباء الأنجليز . . . وقد أوصى المدرسين أن ينموا قوة الملاحظة في تلاميذهم وأن يحببوا إليهم الحياة بكل ما فيها على أن يعرفوا حقائقها . . . ولم ينكر الجمع بين الجنسين في المدرسة إلى الرابعة عشرة واستحسن التفريق بعد ذلك ، فيكون برنرد شو هو وحده الذي لم ينكر الجمع بعد هذه السن مع أنه أكبر أدباء العالم الأحياء سنا. ونقى ينج ما يتهم به تلاميذ هـذا العصر من الفظاظة والغرور ومحبة العيش على هامش الحياة . واستحسن أن يعمم التعليم الابتدائي لكل التلاميذ على أن يكون مرحلة أولى في تثقيفهم ؛ وحبذ تعليم الخط على أن يكون مادة مستقلة ؛ ثم أنكر أن يعلم التلاميذ المواد الجافة التي لا تصلها بالحياة العملية صلة النفعة .

(١) ص ١١

(٢) لعل هذه الطبعة التي بين يدي من الهاشميات هي التي أشار إليها الدكتور زكي مبارك في كتابه « المدائح النبوية في الأدب العربي » ص ٧٣ بقوله : (تلك منزلة الكميت عند القدماء فإن سألتم أين منزلته في العصر الحديث فإنا نذكر أنه آخر من يهتم به أساتذة الأدب في المعاهد العلمية . وقد سبق المستشرقون إلى إحياء شعره فطبعوا هاشمياته في ليدن سنة ١٩٠٤ وكتب لها أحدهم مقدمة وتصحيحات باللغة الألمانية)

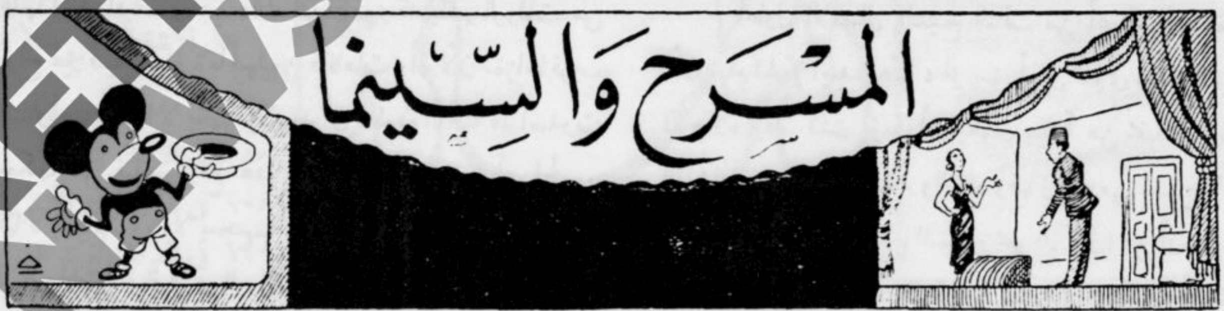

الفرقة القوميـــة
مديرها ولجنة القراءة
كلمة عن رواية طبيب المعجزات

أرجو ألا يداخل مدير الفرقة شك في تجنبنا الشخصيات فيما نكتب، سواء أكان أصحابها من رجال الادارة أو لجنة القراءة أو اللجنة العليا أو طائفة الممثلات والممثلين أو غيرهم، لأن لكل شخصية فى نظرنا حرمة وكرامة، ولأننا جميعاً سنزول، أما الفرقة القوميـة للتمثيل فستبقى، لأنها فى نظر الحكومة التى أنشأتها، وفى نظر النواب والشيوخ الذين يعتمدون ميزانيتها، وفى نظر الأدباء الذين يغارون عليها، مؤسسة أدبية لها خطرها فى الثقافة العامة. فاذا كنا أهملنا اسم الأستاذ عضو لجنة القراءة الذى تحدث إلينا حديثه الشائق (؟) ونهمل أيضاً ذكر اسم حضرات الأساتذة الذين أدلوا إلينا بآرائهم؛ وإذا كنت تعمدت إخفاء اسمى الصريح عن القراء والاستعاضة عنه «بابن عساكر» فلكى أستبعد كل مظنة، وأنفى كل شبهة أو تأويل، ولأبرز قدر المستطاع رغبات الغيورين على الفرقة، الراغبين فى حياتها حياة تتوائم ونهضتنا الأدبية، الوجلين أن يدب إليها سوس الهرم وهى فى المهد، فتنالها الشيخوخة بعدوى من روح شيوخها القائمين عليها

هو ذا غرضنا بأوضح تعبير. فاذا طاب لمدير الفرقة — وهو وحده المسؤول عنها — ألا يحمل دعوتنا إياه إلى رؤية خلايا الفساد تنتشر فى جسم الفرقة، على محملها الصحيح، أو إذا أحب أن يغضب فيعمد إلى استدعاء محرر باحدى المجلات كما فعل فيقول له فى سياق الحديث: «لقد يصل بى الأمر إلى أن أعطل الفرقة وأقفل أبوابها وأقدم تقريراً إلى وزارة المعارف أقول فيه إن التجربة قد فشلت»

إذا طاب له ذلك فهو وشأنه، ولكننا نستبعد إقدامه على تنفيذ تلك الفكرة، فهى فضلاً عن أنها تثير الضحك، تهدم جميع مابناه فى سنى حياته الأدبية. ثم هو يعلم جيداً أن وزارة المعارف لن توافقه على إلغاء الفرقة القومية بجرة قلم استرضاء لخاطر مديرها الموتور من تألب أدباء البلد وفنانيها عليه، وتفكههم فى مجالسهم بتصرفاته الدالة على بُعده البعيد عن فن الرواية والمسرح، وأنه أُقحم على هذا الفن إقحاماً لا مبرر له

نعود الآن إلى أحاديث أعضاء لجنة القراءة فأقول: لقد تفضل حضرة الأستاذ .. فأجاب على سؤالى بقوله: «مهمة لجنة القراءة هى قراءة الروايات التى تقدم إليها وفحصها من جميع النواحى، أعنى النواحى الفنية، والخلقية، والاجتماعية، واللغوية؛ فاذا أجازتها فذاك وإلا رفضتها. على أنه قد يكون فى بعض الروايات عيوب من ناحية من هذه النواحى ممكن علاجها. وحينئذ ترد إلى المؤلف أو المترجم ليعالجها طوعاً للملاحظات التى تبديها اللجنة، ثم ترد إليها لترى إذا كانت صالحة بالعلاج أم لا»

سألت: هل لرأى النقاد المسرحيين قيمة فى نظر اللجنة؟ فأجاب «ليس للنقاد المسرحيين رأى فى النواحى التى ذكرناها (كذا) وإنما لهم رأي من ناحية الاخراج، كمدات الاخراج، وطول الروايات وقصرها عن الوقت المناسب، ونحو ذلك مما يتعلق بعملهم الفنى البحت (؟؟!!) أما أن الروايات قيّمة أو ليست قيمة، أو مناسبة أو غير مناسبة، فمن عمل اللجنة وحدها» ثم أردف قائلاً «لم أر إلى الآن في مصر نقداً فنياً قوياً يستطيع أن يسقط الروايات أو يعليها، وكل الذى رأيت محاولات أولية من هذا القبيل. وهب أنه كان هناك نقد قوى فأعضاء اللجنة نقاد أيضاً (كذا) فلنا رأينا كما لهم رأيهم

هذا من جهة النقاد الفنيين، أما من جهة جمهور النظارة فقد يخالف حكمه حكم اللجنة فيقدر تقديراً عالياً رواية حكمت اللجنة أنها متوسطة، أو يحكم عليها بأنها متوسطة وقد حكمت اللجنة

عليها أنها راقية . وسبب ذلك أن الجمهور قد يقدر الروايات من نواح غير فنية ككثرة ما فيها من فكاهات ، أو لأن مغزاها قريب المتناول ، وهذا لا يظهر إلا بعد أن تكون اللجنة قد أصدرت حكمها من قبل . ومع هذا فاللجنة تستفيد من رأى الجمهور فيما لا يعجبهم وما لا يعجبهم ، وكل هذا يؤثر عند نظر اللجنة فى الروايات المقبلة لا فى الروايات التى أصدرت حكمها عليها

قلت : هل معنى كلامكم أن اللجنة تؤثر حكم الجمهور وتستفيد من رأى الجمهور ولا تأبه لرأى النقاد ؟

فأجاب : « لا ، من غير شك . يجب أن يكون رأى النقاد الفنيين فى المقام الأول لأن منزلتهم منزلة الخبراء ، ولكن قلت لك إننى فيما قرأت لم أر نقداً قوياً إلا فى القليل النادر ، وما عدا ذلك فدح مفرط من غير أسباب فنية ، أو ذم مفرط لأسباب شخصية غير فنية . والرأى الواجب الاحترام هو ما يصدر من فنيين راقين ينقدون الفن للفن . وإذا حدث ذلك ، وقليلا ما يحدث ، أحللناه المحل الأول من الاعتبار وقدرناه أكثر من تقدير الجمهور » قلت : هل لاحظتم تقدماً فى تأليف الروايات خلال السنوات الثلاث ، لأنى أزعم أن الروايات التى مثلتها الفرقة فى عامها الثالث أحط منزلة من الروايات التى مثلت فى السنتين الثانية والأولى ؟ فقال :

« من غير شك لاحظت هذا التقدم خصوصاً عند ما قرأنا الروايات التى قدمت المسابقة الأخيرة . نعم إننا لم نجد روايات حازت المكافأة الأولى ، ولكننا رأينا روايات ظهرت فيها القدرة الفنية ، وظهر فيها حسن السبك ، وحسن الحوار ، وإذا قارناها بالروايات التى قدمت فى ظروف أخرى قبلها رأينا هذا التقدم محسوساً »

قلت : ما رأيكم فى رواية ردتها لجنة القراءة إلى مؤلفها غير مرفقة بأسباب الرفض رأفة به ، ثم أعيد تقديم تلك الرواية المرفوضة بعينها إلى اللجنة مع ما تقدم إليها من روايات للمباراة ففازت وأعلن فوزها مع أنه لم يتغير فيها سوى اسم مؤلفها الشاب باسم فتاة ، فهل المسؤول عن هذه « اللعبة » مدير الفرقة أم لجنة القراءة ؟

حدجنى محدثى الفاضل بنظرة الدهشة والاستغراب ، وبعد صمت هنيهة قال : « أحب أن أعرف رأى مدير الفرقة فى هذه الواقعة » فأجبته بأن مهمتى هى استطلاع رأيه هو لا نقل آراء زملائه إليه

لم أحاول الاتصال بالشيخ الثالث من أعضاء لجنة القراءة لأن مهام الحكم أبعدته عنها ، فلم يبق أمامى سوى رابع الشيوخ الأجلاء ، وقد كنت أؤمل أن يكون بعيداً عن تخبطات زميليه الفاضلين فيما قالاه عن النقد والنقاد وفيما زعماه من نضوج الفكر الروائى السريع ومن تقدم المسرح نحو الكمال ؛ غير أن حضرته أعز الله به دولة الأدب قال لى ما نصه : « يمكنك أن تقول لقراء الرسالة أو من شئت من الناس إن فلاناً ، وذكر اسمه مجرداً من اللقبين العلمى والحكومى ، لا يريد أن يقول كلمة فى الفرقة القومية » وأرى أن فى إصراره على عدم الكلام هو التهرب ، وهو يتهرب من الكلام عن المسرح الذى طالما تكلم عنه قبل أن يكون لنا فرقة قومية

بقى مدير الفرقة وهو الشيخ الخامس المتمم لأعضاء لجنة القراءة ، وهو ما فتئ يقول للمجلات الأسبوعية إن فرقته ستصل إلى مستوى الكمال بعد حين ، وأنه سيبنى لها مسرحاً من المال الدخر ، وأن الأدباء لا يوالونه بالتمضيد لأغراض ذاتية ، وأن الصحافة لا تأخذ بناصره قبل أخذ ما بخزانته

لم يتيسر لى حضور تمثيل رواية « طبيب المعجزات » والذى أعرفه عنها ، وقد قرأتها قبل عرضها على لجنة القراءة ، أنها تدور حول شاب طبيب انقطع إلى البحوث العلمية فهداه علمه وتجاريبه إلى استنباط إكسير يطيل الحياة ويقضى على الموت . تفرح الأمة والحكومة ، وتفرح حماته أيضاً بهذا الاختراع الذى أنقذ البشرية من الموت المكروه ، ورفع مقام صهرها إلى مصاف الخالدين بتخليده الحياة

تجمع الأمة والحكومة على تكريمه ، ثم لا يلبث الحال أن ينقلب عليه لفساد جميع النظم الاجتماعية وتغير الأوضاع وتساوى الحياة فيثور الناس على المخترع المسكين فيعمد إلى قواريره فيكسرها وإلى عقاقيره فيفسدها ليعيد العالم سيرته الطبيعية

وبهذه المناسبة أقول لحضرات أعضاء لجنة القراءة : إن قراءة الرواية شىء يختلف جد الاختلاف عن مشاهدتها تلبس ثياب الحياة على المسرح ، وأن لا محيد للقارئ عن خصائص فنية مكتسبة وموهوبة تجعل حكمه غير مقتصر على الخلق والاجتماع واللغة فقط

ابن عساكر

6 me Année, No. 285

Lundi - 19 - 12 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٨٥ « القاهرة في يوم الأثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٥٧ — ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــــرس

من مآسي الحياة

يا إنسان ! أين الاحسان ؟

ما أطول أحاديث البؤس وأكثر حوادثِ أهله !

كان للمقالين اللذين كتبناها في غفوة الاحسان عن مرتجيه، وقسوة الوقف على مستحقيه ، رجعٌ شديد في أكثر النفوس . فقد غدا علينا البريد بعشرات من الرسائل الباكية كأنما كتبت بدموع العيون ودماء القلوب فلا تدرى أهي كلمات أم أنّات ! ولو شئت أن أنقل إليك بعض ما فيها لدهشت أن يكون في مصر — وهي البلد الذي يجري نيله بماء الحياة ، ويفيض ثراه بطيبات الرزق — خَلْق من بني آدم يدمنون الصيام من الجوع ، ويلبسون الظلام من العُرْي ، وتصبح أمانيهم على الله أن ينقذهم من الحياة بالموت !!

هاك حالة واحدة من ألوف : روى الشيخ عبد الغني في رسالته الضافية ما ألخصه لك في هذه الأسطر :

طرابيشي في حي (السيدة زينب) كان يعيش من فضل الله وربح الحرفة في نعمة سابغة . كان رحْب الدكان والصدر ، يجلس عنده سراة الحي فيتحادثون ويتنادرون ويفضي بعضهم إلى بعض بأسرار

البيوت وأخبار الصحف ، والمكاوى لا تنقطع عن الكي ، والعمال لا يفترُون عن البيع . وكان رخى البيت والأسرة ، يغشى فناءه السهلَ ذوو القربى وأولو الحاجة ، يتقلبون فى أعطافه ، وينالون من ألطافه ، ويستريحون إلى ظله . فلما تعود الناس قلة النفقات من كثرة الأزمات ، ووفدت على مصر من وراء البحر بدعة العُرى ، فتعرّت أرجل النساء من الجوارب ، ورؤوسُ الرجال من الطرابيش ، أخذت نار الطرابيشى تنطفئْ وحركته تسكن ومورده يغيض ، وأخذ الغرماء مجالس العملاء ، وزاد عدد المحضرين على عدد المشترين ؛ فكان الرجل يفتح دكانه يوماً ويغلقه أسبوعاً ، حتى فدحه الدَّين وأعيته الحيلة فباع الملك ، وركبه الهم والمرض فلزم البيت ، وتفجَّرت عليه المصائب من كل جانب ، فمات ولده الوحيد وكان فى السنة الثالثة من كلية الطب ، وتوفى أخوه البارُّ وكان موظفاً فى إدارة القرعة ، وتأيمت أخته الفقيرة الولود فلاذت بحماه ، ووجد الداء فى جسمه الواهن المنحلّ مجالاً فاستشرى ، ورأف الله به أن يعانى الألم فى نفسه وفى أهله طويلا فتوفاه . وبقيت بعده زوجته المقطوعة ، وأخته الأرملة ، وابنتاه العانستان ، يعشن على خمسين قرشاً فى الشهر ! أتدرى من أين تأتيهن هذه الخمسون قرشاً ؟ تأتى من أجرة الدكان . فقد استأجر الصانع الذى كان يعمل فيه آلاته وأدواته وأثاثه بمائة قرش ، فكن يعطين وزارة الأوقاف منها ثمانين كراء المحل ، حتى سعى لهن أهل الخير لديها فجعلته خمسين .

ويتساءل الناس بعد ذلك كيف يعيش هؤلاء النساء الأربع على هذا النزر اليسير من الرزق فلا يستطيع أحد أن يجيب ، لأنهن أغلقن على أنفسهن وعلى بؤسهن غرفة من غرف الفسيل فى بيت متهدم من بيوت (زين العابدين) فلا يدخل عليهن إلا جارة برغيف ، أو خادمة بصحن ... !

فليت شعرى أتقنع الفتاتان كما قنعت المرأتان بهذا العيش ، أم تُحملان آخر الأمر على ركوب الغواية والطيش ؟

ذلك سؤال كان ينبغى أن يوجه إلى وزارة الأوقاف وأغنياء الأمة ؛ ولكن وزارة الأوقاف ليست بيت المال الذى كان يقوم عليه عمر ، والأغنياء فى مصر كلما أفعم الله جيوبهم بالمال ، أفرغ جنوبهم من الرحمة . فأموالهم للأحزاب والانتخاب ، وعواطفهم للخيل والكلاب ، ودنياهم للغرور والأبهة . فلم يبق لطرائد الشقاء وفرائس الفاقة غير الله . ولله فى أموال هؤلاء القساة حق معلوم هو الزكاة . والزكاة ركن من أركان الإسلام كالشهادتين والصلاة . والاسلام يعيد اليوم فى عهد الفاروق زمانه وسلطانه ، فالأمراء والوزراء يصلون ، والمترفون والمثقفون يحجون ، والدين والمدنية يتعاونان على تنزيه النفس وترفيه العيش وتأمين الحياة . فلماذا يظل هذا الركن مهدوماً وهو وحده العماد القوى لبناء الأمة ، والطِّباب الناجع لأدواء المجتمع ؟ لقد فرضت الحكومة على الأموال الثابتة والمنقولة ضرائب العمارة والدفاع والأمن ، وجبتها على الطوع والكره ؛ فما بالها وهى الحكومة الاسلامية القوية لا تجمع بوسائلها الادارية ما جعل الله للفقراء ، فى أموال الأغنياء ، ثم تقسمها على من سماهم الله فى كتابه ، فتأمن بذلك ثورة النفوس واضطراب الأمن وسخط العدالة ؟

إنها إن تفعل ذلك تُرض نفوس العامة . وفى رضا هؤلاء تكثير النسل وتوفير الإنتاج وتيسير المعيشة . ولن تجد فى جباية الزكاة ما تجد فى جباية الخراج من امتعاض أو اعتراض أو مشقة ، فان البذل فى سبيل الله رِبا المؤمن . ومليونا جنيه من الصدقات يدخلان بيت المال فى كل سنة مع الأمانة والعدل ، لا يتركان فى الأمة سائلاً فى شارع ، ولا جائعاً فى بيت ، ولا جاهلاً فى عمل . وكلما استبحر العمران ، واستذأب الناس ، واستشرت المطامع ، تبين أقطاب الرأى وأصحاب الأمر أن الله الذى جعل الفساد فى الدنيا ، جعل الصلاح فى الدين ؛ فما من علة فى الفرد ، ولا آفة في الجماعة ، إلا نبَّه إليها بنوره ، وطبَّ لها فى شرعه ، وخفف منها بلطفه

فهل تفكر حكومة الفاروق خليفة الله على وحيه ، فى إقامة الدين على وجهه ، فتهدأ ضلوع ، وتجف دموع ، ويتذوق الناس فى ظلال الإخاء ، سعادة الأرض ونعيم السماء ؟

احمد حسن الزيات

مصر والعروبة

الى الدكتور طه حسين

من الأستاذ ساطع الحصرى بك

أيها الأستاذ :

نشرت مجلة المكشوف البيروتية حديثاً جرى بينكم وبين جماعة من شبان العرب ، على ظهر باخرة تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط ، قلتم فى خلال ذلك الحديث إنكم تنادون « بتوحيد برامج التعليم فى جميع الأقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافى بينها » ، وترون « من المفيد أن يكون تعاوناً اقتصادياً ، وحتى تحالفاً عسكرياً » بين تلك الأقطار ؛ غير أنكم لا ترضون وحدة سياسية ، سواء أكانت « بشكل امبراطورية جامعة » أم على طراز « اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكى أو السويسرى » . وعللتم آراءكم هذه بقولكم « إن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ؛ وإنها ستبقى كذلك ، بل يجب أن تبقى وتقوى »

قرأت هذه الآراء بدهشة غريبة ، لأننى استبعدت صدورها منكم كل الاستبعاد ، وقلت فى نفسى : « لعل الكاتب نقلها على غير حقيقتها » ، وأعدت قراءتها بإمعان ، ولكنى لمحت فى عدة نقاط منها أسلوبكم المعروف ، فقلت لعل الدكتور أراد أن يمتحن هؤلاء الشبان ، ويتأكد من مبلغ إيمانهم بالقضية ، ويسبر غور درسهم لوجوهها المختلفة: فالآراء التى أدلى بها ربما كانت من نوع الآراء الجدلية التى ترمى إلى حمل المخاطب على التعمق فى التفكير .

فوجدت نفسي تجاه هذه الملاحظات بين عاملين مختلفين : عامل يدفعنى إلى الاسراع فى مناقشة هذه الآراء لكى لا أترك مجالا لزعزعة إيمان بعض الشبان بتأثير سلطتكم الأدبية السامية ، وأسلوبكم الأخاذ . . . وعامل يدفعنى إلى التريث فى الأمر لكى أتأكد من صحة الحديث المعزو إليكم . تريثت لذلك مدة من الزمن . . ولما لم أطلع على تصحيح أو توضيح صدر منكم ، رأيت من الواجب على أن أقدم على المناقشة بدون أن أنتظر مدة أطول . . .

فاذا كان فى الحديث الذى نسب إليكم شيء من البعد عن الواقع ، فأرجو أن تعتبروا كلمى هذه بمثابة رد على الآراء المسرودة فى ذلك الحديث ، بقطع النظر عن قائلها ؛ وإذا كان فيه شيء من قصد المناقشة الجدلية — كما أسلفت — فأرجو أن تعتبروا هذه الأسطر بمثابة صفحة من صفحات تلك المناقشة الجدلية . . .

* * *

قلتم للشبان الذين تحدثتم إليهم : « إن المصرى مصرى قبل كل شيء ، فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلبت الظروف . . . »

فاسمحوا لى أن أسألكم : هل الوحدة العربية تتطلب من المصريين التنازل عن المصرية ؟ أنا لا أتردد فى الاجابة على هذا السؤال بالنفى ، لأنى أعتقد بأن دعوة المصريين إلى الاتحاد مع سائر الأقطار العربية لا تتضمن بوجه من الوجوه حثهم على التنازل عن « المصرية » . إن دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا ولن يطلبوا من المصريين — لا ضمناً ولا صراحة — أن يتنازلوا عن مصريتهم ، بل إنهم يطلبون إليهم أن يضيفوا إلى شعورهم المصرى الخاص شعوراً عربياً عاماً ، وأن يعملوا للعروبة بجانب ما يعملونه للمصرية . . فهل لديكم ما يبرهن على أن ذلك من نوع « طلب المحال » ؟ وهل لديكم ما يدل على أن العروبة والمصرية ضدان لا يجتمعان ، وعنصران لا يمتزجان ؟

وقد قلتم لمخاطبكم : « ولا تصدق ما يقوله بعض المصريين من أنهم يعملون للعروبة . . . فالفرعونية متأصلة فى نفوسهم » ثم أضفتم إلى ذلك حكماً قاطعاً ، فقلتم : « وستبقى كذلك . . . »

فهل تسمحون لى أن أستوضحكم ما تقصدونه من كلمة « الفرعونية » ؟ هل تقصدون منها الأخذ بحضارة الفراعنة ، أم الاعتزاز بثقافة الفراعنة ؟ أم تقصدون منها بعث اللغة الفرعونية أو الآداب الفرعونية ، أو الديانة الفرعونية ، أو السياسة الفرعونية ؟

أنا لا أستطيع أن أشك فى أنكم لم تقصدوا منها الحضارة أبداً : لأنكم لستم — بدون ريب — ممن يقبلون لمصر ولغير مصر — حضارة فى هذا العصر غير الحضارة العلمية الحالية . . . كما لا أستطيع أن أشك فى أنكم لم تقصدوا من هذه الكلمة « الديانة الفرعونية » أيضاً . . .

هذا ومن جهة أخرى فاننى أجد فى مناداتكم « بتوحيد برامج التعليم فى جميع الأقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافى

بينها » دليلا قاطعاً على أنكم لم تقصدوا منها الثقافة الفرعونية أو اللغة الفرعونية أيضاً

فاذا تقصدون منها إذن ؟ السياسة ؟ فهل تعتقدون بأن « السياسة الفرعونية » تتطلب « الا كتفاء بحدود مصر الحالية » فترفض « التوسع » بكل أنواعه ، حتى ولو كان عن طريق « قبول انضمام » الأقطار العربية ؟

إنكم أشرتم فى حديثكم إلى الآثار الباقية من عهد الفراعنة بشكل يستوقف الأنظار ، وأردتم أن تدعموا آراءكم بجلال تلك الآثار إذ قلتم :

« لا تطلبوا من مصر أن تتخلى عن مصريتها ، وإلا كان معنى طلبكم : إهدمى يا مصر أبا الهول والأهرام ، وتناضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ومتاحف العالم ، وانسى نفسك واتبعينا ... »

يظهر من هذه التأويلات أنكم تودون أن تخلقوا للفكرة العربية خصوماً من الآثار القديمة ، وأن تضعوا فى سبيل تيار هذه الفكرة سدوداً من الرموس والأطلال . فهل فاتكم أن التعارض والتصادم لا يحدثان إلا بين الأشياء التى تسير على مستوى واحد ، فى عالم واحد ؟ وأن الفكرة العربية التى تعمل فى القرن العشرين — للأجيال القادمة — لا يمكن أن تتعارض مع آثار بقيت ميراثاً من ماض سحيق ، يرجع إلى أكثر من خمسة آلاف من السنين ؟

إن مصر قد تباعدت عن ديانة الفراعنة دون أن تهدم أبا الهول ؛ وتخلت عن لغتها القديمة دون أن تقوض الأهرام ؛ وجميع آثار الفراعنة التى زينت بها متاحف مصر ومتاحف العالم لم تولد نزوعاً للعودة إلى الديانة التى أوجدت تلك المآثر الخالدة ، ولا حركة ترمى إلى بعث اللغة التى رافقتها خلال قرون طويلة ، فهل من موجب لطلب هدم الأهرام وتناسى الآثار لأجل الوحدة العربية ؟

إن الأهرام — مع جميع الآثار الفرعونية — لم تمنع مصر من الاتحاد مع سائر الأقطار العربية اتحاداً تاماً — فى ميدان اللغة — فهل يمكن أن تحول دون اتحادها مع تلك الأقطار فى ميدان السياسة أيضاً ؟

كلا أيها الأستاذ . إن التيارات القوية العميقة التى جرفت حياة مصر إلى اتجاهات جديدة منذ عشرات القرون ، والتى أخرجتها من ديانتها القديمة وأنستها لغتها الأصلية — بالرغم من وجود الأهرام وقيام أبى الهول — سوف لا تحتاج إلى هدم شىء من آثارها القديمة ، لتجرفها نحو السياسة التى يؤمن بها دعاة الوحدة العربية ، ولا سيما أن هذه السياسة ليست إلا نتيجة طبيعية للغة مصر الحالية ووضعها العام

إن دعاة الوحدة العربية لم يقولوا ولن يقولوا لمصر : « انسى نفسك » بل يقولون وسيقولون لها : « استزيدى من ثروة نفسك » بالعمل على توحيد أبناء لغتك . « انهم لم يقولوا ولن يقولوا لها : « اتبعينا » ، بل يقولون وسيقولون لها : سيري إلى الأمام ، ونحن نتبعك على الدوام

***

سألتم خلال الحديث : « أتريدون أن تتحقق الوحدة العربية ؟ فعلى أى أساس على تنادون بها ؟ » ثم قلتم : « تعالوا معى نستعرض الروابط التى تصل مصر بالأقطار العربية الأخرى » فاسمحوا لى أن أشترك معكم فى الاستعراض ، لأناقشكم فى أهم المواقف التى وقفتموها خلاله :

لقد وقفتم أولا أمام قضية « الأصل والدم » وقلتم : « إن الأكثرية الساحقة من المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربى ، بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء »

وأنا لا أود أن أتطرق — فى هذا المقام — إلى مسألة أصل المصريين القدماء ، ولا أن أبحث عن علاقتهم أو عدم علاقتهم بالساميين عامة وبالعرب خاصة ... سأسلم — جدلا — بما تقولونه فى هذا الباب ، مع هذا سأسألكم بدوري : هل علمتم وجود أمة على الأرض انحدرت من أصل واحد تماماً ؟ وهل تستطيعون أن تذكروا لى أمة واحدة ترتبط بروابط الدم فعلا وحقيقة ؟

إن جميع الأبحاث العلمية تدل على عكس ذلك تماماً . إنها تدل على أنه لا توجد على وجه البسيطة أمة خالصة الدم ... حتى الأمة الفرنسية التى سبقت جميع الأمم الأوربية فى طريق الوحدة والاستقرار ، لا تدعى وحدة الأصل والدم . وعلماؤها يعترفون بأن الأجناس التى دخلت فى تركيبها تعد بالعشرات ، كما يعترفون مثلا بأن أهالى جنوب فرنسا يختلفون عن سكان شمالها — من حيث الأصل والدم — اختلافاً كبيراً . أيمكنكم أن تدعو — والحالة هذه — أن عدم وحدة الأصل والدم ، يجب أن

يحول دون انضمام مصر إلى حركة الوحدة العربية ؟

ثم وقفتم أمام مسألة التاريخ ، وادعيتم أن « تاريخ مصر مستقل تمام الاستقلال عن تاريخ أي بلد آخر »

فاسمحوا لي أن أقول بأن هذا الادعاء افتئات صارخ على الحقائق الواقعة ... فان تاريخ مصر اختلط اختلاطاً عميقاً بتاريخ سائر البلاد العربية وتشابكت أوشاجه معها، خلال القرون الثلاث عشرة الأخيرة على الأقل... فكيف يحق لكم أن تحذفوا هذه القرون من تاريخ مصر ؟ ... أنا لا أنكر أن تاريخ مصر لم يبق متصلاً بتاريخ سائر الأقطار العربية على الدوام ، غير أنني أدعي أن ذلك شأن تواريخ الأمم الأخرى بدون استثناء . فان تواريخ الأمم تشبه الأنهر الكبيرة التي تتكون من روافد عديدة بوجه عام

إن من يلقي نظرة عامة على تواريخ الأمم المعاصرة لنا كأن يستعرض تفاصيل تاريخ الأمة الفرنسية التي سبقت جميع الأمم في طريق الوحدة القومية — كما ذكرت آنفاً — يضطر إلى التسليم بأن العلاقات التاريخية التي تربط مصر بسائر الأقطار العربية ، أقوى وأعمق وأطول من العلاقات التاريخية التي تربط الأقاليم الفرنسية بعضها ببعض ...

وإذا أظهرتم شيئاً من الريب في هذا الباب فاني مستعد لذكر التفاصيل والأسانيد التي تبرهن على صحة دعواي برهنة قطعية

***

والآن أنتقل معكم إلى آخر المواقف التي وقفتموها خلال استعراض الصلات. . . لقد أنكرتم « تأثير اللغة » في تكوين « الوحدة العربية » وقلتم : « لا تنخدعوا ، لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا وسويسرا ، ولا أمريكا ولا البرازيل ولا البرتغال . . »

فاسمحوا لي أن أناقشكم في هذا الموضوع المهم مناقشة طويلة :

لو كنتم أقدمتم أيها الأستاذ على كتابة بحث مثل هذا البحث للبرهنة على نظرية مثل هذه النظرية — قبل ربع قرن — لاستطعتم أن تضيفوا إلى هذه الأمثلة مثالين آخرين . . لقلتم عندئذ : « لا تنخدعوا ، لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم لما كانت الأمبراطورية النمسوية ، ولا السلطنة العثمانية ... »

ولو كنتم ممن عاشوا وكتبوا قبل ذلك بنصف قرن ... لاستطعتم أن تضيفوا إلى أمثلتكم عشرات الأمثلة الأخرى ، ولأرخيتم العنان لقلمكم الجواب لينتقل من جنوب إيطاليا إلى شمال ألمانيا . . ولقلتم : « لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم ... لما كانت ساردونيا وساكسونيا ، ولا بيه ده مونته وبادبرا ... »

غير أن تقلبات الزمان ، أزالت من عالم الوجود جميع تلك الأمثلة والشواهد الكثيرة ، وحرمت النظرية التي تقولون بها إمكان الاستناد إليها، فحصرت الأمثلة في الأسماء التي ذكرتموها .. أفلا ترون أيها الأستاذ أن هذه الملاحظة وحدها كافية للبرهنة على أن مثل هذه البراهين لا تخلو من مزالق كثيرة ، فلا يجوز الاعتماد عليها في حل القضايا الاجتماعية ؟ .

أفتلومونني إذا قلت إن هذه المحاكمة لا تخلو من الشبه بمحاكمة من يقول : « لو كان لجاذبية الأرض وزن في تقرير مواضع الأجسام لما بقيت القناديل معلقة في السقوف ، ولما صعدت الأدخنة إلى السماء ، ولما طارت الطيور وارتفعت المناطيد . ؟

اسمحوا لي أن أستعرض الظروف الخاصة التي تلازم كل واحد من الأمثلة التي ذكرتموها ، لكي أبرهن على صحة تشبيهي هذا .

إن أول الأمثلة التي ذكرتموها للتدليل على عدم « وزن اللغة في تقرير مصير الأمم » هو وجود بلجيكا . وهل فاتكم أن بلجيكا ليست متجانسة من حيث اللغة ، بل هي من المناطق التي تتلاقى وتتشابك فيها اللغات ؟ ولا شك في أنكم تعلمون أن النصف من سكانها يتكلم الفرنسية، في حين أن النصف الآخر منها يتكلم الفلامندية . . . فاتحاد كل فريق من هؤلاء مع سائر أبناء لغتهم يتوقف على « تجزئة وتقسيم بلجيكا » في حين أن ذلك يصطدم بمشاكل عظيمة وموانع جسيمة من الوجهة الجغرافية والاقتصادية والسياسية . »

أولا — إن حدود الألسن في بلجيكا لا تخلو من تشابك وتعقيد ؛ فعاصمتها بروكسل — مثلا — تقع في منطقة فلامندية مع أنها من أهم المراكز الفرنسية ، يتكلم سكانها اللغة الفرنسية في حين أن سكان القرى والقصبات المحيطة بها يتكلمون الفلامندية ؛ ولا شك في أن هذا التشابك يجعل أمر تجزئة هذه المملكة من المشاكل العويصة من الوجهة المادية والجغرافية .

ثانياً — إن حدود المناطق اللغوية في بلجيكا لا تتفق مع حدود المناطق الاقتصادية ، مما يجعل أمر التقسيم عسيراً جداً من الوجهة الاقتصادية أيضاً ...

ثالثاً — تشغل بلجيكا موقعاً هاماً بين ثلاث من أعظم الدول الأوربية وهي ألمانيا وفرنسا وانكلترا، ولا حاجة لايضاح أن تعارض منافع هذه الدول المنظمة الثلاث « جعل أمر » إبقاء المملكة البلجيكية على حالها وعلى حيادها « من لوازم التوازن الدولي العام، ومن مستلزمات « السياسة العالية الهامة، فكيف يجوز لكم أن تعتبروا « وجود بلجيكا » دليلا على عدم « وزن اللغة » في تقرير مصير الأمم؟ أفلم أكن محقاً فيما قلت: — إن ذلك يشبه اعتبار توازن بعض الأجسام دليلا على عدم تأثير الجاذبية الأرضية عليها؟ . . .

هذا، ومن جهة أخرى أود أن أسألكم: هل من وجه لتشبيه قضية « بلجيكا والأمم المجاورة لها » بقضية مصر والبلاد العربية المتصلة بها؟ وهل من مجال لاعتبار مصر أو الأقطار العربية المتصلة بها من مناطق تشابك اللغات وتعقدها؟ وهل يتوقف اتحاد مصر مع سائر الأقطار العربية على تجزئتها أو تجزئة غيرها؟

ترون أيها الأستاذ أنه لا يوجد في مثال بلجيكا ما يؤيد دعواكم بوجه من الوجوه.

أما قيمة المثال الثاني الذي ذكرتموه، فلا تختلف عن ذلك كثيراً: فان سويسرا أيضاً من مناطق تلاقي وتشابك اللغات، تتلاقى فيها اللغات الفرنسية والألمانية والايطالية، كما تتلاقى فيها أهم سلاسل الجبال الأوربية . . فلا يجوز اتخاذها دليلا على عدم وزن اللغة في تقرير مصير الأمم بوجه من الوجوه . .

وأما المثال الثالث الذي ذكرتموه، فهو أيضاً لا يؤيد دعواكم في هذا الباب: أنا لا أرى لزوماً — في هذا المقام — إلى شرح خصائص أمريكا، ولا إلى البحث في قضية العناصر بها . . . بل سأكتفي بالاشارة إلى عظمة المحيط الاطلنتيكي الذي يفصلها عن القارة الأوربية . . . وأعتقد أن هذه الاشارة وحدها تكفي للبرهنة على أن قضيتها لا تشبه قضية البلاد العربية بوجه من الوجوه . . . فان الأقطار العربية متصل بعضها ببعض اتصالاً جغرافياً تاماً ... والقطر المصري يشغل بين هذه الأقطار مركزاً هاماً. وأما الحدود التي تفصلها عن سائر الأقطار العربية، فتنحصر — في بعض الجهات — بخطوط وهمية تمتد فوق رمال الصحراء... فهل تعتقدون أن هذه الخطوط الوهمية التي تفصل مصر عن سائر الأقطار العربية بصورة اعتبارية واصطناعية، تستطيع أن تعمل عملاً مماثلاً لعمل المحيط الذي يفصل أمريكا من أوربا بصورة حقيقية وطبيعية؟ ...

* * *

بعد أن شرحتم، أيها الأستاذ، وجهة نظركم في الوحدة العربية، رأيتم أن تقدموا نصيحة إلى محدثيكم الشبان، فقلتم: إن كان لي نصيحة أسديها إليكم فأن تتمسكوا بالواقع العملي وتهملوا سواه، مهما كانت قوته العاطفية والخيالية. افهموا أن المنفعة تسير الشعوب. فان لم تفهموا هذا اليوم فسترغمون على فهمه غداً ...

أنا أضم صوتي إلى صوتكم في هذه النصيحة، من حيث الأساس؛ غير أنني أنكر عليكم النتائج التي وددتم أن تصلوا إليها تحت حماية هذه النصيحة ...

تقولون إن المنفعة تسيّر الشعوب؛ فهل تعتقدون أن « اتحاد الأقطار العربية » مخالف لمنافعها أو خال منها؟ وهل تدعون أن منافع كل واحد من الأقطار العربية ستحول دون اتحادها؟

أما أنا فأعتقد عكس ذلك تماماً. أعتقد أن فكرة الوحدة العربية لا تستند إلى العاطفة وحدها، بل تستند إلى المنفعة أيضاً. أعتقد أن منفعة مصر نفسها تتطلب منها الاتحاد مع سائر البلاد العربية، كما أعتقد أن منفعة مصر في هذه القضية ليست من المنافع البسيطة الطفيفة، بل هي من المنافع الهامة الحيوية .. وإذا كان الذين يقدرون أهمية هذه المنافع لا يزالون قليلين اليوم، فلا شك في أنهم سيكثرون يوماً بعد يوم

وعلى كل حال أؤكد لكم أنني من الذين يؤمنون بالوحدة العربية ويدعون إليها، لا بتأثير العواطف فحسب، بل بملاحظة المنافع أيضاً.. ولهذا السبب عند ما قرأت قولكم: « إن المنفعة تسيّر الشعوب » قلت في نفسي حالاً: « وهذه المنفعة هي التي ستسيّر المصريين نحو الوحدة العربية، عاجلاً أو آجلا »

هذا، وأرى ألا أختم اعتراضاتي دون أن أتوجه إليكم بكلمة شكر، فاني أشكركم من صميم فؤادي على مناداتكم بتوحيد الثقافة بين البلاد العربية، لأنني أعتقد أن توحيد الثقافة من أهم العوامل التي تهيئ سائر أنواع التوحيد... فأقول بلا تردد: اضمنوا لي وحدة الثقافة، وأنا أضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة.

« بغداد » أبو خلدون ساطع الحصري

مقياس الثقـــافة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يرى أكثر الناس أن الحق جوهر لا يتجزأ، وأنه إذا كان عند إنسان أو طائفة من الناس لم يكن عند خصومه أو خصومهم شيء منه. ومن يرى هـذا الرأى تضؤل ثقافته ويضؤل فكره. وهؤلاء المؤمنون بالحق قد يرون من النكر الشنيع أن يجزئوه بين خصمين أو أكثر. وفى الناس طائفة أخرى على شيء من الثقافة تستطيع أن ترى ما للأضداد من الحق، ولكنها من أجل ذلك لا تؤمن بالحق لزعمها أن الحق لا يتجزأ، فإن تجزأ انعدم؛ وإنـكارها الحق بسبب تجزئه نقص فى ثقافتها ينشأ من قليل من الثقافة، فإن بعض الثقافة قد يعوّق عن بعض. والدهماء وأشباه المتعلمين يغرون بمحاكاة هذه الطائفة فى إنكار الحق، والتشبه بها فى الزراية عليه من غير بصيرة ولا فهم، ويتشبهون بها فى الزراية على كل ذى حق من فضل فى العلم أو العمل أو الخلق، ويتشبهون بها فى إظهاره بمظهر الزيف المخادع. وإذا كثر أمثال هؤلاء وأشباههم فى أمة ماتت روحها وأصابها الركود وإن كانت حية ترزق. والرجل من هؤلاء إذا وجد لإنسان حقاً أنكره، وإذا وجد له نصف حق أنكره، وإذا وجد له ثلث حق أو ربع حق أنـكره، لأنه فى سريرة نفسه لا يرى لنفسه ذرة صغيرة من الحق تعدل اعترافه بجزء غيره من الحق أو كله. وكلما عظمت الثقافة عرف كل خصم جانب الحق الذى لخصمه، بقدر عرفانه جانب الحق الذى فى ناحيته؛ وهم إذا عرفوه حقيقون أن تقل الخصومة بينهم، ولكن ربما لا تنعدم، لأن كل إنسان يرى لنفسه من الحق نصيباً أكثر من نصيب غيره، فيتقاتلون على تعيين حدود أجزاء الحق إن لم يتقاتلوا على تعيين حدود الحق كله. على أن الثقافة كفيلة بأن تلطف تلك الخصومة، لأن المثقف الباحث فى نفسه الفكر فيها كثيراً ما يراجعها، فإذا عادى عادى وهو يحسب فى خصومته حساباً لما قد يكون من خطأ النفس الذى لم يفطن له بعد فى تقدير حقها، ويحسب أنه ربما يفطن له فى مستقبل أمره. أما غير المثقف فإنه لا يستطيع أن يحسب حساباً لما قد يكون من خطأ النفس الذى لم يفطن له. ولعل ألصق خصائص الثقافة وألزمها لها عرفان أوجه الحق عرفاناً ملحاً يدعو إلى الاعتراف بها ويدعو إلى حسبان سقطات الفكر من غير قصد وإلى إسقاط المرء الشيء ولو القليل من الثقة بالفكر كى يعدل به ما قد يكون من خطأ لم يفطن له.

وقد ولع بعض الكتاب بالزراية على الحق زراية ليست زراية من يريد أن يقلقل المتنطسين فى التشيع لجانب منه عن تنطسهم كي يدركوا الجوانب الأخرى، وإنما هى زراية الجاهل الذى يريد أن تعم الفوضى كى يكتسب فيها ومنها من غير حق، كاللص الذى ينتهز فرصـة فوضى العراك كي يسرق دراهم الناس. وأمثال هؤلاء الكتاب يجدون رواجاً فى أوساط التدهور حيث يصير السخر بالحق وأوجهه خطة عامة لا يستثنى منها فضل أو علم أو عمل أو خلق. فلا غرابة إذا ماتت روح أمة هذا شأنها وإن كانت حية ترزق. والحق عند الجاهل كالدنيا عند الأبله الساذج بقعة حول نفسه أو داره أو قريته. وكلما زاد المرء علماً كبرت الدنيا فى نظره حتى يعرف أنها عوالم ونظم شمسية عديدة لم تحص بعـد. وكلما ازداد المرء فطنة وثقافة عظم الحق فى ذهنه كعظم الدنيا فى رأى علماء الجغرافية والفلك. على أن عظم الحق فى نظر المفـكر قد يعدم الحق كما رأينا، فيقول المرء لا حقيقة فى الحياة، بل كل أقوال الناس دعاوى باطلة، وإنما مَثـلُ نظر هذا المفكر إلى الحق مَثـلُ نظر المُـطِل" فى الماء وقد قذف فيه بحجر، فهو ينظر إلى دائرة موقع الحجر فى الماء تتسع حتى تفنى. ولكن هناك حالة من حالات الثقافة يطمئن فيها المرء إلى أن تباين أوجه الحق لا ينفى الحق. ألم تر أن الدواء يشمل الأضداد ويشمل حتى السم، فلا ينفى ذلك أنه دواء. وحبذا لو فطن إلى ذلك أصحاب الأوهام الغريبـة الذين لا يرون الخير إلا الخير المطلق الذي ليس متصلا بالشر، والحقيقة المطلقة التى لا تتصل بباطل ولا تتجزأ، فاذا وجدوا أن الخير فى الحياة ممتزج بالشر قالوا أن لا خير ولا شر؛ وإذا وجدوا أن الحق ممزوج بالباطل قالوا أن لا باطل ولا حق، وإنما هى كلمات واصطلاحات، وإن كل إنسان يعد الحق والخير ما فى ناحيته وما فيه نفعه، ولكن لو أن أحد الناس نظر فى وجوه الناس ثم فى وجوه الحيوانات والطيور ثم قال: إن اختلافها يدل على أن ليس فى الكون ما يسمى وجهاً أكان يكون مصيباً فى مقاله؟

وكذلك من نظر إلى الدنيا نظرة الراهب الزاهد فيها ونظرة المقبل على مباهجها وأطايبها ونظر إليها نظرة القوى ثم نظرة الضعيف وجد أن أوجه الحق مختلفة، أكان يكون مصيبا لو قال إن اختلاف أوجه الحق ينفى الحق؟ أليس قوله مثل قول من يعرف أن النور إنما يتكون من ألوان عدة، ويقول إن اختلاف مظاهر الألوان التى يتكون منها شعاع النور ينفى وجود النور. وإنما دفعه إلى إنكار الحق أن تغاير وجوه الحق قد يجعله عند الناس كمقياس من الجلد القابل للتمدد يتخذونه لقياس الأقمشة وهم تارة يمطونه إلى نصف مط، وتارة يمطونه إلى آخر ما يستطاع فيه من المط حسب أهوائهم. وكذلك يطيلون الحق ويقصرونه حسب أهوائهم فيصير الحق مقياس محتال وآلة خداع فتقل حماسة المرء فى سبيل الحق، ويحتقر الجهاد فى الحياة لنصرة الحق، ويدفعه اختلاف أوجه الحق إلى إنكار الحق، ويهيىء له العذر فى نصرة الباطل لأنه يرى أن الاحساس بالحق والباطل يختلف كاختلاف الاحساس بالحر والبرد حسب الأمزجة والطبائع. وإذا نظرنا إلى أكثر المتمضين من الحياة الراجين إصلاحها وجدناهم من أصحاب المزاج الشاذ أو من ذوى الفشل أو الفقر؛ وبالرغم من أن أساس هذا الامتعاض فردى، وأنه شعور خاص، فانه من وسائل الرقى والاصلاح، ويؤدى إلى كثير من الخير والحق. وكذلك إذا نظرت إلى أصحاب المزاج المعتاد وأهل النجاح والسعادة وجدتهم يكرهون كل تغيير، ويرون صلاح الحياة فى بقاء كل قديم على حاله؛ وبالرغم من أن أساس رأيهم شعور خاص بما فيه النفع لهم فانهم يدافعون عن الحق الكائن والخير القديم ويفطنون إلى ما فى رأى المتمضين من الحياة الراغبين فى إصلاحها من وهم وباطل وشر وإن لم يفطنوا إلى ما فى رأى هؤلاء من حق وخير. والرجل المثقف هو الذى يستطيع أن يجمع بين النظرتين من غير أن ينعدم الحق فى نظره، والذى يعد فريضة التشبث بالقديم ليست من الباطل بل هى الحجر الذى يحتك به زناد المتطلعين إلى منازل الرقى الراغبين فى إصلاح الحياة فيورى هذا الاحتكاك نور الحق ونار الحياة. وإنما ضربنا مثل هاتين الطائفتين كى نوضح أن اختلاف منازل الحق لا ينفى الحق. وليس من الصعب تطبيق هذه الفكرة بالرجوع إلى كل أمر من أمور الحياة، وإلى كل فريق من طوائف الفكر والعمل، وإلى كل مذهب من مذاهبهما ومن أجلها كانت كل حقيقة متممة لأختها؛ ولا يتم الحق فى رأى إلا بما فى نقيضه من حق، كما لا يتم الباطل فى رأى إلا بما فى نقيضه من باطل متصل به أو قد يتصل به. والذى يحير المفكر الذى لا يجد فى الثقافة عزاء ولا هو ممن يتغلب على نزعات الفكر الحر بالتعصب لجانب منه أنه يريد حياة بسيطة ولكنها ليست بسيطة، بل إنها كالخيط المعقد تلوى بعضه فى بعض. فاذا استراح المرء إلى الثقافة وجد فيها عزاء، ورحب صدره ولبه بقدر اتساع الحق فى نظره، ولم يحزنه اختلاف أوجه الحق، ولم يضله إلا فى ساعات كلل الذهن أو ساعات الخوف أو التعب أو السقم والتشاؤم الذى يتهيأ فى هذه الحالات أو فى مثلها. على أن مذهب من ينكر الحق بسبب اختلاف مظاهره هو أيضا من الوسائل التى تستقيم بها الحياة وتستفيد منها، فالحياة تتخذ من كل مذهب وسيلة وتقبل نفعه وتدفع ضره، وبمذهب من ينكر الحق لاختلاف مظاهره تستطيع الحياة أن تداوى نقيضه وهو مذهب المتعصب لجانب واحد من جوانب الحق. وإن المفكر ليرى فى العقل البشري على العموم خصيصة تمكنه فى بعض حالاته من قبول أى رأى أو معتقد سواء أكان قريباً أم بعيدا، متزنا أم غير متزن، جليلا أم غير جليل. وهذه الخصيصة قد تدعو إلى الباطل، ولكن من الثقافة ألا ييأس المفكر من أجلها لأنها دليل على أن العقل البشرى قادر على أن يرى كل جانب من جوانب الحق فى الأمور فى أثناء التخبط فى جوانب الباطل منها. ومادام الرأى لا يصير عادة أو قيدا وسجنا أو ألفاظا ميتة مستحبة أو شيئا لا يصح الرجوع عنه بطريق الثقافة، فالأمل معقود بالتخبط والتهدي حتى ولو قبل العقل البشرى من الآراء فى بعض الأماكن والأزمنة والحالات ما قبلته عقول زنوج الغابات ونفوسها وما قبلته عقول القبائل البشرية من آراء رهيبة يصف أمثالها السير جيمس فرزر وسجموند فرويد. وأشد منها رهبة وخطراً على العقول البشرية أن يحرم محرم فى أرقى الدول الحديثة حضارة وفكراً على العقل البشرى أن يفكر إلا فيما تسمح بالتفكير فيه تلك الدول، لأن الأمل معقود بتخبط الفكر البشرى وتهديه ما دامت الثقافة رائده، وما دام الرجل المثقف يفسح صدره لرأى خصومه، لأن كل جانب من جوانب الحق قد يتصل بجانب من جوانب الباطل، إذ بينهما تقارب وتناسب؛ فالرغبة فى بلوغ الكمال وولوع الفكر

به وبتحقيقه مما يوطد سبل التقدم، ولكنها أمور قد تدفع إما إلى اليأس إذا فشلت، وإما إلى الاجرام في أثناء محاولة تنفيذ أغراضها، فتكون داعية إلى الحق من ناحية. وإلى الباطل من ناحية أخرى، وكذلك الرأي القائل بانكار استطاعة رقى الانسانية وكما لها قد يؤدى إلى الحق الذى فى جانب الاتزان والتؤدة والمحافظة على الحق المستطاع بدل لفظه فى سبيل الحق المنشود. ولكنه قد يؤدى من ناحية أخرى إلى الأثرة وتبرير الفساد الموجود لأنه موجود فى وجود أنكر هذا الرأى إمكان إصلاحه . والرأى القائل بالايثار له جانب حق كما أن للأثرة جانباً آخر يُنشد فى تهيئة الآحاد والأفراد بالقوة والاقدام ، وفى قوتهم وإقدامهم قوة للمجتمع الانسانى وإقدام له

وعمل الثقافة فى الحياة هي أن تؤسس الحياة على أساس صالح يوفق بين جوانب الحق فى الاضداد ، وأن تفصل بين كل جانب من جوانب الحق وما يلائمه من جوانب الباطل

عبد الرحمن شكرى

صور من الحياة فى بغداد

للدكتور زكى مبارك

يظن فريق من الناس أن الحياة متشابهة الألوان ، وإن اختلفت البلاد . وحجة هذا الفريق أن النـاس متقاربون أشد التقارب فى الغرائز والميول . ويشهد بصحة هذه الحجة أن مذاهب الناس فى ملاعبهم وملاهيهم قد تقترب فى هذه الأيام مما كانت عليه قبل آلاف السنين . وكذلك تقترب مذاهبهم فى فهم الحقائق الأخلاقية والاجتماعية ، بحيث يمكن القول بأن حكماء مصر وبابل والهند والصين فى العصر القديم عبروا عن آراء وأفكار ليست بعيدة كل البعد عما نعرف فى العصر الحديث

وقد دهشتُ حين زرت مدينة رُوَان فى سنة ١٩٢٧ فقد رأيت بعض الأحياء القديمة هناك تشبه بعض الأحياء القديمة فى القاهرة من حيث تخطيط الشوارع وهندسة البيوت

وكذلك دهشت حين زرت بغداد فى السنة الماضية، فقد رأيت فيها أحياء تشبه بعض الشبه حىّ الداوودية بالقاهرة ، من حيث إقامة الرواشن وزخرفة الأبواب

والحق أن هناك موجات مدنية تغمر العالم من حين إلى حين فتوحّد مذاهبه فى العيش بعض التوحيد . ووضح ذلك ما نراه من طغيان المدنية الأوربية فى هذا العصر : فهى تكاد تحوّل العالم إلى شكل واحد فى الملابس والعادات والمذاهب المعاشية ، وكذلك كان الحال يوم سادت المدنية المصرية والمدنية الرومانية والمدنية العربية

ولكن تشابه الناس فى بعض مناحى التفكير وخضوعهم لطغيان بعض المدنيات لا يمنع من وجود خصائص أصيلة يمتاز بها بلد عن بلد ، وشعب عن شعب

وهل يمكن القول بأن الوحدة السياسية فى قطر من الأقطار تفرض أن يتّسم بوحدة اجتماعية ؟

إننا نعرف أن أهل مصر يختلفون فى كثير من العادات والتقاليد باختلاف المناطق ، ولو شئت لقلت إن عندنا مِصرَين : مصر الشمالية ، ومصر الجنوبية ؛ ولـكل ناحية من هاتين الناحيتين خصائص ومميزات تتمثل فى أشياء كثيرة منها طرائق التعبير وأساليب الغناء

ونعرف أيضاً أن فرنسا تنقسم إلى أمم وشعوب بالرغم من وحدتها السياسية ، ولـكل أمة من تلك الأمم مذاهب فى العيش والتعبير ، ولها كذلك أذواق خاصة فى الطعام والشراب

فاذا انتقلنا إلى العراق الذى نخصه بهذا الحديث لم نجده بدعاً بين الأمم والشعوب ، وإنما نجده يتأثر فى عاداته وتقاليده بما يخضع له من تيارات جوية واجتماعية واقتصادية

وهل يمكن أن يتم التشابه بين أهل البصرة وأهل الموصل فى كل شىء ؟

إن الذى يطلب ذلك يصح فى ذهنه أن يتشابه (الصمايدة) و(البحاروة) فى كل شىء ، وذلك غير معقول

تقدّم الموصـل فتروعك سنابل الحِنطة وهى تتموج فى واسعات الحقول ، وتقدَّم البصرة فيروعك النخيل الذى يعـد بألوف الألوف

وتدخل بغداد فترى فيها سمات من الشّمال وسمات من الجنوب

***

فهل نستطيع بعد هذا التمهيد أن نجد صوراً خاصة من صور الحياة فى بغداد ؟

إن الصور التى تنفرد بها بغداد كثيرة جداً ، ولكن كيف نبرز الملامح من تلك الصور الخصوصية ؟

هنا أشعر بأن الوصف أصعب ضروب البيان ، ولكنى سأحاول رسم ما رأت عيناى من الصور البغدادية

وأبدأ بالحديث عن أذواق أهل بغداد فى تنظيم السهرات

وكلامى فى هذه القضية يحتاج إلى سناد مما قرأتم فى كتب الأدب والتاريخ ، وأنتم قد قرأتم أن البغداديين كانوا مولعين بالموسيقا والغناء . فاعرفوا اليوم أن هذه النزعة لا تزال حية فى بغداد ، ومن النادر أن تقوم سهرة بلا غناء

ويظهر جمال هذه العادة اللطيفة إذا تصورتم ما يقع فى دجلة أيام الصيف . ولدجلة من هذه الناحية منظر أخاذ حين تمسي ملعباً للسفائن الخفيفة الروح التى تحمل أفواج اللاهين واللاعبين وبأيديهم آلات الطرب وفى قلوبهم مشاعل الوجد المشبوب

وأنتم تذكرون أن الجاحظ نص على استكراه المغنّي الوسَط فاعرفوا اليوم أن لذلك صلة بالحياة العراقية . فكل إنسان فى العراق يرى من حقه أن يغنى ، وكان الأمر كذلك لأن جو العراق يهيج الشجون . وقد حدثتكم مرة بأن العراق هو البلد الوحيد الذى لا تنقطع فيه الحمائم عن النواح

ومن أجل هذا أيضاً نص أدباؤهم وفقهاؤهم على آداب الوجد والسماع والشراب ، لأن للسهرات الوجدانية لها فى ماضيهم وحاضرهم مكان ملحوظ ؛ وهم يشدون إليها الرحال من أرض إلى أرض ، وقد يتحملون فى سبيلها ما لا يطاق

ولكن ما هو الغناء الذى يميل إليه البغداديون في هذه الأيام ؟

عندهم فن من الغناء يسمى الأبوذية ، وهو فى أغلب أحواله غناء حزين ، ولكنهم مع ذلك يصطنعونه فى الأفراح ، والحجاز بين الفرح والحزن حجاز دقيق عند من يعرف أن العراقى حين يطرب قد تجود عيناه بالدمع السخين

وقد كلفوا في الأعوام الأخيرة بأغانى أم كلثوم ، كلفوا بها كلفاً شديداً جداً ، وهم يعلنون عن سهراتها فى جرائدهم بالمجان . ولشعرائهم فى الهيام بأغانى أم كلثوم قصائد جياد

ولا يبعد عندي أن يدّعوا نسبتها إلى العراق بعد حين ، فأم كلثوم فيما يظهر سرقت حنجرتها من الحمائم الموصلية . والله أعلم !

ولم يكن أهل بغداد يطربون لأغانى عبد الوهاب . ولذلك سبب يحسن روايته فى هذا الحديث

كان عبد الوهاب زار بغداد فى عهد الملك فيصل ، طيب الله ثراه ، وكان وقع في غلطة ذوقية ثار لها البغداديون ، كان لفيهم بمظهر من الارستقراطية لا يرتاحون إليه فانصرفوا عن أغانيه كل الانصراف

ولكن تغير الحال حين رأوا فلم « يحيا الحب » فأحبوه إلى حد الجنون

ويظهر أن السيدة التى غنت أنشودة البرتقال هى السبب فى انجذاب البغداديين إلى عبد الوهاب ، فتلك السيدة عراقية الملامح وهى تشبه ليلى فى تقاسيم الوجه ورخامة الصوت

***

أترك هذا وأنتقل إلي صورة ثانية

قلت مرة إن أنهار العراق مسمكة جداً ، فاعرفوا اليوم أن عندهم لوناً من الطعام هو السمك المسقوف

والسمك المسقوف مشهور جداً فى بغداد ، وينص عليه فى الدعوات كأنه من غرائب الأشياء

ولكن السمك المسقوف له تقاليد يعرفها أهل بغداد ، فهو لا يؤكل فى كل وقت وفي كل مكان ، وإنما يؤكل بالليل وفي الفضاء

وإنما سمى مسقوفاً لأنه يوضع فوق قضبان من الحديد ثم تشب من حوله النار فينضج بالحرارة ، كما يصنع من يشوون اللحم فى محل (الدهان) إن كنتم رأيتموه

وفى دجلة جزيرة صغيرة ينحسر عنها الماء بعد الفيضان ، وهم يسمونها جزرة ، وأهل بغداد يختارون هذا المكان لأكل السمك المسقوف فى ليالى الصيف ، ويظهر أنه كان مجال اللهو والطرب منذ أجيال طوال ، فهو يواجه الكرادة ، والكرادة فيما يظن كثير من البغداديين محرفة عن كلْواذ التى قال فيها أبو نواس :

قالوا تنسك بعد الحج قلت لهم
أرجو الاله وأخشى طيزناباذا
أخشي قُضيِّب كرم أن ينازعني
رأس الخطام إذا أسرعت إغذاذا
فان سلمتُ وما نفسى على ثقة
من السلامة لم أسلم ببغداذا

ما أبعد الرشد ممن قد تضمنه   قطر بل فقرى بثا فكلواذا

والتي دعا عليها مطيع بن إياس فقال :

حبذا عيشنا الذي زال عنا   حبذا ذاك حين لا حبذا ذا
زاد هذا الزمان شرا وعسراً   عندنا إذ أحلنا بغـــداذا
بلدة تمطر التراب على النا   س كما تمطر السماء الرذاذا
خُرّبت عاجلاً وخرّب ذواله   رش بأعمال أهلها كلواذا

وقد دعيت ليلة لأكل السمك المسقوف فى تلك الجزرة ، وكانت سهرة لطيفة فى ليلة قمراء ، ويظهر أن النسيم أراح أعصابي فغلبنى النوم ونحن عائدون فى السفينة ، ثم استيقظت مذعوراً على صراخ النساء فظننت أن السفينة أشرفت على الغرق، ثم ظهر أنها اصطدمت بالأرض ، فضحكت وحمدت الله على النجاة !

وإنما نصصت على هذه الصورة لتعريفكم بأن لأهل بغداد ألوانا من الطعام تغاير الألوان المصرية ، والفرق بعيد جدا بين ألوان الطعام فى القاهرة وألوان الطعام فى بغداد . والظاهر أن المائدة المصرية الحديثة منقولة عن المائدة التركية، ولا كذلك المائدة العراقية فلها مذاق خاص بأهل العراق ، وربما كان لها اتصال بما يتذوق الفرس والهنود

قد تقولون : ولكن أكل ما تختص به بغداد هو الطعام والشراب والغناء ؟

إن قلتم ذلك فانى أجيب بأن لبغداد خصائص غير هذه الخصائص ، منها الجد الرصين الذى يتمثل فى تناول الحياة من نواحيها العنيفة فى الكفاح والجهاد

وأؤكد لكم أن البغداديين صبروا على ما لم يصبر عليه أصدق الرجال

صبر البغداديون على بلايا كثيرة أخفها الأوبئة والطواعين ، وصبروا على مكاره الدهر وتصاريف الزمان

والبغدادى له لحظات بؤس يواجه فيها نفسه وهمومه ورزاياه ، والشعور بالكرب هو أخص ما يلازم البغدادى حين يجلس وحده فى المقهى أو فى البيت ، وهذا الحزن القاتل الذى يساور أهل بغداد من حين إلى حين هو الذى يجعلهم أقرب الناس إلى الفرزة الانسانية ، وهل يسيطر الحزن إلا على كبار القلوب ؟

وأعيذكم أن تظنوا ذلك الحزن علامة من علامات اليأس . لا ، فالبغدادى يأنس بحزنه ليتخذ منه ذخيرة لمواجهة الخطوب .

وماعرف البغداديون مواقع النصر فى التاريخ إلا فى أعقاب الأحزان

وتفسير ذلك سهل : فالحزن الموجع هو الذى يحمل الرجل على أن يستيئس فيستقتل ويستميت

والحق أن البغدادى يسرف فى الفرح ويسرف في الحزن ، ومن هذه الطبيعة المزدوجة استطاع البغداديون أن يكونوا من أسمح الناس وأشجع الناس

وما وقع بصرى على رجل من أهل بغداد إلا تألمت وحزنت، لأنى أرى الدهر طبع على وجوههم سمات الحزن الدفين ، ثم يخف ألمى وحزني حين أتذكر أن تلك الوجوه الشواحب تعرف كيف تصبر على مواجهة الخطوب

وما كانوا جميعا مكروبين ولا محزونين ، ولكن الأقدار أبت أن تسبغ عليهم ثوب الصفاء ، ليكونوا كأشجار البادية التى تقاوم العواصف وتصبر على الظمأ والقيظ بلا توجع ولا أنين

ولكن ماهى الصور التى يدفع بها العراقيون تلك الموجعات ؟

للعراقيين أساليب كثيرة فى جلب المسرات إلى قلوبهم ، منها الاشتغال بالفروسية والتأهب للحرب ، فمن أعظم الملاهى عند الشبان العراقيين فى هذه الأيام أن يكونوا طيارين وجنوداً وضباطا فى الجيش ، ويظهر هذا اللون من اللهو فى أجمل مظاهره حين يُستعرَض الجيش أو حين يقوم سباق الطيران

وما أقول إن هذا النوع من أنس النفس بمظاهر القوة خاص بالعراق ، لا ، فهو موجود فى كل أرض ، ولكن إقبال العراقيين عليه يتّسم بسمات من الروعة توحى إلى من يراه أنه من خصائص أهل العراق

ومن كان فى ريب من صدق هذه الحقيقة فليتصل بالراديو العراق مرة ليسمع بعض الأناشيد الوطنية أو العسكرية ، فان فعل فسيعرف أن الحماسة فى صدور الشبان العراقيين حماسة رائعة جدا ، وأنها صادقة كل الصدق لا تكلف فيها ولا افتعال

ومن هذه النزعة نشأ عند العراقيين عيب جليل وهو الغرور القوى ، فالعراقيون يعتقدون اليوم أن جيشهم أقوى جيش فى

فى الشرق ، ويندهشون حين يسمعون أن مدرسة الحربية فى القاهرة أعظم من المدرسة العسكرية فى بغداد . وقد نشرت إحدى جرائدهم مرة أن مصر أوفدت أربعة شبان ليتعلموا فى المدرسة العسكرية عندهم ، فصدقوا الخبر وعلقوا عليه فى المجالس والأندية والجرائد

وترجع هذه السذاجة الطريفة عند الجمهور العراق إلى منزع جميل هو قوة الروح المعنوى هناك

وهذا الروح تمده روافد كثيرة فى العراق يصدر بعضها عن المدارس وبعضها عن الجميات والأحزاب

ويجب أن أنص فى هذا الحديث على ظاهرة نفسية كاد يتفرد بها العراق، وهى إلحاحه على وجوب الاسراع فى تكوين الوحدة العربية ، فهم يتكلمون ويخطبون ويكتبون كل وقت في تأييد هذه القضية ، ويتمنون على أسلوبهم فى السرعة أن يتم ذلك بعد يوم أو يومين

وهذه الظاهرة تفسر ظاهرة أخرى لا يفطن إليها كثير من الناس

وبيان ذلك أن الصحافة العراقية لا تملك حرية التعبير فى كثير من الأحيان

والذى تصل إلى أذنه أخبار القيود التى تعانيها الصحافة العراقية يتوهم أن العراق يعيش فى ظل الجور والاستبداد

والواقع غير ذلك . الواقع أن الحكومة العراقية تعرف الفورات التى تصطرع فى أنفس الشبان ، وتعرف أنهم يتسامون إلى أغراض لا تتحقق فى عام أو عامين ، فترى من الواجب أن تحمى أولئك الشبان من النزعات المتطرفة التى يخرج لهيبها من الجرائد والمجلات

والواقع أيضاً أن حرية الصحافة في مصر تؤذى كثيراً من أهل الشرق ، فهم يتوهمون أننا صرنا أعظم منهم لأننا نملك من الحرية الصحفية ما لا يملكون ، ولو أنهم تدبروا لعرفوا أن حرية الصحافة فى مصر لا تؤذى أهل مصر إلا قليلا ، لأن المصريين عرفوا مصايرهم السياسية والاجتماعية منذ أعوام ، وهم لا يستوحون الجرائد فى كل وقت، ولا ينزعجون حين يقرأون غرائب الاتهامات فى الجرائد والمجلات بفضل ما درجوا عليه من نقد الأخبار والأحاديث

وهذا الذى أقوله يفسر الخبر الذى قرأته فى جرائد العراق منذ أسابيع، فقد أصدرت وزارة المعارف العراقية منشوراً يحرم على المدرسين أن يتعرضوا لغير الشؤون العلمية فى ساعات الدروس

وليس فى هذا المنشور شىء من الغرابة، لأن المدرسين ممنوعون من الخوض فى السياسة فى جميع البلاد، ولكن تأكيد هذا المعنى من وقت إلى وقت شىء يحتاج اليه المدرسون فى العراق

قد سمعتم أشياء كثيرة عن العراق فى هذا الحديث، منها الجد الصارم ومنها المزاح المقبول ، فاسمحوا لى أن أضيف إلى الصور السوالف صورة أجل وأروع ، وهى اهتمام أهل العراق بأخبار أهل مصر وشغفهم بأن يسمعوا ما يسرهم عن هذه البلاد

فمن تقاليد الشبان والكهول فى العراق أن يقرأوا المجلات المصرية وأن يستمعوا ما يلقى فى الاذاعة المصرية ، ومنهم من يعرف تخطيط القاهرة وإن لم يرها مرسومة فى خريطة لكثرة ما يتأثر بالأوصاف المبثوثة فى الجرائد والمجلات

إن الشبان فى العراق يتأثرون خطوات إخوانهم فى مصر ويتمنون لهم المزيد من نعمة الصحة والعافية

فيا أبناءنا فى المدارس المصرية ، تذكروا ، ثم تذكروا

تذكروا أن لكم إخواناً فى الأقطار العربية والاسلامية ، وهؤلاء الاخوان يسألون عنكم فى كل وقت ، ويتمنون أن تتسع آفاق أذهانكم فتعرفوا أنكم لستم غرباء فى الشرق ، وأن الفتى منكم إذا شرّق وجد أهلا بأهل وإخواناً بإخوان

إن الشرق يدعوكم إلى أن تتعرفوا إليه كما يتعرف إليكم، فليكن من أمانيكم أن تزوروا الحواضر العربية والاسلامية وأن تتعقدوا صلات المودة والاخاء مع إخوانكم فى الشرق

تذكروا يا أبناءنا فى المدارس المصرية أن الوطنىّ الصادق هو الذى يخلق لوطنه صداقات ومودّات ، فكونوا أوفياء لهذه المعانى فى خدمة الوطن الغالى

والله يتولاكم برعايته ، ويسبغ عليكم ثوب العافية فى العزائم والضمائر والعقول

« مصر الجديدة » زكى مبارك

الحقائق العليا فى الحياة

الإيمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الايمان

بقية الحديث فى مصير الإنسانية

إن مصير الانسانية ليس بالأمر الذى يمر عليه القلم بدون إلحاح فى تركيزه فى العقول وتبيين آثاره فى الحياة وفى النفس . إنه الحياة كلها فى رأى الدين ، والعدم كله فى رأى الالحاد . وشتان بين الحياة كل الحيـاة ، والعدم كل العدم فيما وراءهما من آثار ! شتان بين أن يعتقد الانسان أنه جنين فى بطن الدنيا سيولد منها ولادة ثانية ، وبين أن يعتقد أنه سيخرج منها سقطاً مَسْبُوناً هالكاً إلى غير رجعة ! إنها مسألة عظمى فى قيمة الانسان وفى سكينته واطمئنانه إلى مركزه فى الحياة

إن الانسان العادى غير الصوفى لا يحتمل أن يتلقى القول بأنه مخلوق للحياة هنا فقط ، دون أن يثور على الحياة أو يقنط قنوطاً قاتلاً لحيويته

لقد وصل القول عنـد بعض الفلسفات إلى اعتبار الانسان مظهر الإلـهية أو شرارة من روحها ! فكيف إذاً ينطمس هذا المظهر ، أو تنطفئ تلك الشرارة ؟

ثم لنرجع إلى ما يثبته العقل للخالق من حكمة وعدل تقتضيهما ضرورة الكمال الإلـهى الذى لا يستطيع العقـل أن يستغنى عنه كصفة ثابتة للإلـه ، فنتساءل : هل فى الدنيا مع آلامها وشرورها عدل مطلق ؟ يجيب المؤمن والملحد عن ذلك جواباً واحداً : كلا ! ثم يفترقان ، فيذهب المؤمن إلى أن كمال العدل المطلق وراء هذه الحياة ، فى تلك الحياة المثالية التى فيها كل خيالات الكمال وأطياف السعادة التى طافت بأحلام كل الناس وسكنت رؤوس الفلاسفة والحكماء ، أوجدها فى نفس الانسان إلهام عميق خفى لتتم الصورة العقلية للكمال الآلـهى . وفى هذه المقدمات وفى نتائجها المستمدة من منطق الطبع ومنطق التجريد راحة النفس المؤمنة وسكونها وطمأنينتها

أما النفس الملحدة فماذا عساها أن تصنع غير طيران خواطرها فى فراغ لا قرار له ؟ إنها لا تملك أن تسقط على قرار حتى تتحطم فتستريح ! ومِلاكُ ما تنتهى إليه أن حياتها كحياة تلك الحشرات والديدان التى « تعيش » على الروث والعفونة فى الظلمات ثم تموت عليها وتدفن فيها ! ولْتَنْحَ بعـد ذلك السموات أو فلتسقط ! ولتكن هذه العوالم الزاخرة بالعلوم والجمال والعجب العجاب لتراها فقط أشباح تلك الحشرات الصغيرة والكبيرة من بُعْـدٍ فتقتل غيظاً كل يوم ألف مرة ثم تذهب إلى غيبوبتها الكبرى مع الجمادات كما كانت ! والحياة إذاً بلا قصد أو غاية ، والرءوس الانسانية إذاً تفرز التفكير كما تفرز الكبد الصفراء ، أو كما يفرز ذيل العقرب السم !

سلام لك أيتها النفوس المعذبة مما أنت فيه وإنه لعذاب غليظ !

إن الإلهام الذى فيك من الخالق ينـاديك : أنت المقصودة بالخلق فى الأرض ... أنت خالدة ...

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق . ولكم الويل مما تصفون »

* * *

ثم مادام كل ما فى الفلسفة فروضاً لا تدخل فى قليل أو كثير إلى العلم اليقينى ، فما بالنا نترك الايمان بوجود مصير رفيع للانسانية على أنه فرض فلسفى ؟ إنه أصح الفروض وأصلحها للحياة الدنيا وأدعاها إلى الاصلاح المستمر المخلص

وهنا دليل ينبع ويستنبطه العقل من بين ما أقول : ذلك أن أقرب الفروض إلى الحق فى الدنيا هو ما يدعو إلي صلاحية النفس للحياة وإصلاحها لها ، وما يحل به أكبر مقدار ممكن من المشكلات ، وما صح تطبيقه على وجه الشمول بين الناس فى كل مكان وزمان . ذلك مبدأ تسلم به الفلسفة والعلم ومذاهب الأخلاق

ومصير الانسانية إلى حياة أخرى أسمى من هذه الحياة هو ذلك الفرض الذى ينطبق عليه ذلك التعريف السابق ، هو لا غيره

وقد عودتنا الحياة الدنية أنها لا تحترم ولا تبقى إلا ما يتفق

مع حفظ قوانينها ويضمن اطراد تقدمها . فمتى خلينا الدنيا من هذا الفرض أمام الانسان فهنالك تكون الحالقة : حالقة العمران. وإذا كانت معرفة مثل الزهاوى أن الانسان لا يأتى إلى هذه الدنيا مرتين قد حملته على أن يطلق لنفسه العنان في اقتراف اللذات ويدعو إلى ذلك فيقول :

لا تقف في وجه لذا … تك مكتوف اليدين
أنت لا تأتى إلى دنيـــاك هذى مرتين

فما بالنا لو عرف الناس أنهم لا يأتون إلى دنياهم ولا يذهبون إلى مصير آخر ؟ إنهم يفعلون كل جريمة للذة وانتهاز فرصة الوجود الواحد فى هذه الحياة التى ليست حينذاك إلا وليمة أدبها لنا القدر لنتلذذ ونتشهى فيها كما قال الأول :

تمتع من شميم عرار نجد … فما بعد العشية من عرار

وحق لهم أن يفعلوا ذلك !

***

ينبغى أن نعلم ونتذكر دائماً أن « إرادة الحياة » إنما تحفل غاية الاحتفال بعقليات أكثرية الانسانية لا بعقليات هؤلاء الفلاسفة المسرفين ، وقطيع الانسانية يسير بإلهام مركب كما تسير قطعان الحيوانات الأخرى بإلهام بسيط ، وإذا كانت قطعان الحيوان لا تحتاج فى حياتها إلى فلسفة لأنها تسير بنظام أشبه بالنظام الآلي فان الانسانية تحتاج فى سيرها فى الحياة إلى الفلسفة ولكن من غير إسراف . فلا يفرض حكيم أو فيلسوف شذت فيه شعلة الخيال والذكاء وقوة الافتراض عقله وطريقة إدراكه للأشياء على جميع عقليات الانسانية المرهونة بالبسائط والسجينة فى أقفاص فولاذية من الضرورات الجسدية . وقد دلت الانسانية بتاريخها المتيد أنها لا تستجيب لخيال الفلاسفة المسرفين إلى درجة الهذيان أحياناً . ومن مصيبة بعض الفلسفات أنها تتخذ الشك ديناً ؛ والشك حسن على أنه باب إلى اليقين عند من فى عقولهم محطات ورباطات تقفهم عند البديهي ، لا على أنه حالة استقرار فانه حينئذ يُجِنُّ ويشقى ويشرد العقل الانساني وينفيه من حياة الإلهام البسيط والمركب ، وكل شيء فى الحياة لغز وأحجية من ذرة المادة وصورها وتكوينها وطاقاتها وقواها إلى الروح وأسرارها وخفاياها . كل شيء يحمل كل عقل بصير يقظ على أن يقف أمامه دائراً بأسئلة عنه لا عدد لها . وقد نقلنا فى مقال « النار المقدسة » المنشور فى عدد سابق من الرسالة عن « ملكن » العالم الكهربائى الكبير قوله : « خبرونى ما هى المادة ؟ أخبركم ما هى الروح ... »

وقد خابت الفلسفة اليونانية فى أن تخرج ديناً عاماً يتبعه جميع اليونان ، دع عنك أكثر الناس . وكانت كل مدرسة من مدارسها لا تظفر إلا بعدد محدود من التلاميذ لا يلبثون أن يتفرقوا بعد موت أستاذهم أو فى حياته ، من غير أن تقدم إحدى تلك المدارس إلى الناس وازعاً يقوم مقام وازع الوثنية التى كانت تضج بها معابدهم . ولا يزال « العقليون » خائبين فى إيجاد ذلك الوازع الأدبى الذى يحكم الجماعة من الداخل كما تحكمها القوانين من الخارج . ذلك لأن الانسانية ممدودة بالالهام الذي يربطها بما وراء الطبيعة . ولن تستغنى عن وازعه بما تقدمه لها العقول ؛ إذ هى من جهة حائرة فى أى العقول تتبع ، ومن جهة أخرى هى لا تؤمن بما تصنعه هى ، ولا تعتمد عليه فى رغبتها ورهبتها . وما تقدمه إليها العقول مصنوع مخلوق أمامها فهو أرضى ضعيف غير ممدود بما وراء الطبيعة ، فلا يعزى ولا يخيف ولا يرغب .

وهذا هو ما يسلمنا إلى الحديث عن « النبوة والرسالة » ووجوبهما . والعمدة فيهما على معرفة « الوحى » وقد خرج الحديث عن الوحى من منطقة الفلسفة إلى منطقة العلم بالبحوث العلمية الأخيرة فى النفس الانسانية وقواها وأسرارها . وهي بحوث مبنية على التجارب التى هى أداة « العلم » بمعناه الاصطلاحى الآن .

الرستمية — عبد المنعم خلاف

وقعت بعض الأخطاء المطبعية فى المقال الثانى مما لا يتغير معه المعنى كثيراً ومما يدركه القارئ بالسياق إلا واحدة أرجو تصحيحها هى : « علما منهم أن الله راض لهم الفتنة » وصوابها : « راصد لهم الفتنة »

أمــــــر ؟!!

من زينب الحكيم إلى توفيق الحكيم

هناك فى حلوان على يسار الداخل إلى الجهة اليمنى (الشرقية) من الحديقة « اليابانية » يرى الزائر: جانباً من الحديقة منسقاً بفكرة خاصة؛ حيث هيئت بركة مائية على شكل حدوة الحصان من قاعها، وينتهى وسطها بزاوية حادة من أعلى حواشيها

وأقيم كشك على شكل مظلة، على الأرض التى تتوسط البركة من الطرف المفتوح من الحدوة، وقد زين هامشها بالزهور وسياج من السلك الشائك. ووضع تحت المظلة مقاعد خشبية، جلست على مقعد منها، بحيث أتمكن من رؤية البركة كلها وما يحيط بها

نسق هذا الجزء من أرض الحديقة، على شكل سهل يرتفع بالتدريج، إلى ربوة منحدرة خضراء، شيدت على قمتها مظلة مثل التى أجلس تحتها. أما حواشى البركة فترتفع من الجهة اليمنى، وتنخفض من الجهة اليسرى تبعاً لطبيعة ذلك الجزء من الأرض. وأقيم على حافتها من الجهة الشمالية الشرقية، عدة تماثيل طوبية اللون (أى أشبه بلون طوب البناء الأحمر الضارب إلى الصفرة)

والذى استرعى انتباهى هو اتحاد جميع التماثيل فى الشكل والنوعية والفن. ولم يشذ منها إلا تمثال واحد، تبينت أنه لسيدة، وهو أكبر حجما

أحصيت تمثال الرجل الواحد فوجدتها ثمانية وأربعين تمثالاً، صف ستة عشر منها على حافة البركة اليمنى، ثم يأتى تمثال السيدة، ويتبعه على الجهة ذاتها اثنا عشر تمثالاً يقع موضع آخر واحد منها فى وسط هامش البركة. ثم يتبعه فى اتجاه مقابل من الجهة اليسرى عشرون تمثالا

ما عسى أن يكون المعنى الذى يشير إليه هذا الوضع؟ إنه يشبه مجلساً ملكياً ترأسه ملكة وهؤلاء مستشاروها. لكن الغريب فى هؤلاء المستشارين أنهم جميعاً سواسية فى الجلسة والهيئة والسحنة والرداء وكل شيء، حتى تلك الدائرة الصغيرة البارزة الموضوعة على جباهها. ورءوسها كلها عارية خالية من الشعر، أما رأس الملكة فتغطيه جدائل سميكة من الشعر، مصففة بشكل يحيط الرأس ويغطى الجبهة حتى تلك الدائرة الصغيرة البارزة فى وسطها

عجيب هذا! — وما معناه —؟ الكل يرتدى ثوباً منسدلا منسجما عليه بنظام واحد كون شبه قلادة حول العنق تتدلى إلى الجزء الأعلى من البطن، أما عند السيدة فتنحدر قليلا إلى أسفل. ووضعت اليدان متقابلتين على الحجر فوق الركبتين، والراحتان منقبضتين فى يسر، والابهامان ملتصقين، وشكلها كما لو كان الانسان يفكر فى شيء مهم يشغل كل انتباهه وجميع حواسه. فالتماثيل كلها مسبلة الجفنين، مطبقة الشفتين، ترى قليلا إلى أسفل، وتتجه جميع الوجوه إلى الأمام

عجيب هذا الأمر الذى جعل من تسع وأربعين شخصية مختلفة شخصية واحدة، كأنما تنازلت عن ذواتها فى سبيل هذا الأمر الواحد، فظهرت كلها متحدة متشابهة! أو لعلها شخصية واحدة تحت لها ثمانية وأربعون تمثالا وراءها تمثال لسيدة لا يختلف عنها كثيراً!

وأنت أيتها السيدة، منصرفة إلى تفكير عميق مثلهم، لا تمتازين إلا بشيء آخر غير الشعر، وهو أن يديك وإن كانتا تشبهان باقى الأيدى فى وضعها إلا أنهما شاذتان عنها فى نوع القبضة وتقابل الابهامين، حيث يدل منظرها على تمسك برأى أو بمبدأ. وكأنما تعرضين هذا الأمر على مجلسك فيقبله مستشاروك بروح سلام وإعمال فكر، بدت آثاره على محياهم، وانصرف جميعهم إلى التفكير العميق فيه بلا انقطاع؛ ويلوح أن الكل مشبع بروح الود والاخلاص والتضحية، والرأى لم يبرز نتاجه بعد، ولم يتم حكمه

ترى ما هذا الأمر الذى لا يترك أثراً للتأفف على الوجوه، ولا على السلوك؟!

ها هى ذى الشمس تشع، ويسطع نورها على التماثيل التسعة والأربعين فيعمل اختلاف مسقط الظل عمله، فتظهر التماثيل المتحدة، بأشكال وسمات مختلفة؛ وبذلك تنعكس طبائع النفوس على حقيقتها وإن اتسمت كلها بسمة واحدة ووضع واحد ونوعية واحدة فى ظاهرها. إن فن المنظور يحتم تضاؤل أو تعاظم هذه التماثيل بالنسبة لارتفاع المواضع أو انخفاضها، وبالنسبة لبعدها أو قربها. وها هى ذى عين الانسان، تتغير نظرتها وتتبدل، بالنسبة لهذه التماثيل مرات فى وقت قصير

الشمس تحجبها السحب، فيظهر المنظر كله من نوع آخر ومعنى آخر. وإذا ماء البركة الذى كان يتماوج ويوحى الفلسفة،

ويدعو إلى التفكير ويستلهم منه مجلس التماثيل الاستشارى الصامت إلهامه من لحظات مضت — قد تسرب ، وظهر قاع البركة جافا ، إلا من بضع نقر بها أوشال من الماء هنا وهنا . ولكن التماثيل لا تزال هى هي ، فى وضعها وسمتها ، تومىء إلى تلك البركة فى رخائها وجدبها ، وارتفاعها وانخفاضها ، وطهرها وأسنها

وعقلية تلك التماثيل ومنطق وضعها الدال على فكرة خاصة ومقصد مبهم ، لا تزال جادة فى تفكيرها وتدبيرها لذلك الأمر الواحد

ترى ما هو ؟!

الطبيعة الصامتة تكوّن بيئة فخمة لذلك المجلس الصامت . العشب الزبرجدى يكسو الربوة العظيمة التى خلف الملكة وحاشيتها من الناحية اليمنى ، والشجيرات الأرجوانية الزهر ، نامية رابية وراء الصف المقابل من التماثيل فى الناحية اليسرى ، ويهتز مع النسيم ورق وغصون الأشجار العالية خلفها جميعاً ، والشجيرات الخضراء التى بين كل تمثال وآخر ، تحمل قليلاً من الزهر الأبيض النقى ، يضع أوسمة على صدور بعض التماثيل ، وتمسح غصون لطيفة خضراء على رءوس البعض الآخر أو تظللها .

ويحجب بعض التماثيل كلها أو أجزاء منها عن ناظرى الأشجارُ المشذبة المتناثرة هنا وهنا ؛ والطيور تحلق وتغرد ، وتهبط وتصعد ، والزوار يغدون ويروحون منهم المفكر واللاهى ، والمستنشق والساعى ، ومنهم الطفل ومنهم الكهل .

كلها مناظر وأوضاع تستدعى الانتباه واليقظة ، ولكن يخرجنى من هذا كله صوت ذلك الناقوس البعيد ، فأنظر إلى السماء فاذا بها السماء بزرقتها وسحبها وطيورها ، وأنظر إلى الأرض ، فاذا بها الأرض بترابها وأحجارها ، ومائها ودوابها وأشجارها .

وأنظر إلى ما حولى ، فاذا بى أرى المجلس الصامت بين الطبيعة الصامتة ، والكل وراء أمر غامض .

ترى ما هو ؟!

وأنظر أخيراً إلى ساعتى ، فاذا بها الواحدة ، ووقت الغداء فى الفندق قد حان ، فأنصرف مسرعة إلى الحياة العملية التى لا نصيب منها إلا كسرة بها نقتات ، وخرقة بها نحتمى .

أما التفكير ، وأما الفلسفة ، وأما التصوير — فلغير هذا العالم .

زينب الحكيم

جورجياس
أو البيان
لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٦ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » الفلسفة ! »

« رينوفيه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « س »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(١)

ط — (رداً على بولوس الذى سلم بقول سقراط) ولنأخذ الآن الحالة المضادة ، ولنفرض أنه يجب أن ننزل شراً بأحد من الناس عدواً كان أم غير عدو ، وإنما على شريطة ألا نكون قد أصبنا منه بسوء — إذ يجب أن نحذر من ذلك تماماً — فاذا كان إذاً

(١) انتصر « سقراط » كما مر بنا على « جورجياس » ، ثم انتصر من بعده على تلميذه « بولس » عند ماقرر فى العدد الماضى وجوب التقدم للعقاب وقبول أحكامه بارتياح لأنه الوسيلة المجدية فى « تحرير النفس » وتخليصها من أردأ الشرور وأقبحها وأعنى به « الظلم » . وسنرى اليوم « كاليكليس » الأثينى يدخل فى المناقشة بكل نشاطه وحماسه ليسند جانب « جورجياس » المتداعى ، وليشد أزر « بولس » المهزوم ، كما سنرى المناقشة تدور حول « حق الأقوى » فى الطبيعة وما يتصل به من الحرب والاستعمار . ولعل القارىء الكريم يذكر أن فلسفة « نيتشه » قد دارت حول ذلك الموضوع بالذات ، بل لعله يرى أن « نيتشه » لا يكاد يخرج فى العصر الحديث عن أقوال « كاليكليس » مخلوق أفلاطون العجيب ، ومن هنا سيكون إعجابنا عظيما عند ما نرى « سقراط » يمزق تلك الأقوال ببراعته الفائقة « المعرب »

غيرنا هو الذى أصيب منه ، فيجب أن نبذل كل الجهود الممكنة من أعمال وأقوال حتى لا يعاقب ولا يمثل أمام القاضى ، وإذا هو قُدِّم إلى المحكمة فيجب أن يمد السبيل لفراره وعدم عقابه ، بحيث لو كان قد سرق كمية كبيرة من الذهب فانه لا يعيدها إلى صاحبها بل يبقيها وينفقها على نفسه وأتباعه بطريقة ظالمة جاحدة ، وبحيث لو كان قد استحق الموت بجرائمه فانه ينجو منه ، بل إذا أمكن ألا يموت أبداً وأن يخلد برداءته وشره ، أو إذا أمكن على الأقل أن يعيش إلى أطول حد مستطاع بحالته تلك — فليكن له ذلك ... !

تلك يا بولوس هى الغايات التى يلوح لى أن البيان يستطيع أن يخدمها[1] لأنى لا أراه يقدم فائدة كبيرة لذلك الذى لا يستطيع أبداً أن يرتكب ظلامة ما ، إذا صح أن يقدم له أية فائدة ! وقد رأينا فى مناقشتنا السابقة أنه (أى البيان) لا يصلح لشىء[2]

ك — أخبرنى يا شيريفين ! أترى سقراط جاداً فيما يقول أم هو يهذر[3] ؟

ش — يلوح لى يا كاليكليس أنه جاد كل الجد ، ولكن ليس أفضل من أن توجه إليه سؤالك

ك — وأنا أرغب فى ذلك كل الرغبة وحق الآلهة ! أخبرنى يا سقراط : أيجب أن نعتقد أنك كنت جاداً طوال هذه اللحظة أم كنت تهذر ؟ ذلك أنه إذا كان كلامك مقصوداً ، وإذا كان قولك حقا ، فان حياتنا الاجتماعية لا شك معكوسة ، وإنا لنفعل — فيما يلوح — نقيض ما يجب أن يفعل !

ط — إذا لم يكن الناس يا كاليكليس خاضعين لأهواء واحدة وكان لهؤلاء اتجاه ولأولئك اتجاه آخر ، بل وكان لكل منا هواه الخاص الذى لا يتصل بأهواء الغير ، فانه لا يكون سهلاً ولا ميسوراً أن نجعل الغير يدرك ويفهم ما نشعر به ، وإذا كنت أقول ذلك فانما أقوله لأنى قد لاحظت أننا الآن — أنت وأنا — فى نفس الحالة ، فنحن الاثنين عاشقان لموضوعين اثنين ، أنا « لألسبياد بن كلينياس » والفلسفة ؛ وأنت « لديموس » الأثينى « ولديموس بن فيريلامب[1] » ، ولذلك أتخيل دائماً أنه بالرغم من فصاحتك الخاصة ، فان كل مايقوله موضوع غرامك وهواك وأى نحو يرى به الاشياء ، لن يجد منك القدرة على مناقضته ! بل إنك سوف تترك نفسك كالريشة فى مهب أفكاره ، بحيث لو قد بسطتَ فى الجمعية العمومية فكرة ما ، وقام « ديموس » الأثينى يعارضها ، فانك ستتركه يفعل ما يشاء ، وستعدل من لهجتك تبعاً لأهوائه ؛ كما أنك قمين بأن تفعل مثل ذلك إزاء هذا الفتى الجميل ابن « فيريلامب » ! ذلك لأنك يا كاليكليس فى حالة لا تسمح لك بمعارضة رغبات وأقوال محور عشقك وهواك[2] ، بحيث إذا دُهِشَ بعضهم وبُهت فى كل مرة تتكلم فيها ، وساير أقوالك فوجدها سخيفة ممتلة فانك ستستطيع أن تجيبه — إذا أردت أن تقول الحق — بأنه إذا لم يمنع أحد « غرامك » من أن يتكلم كما يتكلم ، فانك لن تستطيع أن تمنع نفسك من أن تقول ما تقول ! فقل لنفسك إذاً إنها يجب أن تنتظر نفس الاجابة من ناحيتى . ولا تعجب من الأقوال التى سأقولها ، ولكن أرغم — (إذا استطعت[3]) — موضوع حبى — (وهو الفلسفة) — على أن يكفَّ عن قول ما يقول ! إنه هو فى الحقيقة يا صديقى العزيز الذى يقول من غير توقف ماتسمعنى أردده فى هذه اللحظة ، وإنه لأقل تغيراً بكثير من موضوعات غرامى الأخرى ؛ لأن « ابن كلينياس » يتكلم أحياناً بطريقة أخرى ، بينما لا تتخذ الفلسفة دائماً إلا قولاً واحداً ؛ إنها هى التى نطقت بالأقوال التى أدهشتك ، والتى ساعدت بنفسك فى مناقشتها ؛ وأكرر أنها بالتالى هى التى عليك أن تناقضها ، فبرهن إذاً على أن ارتكاب الظلم والعيش بعد ارتكابه دون عقاب ليس بأفدح الشرور ؛ وإلا فاذا تركت ذلك القول دون أن تنقضه ، فانى أقسم لك « بالكلب » إله المصريين يا « كاليكليس » أنك لا تتفق مع نفسك ، وأنك تعيش معها فى اضطراب دائم ؛ وأنا أفضل من ناحيتى يا صديقى الحاذق أن تكون لى ربابة غير متوافقة الأوتار وكلها نشوز ، أو أن أكون رئيساً لفرقة مغنين مضطربة

(١) أليس ذلك ما يحدث أحيانا فى المحاكم حيث يسخر بعض المحامين بيانهم فى تبرئة « الظالم » على حساب المظلوم ؟ سنرى سقراط ينزه « البيان » فيما بعد ويسمو به عن الانحطاط إلى ذلك التسخير ، بل ويقصره على خدمة العدالة وحدها وإذاعتها بين الناس

(٢) حسبما استطاع سقراط أن يخرج من أقوال الدعى « جورجياس »

(٣) وهنا مبدأ دخول « كاليكليس » الأثينى فى المحاورة بكل نشاطه بعد هزيمة « بولوس » « المعرب »

(١) تلاحظ هنا براعة سقراط فى دخوله على خصمه الجديد فنرجو القارئ متابعة هذه البراعة بصبر حتى مبدأ المناقشة الجدية فى الموضوع لأنها عذبة للغاية « المعرب »

(٢) هكذا يقرر علم النفس الحديث . ويلاحظ أن الترجمتين اللتين تحت يدنا تختلفان هنا لفظاً ومعنى فآثرنا الاعتماد على ترجمة الأستاذ « شامفرى » لأنها أقرب للمعقول « المعرب »

(٣) زائدة للانسجام « المعرب »

الأصوات ، أو أن أجد نفسى معارضاً ومناقضاً لأغلب الناس ، على أن أكون مختلفاً فقط مع نفسى ومناقضاً لها[١]

ك — [٢] يبدو لى يا سقراط أنك تبدع فى كلامك كما يبدع الخطيب الشعبى ؛ وإنك لتخطب هكذا لأن بولوس قد أصيب بنفس الغيبوبة التى قد اتهم جورجياس باصابته بها حيال أقوالك. والحق أن بولوس كان محقاً فى قوله إن اعتراف جورجياس — عند ما سألته أنت هل سيعلم « العدالة » لذلك الذى سيقصد إلى مدرسته راغباً فى تعلم البيان دون أن يعرف شيئاً عنها، وأجابك هو بأنه سيعلمه إياها جرياً وراء خجله الكاذب ، وخوفاً من أن يصدم آراء أتباعه السابقة الذين كانت ستغضبهم أية إجابة غير هذه — أقول الحق إن بولوس كان محقاً فى قوله . إن هذا الاعتراف جعل الرجل يتناقض مع نفسه ويحقق ما كنت تبغيه منه تماماً ؛ ولكن ها هو ذا بولوس قد أصبح بحق « أيضاً » [٣] موضع سخريتك فيما يلوح لي ، وذاك هو السبب الذى جعله يضع نفسه موضع جورجياس : فانى لم أرض من ناحيتى عن موافقته لك على أن « الأقبح » هو ارتكاب الظلم لا احتماله : لأنك استطعت بعد ذلك التنازل منه عن رأيه أن تعرقل مناقشته بتدليلك ، وأن تقفل فمه فلم يجرؤ على الكلام متابعاً رأيه ، والواقع أنك فى الوقت الذى تزعم فيه وتؤكد أنك تبحث عن الحقيقة وحدها نراك تسلك مسلك الخطيب الشعبى المهرج وتوجه الكلام نحو « الجميل » لا تبعاً لأحكام الطبيعة ، بل تبعاً لأحكام القانون ، ولكن الحق أن الطبيعة والقانون يتناقضان في أغلب الأحيان ، فاذا حدث وغلب الحياء على المتكلم فمنعه من التصريح بما يراه فانه يضطره إلى مناقضة نفسه ؟ وذاك هو السر الذى اكتشفته يا سقراط لتستعمله في نصب أشراكك وفخاخك فى المحاورة ، حتى إذا تكلم أحدنا مشيراً إلى القانون ، سألته أنت بالاشارة إلى الطبيعة ، وإذا تحدث عما هو كائن فى نظام الطبيعة سألته مشيراً إلى القانون ، وهكذا فعلت مثلا فى الظلم المرتكب والمتحمل ، إذ بينما كان بولوس يتكلم عن الأقبح تبعاً للقانون ، كنت أنت تتابع المناقشة مشيراً إلى الطبيعة ، لأن كل ما هو « أردأ » فى نظرها هو أيضاً « الأقبح » مثل احتمال الظلم ، بينما « الأقبح » تبعاً للقانون هو « الارتكاب » لا الاحتمال ، والواقع أنه ليس من طبيعة الانسان الحر أن يحتمل الظلم ، وإنما ذلك من طبع العبد الذى يرى أن الموت أفضل من الحياة ، والذى يؤثر ألا يدافع عن نفسه وهو محتقر مكلوم ، وألا يدافع أيضاً عمن يهمه أمرهم ؛ ولكنى أرى أن الضعفاء والسواد الأعظم هم الذين سنوا القوانين ! وهم لذلك قد جعلوها لأنفسهم ولمصالحهم ! لهذا تراهم لا يوزعون ثناءهم ومديحهم ، أو لومهم وعتابهم ، إلا من أجل ذلك الصالح الخاص ولكيما يخيفوا الأقوياء — وهم أولئك الذين يستطيعون أن يعلوا عليهم — ولكيما يحولوا بينهم وبين ذلك العلو ، تراهم يقولون إن الظلم والعار فى الطمع فيما هو أكثر من نصيبك ، وأن الظلم إنما يقوم في الرغبة فى امتلاك شىء أكثر مما يمتلك الآخرون؛ وإنى لأتخيلهم يرضون ويقتنعون بأن يكونوا على قدم المساواة مع من هم أفضل منهم ! وذلك هو السبب فى أنهم يقررون فى عالم القانون أن الطمع فى إحراز ما هو أكثر من النصيب العام للأفراد ظلم وقبح ! بل ذلك هو ما يسمونه « بالظلم » ! ولكنى أرى أن الطبيعة نفسها تعلن أن العدل إنما يقوم فى أن ينال الأحسن أكثر من الأسوأ ، والقوى أكثر من الضعيف[١] ، وإنها لتقدم لنا ألف مثال لتثبت أن الأمر كذلك ، لا فى عالم الحيوان فحسب ، بل فى النوع الانسانى أيضاً بين المدن والأجناس جميعاً ، حيث نستطيع أن نتبين أن العدالة تبغى أن يسود « الأقوى » على « الأقل قوة » وأن ينال نصيباً أوفر من نصيبه. فمثلا بأى حق فى الواقع قام « Xerxès » بالحرب فى بلاد الاغريق؟ وبأى حق قام بها أبوه فى Scythie ؟ هـذا إذا تركنا الأمثلة اللانهائية التى نستطيع أن نذكرها من ذلك النوع . إنهم يعملون فيما أرى تبعاً لطبيعة « الحق » ! وقسما بزيوس ، تبعاً « لقانون الطبيعة » الذى ربما خالف قانون الناس ![٢]

(يتبع) محمد حسن ظاظا

---

(١) عظمة هذا الكلام فى غير حاجة إلى بيان

(٢) يبدأ كاليكليس هنا يبسط أقواله الطويلة فى أن « الحق للأقوى » كما هو الحال فى نظر الطبيعة وفى حياة الحيوان وفي نضال الأمم بعضها بعضاً. ونرجو أن تتم هذه الأقوال في العدد القادم

(٣) زائدة للانسجام (المعرب)

(١) تلك هى النظرة التى خرجوا بها من نظرية التطور بما فيها من قوانين تنازع البقاء وبقاء الأصلح ، والتى حاول أن يتخذ منها « نيتشه » فلسفة التوسع والاستعمار ، وألمانيا فوق الجميع ؛ بل تلك هى النظرة التى طبقتها « الساسة » منذ فجر الانسانية حتى اليوم ، والتى يسرنى ويسر القراء جميعاً أن نستمع إلى رد سقراط عليها فى الأعداد القادمة « المعرب »

(٢) لحديث كاليكليس بقية طويلة طريفة « المعرب »

التعليم والمتعطلون في مصر

عيوب التعليم الحاضر وطرق إصلاحها

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

العيوب العامة

وجهنا عنايتنا في الماضي إلى نشر التعليم فقط بدليل البيان البليغ الذي نشره معالي هيكل باشا وزير المعارف الحالي في أول عهده بهذه الوزارة في مايو سنة ١٩٣٨. ولقد قمنا بما قمنا به من نشر على أساس النظم القديمة من غير أن نعمل عملا جدياً في سبيل إقامة التعليم على أساس جديد وطيد سداه المبادئ التعليمية الحديثة ولحمته القومية المصرية والطابع القوى، فالرجل المتخرج في إحدى المدارس القائمة منذ نصف قرن من الزمان إذا دخلها اليوم يرى الطابع القديم بارزاً بها، والروح القديمة متأصلة فيها، والنظام القديم قائماً بين جدرانها؛ ولا يرى التغيير إلا في إحلال مدرسين وتلاميذ حديثين بدلا من غيرهم من القدامى. وليس معنى ذلك الثبات على تقاليد قديمة مألوفة، ولكن معناه مع الأسف الجمود على نظم بالية معروفة؛ ومعناه كذلك أن كل مدرسة مصرية سواء أكانت في قنا أو الاسكندرية تسير على وتيرة أختها في كل شيء بدون تبديل ولا تحوير مهما بعدت الشقة بينهما ومهما اختلفت ظروفهما ومهما تفاوتت بيئتهما، مما دعا المستر مان إلى القول في تقريره: «قد سبق توجيه النظر في الفصل الثاني المختص بادارة التعليم العامة في مصر إلى خلو نظام التعليم العام من المرونة والتنوع. رأينا بعض ما ينجم من هذا الجمود من النتائج السيئة الأثر في التربية القومية، بيد أنه يستحسن أن نعيد القول هنا بأن كل مدرسة مصرية تماثل في الوقت الحاضر كل مدرسة أخرى من درجتها كل المماثلة التي يستطاع إيجادها بواسطة اللوائح والقوانين، وبأن نظار المدارس ومدرسيها يكادون يعدون بمثابة آلات لانفاذ ما تفرضه الادارة الرئيسية من خطط دراسية لم يشتركوا في وضعها، ولم يؤخذ رأيهم فيها إلا في حالات لا نكاد نذكر، وهذه الخطط تطبق تطبيقاً عاماً من الشلال إلى الاسكندرية على نمط واحد بدون أية مراعاة لمصالح التلاميذ وحاجاتهم المتنوعة وبغض النظر بتاتاً عما إذا كانوا من سكان الريف أو المدن وعما إذا كانوا سيحترفون في المستقبل الزراعة أو سيزاولون التجارة أو الصناعة في المدن. ويجب أن نؤكد مرة أخرى أن مثل هذا النظام لا يحول فقط دون الانتفاع بخبرة النظار والمدرسين الفنية ومعرفتهم للشئون المحلية في أغراض التعليم العامة، بل يمنعهم فعلا من استخدام مواهبهم و كفايتهم استخداماً تاماً في إدارة مدارسهم بحسب ما تقتضيه أحوال البيئة ومرامي التعليم، لأنهم مهما رأوا في المنهج العام وخطة الدراسة وعدم الملاءمة لحاجات تلاميذهم الخاصة فان واجبهم يحتم عليهم أن يتبعوها اتباعاً دقيقاً. أعود فأذكر أن ليس معنى ذلك الثبات على تقاليد معينة، إذ ليس لاحدى مدارسنا القديمة تقليد معين كتلك التقاليد المرعية التي يعرفها خريجو المدارس في انجلترا مثلا، ويفخرون بها، ويحافظون عليها.

هذا والمعلم القديم الذي باشر العمل في المدارس المصرية منذ عشرين سنة ولا يزال يباشره إلى اليوم يشعر بالأسف العميق يملأ جوانح قلبه مما يراه اليوم من الانحطاط العام الذي أصاب حالة التعليم فيها ومن روح التواكل والتكاسل التي عمت أرجاءها؛ وهو لا شك يشعر بالأسف العميق أيضاً إذ يحس أن روح الجد والعمل من ناحية التلاميذ قد انقلبت إلى روح استهتار وقلة اكتراث وكسل يصحبها ميل شديد إلى الأخذ بأكبر نصيب من المتعة واللذة وحياة الطراوة والهزل حتى حار فيهم المربون وضاقوا بهم ذرعاً، واستولى اليأس من إصلاحهم على قلوب الكثيرين؛ وأصبحت الحالة لا تطاق بين جدران المدارس بسبب ما يوجد من الاستهتار والرعونة والخروج على المبادئ الأساسية المرعية بين التلميذ ومعلمه. وإن الفوضى التي تنتاب المدارس أحياناً وبخاصة في الأسبوع الأخير من العام الدراسي من خروج على النظام والآداب وإتلاف لبعض أثاث المدرسة مما يتناول كرامتها وكرامة أساتذتها، لما تحزن له النفس ويهلع له القلب.

وهذه حال ستؤدي حتماً إلى تدهور خاقي أشنع مما تقاسيه البلاد الآن إذا لم تجد اليد القوية الحازمة الرادعة التي تضع الأمور في نصابها فتعيد إلى المدرسة كرامتها، وتجعل أساس المعاملة بين

التلميذ وأستاذه ومدرسته الاحترام الحقيقي المشوب بالعطف الأبوى يقابله فى الوقت نفسه حب بنوى . وفى هذا يقول سعادة حافظ عفيفى باشا فى كتابه على هامش السياسة « أما أسباب هذه الفوضى فهى ترجع إلى عدم تنفيذ القوانين المتعلقة بنظام المدارس تنفيذاً لا استثناء فيه . وإلى تركيز كل السلطة فى وزير المعارف نفسه وإلى أخذ التلاميذ بسياسة مضطربة ، فهى الشدة المتناهية أحياناً واللين المتناهي أحياناً أخرى والذبذبة بين الشدة واللين فى أكثر الأحيان . الخ » وبعد كلام طويل عن تعديل القوانين بما يضمن للطالب الحرية فى حدودها المعقولة ، وللناظر والمعلم التمتع بالاحترام الواجب قال « . . . أما أن يشير ناظر المدرسة على وزارة المعارف بأن تتخذ نحو تلميذ بالذات قراراً معيناً فترفضه الوزارة أو تعدله فهذا هو الوسيلة لاضاعة نفوذ ناظر المدرسة . وبالتالي هو السبب لافساد النظام نهائياً فيها ... »

فاذا كانت المدرسة قد جدت فى نظامها فان التلميذ قد اندفع فى حريته إلى الفوضى التى لايقرها عدل ولا نظام . وخير علاج للحالة الأخيرة هو طريق الاقناع الفردى الودى المشوب بالعطف؛ فاذا لم يجد ذلك كانت الشدة واجبة كل الوجوب . ولا بأس من استعمال العصى أحياناً بيد عاقلة حازمة كما يجرى فى كلية فكتوريا وفى المدارس الانجليزية البحتة وقت اللزوم اتقاء للخروج على الآداب ودرءاً للخطر فى المستقبل، متمثلين بقول الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

أما العيوب الفنية العامة الأخرى بالمدارس المصرية فتتلخص فيما يأتى :

أولا : خلق الطبقات

الطفل المصرى الراغب فى التعليم الآن يجد أمامه من المدارس المختلفة المراتب والأوضاع والمزايا روضة الأطفال ، والمدرسة الالزامية ، والمدرسة الأولية ، وفرقة تحفيظ القرآن الكريم ، والمدرسة الابتدائية ، والمعهد الدينى ، والملجأ ، والمدرسة الأجنبية، والشارع وهو أهمها الآن ، إذ تجد به من الأطفال حوالى مليون ونصف مليون ، بينما جميع المدارس السابقة الذكر لا يبلغ عدد من يؤمها اليوم المليون عدا . فهذه المدارس الشعبية الأولى المتعددة تخلق أول تصدع فى بناء الأمة الواحدة لأنها تخلق نظام الطبقات المختلفة فى جسم هذه الأمة ذات الدين الواحد والعادات المتحدة ، واللغة الواحدة . وخلق الطبقات بين أمة هذا حالها لا يقره دين ولا نظام ، فالديمقراطية تنفر منه كل النفور لأنه لا يمكن أن يؤدى إلى الاشتراك فى الميول والرغبات، ولا يمكن أن يؤدى إلى الاتحاد فى الفهم العام ، وهو أساس التفاهم بين الأفراد ، فهو إذن ينزع إلى التفرقة الشاملة بين أفراد الأمة الواحدة ، ولعل قيامه بهذا الشكل السر الأول فى هذه الفرقة التى نحسها فى ديارنا فى كل شئ ، وما دام قائماً فى هذه المدارس المتباينة التى نرى فى كل منها اختلافا فى الطرائق والأساليب والمذاهب وطرق التفكير فلن تكون لنا وحدة متماسكة ولن نستطيع أن نخلق من أبناء النيل أمة متحدة فى الفهم والقصد ترمى إلى غرض واحد وتتعاون فى طريق واحد ! فالى متى يا ترى يستمر تعليمنا عاملا جوهرياً من عوامل التفرقة ، وخلق الطبقات المختلفة المتباعدة فى الفهم، المتنافرة فى التفكير، مما يؤدى إلى النزاع الدائم المستمر الذى ينهى الله عنه بقوله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ولقد كانت هذه النقطة هى الأولى التى لفت إليها نظر معالى وزير المعارف فى تقريرى الذى رفعته إليه من مدرسة الفيوم الابتدائية فى ١٦ مارس سنة ١٩٣٦ لأنها من الأهمية بحيث تحتل المكان الأول من الاصلاح المطلوب ، فلا سبيل إلى محو تلك الفروق والتقليل من تلك النزعات المختلفة بين أفراد الشعب الواحد والتقريب بين أفهامهم إلا بجعل أساس التعليم واحداً ، ألا ترى كيف تعمل الدول المختلفة على نشر ثقافتها بين الشرقيين ، وكيف تجهد نفسها ، وتنفق الطائل من أموالها فى سبيل جعل لغتها وطرق تعليمها هى السائدة حتى تتمكن من التفاهم مع تلك الشعوب. وتفوز بكسب عطفها وتقديرها

فالتعليم هو الطريق الفعال المؤدى إلى التفاهم والتعاون، لذلك أرى أن أساس الاصلاح هو فى التوحيد بحيث لايوجد بيننا غير نوع واحد من المدارس يبنى على أساس واحد يسمى بالمدارس الشعبية ، تندمج فى تكوينه كل أنواع المدارس السالفة الذكر ، ويتعلم فيها أبناء النيل على السواء لا فرق فى ذلك بين غنى وفقير أو عظيم وحقير ، تتلوه بعد ذلك مراحل التعليم الأخرى المختلفة فيشعر أطفالنا فى تلك المدارس الشعبية العامة بأنهم جميعاً أبناء

شعب واحد تسرى عليهم حالة واحدة كما هو الحال فى سائر البلاد الأخرى ، ولا تفضيل لأحدهم على الآخر إلا بالجد والعمل والأخلاق الكريمة الفاضلة ، كما نشعر جميعاً ونحن فى المساجد متراصين متوجهين إلى الله أن لا فرق بين صعلوك وأمير وكبير ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » . هذه الوحدة الشاملة والألفة العامة ، هى التى يجب أن تكون الغرض الأساسى من التعليم ، والتى يجب أن تكون المدرسة أول عامل على خلقهـا . قال ديوى : « ومن مفسدات الديمقراطية أن يسمح بإنشاء طبقات مستقلة فى الأمة ، فان التباين فى الثروة، ووجود عدد وافر من جهلة أرباب الصناعة، واحتقار العمل اليدوى والعجز عن إدارة التربية التى تمكن من التقدم فى سبيل الحياة ، كل ذلك يتضافر على إحداث طبقات مستقلة متفرقة وتوسيع شقة الخلاف والتفريق . على أن فى إمكان أرباب السياسة والتشريع أن يدفعوا شيئاً من هذه النوائل ، كما أن على أهل المساعى الخيرية القيام بشىء من هذا الغرض النبيل . إلا أن العامل الأكبر الأصيل فى هذا السبيل هو النظام المدرسى الشامل للأمة جماء » ثم يقول: « لا يجوز أن تكون تفرقة بين أنظمة المدارس، فلا ينبغى وجود نظام لأبناء الموسرين ، وآخر لأولاد العاملين بالأجور، فان الفصل المادى بين الفريقين بسبب هذا التنظيم لا يتفق مع ترقية روح الأخاء المتبادل »

ثانياً — عزلة المدرسة

المدرسة المصرية معزولة عن بيئتها عزلا تاما ، فترى التلاميذ يدخلونها فينقطعون عن كل ما يحيط بهم من الأعمال ، كما ترى المدرس أو ناظر المدرسـة خصوصا فى الأقاليم يترفع عن الشعب الذى يزود المدرسة بأبنائه ، ويحاول الابتعاد عن أولئك الفلاحين كأنهم من طينة أخرى غير طينته ، لأنه يعتبر نفسه موظف حكومة كمأمور المركز، عليه أن يحتفظ بينهم بمكانته وعلو مركزه كما يتوهم ، وبذلك لا يختلط بهم ، ولا يمكنه أن يعرف الأحوال الحقيقية لأبنائهم الذين بالمدرسة ، ولا يستطيع أن يتعاون معهم التعاون الفعال على إصلاحهم بمعرفة نقط الضعف المختلفة فى تكوينهم . ثم إن التلميـذ يرسخ فى ذهنه الاعتقاد بأن المدرسة لاصلة لها بالحياة وما يجري فيها من زراعة أو صناعة أو تجارة أو أعمال، وبأنه إنما يجىء إليها ليقضى جزءاً من وقته فيها لغير ما غرض واضح فى ذهنه ، اللهم إلا إعداده لأن يكون موظفاً حكومياً، ولذلك يندفع فى الابتعاد عن كل ما يمت إلى الحياة العملية بسبب، حتى إن بعض التلاميذ يتعجب عند ما يعلم أن المياه التى يشربها والتى تصل إلى منزله عن طريق الأنابيب أو عن طريق الترع والقنوات ، ما هى إلا من مياه نهر النيل الذى يرسمه فى علم الجغرافيا ، فما بالك بعد هذا إذا خرج يسعى إلى الكسب فى الحياة العامة ؟ إنه لا شك يكون كالأعمى أو كالذى يذهب إلى ديار مجهولة لا يعلـم عن أهلها وعن أعمالهم شيئا ، فيحار فى أمره ويرتبك فى حياته ولا يدرى ما يعمل ليكسب قوته . وهـذا فى الحقيقة هو السبب الأساسى فى خلق المتعطلين وقعودهم عن العمل لجهلهم بأحوال بيئتهم وما يحيط بهم من ظروف وأعمال . ولو أن المدرسة لم تفصلهم انفصالا تاماً عن المزارع والمتاجر والمصانع المحيطة بهم وجعلت بينهم وبينها صلة قوية وجعلت من نفسها وحدة تشابه بيئتها لما كان ذلك العجز عن مواجهة الحياة . فهى إذن بعزلتها هذه تقصر فى تربية التلميذ وتكوينه من الوجهتين الفعالتين القويتين : وجهة الاتصال المباشر بالمنزل ، إذ الواجب يقضى بتعاونهما تعاوناً عملياً على النهوض بالتلميذ وتحسين حاله الصحى والثقافى والخلقى ، ووجهة فصل التلميذ عن بيئته ، وما يجرى فيها من أعمال يحتاج إلى مزاولتها وممارستها فى مستقبل حياته . ولقد أصبح لزاماً على المدرسة المصرية كغيرها من سائر المدارس أن توجه أكبر عنايتها إلى ذلك .

عبد الحميد فهمى مطر

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعى

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤٥ —

ليس الغرور لميت بمتاع ؛ وما يجدى شيئاً على الرافعى أن يكون كل وفاء العربية له أن نقول : كان وكان رحمه الله !

لقد كان الرافعى صاحبَ دعوة فى العربية وفى الاسلام يدعو إليها ؛ فحقُّه على العربية ، وحقُّ العربية على أدبائها ، وحق الاسلام على أهله ، أن نجدّد دعوته ، وأن نبقى ذكره ، وأن ننشر رسالته ، وأن نُعنى بآثاره ؛ فإذا نحن قد وُفّقنا إلى كل أولئك فقد وَفينا له بعض الوفاء !

والآن فلننظر لنرى مقدار ما يمكن أن تصل إليه هذه الدعوة من النجاح ؛ وأمامنا إلى ذلك وسيلتان :

أولاهما أن نعرف مدى تأثير الناشئة من المتأدبين اليوم بأدب الرافعى ومذهبه ؛ والثانية هى البحث عن آثار الرافعى ومنشآته الأدبية وتراثه الفكرى لنحرص عليه من الضياع

فأما الأولى فان بين الرافعى والأكثرين من ناشئة المتأدبين فى هذا الجيل حجاباً كثيفاً يمنعهم أن ينفذوا إليه أو يتأثروا به لعوامل عدة :

فالرافعى أديب الخاصة ، كان ينشئ إنشاءه فى أى فروع الأدب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة تعلو بها وتَـميز مكاناً بين اللغات ؛ ثم ليبدع أدباً يسمو بضمير الأمة ويشرع لها طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد ومجد التاريخ

وشبابنا أصلحهم الله لا يعرفون الأدب إلا ملهاةً وتسلية ، لا ينشدونه للذة العقلية وسموّ النفس ولكن ينشدونه لمقاومة الملَل وإزجاء الفراغ

فهذا سبب

والثانى أن الرافعى — رحمه الله — لم يكن يكتب الكتابة الصحافية التى ينشئها أكثر كتابنا ليتملقوا غرائز القراء بالعبارة المتهافتة والقول المكشوف . وعند المتأدبين من ناشئة اليوم أن قيمة الأدب هى بمقدار انطباقه على أهواء النفس وارتياحها إليه وقدرتها على أن تسيغه بلا تكلف ولا عناء

وثمة سبب آخر ، هو طغيان السياسة على الأدب فى هذا الجيل طغياناً أقحم على الأدب ما ليس فيه وعلى الأدباء من ليس منهم ؛ بحيث يتحرج أكثر الأدباء أن يقولوا قولة أو رأياً أدبياً فى أديب أو شاعر إلا متأثرين بما كان له من مذهب سياسى أو رأى فى السياسة المصرية .

والرافعى رجل — كان — لا يعرف السياسة ولا يخضع لمؤثراتها، ولم يكن يعتبر له مذهباً فى النقد إلا المذهب الأدبى الذى لزمه منذ نشأ فى الأدب ؛ فمن ذلك كانت خصوماته الأدبية تنتهى نهايتها إلى اتهامه فى وطنيته وفى مذهبه السياسى ؛ ورآها أكثر خصومه من كتاب الشعب فرصة سانحة لينالوا منه عند القراء ، فانتهزوها ، وبالغوا فى اتهامه ، وأغرقوا فى الطعن على وطنيته وتأولوا مذهبه ، حتى عاد عند أكثر القراء رجلا لا وطنية له ولا إنسانية فيه ولا إخلاص فى عقيدته . وما تزال السياسة عند أكثر شبابنا ذات سلطان ، وما زال الأدب يجري فى غبار السياسة وهو أعلى مكاناً وأرفع منزلة ...

ولقد يضاف إلى كل أولئك سبب أخير ، هو أن أكثر ما كان يتناوله الرافعى من شئون الأدب هو مايتصل بحقيقة الاسلام أو معنى من معانيه . على أن الكثرة من ناشئة المتأدبين يريدون أن يفرقوا بين الأدب والدين ، فلا يرون ما ينشأ فى هذا الغرض لوناً من ألوان الأدب أو مذهباً من مذاهبه .

تلك جملة الأسباب ، أو مجمل الأسباب ، التى باعدت بين أدب الرافعى وبين الجمهور من ناشئة المتأدبين ، ما بد من النظر فيها والبحث عن علاجها حين نهم بأن نجدد دعوة الرافعى وننشر رسالته ، إن كان ثمة يقين بأن أدب الرافعى حقيق بالخلود ؛ وإن اليقين به ليعمر قلب كل أديب يؤمن بأن الدين واللغة هما أول المقومات لقوميتنا العربية المسلمة .

ذلك شىء .

أما آثار الرافعى فلها حديث طويل

هذه دكاكين الوراقين ليس فيها كتاب من كتب الرافعى ،

وهذا مكتب الفقيد عليه كتب من كتبه لم تطبع ولا يعرفها أحد من الأدباء

كل ما فى يد العربية من منشآت الرافعى هو صدى كلمات وعنوانات كتب ، أما حقيقتها ومعناها فقد انفرط الجيل الذى درسها أو كاد فلم يبق للجيل الناشئ منها غير عنوان :

ديوان الرافعى ، ديوان النظرات ، تاريخ آداب العرب ، إعجاز القرآن ، حديث القمر ، المساكين ، رسائل الأحزان ، السحاب الأحمر ، أوراق الورد ، تحت راية القرآن ، على السفود ، وحى القلم

هذا كل ما طبع من مؤلفات الرافعى ؛ فليسأل كل أديب نفسه : ماذا قرأ من هذه الكتب وماذا حصّل وماذا أفاد ؟

إنها لمكتبة حافلة جديرة بأن تنشئ مدرسة جامعة لمن يريد أن يتزوّد من العربية أمرأ زاد وأشهى غذاء ، ليكون أديبا له لسان وله بيان وله منزلته الأدبية فى غد

إنى لأ كاد أوقن أن تسعين من كل مائة من القراء لا يعرفون من هذه الكتب إلا أسماءها ، وإن منهم لمن يتوهم أن من حقه أن يتحدث عن الأدب ويؤرخ لأدباء الجيل

وما عيبٌ على مَن لم يقرأها أنه لم يقرأها ؛ ولكن العيبَ كلَّ العيب علينا عامة نحن المشتغلين بالأدب أن يكون كل وفائنا لمن يموت من أدباء العربية أن نقول كان وكان ويرحمه الله ولا نعمل على تخليد أدبه بما ننشر من آثاره

لقد أدى الرجل واجبه ما استطاع وبقى علينا فرضٌ واجب الوفاء

على أن ما سبق طبعه من كتب الرافعى هينٌ خطبه ؛ فسيأتى جيل يكون أكثر تقديرا لأدب الرافعى من هذا الجيل وسيُعيد سيرته وينشر أدبه

ولكن كتبا هناك ما تزال قصاصات من ورق على مكتب الفقيد تنتظر من يخرجها للناس قبل أن يسبق إليها العث والفيران

فهل فى أدبائنا وفى حكومتنا من العزم وحسن التقدير ما يحملهما على معرفة واجب العربية وواجب هذا الراحل ؟

كم نبكى وكم نعول على ما ضاع من تراثنا الأدبى وما فقدته المكتبة العربية من منتوج أدبائها الفحول فى عصر الجهل والانحطاط، وهذا تراث بين أيدينا يوشك أن يتبدد ويذروه الهواء!

* * *

لقد أورثنى الرافعى بعض تبعاته ، وإنى لأحس بثقلها على عاتقى أكثر مما أحس بحاجتى إلى التحدث عن ماضيه

لقد عاش الرافعى حياته يجاهد لأمته ما لم يجاهده أديب فى العربية منذ قرون ، وقضى حياته بلق من العقوق ونكران الجيل ما لم يلق أديب فى العربية منذ كانت العربية ؛ ومات فما كان حظه منا فى أخراه أحسن منه فى دنياه . فهل لى أن أؤمل أن تتنبه الأمة والحكومة إلى ما ينبغى أن يكون ، وفاء لهذا الراحل الكريم؟

ليس يكفى أن يكون كل وفائنا للرافعي ، حفلة لتأبينه وبضع كلمات فى الصحف لرثائه ، ولكن الوفاء حق الوفاء أن نعمل على تخليد ذكراه بتخليد أدبه ، وتجديد دعوته ، وإبقاء ذكره ، ونشر رسالته ، فليكن هذا الكتاب الذى أنشأته عن « حياة الرافعى » أولا له ما بعده ، لنفكر فى الوسائل النافعة التى تجدى على الأدب والعربية أكثر مما تجدى رسائل التأبين وكلمات الترحم والاسترجاع !

أما هو فقد انطوى تاريخه على هذه الأرض ، فلن يجدى عليه شيئاً ما نفعل وما نقول ؛ ولكن ما نفعله وما نفكر فيه إنما هو لخيرنا وجدواه علينا ، فلنفكر فى أنفسنا وفى ذواتنا وفيما يعود علينا وعلى العربية فى تجديد ذكر الرافعي ، إن كان يعز علينا أن نعمل أو أن نفكر إلا فيما تكون منفعته إلينا ولنا من ثمراته نصيب !

« شبرا » محمد سعيد العريان

في اللغة

المؤنث والمذكر

في اللغات السامية

للأستاذ عمر الدسوقي

(تتمة)

ذكرت في المقال السابق أن المؤنث ليست له علامة خاصة به من حيث كونه مؤنثاً باعتبار الجنس، وأن بعض الجموع والمصادر والصفات الدالة على المبالغة، والأمور المعنوية، تلحقها نفس العلامات التي تلحقه. وقلت إن الصلة بينها جميعاً هي الدلالة على القوة وبلوغ النهاية؛ ووعدت أن أوضح سبب نظرة الساميين إلى هذه الأشياء نظرة الاكبار والتعظيم.

أتى على الانسان عصر كان يقدس فيه القوى الطبيعية، المنتج منها والمدمر، يتملقها بالعبادة والقرابين استرضاء لها واتقاء لشرها

كان يقدس الريح، لأنها إذا سخطت أتت صرصراً عاتية، تعبث به وبكوخه ومتاعه، وتزأر زئيراً يقشعر له بدنه، وترتجف منه أوصاله؛ وإذا رضيت أتت رخاء لينة، تخفف حدة القيظ، وقر الشتاء.

كان يقدس الشمس، لأنها تبعث في الحيوان والنبات الحياة والقوة، وتجلب الضوء فتمكنه من السعي في مناكب الأرض والخروج للصيد، وتجعل من رمال الصحراء [1] ناراً متقدة، ومن حرم ضوءها ذوى وذبل.

وكان ينظر إلى السماء وما حوت نظرة تقديس وإجلال، فيراها موطن الأجسام المتلألئة اللامعة، تهديه في سراه، وتمن عليه بالضوء ليلاً ونهاراً، ويتطلع إليها كأنها مصدر القوى المسيطرة على العالم. [2]

وكان يرى في الأرض أماً يسكن إليها إذا ريع، ويعتمد عليها في طعامه، وشرابه، وحياته. درج عليها صغيراً، وجاب نواحيها كبيراً. زرع فيها الحب فآتى أكله، وغرس فيها الشجر فأثمر.

وكان يرى في السحب إله الرحمة، تنفع غلته من حياها، وتنمي زرعه من غيثها، وتدر الماء فتربو الأرض وتنتج من كل زوج بهيج

وكان يرى النار مصدراً للخير والشر، تنضج له طعامه، وتدفئ له كوخه، وتلتهم كل ما يملك

اعتبر كل هذه القوى أشياء طبيعية، خفية، غامضة، ذات قدرة سحرية، قادرة على النفع والضر، فأشار إليها بضمير خاص مميزاً لها عن بقية الأشياء التي تقع تحت سمعه وبصره، ذلك الضمير الذي يشير به إلى الأنثى، وكانت في نظره قوة منتجة ذات تأثير بين في حفظ النسل وإخراجه إلى الحياة وتمهده بالرضاعة والنمو، ولأنها لغز لم يستطع إدراكه، فهو لا يستطيع الحياة بدونها، ويجدها مصدر العطف والرحمة، واللذة والألم، والقسوة والصبر

وكان الآشوريون وهم أقدم الأمم السامية وأقربهم إلى الأمة الأصلية، يعتقدون أن المرأة وحدها هي التي تستطيع أن تفهم السحر وتقوم بالأعمال السحرية، وأنها تعرف أسرار الغيب، والتكهن بالمستقبل [1]

وكان عند العرب من العرافات والكواهن في الجاهلية عدد لا بأس به كطريفة الخير [2]، وسلمى الهمدانية [3]

وكان للعرب يسمون كثيراً من آلهتهم بأسماء الإناث، ولا سيما أقدمها وأعظمها، فكانت «مناة» أعظم أصنام الأوس والخزرج، وكانوا يجلونها وتعتبر أقدم أصنامهم [4]. وكانت «اللات» أكبر أصنام ثقيف. وكانت «العُزّى» أعظم أصنام قريش، يزورونها، ويهدون لها، ويتقربون إليها. وقد قيل إن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكرها مرة فقال: «لقد أهديت للعزى شاة عفراء وأنا على دين قومي» [5]. وهذه الأصنام الثلاثة هي التي خصها القرآن الكريم بالذكر

تلك كانت نظرة الساميين القدماء للأنثى: اعتبروها قوة من

---

(١) اتفق العلماء على أن موطن الساميين الأصلي هو جزيرة العرب، خرجوا منه على دفعات تختلف المدة التي بينها طولا وقصراً، وآخر هذه الموجات التي انفصلت عن الجزيرة العربية، هي الموجة التي استولى فيها العرب على العالم القديم من بحر الظلمات غربا إلى الصين شرقاً في صدر الاسلام. أنظر تاريخ الموجات البشرية للأستاذ محب الدين الخطيب صاحب المطبعة السلفية ومكتبتها.

(٢) ولعل هذا هو السر في بقاء طوائف كبيرة من العرب تعبد الأجرام السماوية حتى مجيء الاسلام

---

(١) أنظر كتاب العلامة Winsing وهو Some Aspects of Gender in the Semitic Languages

(٢) زوج عمر بن عامر مزيقياء: أحد ملوك اليمن

(٣) بنت سيد همدان

(٤) راجع الأصنام لابن الكلبي

(٥) راجع الاصنام لأبن الكلبي، ومعجم البلدان لياقوت

القوى المنتجة ، ونسبوا إليها القدرة على القيام بالأعمال السحرية والكهانة والعرافة

ولذلك أنثوا كل الكلمات الدالة على القوة ، والتي ترمز إلى أمر خطير ذي أثر بين في حياتهم : أنثوا الخمر لأنها تجلب إليهم المرح والسرور ، وتنسيهم أحزانهم وآلامهم ؛ وأنثوا الروح والنفس ، لأنهما من القوى الخفية التي بها يحيا الانسان وبدونها يصير جثة هامدة ، لم يقفوا على سرهما وكنههما : « ويسألونكَ عن الرُّوح قل الرُّوحُ من أمر ربي » . والنفس عندهم تعني الدم والنَّفَس ، ولا زال النَّفس يعد قوة سحرية ، يسلطه السحرة على الأفاعي لتسكن إليهم وتطيع أوامرهم ولا تؤذيهم . وكانوا ينفخون على الجروح لتبرأ ، ولازال هذا معمولا به إلى اليوم

وأنثوا الحرب ، لأن فيها ضرا وفيها نفعاً ؛ يتخذونها مورداً لأرزاقهم ، فيسبون ويغنمون ، وإن كانوا يعرضون أنفسهم للتهلكة ؛ وتاريخ العرب في الجاهلية على ذلك شهيد

وأنثوا من أعضاء جسم الانسان أحد عشر عضواً ، كاليد والأذن والعين ، لأنها أوعية القوى التي يكون بها الانسان إنساناً ؛ وكانت اليد عندهم آلة البطش والقدرة والتأثير : « يَدُ الله فوقَ أيديهم » . « بيده المُلك »

وأنثوا من الآلات أحد عشر اسماً ، كالفأس والرحى والدرع ، لأنها تمنيهم على الانتاج والدفاع والقوة

وربما قال قائل : إن كل الأسماء التي ذكرتها خالية من علامات التأنيث ، وقد اعتبرها العرب مؤنثاً مجازياً . وأقول : هو ذاك ؛ هي مؤنثة باعتبار الفكرة التي كانت تدور في أذهانهم ، ومع ذلك فالعلامة ليست شرطاً في التفرقة بين المؤنث الحقيقي والمذكر . خذ مثلاً : الأب ، والأم . والحصان والفرس ، والحمار والأتان . وتجد أن الصفات التي اختص بها المؤنث لا تحتاج إلى علامة مثل : مرضع وحامل وحائض وعاقر ، وثيب وعانس . وذلك لأن فكرة التأنيث عند ذكر هذه الصفات والأسماء كانت حاضرة في تخيلهم . ويذهب العلامة بروكلمان إلى أبعد من ذلك فيقول : لم تكن الحاجة ماسة في أول الأمر للتمييز بين المؤنث والمذكر بعلامة ، إذ كانت الطبيعة قد وضحت بينهما . وهذه الكلمات التي ذكرت آنفاً تعتبر من أقدم الكلمات في اللغات السامية[1] . ووضعت علامة التأنيث فيما بعد لما اعتبره الساميون مؤنثاً لتقوية

(١) أنظر كتاب العلامة Brockelmann وهو Précis de Lingaistique Semitique

الكلمة وتشديدها ، وزيادة تمييزها عن غيرها[1]

أما الأمور المنوية ، كالرحمة والقسوة ، والشفقة والبغضاء ، والبلواء ، والسعادة والبأساء ، فلأنها أمور دقيقة لم يستطع ذلك الانسان الفطري إدراك كنهها ، وإنما عرفها بآثارها الظاهرة المحسوسة ، فألحقها بالمؤنث ، ووضع لها العلامة لأن فكرة التأنيث بها ربما كانت غامضة ، أو ضعيفة قواها

أما الجموع فأمرها هين ولا سيما جموع العقلاء ، مثل عامل وعملة ، وكاتب وكتبة ، وصبي وصبية ، وكرماء وأشداء وعظماء وأقوياء[2] ، إذ أن الجموع قوة تستطيع أن تفعل مالا يفعله الفرد

أما المصدر ففكرة مجردة ، ويقول العلامة « دلمان »[3] إن الفكرة المجردة يتصورها الانسان كقوى منتجة خالقة ، ولذلك جاء الكثير منها مؤنثاً .

ويمكنك أن تدرك الفكرة التي حدت بالساميين إلى تأنيث بعض الأسماء والصفات في تلك النعوت التي تدل على المبالغة وبلوغ النهاية مثل : راوية ونابغة ، وداهية ... الخ .

أما أمكنة الاقامة ، كالمدينة ، والقبة ، والدار ، فلاتصالها بالأرض ، وقد بينت في أول المقال كيف نظر الساميون إلى الأرض . وتسألني ما بال البيت مذكراً ؟ . نعم إن البيت مذكر ، ولكن أثراً من آثار صيغته الأصلية المؤنثة لا يزال موجوداً في اللغة الآشورية ، حيث يستعمل مذكراً تارة ومؤنثاً أخرى ، كأجزاء الأرض مثل الطريق ، والسبيل . ولعلك تتذكر أني بينت في المقال الأول كيف تخرج هذه الكلمات من المؤنث تدريجاً لضعف فكرة التأنيث فيها .

ولعلي أكون قد وفقت في توضيح هذه الفكرة التي حدت بالساميين لتأنيث بعض الأسماء وتذكير بعضها الآخر ، فالغرض من علامات التأنيث هو تقوية الكلمة ، والضغط عليها ، وإظهارها بمظهر الشدة ، لما ترمز إليه من المعنى القوي ، والأمر الخفي ذي الأثر والنفوذ والقدرة السحرية .

عمر الدسوقي

(١) نجد كثيراً من هذه الكلمات قد أخذت علامة التأنيث في اللغات السامية الأخرى غير العربية فمثلا : نفس بالآرامية نفسا وبالآشورية نفستو ؛ وأرض بالآرامية أرضى ، وبالآشورية ، إرضيتو

(٢) راجع المقال السابق

(٣) هاك النص الانجليزي لما يقوله الأستاذ Dillmann في كتابه قواعد اللغة الحبشية عند الكلام على المذكر والمؤنث ص ٢٧٢

In Lact pure ideas «Abstracts» are usually conceived of as procreative and productive powers, and there for ex pressed in the Feminine form

رسالة من باريس

بعض الدكاترة الفخريين

الذين منحوا الدكتوراه الفخرية في فرنسا هذا العام

للباحث الأديب مصطفى زيور

— ٢ —

إذا أضفنا إلى هذه المحاولات لتركيب المواد الزلالية وبالتالى المادة الحية من المواد اللاعضوية البسيطة ، إذا أضفنا إلى ذلك نتائج بحوث الكيميائي الكبير « لوب » التى أثبتت بطريقة لا تحتمل الشك العلمى أن المواد الزلالية لا تختلف فى قوانين تفاعلاتها الكيميائية عن قوانين تفاعلات المواد اللاعضوية ، وبعبارة أخرى أن المادة الزلالية لا تنفرد بكيمياء خاصة ، فانه يبدو لنا أن هؤلاء العلماء المنكبين على دراسة المادة الحية يتخذون فرضاً لعملهم وبحوثهم أن هذه المادة تخضع لنفس القوانين التى تخضع لها المواد الأخرى . وليس فى ذلك غرابة فان أى تقدير من جانبهم يختلف عن ذلك كأن تعتبر المادة الحية خاضعة لسلطان ميتافيزيقى يجعل موقفهم متناقضاً ، لأن البحث التجريبى لا يمكن أن يتناول إلا ما يقبل التجريب وبالتالى ما يخضع لقانون طبيعى

ولكن المسألة التى استرعت اهتمام سورنس بنوع خاص هى من غير شك مسألة « مبلغ تركيز ذرات الهيدروجين المكهربة » فى سائل بعينه، وأهمية ذلك بالنسبة للمظاهر الحية. ويجدر بى قبل أن أبين خطر هذه البحوث أن أقدم لها بكلمة قصيرة أبين فيها ما الذى يعنونه بمبلغ تركيز ذرات الهيدروجين المكهربة أو جهد الهيدروجين المكهرب

لاحظ فراداى ، ذلك العبقرى الانجليزى أحد مؤسسى المغنطيسية الكهربائية فى أوائل القرن التاسع عشر ، أننا إذا أحدثنا فرقاً فى الجهد الكهربائى بين قطبين منغمسين فى محلول ملح ما فاننا نرى تياراً كهربائياً يمر يصحبه انحلال الملح إلى أجزاء تحمل شحنة كهربائية بعضها موجب يوجهها إلى السير نحو القطب السالب ، وبعضها سالب يوجهها نحو القطب الموجب ، وهكذا يتكون لدينا تيار من هذه الأجزاء ناقل للشحنات الكهربائية أى لكمية الكهرباء . هذه الأجزاء المكهربة هى التى يسمونها منذ فراداى باللفظة اليونانية «أيون» أى سائرة ومتجهة . على أن « أرينيوس » بيّن فيما بعد أن انحلال الجسم الذائب فى سائل ما إلى أيون لا يحدث تحت تأثير مرور تيار كهربائى . بل إن هذا الانحلال يحدث لمجرد ذوبان الجسم فى السائل ؛ ذلك لأن ذرة كل جسم تتكون من نواة ذات شحنة موجبة يحيط بها كهيربات ذات شحنات سالبة يدعونها « ألكترون » تعادل الشحنة الموجبة فتصبح الذرة متعادلة لا هى موجبة ولا هى سالبة ؛ فاذا ما أذيب جسم فى سائل يضطرب هذا التعادل بأن تفقد الذرة كهيربا سالباً فتصبح موجبة أو تكسب كهيرباً سالباً فتصبح سالبة

فإذا أذبنا حامضا فى سائل ما، وليكن حامض الكلوريدريك المكون جزآه من ذرة من الكلور وذرة من الهيدروجين فإن بعض هـذا الحامض ينحل إلى ذرات كلور ذات شحنة سالبة، وذرات هيدروجين ذات شحنة موجبة. ولكن ذرات الهيدروجين المكهربة هى التى تعين الحموضة ، فكلما كانت قابلية الحامض إلى الانحلال كبيرة، وبالتالى عدد أيون الهيدروجين المنتشرة فى السائل كبير، كانت درجة الحموضة كبيرة ، بصرف النظر عن كمية القلوى الذى يمكن أن يعادلها ذلك الحامض ، والتى تعين قوته الحامضية الكاملة . وكذلك الحال فى جسم قلوى مثل الصودا الكاوية المكون جزآها من ذرة صوديوم متحدة مع مركب يدعونه هيدروكسيل يتألف من ذرة هيدروجين وذرة أكسجين ، فاذا أذيبت الصودا الكاوية فى سائل فان جزءاً منها ينحل إلى ذرات صوديوم تحمل شحنة موجبة، وإلى عدد من الهيدروكسيل المذكور يحمل شحنة سالبة . وكما أن عدد ذرات الهيدروجين المكهربة هو الذى يعين درجة الحموضة الحالية ، فان عدد الهيدروكسيل المنتشر هو الذى يعين درجة القلوية الحالية

ولكن ظاهرة الانحلال هذه تحدث حتى بالنسبة للماء النقى ؛ فنحن نعلم أن جزئ الماء يتكون من ذرة أكسجين يرمز لها بالحرف (ا) ، (أى الحرف الأول من اكسجين) وذرتين هيدروجين يرمز لكل منهما فى العربية بذلك الرمز العجيب (يد)، (الحرفان الثانى والثالث من هيدروجين) . وهنا أحب أن يسمح لى القارئ أن أترك موضوعنا لحظة لكى أعلق على هذا الرمز الغريب ، فلست أشك أن المترجم المصرى عند ما أراد ترجمة الرمز

الدولى للهيدروجين H عند بدء النهضة العلمية الحديثة فى مصر منذ نحو ربع قرن ، ظن أن الكلمة هى إيدروجين بإبدال الهاء همزة كما يحصل فى النطق الفرنسى ، ويدل على ذلك ما جري عليه الكيمائيون فى مصر من كتابة هذا العنصر على هذا النحو الأخير أى إيدروجين . ولما كان الحرف (ا) سبق أن اختاره المترجم المصرى رمزاً للعنصر ا كسجين فلم يكن بد من اختيار الحرفين الثانى والثالث من ايدروجين بجعلهما رمزاً لهذا العنصر . ولكن الواقع أن الكلمة هى هيدروجين بصرف النظر عن نطقها فى بعض اللغات . والواجب إذن أن يتخذ الحرف (هـ) الذى يقابل H الدولية رمزاً لهذا العنصر إذا كان لا بد لنا من الاستمرار فيما درجنا عليه منذ نحو ربع قرن من نقل الرموز الدولية إلى رموز عربية . فماذا يرى عالمنا الكبير الدكتور احمد زكي ؟

رأينا أن جزيئات الماء التى تتكون من ذرة من الأكسجين وذرتين من الهيدروجين ومن ثم يرمزون لها $\text{يد}_2\text{ا}$ ينحل بعضها إلى ذرات هيدروجين موجبة يرمز لها هكذا يد^+ وهيدروكسيل سالبة يرمز لها هكذا ا يد^- ؛ ولكنه من الواضح أن أيون الهيدروجين الذى يحمل شحنة موجبة لا بد أن يتحد من جديد مع أيون الهيدروكسيل الذى يحمل شحنة سالبة فتتكون جزيئات مائية من جديد ، بينما تنحل جزيئات مائية أخرى إلى أيون هيدروجين وهيدروكسيل، وهكذا حتى تصبح سرعة التفاعل فى الناحيتين متعادلة ، فينتج لدينا حالة استقرار فى مبلغ تركيز الأيونات يمكن التعبير عنها بأن حاصل ضرب عدد الأيونات مقسوم على عدد الجزيئات الغير منحلة ينتج عدداً ثابتاً :

$$\frac{[\text{يد}^+] \times [\text{ا يد}^-]}{[\text{يد}_2\text{ا}]} = \text{ث}$$

(عدد ثابت يدل على حالة الانحلال وبالتالى يدل فى حالة حمض أو قاعدة على قوة الحمض أو القاعدة). ولكن فى حالة الماء فان الجزيئات الغير منحلة قليلة التغير وبالتالى فان حاصل ضرب $[\text{يد}^+] \times [\text{ا يد}^-]$ يكون ثابتاً ، وتقدر قيمته فى لتر من الماء بكسر اعتيادى مقامه الوحدة يتبعها أربعة عشر صفراً $\frac{1}{10^{14}}$ فاذا تصورنا الماء فى حالة التعادل التام أى أن أيون الهيدروجين يساوى عدد أيون الهيدروكسيل فان الرقم الذى يدل على تركيز أيون الهيدروجين يكون فى هذه الحالة $\frac{1}{10^{7}}$

ولتسهيل الاشارة إلى الحموضة الحالية أى لمبلغ تركيز اليون يد^+ أو جهد الهيدروجين اقترح سورنسن أن يعبر عنه بمقلوب اللوغارتم المشرى أى بعدد الأصفار الذى يتبع الوحدة فى مقام الكسر الاعتيادى الدال على مبلغ التركيز أى بالعدد ٧ فى حالة التعادل ، وأن يرمز له بالحروف الدولية PH وهو ما يمكن ترجمته بالحروف العربيـة ج يد حيث أن P هو الحرف الأول من الكلمة Potentiel أى جهد (وليس القوة كما أشار بذلك البعض لأن لفظة القوة ترجمة فلسفية قديمة وتدل عند المشتغلين بالعلم فى مصر على محدث العمل) . كما كان لسورنسن الفضل فى استنباط طريقة لقياس درجة الحموضة هذه بواسطة تفاعلات ملونة

أهمية مبلغ تركيز ذرات الهيدروجين المكهربة أو جهد الهيدروجين ج يد فى المظاهر الحية

قد لا يكون من المبالغة أن نقرر أنه ما من ظاهرة من ظواهر الحياة لا تخضع لهذا العامل الأساسى : مقدار الحموضة الحالية أى ج يد ؛ فقد تبين أن الكائنات الحية حتى الدنيئة منها مثل الجراثيم لا يمكن أن تعيش إلا فى وسط له درجة حموضة معينة خاصة بكل نوع من أنواع الكائنات لا يجب أن تتغير وإلا فقدت الحياة . ويكفى أن أشير إلى أن درجة الحموضة فى دم الانسان ثابتة ثباتاً يسترعى النظر حقاً ، وتعمل على هذا الثبات وظائف لها من الدقة والانتظام مايدل على خطورة مقدار الحموضة الحالية فى بقاء الحياة . وتبدو هذه الخطورة بوضوح إذا علمنا أن تلك الصدمات المنيفة المصحوبة بهبوط شديد فى ضغط الدم والحرارة وضربات القلب بحيث يصبح الموت قاب قوسين أو أدنى ، والتى تحدث من إدخال بعض المواد الغريبة فى الدم أو نتيجة لبعض الأمراض ، هذه الصدمات يصحبها تغير فى درجة الحموضة المذكورة

وهنا يجب أن أشير إلى ما يدعونه نقطة التساوى الكهربائى فى الزلاليات حتى يتم لنا هـذا العرض السريع لمسألة الحموضة وأهميتها البيولوجية

سبق أن ذكرت أن المواد الزلالية تتركب من أحماض أمينية تحتوى جنباً إلى جنب على وظيفة حمضية ووظيفة قلوية ؛ وعلى ذلك من السهل أن نفهم أن المواد الزلالية تنحل فتترك ذرات هيدروجين موجبة من جهة كما يحدث فى الأحماض ، وهيدروكسيل سالبة من جهة أخرى كما يحدث فى القلويات .

فاذا ما كانت درجة الحموضة الحالية جـيد فى الوسط الموجودة فيه هذه المواد الزلالية كبيرة فإن هذه المواد تسلك كما لو كانت قلوية فقط فلا تتحل إلا إلى أيونات هيدروكسيل (أو على الأقل فان النتيجة العملية هى كذلك) ، وبالعكس فيما لو كانت درجة حموضة الوسط قليلة أى قلوية ؛ وبين هذين الطرفين توجد نقطة فى درجة الحموضة تنحل عندها الزلاليات إلى مقدار متساو من أيون الهيدروجين وأيون الهيدروكسيل ، فيحدث نوع من التساوى الكهربائى يمكن أن نرمز له هكذا جـيدس (س = الحرف الأول من الفعل الماضى أصل الاشتاق ساوي)

والآن من السهل أن نفهم أهمية نقطة التساوى هـذه إذا تذكرنا أن العامل الرئيسى فى ثبات المحلولات الغروية هو وجود شحنة كهربائية تمنع الجزيئات من التهالك ، ولما كانت هذه الشحنات الكهربائية تنحط إلى مقدار ضعيف عند نقطة التساوى ونتيجة لهـذا التساوى ، فيمكننا أن نتنبأ بقلة ثبات المحلولات الغروية وبالتالى المادة الحية وميلها إلى الأنهيار عند هذه النقطة . وهذا ما يحدث بالفعل ويوضح لنا أهمية درجة الحموضة جـيد والخطر الذى ينتج من تغيرها على مظاهر الحياة .

وأخيراً فان الفضل يرجع إلى سورنسن فى بيان أهمية درجة الحموضة بالنسبة للتفاعلات الخميرية ، فقد بين كيف أن الخمائر — وهى تلك المواد الخاصة بالكائنات الحية تساعدها على تحقيق التفاعلات الكيمائية — لا تقوم بعملها إلا فى درجـة حموضة معينة خاصة بكل خميرة ؛ فنحن نعلم مثلا أن خمائر المعدة لا تقوم بعملها فى الهضم إلا فى درجة حموضة معينة مرتفعة بالنسبة لدرجة الحموضة اللازمة لخمائر الأمعاء .

وفى النهاية لست أحب أن أترك القارىء يفهم أن جميع المسائل التى ذكرتها ومحصولنا العلمى فيها يرجع إلى أبحاث سورنسن وحده ، فانى أكون إذن تعديت الأمانة التاريخيـة ؛ ولكنه لم يكن فى استطاعتى أن أبين قيمة أبحاثه دون أن أذكر بجانبها الأبحاث التى أثارها ، ثم الأبحاث التى سبقته حتى نقدر مجهود هذا الكيميائى الكبير . وبعد كل شىء فانى لم أقصد إلى تحقيق تاريخى فليس هنا مقام ذلك ، ولكنى قصدت إلى اتخاذ بحوث هذا العالم مناسبة للاشارة إلى بعض التيارات العلمية السائدة .

« للكلام بقية » مصطفى نبوى

أتـــوق

لشاعر الهند رابندرانات طاغور

بقلم الآنسة الفاضلة « الزهرة »

أتوق إلى مخاطبتك بأدق الكلمات وأملأها بالمعانى العميقة التى تجيش فى حناياقلبى، ولكني لا أجرؤ خشاة أن تضحكى منى لذلك أضحك من نفسى ، وأشجب سرى الخفىّ بالهزل والتنادر ، وأذيعه فى شظايا النكات والاشارات

وأستخف بألمى لكيلا تستهينى أنت به

أتوق إلى مصارحتك بأصدق الكلمات ، ولكنى لا أجرؤ خشاة ألا تصدقيها ...

لذلك أطويها فى رداء التمويه ، وأضفى عليها أبراد الكذب ، وأقول عكس ما أبطن ، وأجمل ألمى يبدو بلا سبب ولا علة لكيلا ترى أنت فيه هذا الرأى

أتوق إلى صوغ أثمن الكلمات التى أدخرها لأجلك ، ولكنى لا أجرؤ خشاة أن تبخسيها حقها وتصفقيني صفقة الغبن والخسران

لذلك أنتحل لك صفات فظة ، وأطلق عليك أسماء غليظة ، وأتبجح بقسوتى وصلابتى، وأباهى بقوتى وأيدى، وأنالك بالأذى، خشاة ألا تفقهى للألم ممنى أو تذوق لمرارته طعماً

أتوق إلى الجلوس قربك صامتاً ، ولكنى لا أجرؤ لئلا يقفز قلبى من بين شفتى ويتراى تحت قدميك

لذلك أثرثر وأهذر وأتنادر لكى أخفى سر قلبى وراء ألفاظى، وأتلاعب بألمى فى عنف دون هوادة ولا رفق خشاة أن تتلاعبى أنت به ...

أتوق إلى الابتعاد عنك ، ولكنى لا أستطيع أن أجد إلى الفرار منك سبيلا ، لئلا ينكشف أمامك جبنى ، ويستعلن لك خوفى ووجلى ...

لذلك أرفع رأسى بافتخار، وأشمخ أنفى فى شمم، وأمثل أمامك غير حافل ولا مبال . مع أن السهام المنطلقة من عينيك على الولاء تجدد ألمى باستمرار . . .

(الزهرة)

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم .....

— ٢٩ —

وكان لهذا القائد الذي بزغ نجمه شبه كبير بالرئيس في نشأته وفي كثير من طباعه ، كلاهما واجه الحياة وهو في سن اللهو واللعب ، وكلاهما شق طريقه فيها بنفسه فكان كالنبتة القوية المستقيمة التي تفلق التربة وهي بعد صغيرة ، لا كتلك الألفاف الملتوية التي لا تعرف من معنى النماء إلا أن تتسلق على غيرها وهي في ذاتها هزيلة محيلة ...

كان جرانت كأبراهام قوة إرادة ومضاء عزيمة ، وكان مثله يلم بما حوله من المشكلات إلماماً تاماً ويستوعب أجزاءها لا تفوته منها صغيرة ولا تستعصي عليه كبيرة ، كما كان يعرف في كل موقف قدر نفسه لا يغتر ولا يزهى ولا يتضاءل ولا ينكص .. وهو وإن لم تكن له سماحة الرئيس وعذوبة روحه ، فقد توفر له الكثير من بساطته ووداعته ...

كان جندياً في سني يفاعته، ثم انصرف عن الجندية إلى الزراعة حيناً ثم إلى التجارة بعد ذلك ، وظل بضع سنين حائراً يضرب في الأرض في طلب الرزق. ولو لم تقم تلك الحرب الأهلية لما وعى التاريخ عنه إلا بقدر ما يعي عن الآلاف غيره من البشر الذين يعبرون هذا الوجود وكأن لم يخلقوا !

وأحس لنكولن أن في هذا الرجل من الصفات ما يعد متمماً لصفاته ، فهو متحمس سريع المضي إلى غايته إذا اتجه همه إلى أمر؛ وهذه الحمية يقابلها عند الرئيس الروية قبل البدء، والتمهل إذا مضى في سيره ...

هذا هو القائد الذي أحس ابراهام أن سوف يكون على يديه النصر بعد تلك الهزائم الشائنة ، وبعد أن خذلته الظروف ، وتنكر له الرجال وضايقوه على صورة لم يكن يطيقها غيره ...

أراد الجنوبيون أن يقوموا بهجوم قوي على العاصمة الشمالية فيضربوا الاتحاد الضربة الحاسمة ، فزحف قائدهم الكبير لي بجيشه فعبر نهر بوتوماك وسار حتى أصبح على بعد خمسين ميلا أو نحوها من وشنجطون في مكان يدعى جتسبرج ، وهناك التقى به جيش الشماليين بقيادة ميد وهو قائد جديد جعله لنكولن على رأس جيش البوتوماك بعد أن ضاق بتلكؤ سلفه

ودارت في هذا المكان معركة عنيفة دامت ثلاثة أيام ، وقد استبسل الفريقان فيها واستقتلوا وتوالى بينهما الجزر والمد ، وكأنما طاب لهم الموت فتسابقوا إليه جماعات ، وانتهى الصراع بانسحاب لي ولكن في ثبات واطمئنان . فكانت هذه المعركة التي سقط فيها أكثر من عشرين ألفاً من الضحايا فاتحة الانتصارات الكبيرة لأهل الشمال . وما أن وصلت أنباؤها إلى العاصمة حتى تدفق الناس إلى حيث يجلس الرئيس وهم من فرط ما قد سرهم من النبأ لا يدرون ماذا يفعلون للتعبير عما في نفوسهم نحو رجاهم، نحو هذا الحصن الحصين وهذا العتاد المتين

وكان هذا النصر الباهر في اليوم الثالث من يوليو عام ١٨٦٣ ولقد نام الرئيس ليلته ملء جفونه لأول مرة منذ قامت الحرب ، وفي اليوم التالي حمل إليه البرق رسالة من القائد جرانت ، وكانت له القيادة في الغرب على ضفاف المسيسبي ... وفض الرئيس الرسالة فاذا جرانت ينبئه أن قد سقطت في يده ڤكسبرج ... وكانت هذه المدينة تسمى « جبل طارق » الغرب ، إذ كانت مفتاح النهر إلى الجنوب. ولقد جمع فيها أهل الجنوب ما استطاعوا من قوة وعدة ؛ وكان جرانت قد اتجه إليها منذ فاتحة ذلك العام ، وكان هو وجنوده يلقون النار الحامية من المدافعين عنها ، ولكنه لم يعبأ بما كان يلقى ، ولبث يعمل في صمت وهدوء حتى أحكم الخطة فأحاط بالمدينة ، وأتى حاميتها من فوقهم ومن أسفل منهم وما زال بهم حتى أجبروا على التسليم تاركين في يده ثلاثين ألفا من الأسرى وعدداً هائلاً من البنادق والأسلحة ومقدارا كبيرا من المؤونة والزاد ...

ولا تسل عما فاض في العاصمة الشمالية من مظاهر الجذل والحبور ؛ فلقد شعر الناس بقرب انكشاف الغمة والتمعت في شمائهم بوارق الأمل في النصر النهائي بعد هذا العذاب الشديد ...

واشتدت الهزائم ورأى المستضعفون والذين استكبروا ما كانوا قبل فى عمى عنه ؛ رأوا فضل رئيسهم وعاقبة ثباته وصبره ، فراحوا يتوبون إليه ويهنئونه بما صبر ...

والرئيس يشارك القوم جذلهم ، ولكن نشوة النصر لا تصرف عينيه عمـا هو فيه ، كالربان الماهر الحاذق ، لن يدير عينيه عن البحر إذا هو اجتاز مكاناً تتجمع فيه الصخور ، ولن يزال محدقاً متيقظاً حتى تلقى السفينة مراسيها ...

وكان فى نفس الرئيس شئ يكاد يكربه فينسيه فرحة النصر ، وذلك أن ميد قد وقف فلم يتعقب لى ويجهز على جيشه لدى انسحابه ، فلقد كان عليه أن يعبر النهر ليعود إلى ولاية فرجينيا ، وعبور النهر ليس بالأمر الهين على جيش ينسحب ؛ ولكن ميد كان يرى الجيش فى حالة من الاعياء لا يستطيع معها أن يقوده إلى أى زحف مهما هان أمره ، فلقد جاء نصره بشق الأنفس .. وأحس القائد المنتصر الحرج من موقف الرئيس حياله فطلب إليه أن يعفيه من القيادة ، فرد عليه الرئيس ملاطفاً فى صفح يشبه الاعتذار

وكأنما جاء انتصار الشماليين فى المركتين فى تلك الأيام على قدر من الظروف ، فلقد كانت تأتى الأنباء من خارج أمريكا بسوء موقف الحكومة الانجليزية من قضية أهل الشمال ؛ تلك الحكومة التى كان يعتقد لنكولن أنها سوف تحمد له قضاءه على العبودية فأعلن قرار التحرير وفى نفسه هذا الرجاء ؛ ولشد ما آلمه بعدها أن يرى الحكومة تتذبذب وتلتوى ولا تخطو إلا على هدى من مصالحها المادية

وكان مما يخفف وقع هذا الجحود على نفس الرئيس ما كانت تأتى به الأنباء من موقف أحرار الشمائل من الشعب الانجليزى حياله ، فلقد علم أن اجتماعات عقدت فى ما نشستر ولندن هتف فيها باسم الرئيس هتافاً عالياً حتى لقد وقف الناس فى أحدها دقائق يلوحون بقبعاتهم فى الهواء عند ذكر اسمه ؛ وظل هذا موقف الأحرار فى الشعب الانجليزى حتى وصلت إليهم الأنباء بالانتصار السالف الذكر فاستخذى الطامعون وذوو الأغراض من رجال الحكومة والبرلمان ، هؤلاء الذين كانوا يريدون أن يتخذوا من انتصار الجنوبيين ذريعة لاعلان اعترافهم بهم كأمة مستقلة ، والذين بلغ بهم الحقد على لنكولن وحكومته أن جهزوا سفناً لمناوأة تجارة الشماليين فى المحيط وأرسلوا بعضها فعلا لهذا الغرض

تلك هى نتائج الانتصار فى المركتين وأثره فى الداخل والخارج .. قال لنكولن عند ما قرأ رسالة جرانت : « الآن يستطيع أبو المياه أن يذهب من جديد إلى البحر وليس فى سبيله عائق » ..

واجتمع الناس فى حفل كبير فى مكان ممركة جتسبرج ليمجدوا ذكرى ضحاياها وطلبوا إلى الرئيس أن يخطبهم فى هذا الحفل المشهود فـكان مما قاله : « منذ سبعة وثمانين عاماً أقام آباؤنا فى هذه القارة أمة جديدة ، نشأت على الحرية وعلى ما نودى به من أن الناس خلقوا جميعاً على سواء ، ونحن الآن فى حرب أهلية هى بمثابة اختبار لنرى هل تستطيع هذه الأمة أو أية أمة نشأت نشأتها أن تعيش طويلا ... ونحن نجتمع هنا لنخلد موضعاً منها نجعله مقراً نهائياً لهؤلاء الذين بذلوا أرواحهم كى تستطيع أمتهم أن تعيش ؛ وهذا عمل مناسب ولائق بنا ، ولكنا لن نستطيع فى معنى أوسع أن نخلد أو نقدس هذه البقعة ... إن البواسل من الرجال سواء فى ذلك الأحياء والأموات الذين ناضلوا هنا قد خلدوها أكثر مما تستطيع قوتنا أن تزيد عليها أو تنقص منها ، وإن العالم سوف لا يهتم كثيراً وسوف لا يتذكر طويلا ما نقول هنا ولكنه لا يستطيع أن ينسى ما فعل هؤلاء » ... ثم زاد على ذلك فقال « يجب أن نصمم على ألا ندع موت هؤلاء يذهب عبثاً وعلى أن تمطى هـذه الأمة فى عناية الله مولداً جديداً هو مولد الحرية ، وعلى أن تكون حكومة الشعب التى قامت بالشعب وللشعب ، بحيث لا تزول أبداً من فوق الأرض »

هذا هو خطاب الرئيس الذى سمعه الناس فى تلك البقعة التى صبغتها دماء المجاهدين . ولقـد وصلت كلماتها إلى أعماق نفوسهم فهزتها هزاً لم يتمالك معه الـكثيرون أن يحبسوا دموعهم من فرط ما أحسوا من المعانى ...

وآمن كثير من دعاة الهزيمة والتردد بما كان لثبات الرئيس من فضل ، وأيقنوا أن سوف يكون مرد انتصارهم فى النهاية إلى هذا الذى يحمل أثقال قومه فلا ينوء بها ولا يزداد على المحن إلا صلابة واعتزاما .

ولاحظ عليـه المتصلون به أن تلك الشدائد وإن لم تنل من عزمه ، قد نالت من جسده ، ورأوا السنديانة يمشى إليها الذبول شيئاً فشيئاً حتى ليخافوا أن تذوى فتسقط — أجل فزع الناس أن يروا إبراهام تتجمع وتتزايد فى وجهه التجاعيد وهو من صدر

شبابه لم يك خلوا منها ، وأن يلمحوا فى صفحة هذا الوجه المحبوب أمارات الجهد ، وفى نظرات تلك العينين الواسعتين أثر السهد وطول العناء ...

ولـكن روحه أقوى وأعظم من أن يتطرق إليها الوهن ، أو أن تتأثر بشىء مما يصيب جسده ... أليسوا إذا جلسوا إليه لا يزالون يستمتعون بأحاديثه العذبة ونكاته المطربة الظريفة ؟ أوليسوا يسمعون حتى فى تلك الأيام ضحكاته التى قد يطلقها أحيانا فتذهب فى أرجاء الحجرة مجلجلة مدوية ؟ ذهب إليه أحد الرجال فى أمر من الأمور الهامة فأخـذ الرئيس يقص عليه من قصصه حتى لم يطق الرجل صبرا فقال وفى لهجته حدة وفى عبارته شدة: « أيها الزعيم إنى ما جئت هنا هذا الصباح لأسمع قصصا .. إن الوقت عصيب » . فاستمع إلى الرئيس يقول له فى رزانة وأدب « اجلس ياأشلى، إنى أحترمك كرجل مخلص ذى حمية ، وإنك لن يبلغ اهتمامك أكثر مما بلغ اهتمامى هذا الذى ما فارقنى منذ أن بدأت تلك الحرب ، وإنى أقول لك الآن إنه لولا هذا الذى أنفس به أحيانا عن نفسى لحاق بى الموت »

ومن أولى من هـذا الرجل وأحق أن ينفس عن صدره فى هذه الشدائد المتلاحقة ؟ هذا إلى أنه فيما يفعل إنما يصـدر عن طبيعة لا قبل له بالتخلص منها . ولقد كان مما يستعين به فى ضيقه أن يقرأ ، وكانت مآسى شكسبير وفى طليعتها ما كبث ما يتناوله من الـكتب . وإنه يفرح ويهش لمن يشاركه عواطفه وميوله كما أنه كان يضيق بالمتزمتين الذين يزيدون الحياة بتبرمهم وسخطهم أثقالا فوق أثقالهم ..

وسار العام الثالث إلى نهايته والبلاد يتزايد أملها فى النجاح بعد أن كاد يعصف اليأس بالقضية كلها فيأتى عليها ، فلقد رأينا ما كان من دعاة أعداء الحرب وعملهم على عرقلة مساعى الرئيس ومن هؤلاء ولدنجهام الذى مر بنا ذكره ... وهنا نشير إلى رجل آخر هو حاكم ولاية نيويورك ، فلقد كان هذا الرجل من أكبر المنادين بضرورة وضع حد لهذه الحرب أن كان لا يصيب الشماليين منها إلا الهزائم ... ولقـد أدت سياسته إلى قيام ثورة عنيفة فى مدينة نيويورك قام فيها المشاغبون ودعاة الفوضى بأعمال عنيفة ، وبالغوا فى تمردهم وعصيانهم ، حتى اضطرت الحـكومة أن ترسل عليهم فريقاً من الجند يقضون على الفتنة. ومن غريب أمر هؤلاء المتمردين أن قامت حركتهم التى دبروها من قبل عقب الانتصار فى جتسبرج وفكسبرج ، وسبب عصيانهم يرجع إلى قرار أصدره المجلس التشريعى فى مستهل ذلك العام بناء على اقتراح الرئيس يحتم على كل رجل صحيح البدن بين العشرين والخامسة والأربعين أن يحمل السلاح فى سبيل قضية الاتحاد ... ولقد كانت حركة نيويورك هذه من مآسى ذلك العام، ولولا أن جاء النصر وأشرق نور الأمل فى ظلام اليأس لـكان من الجائز أن تمتد الفتنة فتأتى على كل شىء

وافتتح العام الرابع والأحزاب تتأهب للانتخاب ، فلقد قرب موعد الانتخاب للرياسة ، ورأى المخالفون الفرصة توانيهم ليعلنوا ما فى نفوسهم نحو الرئيس لنكولن وسياسة حكومته

وظهرت فى الصحف وتواترت على الألسن أسماء مرشحين جـدد لينافسوا الرئيس ؛ فان الديمقراطيين كانوا يقدمون ما كليلان ، ذلك الذى انسحب من الحرب على نحو ما رأينا ؛ وكان بعض الجمهوريين، وعلى رأسهم جريلى، ذلك الذى ما فتىء ينتقد الرئيس ويسدى له النصح ، يرشحون جرانت وتشيس وزير المالية ، وفريق منهم رشحوا فريمونت لهذا المركز السامى

ولبث الرئيس مطمئناً ساكناً إن خاف على شىء فليس خوفه على كرسى الرياسة ، ومتى ذاق طعم الراحة فى ذلك الـكرسى ؟ وإنما كان يخشى أن يترك قيادة السفينة لربان غيره وهى لما تزل فى طريقها ، ولو أنه كان موقنا أنه يوجد غيره يقودها كما يقود هو لما تردد أن يعطيها له ، فحسبه أن تصل إلى المرفأ ... وكثيراً ما كان يقول : إنه لو وجـد فى الرجال من يحسن إدارة الأمور خيراً منه لتنازل له عن طيب خاطر بل لقبل ذلك مبتهجاً إذ يرى فيه وسيلة من وسائل النجاح

على أنه يترك الأمر للبلاد فهى صاحبة القول الفصل ، قال فى تلك الأيام لبعض جلسائه : « إن انتخابى للرياسة مرة ثانية إنما هو شرف عظيم كما أنه عبء عظيم ، وإنى لن أجفل منهما إذا قدر لى ذلك ...

ولكن البلاد لم تبغ من رجلها بديلا ، وما لبث أن أدرك مخالفوه أنهم كانوا واهمين ، وكيف تتخلى البلاد عن ذلك الذى

تدين بنجاحها له ؟ ولماذا ينصرف عنه الناس ومكانته عندهم فى صميم قلوبهم ؟ لأنه أبلى فأحسن البلاء ، وصبر فاجتنى من الصبر الظفر ، وسهر فلم يشك يوماً من السهر ؟ ... لقد كان الناس يدعونه فى تلك الأيام بقولهم : « أبونا إبراهام » وكانوا يخاطبونه فيقولون : يا أبانا ماذا ترى فى كيت وكيت ، وما كان أحلى هذا اللقب يضاف إلى ألقابه ...

ألا إن الناس ليحرصون على « أبيهم » لا تدور أعينهم إلى غيره ولا تتسع قلوبهم لسواه ؛ فها هى ذى العرائض بترشيحه تترى على الحزب من أنحاء البلاد ومن ميادين القتال فى كثرة عظيمة تليق بجلال قدره وخطورة شأنه وجليل ما قدمت يداه...

وندع الآن ذلك لنعود إلى الحرب وشؤونها ؛ وأول ما نذكره أن الرئيس قد اتفق مع المجلس التشريعى على إسناد القيادة العليا للجيوش جميعاً إلى القائد جرانت.. ثم كتب إلى جرانت يدعوه إلى إلى العاصمة ليحضر إليها ، وذهب إلى البيت الأبيض فلقى الرئيس وسمع منه عبارات الاطراء والثناء ثم تلقى منه نبأ تعيينه فى منصبه الخطير .

ولقد تزاحم الناس وتدافعوا بالمناكب حول البيت الأبيض وفى قاعاته ليروا هذا القائد الذى تعلق عليه بعد زعيمهم الآمال... ولقد علق جرانت على هذا اللقاء العظيم بقوله « هذه معركة أشد حراً مما شهدت فى الميادين من المعارك .. »

وبعد أن درس القائد خططه المقبلة مع الزعيم ورجاله ، استأذن فى الرحيل فطلب إليه الرئيس أن يبقى قليلا ليحضر وليمة أعدتها زوجه تكريماً للقائد ولم يكن يعلم بها من قبل ليدعوه إليها فاعتذر شاكراً من عدم قبوله بقوله « حسبى ما لاقيته من تلك المظاهر أيها الزعيم ... » وفرح الزعيم أن يسمع ذلك من القائد وهل يهدم الرجال إلا الغرور وحب المظاهر الفارغة ؟

ورحل جرانت إلى الميدان وقد زوده الرئيس بقوله « أنت رجل همة وعزيمة ، وأنا لا أريد وقد سرنى ذلك أن أضع فى طريقك ما عساه أن يعوقك ، وإذا كان فى طاقتى أى شىء يمكنى أن أمدك به فدعنى أعرف ذلك ... والآن سر فى عون الله على رأس جيش باسل وفى سبيل قضية عادلة »

« التتمة فى العدد القادم »

الخفيف

فى الأدب العراقى

ديوان الشبيبى العتيد

للاستاذ الحومانى

فى الكرادة من ضواحى بغداد وعلى شاطئ دجلة بيت متواضع يسكنه الشاعر العراقى الكبير الشيخ (محمد رضا الشبيبى) وزير معارف العراق

هو فى منتهى دور الكهولة ويوشك أن ينهد إلى المحسين ، يعمل عقله فيما يجيب أو يقترح ، تتخلل جمله فى القول فترات تنم على ذلك ، رزين كل الرزانة وهو يحدث ، ويميل فى شعره إلى الاصلاح الأخلاقى فى المجتمع . لا يحب أن يجامل ولا أن يظهر أمام زائره بمظهر العز المكسوب ، يزيد التألم خديه وما أحدق بعينيه — وهو يتكلم — تجمداً يبدو لك من ورائه ومن خلال ابتساماته الضئيلة سر عميق فى نفسه يمثله البؤس والشقاء مما يكابد فى قومه . وإذا لم يرقه حديث جلسائه ولم يستطع مغادرة المجلس تشاغل بمطالعة الصحف ، وقد يشيح بوجهه وهو يتكلم كأنما قد ذكر أمراً قد أنسيه ، ثم يمعن فى التشاغل عنك حتى إذا لفته إليك أدب المجالسة عاد مقبلا عليك تقرأ فى وجهه الاعتذار لك . لا يستقر به المجلس أكثر من بضع دقائق ، وإذا لفته الزهر المحدق بالمجلس رأيته على ما فيه من رزانة يستخفه النظر فيهم فى الروض مع نسيم دجلة البليل

***

الروح الشاعرة إما أن يربيها الألم فينشأ صاحبها متشائماً قليل الحظ من متع الحياة، فلا تراه فى شعره غير شاك أو متألم؛ وإما أن تربيها اللذة فينشأ صاحبها متفائلا لا يعرف وجهاً للألم فى الحياة

وقد تربى الروح الأولى فى النفس نقمة على المجتمع واستعداداً للانتقام منه ، كما قد تربى الروح الثانية فى نفس الشاعر النكتة فى الأدب والاستسلام للشهوات

وقد يتعزى الشاعر المتألم بملهى أو مقهى كما قد يثوب أخوه الناوى ويرعوى عن غيه فيلهمان معاً جمال الشعر النفسى فى معرض الآلام ، على أن الأول أكثر تألماً لما يستقبل ، والثانى أمضى ألماً على ما خلف

يعجبني من النوع الأول شعر العلامة الشبيبي يقول :

هي الرسائل والأشعار والخطب ... هَمٌّ عليَّ ثقيل هذه الكتب
إحدى العجائب عداً أن يثقفنا ... قوم ثقافتهم في أرضنا عجب
من معدن الشر ماسنوا وما شرعوا ... ومن معانيه ما خطوا وما كتبوا

في كلماته هذه صورة بالغة في الألم النفسي . وأمض ما يؤلم الشاعر الحر أن يرى الحق مهجوراً والباطل يعمل به ، وآلم لديه من ذلك أن يرى ذا الباطل يتولى الحكم في الناس على أنه محق ثم يعاقب المحق على أنه مبطل

يرى الشاعر الحر كل ذلك ثم يرى بعده أن المجتمع راض عن هذه الحكومة ، أو يتجرعها على مضض وهو يستطيع أن يلفظها، فلا يلبث شاعر الانسانية أن يقذف بركانه حجراً تفيض به نفسه شعراً

شر العصور وفي العصور تفاوتٌ ... عصر به تتقـــدم الأوغاد
أنظر إلى الاعجاز كيف تصدرت ... وعمائم السادات كيف تُـساد

ثم هو يقول وقد غادر وطنه العراق إلى دمشق فحن إلى الكرخ أحد أحياء بغداد :

ببغداد أشتاق الشآم وها أنا ... إلى الكرخ من بغداد جم التشوق
هما وطن فرد وقد فرقوهما ... رمى الله بالتشتيت شمل الفرق

ويقول في التمدن العصري مشيراً إلى الغرب :

يعيش سعيد مفرد بين معشر ... شقي وحيٌّ واحد بين أموات
وكم جسد فوق الأخادع شاخص ... إلى جثة تحت الأخامص ملقاة
وما الزمن الماضي بأعظم محنة ... من الحاضر الموصول بالزمن الآتي
يظنون هذا العصر عصر هداية ... وأجدر أن ندعوه عصر ضلالات
فان خرافات مضت قد تبدلت ... حقائق إلا أنهـا كالخرافات

تلك هي نفثات شاعر المجتمع ينظر إلى أمة بعين ملؤها الحنان وقد ضغطها ظلم القوى فأهابت بشاعرها وهو مغلول اليد فأطلق فكره من عقال الوهم والخيال ، ثم أجالها فيما يقمع الظلم ويتمشى معه إلى إصلاح شعبه . ألم تره وقد لاح له بارق أمل يتلمس في أمته روح النهضة من ورائه ، يثير الهمم ويشحذ العزائم حيث يقول :

نفد الصبر فهبت فزعاً ... وأبى السيف لها أن تضرعا
أمة خرساء كم واش وشى ... بنواديها وكم ساع سعى
أزمعت ألا يراها حملا ... غاصب صال عليها سبعا

إلى أن قال :

صلة الشرق بالماضي ارجعي ... لا تعودي سنداً منقطعا
جـددي عهد على غزياً ... وأعيـدي مالـكا والنخعا

ربما وقفت من الشاعر على بيت واحد علمك أنه شاعر ، فلا أريد أن أشير لك إلى هذه القطع وما فيها من روح فياضة بالألم الممض مما يسمع ويرى ، ولا أن أقول لك إن الروح الفياضة بالحزن أدق شعوراً بالحياة من الروح الفياضة بالسرور، وقد عرضت لاثبات ذلك مراراً مرت بك . اجل، ولا أريد أن أرجع بك في إثبات الشاعرية لهـذا المصلح العراقي الكبير ، إلى ما في هذه الأبيات من دقائق وقفت بالشعور الحي أن يتجاوزها إلى ما تسمع كثيراً وتقرأ كثيراً من شعرائنا الخنع في عصر النهضة .

وإنمـا أريد أن تعود معي إلى تصفح هذه القطع مرة ثانية لأسألك عمـا تشعر وأنت تقرأ عجز المطلع الأول : همٌّ عليَّ ثقيل هذه الكتب . وعمـا يخلقه في نفسك حنينه وهو في الشام إلى الكرخ من بغداد ؟ ثم إلى ماذا يصل بك عبث الخيال وما يأتيه من فن ؟

قد يحسب العقل الواهم أن الشاعر قلما يعمل الخيال فيما تثور معه العاطفة من شعر ، وكثيرا ما يقولون : إذا ثارت العاطفة كان الشعر ، غالباً ، خلواً من الابداع في الفن

أما إن عنوا بذلك خلوه من الفن اللفظي فأنا معهم ، لأن توجيه الفكر إلى صناعة اللفظ يحول دون فيضان الروح بما تتأثر به من مشهد يثير فيها عاطفة ما ، وإذا تأثرت الروح فليس للعاطفة أن تمهل الفكر في إعمال الخيال ، ضرورة أن الابداع فعل، وثورة النفس انفعال يجيش بركانه في الصدر فيقذف حممه

وأما أن يريدوا خلوه من الابداع في الفن من حيث تناوله اللفظ والمعنى معاً أو المعنى فقط فلا أراني على وفاق تام معهم لما سمعت من قوله «شر العصور الخ» إلى ماجاء في القطعتين الأخيرتين فقد يبرهن لك عن اجتماع الخيال مع العاطفة فيخرج الشعر خالد الفن بين خيال يبدع وعاطفة تثور

هذه كلمة نسوقها تمهيدا لهذا الشعر الخالد من الشعر العبقري قبل أن يخرج ولما يزل تحت الطابع؛ وسوف نمززها بكلمات بعد خروجه تكشف عن كثير من أسرار هـذا الشاعر العبقري المعجز في عالم الفن

الحوماني
نزيل بغداد

النارنجة الذابلة فى الربيع

لفقيد الشباب والأدب المرحوم محمد الزمخشري

كانت لنا عند السياج شجيرة   ألف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيعُ يزورها متخفياً   فيفيض منها فى الحديقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست   فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها   نبأ الربيع وركبه المسحور

كانت لنا ... ياليتها دامت لنا !   أو دام يهتف فوقها الزرزور

قد كنت أجلس صوبها فى شرفتى   أو كنت أجلس تحتها فى ظلتى
أو كنت أرقب فى الضحى زرزورها
متهـــللا يغشى نوافـــذ حجرتى
طوراً ينقّـر فى الزجاج وتارة   يسمو يزرزر فى وكار سقيفتى
فاذا رآنى طار فى أغرودة   بيضاء واستوفى غصون شجيرتى
فتى يؤوب هتافه ؟ ومتى أرى   نوّارك الثلجي يا نارنجتى ؟!
ومتى أطير إليك ... ترقص مهجتى
فرحاً ... وآخذ مجلسى من شرفتى ؟!

هيهات لن أنسى بظلك مجلسى   وأنا أراعى الأفق نصف مغمض
خنقت جفونى ذكريات حلوة   من عطرك القمرى والنغم الوضى
فانساب منك على كليل مشاعرى   ينبوع لحن فى الخيال مفضض
وهفت عليك الروح من وادي الأسى
لتعبَّ من خمر الأريج الأبيض

هيهات ... لن أنسى ضحي (سبتمبر)
والنحـل يغشى نورك المتـــلالى
ومساء مارس كيف يهبط تلة   شفقية ... ممدودة الأظلال
نزل الحديقة تحت أرهام الندى   وضفا عليـك معطر الأذيال
فهناك كم ذهبية شنفت بهـا   روحى فتاهت فى مروج خيال

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى   وبكي الربيعَ خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبي فتأوهت   وكأنها بيـد الأسى طنبور
وتذكرت أيام يرشف نورها   ريق الضحى ويزرزر الزرزور
وعرائس النارنج تحلم فى الندى   فيرف فيها طيفه المسحور
وتذكرت عند (السياج) أزاهراً   صفراء رفت فى ظلال العوسج
« زهر القطيفة » كيف خان عهودها
نسى الهوى من عطرها المتباج
وتذكرت . فى رعشة لما سبا   زرزورها منها ولم يتحرج
وهنا نشبت فى الشجيرة خاجة   وبكت حنيناً للشذا المتأرج

وتذكرت شفقاً توهج حمرة   خلل الغيوم على ربا الآصال
وبدت غصون الجزورين كأنها   قلع ترفرف في بحار خيال !

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى   وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتنهدت   وكأنها بيـد الأسي طنبور

وتذكرت شجر النخيل وهدهداً   قد كان يقصدها صباح مساء
وتذكرت فى اليوسفى يمامة   كانت تنوح الليـــلة القمراء

وضفت على كل الغصون سحابة   وزكا الغصين وفتّح النوار
وتهلل الزرزور فى أوراقها   وزها السياج وفاحت الأعطار

حلمت بأرض فى الخيال سحيقة   فى ذلك الأفق القصى النائى
خلدت إلى صمت هناك مخيم   تسجو عليه خوافق الأفياء
هى جنة الأشجار والأظلال والـ   أعطار والأنغام والأنداء

يتزاهر البشنين فوق شطوطها   ويغازل الدفلى زهر اللوتس
وعرائس النارنج فاح عبيرها   بالنخل تحلم فى السكون المشمس
وهنـاك زرزور يغرد دائماً   ويقص أحلام الزهور النعس
يروى لهـا أسطورة سحرية   مما يفوح به خيال النرجس

نارنجتى ! والله مذ فارقتنى   وأنا حليف كآبة خرساء
أصبحت بعدك فى انقباض موحش
وكأننى منه مساء شـــتاء
تستشرف الأعطار فى آفاقها   روحى إليك وراء كل فضاء
وترف فى دهليز كل أشمة   قمراء أو ترنيمة بيضـــاء

قد كنت أرجو أن تكون نهايتى   فى ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر ما يخدر مسمعى   زرزورك الهتاف فوق ذراك
ويطوف فى غيبوبتى فيفيقنى   فجر قصـير البعث من رياك
والآن إذ عجل القضاء فانمـا   سيقوم فى الذكرى خيال شذاك

وسرى إلى أرض الحديقة كلها   نبأ الربيع وركبه المسحور
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا   أو دام يهتف فوقها الزرزور

محمد الزمخشري

كتاب جديد في التصوف الإسلامي

محيى الدين بن العربى من كبار متصوفة الاسلام وأقطاب فلاسفته الذين تركوا ذخيرة فكرية غير ضئيلة، ولم يتعرض لدرسها غير نفر قليل من أعلام المستشرقين، فقد تناولوا بعض نواحيها بما هي جديرة به من البحث والتنقيب. وتقوم اليوم جامعة كمبردج بطبع رسالة لأستاذ مصرى هو الدكتور أبو العلا عفيفى قدمها منذ بضع سنوات لنيل إجازة الدكتوراه منها وهى Mystical Philosophy of Mohyi el Din Ibn El Arabi

وقد تناول المؤلف فى هذا البحث القيم عدة نواح جديدة فى فلسفة ابن العربى، ودرسها دراسة عميقة، محللاً ومفسراً وناقداً فقسمها إلى أربعة أقسام.

تناول فى القسم الأول «النظرية الوجودية» عند هذا الفيلسوف المسلم، وهى تتعلق بنظرته للوجود الالهى وبوجود العالم؛ ثم خصص القسم الثانى منها لنظريته «المعرفة» وبحث فيه عن أنواع المعارف الانسانية عامة والمعرفة الصوفية خاصة وكيف يتوصل إليها، والذين درسوا التصوف الاسلامى لابد قد أدركوا «غموض المعرفة» ومايحتاج إليه دارسها من صبر طويل فى تقضيها من نواحيها المختلفة.

وتناول الدكتور أبو العلا عفيفى فى القسم الثالث منها «علم النفس كما يفهمه ابن عربي» وهو باب جديد فى دراسة ابن العربى استطاع المؤلف فيه أن ينفذ إلى آفاق جديدة وأن يخرج منها بآراء مستجدة فى هذه الناحية المجهولة.

وتناول فى القسم الرابع والأخير منها آراءه فى الأخلاق والجمال وفى مصير الانسان وفى معنى الجزاء بصورتيه (الثواب والعقاب) وفى الدار الآخرة. ولا مشاحة فى أن قيام جامعة كمبردج بطبع هذا السفر للمؤلف المصرى دليل على أهمية الكتاب من حيث التحليل والبحث لشخصية تعد فى طليعة الشخصيات التى تركت أثراً عظيما فى الفلسفة الاسلامية وفى التفكير الاسلامى ونحت به منحى خاصاً فيه كثير من العمق. (ع. ع)

النظام والخليل فى ضحى الاسلام

روى الأستاذ أحمد أمين فى كتابه ضحى الاسلام (٣ : ١٠٦) فى سياق ترجمته للنظام ـ عن صاحب كتاب سرح العيون ـ أن النظام دخل على الخليل بن أحمد وهو صغير، ثم ساق محاورة جزت بينهما لايعنينا أمرها، وإنما يعنينا أن هذه الرواية مدخولة ظاهرة الدخل من حيث إمكان التلاقي بين الخليل والنظام. فأما النظام فقد ذكر الأستاذ فى الصفحة نفسها أنه مات سنة ٢٢١ فى نحو السادسة والثلاثين من عمره. ومعنى هذا أنه ولد فى نحو سنة ١٨٥ وأما الخليل فقد ذكر الأستاذ أيضا فى ضحى الاسلام (٢ : ٢٨٤) أنه مات سنة ١٧٥، كما ذكر ابن النديم أنه مات سنة ١٧٠، يعنى أن بين موته وبين ميلاد النظام عشر سنوات على الأقل.

فرواية سرح العيون لم يكن من اللائق علميا أن يعتمد عليها وخصوصا إذا كانت هذه الرواية قد أوردها الجاحظ فى الحيوان (٣ : ١٤٦) بصورة أخرى لم يذكر فيها اسم الخليل.

لعل الذى حمل الأستاذ على الاحتفاء برواية سرح العيون، وإغفال رواية الحيوان، هو أن الأولى مفصلة والأخرى مجملة، وليس هذا بمرجح فى التحقيق العلمى، فلعل ذلك التفصيل هو من قبيل الحمل والتزيد. إن مما يحمل على العجب أن تفضل رواية ابن نباتة فى القرن الثامن عن النظام على رواية معاصره الجاحظ فما بال الأستاذ إذا كانت رواية ابن نباتة على ما رأينا من فساد ظاهر؟

أبو عبادة

رابطة التربية الحديثة

تنوى رابطة التربية الحديثة أن تدعو الأستاذ ادوارد فريبرو وهو من أعلام التربية الحديثة لالقاء بضع محاضرات عامة فى هذا الشتاء

وقد تلقت الرابطة من مركزها الرئيسى بلندن قائمة تنظيم الموضوعات التى تشغل بال رجال التربية فى الوقت الحاضر وهى :— التنافس والتعاون. المقصود من الحرية فى التربية. النظام.

المسئولية والحكم الذاتي . المدرسة كمجتمع . الطرق الفردية في الفصل . علم النفس الحديث والطفل . الدين والتعليم الديني . تشغيل الأحداث وبطالتهم . آثام الأحداث . التعبير الذاتي الابتكاري . إعداد المعلم

وستعمل الرابطة على دراسة تلك الموضوعات دراسة علمية فنية. أما أعضاء الرابطة المصريون فقد قام لفيف منهم بدراسة بعض الموضوعات في إجازة الصيف. ونذكر رؤوس تلك الموضوعات فيما يلي:

التربية الجنسية . مشروع لمدارس الحضانة . تقريرا مان وكلاباريد وما استفادته مصر وما يمكن أن تستفيده منهما . البحث العلمي في التربية . سجل التلميذ . التفرقة أو التوحيد بين الولد والبنت في التعليم . مشكلة تعليم اللغات الأجنبية في مصر . وسائل النهوض بالحياة الريفية . اتجاه جديد في دراسة الأدب العربي . حاجة مصر للتوجيه المهني . هل يقوم التعليم الصناعي على أسس صحيحة . التوفيق بين طريقة المشروع والبرامج الحالية في مصر والخارج . سياسة التعليم بمصر . الروح المدرسية

دار العلوم وكلية اللغة العربية

كتبت في الرسالة (العدد ٢٨٣) كلمة عرضت فيها بعض الحجج التي تدفع محاولة الأزهر منافسة دار العلوم في تدريس اللغة العربية بالمدارس ، وتبين تفرد دار العلوم من حيث ثقافتها الشاملة ومن حيث أنها البيئة التي تمد فيها وزارة المعارف المعلم على الغرار الذي تتطلبه لمدارسها . فتعرض (أزهري) في العدد (٢٨٤) لما سقته في الكلمة السابقة وناقش المسائل الآتية :

قلت : ليس من المساواة الحقيقية أن يعين الأزهريون في وظائف التدريس بالمدارس دون أن يعين أبناء دار العلوم في وظائف التدريس بالأزهر . فرد (أزهري) على هذا بأن في المعاهد الأزهرية مدرسين من أبناء الدار كثيرين . فهو يحتج بوجود كبار الأساتذة من أبناء دار العلوم الذين انتدبهم الأزهر أو عينهم حين بدىء في إدخال عناصر ثقافية جديدة فيه . وأنا لم أقصد هؤلاء لأن الأزهر استدعاهم لحاجته الطارئة ، وإنما أعني الذين يتخرجون في دار العلوم في الحال : هل يأخذ الأزهر منهم للتدريس في معاهده كما يأخذ من المتخرجين في كلياته ؟ أم هل يجرى بين هؤلاء وهؤلاء مسابقة لذلك ، كما يريد الأزهريون أن يشغلوا وزارة المعارف بإجراء مسابقة — لا مقتضى لها — بينهم وبين أبناء دار العلوم للتدريس في المدارس ؟

وقلت إن دار العلوم في عهدها الجديد تنفرد من بين جميع معاهد التعليم بالجمع بين الدراسة العربية المستفيضة ودراسة اللغات الأجنبية والسامية وآدابها . فقال (أزهري) أن المعهد الجديد يميل بدار العلوم إلى التعاليم الغربية الجامحة التي تباعد بين القديم الخالد وبين ناشئة الأمة . وهذه فلتة من فلتات ما وراء الشعور، فالأزهر يحرص في هذه الأيام على الدعوى بأنه يعمل على مسايرة روح العصر . وليعلم (أزهري) أن النهضة الفكرية والأدبية خاصة قامت على الجمع بين الثقافتين العربية والغربية وإنكار ذلك من قبيل إنكار البدهيات ؛ وهذا ما عنيت بالتبرئة من الجمود، أبرأ الله (أزهرينا) منه .

وقال (أزهري) : لو راجع الكاتب ذاكرته لذكر أن الاتفاق على حلول كلية اللغة العربية محل دار العلوم ، حديث مفروغ منه . فمتى كان هذا الاتفاق ؟ ولم ؟ وفي أي ذاكرة يوجد غير ذاكرة الأحلام ؟ ! والغريب أن يتمثل بعد ذلك بالبيت الذي أصلحت (الرسالة) روايته :

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

وهو يريد تنفيذ ذلك الاتفاق الموهوم بإلغاء دار العلوم ، فكيف يريد حياتها ؟ !

وبعد فإن إخواننا الأزهريين في مطلبهم ذلك إما أنهم يريدون أن ينفعوا بعلمهم ، وإما أنهم طلاب وظائف فحسب . أما الأولى فإن أبناء دار العلوم يقومون بالمهمة خير قيام ، ولا نحسب خريجي كلية اللغة العربية أكثر كفاية من الذين ينتدب الأساتذة من بينهم لتعليمهم ، فيبقى الأمر الثاني وهو أنهم يطلبون الوظائف فحسب ، وهذا ما لا حق لهم فيه ، فإن في ميدان الوظائف الأزهرية ما يكفهم عن تزريء أبناء دار العلوم فيما يضيق بهم ، وما خلقوا من أجله .

(ع . ع . خ)

وفاة شاعر شاب

فجع الشباب والأدب في ليلة الأربعاء الماضي بوفاة الشاعر الوجداني الرقيق محمد الهمشري محرر مجلة التعاون بوزارة الزراعة، فكان لنعيه الفاجىء وجوم شديد في أندية الأدب والصحافة، لأنه كان أملا من آمال الشعر الحديث، ومثلا من الأمثال الطيبة للخلق والصداقة . وقد نشر الفقيد ملحمة بعنوان « شاطئ الأعراف » واشتهر بقصيدته (جيث الفاتنة) وكان بصدد أن يجمع من شعره ما نشر وما لم ينشر في ديوان . رحمه الله رحمة واسعة وألهم أهله وصحبه جميل الصبر .

رواية جان دارك

الموضوع : جان دارك ، والمؤلف : برنارد شو ، والمترجم : الدكتور أحمد زكي بك ناقل ذات الكمليا وقصة الميكروب ! فالقارىء لا يدرى من أية جهة يأخذه البيان والفن والسمو ! أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر فما أخرجت من عيون الأدب الغربي فكانت واسطة القلادة . نبادر اليوم باعلان ظهورها إلى قراء الرسالة ، وسنعود إلى الحديث عنها في العدد القادم

رواية بيت

حضرة الأستاذ الأديب الكبير صاحب الرسالة الكريمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أريد حياته ، ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

أوردت البيت على هذه الصورة في كلمتى التى تفضلت الرسالة بنشرها في العدد (٢٨٤) دار العلوم والأزهر — فعلقتم عليه بما نصه : الرسالة : « روى الأستاذ الكاتب هذا البيت على هذا النحو ، وهو لدريد بن الصمة ، وصوابه :

أريد حياته ، ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

وفي الأغاني ج ١٤ ص ٣٢ طبعة الساسي المغربي ، في أخبار عمرو بن معد يكرب ما نصه : « وكان عمرو غزا هو وأبي المرادى ، فأصابوا غنائم ، فادعى أبي أنه قد كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وكره أبي أن يكون بينهما شر... فأمسك عنه . وبلغ عمراً أنه توعده ، فقال عمرو في ذلك قصيدة له ، أولها :

أعاذل ، شكتى بدنى ورمحى وكل مقلص سلس القياد

إلى أن قال فيها :

ولو لاقيتنى ومعى سلاحى تكشف شحم قلبك عن سواد

أريد حِباءه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

وفي أخبار دريد بن الصمة ج ٩ ص ١٢ من الكتاب نفسه ما نصه :

عن أبي عبيدة قال : قالت امرأة دريد له : قد أسننت ، وضعف جسمك ، وقتل أهلك ، وفنى شبابك ، ولا مال لك ولا عدة ، فعلى أى شئ تعول إن طال بك العمر ؟ أو على أى شئ تخلف أهلك إن قتلت ؟ فقال دريد :

أعاذل ، إنما أفنى شبابى ركوبى في الصريخ إلى المنادى

وبعد أن روى أبياتاً من هذه القصيدة قال :

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد ، وغيره يرويه لعمرو بن معد يكرب ، وقول أبي عبيدة أصح . إلى أن قال : « وخلط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معد يكرب في هذين اللحنين :

أريد حِباءه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

ولو لاقيتنى ، ومعى سلاحى تكشف لحم قلبك عن سواد »

ومثل ذلك في معاهد التنصيص ص ٢٢٥ ج ١ ، الطبعة البهية المصرية

فالبيت على رواية سيدى الأستاذ — مع استبدال حباءه بحياته — لعمرو بن معد يكرب ، لا لدريد بن الصمة ، كما قال حضرته ، وقد كنت أجزم بذلك من قبل ، بيد أن شاعراً (أنسيته) أورده على سبيل التضمين ، مقلوباً في قصيدة لامية ، فكانت صورته في نفسى أنسب بمضمون كلمتى ، ولذلك لم أنسبه والأمر سهل ، والعصمة لله وحده

أزهرى

(الرسالة) أجل هو لعمرو بن معد يكرب ، وقد نسبناه إليه في كتابنا تاريخ الأدب العربي صفحة ٢٢

مكتب البعث العربي

إن البسالة العربية التى أعرب عنها المجاهدون العرب في فلسطين ، في مواقفهم الدامية وجهادهم الدائب لهي من الأمور التاريخية التى ترفع جبين القومية العربية عالياً وتوقظ في الشعب أحلام الوطنية الصحيحة والتفانى المجيد . ولا شك أن ثورة فلسطين التى هى ثورة الحق على الباطل ، وثورة العدل على الظلم ، هيأت الأسباب التحريرية الباعثة على النهوض في قابلية العرب الطبيعية الذين منهم الأفراد المهاجرة في الأمريكتين الجنوبية والشمالية ، وأفريقيا الفرنسية والانكليزية وسائر المقاطعات الأخرى ، هؤلاء الأفراد الذين نزحوا بأجسامهم إلى ما وراء المحيطات المائجة الصاخبة ، وتركوا قلوبهم ثائرة في أقاليمهم وطافحة بذكر الله وذكر الوطن ؟!

ولذلك فان مكتب البعث العربي — تقديراً لهذا الجهاد المشترك — يضع أمام شعراء العرب هدية نفيسة تقدر قيمتها بخمسين دولاراً أميركياً لأحسن نشيد ينظم للمجاهدين والمهاجرين . وتفسير ذلك أن توضع قطعة نشيد للمجاهد وأخرى للمهاجر يدور محورها على استعراض ما يقوم به هؤلاء من تضحيات هائلة لم يشهدها التاريخ ، على أن ترسل جميع الأناشيد بالعنوان المرقوم أسفل حيث تنظر اللجنة فيها وتقوم باعلان النتيجة في العاشر من شهر إيار — شهر الزهر سنة ١٩٣٩

عبد الله برى

مدير مكتب الشعب العربي العام

A. Berry
1732 Salina St. Dearborn
Mich. U. S. A.

الرسالة في عامها السابع

المجلة التى أحدثت فى الأدب الحديث مدرسة خاصة

المجلة التى ثبتت على مكاره الجهاد والانتقاد والزمن

المجلة التى تنسم باريج الاسلام والعروبة والشرق

المجلة التى لا تتخلف ولا تتوقف ولا تهن

ستخطو هذا العام اوسع خطواتها واجرأها

أدب ، علم ، فن ، فلسفة ، اجتماع ، سياسة ، اقتصاد ، قصص ، شعر

نقد ، محادثات ، ربورتاج ، مترجمات ، مختارات ، أخبار ، مسرح ، سينما

أسرة الرسالة في سنتها الجديدة

الأستاذ العقاد ، الأستاذ المازنى ، الأستاذ توفيق الحكيم ، الأستاذ عبد الرحمن شكرى ، الأستاذ اسعاف النشاشيبى ، الأستاذ ساطع بك الحصري ، الدكتور محمود عزمى ، الدكتور عبد الوهاب عزام ، الدكتور زكى مبارك ، الدكتور محمد محمود غالب ، الدكتور أحمد مومى ، الدكتور يوسف هيكل ، الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ، الأستاذ سعيد العريان ، الأستاذ درينى خشبة ، الأستاذ عبد المنعم خلاف ، الأستاذ محمود الخفيف ، الأستاذ عمر الدسوقى ، الأستاذ محمد حسن ظاظا ، الأستاذ أحمد خاكى ، الأستاذ على الطنطاوى ، الأستاذ أنور العطار ، الأستاذ أمجد الطرابلسى ، الأستاذ الحومانى ، الآنسة أسماء فهمى ، الآنسة زينب الحكيم ، الآنسة الزهرة ، الآنسة فلك طرزي ، الأستاذ محمد لطفى جمعة ، الأستاذ فليكس فارس ، الأستاذ أحمد حسن الزيات .

ادفع من الآن لغاية آخر يناير ستين قرشا

تكسب مجلة الرواية ومعها كتاب متوسط بالمجان ، أو كتاب كبير بالتخفيض ، أو مجموعة السنة الأولى والثانية من مجلة الرواية بحيث يصبح اشتراك الرسالة مع هذه الهدايا عشرين قرشاً . والاشتراك فى الخارج هو مثله فى الداخل ، ويزاد عليه ثلاثون قرشاً مصرياً فرق أجور البريد . وسنعلن عن كتب الهدايا فى الرسالة خلال شهر يناير – أما الاشتراك بعد مدة التخفيض فهو ستون قرشاً للرسالة وثلاثون للرواية فى الداخل ، ومائة قرش للرسالة وخمسون فى الخارج للرواية ويخصم فى كل منهما للطلاب ٢٥ ٪ .

تظهر فى ثوبها الجديد : بحروف جديدة ، وطبع متقن

الفرقة القوميـــــة

مديرها وسكرتيرها الفني

رواية شمشون لا رواية طبيب المعجزات

يرى المقبل على دار الأوبرا رقعة عريضة طويلة مكتوباً عليها بخط يقرؤه الأعشى عن بُعد أمتار «طبيب المعجزات» ويقرأ الناس في الاعلانات الملصقة على جدران الأوبرا وفي الشوارع وعلى مدخل غرفة بيع التذاكر ما يفيد أن هذه الرواية تمثل ابتداء من ٩ لغاية ١٣ من الشهر الحالي

أخذت تذكرتي على هذا الاعتبار وجلست في مكاني أنتظر مشاهدة تمثيل رواية طبيب المعجزات — درة الموسم — حائزة الجائزة في المباراة

رفع الستار وإذا بالممثلين يمثلون رواية «شمشون». دهشت لهذه الصدمة الباردة، ثم عدت فافترضت أيسر الفروض المبررة لهذه الفعلة وأبعدها عن التعسف، افترضت مرض ممثلين هما بطلا الرواية وقلت: هل يعيق الفرقة مرض ممثلين اثنين عن تمثيل رواية ملأت الاعلانات عنها الشوارع والمنازل ومركبات الترام وصحف القاهرة؟ وسألت: أين الممثلون الاحتياطيون للطوارئ؟

قيل لي إن علاماً الممثل مريض فعلاً، فقلت: أما كان الأخلق بمدير الفرقة الفني أن يمثل رواية من روايات الموسم، أي يقدم رواية متأخرة بدلاً من تمثيل هذه الرواية التي جمع مؤلفها الفاضل جميع ألفاظ السباب والشتم المعروفة لغة وعرفاً وحشرها في هذه الرواية الفاضلة ؟ يقول شمشون لخليلته دليلة : « إني أفرغ فيك شهوتي كأني أفرغها في جميع بنات قومك » ، ويقول مصرابيم لكهنة اليهود: « تتوهم دليلة أني خصمي في حين أني .. أموت وجداً بها » ولقد سمعنا مئات من كلمات الفحش والفاسقة والمومس ، والوحش والشهواني وما إليها من ألفاظ تتناثر من أحاديث شمشون ودليلة . ولعل أغرب من كل ما حوته هذه الرواية الفاضلة من تعابير لا أسمح لقلمي بتدوينها هي أن يجر شمشون خليلته دليلة إلى خبائها فنسمع من وراء الستار زمجرة الشهوة شهوة شمشون، وأنين اللذة أو الألم لذة دليلة، ثم تخرج هي شعثاء الشعر وهو محلول الازار . وهنا يصح أن نسأل حضرات الشيوخ الأفاضل أعضاء لجنة القراءة هل نظروا « النواحي الفنية والخلقية والاجتماعية واللغوية » في هذه الرواية الفاضلة ؟

أرى الحديث يجذبني للسؤال (عن المدير الفني) وذلك بمناسبة الحديث الممتع الذي أفضى به حضرة مدير الفرقة إلى محرر مجلة الصباح بمناسبة استقالة سكرتير الفرقة والاستعاضة عنه بالقائم بأعماله الآن ما نصه : « كان بودي أن تتحقق أمنيتي ، أن أخلق من الفرقة ومن بين أفرادها مديراً فنياً يتولى جميع أعمالها الفنية ويدير شؤونها من هذه الناحية وتكون له السلطة النافذة .. إلى آخره » فهل تحققت أمنيته يا ترى في إيجاد « السكرتير » الحالي القائم فعلا بالادارة الفنية وغير الفنية، فارتأى هذا بثاقب فنه إرجاء تمثيل رواية طبيب المعجزات لأن بطلها الممثل علام مريض والاستعاضة عنها بتمثيل رواية « شمشون » ثم روايتي فتياتنا سنة ١٩٣٧ ومجنون ليلى وبطلهما الممثل علام المريض ! أم أن هناك

باعثاً فنياً قاهراً أوجب تأجيل عرض رواية طبيب المعجزات استيفاء لأغراض فنيـة ، أو أن هنالك أسباباً غير ما ذكرنا يجهلها مدير الفرقة غير الفنى ويتحدث بها الأدباء والممثلون فى مجالسهم ؟

السكرتير الحالى رجل فاضل يضرع رواية شمشون بالفن والفضل ، ودليل ذلك أنه كان قبل أن يرقى إلى (مقامه) الحالى ، يشرف على نشر الاعـلانات وإلصاقها فى الشوارع ، وهو هو صاحب الاعلان المشهور عن رواية « الفاكهة المحرمة » فقد طبعه وحده — على ما نقل إلى — ووزعه وألصقه على الجدران ولم ينتبه للغلطة العربية الفاضحة « تأليف الأستاذان » إلا بعـد أن ضج الناس وهرعوا إلى التلفون ينبهون مدير الفرقة إلى هذه الغلطة الشائنة

ما كنت أقصد ذكر هذه الحادثة الفردية التى تدل على مدى فضل « السكرتير الفنى » الذى اصطفاه مدير الفرقة لولا اتصالها بلب موضوعى وهوالفوضى الطائفة فى الجهل المطلق للفن المسرحى عرف مدير الفرقة غلطة من اختاره ليكون خير خلف لخير سلف فهل غضب لها ؟

كلا لم يغضب ، بل أمر — أدام الله دولته — بطبع الاعلان صحيحاً من الغلط وأن يلصق فوق الاعلان الأول ليستر فضيحة الجهل بأبسط قواعد اللغة

ولم الغضب ، وأجرة استمادة طبع الاعلان وتوزيعه وإلصاقه لا تقلل كثيراً ولا قليلا من مبلغ الخمسة عشر ألفا من الجنيهات المنتزعة من الأمة ، المرصـدة على « تكية » التمثيـل وإعاشة المرتزقة . إن أجرة الاعلان المغلوط لا تساوى عشر ثمن رواية واحدة من الروايات التى فرضتها لجنة القراءة على مدير الفرقة كما يقول هو ، أو التى قبلها هو ودفع ثمنها ليدفنها فى أدراج مكتبه

أعرف عشرات من هذه الروايات المدفونة، أذكرمنها الأجنبية لمعربها جورج سمان، والصدر الأعظم لمصنفها شوكت التوني المحامى، ووحيد لمؤلفها حسين عفيف المحامى وغيرها لمحمود كامل المحامى صاحب مجلة الجامعة وسواه من أنداده . فما قيمة أجرة إعلان ضاعت سدى إزاء أثمان هذه الروايات التى لا تقل أدناها عن خمسين جنيهاً ؟ !

لست أحاول النيل من أدب الأدباء الذين أهملت رواياتهم ولا القول البات بأن مدير الفرقة دفن هذه الروايات دفناً أبدياً ، بل أشعر بالواجب الأدبى يدعوني إلى السؤال عن معنى الرجوع إلى الروايات القديمة وعنـد مدير الفرقة عشرات من الروايات التى لم تمثل بعد . فهل فى ذلك سر غير سر الوحى الذى يطيب للمدير أن يتلقاه من موح جديد يرتاح إليه كما يرتاح الشعراء إلى وحى شيطانهم ؟

هل لاحظت لجنة التحقيق بوزارة المعارف هذا الضرب من الاسراف والتبذير ، أو الاعانة الفردية على حساب الأمة ؟ هل فكرت فى حصر المبالغ التى دفعتها الفرقة ثمنا للروايات فعرفت ما مثل وما دفن منها ؟

ابن عساكر

6 me Année, No. 286

Lundi - 26 - 12 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السادسة — «القاهرة فى يوم الأثنين ٤ ذى القعدة سنة ١٣٥٧ — ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨» — العـــدد ٢٨٦

الفهـــرس

تنظيم الاحســـان

الإحسان فى مصر — وإن شئت قلت فى بلاد الإسلام — فوضى . وإذا كان للفوضى نظام فهو أن ينال المستطيع ويدرك السريع ويظفر المُلِح . والبؤس يسلب المُنّة ويعقل القدم ؛ فلا يغشى مساقط الندى ومهابط الرحمة إلا من اتخذ الفقر تجارة والتكفف حرفة . أما الذين واراهم التعفف وأقعدهم العجز ، فهم يتضاغون من السغوب وراء الحجب ، فلا تبصرهم عين ، ولا تسمعهم أذن . والناس من هؤلاء العاجزين المتعففين ، وأولئك القادرين المتكففين فى مأساة تبكى وملهاة تضحك !

دخل علينا القهوة ذات مساء فتى ريّانُ الجسم بالشباب والصحة ؛ على رأسه طربوش ، وحول عنقه كوفية ، وفى يده خيزرانة ؛ فحيا بأدب وضراعة ، ثم أخذ يسترحم القلوب ويستندى الأكف بأسلوب يخبُل العقل النير ويختُل الطبع الحريص . وكان خطابه التمثيلى المؤثر يدور على عزته التى لا تألف الهُون ، وأسرته التى لا تصيب الدُّون ، وكفايته التى لا تجد العمل ... فأعطاه بعض من فى المجلس ، ثم استدناه صديق من أهل السراء وأرباب الضياع وقال له :

— لِمَ لا تطلب العيش من طريق أخلق بالرجولة وأليق بالكرامة ؟

— طلبتُ العمل يا سيدي فى كل مكان فلم أجده

— أتقبل العمل عندى فى المزرعة ؟

فبدا على الفتى شيء من التردد والحرج لأنه أحس الجد فى لهجة الرجل، ولكنه سأل :

— وماذا يعطينى البك إذا قبلت ؟

— ثلاثة جنيهات غير طعامك وكسوتك

فابتسم الفتى ابتسامة فيها معان شتى من الدهش والعجب والتهكم ، وقال وهو يدنى فمه من أذنه كأنما يريد أن يسارّه :

يا سيدي ، إنى أسأل فى اليوم الواحد ألفاً على الأقل ممن أتوسم فيهم رقة القلب وكرم الهزّة ؛ فاذا أعطانى مائة وردنى تسعمائة تجمّع لى من ذلك فى الشهر خمسة عشر جنيها، أصيبها وأنا فى القاهرة أتقلب بين مطاعمها ومقاهيها، وأتمتع بمناعمها وملاهيها . فكيف تريدنى على أن أقبل ثلاثة جنيهات فى الريف على عمل قذر متعب بين الأجلاف والبهائم ؟

أرأيت ؟ خمسة عشر جنيها يجبيها من الأغرار هذا المتبطل المتعطل وينفقها فى الخمر والقمر والحشيش ، ومئاتٌ من الأسَر الكريمة تكابد عبث الأقدار أو خطأ الأغيار فلا تجد مواسيا فى معروف الأحياء ولا فى موقوف الموتى ! وخمسة عشر ألف فدان يقتنيها ذلك الغنى الشره ينفق ريعها الفياض على وساوس غيه وهواجس أحلامه ، ومن حوله ألوف وألوف لا يدرون من طول الحرمان لماذا شق الله لهم الأفواه وجوّف فيهم الأبطن !

هذا البليد الملحف ، وذلك الجمّاع الطماع هما اللذان أكلا نصيب العاجز من رزق الله ! فلو أن السائل المحترف ترك نفحات الأيدى للفقير ، والغنى المنهوم عف عن فضــول الرزق للعاجز ، لما رأيت عليها رجلاً يشرَق بالدموع بجانب آخر يشرق بالشمبانيا ! ولكن النفس البشرية تؤثر الجانب الأيسر من العيش، وتطلب النصيب الأوفر من المتاع، فلا بد من سلطان يقيم المعدلة بين الساعى بقوته والقاعد لضعفه . ومن ثمّ جعل الاسلام تنظيم العلاقة بين الغنى والفقير ركناً من أركانه الخمسة، يصلح به وبالحج أمر الجماعة، كما يصلح بالصلاة والصيام أمر الفرد. وكان هذا الركن الإسلامى الركين عسياً بعناية أولى الأمر يجعلون له (مصلحة) أو (وزارة) ، تأخذ من أموال النـاس صدقة تزكى النفوس من حقد الفاقد على الواجد ، وتطهر المجتمع من بغى طبقة على طبقة. ولكن الأمم الإسلامية الحديثة توزعتها الجهالة والمذلة ، فحسبت أن دستور القرآن لا يأتلف مع المدنية الغالبة ؛ فتركت شريعة الله إلى شريعة نابليون ، وهجرت سياسة الرسول إلى سياسة كارل مَرْكس ، فلم يكن بدٌّ من قسوة الأكباد لجفاف القانون، وثورة الأطماع من شدة التنافس . وليست الرهبانية من نظم الإسلام حتى تقوم الراهبات بما لم تقم به الحكومات من جمع الزكوات وتوزيعها على صرعى الفاقة وأسرى المرض ، فكان ما لا حيلة فى اتقائه من فوضى الإحسان ، فحبس عن غير أهله ، وحل فى غير محله ، وذهب كله للمتشردين فى الطرق ، والمحتالين فى البيوت ، والمتبطلين فى المساجد

إن فريضة الزكاة فى الاسلام هى الفرق بين الدين والقانون، وبين الشرق والغرب ، وبين الانسان الذى يعيش بالروح والانسـان الذى يعيش بالآلة . فمن المحتوم على دولة تطمح إلى الخلافة أن تُلزم بها الناس لتكون حكومتها للشعب كله . وإلا فما جَداى أن أقول إن لى دولة دستورها المساواة وقانونها العدل، ووطنا ثراه الذهب وماؤه الكوثر، وأنا محروم لا أنتفع بخير الحياة ، ومهضوم لا أتمتع بحقوق الحى ؟

إما أن تقولوا إن من عجز عن واجب السعى نزل عن حق الوجود ، وإما أن تنصفوا بعض الناس من بعض فيشعروا أنهم عباد لإله واحد ورعايا لملك واحد . أمّا أن تتعدد الآلهة فيكون لكل أرض إله وهو المالك ، وتتنوع الملوك فيكون لكل عمل ملك وهو المموّل ، فذلك ما لا يطيب به عيش ولا يصلح عليه أمر

إفرضوا الإحسان كما فرضه الله ، ونظموه كما نظمته الشريعة ، واجبوه كما جباه الراشدون ، ووزعوه كما وزعه القرآن ، تضمنوا للفقير سكون الجوف ، وللغنى زوال الخوف ، وللأمة بأسرها السلام والوئام والمحبة

احمد حسن الزيات

المـــــذياع الآدمى

للأستاذ عباس محمود العقاد

حالة نفسية غير نادرة ، ولا سيما فى الأيام القاتمة أو الماطرة . على الأفق البعيد رباب مسف جاثم ، وفى الجو شوب من ضباب كالغبار يحجب صفاء السماء ، والأشجار هنا وهنالك كأنما تتوارى من الناس ، وعلى النفس سآمة قانعة لا تتحرك كأنها فرغت من النقاش والسؤال عن الأسباب ، وخلصت إلى اليقين والقرار ، وكل شىء عبث ... وكل عمل عقيم . . وما هذه الدنيا القائمة بالباطل ، وما هذا العناء فى غير طائل ؟ باطل الأباطيل ... قبض الريح ... متاع الغرور !

حالة غير نادرة

لكنها لو كانت الحالة الأولى من نوعها لجعلتها فلسفة حياة وصبغت بها وجه الكون ، وبسطتها على الدنيا ، أو قبضت الدنيا حتى انطوت فيها ، وكنت من المتشائمين

لم تكن الحالة الأولى من نوعها ، فلهذا لم تكن فلسفة باقية ، بل كانت حالة عابرة غير نادرة ، واستطاعت النفس أن تنتزع منها زاوية صغيرة يهمس فيها هامس مسموع مستجاب : كلا ! ليست الدنيا كذلك . ليست الدنيا كذلك ... إنما هى نوبة تزول ، وركود راحة بعد جهاد ، أو ركود استجمام قبل وثوب

***

وحالة أخرى غير نادرة ، ولا سيما فى أيام الاشراق والنضرة والاقبال ، صيفا كانت أو شتاء ، وربيعا كانت أو خريفا . فهى شائعة موزعة بين جميع المواسم والفصول

لمعة الشعاع على الصخرة اللقاة تبعث الفرح من أعماق السريرة ، ورجفة الورقة على الغصن رقص وانتشاء ، ومشية المسرع استطارة سرور ، ومشى المتأنى فكأنه يتملى متعة المشى ويستوفى نعمة الرياضة ، ومنظر الشجرة كأنها باثقة تنطلق فى السماء ، وليست بالجاثمة المقيدة بالغبراء ، وكل شىء حسن كما هو فى غير حاجة إلى تفسير أو عاقبة منظورة ، وليس فى الامكان أبدع مما كان

حالة غير نادرة

لكنها لو كانت الحالة الأولى من نوعها لجعلتها كذلك فلسفة حياة ونفثتها فى ضمائر الكون ، ورأيت الدنيا معها فردوسا سماويا لا حدود فيه ولا انتهاء لمشاهده ومعانيه ، وكنت فى عليين ولا يغنينى أن أقول : كنت من المتفائلين

ولم تكن الحالة الأولى من نوعها فلهذا لم تكن فلسفة باقية بل كانت حالة عابرة غير نادرة ، واستطاعت النفس أن تملك زمامها وهى إلى جوارها فلا يزال فيها هامس مسموع مستجاب يردد فى غير إلحاح ولا إعنات: كلا . لست فى عليين، لست فى عليين !

***

أ إذا عرفنا أسباب الحالة الأولى جاز لنا أن نقول: إنما هى ضلالة فى الحس من أثر الغيم أو من أثر السوداء أو من أثر المعدة الشاكية ؟

كلا . لأن معرفة السبب الذي يريك الشىء لن تنفى وجوده ، كما أن شعورك بألم الآخرين من أجل القرابة بينك وبينهم لا ينفى أنهم متألمون وأن الألم موجود هناك . ثم نقترب من المحسوسات فنقول إن رؤيتك الجراثيم بالمجهر وعلمك بأن المجهر هو سبب الرؤية لا ينفى الجراثيم ولا ينقض صحة ما تراه

وكذلك الحالة الثانية لا يدحضها أن تعلم أسبابها ، وهى الاشراق والصحة وامتناع الأكدار والأحزان ، فان العلم بأسباب إحساس من الأحاسيس لا يقدح فى حقيقته ولا فى صواب الشعور به حيث كان .

***

لذلك أقول إن السريرة الآدمية كالمذياع ، وإن الدنيا المحزنة والدنيا المفرحة ودنيا القنوط ودنيا الرجاء موجودة لا تظهر للنفس إلا حين يصل المفتاح إلى وجهته المرسومة ، وإلا فهى صمت وخفاء

فى النفس الانسانية متسع لجميع العوالم ، ولكنها تتهيأ لكل عالم من هذه العوالم بحالة من الحالات ، أو بمفتاح من المفاتيح ، فاذا هو موجود مسموع منظور محسوس ، وإذا أنت لا تسمع غيره ولا تعيش فى غيره ، لأن إدارة المفاتيح كلها هى الفوضى التى يبطل فيها الاحساس ، ويفسد فيها التعبير المفهوم ، فهو إذن لغط وأصداء

إن كنت تسمع حديث القاهرة فليس معنى هذا أن حديث باريس باطل ، وإنما معناه أن المفتاح فى هذا الاتجاه وليس فى اتجاه غيره ، وحديث باريس بعد ذلك صادق عند أناس آخرين صدق حديث القاهرة ، وغيره من الأحاديث

وإن كنت فى دنيا من دنياوات الاقبال والتفاؤل فليس معنى ذلك أن دنيا السآمة والقنوط عدم وضلال ، وإنما معناه أن المفتاح هنا ، وأنه لو تحول قليلاً لأصبح هناك ! !

***

امتناع الحس لا يدل على امتناع المحسوس

وبهذا نفسر العبقرية التى ترى الأخيلة والشكول والمعانى والتوفيقات حيث لا يبصرها أحد ولا يسمعها أحد ولا يدرى بها أحد ، ولكنها تظل فى صمتها وخفائها حتى تصادف من يدرى بها ويستمع إليها ، فهى موجودة له معدومة لسواه

وبهذا نفسر الصوفية التى تلمح من الخفايا ما ليس يلمحه المصاقبون والجيران ، وتقترب من الآمال والمخاوف قبل أن يقترب منها المزاملون والرفقاء ، وتبصر بعينى « حزام » والناس من حولها ضاحكون لا يصدقون ، وإن قال لهم ألف قائل :

إذا قالت حزام فصدقوها ... فان القول ما قالت حزام

لأن ما يرى بالعين على مسيرة يوم سوف يرى بالعين على مسيرة ساعة . أما ما يرى بالسريرة فقد تكثر فيه المغالطة والمكابرة كلما اقترب واقترب حتى تتناوله جميع السرائر : أهذا الذى أنبأتنا به ؟ ؟ لا . إنك أنبأتنا بغير هذا ، ولن تزال فى ضلالك القديم ! !

***

ولنهبط من العبقرية والصوفية إلى المشاهد الملموسة فى حياة الحيوان .

فأين من الناس من يشعر بأن ملامسة اليد للمنديل تترك فيه أثراً من الرائحة المحسوسة يشمها الأنف بعد أيام ؟ وأين من يثبت لهم ذلك لولا أن شاهدوه وكرروا شهوده من بعض الحيوان ؟ ؟

أفينقض « وجود » تلك الرائحة أن يقول قائل : بل ما أدركها ذلك الحيوان إلا لأنه كلب يشم بحاسة الكلاب ؟

أفينقض « وجود » تلك المعانى والتوفيقات أن يقول قائل : بل ما أدركها ذلك الناظم أو ذلك الموسيقى إلا لأنه مجنون مخبول ؟

فلم لا يكون الخبل المزعوم هو المفتاح الذى يوجه السريرة إلى وجهة تلك المعانى والتوفيقات ؟ ؟ ولم ننكر « المحطة » لأننا لا نملك المفتاح وإن رأينا من يسمعها ويروى لنا ألحانها وأناشيدها فى تناسق وانتظام ؟

فالعالم حافل بما يحس ويشعر

حافل بالمنظورات وإن لم يشهدها كل نظر ، وحافل بالمسموعات وإن لم تسمعها كل أذن ، وحافل بالطعوم وإن لم يذقها كل لسان ، وحافل بالحياة وإن لم تتصل بها اتصال التعاطف والتفاهم كل حياة

فلم لا نقول على هذا القياس إنه حافل بالمعانى ، وحافل بالمدركات ، وحافل بالوحى والتعبير ، وإن العبقرى له حاسة فى الروح تلتقط هاتيك المعانى والمدركات من حيث لا يحلم أحد بوقعها هناك ؟ ؟

لم لانفهم أن المحسوسات الذهنية التى تتناولها العبقرية لن تنفد بالتقاط الأذهان منها لأنها ليست بأجسام ، وأن الشىء الذى ليست له مادة تنفد لن يرى على وضع واحد بل يرى على ألوف الألوف من الأوضاع حسب من ينظرون إليه وينفذون فيه ؟

لم لانكون الدنيا مفرحة محزنة ، عادلة ظالمة ، منظومة مشتتة ، لأن هـذه المعانى لا تتناقض فى عالم الالهام كما تتناقض السوداء والبيضاء فى عالم العيان ، وإنما يصعب التوفيق بينهما فى إلهام واحد كما يصعب التوفيق بين مفاتيح المذياع ، فنخرج إذا أدرناها جميعا من الفهم والنظام ، إلى أصداء لا تقبل الفهم ولا النظام ؟

***

إذا مرت بي حالة عابرة إلي جانب الحزن والقنوط قلت هى حالة صادقة فى مفتاحها

واذا مرت بى حالة عابرة إلى جانب الفرح والرجاء قلت هي أيضا حالة صادقة فى مفتاحها

ولم أقل إن العالم السرمدى ينحصر فى هذه أو فى تلك ، ولكنى أتلقى درساً من المذياع وأومن بأن السريرة الانسانية أكبر — على الأقل — من صندوق الكهرباء ، وإن عالم الادراك أكبر — على الأقل — من مراكز الاذاعة ، وأن الوصلة بين الطرفين أكثر على الأقل من الموجات القصار والوسطى والطوال .

عباس محمود العقاد

مصر والعـــروبة

للدكتور طه حسين بك

« أخى العزيز

قرأت مقال الأستاذ ساطع الحصرى بك فى رسالة الاثنين الماضى ، وأظن أن من حق عليك أن تنشر ردى على هذا المقال ، وما أرى أنك تبخل على بهذا الحق

وهذا الرد فصل من كتاب (مستقبل الثقافة) الذى سيظهر بعد أيام ، فهو إذن قد كتب وطبع قبل مقال الأستاذ الحصرى ... ولك أصدق المودة وأخلص الاخاء »

طه حسين

قد أشرت منذ حين إلى أن من الحق على الدولة المصرية للثقافة أن تذيعها فى طبقات الشعب المصرى من جهة ، وأن تتجاوز بها الحدود المصرية إلى الأقطار التى تستطيع أن تسيغها وأن تنتفع بها من جهة أخرى

ولأمر ما قالت بعض الأقطار الشرقية لمصر إنها زعيمة الشرق العربى ، ولأمر ما صدّقت مصر ما قيل لها . فان كان هذا حقاً فان له نتائج يجب أن تنشأ عنه وتبعات يجب أن تترتب عليه . وإن لم يكن هذا حقاً فان من الواجب علينا أن نحققه لأن فيه تحقيقاً لكرامتنا من ناحية ، ولأن فيه ارتفاعاً عن الأثرة التى تليق بشعب كريم . والشئ الذي لا شك فيه هو أن الله قد هيأ لمصر من أسباب القدرة على إحياء الثقافة ونشرها ما لم يهيىء لغيرها بعد من الأمم العربية . فما لا يليق بالمصريين وقد تسامع الناس بأنهم كرام ، وزعموا هم لأنفسهم أنهم كرام أيضاً ، ممـا لا يليق بهم أن يؤثروا أنفسهم بما أتيح لهم من الخير ويختصوها بمـا أتيح لها من النعمة ، وإنما الذى يلائم كرمها وكرامتها وما تطمح إليه من المثل الأعلى أن يكون حديثها ملائماً لقديمها ، وأن تكون مشرق النور لما حولها من الأقطار ، وأن تكون البلد الذى تهوي إليه أفئدة الراغبين للعلم والراغبين فيه

وقد يظن المصريون أنهم يبلون فى سبيل ذلك بلاء حسناً . فأحب أن أصارحهم بأنهم لم يفعلوا فى سبيل ذلك شيئاً

إن الأقطار العربية تقرأ ما ينشر في مصر من الصحف والكتب والمجلات ، ولكن مصر لم تصنع إلى الآن شيئاً لتيسر لهذه الأقطار قراءة كتبها وصحفها ومجلاتها . ولعل من هذه الأقطار ما يلقى كثيراً من الجهد في الظفر بحاجته من هذه الكتب والصحف والمجلات . ولوقد يسرت مصر للأقطار العربية قراءة آثارها المطبوعة لما بلغت من خدمة الثقافة إلا أيسرها وأهونها ، على أن ذلك يعود عليها بالمنفعة المادية والمعنوية جميعاً

نعم ، إن مصر تيسر لبعض البـلاد العربية استدعاء بعض المعلمين ، ولعلها تنفق فى ذلك شيئاً من المال ، ولعلها تجد فى ذلك شيئاً من الجهد ، ولكن هذا من أيسر الأمر أيضاً . وتبعات المركز الممتاز الذى أتيح لها بين الأقطار العربية تفرض عليها أكثر من ذلك . ولست أذكر إلا أمرين اثنين ، أحدهما قد أخذت مصر بأسبابه ولكن فى بطء وتردد ، وهو فتح أبواب مدارسنا ومعاهدنا للطلاب الشرقيين والعناية بهم إذا وفدوا على بلادنا ، لا بأن نيسر لهم طلب العلم فحسب بل بأن نيسر لهم حياتهم فى مصر أيضاً . وإنى لأوازن بين ما تصنعه البلاد الأوربية لتحقيق العناية بالطلاب الأجانب وما نصنعه نحن فأوازن بين الوجود والعدم . ومع ذلك فأوربا حين تعنى بالطلاب الأجانب إنما تنشر الدعوة لنفسها وتستقدم الأجانب لينفقوا فيها أموالهم وليعودوا منها وقد تأثروا بها وأصبحوا لها رسلاً فى بلادهم . فأما نحن فلسنا فى حاجة إلي نشر الدعوة لأننا لا نطمع فى شيء ، ولأن الدعوة المصرية تنشر نفسها فى الأقطار العربية لما تقوم عليه من الحب والمودة والإخاء . وإنما يجب علينا أن نيسر لطلاب الأقطار العربية الدرس والاقامة فى مصر أداء للحق ونهوضاً بالواجب ووفاء للأصدقاء وصرفاً لهؤلاء الأصدقاء عن الرحلة إلى أقطار الغرب إن وجدوا فى هذه الرحلة مشقة أو عناء .

والأمر الثانى دعوت إليه مراً منذ أكثر من عشرة أعوام حين تولى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وزارة المعارف للمرة الأولى . فقد شهدت مؤتمراً للآثار عقد فى سوريا ولبنان وفلسطين . فلما عدت رفعت إلى الوزير تقريراً خاصاً طلبت فيه أن تنشئ مصر مدارس مصرية للتعليم الابتدائى والثانوى فى هذه الأقطار . وكان الذى أثار فى نفسى هذا الاقتراح ما رأيته من السلطان المعلى للمدارس الأجنبية على هذه الأقطار . وكنت أرى أن العقل المصرى أقرب إلى العقل السورى والفلسطينى وأحرى أن يتصل به ويؤثر فيه تأثيراً حسناً من العقل الأمريكى أو الفرنسى . ولكن وزير المعارف حينئذ نبهنى باسماً إلى أن ذلك

ليس ميسوراً ، فقد تريده مصر ولكن السياسة الأجنبية ستأباه من غير شك . وكان هذا حقاً حينئذ ، فأما الآن وقد عقد بيننا وبين أوربا اتفاق مونترو، وقد ظفرت سوريا ولبنان ببعض الحرية، واستقلت العراق ، فما أرى أن مصاعب سياسية تقوم دون هذا النوع من التعاون الثقافي بين الأقطار العربية التي يجمعها وحدة اللغة والدين والمثل الأعلى ، والتي تشترك في منافع اقتصادية عظيمة الخطر .

ما أظن أن السياسة الوطنيـة لهذه الأقطار تكره أن تنشأ فيها مدارس مصرية تحمل إلى أبنائها ثقافة عربية شرقية ، ويحملها إليهم معلمون شرقيون مثلهم وعرب مثلهم يتحدثون إليهم بلغتهم ويشاركونهم في الذوق والميل والشعور . وما أظن أن السياسة الأوربية تمانع في ذلك وقد تم الاتفاق بيننا وبين أوربا على أن تستقر في بلادنا مدارس أوربية وتستمتع بكل ما يمكنها من النهوض بمهمتها في حدود القوانين المصرية، وعلى أن يكون التبادل أساساً لهذا الاتفاق

وواضح أننا لا نريد أن ننشئ مدارسنا المصرية في فرنسا أو انجلترا أو إيطاليا ؛ ولكن من حقنا أن ننشئ المدارس المصرية في البلاد العربية التي تتأثر بسلطان هذه البلاد ونفوذها تأثراً قليلاً أو كثيراً

ومن المحقق أننا إذا أنشأنا المدارس المصرية في الأقطار العربية فسننشئها وسنسيّرها على النحو الذي نحب أن تنشأ عليه المدارس الأجنبية في بلادنا وأن تسير عليه أيضاً . سننشئها على أنها معاهد للتعاون الثقافي بيننا وبين أهل هذه البلاد ، لا يستأثر المصريون وحدهم بالعمل فيها ، بل يستعينون بمن يقدرون على معونتهم من الوطنيين . ولا نفرض فيها الجغرافيا المصرية والتاريخ المصرى دون الجغرافيا الوطنية والتاريخ الوطني، وإنما تكون معاهد ينشأ فيها الوطنيون لأوطانهم لا لمصر ، وحسب مصر أنها تعين على ذلك وتشارك فيه وتؤدى ما عليها من الحق لجيرانها وشركائها في اللغة والدين والاقتصاد ، وحسبها أن تظفر منهم بالحب والمودة والاخاء

وقد يقال إن أعباء الدولة المصرية أثقل من أن تسمح لهـا بمثل هذا التوسع في إذاعة الثقافة خارج حدودها على حين أنها في أشد الحاجة إلى إذاعة الثقافة داخل هذه الحدود . وقد يكون هذا حقاً من بعض الوجوه ، ولـكن من الحق أيضاً أن لحياتنا المستقلة تبعاتها ، وأن التقصير في النهوض بهذه التبعات لا يلائم ما نزعمه لأنفسنا من الكرامة والزعامة

ومما لا شك فيه أن هذه المدارس إن أنشأناها ستكون أنفع لمصر وللبلاد التي تنشأ فيها من كثير من القنصليات والمفوضيات التي نبثها في أقطار الأرض ولا نكاد نجنى منها ، ولا تكاد البلاد التي نبثها فيها تجنى منها نفعا

ومما لا شك فيه أيضاً أن العبء المالي الذي يتبعه إنشاء هذه المدارس لا ينبغي أن يقع كله على الدولة وإنما ينبغي أن يشارك فيه القادرون على هذه المشاركة من المصريين أولا ومن الوطنيين ثانياً . وحسب الدولة أن تمنيها معونة قيمة بالمال والرجال

على هذا النحو تحمل مصر تبعاتها وتنهض بواجباتها الثقافية ، وتلائم بين حديثها وقديمها ، فقد كانت مصر فيما مضى من العهود الاسلامية مصدر الثقافة والعلم للأقطار العربية في الشرق القريب . لم تقصر في ذلك إلا حين اضطرها السلطان العثماني إلى التقصير فيه . فأما الآن وقد استردت استقلالها فيجب أن تسترد مكانتها الثقافية في الشرق القريب . وهناك بلاد عربية لم ينشئ فيها الأجانب ولا يستطيعون أن ينشئوا فيها المدارس والمعاهد ، ولا يجد أهلها فضلا من المال ينفقونه في تنمية الثقافة كما ينبغي . فالحق على مصر أن تسرع إلى معونة هـذه البلاد وألا تدخر جهداً إلا بذلته في هذه السبيل ، وهذه البلاد هي الحجاز وبلاد الدولة العربية السعودية بوجه عام . وما أشك في أن المصريين يرضون كل الرضى عن إنشاء مدرستين على أقل تقدير ، إحداهما في مكة والأخرى في المدينة ، بل ما أشك في أنهم يتجاوزون الرضى إلى البذل والانفاق . وقد علمت أن أهل الحجاز أنفسهم يتمنون ذلك ويلحون فيه

وليس هـذا كل ما ينبغي أن تنهض به مصر لنشر الثقافة في الأقطار العربية ، بل هناك شيء آخر قد عم الشعور به واشتدت الحاجة إليه حتى أخذت وزارة المعارف تفكر فيه وتستعد له وهو : التعاون على تنظيم الثقافة وتوحيد برامجها بالقياس إلى الأقطار العربية كافة . يدعو إلى ذلك حاجة هذه البلاد إلى توحيد الجهود ما دام مثلها الثقافي الأعلى واحداً ؛ ويدعو إلى ذلك أن التعليم العالي في مصر قد بلغ من الرقى درجة تدعو إليه طلاب العلم في الأقطار العربية ، وللتعليم العالي في مصر نظم دقيقة شاقة قد تحول بين هؤلاء الطلاب وبين الانتفاع به والظفر بإجازاته

ودرجاته، فلا بد من أن يهيأ هؤلاء الطلاب لهذا التعليم تهيئة حسنة تلائم تهيئة المصريين له. وقد اجتمع فريق من قادة الرأى الشرقي العربي منذ أكثر من عام في لجنة التأليف والترجمة والنشر وتشاوروا فى ذلك كما تشاوروا فى غيره من ألوان التعاون الثقافى، ورسموا لذلك خطة وشرعوا له نظاماً. ثم أخذت وزارة المعارف تفكر فيه وتستعد للدعوة إلى مؤتمر عربى شرقى. والذى أرجوه أن يكون انعقاد هذا المؤتمر دورياً وأن يكون هذا المؤتمر متنقلا فى الأقطار العربية على نحو ما يسير عليه المؤتمر الطبي الذى أنشىء منذ حين.

وقد شهدت فى العام الماضى — ممثلا لوزارة المعارف — مؤتمر اللجان الوطنية للتعاون الفكرى، فتحدثت فيه إلى المؤتمرين بأن مصر تستطيع أن تكون مركزاً من أهم المراكز لهذا التعاون الفكرى إذا نهضت بتبعاتها الثقافية نحو الأقطار العربية. ذلك لأنها بحكم مركزها الجغرافى وبحكم نهضتها الحديثة أصدق صورة لما تطمح إليه عصبة الأمم من هذا التعاون الفكرى الخالص الذى يقارب بين الأمم ويلغى ما بينها من الفروق ويرتفع بحياتها العقلية عن ألوان الخصومة وضروب النزاع. فالجامعة المصرية مثلا بيئة تلتقى فيها الثقافات الانسانية كلها تقريباً، يحملها إليها أساتذة ممتازون من المصريين ومن الأوربيين على اختلاف أوطانهم ومذاهبهم فى السياسة والدين والاقتصاد. وهذه الثقافات كلها تلتقى وتمتزج وتصهر فى العقل المصرى الذى يسيغها ويتمثلها ويطبعها بعد ذلك شيئاً ما بطابعه المصرى الخاص. وهو قادر بعد هذا على أن يذيعها فى بلاد الشرق شرقيـة غربية عربية أوربية بريئة مما يفسد الثقافة عادة من التعصب والهوى.

وقد وقع هذا الحديث من المؤتمرين موقعاً حسناً. فهل يقع هذا الحديث من المصريين أنفسهم موقعاً حسناً، وهل يشعر المصريون بأن فرصة ذهبية كما يقال تتاح لهم الآن؟، فلكل شر أثر حسن، والشر أن حاجتنا إلى الأوربيين لا تزال شديدة فى التعليم، والأثر الحسن لهذا الشر أننا نستطيع أن نكون رسل العلم والثقافة والأمن والسلم والتوفيق بين الشرق والغرب جميعاً.

فاذا أرادت مصر أن تنتهز هـذه الفرصة فذلك يسير عليها لا يحتاج إلا إلى أن تعنى بتقوية الصلة بينها وبين لجنة التعاون الفكرى فى جنيف ومعهد التعاون الفكري فى باريس من جهة، وبينها وبين البيئات والمعاهد العلمية فى الشرق العربى، بل فى الشرق الاسلامى من جهة أخرى.

طه حسين

الحـــج

للدكتور عبد الوهاب عزام

كان سلفنا إذا أرادوا الحج تأهبوا لسفر شاق، وغاية بعيدة وتزودوا لشهور عدة، ووطنوا أنفسهم على ما يلقون من المشقات والشدائد والأخطار. كان المصريون يذهبون بالبر من طريق سيناء فالعقبة لا يركبون البحر، أو يسيرون إلى القصير فيجتازون البحر إلى الحجاز. ثم جاء عصر البواخر فتيسرت الغاية وقصرت المدة، ولكن بقى بعد هذا قطع المسافة بين مكة والمدينة على ظهور الابل، وبقى سوء الأحوال الصحية فى مجامع الحج، والتعرض للصوص وقطاع الطريق فى كل مرحلة وكل حين. بل كان المحمل المصرى وهو فى حراسة الجند والمدافع لا يجتاز المسافة بين مكة والمدينة إلا بعد إرضاء القبائل الضاربة على الطريق. وكان هؤلاء يتحكمون ويشتدون فى مطالبهم، فاذا لم تجب مطالبهم باغتوا الحجيج بالغارة. بل قال المرحوم ابراهيم رفعت باشا الذى تولى إمارة المحمل سنين إنه زار غار حراء سنة ١٣١٨ ومعه مائة جندى وقال « ومما ينبغى لزائرى هذا الجبل أن يحملوا معهم الماء الكافى وأن يكونوا جماعاً يحملون السلاح حتى يدفعوا عن أنفسهم شر اللصوص من العربان الذين يتربصون الفرص لسلب الحجاج أمتعتهم ونقودهم خصوصا فى مكان منقطع كهذا لا يقصده إلا بعض الحجاج. وقد بلغنى أن أعرابياً قتل حاجا فلم يجد معه غير ريال واحد فقيل له: تقتله من أجل ريال؟ فقال وهو فرح: الريال أحسن منه »

ذلكم الحج قبل سنين، وأما الحج فى هذا العصر فقد تهيأت وسائله وتيسرت مسافاته وأمنت سبله. تنقل الحجاج بواخر كبيرة. وحسبك ببواخر شركة مصر التى أعدت لراحة الحجاج وتمكينهم من أداء فرائض الدين فى يسر وطمأنينة. فى كل باخرة مصلىً تقام فيه الصلوات الخمس ويؤذن لكل وقت. فاذا بلغ الحاج جدة وجد المطوفين فى انتظاره يتكفل المطوف الذى يختاره براحته وإعداد السيارات له فى كل طريق. ويجدون فى مكة العناية

براحة الحجيج وصحته. فالحكومة تتخذ الوسائل التي تمنع الزحام، وتراقب مساكن الحجاج وتلزم أصحابها أن يطهروها وينظفوها

فإذا حان وقت الخروج إلى منى وعرفات، احتاطت الحكومة فنمت التزاحم في الطريق وعنيت براحة الحجاج على قدر استطاعتها. وإذا قضى الناس مناسكهم وأرادوا السفر إلى المدينة رُخِّص لهم في السفر على ترتيب قدومهم مكة فالأسبق فالأسبق حتى لا يختل النظام، ويشتد الزحام، وحتى لا تضيق بهم المدينة. وكذلك يلزم زائرو المدينة الخروج بعد ثمانية أيام ليفسحوا لغيرهم فلا يجتمع فيها إلا وفود ثمانية أيام طول الموسم

والناس في إقامتهم بمكة، وسيرهم إلى منى وعرفات، وسفرهم إلى جدة والمدينة يرحلون بالليل والنهار آمنين مطمئنين لا يخافون على نفس ولا مال. ويظفرون بطمأنينة لا يظفرون بمثلها في البلاد الأخرى، ولا يغلو في الحق من يقول إن الأمن في بلاد الحجاز اليوم لا يظفر به إنسان في غيره من بلاد العالم. فإذا خرج الرجل الفرد يملأ جيوبه الذهب يقطع الطريق بين مكة والمدينة نهاراً وليلاً ليس معه رفيق ولا حارس لم يخش على نفسه ولا ماله، وأحاط به الأمن في يقظته ونومه وليله ونهاره. أمر لم نسمع به ولا نسمع به اليوم في قطر من أقطار العالم المتمدن أو المتوحش

وقد حدثني أحد الحجاج ونحن بمكة أنه ذهب إلى المدينة في رفقة فوقعت منهم حقيبة في الطريق ولم يشعروا بها وتعطلت السيارة في الطريق يوماً أو يومين. فلما بلغوا المدينة افتقدوا الحقيبة فأخبروا الشرطة فردتها إليهم بعد قليل. وأُخبرت أن حاجاً آخر كان يطوف بالكعبة فسقطت منه ساعة فذهب إلى الشرطة فردوها إليه. وأعرف أن طالباً من طلبة الجامعة سقطت منه ورقة بنك قيمتها جنيه في سوق مكة ولم يفتقدها إلا بعد أن رجع إلى المدرسة السعودية التي كنا ننزل بها. فلما رجع إلى السوق وجدها حيث سقطت أمام الدكان الذي كان يشتري منه. وقد تواترت الأقوال في أمثال هذه الحوادث حتى لم يبق مكان للشك فيها، وحتى اطمأن الناس فتركوا أمتعتهم الثقيلة في مساكنهم ليرجعوا إليها بعد قضاء مناسكهم ولم يجدوا حاجة إلى أخذها معهم. فنحن تركنا بعض متاعنا في جدة أمام الفندق المصري فأرسل إلينا في أيام مختلفة لم نفقد منه شيئاً وقد تأخر متاع بعض الطلبة كثيراً فقلق؛ فقلت له: ستأتي حقائبك لا محالة فإن شيئاً لا يضيع في هذه البلاد. وكان يسكن إلى قولي حيناً ثم يعتاده القلق حتى جاءت أمتعته كاملة. وأخبرني مخبر عن رجل من الذين ذهبوا إلى الحجاز أنه كان في سيارة ضاقت بأمتعة الراكبين فأخذوا حقيبة عليها اسم صاحبها وتركوها في الطريق عمداً ليتحققوا ثم طلبوها حينما بلغوا غايتهم فردت إليهم

والمسافة بين مكة والمدينة زهاء ٥٠٠ كيلو كانت تقطع في أربعة عشر يوماً وقد قطعها ركب المحمل المصري سنة ١٣١٨ من الهجرة في ١٢٥ ساعة وخمسين دقيقة في أربعة عشر يوماً. وتقطعها السيارات الكبيرة اليوم في أربع عشرة ساعة، ولكن المسافرين يحتاجون إلى الراحة مرات على الطريق فيبيتون ليلة في بعض المراحل، والطريق كله غير معبّد، وفيه مسافة قصيرة رملية تسوخ فيها السيارات إن لم يحذر السائق

وقد خرجنا من جدة إلى المدينة بعد المغرب فبلغنا رابغاً بعد سبع ساعات، وبتنا بها ثم استأنفنا السير ضحى آملين أن نبلغ المدينة في نهارنا ولكن ساخت بعض السيارات في الطريق فآثرنا أن نبيت في مكان اسمه أبيار بني حصان. وخرجنا منها ضحى فبلغنا المدينة بعد العصر. ولكنا في رجوعنا إلى جدة خرجنا من المدينة ضحى فبلغنا رابغاً وقت العشاء بعد أن استرحنا في الطريق ساعتين ونصفاً في ثلاثة مواضع. وبتنا في رابغ وتركناها ضحى فبلغنا جدة ظهراً بعد سير خمس ساعات. فكان سيرنا من المدينة إلى جدة ثلاث عشرة ساعة ونصفاً. وإذا أصلح الطريق سهل أن تقطع المسافة كلها في عشر ساعات. وأمكن الراكب المتعجل أن يقطعها في ثماني ساعات أو سبع. وما أقرب هذا سفراً وأيسره

— ٢ —

ولست أقول إن وسائل الحج بلغت من اليسر والنظام الغاية التي نرجوها؛ ولا أزعم أن الحرمين الشريفين والحجاز، في الحال التي يتمناها مفكرو المسلمين؛ فلا يزال المسلمون يرجون للحجاز نظاماً وعمراناً لا يذكر منه ما يسره الله في السنين الأخيرة من الإصلاح والتنظيم. لا يزال مفكرو المسلمين يطمعون في أن يروا في الحجاز آثار التعاون الإسلامي، وبذل المال في سبيل الله

حتى تكون أحوال الحجاز مكافئة لمكانته عند المسلمين ، ومصورة عناية المسلمين به وتقديسهم إياه

لا يزال المسلمون يتمنون أن يروا الحجاز آخذاً من ثروة المسلمين وعلومهم وفنونهم ما تأخذه الأماكن المقدسة الأخرى من الدين يقدسونها

وما أسعد المسلم الغيور على دينه المتين بإقامة شعائره يوم يذهب إلى الحجاز فيرى الطرق ممهدة بين جدة ومكة فمنى فعرفات وبين جدة فالمدينة ، ويرى فى طريق المدينة فنادق يأوى إليها فيجد راحته وطعامه وشرابه كما يشتهي ، ويجد مواضع للوضوء والصلاة تمكنه من إقامة الشعيرة على خير الوجوه

ما أسعده يوم يجد فى منى وعرفات مواضع للطهارة والصلاة ميسرة على وجه يليق بهذه البقاع الطاهرة . إن المسلمين يضربون اليوم خيامهم فى منى وعرفات فى أمن وسلام ونظام ، ولكن هذه الخيام المتفرقة تقسمهم فلا يجتمعون إلا قليلا . فما أجمل أن يهيأ فى منى وفى عرفات مكان واسع جامع يسع الناس جميعاً فى صعيد واحد يرى بعضهم بعضاً فيشعر المسلم بالجماعة الاسلامية ممثلة والأخوة الاسلامية مصورة . فاذا استمع هؤلاء جميعاً إلى خطيب أو واعظ أو داع يتكلم فى مجهر فيسمعهم معاً ويعظهم معاً ويدعو فيؤمنون بصوت واحد ويرفعون أيديهم جملة واحدة كان فى هذا من الجمال والروعة ما لا ينساه المسلم على مر الزمان وبقيت هذه الصورة فى نفسه حيثما سار تذكره بالأخوة الاسلامية

وهل أغلو إذا قلت إن من المسلمين من يرجو أن يكون فى منى مدرج ينحت فى الجبل يسع مئات الآلاف من الحجاج يجتمعون إذا شاءوا ويتفرقون فى سكون وطمأنينة وسلام فى وقت قليل وحركة يسيرة كما تفعل الأمم الأخرى فى مجامعها التى تضم آلافا كثيرة ؟ ولماذا لا يكون للأمم الاسلامية بيت فى مكة أو المدينة يجتمع فيه بعد موسم الحج مثلا ممثلو هذه الأمم ليتشاوروا فيما بينهم ويداولوا الآراء فيما يصلح المسلمين ويرفع أخلاقهم ويسعدهم بين الأمم ؟ . لماذا لا يبذل المسلمون من أموالهم وأفكارهم لانشاء المدارس والملاجئ والمستشفيات فى الحجاز ، وفى إنشاء المكاتب ونشر الكتب الاسلامية والمجلات تبحث الأمور الاسلامية المشتركة وتقصد إلى التقريب بين التربية الاسلامية والثقافة الاسلامية فى العالم الاسلامى جهد الطاقة . إن الحجاز ينبغى أن يكون ملتقى الثقافات الاسلامية

ثم يرجو كل مسلم أن يصلح المسعى بين الصفا والمروة فيفصل من السوق والطريق ويجعل على شاكلة تشعر الساعى أنه فى عبادة ينبغى أن تفرغ لها نفسه ، ويتم لها توجهه . وما أحوج الحرمين فى مكة والمدينة إلى أن تزحزح عنهما الأبنية المجاورة ويدور بهما مهيع واسع يظلله الشجر . وهناك بعد هذا إصلاح مذبح منى وحفظ لحوم الأضاحى وجلودها لينتفع بها أو بأثمانها الفقراء طول العام . ثم تعبئة ماء زمزم فى أوان ترسل إلى الأقطار الاسلامية ، وقد أثبت البحث أنه ماء نافع مرىء فضلا عما له فى نفوس المسلمين من حرمة . ثم إضاءة مكة والمدينة وسوق الماء إلى دورها ومساجدها ، وأمور غير هذه كثيرة

هذا كله جدير بعناية المسلمين وتعاونهم وبذلهم من أموالهم وأفكارهم وأعمالهم . ولن يؤدوا واجبهم ويعربوا عن اهتمامهم بدينهم ويبرءوا من التقصير حتى يحققوا هذا كله بل أكثر منه

وقد تحقق الشرط الأول لكل إصلاح وهو الأمن الشامل والطمأنينة العامة يسرها الله للحكومة السعودية واستحقت بهما مثوبة الله وشكر المسلمين كافة . فعلى المسلمين جميعاً أن يتقدموا فيتعاونوا جميعاً على خطة مبينة خالصة لوجه الله يعالجون بها من أمور الحجاز مايجعله صورة لحضارة المسلمين وتآلفهم وتعاونهم . ومن أولى من المسلمين بالتعاون والتآخى ودينهم دين الأخوة العامة والتعاون على البر والتقوى . والله يهيئ للمسلمين من أمرهم رشداً ويوفق للخير حكومات الاسلام عامة والحكومة المصرية خاصة وهى التى حملت النصيب الأوفر فى أمور الحجاز منذ قرون كثيرة والتى يؤمل المسلمون فيها خيراً كثيراً فى رعاية جلالة الملك الصالح « فاروق الأول » حفظه الله

فبلغنا رابغا بعد ثلاث عشرة ساعة ، وقد استرحنا على الطريق ثلاث ساعات وعشرين دقيقة فى ثلاثة منازل . فكان مسيرنا بين المدينة ورابغ زهاء عشر ساعات

واستأنفنا السير ضحوة الغد فبلغنا جدة بعد خمس عشرة ساعة وكان توقفنا على الطريق ساعة فى منزلين ، فكان مسيرنا من طيبة إلى جدة أربع عشر ساعة . والمسافة بينهما نحو خمسمائة كيلو تقطعها السيارات بالسير الوسط فى عشر ساعات ويستطيع المتعجل أن يطويها فى ثماني ساعات أو سبع . فماذا يشكو المسافر من سفر يقدره بالساعات لا الأيام والشهور ثم لا يمسه فيه ظمأ ولا جوع ولا حر ولا قر ولا خوف ؟

عبد الوهاب عزام

الحقائق العليا في الحياة

الإيمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الإيمان والعلم :

لا حاجة بنا إلى إفاضة القول فى أن العلم بمعناه الحالى — وهو اليقين والاثبات المبنى على التجربة والمشاهدة الحسية — إنما هو من أدوات الايمان بالخالق المدبر . فلو فرضنا وقالت كل الفلسفات والجدليات إنه ليس هناك خالق للكون لظل العلم وحده يقول بوجود ذلك الخالق . لأن كل ما فى الطبيعة يشير ويصيح بأن له خالقاً عالماً يقف أمامه العقل العلمى حائراً دهشاً من سر صنعته وتركيبه وإعداده الأشياء للحياة !

واعتقادى أن أكبر خادم للايمان هو العلم الكونى ، وأن المختبرات والمعامل لو أنصف الناس لعدوها من أقدس المحاريب التى يعبد فيها الاله ويمت بما يليق بكماله وجلاله .

والالحاد بين علماء الطبيعة أقل منه فى أى طائفة من طوائف علماء العلوم أو الفنون الأخرى . ولذلك قال القرآن « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وصدر الآية يدل على أن العلماء هنا مقصود بهم علماء الطبيعة والمتأملون فيها إذ يقول « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى الله من عباده العلماء »

ولو أن علماء الطبيعة يدخلون معاملهم ومختبراتهم مستحضرين روح العبادة كما يفعلون إذ دخلوا إلى المعابد إذاً لتنزل عليهم إلهام وتوفيق ولذات لا تفنى .

العلم لا سلطان له على البحث فى ذات الخالق لأنه ليس من مجاله، فمجاله ما يقع تحت الحواس، وإنما يستطيع أن يستنتج صفات الخالق . وهو فى هذا الاستنتاج يلتقى مع الفلسفة ، فأرسطو الفيلسوف وأرسطو العالم الطبيعى التقيا فى إثبات « السبب الأول »

وكذلك اسحق نيوتن الفيلسوف والعالم التقيا فى قوله « إن خالق هذا الكون على علم تام بعلم الميكانيكا ! » وقل مثل ذلك فى بقية العلماء الالهيين كباستور وغيره من العلماء الذين إن ألحدوا فى إله الكنيسة فلن يلحدوا فى إله الطبيعة الذى هم أقرب الناس إلى معرفته وتقدير صفاته .

ومن المؤسف أن إله الكنيسة فى أغلب الأديان غير الاله كما يدركه العلماء فى الطبيعة . هو إله بشرى يتشكل فى أجساد البشر فى بعض الأديان ، خاص بقبيل من الناس فى بعضها الآخر ، محب للدماء فى البعض الثالث ، محب لعذاب الناس وفناء أجسادهم فى البعض الرابع ، معقد فيه ناسوت ولاهوت وأقانيم متعددة فى البعض الخامس . وهكذا وهكذا مما يعذر العلماء السائرون مع الفطرة البسيطة إذا كفروا به وآمنوا بمن يجدون يده فى الطبيعة

وهنا يمتاز الاسلام امتيازاً رائعاً فى تقديم صورة للاله هى أسمى ما يمكن أن يدركه عقل علمى عن الكمال الالهى مع بساطة واستيعاب هما سر الفطرة وطابعها الذى يأخذ بنواصى جميع الناس علمائهم المنتهين وجهالهم المبتدئين ومن بينهما فى آفاق المعرفة والادراك فى القطبين وفى خط الاستواء وفى الشرق والغرب .

والواقع أن كل الأديان الالهية قدمت هذه الصورة التى يدرسها العقل . ولكن يد التحريف وحب التأويل وتزيدات الكهان وعوامل الفناء التى لحقت الأديان وتقلبات الحوادث بنصوصها الأصلية هي التي مسخت الصورة الرائعة الكاملة التى قدمها الرسل عن الاله كما أوحى إليهم .

لقد وصف الاسلام الاله بما يرضى جميع الناس ، فوصفه بأنه جبار قهار، ورحيم لطيف، ومنتقم ورؤوف، إلى آخر الأسماء الحسنى حتى يرضى أمثال زنوج أفريقيا وبرابرة التبت الذين لا يعبدون الاله إلا إذا كان جباراً ، ولذلك يصورون آلهتهم كالفيلة بصور هائلة ذات عدة رؤوس وأيد وأرجل ، وليرضى أمثال اليونانيين الذين كانوا يتخيلون آلهة متعددة للرحمة والجمال والتناسق والقوة والحب والحرب وغيرها .

وكأن الاسلام يقول لهؤلاء وهؤلاء : ربكم واحد فيه جميع ما تتصورون جميعاً من الصفات الحسنى ، فالتقوا جميعاً فى رحابه بعبادة واحدة وأسلموا وجوهكم وقلوبكم إليه . « ولله المشرقُ

والمغربُ فأينما تولُّوا فثمَّ وجهُ الله إنَّ الله واسعٌ عليمٌ » « وهو الذى فى السماء إلـه وفى الأرض إلـه » « هو الله الذى لا إلـه إلا هو الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبرُ. سبحانَ الله عمَّا يشركون، هو اللهُ الخالقُ البارىء المصوِّر. له الأسماء الحسنى »

ولذلك حينما وصف الاسلام لنيتشه أوشوبنهاور — لاأذكر — قال لمحدثه « إذا كان الاسلام كما وصفت فنحن كلنا مسلمون ! » مع أنه كان ملحدا منكرا لعقيدة الجماهير

ولبساطة العقيدة الاسلامية ووضوحها وقوتها وتمشيها مع الفطرة لم يجد الالحاد طريقا إلى الدين اشتغلوا قديما بالفلسفة والعلم من المسلمين ؛ لأنهم كانوا مزودين بتلك الصور الواضحة البسيطة من قضايا الدين . وكانت الفروض التى قرأوها فى الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية فروضا ناقصة أو معقدة أومختلة لا تنهض أمام ذلك اليقين الفطرى الذى يستطيع الفلاح والفيلسوف أن يفهماه ويعتقداه بكل راحة وطمأنينة فى الاسلام

وعلى العكس عند غير المسلمين ، فقد كان كل فيلسوف لا بد أن يكون « هرطيقا » ولذلك كان كل من يدرس الفلسفة مطاردا من السلطة الدينية لأنهـا تعلم أن العقيدة الموروثة ستهزم أمام التفكير؛ ولما خابت المطاردة ، نظرا إلى نزوع الناس وتطور الزمان وهجوم العلوم ، زعموا أن الدين قلبى وجدانى فقط لا أثر فيه للتفكير ، وإنمـا يستند إلى ذلك الشعور ، ليقولوا بعد ذلك إن الانسان يستطيع أن يجمع بين متناقضين أحدهما يسكن فكره والآخر يسكن قلبه ! مع أن أساس الدين قائم على التفكير وإلا ما ألزمت حجة الله أحداً من خلقه مادام فكره لم يعقل ولم يفهم وهو منصف، بل مادام فكره ينقض ما يأتى به الدين فى بعض الأحيان

ومن المؤسف أن المسلمين ورثوا هذه الفكرة الباطلة مؤخرا من أرباب الأديان الأخرى ، مع أن الاسلام قائم على التفكير ، وحجته العقل ، ومعجزته عقلية دائمة تسير مع رشد الانسان وتقول له « لاتقفُ ماليس لك به علم » « والذين إذا ذُكروا بآيات ربهم لم يخرُّوا عليها صمًّا وعُمياناً ! »

وآفة الاسلام هى جهل أكثر المسلمين بأصوله وتفاصيله ، واتباعهم القضايا التى لم تمحص وتنطبق على بيئتهم وما فيهـا ، وتسليمهم بالنظريات الغربية كما يسلمون بالمسائل العلمية المادية

وأحسب أن أكثر قادة الفكر والمصلحين الغربيين لو أتيح لهم أن يطلعوا على الاسلام الصحيح لتغيرت أحكامهم التى أرسلوها فى مسائل الخلاف بين الدين والعلم . ويكفى دليلا على ذلك مقال فلتير فى مارتن لوثر : « إنه لا يصلح أن يحل نعل محمد ... » مع أن فلتير لم ينصف محمدا للسيرة المشوهة التى لم يتهيأ له أن يعرف عن محمد سواها

ومن قرأ كتاب « الزنجية تبحث عن الله » لبرنارد شو يدرك أن « شو » ارتفع بمحمد والاسـلام إلى قمة الأنبياء والنبوة . وسيرة « جوته » تدل على أنه افتتن بالاسلام ، ولذلك شرع فى تعلم العربية وفى تأليف « رواية » عن محمد . وقد مدح أسلوب القرآن وطريقته ككتاب دين . وكلمة شوبنهاور أو نيتشه التى أشرنا إليهـا سابقا تدل على أن أى عقل متمرد قد يجد سلامه وطمأنينته فى الاسلام . ومقال كارليل عن رسول الاسلام لايغيب عن بال أحد

وهكذا وهكذا مما لامجال لذكره الآن ، ومما يبين قوة غزو الاسلام للعقول المتمردة والآراء الفلسفية ، وممـا لا يصح معه إدخاله مع غيره فى مسائل الخلاف بين العلم والدين

واعتقادى أن الاسلام هو الذى يستطيع وحده أن يحمى الايمان من أن تجرفه تيارات المادية والالحاد ، وهو الذى يستطيع أن يقره فى كل نفس كما هو فى الطبيعة البشرية بجانب « نزعة الاثبات » التى أنتجت العلم و « نزعة التأمل » التى أنتجت الفلسفة بحيث يعود الايمـان باعث فخار بين الناس كما كان وكما يفتخرون الآن بالعلم والفلسفة، لا كما يفضى بعضهم منه حياء إذا قيل عنه إنه مؤمن. وترجمة هذا القول عند الجهال بالعلم والدين معا : إنه مخرف.

وقد تراكمت عقد خفية فى نفوس إنسانية هذا العصر حول الدين لأن كثيراً من الذين ينتسبون إليه حملوا عليه ميراثا كبيرا من الخرافات ومن تضييق الواسع ومن غباوة بعض رجاله الذين لا يعرفون المهمة الأصلية فيه ، ومن تحويل التدين إلى نوع من الهستريا المنفعلة المغفلة عن حكمة الله فى اختلاف الانسانية فى الآراء والمعتقدات .

وكم هى كبيرة جناية الرموز والطقوس وثياب رجال الدين

وشاراتهم وسماتهم التى تميزوا بها من غيرهم ! إنها جناية تحويل الملكية العامة إلى احتكار . . . وجناية إقامة السدود والقيود على الطريق الواسع الذى يوصل كل شخص إلى الله .. وجناية تحديد أبواب معينة لا يحل لأحد أن يجتاز إليه من غيرها ، وجناية إقامة حراسة وخفارة عليها من فئة معينة ربيت تربية خاصة منفصلة عن تربية بقية الناس لا يدخل أحد إليه إلا باذنها ... وجناية تحديد بقع ضيقة من الأرض لايحل التعبد له إلا فيها ، بعد بخور وعطور وطبول وزمور . كأنهم يستحضرون عفريتا من الجن إلى حفلة زار ! »

وقد أطلق الاسلام الدين من كل هذا الذى ألصقه به الأطفال والمجسمة والمشبهة ، وجرد محيط العبادة من التماثيل ، والصور والرموز ، وجعل الأرض كلها مكان عبادة فأعاد إلى الطبيعة قيمتها كمحراب دائم للصلاة . وجعل روح الدين فى الشارع والسوق كروحه فى المسجد : ففى السوق والشارع عبادة عملية ، وفى المسجد عبادة نظرية هى موقف تصفية وجرد لشئون الحياة كلها !

ولم يجعل طبقة معينة تحتكر شئون الدين وتلبس زيا خاصا بها بل حتم على جميع معتنقيه أن يكونوا علماء به ما أمكنهم العلم ، ورأى لأئمته ألا يتزيوا بزى خاص بهم حتى لا يشعر الناس بانفصال حياة الدين عن حياة الدنيا .

ولو فهم الناس أن الدين فى الشارع والسوق أهم منه فى المعبد لتغير وجه الحياة وسير التاريخ ، ولحلت المشكلة التقليدية الموروثة الملعونة « الدين والدنيا »

***

من هنا يتبين لنا أن عبء المسلمين فادح وحسابهم عسير أمام الله والحق والبر بالانسانية، لأن إهمالهم إصلاح نفوسهم وتثقيفها وإعدادها بما فى الاسلام لأداء رسالته العالمية هو الذى يجر على الناس كل المشقات والمصائب والحيرة والضياع ، وهو الذى يخرج من حظيرة الايمان كل عقل غربي كبير بما يقرؤه من الفروض الفلسفية وبما يلمسه من وجوه الخلاف بين قضايا العلم وبعض نصوص دينه المتهافتة التى تدل أول نظرة صحيحة إليها أنها من غير النبع الالهى .

ومن الغريب المؤسف أن القائمين على الشيوعية أو الفوضوية مثلاً يجاهدون فى سبيلها جهاداً مستميتاً لينشروها ويجعلوها دين الناس ويحسبون أنفسهم أصحاب رسالة يجب أن تعم وتشمل الأرض جميعها ... بينما المسلمون الذين عندهم علاج كل نكبة فى العقل أو فى النفس أو فى المال يجهلون مهمتهم ولا يؤدون رسالتهم كما كان أجدادهم الأقدمون يؤدونها ويموتون فى سبيلها على ضفاف الكنج وأسوار الصين وشواطىء بحر الظلمات ، وهم معتقدون أنهم يؤدون إلى الناس أعظم خدمة وأكبر منة تطيب بها نفوسهم عن اقتحام ديارهم وثل عروشهم وهدم أصنامهم الحسية والمعنوية !

إن إنسانية الشرق والغرب لا تزال حائرة ترسل روادها وأرصادها « للبحث عن غد » يشرق عليها ضحاه وهى فى واحة الهدوء والطمأنينة . . . لا تزال « زنجية تبحث عن الله » ! والمسلمون الذين أسعدهم الله بمعرفته وبالطمأنينة والهدى لا يشعرون بتبعاتهم الثقيلة نحوها ، ولا يزالون يعيشون لأجسادهم وأنفسهم فقط ... بل إن الثقة بما عندهم قد ذهبت عنهم . وقاتل الله الجهل وحياة الفسولة !

(الرستمية) عبد المنعم خلاف

للتاريخ السياسي

جهود المستر تشمبرلين
وما أدت إليه
للدكتور يوسف هيكل

من الممراندوم الى مؤتمر مونيخ

ظنت الدوائر السياسية أن الأزمة الدولية قد انفرجت بقبول تشيكوسلوفاكيا مشروع لنــدن ، وهو عبارة عن تحقيق مطالب الهر هتلر . وغادر صباح ٢٢ سبتمبر (ايلول) المستر تشمبرلين لندن إلى ألمانيا مرتاح النفس مطمئنها . وقبل صعوده إلى الطائرة قال : « إن تسوية المشكلة التشيكوسلوفاكية تسوية سلمية تعد شرطاً أساسياً لتفاهم الشعبين الانكليزي والألماني . وقد كان هذا الشرط أيضاً أساساً ضرورياً للسلم الأوربي الذي ترمي إليه جهودنا ، وإني أرجو أن تفتح زيارتي الطريق التي تؤدي إليه »

وبعد ظهر يوم وصوله إلى « كودسبرغ » اجتمع بالمستشار الألمـاني ، وعرض عليه ما اتفقت عليه حكومتا لندن وباريس ، من التنازل عن الأقاليم السوديتية لألمانيا ، وتعيين حدود جديدة لتشيكوسلوفاكيا ، وضمانها ضد الاعتداء غير المحرض عليه

لم يعترض الهر هتلر على فكرة الضمان ، غير أنه أبان أنه لا يضمن الحــدود الجديدة إلا إذا كانت الدول الأخرى ، ومن بينها إيطاليا ، ضامنة لها أيضاً ؛ وأنه لا يشترك في الضمان الدولي لتشيكوسلوفاكيا إلا بعد أن تنال الأقليات الأخرى فيها مطالبها . أما الاقتراحات الثانية التي وضعها له المستر تشمبرلين ، فلم يقبلها الهر هتلر ، بحجة أنها لا تحقق حلاً سريعاً ، وتعطي فرصاً عديدة للتشيك للتهرب منها . وقد أصر على ضرورة حل سريع للمشكلة التشيكوسلوفاكية ، وأخــذ يوضح للمستر تشمبرلين نوع هذا الحل الذي وضعه فيما بعد بمذكرة (ممراندوم)

كم كانت دهشة المستر تشمبرلين عظيمة عند ما وجد نفسه في وضعية لم تكن منتظرة قط . إنه كان يعتقد اعتقاد اليقين ، أن ما عليــه عند ما يذهب إلى كودسبرغ إلا أن يبحث مع الهر هتلر الاقتراحات التي قدمها إليه ، بحثاً هادئاً يؤدي إلى الاتفاق السريع عليها . لأن الهر هتلر أعلم المستر تشمبرلين في برختسكادن أنه إذا قبل مبدأ حق تقرير المصير ، فانه مستعد ليبحث معه الطرق والوسائل لتنفيذها . ولما قبل المستر تشمبرلين هذا المبدأ ، وقدم مشروع لندن المبني عليه ، رفضها الهر هتلر رفضاً باتاً حين ابتداء المحادثات . كان ذلك صدمة عنيفة للمستر تشمبرلين ، وخيبة لآماله التي كان يملل النفس بها . ولـكي يهون عليه الهر هتلر ذلك ، ويجد لموقفه المناقض مع قوله عذراً ، قال لرئيس وزارة انجلترا إنه لم يخطر على باله أنه (أي المســتر تشمبرلين) يتمكن من العودة إلى ألمانيا حاملا قبول مبدأ حق تقرير المصير

كانت الصدمة عنيفة حتى أن المستر تشمبرلين شعر أنه في حاجة إلى الوقت ليفكر فيما يجب عليه عمله ، فانسحب ، وقبل انسحابه طلب من الهر هتلر أن يبيد له التأكيد بعدم الزحف على تشيكوسلوفاكيا أثناء المحادثات ، فأكد له الهر هتلر ذلك

وكان موعد متابعة المحادثات الساعة الحادية عشرة والنصف من اليوم التالي ؛ وكان المستر تشمبرلين يتأكد من أن الهر هتلر لم يفهم حق الفهم ما كان يقول له عن طريق الترجم ، لهذا فكر أن من الحكمة أن يرسل إليه قبل الشروع في المحادثات ، ملاحظاته كتابة على مطالب الهر هتلر الجديدة . ومما قال في ملاحظاته أنه سيرسل المطالب إلى الحكومة التشيكوسلافية ، وأبان الصعوبات المظيمة التي تحول دون قبولها . ولما تسلم المستشار الكتاب ، أظهر رغبته في الجواب عليه كتابة . ولذلك ألغي الاجتماع لمتابعة المحادثات وأرسل الجواب بعد الظهر .

ظن المستر تشمبرلين أن التأخــير في إرسال الجواب ناجم عن إجراء بعض تعديلات في مطالب الهر هتلر . وعندما تسلم الكتاب خاب ظنه ، إذ وجده يحتوي على توضيحات للمطالب ولا يعدل فيها شيئا . فطلب المستر تشمبرلن نص المطالب ، وصورة من الخريطة المرفقة بها ، لارسالها إلى براغ ، وعزم على العودة إلى لندن . فقدم إليه ذلك خلال اجتماعه بالهر هتلر الذي ابتدأ الساعة العاشرة والنصف من مساء ٢٣ سبتمبر (إيلول) واستمر حتى الصباح الباكر .

وقبل أن يودع المستر تشمبرلن الهر هتلر ، قال له زعيم ألمانيا إن بلاد السوديت آخر الأراضي التي يطمع فيها بأوربا ، وإنه لا يرغب في أن يضم إلى الريخ شعوبا غير ألمانية . وقال أيضاً إنه

رغب فى أن يكون صديقاً لانكلترا . ثم أردف قائلاً : صحيح أن هناك مسألة المستعمرات ، ولكنها لا تولد حرباً ، ولا تنتج تعبئة عامة

عاد المستر تشمبرلن إلى لندن فى ٢٤ سبتمبر (إيلول) ، حاملا مذكرة الهر هتلر بدلا من الموافقة على اقتراحات لندن . وهذه المذكرة تحتوى على النقاط التالية :

١ — سحب جميع القوى التشيكية من جند وشرطة وبوليس جمارك وحراس حدود من القاطعات التشيكوسلوفاكية المعينة فى الخريطة المرفقة ، والتى يجب أن تسلم إلى ألمانيا فى ١ أكتوبر وتحتل الجيوش الألمانية هذه القاطعات دون اعتبار وجود الأكثرية التشيكية فى بعض أجزاء هذه الأقاليم . وتسليم هذه الأقاليم يكون بحالتها الراهنة، أي من غير تخريب وإتلاف أي شيء من الأملاك والأموال ، حتى إنه لا يجوز سحب المواد الغذائية والبضائع ، والحيوانات ، والمواد الخام .

٢ — إجراء استفتاء فى القاطعات التى فيما وراء القاطعات التى ستحتل ، والمبينة فى الخريطة ، قبل ٢٥ نوفمبر تحت إشراف لجنة دولية . ويحق الانتخاب للأشخاص الذين كانوا يقطنون هذه القاطعات فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٣٨ ، وكذلك للأشخاص الذين ولدوا .

٣ — تعيين لجنة ألمانية تشيكية ، ولجنة دولية ، للحدود الجديدة الناجمة عن الاستفتاء ...

٤ — تشكيل لجنة ألمانية تشكية لتسوية التفاصيل الأخرى. وعلى الحكومة التشكية أن تسرح حالاً جميع الألمان السوديت الذين يخدمون فى الجيش والبوليس ، وأن تخلى جميع المسجونين من السياسيين الألمانيين .

أرسل المستر تشمبرلن المذكرة إلى حكومة براغ لدى وصوله لندن فى ٢٤ اكتوبر فوصلها مساء ذلك اليوم . وفى اليوم التالى تسلمت حكومة المستر تشمبرلن جواب حكومة الجنرال سيروفي ، الذى أكدت فيه أن مطالب المر هتلر ، بصفتها الحالية ، غير مقبولة بلا قيد ولا شرط ، لأسباب ذكرتها ، ومنها أن هذا المرانذوم يحرم تشيكوسلوفاكيا ، من بلادها الصناعية ، ومن تحصيناتها ، ومن أموالها المنقولة ، من قطارات وعربات ، بل يحرم المزارعين الذين يريدون الرحيل عن وطنهم من أخذ مواشيهم وحيواناتهم وهو يدخل ٨٣٦٠٠٠ تشيكى تحت السيادة الألمانية . أما القاطعات التى تريد ألمانيا إجراء الاستفتاء فيها فتحتوى على ١٫١١٦٫٠٠٠ تشيكى و١٤٤٫٠٠٠ ألمانى ؛ وهو يقصى الدول الغربية ، (أي فرنسا وانكلترا) عن تصفية بقية المسائل ويضع تشيكوسلوفاكيا تحت رحمة ألمانيا . والمرانذوم لا يذكر شيئاً عن ضمان الحدود الجديدة

* * *

ذعر الرأي العام ، واضطربت الدوائر السياسية من ممرانذوم الهر هتلر . وأصبح الكل يعتقد أن الحرب واقعة لا محالة . وتواردت ألوف الرسائل على المستر تشمبرلين وعلى زوجته ، شكر مرسلوها فيها مساعيه للسلم، وأبدوا رغبتهم فى منع الحرب وأظهروا كرههم لها . وذهب المسيو دلاديه والمسيو بونيه مساء ٢٥ سبتمبر (إيلول) إلى لندن ، لتداول الأمر ، فوقفا فيها على جواب حكومة براغ . وفى اليوم التالى تابع ممثلو الحكومتين درس الموقف ، فأكد مسيو دلاديه لزملائه البريطانيين أنه إذا هوجمت تشيكوسلوفاكيا فان فرنسا تقوم بواجباتها نحوها . فأجاب المستر تشمبرلين ، أنه إذا كانت نتيجة هذه الواجبات اشتباك الجيوش الفرنسية مع القوى الألمانية ، فان الحكومة الانكليزية تشعر بأنها مجبرة على معاضدتها . وقد صدر فى اليوم نفسه بيانٌ بهذا المعنى . وفى ٢٦ سبتمبر (إيلول) أعلنت تشيكوسلوفاكيا التعبئة العامة ، واتخذت فرنسا إجراءات حربية واسعة ، وأمر وزير البحرية البريطانى ، دوف كوبر ، الأسطول بأن يكون على استعداد . فأصبح الرأى العام ينتظر انفجار قنبلة الحرب العامة من ساعة إلى أخرى .

(للمقال بقية)

يوسف هيكل

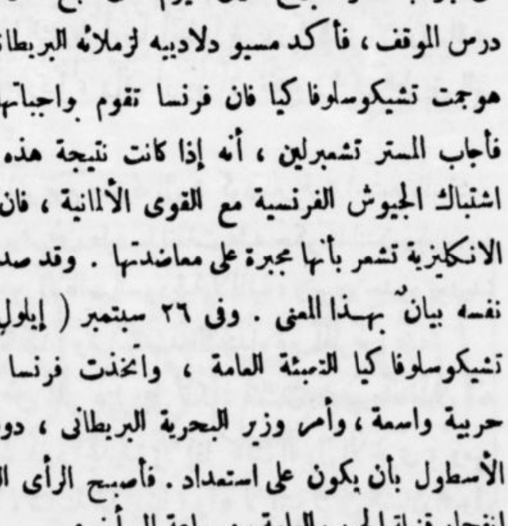

من رحلة الشتاء

فى مضارب شمر
البادية
للآنسة زينب الحكيم

إن للبادية طابعاً خاصاً ، فهى فى النهار غيرها فى الليل ، وهى فى شفشقة الفجر غيرها فى غلس المساء . فى الصباح الباكر تبدو الطبيعة هواؤها وماؤها ، نباتها وطيورها ، حيوانها وإنسانها متماسكاً قواه ، على أتم استعداد للنشاط والانتاج ، يبدو الزهد على كل شئ والتضحية بكل شئ ، ويظهر محيط موحد بضم هذه العناصر جميعها .

يبقى هذا المنظر لحظات سريعة المرور خطيرة الأثر . وتبكر الشمس فتمتد خيوطها الجميلة فتحيي الزهر ، وتنعش العشب ، وتنشط الهواء ، وتداعب الندى .

وتسرح القطعان ورعاتها للسعى والتنقيب ، فينكسر سكون الصباح ، وتسمع هنا مواء ، وهنا نباحاً ، وهناك صياحاً وغناء .

ويدور الأحياء دورتهم ، في شؤون الحياة العملية الصرفة ، صابرين على هجير البادية وقارس بردها ، وعلى جدبها وخصبها ، راضين بسكونها وثورتها .

ها هو ذا المساء يتقدم، وذكاء على وشك الغروب وراء الأفق، وكذلك تسرع القطعان ورعاتها إلى حظائرها، ويدور الفلك دورته العكسية الأبدية . يالله من أضداد الطبيعة ، وهى هى بعناصرها ومحتوياتها، سكون شامل رهيب ، يتلاشى فيه ثغاء الأغنام وهدير الابل ، ويرتفع فيه نباح الكلاب — ترهف فيه الأسماع وكل الحواس . قبة زرقاء صافية في الصباح الباكر ، يزينها الضوء الهادئ البديع، والضباب الخفيف والنسيم العليل ؛ وقبة زرقاء، قاتمة فى المساء ، تتلألأ فيها نجوم زاهرة ، وتتماوج نسائم بليلة حائرة ، وتشمل الكون بمن فيه رهبة قاهرة .

ليلة ؟؟

أذهب مسرعة إلى الخيمة التى أعدت لنومى وسط هـذه الطبيعة الغريبة ، والبادية البعيدة ، فيدخل معى الشيخ ليدلنى على نظامهم ، ومعه خادمان ، يحمل أحدهما مصباحاً ، والثانى طستاً وإبريقاً به ماء دافئ ؛ وأشكر الشيخ على شـدة عنايته باستكمال وسائل راحتى ، فيقول: عمى مساء، وينصرف فى رداء العربى الشريف ، ونظرة البدوى الشجاع .

ويحملق العبد فى وجهى يسألنى إذا كنت أريد شيئاً قبل أن ينصرف فأشكره وآمره أن يترك المصباح عندى على المنضدة . وسألته إذا كان لديه شمعة وعلبة ثقاب . فناولنى علبة الثقاب أما الشمعة فلا توجد . وضعت الكبريت على الكرسى القريب من السرير ؛ وقلت للعبد: من فضلك اخرج وأقفل باب الخيمة. فبدأ يضع الحبل فى الثقوب المعدة لذلك بشكل فنى ، وكنت واقفة أرقب ما يعمل (وهنا تذكرت خيام الكشافة ، وكل ما تعلمته من حركاتها النافعة ، وأوصى كل فتاة وكل فتى أن يندمج فى سلكها وقتاً ما ، فإنها للحياة العملية وحياة السياحة والمخاطرات من الدرجة الأولى فى الأهمية) .

مجلس العرب البدو في الجزيرة — (قبائل شمر) وبينهم بعض الزوار

أوشك العبد أن يتم عمله ، ولم يبق إلا ثقبان بدون توثيق ، فنظر إلىّ من بين طرفى الباب والخيمة ، بحيث لم يظهر منه إلا وجهه الأسود ، بأنفه الكبير المفرطح ، وعينيه اللامعتين المخيفتين ، وشاربه الطويل الغزير ، وظهرت أسنانه الكبيرة البيضاء ولسانه الأحمر العريض عند ما قال : عمى مساء سيدتي . قلت: عم مساء وأشكرك. وفى سرى قلت: (أبغض منظرك المخيف الماثل فى هذه الظلمة الحالكة ، والسكون الرهيب)

وأردت أن أستوثق من أن جوانب الخيمة محبوكة ، فاطمئن إلى أن كانتا ما لا يمكنه دخولها ، فجلست القرفصاء أختبر ذلك . وما كان أشد جزعى ، وأبعد تخيلى عما توهمت ! لقـد وجدت طرف الخيمة يصل إلى حافة السجاد المغطى أرض الخيمة فحسب ، والهواء البارد يمر من جميع نواحيها ، ويستطيع

أي حيوان أليف أومتوحش ، الدخول بلا أدنى عائق . فاستولى على جزع لم أعهده فى حياتى ، وعبثا أحاول إقناع نفسى بالتذرع بالشجاعة ، أوباستعادة الماضى . فكم من ليال نمتها فى أشباه هذه الخيمة فى انجلترا ، فى أجواء أردأ وأشد صقيعاً ومطرا بل وثلجا .

وإن تمح من ذاكرتى أهم الحوادث الغريبة ، التى حدثت لى فى بعض هذه المخاطرات ، فلن تمحى الحادثة الآتية التى حدثت لى مرة ونحن نخيم فى البرية فى جهة من جهات انجلترا :

اتخذنا مخيمنا وسط أرض جيـدة ، توسمنا أنها خير ما ظهر لناظرنا صالحا لهذا الغرض . وكنا بعيدين جداً عن السكان ، وكنا كانا طالبات فتيات ، متخذات من شبابنا قوة على أعمال الكشف والتقشف . وبعد جهاد يوم شاق من الصباح الباكر إلى المساء المتأخر ، أخذنا عدتنا للنوم ، فدخلت كل منا فى كيس نومها الذى يغطي جميع أجزاء جسمها ، وتربط طرفه الأعلى حول عنقها ، فلا يكون غير الوجه ظاهرا ، ويغطى بغطاء خفيف يمنع الحشرات ويسمح للتنفس .

على بركة الله افترشنا الأرض والتحفنا الخيمة ؛ وما كدت أسلم جفنى للكرى حتى شعرت بحركة غريبة تحت جنبى ، فقلت لعلنى أنام على جنبي الأيسر ، مما سبب للقلب قلقا ، فانقلبت على الجانب الأيمن ، ولكن الحركة استمرت ، بل زادت شدة ، فجمد الدم فى عروقي ، وهدأت حركتى قسرا ، إذ تصورت أن عفريتا تحت الأرض ، كأنما يقصد أن يشق بطن الأرض فيخرج منها ، ويتخذ جسمى بديلا. وخطرت ببالى جميع خرافات الجن والشياطين والأرواح، وعقد الخوف لساني، فلم أستطع الاستغاثة بصديقاتي ، ولا أملك تحريك أطرافى فأدفع عن نفسى ذلك العفريت الأرضى .

ولما اشتدت حركات العفريت وعنفت صرخت مستغيثة كمن أصابه مس مؤكد . فهرعت إلىّ الطالبات ، يستفسرن الخبر فأخبرتهن ، فقالت واحدة : أسرعى «درثى» أحضرى الكيس، وصاحت أخرى: «نللى» أحضري حبلا ، وأسرعت ثالثة ورابعة بأيديهما سكين ومسدس ، وتصورت أن الجنى قد أتت ساعته ، وحان حينه ، وأنى كنت على حق فيما أحسست ، وحمدت الله على أنى لم أكن مدعية ، وبدأت أنشط مع الجماعة لأنتقم لنفسى من ذلك الشرير الذى طالما اختفى ، وها قد حان الوقت لرؤيته وكشف سر العفاريت كلها بعد كشف حاله .

وضعت الفتيات الكيس مقلوبا على المكان الذى تصورنا أن العفريت سيخرج منه ، بحيث انسجمت فتحة الكيس على الموضع تماما ، واجتمعت الأيدى على تثبيتها بحيث لا يستطيع فكاكا .

وتوجهت همة الفتيات كلها إلى القبض عليه فى الكيس حتما .

وأخيرا وبعد جهد شاق ، قفزت عفاريت ثلاثة من باطن الأرض إلى داخل الكيس المتين ، ثم انتهت الحركة فى باطن الأرض ، فقبضت الطالبات على فتحته ، وبدأن يذبحن الشياطين الكفرة ! قاتل الله الأرانب البرية ! لقد كان شكلها جميلا وطعمها لذيذا ، ولكن فعلتها كانت شنيعة بالنسبة لى وحدي ، لأنه لم تكن لى هذه التجربة من قبل، مثل باقى زميلاتى ، اللاتى اعتبرن حدوثها لى حسن حظ وتوفيق أنى للجماعة الكشفية ، عن طريق الساحرة المصرية ، التى تعرف سر الكشف عن الكنوز فى زعمهن .

هذه هى قصة الحادثة الغريبة التى سبق أن حدثت لى ، وكان يجب أن أكون أكثر شجاعة مما كنت تلك الليلة فى مضارب شمر . ولكن ليذكر القارىء أن شعور الأمان والنظام الذى يحسه الانسان فى بلاد الانجليز ، غير الشعور الذى يحسه فى أى بلد آخر . فما بالنا بما يشعر الانسان به بين أشد القبائل البدوية مراسا وقوة ! إن تلك الحادثة على فظاعتها وما سببته لى من رعب لم تكن أشد تأثيرا فى نفسى من تلك الليلة فى خيمة البادية .

لم أذق للنوم طعما طول تلك الليلة ، لاخوفا من البدو والعرب أنفسهم ، ولا من عبيد الشيخ كما توهمت ، بل بالتحليل النفسى الذى شغلت نفسى به ، توصلت إلى التعليـل الآتى ، وأظنه معقولا تماما :

١ — كان الطريق وعرا جدا وطويلا متعبا إلى أقصى حد احتملته ، فضعفت عندى قوة المقاومة والتعليل الوقتى المتزن .

٢ — هذا بالاضافة إلى حياة مباينة كل التباين لما سبق أن اعتدته زمنا طويلا من النوم داخل مبان ، مما جعلنى أشعر أنى أنام فى العراء ، وسبب هذا لى وحشة شديدة لم تتحملها أعصابى وجسمى المتعبان ، فحدث لى الأرق والرعب .

ومع كل هـذا أشهد أنى قمت فى الصباح ، تاركة فراشى على أحسن ما يمكن من الصحة والنشاط ، كما لو كنت نمت الليل كله ملء جفنى ، فإن الهواء هناك صحى منعش ، وبذلك قد عوضنى بدل

النوم ، ولعل هـذا سبب ثالث لعدم نومى ، ولعله من الأسباب المهمة أيضا فى قوة بنية البدو أنفسهم .

الحياة الاجتماعية عند البدو «قبائل شمر»

لهم مجالس محادثات فى الأمور الماشية ، ثم لهم مجالس الشعر والرواية . وتستعمل الربابة قليلا ، والموسيقى كانت من أهم الأشياء التى افتقدتها فى العراق وكردستان ، وفى الجزيرة .

أما الراديو ، فيعوض الآن جانبا كبيرا من هـذا النقص ، و(يتونس) به البدو،على حد تعبيرهم بدرجة محسة كلما أداره الشيخ

وألعابهم كثيرة منها نوع يشبه الهوكى ، ومطاردات الخيل (الفروسية) أما المبارزة فانقرضت الآن .

يلعبون ألعاب الورق (الكوتشينة) قليلا للتسلية فقط .

أما فى أيام رمضان فيلعبون (الورسان) Warsan وهو نوع من أزلام الميسر ؛ ويلعبون الضامة .

شخصية الشيخ عجيل الياور

لا يمكن وصفها أو تصويرها تماما لعظمتها ، ويكفى أن يقال فيه : إنه خبير وداهية البادية ، ولو أنه أمى ، إلا أنه يبز كثيرين جدا من المتعلمين .

ابن الشيخ صفوك الياور :

ثقافته حديثة ، فقد درس فى الكلية الأمريكية ببيروت ، ثم عاد إلى البادية لمساعدة والده فى سياسة العشائر .

وسياسة رؤساء العشائر عربية كانت أو كردية ، فى تربية أبنائهم ، هى أن يعلموهم الآن فى المعاهد الحديثة لينوروهم ، ويقووا عقلياتهم ، لا على أن يهجروا البادية ، بل ليزدادوا حبًّا لها ، وعناية بمصالح البدو . وهم لذلك يحرصون الحرص كله على إبعاد كل فكرة من شأنها إفساد أبنائهم عليهم أو تنفيرهم من الحياة التى شب آباؤهم وأجدادهم عليها .

وأهم الصعوبات فى سياسة العشائر هى المخاصمات بينهم ، ثم الذود عن مصالحهم عند الحكومة ، لأنهم جهلة ، لا يستطيعون قضاء مصالحهم ، أو حل مشكلاتهم بأنفسهم لقلة خبرتهم . والذى يقوم بأداء هذا كله الشيخ وابنه .

معلومات عن قبائل شمر وعددها

وهى مستقاة من ابن شيخ المشايخ :

قبائل شمر مكونة من مجموع قبائل : (١) زوبع (٢) السناعيس (٣) أهل الحية (٤) أولاد على .

وكل ما يعلم عن قبائل شمر أنهـا متنوعة ومتفرقة جداً ، ولا يكاد المرء يحيط بها لكثرتها . والقبائل المذكورة اختلطت فروعها بعضها ببعض .

نبذة عن قبائل شمر – من الملاحظ الخاص

تنقسم قبائل شمر إلى قسمين ، قسم منها يقطن جنوبى العراق ويسمى « شمر الطوقة » وقد صاروا من القبائل المتحضرة .

ويسمى القسم الآخر « شمر الجربة » وهو يتألف من القبائل الساكنة فى شمالى العراق فى الجزيرة بين دجلة والفرات . وقد هاجرت هذه القبائل من جبل حائل فى منتصف القرن السابع عشر .

أما الأرض التى تقطنها شمر الجربة فى الجزيرة ، فتمتد من شرقى دير الزور شمالاً إلى هور «عقرقوف» جنوباً ، ومن الفرات غرباً إلى الموصل شرقاً ، وتراها قد احتفظت بالبقعة الخصبة الواقعة فى شمال شرق الخابور ، ولا سيما حوض وادى جنجغ الفياض .

وتعيش شمر على حالة البداوة ، وتسكن بيوت الشعر ، وتنزل أحياناً ، بين شهرى أبريل ومايو فى شمال جبل سنجار ، وتنتشر إلى جوار نصيبين ووادى السويدية .

أما فى الأشهر الأخرى فتنزح إلى الجنوب ، وتتحول فى المنطقة الواقعة فى جنوبى جبل سنجار .

وهى من أقوى العشائر مشاجرة ، ولا تزال فى خصام مستمر مع قبائل دليم وبقارة ، وعشائر على الكردية .

والعداء القديم متمكن بينها وبين قبائل عنزة ، وهذه تملك أحسن الجياد وأكثر الجمال . ويبلغ عدد نفوس قبائل شمر من ٥٠ إلى ٦٥ ألف نفس .

زينب الحكيم

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة المستر كومبتون ما كينزى

للأستاذ أحمد فتحى

من المحقق أننى قد تبيّنت ميولى الأدبية وأنا لا أزال فى دراستى الجامعية ، إذ كنت أصدر مجلة خاصة فى أكسفورد كانت تظهر لى فيها بعض الأشعار ، كما أننى كتبت فى عام ١٩٠٠ أقصوصة صغيرة تافهة ، ثم أتبعتها بأخرى بعد عامين . وكان أهلى على قلة تفاؤلهم يتوقعون لى شيئا من الحظ في احتراف الأدب ، وتجلى ذلك فى أن أبى قد اتفق معى على أن يظل خمسة أعوام يوظف لى مائة وخمسين جنيهاً فى السنة . غير أن الاتفاق أوشك أن ينقض حين أقدمت على الزواج ؛ فرأى أبى أن هذا الزواج أمر خارج على حدود الاتفاق . ولكننى عالجت الموضوع من ناحية أخرى ، إذ جهدت غاية الجهد حتى كتبت مسرحية كاملة فى أسبوعين فقط سميتها « ذو الرداء الداكن » وقدمتها إلى أبى وقام باخراجها على المسرح الملكى فى « إدنبره » فى فبراير ١٩٠٧ واحتجزها مدى خمسة أعوام أكبر الظن أنها مثلت خلالها مرات ومرات . وبعد ذلك انصرفت إلى الريف حيث دفعت إلى المطبعة بمجموعة من شعرى قام بنشرها « بلا كويل » . وفى خريف ذلك العام مضيت إلى حيث أقضى الشتاء عند صديق قديم كان حينذاك قسًّا فى « كورنوول » ، آملاً أن أوفق فى وضع مسرحيات جديدة ...

ولعل سرورى بظهور هـذه المجموعة الشعرية قد ترك أثره فى نفسى ، إذ فضلت الاشتغال بوضع الكتب على كتابة القصص للمسرح . ويخيل إلي أن الكتاب المبتدئين يؤثرون مشاهدة قصصهم تمثل وراء ستار المسرح على أن يظلوا يقلبون صفحات كتبهم بعد طبعها ؛ بيد أنى آثرت تأليف الكتب على أى حال . ولعل مبعث ذلك إنما هو عدم رضاى عن قيام الممثلين بأدوارهم ، إذ كنت شديد الثقة بأننى أستطيع أن أقوم بتمثيل الأدوار خيراً مما يصنعون جيماً ! والعجيب أن هذا الاعتقاد نفسه قد عزف بى عن احتراف التمثيل ! والحق أننى كنت أضيق بطريقة أداء الممثلين لأدوارهم ، فقد كنت أتبين أن الشخصيات التى وضعتها فى مسرحيتى لم تكن تخرج على المسرح ولها الخواص والميزات التى كنت حريصاً عليها حين وضعت أشخاص مسرحيتى قبل التمثيل .

واتفق بعد ذلك أن نضجت فى ذهنى فكرة قصتى الأولى « الزواج السري » . وظلت صورة بطلتها تتمثل لى مع كل صباح ؛ حتى كان نوفمبر سنة ١٩٠٧ ، إذ جلست إلى منضدتى أسجل بقلم الرصاص فصول هذه القصة التى تولى نشرها « مارتن سيكر » فى صيف عام ١٩١٠

***

مضيت في كتابة هذه القصة ببطء شديد . ولم تكن لى مرانة قصصية تذكر ، غير أنى مضيت فى تسجيل فصولها على غرار الأساليب المعروفة فى القرن الثامن عشر ، وكذلك كانت هـذه الفصول تدور حول حياة أشخاص عاشوا في ذلك القرن نفسه . وإنى لأذكر أننى فرغت من كتابتها فى عام ١٩٠٩ ، ثم آثرت أن أبعث بها إلى صديقى « جون موراى » الذي كانت لأبيه دار للنشر . على أنى كنت ضعيف الأمل فى أنه مستطيع أن يحمل والده على قبول نشر قصتى . ولم ألبث بعد إرسالها إليه سوى أسبوعين ، كتب إلىّ بعدهما يقول إن ممن يقرأون لهم اثنين نصحا لهم بعدم نشر هذه القصة ، وإنه لا يستطيع أن يصنع من أجلى شيئاً ! ! وقد عجبت لذلك كثيراً ...

وبعد ذلك تلقى أبى من صديقه « هنرى جيمس » كتاباً يقول فيه إنه بعث بقصتى إلى الناشر الأشهر « هاينمان » وطلب إليه أن يعيرها عناية خاصة . وقد كان أبى حينذاك ينظر إلى كتابتى القصصية على أنها ليست فقط مضيعة لوقتى ، بل هى فوق ذلك مضيعة لنقوده أيضاً !

كان « هنرى جيمس » رجلا طيب القلب إلى أبعد حد . غير أنه لم يكن ذا ولع بأن يقرأ قصة من طراز القرن الثامن عشر ؛ وقد بدا ذلك جلياً فى خطابه ذاك . وإنى لأقرر فى هذا الصدد أننى أستطيع أن أعد على أصابع اليد الواحدة أولئك الناشرين الذين

يحكمون على ما ينشرونه بمحض آرائهم الخاصة . ولعل ذلك من أشنع العيوب التى يمكن اجتلاؤها فى ميدان النشر

وأكبر الظن أن القصة لم تصل إلى يدى «هانيان» إذ بعث بها «هنرى جيمس» إليه . فقد عاد بها البريد إلىّ بعد ثلاثة أيام مع أن «هانيان» كان وقتها مسافراً فى مكان بعيد ، كما علمت بعد ذلك . وقد أرسلت بها مرة أخرى إلى ناشر آخر لم يوافق على طبعها إلا إذا قمت بنفقات الطباعة ! فقصدت إلى ناشر غيره رفض أيضاً ، ثم إلى ناشر ثالث حجزها بضعة شهور قبل أن يرفضها هو أيضا . وهكذا تعدد عرضى إياها على الناشرين ، كما تعدد إصرارهم على الرفض . وكان أبسط نتائج هذه الحالة أننى يئست من مستقبلى ككاتب قصصى ، فعدت أحاول أن أعالج المسرحية من جديد ، فكتبت قصة تمثيلية جديدة وقدمتها إلى والدى ولكنه رفض إخراجها ! فعزف بى ذلك عن كل رغبة فى احتراف القلم ؛ وبدا لى أن من الأوفق أن أجرب حظى فى الاشتغال بتربية الأزهار واستنباتها ، وقد أصبت فى هذا العمل حظاً من التوفيق فأصررت على ألا أخط بقلمى حرفاً واحداً من قصة جديدة ؛ إلا إذا طبعت قصتى الأولى «الزواج السرى» ورأيتها منشورة فى كتاب يجثم على مائدتى !!.

وحدث بعد ذلك أن أنذرنى أبى بأنه قد بر بوعده وأمضى خمس سنين وهو يعطينى مائة وخمسين جنيهاً فى العام — غير أنه لا ينوى استئناف تأدية هذا المال معاونة لى على استنبات الأزهار أو كتابة القصص ! وهكذا وجدتنى مرغماً على احتراف التمثيل مثله . وكان هو فى ذلك الحين قد أرصد قدراً من المال لإخراج مسرحية جديدة للكاتب العظيم «هول كين» فى سنة ١٩١٠ وكان فى هذه المسرحية الجديدة دور يلائمنى ، ولم تكن أمامى عقبة سوى موافقة المؤلف «هول كين» نفسه لأقوم بأداء هذا الدور فى نظير أجر أسبوعى قدره عشرة جنيهات

وأخرجت المسرحية ، ولعبت دورى فيها ؛ وظللنا نخرجها أسبوعاً واحداً . غير أنها جلبت علىّ بعض الحظ . فان بعض أصدقائى الفنانين قد أخبرنى بأن الموسيقى «بليسيه» كان يبحث عن شاعر يضع لفرقته بعض الأناشيد ، غير أنى لم ألبث أن مرضت بالتهاب فى الحلق ، ولكن مرضى لم يحل دون قيامى بنظم ما يريده من شعر غنائى ومن حوار موسيقى . وهكذا وجدت لدى الرجل عملاً موافقاً لمدة عام واحد كتبت خلاله قصتى الثانية الشهيرة «كارنيفال»

وفى تلك الأثناء أخبرنى بعض الأصدقاء بأن «مارتن سيكر» يلح فى طلب قصتى الأولى «الزواج السرى» ، التى كان قد قرأها قبل أن يحترف النشر وأنه يحب أن يجعلها أحد كتابين يريد أن يبدأ بطبعهما حياته العملية كناشر . فتواعدنا على اللقاء فى مشرب للشاى . وفى هذا اللقاء اتفقنا على كل ما يعنينى ويعنيه من أمر النشر ، بعد أن غيرت اسم القصة فصار «الزواج السرى» بعد أن كان اسمها إلى ذلك الحين «موارد الدينار» ، وقد سر المستر «سيكر» بهذا التغيير أيما سرور

كنت أختلس الفراغ بين مشاغلى لأقوم بمراجعة «بروفات» الكتاب حال طبعه ، إذ كنت أعمل مع الموسيقى «بليسيه» كما قدمت ، ولم يكن عملى معه يقتصر على تأليف الأغانى بل كان يتعداه إلى كثير من المهام الفنية المتصلة بطبيعة عمله . بل إنى لم أكن أفرغ لمراجعة هذه «البروفات» إلا وقد نال منى الجهد وكدت أسقط من الإعياء ، وقد سبب ذلك وقوع كثير من الأخطاء المطبعية المضحكة فى الطبعة الأولى من الكتاب .

ولم يكن الناس يعتبرون «يناير» من شهور موسم النشر ، ولكن بدا لى أن ظهور كتاب جديد لمؤلف مغمور فى مثل هذا الوقت الخارج عن موسم النشر قد يكون تنبيها خاصاً إلى ظهوره . وقد أسفرت التجربة عن صحة حدسى . وكانت الصحف كريمة فى استقبال كتابى غاية الكرم . وأفاد الكتاب من هذا كثيراً ، إذ بيع منه خمسة آلاف نسخة قيمة كل منها ستة شلنات ، وكان هذا العدد يعتبر ضخماً فى ذلك العهد .

وينبغى أن أذكر هنا أننى أشرت على الناشر بأن يبذل غاية الجهد فى سبيل الاعلان عن الكتاب فى كل مكان . وقد أثر الاعلان كما كنت أرجو ، إذ استلفت أنظار القراء إلى كتابى الأول .

كومبتون ماكنزى

مـــدام كورى

للدكتور محمد محمود غالى

مدام كورى مكتشفة الراديوم التى ارتفعت إلى مقام نيوتن ودريكات وباستور ، أستاذة السوربون وحائزة جائزة نوبل للطبيعة سنة ١٩٠٣ وجائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩١١

إن الذين يعجبون فى قرارة نفوسهم إعجاباً علمياً بالراديو والتليفزيون وغيرهما ويشعرون بالدور الذى ينبغى أن تلعبه مصر والبلاد الشرقية لاستكمال الانتصارات العلمية لتقدم الانسان يهتمون ولا شك بمعرفة أخبار المعامل العلمية ، فتلك الهياكل المقدسة كما يسميها باستور ، هى التى يجب أن نحميها أكثر من حمايتنا لأنفسنا ، إذ فيها تنمو الانسانية وتقوى ويزدهر التنسيق العالمى ، بينما الانسان فى خارجها ينساق أحياناً لأعمال بربرية وتحمس أحمق لتحطيم نفسه وتحطيم البشر

وإنه ليحلو لى فى هذه الأيام التى يهتم العالم فيها بالتسلح والتسابق للتهلكة ، فى هذا العهد الذى يقف فيه كل عمل إيجابي لننساق إلى ما هو سلبي ، يحلو لى أن أحدث القراء فى أحب سير المعامل العلمية ، فأحدثكم عن مدام كيرى واكتشافها للراديوم : قصة وإن لم تكن قصة اليوم ، وعمل وإن لم يكن وليد هذه الساعة ، إلا أنها ليست بالقصة التى ننساها مع الزمن ، ولا بالعمل العادى الذي يمر ككل عمل

إن عمل كيرى للنجاح لا يقف عند حد ، فقد كنا أمام مادة جديدة فى طبيعتها وخواصها ، بل كنا أمام نشاط إشعاعى حرارى كهربائى ، بل كنا أمام تكوين جديد للهيليوم وتحول للعناصر وتغيير فجائى فى المادة ، فلا عنصر بالمعنى الذى كنا نفهمه ، ولا ذرة غير قابلة للتجزئة ، إذ فى كل ثانية تمر تطرد جسيمات الراديوم ملايين من ذرات الهيليوم بقوة كبيرة . على أن بقايا هذا الانفجار هى ذرات غازية تتحول هى أيضاً إلى جسم إشعاعى آخر ، ثم يتحول هذا من جديد ، وهكذا سلسلة من الأعضاء كل عضو فى أسرة سلالة آبائه الذين تحولوا إليه . فالبولونيوم من سلالة الراديوم ، والراديوم من سلالة الأورانيوم ، وهذه الأجسام التى تتكون فى كل لحظة تنعدم من جديد وفق قانون أزلى ، وهكذا فى المادة الصماء التى كنا نعتقد جمودها نجد عالماً حافلا بالمواليد والوفيات والحوادث والاصطدامات . فيه صورة للحياة وفيه طريق الموت

هذه الحقائق الأولى التى كانت نتيجة لاكتشاف الراديوم عظيمة إلى أقصى درجات العظم ، فهى تضم فلسفة جديدة وتفكيرا جديدا وعلما يختلف عن كل ما تقدمه ، ونتائج تقلب ما ألفناه ، حتى كان على الفلاسفة أن يبدأوا فلسفتهم من جديد ، وعلى الطبيعيين أن يعيدوا فى ضوء هذه الحقائق بناء العلم الحديث

ولا يمكن فى مقال واحد أن نستعرض الانقلاب الذى حدث من جراء اكتشاف الراديوم فى التفكير الطبيعى أو فى الناحية الرياضية أو الجيولوجية . لقد كان له فى هذه العلوم أثر كبير ، وكان له فى الناحية الطبية معجزة أخيرة فان الراديوم يلعب دوراً فى سعادة الانسان . وعلى حد تعبير أيف كيرى Eve Curie فى كتابها[1] عن والدتها : « قد تحالف الراديوم مع البشر ضد مرض خبيث هو السرطان »

وقد ذكرت فى المحاضرة التى ألقيتها فى كلية العلوم مساء الأربعاء ٣٠ نوفمبر بمناسبة الذكرى الأربعينية لاكتشاف النشاط الاشعاعى النتائج الأولى لاكتشاف الراديوم وهى المحاضرة التى بسطتها فى حديث فى نفس المساء من محطة الاذاعة اللاسلكية ، كما ذكرت فى المحاضرة التى ألقيتها فى يوم الأحد ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٨ فى كلية الطب وهى المحاضرة الرابعة فى أسبوع السرطان النتائج الأولى لفالكوف وجيزل اللذين بينا ما للراديوم من التأثير الفسيولوجى . كما ذكرت علاقة هذه النتائج بالابحاث التى قام بها بيير كيرى (Pierre Curie) الذى عرض ذراعه لفعل الراديوم ، وذكرت دراسته الخاصة بأثر الراديوم فى الحيوان واشتراك أطباء من أعلام الطب مثل بوشار (Bouchard) وبالتازار (Balthazard) اللذين اقتنعا من اللحظة الأولى فى « تيرابى » جديدة سموها كيرى تيرابى من اسم مدام كيرى ، كما نوهت بأعمال دولوس ودجريه وفيكام وغيرهم ، وهم الذين كانوا أسبق الأطباء إلى استعمال الراديوم بنجاح فى الأغراض الطبية »

وهكذا لم يصبح الراديوم موضوعاً خاصاً بالعلوم البحتة والعلوم

(١) مدام كيرى ، لأيف كيرى الطابع جاليمار باريس
Madame Curie par Eve Curie, Gallimarde — 43 rue de Beaune Paris

التجريبية فقط بل أصبح مادة لازمة ونافعة ، وهكذا لم ينشأ علم جديد فحسب بل نشأت صناعة جديدة أيضاً

ولنبدأ الآن فى سرد الوقائع التى أدت إلى اكتشاف الراديوم والنشاط الاشعاعى بعد أن اكتشف رنتجن أشعة X . عرض هنرى بوانكاريه الرياضى الفرنسى المعروف بتكهناته العديدة فى جلسة بالمجمع العلمى الفرنسى أول لوح فوتوغرافى أخذ بهذه الأشعة وفكر مع بكارل (Becquerel) فيما إذا كانت هناك أشعة أخرى غير الأشعة السينية (X) من نوعها يكون مصدرها الأجسام الفلورية أى الـ (Floreocents) عند تعرضها للضوء

فامتحن هنرى بكارل أملاح بعض المعادن النادرة « الايران » وبدل أن يقع على الظاهرة التى يتوقعها مع زميله بوانكاريه وجد ظاهرة أخرى تختلف عن الأولى كل الاختلاف . ذلك أن ملح الايرانيوم تنبعث منه دون تأثير سابق للضوء أشعة طبيعتها غير معروفة . ومما يجدر بالذكر أن تجارب بكارل كانت تنحصر فى أن يعرض الايرانيوم لضوء الشمس ثم يضعه على اللوح الفوتغرافى ليرى أثر الاشعاع الذى اكتسبه من الشمس ، وقد حدث أن الجو ظل قاتماً فى باريز بطريق الصدفة ثلاثة أيام متتالية (يقول سودى[1] فى كتابه ثلاثة أسابيع) فى وقت كان قد نسى فيه بكارل قطعة من الايرانيوم على لوح فوتوغرافى مغطى بورقة سوداء رغم عدم تعرض هذه القطعة لضوء الشمس . وقد تأكد بكارل أن هذه الخواص لا تتعلق بتعرض سابق للشمس ، بل إن هذا الاشعاع يستمر مهما طالت المدة التى تحجز فيها قطعة من الايرانيوم فى الظلام . وهكذا اكتشف بكارل فى الواقع الظاهرة التى أسمتها مدام كيرى فيما بعد بالنشاط الاشعاعى

وكانت مارى سكلودوفسكا (مدام كيرى فيما بعد) قد انتهت من حصولها على ليسانس العلوم فى السوربون بباريز وشرعت تبحث عن مكان للبحث فى المعامل التى يديرهـا فى ذلك الوقت الأستاذ لمان (Lippmann) والتى يديرها اليوم أستاذى الكبير كوتون (A. Cotton) رئيس المجمع العلمى الفرنسى ، وكانت تتجه فى ذلك الوقت إلى بحث الأمواج اللاسلكية ، فلم تجد مكاناً لها بالمعمل وكانت تطالع النشرات الأخيرة للمجمع العلمى الفرنسى علها تجد مبحثاً آخر لا يحتاج للأدوات العديدة التى يحتاجها الموضوع الأول (الذى كما ذكر « سودى » حضرت فيه درجة أستاذ فى العلوم) وإنه ليسرنى أن أسرد هـذه الوقائع فى مصر لأول مرة هذا الشهر وهى التى استقيتها من الأستاذ الكبير جيبه (A. Cuillet) أثناء إقامتى الطويلة بالسوربون . وما كان أسعد حظ العالم عندما طالعت مدام كيرى نشرة بكارل الخاصة بأشعاع الأيرانيوم

لفليب فرانك أستاذ جامعة براج دراسة فلسفية فى مناقشة الأسباب والمسببات وكتاب لاقينا صعوبة فى دراسته ، ولأميل بورل (Emile Borel) الوزير السابق وأستاذ السوربون دراسة هامة فى موضوع الصدفة والاحتمالات . ولو أنهما فى دراستهما للأسباب والمصادفات أرادا أن يجدا مثلا أعلى يضربانه لحدوث المصادفة والمصادفة السعيدة للعالم ، لاعتبرا الساعة التى طالعت فيها مدام كيرى نشرة بكارل من الساعات السعيدة للعالم ! ومن يدرى فان مركزنا العلمى اليوم وطريقة فهمنا للأشياء فى العلوم الطبيعية ، فى نظرية الكم وغيرها ، كان يتغير تغييراً كلياً ، لو أن كيرى لم تطالع هذه النشرة من نشرات المجمع العلمى

لقد شغلت أشعة بكارل ذهن مدام كيرى : من أين هذا النشاط ؟ وما هى طبيعته ؟ هذا موضوع شائق للبحث . هذه تصلح رسالة تحضرها بعد أستاذية العلوم للحصول على دكتوراه الدولة فى العلوم . هذه أرض عذراء للعمل والانتاج ، فأعمال بكارل حديثة لم يتعمق أحد فى كل معامل البحث فى أوربا فيها ، فلا كتب ولا نشرات علمية ولا مقدمات غير هذه النشرة الخالدة لبكارل التى تحمل سنة ١٨٩٦ مولد الكثير من الأحياء منا

وهكذا احتوت مدام كيرى حجرة خالية من وسائل التدفئة ليست بالسوربون بل بفناء مدرسة الطبيعة بشارع لوموند ، ولا يهم المشتغل بالأبحاث العلمية فى جامعة كبيرة كالسوربون سوى السماح له بمكان يعمل فيه ، وعلى الذين يقصرون عنايتهم على المبانى فينفقون عليها الأموال الطائلة أن يتذكروا أن المبانى

---

(١) لم أذكر فى محاضرتى بكلية الطب شيئاً عن المدة التى ترك فيها بكارل هذه الألواح الفوتوغرافية فى درج معمله ، وذكرت فى محاضرتى بكلية العلوم وفى حديثى من محطة الاذاعة اللاسلكية أن بكارل ترك بطريق الصدفة هذه الألواح ثلاثة أيام فى أحد الأدراج لتغيب الشمس هـذه المدة وقد وجدت أثناء تحضيرى هذا المقال فى كتاب سودى أستاذ جامعة اكسفورد Soddy عن النشاط الاشعاعى أن هذه المدة كانت ثلاثة أسابيع أما مرجعى فى مدة الثلاثة الأيام فهو كتاب « جان بكارل » نجل بكارل نفسه وعلى كل فليس للموضوع أهمية غير الأهمية التاريخية

ليست كل شيء ، فالجامعات لم تكن يوماً أعمدة وصالات ونواقيس وأبراج ، إذ من تلك الحجرة المتواضعة خرجت أبحاث الراديوم للعالم منتصرة مؤذنة بعصر جديد ، تلك الأبحاث التي استحقت عليها مدام كيري جائزة نوبل مرتين

وقد بدأت أعمالها بأن تقيس قوة إشعاع الأيرانيوم وتوصلت في المبدأ لقواعد عامة غاية في الأهمية، منها أن قوة الأشعاع تتناسب مع كمية الأيرانيوم وأن الأشعاع لا يتأثر بالتفاعل الكيميائي للأيرانيوم ولا بالعوامل الخارجية كالحرارة والضوء

يحدث كثيراً في العلوم التجريبية أن ظواهر لا تجد تفسيراً في المبدأ ويحار الباحث في تعليلها، ولكنه لا يلبث أن يجد التفسير في قوانين معروفة وسابقة فيقف التجديد في هذه الناحية عند هذا الحد . أما هذه اللاحظات الأولى وغيرها لمدام كيري فقد كانت على عكس ذلك ، إذ ظهر لها أنها أمام ظواهر جديدة وأن أصل الأشعاع لا بد وأن يكون خواص جوهرية للذرة نفسها

وقد تساءلت فيما إذا كان هناك أجسام أخرى لها هذه الخاصية من الأشعاع ، فتركت مؤقتاً دراسة الأيرانيوم إلى دراسة كل الأجسام الكيميائية المعروفة ، فوجدت أن لمركبات مادة أخرى اسمها « التوريوم » إشعاعاً له نفس القوة

وهكذا وجدت أن ظاهرة الاشعاع لم تكن خاصة بمادة دون الأخرى ، لذلك سمتها النشاط الأشعاعي وسمت الأجسام التي لها هذه الخواص عناصر مشعة

ولقد كانت مدام كيري متعطشة للمعرفة لأقصى حد ، وهي صفة من صفات العلماء ، فبدل أن تحصر دراستها في المركبات البسيطة بدأت تفحص جميع العينات التي كان يختارها معها بيير كيري والموجودة بطريق الصدفة في مدرسة الطبيعة فتضعها الواحدة بعد الأخرى أمام الألكتروسكوب . وقد حصرت مجهودها في جميع العينات التي تحوى فقط الأيرانيوم أو التوريوم ، وهنا كانت الفاجأة الكبرى والنتيجة غير المتوقعة فقد وجدت أن الأشعاع هذه المرة أقوى بكثير جدا من الأشعاع الذي تسببه نفس الكمية الموجودة من الأيرانيوم أو التوريوم في هذه العينات

وقد اعتقدت مدام كيري أن هذه المفاجأة قد تكون وليدة خطأ في سير التجارب نفسها ، ومن عادة الباحثين أن يجعلوا الشك في العمل أولى دائما من الاعتقاد بالوصول إلى شيء جديد ، ولكن كيري أعادت هذه التجارب عشرات المرات دون أن يتغير الموقف ، ولم يكن للمالة سوي مخرج واحد وتفسير واحد هو ضرورة احتواء هذه المعادن على مادة أكثر إشعاعا من الأيرانيوم والتوريوم . ولكن ما هي هذه المادة يا ترى ، ونحن نعلم أن مدام كيري كانت قد قامت بتحليل كل العناصر الكيميائية ؟

لقد أجابت مدام كيري على هذا السؤال بشيء من الثقة بالنفس ، إجابة هي طابع كبار العلماء ، فوضعت فرضاً جديداً ورأياً جريئاً ، هو أن هذه المادة عنصر جديد غير العناصر التي نعرفها ورجحت وجود عنصرين لا عنصر واحد

هكذا اكتشفت مدام كيري وقرينها عنصري البولونيوم ، نسبة إلى بولونيا موطنها الأصلي ، ثم الراديوم الذي يزيد إشعاعه على مليون مرة بالنسبة لاشعاع الايرانيوم الذي اكتشفه بكارل ، وهكذا تمت الخطوات الخمس من اكتشاف الراديوم والنشاط الاشعاعي

الخطوة الأولى : اكتشاف أشعة X وملاحظة بوانكاريه وبكارل

الخطوة الثانية : النشرة التي وقعها بكارل سنة ١٨٩٦ عن اكتشاف خواص الايرانيوم

الخطوة الثالثة : النشرة التي وقعتها كيري بمفردها عن اكتشاف خواص التوريوم

الخطوة الرابعة : اكتشافها مع قرينها البولونيوم ، على أثر ملاحظتها الشخصية عن زيادة الاشعاع في مركبات تحوى مواد مشعة إشعاعاً ضعيفاً

الخطوة الخامسة : اكتشافها مع بيير كيري وبمون Bémont الراديوم

وإذا ألقينا نظرة على ما نشر بعد اكتشاف بكارل ثبت لنا بلاجدال أن الدور الهام بين الثلاثة الذين تكاتفوا في الأيام الأولى لاكتشاف الراديوم كان لمدام كيري (ماري سكلودوفسكا في ذلك الوقت) ، ولعل أعظم هذه الأيام ذلك اليوم التاريخي الذي دخلت فيه ماري معمل ليمان بالسوربون لتكتب نشرتها الخالدة للمجمع العلمي الفرنسي المؤرخة ١٢ إبريل سنة ١٨٩٨ ، والتي بينت فيها زيادة الأشعاع في مادة بها ايرانيوم عن الأيرانيوم نفسه والتي استنتجت فيها العناصر الجديدة

ولقد انحصرت المسألة بعد ذلك في عمل مضن طويل لعزل

رسالة من باريس

بعض الدكاترة الفخريين

الذين منحوا الدكتوراه الفخرية في فرنسا هذا العام

للباحث الأديب مصطفى زيور

— ٣ —

العلامة تزنت جيورجي

لا يمكن أن نذكر مسألة الفيتامين دون أن يذكر اسم العالم البيولوجي والطبيب المجري تزنت جيورجي ؛ فاذا علمنا أن مسألة الفيتامين كسبت في ثلاثة السنوات الأخيرة أهمية جديدة بما أحرزته البحوث فيها من تقدم كبير ، وبما ألقته هذه البحوث من ضوء جديد على طائفة من أهم مسائل علم الحياة ، فإننا نفهم كيف أن جائزتين من جوائز نوبل تمنحان هذا العام لعالمين هما تزنت جيورجي و « كارر » اللذان وقفا مجهوديهما على البحث في هذه المسألة ، وكيف أنهما يفوزان في نفس العام بالدكتوراه الفخرية من باريس، بحيث يمكننا أن نقول إن عام ١٩٣٨ هو عام الفيتامين .

ولكي نقدر مجهود هذين العالمين ونفهم خطورة أبحاثهما ، أرى من الواجب أن أقدم لذلك بكلمة تاريخية قصيرة في مسألة الفيتامين ، حتى يتبين كيف أن هذه المواد التي كانوا يصفونها منذ بضعة سنوات بأنها « غامضة » أو « خفية » أصبحت من الأشياء التي يحضرها الكيميائي في معمله بل يركبها تركيباً صناعياً من مواد بسيطة محاكياً في ذلك الوظائف الحية ، ويضعها في أوعية يأخذها الطبيب ليعالج بها مرضاه .

نشأت فكرة الفيتامين حوالى سنة ١٩١٢ على أثر ملاحظات وتجارب عديدة قام بها الأطباء من ناحية وعلماء وظائف الأعضاء من ناحية أخرى ، أدت إلى فكرة وجود مواد طبيعية في الأغذية وظيفتها حفظ التوازن الحيوى ودرء أمراض معينة .

أما ملاحظات الأطباء فقد كانت في الأمراض الآتية :

(١) — مرض البرى برى : (لفظ من أصل سنغالى معناه الضعف) وهو مرض منتشر في شرق آسيا ويظهر على أحد شكلين : شكل يتميز بالشلل وضمور العضلات ، وشكل يتميز برشح المصل الدموى في الأنسجة فيحدث أوراماً مائية مصحوبة بأعراض خطيرة مختلفة لا تلبث أن تؤدي بالمريض إلى الموت .

(٢) مرض الاسقربوط (سكوربيك): كما سماه الهولنديون (اسمها من الألمانية القديمة schorbock ويسميه الفرنسيون Scorbut والانجليز Scurvy) ينتاب هذا المرض المعروف منذ أبقراط سكان المدن الواقعة تحت الحصار والنوتية الذين يقلمون في أسفار طويلة ، أى كلما اقتصر غذاء الانسان على الأطعمة المحفوظة لمدة طويلة . وتبدأ أعراضه بأورام وأوجاع في المفاصل ونزيف في اللثة لا يلبث أن يشمل باق الأعضاء فيهزل الجسم ويدنو المريض شيئاً فشيئاً من نهاية محزنة .

(٣) — مرض البلاجرا : مرض معروف في بعض أرياف مصر وفي جنوب أمريكا وبعض بقاع جنوب أوربا ، يتميز بطفح جلدى خاص (ومن هنا جاء اسمه : من Pellis اللاتينية أى جلد و oegria أى خشن) ثم باضطرابات في القناة الهضمية مصحوبة بالاسهال ، وأخيراً بهزال شديد ثم باضطرابات عصبية وعقلية مصحوبة بالهذيان فالموت .

(٤) — الكساح : وهو مرض ينتاب الأطفال فيضطرب نمو عظامهم وينتج عن ذلك اعوجاج في العمود الفقرى والأطراف

هذين العنصرين البولونيوم والراديوم ، حيث تطالع في النشرات الخاصة بوجودها أسماء مدام كيرى وبيير كيري وبيمون ، وحيث نرى كلمة راديوم لأول مرة في نشرة وقعها الثلاثة معاً في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ، وحيث نعلم أنه لتحضير أول ديسجرام من الراديوم قضت مدام كيرى وقرينها أربعة أعوام في هذه الحجرة الخالية من وسائل التدفئة بل في هذه السقيفة المجهولة ، وهى الكمية الأولى التي كانت لازمة لتواجه بها علماء الطبيعة والكيمياء والتي استطاعت أن تحسب بواسطتها الوزن الذرى للمادة الجديدة التي وضعتها في جدول العناصر

ومما يجدر بالذكر أنه عند ما قرر المجمع العلمى باستوكهولم إعطاء جائزة نوبل للطبيعة في نوفبر سنة ١٩٠٣ قرر منحها البكارل ومدام كيرى وبيير كيرى

« للكلام بقية »

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

(٥) – كرتومالاسي : وهو مرض في قرنية العين لدى الأطفال فلا تلبث أن يصيبها العطب وتصحبه قابلية شديدة للعدوى بالأمراض المعفنة .

لم يغب عن الأطباء طويلا أمر هذه الأمراض ، فقد تبينوا منذ القرن السابع عشر أن مرض الاسخربوط يصيب من امتنع عن الخضروات والفواكه الطازجة ، كما لاحظوا فيما بعد أن مرض البري بري يحل في الشعوب التي يتألف غذاؤها الرئيسي من الأرز المقشور (كما في الصين وفي اليابان) ، وأن البلاجرا تنال من الجماعات التي تقتصر في غالب الأمر على الذرة (كما في بعض أرياف مصر ورومانيا وأسبانيا . الخ) ، وأن الكساح يصيب من الأطفال من ساءت تغذيته وحرم ضوء الشمس . أما كرتومالاسي فينتاب من الأطفال من يودر بتغذيته غذاء قوامه دقيق الحبوب . وهكذا تبين لهم أن السبب في جميع هذه الأمراض يرجع إلى تغذية سيئة تقوم على نوع بعينه من الطعام ، أو على طعام أحاله القشر وما إليه من العمليات الصناعية إلى غذاء ناقص، ومن ثم لم يكن من الصعب أن يجدوا العلاج لهذه الأمراض : أرز كامل بدلا من الأرز المقشور ضد البري بري ، والفواكه والخضروات الطازجة ضد الاسخربوط، وغذاء متنوع ضد البلاجرا ، وضوء الشمس ضد الكساح، وأخيرا زيت سمك الحوت ضد هذا المرض وضد كرتومالاسي . ويلاحظ أن الأطباء كانوا يصفون زيت السمك دون أن يعرفوا فائدته في شفاء الكساح ، كما يلاحظ أن بعض وسائل العلاج لهذه الأمراض ، وقعت عليها الجماعات من تلقاء نفسها بمجرد التجربة اليومية ، فقد كان سكان النرويج بمالجون من أصابه مرض الاسخربوط بشيء من عصير البرتقال . ومما يلفت النظر أن مقدارا تافها من هذا العصير – وهذه نقطة رئيسية في فهم طبيعة عمل الفيتامين – يكفي للوقاية من هذا المرض الخطر .

أما بحوث علماء وظائف الأعضاء التي قاموا بها مستقلين عن الأطباء وأدت إلى نفس النتيجة التي وصل إليها الأطباء ، فقد كانت ترمي إلى دراسة غذاء الانسان ودراسة كميته وكيفيته لمعرفة المواد الغذائية اللازمة وحفظ توازنه الحيوي ، وتحديد المقادير والصفات الكيميائية التي لا مندوحة عنها حتى يكون الغذاء كاملا .

كان محصولنا في الكيمياء البيولوجية عند بدء هذه البحوث بحيث لم يلبث علماء وظائف الأعضاء أن تبينوا ضرورة ثلاث مواد عضوية رئيسية هي: البروتيد أي المواد الزلالية، والليبيد أي المواد الدهنية، والجلوسيد أي المواد النشوية السكرية، ثم بعض الأملاح المعدنية مثل كلورور الصوديوم أي ملح الطعام وأملاح الحديد والكالسيوم ، وأخيراً مقدار من مواد غير قابلة للهضم مثل السليلوز لتنبيه الأمعاء على القيام بوظيفتها في الطرد . هذه هي المواد التي رأى علماء وظائف الأعضاء في بادىء الأمر ضرورة وجودها بمقادير خاصة في غذائنا حتى نحصل على حاجتنا من الطاقة من جهة وعلى المواد اللازمة لبناء أنسجتنا وإصلاح ما نفقده منها من جهة أخرى .

وطبقا لمبدأ التحقيق التجريبي في البحث العلمي بادر علماء وظائف الأعضاء بتغذية بعض الحيوانات المستعملة في المعامل لهذا الغرض (مثل الفيران والأرانب وغيرها) بمقادير معينة من هذه المواد للتحقق من قيمة النتائج التي أوصلتهم إليها البحوث الكيميائية السابقة . وإليك مثلين تاريخيين لهذه التجارب :

في سنة ١٨٨١ عمد « لونين » السويسري إلى فيران يغذيها باللبن فبقيت عدة أشهر في صحة جيدة ، حتى إذا بدأ يغذيها بالمواد العضوية الرئيسية التي يتركب منها اللبن أي الكازيين وهو زلال اللبن ثم الزبد وهو مادته الدهنية ثم اللكتوز وهو سكر اللبن وأضاف إليها المواد المعدنية التي يحتوي عليها اللبن – رأى لونين هذا الغذاء لا يلبث أن يورث الفيران انحرافا فتضطرب صحتها وتموت ، والنتيجة المنطقية من هذه التجربة أن اللبن يحتوي على مواد لازمة للحياة غير المواد المعروفة إلى ذلك الوقت .

وهاهو ذا « هبكنز » الكيميائي الانكليزي الكبير يقوم حوالى ١٩٠٦ بتجربة مشابهة فيعمد إلى فيران يطعمها غذاء مكونا من المواد الآتية : زلال اللبن والسكر والنشا وشيء من دهن الخنزير وبعض المواد المعدنية ، فلا تلبث هذه الفيران أن يقف نموها وتهزل ، حتى إذا أضاف إلى غذائها ثلاثة سنتيمترات مكعبة من اللبن يوميا أي ما يساوي نصف ملعقة صغيرة تقريبا ، فانها تبل مما أصابها وتتقدم صحتها . ولكن هذا المقدار من اللبن لا يمكن أن يعتبر غذاء في ذاته لقلته ؛ إذن النتيجة المنطقية من هذه

التجربة أن الأغـذية الطبيعية تحتوى زيادة على المواد الأربعة الرئيسية المعروفة (الزلاليات والدهنيات والنشويات والمدنيات) على مقادير صغيرة من مادة طبيعية أخرى لازمة للحياة تقوم بوظيفة « العامل المساعد » فى التغذية كما يقول هبكنز ، أى كما يحدث فى التفاعلات الكيميائية العادية كأن يضاف قليل من ثانى أكسيد المنجنيز إلى كلورات البوتاس حتى يساعـدها على التفاعل واستخلاص الأكسجين الذى تحتوى عليه .

والآن يمكننا أن نتبين كيف نشأت فكرة الفيتامين على أثر ملاحظات الأطباء وتجارب علماء وظائف الأعضاء التى لم يكن بينها علاقة فى بادىء الأمر . لاحظ طبيب هولندى كان يعمل فى مستشفى الحكومة فى جاوة حيث كان ينتشر مرض البرى برى بين الأهالى ، أن الفراخ الموجودة فى فناء المستشفى والتى كانت تتغذى بالأرز المقشور — وهو الغذاء الرئيسى للأهالى — كان يبدو عليها أعراض مرض يشبه مرض البرى برى . فما لبث أن نشأت لديه فكرة وجود علاقة بين الغذاء المكون من الأرز المقشور وبين ظهور أعراض هذا المرض ، ومن ثم بادر باعطاء هذه الفراخ « ردة » فشفيت مما أصابها . على أثر هذه التجربة عمد كيميائى بولونى يدعى فونك حوالى سنة ١٩١٢ إلى قشر الأرز يستخلص منه « المنصر » الفعال فى شفاء البرى برى ، فنجح فى استخلاص مادة فعالة ، ولو أعطيت بمقادير صغيرة ، ولما كانت هذه المادة تحتوى على وظيفة أمينية (وظيفة قلوية تحتوى على الآزوت ومنتشرة فى المواد العضوية) ، ثم لما كانت وظيفة هذه المادة حفظ التوازن الحيوى فقد دعاها فيتامين (فيتا اللاتينية أى حياة وأمين الخاصة الكيميائية) وهكذا وجدت كلمة جديدة فى لغة العلم بل فكرة عامة جديدة لأن هذه الكلمة لم تلبث أن عمت وأطلقت على مختلف المواد العضوية الغذائية اللازمة بمقادير صغيرة لحفظ توازن الحياة .

ولكن العلم لا يدين للكيميائى فونك باكتشافه الكيميائى فحسب ، بل إن هذا الاكتشاف على خطورته لم يكن نهائياً من الناحية الكيميائية ، لأن المادة التى استخلصها لم تكن « المنصر » الفعال فى شفاء البرى برى ولكنها مادة تحتوى على ذلك المنصر كما تحتوى على عناصر أخرى استخلصت فى حالة النقاء فيما بعد ، ومن ثم لم يمكنه تحديد تركيبها الكيميائى . يدين العلم لفونك قبل كل شىء بادراكه العلاقة بين ملاحظات الأطباء المبعثرة من جهة وتجارب علماء وظائف الأعضاء من جهة أخرى ، كما يدين له بادراكه خطورة اكتشافه وتعميم فكرته على مواد لم تكن بينها رابطة واضحة فى بادئ الأمر .

ويمكننا الآن بعد هذه المقدمة أن نعرف الفيتامين : « بأنها مواد عضوية لازمة بمقادير صغيرة لنمو الجسم وحفظ توازنه الحيوى وقدرته على التناسل ، مواد يجب أن يحتويها غذاؤنا (أو على الأقل يحتوى على المواد التى يمكن للجسم أن يؤلف منها حاجته) وإلا انحرفت الصحة ولحق الجسم أمراض معينة »

وها هى ذى أنواع الفيتامين المختلفة التى استخلصت فى حالة النقاء وتمت دراسة تكوينها الكيميائى بل ركبت تركيباً صناعياً من مواد بسيطة .

(١) فيتامين ا : (أو : أكسروفرول) وهو مادة لا تذوب إلا فى المواد الدهنية مثل زيت السمك والزبد، وتوجد فوق ذلك فى كثير من النباتات على شكل مادة يدعونها « كاروتين » نسبة إلى كاروت أى الجزر لأنهـا المادة الملونة للجزر) يحولها الجسم إلى فيتامين ا ، وأهم هذه النباتات هى الجزر ثم السبانخ والطماطم والخس والذرة ثم كثير من النباتات الخضراء ذات الـكلوروفيل (أى مادة النبات الخضراء) لأن الـكاروتين يوجد عادة بجانبها وإن غلب لون الـكلوروفيل لون الـكاروتين . يقوم هذا الفيتامين بوظيفة العامل المساعد فى النمو والوقاية من الأمراض المعفنة ومن مرض يصيب قرنية العين يدعى كسروفتالمى (ومنه اسم الفيتامين ا : أكسيرفرول)

(٢) فيتامين د : (أو : كالسفيرول) وهو مادة لا تذوب كالمادة السابقة إلا فى المواد الدهنية ، توجد فى زيت السمك واللبن وصفار البيض ولا تـكاد توجد فى غير ذلك من الأطعمة ، وظيفتها مساعدة عنصر الـكلسيوم اللازم لبناء العظام على الاندماج فى هـذا البناء ، فإذا ما خلا الغذاء من الفيتامين د وخاصة لدى الأطفال بقى الـكلسيوم الذى نحصل عليه من المواد الغذائية دون أن يدخل فى بناء العظام وطرد من الجسم فى النهاية مع الافرازات وتـكون النتيجة أن يصيب الأطفال اضطراب فى نمو عظامهم يورثهم الـكساح .

(٣) فيتامين هـ : (أو : توكوفيرول) وهو مادة لا تذوب كالمواد السابقة إلا فى المواد الدهنية ، توجد فى بذور الحبوب

وخاصة القمح ثم فى الخس . ووظيفتها مساعدة القدرة على التناسل ويحدث عدمها عقماً فى الذكر وفى الأنثى .

(٤) فيتامين ج : (أو : حامض آسكوربيك) وهو مادة تذوب فى الماء منتشرة فى النباتات وعلى الأخص فى الفواكه الطازجة مثل البرتقال والليمون والعنب والموز، وفى الخضروات مثل الطماطم والخس والاسبانخ والكرنب والفاصوليا الخضراء الخ ووظيفتها كما سأبين ذلك بالتفصيل مساعدة تفاعلات الاحتراق والاختزال فى الأنسجة وينتج من عدمها مرض الاسخربوط . ويتميز هـذا الفيتامين بشدة حساسيته للحرارة والتأكسد بأكسجين الهواء .

(٥) فيتامين ب١ : (أو : أنورين) وهو مادة تذوب فى الماء لا توجد إلا بمقادير تافهة فى بعض المواد الغذائية مثل بذور الحبوب وخميرة البيرة وبعض البقول وصفار البيض واللبن وبعض الخضروات . وظيفتها مساعدة الأحماض الناتجة من اختمار النشويات أن يكتمل تحللها .

وينتج من عدم الفيتامين ب١ نقص فى هذا التحلل فيصيب الأعصاب تسمم من هذه الأحماض يورث مرض البرى برى .

(٦) فيتامين ب ٢ : (أو : لا كتوفلافين) وهو مادة ملونة تذوب فى الماء منتشرة فى الفصيلتين النباتية والحيوانية ، وتوجد على الأخص فى اللبن ومصل اللبن (السائل الذى ينفصل عن اللبن إذا تخثر) وظيفتها مساعدة تمثيل المواد النشوية ، وتدخل هـذه المادة فى تكوين خميرة بيولوجية هامة تدعى الخميرة الصفراء أو خميرة التنفس وظيفتها مساعدة تفاعلات الاحتراق والاختزال فى الأنسجة أى التنفس داخل الأنسجة كما يفعل فيتامين ج ؛ وينتج من عدم فيتامين ب٢ اضطراب فى تمثيل المواد النشوية ولذلك يصفونها دواء فى بعض حالات مرض السكر .

وهناك عدة أنواع أخرى من الفيتامين لم يعرف بعد تركيبها الكيميائى بالدقة وأهمها الفيتامين الواقى من البلاجرا ثم الفيتامين المدر للبن ثم الفيتامين الواقى من عطب يصيب جدار قنوات الدم الشعرية .

والآن بعد هذه المقدمة يمكننا أن نتناول بحوث تزنت جيورجى

« للكلام صلة » مصطفى زبور

رد على باحث فاضل

بين الغرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية ما نشر فى العدد ٢٨٤)

إن معنى النظر فى العالم المنظور هو النظر الحر من أوجه العالم المشهودة بدون أن يشوب هذا النظر اتجاهات مستنزلة من النظر الغيبى ، والبحث عن الخالق عن طريق الطبيعة نظرة للطبيعة ولكن مشوبة بالنظر الغيبى . إذن فمتى سبق الشرق الغرب بمثل هذه النظرة الحرة للأشياء من أوجهها المشهودة ؟ أليس اليونان أول من أطلقوا العقل من عقاله وحرروه من الخضوع فى اتجاهاته للنظر الغيبى ، وأعادوا العقل إلى مكانه الصحيح فى عالم الشهادة ؟

وبعد فيظهر أن باحثنا الفضال ، متأثراً بعقليته الشرقية من جهة وبعدم تفهمه ما وراء عباراتنا من معان من جهة أخرى ، انساق لاعتراضات ومواقف ليست من الحقيقة فى شىء . ولا أدل على ذلك من تعليقه على رأينا « من أن الجانب العلمى والفلسفى من الثقافة الاسلامية نتيجة للأخذ بأساليب الفكر اليونانى » بقوله : « ولماذا لا يكون هذا الجانب نتيجة للأخذ بأساليب الدين الاسلامى وتعاليمه ؟ » ونحن إزاء هذا التساؤل لا نملك أنفسنا من السخط لا على أن باحثنا أتى بشىء ليس لنا قبل برده ؛ ولكن لاعتراضه على حقيقة معروفة للجميع بمثل هذا التساؤل الذى لا يعنى شيئاً غير قصور صاحبه عن الوقوف على تأثير الفكر اليونانى فى نشأة الثقافة الاسلامية . يقول البروفسور نلينو المستشرق الايطالى المعروف فى كتابه تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١ ما نصه:

« فى أواخر مدة الدولة الأموية ، ثبتت سلطة الاسلام على جميع الأمصار والأقطار التى دخلتها ألويته عنوة أو صلحاً أثناء المغازى المتواصلة والفتوح من أقصى بلاد ما وراء النهرين فى تركستان إلى منتهى المغرب والأندلس . فعمت اللغة العربية الشريفة أهل تلك الولايات والبلدان وغلبت على ألسنتهم الأصلية فأخذ المسلمون كلهم من أى جنس أو ملة لا يستخدمون فى الانشاء أو التأليف إلا لغة العرب . فابتدأت وحدة الدين

تستوجب وحدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة فى التمدن الاسلامى الجديد »

وقد قلنا فى نفس هذا المعنى شيئاً فى كتابنا « الرسالة الأولى من مصادر التاريخ الاسلامى » ص ٣٧ — ٣٨ (طبع ١٩٣٦ — الاسكندرية)

(لقد فتح العرب البلاد وملكوا الأمصار عن طريق الحرب وقد نجحوا فى نشر الاسلام فى الأمم المغلوبة . ودخول هذه الأمم الاسلام جعلهم يخضعون لروح الاسلام الدينى والاجتماعي إلى حد . إذ لم يكن هؤلاء إلا أبناء تواريخ مجيدة وحضارات تليدة فسرعان ما رأيناهم قادة المدنية الاسلامية فى ساحات التفكير والحضارة ... دخل أبناء هذه الأمم الاسلام وهم يحملون فى تضاعيف عقولهم مرونة فكرية ، وبين ظهرانيهم كانت مذاهب دينية متعددة فى انتشارها من الوثنية إلى المسيحية فى صورتيها النسطورية واليعقوبية ، وكانت عقولهم تحمل فى طياتها بذور المدنية اليونانية كما نقلها لهم اليعاقبة ، ولم تخل أذهانهم من منازعات ستة قرون فى المسائل الدينية

دخلوا الاسلام فمحا كل هذه المظاهر من عالم الشعور ، ولكنه لم يمحها من طيات النفس وعالم اللاشعور ، فأثرت هذه العوامل على مر الزمن عن طريق غير شعورى فى تعاليم الاسلام فظهر علم الكلام

فاذا كان علم الكلام وهو من أخص العلوم الاسلامية ، ظهر تحت تأثير الامتزاج الغريب بين العناصر الثقافية المختلفة فى كيان الشرق العربي مع غلبة للعنصر الثقافى اليونانى فى هذا الامتزاج ، فلا شك أن مثل الدعوى التى يقدمها باحثنا الفاضل بأن العلم والفلسفة فى تاريخ المدنية الاسلامية يرجعان إلى أصل من الاسلام فى القرآن ، دعوى لا تجد لها ما يسندها من حقائق التاريخ الاسلامى وفلسفة هذا التاريخ

ونقطة أخرى من نقط اعتراضات كاتبنا «باحث فاضل» فهو يعلق على قولنا « انتهى متكلمة المسلمين إلى أن العالم حادث وانتهى الغربي إلى أنه قديم» بأن معنى حادث عند متكلمة المسلمين لا تدل على تاريخ معين ، وإنما أراد بها المتكلمة أن العالم حادث بالنسبة للخالق ، ونحن نقول: من ذا الذى أنبأ صاحبنا بأننا لا نعنى من كلمة حادث مايعنيه المتكلمون ، ونحن ننسبها لأصحاب الكلام من المسلمين. والمسألة عندى أن الشرقى يعتقد أن العالم حادث على الوجه الذى تكلم به الامام الغزالى ، والغربى يعتقد أن العالم قديم على الوجه الذى تكلم به ابن رشد فيلسوف قرطبة ، و« تهافت الفلاسفة » و« تهافت التهافت » هو الحد الفاصل بين هذين الاعتقادين : اعتقاد فى حدوث العالم من جهة المتكلمين ، واعتقاد فى قدمه من جهة الغربيين انتهت إلى صورة فى الفكر الاسلامى على أنها من آراء الفلاسفة الواجب تكفيرهم من أجلها . وبعد فهذه المسألة معروفة لطالب الثانوى من طلبة المعاهد الدينية فى مصر ، وهم يدرسونها فى علم التوحيد (الكلام) فكيف بعد ذلك يسمح كاتبنا المفضال لنفسه أن يتخذ من هذه الأولية مثاراً لاعتراض ؟ ! ...

هذا وقد وقف الفاضل فى القسم الثانى من تعليقه فى الرسالة يغمز غمزات ويدير الكلام على وجه لا يتفق مع الحقيقة ، من ذلك أنه علق على قولنا (انتهى الغربي إلي أن إرادة الله مقيدة بنظام الكون وأفعاله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار بعبارة من عنده قائلاً : كلام من ؟ وأى كلام هذا ؟ ...

أما كلام من ؟ فالاجابة هينة : هو رأى الفكر الغربى إذا ما آمن بالله ؛ وإذا أراد باحثنا الفاضل أكثر من ذلك قلنا له إنه رأى الفلاسفة من المسلمين. ذلك أن هذا الرأي قائم على الاعتقاد بأن وجود العالم صادر عن الله بطريق التعليل . أما استنكار الكاتب هذا الكلام فليس لنا فى هذا الكلام شئ فنحن نقرر الواقع ، ولكن لنا أن نتساءل : لم هذا الاستنكار ؟

أليس هذا رأيا يدرسون فى كلية (أصول الدين) بالأزهر دلائله ويناقشونها مناقشة جدلية صرفة ؟ أليست كتب الكلام فيها عشرات الصفحات فى مناقشة هذا الرأى ؟

أليس تكفير الغزالى لابن سينا والفارابى كان من أجل هذا ؟ ألم يرد ابن رشد على الغزالى فى تكفيره ابن سينا والفارابى من أجل هذا الوضوع فى كتابه (تهافت التهافت) ؟

وبعد فيظهر أن باحثنا الفاضل نسى أو تناسى كل هذا فوقف يصرخ قائلا : من قال بأن الغربى يعتقد هذا إلا إذا نقد الجانب العلمي من قوى تفكيره ؟ أما هذا القائل فهو أنا ... ذلك أن الغربى حين نظر للأشياء نظر إليها من ناحيتها المشهودة الواقعة

فى العالم المنظور، فانتهى عن طريق النظر فيها إلى أن العالم مسوق فى سيره بسنن وقوانين ونواميس، وهذا جمله ينتهى بتفكيره إلى اكتشاف الأسلوب العلمى .

وقد جاء لنا فى ذلك من بحث منشور بالمقتطف م ٩٣ ج ٤ (نوفبر ١٩٣٨) ما نصه :

(لقد كان الانسان من عهد سقراط الحكيم (٤٦٩-٣٩٩ ق م) يرى غاية التفكير فى إدراك الماهية ، وذلك بمعنى تكوين معانى تامة الحد . وكان مبين التفكير طيلة هذا العهد منحصراً فى الاستقراء حيث يتدرج العقل من الجزئيات إلى الماهية المشتركة بينها راداً كل جدل إلى الحد والماهية

وفى أوائل القرن السادس عشر أخذت جماعات قليلة من مفكرى الغرب يشكون فى قدرة الأسلوب التجديدى وإمكان الوصول به إلى نتائج عملية تطبيقية . وأخذت هذه الجماعات تعمل على إدماج النتائج التى تسفر عنها المشاهدات والتجارب فى نظام مادّى على قاعدة الوحدة والعلاقة . . . وكان يحدوهم فى تفكيرهم هذا إيمان ثابت بنظام العالم الخارجى وتجانسه ووحدته

إذن يتبين أن التفكير العلمى قام على أساس أولى هو الايمان بنظام العالم الخارجى وثبات هذا النظام . وهذا يعنى أن العالم بقوانينه ونواميسه خالد (أبدى) ، فاذا انتهى رجل العلم اليوم إلى الخالق قيده بنظام هذا الكون ، على اعتبار أن العالم صادر عنه بطريق التعليل

وصرخة أخرى . . . ذلك أننا قلنا : « إن فى قدرة الانسان تغيير القدر له عن طريق معرفة النواميس المتحكمة فى وجوده » وهنا أولاً : نسبة هذه الوجهة من النظر إلى الغربى . ثانياً : ورود لفظ النواميس يجعل معنى القدر للانسان ما قدر له حسب نواميس الطبيعة . وهذا المقدور بطبيعة الحال يفترق عن مفهوم المقدر للانسان فى علم الله عند الشرق . فاذا كان الأول من الممكن تغييره ، وحياة الانسان منذ بدء وجوده على الأرض تغيير للمقدرات الطبيعية له ، فان الثانى ليس فى الامكان تغييره . . . وكأنى بصرخة باحثنا الفاضل قد انبعثت من عدم تفهمه كلامنا على وجهه الصحيح .

وبعد فننهي ردنا هذا بكلمة هادئة لباحثنا الفاضل، فقد وهم حين ظننا من العرب أولا ومن الشرقيين ثانياً ، فلسنا من أصل عربى ولسنا شرقيين ، وهذا نسبنا وتاريخ حياتنا مبسوط فى شىء من الاسهاب فى مقدمة دراستنا التحليلية (طه حسين) التى صدرت ربيع هذا العام . وعلى فرض أننا شرقيون ومن أرومة عربية فهل كوننا شرقيين أو عرباً يمنعنا عن قول الحقيقة إذا كانت ضدنا ؟

أما ما أثاره الباحث الفاضل من إشكالات فى نهاية مقاله فوعدنا بالرد عليه مقال تال ، نضمنه رداً لنا على ما أثاره من إشكالات واهية ذلك الأديب الكبير الذي حاول أن يتعرض لاحدى فكراتنا بالمناقشة بين سطور مقال كتبه فى مناقشة لكتاب للبروفسور مارتن الانجليزى .

اسماعيل احمد أدهم

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنــــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سـيرة هذا العصامى العظيم ......

(تتمـة)

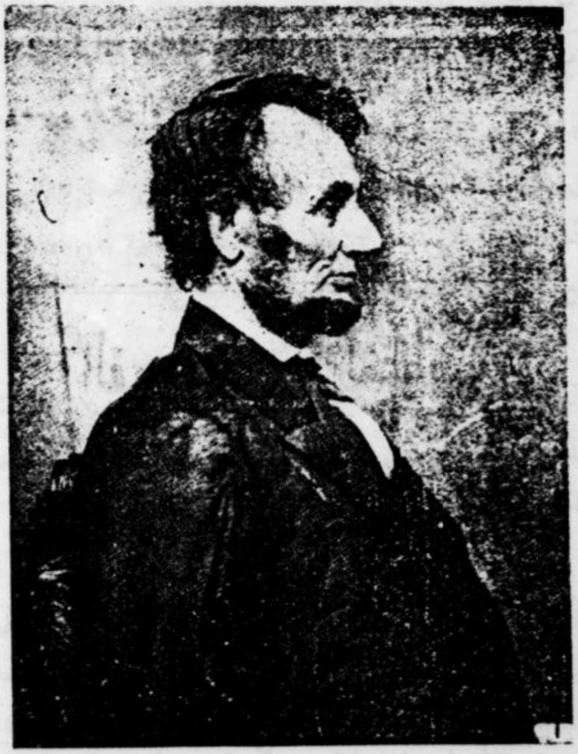

برز جرانت إلى الميدان وفى نفسه من العزم بقدر ما في فؤاده من الأمل ، وكأنما سرت عزمته إلى قواده وجنوده فما منهم إلا من وطد النفس على أن يخوض أهوال القتال إلى النصر ، ونبغ من هؤلاء البواسل قائدان صار لهما فى تلك الحرب خطر عظيم هما شيرمان وشريدان

وزحف جرانت بجيشه فى مايو عام ١٨٦٤ وكانت خطته أن يواصل الزحف ما وسعه القتال حتى يأتى رتشمند عاصمة الجنوبيين فيحصرها . ولقد لازمه النصر فى هذا الهجوم على الرغم من مقاومة أعدائه، وما زال يدفعهم أمامه حتى أصبح على مقربة من عاصمتهم ؛ وكانت تصل أنباء انتصاره إلى العاصمة فتهزها هزاً وكان الناس يجتمعون حول البيت الأبيض فيطل الرئيس عليهم ويخطبهم وقد سره أن ذهب عنهم الروع

وكذلك سار شيرمان مبتدئاً من الغرب، وراح يدفع أعداءه أمامه، وإنهم لينازعونه الأرض شبراً شبراً ويمر كون جيشه عركا شديداً حتى وآتاه النصر عليهم فى اليوم الثانى والعشرين من شهر يوليو، فسقطت فى يده مدينة أتلنتا بعدأيام، وهى موقع حصين ومركز حربى خطير ، وكان على رأس الجنوبيين فى تلك الجهة قائدهم هود ، وهو من ذوى البأس ولقد لم شمل جيشه وخاض الحرب مرة أخرى ولكنه ما لبث أن عاودته الهزيمة ، وسر الرئيس وأصحابه بانهزام هود وجنوده فلقد كانوا يوجسون منه شراً

ونشط الشماليون فى البحر وضيقوا الخناق على أعدائهم فأذاقوهم لباس الجوع والخوف ، وكانت سيطرة فراجت على البحر وثيقة ، فكان بذلك موقفه عاملا من أكبر عوامل النصر

وراح جرانت يبذل كل ما فى وسعه ليحيط بالقائد الكبير (لى) قائد الجنوبيين ، فانه يدرك أن تطويقه خير وسيلة لهزيمته وإجباره على التسليم ؛ وكان جرانت يدرك أن عدته وجنده أوفر مما هو لدى عدوه منها ، ولذلك عول أن يشد عليه الوثاق

وكان لنكولن وأصحابه يتلقون هاتيك الأنباء الطيبة فتطمئن نفوسهم ، ولكن الرئيس كان لا يفتأ مهموماً ضائق الصدر ؛ وكيف يطيق قلبه الكبير أن يلم نبأ هاتيك الضحايا دون أن يتحرك ؟ لقد كان يجزع أشد الجزع لمرأى الأمهات والزوجات يقفن فى طريقه أو يجتمعن حول البيت الأبيض متسائلات وإنه ليسأل الله أن يجعل للناس من هذا البلاء مخرجاً ...

وبينما كان جرانت وشيرمان يروعان بجيشيهما أهل الجنوب على هذه الصورة ، زحف أحد قواد الجنوب ويدعى إرلى زحفاً باغت به وشنجطون إذ صـار منها على سبعة أميال ... ولقد كان عمله هذا من أسوأ ما لاقته تلك المدينة في هذه الحرب، فما أقبح الخوف بعد الأمن وما أوجع الكربة بعد الفرح. ولـكن جرانت لم يلبث أن أرسل شريدان فأنهى هذا العدو ورماه بالهزيمة وكان

ذلك فى أوائل سبتمبر عقب سقوط أتلنتا بيوم واحد ...

وكان انتصار الجيوش على هذا النحو مما قضي على كيد الكائدين من خصوم الرئيس إذ كانت البلاد تتأهب للانتخاب ؛ وكان الديمقراطيون يذيعون فى الناس أن من مصالحهم أن يختاروا رئيساً غير هذا الرئيس ، وراحوا تارة يقولون إن الحكومة من الوجهة الحربية قد منيت بالفشل منذ قامت الحرب ولا محيص من أن تتبع فى الحرب سياسة أقوى وأسرع من سياستها ، وتارة أخذوا يطالبون بمصالحة أهل الجنوب ووضع حد لهذا البلاء، وهم فى ذلك يرشحون ماكيلان للرياسة ضد إبراهام، ولقد اختاره لذلك مؤتمرهم الذى انعقد فى شيكاغو فى أغسطس من ذلك العام

وكان بعض الجمهوريين من حزب لنكولن يدعون إلى انتخاب غيره إذ كانوا ينقمون عليه كما يزعمون ابتعاده عن مبادىء الحزب وروحه ، فهم يخالفونه فيما أعلن غداة تحرير العبيد من أن ذلك كان من أجل ضرورة حربية وهم يعيبون عليه مسلكه تجاه الولايات الوسطى وتجاه أهل الجنوب، كما أنهم يقولون إن الحرب لا تسير على خير ما يرجى.

وكان هؤلاء الجمهوريون يرشحون جرانت تارة، وفريمونت تارة ، ولكن معظمهم كان يميل إلى تشيس وزير المالية، وكان تشيس هذا من أكفأ الرجال ،وكان الرئيس يحترم آراءه ويحرص على أن ينتفع بها كما كان يشهد له بالذكاء ويقر بفضله ... ولكنه كان دائم الشكاوى من الرئيس وكثيرا ما ضايقه بتقديم استقالاته من الحكم، وكانت أخرى تلك الاستقالات فى صيف هذا العام، ولشد ما أدهش الوزير أن قبلها الرئيس فى غير تردد . وكان تشيس ينفس على الرئيس مركزه ويعتقد أنه أحق به منه وأجدر

وما كان الرئيس كما أسلفنا يحرص على الحكم إلا أن يكون وسيلة لتحقيق غرضه ، قال ذات مرة يرد على الداعين إلى ترشيح جرانت: « إذا كان الناس يعتقدون أن القائد جرانت يكون أسرع فى القضاء على الثورة إذا كان فى مركزى فإنى أتخلى عنه له »

وعلى الرغم من ذلك كان خصومه يدعون أنه حريص على الحكم مولع بالرياسة ، وكان من أقدر هؤلاء الخصوم وأنشطهم الصحفى جريلى ، ذلك الذى طالما حرص الرئيس على مودته وعمل على إرضائه ... على أن الرئيس كان على علم بهذا كله فلم يعبأ به وذلك لأنه كان يجعل اعتماده على عامة الناس ، وهل اعتمد على غيرهم منذ كان يلوح بين الأحراج ؟ وجاءت بعد ذلك أنباء انتصار جنده فكان ذلك أبلغ رد على ما يزعم المخالفون والخوارج

ولقد كان مؤيدو الرئيس من الجمهوريين أعز نفرا وأعلى فى البلاد صوتا ، وهؤلاء أجمعوا أمرهم على ترشيحه فى مؤتمرهم الذى عقدوه فى الثامن من يونيو عام ١٨٦٤، وكانت حماستهم له جديرة به شديدة على خصومه وكارهيه ... وحمل إليه نبأ ذلك فتلقاه على عادته فى دعة ، قال : « إنهم رشحونى لا لأنهم رأونى أعظم وأفضل رجل فى أمريكا ، وإنما كان ذلك لأنهم لم يروا من الحكمة أن يستبدلوا الخيل أثناء عبورهم الماء ، ولأنهم رأوا بعد ذلك أني لست فرسا بلغ من السوء مبلغا لا يمكن معه استخدامه ولو فى مشقة أثناء محاولة ذلك العبور » ...

وكان المؤتمر قد عبر عن رغبته في تعديل الدستور بحيث لا يكون من مواده ما يتضمن الاعتراف بنظام العبيد حتى لا يتعارض قرار التحرير مع نصوص الدستور . ولقد وافق الرئيس على ذلك قائلا: « إن مثل هذا التعديل المقترح يجيء خاتمة مناسبة ضرورية للنجاح النهائى لقضية الاتحاد ، وهذا وحده يقف ردا على كل تجن . . . وإن الذين يوافقون على الوحدة بلا شرط من الشماليين والجنوبيين يدركون خطورته ويتعلقون به ، فباسم الحرية والوحدة مجتمعين دعونا نعمل على أن نكسبه صفة شرعية وأثرا عمليا » . وسمع أن ولاية ماريلند قد عدلت دستورها على هـذا الأساس فعلا فاغتبط قائلا « إن ذلك عندي يساوى انتصارات كثيرة فى الميدان »

وحسب جريلى أنه واجد غمزة أخرى فى سياسة الحرب فراح يندد بها وبتطاولها ويدعو إلى الصلح قائلا إن البلاد قد باتت على شفا جرف هار وإن السلم على شروط معقولة خير من هذه الحرب التى ضجت البلاد منها ورزحت تحت أعبائها . ومما ساقه فى هذا المجال أنه على صلة بقوم من الجنوب يقبلون الصلح على أساس الوحدة والقضاء على العبودية ، وهنا لم يتردد الرئيس أن يرسل إليه يقول إنه على استعداد أن يلقى أى رجل أو جماعة من الجنوب يفاوضونه على هذا الأساس على شرط أن يكونوا مسؤولين وليكن جريلى شاهداً على ذلك ؛ وعاد جريلى مستخذياً وقد رأى أن الذين دعوه إلى السلم من الجنوبيين قوم لا أهمية لهم ..

وتطلبت الحرب عدداً جديداً من الرجال وأشفق أنصار لنكولن أن يدعوا البلاد إلى رجال فى مثل هاتيك الظروف ، ولكن هل كان مثله يحجم عن أمر يعتقد صوابه وعلى الأخص

إذا كان هذا الأمر يتعلق بالحرب بله الحرب تحت قيادة جرانت ؟. لم يحجم الرئيس ولم يتردد وأصدر أمره فى ثبات وجرأة ...

وجاء يوم الانتخاب فكان فوز الرئيس عظيماً كما كان تواضعه غداة فوزه عظيما . قال وما أجمل ما قال: « إنى أعرف قلبي وأرى غبطتى لايشوبها شائبة من الفوز الشخصى، وإنى لا أعترض على بواعث أى شخص ضدى . وليس مما يسرنى أن أظفر على أحد ولكنى أشكر الله على هذا البرهان الشاهد على اعتزام الناس أن يؤيدوا الحكومة الحرة وحقوق الانسانية »

وكان الداعون إلى السلم ينشرون مبدأهم فى العاصمة الشمالية ولم يكفوا عن ذلك منذ الصيف. وفى الشتاء وجدت دعوتهم قبولاً لدى الكثيرين فى العاصمة الشمالية حتى لقد أخذوا على الرئيس أنه يصم أذنه عن هذه الدعوة ... وحدث أن أرسل جفرسون دافز رسولاً إلى لنكولن يدعوه إلى السلم ويقترح عقد مؤتمر لتقرير ذلك . وكتب الرئيس لنكولن رداً حمله ذلك الرسول إلى جفرسون وفيه يوافق الرئيس على عقد المؤتمر ؛ واجتمع فى مركز قيادة القائد جرانت ثلاثة من قبل أهل الجنوب وناب عن الشماليين سيوارد ثم لحق به الرئيس، وعرض الشماليون شروطهم فلم تحز قبولاً لدى خصومهم. ورأى الرئيس أن فى الأمر خداعاً وأنهم لا يريدون سوى أن يكسبوا الوقت بالمفاوضة ريثما يعدون ما يستطيعون من قوة ... ولذلك تراه ينصح إلى جرانت ألا يتهاون أو يخفف من وطأته وانفض المؤتمر ولم يصل إلى رأى ...

وأوضح الرئيس سياسته فى خطابه الرسمى الذى ألقاه غداة تسلمه أزمة الأمور للمرة الثانية . وإنك لتجدها واضحة فى تلك العبارة الجميلة التى اختتم بها ذلك الخطاب قال : « والآن فمن غير موجدة على أحد ، بل مع الاحسان للجميع ، والثبات على الحق كما يطالب الله أن نرى الحق ، دعونا نجهد لنفرغ من هذا العمل الذى نحن بصدده ، وأن نضمد جراحات الأمة ، وأن نعنى بهؤلاء الذين قاموا بالجهاد وبأراملهم وأيتامهم . وأن نبذل كل ما فى وسعنا لنصل إلى السلام الدائم ونعزه بين أنفسنا وبين جميع الأمم »

وجعل الرئيس ينتظر أخبار الميادين ، وكثيراً ما كان يقضى وقتاً طويلا فى غرف البرق يترقب ويتوقع ... وكثيراً ما كان الرئيس يشخص بنفسه إلى مراكز الجنود فيزورها واحداً بعد الآخر ! وجاءت البشائر بالنصر يتلو النصر. ففى الحادى والعشرين من ديسمبر أخذ شيرمان مدينة سفانا عنوة فأبرق إلى الرئيس يقول: « أرجو أن تسمح لى أن أقدم إليك مدينة سفانا كهدية فى عيد الميلاد » واستمر شيرمان فى زحفه فاستولى على كولومبيا وشارلستون، وما زال حتى دخل ولاية كارولينا الشمالية وأصبح على اتصال بجنود جرانت وبذلك أوشكت جنودهما أن تحيط بجيش الشماليين

وكان جرانت يثخن فى أرض الجنوبيين لا يألوهم نزالا كأهول ما يكون النزال ، وكانت ضحاياه كثيرة يدمى لها قلب الرئيس ، ولكنه كان لا يلين وما لبث هو وأعوانه أن هزموا الجنوبيين فى كل مكان حتى لم يبق فى الميدان غير لى ...

وحاصر جرانت مدينة رتشمند ودام حصاره لها طوال أشهر الصيف من عام ١٨٦٤ وأشهر الشتاء من عام ١٨٦٥ ، وفى السابع والعشرين من مارس التقى لنكولن وجرانت وشيرمان على ظهر زورق تجارى فى نهر جيمس بالقرب من مركز القيادة وتداول ثلاثتهم فى الأمر . ولشد ما تألم الرئيس أن علم أنه لا يزال دون النصر معركة حامية ، وراح يتساءل فى جزع : « ألا يمكن تجنب تلك المعركة ؟ ألا يمكن تجنب تلك المعركة ؟ »

وأمكن تجنب تلك المعركة الحامية فلقد تمكن شيريدان وكان إلى يسار جرانت أن يقطع على (لى) آخر منفذ للهرب فتم لهما تطويقه ، وأصبح تسليمه أمراً لا بد منه . وفى اليوم الثالث من ابريل سقطت رتشمند التى كانت طروادة هذا الصراع المنيف

وأنى للكلام أن يصف مبلغ ما كان بالعاصمة من شعور الفرح والحبور .. لقد بات الناس وأفاقوا على مثل مظاهر العيد. وأى عيد أجمل من هذا الذى يبشر الناس فيه بانفراج الغمة واتحاد الأمة ؟

وكان الرئيس فى المعسكر منذ شهر مارس يبيت مع الجند ويستطلع الأنباء كل يوم ولقد نال الجهد والاعياء من جسده حتى ليبدو كالمريض وهو الرجل الذى عرف فيما سلف بقوة بدنه ووفرة حيويته ... ولما بلغه سقوط رتشمند وصل إليها فى بساطة وهدوء ، وليس معه إلا بحارة قارب حربى كان يرسو على مقربة منها فلا خيل من حوله ولا جند يفسحون له الطريق . ودخل الرئيس العظيم المدينة يمسك بيده يد ابنه الصغير تاد وهو يمشى على الأرض هوناً وليس فى وجهه زهو ولا تطاول

وهرع الناس من كل فج يشهدون الرجل الذى دوخ البلاد

باسمه ، فلما رأوه شعروا جميعاً نحوه بمثل ما يشعر الأبناء نحو أبيهم ، وهو بين الجموع رابط الجأش يظهر قوامه الطويل للأعين.

وتلفت الرئيس فاذا جموع السود تتقاطر من كل صوب وهم يملأون الجو بهتافاتهم باسم مخلصهم ومحطم أغلالهم ، وكانوا من حوله يرقصون ويقفزون فى الهواء لا يدرون ماذا يفعلون للتعبير عما فى نفوسهم نحو هذا المحرر الأعظم ... ثم تقدموا متزاحمين فتلاقوا على الأرض أمامه يقبلون قدميه وهو يرفعهم بيديه ويمسح بهما على جباههم وأكتافهم والدموع تتسايل كبيرة ساخنة من عينيه الواسعتين فتجرى على محياه الكريم

وحار الرئيس برهة ماذا يقول وهو الذى لم يعرف قبل عياً ولا حصراً، ثم نادام قائلا « أى أصدقائى المساكين. أنتم أحرار، أحرار كالهواء . إنكم تستطيعون أن تطرحوا اسم العبودية وتطأوه بأقدامكم ؛ فأنكم لن تسمعوه بعد اليوم . . . إن الحرية حقكم الذي منحكم الله كما منح غيركم » وتألم الرئيس من أن يخروا سجداً على قدميه فقال : « لا تسجدوا لى ، هذا ليس بالصواب ، يجب أن تسجدوا لله وحده وأن تشكروه على الحرية التى سوف تتمتعون بها منذ اليوم ... »

وعاد الرئيس إلى وشنجطون وفى وجهه مثل ما يكون فى وجوه الأبرار الصالحين، والناس حول ركابه يهتفون باسم «أبيهم إبراهام» بطل الحرية ومحطم الأصفاد ومعيد الوحدة إلى البلاد وحامى دستورها ورسول حاضرها إلى غدها ...

وفى اليوم التاسع من هذا الشهر المشهود سلم لى جيشه للقائد جرانت وتلقت العاصمة النبأ وتلقاه الرئيس ، وتنفس الناس الصعداء . وأحس ابن الأحراج بعد هذا الكفاح الطويل الشاق أن قد آن له أن يستريح ولو بضعة أيام ... وتزاحم الناس حول البيت الأبيض وهم من فرط سرورهم يبدون كأنما طاف بهم طائف من الجنون ، وأطل الرئيس عليهم وهم يتصايحون ويتواثبون ويقذفون بقبعاتهم فى الهواء ، فلم يدر ماذا يقول . ثم مسح بيده الدموع المنحدرة من عينيه وطلب إليهم أن يهتفوا ثلاثاً بحياة القائد جرانت ورجاله ، وحياة القواد البحريين ورجالهم، وعاد إلى داخل حجرته ...

وفى اليوم الرابع عشر كان على مجلس الوزراء أن يجتمع ظهرا، وكان جرانت ممن سوف يشهدون الاجتماع . وكان يبدو على محيا الرئيس قبل الاجتماع شىء من الهم ، قال لبعض أصحابه : إنى رأيت حلما كريها لا أرى مثله إلا قبيل حادث عظيم .. واجتمع المجلس ليرى ماذا تفعل الحكومة لاصلاح ما أفسدته الحرب . وفى هذا الاجتماع عارض الرئيس القائلين بالانتقام من أهل الجنوب وصاح بهم « كفانا ما ضحينا من الأنفس . يجب أن نطفىء فى قلوبنا السخائم إذا أردنا أن نقيم الوحدة والوفاق » ألا ليت أعداءه سمعوه وهو يقول ذلك ، ألا ليتهم سمعوه ...

وركب الرئيس وزوجه فى نزهة عصر ذلك اليوم . وفى المساء ذهب ليشهد رواية تمثيلية فى المسرح ، وكانت الصحف قد نشرت اعتزامه الحضور ومعه القائد جرانت ، وتخلف القائد لأمر ما ، وذهب الرئيس وجلس فى مقصورة هو وزوجه وقائد من القواد . وفى الساعة العاشرة والنصف تسلل إلى باب مقصورته رجل فاقتحمه وفى يده مسدس أطلقه على رأس الرئيس ... وكانت فى يده الأخرى مدية طعن بها القائد ، وقفز إلى خارج المسرح وكان هو وشركاؤه قدأعدوا حصانا ليهرب به عدوا ...

وروعت العاصمة بالنبأ الفاجع ، وتلاقت أمة تحمل شهيدها الأكبر ومحررها العظيم إلى مقره ليستريح الراحة الأبدية ، وذهبوا بجثمان البطل إلى سبرنجفيلد فى نفس الطريق الذى جاء منه إلى العاصمة قبل ذلك بأربع سنوات ، والناس على جانبيه يشهقون اليوم ويجهشون ولا يملكون غير الدمع فى هذا الخطب الفادح . ودفن الرئيس إلى جانب ابنه الصغير ... ألا ليتهم حملوه إلى الغابة ليدفن حيث نشأ وحيث شب

« تم »

الخفيف

يوم مطير

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

نهار تدانى الدَّجْنُ فى عُلوِ أُفقِهِ ... مُبَلَّلَةٌ أرجاؤه ومَنَاكِبُهْ

خَبَتْ شمسه كالجمر يخبو لهيبه ... وعاد رمادا حسنُهُ وعجائبُهْ

دجا مثل وجه الهمِّ إلا جلاله ... فللدَّجْن سحر يَحْزِنُ النفسَ خالبُهُ (١)

ثقيلٌ على القلب البهيجِ عُبُوسُهُ ... ولكنه قد يَسْحِرُ القلبَ كاربُهُ (٢)

كما كان بعضُ الحزنِ للنفسِ شائقا ... تُعاقِرُهُ فى نشوة وتُقارِبُهْ

ترى قطراتِ الغيث كالخيل أُطْلِقَتْ ... لِكَسْبِ رهانٍ أحرز السبقَ كاسبه

وتحسبها كالطير تهفو تنَزِّيًا ... تنزِّىَ الدَّبى إنْ أحرقَ الغيثَ ساكبه (٣)

كأن الصِّلال الزاحفاتِ على الثرى ... تجوس إذا ما الغيث جاست سواربه (٤)

كما عاج حيران يمينا ويسرة ... من الذعر، شر الذعر ما عاج صاحبه (٥)

على الأرض والجدران والدوح قطرُهُ ... ويَدْفَعُ فى وجه المُشَرَّدِ حاصِبُهْ

أيسطو عليه الغيث يغسل نحسه ... أم الغيث من لهوٍ تراه يداعبه

كلهوِ غلام مُلْكَ القسوُ قلبَهُ ... إذا حيوانٌ هابَهُ فهْوَ ضاربه (١)

سجيةُ كل الناس من هاب شرَّهم ... رَمَوْهُ بِبَأسِ اللوْمِ والخوفُ شائبه (٢)

ويعزو خيالُ المرء للكون روحَهُ ... مناقبه تُجْلى به ومثالبه

إذا رَنَّقَ التربُ الهواء انبرى له ... من الوَدْقِ طُهْرٌ يغسل الجو صائبه

ترى البرقَ فيه مُصْلِتاً سيف نقمة ... لها الرعد صوت يذهل اللبَّ راعبُهْ (٣)

إذا خف كان الغيث لهوًا ونعمة ... وإن لج لاحت للعيون خرائبه

ويطغى على الوادى بجيش عَرَمْرَمٍ ... مسالكه مذمومة وعواقبه

يخف على لوح الزجاج فصوته ... طنين فَراشٍ مَرَّ باللوح حاصبه

وطورًا يُلِحُّ الودق منه فصوته ... خريرٌ كما يَسْتَحْلِبُ الدَّرَّ حالبه (٤)

ويرنو إليه المرء من ثقب بيته ... كأنَّ غريبًا يَتَّقِى منه هائبه

وطورًا ترى الغلمان تلقط طَلَّهُ ... يداعب صِنْوٌ صِنْوَهُ ويلاعبه (٥)

ترى كل لَوْنٍ بعده قد زها به ... كأن طِلاءً فوقه لجَّ خاضبه

يُعَلِّقُ قُرْطاً فى ذرى الدوح قطره ... فتحسبه قد نَظَّمَ الدُّرَّ ثاقبه

عبد الرحمن شكرى

(١) أى الخالب منه الذى يأخذ القلب بالخلابة
(٢) البهيج هنا الدائم السرور وقد تأتى بمعنى الجميل . والكارب : مسبب الكرب
(٣) التنزى التذبذب والاهتزاز . والدبى صغار الجراد
(٤) الصلال جمع صل الثعابين . فى البيت تشبيه انسراب مياه المطر على الأرض بسير الأفاعى
(٥) الهارب الحيران يعوج يمينا وشمالا من الحيرة فسيره فى ميله يمينا وشمالا كسير مياه الأمطار على الأرض المنبسطة

(١) القسو معناها القسوة
(٢) شائبه مخالطه
(٣) مصلتا شاهرا
(٤) الدر بفتحتين اللبن والودق قطر الغيث
(٥) الطل ضد الوبل والأول هو الخفيف من المطر . الصنو القريب النسب

موعد العيد الألفي للقاهرة

سئلت كلية الآداب بالجامعة عن اليوم الذي يحسن أن يجرى فيه الاحتفال بالعيد الألفي لمدينة القاهرة. وقد أحالت الكلية هذا السؤال على أساتذة التاريخ بها. فدرسوه وأصدروا قراراً قدموه إلى مجلس جامعة فؤاد الأول في اجتماع يوم الأحد الماضي فأقره ورفعه إلى مجلس الوزراء مقدما إليه بهذا البيان:

« دخل جوهر مدينة الفسطاط في ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ (١٧ يولية سنة ٩٦٩ م) ووضع في تلك الليلة نفسها أساس المدينة التي عزم على إنشائها لتكون حاضرة الدولة الفاطمية. وفي ليلة الأربعاء ١٨ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ وضع جوهر أساس القصر الذي بناه لمولاه المعز

ولما فرغ جوهر من بناء قصر الخليفة وأقام حوله السور سمى المدينة كلها بالمنصورية نسبة إلى الخليفة المنصور أبي المعز. وظلت هذه التسمية حتى قدم الخليفة المعز، فسماها القاهرة

وكانت القاهرة في عهد ولاية جوهر صغيرة ليس بها سوى قصر الخليفة والجامع الأزهر وثكنات الجنود ورجال الحاشية ودور المغاربة الذين استعان بهم الخليفة المعز في فتح مصر — ثم ظلت تتدرج في العمران حتى بلغت في نهاية عصر الفاطميين درجة كبيرة من التقدم

« وفي يوم الجمعة ٢٤ من شعبان سنة ٣٦٢ هـ و٣٠ مايو سنة ٩٧٣ م دخل المعز الاسكندرية وسافر منها في أواخر الشهر المذكور فوصل إلى الجيزة في ٢ من رمضان — وأقام فيها أياماً — ثم عبر النيل ووصل إلى القاهرة في يوم الثلاثاء ٧ من رمضان سنة ٣٦٢ هـ. (الأربعاء ١١ يونية سنة ٩٧٣ م) ودخل القصر الذي بناه له جوهر. وفي اليوم التالي لوصول المعز خرج أشراف مصر وقضاتها ووجهاؤها ورجال العلم فيها لتهنئته والاحتفاء به.

وفي يوم ١٥ من شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ جلس المعز في الديوان الكبير من قصره على السرير الذي أعده له جوهر، واستأثر الخليفة الفاطمي بكل ما كان يتمتع به جوهر في مصر من نفوذ. وأصبحت مصر منذ ذلك الحين دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة تابعة للخلفاء الفاطميين ببلاد المغرب. وغدت القاهرة — بدل المنصورية مركز الدولة الفاطمية الشاسعة الأرجاء

والأزهر أول مسجد بني في القاهرة، شرع جوهر في بنائه يوم ٤ من شهر رمضان سنة ٣٥٩ هـ (١١ يولية سنة ٩٧٠ م) وتم بناؤه في سنتين تقريباً. وأقيمت الصلاة فيه لأول مرة في ٧ من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٢٢ يونيو سنة ٩٧٢ م)

ونرى أن يقع الاحتفال الألفي بمدينة القاهرة في يوم ٧ من رمضان سنة ١٣٦٢ هـ (٧ سبتمبر سنة ١٩٤٣ م) أي بعد مرور ألف عام على دخول الخليفة المعز لدين الله الفاطمي مدينة القاهرة واتخاذها حاضرة للخلافة الفاطمية »

وقد علمنا أن الكلية ستساهم في هذا الاحتفال التاريخي بطائفة من الأعمال، منها إنشاء متحف تاريخي يمثل القاهرة في مختلف عصورها، وإصدار كتاب جامع عن القاهرة، وإخراج بعض النصوص التي تتصل بهذا التاريخ

افتتاح الدورة السادسة للمجمع اللغوي

افتتحت في الأسبوع الماضي الدورة السادسة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية، فوفد على داره أعضاؤه ماعدا الأستاذ هيتمن الذي سيحضر إلى مصر في أوائل شهر يناير القادم، والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا العضو التونسي الذي اعتذر من عدم حضور هذه الدورة لأعمال اضطرته للتخلف في تونس

وقد حضر جلسة الافتتاح كثير من الكبراء يتقدمهم أصحاب المعالي والسعادة وزير الأوقاف وعبد الرحمن رضا باشا ومحمد قاسم بك

عميد دار العلوم وجاد المولى بك مفتش اللغة العربية وحسن فايق بك مراقب التعليم الثانوى وغيرهم

وحضر معالى الدكتور هيكل باشا وافتتح الجلسة بخطاب قيم ثم وقف على أثره الدكتور محمد توفيق رفعت باشا رئيس المجمع فألقى كلمة الافتتاح . ثم وقف الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين الأستاذ بكلية أصول الدين وعضو المجمع فألقى قصيدة . ووقف الدكتور فيشر فألقى كلمة فى الموازنة بين المجامع الغربية وهذا المجمع، وقد ألم فيها إلى ما سبق فى عصور التاريخ العربى من مجامع عربية كان لها الأثر المشكور فى إحياء اللغة العربية ونحوها

ثم ألقى الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى عضو المجمع خطبة ضمنها الرد على ملاحظات الجمهور على أعمال المجمع وذكر الخطة التى يجب أن تتبع لابلاغ الجمهور حاجته التى يرجوها من المجمع

وبذلك أعلن انتهاء الاحتفال ونزل معالى وزير المعارف وكبار الزوار إلى حجرة رئيس المجمع ودعى حضرات الأعضاء إلى الاجتماع فى حجرة أخرى حيث عينت مواعيد الجلسات اليومية وهى الساعة الخامسة من مساء أيام السبت والأحد والاثنين والساعة العاشرة من صباح الثلاثاء والأربعاء والخميس

وذهب بعد ذلك حضرات الأعضاء وفى مقدمتهم معالى وزير المعارف إلى القصر الملكى لتسجيل أسمائهم فى سجل التشريفات

المجمع اللغوى يتجه الى الاتصال بالشعب

ظهرت أخيراً فى أفق المجمع اللغوى ظاهرة طيبة وهى محاولة الاتصال بالمصالح الشعبية لتبادل الرأى معها . وقد تألفت لهذا الغرض لجنة من حضرات الأعضاء الأساتذة عبد القادر المغربى وعلى بك الجارم وماسينيون المستشرق الفرنسى . ومهمة هذه اللجنة بحث خير الطرق للاتصال بالمصالح الشعبية، تمهيداً للتعاون معها ومعرفة دوران الأساليب والمفردات الشعبية ، للاهتداء بها فيما يقر المجمع من مصطلحات أو يضع من مفردات

ولكننا علمنا أن هذه اللجنة اصطدمت بقرار سابق للمجمع حظر فيه التعريب على غير العرب الأولين. وهو قرار يعرقل العمل الجدى للمجمع ، ويقوم سدا بينه وبين التجديد المفيد فيحسن به أن يعيد النظر فيه

الثقافة العربية وترجمة آدابها الى اللغة الفرنسية

تقوم الآن الجمعية الفرنسية المعروفة باسم « جيوم بادوا » بنشر الآثار العلمية والأدبية والفلسفية لليونان والرومان ، ونشر ما يتصل بحضارة البحر الأبيض المتوسط من الأدب القديم والمتوسط والحديث

ولما كانت مصر تعتبر فى مقدمة الدول التى أثرت منذ فجر التاريخ فى حضارة العالم وهى تقع في مركز ممتاز بين دول البحر الأبيض المتوسط رأت الجمعية أن تعنى عناية خاصة، إلى جانب عملها على نشر آداب اليونان والرومان، بنشر المشهور من الأدب العربى وترجمته إلى اللغة الفرنسية ، ورغبت لتحقيق هذه الغاية فى أن يكون لها فى مصر فرع يشترك فى أعمالها

وقد عرضت هذه الفكرة على صاحب المعالى وزير المعارف فأبدى ارتياحه لها. وستؤلف لهذا الغرض لجنة يكون معاليه رئيس الشرف لها وصاحب العزة وكيل الوزارة رئيسها العامل

أما أعضاء اللجنة فسيختارون من بين أساتذة الجامعة المصرية وبعض المستشرقين ، على أن يشترك معهم من الموظفين الأجانب فى مصر مسيو ڤييت مدير الآثار العربية، والمسيو دريوتون مدير المتحف المصرى

مجلس الابحاث الأهلى

كان البرلمان قد أبدى لمناسبة التفكير فى تخليد ذكرى الملك فؤاد الأول رغبته فى أن ينشأ لهذا الغرض معهد للأبحاث العلمية؛ وكان صاحب المعالى وزير التجارة والصناعة قد قدم إلى مجلس الوزراء مذكرة بسط فيها قيمة البحث العلمى وأثره فى ترقية الصناعة . واقترح أن يؤلف المجلس المصرى على غرار مجلس الابحاث الأهلية فى إيطاليا .

وقد تم إعداد المشروع الخاص بهذا المجلس . وينص فى أول مواده على اعتباره هيئة مستقلة تتألف من كبار العلماء والعاملين فى الصناعة والمشتغلين بالبحث العلمى من الجامعيين .

ونص المشروع على ضرورة رجوع الحكومة إلى المجلس قبل إقرار التشريعات الخاصة بالانتاج الصناعى والزراعى وغيرها من التشريعات التى يمكن أن تفيد فى البحث العلمى .

ويتجه المشروع إلى تركيز البحث العلمى فى الهيئة التى يتألف منها المجلس بحيث يكون كالرأس المدبرة التى تشرف على شتى مناحى التفكير والتجارب العلمية ، فهو ليس معهدا نظريا ولكنه ، إلى جانب فكرة التركيز المشار إليها، يتجه فى عمله إلى الافادة من العلم وتطبيقه لما فيه مصلحة البلاد

والمجلس المقترح لا يمس الوظائف الجامعية ، ولا ينقض من نشاطها فالجامعة تختص بالبحث النظرى الخالص . أما هذا المجلس

فسيمنى بالبحث العلمى الصناعى ، والتطبيقات العملية للاستنباطات النظرية والاستفادة منها اقتصاديا .

وسيعرض المشروع على اللجنة الوزارية المؤلفة برياسة وزير المعارف وعضوية وزير الأشغال ووزير التجارة ومدير الجامعة وعميد كلية الطب ومدير مصلحة المعامل ، وعمداء كليات العلوم والزراعة والهندسة .

ومتى أتمت هذه اللجنة بحث المشروع اتخذ مراحله التشريعية المعتادة .

تخليد ذكرى شاعر الهند محمد اقبال

من أنباء بمباى أن الجمعيات الأدبية والعلمية فى الهند قررت تخليد ذكرى الشاعر الهندى الكبير المرحوم السير محمد اقبال فأنشأت فى جايبور بولاية راجيوتانا مؤسسة باسم (مؤسسة اقبال) وانتخبت السيد جوپال مديراً لها . وأصدرت المؤسسة مجلتين باسم (اقبال) الأولى باللغة الانكليزية والثانية باللغة الأوردية .

وصدر من المجلة عددان فى شهر أكتوبر الماضى . وكان العدد الأول يحتوى على مباحث باللغتين الانكليزية والأوردية فى تمجيد أعمال الشاعر الراحل وشرح مؤلفاته . وقد أعطيت جوائز للكتاب والرسامين الذين ساهموا فى إصدار هذا العدد الممتاز

وقد عقد السيد رشيد أحمد مقالاً مسهباً عن الشاعر اقبال فى إحدى صحف لاهور قال فيه: إن الفقيد العظيم قد أعطى الشعر الهندى أجنحة للتحليق فى أسمى ارتفاع بلغه الشعر إلى الآن . وتمتاز فلسفة محمد اقبال في نظرياته الخاصة بالله عز وجل وما ينال الانسان من نعم الخالق القدير . وقد مات محمد اقبال تاركاً للهند وللمسلمين على الخصوص أثراً قيماً بمؤلفاته التى تعد مفخرة من مفاخر الهند . وفيها عالج اقبال جميع الموضوعات من أصغرها إلي أكبرها بمقدرة لم يبلغها سواه من قبل . فهو جدير باللقب الذى أقر له به الأجانب قبل أبناء الهند وهو لقب شكسبير الهند

افتتاح المعرض السادس لفن التصوير الشمسى

افتتح فى الأسبوع الماضى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف المعرض السادس لفن التصوير الشمسى

وقد أشرفت على إقامة المعرض جمعية محبى الفنون الجميلة التى يرأسها حضرة صاحب السعادة محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ

وعلى الرغم من أن غالبية العارضين كانت من الأجانب فان معروضات الفنانين المصريين كانت موضع إعجاب الزائرين من أجانب ومصريين ، وعلى الأخص معروضات الدكتور أحمد موسى محرر الرسالة الفني ؛ ومن بين لوحاته لوحة سماها «فى رحاب الفضاء» بلغ من روعتها أن الكثيرين حسبوها خدعة لا صورة من الطبيعة ، لأنها صورة فلكية أخذها الدكتور فى الاتجاه الجنوبى الغربى للقبة السماوية فبدت الكواكب فيها نقطاً لامعة فى السماء أخذت اتجاهين مختلفين أبدعت عدسة الفوتوغرافية فى التقاطها

ولوحات الدكتور موسى الأخرى مثل عال فى التصوير الفوتوغرافى وخاصة لوحاته فى الطبيعة ، ومنها : « الانساق » و « أحزان الغسق »

وتبلغ لوحات المعرض حوالى ٣٥٠ لوحة يلمس الشاهد فيها كثيراً من روائع الفن الفوتوغرافى فى مختلف البيئات المصرية والأجنبية وفى مختلف الدراسات والاتجاهات الفنية

الخطأ فى طبعات المعجمات

فى البقية من نقدى (كتاب المبشرين المزور) فى الجزء السابق من (الرسالة) الغراء فى كلام ابن الأنبارى المروى عن اللسان والتاج — : « لأن الرجل لا يذهب زاده بموت امرأته إذا لم تكن قيمة عليه » « ولا يلزمه شيءٌ من ذلك » والصواب (إذ) (ولا يلزمها) وإذ للتعليل . وليست زيادة الألف تطبيعاً بل هى خطأ فى طبعتى اللسان والتاج . والتطبيع فى هذين المصنفين — يا طالب العلم — كثير ، وهما الترجمان المعظمان فى اللغة . وما أقول ما أقول لكى أنحي بسرعة قد أخطأت — مما لا نجاة منه . إنها للومة وربها ملوم

الاسكندرية ***

مخطوط ثمين نادر

أضافت الجمعية الملكية الآسيوية فى البنغال إلى مجموعتها الثمينة مخطوطاً فريداً . وكان هذا المخطوط إلى الآن ملكا لسلطان ميسور ومحفوظاً في مكتبته . وقد اشتراه الدكتور هداية حسين من أعضاء الجمعية الملكية الآسيوية . وعنوان المخطوط (جلزار اى ابرای) أى ورود الأبرار ؛ وهو مكتوب بالفارسية ويحوى سيرة حياة الأولياء الصوفيين فى الهند من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر ؛ وفيه ٥٧٥ سيرة كاملة . ولا يوجد فى العالم غير نسخة واحدة كاملة من هذا المخطوط الثمين . وفى المتحف البريطانى فى لندن جزء يسير منه . فالنسخة التى حصلت عليها الجمعية الآسيوية فريدة فى العالم

جان درك

تأليف برنارد شو

وتعريب الدكتور أحمد زكي بك

الحقيقة بطبيعتها جافة ثقيلة على النفس، ولكنها إذ تمتزج بالفن يتجلى فيها الجلال والجمال، والقوة والأناقة، والبهاء والرواء، والصفاء والوضوح، فتهش لها النفس، وتهفو نحوها الروح، وينطلق العقل في رحابها الفسيح نشوان متيقظا كالنحل يرف على رحيق الزهر

ولا غرابة إذا لم يكن للحقيقة من نفسها بعض هذا، وكان لها من الفن كل هذا، فان مهمة الفن أن يجمل الأشياء، ويقرب الأوضاع، ويزين الواقع، ويصل الحقائق المجردة بالعواطف والأحاسيس، وغاية الرضا عند الانسان أن يشبع ما فيه من العواطف والأحاسيس

لهذا نجدنا نجفو كثيراً من الحقائق إذ يسردها التاريخ، ولكننا نهش إليها إذ يرويها الفن، وإنا انرددها كثيراً فلا تزيدنا إلا امتاعا ولذة، ونكررها مرارا فلا تغمرنا إلا بالراحة والاطمئنان. وها نحن أولاء نحب أن نتغنى كثيراً بحروب طروادة، ونشغف بأخبارها وملاحمها غاية الشغف ولكن لا كما رواها الرواة ودونها المؤرخون، بل كما أنشدها في القديم النابه شاعر ضرير اسمه «هوميروس»

وهذه القصة التي نقدمها للقراء اليوم إنما هي حقيقة من تلك الحقائق التاريخية خرجت في إطار من الفن المهذب، فموضوعها (حياة جان درك) وهي أشهر مجاهدة قديسة في تاريخ النصرانية، وأغرب شخصية بين الكفايات الممتازة الشاذة الأطوار في القرون الوسطى، جاهدت أن تفرض نفسها ودعاواها على الناس فرضا، فشاع اسمها وذاع في غرب أوربا، ولم تكن بلغت العشرين بعد، وقد نهضت من الحضيض إلى الملاء نهضة باغتة، فلم يكن للناس فيها إلا رأيان: رأي يقول: إنها آية من آيات الله، ورأي يقول: إنها امرأة ثقيلة الظل لا يطيقها إنسان(1)

أما واضع القصة ومؤلفها فهو (جورج برناردشو) وهو في الأدب الانجليزي من أكبر شخصياته إن لم نقل أكبرها في القرن العشرين، وفي أحقاب خلت ... والقوم هناك يقدسونه إلى حد كبير، فلن تجد بينهم اسماً في عالم الأدب والسياسة ترهف له الآذان كاسمه، ولا جدلاً يهرع الناس لحضوره كجدله، ولا لساناً أقذع في النقاش وأبدع في الجواب كلسانه، ولا فكاهة تنم عن صاحبها كفكاهته، فهو شخصية قوية، وعبقرية متميزة بكثير من المواهب، وإن له في فن القصة آيات بينات(2).

وأما المترجم فهو رجل درس العلم، واتصل بالأدب، وعالج الترجمة، فأكسبه العلم الدقة في الأسلوب، والتعقل في الاختيار، وأفاده الأدب السلامة في التعبير، والأناقة في اللفظ، وكان له من علاج الترجمة خير مران مكنه في هذه الناحية وثبت قدمه، فهو أمين في نقل غرض المؤلف، فطن في فهم إشاراته ومراميه، واضح في التعبير عن ذلك كل الوضوح. وتلك درجة قل في المترجين من يبلغها، وهي الفرق بين ترجمة وترجمة ... وهي التي تثبت شخصية المترجم فيما ينقل، وأما إذ أقول سلامة التعبير، فأنا أشهد بأن المترجم قد بلغ في ذلك الغاية، فقد قرأت الرواية وأنا أراقب الرجل في أسلوبه، وحاولت جاهداً أن أحصي عليه، فلم أقع إلا على (أصواتها الداوية ص٧١)، (كلما داهمهم ص٢٣٤) (نقص نضوجها ص٢٦٨). على أن تلك من الأخطاء الشائعة في الألسن والأقلام، فقليل في الأدباء من يفطن إلى الصواب في ذلك فيقول: (مدوية. ودهمهم. والنضج). على أن الأخيرة مما يصح في القياس وإن لم تثبت في السماع.

(١) راجع مقدمة المؤلف

(٢) راجع مقدمة المترجم

ولقد كثرت الترجمة في هذه الأيام ، وملأت فجاج الأرض وزادت على حاجة القراء خصوصاً في الأدب الروائي ، ولكنها في الواقع ترجمة رخيصة مبتذلة ، لا تتصل بفن ، ولا تقوم على وضع ولا تزيد في الثروة الأدبية ولكنها نقص وتدهور ، فهي لا تعنى إلا بالقصص الداعر ، والغراميات الحيوانية ، وحوادث الاجرام واللصوصية ، والسفك والانتحار ، وكل ما هو تمرد على الأخلاق وقلب للأوضاع ، واستهانة بالتقاليد . أما الترجمة النوعية التي نحن في أشد الحاجة إليها لتنهض بنا في مناحي العقل والتفكير والشعور والاحساس والحب والعطف والخير والكمال فذلك عندنا شيء قليل نادر كالكبريت الأحمر ، وما ترجمة (جان درك) إلا من هذا الشيء القليل النادر ، المفيد النافع ، فهي ليست من القصص الفارغ الذي يطلبه القارئ لقتل الوقت وتزجية الفراغ ، ولكنها أثر أدبي جليل حي بموضوعه وبفنه ، فترجمتها إلى العربية يد جليلة وفكرة رشيدة قد أسداها الدكتور الفاضل إلى اللغة العربية والفكرة العربية .

وقد تقول : إن قصة (جان) أليمة في وقائعها قاسية على العواطف بفجائعها ، وأنا أقول : أجل ولكنها مع ذلك سائغة محتملة بالفكاهة الطريفة والنكتة المستملحة ، والنادرة الساخرة ، والبادرة البارعة ، يحرص (شو) على ذلك في كل مواقف الرواية وحوادثها ، وناهيك بفكاهة (شو) وبراعته في ذلك ، ولقد زاد في قوة الرواية الفنية تلك الحياة التي خلقها (شو) في كل أشخاصها فكل منهم متحرك في عمله ، وكل منهم ظاهر بنفسه في تأدية دوره ، فلا ظهور لشخص على حساب شخص معطل كما يفعل ذلك كثير من القصصيين ، ولا نبو ولا شذوذ ولا إغراق كما صنع مارك توين في قصته عن (جان) ولكنها الحوادث تجري على الوضع الطبيعي ، وتستقر على النهج المألوف

ومما يزيد في قيمة الرواية ويرفعها تلك المقدمة الحافلة التي تناول فيها المؤلف شخصية (جان درك) الغريبة ، فنظر إليها من جميع جهاتها ، وأبدى رأيه صريحاً في كل مظهر من مظاهرها وقارن بينها وبين الأشخاص الذين هم على شاكلتها ، وأنت تعلم أن جان فرنسية ، وشو انجليزي ، وجان كاثوليكية ، وشو نشأ في بيئة بروتستنتية ، وجان روحانية في تفكيرها وفي آرائها ، وشو رجل يحترم عقله ويقدس العلم والفكر الحديث ، ولكنه فيما كتبه عن جان وضع الحق فوق كل اعتبار فكان حراً صريحاً ، وكان باحثاً مخلصاً ينظر إلى الواقع بعقله وقلبه وروحه وشعوره وعلمه وخبرته ، وقد استعرض (شو) أقوال الكتاب والروائيين الذين كتبوا عن (جان) من قبله ، فانتقد ما فيها من التهافت والاغراق ، وحاول أن يظهر جان في شخصيتها الطبيعية مرتفعاً بها عن مبالغات قوم قدسوها فطاروا بها إلى مسبح الأملاك ، وتحامل قوم حقروها فانحطوا بها إلى مجرى الأسماك ، وعندما يقف عقل (شو) فلا يجد له منفذاً للتأويل والتخريج تجد الرجل لا يواري ولا يداري ولكنه يصارحك بالحقيقة التي في نفسه كما يقول وهو يتحدث عن أصوات جان وأطيافها : إن العقيدة تتحصل للانسان فيما تتحصل من أنماط عيشه وعادات بيئته ، فأما أنماط عيشي ففكتورية ، وأما عادات بيئتي فبروتستنتية ، فمن أجل عاداتي وأنماطي هذه أجدني عاجزا عن التماس من نفسي لأحكم حكما مجرداً بأن أطياف جان كانت أطيافا حقة »

ففي قصة جان وفي مقدمتها اجتمع فن (شو) وعقله ، وتجلت عبقريته وبراعته ، وإن الدكتور احمد زكي بك خير من يؤدي ذلك بدقته وأناقته ، فلا غرابة إذا قلنا إن القصة قد جاءت في موضوعها وفي تأليفها وفي ترجمتها آية القوة والبراعة والدقة

محمد فهمي عبد اللطيف

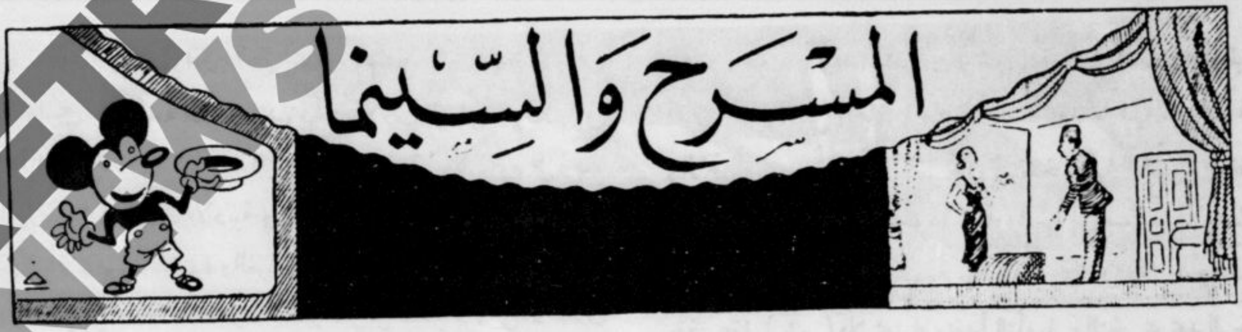

آراء أعضاء لجنة القراءة
في الفرقة القومية

نعود الآن إلى الآراء التي أبداها أعضاء لجنة القراءة لنتبيّن منها مدى معرفتهم فن الرواية، وروح المسرح، وخاصية الناقد، إذ على الإدراك الصحيح يقوم البناء الصحيح للمسرح، فأعضاء اللجنة يرى — من تكلم منهم ومن آثر الصمت — (١) شبه طفرة في الرواية المؤلفة مما يدل على أخذ الفكر الروائي في نضوج سريع (٢) وأن الفرقة لم تبلغ الكمال ولم تقترب منه بعد إنما هي تمضي سراعاً إلى الكمال (٣) وأن رأى النقاد المسرحيين يجب ألا يدنو من النواحي الفنية والخلقية والاجتماعية واللغوية، لأنها من اختصاص أعضاء لجنة القراءة وحدهم (٤) وأن اختصاص النقاد يجب ألا يتعدى ناحية إخراج الرواية ومعدات الإخراج وطول الرواية وقصرها عن الوقت المناسب (٥) وأن حكم النقاد على أن الرواية قيمة أو ليست قيمة، أو مناسبة أو غير مناسبة، فن عمل اللجنة وحدها (٦) وأن ليس في مصر الآن نقد فني قوي يستطيع أن يسقط الروايات أو يعليها (٧) وأن النقد الحالي محاولات أولية قائمة على مدح مفرط من غير أسباب فنية، أو ذم مفرط لأسباب شخصية (٨) وأنه إن كان هناك نقد قوي فأعضاء اللجنة نقاد أيضاً (٩) وأن النقاد يبدون آراءهم في الرواية حيث يكون الأمر قد انتهى وخرج من يد اللجنة، وأن الكرامة تأبى على مدير الفرقة سحب رواية وضح فشلها (١٠) وأنه قد يحدث أحياناً أن ترجع اللجنة بواسطة مدير الفرقة بالضرورة إلى رأى كبار المخرجين وكبار الممثلين لترى إذا كان يمكن تمثيل الرواية على الصورة التي قدمت بها (١١) وأن كبار المؤلفين لا شيء يسدهم عن الفرقة سوى تهيبهم كتابة الرواية المسرحية ووقوفهم في صف واحد مع الكتاب الناشئين

هذه خلاصة لما يراه أعضاء لجنة القراءة وهم عمد المسرح الحقيقيون ودعامته القوية، ولكن ما قول هؤلاء الأعضاء الأجلاء إذا كان فن الرواية، وروح المسرح، والواقع المنظور المحسوس الملموس تنكر عليهم دعاواهم؟ ما قولهم إذا لم يكن في البلد أديب واحد يقرهم على أقوالهم وهي التخبط بعينه؟ ما قولهم وقد دلت أقوالهم على أنهم في درك الوادي وأن فن المسرح والرواية في القمة الشاهقة؟ ما قولهم وقد كاد الأدباء يجمعون رأيهم يأساً وقنوطاً على ضرورة إهمال الروايات المؤلفة والالتفات إلى الترجمة فهي أقل أذى للنفوس من الروايات الموضوعة؟ ما قولهم في أن الروايات التي قبلتها الفرقة وبذلت الحكومة من أجلها من أموال الأمة مبلغ ستين ألفاً من الجنيهات هي أقل قيمة وأحط معنى ومبنى من الروايات التي كانت تمثلها فرقة السيدة فاطمة رشدي وفرقة رمسيس في بداية أعمالهما؟ ما قولهم في أن الأدب والأدباء والفن والفنانين، وكل من يشيع فيه روح الغيرة على الأدب والفن يصرخون في خمسة شيوخ جامدين، جامدين، جامدين، وغرباء جد الغربة عن روح المصريين وعن البيئة والجيل؟

أريد هؤلاء السادة الأجلاء المعترف لهم بعلمهم وأدبهم وفضلهم وغيرتهم على الثقافة العامة أن نقول لهم: اعتزلوا أيها السادة أماكنكم قبل أن يقبض أعضاء البرلمان أيديهم عن الفرقة وهي جد عزيزة علينا؟

أريد هؤلاء السادة الأجلاء، المعترف لهم — مرة ثانية — بعلمهم وأدبهم وفضلهم وغيرتهم على الثقافة العامة أن نقول لهم بصراحة أن ليس فيهم من يعرف حدود المطلوب منه، أو المطالب به فينتحل كل واحد لنفسه السلطة التي يشتهيها، والأستاذية التي يفرضها على الناس، والحق في الطعن في ذوق الأمة وفي كفاية المثقفين

(البقية على صفحة ٢١٢٨)

فهرس الموضوعات للمجلد الثانى للسنة السادسة

فهرس الكتاب للمجلد الثانى من السنة السادسة

(بقية المنشور على صفحة ٢١٢٠)

أيريدون الاطلاع على بواعث ما انتابهم وأحرج الصدور وأرهف الأقلام لنقد أعمالهم ؟

الباعث الأول — فى اعتقادى — هو الادارة الفوضى التى يتولاها ذهن هو مثال لمداوة النظام وحب الاستئثار

فالنظام يقضى أن يتولى مدير الفرقة بذاته وبمؤازرة سكرتيره الفنى فحص الروايات التى تقدم إليه والتى يكلف تراجمة أكفاء بترجمتها فيختار مايصلح منها ، أى ما يوائم (رسالة) الفرقة الثقافية

والنظام يقضى بأن يستعين مدير الفرقة بأعضاء لجنة القراءة على فحص الروايات التى تقدم إليه ، لا أن يتخذ منهم أساتذة أو مستشارين أوغلالة يسترضمفه وراءهم . والنظام يقضى أن تؤلف لجنة من الممثلين والمخرجين تكون مسؤولة عن فشل الرواية أوسقوطها لأن لهؤلاء دراية فنية تكتسب بالمران ليس للمدير نظيرها

ولكن الفوضي ، بله الضعف الادارى بأوسع معانيه ، وافتقار مدير الفرقة إلى معرفة فن المسرح وفن الرواية ، وهو الذى جعل لأعضاء لجنة القراءة قوة غير قوتهم وسلطاناً غير سلطانهم ، وسوّل لبعضهم أن يفضح ذاته ويعرض أقرانه للفضيحة ، فاضطرنا ذلك إلى نقل مركز الثقل من على كتف المدير المسؤول لنضعه على أكتاف من تطوعوا لتحمل المسؤولية لوجه شيطان الكبر والادعاء

يحسن الوقوف قليلا عند رواية طبيب المعجزات ، أو لا لأنها لرواية المصطفاة من بين الروايات التى حازت جائزة المباراة ؛ ثانيا لأنها توضح بأجلى بيان مبلغ فهم القائمين على شئون الفرقة للفن المسرحى والتأليف الروائى . ورواية طبيب المعجزات هذه كما لخصتها فى مقال سابق معتمداً على قراءتها قبل تمثيلها وقد استبدلت خاتمتها بسواها ، تدورحول طبيب استغرقه البحث العلمي فتوصل بعد جهد ومثابرة إلى اكسير يطيل الحياة مئات من السنين ؛ وإذ يبلغ الأمة خبرهذا الاختراع العجيب من الصحافة التى رصدت له أوجه صفحاتها تهلل وتكبر وتفرح بطول الحياة ، ثم تشارك الحكومة الأمة فى تقدير العالم الجليل فتمنحه رتبة الباشوية وألزمت الناس بالنطعم بهذا الطعم .

ينام الطبيب فتتجلى له فى الحلم مضار اختراعه . فيرى الحكومة تكلفه رسميا إلقاء محاضرة يوضح فيها خواص الاكسير ، ويسمع أسئلة الناس تنهال عليه .

ونسمع الطبيب يوضح خواص اختراعه فيقول إن الرضيع تدوم مدة رضاعته خمس عشرة سنة ، ويبلغ سن الرشد فى سن المائتين والخمسين ، وهكذا تتراكم على الطبيب الخيالات فى الحلم فتهدم ما بناه فى اليقظة .

هذه هى ، رواية الموسم ، هل تجد فيها « الفكر الروائى الناضج » أم هى « كوميديا » من النوع الذى يسر بعض أوساط من الناس عائشين على هوامش الحياة ؟ هل يمكن أن تكون هذه الرواية أنموذجاً للكمال الذى قال فيه أحد أعضاء لجنة القراءة « إن الفرقة تمضى سراعاً إلى الكمال » ؟

ابن عساكر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 287

Lundi - 2 - 1 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة — « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ٢ يناير سنة ١٩٣٩ » — العـــدد ٢٨٧

الفهـــرس

الرسالة

فى عامها السابع

بلغت الرسالة — والحمد لله على تأييده وتسديده — سنتها السابعة. والسبعة فى عقيدة الشرقيين عدد يدل على الكمال واليمن والكثرة. وله فى الفلك والرياضة والأساطير والدين مزايا وخواص. وهو فى عمر الإنسان سن التمييز وأول الفتوة. فإذا بدت على الرسالة اليوم مظاهر النشاط ودلائل الاغتباط ومصاديق التجدد، كان ذلك جارياً على سَنَن الطبيعة. فان الحى ينمو، والنامى يتطوّر، والمتطوّر يخضع لضرورة الوجود وحاجة الموجود، فلا يكون إلا ما ترضاه الحياة وتريده الخليقة. والرسالة وليدة الفكر المستقل فى نهضتنا الحديثة؛ تخلَّقت من أمشاجه، وتغذت على إنتاجه، ورقّتْ على أسباب رقيه. فلو أنها كانت للعامة لقتلها ملَلها، أو كانت للسياسة لأصابها فشلها؛ ولكنها كانت للفكرة الحرة التى ترُود ثم تقود ثم تهيمن؛ فإن شئت قلت هى الروحية فى هيكل الوطن، وإن شئت قلت هى الإنسانية فى معنى الأمة

من أجل ذلك عاشت الرسالة. ولكنها تعيش كما يعيش

الجِد ، وتمشى كما يمشى الحق . والجد يعيش متزايلاً ولكنه ينال ؛ والحق يمشى متثاقلاً ولكنه يصل

* * *

لقد أصبحت الرسالة بفضل ما مكن الله لها فى النفوس القريبة والبعيدة عنواناً من عناوين المجد القومى الخالد ، وفصلاً من فصول الأدب العربى الحديث . فإذا وجدت على جنبات النيل مصر العاملة المدبرة ، وجدت على صفحات الرسالة مصر الشاعرة المفكرة . وشتان بين يد تعمل فى التراب ، وفكر يجول مع السحاب ، فيومض فى كل نفس ، ويمطر فى كل بلد ! وإذا فنى أثر اليد مع الإنسان، بقى أثر الروح سرمداً مع الله . فمن ذا الذى يستكثر على الرسالة منا أن نُسهر لها العيون حتى تَمشى ، ونُرهف لها العزم حتى يكل ، ونحبس عليها القلب حتى يقف ؟؟ أليست هى كما ذكرنا وكررنا ديوان العرب المشترك ، جَمعت فيه الأشتات إلى الأشتات ، ووفَّقت بين الأصوات والأصوات ، ثم ألَّفت من هـــذه الآلات المنفردة جوقة موسيقية متحدة تسكب فى مسامع الوجود أناشيد الخلود ؟

يتساءل الذين اكتنهوا حرفة الأدب وكابدوا بلاء النفس فيها : كيف تسنى للرسالة أن تعيش على خفض الاشتراك ونقص المورد من الإعلان ؟ ونحن نقول عن عقيدة وخبرة : إن وفرة المال لا تضمن النجاح ، كما أن كثرة الجيوش لا تكفل النصر . إنما القوة الروحية هى المدد الإلٰهى الذى يهبه الله للمجاهدين متى شاء أن تدول دولة ، أو تعلو كلمة ، أو تبلغ رسالة . وتبليغ الرسالة جهاد . والمجاهد عتاده الإيمان وزاده الصبر ؛ ومن وجد فى العمل منجاه من الهم وملاذه من الناس فقد وجد الثواب عليه فيه

على أن الرسالة مع ذلك شيدت داراً وأنشأت مطبعة . وهى ترجو فى عامها الجديد أن يظاهر الله عليها المعونة حتى تقوم بإنجاز ما وعدت من توسيع الخطو وتنويع العرض وتوفير العُدة

نعم وعدت الرسالة ! وكان من طبعها ألا تماقِق الرغبات بالتمنية ، وألا تستميل الشهوات بالوعد ؛ كما كان من عقيدتها أن العمل الصامتَ أنطق الأدلة على توخى الحق ، والماضى الواضح أضمن الوثائق للمستقبل المبهم ؛ ولكنها فى ميعة النشاط ونشوة الأمل تطيع سورة الشباب ، فتطمح إلى الكمال مغضية عن العجز ، وتثب إلى الغاية مستخفة بالعوائق . وما وعدُها اليوم إلا فيض من الرجاء طفح مما تسر على ما « تعلن » !

* * *

شكونا من الحكومة أنها تهمل الأدب ، وعتبنا على القراء أنهم يعزفون عن الجد ، فما نفعت الشكوى ولا أجدى العتاب . ذلك لأن الحال التى نحن عليها اليوم من اضطراب الحكم بين رغبات الأمة وحملات المعارضة ، وتوزُّع الرأى المثقف بين الأهواء المتعارضة فى السياسة ، لا تزال تبعدنا عن حياة الأمن والاستقرار التى تعود إلى الناس فيها لذة التفكير وشهوة القراءة . فليس لنا من سبيل إلا أن نؤدى واجبنا ونسكت ، أو نقول كلمتنا على رأى المسيح ونمضى . والأديب مكتوب عليه أن يجاهد ويضحى ، لا يستمد العون إلا من ربه ، ولا يلتمس العزاء إلا من قلبه ، ولا يبتغى الثواب إلا من سلطان ضميره

وقد ظهر فى العالم الأدبى مع هذا العام الجديد مجلتان محترمتان هما « العصور » و « الثقافة » ، وسيكون لصوتهما مع صوت الرسالة دوى شديد يفتح العيون الوسنى على الصحائف المكتوبة بعصارة الأذهان ومهج القلوب ، فيهتز الأدب الذاوي ، وتنشط العقول الفاترة

* * *

اللهم إن كنا أسرفنا فى الرجاء فذلك لحسن الظن بك وقوة الأمل فيك ؛ فهب لنا من لدنك ولياً يكفكف نزوات النفس ، ونصيراً يكفينا عوادى القدر ، ومرشداً يجنبنا مزالق الرأى ، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس

احمد حسن الزيات

اشتراك الطلبة والالزاميين

جريا على عادة الرسالة فى تسهيل الاشتراك على الالزاميين والطلاب تقبل تقسيط الاشتراك على ستة أشهر متوالية ، والاشتراك سبعون قرشا للمجلتين والهديه ، وخمسة وخمسون قرشا لهما من غير هدية .

ســـبيل الصحافة

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

فرغت من عملى ، فوضعت القلم ، ونهضت عن المكتب ورحت أتمشى ، فلقينى زميل فسألنى :

« كيف ترى الخبر الفلانى ؟ »

قلت : « عظيم . وقد جعلته موضوع مقالى اليوم »

قال : « أنا جئت به »

قلت : « أهنئك . فمن أعطاكه ؟ »

قال : « قد والله سرقته ! »

فضحكت وقلت : « اللص الشريف ! »

وهممت بالانصراف عنه ، بعد أن أثنيت عليه بالذى هو أهله . فقال : « بودى أن أعرف رأى الوزير فيما صنعتُ ، وما أظن إلا أنه مغيظ محنق »

فقلت : « إن الخبر للنشر على كل حال ، والخلاف بينك وبين الوزير على موعد النشر ، وليس هذا الخلاف بالذى يثير الغضب »

وأقبل فى هذه اللحظة زميل آخر فألقيت إليه خلاصة الحديث وقلت :

إن الجريمة ليست فى ارتكابها ، بل فى افتضاحها . ونحن اليوم نحرم السرقة ، وتقول قوانيننا إنها محظورة ، وإن عقابها كيت وكيت، ولكن (ليكرغ) فى إسبارطة القديمة كان يذهب مذهباً آخر فيقول بأن لك أن تسرق على ألا ينكشف أمرك ، فإذا انكشف كان عقابك صارماً . والنتيجة واحدة ، فان السارق الذى يستطيع أن يستر فعلته لا يصيبه شىء ، وما يعاقب إلا الذى يعجز عن إخفاء ما صنع ، ويثبت عليه ارتكاب الفعل

ووجه آخر للمسألة : زميلنا هذا قد سرق شيئاً — لم يسرق خبزاً ليأكل ، ولا مالاً لينفق على نفسه وعلى عياله ، أو ليوسع رزقه ، ولكنه مع ذلك سرق شيئاً فى سبيل رزقه ، فإن رزقه يتطلب منه أن يوافى الجريدة بطائفة صالحة من الأخبار التى تمنى القراء ، وصاحب الجريدة لا يكلفه السرقة ، ولو فعل لكان هذا منه شططاً غير مقبول ، وأمراً لا يطاع ، ولكن الزميل مع ذلك رأى أن قيامه بواجبه يبيح له استقاء الأخبار بهذه الطريقة العوجاء ، وهو — كما تعلم — سنىٌّ متدين ، غير أن كونه سنياً ومتديناً لم يمنعه أن يقدم على سرقة صريحة لاسبيل إلى المكابرة فيها ، من أجل الرزق . ولو أنه كان قد سرق رغيفاً أو بيضة لكان جزاؤه ما يبينه قانون العقوبات . وعذر الذى يسرق الرغيف ليسكت « معدة ثعلبها لاحسٌ ، وتارة أرنبها ضاغبُ » كما يقول ابن الرومى فى قصيدته المشهورة لابن الحاجب ، أوضح ممن يسرق ولا جوع به ولا خلة ، وإنما يريد أن يستديم الرضى من صاحب عمله . ولو جئت بسارق الرغيف ، وسارق المذكرة من الوزير أو أعوانه وسقتهما إلى القضاء، لكان للمحقق أن يحكم على سارق الرغيف ، وأن يبرئ سارق المذكرة . وقد يرى القاضى أن الفاقة « ظرف مخفف » — كما يقول رجال القانون — ولكن لن يكون عنده « ظرفاً مبرئاً »

وسارق المذكرة يستطيع وهو آمن أن يباهى بعمله ، وأن يتخذ من قدرته على مثله شهادة مزكية له ، ووسيلة للرفع من شأنه . وكل صاحب جريدة يسمع بجريمته يتمنى لو أن أخانا المجرم كان يعمل له ، بل يتمنى لو كان كل من يعمل فى جريدته على مثاله . ولكن سارق الرغيف بماذا يباهى ؟ أبفقره ؟ أم بعجزه عن الكسب ؟ أم بما وصمه به القانون ؟ أم بما نزل به من السجن ؟ وكل صاحب عمل يزهد فيه ويخاف منه ويتقى أن يكون عنده مثله ؛ وقد يدركه عليه العطف ، ولكنه لا يطمئن إليه . وإنه ليعلم أنه ما أغراه بالسرقة إلا الجوع وقلة الحيلة وانقطاع الوسيلة ؛ وإنه ما كان ليفعل ما فعل لولا ذاك ؛ ولكن الشكوك مع ذلك تظل تساوره وتقاوم شعور العطف وتغالب رحمة القلب ، بل منطق العقل

وأحسب أن الصحافة مدرسة لتعليم هذا الضرب من السرقة ولست أعرف صحفيًا واحداً أتيحت له فرصة سرقة وأحجم عنها أوتردد . وما أبرئ نفسى ولا أنا أستثنيها . هذا وليس عملى فى الصحافة —ولا كان قط— أن أستقى الأخبار ، ولكن

كل عمل فى الصحافة رهن بالأخبار، فصلته بها أوثق مما يبدو للمرء ، وإن خيلت غير ذلك . وإنك لترى الصحفى « حنبليًا » فى كل شىء ، إلا حين يحتاج إلى الوقوف على خبر ، وإذا بالذمة تتسع ، وإذا كل شىء جائز فى سبيل الوصول إلى هـذا المستور أو المكتوم ؛ ثم لا أسف ولا ندم ولا توبة . وأكبر الظن أن تسقط الأخبار فى الطباع ، وأن الإنسان فضولى بفطرته . فإذا كان هـذا هكذا فإن الصحافة لا تصنع أكثر من تنظيم الأمر وتوجيهه وجهـة المصلحة العامة لخير الجماعة . والصحافة من ثمرات الحضارة، فهى تصنع كالحضارة — أعنى أنها تعمد إلى الغرائز والفطر الساذجة فتصقلها وتهذبها وتنظمها وتجريها فى مجار معينة ، فيصلح أمر الجماعة ويستقيم حالها . مثال ذلك أن الرجل كان يخطف المرأة التى كانت تروقه أو يسبيها، ثم يحتازها ما دام راغباً فيها ويحارب دونها ؛ وهو الآن يتزوجها ، ولا يحتاج إلى الخطف أو الحرب دونها ، وإن كان ربما احتاج أن يعانى متاعب المنافسة من الخاطبيها ، أو الراغبين فيها غيره ومثاله أيضاً أن الأثرة والأنانية قد اتخذا مظهر الوطنية أو القومية ، ولم تذهب الأثرة ولم يبرأ منها الفرد ، ولكن المدنية استطاعت أن تنتفع بروحها فى الفرد وتسخرها لخير الجماعة

كذلك تفعل الصحافة، حين تستغل فضول الإنسان فتتولى جمع ما يعنيه وتنشره على الناس. وقد خرج الأمر عن أصـله ، حتى لصار يبدو كأنه منقطع الصلة به . ومن الذى يجرؤ أن يقول : إن الصحافة لا هم لها إلا إرضاء فضول الإنسان بعد أن أصبحت تسمى « السلطة الرابعة ؟ » . ومن ذا الذى يذمها من أجل أنها تصل إلى أخبارها بمـا يسع رجالها من حيـل ، ويدخل فى طوقهم من وسائل وإن كان بينها السرقة . بل شراء الذمم بكل ما تشـترى به من طيب وذميم — أى بالخداع ، والملق ، والمدح ، والصـداقة ، وتبادل المنافع ، لا بالمال وحده كما قد يتوهم البعض ، فإن الرشوة الصريحة وسيلة يندر الالتجاء إليها ...

وهكذا جعلت الصحافة من السرقة عملاً محموداً ، ومن مرتكبها لصًّا شريفاً ! ولا عجب فإن خدمة الأمة تكلف أبناءها تعاطى ما يعـده العرف رذائل وآثاماً ، وتحمـد منهم ذلك ، وتجزيهم عليه أحسن الجزاء

ابرهيم عبد القادر المازنى

من برجنا العاجى

ها أنذا أهبط إلى برجى العاجى مع الشتاء ، فى الوقت الذى يهبط فيه «الأب نويل» مع عيد الميلاد . إنى أرى لحيته الطويلة البيضاء تمتد لتلتف حول الكوكب الأرضى . لقد كان طرفها بالأمس فى بلاد الجليد، فإذا هى اليوم فى بلاد الشمس والهلال. لقد طفت بالمدينة فرأيت عجباً . لقد انقلبت القاهرة رأساً على عقب. أنوار وأعلام، وزينات وأفراح، والناس جميعاً مشغولون بإعداد سهرات العيد . الشرقيون قبل الغربيين يتسابقون إلى الاحتفال بعيد ليس عيدهم ، ولكنهم يريدون تقليد الأجانب . بل إنى لأعرف بيوتاً وأسراً شرقيـة مسلمة تقيم فى منازلها « شجرة الميلاد » أسوة بالأوربيين . نعم . لقد ذهبت أعياد الشرق فلم يعبأ أحد بأبه لعيد الأضحى أو الهجرة أو ليالى رمضان . إن أعيادنا تقبل علينا فلا نبسم لها ولا نخرج لاستقبالها . إنما نحبس أنفسنا فى بيوتنا كأننا نخجل منها ومن أنفسنا . فإذا جاءت أعياد الأجانب أسرعنا نخرجنا لها باشين مهللين . نحن فى بلادنا نشارك الأجنبى فى أعياده، وهو على أرضنا لا يشاركنا فى أعيادنا . وبذلك أفهمناه وعلمنا آلنا وأطفالنا بمنذ الصغر ازدراء ماهو شرقى واحترام ماهو غربى . وهكذا أثبتنا للعالم أن مجرد وطء أقدام الأوربى أرضنا كاف أن يزلزل حصوننا المعنوية . نعم ما كان الغربى يتصور أن الشرق ينبذ من أجله حتى أفراحه التاريخية العريقة بألوانها الزاهية وطابعها الأصيل . إنى ليخيل إلى أن الغربى ذاته ، ذلك الضنين بتقاليده ، الحريص على تجميل خرافاته ، يدهش لرؤيته وجه الشرق قد انطمست ملامحه بهذه السهولة، وضاعت معالمه من الرؤوس والنفوس؛ وزال رسمه الحقيقى إلا من تلك الصفحات الرائعات التى سطرها أمثال بييرلوتى وجيراردى نرفال من الأوربيين أنفسهم الذين أعجبوا بالشرق يوم كان الشرق يحتفظ برداء شخصيته فلا يخلعه ليجرى عارياً كالشحاذ خلف الغرب . إنى لم أرقط باعتنا المتجولين يصيحون « بعرائس مولد النبى » فى الطرقات ولكنهم صاحوا البارحة بنداء شق الفضاء : « الأب نويل بقرش ابيض ! الأب نويل بقرش ابيض ! » . وبهذا تم لذى اللحية البيضاء غزو الشرق

توفيق الحكيم

الشـــــريف الرضى
وخصائص شعره
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

الشريف الرضى لا يضارع ابن الرومى فى تحليله المعنى وتقصيه إياه، ذلك التقصى الذى ساعد ابن الرومى على إجادة الوصف سواء أكان وصفاً لهمسات النفس وخطراتها أو لأوجه الطبيعة والمرئيات. ولا يضارع الشريف أبا تمام فيما يتقنه من فلتات الصنعة النادرة التى تأتى بالأبيات الفــذة الخالبة الآخذة بمجامع القلوب والتى تستهوى القلوب وتشعل الخيال . ولا يضارع الشريف المتنبى وأبا العلاء المعرى ، ولا سيما المعرى فى التفكير فى النفس والحياة ، وأخلاق الناس . ولـكن للشريف نصيباً لا يستهان به من هذه الميزات ؛ وهو مع ذلك قد اختص بالشعر الوجدانى . ولهؤلاء الشعراء جميعاً ولغيرهم شعر وجدانى ، ولـكنى أحسب أن الشريف بزهم جميعاً فى هــذا الضرب من الشعر . وهو قد أمن ما يعتور ابن الرومى فى بعض الأحايين من الفتور بسبب ما قد يبدر منه من الإفراط فى التقصى والتحليل وتتبع الجزئيات ؛ وأمن الشريف زلل المبالغة فى الصنعة الذى قد يقع فيه أبو تمام إذا أفرط فى حبه للاختراع والتوليد وإتيان ما لم يأت به أحد من التشبيه أو غيره من صيغ الصنعة؛ وأمن الشريف المبالغة غير المقبولة والمعاظلة كما فى بعض شعر المتنبى؛ وأمن أيضاً ما قد ترى فى ديوان سقط الزند للمعرى من مبالغات المتأخرين التى لا تعبر عن وجدان صادق. ولو قارنت بين شعر الشريف وشعر معاصريه لوجدت فرقاً كبيراً فى الأسلوب والذوق ، فإن الصنعة كانت قد انتشرت فى عصره وغالى الشعراء فيها من إبعاد فى التشبيه ومغالاة فى المعنى من غير ســيل دافق من العاطفة والوجدان يلبسها لباس صدق الإحساس ، ومن ألاعيب لفظية ومعنوية . وحسبك أن حكيم الشعر العربى المعرى التزم ما لا يلزم فى لزومياته مجاراة لصنعة عصره ، ويولع أحياناً بالجناس وغيره من المحسنات اللفظية التى لا تناسب ما هو فيــه من التفكير والحـكمة والجد . ولا عبرة بمـا يقوله بعض المطلعين على الشعر الأوربى من أن الشاعر العالمى الإنجليزى شكسبير يفعل ذلك ويغرى أحياناً بتلك الألاعيب اللفظية ، فإن شكسبير يفعل ذلك فى غير موضع الجد المؤثر ، وعلى لسان أناس من طوائف خاصة ، أولهم صفات خاصة . والشريف يترفع عن أساليب هذا التلاعب بالألفاظ . ولعل هذا هو ما ينبغى أن يكون ، لأن الشريف شاعر الوجدان ، والتلاعب بالألفاظ يتلف أثر الشعر الوجدانى فى النفس إذ لا يستقيم معه . وإن أطرب التلاعب باللفظ بعض الناس طرباً سطحياً إلا أنه ليس طرب الوجدان والعاطفة . وهذه الألاعيب اللفظية هى نزهة ولعب يلهو به الذكاء فى استنباطها واختراعها ومقارنة معانيها ؛ والذكاء من العقل ، فلا غرو إذا قبله المعرى شاعر العقل لأنه كان سائداً فى عصره ، وإن كان هذا الهزل ضد جده . ولا عبرة بما يقول القائل من أنه أراد أن يلفت ببعثه هذا الناس عن حرية القول والفكر والعقيدة فى بعض شعره كما فعل رابليه الـكاتب الفرنسى فى تغطيته نقده لعقائد رجال الدين فى قصصه بالعبث الصاخب ، وإن كان عبث رابليه مجوناً لا يطيقه المعرى . ولا عبرة بقول من يقول إن المعرى أحس من مرارة نفسه أن الحياة والخليقة وإن كانت مقدسة تدعو من أجـل قداستها إلى مرارة النقد ، إلا أنها مهزلة أيضاً ؛ فهى مهزلة مقدسة كما سماها دانتى الشاعر الإيطالى ، ومن أجل أنها مهزلة أباح هزل الألاعيب اللفظية فى أثناء جد الفكر

ومن أجل أن الشريف شاعر الوجدان كان أقرب شعراء عصره إلى الأقدمين . وكان بدوى النزعة وإن كان قد أخذ بنصيب من الصنعة العباسية لإعظام أثر المناجاة أو النداء أو الاستفهام أو النفى الوجدانى فى شعره ، فانه يستخدم هذه الصيغ البيانية ويتعرف وسائل الصنعة فى تكرارها وموقعها . ولـكنها صنعة طبيعية لا تحسُّ أنها صنعة. وهى لا تنافس الوجدان بل تقوى أثره. وإذا قرأ القارئ له غزله أو رثاءه أو إخوانياته أو تحسره على انحسار الشباب أو مناجاته الديار ظهرت للقارئ آثار هذه الصيغ فى إشباع الوجدان وإقناعه ، فإن الشريف الرضى يشبع الوجدان ويقنعه ويطربه ويستميله بالنداء الوجدانى ، أو الاستفهام والسؤال ، أو النفى أو الإخبار بصيغة التحقيق والتأكيد ، أو الأمر أو المناجاة بأساليب أخرى.. ويفعل الشريف كل ذلك حتى ليخيل إلى القارئ أن لأدوات هذه الصيغ فى شعره معنى ليس لها فى شعر غيره؛ وهو

إذا رأى تلك الأدوات والحروف مثل (يا) أو (الهمزة) للاستفهام أو النداء أو (أين) أو (كيف) أو (لن) أو (قد) عرف أنه يجيد استخدامها لأغراض الشعر الوجدانى أكثر من إجادة غيره استخدامها، فني رثاء أحبابه وأودائه ينادى الدهر فيقول :

(يا) دهر رَشْقاً بكل نائبة
(قد) انتهى العتب وانقضى العجب
(رُدَّ) يدى مااستطعتَ عن أَرَبى (لَمْ) يبق لى بعد موتهم أرب

فنى هذين البيتين استخدم النداء والإخبار بالتحقيق والأمر والنفى كلها بصيغة وجدانية تؤثر فى النفس. فهذه هى الصنعة اللفظية المحمودة لا الجناس والألاعيب اللفظية التى أولع بها معاصروه .

ويخاطب وينادى النظرة ويسأل مع النفى فى قوله :

ذ كرتكمُ ذكر الصبا بعد عهده قضى وطرا منه وليس بعائد
(فيا) نظرة لا تملك العين أختها إلى الدار مِنْ رملى اللوى المتقاود
(أما) فارق الأحباب قبلى مفارق ولا شيَّع الأظعان مثلى واجد؟

فنى هذه الأبيات استخدم الإخبار ثم النداء ثم الاستفهام المنفى، وهذه صيغ لفظية وصنعة لفظية لا يحسُّ القارئ أنها صنعة؛ وهى صنعة الطبع التى تُقْنع الوجدان، ويتفنن الشريف ويفتن فى مناجاته ومناداته الوجدانية فينادى وقفة الأحباب فيقول : (يا وقفة بوراء الليل أعهدها الخ) وينادى بؤس القرب القصير من الأحباب الذى يعقبه الفراق الطويل فيقول :

فيابؤس للقرب الذى لا نذوقه
سوى ساعة ثم الفراق مدى الدهر

وينادى نفسه ويشجعها على تحمل آلام الحياة ومتاعبها فيقول :

يا نفس لا تهلكى يأساً ولا تدعى
لَوْكَ الشكائم حتى ينقضى العُمُرُ

وينادى الشباب فيقول :

فمن يك ناسياً عهداً فانى لِعَهدِكَ ياشبابىَ غير ناسى
فإن العيش بعدك غير عيش وإن الناس بعدك غير ناس(١)

وينادى بؤس نفسه فى الغزل فيقول :

يا بؤس مقتنص الغزال طماعة ذهب الغزال بلب ذاك القانص
كالدرة البيضاء حان ضياعها مِنْ بَعْدِ ماملأت يمين الغائص

(١) أسقطنا أبياتا بين هذين البيتين وهى أبيات مطربة ولكنا أردنا الاختصار

ما كان قربك غير برق لامع وَلَّى الغمام به وظل قالص
أغدو على أمل لحبك زائد وأروح عن حظ كوصلك ناقص

وينادى الحبيب صاحب القلب الصحيح الخالى من الهوى فيقول :

ياصاحب القلب الصحيح أمااشتفى ألم الجوى من قلبىَ المصدوع

ولاحظ أنه لم يكتف بصيغة النداء فى (يا) بل قرن إليها صيغة الاستفهام المنفى فى قوله (أما) . وهى ألفاظ إذا جاءت فى كتب النحو كانت ميتة ، ولكنها هنا تثبت حياة كالسمك عند إخراجه من الماء . ويخاطب الشريف السرحة ويرمز بها إلى من يحب فيقول :

إسْلمى يا سرحة الحى وإن كنت سحيقَهْ
أتمنَّى لك أن تبقَىْ على النأى وريقَهْ
ثَمَرٌ حَرَّمَ واشيك علينا أن نذوقَهْ

وينادى بالهمزة فى قصيدته المطربة فيقول :

أمعينى على بلوغ الأمانى وشفائى من غلتى واشتياقى

وينادى طائر البان فى قصيدته المشهورة فيقول :

يا طائر البان غِرِّيداً على فنن ما هاج نوحك لى يا طائر البان!
(هل أنت مُبْلغُ من هام الفؤاد به ... الخ)

فانظر إلى أثر (يا) و (ما) و (هل) ، وإلى تلك الصنعة اللفظية التى تقنع الوجدان كل الإقناع . وقد يُقْنع الوجدان أيضاً بالمناجاة من غير أدوات النداء فيناجى الوطن والدار فيقول :

سكَنتُكِ والأيام بيض كأنها من الطيب فى أثوابنا تتقلَّبُ
ويُعجبُنِى منك النسيمُ إذا سَرَى
ألا كلُّ ماسَرَى عن القلبِ مُعْجِبُ

ويقول :

كأنك قدمةَ الأمل المرَجَّى علَىَّ وطلعة الفرج القريب

ويقول :

وأهجركم هجر الخلى وأنتمُ أعزُّ على عينىَّ من طارق الكرى

ويقول :

وإنى لأقوى ما أكون طماعةً إذا كذبت فيك المنى والمطامع

ويقول فى قصيدة مطربة :

فإنْ لم تكن عندى كسمعى وناظرى
فلا نظرت عينى ولا سمعت أذنى

لم الفرار إلى هنالك ؟

للدكتور بشر فارس

لست بسليم أية سلامة حتى إنى أُعرض عن الاستشفاء ، ولكنى لا أرحل صيف كل سنة إلى أوربة رغبة فى معالجة كبد أو مراقبة قلب . ولست ممن يهوى الحر والسَّموم ، ولكنى لا أرحل طرباً إلى « النسيم العليل » (متى يموت هذا التعبير وأخواته ، يأيها الناس ؟ !) . ولست من يحب أن يقال فيه : « هذا رجل يعود من أوربة »

ولكنى أرحل إليها ... بل أفر إليها .

مما وممن ؟

أتصافيني فأصارحك ؟

أفر من مصر ثم منى ... ومنك .

أفر من مصر لأنّ لهـا من نفسى موضعاً عزيزاً . ألم يتفق لك (أعانك الله على مصاحبة النساء !) أن تمل صحبة المرأة التى تخصها بوثبات ودك ، وترعاها بلفتات طرفك ، وتحيطها بنبضات قلبك (ولعله باقٍ على خفقانه) ؟ نهاية الحب بغض أو عراك . ولا بدّ من القطيعة لصيانة الشوق ؛ والشوق نشاط ، والنشاط حياة

بينى وبين مصر مغاضبة . أريدها أن تقدم رِجلاً عازمة إذا مضت قُدُماً وهى تأبى إلا أن ترتاب فى قدر الخطوة التى جرؤت عليها ، كأن الموضع الذى تخطته فردوس (مِلتن) . وكثيراً ما تنتقم من الرِجل التى تقدمت بالاستواء فى وقفتها أو (معاذ الله !) بالإدبار : نصب ماثل فى عُرض الطريق والخلق من خلفه يتأملون وأعينهم يُدَغْدِغها النعاس !

لا نزال نحن المصريين نركب قطاراً يذهب بنا ويجئ من موضع منظور إلى آخر معلوم ، فتارة يمهل فى محطة قائمة فى أول « الخط » وأخرى فى محطة فى آخره أو منتصفه . وأما الذى يلى الموضعين شمالاً وجنوباً فغير واقع بعد فى دليل « السكة الحديدية » .

***

هذا الصداع الذى بين التوثب والتقبض يفتح باباً عريضاً لأسباب المناقصة والتمزق ، وألوان المناوأة والتشيع ، ثم يروّج البضاعة الخفيفة على صنوفها ويُدخل الغرور فى أنفس أصحابها . فتضيع الموازين وتفتر العزائم الصادقة ويزيغ حكم الجمهور .

وحبى الثقافة مثل على ذلك .

الثقافة هنالك (إلا فى البلدان التى يسوسها حاكم بأمره متحمس) واحدة ، لأن برنامج التعليم مجرًى على منهاج واحد . فلا فرق بين قس وزنديق من حيث القابلية الذهنية ، أعنى من حيث إدراك الأمور . أما تأويل الأمور وحكاية رفضها وقبولها فما يرجع إلى وجهة النظر وميل النفس . ثم لا فرق بين صانع لم يأخذ من العلم إلا طرفاً ، وكاتب كشفت له الثقافة عن أدق أسرارها ، سوى أن هذا ذهب فى التحصيل أبعد من ذاك .

ثقافة معينة أسبابها ، واضحة معالمها ، تتسع الحين بعد الحين باتساع مجال العلم ، ثم مرسومة على قدّ أذهان أهلها .

ومن نتائج هذه الثقافة أن الفكر يظفر بحرية لا تعرف القيد وأن القلم يجرى على هواه . فإذا أصاب المنشىء عيباً عالج به ، وإذا

وإنك أحلى فى فؤادى من الكرى
وأعـذب طعماً فى فؤادى من الأمن

ويناجى أيضاً مناجاة وجدانية فيقول :

أنت الكرى مؤنساً طرفى وبعضهـم
مثل القذى مانعاً عينى من الوسن

ويقول :

فقلت نعم لم تسمع الأذن دعوة بَلَى إن قلبى سامع وجنـانى

وتراه يستخدم الاستفهام استخداماً وجدانياً مطرباً كاطراب ندائه الوجدانى فيقول :

هل تذكر الزمنَ الأنيقَ وعيشنا يحلو على مُتَأَمَّل ومذاقِ ؟
وليالىَ الصبوات وهى قصائر خطف الوميض بعارض مِبراق؟

ويستفهم بأين ويناجى فى قصيدته فى ديار الحيرة ، وهى من الوصف الوجدانى المؤثر ، ومن الشعر الذى ينبغى أن يختار له كلما اختير له شعر وجدانى ويقول فى مطلعها :

أين بانوك أيها الحيرة البيـ ـضاء والموطنون منك الديارا؟

(المقال بقية) عبد الرحمن شكرى

رأى رأياً بثه غير هياب . فلا تراه يداور فى الكتابة أو يتنصل مما كتب . وإذا انتهى العالم ببحثه إلى حقيقة تصرع القضايا المألوفة جهر بها مطمئن الجانب . وإذا بدا لناقد أن يقول قولاً فى كتاب أو عمل متصل بشئون التهذيب دونه من دون أن يرقب الرضى أو يخشى السخط .

وتعليل ذلك أن الثقافة هناك منفصلة من الدين ومنزهة عن السياسة. الثقافة مدارها العقل ، أما الدين فأمر إيمان ، وأما السياسة فمسئلة هوى . وكلما بطشت السياسة بالثقافة ألجمتها؛ وكلما مشى إليها الدين حولها إلى مجراه وأرساها عند شطئه .

ومن نتائج هـذه الثقافة أن برنامج التعليم يقصد إلى تهذيب ملكة التفكير لا إلى حشو خلايا الذهن . فالمتأدب هنالك يطلب القراءة المفيدة لا القراءة المسلية ؛ والمنجذب إلى المسرح حقاً يرغب فى المسرحيات التى تقوم عنده مقام غذاء لا تلك التى تهز أعصابه كأنها صورة من الصور المتحركة ؛ والدائب على قراءة النقد ينتظر حكماً معتدلاً يذل له شيئاً من الأمر حتى يستوى له رأى لا إطراء مفرطاً أو ذماً مقيماً ؛ وطالب العلم إنما يأخذ أساليب التحصيل والاجتهاد رجاء أن يكب على البحث فيما يأتى من الزمان وهو جد عارف أن « مائدة الثقافة لا تقبل طفيلياً » .

ومن خصائص هذه الثقافة أن كل فرد من أهل الأدب يعرف ما له وما عليه . فلا ترى المطلع يهيم على الإنشاء والنقد ، ولا القصصى يقبل على كتابة الرسائل الفلسفية ، ولا الصحافى يتعرض لنقد المسارح ومعارض الصور ، ولا الدعى يغير على مؤلفات غيره فينتحلها أو يسلخها أو يمسخها ؛ ثم لا ترى الناقد المعتز بصناعته الوفى لها يُهمل الكتب الخارجة من المطابع لأن أصحابها من المحدثين، أو لأنهم غير متعصبين له، أو لأنهم أتوا بشىء لم يتوقعه .

ومن خصائص هذه الثقافة أنها تنشىء مُثلاً عليا. فالشاعر - مثلاً - يُكرم قريحته أن تفيض بما قاله غيره سواء من باب السطو أو من باب التقليد ؛ ثم إنه — إلا فى النادر النادر — يعف عن النظم لرغبة أو رهبة ؛ ثم إنه يحاول ما استطاع أن يميز شعره من شعر أصحابه ، ولا يبلغ ذلك إلا إذا استخرج من وليجة نفسه كنوزها فلا تهويل ولا جلجلة !

تلك أمثال من صدق الثقافة هنالك . وإنما صدقها يرجع إلى وحدتها واستقرارها وسهر أصحاب الأمر عليها . ومن الأمثلة على سهر القوم عليها أن الجوائز والمكافآت الموقوفة عليها إنما تجرى على طريقة مرضية . وقصة ذلك أنها مبذولة للمنشئين الحق ولا سيما المحدثين منهم على أن يؤلفوا كتباً لها شأنها لا لموظفين بينهم وبين الأدب المحض شقاق على الغالب، ولا لأصدقاء وأعوان، وأنها بين أيدى حكام لهم ـ على الأقل ! ـ دراية بما يفصلون فيه .

وإليك مثلاً آخر : إن شؤون الثقافة العامة لا تُقضى بين جدران وزارة المعارف وفى بهو الجامعة فقط (كأنما الفطنة حصرت فى عقول فئة من الموظفين ، والعلم جُمع فى صدور نفر من الأساتذة) . إن حق الأدباء والمنشئين وأصحاب المجلات الرفيعة فى معالجة شؤون الثقافة العامة ليس دون حق أولئك الأساتذة والموظفين .

بقى أن القوم يضعون صاحب الشأن فى موضعه، ويستثمرون ما يجب استثماره، ثم ينبذون من يتوسل بغير الكفاية ويستهزئون بورم الألقاب وطنين الأسماء .

***

تلك صبغة الثقافة هنا لك . وليس معنى هذا أنها صافية كل الصفاء ، فالخلق هنالك بشر . إلا أن مبادئها سليمة ومجدية

بشر فارس

أغرب ما رأيت فى حياتى

للدكتور زكى مبارك

أنا متهمٌ بالعقل ومتهمٌ بالجنون . فمن وصفنى بالعقل فهو متلطف ، ومن وصفنى بالجنون فهو مسرف . لأنى فى حقيقة أمرى إنسانٌ يعيش بثورة العواطف فوق ما يعيش بقوة العقل ، وهى حالة تجعل أمرى وسطاً بين العقل والجنون

والتوفيق الذى ظفرت به فى حياتى العلمية مدينٌ لحياتى الوجدانية ؛ فقوة الوجدان هى التى حملتنى على أن أستقتل فى الدراسات الأدبية والفلسفية . وقد يأتى يوم أعترف فيه بالأسباب الوجدانية التى جعلت عقلى يتفوق إلى أبعد حدود التفوق فى مثل كتاب النثر الفنى أو كتاب التصوف الإسلامى

وهذه الغرابة فى تكوين عقلى وقلبى هى التى تحملنى على الجرأة فى تدوين هذا الحديث ، وهو حديث كنت أفتضح به أشنع افتضاح لو نشرتُه قبل سنتين أو ثلاث ، يوم كان لى خصوم يسرهم أن تحاط حياتى بالأقاويل والأراجيف

أما اليوم وقد قل خصومى بحيث لا يزيدون عن ألف أو ألفين ، فأنا أنشر هذا الحديث بلا تهيب ولا تخوف ، وليقل من شاء ما شاء

* * *

كنت حين انتسبت إلى جامعة باريس أقضى أربعة أشهر من كل سنة فى مدينة النور ، ثم أعود إلى وطنى لأجمع من الصحافة والتدريس ما أستطيع به الرجوع إلى باريس من جديد . ودام ذلك بضع سنين ، ثم عرفت أنى لن أصل إلى غرضى إلا إذا قررت بطريقة حاسمة ألا أفارق باريس إلا فى أحد حالين : النصر أو الموت

وكانت الإقامة الدائمة فى باريس تبدو من المستحيلات ، لأن أبى رحمه الله لم يكن يقدر على إمدادى بكل ما أحتاج إليه . وكان ما ورثته عن أمى طيب الله ثراها لا يزيد عن بضعة قراريط . وكانت زوجتى أفقر منى ؛ ولم يكن لى فى الحكومة المصرية عمٌ ولا خال

وفى تلك الظلمات استطعت أن أتفق مع الأستاذ عبد القادر حمزة على مراسلة البلاغ من باريس بمرتب قدره خمسة عشر جنيها ، فتوكلت على الله وقررت الاعتكاف بالقبلة القديمة فى السوربون

ولكن مراسلة البلاغ من باريس لم تكن عملاً ينفع إلا فى حال واحد : هو أن يشعر صاحب البلاغ بأنى أقدم إليه محصولاً أدبياً ينقل القراء من حال إلى أحوال ، فقد كان الأستاذ عبد القادر حمزة اشتهر بين أصحاب الجرائد بأنه يحسن الاعتذار إلى من يريد الاستغناء عنهم من المحررين والمخبرين والمراسلين ؛ وكنت جربت اعتذاراته الرقيقة قبل ذلك حين كنت أحرر فى البلاغ الأسبوعى سنة ١٩٢٦ . ولكن اعتذاراته فى ذلك الوقت لم تكن تؤذينى لأنى كنت مدرساً فى الجامعة المصرية ، وكنت بفضل تلك الوظيفة من المياسير

* * *

ماذا أصنع فى مراسلة البلاغ من باريس ؟

كنت أستطيع أن أرسل إليه مقالات فى الأدب العربى ، وأنا من أقطابه بلا جدال ، ولكن إرسال مقالات عن الأدب العربى من باريس كان ضرباً من السخف يقترفه من يراسل البلاغ من باريس . وهل يعيش الأديب فى باريس ليحدث الناس عن ابن المقفع وابن العميد ؟ !

ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع لأنجو من تسلُّم خطاب رقيق من خطابات الاعتذار التى يجيدها صاحب البلاغ ؟ ماذا أصنع لأظفر بخمسة عشر جنيهاً أضيفها إلى المبالغ الضئيلة التى أكسبها من الدروس الخصوصية التى أعطيها للطلبة الضعاف فى اللغة الفرنسية من أعضاء البعثات ، والنقود التافهة التى آخذها فى مقابل المساعدة التى أؤديها لبعض المستشرقين الذين يهمهم أن ينقلوا النصوص العربية إلى اللغة الفرنسية ؟

ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟

لم يكن أمامى إلا مسلكٌ واحد : هو الاندماج المطلق فى باريس لأحدث قراء البلاغ بأحاديث منتزعة من الحياة الواقعية فى باريس

وما هى إلا أسابيع حتى عرف صاحب البلاغ أنه لن يكتب إلىّ رجل مثلى خطاب اعتذار ، وحتى عرف قراء البلاغ أنى أحدثهم بما لم يألفوه ، وأن البلاغ لن يستغنى أبداً عن صاحب « الحديث ذو شجون »

* * *

ولكن الانتصار فى هذا الميدان له تكاليف

كان لا بد من الاتصال الدائم بأساتذة السوربون ومدرسة اللغات الشرقية لأظفر بما تساميت إليه من الألقاب العلمية

وكان لابد من معاقرة الحياة فى باريس لأنجح فى مراسلة البلاغ

أما الأساتذة فالظفر بثقتهم سهل ، لأنى فى الواقع من أصلح الناس لفهم ما أسمع من الخطب والمحاضرات ، ولأنى كنت بالفعل شاباً ناضجاً له فى الأدب والفلسفة مذاهب وآراء

الصعوبة كل الصعوبة ، والعسر كل العسر ، هو فى افتراع باريس لأصل إلى أوهام وحقائق أقيّد بها أذواق قراء البلاغ

وكيف أصل إلى هذا الغرض الجليل ؟

هدتنى الفطرة إلى قضاء أوقات الفراغ فى الملاهى والملاعب والمراقص والقهوات ، فكنت أقضى فى هذه النزهة الطريفة ساعات من النهار وساعات من الليل

كنتُ شاباً ، ورحمة الله على شبابى ، الشباب الذى بددتُه فى طلب الحب والمجد

كنت أذرع باريس بقدمى لأخلق لمقالاتى جوًّا من الحقيقة لا من الخيال

وأعاننى على ما أسمو إليه لسانٌ مرن فى اللغة الفرنسية مرونة عجيبة تقدر على جذب من أحاور من أسراب الظباء

والفرنسيون يغفرون للرجل جميع الذنوب إذا أمدته العناية الإلهية بلسان فصيح

وكان لى فى باريس ثلاث قهوات : قهوة صغيرة جداً فى بوليش بجوار (قهوة الرحيل) التى كان يجلس فيها الدكتور طه حسين يوم كان طالباً فى جامعة باريس

وكانت هذه القهوة الصغيرة مخصصة للمواعيد الغرامية ، والتأملات الفلسفية ، فكيف صارت اليوم ؟ ليتنى أعرف !

أما القهوتان الأخريان فهما الروتوند والدُّوم فى حى مونبارناس

***

كيف كنتُ أصطبح وأغتبق بهاتين القهوتين ؟

كان مفهوماً عندى أن لا سبيل إلى معاقرة الحياة إلا فى مونبارناس

وإنما كان ذلك لأنى كنت أتهيب مونمارتر تهيباً يصل إلى الفزع والرعب ، فقد تشاجرت فيها مع أحد الشبان الفجار فى سنة ١٩٢٧ وكاد اسمى يقيد فى سجلات البوليس لولا لطف الله. وكانت هذه التجربة القاسية كافيةً لأن أقنع بالضلال فى حى مونبارناس

وفى قهوة الدوم وقعت المأساة أو الملهاة التى أدونها فى هذا الحديث :

دخلت ذات صباح فوجدت سيدة تطالع سِفر الوجود بعينين زرقاوين يندر أن يكون لهما شبيه أو مثيل

وجلستُ بالقرب من تلك السيدة عسانى أنهب منها نظرة أو نظرتين أستعين بهما على إتمام بعض الفصول من كتاب (سحر العيون) الذى أرجو أن يظهر بعد قليل

وما هى إلا دقائق حتى تلاحظْنا برفق وعطف

ثم أشارت بأن أقترب فاقتربت

رباه ! متى تعود أيامى ؟

وبعد أن دار كأس الحديث نحو عشرين دقيقة عرفت أنها من البغايا

أعوذ بالله ؛ أعوذ بالله ، أعوذ بالله !!!

أمثل هذا الحسن يكون من نصيب الفَجَرة الأوباش ؟

أتكون هذه الحسناء الفتانةُ شبيهةً بالشمس ينعم بضوئها من يشاء ولو كان من الخفافيش ؟

أتكون هذه التحفة الفنية شبيهةً بكرائم الأنهار يشرب منها البهائم والدواب ؟

أتكون هذه العيون السواحر من نصيب من يساعده القدر المخبول فيملأ جيبه بالدراهم ولو كان من الأغبياء ؟

أتكون هذه الدُّمية شبيهةً بالحجر الأصم الذى تسجل عليه حوادث الأفّاقين ؟

ليتنى مت قبل أن أشهد ذلك المنظر الأليم !

ليتنى مت قبل أن أعرف أن مثل ذلك الحسن يباع !

ألك يارباه حكمة فى إذلال هذه الروائع الفنية التى زينت بها الوجود ؟

ارفع الحجاب مرة واحدة ، ياربباه ، لأعرف أسرار السياسة العالية التى تسوس بها مخلوقاتك !

وهجمتُ على تلك السيدة الجميلة بعنف فقالت :

اسمع أيها السيد ، ليست الغواية من همى ولا من مناى . أنا امرأة شقية خدعها شاب مثلك باسم الحب ، وكانت ثمرة الحب طفلا هو اليوم تلميذ بمدرسة (. . .) وقد هجرنى الحبيبُ والدُ الطفل وتركنى وحدى أربيه وأرعاه ، فأنا أتسول باسم الحب لأنفق على ذلك الطفل المسكين ، إلى أن يظهر أبوه ، إلى أن يظهر ذلك الوغد الذى هجر معشوقته وطفله منذ سبع سنين . فإن كنت تدعى الرجولة الصحيحة فتقدم لحمايتى ورعاية طفلى ، وسترى كيف أجزيك عطفاً بعطف وإخلاصاً بإخلاص

وما كدت أسمع هذا القول حتى دارت الأرض تحت قدمى

ومن أين أنفق على هـــذه السيدة وعلى طفلها وليس لى من جريدة البلاغ ومن الدروس الخصوصية إلا مبلغ ضئيل من المال لا يزيد على ثلاثة آلاف من الفرنكات ، والحياة قاسية أشد القسوة على الغرباء فى باريس ؟

ثم نظرت فرأيت هذه المرأة تعرض مشروعاً نبيلاً قد يرفع روحى بعد إسفاف . فصوبت بصرى إليها وقلت : وكيف أضمن أن تتوبى عن حياة الرجس ؟

فقالت فى استحياء : إن لغرفتى مفتاحين !

فقلت : وما معنى ذلك ؟

فقالت : لك مفتاح ولى مفتاح ، فخذنى لنفسك وراقبنى كيف تشاء ، فان استطعت أن تشهد علىّ ما يريب بعد اليوم فاقتلنى . والمهم أيها السيد أن ينجو طفلى من الجهل ومن الجوع

وفى تلك اللحظة تذكرت عبد المجيد فغلبنى الدمع

تذكرت أنى تركت فى مصر الجديدة أطفالاً منهم عبد المجيد الذى كان يزعزع كيانى حين يقول (بابا)

— وما اسم ابنك ياسيدة ؟

— اسمه موريس

— هلم بنا إلى التسليم على موريس !

***

قد أنسى كل شىء ، ولكنى لن أنسى طلعة موريس

قد ينسينى الموت جميع ما حفظت من اللغة الفرنسية ، ولكنى سأذكر فى قبرى عبارة باقية فى اللغة الفرنسية حين طلع موريس فقال له أمه : Embrasse papa

وتوهم الطفل أنى أبوه فقبلنى بحرارة والدموع فى عينيه

— Papa !

— Mon petit !

واستأذنا مدير المدرسة فسلم إلينا الطفل ليقضى معنا ليلة فى مباهج باريس

وسألنى الطفل : أين كنت ؟ فأخبرته أنى توجهت إلى الشرق لزيارة القاهرة وبغداد وبيروت ، واخترعت له أقاصيص تعجبه وتلهيه ، ولم يفتنى أن أحدثه عن أخبار الجن والعفاريت .

وفى تلك الليلة هجر الطفل صدر أمه وسكن إلى صدرى لينام نوم السعداء

وفى تلك الليلة شعرت أن روحى ارتفع إلى أجواز السماء

كان موريس ورث عن أمه الفرنسية صفرة الشعر وزرقة العينين ، وكان ورث عن أبيه الهولندى شمائل من السجاحة واللطف ، وكان فى جملته وتفصيله تحفة من تحف الوجود . وقد وجد من عطفى وحنانى كل ما يتمناه ويشتهيه ، فانطلق يحدث أترابه فى المدرسة بالنعيم الذى يلقاه فى يومى الأحد والخميس

وفرحت مرجريت بما صارت إليه من راحة البال وصفاء النفس بعد الهيام الأثيم بأحياء باريس

ومضت تقترح ما تشاء من المغامرات فعلمتنى الرقص وطوفت بى على المكنونات من صناديق الليل

وبفضل مرجريت عرفت من خبايا باريس ما لا يعرف الشياطين

ولم نكتف بذلك ، بل نقلتنى إلى رُوَان والهافر وأطلعتنى على المستور من شواطئ المانش ، وأقامت معى فى الضواحى النائية أسابيع

والله وحده يعلم كيف عاشرتُ تلك الحسناء ، فلو أنى قلت إنى كنت فى حبها من الأطهار لما صدقنى مخلوق ، لأن سمعتى تعرضت لأخطار كثيرة بسبب التهالك على أخبار الملاح ، ولكن الواقع أنى كنت فى صحبة تلك السيدة رجلاً نبيلاً . وأجل ما نلتُ منها لم يزد عن قُبلة شهية طبعتها على جبينى حين أخبرتها أنى

متأهل ولى أبناء . وقد قهرتنى على قبول هدية من العطر و« الكريم » لأرسلها إلى ابنتى أو زوجتى ، وقد قبلت الهدية ثم ألقيتها خِفيةً فى نهر السين

***

كانت مرجريت متعبةً إلى أبعد الحدود

قالت ذات يوم : أنت يا دكتور معرض للسمنة لكثرة ما تشرب من البيرة

فقلت : هذا حق !

فقالت : مارأيك فى سياحة على الأقدام إلى ليون ؟

فقلت : وفى كم يوماً نصل على الأقدام إلى ليون ؟

فقالت : فى نحو أسبوع

فحملنا أثقالنا واتجهنا نحو ليون ماشيَيْن

وبعد يوم واحد تعبتُ ، فحملتها على الرجوع بالقطار إلى باريس ليتنى أطعت مرجريت وذهبتُ ماشياً إلى ليون لأعرف كيف يعيش الناس فى الأقاليم الفرنسية ، ولأجد الأنس بصحبة مرجريت يوم همنا على وجوهنا فى الحقول النورمندية !

كانت مرجريت ضجرتْ من حياة الفتون

وكنتُ ضجرتُ من حياة الفتون

وكنا نشتهى أن نعرف معنى التصوف فى الحب ، وكيف لا نتصوف فى الحب وقلوبنا معمورة بحب الطفل العزيز موريس ؟

***

وبعد أن دام هذا النعيم النبيل خمسة عشر شهراً وصلتُ إلى ما أريد فى امتحانات مدرسة اللغات الشرقية وامتحانات السوربون ، وصممت على الرجوع إلى أهلى وأبنائى ، ولم يكن بدٌّ من توديع مرجريت وموريس

وأى توديع ؟ !

كان من الواجب أن أردَّ المفتاح إلى مرجريت ، فرفضتْ والدمع فى عينيها الزرقاوين ، وقالت : احفظ هذا المفتاح فقد تصل على حين غفلة إلى باريس

وكانت مرجريت لا تزال معرَّضة للفقر والبؤس فوعدتها بإرسال سبعمائة فرنك فى كل شهر لتستطيع الإنفاق على نفسها وعلى ابنها الغالى ، وأنا أفِى إذا وعدتُ

***

كانت الدنيا فى ذلك العهد لا تخيفنى ، وهل يخاف من يرجع مزوَّداً بأعظم الألقاب من باريس ؟

ولكنى لم أكد أصل إلى مصر حتى عُطلتْ جريدة البلاغ فأرسلتُ إلى مرجريت أستعفيها مما وعدتُ ، فكتبت تصفح عنى وتسأل الله أن يفتح لى أبواب الرزق

وما هى إلا مدة قصيرة حتى استجاب الله لدعوة مرجريت فكنت آخذ من الجامعة الأمريكية ثمانية وعشرين جنيهاً ، ومن الليسيه اثنين وعشرين جنيهاً ، ومن البلاغ خمسة عشر جنيهاً بغض النظر عما كنت آخذه من المكتبة التجارية ومن مجلة الهلال

ورأيت أن أزيد مرتب مرجريت فكنت أرسل إليها فى كل شهر ألف فرنك

وعرف موريس فضل « أبيه » فكان يرسل إلىَّ فى كل أسبوع خطابين

حرسك الله ياموريس وكتب لك التوفيق !

***

وفى سنة ١٩٣٣ ذهبت إلى باريس لأحضر مؤتمر (الليسيون لابيك) نائباً عن أساتذة اللغة العربية بمعهد الليسيه . ذهبت ومعى المفتاح لأزور مرجريت ولكنى استكبرت عن زيارة مرجريت ، وهل يفكر الأساتذة الكبار فى العطف على امرأة نكستْها المقادير؟

ولما رجعتُ من المؤتمر نقصتُ مرتب مرجريت من ألف فرنك إلى سبعمائة فرنك ، واعتــذرت بأن مواردى نقصتْ وأنى لم أعد أملك غير التدريس بالليسيه والتحرير فى البلاغ

فكتبتْ مرجريت تقول إنها ترضى منى بأن أعترف أنها استطاعت مرةً واحدة أن تدخل النور إلى حياتى

أعترف يامرجريت بأنك بددت الظلمات فى حياتى

طال العهد على لقاء مرجريت ، وطال العهد على لقاء موريس وحملنى لؤم الطبع على التخلص من مرجريت وموريس ، وهل كانت مرجريت زوجتى ؟ وهل كان موريس ابنى ؟ وهل كنتُ أول شاب أطاع الغواية فى باريس ؟ يجب أن أقطع المرتب الذى خصصتهُ لمرجريت وموريس ، ولكن كيف ؟

لذلك تاريخ سنراه فى الأسبوع المقبل

« مصر الجديدة » زكى مبارك

وِرد الصباح

للدكتور عبد الوهاب عزام

تنفّس الصبح فى غسق الليل ، ولاحت غرته فى جنح السَّحَر، والنور يسيل من ربى المشرق قليلاً قليلاً. ويولد اليوم الجديد رب فأضىء عقلى بالهدى، ورغّب نفسى فى الحق والخير، واملأ قلبى بالأمل ، وقوّ يدى على العمل . اشرح صدرى . واشدد أزرى ، واشحذ عزمى لليوم الجديد

ربّ ! قد طُويت من عمرى صفحات ونشرت اليوم صفحة ، فاجعل صفحتى هذه أوعى للخير وأخلى من الشر ، وزيّنها بالحق ، وبرئها من الباطل ، واجعل فاتحتها وخاتمتها الإخلاص لك ، والعمل لوجهك

***

ربّ ! إن عقلى يُخدع بالوهم ، ويقنع بالظن ، ويلبس الحق بالباطل . اللهم فاهدنى وثبتنى ، واجعل البرهان الواضح حجتى ، والحق المبين عقيدتى . سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب

ربّ ! إن قلبى يشوبه الهوى ، ويستهويه الباطل ، فخلص اللهم قلبى من الأهواء ، واملأه بحب الحق إنك أنت الحق المبين

رب ! إن نفسى تنزع إلى أن تتزيّد فيما لها ، وتبخس ما لغيرها ، وتُحمد بما لم تفعل ، وتغمط غيرها ما فعل . اللهم فاجعل حق غيرى أحبّ إلىّ من باطلى ، ورضاك آثر عندى من كل شىء

رب، إن الناس يركنون إلى الدعة ، ويُعذَرون فى الواجب، فاجعلنى دائباً على العمل لا أملّ ، قوّاماً بالواجب لا أعتلّ

رب ، إن الناس ينزعون إلى الظلم ، ويجنحون إلى المحاباة ، ويرضون أنفسهم بباطل يزينونه وحق ينكرونه . اللهم فبغض إلىّ الظلم والمحاباة ، واجعل العدل والحق ملء نفسى وقلبى وقولى وفعلى

رب، إن نفسى تنزع إلى إرضاء الأقوياء والاستهانة بالضعفاء. اللهم فاجعل الناس سواسية عندى ، واجعلنى حرباً على الأقوياء المبطلين ، نصيراً للضعفاء المحقين ، لا تستطيبنى فى الحق رغبة ولا رهبة ، ولا يأخذنى فى الصدق خوف ولا رجاء

اللهم إن الناس استهوتهم الشهوات وعبّدتهم المطامع؛ تُضلهم الكبرياء فيصدفون عن الحق ، وتضرعهم الذلة فيخنعون للباطل . فاجعلنى اللهم متواضعاً لا تزهونى نخوة، وقوياً لا تأسرنى شهوة، وحراً لا يعبِّدنى مطمع . واملأ قلبى كبراً على السفاسف، وأنفة من الدنايا

اللهم وقد اشتعلت القلوب أحقاداً ، وامتلأت النفوس ضغائن ، وتقطعت بين الناس الأواصر، وفرّق بينهم الحسد، فاملأ قلبى محبة ومودة ، وبرئنى من الحسد والحقد . واجعلنى أطهر من أن أحقد وأكرم من أن أحسد

اللهم إن القلوب قست ، والنفوس أجدبت ، والوجوه وقحت ، فاملأ قلبى رحمة لكل إنسان ، ونفسى شفقة على كل حيوان ، وأدبنى بأدبك ، واجعل فكرى وقولى وفعلى براً ورحمة وإحساناً

اللهم واجعلنى طماحاً همَّاماً لا تحد طموحى فى الحق غاية ، ولا ينوء بهمتى فى الخير مطلب

اللهم واجعلنى فى الحق جريئاً لا أخاف ، ومقداماً لا أحجم ، ومحارباً لا أجبن ، واجعلنى عدواً للباطل جريئاً عليه ، محباً للحق خاضعاً له

اللهم اجعل لى من ذكرك قرباً وأنساً ورجاء وثباتاً . اللهم إنى أستقبل يومى مؤمناً بك متوكلا عليك، مخلصاً لك ، مجاهداً فيك، راغباً إليك مستمداً منك

فأضئ عقلى بالهدى ، واملأ قلبى بالأمل ، ورغّب نفسى فى الحق والخير ، واشرح صدرى ، واشدد أزرى واشحذ عزمى لليوم الجديد

سبحانك لا إله إلا أنت الحق المبين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

عبد الوهاب عزام

رد على نقد

القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

أحس أن على ديناً لقراء الرسالة يجب الوفاء به ، فقد كنت وعدت إذا زال الحائل الذى كان يحول بينى وبين الكتابة أن أعود فأفصل ما أجملت فى خطابى الذى نشرته الرسالة وتقيدت فيه بذلك الوعد . وما أجملته هناك وأريد الآن تفصيله ، هو أن ما فهمه الأستاذ (قارئ) من بعض كلماتى ، وانتقده فى مقالاته « الدين والأخلاق بين الجديد والقديم »(١) شىء آخر غير ما أردته بما كتبته، وأزيد الآن أنه شىء آخر غير ما تفيده تلك الكلمات

وليس الذى يدعونى إلى الكرة بعد تلك الفترة مجرد حب الوفاء ، ولا مجرد الرغبة فى أن أبين أنى أصبت ولم أخطئ ؛ فالإنسان يخطئ ويصيب ، ولا غضاضة على المخطئ ما دام يخلص النية ويبتغى وجه الحق . إنما أكبر ما يجعلنى أحرص على الرد هو الرغبة فى تصفية مسألة القديم والجديد مرة أخرى — فقد صفيتها قبل ذلك فى بعض فصول كتابى النقد التحليلى — ليتبين وجه الحق فيها عسى ألا يعود أحد ينخدع بما بين لفظى القديم والجديد من تفاوت ، فيؤثر فى المعنويات الجديد لجدته على القديم لقدمه ، كما تعود أن يؤثر فى الماديات الجديد على القديم فى المأكل والمسكن والملباس

والنقد الذى كتبه الأستاذ (قارئ) ، وصدر فيه عن أدب جم موجه إلى كلمتين اثنتين من كلماتى : إلى الكلمة الأولى التى قدمتها بين يدى ما كنت أريد من كتابة حول أدب الرافعى ، وإلى بعض الكلمة السابعة التى جعلتها خاتمة تلك الكلمات . ويظهر أن الأستاذ حين بدأ يكتب ، كتب عفو الساعة من غير أن يرجع إلى الكلمة المنقودة وإلى أخواتها إن لزم ليستوثق من أن المعنى الذى فى ذاكرته هو حقا المعنى المقصود بالكلام المنقود ، فقد كان مر على الكلمة الأولى المنقودة بضعة أسابيع حين كتب الأستاذ

ثم يظهر أن تلك الكلمة الأولى من كلماتى صورت مسألة القديم والجديد صورة غير مألوفة . فلم تقصرها على ميدان الأدب ولكن عدتها إلى ميدان الاجتماع ، ثم جعلت من الميدانين ميداناً واحداً ، ومن حركة النزوع إلى الجديد فى كل منهما حركة واحدة تشملهما جميعاً هى حركة الانصراف إلى جديد الغرب ولو استلزم ذلك الانصراف عن قديم القرآن

لكن هذا التصور أقرب إلى صميم الأمر وإن كان تصوراً غير مألوف . غير أن قربه من الحق لا يتبين حتى تتبين حدود تينك الحركتين الأدبية والاجتماعية اللتين رُكبتا معاً فى حركة واحدة حين صُوِّرتا ذلك التصوير

وأول هذه الحدود وأوضحها أن تكون الحركة العلمية أو الصناعية غير داخلة فى تينك الحركتين، فإن الأدب والاجتماع غير العلم والصناعة بالبداهة . وإذن فلا محل للرجوع بحركة الجديد إلى عهد محمد على كما يريد الأستاذ (قارئ) لأن عهد محمد على فيما نعرف لم يأخذ عن الغرب إلا علمه وصناعته ، ولم يمس النظم الإسلامية الاجتماعية فى كثير ولا قليل

وحد آخر من حدود حركة الجديد التى أردناها : أن روحها يخالف روح الإسلام فى الصميم . من أجل ذلك أخرجنا منها حركة التجديد التى قام بها الإمامان جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده كما هو صريح مقالنا الأول الذى نقده الأستاذ من الذاكرة من غير رجوع إليه . وهذا الحد الثانى كاف وحده فى إخراج عهد محمد على مرة أخرى من نطاق البحث ، وإخراج كل حركة جديدة تتفق مع الدين

وحد ثالث من حدود حركة الجديد التى أرخنا لها : أنها حركة أفراد لا حركة حكومات ، اللهم إلا أن تكون حركة الحكومة نتيجة من نتائج انتشار حركة الأفراد كما حمل أصحاب الحركة النسوية مثلا الحكومة المصرية على تحديد سن الزواج . ولم يخطر ببالنا أن ننبه بهذا الفارق حين كتبنا ما كتبنا ، لأننا أولا لم نكن بصدد التاريخ للجديد على إطلاقه ، ولكن كنا بصدد الكلام على حركة صارت بعد مذهبا اعتنقه أفراد دعوا إليه وثاروا على دعوتهم حتى انتشرت وصار لها من السلطان ما لها اليوم — ثانيا — كان واضحا من سياق ما كتبنا ومن الظرف الذى دعا إلى الكتابة ومن بعض عبارات فيها مثل : « ومسألة القديم والجديد عمرها لا يكاد يزيد على ثلاثين عاماً أثارها فى الناس نفر تثقفوا ثقافة غربية من غير أن يكون لأكثرهم من الثقافة الاسلامية نصيب مذكور .

(١) انظر الأعداد ١١٤٣ ، ١١٨٤ ، ١٢٩٧ ، ١٢٦٧ ، ١٢٢٨ ، ١٣٤١ ، ١٤٧٢ (من الرسالة)

وهذا، وغيره لا يدع مجالا للشك فى أن المقصود هو مسألة القديم والجديد التى ثارت بين الناس والتى لا تزال موجودة بيننا فهذا الحد الثالث كاف هو أيضا لأن يخرج من نطاق البحث كل حركة لم يقم بها فرد أو أفراد ولم يعتنقها جمهور من الناس. وإذن فالحركة التى قصدنا بالنقد والتى قدرنا عمرها بثلاثين عاما هى حركة قائمة بيننا الآن لا ترجع إلى عهد نابليون فى مصر ولا إلى عهد محمد على ولا إلى عهد اسماعيل، ولكن ترجع فى رأينا من الناحية الأدبية إلى العهد الذى كان هيكل وأمثاله يكتبون فيه فى « الجريدة »، ومن الناحية الاجتماعية إلى العهد الذى كتب فيه قاسم أمين وأصدر فيه كتابيه « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة »

والعهدان فى الحقيقة عهد واحد يظلهما زمن واحد هو زمن اشتداد الحركة الوطنية الأولى حوالى ١٩٠٨ أو قبلها بقليل. ومن هنا أمكن تقدير عمر واحد للحركتين اللتين بدأتا فى الأدب والاجتماع حوالى ذلك التاريخ، واللتين جعلنا منهما حركة جديدة واحدة عمرها بالطبع عمرهما، وهو تقدير طبيعى كما ترى لا عوج ولا تكلف فيه

والأستاذ قارئ لم يأخذ علينا مخالفة للواقع فيما يتعلق بالحركة الأدبية من تقديرنا ذلك، فهو يوافقنا فيه وإن كان بعض ما كتب فى مقاله الخامس[1] يدل على أنه يميل إلى جعل عمر حركة الجديد فى الأدب أقل من ثلاثين. أما من الناحية الاجتماعية فإن التأريخ لحركة الجديد فيها بظهور كتابى قاسم أمين أمر معقول. فقبل قاسم لم يدع مسلم فى عصرنا الحديث إلى جديد فى هذا الميدان، ولم يحاول مسلم أن يدعو الناس فى ميدان الاجتماع إلى مخالفة ما جرى عليه العمل فى زمن الرسول صلوات الله عليه فى مسألة الحجاب مثلاً والسفور. وإذا كان هناك من المسلمين أو غير المسلمين من سبق قاسماً إلى مثل ما دعا إليه فإنه لم يترك أثراً فى الناس فى مصر كما ترك قاسم، ولم يستهو نفراً إلى مذهبه كما استهوى، ولم يبدأ حركة كبرت بعده حتى جاوزت كل ما كان يدور له فى حسبان. فقاسم أولى الناس بأن يُبدأ بكتبه تاريخ حركة الجديد مما يخالف الإسلام فى ميدان الاجتماع

والحركة التى بدأها قاسم لم تكن لتبلغ ما بلغت وتستشرى كما استشرت لو لم تجد من الحركة الجديدة فى الأدب مؤيداً وظهيراً. فإنك إذا تتبعت الحركتين وجدتهما سائرتين جنباً لجنب تأخذ إحداهما بيد أختها تقيها العثرة وتثبتها فى المعترك، وإنك لواجد أن الصحف التى ظاهرت إحدى الحركتين هى نفس الصحف التى ظاهرت الأخرى، وأن أنصار الجديد فى الأدب كانوا ولا يزالون هم أنفسهم أنصار السفور من قبل وأنصار الاختلاط وما إليه اليوم. كانت الجريدة فى مبدأ الحركتين لسان الدفاع عن كلتيهما والدعوة إليهما، ثم كانت جريدة «السفور»، ثم «السياسة»، ثم «السياسة الأسبوعية» وغزا أنصارها الصحف الأخرى وخلا لهم الجو لما غاب « المؤيد » و «اللواء»، وصارت الدعوى الجديدة هى البدع و « الموضة » فمن لم يقل بها عن نية واعتقاد قال بها كيلا يوصف بالرجعية والجمود. وليس يهم الآن تعليل ذلك، إنما المهم توكيد ما كان بين الحركتين من اتصال وتلاقح وتعاون، فالحركة الجديدة فى ميدان الاجتماع أعقبت لوناً جديداً من الأدب لم يكن موجوداً قبلها يصح أن يسمى بأدب السفور، والحركة الجديدة فى ميدان الأدب مهما يكن أصل نشأتها. قد امتزجت بعد بالحركة الاجتماعية الجديدة المتفاقمة واستوحت منها أكثر وحيها لأن روح كل منهما مستمدة فى صميمها من روح الغرب لا من روح الإسلام. ومن يكن فى شك من هذا فليرجع مثلاً إلى مجلدات « السياسة » و « السياسة الأسبوعية » قبل ظهور كتاب « حياة محمد »، فسيتجلى له المذهب الجديد فى الأدب والمذهب الجديد فى الاجتماع قد اتحدا فى حركة واحدة شاملة تنبض بروح الخلاف للاسلام، لأن أصحابها لجهل أكثرهم بالإسلام صدّقوا ما زعمه لهم الغرب من أن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين

وإذا كان من رجال الحركة الجديدة فى الأدب من لم يناوئ الإسلام مع الغرب ومشايعيه من أهل الحركة الجديدة فى الاجتماع فلم يتخذ من وحيها وحيه فى كتاباته، ولم يجر معها إلى آخر الشوط الذى جرت وتجرى إليه، فإن هؤلاء نفر جد قليل. والناظر إلى صميم الأمر لا يستطيع أن يحكم على حركة إلا بما يغلب عليها، وسيجعل لذلك القليل مخرجاً إن أمكنه ولو بتقسيم آخر. ونظن أننا فعلنا ذلك بالحد الثانى من الحدود التى فصلناها آنفاً، وبما سنبينه إن شاء الله فى مقال تال

محمد أحمد الغمراوى

(١) نشير إلى قوله « ولو أنا رجعنا إلى ما ألف من المقالات والكتب منذ ثلاثين سنة ما وجدنا أثرا لهذا الاصطلاح: أعنى اصطلاح تقسيم الأدب إلى جديد وقديم، وإنما كان الشعراء الذين يسمون الآن أدباء المذهب الجديد يدعون إلى نبذ شعر الغزل المتكلف الخ »

تحيـــــة الرسالة

في عامها السابع

للأستاذ محمود الخفيف

أشهى مِنَ الوَرْدِ ومن نشرِهِ ولَمحَةِ الفرْدَوْس من سِحْرِه
ومن رُوَاءِ الكونِ مُستَشرِفاً للرّائع المَنْهَلّ من فَجْرِهِ
وَمِن جبين الصُّبح في مَهْدِهِ وذَائِبُ الطلِّ على ثغْرِه
تُجَاوِبُ الأَنْفُسُ مَسْحُورَةً سوَاجِعَ الأبكار من طيْرِه
ومن رُؤَى الحُلمِ وأطيَافِهِ وَيقظَةِ الرُّوح على ذِكْرِه
ومن سِمَات العيد في صَحْوَةٍ تَزِيدُهُ بشْراً على بشْرِهِ
صَحِيفَـةُ المشْرق في جَلْوَةٍ تُرِيك معنىَ البِشْرِ من سِرِّه
رِسالَةُ الجيلِ على وَمْضِها يَسْتَقْبِلُ النَّابهَ من عَصرِهِ
صَبَاحُها اللمَّاحُ يُوحِي لَهُ فيَنْتَشِقُ الآمالَ في عِطرِهِ
يَلْتَفِتُ الشرقُ إلى عيدِها فيَسْتَثِيرُ العيدُ من فخْره
تهزُّه من أمْسِهِ لَمْحَةٌ تَبْتَعِثُ الذّاهِبَ من كِبْرِهِ
ويزْدَهِيهِ الجِدُّ في يومِهِ وَوَثْبَةُ المُفْلِت من أسْرِهِ
يسابقُ العصرَ إلى غاية تُنْسِيهِ ما يلقاهُ في سيره
سِيرِي عروسَ الشرق مَوْمُوقة على هُدى السَّالِفِ من دهرِه
ثوري على الجهْلِ وأسبَابه وحَرِّرِي الأعناق من نِيرِه
وَجَنِّبي المشرِقَ ما غرَّهُ من زُخْرُفِ العَصْرِ ومن زُوره
ومن سَرَابٍ ظَنُّهُ كَوْثراً لو لم يكُنْ صَدْيَانَ لم يُغْرِه
ومزِّقِي الوَهْمَ فكَمْ مَسَّهُ فبَاتَ مَغْلُوباً على أمْرِهِ
ما كانَ لولا الذُّلُّ يرضى بما أسْدَلَهُ الباطِلُ من سِتْرِهِ
هاتي من الشرقِ أحادِيثَهُ وأيقظِي الذّاهلَ من سُكْره
قُصِّي عليه الحق كيف انجلَتْ آيتُهُ الكبرى لدَى بدرِه
وحَدِّثِي الغافِلَ عن مجده عن (خالد) الشرق وعن (عَمْرِه)

ويُمْنِ (هارون) وإقبالِه ومُلْكِ هارون على بِتْرِه

مأذَنَةُ الحق على صَوْتِها لم يبْق ذو وَقْرٍ على وَقْرِه
رَنَّ في المشرق أصْدَاؤُها من أرْبُعِ الهند إلى مِصْرِه
بغدادُ لا تنفكُّ تَهْفُو لها كما هفَا الرَّوضُ إلى قَطْرِهِ
كَمْ أطْلَعَتْ آفاقُها أنجُماً هُمْ في سماء الشرق من زُهْرِه
وجارَةُ الوَادِي تَصُوغُ الهوى عِقداً يغَارُ الزهْرُ من طُهْرِه
شبابُهَا الأحرارُ كم بينهم من عُدَّةِ الجيل ومن ذُخْرِهِ
صحيفةُ المشرق قد ألَّفَتْ أشبَالَه الغُرَّ على نَصرِه
دِعامَةُ الفُصْحى وبُرْهَانُها تَدْعُو إلى اللهِ على أمرِه
ما نَسِيَ الشرقُ لها عَزْمَهَا في حُلْوِ ما تَلْقى وفي مُرِّهِ
ما حفِلَتْ يوماً بغير العلى ولم تُجِبْ غِراً على هُجْرِه
كَمْ نابه مدَّ لها كفهُ بالرائق السلسال من فكره
وناهض لولا أيادٍ لها مَرَّ به العَصرُ ولم يدْرِه
وَسَاجِعٍ في ظِلِّها رَقْرَقَتْ روائع الآياتِ من شِعْره
وناثِرٍ بنَانُهُ سَاحِرٌ تَرَى بديعَ الوشْي في نَثْرِه
ومُبْدِعٍ في الفن هَشَّتْ له فجاء بالمُعجِب من بِكْره
ومُلْهَم يحكي عهود الهوى فتَسْكَرَ الألبابُ من خَمْرِه
صحيفةٌ يَبْسُطُهَا أرْوَعٌ في سِرِّهِ الصدقُ وفي جهرِهِ
ألقت له الفصحى مقالِيدَهَا فجاء بالمُعجِزِ من دُرِّه
كم غايَةٍ في الفن دانَتْ له طوعاً وقَدْ عَزَّتْ عَلَى غيره
لا تَبلغُ الأحْقادُ من نَفْسِهِ ولا ينالُ الغَدْرُ مِنْ صَبْرِهِ
لا عُسْرُهُ يثنيهِ عَن قَصدِهِ ولا يُسِيغُ الزَّهْوَ في يُسْرِهِ
حَيَاؤه أجْمَلُ أوْصَافِهِ ولا يَدِقُّ المكْرُ عن مَكْرِهِ
بيانُهُ سَمْحٌ إذا ساقه لا يَنفُذُ الغِلُّ إلى صَدْرِهِ
يَبْنِي عَلَى الأخلاقِ من مَجْدِهِ ما تَعْجِزُ الأحداثُ عن قهرِه
لا زال يُولِيه الهُدى نورَه وتَرْفَعُ الأيّامُ من قَدْرِهِ

الخفيف

وحي العام الجديد

إلى أين نسـير

بين التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« أم ترى نحن هنا — كما يقول غرورنا — لنلعب على مسرح الحياة دورنا الخالد ؟ »
جوفروى

انتهى عام وبدأ عام جديد ، وانتهت من قبل أعوام وبدأت أعوام جديدة ، وستنتهي غداً أعوام لتبدأ من بعدها أعوام جديدة ؛ فإلى أين نسير وإلى أى مصير ؟ أترى ندور فى حلقة مفرغة يتصل أولها بآخرها وآخرها بأولها ، فلا يمضى عام إلا ويتلوه عام آخر ، ولا ينقضى خلق إلا ويخلفه خلق آخر ؟

لشد ما يحار الإنسان عند ما يسأل نفسه هذا السؤال فى مطلع كل عام ! ولشد ما يجد الحيـاة حوله لغزاً معضلاً يستعصى على الحل ، ولا ينفرج فى ناحية إلا ليتعقد ويضيق فى النواحى الأخرى!

ولقد وقف هذا الموقف بالأمس الأستاذ Jouffroy فراح يتساءل أمام تلاميذه « بالسربون[1] » عن الغرض من حياتنا تحت الشمس ، وعن معنى الدور الذى نلعبه على مسرح العالم . وراح يعدد الظروف التى تستثير فى نفوسنا هـذا الموضوع ، والنظرات التى تلقيه على مسامعنا ؛ ونحن نورد لك اليوم موجزاً لأقواله ، ثم نعقب عليه بما نريد

يقول[2]: « لا يكاد يصل الإنسان إلى هذا السؤال إلا أخيراً، ولـكن مشاغل الحياة لا تلبث مع ذلك أن تصرفه عن التفكير فيه ؛ والناس حياله سواء ، عالمهم وجاهلهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وسعيدهم وشقيهم ؛ فليس من واحد منهم يصدمه حادث أليم إلا ويغيم على ذهنه ذلك السؤال المحزن « لماذا نحن هنا؟ وما معنى هذا الدور الذى نلعبه ؟ »

ثم نحن ندخل الدنيا ونفوسنا مليئة بالآمال والشهوات والرغبات ، وتدفعنا هذه النفوس النهمة الجائعة إلى تحقيق إرادتها وسعادتها، فيقف العالم أمامنا ليحارب تلك الإرادة بكل ما يستطيع ومن هنا نقاسى ألم الحرمان ونسخط على حياة وجدنا فيها نهمين نريد أن نشبع وتريد الأقدار أن نجوع !! ولـكنا نميل مع ذلك إلى اتهام أنفسنا فنتحلى ونتخلق بالصبر والقناعة والرضى إلى أن تنحط علينا كارثة هائلة ، فنفتح أعيننا من جديد لنرى آمالنا المتلاشية ، ولنصرخ من أعماق قلوبنا المجروحة ، وعقولنا المتزلزلة، ولنتساءل فى لوعة وأنين : « ترى لِمَ نحن هنا على ظهر الأرض؟ »

وليس لمآسى الحياة وحدها الإصبع الأكبر فى ذلك السؤال، فإن لسعادتها أيضاً إصبعاً بل أصابع كثيرة . ذلك أنا نسعد فى المبدأ عند ما نحقق رغبة من رغباتنا ، ولـكن إذا ظلت سعادتنا وقتاً طويلاً — وقلما يحدث هذا — فسرعان ما تخبو نارها ، وتنمحى روعتها ، فيقل شعورنا بها شيئاً فشيئاً ، وينقلب على مر الأيام إلى كره فتورة وسخط ، لأنا لا نجدها حينذاك كافية لمطامعنا ومحققة لجميع آمالنا ، ومن ثَمَّ نرى الحياة عاجزة عن إشباع رغبة السعادة فينا ، فنشعر بأن مسراتنا أوهام ، ورغباتنا تخاخ نحن أول من يقع فيها . ولا نستطيع أن نتهم أنفسنا هنا كما نتهمها أمام المآسى لأن السعادة بين أيدينا ؟ !

ثم نحن نبدو فى المدن كأعظم المخلوقات فنمتلئ شجاعة وثقة وغروراً ، ولـكن عند ما نخرج إلى الطبيعة المكشوفة ، ونجد أنفسنا وحيدين أمام سماء لا نهائية ، وأفق تتلوه آفاق ، وجبال شامخة هائلة ، ونجوم عديدة لا تحصى ، وقرى تختفى فى غابات ، وغابات تختفى فى فضاء الطبيعة ، بل وعند ما نرى أن هـذه الدنيا تسبح فى هواء الـكون مع عوالم أخرى كثيرة ونحن حيالها لا شيء ، ألا ننسى حينذاك سعادتنا وشقاءنا ، ونروح متسائلين : « أين نحن من العالم وما دورنا فيه ؟ »

وحينما ننظر فى تاريخ البشرية ، ونعرف أنها جاءت عارية

---

(١) عاش الأستاذ جوفروي من سنة ١٧٩٦ إلى سنة ١٨٤٢ م وقد افتتح منهج الأخلاق بالسربون فى عام ١٨٣٠ — ١٨٣١ بالمحاضرة التى نوجزها ونعلق عليها فى ذلك المقال . أنظر « قضية المصير الانسانى » فى الـكتاب الفرنسى « لالاند » واسمه « مطالعات فى فلسفة العلوم »

(٢) لقـد حاولنا أن نبسط آراءه موجزة وبنفس طابعها الأصيل بقدر المستطاع .

أو شبه عارية ، ثم قامت منها شعوب ، وقام بين هذه الشعوب نزاع فساد الفرس أولاً ثم الأغريق ، ثم الرومان ، ثم البرابرة ؛ بل وحينما نذهب إلى الأصقاع المجهولة فى شمال آسيا وأواسط أفريقيا وأمريكا ، وجزر المحيط ، لنجد فيها قوماً يختلفون فى اللغة والفكر ولا يعرفون مثلنا لمـاذا خلقوا ولا من أين أتوا ؛ عند ما ننظر فى ذلك التاريخ البشرى بليله البهيم، وفى الأجناس كفاحها وصراعها، ألا نشعر بغموض هائل يكتنفنا من كل ناحية ؟ أما هذه الإنسانية التى نحن جزء منها ؟ من أين أتت ؟ وأيان تذهب ؟ أترى هى كأعشاب الأرض وأشجار الغابات تخرج من التراب وإليه تعود؟ أم ترى هى هنا — كما يقول غرورها — لتلعب على مسرح الحياة دورها الخالد المحتوم ؟ وأى دور ذاك وما عسى أن يكون ؟ لقد سقطت المدنية الشرقية تحت أقدام المدنية اليونانية ، كما سقطت المدنية اليونانية تحت أقدام المدنية الرومانية ، وكما سقطت هـذه الأخيرة تحت أقدام المدنية الجرمانية ، فترى أى مصير سيكون لهذه الأخيرة؟ أهو الانتصار المحتوم ثم السقوط كما حدث لسابقتها؟ وماذا يكون دور الإنسانية إذاً ؟ أهو الدوران فى حلقة مفرغة ؟ أم هو الترقى والتقدم ؟ وأين الترقى والتقدم من وحشية الحروب وفظاعتها ؟ وهكذا يحار الإنسان كثيراً وسط هذه الغيوم فيتساءل عبثاً عن القانون الذى يسوق قطيع البشرية بهراوته من أصل مجهول إلى مصير مجهول !

ثم « العـلم » بماذا يحدثنا؟ إنه يقول إننا مجرد حلقة فى سلسلة المخلوقات ! ؛ فالأرض قد استُعمرت فى المبدأ بالنباتات الضخمة التى لا تقارن بها نباتاتنا ، والتى لم تكن لتظل بأوراقها الواسعة العريضة كائناً ما ! ، ثم جاءت ثورة جارفة هدمت تلك الخليقة الأولى كما لو كان خلقها عبثاً ، وأحلت محلها خليقة أخرى هى الزواحف والأسماك ! ! ثم جاءت من بعـد هذه خليقة ذوات الأربع الهائلة فمهدت الطريق للانسان الذى طفا أخيراً على السطح كحلقة فى سلسلة سابقة ! وقد عاشت كل خليقة من هـذه الخلائق السابقة على الأرض كما نعيش الآن ، فلم لا يأتى يوم ننقرض فيه وتصبح عظامنا أمام الخلائق الجديدة مجرد حفريات ضخمة شائهة تحويها المتاحف وتعجب منها العقول ؟ ؟ إننا حلقة بين حلقات مجهولة ناقصة ، وقد خرجت هذه الحلقة لتتحطم بدورها كما تحطمت أخوات لهـا من قبل ، فمن نحن إذاً ؟ وأى حق لنا فى الأمل والغرور ؟ ؟

فى كل مكان إذاً حدود ، وفى كل مكان ظلام وعجز وألغاز تتلو ألغازاً ! ونحن نجد أنفسنا متسائلين وحائرين كلما وقعنا تحت تأثير هذه الظروف، وكم منا قد انتحر إزاء هذا المشكل الكبير!، وكم منا قد لجأ للعقائد التقليدية ليقنع بما فيها من أقوال ووعود ، ولـكن خيط حياتنا لا يفتأ يهتز ويتذبذب كما تساءلنا فى حزن وأسى عن أصلنا ودورنا ومصيرنا المحتوم ! !

ولـكن الأمر يبدو بالرغم من ذلك كله أهون مما نظن ! وذلك لأن الحياة والموت ، والسعادة والشقاء ، وعظم الخليقة وظلام التاريخ ؛ كل ذلك وإن أحزن القلب والعقل والضمير فهو يتحدث إلينا بألف لسان ليثير ثورة جارفة تصد اليأس ، وتذود النوم ، وتدفع الإنسانية إلى البحث الشاق الطويل[1] !!.

* * *

إلى البحث الشاق الطويل ؟ أجل إلى البحث الشاق الطويل ! وإذا كانت الأديان قد وفرت علينا مشقة الحل فما ينبغى لعقولنا النورانية أن تقف عند حد أو أن تقنع بالقليل . ولن يضيرنا أن نكون حلقة فى سلسلة مجهولة الأطراف ، فحسبنا أننا نعيش لنلعب دورنا المحتوم فى الحلقة التى نعيش فيها ، ولن يضيرنا أن نتعرض فى حياتنا للكوارث والآلام، فحسبنا أن نعلم أن قانون الحياة صارم على الجميع وأن مجدنا وعظمتنا فى التحمل والـكفاح والصراع أكثر مما هما فى الدعة والسرور واللين . ومهما يكن شأننا ضئيلاً فى الـكون الهائل المخيف فلا شك أننا نستطيع أن نسمو بعقولنا وقلوبنا إلى عليين ، وأن ندرك كل عام من أسرار الحياة والوجود ما يقيم لنا وزناً فى العالم المجهول . وإذا كان العـلم يشـير إلى سلسلة متدرجة مترقية فى المخلوقات فلنسأل أين كالنا نحن البشر وما عسى أن يكون دورنا الحق فى الوجود ؟ وإذا كانت ميزتنا الـكبرى قائمة فى « العقل » كما يقول أرسطو فلا مندوحة لنا من جعله يمتد بأشعته إلى سر الحياة والـكون

(١) نهاية موجز الأستاذ جوفروى

ليأتينا منه كل عام بجديد فى نواحى ذلك الثالوث المقدس ، ثالوث الحق والخير والجمال . ومهما يكن من شأن النكوص العارض فى خط السير فلا شك أننا نقدر جميعا تلك الخطوات الهائلة التى قطعتها الانسانية منذ فجر التاريخ إلى اليوم نحو التقدم والمدنية والنور . فاليوم علم بعد جهل ، وديموقراطية بعد عبودية واستبداد ، وسلام بعد حروب وغارات ! أقول « سلام » وأعلم تماما ما سوف تقول ! وأين السلام من تلك الشعوب المتناصرة المتنابذة التى يحفر كل منها للآخر هوة سحيقة للموت الداهم الفظيع ؟ ولكن رويدك فالفكرة موجودة ، وتزداد بحرارة الخطر اختمارا ، حتى إذا انفجر البركان وأصاب الإنسانية منه أقصى سعير استوت على عرشها وسادت سيادة أنجح وأضمن كما سادت بالأمس القريب فكرة تحرير الرقيق بعد قرون الذل والعبودية والانحطاط !

إلى الكمال إذاً نحن نسير ! إلى كمال الحق والخير والجمال ؛ ولا نفاضل بين الأجيال إلا على ذلك الأساس . ولا ينبغى أن تكون لنا غاية غير هذه الغاية ! ولا يجوز أن نقيس حياتنا أفراداً وجماعات إلا بهذا المقياس . ولئن كان مقدراً للأجيال ألا تبلغ ذلك الكمال المثلث فإنما شاء الله ذلك لكيا تبقى للانسانية غاية تعيش من أجلها وفى سبيلها تموت . فلننظر إذاً أى قدر من ذلك الكمال قد تركته لنا الخلائق والأجيال الماضية تراثا ثمينا مجيدا ، ولنعرف كيف نصونه ونحافظ عليه ونسلمه لأبنائنا وديعة كريمة جميلة ؛ ثم نفكر فى ماذا عسانا نستطيع أن نزيد عليه من الحق والخير والجمال كما فعلت الأجيال السابقة ليبقى ما نزيده ناطقا باسمه على مر الدهور والأجيال

أجل يجب أن نفكر فى ذلك ونسعى فى تحقيقه ونحاسب أنفسنا بصدده عند مطلع كل عام جديد

ويجب على هذا الأساس أن نرحب بالعام وأن نتفاءل بمقدمه ، وأن نرجو الله داعين منيبين أن يكشف فيه للانسانية عن درجات أخرى من سلم ذلك الكمال المنشود

محمد حسن ظاظا
مدرس الفلسفة بمدرسة الخديو
اسماعيل الثانوية الأميرية

قلت لنفسى ...

إن مبدأ الإسلام ، إقرارَ السلام ؛ ومع ذلك لجأ إلى القوة وأخذ بنظام التسلح ، فشرع القتال ثم قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... » ومن قبلُ جاءت المسيحية عزوفة النفس زهيدة العين تسبل العفو عن الجارم ، وتبيح الخدين للاّطم ، وتترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؛ ومع ذلك قال المسيح : « ما جئت لألقى سلاماً بل حرباً »

فهل معنى ذلك إلا أن القوة هى شريعة الله يحفظ بها سلام العالم ، ويقر عليها نظام الحياة ، ويدفع بها بعض الناس عن بعض حتى لا تفسد الأرض ؟

لقد جأرت أوربا كلها ليلة عيد الميلاد بنشيد المسيحية الشرقية : « وعلى الأرض السلام » حتى جفَّت الشفاه ، وبُحت الحناجر ، ثم أصبح الناس فإذا إيطاليا بلد البابا تحشد الجيوش إلى حدود الصومال ، وفرنسا تجيب على التحدى بجنود السنغال ، وهتلر وجون بول يقفان متحفزين متلاحظين : هذا من وراء الديمقراطية ، وذاك من وراء الدكتاتورية !!

فهل يحسب الذين يثبطون مصر عن إرصاد الأهبة وإعداد القوة ، بحجة ما نكلف من المال ، ونجشم من الأعمال ، إنهم يطيعون الله ويخدمون الوطن ؟ .

ابن عبد الملك

للتاريخ السياسى

نتائج اتفاق مونيخ

للدكتور يوسف هيكل

كان يوم الجمعة ٣٠ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٨ يوما تاريخيا هاما مغيراً تغيراً رئيسيا لوضعية أوروبا الدولية ، ولاتجاه السياسة الغربية ، إذ به تم اتفاق الدول الأربع (فى مونيخ) على حل المشكلة التشيكوسلوفاكية حلا لم يتوقعه أحد قبل أيام من ذلك التاريخ، فجزأ هذا الحل تشيكوسلوفاكيا وأثر تأثيراً عظيما وسيئا على حياتها الاقتصادية والسياسية . وأهم من ذلك أنه أدى إلى نتائج دولية خطيرة ، تتصل بعلاقات ألمانيا مع دول جنوب شرق أوربا والشرق الأدنى من جهة، وبوضعية دول أوربا الكبرى من جهة ثانية .

انتصرت فرنسا عام ١٩١٨ ، فعمل ساستها ورجالاتها على تأمين سلامتها ، وإبعاد خطر الغزو الجرمانى عنها . إذ ذاقت فرنسا مرارته مرتين فى مدة أقل من نصف قرن . واستخدموا لذلك وسائل تأمين السلامة المعهودة قبل الحرب العالمية : المعاهدات والمبادئ التى تولدت عن الحرب الكبرى، والضمان المشترك ضمن نطاق عصبة الأمم

عملت فرنسا عام ١٩١٨ على تطويق ألمانيا من الجهة الشرقية بدول معادية فأوجدت بولندا وتشيكوسلوفاكيا، وربطتهما بباريس بمعاهدات دفاعية . ولتقوية مركز تشيكوسلوفاكيا الدولى ، ولإيجاد كتلة قوية أمام ألمانيا فى جنوب شرق أوربا ، ساعدت فرنسا فى تكوين التحالف الصغير بين تشيكوسلوفاكيا، ورومانيا ويوغوسلافيا ، وربطت هذا التحالف بنفسها بروابط ودية متينة . وفى عام ١٩٣٥ وقعت فرنسا على معاهدة دفاع متبادل بينها وبين الروسيا ، وتوسطت إلى إيجاد مثل هذه المعاهدة بين صديقتها تشيكوسلوفاكيا وبلاد السوفيت . ظنت الدوائر السياسية أن هذه الروابط الدولية جعلت مكان تشيكوسلوفاكيا الدولى متيناً لا يتزعزع، ويحول دون أى تفكير فى الاعتداء على جمهورية مزاريك، واعتقدت هذه الدوائر أيضاً أن القوى المناهضة لألمانيا فى أوربا الوسطى والشرقية قوية إلى درجة لا تجعل حكومة برلين تفكر فى اختراق النطاق الذى يحيط بها فى تلك الجهة

لم تكتف فرنسا بإيجاد ربيبتها تشيكوسلوفاكيا وتقوية مركزها الدولى ، بل عملت على تحصين الحدود التشيكوسلوفاكية الألمانية ، وتنظيم الجيش التشيكوسلوفاكي وتقويته ، لتتمكن من صد أى هجوم حربى ألمانى عنها . لهذا أقرضت باريس براغ المليارات من الفرنكات وأرسلت لها المهندسين الحربيين الاخصائيين لإنشاء حصون هائلة على الحدود الألمانية ، فأنشئ « خط ماجينو التشيكوسلوفاكى » وصرف عليه ثمانون مليوناً من الجنيهات . ثم أرسلت فرنسا البعثات الحربية لتدريب الجيش التشيكوسلوفاكى وتنظيمه ، فأصبح من أنظم الجيوش الأوروبية وأهمها . وزيادة على ذلك ، فإن دخول تشيكوسلوفاكيا الجغرافى فى قلب ألمانيا يساعد على جعل هذه البلاد مركزاً لقوة طيران عظيمة تستطيع هدم كبريات المدن الألمانية الواقعة فى الجهات المختلفة. وقد ساهمت فرنسا فى تقوية قوى الطيران التشيكوسلوفاكى . واعتمدت كثيراً على موقع تشيكوسلوفاكيا الجغرافى ، لهذه الغاية ، فكان فى إمكان القوى الجوية المتجمعة فى تشيكوسلوفاكيا ، تهديد المدن الألمانية بسهولة وفى وقت قصير . فظنت الدوائر السياسية ، بعد هذا التحصن وإيجاد هذه القوى ، أن لا فائدة لألمانيا من محاولة الهجوم على ربيبة فرنسا . كما أنها ظنت أن لا أمل يرجى لألمانيا من مهاجمة فرنسا لوجود « خط ماجينو » الذى تتحصن فيه عند الحاجة الجيوش الفرنسية ، وجيوش دول معاهدة لوكارنو ، ولوجود القوى الهائلة المحالفة لفرنسا فى أوربا الوسطى والشرقية ، التى فى إمكانها الانقضاض على ألمانيا من الجهة الشرقية بسرعة وسهولة

خلافاً لهذه القوى التى هى فى حد ذاتها قوى فعالة لا يستهان بها إن عرف استخدامها ، فإن فرنسا استعملت فى تأمين سلامتها من الخطر الجرمانى ، مبدأ « الضمان المشترك » ضمن نطاق عصبة الأمم . فكانت من أقوى أنصار عصبة الأمم ومن العاملين على تنظيم الضمان المشترك وتنفيذه ومن أشد الغيورين عليه والراجين منه سلاماً . فهل منعت المعاهدات والضمان المشترك ألمانيا عن اجتياز السور الذى أقيم حولها ؟ وبعبارة أخرى ، هل أوصلت السياسة التى تبعتها فرنسا خلال العشرين سنة الماضية الشعب

الفرنسى إلى ما يبغيه من سلام وطمأنينة ؟

لم تنفذ المعاهدات ، ولم يعمل بموجب الضمان المشترك . وتمكنت ألمانيا من رفض القيام بما قبلت من واجبات ومن السير بخطى واسعات للوصول إلى ما تبغى وتطمح

وكان أول ما قامت به ألمانيا امتناعها عن دفع التعويض للحلفاء ، فلم ترغم على دفعه ، ثم قرارها بإلغاء القيود العسكرية فى معاهدة فرساى وإعادتها التجنيد الإجبارى ، وتجديد معامل الأسلحة والذخيرة فى بلادها ، وبناؤها أسطولاً جوياً هائلاً ، فلم يردها الحلفاء السابقون والحاليون عن هذه الأعمال ، ثم احتلالها لمنطقة الرين التى تقضى معاهدة فرساى ببقائها مجردة من كل صبغة عسكرية . فلم تتخذ الدول المتعاقدة فى لوكارنو الإجراءات العسكرية التى تقضى بها معاهدة لوكارنو لإعادة منطقة الرين إلى حالتها السابقة ، ثم ضمت ألمانيا دولة قديمة برمتها إليها ، فلم تحرك الدول ساكناً

أما عصبة الأمم فلم تأت بعمل فعال ضد الإجراءات الألمانية ، كما أنها لم تنفذ قانونها حين احتلال منشوريا ، والحرب الحبشية ، والحرب الأسبانية ، والحرب الصينية . تلك الحروب التى هى وليدة أنانية الدول الكبرى ، وضعف عصبة الأمم المستعمرة ووجود الضمان المشترك بين طيات الأوراق فقط .

وتلا هذه الأزمات والحروب الأزمة التشيكوسلوفاكية . وبعد محادثات اتفقت فرنسا وبريطانيا العظمى على حل النزاع الألمانى التشيكوسلوفاكى عن طريق سلمى ، فعقد مؤتمر مونيخ وسلمت بريطانيا وفرنسا فيه بمطالب الهر هتلر ، وخرج زعيم ألمانيا منه منتصراً من غير حرب .

* * *

فى مونيخ تم هدم ما بنت السياسة الفرنسية خلال العشرين سنة الفائتة . واتفاق مونيخ كان « ضربة الرحمة » (أى الضربة القاضية) لعصبة الأمم ولمبدأ الضمان المشترك . إذ فى مونيخ مزقت تشيكوسلوفاكيا دون أن تعلم عصبة الأمم بذلك ، ودون أن يأتى أحد من حلفائها لنجدتها ، حتى أن والدتها وافقت على هذا التمزيق .

وتمزيق تشيكوسلوفاكيا أزال قوتها العسكرية والدولية . إذ خسرت تشيكوسلوفاكيا ما يزيد على أربعة ملايين من سكانها وفقدت حصونها وقلاعها التى وضعت فيها قوتها وأموالها كما أنها فقدت أيضاً كثيراً من مواردها الاقتصادية ، وأصبحت تحت رحمة جارتها القوية .

أما نفوذها الدولى فقد زال ، لزوال مصادره ، إذ كانت تشيكوسلوفاكيا تستمد قوتها الدولية من تحالفها مع فرنسا والروسيا ودول التحالف الصغير . فجاء اتفاق مونيخ فألغى تحالفها مع فرنسا والروسيا ، وأبطل عملياً وجود التحالف الصغير . لأن دول هذا التحالف لم تأت بحركة قبل مؤتمر مونيخ للدلالة على وجود التحالف . وهى بالطبع لا تستطيع وضع تحالفها موضع العمل بعد اتفاق مونيخ الذى سلمت فيه الدول الكبرى لمشيئة الهر هتلر . فتحالفها هذا زالت أهميته عملياً ، ولم يبق له وجود فى السياسة الدولية .

« للمقال بقية » يوسف هيكل

من الأدب الإنجليزي

دفاع الشيخ عن عرضه

للكاتب الإنجليزي سير جون وارد

للأستاذ محمد لطفي جمعة

جلس لورد آشلي أوف بلا كبوري كاسل وهيلدا بريكفيلد وارثة بارون أوف كليرمونت ، ينظران إلى الشفق ، وقد توارت الشمس بالحجاب ، وقد هبط عليهما وحي الحب ، وسرت فيهما نشوة الغرام، إذ رآهما الشفق ضحيتي لذة وصبوة ، وكان لكل منهما ما ذكره بماضي مباهج الحياة . وكانا مجتمعين خلسة في غيبة والدها بارون أوف كليرمونت الذي كان يعارض في زواجها من حبيبها لورد آشلي ، الشاب الذي قضى معظم شبابه في المغامرات والفروسية ، ومناصرة الملك شارل على وليام أوف أورانج ، الذي غزا البلاد ، واغتصب العرش والتاج . وإذ كانت الفتاة والفتى يرتشفان كأس السعادة في تلك الخلوة التي كانت حلماً من الأحلام، فزعت واستيقظت من غفوة الهناء، على غير انتظار . وماذا رأت ؟ ويا هول ما رأت ! أي عينين هاتان البراقتان ؟ هاحقاً هينا أبيها البارون الشيخ نصير وليام أوف أورانج ، وأحد أبطال الموقعة الحاسمة التي خضبت دماء هاستنجز بالدماء، وأقصت الملك الشرعي عن البلاد ... ثم صرخت اللادي الشابة ناهضة وخرّت صارخة وقد تنازعها الحزن والفرح، وتوزعها الخوف والرجاء؛ وإنها على فرط حبها أباها لم تملك أن شعرت عند رؤيته بفزع ورعب منه وهو يراها بين ذراعي حبيبها الذي يبغضه ويمقته ويتربص به الدوائر ، بعد أن أقصاها عنه وحرم عليها اللقاء ، فثار لورد آشلي لصيحة حبيبته وأمسكها ساقطة ثم عمد إلى الجدار ، فتناول حسامه بأسرع من اللمح ليحمل على الذي سبب كل ذلك الرعب. وكان البارون المسنّ والشيخ الهم لا يزال صامتاً ، فلما رأى الفتى يجرد حسامه ويستعد لنزاله ابتسم هازئاً وقال :

« إن بأذني مسمع مني ألوفاً يحملون البيض المشرفية ، والسمر السمهرية ، فضع سيفك يافتي ، ولا تكن غراً أحمق ! »

وتشبثت اللادي هيلدا بآشلي وصاحت : « إنه أبي ... فاركع له معي ، لعله يغفر لنا ويصفح عنا — وكانت هذه علة رجائها — نعم ! ما أراه إلا فاعلاً ذلك ... نعم سيغفر لنا ويصفح عنا ... » ثم استدارت نحو الشيخ النبيل وقالت له :

— « أبتاه ! أخليق بك أن تجعل للخوف والشك في صدر ابنتك موضعاً ومجالاً ؟ أخليق بك أن تدعَ الرعب يلاطم الأمل في فؤادي ، وتترك الريب يزاحم الثقة في قلبي ؟ أبتاه ! اصنع بابنتك ما تشاء واعف عن هذا الغلام ، فأنا التي أمّنته وشجعته على هذا اللقاء ! »

ولكن البارون الشيخ وقف ثابت الركن شامخ الأنف ، أصيد مهيباً ، وقور الجانب ، محصن النفس من كل ما عساه يهجم على القلب من دواعي الحنان وعوامل الرحمة . وكان عدا ذلك المظهر قوي الصوت ، سديد النظر ، ساكن الأوصال — وهي علائم ضمير ليس بالساكن ولا الهادئ — وكذلك جعل يرنو إلى ابنته ولا يجيبها ، ثم التفت إلى آشلي وكان الدم في وجنة الفتى يذهب ويجيء ، وقد قام متأهباً للحملة على من عسى يلبي دعوة الشيخ من خوله وجنوده وعسسه وأحراسه . وكانوا جميعاً أشداء ذوي بأس وأسر متين

وقال البارون كرة أخرى: ضع سيفك ياغلام، فقال الفتى : لا! ما دام هذا الساعد مطلقاً ! فابيضت وجنة الشيخ ، لا رهبة ولا فزعاً ، ثم استخرج من نطاقه مسدساً فقال : « على رأسك إذن دمك ! » ثم أقبل يتأمل الزناد فألفاه صالحاً حديث العهد بالقدح ... وبعد ذلك أقبل يُهيئه للرمية القاضية . . . وكان لتلك الهيئة صليل يخشى وقعه في الأذن وهو نذير الردى . تهيأ الشيخ للإطلاق، ولو أطلق لوقف شيئين معاً: حياة اللورد الشاب عاشق كريمته، ويراعة المؤرخ، كاتب هذه الأسطر[1]، ولختم شيئين معاً: عمر الفتى وقصتنا التاريخية ، ولكن هيلدا وهي أشد من أبيها عناداً وأنفذ صرامةً وأصعب شكيمة ، ألقت بنفسها دون الغلام وصاحت :

(١) أي المؤلف سير جون وارد

« إذن إلى كبدى فلتسددن سهمك أو قذيفتك النارية ، فتلتق جذوتان !(١) . فإنها خطيئتى لا خطيئته ، وما كان مجيئه هذا القصر عمداً ، وإنما طوح به إليه القدر ، بعد المعركة التى خرجت منها ظافراً ، وأوردته صروف الزمان . وقد أعطيته ذمتى وعهدى ، وما كنت قط للعهد بخافرة ولا للوعد بمخلفة . وإنى لأحبه فوق ذلك ، وأفديه بنفسى وأقيه بمهجتى ... إننى يا والدى أعرف صرامتك ، وأردت أن أعرفك صرامة ابنتك ، وإن وراثتنا لا تكذب ، والدم الذى يجرى فى عروقك وعروق لا يخون ! »

لقد كانت الفتاة منذ لحظة كلها رحمة ورقة ولين وطفولة بريئة ونعومة طاهرة ، ساجية الطرف ، خافقة الأحشاء ، فإذا هى كلها جرأة وإقدام ، راسخة الوطأة ، سامية النظر ، كأنها قدت من الصخر الأصم أو هى الطود الأشم !

وكانت هيلدا بريكفيلد بارونس أوف كليرمونت مديدة القامة ، فأتلعت وتطاولت تعالياً وخيلاء ... وصادمت لحاظ أبيها من لحظاتها بما هو أشد وأقسى ، ولكنها لم تمد يداً لمنع الشيخ مما ظل يحاول ، لأنها لم تخف عادية الردى ، كأنها ترتاح لطارق الموت وتهش للأجل المتاح ، وجعل الوالد ومن ولد يتبادلان النظر . فما كان أعجب قرب الشبه بينهما ، يا لهما من أسد وفلذة كبده !

وتوقف البارون برهة ، ثم رد سلاحه إلى نطاقه ، ولكنه وقف يقذفها بنظراته كأنما يريد أن يفضى ببصره إلى مخبآت ضميرها ثم قال :

ما أنا(٢) من أراد بهذا الغلام سوءاً ، وما أنا من جلب ما قد ترينه الآن من الشر والأذى ، وقد يندر من يصاب بمثل ما نالنى من انتهاك الحرمة والغدر فلا يسفك دماً ولا يزهق نفساً بيد أنى سأفعل الواجب وإن أخللت أنت به وأشأت أداءه . فليلقين حسامه وإلا ورأس أمك لأدعن رأسه على هذه الأرض تثب وتتدحرج وتصبغ الصخر باللون القرمزى(٣)

ثم رفع البارون بوقه إلى فمه فنفخ فيه ، وإذا ببوق يجيبه من خارج القصر ودخل عشرون رجلاً مدججاً يعدون مسرعين على رأسهم قائد وصاح البارون « اقبضوا على الغلام أو اذبحوه .

(١) جذوة كبدها ونار الرصاص .
(٢) فى الأصل Not I Who
(٣) لون الدم

واجتذب الشيخ الفتاة إليه بأسرع من لمح البصر وحال الجند بينها وبين حبيبها فجاهدت عبثاً أن تتملص من قبضة أبيها . وكيف وقد كان التفاف ذراعيه حولها كالتفافة الأفعوان؟ وشد الجند على لورد آشلى شدة فارس واحد . ولكن آشلى حمل بالسيف على أولهم فشق كتفه وألقاه يتخبط فى دمه ، وعلى الثانى فشج وجنته . أما الثالث وكان سيافا حاذقا فقد جعل يروغ من ضربات قرنه اللورد الشاب حتى أصاب غرة منه فضربه فجندله صريعاً ينضح دماء من طعنتين إحداهما فى الذراع والثانية فى الرأس ، ثم غلوه حيث خر وأخذوه من الحجرة وأومأ لهم البارون الموتوران امضوا به إلى الساحل حيث كانت سفن ترحل وتبحر فأودعوه زورقاً وأعملوا المجاذيف حتى بلغوا السفن ، وكانت منضودة صفاً فوضعوه فى إحداها . أما الفتاة بعد أن رأت حبيبها جريحا أسيراً ، فقد غشى عليها ، وما زالت فى ذبول ونحول اثنتى عشرة ليلة ثم أسلمت الروح بلا أنة ولا زفرة .

محمد لطفى جمعة

فى الأقصـــر

للآنسة الفاضـلة « الزهرة »

لا أظننى أسترسل فى عزّة تأخذنى بالبـاطل إذا قلت : إن الأقصر يجب أن تعد بحق فى طليعة المشاتى العالمية العظمى ، فسماؤها دائمة الزرقة ، وشمسها الساطعة التى تضفى على الأجسام أبراد الصحة والحياة ، ونسماتها المنعشة المحيية ، وزروعها الخضراء التى لا يكفى الخريف نضرتها بصفرته الذابلة ، ونيلها السعيد المنساب فى أحشائها يوزع عليها هدايا الخصب والبركة ، وواديها الحافل بمقابر الملوك والملكات والأمراء والنبلاء ، ومقابرها التذكارية التى تجلى الانسانية فى مثلهـا العليا ومبادئها السامية ، وأطلال هياكلها الأثرية ، بل قصورها الخالدة التى تقوم إلى اليوم وسط مبانيها الفخمة والمتواضعة ، وتتيح لها اتخاذ اسمها الحاضر الأقصر (القصور) — كل هذا أو بعض هذا يجعلها محط رحال أهل الفضل والثقافة والنبل ، يسعون إليها من مختلف الأقطار على أخف من جناح الطير . ولقد تسنى لى فى الأسبوع الماضى أن أتعرف إلى نخبة من هؤلاء الأعلام ، وأن أضع جانباً من وقتى واهتمامى بين يدى فتاة غربية نابهة تعنى بدراسة أحوال هذه البلاد وتتغنى بأمجاد تاريخها وبدائعها ... على أن أروع الصور وأوقعها فى النفوس لا تكاد تستغنى فى استتمام جلالها عن الظلال القاتمة والألوان الغداقية ، التى تمس أوتار الألم المتنبهة أبداً فينا ، فقد عرض لى أثناء تجوالى مع هذه الرفيقة الفضلى ما ضاقت له نفسى، من شؤون دعتنى إلى تحريك قلمى اليوم للفت نظر من بيدهم الأمر رجاء معالجتها استكمالاً لأسباب المجد الجدير بهذا المشتى عرض الأثرى الخالد كيلا يشيح عنه قاصدوه ، ويروا أن ما عانوه فى سبيل الوصول إليه كان ضرباً من العبث المبين والجهد المستطير ، وتنزيهاً لنا عن الانحطاط الذى رسخت نسبته إلينا فى أذهان أهل الغرب ولا يصح أن نبقى فيه متورطين ، ولا سيما بعد أن أبدت صاحبتى إعجابها بمظاهرنا كلها التى تشهد بأننا قوم غمسنا فى الترف ، وحظينا بالنعم ، ونهجنـا الصراط السوى فى التضامن والتكافل والكرم ، بفضل ما تدره علينا بلادنا الخصبة . وقد سألتنى يوماً عن أحياء الرعاع عندنا : هل فيها من مظاهر العوز ما تطير لمرآه القلوب ، ويرسل فى نواحى النفس جميعها لدغاً مؤلماً مسرفاً فى الإيلام ؛ فلم أخفِ عنها أن بالأقصر أحياء فقيرة كغيرها من بلاد الله، وإن كنت قد ذكرت لها أنها لا تخلو من جماعات أهلية وحكومية ، تنظم الخير ، وترعى المعوزين ، وتعلم صغارهم تعليما إلزامياً وصناعياً بالمجان ؛ وذكرت لها فى غير تبجح ، أن قلوب أهل هـذه الربوع الوادعة التى لا تزال محتفظة بغرارة الفطرة السمحة المتآخية هى منازل للرحمة ومواطن للسخاء . ثم سألتنى عن التسول وعما إذا كان مباحاً، فوجمْتُ وقد أسرع إلينا أصحاب الأجسام المشوهة ، والعيون الذابلة القذرة ، والثياب الرثة المهلهلة . وأشهد الحق أنى ما كدت أراهم حتى ذبت خجلاً ، إذ كانت العربة قد وقفت بنا فى تلك اللحظة أمام معبد الأقصر الأزلىّ ، القائم على شاطئ النيل فى أجمل أحياء المدينة وأغناها ؛ وغضضت بصرى وخشيت أن أرفعه نحو صاحبتى وهى لا ترى تجاه العظمة الماثلة أمام أعيننا ، سوى تلك الأيدى الممتدة بذل السؤال لتنتقص ما شاهده القوم من مكرمات . ولو كنتُ من أرباب السيادة والسلطان لاتخذتُ كل الطرق الفعالة للقضاء على التكفف، ولكن قلة عدتى تضيق على دائرة نفوذى، وإن كانت لا تمنعنى التوجه إلى أولى الشأن بالحاحى أن تعزز القوات لمعاونة أولئك الشحاذين المساكين ، فإنا لو ذكرنا أن رقىّ المجموع إنما يحسب بقدر تعدد مطالب الفرد، لرأينا أننا أبعد الأمم عن الرقى الصحيح . ولا ينتشر التسول فى محيط إلا كان دليلاً على أثرة الأقوياء الأثرياء ، ومقياساً لخسة مطالب الفقراء التى لا تتعدى ما تجدّ العجاوات فى طلابه لسدّ الرمق . وإنها لإحدى الكبر أن يسجل أهل بلدى العطوفون الأسخياء على ذواتهم ما تستتبعه غفلة إهمالهم ، وهذه طلائعه تظهر فى الجهة الواحدة بؤساً وفناء وتقلصاً وتهديماً، وفى الجهة الأخرى نمواً وازدهاراً وانبساطاً فى رحاب النعم ، فلا يكمل سناء هذا إلا باستكمال تضاؤل تلك

ثراء وبؤس كيف يلتقيان؟ مقيلاهما فى القلب مختلفان

فليسمحوا لى أن أنبههم إلى تدارك هـذا الأمر الخطير ، وليعلموا أنى بالحاحى فى وجوب السهر على منع الشحاذين من الانتشار فى أحياء المدينة لا أبغى أن يحرموا عطفاً يخولهم إياه

بؤسهم . وبأى حق يحرمونه والأزمة عضود ، والأيام جديبة ، وأولئك المفلوكون أحوج للعون وأجدر بالمساعدة ؟ ولكنى أرجو أن يتوسلوا إلى ذلك برشاد الرأى واستخدامه لوضع كل شىء فى موضعه . وليعلموا أن خير وجوه الإحسان زيادة البذل من المال فى سبيل تخفيف الألم العام وتنمية روح الحق والصلاح والتهذيب ، وتوجيه النفوس إلى حياة العزة والكرامة ، فلا تعيش للكسل والخمول اتكالا على كرم المحسنين

هذا ولا بدَّ لى هنا من الإشارة إلى ما حدث فى اليوم التالى حين رافقت صاحبتى إلى « وادى الملوك » فقد تجمهر حولنا صغار السائلين المتفين وتتبعوا خطواتنا ، وكادوا يلزموننا أن نعطيهم شيئاً من النقود . ولعمر الحق أن دموعى تنهمر غزيرة إذ أذكر أولئك الأطفال المحرومين متاع الطفولة المقيمين فى منازل الشقاء حيث تقيم الحاجة بجانب الجهل ، ويقطن الذل فى جوار القنوط ، الذين يعيشون على الجانب الأيسر من النيل ، فى تلك الأكواخ الحقيرة ، المنثورة حول مدافن الملوك الغر الميامين ، كجراح عميقة فى جسم كياننا الاقتصادى والعمرانى ، ويموتون مهملين . لهف قلبى على تلك الزهرات الأنيسة التى تذبل فى ظلام الحاجة والجوع والإهمال ! ونحن نمرُّ بها على الجانب الأيمن ، الجانب المعمور بمدارسه دون أن نعيرهم التفاتاً . ومَنْ ذا الذى يَسْتطيع أن يدرك كنه القوى الكامنة فيهم ، التى لا تدركها النجدة والثقافة لتبرزها إلى الوجود عظمة ومجداً وفضلاً ونبلاً

إن أيديهم التى تبسط اليوم فى ذل السؤال ، ستبسط فى الغد للسطو والنهب ، إذا لم يسعفها التهذيب الصحيح ، ويجعلها أمينة للغد ، نشيطة عاملة لرقى البلاد . ولقد جابهتنى صاحبتى بيؤس هؤلاء الصغار ، وتدفقت فى الدفاع عن حقوقهم ، ودهشت كيف تتقاعد الحكومة عن رعايتهم اللازمة ، وقالت : إن الأطفال فى جميع بلاد الله يقطعون مرحلة التعليم الأولى مجاناً ، ولو ذهبت تلك البلاد فى أحضان العزلة والريف . وإنى وإن كنت أضم صوتى إلى صوتها فى وضع احتياج أولئك الصغار أمام من بيدهم الأمر ، لا أقصد رجال الحكومة فقط . ومن السفه أن نوجه نظرنا إلى الحكومة فى كل شىء ، ونطلب منها أن تخلق خلقاً جديداً . وليس من شأن الحكومات أن تفسح للناس القادرين سبل العمل ، فيسمون بكل وسيلة صحيحة لرفع الصغار والفقراء ، إلى مستوى يتعاضد فيه الجميع ويتناشدون ، متعاونين على حب الحياة ، ومراعاة المنفعة العامة

بقى أنى لا أستطيع أن أختم كلمتى اليوم قبل أن أضمنها أمرين تفزعت لهما صاحبتى . أولهما الصياح الذى اختص به باعة التحف الحديثة التى يصوغونها على طراز العاديات الأثرية ، وإلحاحهم فى عرضها علينا ، وإمعانهم فى إظهار ما كانوا يظنونه فى أنفسهم من المقدرة على أن يبتزوا منا ثمنها ...

أما الأمر الثانى فالقسوة التى يبديها بعض حوذية المركبات فى إعنات خيلهم وانهيالهم عليها بسياطهم ، حتى لقد حسبت أن بلادنا ينقصها فرع لجمعية الرفق بالحيوان ، وسألتنى إن كانت الحكومة تشرف على أعمال هذه الجمعية ، فأجبتها بالايجاب ، ودللتها على المكان الذى تدار فيه شؤونها ، وعلى مناهل الماء التى أعدتها لتخفيف وطأة الظمأ على السائمة وتكليف رجال البوليس بحمايتها من القساة الذين لا يكثر وجودهم بين الزارعين المرابعين المشهورين بعطفهم على ماشيتهم ، وتعلقهم بها تعلق الوالد بأولاده المحبوبين .

فسرى عنها وقالت وفى عينيها بريق اللجاجة والحنان : « ولكن رجائى إليك أن تحمسى رجال البوليس للتشديد على الحوذية الذين يضربون خيولهم العزيزة المسكينة بغير مسوغ » .

وإنى لعلى ثقة بأن الخير الذى وعدتها به ستحققه همة أولى الشأن من الحازمين

الزهرة

العـــالم اليـــوم

للدكتور محمد محمود غالى

تقدم الرسالة إلى قرائها الدكتور محمد محمود غالى محررها العلمى ، وهو يحمل ألقابا شتى فى الطبيعة والرياضــة ، أهمها دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية بأعلى درجات الشرف من السوربون، وهي أسمي ألقاب الامتياز العلمية التى تمنحها جامعة باريس . وهذه الدرجة لـكلية العلوم كالاجريجاسيون لـكلية الحقوق ؛ والدكتور غالى أول مصرى نال هذه الدرجة . وله أبحاث قيمة أنفقت عليها السوربون ومعهد باســتور مبالغ طائلة ، ولعلنا نعود إلى شرحها فى فرصة أخرى . وهو يرسم إلى قرائه فى مقال هذا العدد المنهاج الذى سيسير عليه فى عرض الحقائق العلمية والتطورات الفكرية . والرسالة وقراؤها يغتبطون كل الاغتباط بانضمام هذه الثروة العلمية العظيمة إلى ثرواتها الأخرى التى تنتجها العقول الجبارة فى كل باب

(المحرر)

يا ترى هل نستطيع أن نرجع بخيالنا إلى أول عهود الإنسان لنتصوره فى حالته الفطرية وحياته البدائية ؟ — إن القردة اليوم لا تحاول فى غاباتها أن توقد ناراً ، وهى مع ذلك تتناسل وتستنشق الهواء الصافى وتمرح بين الغدران والجداول تطفئ ظمأها ، وتختار من صنوف الطعام ما يشبع جوعها ، ومع ذلك فإن لنا أن نتصور أننا كنا مخلوقات لا تفوقها فى الإدراك ولا تزيد عليها فى المعرفة. ومهما رجعنا إلى التاريخ المنقوش على الحجر الصلد أو المسطور على أوراق البردى، فمن البدهى أننا لا نصل إلى تحديد الزمن أو الحالة التى كان عليها هــذا الإنسان البعيد ، بل نصل إلى تاريخ قريب لا يتجاوز مائة من القرون ، فنرى إنساناً قديماً فى مداركه عريقاً فى معارفه ، وأن الطوبة وقد اخترعها أمحوتب مهندس زوسر بانى هرم سقارة (إذا كان هو مخترعها حقـًا) تدعو للإعجاب . وكيف لا نعجب له حين عرف أن يشيد من اللَّبِن أو الحجارة أشكالاً منتظمة وأشكالاً ذات طول وعرض وارتفاع فيها كل هندسة أقليدس ؛ أشكالاً استعملها فى بناء سقيفة من الطوب أو حجرة تقيه الشمس إذا اشتدت ، والبرد إذا قرس ، والمطر إذا انهمر

إذا رجعنا بالخيال إلى هذا الحد ، ووصلنا بالتفكير فى هــذا النوع من الإنسان مهما بعد فى الزمن ، نستطيع أن نعتبر أن اكتشافه للنار واستعماله إياها كان خطوة واسعة فى سبيل تغيره وتقدمه ككائن بات يختلف يوماً بعد يوم عن الحيوان ؛ فهو إن شابهه فى أنه مخلوق له جسم يقاربه وحواس تشبهه ، يولد ويعيش ويموت، ولـكنه يمتاز عنه بشىء كثير من الروية والاستفادة بتفكيره

إذا رجعنا بخيالنا إلى هذا المدى علمنا أن اكتشافه هذا كان خطوة هامة فى سبيل المدنية ومقدمة لسلسلة من الاكتشافات التى نعتبرها اليوم ميراثنا العلمى ، هــذا الميراث الذى ساعد اختراع المصريين للكتابة على الإفادة منه على ممر السنين، والذى تضخم باختراع الأوربيين للطباعة حديثاً والصينيين قديماً حتى بلغ العلم من الاتساع والتقدم حـداً أصبح من الصعب معه على كائن أن يستوعب ناحية واحدة منه ، هذا الميراث العلمى عظيم إلى درجة يبعد معها أن تقضى عليه الحروب بين البشر

لقد حاولنا فى السنين الأخيرة أن نستعرض هــذا الميراث العلمى وندرس نواحيه ونقف على ما حدث فيه من تطورات لنعرف مداها ونستخلص المهم فيها ونستنتج من تتبع هذه النواحى شيئاً عن آمالنا فى المستقبل ، ولعل هناك أمراً واضحاً نتفق عليه وهو الدور الخطير الذى لعبته العلوم الطبيعية فى التطور نحو النور والمعرفة؛ فبينما سارت العلوم الزراعية والجيولوجية والطبية والبيولوجية وغيرها بخطوات متزنة معقولة ، إذ بالعلوم الطبيعية قد طفرت فى نصف القرن الأخير طفرات جديرة بالإعجاب . ولو أن أحد أسلافنا دبت فيه الحياة مرة أخرى فدخل أحد منازلنا فربما لا يبلغ تعجبه

من تنسيق حديقة المنزل أو ما به من أثاث كما لا يعجب مثلاً بنوع الفاكهة التي تقدم إليه، بقدر تعجبه من الراديو أو التليفزيون لأن تميل الزهرة إلى الحمرة أو الخضرة، وأن يكون لها العبير الذي نعرفه أو لا يكون، فلا يخرجها كثيرا عن عهده بها

ولأن يكون المقعد من الخشب أو معدن الكروم أو من الحجارة أو من المواد الجديدة في الصناعة التي تشبه الزجاج وتفوقه بقابليتها للانحناء والالتواء لا يخرج لنا في النهاية سوى مقعد للجلوس قد لا يفوق مقعد توت عنخ أمون الذي يشعر نفوسنا حين نراه الآن في المتحف المصري بما كان يشعر به النفوس منذ آلاف السنين من التنسيق والجمال والجلال

أما أن ننتقل من مصابيح النفط والشمع إلى الكهرباء، ومن الخيل والحمير إلى القطار، ومن القطار إلى السيارة — أما أن تعلونا طائرة ونسمع في مصر أوبرا من فينا وموسيقى من باريس، أما أن نرى قريباً ونحن في القاهرة شقيقاً بالأسكندرية أو بأقاصي الصعيد فإن هذا يدعو إلى الدهشة ويدفع بنا للتأمل

هذه الخطوات وغيرها نتيجة للعلوم الطبيعية التي بدأت في الماضي عهداً مجيداً باكتشاف النار. وفي الحاضر عهداً جديداً باكتشاف تهدم المادة (Desintearation) وتحولها إلى طاقة أو إشعاع

وإنما نوهت بهذين الأمرين: اكتشاف النار قديماً، وتهدم المادة وتحول العناصر بعضها إلى بعض حديثاً، لأني أريد أن ألفت النظر إلى أن اكتشاف بكارل في سنة ١٨٩٦ لخواص الإيرانيوم الإشعاعية، واكتشاف مدام كوري وقرينها بيير كيري في سنة ١٨٩٨ لخواص الراديوم، يعدان اليوم في التفكير الحديث خطوة لها من الأهمية بالنسبة للانسان القادم ما لاكتشاف النار للانسان الأول ومعرفته لاستعمالها.

وعند ما يتاح للبشر الانتفاع أكثر مما ينتفع اليوم بالظواهر الجديدة الخاصة بتهدم المادة يتغير استعمالنا للأشياء، فلا يقتصر استعمالنا للخشب أو الحديد على صنع المقاعد أو بناء القناطر بل يتعدى ذلك بكثير، وعندئذ يظل اسما بكارل وكوري على رأس العهد الجديد مثلا أعلى في أقصى ما وصل إليه الإنسان في المعرفة.

هذه المقدمة تبين للقارئ شيئاً عن اتجاه الكلمات التي تتفضل الرسالة بنشرها لي في هذا العام، فهي ستتناول ناحية العلوم الطبيعية واتصالها بالتفكير والتقدم. وقد وقعت أول الأمر في نوع من الحيرة، بخصوص اختيار الطريق الذي أسلكه لأجتذب عدداً كبيراً من أهل الشرق إلى تتبع هذه الكلمات، عسى أن يجدوا فيها شيئاً من الفائدة والتجديد، وللقيام بهذه المهمة طريقان: إما أن نتكلم عن الاتجاهات العلمية الحديثة التي سيكون لها أثر في أعمال الإنسان، وأعني بها الاتجاهات الطبيعية والفلسفية؛ وإما أن نتكلم عن النتائج الفعلية والعملية التي كانت نتيجة للاتجاهات العلمية الجديدة. ولا شك أنه حسب اختيار إحدى الطريقتين يتغير كلية نوع الأحاديث. ولقد انتهيت إلى ضرورة التحدث في الأمرين معاً، فتراني في الوقت الذي أصبحت النظريات الطبيعية الحديثة تمشي بخطوات سريعة، وتسيطر على شتى العلوم والمعارف، أصور في هذه الكلمات الموجزة أهم هذه الحوادث، وأصف — حسب فهمي — الكون الذي نعيش فيه، وأقدم لمتناول قراء العربية تقريراً عن المهم من الوقائع العلمية الحديثة، مستعرضاً الحقائق الرئيسية في العلوم الطبيعية وما يتصل بها من الانتصارات التي قلبت اليوم أوضاع العلم والمعرفة

وفي الوقت الذي أطمع فيه أن أستعرض من صورة العالم معالمه الرئيسية أرجو أن يسمح لي بذكر كلمة عن غرضي، وعن الفكرة التي أوحت إلي بهذه المقالات، وعن الخطة التي سأتبعها لكي نتصل معاً بأهم ما يشغل العلماء اليوم

إن الأبحاث العلمية وما يتم فيها كل يوم لا يمكن أن تكون موضع عناية الناس عامة كما يعنى بها العلماء الذين يهبون أوقاتهم للبحث العلمي. فالعالم يعنيه ما يستجد كل يوم من إضافة، إذ أن هذه الاضافة يتوقف عليها توجيه الأعمال التي يرجو الوصول إلى نتائج جديدة فيها. أما الآخرون فإن أوقاتهم مقسمة طول اليوم بين عملهم البعيد جدا عن المسائل العلمية، وبين فترات من الراحة لتجديد نشاطهم في المنزل بين ذويهم أو في الخارج بين إخوانهم. فالطالب في كليته، والمدرس في مدرسته، والعامل بين الدينامو والموتور في مصنعه، والمحامي بين المحكمة ومكتبه، وساعي البريد انتهى من عمله وخلع محفظته والموظف والتاجر والضابط والقاضي وكل أصحاب الأعمال والمهن يصعب عليهم أن يجدوا متسعاً

من الوقت لتتبع الحوادث العلمية وما يجد فى طياتها من تغييرات .

ماذا يقدم العلم لهؤلاء الذين تمتصهم الأعمال المادية حتى يصبحوا جزءاً منها ، والذين لم تواتهم الفرصة للتعود على التفكير العلمى الحديث وتنسم أخباره ؟

فى كل هؤلاء فكرت وتساءلت : هل نستطيع أن نعبِّد لهم سبيل الارتياح لهذه العلوم ؟ وهل من الممكن أن نشرح نظاماً مثل الذى أصبحت عليه العلوم الطبيعية الحديثة ؟ هذه العلوم الغارقة فى الرموز الرياضية التى بلغ التوسع والتسلسل فيها مبلغاً أصبح معه تتبعها عسيراً حتى على الاخصائيين ؟ هل من السهل تبسيط العلوم الطبيعية التى أصبحت اليوم المفتاح لمعظم التطورات العلمية وما يتصل بها من توجيه جديد لفكر البشر ؟ هل من الجائز أن نشرح هذا لاخواننا الشرقيين فى سلسلة مقالات بالرسالة فنشترك معا فى أعظم ما وصل إليه الإنسان ؟ إنى لأرجو أن يكون النجاح حليفى فى ذلك ؛ وإنى لأشعر بشئ من السعادة والحماسة فى القيام به

أولا : لأننى أميل لهذا النوع من الدراسة الخاصة بالعلوم فمن الطبيعى أن أستطيع أن أحمل فريقاً كبيراً من القراء ليتتبعوها ويميلوا إليها

ثانياً : إننى سعيد أن أوفر على القارئ عناء كبيراً فى مطالعة موضوع بات من أصعب الموضوعات العلمية وباتت رموزه للشخص غير المشتغل بهذه العلوم كالحروف الهيرغليفية لمن لا يعرفها

ثالثاً : إن تمرين الفكر على مسائل صعبة وتتبع هذا النوع من التبسيط له أثر آخر فى تكييف حياة الإنسان وتفكيره فى المسائل الأخرى التى لا تتصل بالعلم وتتصل بحياة الفردية

رابعاً : إننى بذكر بعض التطبيقات العملية للعلوم الطبيعية قد أفيد الكثير ممن يلجأون لهذه التطبيقات لمنفعتهم الشخصية . خذ مثلاً ما يمكن أن تحدثه العين الكهربائية اليوم من التَّفَنُّن فى وسائل الإعلانات التجارية مما لم يُطبق لهذه الأغراض فى مصر ولا يعرفه أصحاب المحلات التجارية حتى الآن فى الشرق عامة ...

خامساً : إننى قد أصل إلى حمل بعض المشتغلين بالعلوم القديمة وبالطرق العتيقة على العدول عن طرائقهم؛ مثال ذلك أولئك الذين يضيعون أوقاتهم سدى فى طلب تحويل الرصاص إلى ذهب والذين يؤملون مثلاً إيجاد نوع من الحركة الدائمة

أما غايتى الأساسية فهى الثقافة العامة . غايتى أن أجعل من التفكير فى ناحية الفلسفة الطبيعية تأثيراً فى حياة الناس الخاصة ، أجعلك تقف على علوم أنت لا تعرفها وليس من السهل بمفردك أن تعرفها، ولا تكفيك السنون الطويلة الباقية من العمر لتستوعبها ، أجعلك تتعلق بمسائل غريبة عنك فلا تجدها صعبة عليك كما تجدها اليوم ؛ أوفر عليك الوقت فى أمور أصبحت أهم أمور العالم العلمى فأصبحت بهذا لازمة لك ؛ أزيد فى ثقافتك وذهنك وقدرتك على فهم العالم الذى يحيط بك

محمد محمود غالى

(الرساله) جاء مقال الدكتور الأول في ست صفحات فاضطررنا إلى تأجيل نصفه إلى العدد القادم

تاريخ الفن

للدكتور احمد موسى

— ١ —

لم يقتصر مجهود الجامعات والعلماء على تسجيل الحضارات عن طريق كتب التاريخ القديمة والحديثة بل وجدوا أنه لا بد لهم من الاستعانة بالإنتاج الفني فى مختلف العصور ، إذ أنه المرآة الصادقة التى بها يمكن الوصول إلى نتائج حاسمة فى تاريخ الحضارات والمدنيات

ولذلك كانت مهمة تاريخ الفن هى الاستعراض العلمى لتطوره على أساس التاريخ العام مع مراعاة أصول علوم أخرى أهمها علم الآثار Archaeologie وعلم قراءة المخطوطات والنقوش القديمة Balaeographie وفن الدراهم والمسكوكات Numismatik وعلم وصف التماثيل والأيقونات القديمة Phonographie وفن علامات وإشارات الأنساب القديمة Horaldik وغير ذلك مما لا يستند فقط إلى السرد أو التاريخ الذى قد يكون متحيزاً أحياناً إلى مبادئ معينة أو غايات مقصودة حيث تدعو الحاجة إلى صبغه بصبغة قومية أو سياسية بذاتها ، مما لا يفطن إليه إلا العارف الباحث فى أصوله

وإذا كان المسلك العلمى فى التاريخ العام هو تقسيمه إلى قديم ومتوسط وحديث ؛ فإن تاريخ الفن يرجع إلى نفس القاعدة رجوعاً كاملاً ، لما لها من فائدة التبسيط وإيجاد الرابطة بين التاريخ العام وتاريخ الفن

ويتناول تاريخ الفن القديم استعراض فن البناء (العمارة) وفن التمثيل (النحت) وفن الصناعات الدقيقة (الحلى وأدوات الزينة الرفيعة) استعراضاً يرجع فى أساسه إلى التقسيم الجغرافى فيأخذ فن كل قطر على حدة ويتبع فى ذلك أقدمية الحضارة . وعليه فأول الفنون جميعاً الفن المصرى ويليه البابلى الآشورى والفارسى والهندى والصينى. هذا فى الشرق الأدنى والأقصى . ثم يأتى بعد ذلك الفن الإغريقى الهائل [١] ثم الفن الأتروسكى [٢] والفن الرومانى والفن الإسكندرى

أما تاريخ الفن المتوسط فيتناول الفن المسيحى القديم والفن البيزنطى الذى كان له أثر ملحوظ فى كل البلاد الأوربية المتمدينة التى وجد فيها أثر للفن الرومانى والقوطى

هذا إلى جانب ناحية هامة فى تاريخ الفن المتوسط وهى ناحية الفن الإسلامى الذى ظهر فى أقطار متباينة وكان ولا يزال محافظاً على طابعه المميز

أما تاريخ الفن الحديث فهو كثير التشعب صعب التقسيم لتقارب الشعوب واتصالها الذى ترتب عليه انتقال الثقافة من أمة إلى أخرى وتأثير مدنية فى غيرها، ولاسيما فى الفن الألمانى فى عهد النهضة من أوله إلى آخره (القرن الرابع عشر (إيطاليا) والخامس عشر والسادس عشر) وما كان للفن فى تلك المرحلة من طرز مختلفة الوضع متشابهة الروح كما أن انقسام الفن إلى باروك Barock وإلى روكوك Rokok كان له أثره الهام فى الفن الحديث .

والإنتاج الفنى بعدئذ هو ما يمكن تسميته بالفن المعاصر

---

(١) راجع فى ذلك كله مجلدات الرسالة للسنة الرابعة والخامسة فقد بسطنا هنالك الكلام ووفينا البحث

(٢) الفن الأتروسكى هو فن الشعب الذى استوطن شمال ووسط إيطاليا قديما ، وقد ظهر هذا الفن حوالى عام ١٠٠٠ ق . م وازدهر بين القرنين الثامن والرابع ق . م

أو إن شئت فقل هو الفن الذى أدى إلى ما نلمسه الآن من الفنون المعاصرة ، سواء ما كان منها مدرسياً أو سائراً على الأسس المدرسية ، وسواء ما كان منها متجهاً إلى ما يسمونه الفن الرمزى والفن الوصفى والطابعى والاقتباسى .

وكان التقسيم المتبع فى الفن الفرنسى والفن الإنجليزى هو أن ينظر إليهما تبعاً للمراحل التى مرا بها ، ومميزات كل مرحلة منذ القرن السادس عشر ؛ ولاسيما أن هذه المراحل كانت تسمى بأسماء الملوك والحاكمين ، وهذه ظاهرة اختص بها هذان الفنان دون غيرهما.

وإلى جانب هذه الفنون الحديثة فنون شرقية حديثة أيضاً سارت فى طريقها بعض الشئ وتطورت تطوراً مخالفاً لسابق فنونها ، ولكنها مع هذا ظلت محافظة على طابعها الشرقى المميز . هذه الفنون هى الفن الهندى والفن اليابانى والفن الصينى ، التى لم يكن المؤرخ الفنى يُعنى بدراستها دراسة علمية إلا فى العصر الحالى

أما مهمة تأريخ الفن نحو هذه الفنون جميعاً فهى تكاد تكون نفس الدراسة المرتكزة على قواعد مشابهة لتلك التى اتبعت فى تأريخ الأدب فى العصر الأخير . وبذلك أصبح التأريخ الفنى والنقد الفنى والتسجيل الفنى علوماً قائمة بذاتها لها أصولها وقواعدها .

ولتاريخ الفن قصته ككل علم آخر . فقد شملت كتب القدماء ما يهم المؤرخ الفنى إلى حد كبير ، فكتاب التاريخ الطبيعى لبلينيوس[١] Plinius وكتاب الرحلة لبوزانياس[٢] Pausanias اشتملا على بيانات وإيضاحات كثيرة وأوصاف مسهبة عن الفن فى العصر القديم ، ولكنها كانت أقرب إلى مجرد الرد مع اشتمالها على أسماء الفنانين ووصف ماتم عمله على أيديهم دون نقد فنى

أو دراسة ذات غاية ، كما خلت من بيان شاف لتطور الفن فى أية مدرسة أو مرحلة زمنية معينة .

ولوحظ أن هذا المسلك فى التأليف كان الغالب أيضاً فى العصر المتوسط ، فكل ما كتب فى شأن الفن وتأريخه لم يخرج عن وصف عام للمبانى الرائعة وما استنفده تشييدها من مجهود .

أما التأريخ الفنى بمعناه الحديث فلم يكن ميسوراً لأولئك ولا لهؤلاء بحال . ومنذ ذلك الحين بدأت الجهود الفردية تظهر فى الأفق رويداً رويداً ، ولا سيما بعد ما التفت المسافرون الراغبون فى المشاهدة والمعرفة ، وكذلك غيرهم ممن اشتغل بدرس اللغات القديمة ، إلى وجوب معرفة آثار الأقدمين والغاية من إقامتها وما تدل عليه وعلاقتها بالحضارة ، واتخاذها وسائل قيمة للتدليل على اتجاه معين فى الدرس والفحص

هنا بدأ تاريخ الفن فى الظهور والتطور العلمى . وكان أول أثر لذلك هو إيضاح ما كتبه الأقدمون وما تدل عليه كتاباتهم عن الآثار التى لم يكن الكثير منها موجوداً حيث كان القدم والإهمال وعدم الرعاية والتغيرات الجوية والمدنية قد طغى كل هذا على معظمها فكانت أثراً بعد عين

فاشتغل فريق من علماء تاريخ الفن بتفسير ما كتبه فيتروفيوس[١] Vitruvius على حين اشتغل فريق آخر بنبش القديم وتفسير الكتابات والنقوش التى وجدت على كثير من الآثار هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى فقد قام فريق آخر بمعاينة آثار روما وبعمل رسومات هندسية ومساحية دقيقة عنها

ومهما يكن نوع هذه المجهودات والكيفية التى سار عليها أصحابها ، فإنه لا يمكننا أن نرجع المحاولات الصائبة فى مضمار تأريخ الفن إلى أبعد من القرن السادس عشر . ولعل أول من نعتبره فى مرتبة مؤرخى الفن هو فاسارى Vasari بكتابه القيم الشامل لتراجم هامة لرجال الفن فى إيطاليا Vite dé pin eccellente pittori, architetti e scultori italiana

وجاء بعده كارل فان ماندر بكتابه المدهش « المشاهدات » Schilderboek المطبوع فى هارلم سنة ١٦٠٤ وفى أمستردام سنة ١٦١٨ ، وكان أقل أثر يذكر له الدعاية للفن ولتاريخه ولتعريف الراغبين بعض الشئ عنه

---

(١) بلينيوس الكبير للتفرقة بينه وبين ابن أخته : كاتب رومانى ولد سنة ١٣ بعد المسيح فى كرمون ومات سنة ٧٩ عند ثورة بركان فيزوف وكل ما ألفه فى التاريخ والبلاغة والأجرومية فقد . ولم يبق له سوى كتاب على هيئة دائرة معارف فى ٣٧ جزءا Historia Naturalis ويشتمل على معلومات مستقاة من كثير من كتب الاغريق واللاتين فى التاريخ الطبيعى وفى غيره من المعلومات التى تهم المشتغلين بالعلم .

وهو إلى جانب ما فى كتبه من الفوائد الهائلة يعد المرجع القديم فى تاريخ الفن — راجع Kalkwann Die Quellen der Vunstgeschichte des Plinius Berlin 1898

(٢) بوذانياس الكاتب الاغريقى من مغنيسا بآسيا الصغرى سافر أيام هدريان والأنطونيين إلى بلاد الاغريق وآسيا الصغرى وسوريا ومصر وليبيا وإيطاليا وألف كتابه الشامل لعشرة أجزاء بين سنة ١٦٠ — ١٨٠ بعد المسيح لجزء من هذه الرحلة Periegesis Hellados

وأهم ما كتب فى هذه الكتب وصف القطع الفنية الرائعة وهو إلى جانب بلينيوس أهم من كتب عن الفن — راجع Siebelis und Reichardt, Puasanias 9 Vols., Stuttgart 1827-28

(١) فيتروفيوس الكاتب اللاتينى والبناء الحربى فى حكم قيصر أوغسطس ، ألف عشرة كتب مهداة إلى أغسطس أوضح فيها كل شئ عن العمارة . راجع : ioit nrnʌV vus,Rode, 2 Vois., Berlin 1800

وجاء هولاندى آخر هو آرنولد هوبرا كن بكتابه « الواصف الـكبير » Groote Schuburgh فى ثلاثة أجزاء ، طبعت فى أمستردام أيضاً سنة ١٧٢٨ ، والتى كانت أساس دراسة الفن فى هولاندا كلها

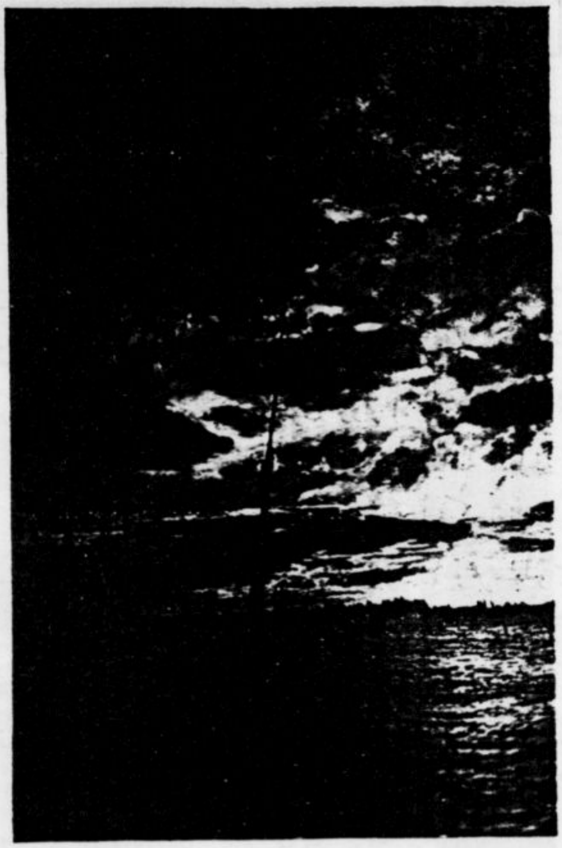

معركة النور والظلام

أما فى ألمـانيا فقد ألف المؤرخ يواخيم فون ساندرت كتابه الباهر « أكاديمية العمارة والنحت والتصوير » المطبوع فى نومبرج سنة ١٦٧٥ — ١٦٧٩ لمرة الأولى . والذى كتب عنه كل المشتغلين بالفن من معاصريه كتابة ذات صفة علمية

على أنه من الضرورى أن نقول بأن الاشتغال بالتاريخ الفنى كان خلال القرن السابع عشر قاصراً فى الغالب على دراسة الفن القديم . هذا إلى جانب وجوب التنويه بأن بعض المشتغلين بتأريخ الفن وجهوا اهتمامهم إلى ناحية الفنون الصغرى الدقيقة كأشغال المعادن وما إليها من أدوات التحلية ؛ وقد ظهر فى هذا المجال كتاب قيم لبرناردى مونفا كو ، وهو مكون من خمسة عشر جزءاً طبع فى باريس سنة ١٧١٩ — ١٧٢٤ L'antiquité expliquée et représentée en figures طبعاً رائعاً وشمل الـكثير من الصور الجيدة، وهو من دون نزاع أول مؤلف أوضح فى جلاء كل المخلفات فى العصر القديم ، والتى كانت ظاهرة للعيان فى تلك الأيام

وكان الفضل فى انتشار هذا المؤلف ورواجه راجعاً إلى كتاب آخر ألفه النبيل كالوس[(١)] Caylus وفيه أشاد بذكر هذا المؤلف فى كتابه Recueil d'antiquités (سبعة أجزاء طبع باريس ١٧٥٢ — ١٧٦٧)

وظل الحال فى ألمانيا على ما هو عليه منذ ساندرت إلى القرن الثامن عشر عند ما أخرج يوهان فردرش كرست وزميله جيزنر مؤلفهما العلمى عن الفن القديم . هنا انضم إليهما أهل العلم والفضل من مدينة درسدن الذين كانوا عاكفين على كتب الفرنسيين لأنها كانت الـكتب التى يمكن الرجوع إليها فى ذلك الحين لعدم وجود غيرها

(له بقية) أحمد موسى

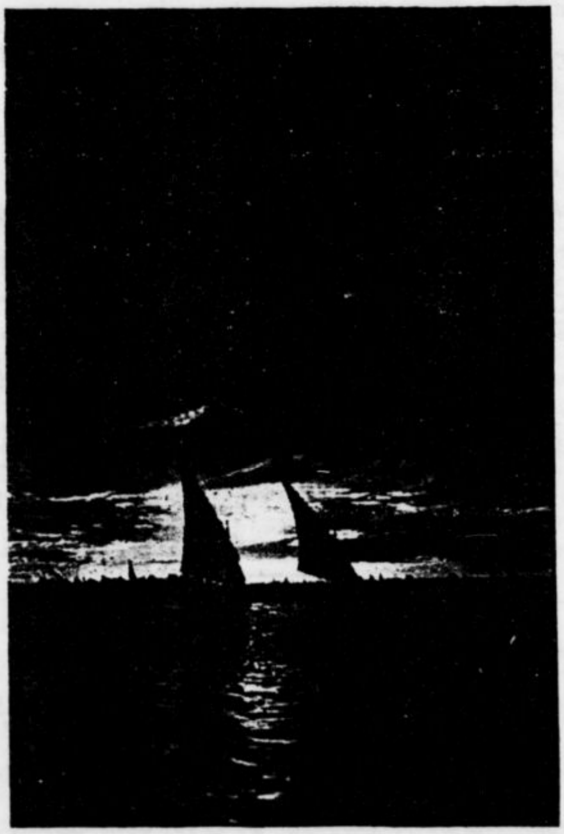

الانـاق ...

(١) كالوس أثرى فرنسى مولود فى ٣١ أكتوبر سنة ١٦٩٢ سافر إلى القسطنطينية سـنة ١٧١٦ ومنها إلى بلاد الاغريق وإيطاليا والمناطق البحرية من لافنتا وعاد إلى باريس ١٧١٧ حيث بدأ تنظيم مجموعة تحفه وتفرغ لدراسة التاريخ القديم وعلم الآثار القديمة وأوقف نفسه على خدمة الفن والمشتغلين به من الناشئين

وكان عضو الأكاديمية للتصوير والنحت منذ سنة ١٧٣١ وأكاديمية المـكتوبات القديمة منذ سنة ١٧٤٢ ، ولهما أوقف جائزتين خاصتين بكل منهما مات فى ٥ سبتمبر سنة ١٧٦٥ فى باريس

المـــرأة اليونانية

للآنسة زينب الحكيم

عنـد ما تفضل الأستاذ صاحب الرسالة الغراء بفتح « باب المرأة » فى الرسالة ، حدت لحضرته هذا الصنيع الجميل ، واعتبرت بدء الرسالة عامها السابع المبارك إن شاء الله فألاً حسناً بالنسبة لعالم المرأة — الشرقية عامة والمصرية خاصة —

وسيكون ما يكتب فى هذا الباب ، رسالة عالية تمس حياة المرأة من شتى نواحيها ، وفق ما تقدره وتفهمه من الحياة المرأة المثقفة التى نالت قسطاً عظيماً من التعليم العالى ، وتلك التى تؤهلها مواهبها الطبيعية ، واستعدادها الفطرى للمبدأ ذاته . كما تجد فيه ما قد تتوق إلى قراءته فى سرعة : من أدب رفيع ، وعلم مستساغ ، وشئون تمس حياتها ، بحيث لا يشغل كل هذا إلا جزءاً وجيزاً من وقتها الثمين

هذا ونرجو ألاّ يحرم ميدان المرأة هـنا فى مجلة الرسالة التى امتازت من يوم أن أنشئت ، بالأسلوب الراقى ، والأدب الرفيع ، من جولات سيدات مصر المثقفات ، حتى يبرهن أن فى مصر كاتبات عالمات مثقفات

المحررة

كان من بين البلاد التى زرتها فى رحلتى هذا العـام : بلاد اليونان . فإذا تحدثت عنها اليوم ، فإنما أتحدث عن بعض ما شهدته وخبرته بنفسى

فأول ما لفت انتباهى عند ما وصلت أثينا الشوارع الفسيحة المنظمة ، والأوتوبيس الكبير الطويل الأصفر اللون ، وكثرة الحركة فى هدوء ، فترى الترام وأنواع المركبات القديمة والحديثة ، والسيارات ذات الأجرة أو الخاصة ، والناس — كل يتخذ اتجاهه فى يقظة وهدوء ، ولا تزعجك أصوات السيارات ، ولا أصوات الباعة المتجولين ، ولا مشاغبات أولاد الشارع

وباعة الجرائد والمجلات ، والحلى الزائفة ونظارات التراب الخ لهم أكشاك خشبية نظيفة لطيفة ؛ موضوعة على مسافات متباعدة على الأفاريز

ومن أهم ما أعجبت به رجال البوليس باليونان ، ولا سيما الموجودون منهم فى مدينة أثينا : هندام مرتب (بذلة رصاصية اللون ، وتزلك من الجلد الأسود حول الساقين) يعنون أشد العناية بالقيام بواجباتهم ، ويلحظون الزوار الأجانب باهتمام ورفق

استفسرت عن السر فى هذا من وزارة السياحة ، فأخبرت أن رجال البوليس الذين فى العاصمة ، والذين هم فى أماكن الاصطياف منتقون من أحسن الرجال وأحسن العائلات ، وهم متعلمون ، وأغلبهم يتكلمون لغات أجنبية (كالإنجليزية والفرنسية والطليانية) لقنوا كثيراً من الآداب العامة ، ويحسنون تطبيقها عملياً فى معاملة السياح والناس عموماً . تصدر إليهم أوامر وتعليمات مشددة من رئيس البوليس ، وهو رجل مشهود له بالكفاية متمرن على هذا العمل من زمن طويل ، واشتغل فى سراى جلالة الملك مدة

استطلعت رأى بعض السيدات فى مقدار إقبال الأم اليونانية على إرسال أولادها إلى مدارس البوليس والتجنيد ، فعلمت أنهن يفخرن أن يقوم أولادهن بهذا العمل الشريف . والإقبال على الكشافة عظيم ؛ ولقد يسر المرأة المصرية أن تعلم أن ليس باليونان أولاد متسكعون فى الشوارع ، فإن المسيو متكساس رئيس الحكومة اليونانية أمر بانضمام جميع الأولاد المتعطلين والمتشردين إلى فرق الكشافة ، وهم يتعلمون بذلك النظافة والنظام ، وقضاء مصالحهم بأنفسهم ، وفى الوقت نفسه يكوّنون جيشاً يسير فى سبيل النظام وحماية وطنه

الفتيات اليونانيات والكشافة

للفتيات فرق منظمة ، وزيهن هو الزى الكحلى اللون مع حزام أبيض رفيع وأربطة رقبة بيضاء ، وأغطية الرأس نوع يشبه

الفيصلية العراقية كحلية اللون عليها دبوس ذهبي من الأمام

أما الأحذية فكانت صيفية منوعة . وحركات الفتيات والفتيان ليست على جانب كبير من الخفــة والأناقة ، عكس ما اتصف به رياضيو اليونان القدماء

أثينا : معناها « آلهة السلام وحامية العذارى » وقد أشير إلى هذا برمز فوق الاكروبول ، على شــكل غصن زيتون . وقد صاغ تمثال أثينـا « فيداس » من العاج والذهب الخالص . وقد وضع هذا التمثال الثمين فى معبد بارثينون • Parthenon • على ربوة الأكروبول المقدسة

لا يمكن لزائر بلاد اليونان التغاضى عما يلحظه من سمات الجد على وجوه الناس هناك ، وتقدير الوقت ، حتى لقد يظهر على أجسامهم نوع من الإجهاد البدنى والفكرى فى سبيل العيش ...

إذا سار الرجل فى الشارع لا يحمل عصا من أى نوع فى يده وإنما يحمل بعضهم السبح ، ولم يقع نظرى لا فى الصباح ولا فى المساء على سيدة يونانية تسير وتصحب كلباً أو يتبعها كلب ، وإنما يذهبن مجدات إلى محال أعمالهن ، ويعدن نشيطات إلى بيوتهن..

قلما رأيت واحدة تلبس حذاء بكعب مرتفع فى الطريق ، أو تتساهل فى ارتداء ملابس لا تتناسب وكل وقت من اليوم ؛ ولم يقع نظرى على واحدة منهن تساهلت فى طلاء وجهها بإسراف ، وكثرة النساء اليونانيات ضنينات على العموم بأن يظهرن بمظهر الدمى أو الخلاعة

والمجتمع اليونانى المشترك هادئ ولا (يلعبون) النرد ولا غيره من ألعاب التسلية المزعجة فى الأماكن العامة . وطريقة تحدثهم لطيفة ، يستخدمون أيديهم للتعبير أحياناً، ولـكن بخفة وهدوء ، وقلما يخلو الحديث أو النقاش من نكتة مستحبة مضحكة ، ويقرأون الجرائد الخاصــة وهم جلوس على المقاهى أو المطاعم أو فى الحدائق العامة ، ولا يتطفل أحــد منهم على جرائد الغير أو ممتلـكاته

المرأة فى حدائق زبيون

حدائق زابيون عبارة عن بساتين فسيحة تقسمها شوارع مرصوفة نظيفة ، وبهـا مطاعم ومقاه كبيرة ، وتحتوى على « سراى زابيو » نسـبة إلى الأخوين زاباس اللذين وهباها للشعب بعد تأسيسها من خمس وخمسين سنة مضت . وبهـذه السراى معرض دائم للصناعات اليونانية ، من صناعات خزفية وزجاجية منقوشة وملونة باليد ، وأقمشة حريرية وصوفية ، وأحذية وصور زيتية وخرائط بارزة وغيرها . وبالجملة يعطى هذا المعرض فـكرة تامة عن صناعات اليونان الداخلية . وتقوم بالشرح فيه سيدة يونانية

لحظت أن رواد هذه الحدائق ، والذين يجلسون على مطاعمها ومقاهيها لاستماع الموسيقى من طبقة أرقى ، فالجمهور المشترك مرتب الهيئة ، مهذب العادات إلى حد كبير ، تجلس السيدات إلى جانب الرجال من أسرهن فى وقار ، ويلفت أنظارهن جميعاً مرور الزوار الأجانب ولـكن نظرتهم إليهم نظرة صداقة وارتياح .

والمجتمع كله هادئ لطيف المعاملة جداً ، بشوش الوجه ، قوى النكتة ، يغلب على أفراده اللون القمحى ، وتختلف الأنوف عن طراز الأنف اليونانى القـديم ، بينما الذقن والفم ، والمنظر الجانبي للوجه لا تزال كلها تحتفظ بالطابع اليونانى الأصيل

وحركات هاته الفئة من السيدات وملابسهن أنيقة للغاية ، والملابس غالية الثمن جداً على بساطة نسيجها وزيها ، وكذلك القبعات والأحذية مرتفعة الثمن ؛ وبالاستفسار علمت أن سبب ذلك هو استيراد هذه الضروريات من الخارج ولاسيما من ألمانيا ، لأن المعامل الأهلية قليلة ، والصناعات الوطنية لا تزال بدائية فى الوقت الحاضر .

وصف هندام سيدة جلست أمامى

تلبس قبعة حمراء اللون من القش الدنتلا ، على شكل هالة من الأمام ، فى أذنيها قرط مستدير أحمر كلون القبعة ، وفى يدها اليسرى سوار ذهبى عريض به فصوص حمراء كبيرة أقتم قليلاً من لون القرط والقبعة

ثيابها من الحرير الجرْسيه الأبيض السكرى ، متقن الصنع جداً . وحلى صدره زران ، أحدهما مستدير كالقرط ، والذى تحته لونه كحلى قاتم ، ويحلى أحد أصابع يدها اليمنى خاتم من لون الزر ؛ وحزام الفستان أحمر من لون فصوص السوار . وحذاؤها أبيض مخرم ، وقفازها من الدنتلة البيضاء ، وشعرها كستنائى يصل إلى خلف أذنيها

زينة وجهها بسيطة ومعتدلة للغاية ، فلا تعدو قليلا من الصباغ الأحمر على شفتيها (يضاهى لون القرط) وقليلا من البودرة على وجهها . وهى ربة منزل من أسرة كريمة ، يجلس تجاهها زوجها ، وهو أيضا أنيق الهندام ، يلبس بذلة سكرية اللون (يشبه السكروته الفاتحة) وحذاؤه أبيض مع بنى . ورباط رقبته أزرق سماوى فاتح جدا وبه نقوش بسيطة من الأحمر الفاتح والبنى الفاتح . أسود الشعر عريض الحاجبين ، صغير الشارب حليق اللحية .

يكون منظرهما حول المنضدة صورة متناسقة مهذبة .

أحد الأزياء اليونانية القديمة

فاذا صح أن هذا نموذج للأسرة اليونانية الموفقة فما لا ريب فيه أنهما يتعاونان على الحياة المشتركة فى سلام واطمئنان دل عليهما ما دار بينهما من محادثات خاصة وعامة ، أثناء تناولهما القهوة ، والإصغاء إلى الموسيقى

« الحديث بقية » زينب الحكيم

مهداة الى الأستاذ توفيق الحكيم

الجــــائزة

للأستاذ محمد سعيد العريان

« فى القرن الثالث الميلادى ، فى عصر الملك (دقيانوس) الوثنى الطاغية ، خرج من مدينة (طرسوس) فى بلاد الروم ، بضعة نفر من المسيحيين المؤمنين ، فراراً إلى الله بدينهم من بطش الملك ، ثم لم يظهروا ولم يعلم عنهم شىء . . . وكان منهم وزير الملك . . . ! »

(أهل الكهف)

... ومضت ثلاثمائة سنة ، ومات دقيانوس ، وقامت دولة على أنقاض دولة ، ورفرف السلام على المدينة التى تخضب ثراها بدماء الشهداء فى عصر الطاغية دقيانوس ، وعاد الناس أحراراً فى دينهم وفى شعائرهم ؛ وعاش المسيحى إلى جانب اليهودى إلى جانب الوثنى فى طرسوس ، إخواناً متحابين ، لا يسأل أحدٌ أحداً عن دينه ولا يجادله فى مذهبه ؛ وانصرف كل لشأنه وحاجته

وجلس « صهيون بن يهوذا » إلى مكتبه ذات صباح بجانب النافذة من غرفته الواسعة المشرفة على الطريق وبين جنبيه همٌّ يعالجه ...

لقد كان صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى طرسوس ، ولكن شئون طائفته لم تكن تشغله يوماً عن شئون نفسه ؛ وكان مؤمناً مسموعاً بالتقوى والفضيلة ، عالماً مشهوراً بالاطلاع وسعة المعرفة ، مؤرخاً يروى عن السلف ويحفظ أيام الأمم ويقص ماضى التاريخ ؛ ولكنه كان إلى كل أولئك يهوديًا من بنى إسرائيل ، يحب المال ويحسن تثميره وتربيته ... ومن ذلك كان أكثر همه حين يخلو إلى نفسه !

... وطال به الوقت وهو جالس إلى مكتبه يحسب ويعدّ ، ويقبض أصابعه ويبسطها فى حسبة لا تنتهى ، ويحصى ما معه من الدراهم وما سوف يأتيه ؛ ثم ابتسم راضياً ، ونهض عن كرسيه لحظة، ثم عاد بكتاب مخطوط فبسطه تحت عينيه وجلس يقرأ ...

ذلك كتاب قديم لم يقرأه أحد قبل صهيون إلا كاتبه نفسه ؛ وقد عثر به منذ أيام عند يهودىّ هرم من سدنة المعبد فاشتراه بنصف درهم ...

وأخذ يقلّب الكتاب صفحة صفحة وهو يقرأ عجلان غير متريث ؛ ثم وقع فجأة على خبر استرعى انتباهه ، وأيقظ شيئاً فى نفسه ، وأخذ يقرأ :

« ... وكان (مشلينيا) وزير الملك الوثنى الطاغية (دقيانوس) مسيحيًّا مؤمناً ، ولكنه كان لا يجهر بدينه عند مولاه ، وقد اتخذ فى داره معبداً لا يعرف الطريق إليه إلا صديقه (مرنوش) حيث يلتقيان كل مساء لعبادة الرب الأعظم ! »

وهز صهيون رأسه مبتسماً وهو يقول : « ما أبدع هذا ! » ثم عاد يقرأ :

« ... ووقف دقيانوس على سر ميشلينيا وصاحبه ، فثارت ثائرته ... : »

وخفق قلب صهيون بعنف ، إشفاقاً على الفتيين من ثورة الملك الذى لا يرحم ، واستمر يقرأ :

« ... وتوعد الملك وزيره بأقصى العقاب ، وضرب له أجلاً يفىء فيه إلى نفسه قبل أن يمضى فيه أمر الملك ويحل عقابه ...! »

وازدادت خفقات قلب الكاهن عنفاً وشدة ، وحضره ما يذكر من سيرة هذا الملك المتأله الذى خضب أرض طرسوس بدماء المؤمنين من رعيته كبرياء على الله ، فى غير رحمة ولا إحسان

ثم عاد الكاهن يقرأ :

« ... ولكن يد دقيانوس لم تنل ميشيلينيا وصحبه ، فقد

استطاعوا الفرار من بطش الملك الجبار إلى مكان لا يعلمه أحد ... كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة ... »

وشاع السرور فى نفس صهيون حين بلغ هذا الموضع من قصة أهل الكهف ، وتمتم صلاة خافتة يشكر الله ؛ ولكنه استمر يقرأ :

« ... وبلغ دقيانوس نبأ فرار ميشلينيا وصحبه فغلى غليانه ، وسمى جائزة : مائة ألف درهم لمن يأتيه بميشلينيا حياً ... ! »

وبلع صهيون ريقه وأفلت الكتاب من يده ؛ مائة ألف درهم! يا لها من ثروة ! ليته كان فى عهد دقيانوس ، إذن لفعل كل ما يقدر عليه ليظفر بالجائزة ... الوثنية اليهودية ، المسيحية : ما كل أولئك بإزاء مائة ألف درهم ؟ ... الله ، المسيح ، دقيانوس ، ميشلينيا ؛ ماذا يعنيه من كل هؤلاء لو كان يملك مائة ألف درهم ؟ ...

وسبح صهيون فى أحلامه ؛ وهو يقبض أصابعه ويبسطها ، يحسب ما يمكن أن تغل عليه مائة ألف درهم ، لو ... لو أنه كان فى عهد دقيانوس ... !

وسمع فى الشارع زياطاً وضجة فأطلّ من النافذة ينظر ... ثم لم يلبث أن هبط مسرعاً إلى الشارع ليرى ويسمع ...

يالله ! ما أسرع ما وقعت المعجزة !...

ولم يصدق أذنيه أول ما سمع ... وعاد يسأل عن سر هذا الزحام والضوضاء ؛ وأجابه محدّثه : « يامولاى ، إنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة ... لقد عثر بهم رجل فى كهف على حدود الصحراء ... إنهم الفتية المؤمنون الذين يتحدث التاريخ أنهم ... منذ ثلاثمائة سنة ... »

ولم يصبر صهيون حتى يستمع إلى بقية النبأ ، لقد كان يعرف ما سيقول محدثه قبل أن ينطق ؛ إنهم آية البعث لمن لا يؤمن ؛ لقد ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عدداً ، ثم بعثهم آية ... ، ولكن ماذا يعنى صهيون من ذلك ؟... لقد كان الأمر يعنيه لو أن الله الذى بعث أهل الكهف قد بعث معهم دقيانوس ، ليسعى إليه فى طلب الجائزة التى سمَّاها منذ ثلاثمائة سنة لمن يأتيه بميشلينيا حيا ؛ فها هو ذا ميشلينيا ، ولكن أين هو دقيانوس ؟

وبرقت له بارقة : وماذا يمنعه أن يطلب الجائزة اليوم من ملك طرسوس ؟ لقد مات دقيانوس ، ولكن حقه فى الجائزة لا يضيّعه موت دقيانوس ! ومن قال إن الملوك الذين خلفوا دقيانوس قد أبطلوا الجائزة التى سماها دقيانوس لمن يدل على ميشلينيا حيا ؟ إنها ما تزال حقًّا شرعياً لمن يسبق إلى بلاغ النبأ ، لا يبطله أن دقيانوس قد مات ومضى على موته قرون !

ولم يتلبثْ صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى مدينة طرسوس ، خلّف الزحام وراءه ومضى مسرعاً إلى قصر الملك ...

« مولاى ! »

وكان وزراء الملك من حوله ، فنظروا إلى صهيون يستمعون لما يقول ؛ واستمر الكاهن فى حديثه :

« ... سأدلك يا مولاى على ميشلينيا ، ميشلينيا وزير الملك دقيانوس الذى فر من طرسوس منذ ثلاثمائة سنة ، سآتيك به حياً ، والجائزة لى ... ! »

ونظر الملك إلى وزرائه ، ونظر الوزراء بعضهم إلى بعض ، ثم توجهوا جميعاً بأنظارهم إلى الكاهن يسألونه بيان أمره ؛ ومضى الكاهن فى حديثه ... ...

وقال وزير من وزراء الملك : « يا مولاى ، إنه أمر ذو بال ؛ لا أعنى حديثه عن الجائزة التى يطلب ، ولكن حديث الفتية الذين ناموا ثلاثمائة سنين ثم عادوا إلى الحياة ؛ إنها عظة الأجيال ، وآية البعث ، ويقظة التاريخ الذى طوته القرون . والرأى عندى أن يطلب مولاى إلى الكاهن صهيون أن يدعو هؤلاء الفتية لنراهم رأى العين أحياء يتنفسون ، ونستمع إلى حديثهم وما كان من أمرهم ... »

قال صهيون : « والجائزة ! »

قال الملك : « وتكون الجائزة لك ! »

* * *

وخرج الكاهن اليهودى مسرعاً إلى الطريق يسعى إلى أمل لا يرى بينه وبين أن يبلغه غير خطوات معدودة ، ولا يشغله من أمرٍ شىء إلا الثروة التى يمنى نفسه بأن تكون بين يديه بعدقليل. ومضى فى طريقه لا يحيى أحداً ولا ينظر إلى أحد ؛ فلما بلغ حيث

كان الزحام ، وجد الطريق خالية ليس فيها سائل ولا مجيب ؛ وأغذ السير يتبع آثار الجماعة إلى خارج المدينة وهم يثيرون الغبار وراءهم على مبعدة ؛ فأدركهم بعد عناء ...

وبدا له على مرمى قريب جبل قائم يشتد الزحام عند سفحه ، من كثرةٍ يموج بعضهم فى بعض ، ويتطاولون بأعناقهم ليروا شيئاً لا يتبينه حيث يقف ؛ فاستجمع عزمه وراح يشق الزحام بكتفى جبار ، وفى نفسه شعور غامض يوحى بالحيرة والقلق ...

وبلغ سفح الجبل ، فرأى وسمع وعرف ؛ هذا كهف الرقيم حيث يرقد ميشلينيا وصحبه ، وحيث كانوا يرقدون منذ ثلاثمائة وتسع سنين قمرية ؛ ضرب الله على آذانهم فناموا ما ناموا ، حتى إذا أراد الله أن يظهر آيته أيقظهم فترة من الزمن ليكونوا رسالة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، وحقيقة من التاريخ تنطق بالعبرة ، وموعظة ناطقة تتحدث بما كان وبما يكون . فلما بلغ الله بهم ما أراد من بيان قدرته ، ردّهم إلى التاريخ ليكونوا خبراً من خبره تتحدث به الأجيال .

***

وأطرق صهيون بن يهوذا لحظة يتفكر ؛ ثم لوى عنانه عائداً يشق الزحام وفى نفسه حسرة وألم ...

وعاد الناس جميعاً مطرقين برءوسهم يتفكرون؛ ولكن الخواطر التى كانت تصطرع فى رأس صهيون ، كانت تعدل مايصطرع فى رءوس الناس جميعاً أو تزيد . كانوا جميعاً يفكرون فى البعث والنشور والآخرة ، وكان هو وحده من دونهم يفكر فى الجائزة التى لا يجد سبيلاً إليها وكانت على مدٍّ يمينه ، لأنه لا يجد سبيلاً بعد إلى أن يصحب ميشلينيا حياً إلى قصر الملك !

« شبرا »

محمد سعيد العريان

دراسة عن شوقي بالفرنسية

فى القاهرة تصدر مجلة رفيعة باللغة الفرنسية يديرها محمد ذو الفقار بك ويشترك فى تحريرها نخبة من الكتاب المصريين والفرنسيين ، وهى فى سنتها الأولى ، واسمها « مجلة القاهرة » La Revue du Caire . وفى عدد ديسمبر من هذه المجلة مقالة نفيسة للأستاذ إدجار جلاّد صاحب (الجورنال ديجبت) ، تناول فيها شاعرية احمد شوق ، فذكر طرفاً من تاريخه وبسط أسلوبه الاتباعى وأشار إلى جزالة لفظه ، ثم نقل إلى الفرنسية قصيدة من غزليّاته . وخاصيّة المقالة ما جاء فيها من الكلام على استلهام شوقى لجهاد مصر الوطنى ونهضة فكرة الإسلام والاضطرابِ العمرانىّ فى الشرق

اتصال المصريين لهذا العهد بأجدادهم

نشر المستشرق الألمانى الأستاذ (رودى بَرِت R. Paret) فى « مجلة العلوم الدينية » (عدد ٣٥ ج ١و٢) البارزة باللغة الألمـانية فى مدينة لَيْبتِسج مقالاً لطيفاً يبحث فى استمرار الحضارة المصرية ، ولا سيما فى مصر العليا على تعاقب العصور ، فى الناحية المادية (مثل أدوات المأكل والمشرب والغزل والحرث) واللغوية (مثل إخراج حرف القاف) والدينية (نحو إقامة الأعياد) والاجتماعيـة (كالعادات والعقائد الخاصة بالمولد والموت والزواج والدفن) . وذلك بالرغم من هجوم الحضارات الأجنبية كالإغريقية والرومانية والعربية والنوبية والسودانية . واعتماد صاحب المقال على كتابين : الأول بالإنجليزية وعنوانه « فلاّحو مصر العليا » من تأليف فنفرد بلاكمّن ، والثانى بالألمانية وعنوانه « التراث الشعبي فى مصر » لصاحبه فنكلر

حديث عن المسرح الباريسي

أفضى الدكتور بشر فارس إلى صحيفة (الجورنال ديجبت) الصادرة فى القاهرة باللغة الفرنسية عند وصوله إلى ميناء الإسكندرية عائداً من باريس بحديث عن المسرح الباريسى فى هذا الخريف . ويستخلص من هذا الحديث أن التأليف المسرحى هنا لك آخذ فى التأخر لتغلب فن الإخراج على إبراز النص ، ولانجذاب المؤلفين إلى الموضوعات الفاسقة مثل حب أم لابنها ، وغرام رجل بآخر . ولشغلهم بالمشكلات السياسية فيستهزئون بالحكم المطلق وينادون بحقوق المرأة ، ويندون بالضرائب ، ويقاومون الميل إلى الحرب والفتك ، ثم لانصراف عامة الجمهور عن المسرحيات الناهضة على التفكير والتأثر الدفين والإيحاء إلى المسرحيات السهلة التناول ، الزاخرة بالعواطف المفرطة ، الفياضة بالجمل « الظريفة » أو الألفاظ الساقطة والمبتذلة

الأسس التجريبية للنظريات الكهربائية الحديثة

ألقى الأستاذ ألبير دره عضو المعهد الأمريكى للمهندسين الكهربائيين محاضرة فى ٢٧ ديسمبر الماضى فى قاعة معهد أنشئ حديثاً فى القاهرة للدراسات الرياضية والطبيعية، استعرض فيها أهم الخواص الكهربائية والمغناطيسية للمادة التى كانت أساس النظريات المعروفة فى أواخر القرن الماضى، وذكر ما طرأ عليها من اكتشافات حديثة تطورت بسببها أغلب النظريات الخاصة بتكوين المادة

وكانت هذه المحاضرة تمهيداً لتوزيع العمل بين أعضاء اللجنة التى أنشئت فى هذا المعهد لدراسة تطورات هـذه النظريات وما بنيت عليه من وقائع تجريبية

فابتدأ المحاضر كلامه عن ظاهرة الكهرباء التى كان القدماء يعلمون بعض خواصها البسيطة والتى تقدمت العلوم المتعلقة بها تقدماً

سريعاً فى خلال القرن الثامن عشر بعد أن برهن العالم الفرنسى كولومب بواسطة تجارب دقيقة أن القانون الذى تخضع له القوات بين الجسيمات المكهربة هو نفس قانون نيوتون للجاذبية بين المادة. ثم استنتج من هذا القانون أهم خواص الأجسام المكهربة وبين ما هو الفرق بين الأجسام الموصلة والأجسام العازلة

ثم تناول المحاضر بعد ذلك ظاهرة المغناطيس التى كانت أيضاً معروفة للعلماء منذ قديم الزمن، والتى تخضع لقانون كولومب غير أنها رغم وجود نوعين من الكتل المغناطيسية لا يمكن الفصل بينهما مهما جزئ الجسم المغنطس ، بخلاف الكهرباء التى يمكن عزل أحد نوعيها عن الآخر بسهولة ؛ وهذا الفرق فى الخواص جوهرى بعث العلماء على الأخذ بنظرية أمبير التى تعتبر أن المغناطيس لا يظهر فى المادة إلا بسبب حركة الجسيمات الكهربائية فى باطنها

وأخذ المحاضر يشرح خواص الكهرباء إذا تحركت وأنتجت تياراً يترتب على مروره فى الأجسام الموصلة ظواهر حرارية وكيميائية ومغناطيسية وتدرج من ذلك إلى ذكر قوانين فاراداى وأمبير المشهورة وقانون لنز (Lenz) الذى يلخص جميع قوانين التأثير المغناطيسى بأنها ظاهرة من ظواهر مقاومة المادة لتغير حالتها الكهربائية أو المغناطيسية . وإذا عممت هذه القوانين على المادة العازلة يمكن كما وضح ذلك مكسويل فى معادلاته المشهورة البرهان على أن هناك تموجات كهربائية تنتشر فى المادة وفى الفضاء بسرعة الضوء ، بل على أن الضوء نفسه ما هو إلا نوع خاص من هذه التموجات ، وقد شرح المحاضر الحسابات الرياضية الخاصة بذلك . ولقد كان العالم هرتز أول من اكتشف هذه التموجات فى تجاربه المعروفة ، فانتشر استعمالها فى الوقت الحاضر بسبب التقدم المدهش الذى تم فى فن الراديو منذ أوائل القرن الحالى

وختمت المحاضرة بذكر الاكتشافات المدنية التى تمت منذ أواخر القرن الماضى ، والتى مكنت الطبيعيين من أن يستخرجوا من المادة جسيمات مكهربة وأخرى خالية من الكهرباء ، وتموجات مختلفة دلت على أنها مركبة من عناصر غاية فى الصغر لا يمكن إدراك طبيعتها وتفسير تأثير بعضها على بعض إلا إذا أخذ المرء بترك ما عودته حواسه على تصوره عن العالم حوله وتبع فطاحل علماء الطبيعة الحاليين مثل إينشتين وبلانك وبوهر ودى بروجلى وهيزنبرج وشرودينجر وديراك فى عالم تفكيرهم الجديد

م م غ

الحلقة المفقودة

تلك هى حلقة العلماء الذين عرفوا الإسلام وأصوله ، وعرفوا روح العصر وعلومه . ولقد كتبت مرة فى افتقارنا إليها ، وفقداننا إياها ، فلما رأيت (الكلية الشرعية فى بيروت) ودرست فيها قوى فى نفسى الأمل بوجود هذه الحلقة المفقودة . فلما قرأت ما تفضل صاحب الرسالة فكتب عن الكلية ورحلة مديرها الفاضل صديق الأستاذ محمد عمر منيمنة أحببت أن أطمئن إخواننا بأن ظهور هذه الحلقة المفقودة لم يبق أملاً وإنما صار حقيقة تلمس باليد . وأدلة تحقق الأمل هذه (الكلية الشرعية فى بيروت) التى أقامها من العدم سماحة الأستاذ التقى المخلص مفتى الجمهورية اللبنانية محمد توفيق خالد ، والتى يديرها وينهض بها الأستاذ منيمنة والأستاذ العامل الشيخ صلاح الدين الزعيم ، ويدرس فيها جماعة من الفحول كالمحدث الجليل الشيخ محمد العربى ، والأديب الكبير الشاعر الشيخ عبد الرحمن سلام . ومن الأدلة (المدرسة الشرعية) فى دمشق التى أنشأها من ماله الأستاذ الزعيم المعروف الشيخ محمد كامل القصاب رئيس جماعة العلماء ، والتى يدرس فيها طائفة من أكابر علماء دمشق ، كالعلامة الشيخ محمد بهجة البيطار ، والأستاذ دهمان . وآخر الأدلة وأظهرها (دار العلوم الشرعية فى بغداد) التى أعاد سعادة الأستاذ الكبير حسن رضا بك مدير الأوقاف العام تأسيسها ، وجعلها مدرسة عالية كالحقوق ؛ والتى يديرها الأستاذ العلامة الحاج حمدى الأعظمى، ويدرس فيها الأستاذ الشيخ قاسم القيسى ، والأستاذ الأديب الشيخ محمد بهجة الأثرى وأضرابهم

وهذه المدارس كلها تجمع بين الثقافة الإسلامية ، وبين علوم العصر وثقافته ، وذلك ما نحتاج إليه ونتمناه . فجزى الله القائمين عليها ، والساعين إليها ، وإلى أمثالها أحسن الجزاء ، وحقق الله بها الأمل

« بغداد » ع ط

حول مقال

أستاذنا الكبير صاحب الرسالة الكريمة

فى المقال الأخير من « الحقائق العليا فى الحياة » للأستاذ النابغ المحقق عبد المنعم خلاف وردت تلك الجملة : « ولذلك حينما وصف الإسلام لنيتشه أو شو بنهاور — لا أذكر — قال لمحدثه : « إذا كان الإسلام كما وصفت فنحن كلنا مسلمون ! » مع أنه كان ملحداً منكراً لعقيدة الجماهير »

والصحيح ياسيدى أن تلك الكلمة التى أوردها الأستاذ فى معرض الكلام عن الإيمان والعلم لم يقلها هذا ولا ذاك ، وإنما الذى قالها هو « جوته » الفيلسوف الألمانى بعد أن أوقفه محدثه على حقيقة الإسلام .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

عبد العليم عيسى
كلية اللغة

مشروع لإحياء أدب الرافعى

إلى الأستاذ محمد سعيد العريان .

لقد كان فى تقريرك أن بين أدب الرافعى « وبين الأكثرين من ناشئة المتأدبين حجاباً كثيفاً يمنعهم أن ينفذوا إليه أو يتأثروا به » للأسباب التى ذكرتها فى عدد الرسالة ٢٨٥ ، تعميم قد يكون فيه تجن على الحقيقة ، وقد يصدق على القليلين الذين لا ذنب للرافعى — رضوان الله عليه — فى أن تكون على بصائرهم غشاوة فلا يفقهون . والذى أعرفه — ويعرفه كل أديب ومتأدب فى الأقطار الشقيقة — أن الكثرة المطلقة من هؤلاء مدينة لأدب الرافعى فى توجيهها إلى طريق الأدب الصحيح ، وأن الناس هنا لينزلون الرافعى من نفوسهم منزلة الأولياء والصالحين . وليس أدب الرافعى من السهولة بالمقدار الذى توهمه بعض المدرسين عندكم ، فظنوا أن فى إمكانهم هدمه بوسائلهم البسيطة التى تقدموا بهـا ، بل هو أدب خالد سيكون له شأن عظيم عند الأجيال المقبلة فى التاريخ

وإن كل عربى وكل مسلم فى الأقطار الشقيقة ووراء بحر الظلمات فى الأمريكتين ، ليحس بأثقل من التبعات التى تحس بثقلها على عاتقك ، ويود من أعماق شعوره أن يجد وسيلة عملية يعبر بها عن وفائه للرافعى رضوان الله عليـه ؛ وإننى لأشعر بأننى أعبر عن آراء الجماهير المتأدبة فى الأقطار الشقيقة ، حينما أقترح عليك أن تتفق مع إحدى دور النشر الكبرى فى عاصمة الفاروق على إعادة طبع جميع مؤلفات الرافعى التى نفدت طبعاتها الأولى من دكاكين الوراقين ، وأن تحضر للطبع أيضاً المؤلفات الأخرى التى لما تطبع ، وأن تبادر إلى الإعلان عن ذلك لتسديد نفقات الطبع عن طريق الاشتراك ، بعد أن يذكر اسم كل كتاب ومقدار الاشتراك فيه ، فى مجلة الرسالة التى لا أشك فى أن الأستاذ الزيات سوف لا يضن بفراغ فى بعض صفحاتها لذلك الاعلان مدة طويلة ، وأنا كفيل أنك ستجد الوفاء عملياً كيف يكون . وانتظاراً لما ستقوم به فى هـذه الناحية العملية ، أسأل الله أن تكلأك عنايته وأن يمدك بروح من عنده .

« فلسطين » سعيد عوده

دراسة المخطوطات العربية فى جامعة برنستون بأمريكا

تعنى جامعة برنستون عناية خاصة بدراسة اللغات السامية وآدابها وتاريخها وبنوع أخص اللغة العربيـة وأدبها وتاريخها . ولقد بذلت الجامعة فى هذه الدراسة مجهوداً عظيما، فقد قام الدكتور فيليب حتى أستاذ الآداب السامية فيها ومن معه من الأساتذة بنشر دراسات قيمة لنواح متعددة من تاريخ العرب وثقافتهم . وقد نالت هذه الدراسات شهرة عالية لأنها تعتبر فى المرتبة الأولى من المراجع الممتازة

وقد درس الدكتور فيليب حتى والدكتور نبيه أمين فارس والدكتور بطرس عبد الملك مجموعة المخطوطات العربية التى يملكها المستر روبرت جَرِت من بلتيمور وهى المحفوظة فى خزانة مكتبة جامعة برنستون دراسة نقدية دقيقة. وها هم أولاء ينشرون هذه الدراسة باللغة الانكليزية لتكون فى متناول العلماء والطلاب وجميع من يهتمون بهذه الدراسات

وقد اطلعنا على مقدمة هذا الكتاب فوجدناه على جانب كبير من الأهمية لمن يدرسون آداب العرب وعلومهم . ولعلنـا نترجم هذه المقدمة فى عدد قادم زيادة فى التعريف بهذا الكتاب

وهو يطلب من المطبعة الأمريكية ببيروت

المسابقة الأدبية والرسائل التي قدمت

تقرر تأليف لجنة من حضرات الأساتذة محمد صادق جوهر بك مراقب الامتحانات ، والدكتور على مصطفى مشرفه بك عميد كلية العلوم ، ومحمد شفيق غربال بك وكيل كلية الآداب ، واحمد أمين أستاذ الأدب العربى ، واسماعيل القبانى بمعهد التربية للبنين يعهد إليها فحص الرسائل التى قدمت للوزارة فى مباراة الانتاج الفكرى بين رجال التعليم وأساتذة المدارس . وقد جعل من حقها أن تستعين بمن ترى الاستعانة بهم من الاخصائيين فى المواد المختلفة .

وقد تقدمت الرسائل التالية :

فى الأدب : رسالة الأدب المصرى فى عهد الأسرة المحمدية العلوية لسيد نور الدين هلال . والبارودى لفخرى أبو السعود

وفى التربية وعلم النفس : رسالة فى الشباب والمراهقة لرياض محمد عسكر . وتحليل النفس لمحمود محمد محمود . والتربية فى طرق القصص لإيزيس حبيب . ورياضة النفس لفهمى اسحاق

وفى التاريخ : رسالة فى « تاريخ الثورة الفرنسية » لعباس الخردلى . ومصير الحضارة فى ضوء تفسير التاريخ وتطبيقه لابراهيم مسلم والخلافة والسياسة لفخرى أبو السعود . وجامعة الأسكندرية لابراهيم ابراهيم جمعه .

وفى الطبيعة والكيمياء : رسالة فى قصص العلماء والمخترعين فى الكهرباء واللاسلكى لعاطف البرقوقى ، وعجائب الفيزيقيا لأحمد فهمى أبو الخير ، والكيمياء ومسائل الحياة اليومية لحسن عبد السلام ، والحسن ابن الهيثم وجهوده فى علم الضوء لعبد الحميد حمدى مرسى ، وحياة النبات ومبدأ التناظر لعبد الحليم منتصر

وفى الرياضة : رسالة فى التحويلات الهندسية لحسن رضوان

وفى الجغرافيا : رسالة موضوعها مصر بين الزراعة والصناعة للويس اسكندر

وفى الفلسفة : رسالة عن أحلام الفلاسفة فى المدينة الفاضلة لزكى نجيب محمود ، وما كان وما يكون لابراهيم السيد اسماعيل

وفى الاجتماع : رسالة فى روح القومية مقدمة الإصلاح الاجتماعى لأحمد خاكى ، وسر النجاح فى العصر الحاضر لأحمد حمدى

الأمير شكيب أرسلان فى دمشق

كانت وزارة المعارف السورية قد أصدرت مرسوماً بتعيين الأمير شكيب أرسلان المقيم فى سويسرا رئيساً للمجمع العلمى العربى فى دمشق . وقد قبل الأمير هذا التعيين، وتقول صحف دمشق إنه ينتظر وصوله إلى سوريا فى الأسبوع القادم لتسلم منصبه العلمى

تنظيم مجمع اللغة

انتهى معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف من دراسة المشروع الجديد لتنظيم مجمع « فؤاد الأول » للغة العربية ، وهو الذى وضع بعد سحب المشروع القديم من مجلس الشيوخ

وقد أرسل المشروع الجديد إلى قلم قضايا الحكومة لوضعه فى الصيغة القانونية توطئة لعرضه على مجلس الوزراء فالبرلمان

أستاذ فى جامعة فينا يزور مصر فى مهمة علمية

وصل إلى القاهرة أول من أمس البارون فون فرش أستاذ أمراض الرئة فى جامعة فينا ، تلبية للدعوة التى وجهت إليه ، لإلقاء ثلاث محاضرات فى « أمراض الرئة » فى الجمعية الطبية المصرية ، وذلك فى أيام ٢ و ٤ و ٧ يناير

الثقافة

غداً يصدر العدد الأول من مجلة الثقافة ؛ والثقافة مجلة أسبوعية تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر ؛ ولجنة التأليف والترجمة والنشر تاريخها معروف فى نشر المعرفة لدى القراء والأدباء منذ ربع قرن ، فلا يمكن أن يصدر عنها إلا كل جليل ونبيل . والرسالة ترحب بالثقافة ترحيب الشقيقة بالشقيقة ، لأن بينهما من صلة الروح والدم والفكر والغاية ما لا يؤثر فيه اختلاف الدار ولا تباين المظهر . وهى ترجو الله مخلصة أن يوفق الثقافة بقدار نيتها فى صدق الجهاد وإخلاص العمل وتوخى الحق .

عالم سويسرى يزور مصر

اعتزم العالم الكبير فريير أستاذ علم التربية بجامعة سويسرا زيارة البلاد المصرية فى شتاء هذا العام . وقد انتهزت وزارة المعارف هذه الفرصة ودعته لإلقاء محاضرات فى علم التربية الحديثة

استدراك

فاتنا أن نقول إن الصورتين المنشورتين فى صفحة ٣١ وهما معركة النور والظلام ، والانساق هما من تصوير الدكتور أحمد موسى ، وقد تكلمنا عنهما فى العدد الماضى فى باب البريد الأدبى

التصوف الاسلامى

فى الأدب والأخلاق

تأليف الدكتور زكى مبارك

أمامك صورة الدكتور زكى مبارك فتفرس فيها ثم قل لى ماذا وقع فى حسبانك منها. إن كنت قرأت له ما ألف وما كتب فى النقد والمناظرة فستظنه خارجاً من معركة بولاقية كان فيها شدُّ الشعور، ولكم الصدور، ونطح الرءوس، وتمزيق الملابس. وما هذا الرواء البادى على وجهه وهندامه إلا خداع النظر أو فن المصور

وإن كنت قرأت له التصوف الإسلامى فستتخيله لا يزال فى سنتريس (مريداً) للشيخ الطهاوى الشاذلى يعكف على الأوراد ويشارك فى الإنشاد، ويحمل الإبريق، وينقر الدف؛ فهو أشعث أغبر ضاوٍ من أثر الذكر والصوم والعبادة

وإن كنت قرأت له هذا وذاك غلب على ظنك أن الرجل قامت به حال نفسية جديدة دل عليها هذا المظهر الجديد؛ فإن إرسال الشعر وتشعيثه من سمات الفلسفة والتصوف والفن. وأنت واجد فى كتاب التصوف الإسلامى صفات وخطرات من كل أولئك جميعاً. وفى رأينا أن هذا الكتاب يؤرخ طوراً جديداً من حياة صديقنا الدكتور، هو طور التأمل والتعمق والنفوذ إلى صميم الجد فى الموضوع. وهو خليق بأن يسبل على ما تقدمه من مغامراته الجريئة فى الرأى والفعل ستاراً من الصفح الجميل. وإذا كان الله قد عود الشعراء والأدباء أنه يغفر لهم من ذنوبهم ما تقدم وما تأخر ببيت من الشعر أو خاطرة من الرأى فما أحرى زكي مبارك أن يدخل معه الجنة على حساب كتابه ألفاً من الأدباء المحرومين!

الحق أن كتاب التصوف الإسلامى بناء شامخ الذرى فى تاريخ الأدب. وأقوى ما يروعك منه الجهد والاطلاع والفهم. وهذه الخصائص الثلاث هى ميزة الكتاب الجليل والبحث الجامع. وإذا كان المؤلف قد نجح فى « إبراز الملامح الأدبية والخلقية للنزعة الصوفية » فانه نجح كذلك فى كشف ناحية من الأدب العربى والفكر الإسلامى كان الأدباء المؤرخون يمرون عليها معرضين، كما يمر السائح الغفلان على منجم الذهب فلا يرى إلا صخوراً وحجارة. والصوفية هى النزعة الوجدانية الصافية فى الفطر السليمة، ولها فى الأدب والخلق والفلسفة والحياة إشعاع هادٍ كإشعاع الحق، وكان لابد لهذا العنصر الباهر المجهول من (مدام كورى) فى زِىّ زكى مبارك تنهك الجسم والعصب، وتنفق الوقت والذهب، فى سبيل كشفه

لا أريد أن أعرض لك الكتاب ولا أطيق الآن أن أحلله وأنقده، فهو يقع فى نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير؛ وعرضه وتحليله لا يغنيانك عن مطالعته شيئاً. وكل ما أقوله لك إنك ستجد زكى مبارك فيه رجلاً آخر غير الشاب الذى عرفته فى سائر كتبه.

فيض الخـــاطر

مجموع مقالات أدبية واجتماعية للأستاذ احمد أمين

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه مقالات بعضها نشر فى مجلة « الرسالة » وبعضها نشر فى مجلة « الهلال » ، والبعض الأخير لم ينشر فى هذه ولا تلك ؛ جمعها كاتبها أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، فى كتاب إجابة لدافع غريزة حب البقاء ، لأنها — مجموعة — أدل منها متفرقة ، وفى كتاب أبين منها فى أعداد

والأستاذ أحمد أمين من كبار المؤرخين المعاصرين فى العربية ، يدين له تاريخ الحياة العقلية فى القرنين الأول والثانى للهجرة بأحسن ما كتب فى دراسته من سبل التحقيق فى التاريخ . غير أن كتابة الرجل وإن ظهرت عليها مسحة من التدبر العلمى فى استقصاء الأسباب وربط النتائج لها كمظهر تحليلى ، فان التقرير دون التحليل هو طابع دراساته . ولكن تقرير الحوادث والوقائع عنده خاضع لمحكمة النقد العليا التى تستنزل أولياتها من المنطق التاريخى ، ومن هنا جاء ما لدراسات الرجل من قيمة

والرجل يمتاز بكل سمات العالم فى بحثه ، من سلامة النظر وسعة الاطلاع والنزاهة وهدوء الطبع . غير أنه ينقصه التحليل فى عمقه . وطابع التقرير يوقفه كثيراً عند ظواهر الأشياء دون أن يستجلى بواطنها . ولا أدل على ذلك من نظرة سريعة لموضوعات مقالاته التى نشرها بعنوان « فيض الخاطر » ؛ فهو فى المقال الأول يتكلم عن « الرأى والعقيدة » ، ويرى الرأى شيئاً والعقيدة شيئاً آخر ، وهو يذهب فى كلامه مولياً وجهة من النظر تذكرنا بوجهة الفنان توفيق الحكيم فى المقال الأول من كتابه « تحت شمس الفكر »

يرى الأستاذ أحمد أمين مكان الرأى الدماغ ؛ أما العقيدة فكانها القلب . والواقع أن هذه التفرقة اعتبارية محض ، فضلاً عن أن القسمة غامضة ، فنحن لا نعرف من القلب معنى غير الشعور والإحساس الباطنى ، ومثل هذا الشعور والإحساس الباطنى ليس الرأى ببعيد عنه . وكم من رأى هو وليد الشعور الباطن والإحساس الداخلى

وفى هذا المقال يرى الكاتب أن الإيمان بالشىء يستتبع العمل على وفقه لا محالة ؛ غير أننا نلاحظ أن الإيمان شىء والعمل شىء آخر ، وليس الإيمان بالشجاعة أو الكرم من الأسباب التى تجعل المرء كريماً أو شجاعاً ؛ فالكرم عادة وخلة تغلب على الطبع ، والشجاعة قوة للتغلب على المكاره مردّها النفس ، وليس للعقيدة دخل فيها ، وإن كانت العقيدة تتلون بها

وفى المقال الثانى يتكلم الكاتب عن « الكيف والكم » ويقدر أن تقدير الأشياء بالكم شىء يرتبط بالطفل فى نشأته والأمة فى طفولتها . ولما كان كل إنسان مرّ فى طور الطفولة ، والأمم جميعها مرت بهذا الطور ، لهذا علق بالذهن الإنسانى تقدير الأشياء بكمّها . وهذا كلام صحيح ولكن يغلب عليه التقرير دون التحليل ، لأن التحليل يستلزم النظر فى أسباب ارتباط تقدير الأشياء بكمها بطور الطفولة عند الإنسان

وفى المقال الثالث عن « صديق » تجد الكاتب يولى وجهة من التقرير للأمور ، فيبدع فى عرضه وتصويره ، ولكنه لا يتناول

وزكى مبارك — إن أردت فيه كلمة الحق — مجاهد باسل من المجاهدين القلال الذين شقوا طريقهم فى الحياة بالقوة ، وأخذوا نصيبهم من المعرفة بالكد ، وأحلوا أنفسهم محلهم اللائق بالصراع . وهو أحد الأدباء الذين لم يقم مجدهم الأدبى على الظروف والحظ . وإذا كان الحظ قد وقع فى حياته فهو الحظ المنكود . لأنه تعلم بكدح قلمه ، وتقدم بفضل جهاده ، ثم كانت الظروف التى تساعد غيره تلح عليه بالنكران والحرمان من غير هوادة

ومن أثر ذلك كان هذا الإعلان المستمر عن نفسه وعن عمله . وهى صفة لا تتفق كثيراً مع وقار العلم وجلال الخلق . ولكنها آتية إليه من وراء الوعى على ظن أن الناس ينكرون عليه فضله وينفسون عليه مكانه

ولو استطاع زكى مبارك أن يتملق الظروف ويصانع السلطان ويحذق شيئاً من فن الحياة (Savoir-vivre) لاتقى كثيراً مما جرته عليه بداوة الطبع وجفاوة الصراحة . ولكن هذه الأعراض النفسية ستفنى فيه وفى الناس ، ويبقى ذلك المجهود العلمى الضخم الذى قدمه إلى الأدب العربى فى شتى مناحيه شاهداً على صدق خدمته للأدب ورفيع مكانته فى النهضة .

الزيات

يبحثه وجه تحطم صديقه من التناقض الذى فى نفسه . هذا . . .
وهل يمكن أن يوجد إنسان ليس له وحدته النفسية إلاّ ويكون منحلاً شخصية إلى شخصيات ، وإذن كان الوجه التحليلى فى هذا الموضوع أن يتناول الكاتب بحثه تداخل الشخصيات التى انحل إليها شخص صديقه ، ويبين أثر هذا التدخل فى إيجاد الاضطراب فى نفسه حتى انتهى إلى تحطيمه

وفى المقال الرابع كلام عن « أدب القوة وأدب الضعف » ظاهره جميل ، ولكن أدب الضعف الذى يلمسه الكاتب فى الأدب العربى أليس صورة صادقة من الحياة العربية ؟ إذن ماذا يطلب الكاتب ؟ أيريد من الخراف أن تلبس جلد الأسود ؟ هذا يخرج بالمسألة عن الصدق ، والصدق أساس الأدب عند الكاتب ...

أظن هذه أمثلة وإن كانت سريعة موجزة خطوطها إلا أنها كافية لتثبت أن الكاتب يقف عند حدّ التقرير فيما يكتب . لكن سلامة النظر وسعة الاطلاع وهدوء الطبع تجعل التقريرات التى يقررها الكاتب تتسم بميسم الصدق والواقع فى العموم . وهذا لا يمنع أن يتسرب فى بعض الأحيان بعض الخطأ إلى تقريرات الكاتب ، غير أنها قليلة فى المجموعة ، نذكر منها قوله إن العالم خاضع للمنطق ، وأن له غرضاً يسير إليه وليس يسير حسبما اتفق ، وأنه محكوم بقوانين ثابتة لا تتغير

أما كون العالم محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير فهذا صحيح ، وكونه خاضعاً للمنطق صحيح ؛ أما أن يستخلص من ذلك أن العالم له غرض يسير إليه وليس يسير حسبما اتفق فهذا مما لا نوافق الكاتب عليه . فيصح أن يكون العالم سائراً حسبما اتفق وليس له غرض ، ومع ذلك تراه خاضعاً للمنطق محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير

أما بيان ذلك فقد استوفيناه فى بحث سابق منشور بعدد أغسطس سنة ١٩٣٧ من مجلة (الإمام) وفى مقال كتبناه بعدد مارس سنة ١٩٣٨ من مجلة (المقتطف)

والكاتب يمتاز أسلوبه بإشراق الديباجة ودقة التعبير ، غير أن أسلوبه ينقصه السرعة والهزة التى تجذب النفس ، فمن هنا لا يمكن اعتباره أسلوباً أدبياً

والكتاب فى المجموع دراسات قيمة تمتاز بوجه عرضها للموضوع الذى يبلغ به الكاتب أحياناً منزلة الجودة الفنيّة ، نذكر من هذه الموضوعات « سلطة الآباء » و « من غير عنوان » و « منطق اللغة »

« أبو قير » اسماعيل أحمد أدهم

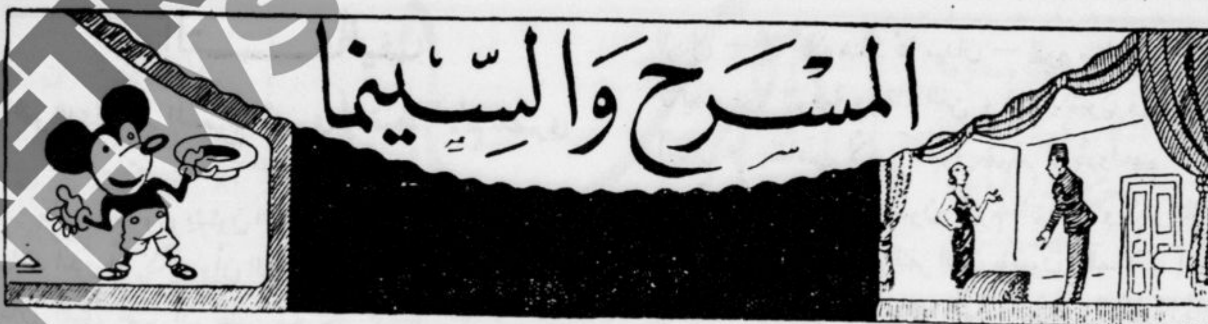

شارع عماد الدين والمسرح

كانوا قديماً يسمون شارع عماد الدين شارع الفن، وكان البعيد عنه يحسب أن فيه الفن حقاً . وما زالت تلك الصفة ملقاة عليه معروفة عنه حتى لأهله الذين يعرفون كل ما فيه . وقد كان جائزاً فيما قبل أن يسمى شارع الفن لأنه كان يضم بين جنبيه فرقتين أو أكثر تعملان وتجاهدان

أما اليوم فماذا فى شارع عماد الدين ؟ فيه أربعة مراقص تلبس الانسانية فيها أقبح الأردية . إى والله لم يعد فيه إلا المراقص تنمو وتتكاثر ويرتادها الناس وعلى المسرح السلام ..

الجمهور المثقف الذى يفهم أهمية المسرح ويقدرها قد جرى مع غيره فى مجرى واحد من حيث جحود التمثيل وعدم المبالاة باحتضاره؛ وأصبح يجد فى (الصالات) ما يكفل له تمضية السهرات دون حنين إلى المسرح المقهور أو شفقة عليه ؛ حتى أصبح شارع عماد الدين وما حوله بقعة مجردة من الحياء ، بعيدة عن روحانية الفن بعد الأرض عن السماء ...

فهل انتهى بذلك تاريخ المسرح المصرى؟ وهل انصرف أبطاله كل الانصراف إلى السينما حيث المجال المادى المربح ؟ نرى هذا، ولكننا نأمل ألا يستمر ؛ لأن للمسرح الحقيقى المثقف تأثيره فى النفوس، والسينما قد تستطيع أن تحل محله، ولكنها لا تستطيع أن تكفى عنه كل الكفاية . فهو إذن ضرورى ، وهو لو نهض نهضة حقة سيقف إلى جانب السينما وتخلعها ، وسيعيش وسيكون له شأن .

وأبطال المسرح المصرى لا يزالون أحياء ولا تزال فى نفوسهم الرغبة إلى محاولة الجهاد فى سبيل النهوض به ، ولكن يعجزهم المال ، فيظلون فرادى لا جامع لكلمتهم ولا مستغل لمواهبهم . وحسب وزارة المعارف أن تهيئ (تكية) وتقيمها فى دار (الأوبرا) شهراً أو شهرين من العام ، وهذا عندها هو تشجيع التمثيل .

اجمعوا الجهود وقسموها إلى وحدات ، فهذه للدرام وهذه للكوميدى وهذه للتراجيدى ، تخلقوا جواً شريفاً للمنافسة وتروا نهضة جديدة للمسرح . . . وإلا فقد انتهى أمر التمثيل المسرحى حقاً ، وأصبح (شارع الفن) بقعة موبوءة تظل تنحط وتنحط حتى لا يكون فيها موطئ لقدم شريف

أخيراً تزوجت

ولعل الأمل الباقى فى حياة المسرح المصرى منوط بعنق جمعية أنصار التمثيل والسينما ، وهى وإن كانت مقلة فى إنتاجها ما تزال تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من بناء المسرح المنهار . وكان آخر ما قدمته الجمعية بدقة بلغت حد الإعجاب رواية « أخيراً تزوجت » فى حفلة الجمعية الخيرية الإسلامية بدار الأوبرا فى الأسبوع الماضى . وإنا لنتمنى لهذه الجمعية أن تواصل نشاطها حتى تكون هى الرمق الحى الذى نرتجى من ورائه للمسرح المصري بعض الخير

وها هى ذى الفرقة القومية لا تكاد تقضى شهراً فى عمل، حتى تقضى مثله أو أمثاله فى كسل . ها هى ذى تنهى دورتها الأولى بعد فترة لم تنتج فيها جديداً يذكر لتعود إلى نومها المعتاد. وهنيئاً لأفرادها هذا الجو الناعم !

فارس الميدان

فرقة الريحانى هى الفرقة التمثيلية الدائمة التى تبرهن على أن التمثيل الكوميدى لما ينعدم بعد . والريحانى يشكر على هذه المثابرة. غير أننا نأخذ عليه اعتقاده بأنه هو وحده الآن فارس الميدان ، وذلك ما جعله يسير الهوينا حتى لا يخرج طوال الموسم كله أكثر من أربع روايات . وذلك إنتاج لا يفى بالحاجة ؟

التـــــأليف

هو علة انهيار المسرح المصرى وسقوط الفيلم المصرى

ينادى المهتمون بشئون السينما والمسرح فى مصر بأن المسرح هنا قد اندثر أو كاد ، وأن الفيلم المصرى لم يظهر بعد فى الثوب الفاتن الذى يجب أن يظهر فيه حتى يستطيع أن يقف إلى جانب الأفلام الأجنبية ولو فى السوق المصرى وحده ، ويؤولون لذلك أسباباً كثيرة مبنية تارة على أساس وتارة على غير أساس ، وتفكر وزارة المعارف وهى القائمة على أمر التمثيل كأداة من أدوات التثقيف تفكر فى مصيره المظلم ، وتجتمع اللجان وتقرر القرارات وترصد الإعانات وتبـذل النفقات فى سخاء ويؤتى بالأجانب لإنقاذ ما يمكن إنقاذه !!

ولـكن أحداً من هؤلاء لم يفكر فى العلة الحقيقية لانهيار المسرح المصرى وسقوط الفيلم المصرى ... العلة هى التأليف ولاشئ غيره . فالممثلون الناجحون موجودون فى مصر والمخرجون البارعون موجودون فى مصر ، وجمهور المتفرجين موجود فى مصر ولـكن هناك عنصراً واحداً يكمل هذه العناصر بل يوجهها غير موجود ... هو التأليف

وليس معنى هذا أن مصر بلد لا ينجب المؤلفين ، فالمؤلفون موجودون ولـكن كأن لا وجود لهم ... لدينا مؤلفون موهوبون فى طوقهم أن يسدوا حاجة المسرح وزيادة ، وهم مع الأسف يجافون التأليف وينصرفون إلى غيره من شئون القلم لأن التأليف فن ظلمه المتصرفون فى أمره ولم يقدروه قدره أو بعض قدره فأصبح كالصناعة الآلية التى لا يقودها الإبداع الفنى

أصحاب الشركات السينمائية المصرية ومديروها يريدون من المؤلف أن يكتب الرواية الـكاملة دون أن يأخذ لها ثمناً وحسبه أن يظهر اسمه على الشاشة ففى ذلك ما يكفل له الطعام وكل لوازم الحياة ... وإلا فليأخذ بضعة جنيهات ولا لزوم لاسمه ولينسب تأليف الرواية إلى مدير الشركة أو مخرجها ...

وأصحاب الفرق المسرحية يدعون لأنفسهم القدرة على التأليف فإذا ما قدم مؤلف رواية إلى أحدهم ردها إليه بعد أن يلمّ بأطراف فكرتها ليكتبها بعد ذلك كيفما اتفق ...

فلماذا إذن يؤلف المؤلف الموهوب ؟ وأين ما يغريه ويشجعه على التأليف ؟ إن اعتزازه بفنه يأبى عليه أن يؤلف ليكون هذا مصير ما يؤلفه ، ومن هنا تتحطم الأقلام وتنزوى المواهب تاركة الميدان — إذا كان هناك ثمة ميدان — لقوم صناعين لا يكلفهم التأليف عناء الموهبة وشقاء الفن ، فهم يكتبون ويبيعون غير آسفين على بضاعتهم لأنهم كتبوا بعقولهم لا بأرواحهم

أولئك هم الذين يسمّون اليوم بالمؤلفين وبكبار المؤلفين ولا أقصد بالمؤلفين هؤلاء النفر الذين يؤلفون (للصالات) فليس هذا تأليفاً وإنما هو هراء قوامه النكتة البذيئة والـكلمة الجارحة والوضع المقلوب . اللهم إلا القليل منه ...

وبين هؤلاء الذين يكتبون للمراقص كتابة صبيانية ، وأولئك الذين يكتبون للسينما والمسرح كتابة تجارية ، يضيع المؤلف الموهوب الفنان الذى يكتب للفن . . . فالأولى إذن أن يعيش بعيداً عن التأليف

هذا ما كان حتى اليوم وهذا ما سيكون ونظل نراه ما دام التقدير الحق معـدوماً وما دامت الشركات السينمائية والفرق المسرحية تقدر التأليف آخر ما تقدر وتعتبره عنصراً هيناً قليل الخطر بينما هو أحق من كل شىء بالعناية والاهتمام والبذل

لذلك ترى الفرقة القومية وهى تسمى (قومية) تلجأ إلى الروايات المترجمة وفوق ما فى ذلك من معرة قومية فإنه يصرف الجمهور عنها لأن الجمهور مصرى ويريد أن يرى شيئاً مصرياً

وقد تحتج تلك الفرقة القومية أو تلك المهزلة القومية بأن هذا هو ما يقدم لها وصلح أما غيره فقد كان هزيلاً . . . ولـكن هل بحثت الفرقة — وهذا من شأنها — بين الموهوبين حقاً من غير أصحاب الأسماء ؟ لا . . . وهل تركت الغايات والميول جانباً وراعت الحق فى الاختيار ؟ ... لا ... إذن فمن أين يأتيها المؤلف الفنان المغمور الذى لا عم ولا خال ...

أما مسألة المباراة فإنها لمهزلة تتكرر وما من ورائها فائدة حتى لو روعى فيها جانب الحياد والحق ... وهيهات ...

أما الطريقة العملية لتشجيع التأليف بل لخلق التأليف وإيجاد المؤلفين فهى أن تقدر وزارة المعارف ثمناً معيناً للرواية السينمائية وثمناً للقصة المسرحية وتشرف هيئة محترمة لا تعرف غير الحق إشرافاً فعلياً على طريقة اختيار الشركات لرواياتها وطريقة دفع الثمن ، أو تقوم هى بعملية الأخذ والاختيار والإعطاء بين المؤلفين والشركات .أو المسارح . ثم تقدر من عندها فوق ذلك مكافأة ماليه لـكل رواية تظهر على الشاشه أو على المسرح وبذلك تكون هى المشرف النزيه فتضمن للمؤلف حقه وفوقه مكافأة فينتج ويبدع ويكون فى مصر تأليف ومؤلفون

(ز)

7me Année No. 288

Lundi - 9 - 1 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ٩ يناير سنة ١٩٣٩ » العــدد ٢٨٨

الفهــرس

من مآسى الحياة

فتـــون وجنون ...

إلى الآنسة « أ . ش . ف »

نعم يا آنستى العزيزة ! لَشدَّ ما لاع القلبَ وراع الضميرَ ما قصصتُ من مآسى الحياة ! ولا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب ما هو أمضُّ لوعة وأشد روعة

وعدتنى أن تقصى علىّ أنباء من تعرفين من طرائد البؤس وأنضاء الهم ، وأنا أقص عليك هـذه القصة ربما تنجزين هذا الوعد :

فى المنصورة بلد المال والجمال والشعر كانت تعيش أسرة من أُسرِ الريف الغنية السريّة عيش اللهو والزهو والمرح . وكانت قبل ذلك تعيش فى مزارعها الواسعة فى قرى مركز « شربين » تستغل أراضيها الخصبة استغلال الدءوب اليقظ ؛ حتى أبطرها الغنى ، فرأت طرق الحقول التَّربة لا تلائم المركبة الفخمة ، والبيتَ القروى العتيق لا يوائم الأثاث الأنيق ، والقريةَ كلها لا تصلح مجالاً للعظمة ولا مجتلى للشهرة ؛ فتركت ضياعها وزروعها فى ذمة النُّظار والخَوَل ، وأسلمت قيادها للبذَخ والسرف : ترتبع بالمنصورة ، وتصطاف بالاسكندرية ، وتُشتى بالقاهرة . وتظاهر على رب هذه الأسرة الجهلُ والطيش والفراغ

والغنى والعُجب ، فقلبته بين الحانات والمواخير قَفاً لوجه ، حتى ركبه الدين والمرض ، فباع الأرض لبنك « خوريمى » ، والصحة لبار « أنسطاسى » . وكبر عليه أن يعود إلى قريته ذليلاً بعد العز ، فقيراً بعد الغنى ، فظل فى المدينة ولكن فى بيت غير البيت ، ومظهر غير المظهر ...

تتألف هذه الأسرة من الوالدين ومن ست بنات وابن واحد . وفى هذا الصبى الواحد انحصر مستقبلها وأملها ، فأرصدت ما بقى للأم من موروث الرزق على تربيته وتعليمه . فلعله يكون كابن فلان باشا : ينال (الليسانس) ، ويعين وكيلاً للنيابة فقاضياً فمستشاراً فوكيلاً للوزارة . ويومئذ يرجع المال الذاهب ؛ ويعود المجد المضاع ، وتندم الشماتة الحاقدة . وكان الفتى نحيل البدن ولكنه ذكى مجد ، فلم يتخلف فى سنة، ولم يرسب فى شهادة، حتى نال إجازة الحقوق . وكان فى مدة دراسته الطويلة شغل الأسرة الشاغل : فالوالدان همهما تدبير المال له وتوفير الصحة عليه ؛ والبنات الست عملهن غسل ثيابه وكى بِذْلَه وتصفيف شعره وتهيئة أكله وتهدئة نومه . وإذا فاتهن اليومَ أن يأكلن الهنىء ، ويلبسن الناعم ، ويجلون حسنهن للأتراب والخطاب فى شارع البحر بالمنصورة ، فسيعوضهن الله غداً بفضل أخيهن الموظف خيراً من كل أولئك فى القاهرة

وكانت الأم تبيع فى كل سنة من سِنِى دراسة ولدها فداناً من أرضها ، تنفق نصفه على المدرسة ونصفه على البيت حتى خرج هو من كلية « حقوقه » ، وخرجت هى من كل حقوقها

أصبحت الأسرة الفقيرة مُعدمة: فلا فى الأرض ولا فى البيت ولا فى اليد . فهى تعيش على ما يبقى من مرتب أملها وكاسبها « فؤاد » ، فقد وظف بأحد مراكز طنطا وعاش وحده . وظل الأبوان الشيخان والبنات النواهد فى المنصورة على ضيق وقلق ينتظرون اتساع الرزق وامتداد الجاه فيجتمع الشمل ويرفُه العيش . أتدرين يا آنستى بماذا أجاب القدر دعاء هذه الأسرة ، وعمَّ أسفر الأمل فى هذا الولد ؟

كان فؤاد رقيق البدن والشعور والعقل، فأغرم بالأدب، وفُتن بالجمال، وكلِف بالرُّواء. وحياة الأقاليم لا تقضى حاجة النفس النزاعة الرغيبة من كل ذلك. فكان فى مكان عمله بالنهار، وفى مجالى القاهرة بالليل ، حتى افتتن بمطربة معروفة ، فاضطرب أمره وانتكس حاله

كان فؤاد عُذْرى الهوى ، لأن حياءه أقوى من طموحه ، وشاعريته أشد من شهوته . وهو إلى ذلك فقير ، ومعبودته من ذوات الثراء والمجد، فلا يدخل قصرها إلا غنى أوفنان أو مهرِّج. فكان يقنع بالجلوس أمام تختها إذا غنت ، وبالطواف حول بيتها إذا استراحت ، حتى خبَله العشق وأضناه السهر . وبان أثر ذلك فى عمله ، فغاب طويلاً عن مكتبه ، وأخطأ كثيراً فى تصرفه ، واختلف دائماً مع رئيسه ؛ فانتهى الأمر وهو لا يزال فى عهد التجربة بفصله !

لم يشعر فؤاد بهذه الصدمة الصاعقة كما شعر بها أهله ؛ فإن حياته كانت فى الحب ، وحياة أهله كانت فى الوظيفة . فلما انجلت غشاوة الهوى قليلاً عن عينيه رأى نفسه خالياً من العمل والأمل ، يُزجى فراغه الثقيل الذليل بالهيام فى الطرقات، والنظر فى (الفترينات)، والاختلاف إلى (الصالونات)، والوقوف بباب المطربة أكثر النهار والليل ، يحادث الخدم ، ويرقب الزوّار ، ويرصد السيارة الحبيبة حين تذهب وحين تؤوب

وأسرع إليه أبوه على كبره ووهنه يستكشف سر النكبة ويعالج مقطوع الرجاء ، فوجده نفساً يتهافت فى جسد ضارع وهيئة زرية ؛ فما زال يتلطف به ويداويه حتى كشفه عن أمره ، وعاد به إلى الأسرة المفجوعة فى ولدها الوحيد ، وأملها الفرد ، وملجئها الأخير ، وشرفها الباقى ...

ليس فى طاقتى يا آنستى أن أقص عليك خاتمة هذه المأساة . ولو كان وصفها فى إمكانى ، لما كان استماعه فى إمكانك . فإنى أعرف رقة قلبك ووهن جَلدك فى مثل هذه الحال ... وليس من العسير على فطنتك استنتاج ما حدث . فالفتى من تباريح الجوى أصيب بالسل فمزّق رئتيه وشفَّ جسمه، فهو فى السرير عظم هامد ينتظر النهاية المحتومة . والأم من هول النكبة أخذها الفالج ؛ فهى سطيحة على الفراش لا تُمر ولا تُحلى . والأب من فقد الرجاء اعتراه الخبال فمات قتيلاً فى حادث محزن .

والبنات؟ البنات بقين بعد المخبول والمسلول مع الأم الكسيحة لا كاسبٌ ولا خاطب . فتصورى يا آنستى كيف يعشن.! لو كان للاسلام أديرة صوفية لدخلن فى حمى الدين ؛ ولو كان للحكومة مدارس خيرية لاعتصمن بقوة العلم؛ ولو كان للأوقاف ملاجئ نسوية لعشن فى ظلال الخير . ولكنهن يا آنستى يعشن العيش الكريه الضنك على فضلات الأقارب الأباعد . ومثل هذا العيش لا يثبت عليه إيمان ولا أمان . والبيت البائس إذا لم يدخله الملك دخله الشيطان ...

احمد حسن الزيات

الفكاهة والطغيـــان

للأستاذ عباس محمود العقاد

ملكة الفكاهة نعمة من نعم الحياة ، وخاصة من خواص الإنسان ، وعلامة من علامات الارتقاء . ولكنها خليقة أن تعدّ فى النقم إذا هى سوغت ما لا يساغ وأباحت ما لا يباح ، كالإذعان لحكم طغيان ، والاجتراء على حقوق أو حرمات

سمعت من سعد زغلول رحمه الله أن « أحمد زيور » فى الوزارة أخطر من عبد الخالق ثروت ومَن على طرازه ، لأن احمد زيور لا يثير الغضب فى المصريين بل يحفز فيهم ملكة الفكاهة ويقلب الأمر من جد إلى مزاح ؛ وهم لا يكرهون ذلك، وقد يستمرئونه ويعضون فيه ، فيقبلون على يديه مالم يقبلوه على أيدى الآخرين ، ويأتى الخطر من هذا الباب

وذكرت هـذا وأنا أقرأ الفكاهات التى يرويها الرحالون والناقدون الاجتماعيون عن الألمان والروس والطليان وسائر الأمم التى يحكمها أصحاب السلطان المطلق فى هذه الأيام

فينبغى أن نعلم أن هذه الأمم تصنع ما يصنعه المصريون أحياناً من مقابلة الطغيان بالفكاهة ، ومن مجازاة السطوة بالنكتة ، فيصول عليها الحاكم وهى تضحك منه ، وتتفكه بالأحاديث عنه ، وتظن أنها أخذت منه بمقدار ما أخذ منها ، فتستريح إلى هذا القصاص!

قيل إن القائد جورنج يحب النكتة البارعة، ويطرب للفكاهة الجيدة ، ويود لو يسمع ما يتداوله الناس من أقاويل السخر والمزاح عن الحكومة الحاضرة فى البلاد الألمانية ، ولكنه لا يصل إليها لخوف الناس من كتابتها أو الجهر بها ، فاتفق وسائق سيارته على أن ينقلها إليه كلما سمع شيئاً منها ، وله خمسة قروش على كل نكتة مقبولة

قال الراوى : فطاب المورد للسائق المحروم وحرص على احتكار البضاعة كلها فى هذه السوق . ثم جاء إلى القائد يوماً بحفنة صالحة من النوادر اللاذعة ، فداخل القـائد شىء من الغيظ وأشفق من ذيوع هذا الضرب الأليم من التنكيت ، وقال كأنما يحدث نفسه : « ليضحكوا ما شاءوا ... إنهم لا ينسون على كل حال أنهم أعطونا تسعة وتسعين فى المائة من أصواتهم فى الانتخابات الأخيرة ...! »

فصاح به السائق وقد خاف على مورده المحتكر :

سيدى القائد ! من الذى باعك هذه النكتة ؟ !

وروى الراوون أيضاً أن زوجة شابة انتظم زوجها فى إحدى الفرق العسكرية الحديثة فطال غيابه عن المنزل وامتدت ساعات التدريب إلى ما بعد الهزيع الأول من الليل ، حتى تعودت أن تنام ولا تنتظر أوبته حين يؤوب. وتمادى على ذلك فترة طويلة، فأحبت أن تنبهه بعض التنبيه عسى أن يحتال للخلاص من هذا التدريب أو من تلك المواعيد ، فتركت على الموضع الخالى من السرير ورقة كبيرة أشبه شىء باللوحة التى تكتب للتذكار، على بعض الأنصاب والآثار ، وكتبت عليها : « هنا ! ... حيث كان يرقد زوجى قبل التحاقه بالفرقة العسكرية » ... فضحك حين رآها . وسمع الجيران بالخبر فضحكوا وتناقلوا الورقة بينهم بضعة أيام ... وسرى الخبر إلى مكتب الاستطلاع فضحك أيضاً ولكنه اعتقل الزوجة أياماً فى معتقل التأديب أو العقاب »

أما فى الروسيا فالفكاهات التى يخترعها الظرفاء للضحك من النظام القائم فيها لا تحصى، ولا تقل فى الرواج عن الفكاهات الألمانية

قيل إن مندوباً من مندوبى الحكومة أراد أن يستطلع طِلْع الفلاحين الذين يطوفون أو يساقون إلى الطواف بضريح لينين وهو معروض فيه مكشوفاً للأنظار

فسأل واحداً منهم : ما رأيك فيه ..؟ أى فى الزعيم لينين .

فأجاب على البديهة : حاله مثل حالنا ... ميت ولكنه لا يدفن !

ووقف فلاح على مقربة من آلة المذياع وهم يركبونها ، فسمع المهندس يقول : إن كل كلمة تلفظ هنا تدوى فى جوانب العالم كله . فهل منكم من يريد أن يقول « كلمة واحدة » باسم الروسيين ؟ فأومأ الفلاح أن نعم ... وتقدم إلى بوق المذياع فصاح : « النجدة ! »

وقفزت جماعة من الأرانب من الحدود الروسية إلى الحدود البولونية، فدهش الحراس البولونيون لكثرتها وسألوها: ما الخبر ؟ فقال واحد منها : إن مكتب الاستطلاع قد أصدر أمراً بالقبض على جميع الزرافى التى فى الأقطار الروسية ... قال الحارس :

وما شأنكم أنتم وأنتم أرانب ولستم بزرافى ؟! فقال الأرنب : « صحيح ! ولـكن هل لك أن تثبت ذلك لمكتب الإستطلاع ؟! »

وعمت الشكوى من مكتب الاستطلاع هـذا فأشاع الظرفاء الروسيون أن الزعيم ستالين قد أمر بتسريحه وشدد على رجاله أن يتلطفوا إلى الناس غاية التلطف لينسوهم فظاعة ماضيه .

إلا أن الفلاحين المساكين لم يسمعوا بهذا الذى أشاعه الظرفاء البلديون ، فبينما كانت طائفة منهم فى مركبة كبيرة إذ عطس أحدهم عطسة عنيفة سمعها من فى الطريق ، فأطل واحد من رجال مكتب الاستطلاع فى المركبة وسأل : من الذى عطس هذه العطسة ؟

فاضطرب الركب وسرى فيهم الرعب وطفقوا يلكزون العاطس المتوارى أن يبرز نفسه ويحمل وحده وزر عمله ولا يجور على أصحابه جميعاً بجريرة عطاسه ، فلم يسع الرجل إلا أن يعترف بالحقيقة ويقول فى كثير من الوجل والتلعثم : أنا ...!

قال الراوى : فانحنى مندوب مكتب الاستطلاع تنفيذا لأمر الزعيم ستالين وقال : يرحمك الله !

ويروى الظرفاء الروسيون أن طوفانا من السباب والتبكيت والتعزير سمع ذات يوم فى الحجرة المجاورة لمكتب الرفيق ستالين .

فانتظر الحجاب حتى يفرغ الزعيم من حديثه ، ثم فتحوا الباب ليسحبوا منه الرجل المنكود الذى وقعت على رأسه كل هذه الشتائم والمقذعات ، فما راعهم إلا أن يبصروا المكتب خاليا وليس فيه أحد غير الزعيم

— أين الرجل المنكود الذى كنت تشتمه ؟

— فأجاب الزعيم : أنا هو . . . وقـد فرغت الساعة من حصة المناجاة !

***

عرضت هذه النوادر و « القفشات » وعرضت معها نوادر المصريين وقفشاتهم للرومان والترك وقره قوش وسائر الحاكمين الذين نالوا من المصريين بالقسوة ، ونال منهم المصريون بالنكتة ، فورد على خاطرى هذا السؤال العجيب : لو كنت حاكما طاغيا ماذا أصنع لهؤلاء الساخرين ؟ هل أطلق لهم العنان يرسلون النكات والقفشات حيث يشاؤون ؟ أو أحسب حسابا لعواقب هذه النكات والقفشات فأحجر على أصحابها ومذيعيها وأتعقبهم بالمصادرة والجزاء ؟

إن النكتة تلطف وطأة الظلم وتوهم المظلوم أنه ينتقم لنفسه بعض الانتقام فتهوّن عليه الشدائد وتروضه على الصبر والانتظار ، فهى من ثم معين للحكام على المحكومين

إلا أن النكتة قد تزرى بالمهابة وتعصف بالرهبة وتجعل الحاكم المخيف أضحوكة فى الأفواه ومهزلة للسامرين ؛ فهى من ثم مضعف لسلطانه ومجرئ على مقامه ومحرض على الثورة والانتقاض

هى بلسم للمظلومين فهى مقبولة

وهى سلاح للمظلومين فهى مرهوبة

فماذا يحسن بالحاكم المستبد أن يصنع مع هؤلاء المازحين ؟

ليس لهذا السؤال جواب فاصل فيما أحسب . ولكنى أقرر الحقيقة إذا قلت إن المحكومين لا يحاربون الظلم بالفكاهات والنكات إلا إذا كان للصبر بقية ، وفى قوس الاحتمال منزع كما يقولون ، وإن الحاكمين لا يتسمحون فى قبول الفكاهات والنكات إلا إذا كان للقوة بقية وللثقة بدوام السلطان مجال فسيح

أما إذا ضاقت الصدور ونفدت الحيل فالمحكومون لا يعتصمون بالفكاهة والتنكيت بل يغضبون ويثورون

وكذلك إذا ضاعت ثقة الحاكم بدوام سلطانه لم يصبر على السخرية والمزاح ، وعالج الحجر عليها عسى أن يستعيد شيئا من المهابة والامتناع

وبعد هذا وذاك يجب علينا أن نفرق بين الفكاهات ، وأن نفرق كذلك بين الطبائع التى تتخذها وسيلة لحرب الحكومات

فالفكاهة التى قوامها تلفيق الجناسات اللفظية والملاحظات الشكلية لا تخيف أحداً من العقلاء . أما الفكاهة المخيفة حقاً فهى تلك التى تنفذ إلى المظلم وتسرى إلى قرارة الأمور ، ولا ينطبع على هذه الفكاهة إلا أناس يعملون حين يتفكهون ، ويجترئون حين يسخرون .

عباس محمود العقاد

الشـــريف الرضى
وخصائص شعره
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

على أن الوجدان يفيض فى شعر الشريف حتى من غير الاستعانة بهذه الصيغ البيانية . أنظر إلى وصفه حبيبته فى قوله :

تُحَبِّبُ أيامَ الحياةِ وإنها ... لأعذبُ من طعم الخلود لطاعم

وتراه يستجمع أساليبه البيانية كلها فى قصائده الطويلة المشهورة كرثائه للصابى وللصاحب فى قصيدتيه التى يقول فى مطلع واحدة :

أعلمت مَنْ حملوا على الأعواد ... أرأيتَ كيف خبا ضياء النادى ؟

وفى مطلع الأخرى :

أكذا المنون تُقَطِّرُ الأبطالا

أكذا الزمان يضعضع الأجبالاَ ؟

وهاتان القصيدتان من أفخم قصائده فى الرثاء وإن كان الحنين فيهما أقل منه فى قصائده فى رثاء أهل بيته . وله فى رثاء الصابى قصائد أقل فخامة وإن كانت أكثر حرقة . ومن أكثر قصائد الشريف فى الرثاء وجداناً قصيدته العينية المشهورة التى يقول فيها :

لله نفرة وجد لست أملكها ... إلا تذكرتُ إخوان الصفاء معى

وفيها يقول :

الآن نعلم أن العيش مُخْتَلَسٌ ... وأننا نقطع الأيام بالُخدَعِ

أُخَىَّ لا رغبت عينى ولا أذنى

من بعد يومك فى مَرْأى ومُستَمَعِ

وقصيدته التى يقول فى مطلعها :

قف موقف الشك لا يأس ولا طمع

وغالط العيش لا صبر ولا جزع

وهى فى نظرى من أكثر قصائده فى الرثاء وجداناً . ومن قصائده الوجدانية فى الرثاء قصيدته فى آل المسيّب العينية التى يقول فيها :

وفارقنى مثلُ النعيم مفارقاً ... ووَدَّعَنى مثل الشباب مودّعا

ومن قصائده الجيدة فى الرثاء قصيدته فى رثاء أمه وهى أكثر وجداناً من قصيدة المتنبى فى رثاء جدته التى يقول فيها :

وإن لم تكونى بنت أكرم والد ... لكان أباكِ الضخمَ كونكِ لى أُمّا

وللمعرى قصيدته الطويلة الفخمة فى سقط الزند فى رثاء أمه التى يقول فيها :

مضتْ وقدا كْتهلتُ فخلتُ أنى ... رضيع ما بلغتُ مدى الفِطام

ويقول :

سألتُ متى اللقاء فقيل حتى ... يقوم الهامدون من الرجام

فليتَ أذِينَ يوم الحشر نادى ... فأجهشت الرمام إلى الرمام

ولكن قصيدة الشريف أسهل وأسلس وأكثر وجداناً وهى التى مطلعها :

أبكيك لو نقع الغليل بكائى ... وأقول لو ذهب المقال بدائى

وهى كلها ألصق بالموضوع من بعض أجزاء قصيدة المعرى. ولابن نباتة السعدى قصيدة تستجاد فى رثاء أمه يقول فيها :

فَقَدْتُ كبيراً بِرَّ أم حَفِيَّة ... كافقد الثَّدْىَ المعلّل مُرضعُ

تُبادرُ نحوى تبتغى أن تسرنى ... ولم تدْرِ أنى بالسرور أُرَوَّعُ

إلى أن قال :

إلى أى تعليل وأى مَبَرَّةٍ ... وود نصيح بعد ودك أرجع

ولِلأمرِ ما تذكرنى قصيدة الشريف بقصيدة كوبر الشاعر الإنجليزى فى رثاء أمه ؛ ولعل الذكرى لأثرهما فى الوجدان فحسب لا لشبه كبير

وللشريف قصيدة فى التعزية تستحب للتلطف فى التعزية تلطفاً يجيده الشاعر الوجدانى وهى التى مطلعها : (لو رأيت الغرام يبلغ عذراً) .

وقصائد الشريف فى رثاء جده الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه مشهورة جيدة فخمة ، ولكنها فى نظرى من حيث هى شعر وجدانى أقل مما ذكرت من القصائد . وربما أكون مخطئاً ، وهى لا ينقصها التحرق والتأسف ولكن قيمة الشعر الوجدانى ليست بالتحرق والتلدد فحسب ، ولا بالفخامة ولا بدقة المنطق ولا بعكسه ، وقد يكون الشعر الوجدانى عكس المنطق إذا كان العكس يعبر عن صدق للعاطفة، فقول الشريف فى تشتت قومه وآله :

ما كان ضر الليالى لو نفسن بهم
على النوائب واستثناهم القدر

ليس من منطق العقل ولا هو عكس المنطق الناشئ من مبالغات أهل الصنعة المزيفة بل هو منطق الوجدان الذى يعبر عن النفس؛ فإن كل نفس فى الحياة تطلب أن تستثنى من آلام الحياة وصروفها ومنطق عقل صاحبها يعلم أن هذا طلب محال. فالشعر الوجدانى توفيق ويصادف هوى النفس ومنطقها حتى لكأنه يخلق لها سمعاً يصغى إليه وقلباً يطرب له. وقد يكون البيت الواحد منه ألصق بالنفس وأثمن من قصيدة فخمة سواء أكانت من شعر التلدد، أو من الشعر التعليمى المحض المستقل عن العاطفة، أو من شعر الزخارف وألاعيب الذكاء فى تبذله ولهوه. أنظر مثلاً إلى أبيات الشريف التى يذكر فيها كيف أنه يدافع الهموم بذكرى النعيم الزائل بينما غيره يدفعها بالخمر أو سماع الأغانى ولكنه يفيق من نشوة الذكرى كما يفيق غيره من نشوة الخمر؛ وهى الأبيات التى أولها:

إذا ضافنى هم أملٌ طروقه
ببعض الليالى أو أضيق به صبرا

إلى أن يقول بعد صحوه من الذكرى:

فما كان إلا خلسة ثم إننى
رأيت يدى مما علقت به صفرا

وهى أبيات ليس فيها خيال غريب ولكن قيمتها فى صدق وصف حالة للنفس ووسائلها فى تعللها. وللشريف قصائد شهيرة فى الإخوانيات قلما تتفق لشاعر آخر فى صدق قولها وبساطتها وقربها من النفس وفى مظاهر الوجدان فيها مثل قصيدته فى مودة الحب، وهو موضوع قلما يطرقه شعراء العربية عند وصف الحب فى أشعارهم، أنظر إلى قوله فيها:

أينعت بيننا المودة حتى
جللتنا والدهر بالأوراق

أو قوله فيها:

فى جبين الزمان منك ومنى
غرةٌ كوكبية الائتلاق

ومن قصائده المشهورة قصيدته التى يقول فيها لصديقه:

كأنك قدمة الأمل المرجى
علىّ وطلعة الفرج القريب

والقصيدة التى يقول فيها:

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه
أبى بعد طول الغمز أن يتقوما

وهى من قصائده التى ترد كثيراً فى كتب المختارات، وحق لها أن تختار. والشريف إذا جوفى عبر عن شعوره بقوله:

ويظهر لى قوم بعادا وجفوة
وما علموا أنى بذلك أفرح

من برجنا العاجى

أمس خرجت من برجى العاجى إلى البرج الدائر.

والبرج الدائر هو مرصد حلوان. دعانى إلى زيارته مديره الأستاذ مدور. وهيأ لى المنظار الكبير مسدداً إلى القمر. فذهبت يدفعنى الشوق إلى استجلاء سر هذا الكوكب الجميل، الذى نظم فيه شعراء الأرض نصف شعرهم، ودان له عشاق الأرض بنصف هنائهم. ورفعت عينى إلى تلك العين الذهبية التى طالما رعت بنورها نصف حياتنا، وسهرت على مسراتنا، وسكنت من أحزاننا. نظرت، وإذا أنا أتراجع أسفاً وألماً. لا أحب أن أصف ما رأيت. ولكنى أحب أن أسجد لله شكراً إذ جعل لنا عيوناً لا تبصر إلا بمقدار. إن كل الجمال المحيط بنا إنما هو من صنع عيوننا القاصرة. والويل لنا إذا أبصرت أعيننا الآدمية أكثر مما ينبغى لها أن تبصر

ذلك شأن القمر باعث الجمال على الأرض. وكذلك شأن الشمس باعثة الحياة على الأرض. إنها تشرف علينا من مكان معين بمقدار. فإذا اقتربت منا أنملة هلكنا حرقاً، وإذا ابتعدت عنا أنملة متنا برداً. إن يد الحكمة الأزلية قد وضعتها فى الموضع الذى لا بد لها فيه من أن ترسل إلينا الدفء والخير والسلام

ما أدق هندسة الكون! اللهم إنى أعود إلى برجى وأنا شديد الأيمان بك، قريب الفهم لك، مدرك بعض الإدراك لمشيئتك فى خلق الإنسان، مطمئن كل الاطمئنان إلى مراميك فى إنشاء حواسنا الآدمية على هذا الضعف. إن ما اعتدنا أن نسميه ضعفاً وقصوراً فى إدراكنا حقيقة الأشياء ليس إلا السياج الذى يحمى سعادتنا البشرية. فإذا خرجنا عن نطاق هذا السياج فقد انقلبنا مخلوقات أخرى لا تتصل بالأرض ولا بجمالها ولا عواطفها. مخلوقات ليست آدمية، فقد ترى غير ما يرى الآدميون. وقد ترى أبعد مما يرون. ولكنها لن تكون من أجل ذلك أسعد ولا أسمى ولا أنبل.

اللهم إنك مع قصورنا قد صنعتنا على خير حال، ومع جهلنا قد هيأت لنا أحسن مآل.

توفيق الحكيم

فيكون هو المعز المكرم بقوله هذا . وانظر إلى الوجدان فى قوله :

تُحَبِّبُ أيام الحيــاة وإنها ... لأعذب من طعم الخلود لطاعم

وهو لا يفحش فى هجائه كما يفعل الشعراء ولكنه مع ذلك يدمغ خصومه ، أنظر إلى قوله :

من كل وجه نقاب العار نقبته ... كالعر مر عليه القار والقطر
يَصْدَى من اللؤم حتى لو تعاوده ... أيدى القيون زماناً لا يحلى الأثر

وهى مبالغة ضرورية لأنها نكتة يراد بها السخر. وانظر إلى قوله:

تمسكوا بوصايا اللؤم تحسبهم ... تتلى عليهم بها الآيات والسور

وقوله :

لو عِيْدَ من داء الفهاهة واحد ... عادوه من عى إذا حضر الندى

وأشعاره فى الشيب كأشعار أخيه المرتضى مشهورة ، وقد عنى بشعرهما فى الشيب صاحب كتاب (الشهاب فى الشيب والشباب) وهو باب من الشعر الوجدانى أيضاً . وهذه النظرة فى ديوان الشريف تثبت ما قدمناه فى أول المقال من أنه أكثر نصيباً من شعر الوجدان ولكن ليس له فى وصف الطبيعة كقصيدة أبى تمام التى أولها (رقت حواشى الدهر فهى تمرمر) أو كقصيدة البحترى التى يقول فيها (وجاء الربيع الطلق يختال ضاحكا) أو (شقائق يحملن الندى فكأنه) أو وصف بركة المتوكل أو وصفه آثار الفرس وغيرها من شعر الوصف التصويرى . وليس له كوصف ابن الرومى غروب الشمس فى قوله (وقد رنقت شمس الأصيل الخ) ولم يسر شعره فى الأمثال كما سار بعض شعر المتنبى، ولم يولع بالبحث فى الحياة والكون كما يفعل المعرى ، ولكنه مع ذلك قد أمن زلل المبالغات والتشبيهات البعيدة المرفوضة ، وأمن الفتور وأمن المعاظلة والتواء القول وأمن الألاعيب اللفظية. وشعر الوجدان ليس بأقل منزلة ولا أقل أثراً فى النفس من أبواب القول الأخرى التى بزه فيها منافسوه، فهو إذاً أقل منهم منزلة وله مع ذلك نظرات صائبة تدل على عقل وذكاء وذوق فى اختيار ما يقول ورفض ما لا يجمل به أن يقول. أنظر إلى قوله فى وصف لذة القسوة المركبة فى بعض الطبائع :

يهش للمرء تعريه أظــافره ... كما تهش سباع الطير للجيف
إذا نجا من يديه غير منعقر ... أفنى أنامله عضاً من الأسف

وقوله :

يصل الذليل إلى العزيز بكيده ... والشمس تُظلِمُ من دخان الموقد

وقوله فى أثر الأفذاذ فى حياة الناس وتاريخهم :

ولولا نفوس فى الأقل عزيزة ... لَغَطَّى جميع العالمين خمول

وقوله :

رب نعيم زال ريعــــانه ... بلسعة من عقرب الحاسد

وقوله :

كفى بقومٍ هجاء أن مادحهم ... يهدى الثناء إلى أعراضهم فَرَقاً

وكل هذه نظرات صائبة فى النفس ، وله أشياء كثيرة من أمثالها ، ولا غرابة أن تكون للشاعر الوجدانى نظرات صائبة فى النفوس . وله أيضاً وصف بديع كما قال فى وصف الفرس :

إذا تَوَجَّسَ كان القلب ناظرَهُ ... والقلب ينظر ما لا ينظر البصر

وقال فى وصف تردد الجميل فى النعيم وتشبيهه بتردد القُرْط الجميل فى اهتزازه على جانب الوجه الجميل بعد تشبيه تردد الحبيب فى النعيم بتردد النسيم ولعبه بالأغصان :

ينأى ويدنو على خضراء مورقة ... لعب النُّعامَى بأوراق وأغصان (١)
كالقُرْطِ عُلِّقَ فى ذِفْرَى مُبَتَّلَةٍ ... بين العقائل قُرْطَاهَا قليقان

وهذا الوصف إذا تُؤُمِّلَ وجد وصفاً مطرباً (٢)

عبد الرحمن شكرى

(١) النعامى بالياء ريح بليلة
(٢) ضاق المقال عن الكلام فى النغمة الموسيقية فى شعر الشريف وسنتكلم عنها فى مقال عن تلميذه مهيار الديلمى ونشير إلى مقدرتهما فى الوصف
تنبيه : فى المقال السابق حرف بيت للشريف وصحته : (فانك أحلى فى جفونى من الكرى) ومتأمل بفتح الميم المشددة الثانية لا بكسرها

أغرب ما رأيت في حياتي

للدكتور زكي مبارك

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

كيف أقطع مرتب مرجريت ؟

وكيف أدخل البؤس إلى صدر موريس ؟

كيف ؟ كيف ؟

المسألة فى ذاتها هينة ، ولكنها مع ذلك بدت لى فى غاية من التعقيد ، لأن اتصالى بمرجريت كان أثار حول اسمى شبهات أذاعها فريق من أهل الفضول فى باريس ، وأظن — وبعض الظن إثم وبعضه غير إثم — أن ابنة صاحب البيت الذى كنت أقيم فيه كان لها دخلٌ فى إذاعة الشبهات التى آلمتنى فى باريس

كان ناس من المصريين يسألون عنى من حين إلى حين فكانت تلك البنت تلقاهم بابتسامة خبيثة ، ثم تقول : المسيو مبارك رجل لطيف ، فهو لا يُلزم الخدم بترتيب غرفته غير مرة أو مرتين فى الأسبوع !

ومعنى ذلك أنى أبيت ليالى كثيرة فى مكان مجهول

وكان لى مع هذه البنت تاريخ جميل يغريها بأن تُلقى علىّ حقودها حين أغيب

وكان المصريون فى باريس يتعتبون ويتلومون كلما رأونى ، ويحبون أن يعرفوا أين أقضى أوقات الفراغ

وكانت حجتى حاضرة ، ولكنها لم تكن تُقنع إلا من يريد أن يقتنع . كنت أقول إنى تركت فى مصر خمسة عشر مليوناً وما يهمنى أن أراهم مرة ثانية فى باريس

والواقع أنى أحسنت كل الإحسان فى هذا المسلك ، فلم يكن لى أىّ نفع من تزجيــة أوقات الفراغ مع المصريين المقيمين فى باريس ، فأكثر كلامنا حين كنا نلتقى لم يكن إلا ثرثرة سخيفة باللغة العربية حول السياسة المصرية ، وربما كنت المصرى الوحيد الذى عاش فى باريس ولم يعرف مكان السفارة المصرية فى باريس

والواقع أيضاً أن صلتى بمرجريت لم يعرفها أحد قبل اليوم غير شخص واحد هو الدكتور أمين بقطر الذى كلفتُه فى إحدى السنين أن يمر على مرجريت ليحدثها عن أشياء لا يمكن أن تكتب فى خطاب ، ومع خطورة هذه المهمة فرّط الدكتور بقطر فى زيارة مرجريت ...

وهكذا يكون الإخوان فى هذا الزمان !

والحاصل — كما يعبر أهل بغداد — أنى كنت أحب أن أتخلص بصفة نهائية من مرجريت ، لأنى كنت أخشى أن أفتضح فى الأندية المصرية ، وتحقّ علىّ لعنة خصومى ، الخصوم الذين كانوا يعرفون كيف يلطخون سمعتى بالسواد بلا تعفف ولا استحياء

كان يجب أن أقطع صلتى بمرجريت ، وهل بقيت بيننا صلة غير مئات الفرنكات التى أجود بها فى كل شهر لأنقذ موريس من الجهل ومن الجوع ؟

كان هذا المرتب ثقيلاً جداً ، وكان إرساله يضيع علىّ فى كل شهر يوماً أو بعض يوم ، وقد اضطرنى مرة إلى أن أصرخ بالفرنسية ! Je m'ennuie

وكنت فى كل مرة أتعرض لمكاره كثيرة من التحليلات النفسية ، كنت أقول إن لى قرابات كثيرة تعانى الضر والبؤس . وهى أولى بكرمى إن كنت من الكرماء

وكنت أقول إن مرجريت آوتْ روحى وقلبى خمسة عشر شهراً ، وأمكنتنى من أن أصير أباً كريماً لطفل جميل

وكنت أقول إن لمرجريت فضلاً عظيماً فى مرونة لسانى باللغة الفرنسية ، المرونة التى أمكنتنى من أن أحاور هيئة الامتحان فى مدرسة اللغات الشرقية خمس ساعات ، والتى أمكنتنى من أن أصاول هيئة الامتحان بالسوربون ثلاث ساعات ، وذلك مغنمٌ ليس بالقليل

كنت أقول إن مرجريت هى التى عرّفتنى بدقائق الحياة فى باريس

كنت أقول إنى لم أحسن الأكل بالشوكة والسكين إلا بفضل مرجريت

كنت أقول إن مرجريت بكت مرة وأبكتنى يوم زرنا معاً مصانع ستروين ، حين وقفنا ننظر إلى فتاة تطرق الحديد وهىَ أرق من الزهر وأكثر إشراقاً من الصباح

قالت مرجريت : ما رأيك يا محبوبى فى هذه الفتاة ؟

فتلعثمت

فقالت : قل الحق ، ماذا تدفع من الأموال لحديث ليلة مع هذه الحسناء التي تطرق الحديد ؟

فقلت : وهل هي أجمل من مرجريت ؟

فقالت : دع هذا الأدب المصقول وأجبني

فقلت : أقدم حياتي ثمناً للسمر ليلة مع هذه الفتاة

فقالت : وهل تعرف كيف زهدت هذه الفتاة في فتنة باريس لتلهو بطرق الحديد ؟

فقلت : أحب أن أعرف

فقالت : هذه فتاة تستعد لتكون ربة بيت ، فهي تطرق الحديد لتجمع من الأموال ما يمكنها من أن تكون زوجةً لرجل شريف مثل المسيو مبارك

ثم استغرقتْ في البكاء والنشيج

بكيتُ يومئذ لبكاء مرجريت بكيتُ بكاء لو شهدته الملائكة لأضافت اسمي إلى أسماء الشهداء والصدِّيقين

وفي تلك اللحظة جذبتُ يد مرجريت بعنف وقلت : لن نفترق يا مرجريت

فقالت : وكيف ؟

فقلت : سأنقلك إلى مصر ، إن كان لي إلى مصر مَعاد

فقالت : وماذا أصنع في مصر ؟ هل تراني أصلحُ لمعاونة مَدام مبارك على ترقيع الجوارب ؟

فقلت : إن مَدام مبارك لا ترِّقع الجوارب

فقالت : كيف تقول هذا وأنت أبخل من اليهود ؟!

وضحكنا ضحكاً صنع بالدموع ما تصنع الشمس بآثار الغيث

* * *

ذكريات مرجريت كلها لطيفة ، ولكن يظهر حقاً أن فيّ شيئاً من أخلاق اليهود ، لأني عانيت في حياتي ما يعاني اليهود ، وهل يبخل اليهود بالطبع ولهم جدٌّ اسمه السموأل ؟

إنما يبخل اليهود بسبب الاضطهاد ، وأنا أبخل بسبب الاضطهاد

كان أجدادي من أغنى أهل المنوفية فحملتهم النخوة العربية على التبذير والإسراف إلى أن صافحوا الإفلاس

فأنا أجمع القرش إلى القرش لأصير من الأغنياء

وهل يتفق هذا مع الإنفاق على امرأة جميلة في باريس ؟

يجب أن أقطع مرتب مرجريت

ولكن كيف ؟

أحب أن أعرف كيف أتخلص من مرجريت

* * *

كانت مرجريت تكتب إليّ في كل أسبوع خطابين ، وكانت تخاطبني بالكاف ، وكنت أبخل عليها بالمخاطبة بالكاف ، لأني كنت أخشى أن يكون في المخاطبة بالكاف ما يشهد بأني كنت مع تلك المرأة على صلات غرامية(1)

وكانت مرجريت تتألم من ألا أخاطبها بالكاف وتقول : إن بخلك عليّ بالمخاطبة بالكاف يوجب أن أخفي رسائلك عن موريس ، وهي كل ما في حياة هذا الطفل المسكين من عزاء .

حرسك الله يا موريس وبارك في حياتك الغالية !

وكانت مرجريت تتحدث في رسائلها عن أشياء دقيقة لا تذكر إلا في رسائل العشاق

وكنت أتغافل عن تلك الأشياء حين أكتب الجواب

وكان هذا يؤذيها أبلغ إيذاء ، فكانت تتهمني بالقسوة والعنف

والله وحده يعلم كيف كنت أسيء الأدب في مراسلة مرجريت ، فأنا أعيش في القاهرة وهي تعيش في باريس ، أنا أحترس تخوفاً من بطش خصومي ، وهي تترسل بلا تخوف لأنها تعيش بين قوم يرون صيانة الحب من الشرائع

وهل تعلم مرجريت أن محبوبها الغالي يحيا في القاهرة بلا ناصر ولا معين ؟

هل تعلم مرجريت أن محبوبها يشتغل بالتدريس وهو عمل تكدره الشبهات ؟

هل تعلم مرجريت أني لا أصلح أبداً لما صلح له فيكتور كوزان الذي كان أعظم أستاذ للفلسفة في باريس ولم يكن له زوجة وإنما كانت له خليلة تحرسه وترعاه ؟

إن مرجريت لا تفهم أني مصريٌّ يعيش في مدينة لها تقاليد غير تقاليد باريس

يجب أن أقطع مرتب مرجريت وأن أتخلص من مرجريت

* * *

وفي أثناء تلك الأزمة النفسية وقع حادث عجيب لم يهتزّ

---

(1) المخاطبة بالكاف تعبير عربي أصيل وهو يماثل الـ Tutoiement في الفرنسية

له فى القاهرة قلب غير قلبى ، وقع حادثٌ لا يصدقه أحدٌ فى الشرق ولكنه زعزع كيانى

وقع حادث لم يعلق عليه كاتب مثل المازنى أو العقاد أو الزيات ، ولم يلتفت إليه مصطفى عبد الرازق ولا منصور فهمى ولا طه حسين ولكنه زلزل قدمى وهدَّ بنيانى

وهل يقع فى الدنيا حادث أغرب وأعجب من أن يجيء المسيو ميللران رئيس الجمهورية الفرنسية الأسبق ليطالب فى المحكمة المختلطة بالقاهرة عن حق إحدى الغوانى بالميراث فى تركة أحد الأمراء ؟

قد أنسى كل شىء ، ولكنى لا أنسى أنى اعتذرت عن دروسى بالجامعة المصرية لأشهد دفاع المسيو ميللران

وماذا قال المسيو ميللران فى ذلك اليوم ؟

قال إن موكلته امرأة شريفة

وما كاد ينطق بهذه الكلمة حتى صُعِقتُ ، فقد فهمتُ أن المرأة من حقها أن تحب ، وقد أحبتنى مرجريت فمن حقها أن تطالبنى بالنفقة الشرعية حين تشاء

وماذا أملك حتى تطالبنى مرجريت ؟

أملك سمعتى ، وهى كل شىء ، وبفضل تلك السمعة أتسامى لنصب الأستاذية فى الجامعة المصرية

وقد آن أن أعترف بالخطر الذى كان يهددنى فى جميع أطوار حياتى ، فأنا رجل من كبار العلماء ، وستمرّ أجيال وأجيال قبل أن يوجد لى فى البحث والاطلاع شبيه أو مثيل(1) ولكنى وا أسفاه مولعٌ بدرس سرائر النفس الإنسانية . وأغرانى بذلك أنى كنت أول دكتور فى الفلسفة من الجامعة المصرية ، وهذا المعنى هو الذى حملنى على الصراحة فيما أسجّل وأقيّد من الأفكار والمعانى ، وأغلب الظن أنى سأكون أشرف ضحية للدراسات الفلسفية ، ولا يغرينى إلا شىء واحد هو الشعور بأنى أنقذ الأدب العربى من كابوس الرياء والنفاق ، ولكن الأدب العربى يحيا لأموت

والحاصل — مرةً ثانية — أنى عرفتُ وتيقنتُ أنى لا أملك قطع مرتب مرجريت

وهل أستطيع الوقوف بالمحكمة المختلطة بالقاهرة أمام محام ذلق اللسان يطالبنى بحقوق مرجريت ؟

وما هو مبلغ السبعمائة فرنك حتى أهرب من وجه مرجريت ؟

إن أصغر مبلغ أتقاضاه على المقالة الواحدة لا يقل عن جنيهين ، فما الذى يمنع من أن أنفق على مرجريت مما أتقاضاه من مقالاتى فى مثل مجلة الرسالة أو مجلة الهلال ؟

وما الذى يمنع من أن أنقذ سمعتى بمبلغ ضئيل هو مئات من الفرنكات ؟

ولى مع ذلك تعزية صغيرة هى شعور موريس بأن له أباً هو المسيو مبارك الذى استأنف سياحاته فى مصر والشام والعراق

ولى تعزية ثانية هى رسائل مرجريت التى تحدثنى عن غرائب الأشياء فى باريس

ولى تعزية ثالثة هى الشعور بأن لى غرفة فى باريس أدخلها على غير موعد حين أشاء

ولكنى مع الأسف الموجع كنت أشعر بأنى قد نزلت إلى أسفل دركات الانحطاط ، لأنى كنت أقدم المرتب إلى مرجريت بفضل الخوف لا بفضل الوفاء

وفى صيف سنة ١٩٣٧ كانت لى فرصة لزيارة باريس بمناسبة المعرض ، وكانت مرجريت تلح فى أن أزور ذلك المعرض لأراها وترانى ، وقد شجعنى سعادة الأستاذ محمد العشماوى بك على زيارة المعرض لأكتب عنه مقالة أو مقالتين ، ولكنى رفضت

رفضتُ فراراً من مرجريت

فماذا صنعت مرجريت ؟

ماذا صنعتْ مرجريت ؟

كتبت خطاباً تقول فيه :

« عزيزى مبارك

يسرنى أن أخبرك أن موريس نال إجازة الدراسة الثانوية وقد وجد عملاً بمكتبة ... بمرتب قدره ثمانمائة فرنك . وبعد أيام سأقف مع المسيو... بكنيسة المادلين لأداء مراسيم الزواج . فأرجوك أن تبقى المبلغ الذى تتفضل به شهرياً ، فقد ينفعك فى تربية أبنائك ، ويهمنى أن تعرف أنك أشرف رجل عرفته فى حياتى ، وأن تثق بأن خطيبى لا يغار منك ، فقد صارحته بكل شىء ، وهو فى غاية الدهشة من أدبك العالى ، وكل ما نرجوه أن ترسل عبد المجيد لنتولى تثقيفه فى باريس »

صديقتك العزيزة جداً

مرجريت

حاشية :

« أنا أقرأ خطاباتك مع زوجى . فهل تقرأ خطاباتى مع زوجتك ؟ »

(١) مع الاعتذار لقراء الرسالة عن هذا الاسراف الذى علله الأستاذ الزيات أحسن تعليل

من رحلة الحجاز

حديث الحج
فى المدينة المنورة
للدكتور عبد الوهاب عزام

فصلنا من جُدَّة مغرب الثلاثاء خامس عشر ذى الحجة ، متوجهين تلقاء المدينة ، وهى مسافة تقطعها قوافل الإبل فى ١٤ يوماً . وبعد مسير سبع ساعات فى طريق سهلة على مقربة من البحر بلغنا رابغا . وهى قرية ذات نخل على مسير ساعة من البحر للراجل ، تجتمع فيها طرق بين جدة ومكة والمدينة ، وإذا حاذاها الحجاج القادمون من الشمال فى البحر الأحمر أحرموا للحج ، وليست هى ميقات للاحرام ولكن الميقات الجحفة على عشرة أميال إلى الجنوب منها

واستأنفنا السير ضحى الخميس آملين أن نبلغ طيبة عشية اليوم ولكن الرمال عوّقت بعض السيارات فبتنا فى أبيار بن حصان . ثم غدونا سائرين ونزلنا بالسيجيد بعد ثلاث ساعات . واستأنفنا السير حتى العصر فلاح لنا النخل أخضر يانعاً يبشر باقتراب الغاية؛ ونزلنا آبار على وهى ذو الحليفة ميقات أهل المدينه . ومنه أحرم النبى صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع . ثم سرنا فلاحت لنا بعد قليل المدينة المنورة تتوجها القبة الخضراء ، كأنما تباهى على صفرها السماء ... أهذه نضرة الإيمان فى هذه البقعة ، أم ازدهار الآمال فى هذه الساحة ؛ أم كما قال عا كف بك : واحة نزلت من السماء لتأوى إليها الأرواح المتحرقة فى البيداء ؟

ودخلنا المدينة من الباب الشامىّ حيث محطة سكة الحديد الحجازية . وحططنا رحالنا فى المدرسة السعودية وقد أعدّت لنزولنا . ثم سارعنا نتأهب للموقف الجليل ، للساعة التى تعرج فيها الروح من الأرض إلى السماء . ذلكم المسجد النبوى فى بهجة النور والإيمان ، يدوّى بالمصلين والداعين والقارئين ؛ ولكن الواقف إزاء الحجرة النبوية لا يرى من هذا الجمع أحداً ولا يحس من هذا الدوىّ همساً . لا يرى إلا هذا الجلال ولا يسمع إلا هذا الوحى . وإنما هى وقفة يمّحى فيها الزمان والمكان فيتصل الأزل بالأبد والسماء بالأرض

يا لك بقعة صغيرة لا يدرك العقل مداها ، ولا يبلغ الفكر منتهاها ! يا لك حجرة يظل الفكر مسافراً فى أرجائها ، محلّقاً فى أجوائها ، فيتطوّف فى أرجاء التاريخ ، ويحلق فى أقطار السماء والأرض ؛ وكأنما طوى الزمان ، وزُويت الأرض ، واجتمعت الإنسانية ، وحشر البرّ والحق وكل خلق طيب فى هذا الضريح . يا لك بقعة كالكوكب المضىء تناله الأعين فى لمحة وتحيط أشعته بالعوالم العظيمة ! يا لك بقعة كمنبع النهر العظيم ، متدفق بالحياة فياض بالبركة مدّاد بالخير يحيى الأجيال بعد الأجيال

يا حيرة الوصف ، وعجمة البيان ! أهى عنوان كتاب انطوى على الحق والصدق ، والخير والبر ، والإحسان والمرحمة ، يقرؤه القارئ جملة ثم لا يزال تروعه منه الصفحة بعد الصفحة ؟ أم هى تاريخ لا يزال الدهر يكتب صفحاته وإنما أوله وحى الله وآخره غيب الله ؟

أترى هؤلاء المصلين لا يفترون ، وهؤلاء المرتلين القرآن لا يصمتون ، وهؤلاء الداعين لا ينقطعون ، أتسمع هذا الآذان وهذا السلام وما يحدث به المسلم أخاه ، وما يفضى به فى علانيته ونجواه ؟ ليس فيما ترى إلا أناسىّ هداهم محمد، وأفعال علّمها محمد،

آمنت بالله والحب !

لقد أنقذتنى مرجريت من العذاب الأليم

وفرتُ سبعمائة فرنك قبل رحيلى إلى العراق ، وفرتُها وأنا لئيمٌ بخيل

وفرتُ سبعمائة فرنك لأحرم نفسى وقلبى من أبوّة موريس

وفرت سبعمائة فرنك لأرجع إنساناً سخيفاً لا يعرف الهيام بأودية المعانى

مرجريت ! مرجريت !

أذكرينى بالشعر يوم أموت

هل الله عاف عن ذنوبٍ تسلّفتْ أم الله إن لم يعفُ عنها يعيدها

« مصر الجديدة » زكى مبارك

وكلمات أملاها محمد ، بل كل صوت يرتفع إلى الله فى أقطار الإسلام ، وكل عبارة فى وضح النهار أو جنح الظلام ، وكل لسان يدعو إلى الخير وكل يد تمتد بالبر ، وكل كلمة حق ودعوة صدق ، وكل نية محمودة وسعى مشكور، فهنا منبعه، ومن هذه البقعة وحيه؛ بل كل نزعة فى المسلمين إلى سؤدد ، وكل طموح إلى علاء ، وكل سلطان فيهم قائم بالحق ، وكل شرع نافذ بالعدل ، وكل دعوة إلى حرية وثورة على ظلم، وانتصار للحق ، وتمرد على الباطل — كل أولئك شعاع من هذا النور ، أو قطرة من هذا الينبوع

ولست تتمثل هنا مجداً ولا سلطاناً ولا سؤدداً ولا علواً إلا تمثلته تواضعاً للحق ، وبراً بالخلق ، ورأيته سؤدد المساكين وسلطان المستضعفين . السلطان الذى يجمع الناس على شريعة من العدل والمرحمة والمودة والسلام

موقف يتضاءل فى جلاله كل جلال ، ويصفو فى جماله كل جمال . لمحات تطهر فيها النفس من أرجاسها ، وتبرأ من أهوائها ، وتسمو على شهواتها ، وتخلص من أغلالها ، فتستمد الخير والحق والعلاء والتقوى والحب والسلام وتسع السماء والأرض وكأنما تخلق خلقاً جديداً وتفتح فى أعمالها صفحات جديدة . خسر من لم يطهره هذا الموقف ، وخاب من لم ترفع نفسه هذه الساعة . هنا النفس المطهرة . هنا محمد بن عبد الله . هنا رسول الله . هنا خاتم النبيين . ثم هنا اثنان من صحبه وخلفائه : أبو بكر وعمر

* * *

المسجد النبوى فى شكله الحاضر بناه السلطان عبد المجيد العثمانى ، استغرقت عمارته ١٢ سنة بين سنة ١٢٦٥ وسنة ١٢٧٧ ولم تبق من الأبنية القديمة إلا قليلاً؛ وهو جميل المنظر حسن الهندسة فى سقفه قباب صغيرة منيرة مزينة تحملها عمد متقاربة صبغت لوناً أحمر وزينت بالتذهيب

كان المسجد حين بناه الرسول سبعين ذراعا فى ستين وجدرانه من اللبن وسقفه من الجريد وعمده جذوع النخل ، ثم وسعه الرسول فجعله مائة ذراع فى مثلها ثم توالى التوسيع والتعمير فى أيام الخلفاء الراشدين فمن بعدهم حتى انتهى إلى شكله الحاضر . ولكن حدود المسجد القديمة معلمة بالعمد كما حددت الروضة النبوية بين القبر والمنبر .

ولا ينظر الإنسان نظرة فى هذا المسجد المبارك إلا وقعت على ذكرى كريمة من رسول الله وأصحابه . فهنالك سارية عائشة ، وسارية أبى لبابة الصحابى التى ربط نفسه بها ، وآلى ألا يبرح حتى يتوب الله عليه ، وخوخة أبى بكر .

وحول المسجد مواقع الدور التاريخية : دار أبى بكر ، ودار عثمان وغيرها

وفى المدينة مشاهد كثيرة عظيمة لا يتسع المقام لتعدادها . وحسبى أن أذكر ما شهدت فى يوم واحد يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من ذى الحجة: خرجنا إلى جبل أحد وهو شمالى المدينة قريب منها فمررنا بجبل سلع وسرنا حتى شهدنا مكان موقعة أحد ورأينا قبر حمزة أسد الله رابضا فى العراء وعلى مقربة منه جدار يحيط بمدفن شهداء أحد رضى الله عنهم .

وفى اليوم نفسه توجهنا شطر الجنوب إلى مسجد قباء وهو أول مسجد أسس فى الاسلام بناه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما هاجر من مكة فنزل فى قباء على مقربة من المدينة فى بنى عمرو ابن عوف . وهو المسجد الذى ذكر فى القرآن : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا . والله يحب المتطهرين » والمسجد كما يرى اليوم حسن المنظر عالى الجدران تتجلى فيه البساطة والنظافة وقد توالى عليه التعمير حتى انتهى إلى بنائه الحاضر . وفى صحن المسجد مكان يقال إنه مبرك ناقة الرسول صلوات الله عليه ، وقد قرأت عليه بيتين باللغة التركية

وعلى مقربة من المسجد بئر أريس . وهى بئر عميقة ماؤها عذب غزير صاف وهى التى سقط فيها خاتم النبى من يد عثمان بن عفان أيام خلافته . ويستخرج الماء منها ومن آبار المدينة كلها بالسوانى . ترى بكرات على البئر معلقة بها غروب كبيرة وتجر حبالها الدواب من الإبل أو البقر أو الحمير. وقد تجتمع الثلاثة معاً، تسير الدابة نحو البئر فيتدلى الغرب [1] حتى يمتلىء ثم ترجع البئر حتى يرتفع الغرب . فإذا علا الحوض جذبته الحبال فينصب ماؤه فى الحوض ، فتسير الدابة أو السانية فى طريق مستقيمة ذهاباً وجيئة

* * *

(١) الغروب جمع غرب وهى آله

والمدينة جيدة الهواء فى الصيف معتدلة فى الشتاء ، وأرضها خصبة وآبارها غزيرة وبساتينها كثيرة ، وفيها النخل والكرم والرمان والبرتقال والخوخ والموز والبطيخ وفواكه أخرى . وثمرها جيد جداً وأصنافه لا تعد

ولكن الأرض فى وقتنا هذا ليست مستغلة كل الاستغلال ، ولا تفى بحاجات أهلها ، ويعيش كثير منهم على التجارة ، ويعوِّل فقراؤهم على جدوى المسلمين

ويظهر على دور المدينة وساحاتها الفقر . وفى ذمة المسلمين أن يبروا جيران رسول الله وأن يعمروا دار رسول الله . عليهم أن يغدقوا الخيرات ، ويمدوا أيديهم للأعمال الدائمة المنظمة من بناء المستشفيات والملاجئ والمصانع والمدارس . وظنى أنه إذا استثمرت أموال المسلمين فى أرض المدينة وغلاتها ، زادت خيراتها أضعافاً مضاعفة ووفت بحاجات سكانها أو كادت .

***

إن الحرم المدنى والمدينة كلها أهلها ودورها ومساجدها وطرقها وساحاتها ، كل أولئك يدعو المسلمين إلى التعاون على الخير والاجتماع على العمل الصالح الذى يجعل طيبة بلداً معموراً آهلاً ، منسَّق الدور والطرق ، ميسَّر الطعام والشراب ، موفور وسائل الصحة والعمل الصالح الذي يجعلها مباءة علم يؤمها بعض الطلاب من أرجاء الأقطار الإسلامية لتؤلف بينهم الثقافة الإسلامية المشتركة ، أو تحفزهم إلى خير الإسلام والمسلمين الآراء المتداولة ، ويدرسوا تاريخ الإسلام فى مواقعه . وليت المدينة تصير مقصد المسلمين من أقطار الأرض يفرون إليها فى الحين بعد الحين ليجدوا سلام أنفسهم وطمأنينة قلوبهم وصحة أبدانهم ، فيذهب إليها أغنياؤهم وأمراؤهم كلما ملكوا الفرصة للاستراحة قليلاً من ضوضاء الحياة ومفاسدها

لن يبر المسلمون دينهم ورسولهم وأنفسهم حتى تسخو أيديهم بالمال وتجتمع عقولهم وأعمالهم على الإصلاح . والله يهيئ لهم من أمرهم رشداً ويهديهم للتى هى أقوم

عبد الوهاب عزام

قلت لنفسى ...

حضر الأصمعى يوماً مجلس الفضل بن الربيع وقبالته فرس مطهم . فقال الوزير لصاحب كتاب الخيل : قم يا أصمعى وأمسك كل عضو من أعضاء هذا الفرس وسمّه ، فإذا سميتها أخذته . فقام وأمسك بناصية الفرس وجعل يسميه عضواً عضواً وينشد ما قالت العرب فيه إلى أن فرغ منه فأعطاه إياه . فهى يا نفس أن الجود والرق لم يُرفعا من الأرض ، وأنى دخلت يوماً على أمير من الأمراء البهاليل وبين يديه جارية من الغيد الحسان ، ترفل فى دِمَقس شِيكوريل وسمعان ، وقال لى هذا الأمير الأديب : إذا سميت ما على هذه الجارية من اللباس ، ووصفت ما فى هذه الدار من الأثاث ، نزلت لك عن الجارية والدار ، وزدتك عليهما ألف دينار ! فماذا ترينني يا نفس فاعلاً ، وأنا الذى لا تعزب عنه مادة فى اللغة ، ولا قاعدة فى النحو ، ولا نكتة فى البلاغة ؟ ماذا أسمى هذا المائل على الفَوْد الأيسر ، أو هذا المائل على الجبين الأزهر ؟ وماذا أقول فى هذا المزرَّر على الصدر المشرق ، وهذا المُدار تحت الثدى الناتئ ، وهذا المرسل على الكشح الهضيم ، وهذا المفصَّل على القدم اللطيفة ؟ أنا لا أعرف من غطاء الرأس إلا القناع والخمار ، ولا من لباس الجسم غير الملاءة والإزار ، ولا من وقاء الرجل غير الحذاء والنعل ! فهل تنطبق هذه الأسماء ، على هذه الأشياء . أم تكون دلالتها عليها كدلالة الأثاث والرياش على كل (موبليات) البيت ، والورد والريحان على جميع أزهار الحديقة ، والجهل والعُجمة على كل أدوات السيارة ؟ !

لا جرم أنى سأعجز على أى حال ، وسأطلب من رفعت باشا الجارية والدار والمال !

ابن عبد الملك

في مطلع العام الجديد

بين يـــدى الله !

للأستاذ على الطنطاوى

الآن استهل العام الجديد

لقد أوشك فجره الأول أن يطلّ على الدنيا ، وأنا حانٍ على مكتبي — أفكر منذ ساعات فى أشياء لا أستطيع أن أصفها أو أعبر عنها أو أحصيها — والليل ساكن تتردد بين جوانحه أنفاس السحر وأنا أنظر من غرفتى إلى صحن المسجد (مسجد أبى حنيفة فى الأعظمية) فأراه مشرقاً بالنور ، مترعاً بالجلال ، ولكنه خال من الناس . وأنظر إلى صحن المدرسة (دار العلوم الشرعية) وحديقتها الخالية ، الحالية بأشجار الموز والنخل والورد والغرفة بينهما لها إلى كل من الصحنين باب ... أريد أن أكتب (مقالة العام الجديد) فلا تواتينى الأفكار ، ولاتتوارد علىّ الكلم ، وصدرى أغنى بالمعانى منه فى الأوقات كلها ، ولكن ازدحام المعانى على الفكر ، وتكاثر الصور فى الصدر ، يعيق المرء عن الكتابة كما تعيقه قلّتها ، كالذى يريد أن يملأ الكأس من (السبيل) إن كان جافاً أو نزراً قليلاً لم تمتلىء الكأس ؛ وإن كان الماء يهدر وينحدر بقوة ويتدفق من فم الأنبوب مندفعاً ، تطاير الماء إلى كل جانب ، ولكنه لا يستقر فى الكأس منه شئ — لأن كل قطرة تطرد أختها — كما تزيح كل فكرة فى رأسى الفكرة التى قبلها لتحلّ فى مكانها ...

***

ولقد طالما وقفت هذا الموقف، ففكرت فى الزمان وتفلسفت، وعدت إلى ماضىّ فحزنت ، وفكرت فى المستقبل فأيست ، ثم رأيت ذلك باطلاً كلّه ، كأنه باطل ! لا الماضى يعود ولا الحاضر يدوم ، ولا المستقبل يأتى . تفنى اللذاذات وتذهب الأحزان ، وتمرّ الأيام بنا فى طريق القبر حتى نبلغه ، فتكون خاتمة المطاف هذه الآلام التى نودّع بها الدنيا ، والتى تنسينا كل لذة ، وكل متعة استمتعنا بها ...

ويا ليت الموت هو النهاية !!

إن الموت بداية لذة لا آخر لها ، أو ألم ماله من نهاية ...

فأين نحن ؛ وفى أى وادٍ من أودية الضلال نتخبط ؟

اللهم إنى أتوجه إليك فى هذه الساعة لتصلنى بك ، وتدلنى على الطريق إليك ، حتى أعرفك فلقد عرفت أن كل شئ سواك باطل !

***

ما الحياة ، ما هذه الفترة القصيرة من الزمان السرمدى ؟ وما الزمان فى جنب الله الباقى ؟ وما الجمال الدنيوى ، وما الحب الأرضى ؟ وما العلم ؟ أليس العلم كلّه إدراك سطر واحد من سفر الوجود ؟ وكشف حفنة واحدة من رمال الصحراء ؟ فما أجهل العلم إذن بالوجود ! وما أحمق العلم حين يرفع رأسه ليتكلم فى الموجد وقد خرس عما أوجد ، ولينظر إلى الخالق الباقى ، وقد عمى عن المخلوقات الفانية !

وهل عرف العلم من نحن ؟ ومن أين جئنا ؟ وإلى أين نسير ؟

***

وفكرت فى نفسى ، وقديماً قال سقراط ، وكتبت مقولته على باب المعبد فى أثينا : « أيها الإنسان اعرف نفسك » وجاء فى الأثر : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وقال الله جلّ من قائل : « وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون ؟ » نظرت فى نفسى ، فإذا هى قد كانت قبل أن أكون أنا ، فلم أعرف أولها؛ وكل ما أعلم عنها أنى أفقت يوماً من النوم فوجدت طفلاً — أبصرته فى المرآة — فإذا أنا أحبه أكثر من أبى وأمى ، وإذا أنا لا أفارقه أبداً ، فسألت : من هذا ؟ فضحكوا وقالوا : هذا أنت ، هل أنت مجنون !

وكبر هذا الطفل ، أو هذا الذى سمّوه (أنا) ، ونظرت فإذا أنا لا أدرى من أين جاء ، فقلت لعلّى صنعته أنا وأنا لا أعلم ، ولكن هذا (الأنا) ليس كما أريد أن يكون ، لو صنعته أنا لجعلته أبرع جمالاً ، وأشد قوة ، وأحدّ ذكاء ، وأوسع عقلاً ؛ ثم إنه قد وجد قبل أن أكون أنا ، وقبل أن أعرفه ، وعاش مرحلة فى حياته فى بقعة لا أعلم شيئاً عنها ، ولا أصدق أنى كنت فيها ، أأنا عشت تسعة أشهر فى بطن أمى ؟ مستحيل !

فمن أين جاء إذن ؟ هل خلق من غير شىء ؟

ونظرت حولى أفتش عن هذا الخالق ، فرأيت ناساً مثلى ، وما هؤلاء بخالقين لأنهم يحتاجون إلى من يخلقهم ، وحالهم كحالى ، ورأيت جبالاً وبحاراً وكواكب ، ولكن ذلك كله جامد لا حياة فيه . فهل يمنحنى الحياة وهو لا يملكها ؟ هذه هى الطبيعة فهل تخلق الطبيعة شيئاً ؟ ثم إن معنى (الطبيعة) — كما تعلمت بعد — أنها (مطبوعة) فأين الطابع ؟

فتشت عنه فإذا الإيمان به فى أعماق نفسى ، لا أدرى من أين دخل إليها ، ولعله من وضع الخالق الذى وضع السمع والبصر فى الوجه ، والقلب فى الصدر ، والعقل فى الرأس ؟ ووجدتنى أعود فى ساعات الشدة إلى الخالق — الذى يَرى ولا يُرى — أرجوه وأخافه ، وأسأله وأعوذ به ، ووجدتنى أعتقد أنه لا يشبه شيئاً مما أرى ، ولا يحدّه مكان ولا زمان ، لأن الزمان والمكان مخلوقات هو خالقها ، وأنه قديم باق متصف بكل كمال مطلق ، منزه عن النقائص كلها

فآمنت به إيماناً لا يزعزعه (بحمد الله) شك !

* * *

ولكنى لبثت أسأل نفسى :

لماذا خلقت ؟ وهل الحياة (تكليف) علىّ أن أحمله ، أو أن لى الحق بالتخلى عنها وطرحها ؟ فقالت النفس : بل عليك أن تحملها . إنك لست مالك نفسك ولا أنت موجدها ، وإنما هى وديعة فى يدك ، يكافئك صاحبها إن استعملتها فى الذى خلقها له ، ويعاقبك إن اتخذتها وسيلة إلى لذتك ، وأطعت فيها هواك ، وحدت بها عن سبيلها

قلت : فما هى الغاية من الحياة ، أهى الأكل والشرب واللذة؟

قالت النفس : كلا . هذه أسباب الحياة بها تقوم وتبقى ، وليست هى الغاية منها

قلت : أنخدمة الناس ونفع البشر ، وأن أتخذ فيهم حسناً ، وأبقى فيهم ذكراً ، هى غاية الحياة ؟

قالت : كلا . إن الناس لا يمكن أن يحيوا للناس ، وما خدمة البشر إلا عرضٌ من أعراض الحياة وليست بجوهرها . إن المسافر يحرص على راحته فى سفره ، فيتخذ خير المركبات ، ويبتغى أطايب الزاد ، ويصحب خير الرفاق ، ولكن للمسافر وراء ذلك كله غاية من سفره ، والحياة سفر فإلى أين المسير ؟

قلت : لا أدرى !

قالت : أعوذ بالله ! وهل يتميز الإنسان عن الحيوان إلا بأنه يدرك غاية الحياة ؟ أما من يأكل كما تأكل الأنعام ، ويشرب كما تشرب ، ويلد كما تلد ، فهو مثلها أو أضل منها سبيلاً ، وإن عاش فى باريز أو نيويورك !

قلت : تخبرنى أنت ما هى الغاية ؟

قالت : لو سألت الجنين فى بطن أمه وكان قادراً على الفهم والإجابة : ما هى دنياك ، وما هى حياتك ، وما غاية الحياة ، لقال لك إن دنياه هذه الأحشاء الضيقة ، وهذه الظلمة المستمرة ، وإن حياته هذه الجلسة المتعبة ، وهذا السكون الدائم ، وإن غايته .... ليس يدرى ما غايته !

ولو أفهمت هذا الجنين أن هنا دنيا واسعة ، فيها شمس وقمر ، وفضاء رحب ، وبحر وسماء ، وأن غايته أن يبلغها ، وأنه سيعرفها ويراها حقاً ...

لو أفهمته هذا لكذبك وأعرض عنك ، لأنه لا يستطيع أن يتخيل إلا ما هو فيه ، ولا يقدر أن يتصور ماذا يكون البحر والشمس والقمر ؟

فإذا جاء إلى الدنيا وصار رجلاً ، نسى حياته الأولى وكذب بها وقال : إن هى إلا دنيا فيها نموت ونحيا ... فإذا خبره الرسل أن هناك حياة أخرى : حياة ثالثة ، وأنها هى دار البقاء ، وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأن غايته بلوغ تلك الحياة فى طاعة الله وعبادته ...

إذا خبر بهذا كذب به كما كذب ذلك الجنين ...

أفتكذب أنت بذلك ؟

قلت : لا

قالت : « فتلك إذن غاية الحياة » أن تتصل بالله وتعبده ، وإن تعد نفسك لحياة الخلود

* * *

وعادت النفس تقول :

أن غاية الحياة تتحقق كلها فى الصلاة . فالصلاة اتصال بالله ، واستعداد لحياة الخلود . ثم إنها لذة لا تعدلها إذا أقيمت على وجهها لذة من لذائذ الدنيا ، ولذلك عدّها النبى صلى الله عليه وسلم حين عدد اللذائذ : الطيب والنساء والصلاة ، ليدل الناس على أنها

من جنسها ، وأنها راحة للنفس ومتعة ، وليست تكليفاً شاقاً ، ولا (مهمة) صعبة ، وليست الصلاة ركوعاً وسجوداً ، ورياضة فان ذلك جسمها ، والجسم لا يقوم إلا بالروح ، فاذا خلت منها الصلاة كانت صلاة ميتة ، لا تنهى عن فحشاء ولا منكر ، ولا تشعر بلذة . أما روح الصلاة فهى أنك إذا طهرت أعضاءك بالماء ، طهرت نفسك بالتوبة ، وذلك هو الوضوء الحق ؛ وإذا قمت إلى الصلاة وقلت : الله أكبر ، خرجت من دنياك ، وارتفعت عنها كمن يرتفع فى طيارة ، حتى تراها — كما هى فى الحقيقة — ذرة صغيرة تافهة ... ولم تخش عدواً ، ولا شغلك حب حبيب ولا ملأ نفسك هم ولا غم ، ولا لذة ولا متعة ، لأنك تتوجه إلى الله ، والله أكبر من ذلك كله ، وبيده كل شىء ، فأنت كمن يتصل بالوزير أو الحاكم المطلق ، (ولله المثل الأعلى) فهل يفكر بين يديه بحاجة له عند موظف صغير ، ويشتغل بذلك عن حديث الحاكم أو الوزير ؟

فالصلاة تحقيق لغاية الحياة ، وحياة لحظات فى (الحياة الأخرى) ، ولكن هى اللذة التى لا يقدر لغات البشر على وصفها ، ولكن الناس يرون منها بروقاً خاطفة فى ساعة من ساعات السحر ، ولحظة من لحظات العبادة ، أو ... أو سكرة من سكرات الحب ، أو عند ما يسمعون نغمة ، أو يقرءون شعراً . هذه اللحظات هى التى تدلنا على ذلك العالم . هى أشعة ضئيلة من ذلك النور الباهر ، تذيق النفس حلاوة الآخرة فى الدنيا لتسعى لها ، وترغب فيها .

قابل بين هذه اللذائذ الروحية وبين اللذاذات المادية ... الطعام والشراب ... إنك لتشبع فتصير لذة الطعام فى نظرك صفراً ، والنساء ... إنك لتتصل بهن حتى تأتى عليك ساعات ، ولهن أبغض إليك من كل شىء . على أن هـذه الصلة لا تروى غليلاً ، ولا تشبع للنفس جوعاً . إن المحبّ ليحس وهو يعانق من يحب ويشد عليها بذراعيه أن بينه وبينها بعد المشرقين ، وأنه ليس فى الدنيا صلة مادية تطفئ غليل المحب . فيابؤس من قنع بالحياة المادية ، وحرم من لذائذ الروح !

ويا ويح من يكفر بما وراء المادة ، وما بعد الحس ، يا ويحه ! أليس فى أثناء نفسه ذكرى ؟ أما فيها أمل ؟ أليس بين جنبيه روح ؟ فكيف ينكر روحه وأمله وذكراه ؟ أيجحد ما دليله فى نفسه (أفلا تبصرون ؟)

وكان الفجر يؤذن ، فخرجت إلى المسجد ، وللمسجد فى ساعة الفجر روعة وجلال وأثر فى النفس لا يدركه البيان . وللمسجد أبى حنيفة أوفر نصيب من ذلك ، وأشهد أنى لم أجد فى بغداد كلها مكاناً أحسّ فيه الاطمئنان وأشعر فيه بالخشوع والتجلى كهذا المسجد ، لا لمكان أبى حنيفة منه ، فان أبا حنيفة لا يضر ولا ينفع ، ولا يكون مؤمناً من يرى فيه ذلك ، أو يتخذ من قبره صنماً يعبده ويتمسح به ، ولكن الله قد خصّ هذا المسجد بهذه الروح لإخلاص أبى حنيفة الإمام الأعظم ، وعلمه وأثره فى الفقه الإسلامى ، وإجماع المسلمين على محبته وإجلاله !

هنالك عرفت الحقيقة الكبرى فى الحياة ، فلن أسأل بعد اليوم : لماذا خلقت ؟ ولن أعيش فى حيرة ، فيارب لا تنسنى هذه الحقيقة بترهات العيش ، وأحلام الأدب ، وضلالات العلم . إن هذه الحقيقة شمس ساطعة ، ولكن سحابة صغيرة قد تحجب الشمس عن عينى الضعيفتين . اللهم إنى قد فرغت (أو كدت) من شهوة الغنى ، وتلك الشهوة الأخرى ، فهب لى الخلاص من شهوة الأدب ، وحب الشهرة ، وغرور الفكر فان ذلك أشد على ...

اللهم لك الحمد ، وإليك المآب ، وأنت الحى الباقى ، فصلنا بك ، ودلنا على الطريق إليك !

بغداد (الأعظمية) **على الطنطاوى**

قصة الرافعى العاشق (*)

تعقيب

الأستاذ محمد سعيد العريان

... هذه قصة الرافعى وفلانة، كما رواها لى، وكما يعرفها كثير من خاصته . وإنى لأعلم أن كثيراً ممن يعرفونها ويعرفونه سيدهشون إذ يقرءون قصة هذا الحب ، وسيتناولونها بالريبة والشك ، وسيقول قائل ، وسيدعى مدع ، وسيحاول محاول أن يفلسف ويعلل ؛ ولا علىَّ من كل أولئك ما دمت أروى القصة التى أعرفها ، والتى كان لها فى حياة الرافعى الأدبية تأثير أىّ تأثير يُرَدُّ إليه أكثر أدبه من بعد. وحسبه أنه كان الوحى الذى استمد منه الرافعى فلسفة الحب والجمال فى كتبه الثلاثة : رسائل الأحزان، والسحاب الأحمر، وأوراق الورد . وحسبى أننى قدمت الوسيلة لمن يريد أن يدرس هذه الكتب الثلاثة على أسلوب من العلم جديد !

على أنى مسئول أن أبرئ نفسى أمام قدس الحق ؛ فأعترف هنا بأن ما رويت من هذه القصة كان مصدره الرافعى نفسه ؛ مما حدثنى به وحدّث أصحابه ، أو مما جاء فى رسائل أصحابه إليه ممن كانوا يعرفون قصته ؛ وما بى شك فيما روى من هذا الحديث ؛ فما جربت عليه الكذب ، ولا كان هناك ما يدعوه إلى الاختراع والتزيد كما يزعم من يزعم ؛ ولكنها حقيقة أثبتها للتاريخ ، لعل باحثاً مدققاً يوفق فى غد إلى إثبات ما أعجز اليوم عن التعليل له

على أن الرافعى قد أقرأنى رسالة أو رسالتين بخط (فلانة) إليه ؛ وهما وإن لم تدلا دلالة صريحة على حقيقة ما رويت من قصة هذا الحب، لا تنفيانها كذلك، بل لعلهما أقرب إلى الإثبات منهما إلى النفى ؛ والحذر طبيعة المرأة

ثم إن الرافعى لم يخصّنى وحدى برواية هذه الحادثة ؛ فإن عشرات من الأدباء فى مصر قد سمعوها منه ؛ ومنهم من يعرف (فلانة) معرفة الرأى والنظر ، ومنهم من كان يغشى مجلسها لا يتخلف عنه مرة ؛ ومنهم من كان الرافعى يقصد بالحديث إليه أن يكون بريداً بينهما ينقل إليها حديثه شفةً إلى شفة . وفى الناس بُرُدٌ إن لم تزِدْ على ما سمعتْ من حديث الحب لم تنقص منه شيئاً ! فلو أن الرافعى كان يتزيّد فيما روى لى ولأصحابى من حديث هذا الحب لخشى مغبّة أمره ؛ وإن (فلانة) يومئذ ذات جاه وسلطان !

وثمة برهان آخر لا يتناوله الشك ؛ هو رسالة من رسائلها نقلها الرافعى من كتاب من كتبها المعروفة لا أسميه ، إلى كتابه أوراق الورد(١) ؛ يزعم أنها رسالة منها إليه فى كتاب ، جواباً على رسالة بعثَ بها إليها — وكانت هذه بعضَ وسائلهما فى المراسلة كما رويتُ من قبل(٢) — وأوراق الورد معروف مشهور ، وكتابها معروف مشهور كذلك . ومما لا يحتمل الشك أن تكون (فلانة) لم تقرأ هذه الرسالة فى كتاب الرافعى ولم ينبهها أحد إليها . وأبعد من الشك أن تكون قد قرأت هذه الرسالة المنشورة قبل ذلك فى كتاب يحمل اسمها ثم لم تفهم ما يعنيه الرافعى ؛ ولا شىء وراء ذلك إلا أن تكون قرأتْ ، وفهمتْ ، وسكتتْ ؛ ولا شىء بعدُ إلا أن يكون بينهما شىء يؤيد ما رواه الرافعى من قصة هذا الحب . . . !

***

على أن اعتراضات ثلاثة توَجّهتُ إلى ما رويت من هذه القصة لا بد من التنبيه إليها : أما أحدها فمن الأستاذ الأديب جورج إبرهيم ؛ فهو ينكر علىّ أن أستند إلى هذه الرواية ، ويروى لى أنه صحب الرافعى فى أولى زياراته لفلانة ، وشهد ما كان من تأثر الرافعى وانفعاله وجذْبته ؛ ولكنه إلى ذلك ينكر أن يكون بين الرافعى وفلانة صلة بعد هذه الزَّورة ، ويصحح ما رويته عن الرافعى — وكان من سامعيه — بأنه حبٌّ من طَرَف واحد ، اختلطت فيه مذاهب الفكر ومذاهب النظر فشُبِّه للرافعى ما شُبِّه ؛ فما يحكيه هو صورة ما فى نفسه لا صورة ما كان فى الحقيقة !

فالرافعى عند الأستاذ جورج إبرهيم لم يكذب ولكنه أخطأ التقدير والنظر . وعندنا أن عدم علم الأستاذ جورج بأن صلةً ما كانت بين الرافعى وفلانة بعد الزَّورة الأولى ، لا ينفى أن هذه الصلة كانت حقيقةً ولم يعلم بها ؛ فحديثه من ثَمَّ لا ينفى شيئاً

(*) « من كتاب (حياة الرافعى) الذى يصدر قريبا »

(١) أوراق الورد ص ١٤٣ — ١٥٠ ، وتقرأ فقرات منها فى هذا الكتاب ص ٩٤ - ٩٦

(٢) ص ٨٣ من هذا الكتاب

ولا يثبته ، ويبقى بعد ذلك ما يستنبط من الرأى على هامش القصة وقريب مما يرويه الأستاذ جورج ، ما تستنبطه جريدة المكشوف فى بيروت ، فى حديث تناولت به بعض ما نشرنا من قصة حب الرافعى

* * *

وتعقيب ثان توجه به صديقنا الأستاذ فؤاد صروف — محرر المقتطف — على ما رويناه ، قال :

« لقد سمعت هذه القصة من الرافعى كما رويتَها ؛ فما أشك فى صحة ما تكتب ، ولكنى أسأل : هل كانت (فلانة) تبادل الرافعى الحب ؟ . . .

« هاك خبراً يدعوك معى إلى هذا السؤال :

« فى يناير من سنة ١٩٣٤ (أو ١٩٣٥) دعتنى فلانة إلى مقابلتها ؛ فلما شخصتُ إليها رأيت فى وجهها لوناً من الغضب فدفعتْ إلىّ رسالتين من رسائل الحب بعث بهما الرافعى إليها لأرى رأيى فيهما ؛ ثم قالت : ماذا ترانى أفعل لأذود عن نفسى ؟ أترانى أتقدم فى ذلك إلى القضاء ؟

قال الأستاذ صروف : « فاعتصمت بالصمت من لا ونعم ، وتركت لها أن تستشير غيرى ؛ ولست أدرى ما كان بعد ذلك ! »

قلت : وهذه رواية جديرة بأن تذكر — ومعذرة من ذكرها إلى الأستاذ صروف — على أنها لا تدل على شىء فى هذا المقام أكثر من أن فلانة لم يكن يروقها فى سنة ١٩٣٤ أن يتحبّب إليها الرافعى ؛ فماذا كان أمره وأمرها معه قبل ذلك بعشر سنين ؟

أيكون لهاتين الرسالتين اللتين يتحدث عنهما الأستاذ صروف — صلة بما كان فى نفس الرافعى من يقين بأنه سوف يلقى فلانة ليصل ما انقطع من حبال الود بعد عشر سنين من يوم القطيعة[(١)] »

أعنى : هل حاول الرافعى — بعد عشر سنين من القطيعة — أن يعيد ما كان بهاتين الرسالتين فلم يصادف قلباً يستجيب لدعائه ؟

على أن هذا الخبر — أيضاً — لا ينفى شيئاً ولا يثبته ؛ ولكنه يفتح باباً إلى الاستنباط والرأى

ولكنه مما لا شك فيه أن الرافعى لم يكن يعلم شيئاً عن وقع هاتين الرسالتين فى نفس صاحبته ؛ ولا أحسبها صنعت شيئاً يدل الرافعى على مبلغ استيائها من هاتين الرسالتين ، وإلا لما ظل يتعلق بالأمل فى لقائها إلى شتاء سنة ١٩٣٥ ، وكنت معه لما همّ بزيارتها[(١)]

وثمة اعتراض ثالث يعترضه الدكتور زكى مبارك ؛ وما كان لى أن أثبته هنا لولا أن أثبته هو فى كتاب من كتبه نشره على الناس منذ قريب ، ولولا أن أشار إليه فى مقالات نشرها فى مصر وفى العراق وفى بيروت !

والدكتور زكى مبارك أديب مشهور ، ولكن آفته — ولكل أديب آفة — أنه يدسّ أنفه فيما يعنيه وما لا يعنيه ؛ وهو قد شاء أن يحشر نفسه فى هذه القصة التى لا يهمه منها إلا أن يعلن للناس — والإعلان عن نفسه بعض خصائصه الأدبية — أنه كان يجلس إلى (فلانة) جنباً لجنب فى الجامعة المصرية بضع سنين !

وليس يهمنا أن يجلس الدكتور زكى مبارك جنباً لجنب إلى فلانة أو إلى نساء الأرض جميعاً — كما يريد أن يتعالم عنه الناس فى أكثر ما يكتب — ولكنه يزعم أن ما كتبنا عما كان بين الرافعى وفلانة ليس من الحقيقة فى شىء ، لأنه كان يجلس مع فلانة جنباً إلى جنب فى الجامعة بضع سنين فلم تحدثه يوماً أن حباً كان بينها وبين الرافعى ... . ! !

فمن شاء أن يقرأ مثلاً للحجة الواضحة فى أدب الدكتور زكى مبارك ، فليقرأ هذه الحجة البالغة ؛ على شرط أن يكون مؤمناً بأن الدكتور زكى مبارك لا يجلس إلى (فلاناتٍ) ولا يجلس إليه (فلاناتٌ) إلا ليحدثنه عما كان لهن من جولات فى ميادين الحب ويسألنه الرأى والمعونة !

وليدعْ القارئُ بعد ذلك حديث الدكتور عن العرى والعراة ، وعن (الأديب العريان ...) الذى روى هذه القصة

وعفا الله عن أهل الأدب !

* * *

هذا كل ما تلقيت من اعتراض المعترضين ، من أهل الأدب أو من أهل الدعوى ؛ وعلى أى الوجوه انتهى رأى الأدباء فى تحقيق هذه القصة ، فإنه مما لا شك فيه أن الرافعى كان يحب (فلانة) ؛ وهذا حسبي ؛ فما يعنينى من هذا التاريخ إلا إثبات المؤثرات التى كانت تعمل فى نفس الرافعى فتلهمه الشعر والبيان ؛ أما هى وما كان منها وحقيقة عواطفها ، فشىٌ يتصل بتاريخها هى بعد عمر مديد !

محمد سعيد العريان

(١) اقرأ ص ٩٠ — ٩١ من هذا الكتاب

(١) أنظر ص ٨٤ من هذا الكتاب

للتاريخ السياسي

نتائج اتفاق مونيخ

للدكتور يوسف هيكل

رأت دول وسط وشرق أوربا ، بعد أن زالت السياسة التي بنيت عليها العلاقات الدولية ، أن تبني علاقاتها الدولية على أسس جديدة . فأخذت تلتف حول الريخ طلباً لوده واتقاء لنقمته . لأنه ظهر لها أن لا وجود مطلقاً للضمان المشترك ، ولا فائدة ترجى من التحالف مع الدول المقاومة للهر هتلر . لأن هذه الدول لا تقوى على مد يد المساعدة لحليفتها . والدول القائلة بهذا القول تضرب مثل تشيكوسلوفاكيا لإثبات صحته

وفي الواقع أن تشيكوسلوفاكيا نفسها قد غيرت سياستها الخارجية وأخذت تتقرب من ألمانيا . فأدلى الجنرال سيروفي رئيس حكومة براغ تصريحاً قال فيه : « إن مبادئ سياستنا الخارجية واضحة جلية ، وهي أن تكون علاقاتنا ودية مع جميع العالم لا سيما مع جيراننا . ويجب علينا التعاون معهم إذا أردنا أن نعيش بسلام وطمأنينة » . وقد ذهبت إحدى الجرائد التشيكية إلى أبعد من ذلك قائلة : « إن أوربا الوسطى أزيلت من الوجود ، وإنه يجب علينا حتى في علاقاتنا التجارية نفسها ألا نعمل مع أية كتلة تضعنا ضد ألمانيا ، أو أن ندرك أن الهر هتلر والسنيور موسوليني أقوى من فرنسا وبريطانيا ، فالهر هتلر يكسب المارك معركة بعد معركة طبقاً للنظرية الواردة في كتابه كفاحي »

ولتحقيق سياسة التقرب مع ألمانيا ، وتنفيذاً لرغبة الهر هتلر ، استقال الدكتور بنيش من رياسة الجمهورية التشيكوسلوفاكية في أكتوبر (تشرين أول) ؛ وألغي تدريس اللغة الفرنسية في مدارسها كلغة إجبارية ، واستعيض عنها باللغة الألمانية . فرحبت ألمانيا بذلك ، وأخذت تساعد على إيجاد علاقات ودية بين الحكومتين

وانتشار نفوذ ألمانيا في تشيكوسلوفاكيا يضع في يدها مفتاح باب الدانوب ، ويفتح أمامها باب أوربا الشرقية والشرق الأدنى . وقد قال في ٤ أكتوبر (تشرين أول) إرشيبالد سنكلر زعيم الأحرار المعارضين « إننا سنعيش حتى نبكي اليوم الذي باعت بريطانيا فيه الحرية في أوربا الوسطى ، وفتحت طريق توغل ألمانيا في أوروبا الشرقية »

وعملياً أخذت ألمانيا تنشر نفوذها في أوربا الشرقية وفي الشرق الأدنى ، فزار الدكتور فونك وزير الشؤون الاقتصادية الألمانية بلغراد وأنقرة وسوفيا . فعقد مع حكومة يوغوسلافيا اتفاقية تجارية جديدة ، وقال بصددها إن ألمانيا في وضعية تمكنها من شراء نصف منتوج يوغوسلافيا ، ومن مساعدتها على إكثار منتوجها بتقديم الآلات والمال لاستثمار المعادن . وبالإضافة إلى ذلك فإن في إمكان ألمانيا دفع أسعار مرتفعة لما تبتاعه ، والمحافظة على مستوى هذه الأسعار ، لأن نظامها الاقتصادي أقيم بصورة لا تؤثر عليه الأزمات . وقد أكد الدكتور فونك أن ألمانيا الآن أعظم بلاد العالم إنتاجاً بفضل نظامها السياسي . وأضاف قائلاً أن ليس في الإمكان تفريق السياسة الاقتصادية عن العامة

وقد لقي الدكتور فونك استقبالا حارا في أنقرة ، ونجح فيها نجاحاً باهراً ، إذ عقد اتفاقاً مع الحكومة التركية أقرضتها ألمانيا بمقتضاه ١٥٠ مليون مارك (ما يقرب من ١٣ مليون جنيه انجليزي) لشراء الآلات الصناعية والأدوات الحربية ، على أن تسدد بعد عشر سنوات . وقد أدهش ذلك الاتفاق الدوائر الدبلوماسية ، لأنه في مايو السابق فقط اقترضت الحكومة التركية ستة عشر مليوناً من الجنيهات من الحكومة البريطانية

وبعد تركيا زار الدكتور فونك بلغاريا وتباحث مع حكومتها للوصول إلى تحسين العلاقات الألمانية البلغارية التجارية . وقد قبل دعوة رومانيا واليونان لزيارة بلادهما ، وفي نيته زيارة إيران وافغانستان ، غير أنه أرجأ ذلك إلى وقت آخر . ودول البلقان ترحب بتحسين علاقاتها التجارية مع الريخ ، لأنها تعتقد أن تجزئة تشيكوسلوفيا كيا أزالت كل مقاومة للمصالح الألمانية في أوربا الشرقية . والعلاقات التجارية المنيعة تولد الصداقة السياسية ، والنفوذ الاقتصادي يوجد النفوذ السياسي

وقد صرح الهر فونك في حديث له مع مندوب جريدة « برلين تسيتونغ » « أن في جنوب أوربا الشرق وآسيا الصغرى كل شيء تحتاج إليه ألمانيا تقريباً . ولهذا لا يمكن أن توجد دولة

أخرى قادرة على أن تشترى منها ما تشتريه ألمانيا . ونظراً لأهمية نهر الدانوب لجنوب أوربا الشرقى ، يجعل من هذه البلاد منطقة اقتصادية ممتدة من بحر الشمال إلى البحر الأسود ، والدول القائمة فيها تستطيع أن تكون متممة إحداها للأخرى » . وهذا التصريح يرمى إلى تحقيق الحلم الألمانى السابق للحرب العالمية ؛ حلم « همبرك — بغداد »

وتقول جريدة (اسن ناشونال زيتيبغ) فى عددها الصادر فى ١٣ أكتوبر (تشرين أول) إنه « إذا أصرت انكلترا وفرنسا على مواصلة جهودهما للاستيلاء على جانب من التجارة تعده ألمانيا بحق أنه من نصيبها فإنها ستكون بعد عام أو عامين ، أى بعد أن تتم تحصيناتها على الحدود الغربيــة ، فى مركز يساعدها على أن تعلن أنها وحدها صاحبة النفوذ الاقتصادى فى جنوب شرقى أوربا »

***

هذا . ولا تنحصر نتائج اتفاق مونيخ فى علاقة ألمانيا مع دول جنوب شرقى أوربا ، بل تتعداها إلى وضعية الدول الكبرى ومجرى سياستها

وفى مونيخ تلاشت عصبة الأمم ، وذهبت البقية الباقية مما كان لها من تدخل فى الأزمات الدولية ؛ وتحققت فكرة السنيور موسولينى من حل المشاكل الدولية بواسطة « مؤتمر رباعى » ؛ تلك الفكرة التى لم توافق عليها بريطانيا وفرنسا عام ١٩٣٣ ، بل أصرتا حينئذ على وجوب حل الخلافات الدولية ضمن دائرة عصبة الأمم . وفى مونيخ عقــد المؤتمر الرباعى لحل المشكلة التشيكوسلوفاكية ، دون إعلام عصبة الأمم به ، ودون اشتراك الروسيا فيه ، فكان ذلك نصراً أدبياً سياسياً للسنيور موسولينى اتخذ منه دليل كبير على بعد نظر زعيم إيطاليا وعلى قدرته السياسية فى إيجاد الأسس لتسوية المشاكل الأوربية

وفى ذلك المؤتمر تحققت رغبة هتلر وموسولينى فى عزل الروسيا عن شؤون أوربا فأصبحت الروسيا فى عزلة سياسـية لها نتائجها السيئة فى أوربا . لأن من شأن هــذه العزلة إضعاف موقف فرنسا الدولى ، وبالتالى إضعاف مركز بريطانيا العظمى ، مما يشجع الهر هتلر على السير فى تحقيق مطامعه الواسعة

وفى مونيخ انهارت سياسة سلامة فرنسا ، فزالت قوتها فى تشيكوسلوفاكيا وخسرت حلفاءها وأصدقاءها فى بلاد البلقان وشرقى أوربا . فكانت فرنسا الدولة الأولى التى تكبدت أكبر الخسائر ولحق بها أعظم الأضرار من جراء اتفاق مونيخ . وكان هذا الاتفاق كان موجهاً ضدها . وزيادة على ذلك فقد حاول الهر هتلر فى مونيخ تحقيق أعز آماله عليه ، وهو إبعاد بريطانيا عن فرنسا لتتم عزلتها وبزول سلطانها الدولى . وهو لم يواجه هــذه المسألة وجهاً لوجه ، بل أتاها من طريق غير مباشر ، فوقع المستر تشمبرلين تصريحاً مفاده : « إنهما ينظران إلى اتفاق مونيخ وإلى الاتفاق الإنكليزى الألمانى البحرى ، كرمز إلى رغبة شعبيهما بألا يحارب قط الواحد الآخر . وإنهما متأكدان على أن التشاور سيكون الطريقة المتبعة فى حل المسائل الأخرى التى تتعلق ببلادهما» وتقوية لهذه السياسة ألقى السير توماس أنسكيب ، وزير الدفاع الوطنى خطبة فى ١٢ أكتوبر (تشرين أول) قال فيها : « إننى أعتقد أننا سائرون فى الطريق المؤدية إلى إنشاء علاقات ودية مع الشعب الألمـانى العظيم فى وسط أوربا . وأثمن هدية نستطيع تقديمها إلى عالم متزعزع أهوج هو السلام بيننا وبين ألمانيا » .

ومن شأن هذه السياسة تمكين الهر هتلر من تحقيق مطامعه . لأن القوة الوحيدة فى أوربا التى تجعل الهر هتلر يفكر قبل العمل على تحقيق مطامعه الواسعة هى جيش فرنسا العظيم تسنده القوى البريطانية ، وتفريق هاتين القوتين بعضهما عن بعض يعوق الجيش الفرنسى عن العمل ، ويمكن الهر هتلر من تحقيق ما يريد

وما يريده الهر هتلر أمر عظيم خطير ، يشرحه « كتاب النازى المقدس » ويجمله جملة منه إذ يقول زعيم ألمانيا « إنه ليس من الضرورى ، مهما كانت النتائج ، اللجوء إلى الحرب، إذا أريد حقا الوصول إلى السلام . وفى الحقيقة أن الفكرة الإنســانية والانشائية ربمــا تكون جيدة فى اليوم الذى يقهر فيه الرجل المتفوق على الجميع ، العالم ويسود ويصبح وحده سيد الدنيا . الحرب أولا وربما بعدها السلام » .

وهــذه الجملة واضحة جلية ، ترى أن الهر هتلر يطمح إلى سيادة العــالم سيادة أوربا فقط . وقد مكن اتفاق مونيخ الذى كان أعظم نصر حازه الهر هتلر زعيم ألمانيا من أن يكون الرجل

من صاحب العصور إلى صاحب الرسالة

أخى الأستاذ الزيات :

السلام عليك ورحمة الله ، وبعد فإنى أحمد الله إليك وأستعينه وأسألهُ لك التوفيق والسَّداد . أبيت أيها الرجل إلاَّ كرَماً من جميع نواحيك ، فما كدت تستقبل العام السابع من عمر « الرسالة » حتى عُدتَ علىَّ بفضل من ثنائك وحسن ظنك ، فذكرت « العصور » ثم أثنيت فأغنيت

لقد وافتنى كلمتك ، وأنا بعد أنفض عن يدىَّ غبار « العصور » وأتخفف من أثقالها التى حملتها راضياً غير كاره ، لأنقلب إلى هذه الغرف العزيزة التى نشأت فى حجور الشيوخ من سكانها أستخبرهم علم ما أجهل ، وأستنبئهم أخبار ما مضى ، لأستوحىَ الظن فيما يستقبل ، وأجدد بعادىٍّ قوتهم قوة النفس التى لا تهدأ ولا تنام

لا بد من كلمة — أيها الشيخ الجليل — وقد كان الصمت أولى بى وأحبَّ إلىَّ . لا بدَّ من كلمة أعتذر بها للذين استقبلونى بفرحة المحبِّ أمتع باللقاء على غير ميعاد . فأنت تعلم أنى يوم عزمت على إصدار « العصور » لم أكن قد أعددت لها من مال إلا ما ادخرته فى نفسى من جهد أعوام طالت فى معاناة العلم والأدب ، وبقية من خلق ضننت بها أن تذيع فى أطرافها ونواحيها مهزعات العصر الحديث التى صرَّفت الأخلاق فى وجوه الغى والضلال ، وأطلقت دنيات الغرائز من عقال الشرائع ، وأرسلتها ترعى حمى أبى الله ورسوله أن يكون مرعى لمن آمن بالله واليوم الآخر

ولكن لا بد من مال مسكوك معترف به ، مصدَّق على الاعتراف به من « محافظ البنك الأهلى » ، وإن قليل ما عندى من هذا المال لا يغنى غناءه فى عمل أوله استهلاك بغير نتاج وأنت أخبر بهذا الأمر . فلم يبق إلا الصديق الذى يعين على نوائب الحق ... فبدأنا إصدار « العصور » يعولها الجد من قبلى ، والعون من قبل الأصدقاء الكتاب من أصحاب مذهبنا ، والمدد من « جيب » الصديق الذى أبدى بشاشته ، واستظهرها بعاجل البر ، وسرنا على اسم الله . فما كان إلا كلا ولا حتى قلت كما قال الأول :

سعتْ نُوَبُ الأيام بينى وبينهُ فأقلعن مِنَّا عن ظلوم وصارخ
فإنى وإعدادى لدهرى « محمداً » كملتمس إطفاء نار بنافخ

وأبيتُ أن أخفض عن نفسى أو أردَّ غلواءها ، فرددتُ المالَ إلى صاحبه غير منقوص ولا مهتضم . وقلتُ إنَّ أمراً قضاهُ الله لا بُدَّ له من تمامٍ وأجلٍ ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكنْ . وخيرُ الأمر أن ألجأ إلى الله ثم أستعين بما عندى على قضاء الحق الذى يقتضيه ما أقررت به على نفسى ، وما أقررتها عليه فى كلمة العدد الأول من « العصور » . فلم أبخل ولم أتراجع ، وأقدمتُ على إصدار العدد الثانى مستبشراً مؤملاً راجياً معتمداً على ثقتى بالله ، ثم ثقتى بحسنِ التقدير الذى لقيته . فلم يلبث أن لقىَ العدد الثانى من « العصور » حفاوة الناس فى كثير من بلاد العربية ؛ ولكن هذه الحفاوة المستبينة فى بيع مجلة — تكاليفها أكثر من دخلها بهذا البيع — لا يمكن أن تكونَ هى الرُّقية التى تجذب إلى رقاب المال من كهوف « البنك » فأجوبها وأروضها وأتصرَّف فيها تصرُّف الناس فيما هُمْ به « ناس » ! !

وقلت : عسى أن يقضى الله لأمر ضاق بالفرج ، وتوجهت بقلبى إلى الله ، وبوجهى إلى من أتوسم فيه سمة « الخزانة » المعدة لاحتجان المال . ولكنى وجدت القفل بعد القفل على الخزانة ، وافتقدت المفتاح الذى يتسنى له كل مغلق . إن هذا المفتاح ليس عندى ، ولستُ أملكه ، وما أحسبنى أرتضى — بعد أن جرَّبتُ — أن أملكه أو أحوزه . إنه لا يملكه إلا من قدَّم رهينةً ، والخُلق لا يُعترف به فى باب الرَّهائن ، ولستُ أملكُ غيره ؛ فلا رهينةَ ، أى لا قَرْضَ ولا معونة . وإنه لا يملك المفتاح بعدُ إلا اللصُّ الذى يلين له ما أعضل من قُفْل غلِق

الأول فى أوربا والمتفوق على جميع ساستها ؛ ومن أن يبدأ فى نشر نفوذه عليها وسيادته لها .

* * *

يستغرب المرء تسليم فرنسا وبريطانيا العظمى فى مونيخ ، ويجعله يتساءل كيف سلمت فرنسا بمعقلها فى وسط أوربا ، ولنفوذها السياسى فى جنوبى أوربا وشرقيها ؟ فهدمت بذلك ما بنت خلال العشرين سنة الماضية ، وخسرت حلفاء وأصدقاء ، وسهلت وضعهم تحت النفوذ الألمانى ! وكيف قبلت بريطانيا اختلال التوازن الدولى ؟ ذلك التوازن الذى كانت دائما وأبدا تبذل الجهود وتدخل الحروب فى سبيل المحافظة عليه .

هذا ما نبينه فى المقال المقبل . **يوسف هيكل**

كلمات لهوجو (*)

للأستاذ عبد الكريم الناصري

— ١ —

* البراءة أعلى من الفضيلة . البراءة جهلٌ مقدّس

* في استطاعة الأسنان أن تُبصر ، كاستطاعة العيون أن تعَض

* للطيش حقوقه ، ولكن له حدوده أيضاً

* قد تدلّ الابتسامة على الموافقة ... ولكنّ الضحكةَ — في الغالب — رَفض

(*) جمل وسطور منتقاة — في أغراض شتى — من كتب فكتور هوجو التالية : بأمر الملك ، شكسبير ، البؤساء ، ثلاثة وتسعون

وأنا بحمد الله لم أُخلَق على طبيعة السارق بل سُهوِّيتُ على هيأة المسروق ، كلّ من شاء أن يأ كلني أ كلني ؛ قد رضيتُ أن أحوطَ جوهري بالعَرَض المُضيّع

ومع ذلك فقد أعددت العدد الثالث للطّبْع ، وتصرَّفتُ في وجوه التدبير ، ثم وُفّقت إلى من أرضى عنه ويرضى عني ... ولكن أبى خُلُق الدُّنيا معي أن يتم جيل تستودعنيه ، أو معروف تَربّيه عندي . فرجعت عَودي على بدئي راضياً عن الله شا كراً لله واثقاً بالله ، أستعينه وأستحفظه ، وأشكره ولا أ كفره

لا أقول الله يظلمني كيف أشكو غير مُتّهِم

وأنا لا أزال أقول : يصنَعُ الله ، يَصنَعُ الله ، إن لله تدبيراً يصرّفنا به كيف شاء إلى مواقع علمه ومنازل حكمته . وأنا مذ كنت ، كنت مطية القدرحيثما وجّهني استقبلتُ المضيقَ والطريقَ بنَفس مسلمة وجهَها لله ، بأن الزّمامَ في يد الله

فإن تسأليني ، كيف أنتَ ! فإنني

صبورٌ على ريب الزمان صليبُ

يعزُّ عليَّ أن تُرى بي كآبةٌ فيشمتَ عادٍ أو يُساء حبيبُ

وعلى ذلك فأنا مُنتظِرٌ ، و « العصور » إلى جانبي تنتظِر !

وشكر الله لك ، وجزاك خيرا من صديق **محمود محمد شاكر**

(الرسالة) تألم الرسالة أشد الألم أن يثبط هذا القلم البارع وهذا الفكر الرشيد مثبطات المادة ، وتدعو الله مخلصة أن يلهم أهل المال معونة أهل العلم حتى لا تتخلف « العصور » عن صفها في الجهاد إلا ريثما تواتيها المدة . وعسى أن يضن القراء بهذه الثروة الأدبية على الضياع فيعينوها على الصدور بأسلاف الاشتراك .

* في بعض الأحايين تكون الثانوية أصعب من الأولية . وهي حينئذ تقتضي عبقرية أقل وشجاعةً أكثر . فالأول قد تُسكره الجِدّة غير المنتظرة ، وتبلبل فكره وتهيج حماسته . فيجتاز الهوّة وهو جاهلٌ بالخطر ؛ ولكن الثاني يرى الهوّة ويندفع نحوها

* ما التاريخ ؟ صدًى من الماضي في المستقبل ؛ إنعكاسٌ من المستقبل على الماضي

* البخيل أعمى ، فهو يرى الذهب ولا يرى الثروة . المتلاف أعمى ، فهو يرى البداية ولا يرى النهاية. المستهترة في الحب عمياء، فهي لا ترى الخطوط والغضون . العالِمُ أعمى ، فهو لا يرى جهله . الشريف أعمى ، فهو لا يرى اللص . اللص أعمى ، فهو لا يرى الله

* ما البتولة إلا الأملُ في الأمومة

* للخوف درجة ينقلب فيها الإنسان رهيباً يملأ القلوب رعباً . إن الذي يخاف كل شيء لا يخاف شيئاً . مثله حقيقٌ بأن يضرب « الاسفنكس (١) » حقيقٌ بأن يتهددّ « المجهول » ويتحدّاه

* الحسد مادّة صالحة لصنع الجواسيس . فإن بين تلك العاطفة الطبيعية ـ الحسد ـ وبين تلك الوظيفة الاجتماعية ـ الجاسوسية ـ لشَبهاً عظيماً . غير أن الجاسوس يصطاد لغيره ، كالكلب . أما الحسود فيصطاد لنفسه ، كالقط

— ٢ —

* إن للدور لأرواحاً

* الفنُّ هو فرع الطبيعة الثاني

* الفنُّ طبيعيٌّ كالطبيعة

* الطبيعة ، منضافةً إليها الإنسانية ، مرفوعةً إلى القوة الثانية ، تنتج الفن

* الجلال هو المساواة . الفكر الإنساني هو الممكن الذي لا حدله

(١) الاسفنكس — في الميثولوجيا اليونانية — هولة في رأس امرأة وجسد لبوة ؛ تعترض المسافرين وتوجه إليهم ألغازاً وأحجية ، وإذا عجز المسافر عن حلها ، أمسكت برقبته وخنقته

* للفكر الإنسانيّ ذروة . هذه الذروة هي المثل الأعلى . اللهُ يهبط إليها ، والإنسان يرتفع ...

* « أنا » الإنسان الواحد أوسعُ وأعمقُ من « أنا » شعبٍ بأسره

* المثل الأعلى — مطبقاً على الحقائق الواقعة — هو المدنية

* من ميزات العبقرية اتحاد الملكات المتباعدة أشد التباعد فيها

* في الدنيا شيء يُقال له : غَضَبُ الوضاعة

— ٣ —

* الموتُ من شأن الله وحده . فبأيّ حقّ يَمَسُّ الناسُ ذلك الشيء المجهول ؟

* المجتمعُ يغلق بابه — في غير رحمة — دون طبقتين من الناس : الطبقة التي تهاجمه ، والطبقة التي تدافع عنه

* ليس الموت بشيء . إنما المخيفُ ألاّ نعيش

* إذن فلنهجمْ

لنهجم ، ولكن لنميز أولاً . إن صفةَ الحقيقة المميزة أنها لا تعرفُ الإسراف أبداً . وما حاجتها إلى الغلو والإسراف ؟ هنالك أمورٌ يجب هدْمها ، وأمورٌ أخرى يجب تبيُّنها وفحصها فحسب ؛ فما ينبغي لنا — إذن — أن نحمل اللهب حيث يكفي الضوء وحده

* ليس أخرقَ من طلاب النصر والغلبة ؛ إنما المجد الحق في الإقناع

* كل شيء قابل للنجاح ، حتى النحو والصرف !

* الفرح انعكاس الرُّعب

— ٤ —

* لا بد لكل فكرة من غطاء منظور . لا بد لكل مبدأ من سكن ومأوى ؛ فالكنيسة هي الله بين أربعة جدران ؛ لا بد لكل مذهب من معبد(١)

* أنا كالأقيانوس ؛ لي مدى وجزرى ؛ في الجزر تبين مواضي الضحلة ، وفي المد ترى أواذى وأثباجي

* المجتمع هو الطبيعة في حلة من الجلال

* حرية الفرد تنتهي حيث تبدأ حرية فرد آخر ، وفي هذا السطر ينطوي قانون المجتمع البشري كله

* التفريق بين الهياج المنبعث عن الطمع ، وبين الهياج المنبعث عن المبادئ ، ومحاربة الأول ومساعدة الثاني : في ذلك تستقر عبقرية كبار القادة الثوريين ، وقوتهم وسلطانهم

* إن للنفس عقيدة في النور

* أريد الحرية في الفكر ، والمساواة في القلب ، والأخوة في الروح . كفى ! كفانا عبودية ورقاً ! ما خلق الإنسان ليجرر السلاسل ، وإنما خلق لينشر أجنحته ...

« بغداد » عبد الكريم الناصري

(١) مثال لاسراف هوجو في حب الألفاظ وإكثاره من التلاعب بها

استخبار صحفي (ربورتاج)

أبو الهـــــول يتكلم!

اكتشافات اثرية هامة

(لمخبر الرسالة)

للأستاذ الأثرى سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار اكتشافات كبيرة القيمة من الناحية الفنية والتاريخية فهو الذى أماط اللثام عن سر أبى الهول كما كشف كثيراً من الآثار التى وضحت لنا النواحى الاجتماعية فى عصر الأسرتين الرابعة والخامسة. وقد زرناه فى بيته الصحراوي بجوار أهرام الجيزة فوجدناه منهمكا فى إعداد كتاب قد تزيد صفحاته على خمسمائة صفحة عن عصر الفرعونية.

وقد سمح لنا أن نشاهد حفرياته الحديثة، ونقدم إلى قراء الرسالة أخبار هذه المكتشفات التى غيرت كثيراً من النظريات التاريخية

خرافة الكتابة

« كانت هناك خرافة تقول بأن أهرام ملوك الأسرة الرابعة خالية من النقوش والكتابات، وقد ظلت هـذه الخرافة قائمة إلى سنة ١٩٣٨ إذ ثبت خطأها فى ٢٨ نوفمبر الماضى فقد وجدنا صورة الملك خوفو بانى الهرم الأكبر منقوشة بالحفر البارز على أحد أحجار معبد الهرم الجنائزى كما وجدنا رسوماً ونقوشاً أخرى».

بهذه العبارة أعلن سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار عن اكتشافاته العظيمة القيمة التاريخية والفنية

وبهذه العبارة وهذا الاكتشاف هدم كثيراً من النظريات، كما قضى على كثير من المؤلفات التى تناولت هـذا الموضوع بالبحث والتحليل. نقد لاحظ علماء الآثار خلو أهرام ملوك الأسرة الرابعة من النقوش والكتابات، مخالفة بذلك مقابر أشراف الأسرة وكهنتها الذين ذكروا كثيراً من حوادث عصرهم وعادات قومهم. فاستنتجوا أن ملوك هذه الأسرة توخوا فى مقابرهم أن تكون من العظمة والضخامة بحيث تنطق بجلائل أعمالهم وتتحدث عن حالة الرخاء فى عهـودهم. ولذلك ظهرت الأهرام بضخامتها التى ما زالت حديث العالم دون أن يظهر على جدرانها نقش واحد يدل على أسماء أصحابها

صورة الملك خوفو منقوشة نقشاً بارزاً وهو يلبس تاج الوجه البحرى وكانت العين مصنوعة من معدن آخر ولكن اللصوص سرقوها

الحلقة المفقودة

ولكن هذا المنطق لم يرق لسليم بك، إذ كيف يذكر اسم الملك فى مقابر الحاشية ولا يذكر فى مقبرته هو؟ أضف إلى ذلك ما ذكره المؤرخ اليونانى هيرودوت، فقد قال إنه زار الأهرام ورأى نقوشاً على مبانيها؛ وبذلك تأكد لعالمنا المصرى أن حلقة أثرية ما زالت مفقودة، وأن كثيراً من أسرار الهرم فى الرمال مطمورة ...

لأول مرة نجد موجين من الراقصين والراقصات وفى وسطهما امرأة عارية تقودهما

وبحث ونقب فوجد أن كل هرم له معبدان أحدهما جنائزى وهو إلى جوار الهرم من الناحية الشرقية، والثانى معبد الوادى وهو يبعد عادة عن المعبد الجنائزى بطريق طويل . وعلى هذا الأساس بدأ أبحاثه فتوصل إلى الدليل القاطع بعد أن نقل رمال الصحراء من منطقة تزيد مساحتها على مائتى فدان . فى الجانب الشرق للهرم الأكبر وجد فى معبده الجنائزى فى ٢٨ نوفمبر قطعة من الحجر الجيرى الأبيض نقش عليها رسم الملك خوفو وهو يلبس تاج الوجه البحرى ، كما عثر على قطعة أخرى عليها رسم الملك وهو جالس على عرشه يحتفل بمرور ثلاثين عاماً على توليه العرش . وبهذه الأدلة القاطعة هدم النظرية القائلة بعدم وجود نقوش .

ويتكون المعبد الجنائزى من مساحة واسعة تقع شرق الهرم الأكبر وأرضها من حجر التولوريت الأسود الذى أحضره الملك من الفيوم . وقد نحت إلى جوار المعبد ثلاثة مراكب رمزية يستعملها الملك بعد موته عندما يتمثل إله الشمس فى طوافه حول الأرض، واثنتان منها توازيان الهرم وطول إحداهما ٥٥ مترا وطول الثانية ٥٠ مترا ، ويختلف المركب الثالث عن سابقيه وهو فريد فى نوعه ، لأن الوصول إلى قاعه يكون بدرجات كثيرة مما لم يشاهد فى المراكب الأخرى . وقد كانت جدران هذه المراكب مغطاة بالحجر الجيرى الأبيض الذى وجدت آثاره فى المنطقة . وينتظر أن يكشف رفع الرمال التى تغطى تلك المنطقة عن كثير من المعلومات والآثار . ويطمع علماء الآثار أن يجدوا تمثالا للملك خوفو الذى لا يوجد له تمثال فى كل متاحف العالم غير التمثال الصغير الذى وجد فى العرابة؛ وقد وجدت تماثيل ولكنها محطمة .

كيف رفعوا أحجار الهرم

وهناك اكتشاف آخر يكشف عن كثير من مقدرة قدماء المصريين ، فإن كثيرين يظنون أنهم كانوا يرفعون الأحجار الضخمة إلى مواضعها بجرها على مستويات مائلة . وكلما تم بناء طبقة رفع

العمال يرفعون الرمال والأتربة من أحد المراكب الثلاثة المنحوتة فى الصخر التى وجدت قرب الهرم الأكبر

المستوى المائل إلى أن يتم البناء كله فيزال ما حوله من مستويات . وقد عثر سليم بك على بكر ضخم مصنوع من الجرانيت الغرض منه رفع الأثقال ونقلها ، وهذا يدل على أنهم كانوا يستعملون الآلة الرافعة كما نفعل الآن

سر أبى الهول

وأدت الحفريات الحديثة شرق الهرم الثانى إلى كشف كثير من غموض أبى الهول حتى أصبح فى حكم المقرر أن الملك خفرع

« أوركسترا » كاملة تتكون من ستة أزواج من اللاعبين ويلاحظ أن أحد الزوجين يصفق

الملك « خوفو » بانى الهرم الأكبر يحتفل بعيد « الحب سج » لمرور ثلاثين عاماً على توليه العرش

بانى الهرم الثانى هو الذى أمر بنحته فى الصخر . وذلك لما يشاهد من اتفاق فن البناء فى معبد أبى الهول والهرم . وقد وجدت حول أبى الهول أكثر من ٢٠٠ لوحة أهداها إليه كبار الزوار عندما كانوا يحجون إليه مما يدل على ما كان له من مكانة مقدسة

وكلمة « أبو الهول » محرفة عن كلمة « بوحول » وهى لفظة إسرائيلية معناها « مكان حول » و « حول » إله محلى فى فلسطين . فلما نزل الإسرائيليون بأرض مصر أقاموا فى جوار أبى الهول وعبدوه بدلا من أحد آلهتهم لما بينهما من تشابه . وبمضى الأعوام صحف لفظ « بوحول » فأصبح « أبو الهول » . أما اسمه الفرعونى تبعاً لنصوص أقدمها يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة فهو « حر أم آخت » ومعناها « هوراس الذى فى الأفق » . وحرفه اليونان إلى حرماخيس. ويقول سليم بك « إن الإسرائيليين أقاموا فى تلك المنطقة مدة طويلة ، وإنهم تركوا مصر إلى الشام من طريق بجوار الأهرام ، وما زالت قرية الحرونية تحتفظ باسم الهرم إلى الآن »

فن القدماء

وبكشف مقابر كبار موظفى الأسرتين : الرابعة والخامسة . أميط اللثام عن كثير من غوامض التاريخ، فمن مقبرة « نتربو » يمكننا أن نعرف ترتيب ملوك الأسرة الرابعة . كما بينت المقابر الأخرى أن أولاد خفرع ليسوا أربعة فقط بل هم خمسة عشر ولداً وبنتاً

أما من جهة الفن فقد وجدت فى هذه المنطقة تماثيل كثيرة حافظ فيها الفنان على تصوير وجه صاحبه بكل ما فيه من عيوب، لأن المصريين اعتقدوا بخلود الروح والحياة الأخرى ، كما اعتقدوا أن الروح تزور جثتها . ولذلك وجب حفظها بالتحنيط ، وزيادة فى الاحتياط رأى المصرى القديم أن يلجأ إلى مادة أصلب وأقوى على مقاومة الدهر وعبث الأيدى بدلاً من جثته الهشة فنحت التماثيل لتزورها الروح إذا فقدت الجثة أو تلفت . ولذلك وجب أن تكون الصورة صورة أصلية من صاحبها حتى لا تضل الروح عنها إذا أرادت زيارتها

وكثرة هذه التماثيل أو قلتها ترجع لسطوة الميت وغناه ؛ ففى مقبرة « رع ور » مثلاً وجدت بقايا ١٢٠ تمثالاً . ويلاحظ أن تماثيل الأغنياء كانت دائماً تمثل الترف بأجلى صوره، فإذا كانت لصانع دقق الفنان فى إبراز التفاصيل فيبدو كل شىء على طبيعته، فترى آثار الجهد على وجه الخباز أو العجان حتى أصبحت تلك التماثيل قطعاً حية تقود الفنان الحديث

زيارة الأحياء للموتى

وليست زيارة الأحياء للموتى بنت اليوم ، ففى مقبرة الكاهن « فيفى » سرداب به حجرة لها نافذة صغيرة أعدت ليطل منها الناس فيرون تمثال الكاهن وإلى جانبيه زوجته وابنه وابنته فترى فى عينيه نظرة الاطمئنان وكأنه ينظر إليك . كما ترى جلد الذكور ملوناً بلون أحمر بينما جلد الأناث أبيض . وحتى الملابس والعقود لم ينس المثال أن يصبغها بألوانها الطبيعية التى ما زالت ثابتة إلى الآن . فإذا زرت التمثال فقد زرت أصحابه . وليست هذه المقبرة هى الفريدة فى نوعها بل إن الحفريات كشفت عن ثلاث مقابر بها هذه الظاهرة

ومن كشف مقابر الأشراف فى تلك المنطقة عرفنا كثيراً من عادات القدماء وحياتهم الاجتماعية من سمر وغناء ورقص ، ففى مقبرة « كاجوا » كاهن الملك خفرع نجد « أركسترا » كاملاً مكوناً من ستة أزواج من الموسيقيين ، ويتكون كل زوج من شخص يلعب على آلة موسيقية كالمزمار أو الناى أو القيثار وشخص آخر يصفق له تلك التصفيقة التى ما زلنا حتى الآن نصفقها إذا حركت إحساسنا أوتار الموسيقى البلدية

ولأول مرة نجد فوجين من الراقصين والراقصات تتوسطهم راقصة عارية ، وهى ظاهرة لم تعرف من قبل فى النقوش الفرعونية .

لماذا أحاول تصوير العالم وفق الآراء الحديثة

للدكتور محمد محمود غالى

صحيح أن كل أفعالنا وحركاتنا الخاصة بحياتنا اليومية أو اتجاهاتنا الشخصية متعلقة بأحكام لا يمكن للعلم أن يكون الأساس المباشر للتصرف فيها . فإن العلوم كما يقول ريشنباخ لا تجيب أبداً على السؤال الآتى : « ماذا يجب أن أفعل ؟ » ومع ذلك فإن هناك اتصالاً بسيكولوجيا بين درجة معرفة الرجل للعلوم وموقفه إزاء المشاكل التى تعترضه فى الحياة وتقديره لبعض المسائل ، وإننا نلاحظ أن كل المذاهب الفلسفية أو علم الأخلاق تبدأ بنظريات فى العلوم ذاتها ، نظريات تتعلق فى العادة بصورة من صور العالم ، والمتأمل يجد علاقة بين الاكتشافات العلمية الكبرى وأعمالنا أو نوع تفكيرنا . خذ مثلا انقلابنا فى التفكير الفلسفى من جراء اكتشاف كوبرنيك لدورة الأرض حول الشمس ، هذا الاكتشاف الذى يذكر الأستاذ محمد مختار عبد الله فى إحدى مقالاته الممتعة بجريدة الأهرام فى العام المنصرم أنها اكتشافات بدأت من أيام العرب . ولست بصدد أن أناقش أصل الاكتشاف ونصيب كل عهد فيه ولا التحديد من موجة الرجوع عندنا بكل شىء لعهد العرب ، وإنما أذكر أن الفكرة فى ذاتها خارجة وغريبة عن أعمالنا اليومية — عن علاقتنا سواء بالأشياء أو الرجال أو مظاهر الحياة .

أن تدور الأرض حول الشمس، أو تدور الشمس حول الأرض، فإن هذا قد يُظن من موضوعات الفلك أو من موضوعات الترف فى المعرفة . ولكن لنا أن نتأمل الناحية الفلسفية ونتأمل النتائج المترتبة عليها؛ وأولى هذه النتائج أن الأرض ليست هى جوهر العالم وما هى إلا سيار صغير جداً بين كثير من السيارات تدور كغيرها حول الشمس، وهذه الأخيرة أى الشمس ما هى إلا إحدى ملايين الشموس المماثلة وليست من أكبرها؛ وهذه الملايين تكون عالما ، وهنالك الملايين من ملايين العوالم المماثلة يتكون منها الكون. هنا وقف المرء مخذولا فى تفوقه أمام الظواهر الطبيعية؛ وهنا يتضح له شىء من العلاقة الدقيقة بين الإنسان وبين الأرض التى تحويه وبين الوجود ، فالمعرفة العلمية لها أثرها على مشاعرنا وتصرفاتنا ، وهذا هو الذى يحدو بالقارىء إلى تتبع مثل هذه المقالات . إن التفصيلات العلمية بعيدة عن حياتنا اليومية ولكن لمعرفة النتائج والإلمام بالصعوبات التى اعترضت العلماء — أثرها فى حياتنا الشخصية .

لذلك لم يتأخر علماء أعلام مثل فابرى Fabrie أستاذ الطبيعة بالسوربون وعضو المجمع العلمى الفرنسى وريشنباخ وغيرهما أن يكتبوا سلسلة من المقالات فى المجلات الأسبوعية أو الشهرية أو فى الكتب المبسطة . والأخير من كبار الأساتذة السابقين

وهكذا لم يترك الفراعنة شيئاً إلا وضعوا هم بذوره ليتبعهم العالم الحديث فى جده ولهوه

ولم يكن كشف هذه الآثار والوصول إلى هذه الحقائق من الأمور الهينة فقد احتاج إلى عزيمة قوية وصبر طويل ومجهود جبار . فقد استمرت الحفريات برياسة سليم بك عدة سنوات نقلوا خلالها مقادير كبيرة من الرمال، ففى كل يوم كانت العمال تنقل ألف متر مكعب أو أكثر من الرمال، فإذا عرفنا أن العمل كان يستمر ثمانية أشهر فى كل سنة قدرنا كم من المجهود احتاج إخراج هذه الآثار إلى عالم المرئيات

وإنه لمن شقاء مصر أن تطغى الأعمال المكتبية على كل شىء وتفسد على العلم كثيراً من الجهود الناجحة حتى يقول سليم بك حسن : « إن أكبر خطأ ارتكبته فى حياتى هو أنى قبلت منصب وكيل مصلحة الآثار »

(الشنتوى)

فى ألمانيا الذين تنتفع الآن بمعلوماتهم جامعة « اسطنبول » ونحوهم تركيا الجديدة التى اقتنعت أن بين الذين شتتتهم الظروف السياسية فى العالم اليوم مواهب يمكن الاستفادة منها .

صحيح أن الشخص العادى لا يعنيه معرفة الظروف التى حدت بباستير إلى اكتشاف ميكروبات الأمراض المختلفة مثل الكلب والحمى الفحمية بقدر ما يعنيه المصل أو الطريقة المعدة للعلاج؛ وقصة اكتشاف كالمت (Calmette) لعلاج الدفتيريا لا تهم الجمهور بقدر تفهم اليوم بأن للدفتيريا مصلاً للوقاية منها ، بل إن الشخص العادى لا يهمه دوران الألكترون حول نفسه وحول مركز الذرة بقدر ما يهمه النتائج والانتصارات الفعلية للكهرباء .

ولو أن العالم صورة صادقة لما نراه فى حياتنا اليومية . ولو أن مجموعة المعارف التى نطبقها تمثل لنا صورة صحيحة لهذا العالم لما كان إلا شيئاً كالأشياء المادية التى تحيط بنا ، أشياء تتأثر بالقوانين الطبيعية البسيطة التى درسها معظمنا فى المدارس الثانوية أو العالية كانتشار الضوء فى خط مستقيم وغير ذلك . فالمواد فى هذا العالم البسيط حديد وخشب وحجارة نستخدمها لعمل الأدوات والآلات ، ونجد أن المادة فى هذا العالم البسيط تكون صلبة أو سائلة أو غازية كما أننا نجد فيه الحرارة والبرودة والصوت، بل نجد أيضاً الكهرباء التى لا نراها ولكنها تدخل فى الكثير من حاجاتنا . هذه الظاهرة ينسى الكثيرون أن يحاولوا تصورها، وكل ما نعلمه أنها تتولد من آلات خاصة وأنه من الممكن نقلها بالأسلاك . وفى هذا العالم البسيط يجري ترام وأمنيبوس، ويقهر الأرض فيه قاطرة وتحلق طائرة وتتعالى أصوات الآلات فى المصانع، وتتدافع الأشخاص بالمناكب فى مدن مكتظة، وتزدهر الحقول بفعل الفلاح وفعل الجو والماء، وتجرى الأنهار وتقام عليها الجسور ، وغير هذا على هذه الأرض السيارة والتى نشعر بما فيها وعليها بحواسنا الخمس : السمع والبصر واللمس والذوق والشم ويهيمن عليها وعى وتدبير يطلقون عليهما العقل ، وفى هذا العالم البسيط تعلونا سماء زرقاء فى مصر ملبدة بالغيوم فى غيرها ، حيث تجرى الكواكب فى مجراها، وكل هذا العالم غارق فى بحرين كبيرين: الزمن والحيز، هذان البحران أصبحا موضع عناية الباحثين والعلماء المدققين . الزمن والحيز ، عاملان نعتقد أننا جميعاً نعرفهما أو هما فى غير حاجة لدراسة معينة فقد ألم بأمرهما كل من أتيحت له الفرصة أن يجلس على مقعد بالمدرسة

هذه الصورة البسيطة للعالم والتى عللها العلماء لنا بقوانين بسيطة سواء فى الميكانيكا أو الطبيعة أو الكيمياء لم تعد بسيطة كما عهدناها ففى جو التفكير العلمى انقلاب شديد لم يشعر به الرجل البعيد عن الجامعات ومعامل البحث. وشعر به العلماء والجامعيون المشتغلون، والواقع أننا لو انحرفنا قليلاً عن الأوضاع البسيطة التى ذكرناها والأوصاف التى قدمناها وأردنا أن نعرف للعالم صورة أدق من الأولى صورة تنطبق على الآراء العلمية الحديثه ، فلا مادة حسب التفكير الأول البسيط ، بل إن المادة جسيمات صغيرة جداً فى حركة دائمة ، وهذه الكوبة المملوءة بعصير البرتقال مثلاً أو الماء الصافى تمثل مجموعة من ملايين الأجسام المتحركة ، فهى شبه مجموعة من النحل حول خليتها فى حركة دائمة، فكما أنه ليس هناك سطح معين لمجموعات النحل حول الخلية ، فإنه لا سطح معيناً للماء فى الكوبة بل مجموعات من الجسيمات هنا وهناك تعد بالملايين .

وفى هذا العالم الذى نعيش فيه والمملوء من هذه الجسيمات المتحركة لا ضوء هناك ولا لون ولا صوت ، فكل هذه مظاهر لا تختلف إلا بعدد فى الذبذبات والتردد؛ فالذى نسميه مادة أو ضوء ما هو إلا كهرباء، بل لا فارق بين الطاقة والمادة، ويمكن القول اليوم أن الإثنين شىء واحد ، بل المادة نفسها كهرباء والكهرباء مادة على أن قوانين هذا العالم المضطرب تختلف حسب صورته الجديدة اختلافاً كبيراً عن الأشياء التى تعودناها فى حياتنا اليومية والتى لم تظهر القوانين التى نعهدها صحيحة لنا إلا لأنها متوسطات للقوانين الحقيقية للعالم على صورته الجديدة

هذا الاختلاف فى صورة العالم ومظاهره قد تعدى كل شيء حتى إن القوانين العادية الخاصة بالزمن والمسافة التى تحكم هذا العالم تختلف اختلافاً مبيناً عن التى تعلمناها فى المدارس ، فالحيز الذى اعتدنا أن نتصور فيه طوبة أحوتب ، هذه الطوبة التى نستعملها اليوم لبناء منازلنا ، هذه الطوبة ذات الطول والعرض والارتفاع ، هو حيز معوج ؛ والمثلث الذى اعتدنا أن نعتبر مجموع زواياه تساوى قائمتين ، هو فى الواقع ليس كذلك ؛ والخط الذى اعتدناه مستقيماً يلتف فى النهاية حول نفسه، بل إن الزمن ذاته يحمل فى طياته أغرب القضايا بعدم التعيين أو المعرفة ، ويتبين لنا ذلك إذا حاولنا أن نحدد زمنيًّا حادثين بعيدين الواحد عن الآخر

فتبيان هذه الموضوعات وسرد قصة العالم بالتقرب ما أمكن من حقيقته تكون اليوم مجموعة من المعلومات الثقافية ذات الأثر

في تكوين الفرد وتفكيره وحكمه على الأشياء

هذه المجموعة الجديدة تختلف كل الاختلاف عن الصورة التي عهدها القارئ لهذا العالم التي ترتسم في ذهننا بما نراه وما اعتدناه وتعلمناه . على أن المهم في ذلك أن هذه التطورات العلمية الأخيرة التي تلزمنا كما سنرى أن نعامل الأشياء بقوانين مختلفة، كان لها تأثير في عالم الاكتشاف والاختراع مما سيكون له أثر على الجيل القادم

ليس من السهل أن نطالب كل امرئ بتصديق كل هذه التطورات العلمية الجديدة دفعة واحدة وبدون سابق شرح ، لهذا عمدت إلى هذه المقدمة التي نوهت فيها على قدر الإمكان ببعض الموضوعات التي سأتناولها.

وكأني أشعر بالقارئ يسائل نفسه كيف وصل العلم لمثل هذه القضايا والتفسيرات الجديدة التي تجعله يتشكك في أبسط الأشياء ، في الخط المستقيم الذي اعتاد اعتباره كذلك ، في فضاء أقليدس ومحاوره الثلاثة ، الذي كان نتيجة طبيعية لتصوره . كيف وصل العلم لهذه التفسيرات الجديدة التي ظاهرها غريب شاذ ولا تدل عليه أعمالنا اليومية ؟ ألا تكون ضرباً من التخمين والاجتهاد العلمي (Speculation) الذي يراد به تفسير بعض الظواهر ولن يلبث العلماء حتى يعودوا إلى النظريات القديمة ؟ ألا تكون الحال كالصور الحديثة عند ما زهد الفنانون في إخراج صورة خالدة مثل « الجيوكوندا » من عمل « ليونارد دي فنسي » فمثلوا لنا وجه المرأة بدائرة داخلها نقطتان ، والشجرة بخط أو خطين

ولكني أجيب القارئ أن الأمر ليس كذلك ، فليس الذي يدفع بالعلماء لهذه النظريات الجديدة هو حبهم للتخمين ، رغبة في جديد وهجر لقديم ؛ وبينما يعرف الفنان أن الاقبال على فنه موقوف إلى حد ما على التغيير وترك القديم للحديث، فليس هذا شأن العالم ، إذ أنه مثل الرجل العادي على حد سواء يسعى دائماً لتبسيط المسائل وليس له مصلحة في التعقيد . والواقع أنه إذا كان قد وصل الآن إلى مثل هذه الصورة المعقدة للعالم فان ذلك لأنه أراد أن يعرف للعالم حقيقته ويتوغل نحو المعرفة لأقصى الحدود

على أنه في هذا المجهود الذي يقترب فيه رويداً رويداً من حقيقة الكون وسر الوجود والذي يرسم لنا فيه صورة للعالم أكثر انسجاماً من صورته الأولى ، يعمل لتقدمنا إلى الأمام كجنس سوف يختلف فيه الإنسان القادم عن الحالي ، كما اختلف الإنسان الحالي عن القردة

ألم نكتشف النار وظلت تجهلها القردة ؟ ألم نصنع لأنفسنا طوبة المحوتب وظلت في الكهوف ؟ ألم نكتشف أخيراً الكهرباء وإشعاع المادة وتهدم الذرة؟ ألم نعرف القاطرة والطائرة ، والتلفون والتلغراف ، والمصباح وأنبوبة النيون ، والراديو والتليفزيون ؟

لقد كلفتني هذه المقدمة والتفكير في المقالات التي تليها قراءة عشرات الكتب وحضور الكثير من المحاضرات فطالعت دي بروي وبران وفاري (Fabrie) ومليكان وسودي وإدنجتون وجن ومارسل بول وريشنباخ وغيرهم ممن حاولوا بجانب أعمالهم العلمية أن يقوموا بدور تبسيط العلوم . وقد اعتزمت أن تكون مقالاتي أكثر في التبسيط من هؤلاء ، ولكني أرجو ألا أذهب في التبسيط إلى الحد الذي تُقتل فيه الموضوعات وتنهدم فيه فائدة القراء . ولا أدري ماذا كان وقع هذه الكلمات على القراء ، فهم أدرى بها مني، وهم الذين يقدرون إن كان هذا التبسيط كافياً. ولا تظن بعد ذلك أنني سأتحدث في المقال القادم في أول درس في الزمن حسب ما يراه إينشتاين ، أو الحيز حسب ما يفهمه ريمان، أو أحدثك عن كون يتمدد وفق آراء « دي ستير » وملاحظات هبل (Hubble) أو أدخل بك في الذرة وتهدمها اليوم تحت معاول العلماء مما سيكون موضوع أحاديثي القادمة ، ولكني أرجو أن تسمح لي أن أتمم هذه المقدمة التي آمل أن يكون منها فائدة ، فأتحدث أولاً عن الطريقة التي يشتغل بها العلماء . ما هي منابعهم ؟ ما هي طرائق العلم الحديث ؟ فأفرق بين العلم النظري والعلم التجريبي وفي هذا سأنتزع كل ما أمامي من الكتب والمؤلفات فأدعها جانباً لأني وقد قضيت زهرة العمر في المعامل ، وفي معامل البحث يصح أن أتحدث عن الوسائل الحديثة التجريبية ، وأفرق بين عالم التخمين وعالم الحقيقة ، وأدل القارئ — كيف يسيطر العلماء اليوم على حالة التقدم

فإذا انتهيت من هذا في المرة القادمة يصح أن نجول معاً بعد ذلك في الكلام عن الحيز ثم الكلام عن الزمن فنكون قد اشتركنا معاً في أول درس حقيقي من دروس الفلسفة الطبيعية

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

هجـــرة الأسماك

بقلم رضوان محمد رضوان

الهجرة ظاهرة غريبة تشاهد فى المملكة الحيوانية على وجه العموم ، وهى ترى بوضوح فى الأسماك ، وكذلك فى الطيور

وتهاجر الأسماك لغرض التناسل ، فمنها ما يهاجر من النهر إلى المحيط للبحث عن مكان تبيض فيه ، والمثل المعروف لهذا النوع من المهاجرة هو ثعبان السمك .

فمن المشاهدات العديدة ، وجد أن ثعابين السمك لا تتكاثر أصلاً فى الأنهار التى تعيش فيها كبقية الأسماك النهرية ، إلا أنه بالرغم من ذلك توجد منها كميات كبيرة لا تقل فى سنة عن أخرى ، وكذلك توجد منها أفراد كبيرة وأخرى صغيرة ؛ وشوهد فى نفس الوقت أن الثعابين الصغيرة تصعد من المحيط إلى النهر . أما الكبيرة فترحل من النهر إلى المحيط

وعلى ذلك اتجه الرأى إلى أن الثعابين ترحل من النهر إلى المحيط للتناسل ، وفعلاً أثبتت المشاهدات أنه لا يتم نمو الثعابين — ويكون ذلك فى سن الخامسة أو السادسة — حتى تتحين وقت الخريف ، وتترك النهر فى جماعات هائلة متجهة إلى مصبه ، فإذا أمسى الليل ، وكان البحر هائجاً ، تنزل إليه وتعوم بنشاط عجيب ، وتبتدئ بذلك رحلتها القريبة ، فتمر من بوغاز جبل طارق إلى المحيط الأطلنطى ، وتعبره إلى جزائر برمود شمالى بحر السرجاس والتى تبعد عن شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية بنحو ألف كيلومتر

وقد اصطيدت حيوانات مختلفة فى مناطق متعددة أثناء هذه الرحلة الطويلة ، فوجد أن الغدد التناسلية تكون أقرب إلى البلوغ والنضج كلما قربت الحيوانات من بحر السرجاس مما يدل على نموها طول فترة السياحة

تقطع إذاً الثعابين آلاف الكيلومترات لكى تصل إلى جزائر البرمود بسرعة ٢٠ — ٣٠ كيلومترا فى اليوم ، فإذا ما انتهت إلى مكانها المقصود ، تبيض الأنثى كمية كبيرة من البيض تبلغ المليون ، وقد تزيد على ذلك ، ثم تفرغ الذكور الحيوانات المنوية فى الماء ، وبهذه الطريقة يتم إخصاب البيض

وحين يفقس البيض وتخرج منه اليرقات ، تبدأ سياحتها راجعة فى نفس الطريق الذى سلكه أبواها من قبل ، وتتغذى فى طريقها بالحيوانات المائية الدقيقة

أما مصير الأبوين بعد وضع البيض وتلقيحه فأمر مجهول تماماً إلا أن بعض العلماء يرجح موتها كما هى العادة عند بعض الحيوانات

وعند ما تعبر اليرقات المحيط إلى النهر تصل إليه فى أوائل الشتاء ويعيش جزء منها بقرب مصبه ، وهذه تكون فى غالب الأحايين ذكور المستقبل والتى تعيش فى أعالى النهر تكون الأناث . وتستغرق الثعابين فى رحلتها هذه حوالى العامين

وهناك نوع من الأسماك يهاجر من البحر إلى النهر مثل السمك الأوربى المعروف باسم « حوت سليمان » فهو يهاجر فى جماعات كثيرة العدد فينزل البحر الذى يعيش فيه فى أواخر الخريف وأوائل الشتاء ويتجه نحو النهر مفترساً ما يصادفه من الأسماك الأخرى ، وله مقدرة غريبة على السباحة فى النهر ضد التيار ، كما أن لديه القدرة على القفز متخطياً بذلك أى انحدار يصادفه فى مجرى الماء ، وقد وصلت إحدى قفزاته إلى ارتفاع ثلاثة أمتار فوق الماء

وفى الأنهار التى بها سدود تعترض طريقه ، والتى يتعذر عليه أن يقفز من أسفلها إلى أعلاها ، فكر كثير من العلماء فى إنشاء بناء مائل على هيئة السلم بجانب السد ينحدر عليه الماء من أعلى السد إلى أسفله ، وبذلك يتاح لحوت سليمان أن يتابع سيره بدون أدنى صعوبة

فإذا ما وصل إلى مصب النهر يصوم عن غذائه وحينئذ تبتدئ الغدد التناسلية فى التضخم والنضج

ولقد شوهد أن الحيوان يختار فى رحلته هذه الأنهر السريعة الجريان المتدفقة المياه ، ولذلك فهو يفضل دائماً أن يرحل إلى الأنهر الأوربية فى أوائل الشتاء حيث تهطل الأمطار بشدة وتزداد سرعة المياه فى الأنهار لدرجة كبيرة

وتبين أن الحكمة فى هذا الاختيار هو أن ماء الأنهر السريعة الجريان يحتوى على كمية كبيرة من غاز الأكسجين الذاب ، فإذا ما احتوى اللتر من ماء المحيط على ٦ س و ٣ م من الأكسجين الذاب نجد أنه دائماً يتجه إلى الأنهار التى يحتوى اللتر من مائها على ٨ س و ٣ م أو أكثر من غاز الأكسجين ، كما أنه فى أثناء صعوده النهر يتخير دائماً الأفرع الغنية بالأكسجين إذ أنه شديد الحساسية لهذا الغاز

فإذا ما وصل إلى منبع النهر تكون الغدد التناسلية قد تم نضجها فتبيض الأنثى عدداً عظيما من البيض ثم يلقح الذكر البيض وبذا يتم إخصابه

وبعد ثلاثة أشهر يفقس البيض يرقات تتطور وتنمو كل واحدة منها إلى سمكة صغيرة تعيش فى مكان أبويها مدة تقرب من السنتين ثم تهاجر من مكانها من النهر إلى المحيط حيث كان مقر أبويها من قبل وهى تسلك فى ذلك نفس الطريق الذى سلكه الأبوان فى رحلتهما الأولى

تلك كلمة موجزة عن رحلة بعض أنواع السمك ، يتساءل الإنسان بعدها ما الحكمة أو ما الدافع الذى يحدو هذه الحيوانات أن تترك موطنها وتهاجر فى رحلة شاقة معرضة لأشد الأخطار وكان الأحرى بها أن تبقى حيث نشأت فتتناسل وتتكاثر فى أمان

لم يعثر العلم بعد على تفسيرات شافية لهذه التنقلات العجيبة ، وكل فرض قيل فى هذا الباب هو من قبيل التخمين ليس إلا ؛ فلا زال الإنسان يعترف بجهله أمام هذه الظاهرة الغريبة ، إلا أن العلم قد أثبت بصفة لا تحتمل الشك أن هذه الهجرة صفة وراثية يكتسبها الأبناء عن الآباء، يدل على ذلك أنه عند قيام الثعابين السمك الأمريكية التامة النمو بسياحتها من الأنهار إلى المحيط فإن يرقاتها لا ترجع إلا إلى الأنهار الأمريكية التى تربى فيها أبواها فلا يوجد ثعبان السمك الأمريكى فى أنهار أوربا ولا فى أنهار أفريقيا؛ وكذلك الحال مع الثعبان الأوربى والأفريقى، كل يسلك سبيلاً مرسوماً لا يحيد عنه قيد أنملة ، هو السبيل الذى سلكه أبواه من قبل

رضوان محمد رضوان

بكالوريوس فى العلوم الزراعية

تاريخ الفــــن

للدكتور أحمد موسى

٢

وعند ما ظهر مؤلف فردرش كرِسْت وزميله جيزنر عن الفن القديم ، كان مكان اجتماعهما أشبه شيء بأكاديمية للفن التى فيها الكثيرون من أهل العلم والفضل من أولئك الذين كانوا يقرؤون كتب الفرنسيين منذ ساندِرت لعدم وجود غيرها من المؤلفات القيمة (والحديثة نسبياً) بغير اللغة الفرنسية

وعلى رأس هؤلاء الأفاضل يوهان يواخيم فنكلمان Winckel-mann[1] الذى إليه يرجع الفضل الأكبر فى توجيه العقل الألمانى إلى وجوب معرفة الحضارات القديمة ودراستها ، إذ بها وحدها يمكن إيجاد أسس النهوض ووسائل التوجيه المنتج وتحسين الموجود وإمكان الابتكار ، كما كان له فضل عظيم فى إيجاد الدراسات الجامعية المنظمة لعلم الآثار وتاريخ الفن

وإلى جانب هذا الرجل يجب التنويه برجلين هما هينى وليبرت كما نذكر فون هاجدورن وهاينكن وفون شتوخ ، الذين عملوا جميعاً على ازدهار هذا العلم بدافع من أنفسهم فى كل إخلاص وصدق

ومن أهم ما نذكره فى مضمار تاريخ الفن القديم على وجه الخصوص تلك الحفريات الموفقة التى أجريت فى بومبيى Pompeyī

(١) يعتبر فنكلمان مؤسس علم الاركيولوجيا وتاريخ الفن القديم ، وله آراء محترمة فى تعريف الجمال الفنى والجمال المثلى وله نظريات مأخوذ بها فى علم تاريخ الفن ، كما تدين له الدراسات الفنية بالطريقة المسلكية من حيث ترتيب الطبقة والنوع والتكوين والمميزات . ولد فى ٩ ديسمبر سنة ١٧١٧ باستندال فى آلتمارك وتوفي فى تريستا يوم ٨ يونيو سنة ١٧٦٨

راجع : Justi; Winckelmann, sein Leben, seine Werke und sein Zeitgenossen. 3 Vols. Leipzig 1898.

بالقرب من نابولى فى أواخر القرن الثامن عشر وفى هركولانوم Herculanum[1] وكذلك الأعمال الأثرية المساحية التى قامت بها البعثة الإنجليزية فى أثينا برياسة ستيوارت وربويت والتى ترتب على النتائج الباهرة التى وصلت إليها وما أوجدته من روائع الفن خلال الحفر أن تحول الميل من البحث فى روما إلى البحث فى بلاد الإغريق عن كل ما تحويه أرضها من كنوز يزداد الإعجاب بها والولوع بدرسها كلما ازداد العثور على شيء من محيطها الهائل . فأصبح ميل العلماء شديداً ، كل فى مادة تخصصه ، إلى الهيلينزم أو الثروة الإغريقية فى منطقة هيللاز

عندئذ ولكثرة ما عثر عليه بدأ الأفراد العارفون يجمعون التحف ، وبدأت الحكومات تشجع على أعمال الحفر وتشرف عليها وتأخذ نصيبها مما وجد ، وكان ذلك النواة الأولى لإيجاد المتاحف العامة .

ونحن وإن كنا نعلم تمام العلم أن باريس كانت القلب النابض للآثار وتجارة العاديات بالنظر إلى ما جلبه نابليون ؛ إلا أن ظهور نتائج الحفريات فى روما وفى بلاد الأغريق ووصول أهم ما وجد فى أثينا على مرتفع أكروبوليس من أعظم ما رأت العين من نحت الرخام وأعمال التصوير والحفر التى جمعها البارون إلجين[2] والمجموعة

(١) تعتبر هركولانوم ثالثة المدن المهمة فى التاريخ القديم الخاص بمنطقة كامبانيا بعد نابولى وكابوا تقع بين نابولى وبومبي على الساحل ، سكنها الاغريق الذين رحلوا من جنوب إيطاليا ، وأصبحت مدينة رومانية منذ سنة ٣٠٧ ق . م وقد دمرتها الزلازل سنة ٦٣ بعد الميلاد ، كما اكتسحتها حمم بركان فيزوف وغطتها ففقدت معالمها وبنى فوقها جزء من مدينة رسينا ، وقد عثر على حمامات مجاورة لهركولانوم فى سنة ١٨٨٠ غاية فى الروعة وحسن التنسيق

راجع : Furchheims , Bibliograhia di Pompei , Ircolano e Stabia. Napoli 1891.

(٢) Elgin Marbles هى تلك المجموعة الفريدة التى جمعها توماس بروك إلجين فى أوائل القرن التاسع عشر بتصريح من الحكومة التركية التى كانت تستخدم هذا المرتفع كقلعة حصينة وتمكن بروك بهذا التصريح =

الرائعة التى تمثل الفن الأجينى Aeginic Art إلى مونيخ ، ومجموعة منحوتات أفاريز معبد برجامون التى تمثل الفن البرجامونى أحسن تمثيل إلى برلين Pergamen Sculptures كل هذا قاسم عظمة باريس وجعل من هذه المدن مدارس للفن ولدراسته العليا

وبتأسيس المعهد الأركيولوجى فى روما (١٨٢٩) ، وما قام على تأسيسه من إنتاج هائل ونشاط بديع ، وبإيجاد معاهد أركيولوجية لبلدان أخرى — إلى جانب الأكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٦٦٦ — فإن هذا مما ساعد كثيراً على إيجاد المواد العلمية لتاريخ الفن الذى لا يقتصر على ما هو قديم ؛ بل يتناول كل إنتاج فنى أياً كان عصره ، إلا أن الطريقة التى يسلكها فى التسجيل والنقد والتقدير والتأريخ للقديم لا يمكن أن تكون مشابهة لتلك التى يستخدمها للفن المعاصر الذى شوهه ذوو الأغراض والعجزة المدعون بمن يعتمدون على تشجيع غير الدارسين ، وعلى دعاية الصحافة التى تدعى حرية الفكر والعمل ، لأسباب جوهرية سنذكرها فى مقال خاص بفلسفة الفن الحديث

ولقد ظهر بعض الصور المحفور أصلها على لوحات من النحاس Copper Engr..ving مثّلت روائع العمارة ، وأول هذه على ما نذكر ، ما أخرجه جون فيليبيا Felibien فى كتابه Recueil historique de la vie des ouvrages des plus célèbres architectes. Paris 1687 . وكذلك أندريه فيليبيا فى كتابه : Entretie s sur les vies et sur 'es vies et sur les ouvrages des plus excellents pein'res. 4 Vols. London 1705 اللذان سلكا فيهما مسلكاً نقدياً علمياً للإنتاج الفنى الحديث ، وكان للكتاب الأول صدى مهد السبيل لترجمته إلى اللغة الألمانية (طبع بهامبورج سنة ١٧١١)

أما تأريخ الفن المتوسط ، ولاسيما فن البناء ، فقد ظهر الاهتمام به فى انجلترا أولاً وكان هذا فى أواخر القرن الثامن عشر

وفى ألمانيا اشتغل فريق من العلماء بتاريخ فن التصوير الألمانى القديم (نسبيًّا) على رأسهم فواسيريه وفون كوانت وفرانس كوجلروهيدلوف ؛ وكان لإنتاجهم وتقدمهم صوت مسموع ، جعل من الفنانين تلامذة يقدرون الفن القديم (نسبيًّا) ويقتبسون منه ويسيرون على ضوئه ويعملون على إحياء ما بلى منه ؛ فظهر أثر الفن المتوسط لا سيما الفن الرومانتيكى

وظهر فى فرنسا مثل هذا الاتجاه على أيد فاضلة نسجل بعضها كفواليه لى دوك ولابورد وشابوى ودوسوميرار ودالى وبالوستر ، وظهر فى أسبانيا كافيدا ، وفى انجلترا ستريت وبوجين وجوتر وفرجسون . وكانت النتيجة لهذا المجهود الشامل أن تأرّخ الفن الوسيط تأريخاً جامعاً كاملاً . وهنا استطاع المؤرخ الفنى المستقل أن يربط بين هذه التآريخ بعد التمهيد لها وتم الأمر فى النهاية بوضع تاريخ الفن المتوسط على الأسس الحديثة

ولتأريخ الفن الإيطالى فى عصر النهضة قصة ، فحو إيطاليا حب الرحيل إليها ، وجمال الفن الإيطالى لفت النظر إليه ، هذا إلى جانب قيمة استقلال البلاد مما يبعد عنها الدهماء من الأجانب فلا يلتقى فيها سوى أهل العلم والفضل من مختلف الأمم ؛ فاهتم فريق منهم بتأريخ فن عصر النهضة الإيطالى ، ولا نزال نذكر جوتييه وبرسيه وفونتان وليتاروبلى . وكتاب « أبحاث إيطالية » لمؤلفه رومور (طبع برلين فى ثلاثة أجزاء ١٨٢٧ — ٣١) من خير ما ألّف لهذا العصر ، ففيه تناول المؤلف طريقة النقد الفلسفى للفن . وعلى منواله نسج كل من بورشاردت الألمانى ولانسى وكفالكاسيل وموريللى الإيطاليين وكروا الإنجليزى ، وهؤلاء جميعاً ولا شك أئمة مؤرخى الفن المحدثين

وفى نفس المرحلة الزمنية كان قد بدأ فريق من علماء هولاندا بالاشتغال بتأريخ الفن أمثال شابس وإعرتسيل وغيرهما ؛ على حين اشتغل باسافان وفاجين بمشاهدة التراث الفنى وتأريخه على أساس

= من أخذ جميع ماوقع عليه بصره من كنوز كرت وصورت فى مجلدات ضخمة ، كما قام بأعمال قياسية ومساحية دقيقة انتهى منها بعد أن ترك الدار تنعى من بناها .

وترتب على شراهة بروك التى لا نظير لها ورغبته فى نقل كل ما يمكن نقله إلى انجلترا أن تشوهت مبانى أكر وبوليس ونقصت نقصاً معيباً ليس له مثيل فى تاريخ أعمال الحفر ، لا سيما فى أفاريز وحليات وزخارف وتصاوير بارتنون (راجع مقالنا بالرسالة سنة ١٩٣٨) ، ومنها تلك المنحوتات نصف البارزة التى يخيل إلينا أنه لا يمكن إبداع خير منها على الرخام ، ومنها بعض الرءوس وبعض التفاصيل البنائية من معبد إرشتايون (راجع للمقال الخاص به فى الرسالة سنة ١٩٣٨) وغير ذلك كتمثال ديونيزوس المشهور والذى لا يزال المتحف الأغريقى بلندن (Brit. Mus.) يفخر به ويضعه فى أبرز مكان . هذا إلى جانب مجموعة الأحجار الأثرية المكتوبة والمنقوشة التى أرسلها إلى لندن داخل صناديق بلغت المائتين .

راجع : Ellis, The Elgin Marbles in the British Museum

النقد المقارن ، واجتهدا فى إيجاد صلات وروابط فنية بين إنتاج الأمم المختلفة وطناً المتشابهة إنتاجاً ، نتيجة لتشابه الموقع الجغرافى العام وتشابه الوسط الأوربى والعقلية والثقافة التى كانت تحيط بها العقيدة الدينية إحاطة كاملة

إلى هذه اللحظة لم تكن المؤلفات الحديثة عن تاريخ الفن العام قد ظهرت بعد ، ولم يكن بد من العمل على إيجادها ، فتكاتف لحسن الحظ فريق من علماء الألمان — كسابق تكاتفهم فى مضمار تأريخ الفلسفة — على إخراج مؤلف شامل ؛ فظهر فى الأفق كتاب « شنازه » وبعده بقليل كتاب « لوبكه » وبعده الكتاب القيم « لأنطون شپرنجر » وقسمت الكتب إلى عصور والعصور إلى مراحل والمراحل إلى شعوب فكان منها تاريخ الفن القديم بما فيه تاريخ فن ما قبل التاريخ ، وتاريخ الفن المتوسط وتاريخ الفن الحديث ، هذا فضلاً عن تقسيم الإنتاج الفنى نفسه إلى عمارة ونحت وتصوير وفنون رفيعة وموسيقى وغيرها

وكان للتصوير الفوتوغرافى قيمة فى المساعدة على إخراج الكتب مزودة بصور الإيضاح التى يعتمد عليها تاريخ الفن كل الاعتماد والتى بدونها يفقد المؤرخ الفنى أهم مادة من مواد درسه ، حتى لترى بعض الجامعات تشترط على طالب تاريخ الفن والآثار الدراية التامة بالتصوير الفوتوغرافى الذى بدونه لا يتم له العمل

وظهرت معاجم ودوائر معارف للدراسات الفنية والآثار تنعم بها ، فضلاً عن المجلات الخاصة وعن تقارير أعمال الحفر والاستكشاف الخ

وكان للتقدم الباهر فى علم الجيولوجيا قيمته وأثره فى تاريخ الفن وعلم الآثار كما كان لتقدم دراسة الأنثروبولوجيا أكبر الأثر فى تحديد الإنتاج الفنى لكل شعب

من كل هذا نرى أن تاريخ الفن والكتابة فيه وتناوله بالنقد ليس بالأمر اليسير وليس مما يباح فى البلاد المحترمة لغير المتخصصين

أحمد موسى

المـــــرأة اليونانية

الآنسة زينب الحكيم

المرأة اليونانية الحديثة المتعلمة

زرت إحدى دور الآثار « National Museum » يوم الجمعة ٥ من أغسطس سنة ٩٣٨ . والدخول إليها بأجور مرتفعة للأجانب وزهيدة جدا للأهالى .

بناء الدار فخم ، أمامه حديقة كبيرة منسقة . رتبت محتوياتها وجلها من التماثيل الكبيرة والصغيرة ، والآنية الخزفية ، والفازات المنوعة الأشكال والمادة ، وكذلك الحلى ، رتب كل هذا بنظام علمى تاريخى وفنى ملحوظ ، مما يجعل الزائر يشعر بعد تركه الدار أنه استفاد شيئا قيما . فإن بساطة مظاهر الحجرات إنما يرفع القيمة العلمية التى امتازت بها درجات .

لا يوجد بالدار عمال كثيرون، ولا موظفون؛ والذين يتولون الشرح للزوار علماء وعالمات بالعاديات .

وكان يلتف حول كل شارح وشارحة جماعة يفهمون اللغة التى يشرح بها ، فرأيت جماعة من الألمان ، وجماعة من الانجليز انضممت إليهم ، وجماعة أخرى يشرح لها بالفرنسية ، وجماعة رابعة تشرح لهم سيدة يونانية باللغة اليونانية .

كان صوت هذه السيدة مرتفعاً إلى حد مزعج ، شوش على جميع المتفرجين ، كما ظهرت عليها سمات الغرور ، وعدم المبالاة مع أنها فتاة فى ريعان الشباب أنيقة الهندام جميلة الوجه ، عالمة بدليل أنها تتولى الشرح لعاديات بلادها . إذن كان من أول واجباتها أن تكون أيضاً مثقفة مهذبة بمعنى أن تتذكر تطبيق ما تعلمته من آداب الحديث والاجتماع عمليا وهى فى طور اليقظة وإلا فمن شب على شىء شاب عليه . على أن هذه الناحية من النقص قد لحظتها بين كثيرات من السيدات اليونانيات المتعلمات .

ثلاث الفتيات الجميلات كريمات المرحوم نيكولاس اليونانى اعتبرن منذ طفولتهن من أجل أميرات أوربا ، وجمالهن الآن يشمل ثلاثة بلاد . فالأميرة الجا إلى اليسار هى زوج البرنس بول الوصى على عرش يوجسلافيا، والأميرة الزبث فى الوسط زوجة الكونت شارلز بيافاريا، والأميرة مربنا إلى اليمين وهى دتشس كنت ، وثلاثتهن يتحلين بأكرم الأخلاق التى ورثنها عن جنسيتى والديهما (الأم روسية والأب دنماركى) يضاف إلى ذلك سحرهن الشخصى الذى لا يحاكى . وثلاثتهن حقا زينة الأسر الملوكية فى أوربا الحديثة

المرأة اليونانية فى بيتها

زرت بعض الأسرات اليونانية الكريمة فى بيوتها ، وكان من بين هذه الأسر ، أسرة كاتب شهير ، وكذلك زوجه كاتبة ذائعة الصيت زرتها أول مرة ، فلم تكن السيدة موجودة لارتباطها بموعد سابق ، فقابلنى زوجها فى حجرة مكتبه — وقد تبينت أنه رجل مهذب ، يمتاز بسجايا الرجل الجنتلمان . أطنب كثيراً فى مدح زوجته ؛

مما دل على حسن تقديره لها واعتماده عليها ، إذ قال : إنها ذراعه اليمنى فى إخراج المراجع التى يحتاجها من المكتبة

قدم لى تحية الزيارة ... قهوة ، ولكن وضع معها على الصينية صحنا به مربى ، وحوله ثلاثة أكواب بها ماء مثلج ، ووضعت على كل كوب ملعقة صغيرة . استفسرت منه عن كيفية السلوك الذى يجب أن أسلكه ؟ !

قال : هذه عادة يونانية . يؤكل جزء من المربى ويشرب بعض الماء البارد ثم تشرب القهوة . بعد قليل ودعت الرجل وانصرفت على أن أحظى برؤية زوجه فى الزيارة الثانية

فى اليوم الذى سبق تحديده ذهبت لزيارة هذه الأسرة ثانية ، وجلسنا هذه المرة فى حجرة مكتب السيدة الزوجة ، وبعد التعارف وحضور حمى الزوج أيضاً ، قالت الزوجة : تريدين معرفة شىء عن الحركة الاجتماعية فى اليونان ؟ قلت : نعم ، وأريد أن أعرف كذلك شيئاً عن الحركة التعليمية بالنسبة للمرأة اليونانية ، ويهمنى كثيراً أن أصل إلى معلومات صحيحة . فقاطعتها أمها قائلة : إن نسبة المتعلمات من السيدات ٦٠٪ ، والرجال بين ٧٠،٨٠٪

وعادت الزوجة وأخبرتنى بنتف غير واضحة عن جملة أشياء مما أردت ، وقاطعتها أمها مرات ، وقاطعتها هى بدورها مرات ، ونسيتا نفسيهما فارتفع صوتهما ، وكثرت حركات أيديهما

وسألت عن اسم سيدة أخرى من شهيرات نساء اليونان ، فذكر الزوج اسم سيدة ، فقلت تفضل بكتابته لى بغير الأحرف اليونانية حتى تسهل على قراءته ونطقه صحيحاً .

قام الرجل وبحث عن قصاصة من الورق على مكتب زوجته ، وما كاد يرفعها ويأتى بها إلى مقعده حتى انقضت عليه الزوجة معنفة بحالة شرسة ، وأعصاب ثائرة ، وغضب شديد ، لجرأته على التعدى على منضدة كتابتها ، وأخذ تلك القصاصة المشئومة . قابلها الرجل بابتسام ورحابة صدر ، وسلك سلوك الرجل السميدع الذى صمم على ستر الموقف مهما كلفه ذلك . لكن الحقيقة التى لا يمكن الهروب من ذكرها ، هو أن سلوك الزوجة ذاك ، إن دل على شىء فلا يدل على أكثر من التربية الناقصة ، والغرور الفاضح بمعلومات واهية لا تثمن ولا تغنى إذا كان هذا هو تأثيرها فى نفس تلك السيدة الجميلة الوجه الأنيقة الهندام الشرسة الطباع المغالية فى تشويه جمالها الطبيعى بإسرافها فى استعمال الأصباغ .

على أنى أهيب بالقارئة الكريمة ألا تستخلص من هذا أن جميع سيدات اليونان المتعلمات كهذه الأمثلة التى اتفق أن رأيتها . إن من بينهن مثقفات أنيقات بحق عالمات بصدق . ولعل ذلك يتجلى فى الشقيقات الثلاث الموجودة صورتهن بين هذه الصفحات .

أزياء يونانية قديمة لا يزل يرتديها الفلاح اليونانى حتى الآن ، وبعض حراس المعارض ، ودور الآثار

وإن أنس لا أنس أبداً مناظر السيدات اليونانيات اللاتى اشتركن فى الاحتفال بعيد الانقاذ القومى فى ٤ من أغسطس ١٩٣٨

لقد أتت من أجله السيدات اليونانيات من جميع أطراف بلادهن من الجزائر ومن القرى ، كل فريق له طابع خاص وشخصية مميزة ، ويتفق الجميع فى الحسن والرقة ، وحسن ذوق الأزياء التى ارتداها ممثلو وممثلات نحو مائة مكان باليونان .

وكلها يقصر دونها الوصف ويعجز عن شمولها الخيال ، منها ما مثل اليونان القديمة ، ومنها ما يزال يستعمل إلى الآن من تلك الأجيال السحيقة . فدعانى هذا إلى التفتيش فى التاريخ اليونانى القديم ، ليتسنى للقارئات استخلاص موازنة لأنفسهن بين المرأة اليونانية الحديثة والمرأة اليونانية القديمة . وموعدنا الأسبوع القادم إن شاء الله .

زينب الحكيم

رسالة الشعر

من جراح الذكرى

فاتنتي مع النهر ...؟

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَرَّتْ عَلَى النَّهْرِ .. فقَالَتْ لَهُ   وَمَوْجُهُ فى خَشْعَةِ السَّاجِدِ :
يا نَهْرُ قاسِمْنِي الأَسَى مَرَّةً   وهاتِ أَخْبَارَكَ عَنْ عَابِدِى !
نَبِيُّ أحلامى ، وشَادِى الهَوَى   بِمُعْجِزَاتِ النَّغَمِ الخَالِدِ
طالَ عَلَيَّ الشَّجْوُ مِنْ بُعْدِهِ   والصَّمْتُ مِنْ قيثارِهِ الزَّاهِدِ
أضاقَتِ الدُّنْيَا بتغريدِهِ   فَطَارَ عَنْ مَوْطِنِهِ الجَاحِدِ ؟
أَمْ رَاحَ يُلْقِيهِ ، فَيَمْضِى كما   مَرَّ الصَّدَى بالكَفَنِ الهَامِدِ ؟
يَا نَهْرُ أَسْمِعْنِي حَدِيثَ الهَوَى   وَهَاتِ عَنْ بُلْبُلِيَ الشَّارِدِ ..

* * *

فَغَمْغَمَ النَّهْرُ .. وَقَامَتْ لها   أَمْوَاجُهُ تُلْقِي صَلاَةَ الحَنِينْ
وَالشَّمْسُ فَوْقَ الشَّطِّ غَرْبِيَّةٌ   صَفْرَاءُ كَالشَّكِّ بِوَادِى اليَقِينْ
وَقَالَ : يا عَذْرَاءُ عِنْدِى لَهُ   أَسْمَارُ دَمْعٍ ، وَمَغَانِى أَنِينْ !
كَمْ مَرَّ بى ، تَحْمِلُ أَقْدَامُهُ   شُجُونُ أَزْمَانٍ ، وَبَلْوَى سِنِينْ
أَنْغَامُهُ مُرْتَعِشَاتُ الصَّدَى   وَالنَّايُ مَفْجُوعُ التَّغَنِّى حَزِينْ
لَمْ تَتْرُكِ الدُّنْيَا لَهُ فَرْحَةً   يَنْقِلُهَا مَوْجِيَ لِلعَاشِقِينْ
كَأَنَّمَا ذَوَّبَ أَيَّامَهُ   وَعَبَّ مِنْهَا سَكَرَاتِ الجُنُونْ

* * *

سَأَلْتُهُ : يا ابْنَ الأسَى رَحْمَةً   فَالنَّوْحُ لا يُطْرِبُ سَمْعَ الصَّبَاحْ !
فَجْرُكَ رَفْرَافُ السَّنَا ، والمُنَى   فَوْقَكَ طَيْرٌ عَبْقَرِىُّ الجَنَاحْ
مَالَكَ لاَ تُلْهَمُ غَيْرَ الأُسَى   وَلاَ تُغَنِّى غَيْرَ نَارِ الجِرَاحْ !
فَقَالَ : يَوْمًا سَتُلاَقِى هُنَا   بَيْضَاءَ مِنْ حُورِ السَّمَاءِ المِلاَحْ
تَبْحَثُ عَنِّى .. فَأَجِبْهَا : مَضَى   صَبُّكِ فِي الدُّنْيَا شَرِيدَ النُّوَاحْ
أَنْتِ الَّتِى أَسْلَمْتِهِ زَوْرَقًا   فِى لُجَّةِ الدُّنْيَا لِهُوجِ الرِّيَاحْ
فَمَرَّ كَالنِّسْيَانِ بى .. وَانطَوَى   صَبَاحُهُ عَنِّى شَقِيًّا .. وَرَاحْ !

* * *

فَاتِنَتِي ! سِرُّ الهَوَى سَابِحٌ   فِى نُورِ عَيْنَيْكِ .. فَلاَ تَسْأَلِى !
فِى زَهْرَةِ المَرْجِ شَذًى نَائِمٌ   أَخْشَى عَلَيْهِ يَقْظَةَ المِنْجَلِ ...

محمود حسن اسماعيل

في شتاء النفس

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

لم يعُدْ من بعد ما ضيعتني — مؤنسٌ لي غير شعري ودموعي
كلما هاج الجوي واشتعلتْ — لوعةٌ هوجاء ما بين الضلوع
صحتُ: يا قلبي المعنَّى غنني
واشفِ ما بي من جوى مُرٍّ وجيع
في شتاء النفس غنِّ مثلما — كنتَ يا قلبي تغنى في الربيع
غنني: واغسلْ جراحي بالدموع
واسكبْ السلوى على العاني الصديع
غنني: وارقص على وقع الأسى — كلما حطمَ درعاً من دروعي
غنني: ما طال ليلي: غنني
وادعُ فجري — أين فجري؟ — للطلوع
غنني: جَفَّتْ أزاهيرُ المنى
فادعُ صبى — أين صبى؟ — للرجوع
غنني: حتى هجوعي ربما — برئت نفسي من بعد الهجوع!
غنني: بل لا تغنى، زدتني
حسرةً. واهتجتَ يا قلبي ولوعي!!

عبد الحميد السنوسي

شهيد الزنبقة

للأستاذ ناجي القشطيني

نفحات زنبقة أنيقه — هبّت عليّ من الحديقه
ولِفيحها مال الفؤا — د كأنها جذبت عروقه
فوقفت أرمقها بعيـ — ني عاشق لاقى عشيقه
وأردت أهصرها بعطـ — ف من معاطفها الرشيقه
فسمعت نغمة بلبل — يدعو لزنبقتي رفيقه

* * *

خليتها وخبأت نفـ — سي بين أغصان وريقه
وبقيت أنظره وأعـ — جب من شمائله الرقيقه
فهوى يقبلها وأطـ — فأ في رحيقتها حريقه
ودعا إليه صديقه — والحر لا ينسى صديقه

* * *

بينا يُغنّي وهو نشـ — وان بخمرته العتيقه
إذ فاجأته يد المنو — ن فيبَّست في الحال ريقه
وغدا صريعاً حيث نا — م ونومة الموتى عميقه
فوثبت مرتاعاً وكا — ن رفيقه أبدى شهيقه
ملأ الحديقة بالنوا — ح وكيف لا يبكي شقيقه

* * *

ابن الطبيعة مادها — ك وأمك الأم الشفيقه
ماذا تحاول من حيا — ة كنت تحسبها دقيقه
عبثاً يحاول من يفتـ — ش في الحياة عن الحقيقه

«بغداد» ناجي القشطيني

في نهاية الطريق

مترجمة عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

أخرج الساعة من جيبه ، ونظر إليها للمرة العشرين في مدة لا تتجاوز بضع دقائق ، ثم أعادها إلى جيبه وأوثق عرى سترته بأنامل تدل حركاتها على الغضب . ثم مشى في الطريق الخالي المؤدي إلى البراح الريفي ، وقال في نفسه وهو حانق :

« إن هذا لا يطاق ! إنها وعدت بالمجيء في الساعة الحادية عشرة والنصف ، والآن مضت سبع دقائق بعد الثانية عشرة ولم يبد منها أثر ! »

ثم دار بلحظه في الفضاء ، وكانت الريح تعصف باردة ، فالتف بمعطفه وقال : « إذا لم تأت بعد خمس دقائق فإني سأعود »

ونظر في ساعته فوجد عقربها لم يتقدم غير دقيقتين ، فقال : « ها قد مضت أربعون دقيقة ولم تأت لوسى »

وترك الساعة في يده وأخذ يمشي ذهاباً وجيئة ، وهو يخال أن دقات الساعة ضحكات سخرية واستهزاء به ؛ ثم مضت المدة التي عينها للانتظار ، فوضع الساعة في جيبه وعقد عرى المعطف وأصر على أن يعود ، فسمع صوت طائر يغني فقال : « أزعجتني بصوتك يا طائر الجحيم »

ثم مشى مغضباً إلى منزله

* * *

بعد يومين من هذا المساء تلقى هذا الخطاب :

« عزيزي هيوبرت . لا بد أن يكون عذرك قوياً في إخلاف موعدي مساء الثلاثاء . ولكن بما أنك وجدتني لا أستحق أن تكتب إليّ على أثر ذلك فإني أبعث إليك بهذا طالبة إليك أن توضح لي أسباب غيابك وعدم كتابتك مشفوعة بالاعتذار . وإلا فإني أعتبر خطبتنا مفسوخة وأنا أعني ذلك وأصر عليه »

« لوسى »

غضب هيوبرت أشد الغضب عند ما قرأ هذه الرسالة ولم يعرف كيف يمكن أن يطالب بالاعتذار مع قضائه ساعة ينتظر في البرد القارس

وفي الصباح التالي كان يفكر فيما إذا كان يكتب أو لا يكتب، فوصل إليه غلاف مسجل من البريد وبه خاتم الخطبة .

وكان هيوبرت رجلاً كثير الفضائل، ولكن المرونة لم تكن من بين فضائله ؛ فقال في نفسه عند ما تسلم الخاتم : « هذا حسن جداً ! إذا لم تبدأ لوسى بالكتابة وبالاعتذار فإني لن أكلمها بعد : نعم لن أكلمها »

* * *

مضى على هذا اليوم ثلاثون عاماً . وكان هيوبرت يمشي في حديقة جميلة في حي مونتفورد . وكان اليوم صائفاً من أيام شهر أغسطس، فالتقى فجأة بسيدة في منتصف العمر. وكان هو أيضاً قد قارب الشيخوخة ، فوقف الرجل الأشيب أمام السيدة وقال : « لماذا لم تأتي في موعدك ؟ »

فقالت : « لقد مضت أعوام كثيرة أظنها ثلاثين، ولكن لماذا لم تأت أنت يا مستر هيوبرت ؟ »

قال : « يظهر أنك نسيت الموعد فأرسلت إلى خطابك الذي ادعيت فيه أنك جئت ، وهل تذكرين ؟ »

فقالت : « نعم أذكر وكنت في الساعة الحادية عشرة والنصف في المكان ولكنك لم تأت »

قال هيوبرت : « إنك لم تكوني هناك » فتحرجت لوسى

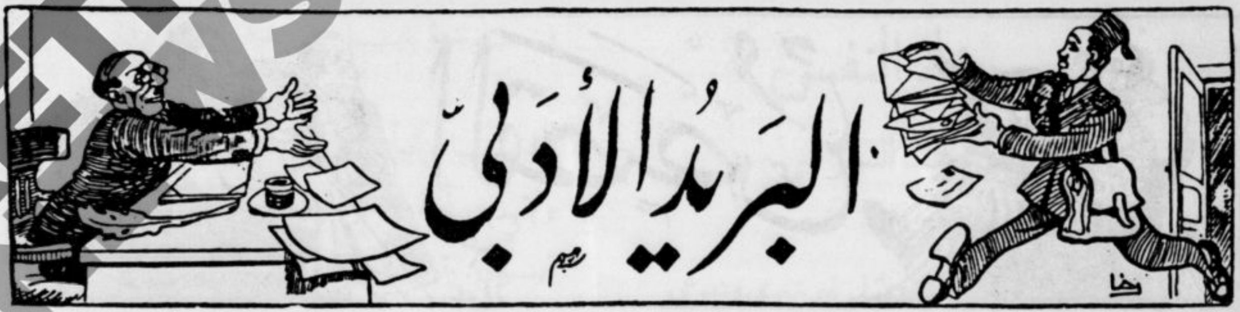

مقدمة ابن خلدون

صدر الجزء الثالث والأخير من مقدمة ابن خلدون باللغة الفرنسية عند الناشر الباريسي (جوتنر) Les Prolégomènes d'Ibn Khaldoun Editions Geuthner, Paris

وكان قد نقل المقدمة إلى اللغة الفرنسية المستشرق (دى سلان) ونشرها فى باريس سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٨ . فوقعت موقعاً حسناً عند أهل العلم والاستشراق حتى إن نسخها نفدت . فأخرجها مرة ثانية ذلك الناشر الباريسي من طريق التصوير الآلى للطبعة الأولى ، وكلف المستشرق (جاستون بوتول) بالوقوف على الإخراج وبكتابة مقدمة لها ، وبالتعليق عليها وشرح طائفة من الألفاظ الفنية ، وتدوين فهرس شامل للفصول والموضوعات ، وأسماء الأعلام والبلدان

ومثل هذا العمل يدل على مكانة ابن خلدون وقدر مقدمته . وهل يغيب عن أحد من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية أن ابن خلدون سبق نفراً من فلاسفة الغرب إلى آراء سديدة أو طريفة أو قلابة للمألوف ؟ ومن ذلك حديثه قبل (مكيا فللي) عن سياسة الملك ، وقبل (فيكو) عن فلسفة التاريخ ، وقبل (أوجست كونت) عن البحث فى الظواهر الاجتماعية ، وقبل (دروين) عن مسئلة تأثير البيئة . وكل هذا مسلم به متعارف

وعندى أنه — فوق هذا — سبق (بيكون) حيث قال : بنبذ « التشيعات » للآراء Notiones vulgares و (روسو) إذ فضل أهل البدو على أهل الحضر أى أهل الفطرة والخشونة على أهل المدنية والرفاهية ، وسبق الفلاسفة « الدهريين » للقرن التاسع عشر أمثال (كارل ماركس) و (سبنسر) و (جوبينو) و (تارد) و (دركايم) حين قال « إن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذى هو فيه » (ص ١٧٥ ، طبعة بيروت سنة ١٩٠٠) . أما (كارل ماركس) منشىء مذهب الاشتراكية المعروف — فقد سبقه ابن خلدون حيث قال « إنما اختلاف الأجيال فى أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم فى المعاش » (ص ١٢٠) . وأما (سبنسر) فقد سبقه ابن خلدون فى إثبات مبدأين ، أولهما : أن العصبية

وقالت : « لقد كنت تحت شجرة السرو »

قال : « ليس فى هذا المكان شجرة سرو »

فاستدركت لوسى وقالت : « يظهر أنك كنت فى الطرف الآخر من الطريق » وأدرك هيوبرت خطأه فقال : « ولكن الخطأ كان منك ، لأن المكان الذى وقفت فيه هو الذى اتفقنا عليه »

ثم ابتسم كلاهما ، وقال هيوبرت : « هل تأذنين أن أقدمك إلى زوجتى فهى معى الآن فى الحديقة ؟ » فقالت : « نعم وسأقدمك إلى زوجى فهو هنا أيضاً »

ومشيا معاً فى الحديقة فتعرفت لوسى بزوجة هيوبرت وتعرف الأخير بزوج الأولى . ثم أشار هيوبرت إلى شاب يلعب « التنيس » مع فتاة وقال : « هذا ابنى جون »

فابتسمت لوسى ابتسامة سرور وقالت : « وهذه الفتاة التى تلعب معه هى بنتى نانسى »

— صحيح ؟

— نعم

فتبادلا الابتسامات ، ثم قالت لوسى : « أرى بينهما مودة وأظن ... »

قال مقاطعاً : « وأظن ذلك أيضاً »

قالت : « إننى سأوعز إليها ... ولكنى سأنصح لهما بأنهما إذا اتفقا على مكان يلتقيان فيه فيجب أن يعينا بالدقة فى أى طرف من الطريق يلتقيان »

ثم ابتسمت ، فابتسم هيوبرت

عبد اللطيف النشار

ثم التعاون على المعاش من الأسباب الأولى للاجتماع البشرى ؛ والثانى : أن هرم الدولة من الدعة والترف .

وأما (جوبينو) فقد سبقه ابن خلدون حيث أشار إلى تأثير خصائص أجيال الخلق فى الحروب والفتوحات . وأما (تارد) — الفيلسوف الفرنسى — فقد سبقه ابن خلدون إذ أعلن « أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده » (ص ١٤٧) . وأما (دركايم) — مؤسس « مدرسة » علم الاجتماع لهذا العهد فى فرنسا — فقد سبقه ابن خلدون حين عد وجود الجماعات أمراً واقعاً ملموساً وبصر بالصلة التى بين عدد الجماعة وغنى القطر ، وحين ضخم تأثير التعاون والتماسك Solidarité (ارجع لهذه اللفظة إلى مقالى فى مجلة مجمع اللغة العربية الملكى . ج ٢) وتقسيم العمل ورأى أن البحث الاجتماعى تنبسط أطرافه — من ناحية التاريخ — على جميع أحوال الأمة « مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال » (ص ٣٥) . ثم إن بين ابن خلدون و (دركايم) وجها آخر من الشبه لا يستخف به ، ذلك أن (دركايم) نزه مذهب (أوجست كونت) عن التشيعات للآراء وخلصه من وجوه الاستنباط المحض ، وكلنا يعلم أن ابن خلدون عالم موضوعى كما يقولون Objectif أى عالم يتدرج من المحسات إلى النظر ، ومن الخارجيات إلى الرأى .

بشر فارس

مكتب النشر العربى بدمشق

إلى جانب الجماعات التى تعنى فى دمشق بالشؤون الاجتماعية والعلمية ، عصبة من الشباب قامت منذ أعوام خمسة بتأسيس مكتب لنشر الثقافة والعلم أسمته « مكتب النشر العربى » ؛ وتأسيس مكتب ليس له من غاية إلا خدمة الثقافة والعلم ، ونشرها بين الأوساط بأقوم الطرق وأكثرها فائدة ومنفعة ، عمل شاق وعسير ، فى بلد ، الثقافة فيه ضائعة حقوقها بين الذين يدعونها والذين يهملون شأنها ، ويتجاهلون وجودها .

ولقد قام المكتب منذ تأسيسه إلى الآن ، بنشر آثار ودراسات مختلفة لطائفة من المفكرين والأدباء سواء المتقدمون منهم والمعاصرون ، فنشط بعمله هذا الحركة الفكرية فى المدينة ، وبرهن على أن الثقافة قيمتها عالية لا تبخس ، وقدرها محفوظ لا يذل ، مهما بلغ من إهمال الناس شأنها ، وجور الظروف عليها .

لست أريد إسرافاً فى المديح خشية الوقوع فى غلو أو مبالغة ، ولا أريد أيضاً الاقتصاد فيه خوفاً من هضم بعض ما لهذا المكتب من حقوق علينا ، ولكن ما أريدهو إيفائه حقه كاملاً غير منقوص ، ورفعه إلى المرتبة التى تستحقها جهود مؤسسيه ومساعيهم ، فإن عملاً كعملهم لا يكافأ بجزاء غير راحة الضمير ، ولا يقابل بتشجيع غير تشجيع الخلق القوى الرصين ، ثم لا تستفزه حوافز غير حافز النفس ورغبتها فى خدمة العلم لتعزيز شأنه ورفع مستواه ، لعمل جدير حقاً بالإعجاب وأهل للتقدير .

ومن الآثار الفلسفية والعلمية التى قام المكتب بطبعها ونشرها ، هذه الآتية : المنقذ من الضلال للغزالي ، حى بن يقظان لابن طفيل ، وقد قدم لهذين الكتابين بمقدمة ضافية مع شرح لآرائهما الدكتوران جميل صليبا وكامل عياد . ثم مجموعة من المحاضرات كان قد أذاعها فى الراديو الدكتور طه حسين بمصر ، فجمعها المكتب وطبعها تحت اسم : الحياة الأدبية فى جزيرة العرب . ثم من أفلاطون إلى ابن سينا ، ودرس وتحليل ابن سينا مع منتخبات من فلسفته للدكتور صليبا أيضا ، وقواعد التحديث لجمال الدين القاسمى ، ثم أصول المحاكمات وعلم المالية للعلامة فارس الخورى ، وغير هذه كثير منه ما هو مطبوع ومنه ما هو قيد الطبع .

فلك طرزى

توثيق الصلات الثقافية بين مصر وأمم الشرق

اجتمعت فى الأسبوع الماضى لجنة توثيق الصلات الثقافية بين مصر وأمم الشرق برياسة صاحب العزة وكيل وزارة المعارف ، وقد عرض على اللجنة خلاصة آراء الحكومات التى قبلت الفكرة ، عدا السودان وتونس والجزائر ، فلم تصل منها ردود بعد ، وأشار إلى أن بعض الحكومات تساءلت عن معنى توحيد الثقافة ، وهل يقصد منه فرض ثقافة معينة على بقية الأمم ، وما هى المسائل التى تبحث فى المؤتمر المزمع عقده

وبعد أن درست اللجنة الفكرة العامة ، قررت تأليف لجنة

فرعية قوامها : محمد فهيم بك مراقب التعليم الثانوى المساعد ، ومحمد قاسم بك عميد دار العلوم ، والأستاذ على الجارم بك المفتش الأول للغة العربية ، والأستاذ نجيب حتاتة مراقب التعليم الأولى المساعد، والدكتور أحمد عبد السلام الكردانى بك ناظر معهد التربية

وعهد إلى تلك اللجنة فحص ردود الحكومات والإحاطة بمشا كل التعليم العامة فى مصر وفى البلدان الشرقية ، وأن تعد برنامجاً لهذه الدراسات يقوم على تفصيل أغراض المؤتمر ، واقتراح بإنشاء مكتب دائم على غرار مكاتب المؤتمرات الدولية

ويظهر أن الفكرة الغالبة هى عقد المؤتمر فى فترات متباعدة إلا إذا دعت الظروف والمشاكل التعليمية فيعقد سنوياً

وقد استقر الرأى على أن يطلق على اللجنة اسم « لجنة بحث وسائل توثيق الصلات الثقافية بين البلاد الشرقية ودراسة أهم مشكلات التعليم فيها »

ولعل فى هذه التسمية مايوضح الغرض الذى يرمى إليه المشروع

تأبين الأستاذين السكندرى ونلينو فى مجمع اللغة

يقيم مجمع فؤاد الأول للغة العربية حفلة تأبين للأستاذين المرحومين الشيخ أحمد السكندرى والسنيور نللينو ، فى الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الجمعة ١٣ من الشهر الحاضر بدار الأوبرا الملكية

وسيشهد الحفلة مندوب من قبل صاحب الجلالة الملك ويخطب فيها الدكتور هيكل باشا وزير المعارف ورئيس المجمع الأعلى والدكتور توفيق رفعت باشا رئيس المجمع والدكتور منصور فهمى بك ، والأستاذ ليتمان ثم ينشد الأستاذ على الجارم بك قصيدة

ويرد عليهم الأستاذ عمر الاسكندرى بكلمة شكر ، ويعقبه وزير إيطاليا المفوض وتنتهى الحفلة فى الساعة السابعة مساء

انشاء أكاديمية علمية فى كابل

من أنباء كابل أن المعارف العامة فى أفغانستان أخذت تخطو خطوات واسعة بفضل الجهود التى تبذلها حكومتها وبحسن الإرشادات التى يقدمها الملك محمد ظاهر شاه الذى يبذل كثيراً من الجهود لنشر الثقافة الإسلامية والعلوم العصرية فى البلاد ، وبفضل أعمال السردار محمد نعيم خان وزير المعارف الذى عرف بجده ونشاطه

ولقد فكرت وزارة المعارف فى تخريج جيل صحيح ينهض بمهام البلاد السياسية والاقتصادية المقبلة، وذلك بتعليمهم وتثقيفهم وفق برنامج خاص فى أكاديمية خاصة . وها هى ذى الأكاديمية قد افتتحت باسم « أكاديمية العلوم السياسية » وحضر حفلة الافتتاح الوزراء وكبار الموظفين وعلى رأسهم صاحب المعالى الفيلد مارشال السردار شاه محمود خان وزير الحربية

وأعضاء الأكاديمية هم من المتطوعين من طبقة الشباب المثقفين ، والأمل وطيد فى نجاح هذه الأكاديمية فى إعداد شبان أكفاء لإدارة شئون البلاد السياسية والاقتصادية فى المستقبل

تمثال للنبى موسى

من أخبار لندن أن الأستاذ فرويد اليهودى النمساوى الذى أخرج من ألمانيا والموجود الآن فى لندن، طلب النحات اليهودى الهنجارى لبادا لمهمة هى صنع تمثال نصفى للنبى موسى الذى قام الأستاذ فرويد كما يقال بدرس شخصيته درساً دقيقاً على قواعده السيكولوجية . وقد وصل هذا الأستاذ بعلمه أن شكل موسى عليه السلام يجب أن يكون مصرياً ، وعلى هذا الشكل سيعمل لبادا التمثال

ونحن وإن كنا نعلم أن هذه ليست أول مرة يعمل فيها تمثال للنبى موسى، إلا أننا نعجب للاتجاه الجديد الذى نحاه الأستاذ فرويد من وجوب تمصير هذا التمثال . والمعروف أن موسى كليم الله ولد فى مصر وكانت مهمته منذ ولادته تحرير قومه الذين أذلهم المصريون وعملوا على تشتيتهم

وما كان أجدر بالأستاذ فرويد من أن يواصل أبحاثه فى علم النفس ليصلح ما أثبتت التجارب خطأ الكثير منها ولا سيما فيما يتعلق بنظرية الفضيلة والرذيلة

الذهب من رمال البحر

غادر سويسرا نهائيًا الكيماوى المعروف الأستاذ دونيكوفسكى الذى يدعى أنه اخترع طريقة لاستخراج الذهب من رمال البحر . ويتجه بنظره الآن إلى جزر الفيليبين حيث يؤسس شركة رأس مالها أربعون ألف فرنك لاستخراج الذهب من رمال البحر بالرغم

مما صادفه من الحظ العاثر فى فرنسا وبلجيكا قبل سويسرا

والمعروف أن العرب اشتغلوا كثيراً بالكيمياء وحاولوا مراراً تحويل المعادن ، ومع كونهم فشلوا فى هذا المضمار فإن آخر التجارب الكيميائية أثبتت صدق نظريتهم فى إمكان تحويل المعادن بصرف النظر عما يتكلفه هذا العمل من التكاليف

أما استخراج الذهب من رمال البحر فهذه مسألة أشبه بحلم قد يشابه حلم العرب وقد لا يشابهه ، لأن الذهب إذا وجد بشكل عروق فى الصخر والحجر فى مناطق دون أخرى فإن العثور عليه كذرات رفيعة فى الرمال لا يحتاج إلى المصاعب الهائلة التى يصادفها الباحثون عن الذهب فى باطن الأرض

ومن الغريب أن المصريين الأقدمين عرفوا كيف يبحثون عنه وكيف يستخرجونه ، ولا تزال مناجمهم القديمة موضع إعجاب الجيولوجيين من أبناء هذا الجيل

ولعلنا نسمع من الأستاذ الدكتور حسن صادق بك المدير العام لمصلحة المساحة كلمة فى هذا الموضوع

اكتشاف مدافن أثرية مهمة

اكتشفت أخيراً مدافن واقعة على طول الطريق بين روما والمعرض الدولى الذى سيقام فى وبكاستلفوزانو بالقرب من أوسينا حيث توجد آثار كركالا

ويعود تاريخ هذه المدافن إلى القرن الأول بعد المسيح ، وقد وجدت فيه جملة زهريات من الصفرة وجانب كبير من العملة الفضية وعقود ودبابيس وأدوات للزينة من بينها عقد ثمين من الزبرجد واللؤلؤ والذهب

ووجود مثل هذه المجموعة القيمة يساعد كثيراً على تاريخ العصر الذى وجدت فيه فضلاً عن قيمتها الأثرية

جماعة الفقيرية وبوغا بالهند

وصل فى أواخر ديسمبر الماضى إلى بمباى الضابط الفرنسى الدكتور بينيه موفداً من الحكومة الفرنسية للقيام بتحقيق علمى فى الأسس والأصول التى قامت عليها أعمال جماعة الفقيرية ويوغا

والأمل معقود على أن هذا التحقيق العلمى سيكون أوفى ما تم إجراؤه حتى الآن فتتكشف لنا الأسرار العجيبة التى يجريها « الفقراء » كالسير على اللهب ، وأنواع الرقص والرياضة البدنية الخارقة التى تقوم بها جماعة يوغا والتى يقال إنهم يتعلمونها فى معبد خاص فى بمباى لا يسمح بالدخول إليه إلا لأفراد هذه الجماعة

فى أكاديمية الفنون والآداب الأمريكية

انتخب الكاتب الألمانى توماس فان عضواً فخرياً فى أكاديمية الفنون والآداب فى أمريكا

وقد قال فان ديك بروكس المؤلف المعروف الذى اقترح هذا الانتخاب : « إن توماس فان ربما كان أكبر مدافع فى الوقت الحاضر عن الأفكار التى تقوم عليها أسس حضارتنا »

فى كلية الآداب بالإسكندرية

تألفت فى كلية الآداب فرع الإسكندرية جماعة أدبية بإشراف الأستاذ أحمد الشايب أستاذ الأدب العربى بالكلية ، ونظمى لوقا افندى وكيلاً ، وحنفى محمود افندى سكرتيراً ، ومحمد أحمد الطويل افندى أميناً للصندوق ، وعبد العليم ناصر افندى ، والآنسة سميرة ياقوت والسيد يعقوب بكر افندى أعضاء . وهم يكونون اللجنة الإدارية

والغرض من هذه الجماعة العناية بالثقافة الأدبية بطرق الخطابة والمحاضرات والمناظرة والمسابقات الأدبية والتمثيل والموسيقى الخ

والمحاضرة الأولى ألقيت أمس ، فى منتصف الساعة الخامسة بعد الظهر بدار الكلية باستانلى . . وكان موضوعها : (بين دانت وملتون وأبى العلاء) لنظمى لوقا جرجس افندى وكيل الجماعة

التاريخ فى سير أبطاله

ننشر ابتداء من العدد القادم للأستاذ محمود الخفيف طائفة من التراجم لعظماء التاريخ قديمة وحديثة فى الشرق والغرب ؛ وسيتوخى فى هذه التراجم أن تلم بالتاريخ وتعنى بإبراز حوادثه ، جرياً على المذهب الحديث مذهب دراسة التاريخ فى سير أبطاله ، كما ستكون تلك التراجم بحيث لا تعدو الواحدة ثلاث مقالات أو أربعاً . . . وسنبدأ بتقديم ترجمة محمد شريف باشا بطل الحركة القومية والدستورية فى مصر الحديثة

وفاة عالم طبيب

من أخبار لندن أن الدكتور باردسول الذى اشتغل بمرض التدرن الرئوى ومن الذين مهدوا السبيل إلى مكافحته مات فى أواخر ديسمبر الفائت

يوم طرابلس فى العراق

بناء على عزم إيطاليا على إسكان الإيطاليين فى طرابلس الغرب وبناء على ما يعانيه السكان العرب هناك من ظلم الاستعمار وقسوته قرر نادى المثنى فى العاصمة إقامة حفلة كبرى يوم الجمعة القادم الموافق ٣٠ الجارى فى الساعة السابعة مساء يخصها بنصرة طرابلس الغرب

الى العالم الاسلامى كافة والى المصريين خاصة

لا تزال دول الاستعمار مسترسلة فى سياستها الظالمة نحو البلاد العربية والإسلامية ، مستخفة بشعور المسلمين غير حاسبة لهم حساباً ، فتعتدى على حقوقهم ، وتغتصب ديارهم ، وتهين شعائرهم

ولا يكاد ينقضى وقت دون أن نسمع بنكبة نزلت ببلد إسلامى، فبينما نحن نعالج قضية فلسطين المقدسة التى طغى فيها الاستعمار إذا بنكبة أخرى قد انقضت على طرابلس الغرب ، إذ يريد الطليان بعد أن حرقوا الأخضر واليابس فيها، ودوّخوا أهلها وأفقروهم واستعبدوهم وأذلوهم ، يريدون أن يجهزوا عليهم فيجعلوا من بلادهم جزءاً من الوطن الطليانى ، ولا تزال يطن بآذاننا ما نشروه على العالم فى خطب ساستهم ، وبكل الطرق من أن إيطاليا أصبحت صديقة المسلمين والعرب وأنها تحميهم وتحمى ديارهم ومقدساتهم

ولقد كانت مصر ولا تزال تبنى سياسة دفاعها القومى عن حدودها الغربية على اعتبار أن ما وراء هذه الحدود مسكون بقبائل عربية لها فى داخل حدودنا المصرية بنو عمومة وخئولة من نفس هذه القبائل أو من عصباتها ، وأن الإسلام يوثق أواصر السكان بين البلدين وإن اختلفت تبعيتهما . فالدفاع الذى ترى كل أمة من أول واجباتها الاستعداد له فى زمن السلم من جميع الوجوه ، وعلى كل ما يتوقع من الاحتمالات ، إنما كان ينظر إليه فى مصر من جهة حدودها الغربية من الجهة العسكرية فقط . أما وقد صدر أخيراً القانون الإيطالى بجعل ولايات لوبيا الأربع جزءاً لا يتجزأ من مملكة إيطاليا ، فقد أصبح واجباً علينا أن ننظر إلى ذلك من الوجهة الجغرافية والجنسية أيضاً ، ولا سيما أن الإيطاليين قد وجهوا عنايتهم إلى إنشاء مستعمرات لهم — حتى فى الأجزاء الفقيرة التربة من لوبيا — فلم يبق عنـد أحد شك فى أن هنالك برنامجاً عسكرياً له علاقة كبيرة بما وراء طرابلس وبرقة شرقاً وغرباً

إن البواخر الإيطالية حملت إلى القطر الطرابلسى الشقيق فى أواخر اكتوبر الماضى ألفاً وثمانمائة أسرة إيطالية تقدر نفوسها بعشرين ألفاً . فأسكنت الحكومة منهم ألفاً ومائتى عائلة فى جهة طرابلس وستمائة عائلة فى جهة برقة . وهذه أول دفعة من خمسة ملايين نسمة إيطالية تقرر نقلها إلى طرابلس الغرب . وقد خصصت حكومة روما لهذه الهجرة فى ميزانية وزارة أفريقية مائة مليون فرنك فى كل سنة لبناء القرى واستنباط المياه وإصلاح الأراضى للايطاليين . وكان فى طرابلس قبل مجىء هؤلاء نحو مائة ألف عائلة إيطالية غير الجنود ومن ينضم إلى سلك الحكومة ، وهؤلاء وأولئك تحميهم الحكومة بقوتها . وقد أخذت لهم ١٤٧ ألف فدان من أفضل أراضى لوبيا دون ثمن، وأجلت العرب عن أراضيهم الخصبة فى برقة الحمراء ، ونقلتهم إلى الأراضى المجدبة الممتدة إلى الوادى الفارغ جنوباً وإلى المرج شرقاً وإلى شاطئ البحر شمالاً وهى أرض قليلة الآبار تزرع على المطر . أما برقة الحمراء التى تمتد من شطوط مدينة بنى غازى إلى ما وراء المرج فى الجنوب وتشمل الجبل الأخضر كله إلى ما وراء مدينة درنة فى الجهة الشرقية ، فانتزعت من أيدى أصحابها الشرعيين وهم العرب وأعطيت للمغتصبين من المستعمرين الذين جىء بهم من إيطاليا ليكونوا جيران مصر إلى الأبد ، وليتاخموها فى السلم والحرب ، وأصبح الجبل الأخضر والأراضى الخصبة جميعاً محرّماً دخولها على أبناء العرب .

وقد أصبح المصريون متاخمين لجهات ليست من أوطان إخوانهم عرب برقة الذين يشتركون معهم فى اللغـة والدين ، بل لجهات ستكون عما قريب مسكونة كلها بإيطاليين ، وعليهم من الآن أن ينظروا إليها كما ينظر الفرنسى إلى حدوده الألمانية والألمانى إلى حدوده الفرنسية

وإذا كانت إيطاليا لا تتورع عن إزعاج العالم الإسلامى بهذه المظالم وهى تمد عينيها إلى تونس ، فماذا يكون حالها مع المسلمين إذا جاء وقت لا يهمها فيه أن تنشر دعايتها الاستعمارية بينهم عن طريق محطات إذاعاتها اللاسلكية وما إلى ذلك

لذلك نهيب بالمصريين وحكومتهم خاصة وبالعالم الإسلامى كافة أن يفكروا فى مصير طرابلس الغرب التى يوشك أن يجلى عنها جميع أهلها العرب إلى أراضى الجنوب المحرقة حيث يقضى عليهم فيها كما قضى على ستين ألفاً من سكان الجبل الأخضر لاقوا حتفهم فى الصحراء قبل بضع سنوات ، هذا فضلاً عما يلحق كرامة الإسلام بسلب هذا الوطن من حظيرته وتحويله إلى بقعة إيطالية

الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين

الدكتور عبد الحميد سعيد

ديوان صبرى باشا

تحقيق الأستاذ أحمد الزين

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

فى الشعر العربى كثير من الشعراء الذين استبدت بشعرهم عوادى الزمن ومحن الأيام ، فضاعت آثارهم فى أجواء العصور الخالية ، وذهبت دواوينهم بين سمع الأرض وبصرها . ولعل الذى ضاع من الشعر العربى أكثر من الذى بقى . ولعل الأيام لو أسعدتنا ببقاء هذه الثروة كاملة لكان للأدب العربى وجهة غير وجهته ، ووضع غير الوضع الذى هو عليه اليوم . وإذا كان للقدماء العذر فى ذلك من صعوبة التدوين ، وندرة الكتابة ، ومشقة الرحلة ، فما عذرنا نحن إذا ما فرطنا فى آثارنا الطيبة وتركنا نتاج أدبائنا البارزين نهب الضياع ، على حين قد أصبح التدوين سهلاً ميسوراً تؤديه الآلات ، ويتم بأيسر النفقات ! إننا لا شك أمة جاحدة لا تقدر أدباءها ، جامدة لا تحترم فنها ، قاصرة إذ تفرط فى الجميل النافع ، بينما يذيع فيها القبيح التافه !

هذا ما كنت أقوله لنفسى إذ يجرى على لسانى بيت من أبيات صبرى باشا السائرة ؛ أو أستمع إلى مغن يغرد بأغرودة من أغاريده الخالدة ، أو يرتفع صوت فى الندىّ بأسماء الشعراء الذين نهضوا بنا فى الأدب، وحفظوا علينا فى الشعر كرامة النسب إلى العرب . ولقد كان الأسى يتملكنى إذ أرى شعر ذلك الشاعر الممتاز فى شاعريته وفى مصريته مشتتاً لا يجمعه ديوان ، مهملاً لا يفى بطبعه صديق ، مفقوداً لا يهزج به الأبناء ، ولا يدريه إلا الخاصة من المعمرين . وأخيراً وبعد خمسة عشر عاماً مضت على وفاة الشاعر سمحت الأقدار ، ففزع لجمع ديوانه صهره الكريم صاحب العزة حسن رفعت بك ، ونهض لتصحيحه وضبطه وشرحه وترتيبه صديقه وملازمه الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين ، فكان فى ذلك وفاء للشاعر ، وتقدير للأدب ، وإنصاف للتاريخ ، ودفع للعار الذى حق علينا بتفريطنا فى حق ذلك الشاعر ، وفى حق الأجيال المقبلة !

لقد كان صبرى رحمه الله بين معاصريه « أستاذ الشعراء وشيخهم » فى الصناعة ومراعاة الدقة فى الربط بين المعنى وبين لبوسه من اللفظ ، ولكنه كان أنيقاً مترفاً لا يقول إلا بدافع النفس ورغبة القول ؛ ثم لم يكن يعنى بتدوين كل ما يقول . ومن ثم لم يبلغ ديوانه فى الحجم مبلغ دواوين رصفائه مثل البارودى وشوقى وحافظ ومطران وعبد المطلب . على أنه قد راد كل أبواب الشعر التى كانت مطروقة فى أيامه ، فقال فى المديح والتهانى والتقاريظ وهى أكثر من ثلث الديوان ، وقال فى الهجاء وهو لا يتجاوز الصفحتين ، وقال فى الفكاهات وفى الغزل والذكرى والتشوق وفى ذلك كل عبقرية صبرى وشاعريته ، وقال فى الوصف والاجتماعيات والسياسيات والألهيات والمراثى والأناشيد ، وعلى هذا الوضع جرى الأستاذ الزين فى تبويب الديوان . وقد عنى بترتيب القصائد فى كل باب ترتيباً تاريخياً مع بيان المناسبات والدواعى التى قيلت فيها كل مقطوعة ، وهذا فى الواقع ترتيب جميل ، إذ به نستطيع — كما يقول الدكتور طه — أن نتتبع النشأة الفنية لهذا الشاعر ، وأن نتبين ما اختلف على شعره من الأطوار فى غير مشقة ولا عناء ، وهو من هذه الناحية درس قيّم لنشأة الفن الشعرى عند شاعر ممتاز ، ومن الخير أن يعرض هذا الدرس على الشباب

ولا شك أن الأستاذ الزين قد وفّق كل التوفيق فى إخراج

هذا الديوان الجميل ، فضبطه وشرحه على أتم وجه وأكمله . ولقد جهدت أن أحصى شيئاً على صديقنا الزين أغيظه به، فغاظنى هو ببراعته وقدرته ، وإنى لأقر بذلك فى غبطة وسرور . وإنما وفق الزين إلى هذا الحد ، لأنه — كما يقول الأستاذ أحمد أمين - قد عاشر الشاعر وصادقه سنين طويلة ، فسمع منه ، وحقق الطريقة القديمة القويمة فى الرواية عنه والمشافهة له ، فمكّنه ذلك من إيضاح ما غمض ، ومعرفته الصحيحة بجوّ القصائد وأسبابها وبواعثها . ثم كان من مخالطته للشاعر ووقوفه على دقائق نفسه وما يوائمها وما لا يوائمها ، ما ألهمه الصواب فى الشرح ، والتوفيق فى الترجيح ، إذا تعددت المسالك وكثرت الاحتمالات . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الأمر كما يقولون : لا يفهم الشاعر إلا شاعر ، والزين شاعر من طراز صبرى ومن مدرسته كما يعبرون ، فكان بهذا خير من يفهم صاحبه وقريعه ، وخير من يرعى شعره هذه الرعاية الحميدة ، ويشرحه هذا الشرح الدقيق الموفق !

قد تقول : وماذا يكون فى شرح شعر صبرى من العناء ، وشعره ليس بغريب اللفظ ، ولا بعيد المعنى كما هو شعر حبيب وأبى الطيب والمعرى وأضرابهم ، بل الرجل ظاهر فى ألفاظه ، واضح فى معانيه ، فنى مكنة كل إنسان أن يتولى بسطه ، وأن يؤدى شرحه . والواقع أن العناء ليس فى الشرح والبسط ، وإنما العناء فى النهج الذى نهجه الزين . ذلك لأن شعر صبرى دقيق اللفظ ، مستفيض المعنى ، كثير الإشارات ، بعيد المرامى ، فكان لا بد فى شرحه من طول اللفظ واتساع التعبير حتى يمكن أن يستوفى ما فيه ، ولكن الزين وقف عند قولهم «البلاغة الإيجاز» فهو يؤدى ما فى البيت من معنى كبير بلفظ موجز مونق ، قد لا يتجاوز به ألفاظ البيت فى كثير من الأحيان ، ومن هنا كان العناء الذى لا يضطلع بعبئه إلا الزين ، لأنه كما قلنا يفهم صبرى حق الفهم ، ولأنه قد حذق ذلك بالتدريب والمران

والديوان مصدر بمقدمات : الأولى للدكتور طه حسين وقد ضمنها رأيه فى شعر صبرى ومميزاته ؛ والثانية للأستاذ أحمد أمين وصف فيها « شعوره بشعر الشاعر وتذوقه لأدبه » ؛ والثالثة للأستاذ أنطون الجميل عن « العوامل الشعرية فى نظم إسماعيل صبرى » ؛ والرابعة للأستاذ الزين نفسه ، وقد تكلم فيها عن أخلاق الشاعر ووطنيته وشاعريته وما اتبعه فى تصحيح ديوانه . وإنما جمع الأستاذ بين كل هذه المقدمات لأنه — كما يقول — أراد أن يجمع للقارئ بين الاستفادة من شعره ، وتلك الدراسة الواسعة المستوعبة لكثير من نواحيه . وأنا شخصياً لا يهمنى كثيراً ما كتبه أولئك الأساتذة عن صبرى الشاعر ، فإن شعر الرجل خير من يفصح عنه ويدل عليه ، وإن ميزات الرجل فى شعره لواضحة جلية لا يختلف فى تقديرها أحد ، كما لم يختلف فى تقديرها الأساتذة الفضلاء ، ولكنى لا شك معجب بما كتبه الزين عن صبرى الرجل ، وما ذكره من أخلاقه ووطنيته . ويا حبذا لو مدّ القول فى ذلك فرسم لنا صورة كاملة لشخصية صبرى تقوم إلى جانب شاعريته الكاملة ، فإن فهم شخصية الشاعر أساس لفهم شاعريته ، وعلى هذا تقوم الدراسات الحديثة . والمناهج الرشيدة عند علماء النقد

وأما بعد ، فإذا كان شعر صبرى آية الجمال فى تصوير الجمال ، فإن ديوانه قد خرج للناس آية الكمال فى تقدير الكمال ، فهو كالروض الأنف جمع أطيب الزهر ، وتم له جمال الموقع وبهاء التنسيق ، وما أحسبه يقل فى تنسيقه وترتيبه عن ديوان حافظ الذى تولته وزارة المعارف ، ولا عن ديوان شوقى الذى خرج برعايته ، بل إنى لأراه يفوقهما روعة ودقة . وإنه لجهد مشكور ذلك الذى أداه الأستاذ الزين فى خدمة هذا الديوان ، ولو قدر لصبرى أن يرى ديوانه لاغتبط بهذا الصنيع ، ولشكر لصديقه وفاءه ، وحمد له عناءه ، وإنه لمشكور من الأدباء فى جميع الأمصار ، محمود من أبناء العربية فى سائر الأقطار

محمد فهمى عبد اللطيف

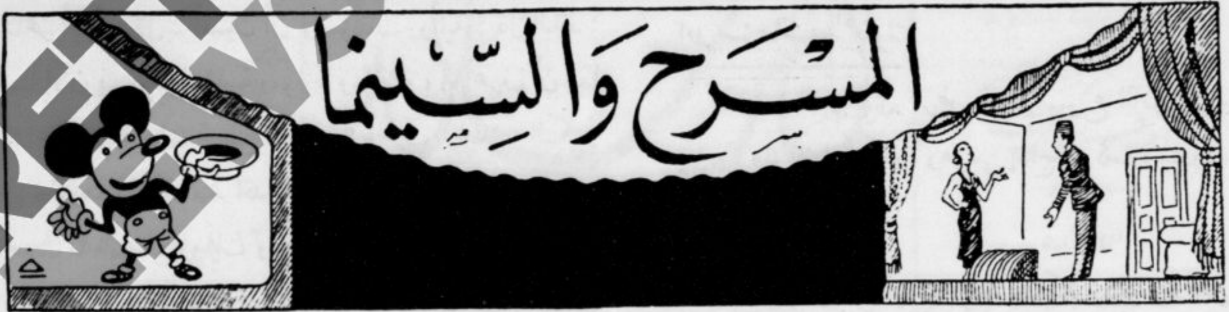

فى الفرقة القومية

دكتاتورية المدير

سل من شئت من الناس من هو مدير الفرقة القومية ، فيجيبك الأول على التو بأنه مثال حىّ للقداسة وطيب السريرة ، ويشيد الثانى بأريحيته ونخوته، ويثنى الأكثرون على أدبه وطول باعه فى ميدان الشعر الذى لا يجلى فيه سوى إنسان عرف الحياة وأدرك كوامن أسرارها

ويقينى أن هذه الخصال والسجايا هى بعض نحيزته الموهوبة المكتسبة ؛ فلو سوّلت البداوات لأديب أن يترجم لحياة مدير الفرقة فهو لا بد مأخوذ بتلك السجايا ، لا محيد له عن التقيد بها لأنها لازمته طوال حياته ، ولكنها عافته منذ تولى زمام الإدارة ، وزايلته يوم توهم أنه صار من أخدان الموظفين البيرقراطيين وأقران الحاكمين ، ويوم تخيل فخال أنها فرقة حكومية لها نفوذ البوليس ، وسلطان مأمور القسم !

ليس فى تصدينا لبحث الناحية التى طرأت على حياة مدير الفرقة ما يبعدنا عن صميم موضوع حياة الفرقة ، لاعتقادنا أنها مرتبطة بحياته السابقة ، تلك الحياة التى كانت متوشحة بوشاح القداسة قد أخذت الآن تنزع عنها رمز قدسيتها ، لا للظهور بفطرتها ، بل لإظهار الناحية الأخرى لتلك القداسة

كان لمدير الفرقة أصدقاء عديدون بحكم ماله على بعضهم من أياد بيضاء ، أو شفاعة لا تنسى ، أو سعى مشكور ، أو بحكم راحة النفس إلى آدابه الرفيعة ، وفنه الشعرى السامى

تقدم هؤلاء الأصدقاء يمدون أيديهم تساند الأديب الكبير ، مدير الفرقة القومية للتمثيل العربى ، رمز النهضة ، وعنوان الثقافة، وتنير له السبيل الوعر الذى سلكه للفنى المسرحى ، وهو ما كاد يصافحهم ويحتضنهم بعض الوقت حتى أقصاهم عنه إقصاء لا عودة بعده

ثم تلفت المدير يمنة ويسرة ، فإذا به يرى شرذمة من ممثلات وممثلين ، وطغمة من عاملات وعاملين ، وفلولاً من فسا كل الصحافيين والمتأدبين ، تحيط به إحاطة ممثل أدوار الكوميديا بموضوعه ، فيهم « السادى » وفيهن « الميسودية » وبالعكس ، ولكنهم جميعاً يعرفون التملق بمعناه ومبناه ، لا يصدهم عن الارتماء على أقدام « سعادة المدير » سوى اكتفائه بمد راحته للتقبيل

أوعز سعادة المدير إلى ناقد معروف أن يحمل على أعضاء لجنة القراءة ، وحدث أن لقى ذلك الناقد صدفة فى مجتمع كان فيه أحد الحكوميين المشرفين إشرافاً أدبياً على أعمال الفرقة، فوجه إليه عتاباً هو مزيج من الحلاوة والطعم المز على حملته على أعضاء لجنة القراءة الذين هم « الصفوة المختارة من رجالات الأدب » وسواهم نوافل !! وقال : هل فى وسعك أن تدلنى على خمسة أدباء يفضلونهم أو يضارعونهم والبلد على ما هو عليه من قحط فى الرجال ؟

قال الناقد : أعرف خمسة بل عشرة من الرجال لهم أوفر اطلاع على فن المسرح وأدب الرواية لا يجاريهم فى ذلك أحد من الأدباء الذى أعرفهم ، وإذ ذكرت اسم الأول منهم قال :

أعوذ بالله من هـذا الذى لا يرضيه إلا أن يكون مديراً للفرقة بدلاً منى ، وهو على كل حال مغضوب عليه من الحكومة التى تمثل أكثرية الأمة

قال الناقد : الأدب لا يعرف الحزبية يا أستاذ

فأجابه : الأدب الذى تعنيه لا وجود له فى مصر

حول الناقد دفة الحديث قائلاً : هل ثمة من اعتراض على فلان؟ وذكر اسمه فأجاب : هذا شاعر لا شأن له بغير الشعر. قال : أنت

شاعر أيضاً ، قال : أنسيت أن لى مؤلفات روائية ؟ قال الناقد : لسنا الآن فى موقف مقارنة وموازنة ومفاضلة ، أنا أعرف أن لهذا الشاعر معرفة واسعة بفن الرواية كما أعرف له اطلاعه الكبير على تطورها وتحولها منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحالى ، وعلى أحدث ما ظهر من روايات وعلى أقوال النقاد فيها

قال مدير الفرقة : أنا أعرفه أكثر منك . إنه كسول خواف لا يصلح أن يكون عضواً فى لجنة القراءة

قال الناقد : ألا تعرف . . . فلاناً وهو مؤلف روائى غذى المسرح أكثر من ربع قرن ؟ فأجاب :

اسمع يا صديق : أوثر أن تذكر لى أسماء كبار موظفين فى الحكومة تكون لهم مهابة الحاكمين وعلم وأدب العلماء والأدباء

ابتسم الناقد وقال : إن من ذكرتهم هم موظفون حكوميون وفى وسعى أن أذكر عشرة أسماء من الموظفين الأكفاء إذا كان لا يرضيك من الأدباء غير الموظفين الحكوميين

وقبل ارفضاض هذه الجلسة المرتجلة التى تكلم فيها الناقد كعادته فى وصف الأدباء ونقد أعمالهم قال له « سعادة المدير » : أنت شاب يا بنى ، فلا بد لحياة الفرقة القومية ، وهى مصلحة حكومية ، من تؤدة الشيوخ وحكمتهم . فأجابه الناقد على نصيحته الغالية هذه قائلاً : « أطال الله عمر السلحفاة وعوضنا عن نشاط الشباب عوض الصالحين »

رميت من وراء هذا التصوير لحالة مدير الفرقة إلى التدليل على نفسيته التى انتقلت من البوهيمية المرحة الجوالة فى آفاق الحياة إلى قيود الوظيفة التى أحاط نفسه بأغلالها ليكون له روح طاغية ، وشهوة دكتاتور ، وأى دكتاتور فى الأدب والفن ؟

ابن عساكر

اخبـــار سينمائية

بولو

عرضت سينما رويال فى الأسبوع الماضى فيلم « بولو » الذى تدور حوادثه فى الأدغال والأحراج وهو من انتاج شركة بارامونت

الأنسة مانتون المجنونة

هذا اسم الفيلم الذى عرض فى الأسبوع الماضى على ستار سينما ديانا ولقى نجاحاً كبيراً وهو من إنتاج شركة مترو جلدوين ماير

أجازة

فيلم كوميدى من نوع طريف لشركة راديو وقد عرض ونجح على ستار سينما مترو بول

* تمثل نورماشيرر مع كلارك جيبل فى فيلم (مرح أبله) الذى يظهر فى الموسم القادم

* يلاقى فيلم (فتش عن المرأة) للسيدة آسيا نجاحاً لا بأس به على ستار سينما كوزمو

* انتهى إخوان لاما من تصوير فيلم (ليالى القاهرة) الذى وضع قصته وأغانيه السيد زباده وسيعرض فى عيد الأضحى

* أعد استديو مصر فيلم (الدكتور) للعرض بعد أيام قليلة

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

7me Année No. 289

Lundi - 16 - 1 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٢٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهــــرس

بين الفقــــير والغنى

«ياصاحب السعادة ، لِمَ ترضى أن أكون صاحب الشقاء؟ أنا وأنت نبعتان من دوحة آدم نَمَتَا فى ثَرَى النيل ؛ ولـكن مغرسك لحسن حظك كان أقرب إلى الماء ، ومغرسى لسوء حظى كان أقرب إلى الصحراء ، فشبعت أنت وارتويت ، على قدر ما هزلت أنا وذَوَيت ؛ لأن الماء والغذاء يطلبانك وأنت ضاجع وادع ، وأنا أطلبهما بالـكدح والمتح فما أنال غير الجفاف أو النَّطاف !

فماذا يضير المجدودَ أن ينضح المـكدود برَشّ مما يسبح فيه من فيض هذا الوادى ، وهو لهما كلبن الأم للتوأمين ، لـكل منهما شطره بحكم الحياة والأمومة والطبيعة ؟

لقــد ضَمن الله لك حق الملك لصلاح الدنيا ، ولـكنه فرض عليك بإزاء ذلك الزكاة تحقيقاً لهذا الصلاح . فإذا خشيت أن تمتد عينى إلى مالك بالحسد والشهوة ، ويدى إلى نفسك بالعنف والقسوة، فا كسر نظرتى وحدَّتى عنك بأداء ما جعل الله لى عنــدك ؛ وإلا كان من الانصاف فى رأيي على الأقل أن يكون اعترافى بالحق لك، معادلاً لاعترافك بالواجب عليك»

ذلك ما يقوله فى مصر كل فلاح لـكل باشا . ولـكن

أغنياءنا غلاظ الأجساد والأكباد فلا يصيخون لمثل هذا العتاب الهامس ! وهم إلى ذلك يعلمون أن الله الذى أعان الفقراء بالزكاة على الفقر ، أعانهم عليه أيضاً بالقناعة والصبر . فهم يثقون بالله ، ويؤمنون بالقدر ، ويعتقدون أن نصيبهم المقسوم فى السماء سيهبط عليهم فى الأرض ، أو يصعدون إليه فى الجنة . وفى ضمان هذه الأخلاق السمحة والنفوس المطمئنة ، مشي الغنى متأبهاً متألهاً يحاول أن يخرق الأرض ويطول الجبل ويملك على عباد الله حق الحياة والموت . ثم ينظر إليه الكادح المحروم وهو يخور من السِّمن ، ويختال من البطر ، ويغوص فى الحرير ، ويخوض فى الذهب ، فيقول ببهجة المؤمن الراضى :

« آمنت بالله ! لو لم يستحق ما هو فيه ، لما كان الله يعطيه ! »

وأقسم ما أعطاه الله ، ولكنه هو الذى أخذ . وما كان ليستقيم فى ميزان العدل أن يُعطى إنسان حتى يطفح ، ويمنع إنسان حتى يجف !

أعرف فى مركز (ط) عشرين بلدة يملكها من الشرق أمير ومن الغرب باشا ، فليس لأحد من الأهلين فيها شبر أرض ولا جذع شجرة . إنما هم أجراء أو مستأجرون سخرتهم الغفلة والاستكانة لرجلين كسائر الرجال، ليس لبطنيهما سعة البحر ، ولا لعزميهما قوة الدهر ، ولا لنفسيهما عظمة الله . إنما هما فمان تملأهما المضغة ، ومعدتان تكظهما الوجبة ؛ ولكن لهما عينين كعين الجحيم لا تمتلئ ، ونفسين كجوف الرمل لا يرتوى ؛ فهما يعصران من أجساد هذه الألوف الجاهدة ذهباً يكتنز ، وقصوراً تُشاد، وسلطاناً يُرهب، وقطعاناً تسمى، ومراكب تطير، ورغائب تبتغى، ولذائذ تنال، وأوسمة تناط، وألقاباً تكتسب. ثم لا تدركهما بهؤلاء العبيد رحمة الخالق بالخلق ولا عناية الصانع بالآلة . فصاحب الآلة يوفر لها الشحم والوقود ، ومالك البقرة يهيئ لها الحظيرة والعلف ، وهما لا يتركان لفلاحيهما المساكين ما يمسك الروح ويستر البدن ، ثم يلزمانهم أن يؤدوا أجرة الأرض ونفقة الإدارة قبل أن يأكلوا. فإذا أُوف الزرع أو رخص السعر وعجزوا عن الوفاء ، سلطا عليهم النظار والمحضرين فأخذوا الدور التى يأوون إليها ، والبهائم التى يزرعون عليها ، وخلفوهم فرائس للمرض والفاقة ، لا يجدون وسيلة للطب ولا حيلة للجوع . فإذا فزعوا إلى فضل الأمير أو الباشا زَمّ بأنفه واستكبر أن يفتح عينيه على هذا الهوان والقذر ، ولعله ساعتئذٍ كان يمسح خرطوم كلبه أو يرجِّل عُرْف جواده !

***

سكان هذه القرى العشرين يعيشون هم وماشيتهم فى أكواخ من اللَّبِن لا تدخلها بهجة الطبيعة ولا تعودها رحمة الله . تقوم على أقذار البرك وفوق سباخ الأرض وعلى ظهورها المراحيض وفى بطونها المزابل . والمالكان المدلَّلان يَغُطّان بين الحرير والذهب ، فى قصور تطاول السماء ، ورياض تنافس الجنة ، ثم لا يتفضل أحدهما فيحمل الحكومة بجاهه ونفوذه على أن تجفف لهؤلاء البائسين بركة، أو تنشئ لأطفالهم الضاوين مدرسة. وعلة حب الباشا للمستنقعات أن نفقة ردمها على حسابه ، وحجة بغضه للمدارس أنها تصرف الأطفال عن العمل فى أرضه

***

ارجعوا يا قوم إلى الله فقد طبَّ لهذه الأدواء واحتاط لهذه الفواجع . إن هذا الأمير وذلك الباشا يملك كل منهما مليوناً من المال الذى تحول عليه الأحوال فيزيد ولا ينقص . فلو أنهما يؤديان زكاته كما فرض الله لكان ما يدفعانه خمسين ألف جنيه فى كل سنة . ولو حبسنا هذا المال الوفر على هذه القرى العشرين لما بقى فيها فقير ولا مريض ولا جاهل . وإذن تشفى الصدور من الغل ، وتبرأ النفوس من الوهن ، فتكثر الأيدي ، وتشتد السواعد، ويزيد الإنتاج، ويزكو الريع، ويردُّ عليه ما أقرض الله أضعافاً مضاعفة . ولكن أغنياءنا أبطرتهم نعمة الله فاستغنوا بجبروتهم عن رحمته ، وبملكوتهم عن جنته ، وبعباده عن عباده ؛ وكأنهم أصبحوا يرون سعادتهم فى شقاء الوطن ، وعزتهم فى مذلة الناس !

احمد حسن الزيات

عجــــوة بيض

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

— بابا . هات خمسة قروش !

— يا أخي ، قل صباح الخير أولاً

— آه ، صحيح ، طيب صباح الخير ، هات بقى !

— سبحان الله العظيم ! ألا تنتظر حتى أرد عليك هـذا التصبيح بالخير ؟

— طيب ، ردّ

فأتلكأ — أهز رأسي أسفاً ، وأمصمص بشفتي متعجباً ، وأقلب كفي ، ولـكن هذا كله له آخر فيعود اللعين إلى المطالبة بالقروش الخمسة ، فأسأله : « هل يليق أن تصبح أباك — على الريق — بطلب فلوس ؟ »

فيتعجب لي كيف أقول إن هذا غير لائق ، ولا يستطيع أن يفهم أن ابتداء يوم جديد بإنفاق من المرجح أنه في غير محله ، صعب على النفس جدًّا ، فأقول له : « إنتظر ، حتى تكبر وتعرف بالتجربة »

فيصيح : « يا خبر أبيض ! انتظر حتى أكبر ؟ لا يا بابا ، أنا مستعجل ، وقد وبخني المعلم أمس »

فأسأله السؤال الذي كان ينبغي أن ألقيه عليه في بداية الحوار :

— لمـاذا تريد خمسة قروش ؟ ماذا يمكن أن يصنع طفل مثلك بخمسة قروش ؟

فيقول : « أشترى بها كتاب المطالعة الانجليزية »

فأسأله مرة أخرى : « أو لم تعطك المدرسة كتاباً ؟ »

فيقول : « تقطع ولم يبق صالحاً للاستعمال »

— ولمـاذا تقطعه ؟

— لست أقطعه ، هو تقطع !

— تكلم بعقل ، كيف يقطع الكتاب نفسه ؟

— لم يقطع نفسه ، ولـكن المعلم يأمرنا أن نطويه ، فيبلى ، ويتخرق ، ويتمزق

— هل تعلم أني كنت تلميذاً مثلك ؟

— لا ...

— لا ؟ كيف تقول لا ؟

— طيب أعلم — إنما عنيت أني لم أرك ولم أكن معك — هات بقى ثمن الكتاب

— وأنا إنمـا أعني أني لم أحتج في حياتي المدرسية كلها أن أشترى كتاباً مدرسيًّا لأن كتبي لم تكن تتقطع وكانت لا تبلى أبداً

فيضحك الخنزير ويقول : « لا مؤاخذة يا بابا ، ولـكن يظهر أنك كنت تلميذاً كسلان »

فأضحك مثله وأزعم أنها نكتة ، ولـكن الواقع أنها أصابت المحزّ ، ووقعت على المفصل ، فما أعرف من زملائي في عهد الدرس والتحصيل من كان أبلد مني أو أشد كسلاً . ولا أدرى كيف كنت أنتقل من فرقة إلى فرقة ، وأحسبهم كانوا يؤثرون أن يجبروا خاطري ويترفقوا بضعفي . ولما أتممت التعليم — أي فرغت من المدارس — وجدت عندي صفوفاً من كتب الدراسة نسجت عليها العناكب بيوتاً وقصوراً ، وقد أخذها مني صديق ، وأعطاني بدلاً منها كتاب (الشعر والشعراء) أو (طبقات الشعراء) لابن قتيبة ، طبعة ليدن . وقد بعت هذه أيضاً بثمن غير بخس في جملة ما بعت من الـكتب

***

ويدخل اللعين الثاني أو الأكبر فيقول بلا تمهيد ، ولا تصبيح « اكتب هذه البيانات المطلوبة هنا على هذه الورقة ، وسآخذ من جيبك ستة قروش ، ثلاثة لرحلة إلى الهرم ، وواحداً يبقى معي ، ونصف قرش هو مصروفي ، وقرشاً ونصف قرش ثمن برجل وعلبة ألوان »

فأصيح به « تأخذ من جيبي ؟ من أدبك هذا الأدب ؟ ماما ؟ »

فيقول « لا ، إنما أريد ألا أحوجك إلى النهوض من السرير فإن الجو بارد »

فأقول « متشكر ، يا سيدي ، ولـكن ما هذه البيانات الجديدة التي يطلبونها ؟ شيء بارد ! »

وتدخل « ماما » في هـذه اللحظة ، فتسأل عن هذا الشيء البارد ماذا عسى أن يكون ؟ فأقول

« صباح الخير أولاً يا ماما ، يا نور العين ، ثم إني أرى كل شيء

بارداً في هذا اليوم المبارك إن شاء الله — لا أحد يصبحني بالخير، وكل من يدخل عليّ يقول هات، ولم يكن ناقصاً إلا أن تسألني المدرسة عن عمري، كأني تلميذ فيها، ولست أستغرب أن تسألك غداً عن سنك يا امرأة، فانتظري، وأعدي الجواب من الآن، وقد أعذر من أنذر!»

وأرفض أن أعطي الولد نفقات الرحلة قبل أوانها بثلاثة أيام، وأرفض أن أذكر للمدرسة عمري — لا حرصاً مني على كتمان ذلك — بل لسببين أولهما أني لست تلميذاً بها، فلا شأن لها بي وبعمري؛ وثانيهما أني لا أحب أن أشجعها على هذا الفضول مخافة أن تسأل بعد ذلك كم سن امرأتي! وأحدث نفسي وأنا أنطق بعبارات الرفض أن من الواجب أن يكون المرء حازماً في بيت كهذا

فتقول امرأتي «ولكني أعتقد أنك لن ترفض أن تعطيني مائة وعشرين قرشاً؟»

فأثب من السرير إلى الأرض وثبة ليت مصوراً كان حاضراً فيرسمها فإنها حركة رياضية بديعة، يُرمى فيها اللحاف، وتطوى الساقان، ثم تُدفعان في الهواء وسائر الجسم وراءهما، ثم إذا أنا واقف على الأرض، لم يتحطم رأسي، ولم يصبني سوء. ولم أكن أعهد في نفسي هذه القدرة، ولكن الوقت ليس وقت الإعجاب بالذات

وأصيح «مائة وعشرين قرشاً؟ أتقولين مائة ...»

فتشير إليّ أن مهلاً، مهلاً، وتسألني «مالك تصيح هكذا؟ ماذا يقول الجيران إذا سمعوك؟»

فلا أكف عن الصياح وأنا أقول «الجيران؛ ليقولوا ما شاءوا ولكن اعلمي — أنت وهم أيضاً — أني مستعف ... مستقيل ...»

فتضحك ... أي والله تضحك ... وتسألني «من قال لك افتح بيتاً؟»

فأرد عليها بقوة «ومن قال لك إن البيت بالوعة؟ لا ياستي أنا مستعف ... مائة وعشرين قرشاً؟ يا خبر أسود!»

فتلاطفني وتقول «اسمع، اسمع، وكن حليماً ...»

فأسألها مقاطعاً «خبريني أولاً من الذي قال لك إني أنفق مما أجد تحت السجادة؟ أو إني من أهل الولاية وأصحاب الكرامات الذين يمد الواحد منهم يده من النافذة فإذا فيها أصبع من الموز؟

من البرج العاجي

نفسي بطبيعتها لا تنزع إلى ترف الحياة. ولقد عشت إلى وقت قريب ضالاً. ليس لي بيت مستقر ولا راحة موفورة. ولا حتى مكتبة خاصة تعينني على عملي الأدبي. إلى أن أوهمني بعض الناس أن مكانتي كأديب تقتضي أن أغير هذه الحياة. فأصغيت إلى هذا الكلام واتخذت لي مسكناً أنيقاً في أجمل بقاع القاهرة يشرف على النيل. واقتنيت سيارة جميلة، وجعلت لي مكتبة تزينها التحف والتماثيل. وأكثرت من حولي الخدم يعنون بأمري. وأعجبني قليلاً مظهري هذا الذي يماثل مظهر أدباء أوروبا المشاهير. وغرني الحال. وحسبت أننا نتمتع في الشرق بمثل ما يتمتعون من قوة وحرية ومنعة. فانطلق قلمي مرة يبدي رأياً صريحاً في مسألة قيل إنها تمس السياسة. وإذا أنا أقع فريسة لإجراءات مهينة، فالتفت يميناً وشمالاً أبحث عن عالم الأدب يتولى الدفاع، لا عني، بل عن حرية الفكر المهدرة. فلم أجد أحداً من الأدباء قد تحرك. ولم أر صحيفة قد همها الأمر. وخرست كل تلك الجرائد التي طالما رفعت صوتي على صفحاتها، واتفق الكل اتفاقاً طبيعياً على إهمال الموضوع. ولم يحفل أصدقائي ولا زملائي ولا قرائي بما حدث لي. ولم يدركوا الخطر الذي يهدد الأدب والأدباء إذا هم شعروا يوماً أنهم لا يستطيعون أن يخرجوا ما في نفوسهم. (أديب واحد كبر عليه الأمر وأدرك الخطر ونهض في قلق يحادث المسؤولين ويناقشهم، هو كاتب عظيم يعد فخر أدباء الشرق في العصر الحاضر. وصداقته لي معروفة من زمان، وإن كنت مع الأسف لم أقدرها قدرها في كل الأحيان)

على أن الحادث في جملته قد هز عقيدتي في منزلة الأدب وفجعني لا في شخصي، ولكن في مركز الأديب في الشرق، فقد أيقنت أن ما يسمونه «المكانة الأدبية» إنما هي وهم من الأوهام. وأن الأدباء أنفسهم هم المسئولون في أكثر الأحوال عن انخفاض شأنهم في المجتمع لخذل بعضهم بعضا

وأحسست من نفسي الذلة، فتركت سكني وسيارتي وخدمي، وعدت من جديد أعيش شريداً، كما يستحق أديب في الشرق أن يعيش. توفيق الحكيم

أو أن عندى آلات لتزييف النقود ، أو إنى ابن روكفلر ، وبيربونت مورجان وروتشلد معاً ؟ هه ؟ أجيبى أولاً ؟ »

فلا تجيب ، لأنها تضحك مستخفة بأن أجد نفسى كل صباح — على ريق النفس — مطالباً بخمسات القروش للخنزير الصغير ، وستاتها للخنزير الأوسط ، ومئاتها ...

وتقول « ألا تسمع ؟ لماذا تأبى أن تسمع ؟ »

فأقول « لأنى مستعف ... هذا هو السبب ... وسألبس ثيابى وأخرج ولا أرجع »

فتقول وهى تغالب الضحك « ألا تفطر أولا ؟ لقد أوصيت لك ببيض مقلىّ بالعجوة ، وعصرت لك — الآن، بيدى هاتين — أربع ليمونات حلوة ، . تعال أفطر أولا ... ونتكلم على الطعام »

ترى ماذا أغرى آدم بمطاوعة حواء ؟ كيف وسعها أن تجره من أنفه وتدس فى فمه الواسع — لا بد أنه كان واسعا — التفاحة المحرمة ؟ أتراني ورثت عنه هذا الحب للبيض المقلى بالعجوة ، وعصير الليمون الحلو ؟

لا أدرى ؛ ولكنى أردت أن أشيح بوجهى عنها ، لأقاوم إغراء ما تصف ، وأغالب سحره ، فطالعنى وجهى فى المرآة ، فإذا هو يبتسم ، وما كان يسعنى بعد أن عرفت أنى أبتسم ، أن أظل متجهما .

وجلسنا إلى السفرة وشربت عصير الليمون ، فشاع الاغتباط فى كيانى ؛ وجاء الطبق وفيه البيض والعجوة ، ففركت يدى ، ودفعت طبقى إلى امرأتى وقلت: « الله يرضى عنك يا امرأة! هاتى! هاتى ! وليسخط علىّ الأطباء ما شاءوا وما وسعهم السخط ؛ وليزعموا أنى أزيد معدتى تلفاً ، فما أباليهم ، أو أحفل مشوراتهم . هاتى ، هاتى ... ترى ماذا أذكرك العجوة والبيض .. لا،لا،لا.. هذا لا يكفى ... إنى أتضور جوعا ... أكثرى ، أكثرى »

فتقول « معدتك تتلف ... يكفى هذا المقدار »

فأصيح: « لالا ... على رأى العامة « همّ ، وقلة مم !» هاتى ، ولا تخافى »

فتقول : « هل معنى هذا أنك ستعطينى ما طلبت ؟ »

فأصيح « ياستى خذى ما شئت ... كلّى لك ... ولكن هاتى من هذا وأكثرى »

فتنهض وهى تقول « ومعدتك ؟ »

فأقول « سننظر فى أمرها فيا بعد . وأحسب أنى لن أعدم طبيباً يستطيع أن يسكن آلامها . أتعرفين أنه يخطر لى أن الطب قد أخفق لأنه لم يستطع إلى الآن أن يغنينا عن المعدة ؟ فليت هناك دكانا تباع فيه أعضاء جديدة من الجسم تركب له وتتخذ بدلا من التى تتلف ، على نحو ما تباع قطع السيارات ! إذن لو سعنى أن ألتهم كل ما فى هذا الطبق الشهىّ . ولكن آخ ! »

وأجدنى أكلم نفسى ، فأتلفت مستغربا ، وإذا بها تعود ويدها مبسوطة بمائة وعشرين قرشا فأهز رأسى وأسألها

« ما حاجتك إلى كل هذا ؟ »

فتخبرنى أنها دعت « أم أحمد » وأنها تنوى أن تكلفها شراء ثياب لكسوة الخدم ، فقد آن ذلك جداً ، وقد اختارت أم أحمد لأنها ممن أخنى عليهن الذى أخنى على من نسيت اسمه — آه لبد ، ياله من اسم ! — فهى تحب أن تكل إليها أمر الشراء لتكسب قرشين ، فإنها تأبى الصدقة .

فأهز رأسى موافقاً ، ثم أنهض عن المائدة راضيا وأقول لها بابتسامة عريضة : «مائة وعشرون قرشا ثمناً لأكلة عجوة بالبيض! لست أراه باهظا جداً ... لا بأس ! لا بأس ! سيرزقنا الله من حيث لانعلم ، فلا تخافى ، وأنفق ما فى الجيب يأت ما فى الغيب

ابرهيم عبد القادر المازنى

شعر مهيار

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال ابن خلكان فى كتاب وفيات الأعيان (هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى الشاعر المشهور؛ وكان مجوسياً فأسلم . ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضى أبى الحسن محمد الموسوى وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر، وقد وازن كثيراً من قصائده) . نعم أخذ مهيار عن الشريف الرضى وسلك مسلكه فى فخامة اللفظ وقرب التشبيه والاستعارة ونغمة الوزن وتحكيم الوجدان والتباعد عن المعانى التى يمجها الذوق والوجدان إلا فى القليل مثل قوله فى الغزل :

غار المحبون من أبصار غيرهم ضَناً وغرت على ليلى من بصرى

إذ أن هذا معنى غير مستقيم ولا يقبله الذوق وإن كان للشعراء مثله . ولا أذكر الآن هل للشريف مثله أم ليس له . ومن دلائل التكلف أحياناً فى شعر مهيار أن له قصيدة فى الرثاء بها يرثى أهل البيت رضى الله عنهم ومطالعها غزل وهو : (فى الظباء الغادين أمس غزال) وجاء فى غزلها ذكر الملال والدلال وما إلى ذلك . وهذه أقوال لا تستقيم مع الرثاء عموماً ورثاء أهل البيت خصوصاً . وعلى أى حال فإن أستاذه الشريف أكثر طبعاً ؛ وإن كان الشريف أحياناً يقبل معانى الغزل المعتاد الشائع فى عصره ، ولكن نصيبه من عبث الحضارة أقل من نصيب مهيار ، وأقل من نصيب غيره من شعراء الدولة العباسية . ومن أجل متابعة مهيار له سلم فى أكثر شعره من هجنة الذوق الحضرى العابث، ولكنه من أجل هذه المتابعة لم يُدْخِلْ فى العربية أثراً من الثقافة والنزعة الأدبية الفارسية . وكنا نأمل أن نجد لمهيار ابتكاراً بسبب جمعه بين الحضارتين الفارسية والعربية ، ولكن طريقة الشريف كانت عربية بدوية أكثر منها حَضَرِيَّة ، فنزع مهيار هذا النزع؛ ولم يكتف بذلك بل إنه بَرَّزَ فى أبواب القول التى بَرَّزَ فيها الشريف مثل الغزل الوجدانى الرقيق ، والرثاء والإخوانيات والعتاب وشكوى الزمان وأهله ؛ وبَرَّزَ أيضاً فى المديح بحكم مهنته . وهو أحياناً يحتذى طريقة الشريف فى المديح بوصف عادات البدو فى معيشتهم فيقول :

ضربوا بمدرجة السبيل قبابهم يتقارعون بها على الضِيفان

ويقول :

كأنَّ حديث من يُثْنِى عليه حديث القين عن نصل يمانى

والمديح هو الباب الذى كان فيه مهيار أكثر استرسالاً من أستاذه بحكم منزلته وبحكم ترفع الشريف الذى يخاطب الخليفة فيقول له إنه لا فرق بينهما :

إلا الخلافة ميزتك فإننى أنا عاطل منها وأنت مطوق

ويقل تبريز مهيار فى أبواب الشعر التى يقل فيها تبريز الشريف ، فلا ينتشى مهيار بما يصف كما ينتشى أبو تمام فى وصف الطبيعة، وكما ينتشى البحترى وابن الرومى. ولكن وصف الشريف أقوى وأعرق فى الشعر من وصف مهيار . أنظر إلى قول الشريف فى وصف القلم :

وينطق بالأسرار حتى تظنه حواها وصفر من ضمير أضالعُه

أو قوله فى وصف الذئب :

إذا فات شيء سمعَه دل أنْفُه وإن فات عينيه رأى بالمسامع

وهذه القصيدة تذكرنى قصيدة البحترى التى مطلعها (سلام عليكم لا وفاء ولا عهد) وفيها وصف للذئب منه قوله :

كلانا بها ذئب يُحدِّث نَفْسه بصاحبه والجد يُتْعِسُه الجد

وتُذْكر أيضاً والشيء يذكر بالشيء أبيات الفرزدق فى وصف الذئب الذى قراه وأطعمه بعكس ما فعل الشريف والبحترى ، وهى التى مطلعها (وأطلس عسال وما كان صاحباً) .

أما مهيار فله شعر كثير فى الوصف أكثره فى وصف الشمع أو السمك أو الطبل أو الاسطرلاب الخ . وهو ليس من الطراز الأول. وله أبيات فى وصف السماء وهو موضوع كبير يشمل حسنها فى مظاهرها المختلفة ، ولكنه لم يوفه حقه . وله قصيدة فى وصف آلات زينة صناعية فى بركة ، ولكنها على شهرتها لا تدل على أن الشاعر قد انتشى بموضوعه ، فمهيار إذاً لا يُبَرِّزُ فى الوصف كما يبرز فى الموضوعات الأخرى التى ذكرناها وبَرَّزَ فيها أستاذه

والذى جعلنا نأمل أن يبتكر مهيار وأن يدخل شيئاً من أثر الثقافة الفارسية هو ما رأيناه من ابتكار ابن الرومى وما لعله من أثر نسبه الدخيل، وإن كان ابن الرومى قد غلبت عليه النزعة العربية أكثر مما غلبته النزعة الرومية . ومهيار يفتخر بسؤدد الفرس فيقول: إنه جمع المجد من أطرافه (سؤدد الفرس ودين العرب) ويفتخر بفصاحتهم فيقول : (وفيهم ألْسُنُ البيان) ويقول :

إنْ تُنكِرى قوى فعندك من بقيتهم بيانْ

وقد نظرنا فى شعر هذا الفارسى فوجدناه أكثر عروبة من شعر بعض الشعراء العرب من سكان العراق وفارس، وكان هؤلاء يتملحون ويتجملون بألفاظ فارسية فى بعض الأحايين. ونحن لم نطلع على شعر لشعراء دولة الفرس قبل الإسلام، ولا نعرف إن كان شعرهم قد بقى، ولكنا اطلعنا على منتخبات لشعراء الفرس بعد الإسلام عند ما استقلت فارس بسبب ضعف الدولة العباسية وسقوطها، وبعضهم أيضاً كان يكتب أيام حكم التتر، وهذه المنتخبات لعمر الخيام وحافظ الشيرازى والسعدى والفيروزى والجامى والنظامى وأنورى وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومى وابن جمين(١) لا تختلف كثيراً عن شعر شعراء الدولة العباسية من العرب إذا استثنينا ما فى بعضها من قصص تاريخ الفرس القديم التى صارت فى هذا الشعر أشبه بالأساطير الاغريقية فى شعر هومير وغيره؛ وإذا استثنينا أيضاً الأساطير التى حاكها بعض هؤلاء الشعراء فى موضوع حياة الطيور والحيوانات الخ على طريقة الخيال الآرى. ولم أجد فى شعر مهيار أثراً لذلك وإن كان يقرب من الحضارة الفارسية فى وصفه بعض مظاهر الترف، لأن الحضارة العباسية العربية كانت شبه فارسية، إذ قد أخذ العرب فى العراق وفارس من مذاهب الإحساس والفكر والحضارة الفارسية، حتى إن بعض المؤرخين سمى الدولة العباسية، بالدولة الفارسية العربية. وقد رد العرب هذه المذاهب المستعارة من مذاهب القول والإحساس والفكر إلى شعراء الفرس المسلمين الذين ظهروا عند ما استقلت فارس عن الدولة العباسية؛ وهذه هى أسباب أوجه التشابه بين هؤلاء الشعراء وبين شعراء الدولة العباسية العربية. فمهيار لا يقترب فى قوله من الثقافة الفارسية والحضارة الفارسية إلا من حيث اقترابه من نزعة شعراء العربية فى الدولة العباسية. وهو كما أوضحنا غير مندفع فيها كل الاندفاع ولا منغمر فيها بسبب احتذائه طريقة الشريف فى محاكاة النزعة البدوية؛ وهو مع ذلك له شعر فى مظاهر من تلك الحضارة لم يطرقها الشريف كوصفه للخمر كما فى الأبيات التى يقول فيها:

من فم إبريقها إلى شفة الكا ... س عمود الصباح ممـدود

وقد أغرق فى تحسين السكر فى قصيدته التى يصف فيها آلات الزينة فى البركة ومطلعها:

ندیمی وما الناس إلا السکاری ... أدرها ودعنى غـداً والخمارا

وعطِّل كؤوسك إلا الكبير ... تجِدْ للصغير أناساً صغارا

وقد أنقذته محاكاته للشريف من أن يكون أكثر شعره على هذه الوتيرة. وقد ذكرنا أن الوصف فى هذه القصيدة لا يحدث للقارئ نشوة شعرية، وإنما النشوة فيها نشوة مادية للشاعر بالخمر كما ترى. وعندى أن بيتاً واحداً فى الوصف للمعرى، وهو ليس من شعراء الوصف، قد يحدث نشوة شعرية للقارئ أكثر مما تحدثه قصيدة فى الوصف لمهيار. أنظر إلى قول المعرى:

ليلتى هذه عروس من الزنـ ... ـج عليها قلائد من جمان

وكلمة (هذه) فى البيت لها أثر كبير فى الوصف. وبعض وصف مهيار على سبيل الأحاجى والمعميات وهذا ليس من الوصف العالى ويجوز لنا أن نقول إن منزلة مهيار من الشريف كانت كمنزلة البحترى من أبى تمام من حيث احتذاء الطريقة. وقد هجا ابن الرومى البحترى فقال:

والفتى البحترىُّ يسرق ما قا ... ل حبيب فى المدح والتشبيب

كل بيتٍ له يُجَوِّدُ معنا ... ه فمعناه لابن أوس حبيب

وهذه مبالغة المنافس القادح الزارى. إلا أنه مما لا شك فيه أن البحترى على عظم منزلته كان محاكياً أكثر من ابن الرومى. وقد وجدنا أن مهيار يعزب عن نهج الشريف فى بعض قوله وروحه. ولا غرو فإن النبات إذا نقل من مكان إلى مكان كانت ثمراته شبيهة بثمرات نوعه من نبات المكان الثانى، وكذلك طريقة الشعر إذا نقلت من شاعر إلى شاعر، فهى يصدق فيها قول الشريف فى الآمال:

وتختلف الآمال فى ثمراتهـا ... إذا شرقت بالرى والمـاء واحد

ولمهيار قصائد عديدة ذات نغمة موسيقية عذبة كنغمة قصائد الشريف العذبة، وهو لا يقل عن الشريف فى هذه الموسيقية بل قد يزيد أحياناً، ولكن الوجدان الشعرى فى ثنايا موسيقية الشريف أكثر طبعاً وغزارة؛ وقد يقل الوجدان وتقل الموسيقية فى قصائد مهيار المطولة فى المدح على أناقتها، ولكن القارئ يشعر فى بعضها إطالة الناثر القدير وتوقف الكاتب فى تدبيج المديح أكثر مما يشعر من اندفاع السيل الشعرى الأَتِىّ؛ ولكن أسباب هذا الشعور أن مهيار كان كاتباً قديراً وأنه أوتِىَ سهولة كبيرة فى النظم ونفساً طويلاً جداً. وفى بعض مدائحه يحس القارئ سرعة اندفاع الوزن ولكنه يحس أيضاً أن سهولة النظم وطول

(١) هذه الأسماء منقولة من صيغها فى كتب المنتخبات الافرنجية التى أشرت إليها لا عن الصيغة الفارسية

النفس قد سبقا شاعرية الشاعر. وهذه هي جناية المدح على الشاعر وجناية نظم الشاعر بالأمر أو الطلب أوللحاجة وا كتساب الرزق، وهذا أمر يشترك فيه كثير من شعراء الصنعة مع مهيار، إلا أن ما أضر الشعر من ناحية قد أفاده من ناحية أخرى، فقد أصبحت قصائد الصنعة التي ليس فيها اندفاع سيل العاطفة الشعرية نماذج يحتذى في المدارس وفي غير المدارس لتقويم لسان الناشئين المبتدئين؛ ولكن الخطر قديماً وحديثاً هو إما أن يمل الناشئ اللغة بالرغم من طلاوة النماذج وأناقتها لافتقاده سيل العاطفة، وإما أن يظل طول عمره على النماذج الإنشائية لا يطلب وراءها روحاً أو معنى أو وجداناً.

ولقد نجى الشريف من أن يكون بعض شعر المدح من شعره نماذج إنشاء فحسب أنه كان يترفع عن التكسب بالشعر أو كانت له عنه مندوحة. والشريف لم يكثر إكثار مهيار وإن كان الشريف مكثراً جداً إذا قيس بالمتنبي أو أبي تمام

وبالرغم من إطالة مهيار في القصيدة الواحدة إطالة كبيرة في المدح، وبالرغم من مؤاتاة سهولة الوزن له فقد كان يهذب ويشذب ويتأنق ويسئ بالإحسان فيها ظنا حتى يقتنع ذوقه بدليل قوله : —

وأسيء ظنا وهي مُحسِنةٌ لا كالمسيء ويحسن الظنا

ولعل هذا سبب ولوعه بإطراء شعره في شعره فقد قال في قصائده:

لكنها من معدن لم يكن بِسرِّهِ ينبع إلاَّ لِيا

وزاد على هذا فجاء بقول يشبه أقوال المتنبي فقد قال مهيار :

ظهرت بآيتي في غير قومي ولم أنظرْ بمعجزها أواني

أي ظهر قبل ظهور الجيل الذي يستطيع أن يقدره

ولقد قالوا إن الشريف قد اشترك في كتابة بعض ما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب (نهج البلاغة) وهذا شئ لا يصدق لبعد التزوير من أخلاق الشريف الرضي. وعلى أي حال فليس في شعر الشريف ما يذكرنا بأنه كاتب ناثر، وإن كان له في النثر فضل كبير. وأحسب أن ابن الرومي لو شاء أن ينبغ في النثر نبوغه في الشعر لاستطاع لتقصيه الأجزاء وتتبعه، واتساق كلامه وربط بعضه ببعضه واستطراده وضربه الأمثال وإشاعته المعنى في أكثر من بيت، وما إلى هذه الصفات من صفات؛ ولكن الشعر ملك عليه وقته ونفسه وحاجات له وغلبت عليه سهولة النظم. ولم يصل إلينا شئ من نثر مهيار وإن كانت الكتابة هي الصفة المقدمة في كلمة ابن خلكان عنه. ولعل شعره في المدح وغيره من أغراض الأمراء والحكام يغني عن نثره لفظاً ومعنى.

ولأناقة مهيار في أسلوبه سببان : الأول مما كانه طريقة الشريف الرضي، والثاني هو أن الدخيل إذا اعتنق لغة حتى تصير لغته واحتاج إلى النبوغ فيها والتكسب بها اضطر إلى التأنق أكثر من اضطرار الأصيل الذي يعتز بأصالته فلا يتعمد المغالاة في التأنق. ومن أجل ذلك كان مهيار أكثر أناقة في الأسلوب من كثير من شعراء العرب في الدولة العباسية ولا سيما شعراء عصره. وليست أناقته بمستحيلة إذ أن عمدة النحو العربي رجل فارسي مثله وهو سيبويه، وهو مثل آخر من أمثال هذه الظاهرة، وهي أن الدخيل قد ينبغ أكثر من الأصيل في لغة بسبب اضطراره إلى استبطان دخائلها، وهي ليست قاعدة عامة بل هي من الأمور الغريبة كغرابة إتقان الكاتب البولوني جوزيف كونراد للغة الانجليزية وكتابة قصصه بها حتى صارت كتبه تعد من ذخائر الأدب الانجليزي وحتى صار يعد أديباً انجليزياً لا بولونياً

وقد أخذ مهيار عن الشريف سر الموسيقى الشعرية وهي لا تتوقف على الوزن وحده بل على الوزن وعلى أسلوب الشاعر في الإفصاح عن إحساسه. ومن قرأ قصيدة الشريف التي مطلعها: (ضَربْنَ إلينا خدودا وِساما) أو التي مطلعها (أَراكَ ستحدثُ للقلب وجدا) أو التي مطلعها (اسلمي ياسرحة الحي) أو التي مطلعها (يا ظبية البان) وغيرها من أشعار الشريف ثم يقرأ شعر مهيار الموسيقي يحس كيف أتقن التلميذ سر تلك الموسيقى كما في قول مهيار:

أراها يوم صدت أن أراها علمتْ أني منْ قتلى هواها

إلى أن يقول :

أعْطِيَتْ من كل شيء ما اشتهت

فرآها كل طرف فاشتهاها

أو قصيدته التي يقول في مطلعها :

لواعج الشوق والغليلْ عَلَيَّ أحنى من العذول

أو التي يقول فيها :

آه على الرقة في خدودها لو أنها تسرى إلى فؤادها

أو التي يقول فيها :

واذكرونا مثل ذكرانا لكم رُبَّ ذِكْرَى قَرَّبَتْ من نزحا

أو التي يقول فيها :

أأنتِ أمرتِ البدر أن يصدع الدجا

وعَلَّمْتِ غصن البان أن يتميلا

أو التي يقول فيها :

وَهَبْكُمُ منعتم أن يراها بعينه فهل تمنعون القلب أن يتمناها

ولو أن أساتذة فن الغناء فى عصرنا هذا شاءوا لوجدوا فى شعر مهيار نبعاً لا ينضب معينه من الموسيقى والغناء . فيا حبذا لو لحنوا الكثير من قصائده الموسيقية . وقد نبغ مهيار أيضاً فى الرثاء كما نبغ الشريف ؛ ومن أكثر قصائده فى الرثاء وجداناً قصيدة قالها فى فتى كان قد تبناه ورباه وهى التى يقول فيها :

فُجِعْتُ به غض الشمائل والهوى
مُسِنَّ الحجا والفضل مقتبل السن

على حين قامت للمنى فيه سوقها وحقت شهادات المخايل والظن

ومن قصائده البارزة فى الرثاء القصيدة التى مطلعها (مَنْ حاكم وخصومى الأقدار) والتى مطلعها (نعم هذه يادهر أم المصائب) ويقول فيها :

سلامٌ على الأفراح بعدك إنها وإن عشتِ ليست إربة من مآربى

ومنها قصيدته فى رثاء عبد العزيز بن نباتة السعدى اللامية التى يقول فيها :

أفَلَمْ يَرْعها منك نفس حُرَّة كنتَ الوحيد بها وأنت قبيل

وقصيدتاه فى رثاء الشريف الرضى مشهورتان ولا سيما الدالية التى مطلعها (أقريش لا لفم أراك ولا يد) . وقد نبغ مهيار أيضاً فى شكوى الزمان والإخوان ، وله فى هذا الباب أشعار كثيرة مثل قوله :

وأخ مع السراء من عُدَدِى وعلىَّ فى الضرَّاء والشر
مولاى والأحداث مُغْمَدَةٌ فإذا انتضين فرَى كما تفرِى
تَعِبٌ بحفظ هَنَاتِ ميسرتى كيما يُعَدِّدَها على العسر

ومن شعره فى هذا الباب قوله من قصيدة رائعة :

وقلوب أعدائى الذين أخافهم مغلولة لى فى جسوم أحبتى

ولمهيار قصيدة فى العتاب بلغت منزلة عالية وهى التى يقول فى أول العتاب منها :

يا أهل ودى وما أهلا دعوتكم بالحق لكنها العادات والدرب

وفى اللغة العربية قصائد بارزة فى العتاب يصح أن تكون فى باب وحدها وإن تفاوتت مراتبها ومنها هـذه القصيدة لمهيار وقصيدة البحترى التى أولها (يهون عليها أن أبيت متيماً) والتى مبدأ العتاب قوله (عذيرى من الأيام رَنَّقْنَ مشربى) وقصيدة ابن الرومى التى مطلعها (يا أخى أين ريع ذاك اللقاء) وقصيدة سعيد بن حميد التى مطلعها (أقلِلْ عتابك فالبقاء قليل) وقصيدة المتنبى التى مطلعها (واحرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ) وقصيدة الطغرائى التى مطلعها (على أثلاث الوادِيَيْنِ سلامُ) .

وفى الهجاء يحتذى مهيار الشريف أيضاً . قارن بين قول الشريف الرضى (من كل وجه نقاب العار نقبته) وقوله (يَصْدَى من اللؤم حتى لو تُعَاوِدُهُ) وبين قول مهيار : —

وملثمين على النفاق بأوجه صم يصيح اللؤم من قسماتها

ولمهيار أبيات كثيرة ضائعة فى ثنايا مطولاته وهى أبيات يصح أن تشتهر وأن يتمثل بها .

مثل قوله :

والشامة البيضاء تنعت نفسها لوضوحها فى الجلدة السوداء

وقوله :

يقول المرء ما يهوى ويرجو ويفعل فعـله الفلك المدار

وقوله :

يسمون عيشاً فى الخمول سلامة وصحـة أيام الخمول سقام

وقوله :

ونشتكى دهرنا والذنب ليس له والدهر مذكان مظلوم ومتهم

وقوله :

تقـام على الفقير وما جناها إذا وجبت على المثرى الحدود

وقوله وهو ليس من الهجاء بقدر ما هو حقيقة عامة فى كل النفوس : —

يجهلنى بديهـة وإنه يزداد جهلاً بىَ كلما امْتحَنْ

عبد الرحمن شكرى

المجمع اللغـــوى

وإصلاح لغة الحياة اليومية

للأستاذ عبد القادر المغربى

عضو المجمع

ذكرنا من قبل أن المجمع اللغوى قد اتجه إلى الاتصال بالمصالح الشعبية لتناول الرأى معها فى المصطلحات . وقد سألنا صديقنا الأستاذ المغربى عن الطريقة التى بسط فيها رأيه فى وجوب عناية المجمع بكلمات الحياة اليومية والحاجة الداعية إلى هذه العناية فأرسل إلينا هذا المقال .

أمهات الأعمال التى قام بها المجمع فى دوراته الماضية خمس :

١ — أوضاع فى العلوم والفنون لطلاب المدارس

٢ — كلمات فى الشئون العامة لجمهور المتكلمين باللغة العربية

٣ — تسهيل قواعد اللغة

٤ — كتابة الأعلام الأجنبية بوضع علامات اصطلاحية على الحروف العربية

٥ — الاهتمام بوضع معجمين : أحدهما علمى للطلاب والآخر لغوى لجمهرة المثقفين

وقد بذل المجمع همة عالية فى مباشرة أعماله هذه وكان سعيه موفقاً فيها . اللهم إلا ناحية واحدة من هذه الأعمال ما زالت محتاجة إلى عناية وتخير أقرب الطرق لحسن الإنتاج فيها

وأريد بتلك الناحية إصلاح لغة الحياة اليومية التى ترجم لها المجمع بقوله (كلمات الشئون العامة) — كأدوات المنازل وما تتناقله الألسنة والأقلام فى الدواوين والأندية والمدارس والمتاجر مما يعبر عنه بألفاظ دخيلة أو عامية : فقد وضع المجمع لهذه الشئون أكثر من مائتى كلمة . ومن مواضع العجب أن هـذه الـكلمات تكاد تكون وحدها مثار اللغط فى نقد المجمع والغض من قيمة إنتاجه

وهذا يدل على أن (كلمات الحياة العامة) هى أول ما يتشوق إليه الجمهور من نتائج أعمال المجمع . لأن اللغة اليومية أصبحت قطعةً من حياته وجزءاً من عقليته . فلا جرم أن يكون إصلاحُ هذه اللغة وتقويمُ اعوجاجها مَثَلَهُ الأعلَى وموضع رغبته المُلحَّة على اختلاف الطبقات :

من طلاب المدارس الذين أضربوا منذ أشهر وكان من جملة شروط الرجوع عن إضرابهم أن تدخل اللغة العربية فى البنوك الأجنبية كما أشار إلى ذلك بعض الصحف اليومية

— إلى رجال الصحافة الذين قال أحدهم فى (رسالته) : « تريد اللغة العربية من أولياء العهد الجـديد أن تأخذ مكانها الشرعىّ فى المحاكم المختلطة ، وأن تُطَهَّـر من شوائب العُجمة فى الدواوين والقوانين والجيش »

— إلى طبقة التجار والمستبضعين الذين كان تعرَّض لى أحدهم فى الشارع وسألنى أن أتوسط المجمع فى وضع كلمة عربية تقوم مقام كلمة (مانيكور Manucur) الفرنسية ويراد بها علبة تتضمن مجموعة أدوات تُسَوَّى بها الأظفار وتجمَّل . فلم أوفق إلى إجابة سؤله واستمهلته ريثما يأتى دور هذه الـكلمة فى (كلمات الشئون العامة) التى يضعها المجمع . أجبتُه بهذا وأنا خجِلٌ وكأننى أسمعه يقول لى : إلى أن يأتى دور هذه الـكلمة تكون تغلغلت فى لغتنا ، ومَرِنت عليها ألسنةُ زبائننا والمستَخدَمين فى مخازننا ، فيصعب إذ ذاك تطهير اللغة منها . هكذا تخيَّلته يقول لى . وما زلت أتحيّن الفرص للعود إلى الحديث مع المجمع فى هذا الموضوع حتى كلَّفتنى إدارته أخيراً تهيئة اقتراح أقدمه إليه فى جملة الاقتراحات التى طلبت من الأعضاء

فقلت : ها قد سنحت الفرصة لاستمالة نظر الإخوان إلى هذه المسألة التى إذا قضوا فيها أمراً كان قضاؤهم مؤدياً إلى إصلاح اللغة اليومية . وهو ما يرغب فيه الجمهور بأشد من رغبته فى أعمال المجمع الأخرى : فإن المصطلحات الفنية التدريسية ، وتسهيل قواعد اللغـة ، وكتابة الأعلام الجغرافية ، ووضع المعاجم ، وتحقيق ألفاظها التاريخية — كل ذلك على ضرورته ، إنما تلمس فائدته بعـد سنين . ولا يلمسها ويستفيد منها إلا طبقة المثقفين . فتبقى الحاجة ماسة والنقصُ ظاهراً فى نتائج أعمال المجمع فى نظر الجمهور كما يبقى المجال واسعاً أمام الناقدين .

والحق يقال إن اكتفاء المجمع فى أن يضع من نفسه لنفسه كلمات يسميها كلمات الشئون العامة ومعظمها من غريب اللغة ثم يودعها معجمه أو مجلته — محاولة قليلة الفائدة لا تحقق الجانب الأعظم من المثل الأعلى الذى أُنشىء المجمع لأجله ، ولا تشفى غلة جمهور الراغبين فى تعميم الإصلاح لـكل ناحية من نواحى الثقافة اللغوية .

ولا يخفى أن حكم الجمهور — فى عرض المعلومات اللغوية عليه — ليس كحكم تلاميـذ المدارس الذين تملى عليهم إرادة أساتذتهم فيتلقـونها من دون تذمر ولا مناقشة ، وإنما الجمهور

كالمستهلك أمام مخزن التاجر وبضاعته . فإن وافقت ذوقه وإلا هجرها وبحث عن أخرى غيرها .

وفى المادة الثانية من مرسوم إنشاء المجمع الملكى إشارة إلى أن هنالك طرقاً يمكن سلوكها فى جعل اللغة العربية وافيةً بحاجات الحياة فى العصر الحاضر . وذلك (بأن يُحدد فى معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب)

فأنا أرى أن يستفيد المجمع من هذه الطُرُق التى أشار إليها المرسوم (فى جعل اللغة وافيةً بحاجات الحياة فى العصر الحاضر) فتتألف لجنة من أعضائه تسمى (لجنة لغة الحياة العامة) أو (لجنة اللغة اليومية) ويكون لها فوق ذلك وظيفة الدعاية والنشر والاتصال بجمهور المتكلمين اليوميين على اختلاف أعمالهم ومصالحهم . فتتلقى من إدارات الصحف والدواوين والمحاكم والجمارك والبنوك والمعامل والمتاجر بل من كل سائل الإشكالَ الذى يعرِض له فى شأن وضع كلمة عربية مكان كلمة أعجمية، أو استعمال تعبير فصيح مكان تعبير دخيل ، أو غير ذلك من الأسئلة المتعلقة باللغة اليومية مفرداتها وتراكيبها . .

وتعلن اللجنة اشتراطها على السائلين ألا تتجاوز أسئلتهم الاثنين أو الثلاثة لتتمكن من موافاة رغبتهم بالسرعة المطلوبة فتقرُّ بعض الكلمات أو التراكيب المختلف فى صحتها أو تضع مكانها كلمات أو تراكيب عربية ثم تأخذ رأى المجمع فيما فعلت ، ثم تنشره فى الصحف اليومية تحت عنوان (أوضاع لغوية مؤقتة) فتسمع رأى الفضلاء فى هذه الأوضاع وتعدّل فيه وتحوّر حتى تنتهى إلى نتيجة يطمئن إليها القلب ويُرضى أكثرية السائلين، والصحف اليومية ومحرّروها هم لعمرى أول من يحسن أن تعتمد عليهم اللجنة فى مؤازرتها وترويج عملها

نعم إن فى هذا العمل كلفة وفيه مشقة ، لكن فيه فائدة عاجلة ، وإجابة رغبة مُلحة ، وإصلاحاً مباشراً محسوساً

هذا هو الاقتراح الذى قدمته إلى المجمع ويكفينى منه أن يقبله مبدئياً ثم هو ينظر فى تنظيمه وتهيئة الوسائل التى تجعله منتجاً مثمراً

على أن اقتراحى هذا له التفات إلى اقتراح آخر علاقته به علاقة البناء بالأساس . ذلك أن قرار (التعريب) الذى وضعه المجمع فى دورته الأولى كان مضيقاً جداً مذ جُعل التعريب فيه من حق عرب الصدر الأول بحيث لا يجوز لنا نحن أن نقدم عليه ونقتحم حرمه إلا عند تحقق الضرورة القصوى . وتحديد هذه «الضرورة» من أصعب الأمور . كما أن إبهامها وشمول لفظها يؤدى بطبيعة الحال إلى جدل واختلاف كبير

ولعل المجامع اللغوية التى كانت تقوم فى القاهرة لم تخفق فى عملها إلا لاصطدامها بصخرة التعريب وتضييق الخناق فيه

فاللجنة التى اقترحت تأليفها وسميتها (لجنة لغة الحياة العامة) لا أراها تبلغ غرضها وتؤتى أكلها مالم يعدّل المجمع قرار التعريب المذكور ، فيجيز التعريب لنفسه بشروط أرفه وأوسع مما فصله فى توجيه قراره الذى نشره فى الجزء الأول من مجلته

فإن قدرت اللجنة على إقناع المجمع بذلك وإلا فلتقنعه على الأقل بلزوم قبول الكلمات الدخيلة اليومية المتفشية فى لغتنا، والتى أصبح من المتعذر تطهيرها منها بالرغم من وضعنا لكثير منها مرادفات عربية فصيحة فماتت الفصحى وبقيت هى ، أو بقيت الفصحى حية بجانبها : مثلما بقيت كلمة (بريد) حيّة بجانب كلمة (بوسطة) ، و (حوذى) بجانب (عربجى) ، و (ردهة) بجانب (صالون)، و(مضخّة) بجانب (طلمبة) ، و (فندق) بجانب(أوتيل)

ولم تقو هذه الكلمات العربية على إماتة الأعجميات ، كما لم تقو كلمات (النَقْد . والكهْكَب . والأَنَب . والحَيْصل . والحدَق) العربية على إماتة أختهن الأعجمية . أعنى كلمة (الباذنجان[1])

وهأنذا أذكر طائفة من الكلمات المعربة الفاشية إلى أقصى حد فى لغتنا اليومية لتكون نموذجاً لما أريده بالكلمات العصرية التى لا تمكن إماتتها وينبغى الترخص فى استعمالها :

سينما . صالون . عَرَبة . عربجى . كلسون . جرنال . دستة . غاز . سراى . بلكون . شاويش . طاولة . سَبَت . شوال . بنك . بوسطة . فُرْشة . شنطة . فِلْم . كادر . أوتيل . كُبْرى . بُرْنيطة . طلمبة . بوفيه

ولماذا لا يكون لهذه الكلمات التى وُلدت تحت مواقع أبصارنا حق فى الحياة أسوة بكلمات أعجمية أخرى توارثنا استعمالها من دون نكير ولا يعرفها سلفنا الأول مثل كلمة : بقجة . بُودَقة . بركار . تخت . درابزين . درباس. دَرْفة . ماهيّة . طربوش . فوطة. الخ

ويمكن تلخيص اقتراحى فى هاتين الجملتين :

١ — وجوب الاتصال بالجمهور للاستعانة به فى إصلاح لغته

٢ — تعديل قرار التعريب : إما بتجويزه للمجمع ، بمقياس أوسع ، وإما باستثناء المعربات الحديثة التى تحجرت فى لغتنا اليومية وأصبح من المستعسر تجنب استعمالها .

المغربى

(١) إنما سمى العرب الباذنجان حدقاً تشبيهاً له بعيون المها

الحـــــرب

تصوير السيرا. لاندسير من مجموعة الدكتور أحمد موسى

يا صُورةً ترنو إليها العيونْ … واجمةً كاسفَهْ
تُوحي إلى الأنفسِ هَوْلَ المنونْ … في المحنةِ الخاطفهْ
يَضِجُّ بالويلاتِ هذا السُّكونْ … كأنما الأرضُ به راجفَهْ
لا يَمَّحِي الويلُ بها والشُّجُونْ … ولا تني رَعْدَتُها القاصفَهْ

أرى على الأرضِ طيوفَ الجحيمْ … في هذه الغاشيَهْ
يَطُوفُ بالنَّاسِ عذابٌ أليمْ … مِن نارِها الحاميه
نارٌ تَلظَّى في الورى من قديم … وأنهرٌ مِنْ دمِهِ جاريَهْ

تَرُوعُني كَبْوَةُ هذا الجوادْ … يَسْقُطُ لا مِنْ وَهَنْ
الذُّعرُ في عينيه هزَّ الفؤادْ … وزاد فيه الشَّجَنْ
كمْ صَوَّرَ الرُّعبَ بهذا الطِّرادْ … وما دهى النَّاسَ به مِنْ مِحَنْ

ماذا رَمَى الفارسَ من صَهْوَتِهْ … يا عَيْنُ ماذا رَماهْ ؟
كمْ كُرْبَةٍ للنَّفسِ في مُهْجَتِهْ … وَكانَ غضًّا صِباهْ
الموتُ لا يَنقُصُ من رهبتِهْ … ما ذاعَ من أسبابِهِ في الحياهْ
مازالَ مِن (هابيلَ) في رَقْدَتِهْ … ماطافَ مِن رُعبٍ فأضحى أخاهْ !

يا ساحِرًا لو أنَّ لي فَنَّهُ … لزدتُ في رَسْمِهِ
أخُطُّ طِفلًا مُرْهفًا أُذْنَهُ … يُصْغِي إلى أمِّهِ
يَستَوحِشُ اللَّيلَ إذا جَنَّهُ … وما رأى أنسًا مَدى يومِه

يلثَغُ يا أمَّاهُ طالَ الغيابْ … أينَ تولَّى أبي ؟
ياوَيْلَها ! كمْ لفَّقَتْ مِن جوابْ … لطفلِها الصَّاخبِ !
ماذا جنت؟ طالَ عليها العذابْ … أفٍّ لهذا الوالدِ الغائبِ !

في ساحةِ الموتِ خيالُ السَّلامْ … يزيدُ في كَرْبِهِ
تطوف رؤيا بيته إذ ينام … وملتقي صحبه
لكنه يَفزَعُ قبلَ القيامْ … مِن يقظةِ الأوهامِ في قلبِه !

ياوَيْحَ للانسانِ من نَفْسِهِ … وَطَبْعِهِ الغالبِ
يُسابقُ الموتَ إلى رَمْسِهِ ! … ألَيْسَ بالذَّاهبِ ؟
وغايةُ المسكينِ من بأسِهِ … الويلُ للمغلوبِ والغالبِ !

الخفيف

الســــــــــلام

تصوير السير ا. لاندسير من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»

سبحانك يا سلام !!

لقد بسطت على الأرض المحروبة جناحك الرفيق المسْبِل ، فإذا الدار أمان والفزع اطمئنان والقلوب مؤتلفة والشمل جميع !

هذه ساحة الحرب أصبحت مرعى للقطيع الرائع ؛ وهذه آلة الموت غدت كِنًّا للحمَل الوادع ؛ وهذا الوعْل النطَّاح فى أمسه لا يدرى ماذا يصنع بقرنيه فى يومه ؛ وهذا الكلب الحارس نسى اللص والذئب فاستغرق فى نومه ؛ وهذه الأسرة الجميلة تنعم بعيشها الغرير تحت سماء الأمن ، فلا همٌّ على والد ولا حزن على ولد !

***

تباركت يا سلام !!

لقد مددت على الدنيا المكروبة ظلك الرخيّ الوارف ، فإذا الزرع جميم والخير عميم والحال متسقة والدهر مطيع !

هذه الغنم ترعى أثيث العشب هانئة فلا قنابِلُ ولا نيران ؛ وهذه الطير تسبح فى صفاء الجو هادئة فلا صواعق ولا دخان ؛ وهذه السفينة تمخر فى عباب البحر مطمئنة فلا طرابيدُ ولا قرصان؛ وهذه الطبيعة تغرق فى فيض النعيم ووضاءة الفردوس مسترخية فلا خصام ولا عُدوان !

***

حنانيك يا فاطر السموات والأرض !

لقد سميت نفسك السلام ، وسميت ذاتك المؤمن : فلماذا جعلت للايمان شيطاناً واحداً لا أكثر ، وجعلت للسلام شيطانين اثنين هما الدُّوتشى وهتلر ؟ !

اللهم إن فى السلام نعمة ، وإن فى الحرب حكمة ؛ وبين نعمتك وحكمتك ضلت عقول الناس !

ابن عبد الملك

تطورات العصر الحديث
فى الخلق السياسى

للاستاذ محمد لطفى جمعة

نشرت مجلة أوربا Europe التى يشرف على تحريرها الأستاذ رومان رولان Romain Rolland أشهر كتاب فرنسا المقيم فى بلدة نيوفيل على شاطئ بحيرة ليمان بسويسرا، دراسة مستوفاة عن حوادث السياسة التى استجدت فى أوربا بعد ظهور الفاشية والنازية، وألم فيها ببحث جليل عن حياة هتلر وموسولينى بقلم كاتبة أسراره سنيورينا ليندا رينا لدى وهى التى خدمته بضع سنين ، فآثرنا تلخيصها لمجلة الرسالة التى يعد دخولها فى عامها السابع فتحاً جديداً فى العلم والأدب والثقافة المصرية (ل . ج)

فى تاريخ الأمم وأخلاقها ساعات حاسمة ومواقع فاصلة فتتميز عن الأخرى وتفضلها بالطريقة التى تقابل بها صروف الدهر فى تلك الساعات وهاتيك المواقع. ومثلها فى ذلك مثل الأفراد لدى الملمات والشدائد ، فترى أمة يهولها الاعتداء الأجنبى عليها ويفت فى عضدها ويضعف من نخوتها وينهك من إرادتها ، وما تزال تنحط وتتهالك وتنحل عناصرها حتى تتوارى وتهلك. وهذه عاجزة عن الكفاح فى سبيل الوجود وهى أمة كتب عليها الفناء. ولا فرق فى ذلك بين أمة قديمة أو أخرى حديثة ، عريقة أو طارئة، متدينة بدين منزل أو وثنية، شرقية كانت أو غربية. وهناك أمة تزداد قوة كلما تعرضت للآلام ، وتنمو فيها الفضائل الدفاعية والهجومية كلما اعتدى عليها الأغيار أو قبض على خناقها الغرباء والغرماء . تتيقظ فيها فكرة المجد كلما حاقت بها الأخطار ، وتدب فيها حيوية جديدة كلما حاول عدوها إدناءها من الموت ، وتسرى فى أعضائها دماء جديدة وتجرى فى أعوادها أمواه الحياة

لا نريد أن نعرض للنظامين النازى والفاشى بخير أو بشر ، لأننا لا نريد أن ننزل بهذا البحث إلى مستوى الجدل ، فإننا نحب أبداً أن نحلق فوق الحوادث الراهنة [1] وإن كنا نحترم السياسة ونقدرها ، ولكننا نعلم أنها كثيرة المزالق ، ومواطن التحليل فيها تدنى من الخطأ الذى قد لا يغتفر . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن النظام الفاشى الذى ابتكره السنيور بنيتو موسولينى المعروف فى العالم باسم دوتشى أى الزعيم ، وتبع آثاره هيرادولف هيتلر المعروف فى العالم باسم فوهرر أى الزعيم أيضاً ، قد أثبت وجوده وقدرته على الحياة فقدم بذلك البرهان التاريخى الذى لا بقاء لنظام اجتماعى أو سياسى بدونه ، كما قدمت حكومة السوفيت برهانها منذ سنة ١٩١٧ إلى يومنا هذا . وفوق هذا قد أثبت هذا النظام والقائمون به أنه أدى لوطنهم خدمة جُلّى وقضى على شرور كثيرة وجلب خيراً وفيراً ودلّ بذلك على أنه النظام الصالح للوطن الايطالى ، نظام المستبد المحب للخير despote bènévolènt ، وقد أثنى عليه كل من شهده وجنى شيئاً من ثماره داخل إيطاليا. وقد قلب إيطاليا رأساً على عقب، وقال بعض محبذيه إنه جعل من بلادهم جنة على الأرض ، وإن الذين زاروا إيطاليا قبل تفشيه يكادون لا يتعرفونها بعد انتشاره وقيامه وتسلطه ، لأنه صبغ كل شىء بصبغته التى أساسها النظام المطلق والأمن المطلق والأمانة المطلقة ، ولكن هذا النظام العجيب الذى وحد كلمة الأمة وجعلها كرجل واحد وأخضعها لرجل واحد وعلق سائر آمالها برجل واحد ، قد حكم عليه ذووه بأنه نظام قومى ، حتى خطب الدوتشى نفسه فقال « إن الفاشية بضاعة لا تصلح للتصدير ، ولا تضمن أرباحها خارج حدود إيطاليا » ولا نعلم إن كان قال هذا القول تواضعا أو حثاً للأمم على الاقتداء به ، ولكن وجب علينا أن نصدقه لأن رب الدار أدرى بما فيها . وإن كان هذا النظام قد انتحله هيتلر بتحوير كبير وطبقه فى بلاده حتى بذ التلميذ أستاذه . ولم نسمع بصاحب مذهب سياسى أو اجتماعى قبل الدوتشى يحجر على مذهبه ويحرم عليه الخروج من كسر بيته ، بل تعود أصحاب المذاهب أن ينسبوا إليها الصلاحية المطلقة والقدرة والنجاح فى كل زمان ومكان ؛ وإذن لا بد أن يكون سنيور موسولينى قد ذكر هذا الرأى عن مذهبه لحكمة خفيت عن سامعيها فى حينه. وإلا فكيف كان اغتباطه بالنازية واتحادها وابتكارها محور برلين روما ، ثم تشجيع فرانكو فى وطنه حتى ذاق الأسبان بأس بعض وخربت بلادهم حتى صارت يباباً .

(١) يشير إلى كتاب au dessus de la meleé فوق نطاق المعركة الذى ألفه أيام الحرب الكبرى

باسم مناصرة الفكرة الفاشية النازية. وأظن بعض الناقدين ألمعوا فى كتبهم فقالوا إنه نظام يعلق الأمة بأهداب رجل بعينه ، فإن شاخ أو مرض أومات تعطلت الإدارة الحكومية وتلكأت فى انتظار ظهور خير خلف لخير سلف، فى حين أن الواجب يقضى بأن تكون القوانين العامة والخاصة هى الأداة الصالحة للحكم بدون اعتبار الأشخاص .

ومهما يكن حكم المستقبل على الفاشية فإن الكثرة من الكتاب الموالين لها أجمعت على نفعها فى مسقط رأسها وخالفتها القلة المدركة من خصومها . ومنهم من أوذى وهاجر باختياره أو نُفِى مرغماً؛ ومنهم من ألف كتباً صوب فيها سهام نقده إلى الفاشية .

وإن يكن فى المظاهر ما يوهم بأن النازية الألمانية تقليد للفاشية الإيطالية ، فلا يصح القول بأن الهتلرية نوع من الفاشية أو تقليد لها ، وإن كانت تشبهها فى تفرد رجل واحد بالسلطة . ولكن الذى يفرق بينهما هو أن الأولى قامت باسم الإصلاح الداخلى ونصرة ذوى رؤوس الأموال ومقاومة الاشتراكية ومطاردة العمال الذين احتلوا المصانع الإيطالية فى سنة ١٩٢٢ وقدم زعيمها فروض طاعته للملك وحامل الكنيسة الكاثوليكية وانضوى تحت لوائهما . أما النازية الهتلرية فاشتراكية وطنية دينها عظمة دوتيشلاند ومجدها فى غلبة الرايخ الثالث ، وقامت باسم حماية الوطن من الاعتداء الأجنبى والخلاص من قيود معاهدة فرساى وتنفيذ خطط بسمارك القديمة ، من التوسع فى أوربا والشرق وتحطيم الشيوعية . وإذن قامت الهتلرية لتكون وسيلة لها غاية تخالف غاية الفاشية . دع عنك الاختلاف فى أخلاق الأمتين وتاريخهما وعناصر حياتهما . وكلتاهما قد هضمت حقوق الفرد وجعلت الدولة هدفاً أسمى وإن كان فى ذلك تأخير « المواطن » والتضحية به ، مما يختلف عن المدى الذى وصلت إليه الحضارة الحديثة فى تفكيرها وسياستها ومجموع مبادئها ، ولا سيما عند الشعوب الإنجلو سكسونية والتيوتونية

وإذن لا تكون الهتلرية وليدة الفاشية ولا شقيقتها الصغرى ، لأن الهتلرية ثمرة التاريخ الحربى والسياسى فى ألمانيا ، وخلاصة نوع من الفلسفة الروحية أو التصوف السياسى منشأه مجامع ميونيخ السرية التى بدأت أثناء الحرب . أما الفاشية ففكرة مبتكرة قامت فى ذهن رجل واحد نتيجة لإدمانه قراءة كتابين : « وعود الزواج » لمانزونى [1] وكتاب الأمير لنيكولاما كيافيلى . وقد صدق حسبانه أنه يصلح شعبه بتنفيذها ووجد معونة كبرى من الأسرة المالكة ومن أصحاب المصانع والكنيسة ، وتشجيعا من الشبان الطامحين إلى الحلول محل كهول الساسة وشيوخها ، وكانوا إذ ذاك متلهفين على القوت والمجد ، وكان بعضهم يرقبون المنقذ المنتظر يظهر فجأة فى أفق الوطن وكان إذ ذاك خاليا فى تلك الفترة من العظماء القادرين على حمل أعباء الزعامة . فوقع اختيار الحظ على موسولينى . كان بنيتو موسولينى فى أول أمره صحفياً اشتراكيا متطرفاً ، يحرر فى مجلة « أفانتى » إلى الأمام ، لسان حال الحزب الاشتراكى وزعيمه فيرو أحد أساتذة الجامعة . ولما أعلنت الحرب ساهم فى أوائلها، ثم لم ترقه فهاجر إلى سويسرا حيث ذاق مرارة الفاقة والتسكع ، وعاد إلى وطنه يجرر أذيال الخيبة فحدث له ماحدث لاسكند كيرنسكى فى بطرسبرج سنة ١٩١٧ . غير أن الفرق بينهما أنه استمر ونجح حيث تردد كيرنسكى فخاب. فهو ابن ثورة اقتصادية قلب ظهر المجن لحزبه فى اللحظة الأخيرة .

ولا يفوتنا أن أوربا أصبحت بعد الحرب مباشرة نهباً بين الديكتاتوريين فظهر من طرازهم بريمودى رفيرا فى أسبانيا، وبانجالوس فى اليونان، وبلودوسكى فى بولونيا، وتحدثوا عن ديكتاتورية مزمعة فى فرنسا ورشحوا لها أندريه تارديو الذى كان رئيس وزارتها . ففى ظلال هذه الديكتاتوريات وفى مثار النقع الذى طاف بالأجواء قامت الفاشية وأضافت إلى قميصها الأسود درع الديكتاتورية الفولاذى .

وتضافرت بعض الظروف التى لم تكن فى الحسبان وهى نتيجة الحالة السياسية العامة فى أوربا فجعلت لإيطاليا وألمانيا مكانة توشك أن تضع فى يدها ميزان السياسة الدولية ، ولا سيما بعد فوزهما الأخير. وتراخت انجلترا وفرنسا فى تأييد نفوذهما لانشغالهما بالمسائل الداخلية. وجدت فى الشرق حرب الصين وتفوق اليابان فانضمت إليها ألمانيا نكاية فى روسيا . ورجعت أوربا فى غير وعى إلى سياسة الاتفاقات السرية. ولعل التناطح بين الشعوب ليس إلا تطاولاً بين الزعماء ومظهراً لقوة إرادتهم ودليلاً على رغبتهم فى الفوز والانتصار على مزاحميهم فى ميادين المجد وعلو الصيت وضخامة الشهرة .

ولدى كل أمة من الأمم مؤثرات وعوامل فكرية تؤثر فى نفوس بنيها ولا تكون الزعامة الصحيحة إلا لمن يعرف استعمال هذه المؤثرات والعوامل التى تتحكم فى النفوس؛ فإذا ما اهتدى الزعيم أو المرشح

(١) لايزال الدوتشى يحتفل كل عام بموعد ظهور هذا الكتاب .

للزعامة إلى تلك العوامل تمكن بسهولة من جمع الأفكار وتوحيد الإرادات الفردية حول فكرته الخاصة وإرادته . وهيهات أن ينجح الزعيم ما لم يكن مفتوناً بالفكرة التي صار داعياً إليها حتى تستولى عليه استيلاء لا يرى معه إلا الفكرة التي ينادى بها ؛ وبدون هذا الإيحاء الذاتي لا يمكنه أن ينجح في التأثير في أذهان الجماهير ، لأنه لا شيء يحرك همتها مثل مظهر الإيمان الذي يبدو على شخص الزعيم . وإن يكن بعض الزعماء أو قادة الفكر ليسوا من النوابغ في صدق الآراء وصحة النظر ، إلا أنهم من أهل الهمة وذوي الإقدام . والفرق بين الفيلسوف والزعيم أن الفيلسوف كثير التأمل ، والتأمل يؤدى إلى الشك ، والشك ينتهي بصاحبه إلى السكون دون الحركة ، لأن الحركة لا تصدر إلا عن تصميم الإرادة وهو ثمرة اليقين ؛ أما الزعيم فلا يتأمل لأنه لا يشك ، وحينئذ لا يركن إلى السكون ؛ وإذن تكون قوة الإرادة للزعيم أنفع من سلامة الرأي وصدق النظر وحسن التبصر في العواقب ، ولكن الذي يفقده الزعماء من تلك الناحية تعوضه عليهم قوة اعتقادهم في سلطانهم على الجموع وتلك الجموع لا تصغى إلا لذوي الإرادة النافذة الذين يتسلط عليهم العقل الباطن ويملك زمامهم . فإذا ما أصبح صوت الزعيم مسموعاً من جماعة ، اندمجت إرادتها في إرادة الزعيم وتناست شخصيتها والتفت حول الزعيم ذي الإرادة المتحدة .

يسألون عن الطغيان والجبروت والاستبداد كيف نمت في البيئات الدكتاتورية والزعامة في أول أمرها لا تحتاج إلى الاستبداد أو الطغيان ، والمشاهد أن الذين قاموا بأدوار الطغاة أفراد من المؤمنين الضعفاء الذين ليس لهم حول ولا طول سوى العقيدة والإيمان . فإذا ما وصل الزعيم إلى غايته احتاج حتماً إلى الاستبداد ليستبقيها .

ويعتمد الزعماء من هذا الطراز في تبليغ دعوتهم على الكلام والخطابة والكتابة ، وزعماء العالم اشتهروا بالفصاحة وقوة التأثير في الجماهير . وعمدتهم على تكرار جوامع الكلم لترسخ في أذهان سامعيها . وإذا رجعنا إلى خطب زعماء الفاشية والنازية فلا نجد إلا نفس المعاني أفرغت في قوالب شتى لعلمهم بغريزتهم وإدراكهم الباطني أن التكرار يترك أثراً عميقاً في أذهان الخاصة والعامة على السواء . فالزعيم حاذق في حفر فكرته في أذهان أتباعه . وتبدأ الأفكار في الطبقات النازلة ثم ترتقي إلى الطبقات الوسطى فالعليا مثل انتشار أفكار الثورة الفرنسية وارتقائها من طبقات الشعب إلى الوزراء والعلماء . وكذلك الأديان فإنها تنتشر أولاً عند المظلومين والمحاويج والمحرومين والمعوزين إلى استعادة الكرامة والحقوق ، وهذا سر انتشار النصرانية والبوذية بين الضعفاء والفقراء . وقد سادت الاشتراكية أولاً طبقات العمال حتى وصلت إلى العظماء فصار منهم اشتراكيون متطرفون . وكان عدد الذين دخلوا في زمرة الإسلام من الأغنياء والكبراء محدوداً ثم أقبل عليه كل فقراء الجزيرة العربية وعاصمتها الوثنية (مكة) لأنه كان في أول أمره دين مساواة فاستظلوا بسلطانه[1] . وقد أدت الأحوال الطارئة في أوربا ، وضعف الحكومات في بعض الممالك بعد الحرب وسقوط العروش وتزعزع الثقة في الآراء القديمة ، إلى حلول بعض الزعماء محل السلطات الحاكمة ومحو تلك السلطات وتلاشيها في أشخاصهم

محمد لطفي جمعة

على هامش الفلسفة

للأستاذ محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

هذه أولى كلمات اعتزمت بمعونة الله وتوفيقه موافاة مجلة الرسالة الغراء بها إن تفضلت وفسحت لها مكانا متواضعا بينها رأيت فى نشرها خيراً لطلبة الأخلاق فى الأزهر وفى غير الأزهر لأنها تتناول بحوثاً لا يستغنى عنها دارس الأخلاق

دعانى إلى التفكير فى نشرها، بعد أن تعبت كثيراً فى تحقيقها، الرغبة الخالصة فى المساهمة فى إقامة الأخلاق ودراستها على دعائم علمية صحيحة ثابتة ، وما أعلمه من أن أحداً لم يتوفر على بحثها مع مسيس الحاجة إليها. وهل يليق بدارس الأخلاق أن يذكر مثلا « أنها علم من العلوم » دون أن يكلف نفسه عناء البحث فى صحة هذا الاطلاق أو عدم صحته ؟ ثم أليس من الضرورى أن يتعرف الباحث بعدذلك المعين الذى ترجع إليه الأخلاق ، والطريق القويم إلى تحديد القانون الأخلاقى ؟

هذه المسائل التى تحتاج إلى صبر وطول أناة فى بحثها ، ونحوها من موضوعات الفلسفة الأخلاقية وما يتصل بها ، هى بعض ما عنيت وأعنى بدراسته ، وما أرجو أن أوفق فيه إلى الصواب إن شاء الله تعالى

الأخلاق والعلم

العلم اليقين ، أو المعرفة العامة المضبوطة الصادرة عن نظر وتمحيص ، أو المعرفة العامة التى تتجه فى جهودها نحو العموم للوصول إلى الحقيقة ، هذه التعاريف كلها بمعنى تقريباً . فهل الأخلاق وهى تبحث فى الخير والشر والحق والواجب وتعنى بتحديد القانون الأخلاقى وتعرف المثل الأعلى وما شابه ذلك من المعانى الكلية والبحوث النظرية — هل الأخلاق ، وهذا أهم مباحثها، يصح أن توصف بأنها علم من العلوم؟ وبعبارة أخرى هل وصلت أو تصل الأخلاق إلى آراء وأحكام تبلغ من العموم وقبول الناس لها حداً يجيزلنا وصفها بأنهاحقائق علمية، فيكون هذا الفرع من الدراسات الفلسفية علماً من العلوم التى تقرر حقائق وقوانين عامة ؟ هل هى دراسة علمية، أى عمل من أعمال العقل ، أو دراسة مرجعها التقاليد التى سيطرت على الأمم فى مختلف الأزمان والبيئات؟

نترك الإجابة مؤقتاً عن هذا التساؤل لنتعجل القول بأنه يعرض بادئ الأمر لمن يتساءل هذا التساؤل حقيقة واقعية تفرض نفسها فرضاً ، هى أن العلم على اختلاف أنواعه كعلوم الطبيعة والرياضة والمنطق والنفس والاجتماع والحياة والتاريخ ، لا يعارض الأخلاق ولا يحل محلها بل يتطلبها

العلم لا يعارض الأخلاق ، لأن العقل العلمى يدفعنا إلى معرفة الحقائق على ما هى عليه وفهمها دون أن نعتمد فى بحثنا على أية فكرة أو نظرية لم تمحص بعد تمحيصاً كافياً . لكنه لا يمنع أن نقابل بين الواقع وبين ما يجب أن يكون ، معرفة الواقع والحقائق العلمية لا تحول بيننا وبين أن يكون لنا مثل أعلى أخلاقى يسمو على ما تعارفه الناس جميعاً

كذلك العلم لا يحل محل الأخلاق ولا يغنى عنها . العلم يعرفنا الواقع فحسب فى مختلف مناحى الكون ومظاهره ، ولا يُعنى ألبتة بما كان يجب أو بما يجب أن يكون . هو يتحقق ولكن لا يحكم . كل العلوم التى أشرنا إليها وأمثالها — ومنها علوم النفس والتاريخ والاجتماع — لا تمدنا بمبادئ للسير والسلوك ، ولا بقاعدة نهتدى فى أعمالنا بهديها . لكنها فى الوقت نفسه لا تريدنا على أن نمتنع عن طلب هذه المبادئ خارجاً عنها

علم الحياة مثلاً يرينا أن الأنواع الحيوانية فى تقاتل مستمر ، وأن الحرب بينها سجال . وويل للمغلوب فيها لأنها حرب الحياة أو الموت . القوى يفترس الضعيف ، والغلب والبقاء للقادر على تعديل نفسه حسب البيئة التى يعيش فيها . هذا هو قانون الحياة بين أنواع الحيوان ؛ فهل لنا أن نتخذ ذلك مبدأ لنا فى أعمالنا ؟ هل مما يتفق مع الأخلاق النبيلة أن نقرر أن الناس — كسائر الحيوان — يجب أن يصدروا فى أعمالهم عن مبدأ تنازع البقاء ، وبقاء الأقوى ؟ أوالخير فى أن نحكم أنهم على العكس من هذا يجب أن يتساعدوا ، وأن يحترم الأقوياء حقوق الضعفاء ؟

وها هوذا علم النفس يكشف لنا عما يتركز فى طبائعنا من ميول وشهوات وعواطف مختلفة ، منها عاطفة الأثرة وعاطفة الإيثار . أليس لنا أن نعطى لكل من هذه الميول والعواطف قيمته الأخلاقية ؟ كذلك علم الاجتماع ، وقفنا على ما كان من حرب وتطاحن بين العالم فى العصور المختلفة القديم منها والحديث . هل هذا التحقق العلمى يكفينا للبت فى اختيار أى المبدأين : مبدأ الاحتفاظ بروح العداء بين الأمم والشعوب ، ومبدأ العمل على استئصال العداوة وبذر عواطف العدالة والمحبة العالمية التى تسمح لنا يوماً ما أن نصل إلى سلم عام نهائى وأخوة إنسانية متبادلة

الروح العلمى لا يتطلب منا أن نأخذ العلوم كدليل أخلاق وحيد ، وإن شئت التعبير على نحو آخر لا يتطلب منا أن نأخذ

مما تكشفه لنا العلوم من حقائق وقوانين مثلاً أعلى نتجه إليه فى أعمالنا ونسير على ضوئه وسناه

إن العلم لا يعارض الأخلاق ولا يغنى عنها قط ، بل هو يقرر ضرورة وجودها ولا يستغنى عنها ، وبدونها يكون إثمه أكبر من نفعه . ولنا فى تحليل نفسيات العلماء وكشف العواطف التى كانت تسودهم فى حياتهم وبحوثهم العلمية ألف دليل ودليل إن صح هذا التعبير . ففى هذه الجهود المضنية التى قام بها العلماء لفهم الطبيعة وأسرارها وللوقوف على النظم التى تسير عليها ، وفى تلك المشاق التى عاناها قادة الأمم وهداتها والمحسنون إلى الإنسانية ، نجد عاطفة أخلاقية كانت تملك على هؤلاء الأبطال ألبابهم ومشاعرهم وتسوقهم إلى أداء رسالاتهم متحملين فى سبيل ذلك ما تهد دون بعضه عزائم صغار النفوس ؛ تلك العاطفة هى الرغبة فى خدمة الإنسانية وتحسين حالتها المادية والعقلية . وأيضاً القيمة العالية التى يراها العلماء للعلم ، تفرض أن الأعمال الإنسانية ذات قيم مختلفة : منها العالى ومنها الدون ؛ فالعلم مثلاً أفضل من الجهل ، والهدى خير من الضلال ، والسعى لمعرفة الحقيقة خير من مقاومتها . إذن واجب البحث عن المعرفة وإعلانها يفرض الواجب بصفة عامة ، والمثل الأعلى العلمى يفرض أن هناك مثلاً أعلى عاماً يجب أن ننشده جميعاً

كذلك حب الحقيقة ، وعدم التحيز للهوى ، والإخلاص ، والصبر ، والحمية فى العمل ؛ هذه صفات أخلاقية بدونها لا يتحقق عمل طيب علمى بل ولا علم أيضاً . العالم كالرجل الفاضل يستشعر سروراً عالياً روحياً ؛ هو الرضاء بالواجب المؤدي بنبل ، والحياة تقضى فى شرف وأمانة . يقول الفيلسوف الفرنسى « إرنست رينان[1] » فى كتابه مستقبل العلم : « المعرفة بين جميع الإنسانية أسماها قدراً ، لأنها أكثر بعداً عن الهوى ، واستقلالاً عن المسرات » ثم يضيف: « وإنه لمن العناء الذاهب سدى أن يدلل المرء على قداستها وسموها ، لأنه لا ينكر ذلك إلا من لا يعترف لشئ بالسمو والقداسة »

والمؤرخ الفرنسى العلامة « أُوجستين تييرّى » الذى عمى لإفراطه فى أبحاثه الدقيقة التفصيلية يذكر فى مقدمة كتابه : « عشر سنوات فى دراسات تفصيلية » أنه لو خُيِّر فى اختيار حياة له ثانية لما اختار إلا أن يكون أيضاً عالماً مؤرخاً ؛ لأن الدراسة الجادة الهادئة مأمن وأمل وحرفة يبلى المرء فيها حياته بشرف ... أعمى ومتألم بدون رجاء وبدون راحة ، يمكننى أن أتقدم بهذه الشهادة التى أعتقد أنها لن تكون موضع شك بحال ؛ هى أنه يوجد شئ فى العالم خير من الثروة وسائر المسرات المادية ومن الصحة أيضاً : هو الإخلاص للعلم[1] »

هكذا الدراسة العلمية وتحليل نفسيات العلماء ، يكفيان لبيان أن الخير والشر ، وهما موضوع الأخلاق ، يلاحظان دائماً فى كل البحوث والدراسات العلمية على اختلافها .

والآن نعود إلى التساؤل الذى صدرنا به هذا البحث ؛ وهو إذا كان العلم — كما تبين — لا يعارض الأخلاق ولا يغنى غناءها ، بل يسير معها جنباً لجنب ، هل لنا أن نسير فى البحث خطوة أخرى لنعلم ما إذا كانت الآراء والحقائق الأخلاقية تبلغ من العموم حداً يجعلها حقائق علمية ، فتكون الأخلاق علماً من العلوم ؟ الأخلاق علم إذا كان هناك حقائق أخلاقية عامة ؛ ولكن هل البحث الأخلاقى يكشف لنا حقائق أخلاقية عامة للجميع ؟

جواب ذلك فيما يتبع هذا من بحوث إن شاء الله تعالى .

محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

(١) إرنست رينان عالم نقادة وفيلسوف فرنسى ومؤرخ معروف ولد سنة ١٨٢٣ وتوفى سنه ١٨٩٢

(١) F. Challaye: Philosophie scientifique et philosophie morale

من ذكريات لندن

غـــــريب

للأستاذ عمر الدسوقى

ولّت شهور الصيف مسرعة وأذّن مؤذن الواجب والدرس فلبيت كما لبى رجال يرجون حسن الثواب ، وغادرت فرنسا والجسم هزيل ، والفؤاد عليل ، والذاكرة تغص بصور من الحياة ذات ألوان . طفقت الباخرة تسير باسم الله مجريها ومرساها صوب « نيوهيفن » وما كادت تغادر المرفأ حتى هبت العاصفة، ففتّحت أبواب السماء بماء منهمر ، وأعتم الجو ، وزأرت الريح وزمجرت ، وعبثت بالسفينة كما يعبث الوليد بخذروفه ، وعادت لا تستقر على حال من القلق ، يجور بها الملاح طوراً ويهتدى ؛ تعلو فكأنها على قنة جبل ، وتهبط فكأنها بين طيات الأخاديد ، والأمواج تلطمها من غير شفقة ولا رحمة ، وتدفعها بعنف ذات اليمين وذات اليسار وكأنهـا جبار يصب جام غضبه على صبى لا يملك لنفسه حولاً ولا طولاً ، اللهم إلا البكاء والعويل ؛ فكنت ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكنهم من دوار البحر فى ألم مرير ؛ وصراخ النساء يشق عنان السماء ، ونحيب الأطفال يصدع الصخور الصماء ؛ ولو كان للطبيعة الصاخبة قلب لرق ولان ؛ وأنى لها وقد أطلقت لشياطينها العنان فأذاقونا العذاب الهون ، أربع ساعات وكأنها أربعة قرون

وبعد لأى رست السفينة على الشاطئ الشمالى من بحر « المانش » وتنفست كما تنفس الناس الصعداء ، ووطئت قدماى الأرض ، وأخذت أتلمسها بيدى لأرى أثابتة هى أم متحركة ؛ ونجوت بعد ما يئست من النجاة ، نجوت بعد أن كنت أصارع الداء والقيء ، والدوار والإعصار . نجوت بعد أن هتفت باسم أهلى فرداً فرداً ، والشقة بعيدة بيننا ، وليث المنية فاغر فاه ، والناس من حولى فى شغل لكل منهم شأن يغنيه

تحرك القطار صوب لندن ، فأوجست منه فى بادئ الأمر خيفة ، إذ كنت لا أزال حديث عهد بالسفينة القلقة ، بيد أن الطمأنينة أخذت تتسرب إلى الفؤاد شيئاً فشيئاً حتى برحته الهواجس ، وغادره الوجل

ها ... قد وصلنا إلى لندن !

لست غريباً عنك أيتها المدينة العظيمة ! كنت آتيك من قبل زائراً ، وهأنذا آتيك مستقيماً مستوطناً ، فرحبى بالمهاجر الغريب ، وابتسمى له ، لعله ينسى عذاب الغربة ، وقسوة البحر ، وألم المرض . لن تضيق به ذرعاً وهو فرد من تسعة ملايين ، فأكرمى وفادته ، واطردى وحشته ، لعله يذكرك يوماً بالثناء ، ويعرف لك هذه اليد البيضاء ، وهو بين أهله وذويه

كنت أحدث نفسى بهذا ، والسيارة تقلنى إلى بيت كنت أعرج إليه كلما مررت بلندن ؛ ووقفت السيارة ، وطرقت الباب فخرجت ربة البيت ، ونظرت إلى فأنكرتنى . رأت جسماً هزيلاً قد أنهكته العلل ، ووجهاً شاحباً قد لفحته الشمس فعادت سمرته مخيفة رهيبة ، وسمعت لساناً متعلثماً ينبئ عن نفس مضطربة وفكر تعب ، فحملقت وترددت فى الكلام ثم قالت :

— آسفة يا سيدى فكل غرف المنزل مشغولة

— ألا تعرفين بيتاً آخر أقضى فيه الليل ، فأنا على ما ترين ، أحوج ما أكون إلى الراحة

فأشارت إلى بيت جارتهـا ، فحييتها وانصرفت شاكراً . ثم طرقت باب الجارة وسألتها فى أدب ولطف ، فاعتذرت

وأخذت السيارة مرة ثانية تعدو بى فى شوارع لندن. وكلما رأيت فندقاً استوقفت السائق ، وذهبت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وأسأل فى تردد وهيبة عن غرفة شاغرة أقضى بها سواد الليل ، وأريح جسمى المتهدم وعقلى المنهوك ، وفى كل مرة أجاب بأن الفندق غاص بالزوار ، وأعود أدراجى إلى السيارة لأواصل البحث ولسان حالى يقول : وافق حظاً من سعى بجد . بيد أن لندن لاحت حينذاك وكأنها صحراء مقفرة ، أخب فيها بين رمال ونجاد وصخور ووهاد ، أو كأنى بمدينة قد عفت وأتت عليها يد البلى والحدثان ، أو كأنى لا أزال على ظهر السفينة أطلب النجاة بين الماء والسماء

آه يا لندن ... ! ما هكذا حسبتك ، أحقاً لا يوجد فيك سرير لغريب يشكو المرض ويطلب الراحة ، وأنت عروس

الإمبراطورية العظيمة وأكبر مدن العالم ؟

ليت شعرى ما للقوم كلما رأونى ازوروا عنى ورفضوا سؤلى ، بعضهم فى أدب وبعضهم فى خفة ؟ وهل أقضى الليـل هكذا أجوب الشوارع والطرقات ؟

أين مصر ؟ أين مصر ؟

وأخيراً تشجعت وطرقت باب أحد الفنادق ، فخرجت سيدة عوان ، ينم وجهها عن شيء من كرم النفس والأريحية ، فسألتها : أعندك غرفة شاغرة يا سيدتى ؟

— آسفة

— أنا كما ترين مريض متعب من سفر مضن شاق ، وقد قضيت وقتا غير قصير أبحث عن غرفة فلم أوفق ، فإذا كان عندك مكان آوى إليه كنتِ أهلاً لشكر عميم ، وأجر مضاعف

— آسفة يا سيدى

— لا بد من المبيت هنا مهما يكن الأمر

وأخرجت متاعى من السيارة ، ونقدت السائق أجره وقد أربى على الجنيه ، والسيدة تتعجب من تصرفى

— إسمحى لى يا سيدتى فلم أعد أقوى على مواصلة البحث

— ولـكن ...

— ولـكن ماذا ؟

— الفندق خاص بالإنجليز ولا نقبل فيه أجنبياً ولا سيما إذا كان أسمر البشرة

وهنا ثارت ثائرتى ، وللمصرى نفس عزيزة تأبى أن تهان ، وبه كبرياء تلهب نار غضبه إذا مست كرامته ، ولا سيما إذا كان ببلد غريب ، وقد سمعت مراراً بمعاملة الإنجليز لسمر الوجوه ، ولـكنى لم أجرب هذه القسوة من قبل ، وكنت حين يجلينى أصحاب الفنادق ألتمس العلل والمعاذير ، ولم يخطر ببالى قط أنهم يرفضون لأنى « رجل ملون » . أما وقد سمعت هذه الـكلمات ، فلم يعد هناك ريب فى اكتناه السر الذى تحيرت فى كشف طلاسمه منذ ساعة ، وخاطبتها بصوت تنم نبراته عن ثورة نفسية عنيفة وكرامة مهانة

— إنك لا شك مخطئة ياسيدتى ، فأنا لست زنجياً ولا هندياً ، ولا نوبياً ولا حبشياً ، بل إنى مصرى ، تجرى فى عروق أنبـل الدماء ، وحسبك أن تعرفى أننا من أرقى الشعوب مدنية وحضارة قديماً وحديثاً ، ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته ومكانته ، أن يلحقنى بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ، ويعدهم دونه فى الذكاء والمدنية . على أننى لست فى مقام جدال ، فسأقضى هنا ليلتى ، ولك أن تخبرى رجال الشرطة إذا شئت ، ولا سيما إذا كان عندك هو ما سمعت

ولجت الباب دون أن ألتفت إليها ، وطلبت من الخادم أن تدخل متاعى ، ولحقتنى السيدة دهشة حيرى وقالت :

— مهلاً حتى أريك غرفتك ، وحـذار أن تظن بى شراً ، فأنا براء من هذه العقيدة ، ولـكنى أحرص على راحة عملائى ، ومنهم من يعارض أشد المعارضة لوجود رجل ملون بالفندق ، ويهدد بالرحيل ، وتشويه سمعة المنزل ، وأكثرهم فى ذلك لجاجاً وغلوا ضابط متقاعد ، رأى الشرق عن كثب ، ودأب على ذكر نقائصه ، وعورات أهله ، وأنهم ليسوا إلا همجاً لم يشرق عليهم نور المدينة بعد ، وأن سكناهم معنا مدعاة لتعكير صفو حياتنا وهنائها إذ لـكل إنسان عادة لا يستريح إلا لها . أما أنا فمن أصل فرنسى ، وفى ديارنا لا يعيرون هذه الفروق الجنسية اهتماماً ، بيد أنى مضطرة لمجاراتهم ، ما دمت قد اخترت هذه البلاد موطناً لى ، واخترتهم عملاء لفندقى ، فلعلك مقتنع بفكرتى . وحين أسمح لك بالمبيت ها هنا لا أرجو إلا شيئاً واحداً ، هو أن تتحاشى رؤية هذا الضابط ، وسأرسل إليك طعام الفطور بغرفتك .

— شكراً لك ياسيدتى ، غير أنك أثرت فى نفسى شعوراً ليس من السهل علىّ إهماله ، ألا وهو محادثة هذا الضابط .

— ليس إلى ذلك من سبيل .

— سنرى .

وانطلقت إلى غرفتى أشد ما أكون تعباً وإعياء ، ولم أكد أنتهى من خلع ثيابى ، والاستلقاء على السرير حتى أتت السيدة بكوب من اللبن ، وقالت فى رفق :

— إنك مريض ، ولعلك بحاجة إلى دواء ، فهل لى أن أقوم بأية خدمة ؟

— شكراً ياسيدتى ، فالدواء عندى ، وسأتناوله بعد هنيهة ، عمى مساء ، وسأراك غداً .

فكرت ملياً فيما رأيت وسمعت ، ثم غلبنى الإعياء فنمت ، وما إن لاحت تباشير الصباح حتى نهضت ، وأنا أحسن

من البارحة حالاً ، وأهدأ بالا ، غير أن النعرة القومية عاودتنى ، فأذكرتنى مأساة أمس ، وأن واجبى هو تبديد هــذه الأوهام والأباطيل من عقول هؤلاء المرضى بحمى الغطرسة والكبرياء ، وإقامة الدليل لهم على أن المصرى ، وإن تكن السياسة قد جارت فى حكمها عليه ، إلا أنه أبى ذكىٌ ليس من اليسير أن يسكت عن ثأر فى ميدان الكرامة ، أو يصمت عيا فى ميدان الدفاع عن القومية . فلبيت نداء حسى وشعورى ، وارتديت ثيابى على عجل وأسرعت إلى غرفة الطعام ، والقوم لا يزالون نياماً ، وأخـذت ألهو بقراءة جريدة حتى مضى بعض الوقت ، فأخذوا يغدون ويحيون ، دهشين ، متعجبين ، وأنا أرد تحيتهم فى برود مصطنع يخفى تحته نفساً ثائرة على هذا الجهل بمنازل الناس وقيمهم ، وعلى هذا النفاق والرياء .

وأخيراً دخل الضابط ورد تحية الجلوس ، وأجال فى الغرفة نظره فلمحنى ، وظننت بادئ ذى بدء أن وجهه سيتجهم وأنه سيتمتم ويدمدم ، ويثور ويفور ، ولـكنه حيا ببرود وجلس ، فجلست تجاهه على الخوان ، وأخذنا نتناول طعام الفطور فى صمت ، وكأننا فى مأتم ، وهممت بالحديث مراراً غير أن الرهبة عقدت لسانى فلم أنبس ببنت شفة . وبعد لأى سنحت الفرصة ، فقدمت ربة الدار ، ووزعت على الجميع تحاياها وابتساماتها ، ولم تظهر امتعاضاً لوجودى بل سألتنى كيف قضيت ليلى ؟

— على خير يا سيدتى ، شكراً . إنى ليسرنى أن أتعرف بجندينا الذى ذكرته أمس ، فهل تتكرمين بتقديمى له ؟

— بكباشى سمث . صديقنا هذا من مصر ، وقد حدثته عنك أمس ، وأنك زرت بلاده ، وعرفت أهلها وحدثتنا طويلاً عنهم .

فأجاب الضابط فى فتور .

— هذا حسن ، وأومأ إلىَّ برأسه ، فقلت :

— إنى ليسرنى أن أتشرف بمعرفتك ياسيدى ، ولقد أنبئت أن لك رأياً خاصاً فى الشرق والشرقيين ، يحملك على الأنفة والترفع عن مخالطتهم ، ولو سمحت وبينت لى هـذا الرأى لـكنت لك من الشاكرين .

فألقى على ربة المنزل نظرة كلها تعنيف وتأنيب ، ولاح عليه بعض التردد ، غير أن بقية الزوار حثوه على الـكلام قائلين :

دعنا نسمع رأيك ، والرد عليه ، فطالما حدثتنا عن الشرق أحاديث تقشعر منها جلودنا ، ولم تجد بيننا من يدحض رأيك أو يعترضك ، وها قد سنحت الفرصة لمعرفة الحق .

فكرر ما قالته ربة البيت ليـلة أمس ، وزاد أن الشرق لا يصلح إلا وعنانه بيد الغرب ، وأن الشرقيين لم يخلقوا للمدينة الأوربية ، والأولى بهم الاستمساك بعاداتهم الهمجية ، وترك التقليد الأعمى ، وأما مسألة الترفع فذلك أن لـكل قوم عادة ، وليس توافق العادات بالأمر الهين ؛ ثم إن مركزنا الأدبى فى العالم يقتضى أن نترفع عن الشعوب الملونة ، ونشعرهم بمكانتنا التى لا تسامى حتى ندخل فى قلوبهم الروع والرهبة ، وحتى نعودهم الصغار والذلة . وتلك سياسة رجال الجيش البريطانى فى المستعمرات ، وإن لم نفعل ذلك تجرأ علينا الأهالى ؛ وذهب سلطان الحـكم وجلاله .

— آه ! الآن عرفت الحقيقة ، إذاً لا يوجد هناك تفوق فى الذكاء كما لا يوجد تفوق فى ميدان الحضارة والاستعداد لتقبلها ، ولـكن المسألة استعمارية بحتة . إن كان الأمر كذلك ، فإنى أتنبأ لامبراطوريتكم بالزوال العاجل . إن هذا الترفع ، وهذه الـكبرياء تبعد بينكم وبين تفهم نفسيات الشعوب المحكومة ، وتجعلها دائماً تشعر بأنكم أجانب ، وتملأ قلوبهم قيحاً ، وتشحنها غيظاً ، وتحرك فى نفوسهم نار الثورة الهامدة ، فيهبون لطردكم والتنكيل بكم . لم لا تحتذون حذو العرب ، وقد أسسوا بنيان ملـكهم على قواعد من المساواة والمحبة والإخاء ، ولذا تشرب المحكومون تعاليم دينهم ومدنيتهم وتعلموا لغتهم ، واندمجوا فيهم . لست هنا لأعطيك والحـكومة البريطانية درساً فى فن الاستعمار ، ولـكن الاستعمار فى رأيى ورأى العقلاء ، ليس استعباداً ، اللهم إلا فى رأيكم أنتم .

— مرحى ، مرحى ! ! هكذا هتف بقية الزوار ، ما عدا الضابط الذى وجد فىَّ مجادلاً يكيل له صاعاً بصاع ويقرع الحجة بالحجة . ثم استأنفت الحديث منتهزاً فرصة صمته :

— يخيل إلىَّ أنك لم تعرف المصريين حق المعرفة ، وإلا كان حكمك عليهم غير ما سمعت ، ليست القضية يا صديق ، قضية تفرقة فى الألوان ، فها هى ذى اليابان قد بزتكم فى ميدان الصناعة وغزت دياركم بمنتجاتها ومخترعاتها ، ولولا عهد الأتراك بمصر ، ولولا تدخلـكم فى شئوننا ، لـكنا اليوم أمة لهـا فى ميدان العلم والنور

وِرد المســـــاء

مهداة إلى أستاذى الدكتور عبد الوهاب عزام

للأديب محمد أحمد البنا

انطوت صحيفة النهار ، وآب العالم من رحلته فى اليوم الجديد ، ورست السفينة على شاطئ بحر الحياة . ولم يبق من الأصيل إلا العسجد المنثور على أطراف النخيل وعلى أمواج النيل

وعاد العاملون إلى مساكنهم ، والطيور إلى وكناتها . وسبح لله ما فى السموات والأرض

ثم استقرت الأكوان . وخشعت الأصوات للرحمن ، وكأنها تناجى فى حمد خالقها وشكر بارئها ببلاغة الصمتِ فى لسان الحال . بعد بلاغة الإفصاح بلسان المقال

***

إلٰهى : سبحانك يا من جعلت الليل سكناً ، والمساء وطناً لترد إلى المتفرقين ألفتهم ، وإلى المتعبين المكدودين راحتهم ، ليهنئوا بالمنام ، ويأنسوا فى دولة الأحلام

إلٰهى : سبحانك يا من جعلت الليل لباساً والنهار معاشاً . كما خلقت الأرض مهاداً رحيباً والسماء سقفاً مرفوعاً

ربّنا : عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير

إلٰهى : لقد بكرنا إلى الكفاح مع الصباح لنقبل فى نور رحمتك ، ثم عدنا فى ظل سكينتك مترنمين بشكرك ، ونحن بنعمائك آمنون ، وعلى جانبك القوىّ متوكلون

أسلمنا الجنوب إلى المضاجع ، والجفون إلى وساد الكرى على أمانٍ من عينك الساهرة ، واطمئنان من رعايتك الوافرة

إلٰهى : لئن أثقلتنا الأوزار ، وأنقضت ظهورنا الخطايا ، وتنازعت قلوبنا المعارك الدامية من حرب الحياة القائمة ، وصراعها الدائم ؛ فإن لنا من بِرّك مرجعاً ، ومن الرجاء فيك موئلاً ، ومن رضوانك مستقراً ومقاماً

إلٰهى : إن لك علينا من الآلاء ما لو كان كل نفس من أنفاسنا كلمة حمد وآية شكرٍ لك على عظيم آلائك وجزيل عطائك ما كنا نوفيك بذلك كله حقك فتقبل منا إنك أنت الوهاب

إلٰهى : وآمن روعنا وأمّن سربنا وارزقنا فى الضعف قوة ، وفى الخوف أمناً ، وامنحنا من لدنك نوراً يهدى ضمائرنا ، ويرشد حائرنا ، ويؤلف على الحق مشاعرنا

لك يا إلٰهى أولنا وآخرنا ، وباطننا وظاهرنا . لا تخفى عليك خافية من أمرنا ، فمنك خلقنا وإمدادنا ، وإليك مردّنا ومآبنا . فامنحنا القوة لليوم الجديد ، واحينا فيه على خير ما تحب لنا وترضاه منا ، وهب لنا من لدنك رحمة . وهيئ لنا من أمرنا رشداً

محمد أحمد البنا

بكلية الآداب

شأن رفيع . على أننا لم نيأس بعد ، وسوف تسمع اسم مصر يكتب فى سجل الخلود بماء من ذهب ونور . ثق تماماً أن المصرى يفوقك فى الذكاء ، وتفوقه فى القوة المادية ، أما « اللون » فكلنا من آدم ، وآدم من تراب ، وكتبكم المقدسة على ما أقول شهيد . لست أريد إقناعك ، ولكنى أرضى كرامتى ، وعزة نفسى ، وأعطيك درساً فى احترام غيرك مهما يكن جنسه ولونه ، حتى تخبره ، وتعرف خلاله وتفكيره ، والآن اسمحوا لى سادتى بالانصراف وأشكركم على كرم وفادتكم

غادرت المنزل واستوقفت سيارة ووضعت بها متاعى ، وأخذت أبحث مرة أخرى عن مسكن أقيم فيه وأتفرغ للجهاد فى سبيل العلم

آه يا لندن ... لقد جرعتنى نُغَب الهمام أنفاساً ، وأريتنى ليلة أمس وجهاً عبوساً متجهماً ، وأعطيتنى درساً لا ينسى . أهكذا يفعل أهلك بالغريب ؟

مسلوا قراه وهرّته كلابهم وجرّحوه بأنيابٍ وأضراس

محمد الدسوقى

التاريخ في سير أبطاله

محمد شريف باشا

للأستاذ محمود الخفيف

كان شريف في عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال وكانت مواقفه توحي البطولة وتخلق الأبطال ...

— ١ —

تحت هذا العنوان نضع اسم شريف ، وفي هـذا المجال نأتي بقبس من سيرته ؛ ومن أولى من شريف أن يتبوأ بين الأبطال مكاناً عليًّا ، إذا نحن ذكرنا رجال حركتنا القومية ؟

ولئن كانت جهود شريف لم يفد منها غير وطنه ، ولئن لم يدو اسمه في آفاق العالم كما دوت أسماء غيره من الأبطال ، فكثير سواه كانوا في ذلك مثله ، خطورتهم في أوطانهم فحسب ، ومع ذلك فلم ينكر عليهم بطولتهم إلا ظالم أو ذو غرض ... وما البطولة في جوهرها إلا أن يسمو الرجل على الحوادث ويقهرها إن غالبته، وأن يسخرها ويوجهها إن سالمته ، فإن لم يتسن له هذا ولا ذاك كان في كفاحه ومقاومته وتعاليه عن أن يذل أو يذعن دليل رجولته ومقياس بطولته . وما كانت الشهرة من دلائل العظمة أو من بواعثها ؛ فلكم تشهد الحياة من رجال يحسبهم الغافل من أوزاع الناس وإن لهم لنفوساً تنطوي على عناصر البطولة كأكمل ما تكون البطولة ...

ولقد كان شريف عظيماً بنفسه قبل أن يكون عظيماً بمنصبه. كان رجلاً في عصر عزت فيه الرجولة وتطامنت فيه أقدار الرجال إما من شر يتقونه أو خير يرجونه ... ولذا يعتبر شريف بحق خالق جيل وباعث نهضة ، فهو في عصره كان الرجل الذي اجتمعت فيه الرجال ، وكانت مواقفه توحي البطولة وتخلق الأبطال ...

وكان شريف تركي العنصر ما في ذلك شك ، ولكنه لم يعرف له وطناً غير مصر ولا قوماً غير بني مصر . ولما بلغ أشده كان من رجال هذا الوادي في طليعة العاملين منهم والمجاهدين ؛ يتلفت الرجال إذا حزبهم أمر أو أخذتهم حيرة فلا تستقر أعينهم إلا على شريف، ولن يتقدم لنصرتهم في مواطن الخطر والشدة غيره

تم الأمر في مصر لمحمد علي ، ذلك العصامي الفذ ، وأثخنت جنوده في صحاري العرب وفي مطارح السودان ، وتهيأت مصر لأن تستقبل على يد هذا البطل عصراً من عصور يقظتها كان الجيش فيه المحور الذي تدور عليه نهضتها . وفي صدر هذا العصر الفتي ولد محمد شريف ، فكان مولده بالقاهرة في شهر نوفمبر من سنة ١٨٢٦ وحمله أبوه ، وقد انقضت مدة خدمته بمصر معه إلى الآستانة . وكان هذا الأب في مصر قاضي قضاتها ، ولكنه لم يلبث بالآستانة إلا بضع سنين ثم اختير للحجاز ، فمر بمصر ومعه ابنه ؛ ووقعت عينا واليها على الغلام ، وكانت عينا الوالي تلمحان النجابة في سرعة عجيبة ، ولذلك طلب إلى أبيه أن يبقيه عنـده ليقوم على تربيته . وكان محمد علي يومئذ في ذورة مجده تهدد جيوشه عرش الخلافة وتحمل على الإعجاب به فرنسا، وعلى الحنق عليه انجلترة ؛ وكان همه منصرفاً إلى الجيش ، فإذا بنى الرجال وأعدهم ، فإنما يكون ذلك ليتخذ منهم دعائم جيشه

وبقي الغلام في القاهرة وأدخل المدرسة العسكرية التي أنشأها الوالي بالخانكة ، فيمن أدخل من أبناء الأمراء ووجوه القوم؛ ومن ذلك الحين صارت مصر وطن شريف الذي لا يعرف له وطناً سواه

وهكذا نشأ شريف نشأة عسكرية ؛ ولكن جيش مصر ما فتئت انجلترة تعمل على القضاء عليه حتى تم لها ما أرادت ،

ولمـا يزل شريف فى سن اليفاعة ؛ واستطاع بالمرستون أكبر الـكائدين لمحمد على أن يرغم الباشا عام ١٨٤١ على « أن ينكمش فى قوقعته الأصلية فى مصر » . وجاء فى فرمان السلطان فى تلك السنة للباشا المغلوب على أمره أنه « يكفى أن يكون لمصر ثمانية عشر ألف نفر من الجند للمحافظة فى داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدوا هذا العدد لأى سبب ما . . . » وأذعن الباشا ولم تغنه صلته بفرنسا ومظاهرتها إياه ؛ فما كانت انجلترة لتسمح بظهور مثل قوته فى مصر وهى التى جعلت أساس سياستها منـذ الحملة الفرنسية ألا يقوم فى وادى النيل نابليون آخر

وكان الأجدر بالشباب بعد هذا أن يتجهوا وجهة غير وجهتهم العسكرية . لقد أوفدت الحكومة فريقاً منهم إلى فرنسا فى عام ١٨٤٤ ، وكان من هذا الفريق محمد شريف ، فاختار أن يدخل مدرسة سان سير الحربية

كانت هذه المدرسة التى التحق بها شريف من أشهر المدارس يومئذ ؛ وإن فى اختياره المدرسة الحربية فى تلك الظروف لدليلاً على أن الجندية كانت توائم طبعه ، ففى الجندية الصحيحة حياة الإقدام والهمة والنظام والطاعة ، وتلك صفات امتاز بها شريف رجل السياسة فيما ظهر من أعماله بعد

قضى شريف فى تلك المدرسة عامين تجـلى فيهما ذكاؤه وطموحه ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدرسة تطبيق العلوم العسكرية ، فلبث بها عامين آخرين انتظم بعدهما فى سلك الجيش الفرنسى كما تقضى قوانين تلك المدرسة ليأخذ قسطه من المران العملى ؛ ثم تخرج شريف ونال رتبة يوزباشى أركان حرب فى ذلك الجيش

ولم تله شريفاً شؤون فنه عن غيره من الفنون ، فراح يقرأ التاريخ والسياسة ، ولا يفتأ يستزيد من المعرفة ، مستعيناً فى ذلك ببصيرة نيرة كانت من أظهر مواهبه ، وعزيمة صادقة كانت فى مقدمة خلاله ؛ وأتقن شريف الفرنسية وحذقها حتى لقد كان يعجل بها لسانه كأنه أحد أبنائها ، كما درس شريف طباع الفرنسيين ووعى قلبه ظرفهم وأناقتهم، حتى صار بينهم وهو ذلك الفتى الشرق وكأنه منهم ، ولذلك لقب « بالفرنساوى » وصار يجرى لقبه هذا على ألسنة معاصريه .. وليس معنى ذلك أن شريفاً قد جعل بينه وبين قومه سداً بما تعود من عادات الفرنسيين ، فما كان مثله بالمتكلف ، ولقد كان له من أصالته واعتداده بنفسه ما يربأ به عن ذلك العيب ، وإلا فـكيف أصبح حين عاد إلى وطنه أشد الرجال مقاومة للنفوذ الأجنبى ؟

وولى أمر مصر عباس باشا الأول فأعاد أعضاء البعثات العلمية من الخارج ، فعاد شريف فيمن عادوا عام ١٨٤٩ م . ولقد نستطيع أن نتصور ما تركته حال مصر يومئذ من أثر فى نفس هذا الفتى الطموح ، فلقد تعلم وتأهب ليعود فيجد المدارس تغلق أبوابها ، والجيش يهلك عنه سلطانه بعد أن انهدت أركانه ؛ ويجد مصر وقد ذلت بعد عزة ، يبدو عليها مثل ما يبدو على ذى القوة والبأس وقدجرد من حسامه، وعاهلها ناقم على العصر ومظاهر العصر، ونافر من الأجانب وما يأتون به مما كان يعده من أنواع الغرور والبهتان

ضاقت مصر عن همة شريف وعن علم شريف ولـكن أين يذهب وليس له غير مصر ؟ وإذاً فليرض بأن يأخذ فى الجيش المصرى نفس الرتبة التى أخذها فى الجيش الفرنسى فليس من هذا الرضاء بد . ولئن كان جيش مصر لا يعمل فربما أتت الأيام بما ليس يجرى فى بال أحد ، فينصرف شريف من ميدان إلى ميدان إلا يكن فيه قتال فليس يخلو من نضال ...

وفى مصر اتصل شريف بسليمان باشا الفرنساوى ، وأعجب به القائد الـكبير وأخلص له الود والمحبة ... ألا ليت هذا اللقاء كان أيام نصيبين وكوتاهية ، وإذاً لرأى التاريخ ماذا كان عسيا أن يأتيه شريف الجندى فى ميادين البطولة والتضحية ، ولـكنه كان فى تلك الأيام لا يزال طالباً يتطلع ويأمل

ولن يزال سليمان يوليه من عطفه وتأييده ، ثم يلحقه بحاشيته الحربية فى منصب (الياوران) ؛ ويظل هذا عمله فلا يخوض معركة ولا يرسم خطة ؛ وعباس فى شغل عن الجيش لأنه فى غنى عنه ، ولـكنه يضيق بما هو فيه ولا يطيق صبراً على إغفال عباس له وإن لم يقصد عباس هذا الإغفال ، فيعتزل الجندية التى لم يكن له منها غير اسمها ، ويكون هذا الاعتزال من جانب شريف أولى خطواته فى الدفاع عن كرامته ، ولسوف تـكون له بعدها خطوات لن يخطوها إلا ذو عزة وذو نخوة ...

ويلتحق شريف بدائرة الأمير عبد الحليم ردحاً من الزمن يشرف على أعمالها بما اشتهر به من فطنة وبعد همة . ولقد كان الأمير وهو نجل محمد على من أقرانه فى البعثة ، فألان له جانبه وزاد فى إكرامه وإعزازه ... وشريف يقبل حيـاة الدعة على رغمه ، ففى طبعه ميل إلى النضال والـكفاح ، وفى خلقه اعتداد يشبه الزهو ، بل لقد كان يبلغ به الذهاب بنفسه أحياناً حد الصلف ، وتلك خلة لا يسعنا إلا أن نعدها على شريف مهما تكن بواعثها

وأخذ سعيد الولاية بعدموت عباس، وكان لسعيد ولع بالجيش،

وإن لم تكن به حاجة إليه، وحمله حبه للجيش على أن يشهد تدريبه بنفسه ثم بسط له يده كل البسط، فألبسه أحسن اللباس وأطعمه أجود الطعام، ومد له أسباب الترف والنعيم، حتى لقد كانت تقاس كفاية ذلك الجيش عنده بحسن مظهره ووجاهة رجاله ...

وكان شريف وجيه الطلعة جم الأناقة فضلاً عما كان يتحلى به من صفات الجندية؛ لذلك جعله سعيد من المقربين، ورقاه إلى رتبة (أمير ألاى)، ثم ما لبث أن رفعه إلى رتبة (لواء) ووضعه على رأس الحرس الخصوصي؛ وهكذا يعود شريف إلى الحياة العسكرية. إن جاز لنا أن نسمى حياة كهذه حياة عسكرية ...

وازدادت عرى المودة توثقاً بينه وبين سليمان باشا فزوجه من ابنته، وفرح شريف بما ساقه القدر إليه من حظ عظيم، وكان اسمه قد أخذ ينتشر بين معاصريه من البعداء عن الحاشية ووجوه القوم، وعرف الناس يومئذ عنه النزاهة والاستقامة، وأعجب من تسنى لهم رؤيته بما كان يبعثه مرآه في القلوب من هيبة وبما كان يشيعه فى النفوس من حب ... والحق لقد كان شريف على جانب عظيم من قوة الشخصية، شهد له بذلك الأجانب والوطنيون على السواء

وبدا لسعيد فمال به من الجندية إلى السياسة بعد أن وصل فى الجندية إلى رتبة الفريق، وكان هذا التحول بدء مرحلة جديدة فى تاريخ حياته، مرحلة حافلة بجلائل الأعمال سلكت شريفا فى عداد الأبطال؛ بل لقد كان هذا التحول بدء مرحلة جديدة فى تاريخ مصر؛ ولا غرو، فلقد عظم فيها خطر شريف حتى صار تاريخه تاريخ مصر فى طور من أطوارها، وتلك منزلة لم يبلغها إلا أفذاذ الرجال، أولئك النفر الذين يتوقف مصير عصرهم على ما يعملون، أو الذين تجد فيهم الحوادث أدواتها الحية إذا ما تمخضت تلك الحوادث عن ثورات وراحت كل ثورة تبحث عن رجلها حتى تهتدى إليه فتستقر فى رأسه وفى جنانه .. وأى دليل على العظمة أقوى من أن يكون تاريخ الرجل هو تاريخ عصر من عصور وطنه؟ على هذا الأساس قامت عظمة سعد فى مصر الحديثة، وعظمة لنكولن فى أمريكا، وبسمرك فى ألمانيا، وفردريك الأكبر فى بروسيا، وبطرس فى الروسيا. وغيرهؤلاء من الرجال فيما سلف من العصور وفيما اختلف من الأمم...

اختار سعيد شريفا ناظرا للخارجية، وهنا أخذت مواهب ذلك الجندى تظهر فى السياسة فتبهر، وما لبث أن وجد شريف سبيله إلى قلوب من اتصلوا به فحمل أنصاره على محبته، وحمل خصومه وحاسديه على إكباره وإن لم يريدوا، وتهيأ لمصر فى شخصه الرجل الذى لم تكن لها مندوحة عنه فيما هى مقبلة عليه من عظائم الأمور ... «يتبع» **الخفيف**

استطلاع صحفي (ريبورتاج)*

٢٠ سنة في مكافحة البلهارسيا

مرض تضخم الطحال

في مصر علماء وأطباء يفنون جهودهم سنين طويلة على تحقيق نظرية أو اكتشاف ظاهرة . وهذه قصة طبيب سلخ عشرين عاما من حياته ليخفف عن الفلاح آلام المرض ويقي الأمة عوامل الضعف والانحلال

وهم يعيشون للناس أكثر مما يعيشون لأنفسهم حتى ليفضلون ملازمة مريض أو الاشتغال في معمل على الظهور في المجتمعات. ولذلك رأينا أن نتصل بهذه الفئة من الباحثين فنكشف عن جهودهم ونطلع الناس على أخبارهم لعلنا نوفي العاملين قدرهم .

في الوجه البحري حيث تكثر المستنقعات ، وحيث وسائل صرف المياه مازالت على أسوأ طرقها تنتشر البلهارسيا بين الفلاحين فتنزف دماءهم ، ولا تقف عند هذا الحد بل تسبب لهم مرض تضخم الطحال فتكبر بطون الرجال والسيدات وما هم بحبالى ، إذ يحمل مرضاهم طحالاً متضخما يزيد وزنه على وزن طفل في ستة أشهر . فيبلغ وزن الطحال خمسة كيلو جرامات مع أن وزنه العادي يتراوح بين ١٧٠ و ٢٠٠ جرام تقريباً أي أن المريض يحمل ما زنته خمسة وعشرون طحالا

ظل هذا المرض معضلة الطب المصري حتى سنة ١٩٢٩ إذ تمكن الدكتور أنيس أنسي بك مدير معامل الصحة من اكتشاف سببه ، ثم قدم بحثه للهيئات الطبية العالمية فنال موافقتها ، وأخيراً سجله في « بورصة الأبحاث الطبية » الجمعية الملكية البريطانية لطب المناطق الحارة في ٢٥ ابريل الماضي

ويتضخم الطحال لأسباب عدة ، منها الإصابة بحمى الملاريا أو بالتغيرات اللمفاوية العامة ؛ وفي هذه الحالات يسهل تشخيص الداء بالطرق الفنية والميكرسكوبية كفحص الدم مثلاً ، إلا أنه في حالة الإصابة بالبلهارسيا تضيع كل الدلائل ولا يظهر بالطحال أي خلل أو عيب ، فيرى الطبيب أن مريضه سليم الجسم ، وأن كل عضو يؤدي وظيفته بانتظام إذا استثنينا كبر الطحال مما يضني الجسم ويرهق العضلات فلا يجد الطبيب مفراً من استئصاله ليخلص المريض المسكين من حمله الثقيل ، ولا يخفى ما يتعرض له المريض من المضاعفات الخطيرة أثناء إجراء عملية كبيرة كهذه . أضف إلى ما يصيب الجسم من عوارض سيئة تنتاب الحيوان والإنسان بعد مضي وقت من استئصال مثل هذا العضو المهم

أهمية الطحال

والطحال هو « بوليس » الجسم لأنه ينقي الدم من الأجسام الغريبة ويقتل الميكروبات الضارة ، فهو مخزن كرات الدم البيضاء والخلايا الأكولة ، وهو يمد الجسم بالعناصر الدفاعية العديدة التي ما زال منشؤها غامضاً على الطب . فاستئصال الطحال إذن يعرض حياة الشخص للأمراض المختلفة ، ويجعل حياته قصيرة الأجل إذ يفقد الجسم القدرة على مقاومة الأمراض

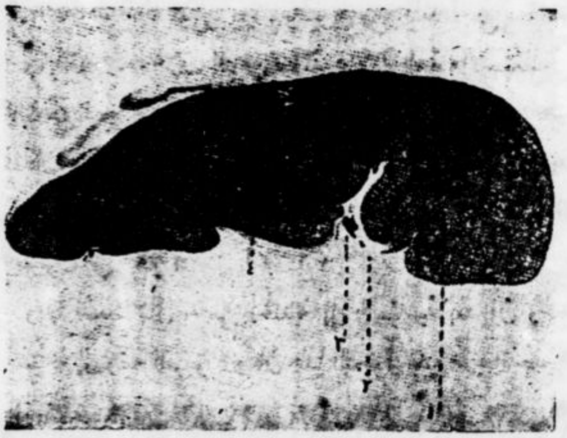

طحال مصري عند بدء إصابته بالمرض ووزنه ٣٧٥ جم (١) اللب الأحمر وبه أجسام غريبة (٢) محفظة الطحال (٣) سرة الطحال (٤) أنزفة منتشرة من تأثير إصابته بالبويضات

وعز على الأطباء أن يقفوا حيارى أمام تلك المعضلة التي اختصت بها مصر من دون بلاد العالم . وأثار فضولهم أن يروا مرضاً خطيراً لا يدركون من أمره شيئاً ، بل إن كل ظواهره هي ظواهر الحالة العادية للطحال فلا يوجد به علامات تسبب ذلك التضخم

تضاربت الظنون والفروض ، وقدر الأطباء ما شاءت لهم نظرياتهم ثم أخرجوا فروضهم إلى حيز العمل ولكن المرض ظل على حاله . وزاد حيرة الباحثين كثرة المرض وظهوره الفجائي ، ففي كل عشر إصابات بالتضخم أمكن الطبيب أن يعرف سبب ثلاث حالات أو أربع ويعزوها إلى حمى الملاريا أو الكلازار أو الأورام وفي باقي الحالات كان يقف أمام سر مغلق

وازدادت حيرة الأطباء عند ما لاحظوا ظهور التضخم فجأة ، إذ كان المرضى يؤكدون أنهم كانوا بصحة جيدة منذ شهور قليلة مع أن حالات التضخم التي يعرفها الطب تحتاج إلى سنوات .

(*) الرسالة : آثرنا كلمة (استطلاع) في ترجمة (ريبورتاج) على كلمة استخبار ليكون هناك فرق بين المستخبر الباحث والمستخبر الناقل

وكذلك لاحظ الأطباء أن أكثر حالات التضخم المجهولة كانت كثيرة فى الوجه البحرى فتبلغ نسبتها ٣٠ إلى ١ فى الوجه القبلى. وعندئذ جزم الدكتور أنيس بأن « هناك حالة مرض مصرى عضال غير معروف سببها ، كثيرة الانتشار فى مصر السفلى »

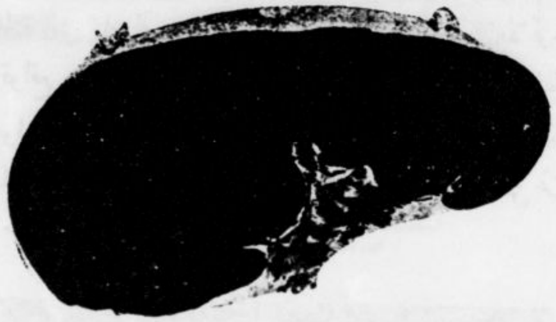

قطاع فى طحال متضخم نتيجة عدوى بالبلهارسيا ويلاحظ أن جدره غليظة كما تظهر فيه عدة أنزفة منتشرة منه

الحلقة المفقودة

بدأ الدكتور أبحاثه فى سنة ١٩٠٨ وكان وقتئذ مساعد أستاذ فى القصر العينى حيث راقب حالات التضخم وحاول أن يعالجها. ولكنه لاحظ أن كل الحالات التى ترد إلى المستشفى حالات مزمنة وصل فيها تضخم الطحال إلى حد أرغم المريض على الرقاد فأيقن أن إحدى حلقات المرض مفقودة ولم يطلع عليها الطب. وبعد تفكير طويل تيقن بأن هذه الحلقة المفقودة هى بدء المرض أو حالاته الحادة

فإن فلاحينا من الفقر لا يستسلمون للمرض إلا إذا ثقلت وطأته على أجسامهم فلم تحتمل شدته . فإذا أضفنا إلى هـذا أن وظيفة الطحال هى الفتك بالميكروبات والأجسام الغريبة ثم التهامها سهل على الطبيب أن يستنتج أن ميكروب المرض من الضعف بحيث يفتك به الطحال أولاً بأول . واحتاج هذا الفرض العلمى إلى تحقيق يتناول المرض فى حالاته الحادة أو الحديثة التى لا يهتم بأمرها الفلاح . وعندئذ ظهرت مهمة الطبيب شاقة ، لأن هذه الحالات ليست فى المستشفى ولا عنـد الأطباء ، بل هى هناك فى القرى وداخل الأكواخ

وذهب الدكتور أنيس فى طلب الفلاحين ، فزار مرضاهم فى بيوتهم وما كاد يبدأ بحثه حتى اشتد عجبه إذ وجد ٨٠ فى المائة من شبان الفلاحين وأطفالهم مصابين بهذا المرض العجيب ولكن تباشير النجاح أيضاً بدت . فها هى ذى ظواهر ديدان البلهارسيا . وهاهو ذا أثر الصراع بين محتويات الطحال وبين تلك البويضات. فهل ديدان البلهارسيا هى السبب ؟

لنجيب على هذا السؤال بنعم يجب أن نجد بويضة البلهارسيا نفسها . وهذه إن وجدت فلن يسهل العثور عليها إلا فى طحال الأطفال أو فى حالات المرض الأولى أو الحادة . فإن طحال الطفل أضعف من أن يهضم هذه الدودة الخطيرة وبويضتها ؛ وبهذا وضع الدكتور يده على مفتاح المرض وبقى عليه أن يكشفه فيصور البويضة فى الطحال كما يجب عليـه أن يلقح الطحال بديدان البلهارسيا ويرى النتيجة

واستحضر لذلك قردة خاصة عرفت باصابتها بهذا النوع من المرض وهى تجلب من جزر الهند الغربيـة . وأجرى تجاربه مدة طويلة احتاج أثناءها إلى أكثر من ٢٠٠ قرد . واستعان بالأرانب فكان له منها ضحايا فى كل يوم

بويضة البلهارسيا فى الطحال وتبين (٥) قشرة البيضة (٦) جزءاً ذائبا فى القشرة ويرى جزء صغير من الجنين حالة اتصاله بخلايا الطحال خارج القشرة حيث تفتك خلايا الطحال الأكولة بجنين البلهارسيا وتبين (٨) إحدى الخلايا الأكولة العائمة

معركة حربية

ونجحت التجارب فثبت الفرض . ويقول الدكتور فى تعليل تضخم الطحال « إنه عندما تغزو بويضات البلهارسيا لب الطحال تحدث به التهابا حادا سريعا تعقبه على عجل استعدادات وترتيبات لازمة تبتدىء بعملية التجاذب بين مواد الطحال والجسم الغريب

ثم بتعادل وتخفيف المواد السامة القابلة للذوبان . وتعقب ذلك عملية الهضم التى تقوم بهـا الخلايا الأكولة المتحركة التى تقطن اللب الأحمر »

وتتحفز تلك الخلايا للقيام بعمل سريع ؛ فتتجمع حول البويضات النازحة فى صفوف متراصة مكونه بذلك خطوط الدفاع التى تعقبها على عجل عملية التخاثر لتوقف فعل المواد الغريبة السامة التى تفرزها البويضات فى تلك الدائرة الضيقة . ثم تهجم الخلايا الأكولة على غلاف البويضات فتذيبـه إلى مادتها فتلتهمهـا وإلى ما تخلف بعد ذلك فتبتلعه فتقى الجسم شر تلك السموم »

فاذا تمت هذه العملية التصقت كل خلية بجارتها مكونة سدا منيعا يحول دون تسرب أية مادة سامة إلى النسيج السليم ثم تبتدىء (الخلايا) فى توالدها وتكاثرها فتتحول إلى خلايا ذات نواة كثيرة Siant Bell . وهكذا يكبر الطحال تبعا لتوالد الخلايا وتكاثرها أثناء صراعها مع ديدان البلهارسيا وبويضاتها »

مرض متوطن

وأيد الطبيب فى إثبات رأيه ما رآه من انتشار قواقع البلهارسيا فى الوجه البحرى، فإن انخفاض ذلك الإقليم ورداءة طرق الصرف فيه جعلته موطن المياه الراكدة وبالتالى معمل تفريغ الميكروبات والديدان وأهمها البلهارسيا والإنكلستوما .

« ويعتبر مرض تضخم الطحال متوطناً فى كل بقاع مصر، وينتشر بكثرة كما تشتد عوارضه وتكثر مضاعفاته بالمناطق المنخفضة فى شمال الدلتا حيث تكثر المصارف والترع ويكثر تبعاً لها توالد القواقع طول فصـول السـنة بخلاف ما نشاهده فى الوجه القبلى حيث رى الحياض ما زال باقياً فتقل بذلك نسبة العدوى قليلا . وبالرغم من وفرة وجود القواقع أثناء الفيضان فإنها لا تلبث أن تموت متى جفت الأرض وانخفض مستوى الماء »

وتظهر الأعراض البدئية للمرض عقب العدوى بالسركاريا وتظهر مصحوبة بتوعك المزاج وباضطرابات فى الجهاز البولى والجهاز المعوى وتظهر البويضات فى البول والبراز ويصل تضخم الطحال فى هذا الدور إلى أسفل الضلوع بنحو قيراطين . وينشأ نتيجة تفاعلات بلب الطحال أحدثتها إصابته حديثاً ببويضات البلهارسيا

فإذا كانت البويضات قليلة وأتيح للمريض فرصة العلاج تمكن نسيج الطحال الزاخر بخلاياه الأكولة من هضمها وإزالتها فتزول عوارض المرض . أما إذا استمر تعرض الإنسان للعدوى فإن الطحال يتضخم بتكاثر خلاياه بجميع أنواعها حتى تصل إلى سرة البطن ، أو يمتد إلى حافة الحوض ، ويستمر على هذه الزيادة حتى تتاح للمريض فرصة العلاج أو ينتقل إلى مكان لا توجد به قواقع . فيضمر الطحال ويصاب بتليف عام ، وتضخم فى محفظته وعوارضه ، وتتحول الألياف المرنة إلى نسيج ضام ، ولكن الخلايا السليمة منه تستمر على أداء عملها بالدفاع عن الجسم من غزو الأمراض والحميات وغيرها

طحال مصري متضخم وزنه ٤ كيلو جرام وطوله ٣٨ سم وعرضه ١٨ سم أى أنه أضخم من أى طفل

ويحافظ الطحال على هذا الحجم رغم انتهاء دور الإصابة ، وخلو البول والبراز من بويضات البلهارسيا ، وفى هـذه الحالة يلقب بالطحال المتوطن ، ومن هذا يتبين أن تضخم الطحال يمكن أن يزول فى حالات المرض الأولى . أما إذا أزمن وطالت مدته ونشأ التليف بين أنسجته وخلاياه فإن تضخمه يلازم المريض ، وقد ينقص حجمه قليلا بالعلاج أو بالانتقال من مراكز العدوى ولـكنه لا يعود إلى حجمه الطبيعى

فوزى حميد الشتوى

أهمية نظرية التطور

نظرية التطـــور
وقصة الخليقة
للأستاذ عصام الدين حفنى ناصف

كان الناس فيما مضى يجهلون معظم القوانين الطبيعية التى تسود الكون وتحكمه ، فكان المفكرون منهم يتساءلون : لم هذا اللباس من الشعر غير الكثيف يغطى جسمنا ؟ لم يشبه القط النمر ؟ لم كان الزنجى أسود اللون والصينى أصفره ؟ لم كان الأوربى متحضراً والإفريقى غير متحضر ؟ لم كان عدد صنوف الحيوانات عديداً بهذا القدر ؟ لم نعثر فى أعماق الأرض على عظام أسماك متحجرة ؟ ولم يكن هناك من يستطيع الإجابة على هذه الأسئلة وأمثالها ، وذلك لأن فكرة واحدة لم تكن قد نفذت إلى رؤوسهم ، وهى : أن الأرض قد نمت هى وما عليها فى مدى مئات الملايين من السنين حتى بلغت ما تبلغه الآن ، وقد وصلت الكائنات إلى أشكالها الحالية ببطء شديد وبالتدريج ، ومرت خلال ذلك على أشكال عديدة سابقة لهذه ، فهى قد «تطورت»

تقول نظرية التطور : إن جميع الكائنات الحية الباقية والمنقرضة قد تطورت إلى أشكالها الأخيرة من أصل واحد أو بضعة أصول ، فهى إذن يتصل كل منها بالآخر برباط القرابة

وقد كثرت الأدلة العلمية على صحة هذه النظرية حتى «انتقلت» كما يقول أوسبورن «من نطاق الفروض والنظريات إلى نطاق القوانين الطبيعية» ولذلك فإن «خصومها» كما يقول بلاته «مضطرون إلى مكافحتها ببراهين وحجج من غير التاريخ الطبيعى»

وليست أهمية هذه النظرية بقاصرة على كونها ضرباً من العلم والفلسفة فقد أثرت تأثيراً كبيراً على علوم مختلفة كعلم الحفريات والتشريح المقارن والأجنة والاستيطان ووظائف الأعضاء والأمراض وتاريخ الإنسان والاجتماع والنفس والفلسفة .

وللنظرية عدا ما تقدم أهمية بالغة من الناحية العملية ، ذلك أنه إذا كان التطور إلى أرقى ليس هو المصير المحتوم دائماً بل يشترط لحدوثه ظروف وشروط خاصة ، فما يستحق الجهد ولا شك أن يفكر المرء ويعمل على توفير هذه الظروف والشروط ، وبذلك لا يكون الإنسان سلبياً يحمله تيار الحوادث إلى حيث يساق، بل يكون سائراً بمشيئته فى طريق الرقى وهو يعلم أين يسير. وهذا يجعل من السهل علينا أن نجيب على السؤال الذى كانوا يلقونه قديماً عن معنى الحياة والغرض منها ، فليس الغرض منها إلا السير بالبشرية فى سبيل الرقى وتوفير أسباب البهجة والتمتع لكل فرد منها

وقد طبَّق سبنسر نظرية التطور على الشئون الاجتماعية ، وشرح رأيه فى نشوء الضمير الخلقى عند الانسان بما يتلخص فيما يأتى : كان الناس فى أول أمرهم يرون أن الحسن هو المفيد إفادة عاجلة ، ثم أظهرت التجارب أن هنالك أحياناً فائدة كبيرة آجلة تَفضُل الفائدة الصغيرة العاجلة . وقد اختُزنت هذه التجارب فى مشاعر أسلافنا وذلك ما أحدث أثره فى مجموعهم العصبى ، وتوارثنا نحن عنهم هذه التأثيرات ، فترانا نعتبر بعض التصرفات حسناً دون أن نجربه ونتثبت بأنفسنا من نفعه ، وإنما أسلافنا هم الذين جربوا ذلك لهم ولنا من بعدهم ، وهذه الحكمة الموروثة هى ما نسميه بالضمير ، وبه نجد من دخيلة نفوسنا ما يرشدنا إلى الخير والشر . وعلى ذلك فإن حياة الفرد ونصيبه الذى قسم له فى الحياة لا يبدوان عند ولادته، بل هما يرجعان إلى الماضى الذى لا نستطيع تقدير توغله فى القدم

نشوء الكون

كانت هنالك مادة أولى تملأ الوجود ، ومن هـذه المادة نشأت السدم ، وهى سُحُب من ذرات معدنية صلبة مختلفة

الحجم والمعدن ، ثم تطورت السدم بعد ذلك فأخذت الذرات الصغيرة فيها أو القليلة الكثافة تنجذب إلى الكبيرة أو الأكثر تركزاً ، إلى أن تكون كرات كبيرة يفصل بين كل منها والأخرى حيز فرغ واسع المدى . واتجهت الذرات الأكثر ثقلاً فى كل كرة نحو مركزها ، وولّد ضغط الذرات فى هذه الكتل التى يزن كل منها تريليونات الأطنان ، حرارة هائلة جعلها تتقد وتتحول إلى كوكب. أما الذرات الخفيفة أى الغازات، فقد بقيت فى الحافة مكونة جواً غازياً حول الكوكب. وقد حدثنا الفلكيون أن الكون الذى نعيش فيه يحوى نحو ٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الشموس التى تشبه شمسنا ، والكثير منها كواكب مثل كوكبنا الأرضى ، من الجائز أن تكون مأهولة بكائنات حية ، فليس ثمة ما يدعو إلى افتراض أن الأرض أنشئت على نمط خاص

أخذت الكواكب تفقد حرارتها شيئاً فشيئاً ، وكان أسرعها فى ذلك أصغرها حجماً ، وبردت الأرض بالتدريج واتحد ما يكتنفها من أوكسجين وأيدروجين فتكون منهما الماء العذب، ثم اكتسب الماء ملوحته من إذابته لبعض أملاح الأرض وبعض أحماض أنزلها معه من الجو . واستمرت الأرض تبرد وتكونت القشرة الأرضية فى النهاية ويبلغ سمكها فى الوقت الحالى ٨٠ إلى ١٠٠ كيلو متر ، وقد كانت فى أول أمرها متشابهة السُّمك ، وكان المحيط المائى موزعاً حولها بتساو ، ولكن برود القشرة الأرضية أدّى إلى تقلصها ، فارتفعت سلاسل الجبال ونشأت تبعاً لذلك الوديان والمنخفضات ، ثم استقر الماء فى المنخفضات وبدأ الانقسام إلى أرض « يابسة » ومياه

نشوء الحياة والأحياء

نشأت الحياة بعد ذلك على وجه الأرض فى زمن مضى عليه — فى رأى بعض الجيولوجيين — ٥٠ إلى ١٠٠ مليون سنة ، وكانت الأحوال الطبيعية تختلف عما هى عليه الآن، فمياه المحيطات مرتفعة الحرارة ، والعناصر المتشععة عظيمة النشاط ، والمركبات الكيميائية ليست كلها على النمط الذى نعرفه ، فدبت الحياة فى المادة الحية الأولى (بروتو بلازم) ، ثم نشأت منها الوحدات المحدودة التى نسميها خلايا

لم تكن الكائنات الحية الأولى نباتات صرفة ولا حيوانات خالصة ، ولكن البعض منها أصبح نباتاً لاقتصاره على التغذى بالمواد غير العضوية التى فى الأرض ، وجرى البعض الآخر على افتراس ما يجاوره من الأحياء ، وذلك منشأ تكون الحيوان ،

وقد اقتضت عملية الافتناص أن يتزود الحيوان بأعضاء خاصة بالحركة والحس وبفم ومعدة وأسلحة ودروع فنشأت عنده هذه الأعضاء . ثم نشأت الحيوانات والنباتات العديدة والخلايا بعدم انفصال الخلايا الناتجة من انقسام خلية واحدة

ولما غاضت معظم المياه الضحلة وانسابت الأنهار السريعة الجريان هلكت الحيوانات التى لم تستطع التخلص من بطء حركتها ، وتطورت أعضاء الحركة فى الحيوانات الباقية فظهر السمك كالقارب الطويل مجهزاً بزعانف قوية ثم تكونت فيه السلسلة الفقرية . واكتظت الأنهار الضيقة السريعة الجريان بالأحياء فقام بينها الكفاح من أجل الأوكسيجين والغذاء فذهب البعض إلى البحار العميقة وبدأ البعض سباقه صوب البر ونباتاته يقتات بما فيها من حشرات ثم يعود إلى الماء وأخذت المثانة الهوائية تتطور إلى رئتين والزعانف تتطور إلى أطراف ، ونشأت الأمفيبيا كالسمندر والضفدع وهى الحيوانات التى تقطن الماء فى صغرها ثم تنتقل فى كبرها إلى حياة البر

واستمرت المياه فى بعض الجهات تغيض شيئاً فشيئاً وأخذت الحيوانات الأمفيبية فى تلك الجهات تتحول تبعاً لذلك إلى حيوانات برية ففقدت خياشيمها وقويت أرجلها ونشأت منها الزواحف كالورل والتمساح والثعبان

العصر الجليدى

وانقضى الصيف الدائم من على وجه الأرض وكسا الجليد نحو ٤ ملايين ميل مربع من سطحها ، تمتد من الهند إلى أوستراليا وإلى أفريقيا . وقضت هذه الذبحة الهائلة على نحو ٩٧ فى المائة من الأنواع النباتية والحيوانية فتحولت النباتات إلى طبقات من الفحم ولم يبق من الحيوانات إلا نماذج قليلة فى الأقاليم الحارة هى التى نسلت ما احتواه العصر الحديث من الأمفيبيا والحشرات وغيرها . فلما ذابت طبقة الجليد بعد ربع مليون سنة بسبب انخفاض سطح الأرض فى الجنوب عادت الزواحف إلى الانتشار ، وكانت أوربا فى ذلك الوقت غاطسة تحت الماء لا يطفو منها سوى قنن الجبال وأجزاء قليلة أخرى تبدو كمجموعة من الجزائر محاطة بحواجز من المرجان ما تزال آثارها تشاهد إلى الآن فوق الجبال . وكانت هناك قارة ملأى بالبطاح والغياض ممتدة من أسكوتلاندة إلى أمريكا (تسمى فى عالم القصص بالاطلانطيس) فساعدت على انتقال الزواحف الجبارة بين القارتين

كانت إناث الحيوانات قبل العصر الجليدى تضع البيض وتتركه على سطح الأرض أو الماء فينقف من تلقاء نفسه بتأثير الحرارة، وبذلك كانت الطبيعة تتولى عمل الأم. فلما حلت البرودة أصبح الرقاد على البيض وتعهد الصغار بالعناية أمراً لا غنى عنه.

ونشأ للزواحف رداء حرشفى رفيع، وأصبح جلد الأمفيبيا لزجاً كما نشاهد الآن فى الضفادع، ونشأت الطيور والثدييات مزودة بقلب ذى أربع غرف يساعد فى إمداد الدم بقدر وافر من الأوكسيجين ليحرق وقوده فيحتفظ الحيوان بالدفء ولا تنحط حرارته مع حرارة الجو كما هى الحال فى ذوات الدم البارد وهى الأسماك والأمفيبيا والزواحف. وساعد الدم النقى فى الطيور والثدييات على زيادة حجم المخ وارتقائه وتمت لها السيادة فى العصر الجديد. أما الزواحف الضخمة المدرعة بدروع ثقيلة فقد قضى عليها عند ما حل البرد الشديد بعد ذلك فى نصف الكرة الشمالى لزوال الحرارة التى كانت تجعل بعضها ينقف دون أن ترقد هى عليه

وكان للعصر الجليدى أثره العظيم فى عالم النبات أيضاً فقد انتزع سيادة النباتات الجرثومية المنحطة على المملكة النباتية، وأفسح مجال الانتشار والازدهار أمام النباتات المخروطية والنباتات المزدهرة، ولما حل الشتاء فى نصف الكرة الشمالى أخلت معظم الأشجار الدائمة الاخضرار مكانها لنماذج تسقط أوراقها فى الشتاء بصفة دورية فلا تفقد ما تحتويه من الماء وهى لا تستطيع تعويضه من الأرض فى الشتاء

تطور الطيور والثدييات

تسلسلت الطيور من الزواحف بفضل ما حدث لها من التغايرات الملائمة ولاسيما فيما يختص بجهاز توليد الحرارة. وقد عثروا فى صخور بافاريا على متحجر طائر فى حجم الغراب كان يقطن أوربا قبل ملايين السنين، وهو يجمع بين خصائص الزواحف وخصائص الطير، وهذا «الطائر القديم» هو الحلقة «غير المفقودة» بين الزواحف والطيور

وحل عصر جليدى فى شمال أوربا وأمريكا غطى نحو ٧ ملايين ميل من سطحهما، فأرغمت الحيوانات والنباتات المحبة للحرارة على الزحف صوب الجنوب. وقد يكون البرد القارس فى ذلك العصر هو منشأ هجرة الطيور المهاجرة كالسمان والعنز وعصفور الجنة كل شتاء من الشمال إلى الجنوب، كل عائلة منها إلى مكان معين تسلك إليه طريقاً ربما كانت هى الطريق الوحيدة التى عرفها أسلافها فى ذلك الوقت، وعلى ذلك فليست «الغريزة» سوى العادات التى اكتسبتها الحيوانات تحت ضغط ظروف خارجية عنها

نشأت الثدييات الأولى الصغيرة الحجم فى أواخر العصر الجليدى، وقد يكون منشأها فى قارة تمتد حيث يوجد الآن المحيط الهندى وما حواليه، أو لعلها عبرت تلك القارة الضائعة من أفريقيا إلى أوستراليا، ثم غاصت تلك القارة تحت سطح الماء فأصبحت أوستراليا جزيرة منعزلة لا تستطيع أن تصل إليها الحيوانات المفترسة التى تطورت فى باقى أنحاء العالم، وبقيت الحيوانات الثديية البدائية فيها متخلفة عن زميلاتها فى الخارج مثل الكنجرو، وهو لا يبقى جنيناً فى رحم أمه إلا زمناً قليلاً فإنها ليس لها من الأوعية الدموية ما تنقل به دمها إلى الجنين لتغذيته، لذلك تلده سريعاً وتلتقطه بفمها فتضعه فى كيسها حيث يكون ثديها المنخفض فى متناول فمه

بقيت الحيوانات الثديية فى أوستراليا على ما هى عليه تقريباً ولكنها فى أفريقيا صعدت درج الرقى وانتشرت انتشاراً عظيماً متجهة فى انتشارها صوب الشمال. فلما كثر عددها ساد بينها كفاح هائل من أجل الحياة وأخذت ذراريها تتطور فى شتى الاتجاهات، فمنها ما أكل اللحم ومنها ما عمد إلى الهرب من الحيوانات المفترسة فاتخذ له ملجأ تحت سطح الأرض كالخلد والأرنب، ومنها ما أخذت أشواكه تنمو وتصلب كالقنفذ، ومنها ما بقى يعيش فوق الأشجار كالسنجاب، ومنها ما هبط إلى البحر كالحوت، ومنها ما اتخذ الليل معاشاً كالخفاش. وانتشرت فصيلة الحيوانات الحافرية فى القارات الأربع مستعينة بقوتها وضخامتها أو بدروعها وأنيابها وقرونها أو بسرعة عدوها وحدة حاسة الشم عندها

تطور الإنسان

تسلسل الإنسان من ذرية حيوان شبيه بالقرد، ولكن ليس من ذرية أحد القردة الموجودة فى العصر الحاضر، وإنما تتصل القردة الحالية بالإنسان فى أسلاف مشتركة وجدت من ٣ أو ٤ ملايين من السنين

أخذت الحيوانات الثديية البدائية ترتقى وتتطور فى اتجاه القردة، وانتشرت القردة فى القارات الأربع (أى فى مختلف أنحاء الأرض باستثناء أستراليا)؛ وذلك من نحو ١٠ ملايين من السنين، ثم تطور قسم منها إلى القردة الشبيهة بالإنسان،

وهى أربعة فروع هبط ثلاثة منها إلى الأرض عند ما بادت الغابات فى بقعة من آسيا بسبب ارتفاع الأرض وجفاف الهواء على الأرجح . ومن المقرر أن ترك الأشجار والإقامة على ظهر الأرض مما يساعد كثيراً على الترقى والتقدم ؛ فإن هذه المعيشة تقتضى الملاحظة الدائمة لاتقاء الأعداء واقتناص الغذاء ، وقد أصبحت الساقان الخلفيتان تقومان أكثر فأكثر بحمل الجسم ، وأصبحت اليدان تستعملان فى إمساك الأشياء ، وأثرت كل هذه التطورات على نمو المخ مدة ٤ ملايين سنة

وقد عثروا فى انجلترا على جمجمة يرجع عصرها إلى ٤٠٠ر٠٠٠ سنة . كما يدل على ذلك عمر الطبقة الأرضية التى وجدت مطمورة فيها، وقد قدر الثقات أنها جمجمة إنسان منحط جداً من حيث الذكاء

وقد استطاع العلماء بما عثروا عليه من الهياكل البشرية التى ترجع إلى عهد قديم جداً والأدوات الحجرية المتدرجة الرقى التى وجدوها إلى جوار تلك الهياكل — أن يكتبوا قصة الإنسان. وتتلخص فى أن فرعا من متسلقات الأشجار بارح الأشجار وهبط إلى الأرض فارتقى فيها وأصبح يتخذ العصا سلاحاً، ثم ارتقى وبدأ فيه العنصر الإنسانى حين بدأ يقرع صوانة بأخرى ليكسب إحداهما سناً حاداً مشحوذاً

كان الإنسان فى أقدم عهوده يعيش فى جو دافىء بغير نار وملبس ومنزل ، ثم حلت خمسة عصور جليدية تتخللها فترات دافئة ، واضطر سكان أوربة قبل التاريخ فى المرة الرابعة إلى سكنى الكهوف ، ثم شرعوا يرتدون الجلود وتعلموا أن يشعلوا النار بالصوان . وعندما انقضى ذلك العصر الجليدى كانت قد ظهرت فى أوربا بشرية من طراز جديد ، فبدأ التطور الاجتماعى واضطرت الأسر إلى المعيشة معا ، وسرت فى الكهوف لغة غير ناضجة .

وعادت طبقة الجليد تكسو أوربا فعبر القوم الجسور الأرضية إلى شمال إفريقيا وآسيا الصغرى ، وكان السكان أكثف ما يكونون بين الخليج الفارسى ومصر ، وكانت وديان النيل والدجلة والفرات قد تكونت حديثاً بفضل هذه الأنهار ، واحتدم الكفاح بين القبائل والعشائر من أجل هذه الوديان وطلعت من هذا الكفاح أولى المدنيات .

عصام الدين حفنى ناصف

الفن الأسكندرى

للدكتور أحمد موسى

لا نقصد بعنوان المقال تحديد الفن بعصر الإسكندر كما لا نقصد تحديده بمدينة الإسكندرية وحدها، وإنما المقصود بالفن الإسكندرى أنه الإنتاج الفنى فى البلاد المصرية منذ تأسيس الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق . م إلى نهاية حكم البطالسة ، ذلك الفن الذى عُرف أمره وتأثر به فن العالم القديم

وبالنظر إلى قلة ما تبقى من هذا الإنتاج وإلى ضآلة المواد العلمية التى يمكن الاستناد إليها ، وإلى ما بين أيدينا من الآثار البطليموسية فإن تاريخ الفن الإسكندرى بمعناه الشامل من الموضوعات العسيرة التى تجعل البحث ناقصاً قابلاً للنقض فى بعض نواحيه ؛ إذا ماظهر من نتائج الحفر وما قد يعثر عليه من النصوص ما يميط اللثام عن بيانات واستنتاجات تغير ما تقرر حتى الآن

على أنه يمكن القول بأن ما بقى من التماثيل وبعض الآثار يعطى ما يفيد فى هذا المجال ، ويمهد السبيل إلى معرفة المدى الذى وصل إليه أثر الفن الإسكندرى فى الفن الإغريقى أو الهيلينى

ومما لا يقبل الشك أن مدينة الإسكندرية كعاصمة للبلاد أنشئت وشيدت على نمط رائع من حيث التخطيط العام للمدينة ومن حيث تنظيم شوارعها ومبانيها التى عملت لأول مرة فى هذا القطر من الطوب بطريقة هندسية جديدة فى نسقها جميلة فى مظهرها ، ولاسيما أن حوائط المبانى كانت مغطاة من الداخل بلوحات من المرمر زخرفت بنقوش من المعدن . وهذا كله نتيجة للرغبة فى التمدين والعطش نحو الأبهة

وكان شغف الأمراء من أبناء البطالسة وتقديس الناس للآلهة خير دافع إلى إقامة المعابد الهائلة بحوائطها المزخرفة بالنقوش والكتابات ، كما كان سبباً فى إحياء فن النحت والتصوير ، إلى حد أن كانت بعض التماثيل تعمل من الذهب والعاج فى غاية من الدقة والجمال .

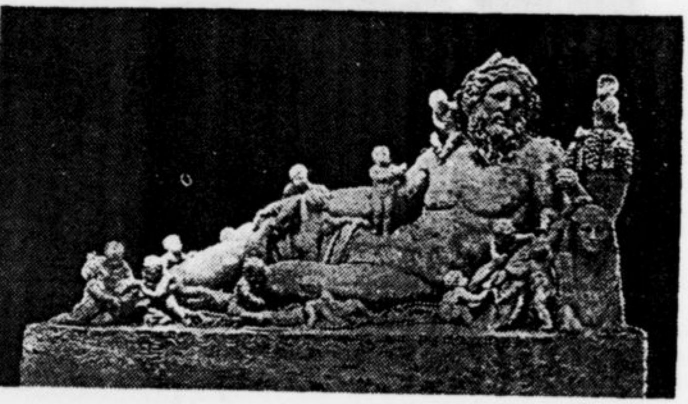

تمثال النيـل

وبطبيعة جو الإسكندرية الأقرب إلى الجو الأوربى والخليط الذى كان يعيش فى تلك المدينة من البطالسة والمصريين وغيرهما ، كذلك وجود الفلاسفة المشتغلين ضمنا بالطب والجراحة فضلاً عما بعثوه فى العقول بتعاليمهم التى تحض على النظر والدرس والتأمل إلى جانب مجموعة الكتب العظيمة بالمكتبة الخالدة — فى هذا المحيط وهذه البيئة نشأ الفنان الإسكندرى محاطاً بما يوقظ فيه روح العمل والابتكار

ولعل خير مثل لذلك بقايا التماثيل ومنها رأس من البرونز يمثل امرأة مصرية تجلت على ملامحها مصريتها وحيويتها[1] .

وكان للانتاج الفنى غير العمارة والزخرفة والنحت الواقعى Realistic Sculpture اتجاهاً مثلياً رائعاً تراه فى تمثال « النيل »

(١) راجع Von Sybel, Weltgeschichte der Kunst: وأيضا Rayet, Monuments de l'art antique II. Paris 1883.

المحفوظ بالفاتيكان فى روما، والذى وصل منه أنموذج إلى هذه البلاد منذ أعوام . فإذا نظرت إلى صورته رأيت إلى أى مدى استطاع الفنان الوصول إلى ذروة الفن المعاصر لتلك الأيام ، فإلى جانبه تتضاءل التماثيل التى عملت للأمراء ولهوميروس ، والتى لا يمكن أن توصف إلا بكونها من أحسن ما أخرجه الفنانون

أنظر إلى صورة الإلـه « النيـل » ولاحظ ما بدا على وجهه من عوامل التأمل والتفكير فى مصير أولاده الستة عشرة « فروع النيل الـكبرى والصغرى» وشاهد كيف يتكىء بكتفه على (أبى الهول) الرابض بجانبه ، وقد اختار الفنان «لأولاد النيل » أوضاعاً شتى فظهر كل منهم مخالفاً لغيره ، وفى هذا ما فيه من الغنى الفنى

كذلك اتجه التصوير اتجاهاً جديداً نخرج من تمثيله لصور الأمراء والعظماء إلى تمثيل الحياة العامة والعادات الاجتماعية فرسمت على الحوائط مناظر صادقة فى التعبير عن العصر الذى عملت فيه ، وغير ذلك للمناظر الطبيعية كتلك التى صورت لنا أجزاء من المدينة محاطة بالغابات ذات الأشجار العالية ، والتى نصبت بينها تماثيل بأوضاع دلت على حسن التنسيق والوصول إلى درجة فائقة فى فن تخطيط المدن وهندستها ، وهذا الوضع يذكرنا بالحالة التى كان الفن اليومبيانى (نسبة إلى بومبيى) يسير عليها

على أن الفن الاسكندرى ، أو إن شئت فقل الفن المصرى فى عهد البطالسة ، كان قصير العمر بالقياس إلى الفن المصرى فى عصور أخرى أو إلى الفنون الأجنبية ، فعند ما وصل الفن البرجامونى والفن فى رودس إلى أوج عظمتهما حوالى منتصف القرن الثانى قبل المسيح ، كان الفن الإسكندرى سائراً نحو الهبوط ؛ فانتقل إلى إيطاليا . وخير برهان على ذلك أنه فى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد شيدت فى بمبى عمائر على نمط لا يختلف فى الجوهر والمجموع الإنشائى عن ذلك الذى بنى للمرة الأولى فى الأسكندرية ، حتى الزخارف التى عملت على حوائط هـذه العمائر فإنها شملت ذلك الطابع الإسكندرى المميز ، والذى يقرر تأثرها بها أفصح تقرير

هذا فضلاً عن أن العارف بتاريخ الفن الدارس لأصوله يذكر جيداً أن المشيدات التى أنشئت فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، سواء أكان ذلك فى منطقة كمبانيا أم فى روما ، وسواء فيما يتجلى على البناء المقدس للآلهة « بانتيون أجريبا[1] » Pantheon of Agrippa أو بناء مسرح بومبيوس[2] Theatre of Pompeyus أو قصر نيرو الذهبى Nero Golden Palace كلها تدل على أنه لا مفر من الاعتراف بوجود أثر الفن الاسكندرى فيها .

ظهرت بعد هذه المرحلة صور رائعة هى تلك التى رسمت على أغطية توابيت الموتى ، والتى قصد بهـا الاستعاضة عن الأقنعة الذهبيـة التى كان المصريون الأقدمون يعملونها على الأغطية لتمثيل وجه الميت .

وكان ظهور هذه الصـور تدريجياً ونادراً ومرتبطاً بنتائج الحفريات التى عملت

(١) راجع Huelsen, in Mitteilungen des Archaeologischen Institutes 1893.

(٢) مبنى أقيم في روما (يعرف الآن بكنيسة سانتا ماريا روتوندا) أكمل أجريبا بناءه سنة ٢٧ ق.م ، وقد دفن فيه رفاييل وأنيبال كراتشى وفيكتور إيمانويل الثانى ، وقد ثبت أن هذا المبنى لايتصل بحمامات أجريبا كما كان مظنونا قبلا .

في الفيوم(1) منذ سنة ١٨٨٨ ولكنه على جانب من الكثرة التي تسمح بالدرس والتأريخ .

وقد اخترنا ثلاثاً منها تعطى فكرة صحيحة عن قوة التصوير ودرجة إتقانه ، فبالنظر إليها نلاحظ جمال الملامح وحسن التعبير ونبل الإخراج ، إلى جانب ما يبدو على الوجه ويشع من العينين من تأثر نفساني عجيب .

وكان تصويرها بالألوان على خشب الجميز أو اللبخ على ما نظن وكذلك على قماش التيل — وكانت توضع على التابوت أو تثبت في غطائه مكان الرأس

وكانت الألوان معدنية مخلوطة بالشمع أو بصفار البيض أو بالغراء وأحياناً بهما معاً ، يرسم بها (ماعدا ما كانت بالشمع) على سطح مدهون بالجبس أو الطباشير .

ويتضح من الكتابات التي نقشت على لوحات صغيرة ووضعت مع التوابيت أو في داخلها أو التي كتبت على بطاقات صغيرة من الخشب وثبتت إلى جانب العنق Mumies-eticette أن أصحاب هذه الصور كانوا من الأغريق ، وبالرغم من هذا فإنه لا يمكننا الارتكان إلى ذلك لمجرد علمنا بأنه حتى ولو كان الأغريق قد تعودوا عادات المصريين في طريقة التحنيط والدفن الخ ، في القرن الثاني قبل الميلاد ، فإنه يبعد كثيراً أن يكون أصحاب هذه الصور من الأغريق لاختلاف ملامحهم ولون شعرهم وتجعده ولون العيون فضلاً عن المجموع التكويني للرأس . وقد تكون هذه الصور بالرغم مما كتب عليها غير معاصرة للبطالسة .

ومهما يكن من شيء فإن عصر الفن الإسكندري مع قصره كان شاملاً لمدينة الأسكندريه بمكتبتها ومنارتها ، وشاملاً لآيات من الفن لم يبق منها إلا القليل الذي مع قلته دل دلالة صريحه على أن الفن المصري في تلك المرحلة ، وإن كان قد سار في اتجاه يلائم العصر الذي وجد فيه ؛ إلا أنه أثر في غيره أكثر مما تأثر هو بالغير .

أحمد مرسي

---

(١) كانت الفيوم في التاريخ المصري القديم أرضا غير زراعية ، عمل الفراعنة منذ الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق . م) على تخصيبها وتعميرها وذلك بمد القنوات النيلية إليها وبناء مساكن لاتؤثر فيها مياه تلك القنوات . وقد وجدت قناة نيلية طبيعية على بعد ٢٢٠ كيلو مترا جنوب بني سويف كانت مياهها تنصرف في الصحراء الغربية فعمل المصريون على تحويل مجراها ومدوه حتى وصل إلى الفيوم بالقناة الحالية المسماة بحر يوسف ، ولا تزال بعض آثار السدود التي أقاموها بقصد حجز المياه ورفعها للتمكن من ري الأراضي المرتفعة نسبيا ، موجودة للآن ، وبهذا أمكن تحويل مجرى المياه إلى الفيوم وتصريفها في أرضها فنشأت عن ذلك الخصوبة التدريجية .

وكانت نتيجة وصول المياه إلى تلك المنطقة أن تجمع الزائد على الحاجة منها في جزء منخفض فتكونت بحيرة موريس كما سماها الأغريق (بالمصرى القديم M-weret) . وأمكن باستخدام السدود والخزانات ري الفيوم وما يجاورها ، ونشأ عن ذلك تكوين بحيرة قارون الحالية . وقد سمى أقباط مصر هذه البحيرة « فيوم » Pheom ، وهكذا ظل الاسم حتى الآن

وعلى الساحل الشرقي لبحيرة موريس وجد قصر لابيرنت Labyrinth كما وجد أهرام أمنمحت الثالث (٢٣٠٠ ق . م) وبالقرب منه كانت العاصمة التي سميت في عصر الأغريق كروكو ديلوبوليس نسبة إلى التمساح وبعدها سميت أرسينو Arsinoe . وقد عثر المنقبون في القرن التاسع عشر على كثير من المخطوطات القيمة في تلك الأماكن .

ومدينة الفيوم الحالية تقع في شمال هذه المنطقة ، حيث يوجد جامع بأعمدة أثرية قديمة .

ويمكن للتوسع في هذا الشأن وفي أغطية الموميات المصرية في عصر البطالسة مراجعة :

(1) The Fayum and Lake Moeris, London 1892

(2) Grenfel and Hunt, Fayum towns and their papiri. London 1900

أما لابيرنت فهي تلك المباني التي أقيمت على سطح الأرض وفي باطنها ، وكما ذكر هيرودوت (٢ — ١٤٨) وسترابو (١٧ — ٨١١) كان مجموع الغرف ثلاثة آلاف كلها من الحجر ، وإذا اجتمعت كل معابد الأغريق في مساحة واحدة تتضاءل أمام مساحة هذه المباني ، كما قررا أنها كانت أجل من الأهرام وظلت قائمة حتى خربها الرومان فلم يبق منها إلا الأحجار التي أزيلت بمرور القرون والأعوام وأقيمت مكانها المقابر ، وقد أجرى السير فلندرز بيتري العالم الأثري المعروف أعمال الحفر وعثر على مجموعة رائعة من الصور وغيرها .

راجع : Edwards, Pharaohs, Fellahs. p. 95

المرأة اليونانية القديمة والتعليم العالى

للآنسة زينب الحكيم

التاريخ سجل يطوى فيه أسرار الأجيال . قلبت بين صفحاته عن بعض حالات المرأة اليونانية الغابرة ، فوجدت كل معجب مدهش ...

وفى الحق ليس من المستغرب أبداً أن وجدت سيدات من الدرجة الأولى فى المواهب العقلية بين ناس امتازوا بالثقافة العالية كاليونانيين

وسافو Sapho الشاعرة اليونانية مثال من الأمثلة الخالدة لهؤلاء السيدات . لقد كانت ذات سطوة قوية على بنات جيلها ، وظهر نتاج مجهوداتها الموفقة بين تلميذاتها الكثيرات، واشتركت السيدات برغبة فى درس الشعر ونظمه . وشجعهن على الاستزادة من ذلك مناصرة عدد كبير لهن من مشاهير الرجال الغيورين على ترقية المرأة ، فاستحسنوا أن تتعلم تعلياً عالياً وساعدوها على المطالبة بذلك بكل ما أوتوا من قوة

من هـذا نرى أنه منذ العصور المبكرة نودى بتعليم المرأة وبالمساواة بينها وبين الرجل فى اليونان

فنى القرن السابع قبل الميلاد ، تشبث كليوبليس Cleobulus — وكان أحد حكماء اليونان السبعة — بأن ينال النساء التمرن العقلى الذى يناله الرجال ، وأوضح مبدأه بتعليم ابنتـه كليوبلين Cleobuline التى صارت شاعرة ذات شهرة واسعة فيما بعد

وبيثجوراس Pythagoras الذى احتفل بإعلان مذهبـه الفلسفى فى القرن السادس بجنوب إيطاليا ، أشار بوضوح إلى ضرورة المساواة بين الجنسين ، واخترع خطة لتعليم النساء ، كان من شأنها أن جعلتهن منتجات فيما يتصل بتدبير المنزل ، كما جعلتهن ممتازات فى الثقافة الفلسفية والأدبية

وأشار أفلاطون بضرورة تعليم المرأة على قدم المساواة مع الرجل ، وسمح بقبول النساء لسماع المحاضرات الجامعية

وفى أيام الاسكندر شجع تحرير المرأة بشكل قوى ، ومن ذلك الحين نرى أن النساء اشتركن فى دراسة جميع الفروع العلمية دراسة عملية

وفى الإسكندريه خاصة ، تعلمت بنات الأساتذة العلماء ، تعليما عالياً ، فواصلن دراسة الفلسفة واللغة ، وعلم الآثار القديمة ، وقد اشتهر منهن كثيرات

وفى الفترة اليونانية الرومانية ، نادى بلوتارخ بتعليم النساء ، وقد انتشر التعليم بينهن فى أيامه إلى حدّ بعيد محمود

وأسباسيا « Aspasia » وضعت (موضعة) تعلم علم البيان والفلسفة ، كعمل تظهر به المرأة فى المجتمع الأثينى ، وأصبح الانتماء إلى جماعة نصيرات التعليم العالى بدعة سارية ، حتى أن كثيرات من نساء الطبقات الراقية (الشريفة) شغلن أوقات فراغهن بقراءة الفلسفة والشعر ، وحصلن على نوع من التعليم ، وإن لم يكن شعبياً ؛ فقد كان خصوصياً من محاضرين فنيين

ميول النساء فى ذلك العهد

ظل الكثيرون يعتقدون أن الشعر كان المجال الطبيعى للمرأة ؛ يضاف إلى ذلك الفلسفة فى الدرجة الثانية ، إذ صارت الفلسفة الحرفة العامة التى أجدن تعلمها حينئذ . ولـكن لعله لا يغيب عن ذهن القارئ والقارئة ، وصف مدرسـة سافو الشاعرة فى جزيرة Lesbian الجميلة التى أوى إليها الهيلينيات لدراسة الشعر والفن

إن جمال جزائر لسبونى الطبيعى ، وحياة الطبقة الأرستقراطية المترفة ، وتوقد ذكاء وحذق سافو نفسها ، وحبها الخالص لصديقاتها

الفتيات من بنات جيلها ، كانت كلها مؤثرات قوية محبوبة فعالة لأهل زمانها

ليس من المستغرب إذن أن أكتسبت النساء حب الشعر وأولعن به ، كما طبعن على الجاذبية لكل شيء جميل فى الطبيعة فى تلك البيئة ؛ كما اكتسبن من مخالطتهن لفنانة مطبوعة ، ومعلمة ماهرة مثل سافو أعلى الصفات

(سافو) تمثال رخامى بفيللا ألبانى فى روما
القرن الخامس قبل الميلاد — من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»

حتى لقد قيل : إنه وجدت ست وسبعين شاعرة من بين نساء اليونان القديمة ، غير أنه لسوء الحظ لم يحتفظ لنا سجل التاريخ إلا بأسماء قليلات منهن ، بلغ عددهن تسع شاعرات ؛ لقبن بآلهة الشعر الأرضيات

عندما اتسع المجال أكثر أمام المرأة فى عهد البطولة Heroic Age مهرت النساء فى استعمال النباتات فى فنون السحر ، وفى تطبيب الجروح . وعندما أصبح الطب علماً ، اشتغلت النساء بفنون منه. وظهر اختلاف أمزجتهن واستعداداتهن وميولهن الطبيعية ، فنهن من اشتغلت بالعلوم الطبيعية ، وعلم البيان والتاريخ واللغة ، وأحبت كثيرات علم النقد ، وانتشر بين بنات العلماء

ومن هذا يتضح فساد زعم من ظنوا أن مجال المرأة الطبيعى كان الشعر فحسب . ولعلنا نطمئن إلى هذا الحكم الذى يؤيده علم النفس المقنن فى القرن العشرين

بنات الشاعرات

شاعرات اليونان اللائى سبقت الإشارة إليهن وشبيهاتهن ، كونّ نهضة مباركة من بناتهن اللاتى ورثنهن الميول القوية للفنون والآداب ؛ فكان منهن الموسيقيات ، والمصورات ، والشاعرات ، والفيلسوفات

والتاريخ وإن لم يدلنا على أنه وجد من بينهن ناحتات للتماثيل أو مكونات لها ، يذكر الفضل فى اختراع هذا الفن إلى فتاة من كرنثيا Corinthia

والأثر إن صح يروي الآتى :

كانت الفتاة كورا Cora ابنة بوتادس Butades على وشك أن تودع حبيبها ، وربما كان الوداع الأخير ، لأنه كان معتزماً القيام برحلة طويلة . واتفق أن خياله انعكس على الحائط ، إذ كان الوقت ليلاً ويضيء المكان مصباح . فخطر للفتاة أن تحتفظ ولو بهذه الذكرى من حبيبها ، فرسمت محيط خياله فى حياء . فلما رأى والدها ذلك العمل ، دفعته غريزته الفنية إلى أن يملأه لها بالصلصال ؛ فكون تمثالاً لحبيبها ، كان ناجحاً بعد حرقه فى النار

المصورات

كانت لالاً Lalla من نساء مدينة سيزكس Cyzicus من أقدر المصورات بالألوان ، وكان من أخص صفاتها السرعة فى العمل (مثل الملكة فكتوريا) . ومع ذلك لم يُنقص ذلك

شيئاً من مزايا نتاجها ، واعتبرت أول مصورة فى وقتها حذقت الرسم بالألوان وعلى العاج . وكل ما لونته من الرسوم كان صوراً لسيدات

وأخبرنا بلينى Pliny أنها صورت نفسها فى المرآة وهى عجوز ، وقد عرضت هذه الصورة فى معرض نابلى

وعثر على صورة أخرى لها فى بمباى ، وتمثل فتاة تجلس على مقعد يقرب من الأرض وتنظر إلى تمثال ، وفى يدها اليمنى ريشتها ممتدة إلى صندوق ألوانها وفى يسراها لوح للتصوير . وثيابها منسدلة بأناقة حولها . ويحيط شعرها المتموج رباط لطيف يتدلى حول رقبتها وأكتافها ، ويظهر على محياها مسحة تفكير وعلم تضئ أسارير وجهها الرقيق . فإذا صح أن هذه تمثل صورة « لالا » فإنها لا بد كانت جميلة فاضلة

الفيلسوفات

نبغت كثيرات من بنات اليونان فى الفلسفة والحرف العقلية فى مدارس بيثجوراس «Pythagoras»

جاء فى الأثر أن تأثير بيثجوارس فى كارتون «Karton» كان عظيما جداً ، حتى أن نساء المدينة أحضرن ملابسهن الثمينة وحليهن من عقود وأساور ، إلى هيكل هيرا Hera وأودعنها كمنحة للفضيلة العائلية . وآلين على أنفسهن منذ تلك الساعة أن يكون الحزم والحشمة رائديهن ، ولن تكون الثياب الثمينة بعد الآن ما يتحلى به جنسهن ، مستعيضات عن ذلك بالعلوم العالية والثقافة.

لعمرى لقد كان قسما شريفا ومقصدا ساميا صنعت به المرأة اللبنة الأولى فى بنـاء الإنسانية الحق . وهل من شك فى أن العامل الأول فى أى نهضة يتوقف على المرأة ؟ إذن عليها أن تبادر بوضع بذور كل نهضة لتأخذ بيد الإنسانية مسرعة .

إن آثار النساء اللاتى تشربن مبادىء بيثجوارس تمتعن بسمعة يغبطن عليها فى العالم اليونانى كله ، حيث كانت نتائج تعاليمه بالنسبة لهن ، مبادىء سامية لأخلاق المرأة ، وعناية تامة بواجبات الأسرة ، والنهوض بوسائل المعيشة الصحيحة فى الحياة ولاسيما تربية الأطفال ، مما لا يزال بعض آثاره باقياً إلى الآن .

وقد كان شعارهن «Saphrosyne» وهو تعبير يعنى الاعتدال والاعتداد بالنفس والحياء ، والفضيلة الزوجية ، وبالاختصار : كل ما هو جدير بأن تكون عليه المرأة . وفيما يلى مثال مما يشير إليه ما ذكر :

زوج بيثجوراس

النساء اللاتى نشأن على مبادئ بيثجوراس على ما امتزن به من تلك الصفات العالية والقوى الإنسانية التى هيأن بها حياة ناجحة ، لم تضارع إحداهن « Theano » ثيانو ذات العقل الراجح زوج بيثجوراس فلقد مزجت الفضيلة بالحكمة مزجاً متناسقاً ، بحيث مثلتها الآثار لها لا كأول امرأة ممتازة فحسب ، بل مثلتها كالنموذج الأول لنشأة المرأة الذكية الصحيحة أيضاً

نعرف عن حياة « ثيانو » بعض حوادث أخلاقية فقط ، وهذا يجعلنا ننفذ إلى حقيقة أخلاقها . وأهمها الأقوال المأثورة التى قالتها فى مناسبات خاصة :

سئلت مرة عما تتمنى أن تتميز به ؟ أجابت ببيت من شعر هومر تمثلت به : « اكترائى بالمغزل ، واعتنائى بفراش زواجى »

وسئلت مرة أخرى : ما الذى تسأل عنه الزوجة ؟

أجابت : أن تعيش خالصة لزوجها

وسئلت أيضاً: ما هو الحب ؟ قالت: الحب هو غرام النفس الوالهة

حدث مرة أنها ألقت رداءها وظهرت ذراعها ، فرآها رجل ودهش من جمال تكوينها، فقال: ما أجملها من ذراع! فقالت: ليست لنظرات العامة ، وأسرعت بتغطيتها.

وقد استعار هذه الملاحظة بلوتارخ ، وغيره من رجال الدين من بينهم كليمنت بالإسكندرية ، كما استعارته المؤلفـة البيزنطية أنـا Anna ، وقد كانت ثيانو شاعرة وكاتبة ناثرة ، وقد عثر على قليل من أعمالها الفلسفية والدينية يستدل منها على مقدار نمو مواهبها فى التعليل ، وفى مناقشة مسائل تربية الأطفال ، ومعاملة الخدم ، وكبت الحسد والعواطف الجامحة ، كل ذلك بأسلوب مؤثر حساس لطيف

ولقد كانت أمينة إلى أقصى حد ، فى نشر مبادئ وتعاليم زوجها كمعلمة وكاتبة ، أما موتها وظروفه فغير معروف

هذه صفحة من صفحات المرأة اليونانية النابرة ، فلعمرى هل يكون نتاج أختهـا اليونانية الحديثة ، يونانية عصر النور والراديو، والحديد والنار ، أشبه بنتاجها أو أرقى منه؟ هذا ما نرجوه

زينب الحكيم

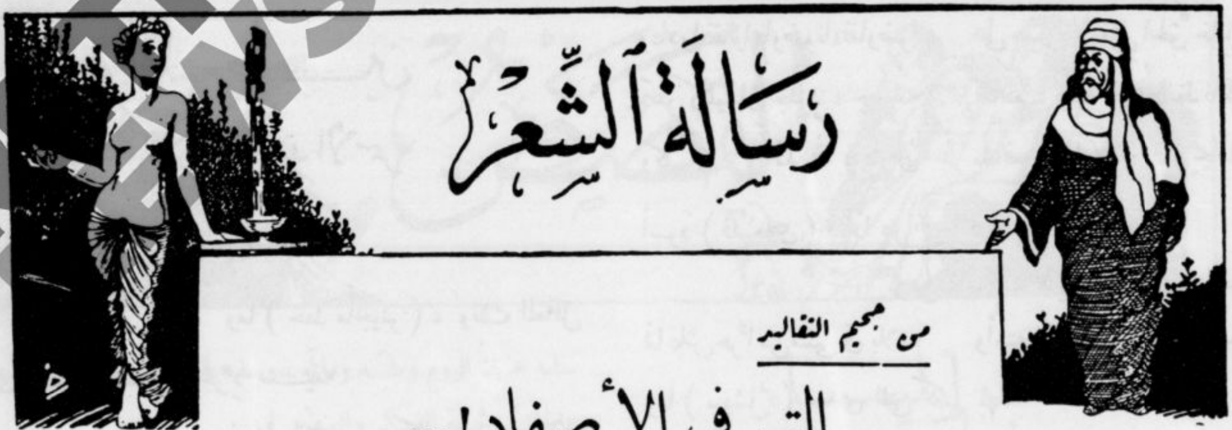

التي في الأصفاد !...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

«إلى ملهمتي .. في قيود الرجعية القاتمة التي لا تدين بشرعة الحب العليا وتنكر على الهوى أزلية أنواره في قلوب العشاق ! »

يا قُدسها ! هلّتْ كوحي الإلهْ   على نبيٍّ أسكرته الصلاهْ !
على جَناني وهو غِرُّ الصِّبا   أذهل دُنياهُ ضباب الحياهْ
على صباحي وهو طفلُ السَّنا   مِنْ وحشة الأيام يبكي ضُحاه
حيرانَ . لا أيكٌ ، ولا زهرةٌ   ولا خميلٌ يتحسَّى شذاهْ
ولا مُنًى تُشرِقُ فيهِ ، ولا   شعاعُ أحلامٍ يُناجي سَناهْ
حفيفُ قُبلاتِ الهوى عندهُ   لمْ يدرِ حتّى في الليالي رُؤاه
ولذّةُ النجوى وأسمارُها   لغوُ الأحاديثِ ، ولهوُ الشفاه
كنتُ فناءً في ديارِ البِلى   خاصَمهُ البعثُ فألقى عصاه
كنتُ بُكاءً سرمَديَّ الأسى   أجفانُهُ لمْ تدرِ ماذا شجاه
كنتُ أنيناً في حشا طائرٍ   شلّتْ أغانيهِ أكُفُّ الرُّماه
كُنتُ حنيناً غامضاً ، في دمي   شِعرٌ . ولكنْ أينَ منّي لُغاه ؟
كُنتُ وما كنتُ ولكنْ هوًى   ظمآنُ ، لم تروِ الليالي صداه
ظمآنُ ! لا خِلٌّ ، ولا صاحبٌ   إلّا شقاءٌ سابقتني خطاه
حتّى أهلّتْ فتنتي ، مثلما   حيّا الندى زنبقةً في فلاهْ
ألقتْ على روحي شعاعَ المُنى   والسحرَ والشعرَ ، وخمرَ الحياه
عذراءُ لا مِنْ أبُها آدمٌ ..   نِسبتُها في الكونِ فنُّ الإلهْ !
وجهٌ .. حرامٌ يا فمي وصفُهُ !   ما كان خلفَ السترِ إلّا صلاه
صوامعُ الرهبانِ ألقتْ لهُ   سِرَّ القرابينِ ، وتابَ العُصاه

لهُ هدوءُ النبعِ في واحةٍ   سجواءَ لفّ الطيرَ فيها كَراه
ما نورةُ الفولِ ؟ وما طيبُها   إنْ شعشعتْ عطرَ الهوى صفحتاه
وما لها « بابلُ » مشدوهةً   «هاروتُ» ينعاها لنارِ الرُّقاهْ ؟
حُوريّتي مرّتْ بها أمْ رنتْ   منها إلى السحرِ عيونٌ سواهْ ؟
اللهُ لي . . . يا ثغرَها رحمةً   فالكرمُ أطيافٌ لتلكَ الشفاهْ
صوتُكِ لحنٌ عبقريُّ الصدى   أفنى ولا يفنى بسمعي صداهْ
إنّي من الطينِ ... فطهّرْ فمي   كيما يُناغيكِ بدنيا هواهْ
وينقُلُ التسبيحَ عنْ خافقٍ   ألحانُهُ تُعجِزُ جنَّ الرُّواهْ !
مَنْ لفّ هذا الحُسنَ عنْ عبدِهِ ؟   ومَنْ بهذي الأرضِ عنّي زواهْ ؟
قومُكِ يا آميرتي ! ما زكا   عنّي لديهمْ في العُلا أيُّ جاهْ
جدّي «فرعونُ» لدى كِبرِهِ   كمْ أطرقتْ دنيا وخرّتْ جِباهْ !
والفنُّ زادي وعفافُ الهوى   أقدسُ ما حمّلَ يوماً سُراهْ (1)
هذا الرخيمُ الشدوِ في أنمُلي   نأىٰ يروعُ الدهرَ ضافي صباهْ
مالي يدٌ في سحرِهِ .. فاسألي   فسِرُّهُ العالي بعيدٌ مداهْ
مِنْ وحيكِ انهلّتْ أساكيبُهُ   ومِنْ هواكِ المُعذِّبِ أشجى بُكاهْ
إمّا ترنّحتِ بإعجازِهِ   آلهةُ «الأولمب» خرّوا جُناهْ

(1) جمع السارى

فلسطين

للأستاذ محمد الأسمر

سلوا الأرض ما تلكَ القنا والقنابلُ
وما (خط ماجينو) ، وتلك المعاقل
أرى عصرَنا عصرَ المجرَّدِ سيفه
فسلْ بالظُّبي عن كل ما أنت سائل

تبينتُ أنَّ الحق إن لم تُتح لهُ ... بواسلُ يخشى ظلمها فهو باطل
لعمرك لو أغنى عن الحق أنه ... هو الحقُّ ما قام الرسول يقاتل
ولم يلق عيسى وهو يدعو لربه ... من الناس ماساقت إليه الأراذل
فلا تحسبنَّ الحق ينهض وحده ... إذا ملتَ عنهُ فهو لا شك مائل
أقمْهُ ، وأسنده ، ودعِّم بناءه ... وذُدْ عنه ذود الليث والليث صائل
ولا تُسندنَّ الحقَّ بالقول وحدَه ... فإنَّ عمادَ الحق ما أنت فاعل
من العقل ألا يطلبَ الحقَّ عاجزٌ
فليس على وجـــه البسيطة عادل
ولكن قويٌّ يشربُ الدمَ سائغاً ... إذا نضبت يومَ الورود المناهل

أسودَ (فلسطينٍ) تحيةَ شاعرٍ ... وكلٌّ (فلسطين) أسودٌ بواسل
حللتمْ على الوادى المبارك ، أهلَه ... فأنَّى نزلتم ، فالقلوب منازل
ذهبتمْ إلى المنفى كواكب أمةٍ ... وعدتمْ كما عادتْ بدور كوامل
همُ أغمدوكم فى السجون مناصلاً ... فما أنتمُ عدتمْ وأنتم مناصِل
خرجتم يواقيتَ السجون وعدتمُ ... يواقيت هولٍ بأسُه متواصل
وما أنتمُ إلا سيوفُ ملاحمٍ ... وما حادثاتُ الدهر إلا صياقل
لقـــد جادلوكم بالسيوف لياليًا
طوالاً ، وكان القولُ بالسيف قائل
وعادوا فقالوا فاوضونا ، ففاوضوا ... على حذر ، لا يختلِ الحقَّ خاتِلُ
دَعَوْكم لميدانٍ جديدٍ ، جيوشه ... كلامٌ ، وفيه اللفظُ للفظ قاتلُ
وكلكم ، والحمد لله ، فارسٌ ... يدافع عن أوطانه ، أو يجادلُ

أسودَ (فلسطين) ذيادًا عن الحمى
وعن غابكم ، لا يدخل الغابَ داخل
فما عاش حرًا من مشى فى بلاده ... وأمته قد طوقتها السلاسل
وما (سيشلُ) عندى التى كنتم بها
ولكنّما دارُ الأذلاء (سيشل)

محمد الأسمر

ماذا ؟ ! وأهلوكِ عَلَى غفلةٍ ... مَرُّوا بوادِى الحُبِّ صُمًّا قُساهْ
لم يَسْمَعُوا النَّجْوَى .. ولم يرحَمُوا ... فِي حُسْنِكِ المَعْبُودِ نارَ الشكاهْ
غَنَّتْ لكِ الأصْفادُ شِعْرَ الأسَى ... والعَابِدُ النَّائى يُغَنِّى لظاهْ !
... ...

محمود حسن اسماعيل

قصائد فى أبيـــات

للأستاذ محمود غنيم

ديك الصباح

قلت للديك ســاعة صاحا ... هل تغنى لنا نشيد الصباح
قال : لا ، بل نعيت يوماً راحا ... ومحاه من صفحة العمر ماح

الذئب

قلت للذئب أنت وحش ضارِ ... قال أظفاركم شأت أظفارى
أفمار أن يقنص الذئب سخلا ... واقتناص البعير ليس بعار
أفزع المرء كلَّ شاء وأبْلٍ ... وأخاف الطيور فى الأوكار
استغاث العقاب فى الجو منه ... واتقى النون شره فى البحار
ولخير الشـــاة ناب وظفر ... من شفار المدى وشىِّ النار

« مدرسة الأورمان »

محمود غنيم

دوحـــة الفرصاد (١)

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

ولقد مررتُ بدوحة الفرصادِ ... فشهدتُ مافعل الزمان العادى
جفت نضارتُها . وصُوح نبتها ... وتناثرت أوراقها فى الوادى

---

(١) شجرة التوت الأحمر : وهي شجرة لها فى قلب الشاعر ذكريات حلوة حركته إلى نظم هذه الأبيات

راهب إيليـــاء

للأستاذ محمد سعيد العريان

على حدود الصحراء صوامع وبِيَع ، وكنائس وأديار ؛ فيها قساوسة ورهبان نذروا أنفسهم لله أو نصبوا حبائلهم للمال ؛ منهم برٌّ وفاجر ، وناسك وداعر ؛ وحواريٌّ من بقية السلف المؤمنين خاشع فى محرابه ، عاكفٌ على أسفاره ، يترقب مَشرق الصبح بنفس راضية وقلب عامر ؛ وآخرُ شيطانٌ فى مسوح راهب ، قد استمرأ المرعى فى ظل البطالة ، واستوطأ المقام فى كنف الراحة ، واستلذّ الحياة فى الدَّير بين خمرٍ عتيق وقدٍّ رشيق وعودٍ وندامى !

وعلى ساحل البحر قلاع وحصون ، وصياص ومعاقل ، وجند من جند الروم قد رابطتْ على أهبة واستكملت السلاح والعدة !

وبين الصحراء والبحر من بلاد الشام يعيش شعب مهزوء ، سلبه غزاةُ الروم وطنَه ومالَه ، وسلبه الرهبان والقساوسة الدينَ والخلقَ وحرية الفكر والضمير !

وكانت قوافل التجار لا تنقطع بين الحجاز والشام

* * *

وكان يوماً قائظاً حين وفدت على الشام قافلة من التجار العرب ، فأناخت جمالها على حدود الصحراء فى ظل جدار قائم ، تستجمّ لما بقى من الرحلة ، وتنفض عن كواهلها غبار السفر الطويل فى صحراء ليس فيها ظلٌّ ولا مأوى ! وكان بينهم عمر !

فتى آدمُ طوَالٌ أصلعُ أقنى الأنف قويُّ الساعد بعيدُ ما بين المنكبين ؛ فى عينيه بريق ينبئ عن عزم وفتوة ، وله نظرةُ الآمِر المطاع بين رفاقه وإن لم يبلغ العشرين بعدُ ، وفيهم الكهول والأشياخ !

وبلغت القافلة حظها من الراحة فنهضت تستأنف المسير ، فما كادت تمضى فى طريقها خطوات حتى اعترضها واحد من الرهبان!

ووقف الراهب يتفرس فى وجوه القوم برهة قبل أن يخطو إلى عمر فيضع يده على كاهله يختاره لما يريد من أمر !

وأيقن الركب أن لا قدرة لهم على عصيان الراهب فيما يريد ، فخلفوا الفتى بين يديه ومضوا على وجوههم ...

ولم يستطع عمر خلاصاً من يد الراهب ، ولم يعرف لأى أمر يريده، فانقاد له . وبلغا الدير فدخل الراهب ودخل عمر ...

وكان فى الحوش كومة من تراب ، وإلى جانبها مجرفة ومكتل ؛ فتقدم الراهب إلى عمر يأمره : « يا فتى ! هذا التراب تحمله من هنا إلى هناك ... يجب أن تفرغ منه قبل أن أعود إليك ... ! »

ثكلتْك أمك يا عمر ! ألهذا كانت رحلتك الطويلة فى البادية الظمآنة من الحجاز إلى حدود الشام أياماً وأسابيع ؟

وجلس الفتى يتحدث إلى نفسه مغيظاً محنقاً ، لا يجد من

فبكيتها ، لا بل بكيتُ صبابتى ... ورثيتها ، لا بل رثيتُ فؤادى
يا دوحةَ الفرصاد غيرك البلى ... وجرت عليك روائح وغوادى
أشبهتِ أعوادى التى نثر الأسى ... أوراقها ، واهًا على أعوادى
قد كنتِ مثلى فى الربيع غضيرةً ... أيامَ أوراق المنى أبرادى
فغدوتِ عارية فلا ثمرٌ ولا ... ورق عليكِ ولا حَمام شادى
أشبهتنى حتى بكيتُ وإنما ... يدرى جوى الصديان قلب الصادى
يا قلب ليتك فى النعيم وفى الأسى ... أبدَ الزمان كدوحة الفرصاد
فلقد يعود مع الربيع شبابها ... لكنْ شبابُ العمر غير معاد

عبد الحميد السنوسى

كبريائه سبيلاً إلى الطاعة ولا طريقاً إلى الخلاص . ومضت ساعة وعاد الراهب مخموراً يتهالك من نشوته ، وإن عليه لثوباً رقيقاً من حرير يشفّ ويَصف ، ويفوح من أردانه عطر مُسكر !

ونظر الراهب إلى كومة التراب ما تزال في موضعها حيث كانت ، وإلى جانبها المكتل والمجرفة ، وإلى عمر مايزال في موضعه واقفاً يتفكر ...

ودنا منه الراهب وفي عينيه الغضب ، فلطمه لطمة أليمة وهو يسبّ ويتوعّد ... !

هواناً لك يا عمر إن لم تأخذ بحقك ثأراً كما يثأر البدويُّ لعرضه المنتهك !

وهاجت كبرياء عمر فتناول المجرفة من قريب فأهوى بها على رأس الراهب فخرّ صريعاً لوقته لم ينبس بكلمة !

« لك ما أردتَ لنفسك ... ! » :

قالها الفتى العربي وهو يجمع عزيمته في رجليه فيقفز على سور الدير إلى الطريق لا يعرف أين ينتهي ولا أين يدركه الطلب !

ومضى على وجهه في المفازة الشاسعة عدْواً كالظليم لا يقف في طريقه شيء من حفرة أو صخرة أو تلّ معترض ، حتى انتهى إلى جدار قائم فأوى إلى ظله حتى تفيء إليه نفسه ...

وأطلّ رأسٌ من نافذة ينظر . . . ثم انفتح باب الدير الذي أوى إلى جداره عمر ؛ وخرج إليه راهب يسأله عن خبره ... !

« من تكون يا فتى ؟ وما جاء بك ؟ »

واستمع عمر إلى الصوت الذي يناديه فرفع رأسه ينظر ؛ فإذا قسٌّ ناحل سقيم الجسد غارق في مسح أسود ، وعلى جبينه إشراق ونور وفي عينيه تواضع ورحمة .

أجابه عمر في صوت يختلج : « سيدي ! عابر سبيل أضلَّ أصحابه فأوى إلى ظلك ساعة يستريح ! »

سمع الراهب لحديث عمر ثم قال مبتسماً : « أحسبك لم تصدقني يا فتى ؛ فإن في عينيك بريقاً ينبئ أنك هارب مذعور ! »

ازدرد الفتى ريقه، واستطرد الراهب : « لا عليك؛ إن عندي مأوى صالحاً وطعاماً ! »

وقاده من يده إلى الدير وأغلق الباب وراءه ... ... !

***

جلس عمر إلى مائدة شهية فأكل وشرب ؛ والراهب بإزائه يحدق فيه لا يكاد يطرف جفنه ، وبينه وبين نفسه حديث طويل .

فلما فرغ من طعامه جلس إليه يتبادلان الحديث ، حتى أنس عمر وثابت نفسه ، وصمت الراهب برهة ثم عاد ينظر في وجه الفتى وهو يقول : « أئنك لأنت ... ؟ »

وطارت نفس عمر ، وتوزّعته الظنون ، واستمر الراهب في حديثه : « . . . ألا إنه ليس في هذا البلد من هو أعلم مني بعلم أهل الكتاب ؛ فإني لأكاد أوقن أنك الشخص الذي أعني : ستدول دولة الروم في الشام على يدي فتى مثلك ؛ ويخفق عليها لواء دين جديد ! »

لم يفهم عمر كلمة مما قال الراهب ، ولكنه استمر يستمع له مدهوشاً ذاهلاً ، وفجأة سأله الراهب : « ما اسمك يافتى ؟ »

قال : « ... عمر بن الخطاب ، من بني عديّ ! »

وهب الراهب واقفا وهو يقول : « والله ما خدعتني فراستي . إنك لأنت هو ؛ فهل تعاهدني ... ؟ »

ثم أتى بقرطاس وقلم فدفعهما إلى عمر قائلا : « اكتب ... اكتب أنني جارٌ لك ، لا عدوان عليّ في مالي ولا في نفسي يوم يئول أمرها إليك ... ! »

وفغر الفتى فاه دهشة لما يرى وما يسمع ؛ ثم توجه إلى الراهب يقول : « سيدي ، لقد أكرمتني وألطفتني ما لا مزيد عليه ، فلا تسخر مني بعد ! »

قال الراهب : « أظننت ؟ لعمر الحق ما عنيتها ، ولا عليك من شيء أن تكتب ؛ فإن كان الذي أتوقع فقد فعلت ، وإلا فلن يضيرك مما تكتب شيء ! »

وتناول عمر القلم فكتب ما أملى عليه الراهب ثم دفع إليه الكتاب ...

***

وعاد الفتى إلى أهله ، يعيش عيش المترفين من فتيان العرب ، لا يعنيه من أمرٍ شيء ، إلا ما يعني غيره من شباب مكة من المنافرة والمفاخرة وانتهاز سوانح اللذات !

ومضت سنوات ، ونسي الفتى ما كان من أمره في الشام !

وبعث الله محمداً نبياً يدعو إلى الحق وإلى سبيل الرشاد ؛ فآمن من آمن ، وأنكر دعوته من أنكر ؛ وكان عمر أشد أعداء محمد حرباً عليه وعلى صحابته ، فما أمكنته الفرصة مرة برجل من أصحاب

محمد إلا ناله بما يكره من الأذى والمهانة !

ومضت ست سنين منذ بعث الله محمداً بالحق قبل أن يسلم عمر بن الخطاب !

وراحت جنود الإسلام تغزو الشرك فى دياره ، فما وطئتْ بلداً إلا أعلت كلمة الله ورفعت راية الإسلام . ومضى المسلمون فى جهادهم يفتحون الأمصار ونورهم يسعى بين أيديهم ؛ فما انتقل محمد إلى ربه حتى دانت الجزيرة العربية كلها وغمرها نور الإسلام

وتولى عمر إمارة المسلمين وجنودُ الإسلام يومئذ على حدود الشام ؛ فمضى قُوّادُه إلى غايتهم يبشرون بالدين ، حتى تم فتح الشام على أيدى أبطاله : خالد ، وأبى عبيدة ، وعمرو ، ويزيد بن أبى سفيان . وخلصت بلاد العرب من أبناء غسان — من عسف الروم وبطش الرّهابين ، لتعود جزءاً من الدولة العربية المسلمة التى يقوم على شئونها عمر !

وتخفف أهل الشام من أثقال الحكم الغابر ليعودوا إخواناً متحابين ليس لأحد على أحد يد ولا منة ؛ وانزوى الرهبان فى أديارهم لا يربطهم بالجماعة رابطة إلا ما يدفعون للأمير العربى من الجزية تأميناً لأنفسهم ولما يملكون من مال اجتمع لهم على الأيام مما اغتصبوا من أفواه الجياع باسم الدين ! فأيّما رجلٍ منهم حدّثته نفسه بالعصيان والتمرُّد ، ردُّوه بأسيافهم إلى الطاعة وأجلَوْه عن صومعته ليجعلوها مسجداً من مساجد المسلمين ؛ فلهم حرية العبادة وحرية المقام ما التزموا حدودهم التى ضربها الإسلام عليهم ...

***

وتم الأمر للعرب فى بلاد الشام ، فكتب أمير الجند أبو عبيدة إلى عمر يدعوه ليعقد العهدين أهل الشام والعرب الفاتحين ويكتب لهم به . وقدم الركب الحجازى يقدمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؛ حتى أناخ رواحله فى بيت القدس . . . وجلس عمر ذات يوم بين أصحابه وقادة جنده يشرع لهم ويبادلهم الرأى والمشورة ؛ فإذا راهب مقبلٌ من بعيد إلى حيث يجلس هو وصحابته ؛ فما إن تبينه عمر مقبلاً عليه حتى عرف ؛ فارتد بفكره إلى الماضى يذكر تاريخاً بعيدا وذكرى مضى دونها بضع وعشرون سنة ؛ فأطرق برأسه متأثراً وهو يقول فى همس : « جاء مالا طاقة عليه لعمر ! » ثم رفع رأسه وفى عينيه بريق عجيب ، وقد تغشّته الذكرى وعادت به إلى ماضيه تنشره أمامه صفحة صفحة منذ كان ، وكان ، وكان...

ودنا الراهب الشيخ من مجلس الأمير فحيا ووقف وفى يده صحيفة مبسوطة ، فتناولها الأمير وجعل يقرأ :

« هذا عهد من عمر بن الخطاب إلى راهب إيلياء ؛ له ما لأصحابنا وعليه ما عليهم ، لا نظلمه ولا نخذله ، ولا نفرض عليه ما لا طاقة له به ، وله ديره وما ملك ... ! »

وهم الراهب أن يتحدث ليشرح أمره فابتدره عمر : « حسبك حسبك ؛ إن لك ذمة فى عنق كل مسلم وكل عربى ، إن لم يؤكدها هذا الصك المكتوب أكدها شرف العربىّ وخلق المسلم ! »

ثم التفت إلى عامله أبى عبيدة قائلا : « ذلك جارى ، فله عليك الأمان والذمة ، لا يعرض له أحد بسوء ولا يناله بما يكره ! »

وتلاشت آخر كلماته فى بحة راعشة ، وغامت عيناه بدموع التأثر . ثم نهض رافعاً رأسه وهو يقول فى كلمات عميقة النبر بليغة الأثر :

« حيثما يرفرف لواء الإسلام فليس ثمة إلا العدل والوفاء والرحمة . لا يعرف الفاتح العربى غطرسة الحاكم ولا جبروت المنتصر ؛ ولا شىء بين الحاكم والمحكوم إلا دين الله ووشائج الإنسانية ! »

« شبرا » محمد سعيد العريان

الفنانون المصريون

لما كنت فى جبال الدولوميث صيف السنة الماضية لقيت نفراً من مهرة الفنانين الإيطاليين . فحدثونى عن القسم المصرى لمعرض البندقية الواحد والعشرين XXe Biennale . وكان حديثهم من أعذب ما سمعت إذ أقروا أن دلائل الفن المصرى الحديث من الطراز الأول . ولما انحدرت من جبال الدولوميث إلى سهول إيطالية لم أر بداً من الذهاب إلى البندقية فوصلتها فى يوم يكاد فيه الهواء يصل إلى الرئة : حرّ أسوانى وثقل فى الجو ثم بعوض فتّاك

إن القسم المصرى فى معرض البندقية كان شيئاً عظيماً حقاً . فلم أفرغ من تأمله حتى بعثت إلى « الرسالة » بمقالة مسهبة وصفت فيهـا المعروضات وعللت تقدم الفنانين المصريين . وإذا المقالة لا تنتهى إلى « الرسالة » عفا الله عن البريد

وليعزّ علىّ أن أهمل ذلك القسم المصرى ، إلا أنى أصبحت أرى معروضاته على ضوء ضئيل أو كما يقول المصورون أنفسهم فى ضياء مظلم clair obscur وممـا يزيد فى أسفى أن هذا القسم عُرض ثانية فى فندق الكونتيننتال فى القاهرة وأنا لم أحضرها بعد

فهل يؤذن لى أن أكتب من الذاكرة ؟

أذكر من الصور تلك التى عرضها محمود سعيد وهو مصور يحق له أن ينافس كبار زملائه من الفرنجة . ويمتاز سعيد ببثّ الحياة الزاخرة فى نواحى صوره وبالإتقان من غير تكلف وبالتأليف الجامع المدفون فى اللمحات والإشارات كأنه نغمات تنسجم على وزن لا يبلغ الأذن . ثم إنه أخذ يفلت من تأثير روبرندت Rewbrandt وروبنس Rubens وحول أنظاره إلى الفطريين أمثال فان إيك Van Eyck إلا أنه يصب فى ألواحه ما يحس به خاصة وما يضطرب فى الطبيعة المصرية . وله أداء تعبيرى يدعوك إلى الروية وطلب المزيد . وإنك لتلمس هذا أمام صورتين له على وجه التخصيص هما : فتيات بحرى والجزيرة السعيدة .

وأذكر من المنحوتات تمثالاً لأحمد عثمان يبرز فتاتين خارجتين إلى النزهة فيما أظن . والتمثال على الطريقة الوصفية الدقيقة . إلا أن الدقة فيه غير مباشرة ، ومعنى هذا أن التفاصيل لا تؤدى على حالها المنظور بل على حالها المتخيّـل . وهذا أسلوب فى الأداء عرفه قدماء المصريين . وجمال هذا التمثال من جانب الصدق الذى يفيض من نواحيه ثم من جانب قوته التزيينية décorative

وهنا أحب أن أعلن أن الفن فى مصر الحديثة سبق الموسيقى والرقص والشعر حتى النثر لأنه بنجوة من الرأى العام لانصراف الجمهور عن مظاهره ، والرأى العام عندنا يكره الوثبات ، ولأنه غير خاضع لسلطان التقاليد والمنقولات إذ التصوير فى الإسلام لا يعدو جانب التزويق ، ولأنه نهض أول ما نهض على قواعد الفن الأوربى وحده فلا نزاع ولا شقاق ولا تقديم رجل وتأخير أخرى . أضف إلى كل هذا أن أصحابه أدركوا أن غاية الفن الصحيح طلب الطرافة من ناحيتين : الأولى بالانطواء على النفس والثانية باستلهام ما يحيط بك . فهذه تخرج لـكل بلدٍ فنه الموقوف عليها لأنه مستمد من سمائها وأرضها وسليقة أهليها ، وأما تلك فترسل فى ألواح كل فنان معنًى وتنفث سراً .

بشر فارس

من مآسى الحياة

سيدى الأستاذ الزيات

لقد وعدت أن أقص عليك ما أعلم من مآسى الحياة ، ولـكنى رأيت ألاّ أفى بوعدى رحمة بالرسالة وقراء الرسالة

إن حبى للرسالة يمنعنى أن أحملها من المـآسى ما تخر تحته الجبال .

مآس سحقت قلوباً كانت قوية ، وأذلّت نفوساً كانت عزيزة أبيّة ، وهدمت حياة كانت حافلة بالآمال والأعمال .

فهل فى استطاعة الرسالة احتمال كل هذا ؟

أما كفاها ما حمّلها صاحبها من مآس وهى لا زالت طفلة فى السابعة من عمرها؟ لقد رأيت الدموع تجرى بين سطورها، وسمعت أنات القلوب المحطمة بين صفحاتها ، فهل أزيدها ألماً وأحمّلها عصارة القلوب المنسحقة ؟ .

رحمة بالرسالة يا سيدى فهى — على رغم ما تحمل من علوم وآداب عالية — لا زالت رقيقة صغيرة نضرة . وإنى لأشفق عليها من وصف ما وصل إليه الإنسان من وحشية وقسوة ! !

نعم يا سيدى الفاضل « إنه لا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب ما هو أمضّ لوعة وأشد روعة من « فتون وجنون »

لا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب مآس هى أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة. وفى خبايا الغيوب آلام تضعف عندها الألفاظ وتمتنع عنها أقوى المعانى

وفى طوايا الحجب ضحايا ...:

ليت رحمة الله تدركهم فيذوقوا نعمة الموت ! حتى الموت امتنع عنهم

وهل هناك أشد بؤساً من قوم كل أملهم انتظار الموت ؟

لا تشك الدهر فيما يأتى به من شقاء، ولا تلم القدر بما يجيب من دعاء، فإن قلب الإنسان أشد قسوة وأمرّ تعذيباً من كل هؤلاء . بين الناس من يحملون قلوباً كالرحى . ولقد فكرت مراراً كيف يقدر الإنسان أن يتفنن فى تعذيب إنسان آخر وخصوصاً إن كان أقرب الناس إليه ! ! ولكنى عجزت عن الجواب .

أرانى يا سيدى الفاضل تماديت فى الحديث أكثر مما كنت أود وأخشى إن أنا استرسلت فى الكتابة أن أكشف عن خبايا مآس ربما كان سترها أفضل ، وأعيد ذكرى آلام ربما كان نسيانها أوفق، فعفواً سيدى ومعذرة إن أنا لم أنجز وعدى. فليس فى استطاعتى أن أقص عليك . فربما كان الصمت أبلغ من القصص .

ا . ش . ف

هل عبد الإسرائيليون أبا الهول ؟

جاء فى العدد (٢٨٨) من مجلة الرسالة الغراء أن كلمة « أبو الهول » محرفة عن كلمة « بوحول » ، وهى لفظة إسرائيلية معناها « مكان حول » و « حول » إله محلى فى فلسطين ، فلما نزل الإسرائيليون أرض مصر أقاموا بجوار أبى الهول ، وعبدوه بدلاً من أحد آلهتهم ، لما بينهما من تشابه

ولا شك أن هذا ينافى ما هو معلوم من تاريخ الإسرائيليين ، لأنهم لم يكن لهم إله بفلسطين قبل هجرتهم إلى مصر يسمى « حول » . فإن الذين هاجروا منهم إلى بلاد مصر هم : يعقوب وأولاده ، ويعقوب هو إسرائيل ، وإليه ينسب الإسرائيليون . وقد كان هو وأولاده يعبدون الله تعالى قبل هجرتهم إلى مصر ، وبعد هجرتهم إليها كما هو معلوم من إجماع الكتب المقدسة وغيرها. ولا يصح أن يعدل عن تواتر التاريخ بهذه المناسبات اللفظية التى ترجع إلى توافق اللغات وتشابهها ، ولا يمكن أن يؤخذ منها تلك الأمور التى تنافى الحقائق التاريخية

والمعروف أيضاً أن الإسرائيليين لما هاجروا إلى مصر نزلوا بأرض جاسان ، وهى فى مديرية الشرقية الآن ، وقد أقاموا بها إلى أن أخرجهم فرعون موسى منها

فإذا صح أن قوماً من فلسطين نزلوا بجوار « أبو الهول » وعبدوه . فإنهم يكونون من الفلسطينيين الوثنيين لا من الإسرائيليين الموحدين ، وقد كانت فلسطين جامعة للفريقين

وإذا صح أن اسم « أبو الهول » فى الهيروغليفية هو : « حرأم آخت » ؛ ومعناها : « هوراس الذى فى الأفق » . فإن الأقرب أن يكون تحريف ذلك الاسم عن « هور » . لا عن « بوحول » ، وإضافة لفظ الأب إلى أسماء : (الأعلام) شائعة فى العامية المصرية إلى الآن ، وهذه التسمية من وضعها ، وقد جاء ذلك الصنم فى كتب مؤرخى العرب باسم « بلهيت » أو « بلهوية »

عبد المتعال الصعيدى

تمثال مصرى قديم يخرج عن مصر

نشرت بعض الصحف نبأ عن تمثال مصرى معروض على متحف متروبوليتان فى الولايات المتحدة لشرائه، وقالت إنه أخرج من مصر خلسة . وقد قالت مصلحة الآثار المصرية إنه لأمير مصرى استخرج من حفائر دهشور حول هرم الملك ببى من الأسرة السادسة ، وكان يقوم بالحفائر فى تلك المنطقة مسيو جيكييه رئيس البعثة الفرنسية . والمفهوم أن هذا التمثال أرسل من مصر قطعاً

صغيرة ثم أعيد تركيبه فى أمريكا وعرض للبيع فقدر له مبلغ ١٥٠٠ جنيه مصرى ثمناً وقد أرسل متحف المتروبوليتان الأمريكى إلى مصلحة الآثار المصرية خطاباً يعرض عليها فيه شراء التمثال بهذا المبلغ فطلبت إرسال صورة له للاطلاع عليها

وتبحث مصلحة الآثار باهتمام فى هذه الأيام الطريقة العملية لمنع تسرب الآثار المصرية إلى الخارج ، وقد اشترطت أخيراً على هذه البعثات وجوب وضع فنى مصرى فى كل بعثة لمنع أمثال هذه الحوادث

أعظم مجهر فى العالم

حضر ولى عهد بلاد السويد فى ٧ يناير تجربة الميكروسكوب الكهربائى الذى يكبر حجم الأجسام الدقيقة والذرات مائة ألف مرة

وإذا تصورنا أن الميكرسكوب العادى قد لا يتجاوز فى تكبيره خمسة آلاف ضعف ، أمكننا أن نتصور عظمة هذا المجهر الذى سيكون له أعظم شأن فى الكشف الطبى والعلمى والفنى

والمخترع لهـذا الميكرسكوب العجيب العلامة سيجباهو المعروف فى جامعة أويسالا والذى منح جائزة نوبل للعلوم الطبيعية

ويقال إن البروفسور سيجباهو استعمل مجهره العجيب على أساس الأشعة الكاتوديكية بدلاً من الأشعة الكهربائية العادية

ونحن إذ نسجل هذا الخبر ندعو الله أن يمهد السبيل لأحد المصريين أو أبناء الشرق أن يخترع اختراعاً أو يكتشف اكتشافاً يكون له دوى عالمى حتى يلتفت العالم العلمى إلى بلاد تكثر من ذكر العبقرية وذكر النبوغ دون أن يكون من بين أبنائها من يمكن إطلاق إحدى الصفتين عليه بجدارة واستحقاق

مصلحة للآثار العربية

كانت النية معقودة فى وزارة المعارف المصرية على ضم دار الآثار العربية إلى إدارة الآثار الإسلامية وإنشاء مصلحة بهما معاً

وقد رفعت مذكرة إلى مجلس الوزراء بهذا الشأن ، والمأمول بعد هذا الضم أن يتم العمل فى ترميم الآثار والمساجد الإسلامية التى لا يزال بعضها مهملاً مع كونه هاماً أو على جانب من الجمال الفنى

وقد قامت إدارة الآثار الإسلامية بمجهود جبار مع كونها كانت إدارة ؛ فلا يبعد أن يتضاعف مجهودها إذا ما أصبحت مصلحة مستقلة ذات ميزانية كبرى

توليد السماد من الهواء

من المسائل التى تهتم بها الآن مصلحة التجارة والصناعة بحث كشف علمى جديد كشفه أحد الأمريكيين وسجله لدى حكومته

وخلاصة الكشف أنه يمكن توليد السماد من الهواء بطريقة خاصة تجمع بين غاز الأكسجين وغاز الأزوت بعد تسليط أشعة خاصة هى وسط بين أشعة إكس وأشعة الألترا فيوليت . وقد أوضح المكتشف فى تقريره إلى مصلحة التجارة والصناعة المصرية بأن طريقته أقل نفقة من غيرها ، ولذا أرسلت الوزارة المصرية إلى مفوضيتها فى واشنطون طالبة زيادة الإيضاح والبيانات عن هذا الكشف العلمى الذى قد تستفيد منه مصر إذا ما اتضح نفعه

الحالة الاقتصادية فى تونس

كثر الحديث عن تونس منذ أسابيع بالنظر إلى الاقتراحات الإيطالية التى ستتقدم بها الحكومة إلى الجمهورية الفرنسية كما كثر اهتمام الشرقيين بهذا القطر الشقيق. ولعل فيما نذكره عن حالة تونس من الناحية الاقتصادية ما يجعلنا نفهم بعض الشيء الدافع لإيطاليا إلى الاتجاه لهذه المنطقة الخصبة

مساحة الأراضى المزروعة قمحاً	١ر١٠٠ر٠٠٠	فدان
« « المغروسة عنباً	٣١ر١٠٠	فدان
محصول القمح فى السنة	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	قنطار
« الشعير « «	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	«
« الشوفان فى السنة	٥٠٠ر٠٠٠	«
« النبيذ المتحصل من الكرم	٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠	لتراً
عدد أشجار الزيتون	١٦ر٠٠٠ر٠٠٠	شجرة
ينتج منها زيت قدره	٥٠٠ر٠٠٠	لتر
وفيها يبلغ طول الطرقات المعبدة	٦٠٠٠	كيلومتر
وطول السكك الحديدية	٣٠٠٠	كيلومتر
وعدد موانيها يبلغ	٢١	مرفأ
منها من الدرجة الأولى	٤	مرافئ
تبلغ حركة التجارة فى أولها وهى صفاقس	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	طن
وفى الثانية وهى تونس	١ر٠٠٠ر٠٠٠	طن
وفى الثالثة وهى بنزرت	٤٥٠ر٠٠٠	طن
وفى الرابعة وهى سوس	٤٢٠ر٠٠٠	طن

وقاية آثار المتحف المصرى من الغارات الجوية

المعروف أن المتحف المصرى يشمل أغنى مجموعة أثرية مصرية فى العالم أجمع ، ولذلك كان من ضمن الأعمال الهامة التى درستها الحكومة المصرية النظر فى أمر وقاية الآثار فى المتحف المصرى عند حصول غارات جوية

وقد ذهب الخبير البريطانى فى مصلحة الوقاية من الغارات الجوية إلى مصلحة الآثار لمعاينة الأماكن والمخازن ذات القبو التى يمكن اعتبارها صالحة لهذا الغرض واطلع الخبير على رسوم خاصة بإنشاء مبان أخرى

ويهمنا من نشر هذا الخبر أن نوجه عناية الحكومة إلى التفكير أيضاً فى وقاية الآثار العربية لأنها إذا لم تكن قديمة قِدم الآثار المصرية فإنها لا تقل عنها شأناً

مستقبل الثقافة فى مصر

أخرج صديقنا الدكتور طه حسين بك كتاباً قيماً فى جزءين عالج فيه مستقبل الثقافة فى مصر بمعاهدها المختلفة. وقد أرسل إلينا الدكتور زكى مبارك بحثاً ضافياً عنه سننشره فى العدد القادم

بين القديم والجديد

أرسل إلينا الأستاذ محمد أحمد الغمراوى مقاله الثانى فى الرد على (قارئ) فى مسألة الأدب بين القديم والجديد فاضطررنا لضيق الوقت أن نؤجله إلى العدد المقبل

جمعية علمية فرنسية تعمل على نشر الأدب العربى

علمنا أن الجمعية العلمية الفرنسية التى وجهت عنايتها منذ إنشائها إلى نشر الآداب القديمة والحديثة ، قد اتجه تفكيرها إلى إحياء ما تركه العرب من تراث أدبى ، مع توجيه نصيب من الجهود إلى الأدب العربى الحديث لإعطائه حقه من العناية والدراسة

ومما وقفنا عليه فى هذا الصدد أن فريقاً من علماء تلك الجمعية اعتزموا زيارة مصر فى الأيام القريبة المقبلة للاتصال بكبار رجال الأدب فيها ، تمهيداً لترجمة بعض المؤلفات الأدبية القديمة والحديثة ونشرها فى فرنسا

ومما يجدر بالذكر أن هذه الجمعية العلمية قد نشأت بعد الحرب الكبرى ، وبدأت جهودها التى لا دخل للهيئات الرسمية فيها ، بنشر الآداب اللاتينية بعد ترجمتها ترجمة جديدة ، فأحدثت بذلك ثورة فكرية فى البيئات الأدبية والعلمية ، لم تتأثر بها فرنسا وحدها وإنما تعدت حدودها إلى الممالك الأخرى

مشروع جامعة السودان

من أنباء الخرطوم أنه منذ صدور التقرير الضافى الذى وضعه اللورد دى لاوار عن التعليم فى السودان ، ومصلحة المعارف السودانية تبذل جهدها لتحقيق أمل السودانيين فى إنشاء جامعة للسودان على نحو الجامعة المصرية

وقد كتبت بعض الصحف تشك فى إمكان قيام مثل هذه الجامعة لعظم ما تحتاج إليه من تكاليف لا تتحملها الميزانية السودانية . ولكن المتصلين برجال المعارف فى القطر الشقيق يقولون إنهم جادون كل الجد ، فى العمل على تنفيذ مشروع الجامعة السودانية

ويظهر أن الجامعة الجديدة سوف لا تستند فى مواردها إلى المالية السودانية فقط ، لأنها فى الحقيقة ليست تنفيذاً للأمل السودانى المتواضع ، بل تنفيذاً لسياسة عليا ، يرجى من ورائها أن ينشأ هناك مركز علمى كبير يحمل الثقافة إلى الجزء الأفريقى من مستعمرات التاج البريطانى ، وقد أشير إلى هذا الغرض صراحة عند إرسال بعثة دى لاوار

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

7me Année No. 290

Lundi - 23 - 1 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٢٩٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٢٣ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

صفحة

من مآسى الحياة

ضحيـــة من هذا ؟

الآباء يأكلون الحصرم ، والأبناء يضرسون !

كنت فى مكتبى مساء الأمس أتحدث إلى قصصية شاعرة جاءت تهدى إلىّ قصة للتقريظ ، وقصصى كاتب جاء يقدم إلى أقصوصة للنشر . وكان من مطارحات الحديث أن تكلمنا فى نصيب الخيال والواقع من قصة الأديبة وأقصوصة الأديب ؛ وجرى على الألسنة الثلاثة كلام فى روعة الواقع المحض ، وزخرفة الفن البارع ، وجاذبية الخيال الممكن . وكأنما كان يدافع عن الحقيقة مدافع من وراء الغيب فأدخل علينا فتى ذاوى الفتوة ضارع الجسم ، ألف القدر من شقائه مأساة لا يحتاج الكاتب فى سردها إلى تلفيق خياله أو تزويق فنه

قرأ هذا الشاب ما كتبناه عن بعض من عرفنا من فرائس البؤس ، فظن لبراءة فكره وسلامة صدره أن ما نكتبه عن هذه المآسى الأليمة يصادف من أولى الأمر استماعاً واقتناعاً ورحمة ، فأراد آخر الرأى أن يسمعهم أنينه الموجع من هذا المكان القريب . ولو علم فتانا أن القدرة صفة من لا يرحم ، وأن الرأفة خُلق من لا يستطيع ، لأدرك أن كبراءنا وأغنياءنا يقرأون مآسينا للتلهى والفن ، كما نقرأ نحن ملاهيهم للتسلى والعَجب . فإذا كانت لهم عيون فعيونهم من غير دموع ،

وإذا كانت لهم قلوب فقلوبهم من غير شفقة . ولكنه أخذ يستريح إلينا بما كابد من باطن الهم ومكنون الأسى ، فأخذت الكاتبة تنهنه عبرة سالت على الخد ، وأخذ الكاتب يعجب أن يبلغ البؤس بالناس إلى هذا الحد ، وتركا لى أن أقص عليك فصلا من هذه الرواية :

فى المنصورة أيضاً بلد المال والجمال والشعر ، سطر الدهر المصرّف فى سجل الألم الإنسانى هذه المأساة . كان أبوه من كبار التجار فى هذه المدينة ؛ وكانت يداه كيدى الخازن الماهر فى المصرف العظيم تسيلان فى الأخذ والعطاء ورقاً وفضة . وكان معدوداً فى سراة القوم ، يعيش عيش المترفين المسرفين ، يطلق نفسه فى العز ، ويقلب أهله فى النعيم ، وينشِّئ أطفاله السبعة على كبر النفس ورفعة الهوى وبُعد الأمل. واتسق له الحال وواتاه الحظ الناهض فظن أمره قد عظم على الأيام واعتصم من الطوارق ، فأغفل المواظبة والمراقبة ، وأهمل المراجعة والمحاسبة ، فصار الداخل لا يسجَّل ، والخارج لا يحصَّل ؛ واجتمع عليه العدوان السخيان : التاجر المصدِّر الذى يعطى ولا يأخذ اعتماداً على الضمان ، والشارى المستهلك الذى يأخذ ولا يعطى اتكالاً على الأمانة . وظلت الأمور تجرى فى مجاريها اليومية ، تفُرغ صناديق البضاعة ليلاً فى المخازن ، ثم توزع على الناس نهاراً فى الحوانيت ؛ ولا يعلم إلا الله والتاجر ما فى هذا الرواج المظلم من البوار ، وما يبطنه هذا الربح الموهوم من الخسارة

وكان هذا الفتى وهو بكر أبيه قد نجح فى امتحان البكالوريا بقسمها العلمى حين نزلت بهذا التاجر المغرور علة فادحة . وأعان المريضُ العلة على نفسه بما انكشف له من سوء الحال وظلام المستقبل فقضت عليه

جلس الفتى فى المتجر مكان أبيه الراحل وهو يكفكف عبرات العين بالصبر ، ويخفف حسرات القلب بالرجاء ، وفى اعتقاده أنه سيبنى على أساس مكين ويصعد على رأس مال ضخم . فلما خطا الخطوة الأولى تفتحت أمامه الهُوَى ، وتفجَّرت حواليه النوازل ؛ فعاد ينظر فى المخازن ويبحث فى الدفاتر فوجد الخطر الذى لا يدفع ، والقضاء الذى لا يُرد . وحاول أن يتفق مع الغرماء والحرفاء فلم تساعده فداحة دَينه وطراءة سنه على هذا الاتفاق ، فاستغرق بعض الدين كل التركة ، وأعلنت المحكمة إفلاس المتجر ...

وفى عشية وضحاها فقدت الأسرة المدلَّلة وسيلتها للعيش ومكانتها فى المجتمع ، فلم يعدْ لها بعد الله عائل ولا وائل غير هذا الشاب وشهادة يحملها عليها طابع الحكومة وخاتم وزير المعارف بأنه تربى وتعلم ، فمن حقه أن يمارس شؤون الناس ويلى أمور الدولة . فانتقل الفتى بأسرته إلى القاهرة ، ثم أخذ يقطع السبل المؤدية إلى الوزارات كل صباح وهو نخور بشهادته، مدل بكماياته، فلم يدع باباً من أبواب الدواوين إلا طرقه . ثم ألح فى الطرق رجاة أن يصيخ إليه سمع فلم يشعر بوجوده غير السعاة والحجاب ، فاتسعوا له حيناً ثم برموا به فنهروه وطردوه . وأدرك المسكين بعد لأى أن الشهادة من غير مدد ورقةٌ عليها مداد . فأخذ يلتمس الشفاعة عند أرباب السراوة والجاه . ولكن الشفاعة فى أيامنا أصبحت حرفة لا يبذلها الشفيع إلا لمن يبذل فيها المال أو العرض . فكان الفتى كلما سمع برجل من رجال النفوذ قصده وقص عليه قَصصه ، فلا يكاد الرجل المظيم يعلم أن له أخوات فى غيَسان الشباب ، وأمًّا لا تزال فى ربيع العمر ، حتى تحوم نفسهُ على الخِدْر الذليل ، فتثور الحمية بالفتى فلا يجد لها متنفساً إلا البكاء والاختفاء

والتمس البائس السبيل إلى العمل بالفكر وباليد فلم يوفق . وأوشك أن ينفد ثمن الحلية الأخيرة من حلى أمه ؛ وخشى أن يختم الموت على الأفواه الثمانية الذابلة ، فتقدم إلى العمل (فاعلاً) فى عمارة تبنى ، فرده (المقاول) لرقة جسمه ودقة عظمه !

فانكفأ الطريد بالفشل والخجل إلى أسرته اليائسة الولهى ؛ وباتوا جميعاً على الطوى والجوى يخلطون البكاء بالبكاء ، ويَصِلون

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

الأم ... أو التاريخ الحى

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثر الحديث فى الأسبوع الماضى عن « مارى أنطوانيت » والثورة الفرنسية ، لأن داراً من دور الصور المتحركة عرضت حياة هذه الملكة المنكوبة فى صورة قريبة إلى التاريخ ولكنها أقرب إلى الفن والتصرف الذى يقتضيه فى بعض المناظر . وشهدت هذه الرواية التاريخية فأيقنت من براعة تمثيلها وعرضها أنها قد جعلت الثورة الفرنسية ذكرى حياة لمن شهدوها كأنهم قد عاشوا فى أيامها وتقلبوا بين تقلباتها وطبعوا فى أخلادهم بعض حوادثها . وأعانهم على ذلك أن حقائق التاريخ ملتزمة فى مسائلها الجوهرية أحسن التزام مستطاع ، وأنها معروضة على مثال نفسى لا على مثال اجتماعى أو علمى يقصر الأمر على التأمل والتدبر ولا ينفذ به إلى معترك العاطفة والإحساس

قال « ستيفان زفيج » أكبر كتاب السير المعاصرين فيما مهد به لسيرة « مارى أنطوانيت » إن : « الفاجعة التاريخية » تقوم على البطولة أو على أناس من جبابرة النفوس والعقول . فإن لم تكن كذلك فهى تقوم على « إنسان عادى » يتعرض للأحداث الجسام التى تفوقه فى الكبر والضخامة وتجعله عظيما بما يحيط به من أقدار عظيمة وإحن لا طاقة له باتقائها ولا بالخلاص منها بعد وقوعها

ولم تكن مارى أنطوانيت من معدن البطولة والجبروت ، ولكنها كانت امرأة من الطراز الوسط فى الذكاء والمزاج والأخلاق، تحب سهولة الحياة ولا تشغل بالها بالفوادح والمشكلات . فلما أحاطت بها الفوادح والمشكلات على الرغم منها ظهرت « الفاجعة التاريخية » على نمط يشبه فواجع الأبطال والجبابرة ، من غير بطولة ولا جبروت

والرأى عندنا أن « الفاجعة الكبرى » تهز النفس هزاً عنيفاً فى حالتين اثنتين : إحداهما حالة البطولة والجبروت التى أشار إليها ستيفان زفيج ، والثانية حالة الإنسان العادى الذى تمتحنه الأحداث فى كل جانب من جوانب نفسه فلا تدع له حاسة بعيدة من سلطانها غير مجروفة فى دوافق تيارها . وكذلك كانت فاجعة التاريخ التى أحاطت بمارى أنطوانيت

كانت ملكة وزوجة وأماً ومحبة وامرأة من بنات آدم وحواء كسائر النساء . فما تركت لها الأحداث جانباً من هذه الجوانب إلا استغرقته وطغت عليه : امتحنت منها الملكة فى دولتها ونظام حكمها وعلاقتها بسياسة بلادها التى حكمتها وسياسة بلادها التى ولدت فيها ؛ وامتحنت منها الزوجة فى قرينها الذى حالت بينها وبينه علة العجز الصحى سبع سنوات ، حتى إذا شفى من عجزه أصابتها فيه خطوب الثورة ودسائس البلاط ؛ وامتحنت منها الأم فطعنها الثوار وطعنها وليدها نفسه فى أمومتها ، بل فى شرف الأمومة فضلاً عن حنانها ؛ وامتحنت منها المحبة فكانت قصتها مع السويدى فرزن كأقسى ما تكون قصص الفراق أو قصص الغرام المكبوت ؛ وامتحنتها فى أنوثتها فوقفت بينها امرأة عزلاء بادية المقاتل لكل سهم مسموم

لذلك كانت فاجعة « مارى أنطوانيت » من أكبر فواجع التاريخ وإن كانت هى وكان لويس السادس عشر زوجها المظلوم من معدن غير معدن البطولة والجبروت ، لأن النفس الآدمية تقابل هذه الفاجعة من نواحى شتى وصلت كلها إلى غاية المدى وقصارى الاستقصاء . ولا ريب أن الفجيعة الكبرى بين هذه الفجائع المتفرقة التى التقت فى شخص واحد كانت هى فجيعة الأم أو فجيعة الأمومة البالغة فى القسوة والإيلام

شهد القاهريون « نورماشيرر » وهى تمثل فجيعة مارى أنطوانيت يوم جاءها وكلاء الثورة يأخذون منها طفلها الصغير وسلوتها العظمى فى بلاء السجن وبلاء الضنك والحرمان

فأما « مارى أنطوانيت » فالتاريخ لا يروى لنا أنها قد فعلت فى ساعة توديع ابنها ما فعلته نورما شيرر على اللوحة البيضاء ،

الدعاء بالدعاء ، حتى سمعوا أن كلية الطب تطلب فراشين ، فتقدم صاحب الشهادة مع صاحب المكنسة ، وأمله كله ألا يُذاد عن هذا الملجأ الأخير !

وها هو ذا الآن فى قسم الكيمياء ينظف لرفاقه فى الدراسة المقاعد والمناضد بأجرة فى الشهر مقدارها مائة وأربعون قرشاً يحفظ بها أربعة أعراض وثمانية أرواح ! ولعله بفضل ما تعلّم من المعادلات واللوغارتمات لا يتعب كثيراً فى حساب هذا الدخل !

احمد حسن الزيات

١٠ ـ ١٢

ولا أنها قد مانعت هذه الممانعة وتخبطت هذا التخبط وبكت هذا البكاء ، ولكن الممثلة أرادت أن تجمع فى هذا الموقف ما تفرق فى أعوام من الحنان المفجوع والعطف المطعون ، فبالغت هذه المبالغة التى صدقت بها الفن وإن لم تصدق التاريخ

فقد ثبت فى الأسانيد الصحيحة أن هذه الأم الوفية ضيعت نفسها مرات وأعرضت عن كثير من وسائل النجاة فى سبيل الطمأنينة على وليدها الصغير

فلما فشلت خطة الهرب إلى « ڤارين » وأصبح استئناف السير فى المركبة المقفلة ضربا من المستحيل عرض عليها بعض الأنصار المخلصين ركوب الجياد فى المسافة القصيرة الباقية بينهم وبين الحدود قبل إطباق الثوار والجنود ، فأبت هذا الاقتراح مخافة على ابنها أن تصيبه رصاصة من بعض الجند ، لا يأمن التعرض لها على ظهر جواد كما يأمنها فى المركبة المقفلة أو الركب المجهول

ولما دبر الملكيون إخراجها من السجن وإخراج ابنها وبنتها معها فى أسمال العامل الذى يوقد المصابيح مع أولاده الصغار فشلت هذه الخطة فى اللحظة الأخيرة ، ثم قيل للملكة إنها تستطيع الهرب وحدها على أن تترك ابنها وابنتها ولا خوف عليهما كما يخاف عليها هى من جراء المحاكمة والاضطهاد . فأبت كل الإباء وآثرت البقاء مع ولديها على النجاة وحدها وهى لا تعلم مصير هذين الطفلين

ولما ألح عليها المحامى أن تسأل المحكمة الثورية تأجيل يوم المحاكمة ريثما يستعد للدفاع ويفرغ من مراجعة الأوراق رفضت إلحاحه وأصرت على رفضها مخافة أن يكون اعترافها بمحكومة الثورة بمثابة النزول عن حق ولدها فى وراثة التاج . فعاد المحامى يحتال عليها من ناحية حنان الأمومة ، ويذكرها أن حياتها مطلوبة لولدها لا لنفسها ، واسترسل فى هذا الإغراء فلم يتحدث طويلاً على هذه النغمة حتى أقلعت عن عنادها وثابت إلى القبول وكتبت خطابها المحفوظ الذى جمعت فيه بين الحيطة والإصغاء إلى رجاء المحامى ، فأفرغته فى قالب الإخبار والعمل بنصيحة المحامى كأنما هو مكتوب على لسانه لا على لسانها حتى يتحقق به الإبلاغ ولا يتحقق به الاعتراف

والكارثة الكبرى يوم ضبط ابنها الصغير بعد فصله منها وهو يعبث العبث الذى لا يعرف فى مثل سنه الباكرة ، فلما روّع بالسؤال عمن علمه هذا أجاب على عادة الأطفال : إنها هى أمه وعمته . . . ! ثم حرضه المحرضون على الشهادة بما قال وبما أضافوه إليه من هراء لا يقبله العقل ولا يحتمل التصديق ، فأنفت أن تجيب عن هذه التهمة وتجاهلتها حتى نبه بعض المحلفين رئيس المحكمة إلى هذا التجاهل فأعاد سؤالها فلم تزد على أن تقول : « إذا كنت لم أجب فإنما أبيت الجواب، لأن الطبيعة تأبى أن تجاب تهمة كهذه توجه إلى أم . وإنى لأحيل الأمر فى هذه المسألة إلى جميع الأمهات الحاضرات فى هذا المكان »

فشعر أعضاء المحكمة وشعر دعاة الاتهام معهم أن الضربة قاتلة ، وأنهم ما صنعوا بها إلا أن قربوا بين هذه الأم وبين جميع الأمهات والآباء ، فسرى فى الحاضرات والحاضرين شعور العطف عليها والرثاء لما أصابها ، وما كانوا حاضرين إلا للشماتة والازدراء

وقد كان آخر ما صنعته بعد صدور الحكم بموتها ويقينها أن وليدها لم يبق له بعدهما من يشرف على أمره غير عمته المسجونة، أنها كتبت إلى تلك العمة ترجوها الصفح عن الغلام وتعتذر له بصغر سنه وسهولة إغرائه ، وتوصيها به خير الوصاة

لقد كانت مصيبة الأم فى حياة مارى انطوانيت أظلم المصائب وأشدها حلكة وسواداً ، ولكنها كانت أنصع الصفحات فى سيرة هذه الملكة المنكودة والمرأة المبتلاة ، وإن تلك الصفحة وحدها لكفيلة بخلق « الفاجعة الكبرى » فى هذه السيرة النادرة بين سير النساء

عباس محمود العقاد

إلى الدكتور طه حسين

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

تفضلت فأهديت إلىّ نسخة من كتابك الجديد (مستقبل الثقافة فى مصر) وكان من واجبى أن أشكر لك هذه الهدية بخطاب أسجل فيه هذا التلطف . ولعلنى لو حاولت ذلك لاهتديت إلى أن من الخير أن أنتهز الفرصة وأشرب معك كأساً من الشاى فى بيتك لنجدد العهد ؛ ولكنى آثرت أن أشكر لك هذه الهدية بأسلوب آخر هو الهجوم عليك

وما كان ذلك حبًّا فى المشاغبة كما يتوهم بعض من لا يفقهون، وإنما كان ذلك لأنى أشعر أننا أسرفنا فى حب السلام ، والسلام ضرب من الموت ، وأعتقد أننا فى هذه الأيام نختلف أقل مما يجب ويا ويلنا إذا لم نختلف !

ويسرنى أن أعرف فيما بينى وبين نفسى أنى لم أقصر فى محاربتك ، ولم يفتنى أن أنذر رجال التعليم بخطرك ، وقد قلت لهم بصوت يسمع أهل القبور : « إن هـذا الرجل سينتزع من أيديكم كل شىء » فما استمع مستمع ولا استجاب مجيب

وكم قلت للغافلين: إن طه حسين ليس أعلم العلماء ، ولا أحكم الحكماء ، وإنما هو رجل « متحرك » كما يعبر أهل بغداد ، فتحركوا يا جامدين لتسدوا عليه الطريق

كم قلت: إن من الغفلة أن يسكت رجال التعليم إلى أن يسمعوا صوت الناقوس من طه حسين ! وما قلته لرجال التعليم قلت بعضه لنفسى، ففى كتابك الجديد آراء أذعتها من قبلك فى الجرائد والمجلات، ولكنى لم أحتفل بها كما احتفلت فأذيعها فى كتاب خاص ، ولو أنى فعلت لأضعت عليك فضل السبق . ولكن ما فات فات

ما كان يسرنى أن تنتصر ، وإن كنت أقسمت يمين الوفاء لكلية الآداب ؛ ولكن ماذا أصنع وأنا مضطر لكلمة الحق فى إنصافك بحكم الضمير والواجب؟ ماذا أصنع وأنا أرى أنصارى فى مخاصمتك لا يملكون غير مضغ الأحاديث؟ ماذا أصنع وأنا لا أرى بين رجال التعليم من يبدى رأياً صحيحاً أو سخيفاً فى مستقبل الحياة الأدبية والعلمية ؟

كنت أتمنى أن يشغل بمستقبل الثقافة فى مصر عشرات من الباحثين منهم شيخ كلية اللغة العربية وعميد دار العلوم ورئيس المجمع اللغوى ومدير دار الكتب المصرية ؛ ولكنك تفردت بذلك الإحساس الدقيق الذي يظهر فى اختيار الظرف المناسب لما تذيع من مذاهب وآراء؛ فإن بدا لبعض الناس أن يحسدك على هذا السبق فليسأل نفسه ماذا صنع بالإجازات الصيفية ، كما صنعت أنت بالأجازات الصيفية

أتريد الحق يا دكتور ؟

أنت رجل مقتحم ، ومن حق المقتحم أن ينتصر كما انتصرت

* * *

ولكن ماذا فى كتابك الجديد ؟

هو فى جملته وتفصيله شاهد على أنك تقدر المسئولية الملقاة على عاتق عميد كلية الآداب . وأنت فى كتابك هذا قد فصلت ما يعترض مصر من المعضلات التعليمية أجمل تفصيل . وليس لكتابك الجديد ريق الكتب الأدبية ، ولكن له جلال الكتب التعليمية ، فتقبل منى ومن جميع المنصفين أصدق آيات الثناء

ثم ماذا ؟— فى كتابك الجديد كثير من البديهيات، فهل ترى من الحق أن نحاسبك على التطويل فى شرح البديهيات ؟

من الذى حدثك أن المصريين يحتاجون إلى من يدلهم على أنهم فى تصورهم وعقليتهم يقتربون من إيطاليا وفرنسا أكثر مما يقتربون من الصين واليابان ؟ من الذى حدثك أن المصريين يحتاجون إلى من يذكرهم بأنهم قوم لهم عقول تدرك ما يدرك الأوربيون فى ميادين العلوم والآداب والفنون ؟

فى كتابك بديهيات كثيرة من هذا النوع ، فاستغن عنها إن شئت فى الطبعة التالية لئلا تسجل على وطنك جهل البديهيات

ثم ماذا؟— قلت إن عقلية مصر عقلية يونانية،وصرحت بأن الاسلام لم يغير تلك العقلية. فاسمح لى أن أشكوك إلى عميد كلية الآداب، فعميد كلية الآداب وهو أستاذى وأستاذك ، واسمه طه حسين إن لم تخنى الذاكرة ، يعرف أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرناً وهى مؤمنة بالعقيدة الإسلامية ، والأمة التى تقضى ثلاثة عشر قرناً فى ظل دين واحد لا تستطيع أن تفر من سيطرة ذلك الدين

عميد كلية الآداب الذى أعرفه أنا ، وإن تجاهلته أنت ،

يعترف بأن الاسلام رجّ الشرق رجّةً أقوى وأعنف من الرجة التى أثارتها الفلسفة اليونانية .

عميد كلية الآداب يثق بأن فى مصر شمائل من العقلية اليونانية التى تلقت الدروس عن مصر الفرعونية . ولكنه مع ذلك يؤمن بأن لمصر عقلية إسلامية، وهذه العقلية الإسلامية لها خصائص يدركها أصغر مدرس فى كلية الآداب. وأرجو ألا يضيق صدرك بهذه الحقيقة فقد نلتقى بعد أيام أو أسابيع وأشرح لك ما لا يحتاج إلى شرح ، كما تشغل نفسك بشرح ما لا يحتاج إلى شرح

من المؤكد عندى أنك لم تستشر عميد كلية الآداب قبل أن تصرح بأن الإسلام لم يغير العقلية المصرية ، وذنبك فى هذا التهاون عظيم لأنك قريب منه ، واتصالك به لا يجشمك أى عناء .

عميد كلية الآداب يعرف ، كما أعرف أنا وتعرف أنت ، أن الديانات تفترق ثم تجتمع ، وهى فى روحها تحدث الناس بأسلوب واحد فى أوقات الضعف، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك خصائص للعقلية الاسلامية والعقلية المسيحية ، وهذه الخصائص تخفى على العوام ويدركها الخواص .

وكيف لا توجد هذه الخصائص بين دينين مختلفين ، مع أننا نعرف أن هناك خصائص عديدة فى الدين الواحد حين يختلف أهله بعض الاختلاف ؟

إننا نعرف أن للكاثوليكية خصائص وللبروتستانتية خصائص، لأننا نعرف أن للعقلية السنية خصائص وللعقلية الشيعية خصائص

فكيف جاز عندك ياسيدى الدكتور أن تتوهم أن الإسلام لم يغز العقلية المصرية بتغيير ولا تبديل؟

أنا لا أنكر أن مصر ورثت ما ورثت من علوم اليونان ، ولكنى أنكر أن تكون مصر عاشت بعقلية واحدة منذ آلاف السنين إلى اليوم . هل تصدق حقاً يادكتور أن المصريين أحسوا العقلية اليونانية بعد الإسلام إحساساً واضحاً صريحاً ؟

فى الحق أن المصريين فى حياتهم الإسلامية شغلوا أنفسهم بعلوم اليونان أكثر من عشرة قرون ، ولكنك وقد جلست على حصير الأزهر كما جلستُ تعرف أن المصريين لم يتذوقوا تلك العلوم ؛ والأزهر لا يزال باقياً فتعال معى نسأل أهله ماذا فقهوا من علوم اليونان ؟ تعال معى يادكتور لنقضى بين علماء الأزهر ساعة أو ساعتين فستراهم جميعاً يعتقدون بأن العقلية اليونانية

من برجنا العاجي

« هل كانت علومك المدرسية ذات أثر فعال فى إظهار مواهبك الأدبية ؟ » هذا السؤال ألقته مجلة أدبية فرنسية على الروائى دورجليس فأجاب : « إن الرجل الذى يهجم على الأدب وهو مزود بتكوينه المدرسى وحده لا يمكن أن يكون غير كاتب ضعيف » . وقال الشاعر بول ڤاليرى فى مثل هذا المقام : « إن أساتذتى فى المدرسة كانت لهم عن الأدب فكرة تدعو إلى الرثاء . يخيل إلىَّ أن الغباء وفقر الذهن وبلادة الشعور وضعف التصور وانعدام الخيال مواد مقررة رسمياً فى المناهج الدراسية » !

لو سئلت أنا أيضاً لما خرجت إجابتى عن هذا المعنى . فلقد فعلت المدرسة كل شئ لتنفرنى من الأدب وتخيفنى من اللغة فوضعت بين يدى أسمج الكتب العربية معنى وفكراً وأعسرها لغة وأسلوباً وأبعدها عن مخاطبة النفس المتفتحة لجمال الخليقة . لقد علمتنى المدرسة كراهية الشعر العربى . وقد لبثت زمناً لا أطيق الإصغاء إلى بيت واحد من ذلك الشعر السخيف الذى أرغمنا على حفظه إرغاماً . شعر ليس فيه قطرة من ماء الشاعرية . إنما هو ضرب من تلك الحكم والمواعظ المنظومة التى لاكتها الألسن ومضغتها الأفواه حتى أصبحت « تفلاً » جافاً لا نفع فيه . تلك هى مادة غذائنا الذهنى . أما إذا اجتهدنا فقرأنا كلاماً جميلاً خارج المدرسة فإنا لن نلقى من المعلم غير التجهم والاستنكار . وأذكر أن الأدب الإنجليزى أوحى إلىّ كتابة قصة تمثيلية صغيرة وأنا فى المدرسة الثانوية فرفعتها فخوراً إلى مدرس الأدب العربى فكان جزائى الإهمال المهين . على أن من الإنصاف أن أذكر أن معلماً شجاعاً تجرأ يوماً فأطلعنا على أبيات عذبة رائعة للعباس بن الأحنف فأشرقت وجوهنا وانطلقت من قلوبنا آهة العصفور الذى أفلت من قفص وحلق فى فضاء الطبيعة الباسمة الجميلة. فارتعد المدرس المسكين والتفت إلى باب القاعة خائفاً كأنه اقترف جرماً هائلاً . منذ ذلك اليوم أدركت أن هنالك كنوزاً فى عالم الأدب والشعر يخفونها عن عيوننا المتطلعة .

توفيق الحكيم

هى التى قضت على اليونان بأن يكونوا باعة الفاصوليا والسردين !

أنا لا أنكر قيمة التراث الذى خلّفه اليونان القدماء ، ولكنى أرتاب فى أنه وصل إلى ألفاف العقلية المصرية .

وأنت تعرف من نفسك ما أعرفه من نفسى ، أنت تعرف أننا لم نفقه الفلسفة اليونانية إلا بعد أن ارتضنا رياضةً عنيفة جداً. فإن ادعيت أنك فقهت فلسفة اليونان وأنت طالب فى الأزهر فأنا أقول إنى لم أفقه تلك الفلسفة حق الفقه إلا بعد أن تلقيتها على أساتذة أوربيين فى الجامعة المصرية. وما أظنك تتهمنى بقلة الذكاء

والعلوم التى لا تهضم إلا بعد جهد ومشقة لا تغير عقليات الشعوب وإن غيرت عقليات الأفراد

أنت تعرف فيما تعرف أن الفقه الإسلامى نفسه كان يتغير بالانتقال من أرض إلى أرض ، فكان للشافعى مذهب فى مصر ومذهب فى العراق . ومعنى ذلك أيها الأستاذ الجليل أن العقليات تتغير من وقت إلى وقت باختلاف ظرف الزمان ، وظرف المكان

والموجة الإسلامية التى طغت على مصر فنقلتها من لغة إلى لغة ومن دين إلى دين ، والتى قضت بأن تتفرد مصر بحراسة العروبة والإسلام بعد سقوط بغداد ؛ هذه الموجة العاتية لا يمكن أن يقال إنها لم تنقل مصر من العقلية اليونانية إلى العقلية الإسلامية

ولكن ماهى تلك العقلية الإسلامية؟ هى لونٌ آخر غير العقلية اليونانية بلا جدال، وهى لا تُشرح فى مقال واحد، وإنما يشرحها كتاب ينفق فيه رجل مثلك عدداً من السنين الطوال

وأنا مع هذا لا أنكر أن الإسلام فى مصر له خصائص غير الخصائص التى يجدها الباحث حين يدرس الإسلام فى الحجاز أو فى الشام أو فى المغرب أو فى العراق

وقد تعرضتُ لشرح بعض هذه الخصائص حين تكلمت عن صور المجتمع الإسلامى فى كتب الصوفية ، ولكنها ما تزال فى حاجة إلى درس أوفى من الدرس الذى يقع فى فصل من كتاب

أقول هذا وأنا أشعر بأنى لم أزحزحك تماماً عن موقفك ، ولكنى موقن بأنى عرضت صدرك لشبهات ستوجب عليك الحذر حين تتكلم فى هذا الموضوع مرة ثانية ؛ وأنت تعرف ما أعنى

* * *

ثم ماذا؟ ثم ماذا ؟ ثم عرضت بالتفصيل لمشكلة اليوم وهى:

النزاع بين الأزهر ودار العلوم

ويجب أن يكون مفهوماً أنك ألّفت كتابك لغاية بريئة من الهوى لأنك عميد كلية الآداب ، وعميد كلية الآداب يشرع للناس مذاهب الحق. وقد تأملت كلامك فوجدته يحتاج إلى تصحيح

ولعلك تعرف أن هواى ليس مع الأزهر ولا مع دار العلوم ، وإنما هواى مع الجامعة المصرية ، والفرق بينى وبينك أنى لا أكتم هواى كما تكتم هواك . وما أعارضك فى هذه القضية إلا لأنك سلكت فيها مسلكاً يخالف العقلية التى صبغتنا بها الجامعة المصرية ، وهى التعمق فى درس الأغراض والمعانى

أنت وازنت بين الأزهر ودار العلوم والمعاهد الدنية ، وقام عندك الدليل على أفضلية الأزهر ، لأنه أخرج للناس : محمد عبده وسعد زغلول ومصطفى عبد الرازق ؛ وأفضلية المعاهد المدنية لأنها أخرجت للناس : إبرهيم عبد القادر المازنى ، وأحمد لطفى السيد ، ومحمد حسين هيكل ؛ وسقطت عندك دار العلوم لأنها لم تخرج أمثال هؤلاء

صدقت يا دكتور بعض الصدق ، فدار العلوم لم يكن لأبنائها ماض فى السيطرة على الحياة الأدبية على نحو ما يسيطر : هيكل ، والمازنى ، والعقاد ، وطه حسين ، والزيات

ولكن كلامك على صدقه أحزننى ، وليتك استشرت عميد كلية الآداب قبل أن تنشر هذا الكلام المحزن الموجع

أحزننى كلامك لأنه اصطبغ بالمغالطة والإسراف

أنت رجل معلم يا دكتور ، ومن العيب عليك أن تؤذى إخوانك المعلمين. أتراك تؤمن فى سريرة نفسك بأنك لم تحكم فى هذه القضية بغير العدل ؟

تعال أناقشك الحساب

إن رجال دار العلوم قد اشتغلوا جميعاً بالتعليم ، ومهنة التعليم تقتل الأديب أبشع القتل . وأين المعلم الذى تسمح له وزارة المعارف بأن يستوحى الحياة كما يستوحيها الأدباء الذين سيطروا على هذا الجيل؟

أين المعلم الذى تسمح له وزارة المعارف بأن يصف جمال السابحين والسابحات فى شواطئ الإسكندرية وبورسعيد، كما صنع الشاعر فلان؟

أين المعلم الذى يستطيع وصف الصراع بين الهدى والضلال بدون أن يخاطر بمركزه فى الحياة التعليمية كما وقع ذلك للدكتور فلان؟

أنت تعرف أنى جاهدت أعنف الجهاد لأخلق لنفسى شخصيتين :

شخصية المدرس وشخصية الأديب ، ومع ذلك لم أسلم من عدوان السفهاء

ومتى سيطر لطفى السيد على الحياة الأدبية ؟

كان ذلك يوم كانت حياته خالية من قيود التعليم ، فلما صار مديراً للجامعة المصرية توقر وتزمت حفظاً لحرمة التعليم

ومتى سيطر المازنى على الحياة الأدبية ؟

كان ذلك بعد أن ترك مهنة التدريس وتفرغ لاستيحاء الحياة ، ولو بقى المازنى معلماً لكان مصيره مثل مصير زميله عبد الرحمن شكرى الذى كان يحس مثل لسع العقرب كلما أشار كاتب فى جريدة إلى أن له أشعاراً فى الغزل والتشبيب

ومتى سيطر مصطفى عبد الرازق على الحياة الأدبية ؟

هل يعرف الجمهور شيئاً من تلك السيطرة ؟ وهل يجرؤ مصطفى عبد الرازق على إعلان ما كتب من الوجدانيات ؟

إن مصطفى عبد الرازق كتب أجمل ما كتب بإمضاء مستعار لا يعرفه غير الخواص ، وكان ذلك لأن حياته فى التعليم الدينى والمدنى قضت بأن ينسحب جهرةً من الحياة الأدبية

الحق يا دكتور أن رجال دار العلوم لا يطلب منهم إلا أن يكونوا معلمين صالحين ، وقد كانوا بالفعل

وهنا أوجه إليك كلمة مرة ستؤذيك أشد الإيذاء : من الذى زين لك أن تعتدى على الجنود المجهولين؟ أنت تعرف أن الفرنسيين يسمون التعليم Métier sans gloire

وما أشق من يعانى مهنةً بلا مجد !

لك يا دكتور زميل فاضل اسمه إبراهيم مصطفى ، وهو كالفراء سيموت وفى نفسه شىء من حتى

فهل يرضيك أن تتجاهل مثل هذا الرجل لأنه لم يسيطر على الحياة الأدبية ولم يشترك فى تكوين الجيل الجديد ؟

ومن الذى يسمع اليوم باسم أستاذى وأستاذك سيد بن على المرصفى وله علىّ وعليك فضل لا ينساه إلا الجاحدون ؟

أكتب هذا وأنا متألم متوجع لأنى أرى عميد كلية الآداب يتجاهل تضحيات المدرسين ، ولأنى أشعر بأن هذه الأحكام الجائرة ستسقط من ميزان الحسنات أعمالى فى التدريس . ولن يعرف الجمهور غير أعمالى فى التأليف وهى لم تكن إلا ثمرات ما انتزعت من أوقات الفراغ

وما أخافه على نفسى أخافه عليك يا دكتور ، فأنت هدف لحملات المتسفين الذين شرعوا يقولون إن إنتاجك الأدبى قلّ وضعف ، وهؤلاء الذين لا يذكرونك إلا يوم تخرج كتاباً جديداً ينسون كل النسيان أن لك شواغل تعليمية تفلّ نشاطك وتقل إنتاجك

وأين المنصف الذى يذكر أننا نحدث تلاميذنا بأشياء لو دوّنت لخرج منها محصول أدبى نفيس يغمر المكاتب ويشغل الأندية والمعاهد ؟ أين المنصف الذى يذكر أن من يسيطرون على الحياة الأدبية مدينون أثقل الدَّين للمدرسين المجهولين الذين لا يعرف التاريخ أقدارهم إلا إن صاروا مؤلفين مشهورين ؟

لك يا دكتور زميل فاضل يعيش فى زاوية مجهولة من زوايا الخمول هو الدكتور أحمد ضيف ، وأنا أؤكد لك أن هذا الرجل يعدى صدور تلاميذه بالفكر والعقل ، وقد نفعتنى صحبته أجزل النفع ، ولكنه لا يستطيع أن يزاحمك لأنه لم يخرج من المؤلفات مثل الذى أخرجت. فمن واجبك وأنت عميد كلية الآداب أن تضع للتقدير الأدبى ميزاناً غير ذلك الميزان ، من واجبك أن تذكر أن الجمهور الفرنسى لا يعرف شيئاً عن المسيو تونلا أو المسيو مورنيه، ولكن أمثال هذين الأستاذين لهم تأثير عظيم فى تكوين الأذواق الأدبية وإن جهلهم سواد الناس .

وسيأتى يوم ينعزل فيه الدكتور طه انعزالاً تاماً عن الجمهور ويعتكف فيما يسميه الفرنسيون Cours fermés ليحقق مع تلاميذه بعض الدقائق الأدبية والفلسفية . ويومئذ يحتاج الدكتور طه إلى من يعتذر عنه أمام الجمهور فيقول إنه يحيا حياة العلماء لا حياة الأدباء . وهل يجهل رجل مثلك أن هناك فرقاً عظيماً بين أستاذ الأدب وبين الأديب ؟

إن أستاذ الأدب تفسده الشهرة لأنها تشغله عن طول الأنس بالتعرف إلى الألفاظ والمعانى والأساليب . أما الأديب فيفسده الخمول لأنه يصدّه عن درس أسرار النفوس وسرائر القلوب ، ويعوقه عن معاقرة صهباء الوجود

وأنت بحكمك الجائر تنسى أساتذة الأدب ولا تذكر غير الأدباء ، لأنهم على حدّ قولك استطاعوا أن يسيطروا على الجيل الجديد . . . أترانى أفلحت فى إقناعك بخطأ رأيك ؟

قل الحق مرة واحدة يا سعادة العميد !

أترك هذه الخواطر ، ثم أرجع إلى محاسبتك بصورة غير تلك الصورة

أنت قلت إن الأزهر يخرّج فيه محمد عبده وسعد زغلول

فهل تعتقد حقاً أن من طبيعة الأزهر أن يخرج رجالاً مثل محمد عبده وسعد زغلول ؟

إن كان ذلك صحيحاً فأين الأزهرى الذى خلف محمد عبده ؟

وأين الأزهرى الذى خلف سعد زغلول ؟

وما أقول به عن الأزهر أقول به عن المعاهد الدينية ، فابحث عن المنطق الذى يزكى حجتك إن استطعت ، وما أحسبك تستطيع

وقد وقفت فى كلامك عند الماضى وبعض الحاضر

فهل يحق لى أن أسألك كيف تجاهلت أقدار من أخرجت دار العلوم من الرجال الذين سيطروا على الحياة الأدبية ؟

أما يمكن أن يقال إن دار العلوم تخرج فيها عبد العزيز جاويش وحفنى ناصف ومحمد المهدى ومحمد الخضرى وعبد المطلب وعبد الوهاب النجار واحمد السكندرى ؟ أتظن أن هؤلاء لم يسيطروا على الحياة الأدبية حيناً من الزمان ؟

وقلت إن دار العلوم لم تغير نحو البصرة والكوفة ، فهل غيرت أنت نحو البصرة والكوفة وأنت أستاذ بالجامعة المصرية منذ عشرين سنة ؟

أنت رجل مقتحم يا دكتور ، وهذا أجمل ما فيك من شمائل وخصال ، فامض فى اقتحامك إلى غير نهاية ، فمصر لا ينجح فيها غير المقتحمين !

من حقك أن تدوس دار العلوم لأنك مقتحم ، وسيكون من واجبى أن أفرح بانتصارك ، لأنى متخرج فى الجامعة المصرية وسأقاسمك الغنائم والأسلاب ، فآخر شهادة ظفرت بها من الجامعة المصرية مذيلة بامضاءات أحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل وطه حسين. ولكن يعزّ علىّ وعليك أن تنهزم دار العلوم بعد أن صنعت فى التاريخ الحديث ما لم يصنع الأزهر ولا الجامعة المصرية ، مع الاعتراف بفضل هاتين الجامعتين العظيمتين

يعزّ علىّ وعليك يا دكتور أن ينهزم معهد كان من رجاله أساتذتى وأساتذتك . أنت تعرف يا دكتور أن كلية الآداب انتفعت بأساتذة دار العلوم

وتعرف يا دكتور أن كلية اللغة العربيـة انتفعت بأساتذة دار العلوم. فأرجوك باسم الأدب العالى أن تذكر ذلك المعهد بكلمة رثاء يوم يموت !

أيها الأستاذ الجليل

فى كتابك كثير من مواطن القوة ، ولكن يعوزه المنطق

أنت تتحسر أشد التحسر على الفرصة التى ضاعت على دار العلوم فى الانضمام إلى الأسرة الجامعية

ولكنك نسيت أن سلامة دار العلوم هى فى البعد عن تلك الأسرة الجامعية . وأنت نفسك تذكر أنك قلت غير مرة إنك لا تفهم أن يكون فى الجامعة باب يُغلق بعد ابتداء الدرس

فما رأيك إذا حدثتك بأن دار العلوم معهد لا يقل خطراً عن المدرسة الحربية، وأن من الواجب أن يراعى فيه نظام المواظبة بالثوانى لا بالدقائق ؟

ما رأيك إذا حدثتك بأن طلبـة دار العلوم يجب أن يُراضوا على الأنظمة العسكرية فلا يعرفوا من الحرية الشخصية ما يعرف أمثالهم فى كلية الآداب ؟ يجب أن يكون مفهوماً بينى وبينك أننا لا نفكر فى منافعنا الذاتية ، فأنا أدفع ما يتهمك به خصومك من حب السيطرة على أكبر عدد ممكن من المعاهد

وإذاً يكون من المنفعة الوطنية أن نفكر جميعاً فى إعداد معلم اللغة العربية إعداداً فنياً ، لا جامعياً ، فإن لم تكتف بذلك فلا بأس من أن تقترح أن يظفر مدرس اللغة العربية بدرجة جامعية بعد التخرج فى دار العلوم على الأساليب التعليمية

وتجاربى فى التفتيش أقنعتنى بصحة ما أقول ، فقد لاحظت أن المدرسين المتخرجين فى كلية الآداب يتفوقون فى أشياء ويقصرون فى أشياء ، كما لاحظت أن المتخرجين فى دار العلوم يتفوقون فى أشياء ويقصرون فى أشياء، ولذلك تفصيل يضيق عنه هذا الحديث، فإن أمكن أن يجمع مدرس اللغة العربية بين المزيتين كان لذلك أثر بالغ فى تكوين الجيل الجديد

وهذا الذى أقول به لا يوجب إلغاء دار العلوم ولا تغيير نظام كلية الآداب ، وإنما يوجب أن يتعرف هذان الجيلان بعضهم إلى بعض بلا بغى ولا عدوان

ويظهر من كلامك أنك راض كل الرضا عن الجامعة المصرية ، ولكنك نسيت أن هذه الجامعة لم تصنع شيئاً فى إصلاح ما سيطرت عليه من المعاهد العالية

هل تعرف يا سعادة العميد أن لغة التدريس فى كلية الطب هى اللغة الانجليزية ؟

وهل تعرف أن لغة التدريس فى كلية العلوم هى اللغة الانجليزية ؟

لقد نشرتُ أكثر من سبعين مقالة فى دعوتكم إلى جعل اللغة العربية لغة التدريس فى جميع المعاهد العالية فلم تقابلونى بغير الصمت البليغ . وكانت النتيجة أن تسبقكم الجامعة الأمريكية فى بيروت إلى تحقيق هذا الغرض النبيل

وتكلمت يا سعادة العميد عن وجوب الإكثار من الترجمة ، وكان الظن أن تذكر أنى استطعت مرة أن أقنع وزارة المعارف بوضع نظام لخريجى البعثات يوجب ألا يظفر المتخرج فى البعثات بأية ترقية إلا بعد أن يترجم كتابين من غرر المؤلفات الأجنبية فى العلم الذى تخصص فيه . وقد أقرت وزارة المعارف ذلك النظام وأعلنته إلى مبعوثيها فى المعاهد الأوربية والأمريكية ، ويقول المرجفون إنك ساعدت على تقويض ذلك النظام بمعونة رجل من أصدقائك تولى وزارة المعارف ، وكان ذلك فيما يقال لأنه نظام اقترحه رجل اسمه زكى مبارك وأقره وزير اسمه حلمى عيسى باشا

فهل يكون معنى ذلك أن الخير لا يكونُ خيراً إلا حين تقترحه أنت ويقره وزير من أصدقائك ؟

ونسيت ياسعادة العميد أن كلية الآداب تقول أكثر مما تفعل، فإن لم يكن ذلك صحيحاً فحدثنى أين مجلة كلية الآداب التى لم نرمنها غير ومضات ؟

ونسيت أيضاً أنك تقول أكثر مما تفعل ، فأنت تدعو الدولة إلى إعفاء الأدباء من أعمالهم الرسمية ليتفرغوا للبحث والدرس ، ثم ننظر فنراك تساعد الدولة والدهر على ظلم الأدباء

فإن لم يكن ذلك صحيحاً فحدثنى كيف اتفق ألا تتحدث فى الإذاعة اللاسلكية ولا تكتب فى الجرائد إلا عن مؤلفات من تصطفيهم من الباحثين ، مع أنك مسئول بحكم منصبك العالى عن الخلوص من شوائب الأهواء ؟

كان الظن أن تذكر أن من واجب الجامعة المصرية أن تحاسب نفسها قبل أن تحاسب الناس ، ولكنك على كل حال مغفور الذنوب لأنك تتكلم فى أوقات يراها غيرك أوقات صمت وجمود

أما بعد فإنى أعتقد أنى نوهت بكتابك وبأعمالك أعظم تنويه ، فإن رأيت فى كلامى بعض ما لا يروقك فاعذرنى ، فقد أخذ علينا العهد ألا نقول غير الحق . وهل علمتنا الجامعة المصرية أن نصانع من يظنون أنهم يملكون من السيطرة الأدبية أكثر مما نملك ؟

سترى كيف تروضك على الاقتناع بأن القول المعسول لا يغنى عن الصُّنع الجميل « مصر الجديدة » **زكى مبارك**

دعـــه كله يذهب

للشاعرة ايلا هويلر ولككس

دع الحلم يذهب . اطمئن ولا تتزايل أعضاؤك من الفَرَق . أفليس فى طيّات السُّحُب المتلبدة من الأحلام الأخرى المستورة عن ناظريك ما تستطيع أن تكسوه بعد ، بشعاعات نورانية ، وتذهّب أطرافه بومضات وهاجة تخترق بلألائها حجب الغمام الكثيف وتطرد جهامه القاتم ، وتمحو ركامه الداكن ؟

فما قيمة حلم يفوتك ، من أضغاث الليل الضائعة ؟

ألاَ دع ذلك الحلم الزائل يذهب

دع الأمل يغرب . تشجع . لا تجبن ولا تتقاعس . أفلا يدّخر لك الغيب فى أطوائه آمالاً أخرى لا تلبث أن تطفو فى بحر الدجى كالكواكب الزاهية ، وتذكى مصابيحها فى آفاق سمائك !

إن النفس المستبشرة المؤملة لن تعيّث طويلاً فى بيداء الدياجير المهددة العابثة ، بل لا بدّ أن تضفى عليها العلياء نوراً جديداً . فما أشدها جهالة أن تحسب أن سعادتك قد تولّتْ ، لأنك عدت قانطاً من رجاء واحدٍ ؟

ألا دَعْ ذلك الأمل الضائع يغرب

دع الفرح يذبل ويذوى : لا تحزن ولا تتمض . أفلم تبقَ أفراح أخرى تشبه البصيلات التي يعتقلها الصقيع حيناً ، ثم يأمر ربك أن تنطلق من إسارها ، وتخرج شطأها وتنوّر ؟

أو ليس من شأن الشتاء العاصف الصارم أن يرسو على الجذور القوية بكلاكله القاسية ، فيتلفها ويواريها فى غيابات أرماسه الصامتة ، وأجداثه المظلمة الخفية ؟

وهل تعنّى الأرض تلك الفترة الوجيزة التى تتجرّد فيها من وشيها ومطارفها !

ألا دع ذلك الفرح المدبر يذوى ويذبل

دع الحب يقضى أجله ويمضى لسبيله . كن قوىّ الإيمان ولا تيأس، بل سرّ عنك . أفلا توجد محبّات أخرى بعد تحاكيه فى جماله ، وفيما تزخر به من صنوف العذاب العذب ؟

ألا توجد محبّات أخرى ترفرف فى الفضاء كالحمائم البيضاء ، ولا تلبث أن تحوم حولك ، وتجسم فى صدرك وتعشش !

فتقول فى كلّ منها : « إن هذه لخير من تلك »

ألا دع ذلك الحبّ الراحل يمضى لسبيله **(الزهرة)**

المتنبي وسر عظمته

للأستاذ عبد الرحمن شكري

بلغ المتنبي ما لم يبلغه شاعر آخر من الشهرة . وقد اهتم له النقاد الأدباء قديماً وحديثاً ، وكتب عنه كثيرون من أفاضل الأدباء وأكابرهم في عصرنا هذا . وقد عني بعضهم باستنباط أخلاقه من شعره ، وبعضهم أغرى بتتبع نسبه وتاريخ حياته وأسرارها وأسباب حوادثها ، وبعضهم نظر إليه من حيث هو الشاعر الذي يمثل العرب خير تمثيل وينوب عنهم في الإبانة عن خصائص نفوسهم ونزعاتها ، وبعضهم عُني بحكمته ونظراته في النفس والحياة، ومنهم من راقته مبالغته التي اشتهر بها في المدح أو الفخر ، ومنهم من راقته أساليب التشبيه التي أُغرى بها أهل زمنه ، وقدموه مَن أجلها في ظاهر ما يحسبون ويحسنون . وإذا تأملت سبب إعجاب المعجبين به ، وجدته يختلف باختلاف أذواق المعجبين به واختلاف نظرهم إلى الشعر كما تختلف أسباب المهتمين بدراسة سيرته ، وإذا نظرت في شعر المتنبي وشعر غيره من كبار الشعراء وجدت شاعراً قد يماثله أو يبزه في صفة ، ويماثله أو يبزه شاعر آخر في صفة أخرى من صفات الجودة ، وهو بالرغم من ذلك أوفر نصيباً من الشهرة . وترى لغيره من الشعراء أبيات كثيرة في الحكم والأمثال والأقوال المأثورة ، تدل على فطنة بالنفس ، وخبرة بالحياة ، وتوفيق في الصنعة ؛ ولكنها لم تسر كما سيّر المتنبي شعره في هذه المعاني . فالبحتري أكثر منه نصيباً من طلاوة الصنعة ، وأبو تمام من أساليب البيان ، والشريف من الوجدان وسلامة الفطرة ، وابن الرومي من الأوصاف ، والمعري من النظرات في الأخلاق والحياة ، ولكن ما من دوىّ أثاره أحد هؤلاء إلا ويخفت بجانب ما أثار المتنبي حتى ليصدق فيه قوله :

وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وقد تتبع النقاد(١) قوله أحياناً بالتزييف ، وإظهار السيئات من معاظلة والتواء في بعض قوله ، وبالتقصي للسرقات والمآخذ ، أو ما ظنوا أنه سرقات ومآخذ . حتى حاول بعضهم رد كل معنى من معانيه إلى شاعر سابق . وبعض النقاد أولع بإظهار ما في مغالاة مدحه من التهكم المقصود أو فساد الذوق غير المقصود . وبعضهم أظهر ما في مغالاة المدح من إلحاد أو شبه إلحاد ، وما في استطالته بالفخر من كفر أو شبه كفر ، واستشهدوا بقوله :

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
مُحتقر في همّتي كشعرة في مفرق

وقالوا إنه كان يظهر الشك بالبعث والحياة الأخرى كما في قوله :

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكّر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

وقالوا إنه تعدى منزلة الشك في هذه الأبيات الذي يشبه الإنكار المُقنّع إلى منزلة إثبات النفي المُقنّع في قوله :

تمتّعْ من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأملْ كرى تحت الرجام
فإنّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وثالث المعاني التي يدركها العقل بعد معنى الانتباه ومعنى المنام هو معنى الفناء والعدَم . والمتنبي يلجأ إلى عقل القارئ في تأمله فهو إذاً يريد المعنى ولا معنى غيره . وبعض النقاد أشار إلى شدة حقده على الناس وقسوته في قوله :

وكُنْ كالموت لا يرثى لباكٍ بكى منه ويروى وهو صادى

وقوله :

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

ولكن كل هذا النقد لم يسقط الرجل من منزلته. فلأي أمر تبوأ هذه المنزلة ؟ إنه لا شك في مقدرته في الشعر وإن له من صفاته باعا فيه، فهو بالرغم من معاظلته أحياناً يجيد أساليب البيان كأحسن ما يجيء به أبو تمام وأحياناً. يأتي بالأساليب الحلوة كأحلى ما يجيء به البحتري ، وإن كان إتيانه بها عفواً من غير تعمد وتكلف ، ولكن كل هذه القدرة في القريض وما عنده فيه من صفات الجودة جامعها أمر واحد وهو الروح الخاصة التي تظهر فيما له صلة من شعره بآماله وخيبتها وتفيض على ما ليس له صلة مباشرة بتلك الآمال ، فتعم إذا هذه الروح كل شعره وتكسبه (جاذبية

(١) للثعالبي فصل عنه في كتاب (يتيمة الدهر) . وكتاب الواساطة بين المتنبي وخصومه مما يرجع إليه من الكتب. هذا عدا مؤلفات ومقالات كبار أدباء هذا العصر ، وهي لا تقل عن الكتب القديمة إن لم تكن أوفى

الشخصية) وجاذبية الاعتداد بالنفس والاعتزاز بها وجاذبية لذة البيان المُعبِّر عنها. ولأكثر الشعراء نصيب منها، ولكن نصيب المتنبي أوفر نصيب. وهي أيضاً التي بصرته بدخائل النفس الإنسانية وأسرارها وعيوبها كي يتخذ من تلك البصيرة بالنفس الإنسانية عامة سلاحا يساعده في الاعتزاز، والاعتداد بنفسه فاعتداد المتنبي بنفسه إذا سبب طلاوة شعره وسبب حكمه وأمثاله وسبب ما يشعر القارىء في شعره من القوة. وقد تكون روح الاعتداد بالنفس مصحوبة بالتقحم والاقدام والفخر والادعاء كما كانت في حياة بِنْفِنوتو سِلِّيْني المَّثال الإيطالي الذي كتب تاريخ حياته وهو مملوء بالمغامرة والمخاطرة والإجرام وبالفخر العريض والادعاء، ولكنه كتاب يستهوي القارىء بسبب ما أكسبه اعتداد صاحبه بنفسه من جاذبية وطلاوة وقوة في الكتابة. وقد تكون هذه الصفة عند رجل مفكر في نفسه غير متقحم ولا مستطيل ولا مُدَّع فتكسبه أيضاً صفات الكاتب الذي يستهوي قلمه القارىء؛ فإن اعتزاز مونتاني الكاتب الفرنسي بخواطر نفسه وحوادث حياته اليومية واللذة التي وجدها في قيدها ووصفها تستهوي القارىء بعدوى الشخصية ومغنطيسها. فعدوى الشخصية في نظري هي الصفة الغالبة التي ميزت شعر المتنبي، وهي التي ميزت ترجمة بِنْفِنوتو سِلِّيني لحياته وميزت مقالات مونتاني الفرنسي. ويشترط في وجود هذه العدوى أن تكون شخصية صاحبها ذات هبات عقلية ونفسية طبيعية، والعدوى قد تظهر بين الناس في مقدار أقل حتى ولو كانت الشخصية المعتد بها المعتز بها صاحبها قليلة الهبات العقلية؛ وهذا أمر مشاهد في حياة الناس اليومية وتأثير بعضهم في بعض في أعمالهم وأخلاقهم وأفكارهم ومذاهبهم وصدقاتهم وعدواتهم، فالناس إذن خليقون أن يهتموا للشاعر أو الكاتب الشديد الاعتزاز والاعتداد بنفسه. وقد يهتمون له أكثر من اهتمامهم لشاعر أو كاتب آخر أقل اعتداد بالنفس وأكثر هبات عقلية ونفسية، فليس اهتمام الناس للشاعر أو الكاتب إذاً على قدر هباته العقلية وحدها كما يظن المعجبون به الذين يستهويهم اعتداده بنفسه، وللشاعر هيني الألماني كلمة حكيمة في هذا الموضوع وهي كلمة مأثورة في هذا المعنى فقد قال: «إن الانسانية كالشجرة، فالشجرة لا تحفظ ذكرى الأيدي التي تعهدتها بالري والعناية وإصلاح التربة والصيانة من العواصف والأضرار والرياح، ولكنها تحفظ ذكرى اليد المعتدية التي تأخذ خنجراً وتحفر اسم صاحبها على ساقها بالنحت والتكسير من غلافها والسطو عليها، وكذلك الإنسانية قلما تحفظ ذكرى الذين نحوا في خمول وسكوت لأجل رعايتها والعناية بها؛ ولكن الإنسانية تحفظ ذكرى الغزاة المدمرين الذين نقشوا أسماءهم على جبهة ذاكرتها بأحرف من نار وبالسطو عليها وبالاهلاك والتدمير وإراقة الدماء. وهذه شواهد متطرفة تدل على اهتمام الناس بالمعتد بنفسه. ولا نريد أن نقول إن الشعراء والكتاب الذين يبالغون في إظهار الاعتداد بالنفس هم مثل هؤلاء الغزاة المدمرين في شرهم، وإنما نعني أن ظاهرة الاعتداد بالنفس تستدعي اهتمام الناس في الحالتين. ومع ذلك فإن رجلاً كالمتنبي ما كان يتأخر عن إراقة الدماء والتدمير في سبيل تحقيق آماله كما يشهد الكثير من شعره. وقد صرح بذلك في أكثر من قصيدة كما في قوله:

بكلِّ مُنْصلِتٍ مازال مُنْتظِري
حتى أَدِلْتُ له من دولة الخَدَمِ
شيخ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً
ويستحل دم الحجاج في الحَرَمِ
تُنْسي البلادَ بُرُوقَ الجوِّ بارقتي
وتكتفي بالدم الجاري عن الديَمِ

وهذا تصريح ليس بعده تصريح. والحقيقة أن تقديس الإنسانية للاعتداد بالنفس حتى ولو بلغ الإجرام لا يقل في كثير من الأحايين عن تقديس الإنسانية للفضائل، بل قد يكون أعظم من تقديسها للفضائل، إذ أن تقديسها للفضائل كثيراً ما يكون نفاقاً ورياء أو رغبة في الانتفاع من وداعة الفاضل واستكانتِهِ وترفعه عن الدنايا بينما يكون تقديس الإنسانية للاعتداد بالنفس ومظهره في غيرها عذراً لها في تقديس مظهره في نفسها وتقديس أثرتها، فتجمع بين لؤم الأثرة وقداسة العبادة بتقديس مظهر الاعتداد بالنفس في غيرها. وقد تحتال للجمع بين هذين التناقضين بأن تنسب إلى المُعْتَدِّ بنفسه النبل والجلال وكرم الشمائل والمروءة، وهو قد يكون خلواً من هذه الصفات أو على الأقل يكون خلواً من مقاديرها التي تنسبها إليه كي تجمع بين لؤم النزعة وتقديس

الفضائل. وهذا أمر يشاهد كثيراً بين الناس، ولعل هذا الشرح يفسر كيف أن الناس كثيراً ما يحاربون الفضلاء وينتقصونهم مع معرفة فضيلتهم وهم يقدسون الفضائل فى كلامهم ، وكيف أن الناس كثيراً ما يجلون صاحب الرذيلة إذا لم يضطروا إلى مؤاخذته اضطراراً، وإذا كان معتداً بنفسه وكانت فى لسانه خلابة أو له قدرة وسلطان . فإذا كان هذا شأن الناس مع من قلت فضيلته من المعتدين بالنفس، فكيف لا يكون إعجابهم أعظم بمن جمع إلى الاعتداد بالنفس فضائل وبياناً وفصاحة تستهوى القارئ؟ وكثيراً ما يضع القارئ نفسه فى منزلة نفس القائل المعتد بشخصه ويشاركه فى آماله وأطماعه وإحساسه واعتزازه بنفسه، ويشاركه فى خواطر نفسه وحالاتها كما يفعل القارئ أيضاً عند ما يقرأ قصة لكاتب فيضع نفسه فى مكان بطل القصة الموصوف الذى يعجب به القارئ. وقد يفعل بعض القراء ذلك حتى فى قراءة قصص مشاهير المجرمين الذين يعتدون ويعتزون بأنفسهم إلى حد الإجرام. وهذه شواهد متطرفة لهذه الظاهرة النفسية وجاذبية الاعتداد بالنفس تختلف باختلاف الكاتب وباختلاف نفوس القراء المتأثرين بها . وهذه الجاذبية كالمعدن السائل الذى يسيل بمقادير متفاوتة مع ماء الينابيع التى لا تتفاوت فى مقادير مياهها السائلة؛ فالشعراء والأدباء قد لا يختلف مقدار نتاجهم مع اختلاف فيض ينبوع معدن الجاذبية فى قولهم، وعلى قدر ما فى قولهم من جاذبية وبيان الاعتداد بالنفس يكون قدر تأثر القراء بهم فإذا قرأ قارئ قول المتنبى :

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى   فلا أعاتبه صفحاً وإهوانا

وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى   إن النفيس غريب حيثما كانا

تلمس تلك النفس واكتسب شيئاً من إحساسها بالنفاسة والقدرة على الاعتزاز بنفاستها وأحس ما رأته النفس الموصوفة فى حياتها من صفح وإهوان؛ وهو قد يكتسب كل هذا الشعور أثناء قراءته قول الشاعر من غير فطنة له ، فهو فى رحلة نفسية، إما فى مسالك العقل الظاهر وإما فى مجاهل العقل الباطن. وكذلك إذا قرأ قول المتنبى :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بُدُّ

خليلاى دون الناس حزن وعبرة   على فقد من أحببت مالهما فقد

وأكبر نفسى عن جزاء بغيبة   وكل اغتياب جهد من لا له جهد

وأرحم أقواماً من العى والغبى   وأعذر فى بغضى لأنهم ضد

سافر سفرة فى عالم التجارب النفسية وبين الأحياء، ولو لم يكن على صفات الشاعر النفسية ويلتذ التجارب الخلقية بالتذاذ ما يعبر عنها من البيان . وكذلك إذا قرأ قول المتنبى :

إذا غامرت فى شرف مَرُوم   فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير   كطعم الموت فى أمر عظيم

يرى الجبناء أن العجز عقل   وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكل شجاعة فى المرء تُغنِى   ولا مثل الشجاعة فى الحكيم

وكم من عائب قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الآذان منه   على قدر القرائح والعلوم

أحس أن حكمة الشاعر فى التمييز بين عقل العجز والجبن وبين عقل الفطنة المقرونة بالشجاعة والطموح ليست حكمة الشعر التعليمى أو الوعظى ، وإنما هى حكمة الخبرة والتجارب والفطنة المقرونة بالطموح إلى الآمال السامية ، وهو ذلك الطموح الذى كان من مظاهر الاعتداد بالنفس عند المتنبى ، وهذا ما يلمسه القارئ فى باقى حكمة المتنبى فيسلم نفسه للشاعر يتصرف بها أثناء قراءة شعره حسب بيان خبرته وحكمته وآماله وآلامه ، وإذا قرأ قول المتنبى :

وخِلة فى جَلِيسٍ أتقيه بها   كيما يرى أننا مثلان فى الوَهنِ

وكِلمةٍ فى طريقٍ خفت أعربها   فيهتدى لى فلم أقدر على اللحن

كم مَخلص وعُلًى فى خوض مهلكة
وقتلة قُرِنَتْ بالذم فى الجبن

لا يُعْجِبَنَّ مضيما حسن بزته   وهل تروق دفيناً جودة الكفن

(البقية فى العدد القادم)

عبد الرحمن شكرى

مولد الليـــل

للأستاذ محمود الخفيف

شَرِبَتْ كُدْرَتُهُ لَوْنَ الشَّفَقْ
فَامَّحَى إلاَّ بقـايَا فى انطِفَاءْ
اكْتَسَى الماء بِأَمْوَاجِ الْغَسَقْ
وَمَضَتْ تَمْسَحُ كَفُّ الدُّجَى
من حَوَاشِى الأُفْقِ مَا أَبْقَى المَسَاءْ

تحسِرُ الأحْدَاقَ فى هذا الغروبْ
رَوْعَةٌ لِلقَلْبِ فِيـهِ والبَصَرْ
يا لِبِشْرٍ فِيهِ يَمْحُوهُ القُطُوبْ
يا لِأَطْيـافٍ بِهِ حَائِرَةٍ
وَصَفَاءٍ مَا صَفَى حَتَّى اعْتَكَرْ !

مُجْتَـلًى بَالِغَةٌ رَوْعَتُـهُ
لاَ يَمَلُّ الْعَيْنُ فى الأُفُقِ رُؤَاهْ
مَلأَتْ نَفْسِى بِهِ فِتْنَتُـه
لَحْظَةً ، ثم انطَوَتْ أطرَافُهُ ،
وَمَشَى اللَّيْلُ عليه فَمَحَـاه

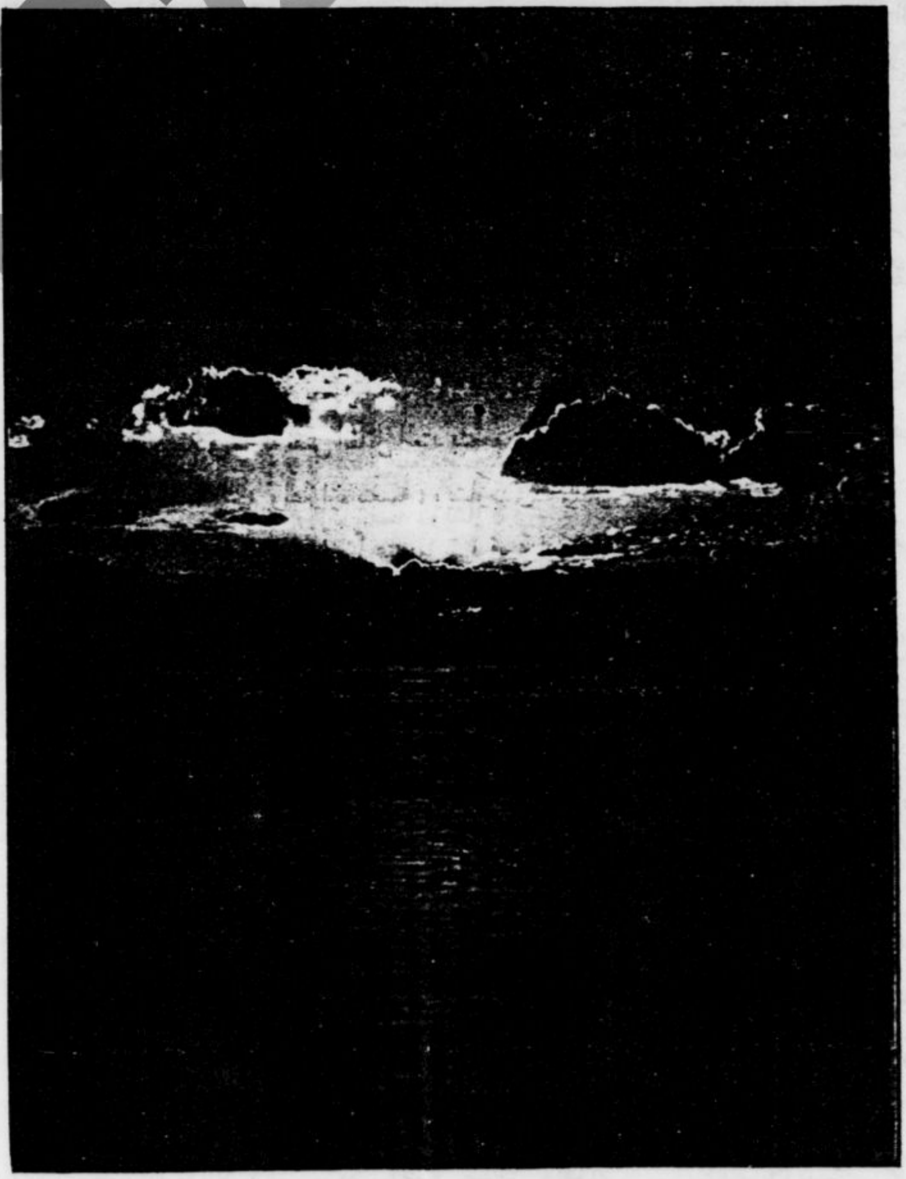

مولد الليل
(تصوير الدكتور أحمد موسى)

رَاقَ هَذَا الْغَرْبُ حَتَّى خِلتُهُ
مَشْرِقَ الصُّبْحِ انْجَلَى للنَّاظِرِين
فى جَنَانِى بَعْضُ مَا أَلْهَمْتُهُ ،
خاطِرٌ طَافَ بِرُوحِى سِحْرُهُ
لَيْتَ شِعْرِى مُفْصِحٌ عنه مُبِين

يَتَنَاهَى أبدًا سِحْرُ الْجَمَالْ
وَيَروعُ الطَّرْفَ والقَلْبَ مَعًا
مَا تَغَشَّتْهُ من المَوْتِ الظِّلاَلْ
فَمَضَى يَقْرُبُ من غَايَتِهِ
فَتَهَاوَى فَتَبَدَّى أَرْوَعَا !

هكذا اللَّحْنُ انْقَضَى أو أوْشَكَا
وجبينُ النَّجْمِ يَغْشَاهُ الأُفُولْ
هكذا الزَّهْرُ إذا الزَّهْرُ زَكَا
وتَمَشَّى السُّقْمُ فى نُضْرَتِهِ
فَبَدَى بَيْنَ نَمَاءٍ وذُبُولْ

هكذا المِصْبَاحُ عِنْدَ الغَلَسِ
رَاحَ يَطْوِي نُورَهُ طُولُ السُّهَادْ
وَبقَايَا خِلْسَةِ المُخْتَلِسِ
تَرَكَتْ نَشْوَتَهَا نَارَ الجَوَى
فى الحشَا بَيْنَ خُمُودٍ وَاتِّقَادْ

هكذا الشَّمْسُ تَغَشَّاهَا الطَّفَلْ
فَتَرَاءَتْ كَنُضَارٍ فى عَقِيقْ
وَمَضَتْ تَرْفُلُ فى أَبْهَى الحُلَلْ
تَنْهَلُ الأَلْحَاظُ مِنْ رَوْنَقِهَا
وتَعَبُ الرُّوحُ من هذا البَرِيقْ

يَا جَمَالاً هَاجَ لِلقَلْبِ الشَّجَنْ
أَبْهَجَ النَّفسَ سناهُ وَشَجَاهَا !
صَوَّرَتْ كُدْرَتُهُ معنى الحَزَنْ
كيف مَسَّتْ مُهْجَتِى ظُلْمَتُهُ
فَمَحَتْ فى النفس أَحْلاَمَ مُنَاهَا

الخفيف

(البقية على صفحة ١٦٤)

صحائف من تاريخنا القومى

الغـــــرب يتجنى

للأستاذ أحمد خاكى

حينما يستشرف المؤرخ القومى لأخريات القرن التاسع عشر، ومبدأ القرن العشرين، يرى فى مصر مدرسة من مدارس الفكر والسياسة جديرة بأن تذكر بين الأفراد القلائل الذين قادونا فى تاريخنا القومى. وكانت هذه الفترة فى تاريخنا هى الفاصلة بين حياة من الاستعباد المقيم، وبين حياة أخرى من الحرية والمجد. وقد استطاعت القومية المصرية أن تحيا خلال تلك السنين السود على الرغم مما اعتورها من أطماع الإمبراطوريات المستعمرة، وعلى الرغم من فترة الركود التى تثاقلت على أفئدة المصريين بعد الفشل الذى أصاب الثورة العرابية. وإذا انتزع المؤرخ نفسه من غمار الحوادث التى قامت فى مصر منذ مبدأ القرن التاسع عشر حتى اليوم، استطاع أن يشهد للقومية المصرية وحدة خاصة تبدأ منذ اليوم الأول الذى خطا فيه نابليون فى بلادنا المقدسة، وتظل مجدة جاهدة تصيب النجاح فى أحيان، ويصيبها العثار فى أحيان أخرى

على أن فى دراسة القومية المصرية فى الفترة التى تلت الثورة العرابية كثيراً من العظات والعبر التى ينبغى أن ننعم النظر فيها. ذلك بأن حياتنا الاجتماعية والسياسية تقوم على الأسس التى بناها سلفاؤنا فى أعقاب القرن التاسع عشر؛ بل كثير من النقائص التى ما زالت تميز كياننا الاجتماعى ترجع إلى تطورنا أثناء ذلك القرن. وهذه الفترة الخطرة هى التى التقى فيها الغرب والشرق على أساس من سوء الظن والاستغلال، وهى كانت الفترة التى بلغت فيها الفكرة الإمبراطورية عند انجلترة وفرنسا أكثر ما بلغت، فكان ضحاياها بلاد الشرق الأدنى، وبلاد المغرب الأقصى، وغير أولئك وهؤلاء من سكان إفريقية وآسيا. وإذا كانت مصر قد استطاعت أن تتخفف من تلك القيود التى ضربت عليها فى سنة ١٨٨٢ فإنما ذلك لأن القومية المصرية كانت شديدة المراس شديدة البأس

وقد بدأت الحركة القومية فى مصر فى زمن نابليون، وأنتجت تولية محمد على فى سنة ١٨٠٥. على أن القومية لم تصبح أملاً من آمال الشعب إلا فى سنة ١٨٨٢، حين قام عرابى وصاحباه يحتجون على تفوق العنصر الجركسى والتركى فى الجيش، وسوء المعاملة التى يلقاها المصريون. كان هذا سبباً من أسباب الثورة، إلا أن الثورة الفكرية كانت عنيفة فى نفس كثير من المصريين. فإن البلاد كانت قد أوتيت قليلاً من العلم، وكانت تعاليم جمال الدين الأفغانى الذى نزل مصر سنة ١٨٧١ قد بدأت تزدهر. وظهرت الجرائد وكونت رأياً بين الخاصة، وكان الجيش وعلماء الأزهر أقوى هؤلاء. فكانت الثورة التى حمل لواءها عرابى باشا، وقد اقترنت الثورة بخليط معقد من العناصر. فقد كانت مسلمة، وقد كانت دستورية، وقد كانت تنفس على الأجانب ما حزوه من سطوة، وما ينعمون به من متاع الوظائف وبسطة النفوذ

على أن الثورة العرابية لم تكن مستنيرة شجاعة على الرغم مما انطوت عليه من عناصر. ذلك بأن العسكريين الذين ملكوا أزمتها لم يدركوا الخطر المحقق الذى تنطوى عليه خطة العداء للخديو؛ ثم إنهم لم يكونوا عسكريين بالمعنى الذى نفهمه الآن من تلك الكلمة، فلم يكن لهم قوة التنظيم ولا المصابرة على أنواع الجهاد. حتى عرابى نفسه لم يستطع أن يتصرف فى موقفه تصرف الجندى المغامر. ولو أنه أراد النجاح بأى ثمن لما تردد لحظة واحدة فى القبض على الذين اشتبه فى خيانتهم، ولا تردد فى سد قناة السويس حتى يقطع السبيل على الإنجليز. ثم إن الجيش الذى كان يأتمر عليه عرابى لم يكن إلا فلول الجيش الآخر الذى انتصر أيام محمد على وإسماعيل لأن الوسيلة التى كانت تتبع فى جمعه كانت وسيلة منفرة شائنة، ويكفى أن الجنود كانت تؤخذ قسراً من القرى والدساكر تحت لهيب السياط

لكن العنصر القومى الذى بدأ بالسيد عمر مكرم أيام محمد على ما زال يدب فى أوصال البلاد دبيباً خفيًّا لا يكاد يسمع له ركز حتى تمثل فى حركة الإصلاح التى قامت بعد أن هدأت الثورة العرابية وبعد أن استقرت الأمور. ذلك العنصر هو الذى تمثله المدرسة الفكرية التى بدأها جمال الدين، وكانت قد وقفت تلك المدرسة تنتظر حينما فشل عرابى وتشتت من أعضائها أفراد

كثيرون . لكنها أقبلت على الحياة بعد استقرار الثورة وهى مؤمنة بحق مصر فى الحياة العامة على الرغم من الاحتلال البريطانى الذى ابتليت به البلاد وعلى الرغم مما أصاب الحزب العسكرى من وهن . وقد احتكت هـذه الفئة الجديدة بالتفكير الأوربى فاستوعبت كثيراً من الأفكار الغربية من مصادرها الأولى ، وازدهرت هذه الفئة فى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وبلغ من تقدير اللورد كرومر لهم أن قال : إنهم كانوا يشبهون الجيروند فى فرنسا . والحق أن كثرتهم كانت تشبه الجيروند فى تعلقهم بالمثل الأعلى وفى إيمانهم بسمو الفكرة وفى الثقافة والشجاعة والإخلاص

كان بين هؤلاء الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى وانضم إليهم قاسم أمين وسعد زغلول . وقد اجتمع هؤلاء لا على أن يكونوا حزباً سياسيًّا ولا ليدافعوا عن فكرة خاصة عينوها ، وإنما هى الحوادث والميول ربطت بين قلوبهم. وكانت الوطنية المصرية قد فقدت قليلاً من الثقة حين ضعضعها الفشل بعد الثورة لكنها بدأت تلتئم رويداً رويداً فابتنيت على أسس أخرى غير التى قوضتها الثورة . ونمت فى أعقاب القرن الماضى تلك الفئة المثقفة التى مثلت فى مصر نفس الدور الذى قامت به الطبقة الوسطى المستنيرة فى انجلترة وفرنسا . فكانوا هم رسل الحياة الأوربية فى مصر . درس الكثير منهم القانون فى جامعة ليون بفرنسا ، وتأثر الكثير بالدراسات التى زخرت بها كتب الفلسفة والقانون . فكان من هؤلاء زعماء الفكر فى مصر ، بل لقد كان منهم الزعيم السياسى مصطفى كامل

لم يكن بين هـذه المدرسة الحديثة التى قامت فى سنة ١٨٩٠ وما بعدها علاقات وثيقة بالثورة العرابية، وقد كانت الثورة العرابية مادية طغت فيها المصلحة على الوطنية الخالصة، ولم تكن هذه الثورة مستنيرة لأن الكثرة من زعمائنا كانوا جنودا غير مستنيرين، بل ولم تكن شجاعة لأن عرابى نفسه لم يكن شجاعا. أما جمال الدين ومحمد عبده وقاسم أمين ومن جرى فى أثرهم فقد جمعوا بين الوطنية والتنور والشجاعة . ولم يربطوا غرضهم القومى بترقيات لفئات خاصة، وكانت ثقافتهم أصيلة لأنهم درسوا أصول الثقافة عند الغرب وعند الشرق وحاولوا أن يؤلفوا بين الثقافتين .

تلك هى الفئة التى حملت الثقافة القومية الأولى فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخنا الحديث . ولقد أدت رسالتها على خير وجوهها وكان عصرها غنيا بمختلف أنواع النشاط . وحينما ألقى العرابيون سيوفهم شرع هؤلاء أقلامهم يكتبون، وحينما خفت زئير المدافع اعتلوا المنابر يخطبون . ولقد كان الشرق والغرب خلال تلك الفترة فى كفاح ظاهره العلم والدين والثقافة وباطنه الاستغلال والسيطرة والاستعباد . وكان هانوتو ورينان ودوق دار كور يكتبون من ناحية الغرب، وكان جمال الدين ومحمد عبده وقاسم أمين يردون من ناحية الشرق .

والحق لقد كانت ظاهرة نفسية غريبة تلك التى تنظرت بها كتابات هانوتو ورينان ودار كور وقد نقد هؤلاء وكثير غيرهم من الكتاب والمؤرخين والفلاسفة أصول الإسلام، ولعل هؤلاء كانوا يؤيدون فى ذلك الاتجاهات الاستعمارية الخاصة التى توجهت بها فرنسا من غير أن يكونوا يشعرون بذلك . ولأمر ما قام هؤلاء قومة رجل واحد يحاولون أن يتحيفوا من الجماعة المصرية وأن يتنقصوا من الدين الإسلامى جميعه . لكنهم وجدوا تلك المدرسة العصرية المثقفة . وكان على هؤلاء أن يثبتوا أن الإسلام الحقيقى غير العادات العتيقة والتقاليد البالية التى حسب الفرنسيون أنها الدين .

حينما بحث هانوتو قواعد الإسلام كان يحاول أن يختط خطة لمعاملة المستضعفين من أبناء المستعمرات التى انتقلت تحت الحكم الفرنسى . وكان جديراً بمثل بحثه أن يكون متحيزاً لأنه كان فى مكان الحاكم الذى يملى على المحكوم . وقد وجد هانوتو فى كتابات محمد عبده صدى لما كان يجول فى صدور هذه المدرسة الكريمة التى ذكرت . وكذلك قل عن الدوق دار كور فإن هذا الكاتب مكث فى مصر بضعة شهور كان يحسب أنه قد أوتى خلالها العلم جميعاً بأحوال المصريين . وقد حاول أن يرجع كل نقص رآه إلى طبيعة الدين نفسه ، فكان على قاسم أمين أن يقرع الحجة بالحجة ويرد البرهان بالبرهان . وما فرغ دوق دار كور من كتابه عن « مصر والمصريين » حتى كان قاسم أمين يهيئ كتاباً فى الرد عليه سماه « المصريون » .

والحق أن هذا الكفاح الذى قام بين الشرق والغرب كان

مفيداً للحياة المصرية بوجه عام . ذلك أن قوماً مثل محمد عبده وقاسم أمين قد أدركوا فى دفاعهم عن مبادئ الإسلام أن فى المجتمع المصرى كثيراً من المثالب التى ينبغى إصلاحها . ونحن نرى أن فى الوقت الذى كان الأستاذ الإمام وقاسم أمين يردان فيه على كتاب الفرنسيين — فى نفس الوقت كانوا يهيئون أنفسهم للكتابة عن مصر ، وكان محمد عبده يمثل الناحية الدينية فحاول أن يضع أصول الدين فى موضعها الأول وحاول أن ينشر ثقافة دينية فى مصر لم تزل إلى اليوم مجدة قوية جاهدة ، وما كان ذلك الاتجاه الجديد إلا لأنه وجد نفسه فى موقف المدافع فعرف القضية من جميع وجوهها وحاول أن يقيم ما اعوج وأن يحفظ على مصر والمصريين كرامتهم .

ولقاسم أمين بعد ذلك وجه آخر من وجوه الإصلاح . فقد كتب كتابه «Les Egyptiens» رداً على دوق داركور فى سنة ١٨٩٤ إلا أنه لم يلبث بضع سنوات حتى وجد أن دوق داركور نفسه قد تكلم عن مفاسد حقيقة بالبحث والتفطن فكتب كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » ينقد فيهما نظمنا الاجتماعية الفاسدة والمبدأ الذى دارت عليه بحوثه فى المرأة وتحريرها هو مبدأ القدرة على استكمال النقص perfectibilité الذى يتبعه كثير من أنصار التقدم ، وقد حاول على هذا الأساس أن ينقد التقاليد والعادات التى حدّت من حرية المرأة وجعلتها فى الموضع الأدنى من تقدير الرجال . على أن قاسماً من وجه آخر كان يرى أن إصلاح المرأة بدء الإصلاح العام

كانت المدرسة المثقفة التى قامت فى نهاية القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين هى المدرسة القومية التى استنارت بنور العلم والتى أقبلت على الإصلاح بلهفة المؤمنين بالمثل الأعلى ، وهى المدرسة التى تخرج فيها مصطفى كامل وسعد زغلول ، وهى الأصل فى نهضتنا القومية التى بدأت بعد الحرب الكبرى والتى لما تنته بعد من وضع منهاجها القوى الذى يجب أن نعمل له

***

وكانت هـذه المدرسة مؤمنة للمثل العليا فى الدين والخلق النصيب الأوفى من تقديرها ، بل كان لها من المعايير الدينية والخلقية ما لا نزال نحن فى حاجة إلى إحيائه فى العصر الحاضر . دفعها هذا إلى الإيمان بأن وحدة الإسلام ينبغى أن تقوم ضد الغرب وقد أراد أن يعصف بذلك الإيمان العميق الذى حل فى أغوار النفس عند الشرقيين عامة والمصريين بوجه خاص . وذلك نفسه تفسير لتلك الوحدة الإسلامية التى دعا إليها الداعون فى ذلك الزمن . كان لا يزال هؤلاء وكثير غيرهم يحسنون الظن بدولة الخلافة . لكنهم فى نفس الوقت الذى كانوا يحتفظون فيه بعلائق المودة والرحمة بالدولة التى كان عليها أن تحفظ تراث المسلمين — فى نفس ذلك الوقت كانت آثار أقلامهم تحيي الشعور القومى عند المصريين . وما تحيّل هذا الجيل حتى نبتت فكرة أساسها الدفاع عن الوطنية المصرية أمام الأتراك والمتتركين . فدعا الجيل الذى عاش قبل الحرب الكبري إلى أن تكون مصر للمصريين . وأنت تلمح هذين الوجهين من وجوه القومية المصرية فى حياة مصطفى كامل وأنت تلمح الوجه الأخير ظاهراً جلياً فى حياة سعد زغلول ، ولو أن مصطفى كامل عاش إلى ما بعد الحرب العظمى لدعا إلى ما دعا إليه سعد

أحمد خاكى

للتاريخ السياسي

أسباب التسليم

للدكتور يوسف هيكل

في ميونيخ هزمت الديمقراطية آلم انهزام ، وانتصرت الدكتاتورية أعظم انتصار . فخسرت فرنسا وبريطانيا نفوذهما السياسي ، وتضعضع مركزهما الدولي ، وانتقلت السيادة الأوربية ، في هذه الأيام على الأقل ، من يدهما إلى يدي الهر هتلر والسنيور موسوليني . لذلك نعت اتفاق ميونيخ بأنه « اتفاق الذل والهزيمة » ووصف بأنه « الحد الفاصل بين عالمين » . فما هي العوامل التي أرغمت فرنسا على قبول هذا الانهزام ؟ وما هي الأسباب التي دعت المستر تشمبرلن إلى التسليم لمشيئة الهر هتلر ؟ .

على أثر اتفاق مونيخ ثار الرأي العام في تشيكوسلوفاكيا ساخطاً على فرنسا ، ومتهماً إياها بالخيانة ، وملقياً عليها مسؤولية ما أصابه من انهزام وذل وفقر ، وما أصاب بلاده من تمزيق وضعف . وأصبح الشعب التشيكوسلوفاكي يبغض الحكومة الفرنسية ، صديقته الحميمة ، بغضاً لامزيد عليه . حتى أن الظواهر الفرنسية ، من مؤسسات علمية وطائرات وسيارات ، في تشيكوسلوفاكيا ، التي كانت قبل اتفاق مونيخ تثير احترام الشعب التشيكوسلوفاكي لفرنسا وإعجابه بها ، أضحت بعد اتفاق « الذل والهزيمة » تثير البغض لحكومة باريس والحقد عليها . وعمل الشعب التشيكوسلوفاكي وحكومته على الابتعاد عن فرنسا ، وقطع الصلة بها ، وطمس آثارها في بلاده . ولتحقيق ذلك أبدلت البلديات أسماء الشوارع الفرنسية بأسماء تشيكية وألمانية . وألغت حكومة براغ تدريس اللغة الفرنسية في مدارسها كلغة إجبارية ، واستعاضت عنها باللغة الألمانية ، وقطعت عن المعاهد العلمية الفرنسية في بلادها ما كانت تقدمه لها من مساعدات مالية . واستبدلت دور السينما التشيكوسلوفاكية بالأفلام الفرنسية أفلاما ألمانية ...

فهل كان الرأي العام التشيكوسلوفاكي مصيباً في اعتقاده خيانة فرنسا له ؟

منذ اشتداد المشكلة التشيكوسلوفاكية ورجال الحكم في باريس يعلنون أن فرنسا ستقف بجانب حليفتها . ولتأكيد ذلك اتخذت الحكومة الفرنسية ، حين اشتداد الأزمة السياسية بين برلين وبراغ ، إجراءات حربية واسعة المدى . وكان كل شيء ، النية والعزم والعمل ، يدل على أن الحكومة الفرنسية جادة في قولها ، لا تود ترك حليفتها تذهب ضحية اعتداء ألماني . وكان ذلك رأي الجيش في فرنسا أيضاً ، إذ أن رئيس أركان حرب الجيش الفرنسي ختم التقرير الذي قدمه لحكومته بقوله : « إن الصعوبات كثيرة ولكن يجب أن نخشى »

وبينما كانت فرنسا جادة في استعداداتها الحربية للدفاع عن تشيكوسلوفاكيا ، أعلمتها وزارة خارجية انكلترا أن آلاف الرسائل التي تلقاها المستر تشمبرلين من سائر أنحاء المالك المتحدة ، تحتم عليه إنقاذ السلم على أي حال ، وأنه يعتبر ذلك دليلاً على أن الرأي العام البريطاني غير مستعد لخوض غمار الحرب من أجل تشيكوسلوفاكيا . فأدركت الحكومة الفرنسية أنها لن تستطيع الاعتماد على الحكومة الإنكليزية ، وأن ثباتها قد يكون مقامرة خاسرة . ووجدت نفسها في آخر الساعة في ظروف لا تمكنها من الإصغاء إلى رأي الجنرال كاملان ، فاضطرت إلى التسليم ، وإلى أن تسير مع انكلترا موافقة على ما عزم عليه المستر تشمبرلين . لأن القوى الفرنسية وحدها ، مع عظم أهميتها ، لا تستطيع مقاومة القوى الهائلة المتأهبة للحرب في بلاد الدكتاتورية

وأما سياسة حكومة لندن ، وتصريحات رجالها فكانت تدل على أن الحكومة البريطانية لا تريد الوقوف بجانب حكومة براغ ، مدافعة عن حقوقها ، وصادة التوسع الألماني في أوربا الوسطى . بل كانت هذه السياسة ، وهذه التصريحات دالة على أن حكومة لندن عازمة على عدم خوض غمار الحرب ، وعلى تسوية النزاع الألماني التشيكوسلوفاكي بأي ثمن كان ، تلافياً للحرب ، على رغم ما في ذلك من انهزام شنيع وأخطار فادحة لها ولحليفتها فرنسا

* * *

لم يضحِّ المستر تشمبرلين في مونيخ بما أوجدت السياسة الفرنسية خلال عشرين عاماً من قوى دفاعية فعالة ضد الاعتداء الألماني ، ولم يُمكن رئيس وزارة انكلترا ، الهر هتلر من السيطرة على أوروبا بتسليمه بمطالبه في تشيكوسلوفاكيا ، حباً في السلام فقط ، بل هناك أسباب قاهرة دعته إلى هذا التسليم . وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين : الأول منهما يتعلق بمسائل حربية ، والثاني يتصل بعوامل نفسية نفعية

إن الدولة الكبرى الوحيدة التي نزعت فعلاً سلاحها فيما بعد الحرب العظمى هي بريطانيا العظمى . ويرجع ذلك إلى سياسة حزب العمال ، الذى كان يرأسه المستر رمسى مكدونالد . وكان المستر مكدونالد يأمل أن تحذو الدول الكبرى حذو بلاده فتنزع سلاحهـا غير أن أمله لم يتحقق ، ففرنسا لم توافق على نزع سلاحها لأنها كانت واثقة أن فى نزعه خطراً على سلامتها وخطراً على أوربا أيضاً ، لأن الدول الأخرى لن تنزع سلاحها . وبالفعل فإن إيطاليا الموسولينية أخذت تبذل كل قواها فى التسلح على أنواعه ، وتبعتها فى هذه الخطة ألمانيا الهتلرية . فأصبحتا أعظم الدول الأوربية تسلحاً . فسياسة نزع السلاح العملى التى سار عليها المستر رمسى مكدونالد فى انكلترا أدت إلى إضعاف بريطانيا العظمى حربيا ، وإلى تشجيع الدول الدكتاتورية على التسلح العظيم

وبرغم أن بريطانيا العظمى قد ابتدأت فى التسلح منذ أن تسلمت الحكومة القومية إدارة سياسة البلاد فأصبح لا يستهان بقوى سلاحها ، فإنها لا تزال غير متسلحة التسلح الكافى الذى يمكنها من خوض غمار الحرب

وزيادة على ذلك فإن مدنها وسواحلها خالية من التحصين ضد الغارات الجوية. فهذه المدن وهذه السواحل تكون هدفاً لغارات الطائرات الألمانية ، فيما لو نشبت الحرب العالمية من جراء المشكلة التشيكوسلوفاكية ، وتوقع غارات العدو فيها أضراراً فادحة ...

ثم إن الحالة فى المستعمرات الإنكليزية غير هادئة ؛ وكانت حكومة لندن تخشى أن تحدث اضطرابات فى بعضها ، وتشب نار الثورة فى الآخر ، إن هى اشتبكت فى حرب أوربية فتصبح هذه المستعمرات سبب ضعف لها ، بدلاً من أن تكون عامل قوة

وبينما كانت الوزارة البريطانيـة فى وسط معمعة الأزمة التشيكوسلوفاكية ، أبلغت دائرة استخباراتها المستر تشمبرلن سرا أن الحكومة اليابانية متأهبـة لاجتياح الأملاك الإنكليزية فى الشرق الأقصى حال اشتباك القوى الانكليزية والفرنسية فى حرب مع ألمانيا . ولهذه الغاية كانت اليابان قد أبقت القسم الأعظم من أسطولها بمعزل عن الحرب الصينية . وهو ، فى تلك المياه ، يضارع فى القوة أسطول انكلترا أو الولايات المتحدة . وكانت اليابان تفكر فى إيقاف حربها الصينية ، حين وقوف حرب أوربية تشترك فيها بريطانيا ، وإبقاء أقل من نصف مليون من الجند فى القسم الذى افتتحه من الصين للمحافظة عليه ، والزحف بجيش عظيم مدرب نحو الجنوب ، والانقضاض على هنغ كنغ وسنغافورة ومقاطعات مالاى والهند واستراليا ، وضربها ضربة قاسمة بسرعة لا تدع مجالا للدفاع عنها .

وقد أدرك المستر تشمبرلن أن الوسيلة الوحيدة للخروج من هـذا المأزق ، وإبطال الخطة اليابانية ، فيما لو وقعت الحرب ، هو إقناع الولايات المتحدة بإرسال أسطولها إلى المحيط الباسيفيكى ليكون رادعا لليابان عما تبغى الإقدام عليه . غير أن الولايات المتحدة أظهرت حينئذ أنها لا تريد العدول عن خطة الحياد ، والابتعاد عن المشاكل الأوربية .

ويريد بعض الكتاب السياسيين تعليل تسليم بريطانيا وفرنسا فى مونيخ ، إلى اعتقادهما أن روسيا لم تكن عازمة على دخول الحرب بجانبهما . بل إن غرضها كان إيقاد نار الحرب دون أن تصطلى بلظاها ، رغبة منها فى إشعال لهب الثورة . وهذا القول خال من الصحة ، لأنه إذا غضضنا النظر عن تصريحات المسؤولين فى موسكو بعزمهم على تنفيذ واجباتهم نحو تشيكوسلوفاكيا إذا قامت فرنسا بواجباتها نحوها ، نرى أن مصلحة الروسيا كانت تقضى عليها بدخول الحرب بجانب بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا ، لضمان انتصار الدول الديمقراطية ضـد الدول الدكتاتورية . أما تمكين الدول الدكتاتورية من الانتصار على بريطانيا وفرنسا فمعناه هيمنة ألمانيا التامة على أوربا . ومعناه أيضاً فسح المجال للجيوش الألمانية للهجوم على بلاد الروس وتمزيقها ، وتحقيق منهاج الهر هتلر من نزع أوكرانيا وغيرها من المقاطعات الروسية وضمها إلى الريخ

أما العوامل النفسية النفعية التى ساعدت على التسليم فى مؤتمر مونيخ ، فمنها أن الرأى العام البريطانى فى الممالك المتحدة وفى الممتلكات البريطانية كان ضد الحرب ، لا حباً فى السلم فحسب ، بل اعتقاداً منه أن الخلاف بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا لا يمس بريطانيا وممتلكاتها ولا يؤثر على مصالحها . . . ومنها أن رئيس وزارة انكلترا المستر تشمبرلن ، شيخ جليـل ، يعتقد إمكان التفاهم مع الدول الدكتاتورية ، ويحب السلام الأوربى ، ويرغب فى تحقيقه بأى ثمن كان ...

***

أمام هذه الوضعية الحربية التى تحذر من خوض غمار حرب أوربية ، وإزاء هذه النفسية التى ترغب فى اجتنابها ، اضطرت الحكومة الإنكليزية إلى عدم المغامرة فى حرب أوربية . وقام

رئيس وزارتها بإقناع فرنسا بضرورة التريث وبذل الجهود فى حل الخلاف الألمانى التشيكوسلوفاكى بالطرق السلمية . ولأجل ذلك قرر المستر تشمبرلين حين اشتداد الأزمة زيارة الهر هتلر طائراً وبذل الجهود التى عرضناها فى مقالات سابقة ، لإقناع زعيم ألمانيا بحل قضية السوديت سلمياً . وللوصول إلى هـذا الحل تساهل المستر تشمبرلين مع الهر هتلر إلى حد التسليم بكل ما طلب وفرض

وقد ظن المستر تشمبرلين أن إرضاء زعيم ألمانيا فى مونيخ يزيل أسباب الحرب ويوجد السلام المنشود ، وأنه باتباع سياسة « تهدئة الخواطر » يسود التفاهم وتعم الطمأنينة . فهل نجح المستر تشمبرلين فى سياسته أم أن هذه السياسة أكثرت المشاكل الأوربية وعقدتهـا وجعلت وقوع الحرب أمراً لا بد منه ؟ هذا ما سنبحثه فى مقال آخر

يوسف هيكل

مؤلف ثائر وموسيقار نابغ

مكسيم جوركى

يهـدم الحكم القيصرى

مبلغ تأثير أديب شعبى فى حياة أمة

للأستاذ محمد لطفى جمعة

منـذ بضعة أشهر ، قضى فى الستين من عمره شاليابين Chaliapin الممثل الروسى الأشهر ، وكان أخلص أصدقاء جوركى ، وقسيمَ حياته فى شبابه وكهولته ، ولجوركى فضل تحويله من نزعته الأرستقراطية إلى المذهب الاشتراكى . وخلف شاليابين فيما خلف ذكريات مخطوطة ورسائل منثورة تولى بعض أصدقائه نشرها فى مجلة « العهد الجديد » . ويمكن لمن يطالع هـذه الذكرات والمقولات والقصاصات التى نشرت بعد طيها ، أن يجدَ فى أدب جوركى وفن شاليابين أدلة قوية على تأثير الأدب فى حياة الأمم ، وعلى تدخل الفنون والمواهب العقلية فى كل ثورة طارئة على المجتمع . وهذا يذكرنا بما كان لسقراط وأفلاطون وسوفوكليس وأوريبيديس فى اليونان، ولفيرجيل وإيكتيت وسنيكا فى الرومان، وفولتير وروسو فى فرنسا، وإديسون وديفو وهيوم وبوكل وبنتام وكارليل فى انجلترا، وتورجنيف وجوجول ودوستيوفسكى وتولستوى وجوركى فى روسيا

زعم بعض الدعاة أن جوركى نقم على صديقه القديم لينين(١) بعض طرائق تفكيره ووسائل حكمه ، وأنه غادر روسيا غاضباً ولم يعد إليها إلا بعد موت لينين ؛ ولـكن هـذا النبأ كاذب ، فإنهما عاشا وتعاشرا وافترقا على أصفى الود ؛ وإنما أراد لينين بسفر جوركى إلى الخارج أن يكون بمثابة السفير العقلى ليفيد الروس من مجده الثابت فى أذهان غرب أوربا ، بينا هو كاتب عالى يقوى جانب لينين بانضمامه ويعتز به . وقد ثبت من الوثائق التى أظهرها شاليابين أن كتب جوركى كانت تطبع وتنشر بالملايين فى حقول روسيا وسهولها وبيوتها ومدارسها ومصانعها ومعاهدها أثناء غيبته فى أوربا الغربية ، تلك الغيبة التى عللوها بالجفوة بينه وبين لينين . ولو كان جوركى غاضباً أو مغضوباً عليه لم يكن ليستمتع بهـذه الشهرة النادرة فقد أخرجت مطابع لينينجراد وموسكو وساراتوف ونيجنى نوفجورود فى سنتى ١٩٢٤و١٩٢٥ أكثر من أربعة ملايين نسخة من كتبه (المتشردون وكونولو وماريا المجدلية وتوماس جودوريف) . وقد حبب جوركى إلى قلوب قرائه استقلاله فى الأدب وغيرته على تكوينه الذاتى فقد أدب نفسه وربى عقله ولم يكن له أستاذ غير نفسه . لم يكن أناتول فرانس أول كاتب عظيم طلق اسمه ، وخلعه وقذف به وتبرأ منه لثقله وعدم انسجامه وهو « تيبو » اسم سيئ الرنين فى الأذن الفرنسية المرهفة الحس ، وكذلك كان اسم جوركى مكسيموفتش بشكوف ، فاختصر الاسم ودفن اللقب وأحل محله جوركى ومعناه « ذو الغضاضة أو المرارة » وقد روى جوركى تاريخ أهله وترجمة حاله فى طفولته وشبابه فى رواية توماس جورديف . وإنه لشبيه بكل العظماء فى اليتم، فكان يتيماً لطيماً ، لفظه بيت الأسرة وتلقفته حوانيت المعلمين ، وأركان الشوارع وسفائن الملاحة على نهر فولجا السحرى الذى كرر ذكره فى كتبه وخلَّد صور الحياة على ضفافه فى قصصه الأولى ، ومعظم أشخاصها من الفاليك والصعاليك والنبوذين والمحاويج الذين علقوا بالنهر من قريب أو من بعيد .

وتمتاز تلك القصص بالصدق لأنها مغمورة بالبؤس والضراء

(١) اسمه الحقيقى إليا إيليا نوفتش

وخشونة الحياة وشظف العيش والإرغام على الصبر وتحمل المكاره التي حفت بها الدنيا . وتلقى التعليم الأول على يد طاهٍ كان فى بداية أمره من رجال الحرب ، ثم وقف أمام الكانون بعد الطعام . وطلب جوركى العلم فى قازان والتمس العيش فى مخبز وباع الفاكهة الفجة والناضجة فى الأسواق . ويرجع إلى هذا العهد تلقين جوركى مبادئ الثورة الاجتماعية عن رجال ونساء كانوا يتخذون أزياء غير أزيائهم ويندسون فى ثنايا المجتمع ليدعوا إلى الإصلاح . فيكون أحدهم أستاذاً فى الجامعة أو طبيباً أو مهندساً ولا يأنف أن يستخفى فى مباذل خباز أو عجّان أو خزّاف . وقد عرض لجوركى أثناء تلك الفترة ألوان من المحن كاحتقار المثل العليا التى يخلقها الخيال — قصة « عشرون رجلاً وامرأة » — وسهولة الاتصال بالنساء واقتراف الجرائم فى سبيل سد الرمق ومقاومة الجوع ولو بالقوت الضرورى ، وامتزاج الميول الجنسية بالحاجة المادية ، وعجز الفاقة والشهوة عن خنق المواهب الكامنة فى نفوس النوابغ والتى تظهر لأسباب طارئة تفهة . فإن جوركى وهو فى أشد حالات الضنك وأحط درك الاجتماع ، كان مشتغلاً بحاضر العالم ومستقبله ومنابع الخير والشر فى المجتمع ووجوب خدمة الإنسانية بأسرع ما يستطيع وبكل ما يملك من عقل وخلق وإرادة . كان جائعاً طريداً معدماً مدقعاً، ولكنه كان مفكراً وثائراً وحائراً ، فلم يقف جوعه فى طريق عقله ، لأنه كان يشعر بامتلائه بما قرأ وما رأى وما سمع، وكان ينفض من أعماق قلبه منظر الآلام وأخبار الشقاء وترديد أنّات التوجع، لأن حسه المرهف لم يطق تحملها، فما باله بالسخرية تصدر عن القوى من الضعيف والحاكم من المحكوم ، والغنى من الفقير ، وبالاعتداء والتعذيب وإهراق الدماء . كان إذا قضت عليه الأحوال برؤية لون من ألوان الأسى يحزن ثم يغضب ثم يثور ، فإذا لم يجد من يشفى غليله انهال على نفسه ضرباً كما يضرب الفلاح حماره . وقد أضرت به الفاقة فتعلق بأهداب الموت ، ولكنه اتصل بتولستوى عن طريق كتبه وتلاميذه . وأخذ يكتب فى نصف العقد الثالث حوالى سنة ١٨٩٣ فاكتشفه كورلنكو فتبناه وأعانه . وكورلنكو من أكبر كتاب روسيا، غير أنه راح فريسة قسيس رومى خبيث حبب إليه الآخرة وقبح له الأدب والفن فأحرق مخطوطاته فى باريس إرضاء لرجل الدين الذى تكشف عن جاسوس قيصرى دسته عليه الحكومة لتسلب شعوره وتتركه لعبة فى أيدى رجال الخفية . بيد أن جوركى أدرك كورلنكو قبل أن يصيبه الخبال فجنى من ثمار نبوغه وترسم خطاه فى التحرر من قيود البيان وتبع المدرسة الجديدة التى تجعل للمعانى المكان الأول من ذهن الكاتب. وفتح له كورلنكو مغاليق الصحافة الأدبية . فأشهر كتابه الأول فى ختام الثلاثين من عمره ولم يكف عن التأليف والنشر بعد ذلك ثلاثين عاماً . ولم يخلع مكسيم جوركى ثياب الفلاحين ولم يبدل من طريقة عيشتهم . وكان وجهه بتقاطيعه وتقاسيمه الموجيكية يسحبه إلى الفطرة الروسية سحباً . ولا عجب ولا غرابة فقد كان جزءاً من تلك الخليقة الموسكوفية والسليقة السلافية أشبه الرجال بليو تولستوى . يقول شاليابين : « إلى تلك الفترة ترجع تلك اللوحة الزيتية العجيبة التى أنتجتها مواهب صديقه ريبين ، فقد صور جوركى فى بذلة فلاح مديد القامة بارز الوجنتين صغير الذقن قصير الأنف غزير الشعر أشعث المظهر . . . تمثالاً حياً وصورة ناطقة لفتى الريف الروسى فى أذكى هيآته وأنبلها . فلله در ريبين الذى خلد براعته صورة صاحبه . وكان تسلق جوركى سلم الصيت سريعاً . وقد بَذَّ فى صعوده الأمجاد من أمثال تولستوى وجوجول وتورغنيف . وتعليل ذلك أنه نال من نفوس الشعب . فأحبه وعطف عليه ، ووثق من مقاصده ، وكأنه رآه يخلق ويصنع على عين أمته فلم يكن شىء من حياته خافياً . وكانت الأفئدة مستعدة لتسلم هذا الأثر ، ولا سيما أفئدة العمال والصناع الذين ما زجهم جوركى وخالطهم واتصل بهم وعمل على تحريرهم من قيود الفقر والظلم القيصرى ، ولم يخجل من ذكر حوادث ماضيه واختلاطه أحياناً بالنساء البائسات فى حوانيت أو مخازن أو خرائب مهجورة أو على شواطئ البحر وضفاف الأنهار . لأن هذا الذى سمّاه « الفريسيون » وصغار البورجوازيين سقوطا ، لم يكن إلا تسامياً عن طريق الألم (١) فكان أحياناً يفكر فى حظ الإنسان ومستقبل الحضارة ويحدث نفسه بإحداث أعظم أثر فى المجتمع ، وهو لاصق إلى فتاة مسكينة تُعد منبوذة فى حكم النظام الاجتماعى . وكان شاليابين ولينين من الأصدقاء الذين

(١) idealisation par la souffrance

اتصلوا به فى أوربا الغربية حين نزح إليها منذ ثلاثين عاماً . وعند ما حكمت محكمة بطرسبرج على جوركى بالسجن لاشتراكه فى مظاهرة البوب جابون[1] احتج تولستوى بخطاب مفتوح إلى القيصر وانضم إليه مفكرون فرنسيون وانجليز . ونشر فى ضحى هذا القرن ذكريات طفولته تقليداً لتولستوى الذى فعل ذلك . وكان كلاهما مخلصاً فى وصف هذه الفترة من حياته . وكان صدر جوركى ضعيفاً فألزمه الأطباء جزيرة كابرى فقصد إليها ولم يكن له زوج وأولاد يرعونه ، فإن حياته الأولى فى ظلال الشقوة والقلق والفلاكة عدلت به عن اتباع طريق العادة . ولعل تعففه عن النساء فى أواسط عمره مكّن له من مقاومة داء الصدر الوبيل الذى أصيب به فى أوائل شبابه ، فنفض عن كاهليه غبار المرض فى جو تلك الجزيرة الصاحية الضاحكة ذات الألوان البهيجة والظلال الوارفة والأشجار الملتفة والأشعة البنفسجية . وفى كابرى زاره الأدباء والعلماء والزعماء ، ولا سيما لينين الذى كان يهرع إلى تلك الجزيرة ليتخذمنها مغنى وملهى وموضعاً للتفكير والتدبير . ولم يكن جوركى خصم الشيوعية من اللحظة الأولى ، ولكنه لم يكن لها باختياره ، لأن الشعب تعلق بكتبه ، وأعجب بأدبه ، فطلب إليه لينين أن يرأس تحرير جريدته فأجاب سؤله . ففاز به لينين ولشدما كان إعجابه بهذا الفوز ، لأن جوركى كان الكاتب الكبير المخضرم ، وهو الوحيد بين من عطفوا على الثورة . وكانت تعوقه عن التمادى فى نصرتها عقبة عقلية ونفسانية ، وهى أنه بنشأته وغريزته يعين الفرد ، ويعززه ويعمل على تنميته وتعظيمه والإعجاب به ، والثورة الشيوعية تود لو تمحو شخصية الفرد لينبدمج فى المجموع ويسخر له . وفى هذا المذهب ابتلاع لمبادئ الفلسفة الاجتماعية التى سرت إلى سريرة جوركى وسرائر أساتذته وأصدقائه . ولكن الشيوعيين اعتقدوا أنهم فى حاجة إلى كاتب فحل واسم ضخم وثائر عنيف ، يقف كالطود وينصب كالعلم ليلتف حوله أولاده وتلاميذه ، فلم يبخل جوركى على وطنه بهذه النعمة ، وقد روى لى (شليابين هو المتكلم) : أن ستالين قال له يوماً فى موسكو :

— ما عليك يا ابن مكسيموفتش العزيز !

أليس هذا النظام الذى يحارب الفقر والجهل والمرض وينتزع الشعب المقهور من براثن الفاقة ، ويعد مستقبلاً سعيداً لملايين المساكين الذين طال تعذيبهم ، وكتبك كلها ناطقة بالحنان عليهم أترانا نبالغ أحياناً ونطلب المزيد ؟ فأعرض عنا قليلاً قليلاً ، ولكن لا تتخل عنا . نحن أقرب الناس إليك فى سوق هذه الحياة الدنيا (كذا) ، ولا أهل لك غيرنا لو تأملت.. أما أنا فستجدنى أطوع لك من لينين ، أى من بنانك . فأنا أعلم أنه كان يحبك حباً جماً ، ولا يخيب لك رجاء ، وحسنا فعل ...

فقلت له : ولكننى فى حاجة إلى الراحة . فقد بقيت أكتب وأكتب منذ ثلاثين عاماً وأكثر . أما آن لى أن أستريح ؟

قال لى : لكن قلمك اخترق قلوب الشعب ، فلا يحلو لهم غير الذى تصوغ من درر الفن الرفيع . إن تعلق الشعب بك بعد أن مات تولستوى وتشيكوف ، وبعد أن فرأندرييف أشد من تعلقك بشليابين لحبك موسيقاه وتفانيك فى أنغامه

وسألت جوركى فى هذا فقال لى : أنا أحبك لذاتك . أنت شيطان الموسيقى الأكبر ، ولكن الموسيقى التى تجذبنى هى التى سمعتها على ضفاف نهر الفولجا أو فى سفائن تمخر أمواهه

محمد لطفى جمعة

مولد الليـــل

(بقية المنشور على صفحة ١٥٦)

هَذِهِ الشمْسُ إذا ما غَرُبَتْ ... فورَاءَ اللَّيْلِ إصْبَاحٌ يَرُوقْ
وإذا شَمْسُ حَيَاتِى ذهبتْ ... وَدَجَا (اللَّيْلُ) فلا نجم ولا
مَوْضِعٌ فيهِ لِفَجْرٍ أو شُرُوقْ

ظُلْمَةُ اللَّيْلِ بهَذا العَالَمِ ... تَسْبَحُ الأحْلَامَ فِيهَا وَتُطِيفْ
أَتُرَى لِى مِثلُ حُلْمِ النائِمِ ... إن دَجَا فَوْقِى لَيْلُ الرَّدَى،
أمْ تُرَى لَيْسَ سِوَى الصَّمْتِ المُخِيفْ ؟

إيهِ يا لَيْلُ تجَمَّعْ وَانْزِلِ ... فِيكَ لليَائِسِ أحْلَامٌ تُتَاحْ
إيه ياليل ، بقلبى الذَّابِلِ ... سَكَرَاتٌ من مُنًى حائِرَةٍ
تَتَلَاشَى عِنْدَ إقْبَالِ الصَّبَاحْ

الخفيف

---

(١) شارك الشرطة السرية فى الايقاع برجال الثورة ثم دبر له البوليس السرى كميناً وشنقه فى حديقة قصر خال بالريف

الشتاء ! الشتاء ! وماذا تفهم من الشتاء يا ابن مصر الضاحية الضحوك ؟ هل تفهم منه إلا أنه أسابيع من عمر العام لا تدرى أهى أواخر خريفه أم أوائل ربيعه؟ هل تجد فى جسمك غير دفء النعمة، وفى نفسك غير بهجة الأنس ، وفى عينك غير إشراق الجمال؟ أنظر أمامك تر الشتاء الغربى الذى جعله الله شيخوخة الطبيعة ، يسلبها الرواء فلا تُعجب ، ويحرمها النماء فلا تخصب ، ويلقى عليها الهمود فهى سكون خافت وصمت ثقيل،ويلفها فى كفن من الثلج نسجته ريح بليل ؛ ثم تقشعر الأرض ، وتكفهر السماء ، وتقع الحياة بين القحط والموت ، فتئن بالرعود ، وتتأوه بالأعاصير . وتتساقط على الشجر السليب والثرى الكئيب والقرى الموحشة، همًّا فى الصدور، وبؤساً فى الأكواخ ، ورهقاً فى العزائم .

إن الشتاء فى غير مصر زمهرير جهنم ، تتنفسه كما تقول الأساطير فلا يذر من شىء يهبُّ عليه إلا أحرقه بالقُر وأغرقه فى الصقيع..أما فى مصر فالشتاء فى الناس لا فى الطبيعة. والشتاء فى الناس برد فى الدماء ، وخمود فى العواطف، وقحط فى الأنفس . فلو كان كل من على النيل صافى القلب كسمائه ، عذب الخلق كمائه ، طلق اليد كفيضه ، ضافى المعروف كأرضه ، لكان هذا الوادى الحبيب جنة الله فى الدنيا، أزلفها لجنس من خير الأجناس، خلقه وسطاً بين الملائكة والناس ! ولكن . . . وما أسخف الحياة ما دامت فيها لكن !

ابن عبد الملك

ردٌ على نقد

القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

إذا كانت الأشياء تتبين بأضدادها فقد تبين معنى القديم الذى أردناه لما بينا فى المقال الماضى مرادنا بالجديد

إن قديم الإسلام الذى ذكرناه فى أولى الكلمتين اللتين نقدهما الأستاذ قارئ هو القديم الذى نحفل ونفخر به والذى لا نرى سواه جديراً بالاستمساك به والذود عنه . لكن قديم الإسلام ليس مرادفاً من كل الوجوه لقديم المسلمين . فقديم المسلمين هو كل ما شمله تاريخهم مما يسر ويسوء ، ومما يطابق أو يخالف الإسلام . لو كان المسلمون معصومين من الخطأ ومتابعة الهوى ، أولو كانوا مع عدم عصمتهم لم يخطئوا إلا خطأ المجتهد ، لكان قديم المسلمين هو وقديم الإسلام سواء ، ولكان حال المسلمين اليوم شيئاً آخر غير ما هم فيه . لكن المسلمين بعد أن فتح الله البلاد على سلفهم الصالح وخلفوه فيها فتنتهم الدنيا كما فتنت من قبلهم ، وحاولوا أن يتحللوا من قيود دينهم ، وتهاون أولو الأمر فى إقامة حدوده فزلت الأقدام بعد ثبوتها ، وتداولتهم الأيام حتى صاروا إلى ما هم عليه

ومن الإفك العظيم الذى يأفكه الغرب أن ينسب ما هم فيه إلى دينهم الذى إليه ينتسبون . لو كان ما هم فيه نتيجة العمل بالإسلام ما كان هناك مفر من اتخاذهم حجة عليه . لكنهم صاروا إلى حاضرهم المخزى بتركهم العمل بالإسلام ، فهم حجة له سلبية كما أن سلفهم الصالح حجة له إيجابية ، وتمت بذلك حجة الله على الناس . سلفهم الذى نزل فيه الدين استمسك بالدين فدانت له الأرض فلم تطغه ولم تبطره ، وضرب للتاريخ المثل العملى الفرد لحكومة الله فى الأرض كيف تكون . فكانت تجربة أجراها الله فى الأرض لا يقدر على إجرائها غيره ، تحققت بها دعوى الاسلام أنه دين الفطرة التى فطر الله عليها الناس ، لا يتحقق لهم كمال ولا سعادة إلا به ، أفراداً كانوا أو جماعات . وحسبك من كمال الفرد به . تطور النفس الجاهلية إلى مثل نفس عمر وأبى بكر وعلى وعثمان ، ومن إليهم من السابقين الأولين ، وحسبك من كمال البيئة الإنسانية وسعادتها تطور البيئة الجاهلية به إلى البيئة الإسلامية أيام الرسول الكريم صلوات الله عليه وفترة مذكورة بعد أيام الرسول

ثم أجرى المسلمون أنفسهم لسوء حظهم التجربة الأخرى التى يتم بها إثبات أن ذلك التطور المعجز الذى تطورته النفس البشرية لما خالطها الإسلام ، كان حقا نتيجة للاسلام لا لغيره . وآية ذلك أن يزول الأثر إذا زال المؤثر ، كما يجرى فى أى تجربة علمية . وقد كان ، فزال عن النفس كمالها ومن البيئة عزها لما انخدعت عن دينها ، وتعطل أثر الإسلام فيها

فتاريخ المسلمين إذن فيه الخير وفيه الشر ، فيه تحقيق الاسلام عمليا وفيه تعطيله . وإذا كان قديم المسلمين يشمل الاثنين بالطبع لأنه عين تاريخهم فإن قديم الدين لا يمكن أن يشترك مع قديم أهله إلا فى ذلك الجزء الذى حققوا الإسلام فيه . فقديم الإسلام الذى نقصده والذى قصدناه بما كتبنا من قبل هو أولا كتاب الله وسنة رسوله ، وهو ثانيا ما طابق الكتاب والسنة من تاريخ المسلمين

وإذا فهمنا قديم الإسلام هذا الفهم وتم لنا تحديده هذا التحديد وجدنا أنفسنا أمام شىء يزول معه كل معنى للتفرقة الزمنية بين الأمور ، فلا يكون هناك محل فى الإسلام لفكرة القديم والجديد كما تفهم الآن . إن الإسلام دين الفطرة ، والفطرة عند التحقيق لا يتفاوت فيها فى دائرة الحق قديم ولا جديد . إنما يكون التفاوت والتناقض بين الحق والباطل . فكل جديد يخالف قديم الإسلام بالمعنى الذى حددناه هو جديد باطل ، نصيبه من البطلان بقدر ما بينه وبين الإسلام من خلاف . وكل ما جدّ للانسان من حق وقف عليه بعد جهل به فهو والحق الذى عرفه الإنسان من قبل سواء ، تشملهما الفطرة ، ويشملهما الإسلام الذى يشمل بتشريعه وروحه وكنفه جميع صور الحق وسننه فى جميع مدارج الحياة ، فى جميع مظاهر الكون ، ما عرف الإنسان منها وما سيعرف ، ما قدر له علمه فى هذه الدار وما قدر له بعد هذه الدار .

وليس فى الوجود دين ولا نظام جمع للانسان الخير كله والحق

كله وحذره من الباطل كله إلا الإسلام . والإنسان يستطيع إلى حد كبير تمييز الحق من الباطل فى دائرة المحسوس الذى يستطيع إخضاعه لتجاربه العلمية ، أما ما لا يستطيع إخضاعه لتجاربه مما يتعلق بحياة الإنسان الروحية فلا سبيل للوصول إلى الحق والخير فيه إلا بإرشاد الله فاطر الفطرة وبهدايته . وقد فعل سبحانه ، فضلاً منه على عباده ورحمة بهم أن يهلكوا إذا تركوا وشأنهم فيما يتعلق بحياة الروح ، فإن للروح سننها التى سنها الله كما لغير الروح سننه ، ولا مناص للانسان من اتباع سنن الله وإلا كان من الهالكين . فكان من رحمة الله بالإنسان أن مهد الله له سبيل النجاة والفلاح واطراد الرقى الروحى بالأديان التى أرسل بها رسله تترى حتى ختمها سبحانه وأتمها للانسانية فى الإسلام

والعجيب الغريب من أمر الإنسان فى عصرنا هذا أنه يحرص على اتباع سنن الله فى عالم المادة ولا يحرص على سننه فى عالم الروح . هذا عجيب لأن الذى يقدر سنن الفطرة ويبحث عنها ليستمسك بها فى ميدان ينتظر منه أن يقدرها ويبحث عنها ليستمسك بها فى غيره من الميادين . فإذا كان فاطر الفطرة سبحانه قد أنزل للانسان هداية مبنية على سننه فى الميدان الذى لا يملك الإنسان إجراء التجارب العلمية فيه كان ذلك أدعى لاغتباط الإنسان بتلك الهداية من باب أولى . وكان الأقرب إلى العقل أن يحرص الإنسان عليها إن كان مؤمناً بها عن يقين ، فإن لم يكن كان الأولى والأقرب إلى العقل أن يسارع الإنسان إلى بحثها وفحص منعاتها الدالة عليها ليصل فيها إلى حكم صحيح وقرار صريح . لكن الإنسان لا يفعل شيئاً من هذا . فلا المؤمن يحرص على الدين كما ينبغى ويدعو إليه كما ينبغى ، ولا الشاك يسرع إلى فحص الدين كما ينبغى ليصل فيه إلى قرار صحيح . وأغرب من هذا أن يسمح المؤمنون وهم كثير للشاكين وهم قليل فى البيئة الإسلامية أن يبذروا شكهم وينشروه عن شمال ويمين ، فى نفوس النشء من بنات وبنين

إن البيئة الإسلامية تحسن الدفاع عن نفسها إذا هوجمت فى دينها صراحة ومواجهة من أمام ، لكنها لا تفقه أن الأمر يحتاج إلى دفاع حين يأتيها الخصم مداورة ويهاجمها فى الإسلام بحركة التفاف : لقد تركت لدعاة الغرب الحبل على الغارب يقولون ما يشاءون ويبثون فى نفوس صغارها وناشئيها ما يشاءون ما داموا يسلكون إلى ذلك طريق التلميح والإيحاء أو ما داموا لا يهاجمون التوحيد صراحة والقرآن . فلما غر كثيراً فيهم الغرور وظن أن الأوان قد آن لمهاجمة الدين مواجهة لا مداورة هبت الأمة كلها تذود حتى كادت تبطش به ، فلما انزوى عادت إلى نومتها الأولى كأن لم يبق هناك من حاجة إلى اليقظة والانتباه

وكان سلاح دعاة الغرب فى مهاجمة الإسلام فى صميم بلاده ونفوس أهله هو هذا الأدب الذى يسمونه بالجديد .

والأستاذ (قارئ) يحدثنا أن الذين يسمون الآن بأصحاب المذهب الجديد كانوا فى أول الحركة أو منذ ثلاثين سنة رجعيين يدعون إلى الرجوع فى النمط الأدبى إلى العصر الجاهلى أيام كانت اللغة خالصة ، وكان أدبها خالياً من التكلف فى الغزل والمحسنات اللفظية . لئن كان ذلك كذلك فما أظن حركتهم تلك فى الأدب كان لها داع ما ، لأن كل ما وصفها الأستاذ به وقال إنها تطلبه كان متحققاً بالفعل على يد حافظ وغيره إن لم يكن قبله

ويقول الأستاذ إن أنصارها قرأوا الشعر الأوربى اتفاقاً « فرأوا أن مبادئ رجعيتهم هى مبادئ الأدب الأوربى الصحيح السليم ، وأن الأدب الأوربى يعينهم على تحقيق تلك الرجعية » ولسنا ندرى كيف يمكن أن يعين الأدب الأوربى على تحقيق تلك الرجعية التى وصفت . وإذا صح أن بعضهم كان كما قال ، فأكثرهم لم يكن كذلك أى لم يقرأ الشعر الأوربى اتفاقاً ولم ينصره لأنه يؤيد مبادئه الرجعية ، ولكنهم كانوا ممن درسوا الأدبين ، وأوحى إليهم الأدب الأوربى مبادئهم التى دعوا إليها خصوصاً ما سماه : « الرجوع إلى طريقة المتقدمين فى إظهار كل شاعر خصائص نفسه وفكره ، وأن يباح له القول أكثر مما كان يباح للمتأخرين » . ولست أدرى ماذا كان محرماً على المتأخرين ، وأراد أصحاب الجديد فى أول الأمر أن يباح لهم ، وإنما الذى أدريه أن مبدأهم ذلك قد خرج بهم عن الحد ، وأدى إلى هذا الأدب الفاجر الذى يستطيع الأستاذ أن يضع يده فيه على ما شاء ، والذى يعتذر عنه بأن هناك أفجر منه فى القديم

إن فى القديم أفجر منه من غير شك وأكثر منه أضعافاً

كثيرة ؛ لـكن التفاوت فى لحن القول ، أظن الفضل فيه يرجع إلى القانون، والـكثرة راجعة من غير شك إلى تراكم القرون وتعدد الأمم وكثرة الناس وعظم نسبة قائلى الشعر فيهم ممن يحسنه ومن لا يحسنه . فليت شعرى إذا حسب أثر ذلك كله ماذا تكون النتيجة وماذا يبقى من دفاع الأستاذ؟ إنها نقطة طريفة، لـكن مهما تكن نتيجتها فإنها لا قيمة لها فى الموضوع . فالقديم الذى ندافع عنه والذى إليه قصدنا من قبل ليس هو القديم الزمنى الذى ذهب إليه الأستاذ . ليس هو قديم المسلمين برهم وفاجرهم كما توهم الأستاذ خطأ ، ولـكنه قديم الإسلام بالمعنى الذى فصلناه . وإذن فنقده الذى وجهه إلينا وبناه على المعنى الزمنى للجدة والقدم نقد ذاهب لا يتوجه إلينا منه شىء

إن التفريق بين المذاهب والأعمال بحدوثها وقدمها كما يفعل كثيرون هو غير معقول، إنه تفريق تافه لأنه مبنى على شىء عارض هو الزمن يأتى ويمر من غير أن تكون له صلة بحقائق الأمور . إن قديم اليوم بمعناه الزمنى هو جديد أمس قد مضى ، وجديد اليوم هو قديم غد سيكون . فالجدة والقـدم شىء عارض متغير لا وزن له فى قياس قيم الأشياء اللهم إلا المادى منها ، وليس فى كلها يطرد معناه . أما الأمور المعنوية التى تتصل بحياة الإنسان الروحية وصميم إنسانيته فلا بد لقياسها والمفاضلة بينها من معيار آخر ثابت على الزمان هو معيار الحق والصدق والخير . وقد أنزل الله الدين ليهدى الإنسان إلى ما لا يستطيع الاهتداء إليه من هذا ما دامت حياته ونجاته وإنسانيته متوقفة عليه . من أجل ذلك تركنا المعيار الزمنى الذى لا يغنى من الحق شيئاً ، وقررنا ما كنا نظن أنه بديهى واضح من أن المعيار الثابت للحق والخير يجب أن يلتمس لا فى جديد الغرب ولـكن فى قديم الإسلام أى فى الإسلام كما أنزله فاطر الفطرة على الإنسان الـكامل والرسول الخاتم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه

لقد قررنا هذا الأصل من قبل ولا نزال نقرره . قررناه حين كتبنا نقدنا التحليلى لـكتاب الأدب الجاهلى وأخذنا على صاحبه فيما أخذنا نشره مجون الأدب الغربى فيما كان يلخص للهلال من روايات فاجرة كرواية الزنبقة الحمراء ، ونشره مجون الأدب العربى فيما كتب عن أبى نواس ووالبة ومن إليهما فى حديث الأربعاء . وها هو ذا صاحبه يدعو فى أحدث كتاب له إلى الأخذ بحضارة الغرب كلها خيرها وشرها حلوها ومرها كأنما أراد أن يصدق ما قلنا فى كلمتنا الأولى التى انتقد الأستاذ (قارئ) من أن « الذين يسمون أنفسهم أنصار التجديد يؤمنون بالغرب كله ويريدون أن يحملوا الناس على دينهم هذا ولو خالف الإسلام فى أكثره » . فنحن حين صورنا الخلاف بين أنصار قديم الإسلام وجديد الغرب كما صورنا إنما كنا نصف واقعاً مشهوداً، والأستاذ (قارئ) يصف من حركة الجديد تاريخاً غير مشهود مر ، على قصر الفترة التى كانت منذ بدأ ، وصار إلى هذا الجديد الذى يغلب على الحركة الآن وغلب عليهما من زمان — بالنسبة إلى عمرها — طويل

والأستاذ (قارئ) يجعل للأسلوب والطريقة واللغة مكاناً كبيراً فى حركته التى وصف ، وإنى أعرف أن الأسلوب واللغة والطريقة هى مدار الخلاف بين من يعرفون بأنصار الجديد وأنصار القديم كما أعرف للأسلوب والطريقة واللغـة مكانها فى الأدب . لـكنى لا أحلها مع ذلك المحل الأول ، وإنما أجعل لروح الأدب المقام الأول فى الحـكم عليه . وأنا فى ذلك تابع غير مبتدع، تابع للقرآن مهتد بما سنه للناس

فلحكمة كبرى جعل الله معجزة دينه معجزة أدبية باقية على الدهر وجعل رسوله أفصح الناس . وليس أصغر ما فى تلك الحـكمة التنويه بالأدب والتنبيه إلى أن قوته الهائلة ينبغى أن تكون عوناً للحق والخير على الشر والباطل فى حياة الإنسان، فهذا تشريع منه سبحانه وهدى للناس فى الأدب كان ينبغى عليهم أن يتبعوه . ولقد اتبعوه بالفعل فى عهد الرسول وفى أكثر عهد الخلفاء الراشدين، ثم جاء عمر بن أبى ربيعة الذى لو أدرك عهد عمر بن الخطاب لجلده ونفاه ولـكف من غرب مجونه الذى فتح فى الأدب باب الشر والمجون على الناس. وصلوات الله على رسول الله لقد نبه الناس لو كانوا ينتبهون: نبههم إلى أن الشيطان يئس أن يعبد فى أرضهم ورضى أن يطاع فيما يحقرون من أعمالهم . وكان مما حقروا القول الماجن ما داموا لا يرتكبون بالفعل ما يفترون فيه . وظن ابن أبى ربيعة أنه إذا قال ولم يأت شيئاً مما قال فليس عليه عند الله وزر ، ونسى حديث الرسول الذى أنبأ فيه الناس أن الله قد تجاوز لهم عن حديث النفس ما لم تعمل أو تكلم، والحديث الذى نبه فيه صلوات الله عليه

الناس أن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . ووقع ابن أبي ربيعة فى الحرجين واحتمل الوزرين كليهما فوصف حديث نفسه كلاماً تبعه فيه العرجي ومن لف لفه فانحرفوا بالأدب العربى عن الطريق الذى اختطه له القرآن إلى الطريق الذى تمناه الشيطان لينفذ منه إلى النفس المسلمة يفسدها قليلاً بعد قليل وجيلاً بعد جيل

فالأدب العربى كـكل أدب إنسانى يجب أن يحكم عليه أول مايحكم لا بأسلوبه ولا بطريقته ولا بلغته. ولـكن قبل كل شيء بأثره فى النفس أي بأثره فى حياة الفرد وفى حياة المجموع . فإن كان أثره صالحاً يعين النفس على رقيها ويهديها إلى ربها فهو أدب صالح كريم ، وعندئذ تكون بلاغته وما يمكن أن يتصف به من مميزات أخرى حسنات له توضع فى ميزانه. أما إذا كان سيء الأثر يثير فى النفس شهواتها ويصرفها عن هداها فهو أدب فاسد غير كريم مهما ملك صاحبه من عنان اللغة ومهما امتاز فى الأسلوب، بل مميزاته فى اللغة وفى الأسلوب تكون عندئذ من سيئاته لأنها تجعله أقدر على إفساد نفس الإنسان . من أجل ذلك جعلنا الأدب فيما كتبنا قسمين : قرآنياً وغير قرآنى، أو أخلاقياً وغير أخلاقى، حسب أثره فى النفوس لا فرق.فى ذلك بين القديم منه والجديد

والأدب الجديد كان له أسوأ الأثر فى النفس المسلمة خصوصاً النفس التي لا تعرف من دينها ما تستطيع أن تدفع به عادية ذلك الأدب على مكان الدين منها ليفتنها بجديد الغرب عن قديم الاسلام. ولقد قلنا من أجل ذلك إن المسأله بين القديم والجديد هى فى صميمها مسألة اختيار بين دين ودين، فظن الأستاذ أننا نريد أن الجديد يريد أن يحل المسيحية محل الاسلام ، وليس كذلك . إن المهم ليس هو ذات ما يتخذ بدلاً من الاسلام ، ولـكن هو مجرد الانصراف عن الاسلام . وماذا يهم إذا انصرف المسلم عن الاسلام أى شيء اتخذ أو على ماذا أقبل؟ إنه إذا استدبر الإسلام لا بد مستقبل غيره؛ وإذا أحله من نفسه المحل الثانى فهو لا بد محل غيره المحل الأول ؛ وإذا عصاه فهو لا بد مطيع سواه . هذا الذى يستقبل ويكبر ويطيع بدلاً من الإسلام هو الدين الذى اتخذه أو يتخذه المسلم المفتون بالغرب بدلا من دينه . وليس يهم أدين هو معروف فى الأديان أم هوى هو بين الأهواء أم وهم من الأوهام

واستعمالنا لفظ دين بهذا المعنى استعمال عربى صحيح . فالدين فى الأصل معناه الخضوع ومن أخص خصائصه العبادة ، وقد جعل الله سبحانه طاعة الناس للشيطان عبادة منهم للشيطان فى قوله (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لـكم عدو مبين، وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) . وأوضح أن الناس لم يعبدوا الشيطان عبادة سجود ولـكن يكفى من عبادتهم إياه أنهم أطاعوه فأضلهم عن سبيل الله . كذلك قد جعل الله اتباع الإنسان هوى نفسه عبادة للهوى واتخاذاً إياه إلهاً من دون الله (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً) (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) . فأساس التدين اتباع الدين والخضوع لله طوعاً ما للانسان خيار فيه . فإذا غلَّب الانسان على دينه شيئاً آخر يدين له بالطاعة من قلبه فذلك الشيء هو فى الواقع دين له بدلاً من دينه الذى ينتسب بالاسم إليه؛ وإذن فنحن لم نُغْرب ولم نخرج عن حدود اللغة ولا عن الاستعمال القرآنى حين أطلقنا لفظ الدين على كل ما يحل فى قلب المسلم محل دينه . ونحن لم نظلم دعاة جديد الغرب حين قلنا إن جديدهم فى الأدب ليس مقصوراً على الأسلوب والطريقة ولـكنه فى صميمه إحلال دين مكان دين ما دام منحى ذلك الأدب التماس المثل العليا واقتباسها من الغرب لا من الاسلام ولا من القرآن

محمد أحمد الغمراوى

استطلاع صحفي (ريبورتاج)

الأندية الأدبية في مصر

(لمندوب الرسالة)

— سأكتب عن الأندية الأدبية في مصر ...

— وأين هي يا أخي تلك الأندية الأدبية التي في مصر ؟!

ذلك ما قالته لصديقي الشاعر « الخفيف » وكنا في ندوة الرسالة ، وهذا ما أجابني به في لهجة قاسية منكراً أن تكون في مصر أندية للأدب . وهذا أيضاً ما سيقوله جل قراء الرسالة — إن لم يكن كلهم — وسينكرون أن تكون في مصر أندية للأدب . وربما يسألون : ما شأن هذه الأندية ؟ ومتى وجدت ؟ وأين توجد ؟ وما بالنا لا نعرف عنها أي شيء ؟ .. وهذا هو الذي حفزني للكتابة عن هذه الأندية ، وحملني على أن أكشف للناس — بل ولكثير من الأدباء أنفسهم — عن ناحية مستورة في حياتنا الأدبية ، ومؤثر له شأنه وخطره في وجهتنا الثقافية

نعم ليس في مصر أندية للأدب بالمعنى الضخم الذي يوحيه إليك هذا التعبير الضخم ، فتتخيل العمائر الشاهقة التي شيدتها الحكومة أو شيدتها الجمعيات الأدبية المنظمة وجعلتها في تأسيسها وفي أثاثها بهجة الناظر ومتعة الخاطر ، لتكون مجمعاً لأهل الأدب ومسرحاً لأرباب القلم ، كما هو الشأن في الأمم الراقية التي تحترم الفن ، وتقدر نتاج الفكر ، وإنما الأندية الأدبية في مصر إما مقاهٍ عامة تتسع لغمار الناس وجميع الطبقات ، وربما تكون ضئيلة الرواء تافهة الموقع ، وإنما ينزع إليها الأدباء لود قديم ، أو لمعنى يتصل بحياتهم المادية والروحية ، وإما بيوت لها مجد تالد ، وتاريخ حديث يتصل بتاريخ غابر ، فأصحابها يقربون أهل الأدب ويفسحون لهم في صدور بيوتهم يسمرون ويتندرون ، ويمتدحون بل ويذمون ، ويتوثبون من حديث إلى حديث بين أكواب الشاي وأقداح القهوة

وهذه الأندية على بساطتها لها أثر كبير في حياتنا الأدبية ، وإن ما يجري فيها لصورة صحيحة لثقافتنا ووجهتنا في الأدب والشعر والنقد وكل ضروب المعارف التي نحذقها ، والتي لا نحذقها . وأنت لا شك تجهل كثيراً من نواحينا الفكرية وسياستنا الأدبية ، ومدى الصلة بين ثقافتنا وأخلاقنا . وأنت لا شك تخطئ كل الخطأ إذا كنت تحسب أنك قادر على فهم أدبائنا حق الفهم من كتاباتهم التي يزورونها للناس ، من غير أن تنتقل إلى هذه الأندية ، تجول بين جنباتها ، وتندمج في جماعاتها ، فتحاور وتداور ، وتقول وتسمع ، وترضى وتغضب ، وتنفلت معهم من كل قيد ، وتخرج على كل وضع ، وتكون حاضراً بعقلك وقلبك وعواطفك ، حتى تنبسط أمامك النفوس ، وتنكشف لك السرائر ، ويعلن كل مخفيّ ومطويّ ، فيتبين لك القوم بعقلهم الواعي ، وما يسمونه بالعقل الباطن

لقد خرجت منذ عامين برفقة صديق عزيز إلى بساتين القناطر الخيرية في يوم عيد الربيع ، فرأينا الناس قد احتشدت هناك على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتباين طبقاتهم ومراتبهم ، ورأيناهم قد خرجوا من وقارهم ، واستهانوا بكل ما اصطلح الناس عليه من الأخلاق والتقاليد ، واندفعوا في يقظة العواطف ، ورغبات القلوب ، وشهوات الجسد ، ما وسعهم الجهد في ذلك ، فكنت أنظر إليهم في فزع وجزع ، فمال عليّ صاحبي وهو يقول : لا تفزع ولا تجزع ، فإن هذه — لو علمت — هي حال الناس بين الجدران ، وتلك طبيعتهم من وراء الحيطان ، وثق أن ما يظهر به الناس في الخارج من سمات الوقار ومظاهر الاحتشام إنما هو شيء متكلف مزوّر ، وإنه ليغطي وجه الحق على كثير من الناظرين . ولو قدر للشمس أن تشرق على جميع الناس ، وأذن للحجب أن تنهتك عما وراءها لرأيت الناس في طبيعتهم الصريحة وحقيقتهم الصحيحة ، وما حقيقتهم إلا ما ترى ياصاحبي .

وهذا الذي قاله صاحبي في الناس بالأمس ، هو ما أقوله في أصحابي الأدباء اليوم ، فهم في كتاباتهم قد يحجبون حقيقتهم ويزوّرون في طبيعتهم ، ويظهرون في غير لباسهم ، توخيا لمصلحة يرجونها أو رهبة لسيطرة القوانين والتقاليد ، أو رعاية لروابط الصداقة وصلات المودة بينهم وبين الناس ، فتراهم يبدون الرأي في احتراس ، ويحكمون على الأشياء بقدر ، ويخدعون ضمائرهم

فيحسنون ما ليس بالحسن ، وهم على عكس هـذا كله فى أنديتهم الأدبية ، ومواطن سمرهم وصفوهم ، صرحاء وضحاء ، لا يقتصدون فى شىء ولا يبقون على شىء ، فتسمع منهم الرأى الصحيح والتقدير الصريح والنقد العنيف ، والأحكام القاسية التى تتصل بالآثار وبالشخصيات وتتناول الأفراد والجماعات ، وربما يفزعك هذا النقد بأسلوبه ، وربما تنكره على أصحابه ، ولكنك لا شك ستجد فيه كثيراً من الصراحة المحمودة ، والتقدير الحق . وأذكر أن أديباً كبيراً أعرفه كتب مقالا فى تقريظ صاحب له فى إحدى الصحف ، فهول وبالغ ومجد وقدّس حتى طار بصاحبه إلى السماء ، فلما قابلته فى المساء حيث يجلس مع إخوانه للمسامرة ، ذكر لى أن ما كتبه إنما هو تمويه فى الحق ، وتدليس على الناس ، وأن صاحبه ليس فى قليل ولا كثير فيما كتب عنه ، ولكنها الضرورة قاتلها الله ، وللضرورة حكم أقل ما يقال فيه أنه يفصل بين المرء وبين ضميره . ولقد ذكر الدكتور زكى مبارك فى مقال نشره منذ أعوام ، أن الدكتور طه حسين أسر إليه فى مجلس من المجالس أن «شوقى» فى رأيه أكبر شاعر فى العربية ، وأنه كان يود أن يقدم ديوانه للقراء ، على حين كان الدكتور طه فى ذلك الوقت يذيع فى الناس أن « شوقى » لا يد له فى الشعر ولا رجل ، وأنه شاعر يغنى على أطلال القديم ، فيغنى عنه أضأل شاعر فى القديم ! ! ومن ثمّ تعلم أن أدباءنا فى مجالسهم شىء ، وهم فى كتاباتهم شىء آخر ...

وإلى جانب هذا نجد فى أنديتنا الأدبية ناحية مشرقة ، فهى مجلس الدعابة البارعة ، والروح المصرية المرحة ، ولعلك تعلم أن الدعابة إنما هى الجانب المشرق من الحياة ، وهى عنوان ما فى السرائر المكتومة ، ومظهر من مظاهر الأخلاق والثقافة ، وعنصر يهتم به الدارسون لنفسيات الأمم وطبائع الشعوب . وليس من شك فى أن شخصية الأديب قد تتجلى واضحة مكشوفة فى نكتة يلقيها على بساط الشراب ، وربما لا يظهر لها ظل فى جميع مؤلفاته ولو بلغت ألف كتاب . ولأدبائنا فى مناحى الدعابة ذراع رحب ، ولسان طويل ... ولكنهم لا يهتمون أو قل يتحرجون من تسجيل ذلك وإذاعته فى الناس ، ولا شك أننا فرطنا فى كثير إذ أهملنا ما كان يجرى فى مجالس البابلى وحافظ وإمام العبد وأندادهم ، فلم نسجل شيئاً من أحاديثهم . ولم نحفل بنوادرهم وقفشاتهم ، على أنها كانت ثروة طيّبة ، وناحية حافلة بالأنس والسمر ، ومن العجيب أن القدماء كانوا أجدى منا فى ذلك وأحفل به ، ولعل مرجع هذا إلى أنهم كانوا يكتبون للخاصة فكانوا ينطلقون على طبيعتهم فلا يتأثمون من تعبير ، ولا يتزمتون من لفظ ، ولكننا نكتب لجميع الناس ، وكتاباتنا تتصل بمختلف الأوساط ، فكان لا بد أن نعف عن كل ما يخدش الحياء ، ويؤذى الأذن كما يزعمون !

ومن بعد هذا ومن قبله ، نجد تلك الأندية تعمل كثيراً فى نهضتنا الأدبية ، وفى وجهتنا الثقافية ، فكثيراً ما تتشاجر الآراء ، وتقوم المجادلات بين القوم حول المعركة بين القديم والجديد ، أو فى المقارنة بين شوقى وحافظ ، أو المفاضلة بين طه والعقاد . وقد يخرجون من القول فى الأدب إلى الكلام فى السياسة وما يجرى من التطاحن بين الأحزاب ، وفى هذه الأحاديث وأفعالها يفضى كل بما عنده ، فتكون الإفادة والاستفادة.

فنحن إذ نكتب عن الأندية الأدبية فى مصر ، إنما نكشف — كما قلنا — عن ناحية مستورة فى حياتنا الأدبية ، ومؤثر له شأنه وخطره فى وجهتنا الثقافية ، ونصور للناس صورة مشرقة بالمرح والصفو يطل منها أدباؤنا بطبيعتهم الصحيحة ، وحقيقتهم الصريحة . وموعدنا المقال القادم لنقف عند أول ناد هبطت عليه يوم هبطت على القاهرة ، وسأعرف كيف أقنع صاحبى الشاعر « الخفيف » الظريف .

« م . ف . ع »

بين المـــرأة والرجل

هل الشرق شرق والغرب غرب فى كل شئ ؟

للآنسة زينب الحكيم

كان من بين البلاد التى زرتها أثناء رحلتى الطويلة بلاد كردستان . ولقد كانت من أعظم المخاطرات وأكثرها فائدة ، ذلك لأنى اكتشفت عالماً مجهولاً للكثيرين . أما ما قمت به من مخاطرات ، وما وصلت إليه من دراسات متنوعة فسأكتب عنه فى غير هذه المناسبة . وأخص هذه الرسالة بشيء من الأدب الكردى الذى حُبِّبت إلىّ دراسته وتقصيه ، لأثبت أنه على قدر ما وجدت تبايناً كثيراً بين الشرق والغرب فى كثير من الموازنات التى عملتها ، وجدت تشابهاً عظيماً بينهما بحيث نستطيع معه تحديد تباين الشرق عن الغرب ، أو توافقهما فى وجهات لا تحتمل الجدل مثل النواحى العاطفية ، والروحانيات ، وتصرف المرأة هنا وهناك

الشاعر الكردى يستوحى إلهامه

وإنى لذاكرة فيما يلى قصة أدبية ، وهى عبارة عن قطعة تمثيلية غنائية عنوانها « الوردة الدامية » من نظم الشاعر الكردى الشاب الأستاذ عبد الله سليمان (كوران) من أهالى السليمانية عاصمة كردستان وقد ترجمتها نثراً إلى اللغة العربية

الوردة الدامية

حوار بين فتى وفتاة :

الفتى — هناك يافتاتى فى ذلك البيت حفلة زفاف ورقص وفرح
ألا تسمعين أنغام الناى ، ودقات الطبول المرقصة ؟
ألا ترين الزحام الباهر من الرجال والنساء يغنون ويرقصون ؟
كم أود أن أسمع هناك رنَّات حليتك الفضية وأنت ترقصين !
هيَّا ... بربك ، هيَّا ... نلحق بهم إذن
ونرقص ونرقص إلى أن يشبع فؤادى ...

الفتاة — كلا أيها الفتى ، لن أذهب ولن أرقص معك
ما دامت لا تزين رأسى وردة حمراء ووردة صفراء

الفتى — يا فتاتى أستحلفك بجمالك ودلالك ولحاظك الساحرة فى طريقك إلى عين الماء
أنظرى إلى الأوراق المتساقطة . أنظرى إلى الأغصان العارية .
إننا فى فصل الخريف ...
أين نحن من الورود ؟ ثم لماذا الورود ؟
أليست شفتاك المتفتحتان بالبسمة الجميلة أجمل من كل شيء ... ومن الورود ؟

الفتاة — لا يا فتى ، لن أذهب ولن أرقص معك ،
ما دامت لا تزين رأسى وردة حمراء ، ووردة صفراء !
لو كنتَ مانحاً قلبك لى بكليته حقيقة
لاستطعت إحضارهما من حديقة الأمير
وكل ما أطلب وردتان فقط !

***

يذهب فتى ويغنى متمتماً

الفتى — حديقة الأمير ... بينى وبينها نهر يفيض ويثور ،
وتحيط بها قبائل معادية لا ترحم
إذا ذهبتُ : فالطريق وعر ولا أمل لى بالرجوع ،
وإذا لم أذهب :

آه ! ! لن ترقص معي فتاتي ، ذات العيون الساحرة

« يبتعد عن القرية شيئاً فشيئاً »

— ٢ —

الفتى — توغلت في حديقة الأمير ، من أقصاها إلى أقصاها أما الوردة الصفراء فها كها . أما الحمراء فلم أجدها واأسفاه . لست أدري أترضين الآن أن تراقصيني ؟

الفتاة — لا ... لن أراقصك . . لن أراقصك . . . من غير الوردة الحمراء الجميلة

الفتى — « يفك ياقة قميصه مشيراً إلى الصدر في محل القلب » ألا تقبلين هذا الجرح الدامي ، بديلاً عن وردتك يا فتاتي ؟

الفتاة — والهفي ... أأصابك رصاص العدو ؟

أتسقط هكذا من شدة الألم ؟

إذن ضع رأسك على صدري وأنت تحتضر ،

ولأبك على قلب افتقدته من أجل وردة

* * *

هـذه القصة التي تعبر بروعة خيالها عن حقيقة عقلية الرجل الكردي . إنما تعبر ضمناً عن ناحية من نواحي نفسية المرأة الكردية المعروفة بقوة الإرادة والشجاعة والحسن الفائق ، والنفسية المرحة السامية ، والعقلية الخصبة على جدب معينها العلمي ، وقسوة بيئتها وإن عوضها جمال مناظر جبالها ، وجودة هوائها ، وكثرة ثمارها كثيراً مما تفتقده من أسباب الحياة الرغيدة ، ونور العلم وميزات المدينة . والمرأة الكردية على غمرة عواطفها أمينة في الحب ، قاسية فيه ، مضحية إلى الموت ، ولكنها صلبة الرأى إلى درجة شاذة انتصاراً لمبدأ أو إخلاصاً لحبيب أو صديق ، كما أنها على لطافة خلقها شرسة منتقمة إذا أرادت

هذه القصة من الأدب الكردي أذكرتني بحادثتين وقعتا لرجلين من مشاهير الرجال أذكرهما فيما يلي ، حتى نرى أن ليس الشرق شرقاً والغرب غرباً في كل شيء

(١) **قفاز**

سمعت قصة هذا القفاز زمناً طويلاً من الجدات والكهول ، عن سيدة كان مغرماً بها دي لورج «De Lorge» الضابط النابه الذي كان في صغره من أشجع وأشهر قواد اللواء المشاة في أيام فرنسوا الأول ملك فرنسا (١٥١٥ — ١٥٤٧) .

وكان الملك فرنسوا هـذا مغرماً باقتناء الوحوش الضارية ومشاهدة صراعها في حديقة الوحوش التي أقامها لها خاصة .

ففي ذات مرة ، بينما الملك يشاهد الشجار مع حاشية من عظماء مملكته ، ومن بينهم سيدات يجلسن في مقاصير أنيقة ، إذا بواحدة منهن تلقي بقفازها بين الأسود ، وهي في أشد حالات الغضب والشراسة ، وتوجهت إلى عاشقها دي لورج الفارس النبيل طالبة إليه باستخفاف أن يعيد إليها قفازها ليؤكد أن حبه لها عظيم كما يقول ، ولكي تحقق من ناحية أخرى صدق شهرته أمام الجمهور الذي طالما تحدث عن شجاعته .

فانبرى الفارس مسرعاً دون أن تبدو عليه دهشة أو تردد ، وأخذ عباءته في إحدى يديه ، وسيفه في اليد الأخرى ، ثم دخل بجسارة نادرة في ساحة مساجلة الأسود ، وحالفه الحظ في التقاط القفاز من بينها ، وعاد به إلى سيدته بين إعجاب الحضور وهتافهم . وتبسمت له الحسناء ابتسامة الرضى والسرور

ولكن الضابط الهمام لم يأبه لإعجابها ، واعتبر سلوكها معه ضغينة مبيتة ، ولهذا رمى القفاز فى وجهها معرضاً عن أى شكر ومتحرراً من غرامه . وبذلك أقصاها إلى الأبد

(ب) **منديل**

كان للقائد العظيم دى جينليز de Jenlis الذى مات فى ألمانيا وهو يقود فرق الهوجينوت Huguenot فى الحرب الدينية الثالثة حسناء أغرم بها جداً فمرة كان يعبر وإياها النهر من أمام اللوڤر ، فأسقطت منديلها الفاخر فى الماء عمداً ، وطلبت إليه أن يغوص فى النهر ليعيد إليها منديلها . ولكنه لجهله بالسباحة اتخذ من ذلك مبرراً حسناً للاعتذار إليها

ولكنها لم تقنع — ولامته — بل اتهمته بأنه عاشق خائن جبان . فما كان من القائد الشجاع إلا أن ألقى بنفسه فى النهر دون أن ينبس ببنت شفة ، وحاول البحث عن المنديل عبثاً ، مضحياً بحياته لو لم يدركه قارب النجاة على الفور

نختتم بقصة شرقية مشابهة فيما يلى :

قصة إيرانية

الشاعر نظامى الإيرانى أشهر من نار على علم ، يرى فى مخطوط من كتابه « هفت بيكر » المحفوظ فى نيويورك ، صورة ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادى ، توضح أيضاً تشابه تصرف المرأة الشرقية وتصرف الغربية فى نفس الحقبة من الزمن

ذلك أن الصورة تمثل « بهرام جور » ملك إيران يثبت لحبيبته فروسيته ومهارته فى الرماية ، باجابتها إلى ما طلبته منه وهو أن يلصق السهم وحافر حمار الوحش بأذنه . وقد توصل إلى ذلك بأن ضرب حمار الوحش فى أذنه بقطعة من الطين الجاف ، فلما رفع الحمار حافره ليحك أذنه من أثر الضربة ، رماه بهرام جور بسهم ثبّت به حافره بأذنه

هذه قصص أربع أود لو تتفضل القارئات ومن يرغب من حضرات القراء بإبداء رأى فيها ، نصل من ورائه إلى مبدأ نؤسس عليه معاملة المرأة للرجل وبالعكس ، ولا سيما فى طور الخطبة

زينب الحكيم

قصة العلم التجريبي

الذروة التي بلغها البحث العلمي

للدكتور محمد محمود غالي

يعتمد العلماء اليوم على منابع أربعة للتجديد العلمي: الميراث العلمي، والبحث النظري، والبحث التجريبي، والتعمق العقلي في حقائق الاشياء ووضعها في قوانين لا تتعارض مع النتائج النظرية والتجريبية

ولن أتناول بالبحث في هذه المقدمة الميراث العلمي فقد أشرنا إلى الدرجة التي وصل إليها من العظم حتى أصبح غير ميسور لباحث أن يتعرف في فرع واحد من العلوم كل ما ينشر فيه. أما البحث النظري فقد أصبح من القوة بحيث لا يستطيع المشتغلون بالعلوم التجريبية والذين تستنزف التجارب بين جدران المعامل كل أوقاتهم، الاستغناء عن تتبع التطورات التي تحدث في كل عام من الناحية النظرية، وإن في أعمال إينشتاين وبلانك ودي بروي وشرودنجر ما يدل على ما للطبيعة النظرية من القوة اليوم

أذكر أني طالعت منذ عشرة سنوات في إحدى صحف الصباح بباريس أن لويس دي بروي Louis de Broglie، وكان عمره في ذلك الوقت حوالي خمسة وثلاثين عاماً حاز جائزة نوبل في الطبيعة وكان كل ما بلغه من منصب علمي وظيفة محاضر في السوربون Maitre de Conference وفي مساء نفس اليوم حضر كعادته للمعمل الذي كنت أعمل فيه بالسوربون الأستاذ موتون، وهو عريق في منصب الأستاذية فأردت أن ألمَّ بشيء عن دي بروي فقال لي: «لا تظن أني أعرف عنه أكثر مما تعرف»، وبعد سبع سنوات من هذا التاريخ، وقُبيل وفاة الأستاذ موتون ذكر لي وهو طريح الفراش في مستشفى معهد باستير، وكنت أطالع له عملي: «لم يصبح لدينا من الوقت ما يكفي لتتبع دي بروي وفرانسيس بران[1] (Francis Perrin) ولا أنصحك أن تنفق وقتاً كبيراً لتتبعهم، ولكن يظهر لي أن عالم التخمين لم يصبح أقل أهمية من عالم التجارب»

أما البحث التجريبي في العلوم الطبيعية فقد بلغ ذروة تدل عليها التطبيقات التي تمت داخل معامل الابحاث وخارجها مثل الاختراعات العديدة التي أصبحت تتداخل في جزء من حياتنا اليومية

ولنضرب الآن أمثلة من التقدم في دائرة معامل البحث ونشير إلى شيء من المقدرة التي أبداها العلماء في القيام بالتجارب العلمية. ولعل في إشارتنا ما يجعل جماعة ممتهني العلوم الكيميائية والطبيعية الذين يشبهون في حياتهم كيميائيي القرون الوسطى Al-chemistes وهم كثيرون بيننا يستفيدون من الرجوع لهذه المقالات. ويقيننا أنهم إذا طالعوا بإمعان ما تتضمنه مقالاتنا سيطفئون مشاعلهم التي أفسدت الجو بدخانها ويفارقون بوادق صهرت الكثير من نقود أصحابها ويوقنون أن قصة المعامل اليوم تخالف قصتهم وأن العلماء اليوم متجهون اتجاها آخر في مباحث بلغت من القوة شأوا حمل الناس على الايمان بها والتسليم بسموها وعظمتها.

خذ مثلاً من العلم التجريبي كان النجاح فيه لأستاذين لازمناهما وجاورناهما في معاملهما طويلاً هما كوتون وموتون، ففي سنة ١٩٠٦ استطاعا بإنارة معينة للجسيمات الميكروسكوبية أن يكتشفا ما نسميه اليوم الألترا ميكروسكوب وهو ميكروسكوب عادي إلا أن الجسيمات المراد فحصها تضاء بطريقة تسمح رؤية الجسيمات المتناهية في الصغر والتي لا يكشفها الميكروسكوب أو على الأقل تسمح برؤية مواضع

(١) عالم حديث وهو ابن جان بيران Jean Berrin الحائز لجائزة نوبل والمعروف باكتشافه شحنة الألكترون وفرنسيس بران مدرس بالسوربون ولا شك أنه من المرشحين لجائزة نوبل

هذه الجسيمات ، خذ النتائج السريعة لمثل هذا الاكتشاف العلمي فقد استطاع جان بران في سنة ١٩٠٨ أن يتتبع حركة جسيمات صغيرة جداً كالجسيمات المعلقة مثلاً في نقطة من الحبر[1] وهي حركة مبنية على قوانين الصدفة إلا أنها نوع من الصدفة المنظمة – أما سبب حركة هــذه الجسيمات فهو حركة دائمة في جزئيات الماء نفسه التي تتصادم مع هذه الكرات المعلقة في السائل فتحركها معها، وهذه الحركة الدائمة في كل سائل هي التي تسبب ضغط السائل على جدران الإناء . وقد استطاع بيران (بإدخال حسابات قام بها العالم المعروف أينشتاين) أن يدرس نظام توزيع هذه الجسيمات الصلبة داخل السائل واستنتج من ذلك نتائج علمية عظيمة الأثر منها تحديده لعدد جزئيات الغازات في حجم محدود[2] ومنها معرفته لشحنة أصغر جسيم كهربائي أو وحدة الكهرباء (الالكترون Electron)

وللألكترون أهمية كبرى ويكفي أن يعرف القارئ أن العلماء يتجهون الآن إلى تحديد كل ما نراه وحصر كل ما يكون العالم في أربعة أنواع من الجسيمات المتناهية في الصغر هي الألكترون والبوزتون والنيترون والفوتون . وسنأتي في مقالاتنا القادمة على شرح كل واحد من هذه الجسيمات الأولى الأربعة المكونة للخليقة وعلى الظروف التي أدت إلى اكتشاف كل منها، وإنما أردنا أن ندل القارئ على أن اكتشاف الألترامكرسكوب واكتشاف الألكترون كانا عملين أحدهما مساعد للآخر. ومما يجدر بالذكر أن الالترامكروسكوب لعب دوراً كبيراً في تجارب مليكان الخالدة التي فصل فيها جسيما واحداً يحمل الكترونا حرا[3] واحداً، هذه التجارب التي آمل أن أفصلها يوماً لقراء الرسالة ولكن لا أترك الألكترون دون أن أعطي القارئ فكرة عن حجمه أو كتلته

تصور أنك تدخن سيجارة وأنت جالس في الشمس وتصور أن تركت أطراف السيجارة على أصبعك بعض آثار الورق المذهب بحيث أن أشعة الشمس تساعدك عند النظر لأصبعك أن تكشف بالعين أحد هذه الجسيمات البراقة المتناهية في الصغر والتي تركتها السيجارة . إذا تصورت هذا وأردت أن تتصور الالكترون فاعلم أن حجم هذا الجسيم الصغير يحوي ملايين المرات حجم الالكترون الواحد ، فإن نسبته لهذا الجسيم البراق الصغير جداً كالنسبة بين الأخير وبين المكتب الذي أكتب عليه الآن هذا المقال

يمكنك أن تتصور أيضاً أنك تأكل تيناً وأنه قد أصاب أصبعك إحدى أشواكه الصغيرة – إنه يلزمك في العادة ملقاط لإخراج هذه الشوكة التي إذا خرجت تراها بصعوبة بالعين المجردة ، إن هذه الشوكة ربما تحوي من الألكترونات قدر ما تحوي شجرة التين من الشوك . هذا هو الالكترون الذي استطاع مليكان أن يفصل جسيما واحداً يحمل الكترونا حرا واحداً ويرى موضع هذا الجسيم بل ويرفعه ويخفضه كما يشاء

إلى هذا الحد وصل العلم التجريبي في سنة ١٩٠٩ أيام تجارب بيران ومليكان . أما اليوم وقد مضى ثلاثون عاماً على هذه التجارب فماذا أقصه عليك في هذه المقدمة التي أرجو من ورائها للقارئ إيماناً علمياً يشبه إيمان العوام. ولهذا أكتفي بالتنويه بثلاثة موضوعات كأمثلة جديدة في العلم التجريبي الحديث

الموضوع الأول : تصل إلينا أشعة يسمونها اليوم الأشعة الكونية سأجعلها موضوع مقال خاص في أعداد الرسالة القادمة . تخترق هذه الأشعة سقوف منازلنا كما تخترق أجسامنا وهي مكونة من الألكترونات السابقة الذكر وبوزيتونات سريعة ، وليست الشمس هي مصدر هذه الأشعة كما يتبادر للذهن وذلك لأسباب سنذكرها عند ما نتكلم عليها بالتفصيل

لقد أمكن اليوم بما يسمونه أنبوبة ولسون Chambre de Wilson عد هذه الالكترونات في اتجاه معين بل وسماعها كما تسمع صديقاً لك ورسمها على اللوح الفوتغرافي كما ترسم طفلك يوم عيد ميلاده وذلك بعد أن تخترق هذه الجسيمات ما سمكه حوالي خمسة أمتار من مادة الرصاص

الموضوع الثاني : إنه من الممكن اليوم أن نطلق بالوناً صغيراً يحمل ترمومتراً لقياس الحرارة وبارومتراً لتسجيل الارتفاع والضغط الجوي وهيجرومتراً لتسجيل درجة الرطوبة ، وأن يكون بهذا البالون محطة لاسلكية ولا يزن بمحطته وبكل هذه الأجهزة سوى كيلو جرام واحد ، وهــذا البالون يسجل بمفرده درجات

(١) الجسيمات التي استعملها بران بالذات كانت كرات صغيرة جداً من مادة « الجوم جيت »

(٢) هذا العدد معروف باسم عدد أفوجادرو

(٣) Electron libre

الحرارة والضغط الجوى والرطوبة ويرسل هذه النتائج مسجلة متعاقبة على ورقة موجـودة بمكتب رئيسى على الأرض دون أن يكون داخل البالون شخص لهذه العمليات ؛ هذا البالون كان نتيجة للبحث التجريبى الذى قام به هيدراك وروبير بيروه Robert Bureau فى سنة ١٩٢٧ — ويطلقون فى فرنسا فى كل يوم حوالى ثمانية من هذه البالونات كما أنهم يطلقون عدداً آخر من الباخرة المعروفة باسم الـكارى ماريه Carimarée الفرنسية المستعملة للأرصاد الجوية فى المحيط الأطلانطيق

الموضوع الثالث : استطعت فى سنة ١٩٣١ لأسباب خاصة بدراسة توزيع جسيمات من طمى النيل داخل الماء أن أضع طريقة لتسجيل فترات سقوط كرة أو كرات داخل المـاء أو غيوم من الطمى لأقرب $\frac{1}{1000}$ من الثانية وذلك بتحويل حركة الـكرات أو الحالة الطميية إلى حالة كهربائية باستعمال العين الـكهربائية ؛ وقد أمكننى أن أسجل فعلاً هذه الحوادث وأمثالها على ورق حساس

وفى العام المـاضى توصلت لوضـع طريقة لمعرفة وتسجيل منسوب النيل وعمق النيل وكمية الطمى المحمولة بمياهه مهما كان بعد المنطقة المراد دراستها عن مكتب رئيسى بالقاهرة مثلاً ، وقد اشترك معى فى هذا البحث العام الماضى روبير بيروه مخترع البالون المتقدم الذكر [(١)]

هذه أمثلة مما بلغه اليوم العلم التجريبى وما أصبح عليه من قوة

ولا يقتصر العلم التجريبى اليوم على دراسة المظاهر الطبيعية أوعلى اختراع الأجهزة. بل يضع هذه المظاهر تحت عوامل وظروف جديدة . مثلاً نسلط على المـاء تياراً كهربائياً فنحلله إلى عنصريه الأوكسجين والأيدروجين فنخلع عن الماء برقعه ، وبعد أن كان يظهر للعين كأنه مادة واحدة يتضح أنه مركب من غازين ، ونستقصى طبيعة الـكهرباء وحقيقتها بأن نجعلها تخترق أنبوبة مفرغة من الهواء ، ونضع سماداً فى الأرض أو طبقة جديدة من طمى النيل ونرى أى العاملين أكبر أثراً على نبات الموسم القادم . ونُغير رى الأرض ، وكمية الماء ونرى تأثير ذلك على محصول الفاكهة

وهكذا بتعديل متعمد للظروف الطبيعية وتغيير فى العوامل المؤثرة على الظاهرة التى يراد دراستها تزيد معرفتنا لحقائق الأشياء بدرجة عظيمة ونتعلم نتائج جديدة لا سبيل لمعرفتها بانتظار الأيام والظروف. وهذا ما نسميه فى العلم التجريبى الدراسة النوعية Etude qualitative على أن أهم ما فى العلم التجريبى هو الدراسة القياسية Etude quantitave. كلنا يعلم أنه لتقليل حجم غاز مثلاً يجب أن نضغطه ولكن الباحث يريد أن يعرف القانون الـكمي qualitative الخاص بهذا التغيير وتراه عند ما ينتهى من وضع هذا القانون الذى يربط الحجم بالضغط يعتبر الحرارة كعامل ثالث فيضع قانوناً أعم للثلاثة عوامل الحجم والضغط والحرارة — كذلك يدرسون عدديا العلاقة بين التيار الـكهربائى والضغط الـكهربائى Tension electrique فى الأنابيب المضخمة Tubes amplificateurs فى محطات الاستقبال المستعملة فى الراديو Postes recepteurs de radio وهكذا أمثلة عديدة لدراسة الـكميات

وإنما نذكر ذلك لمـا للدراسة الـكمية والعددية من أثر فى الاكتشاف فإنها لا تؤدى فى بعض الأحيان لدراسة الظاهرة التى يراد دراستها فقط بل تؤدى إلى اكتشاف ظواهر جديدة كان لا يقصد الباحث اكتشافها . وطبيعى أنى سألجأ فى كتاباتى لسرد أمثلة من هذه الاكتشافات التى كان بعضها وليد الصدفة والتى قدمت معارفنا لحد كبير

أما المنبع الرابع للعلماء المشتغلين فهو التعمق العقلى فى حقائق الأشياء تعمقا زاد لدرجة قصوى فى العلوم الحديثة، وقد أصبحنا لا نكتفى اليوم بأن نكتشف القوانين وندعها منفردة بل نجمعها فى قوانين قليلة بحيث أنه بأقل الفروض نحاول أن نفهم عددا كبيرا من الحقائق . ولعل القانون النيوتنى للجاذبية خير مثل أقدمه، فهو قانون يجمع فى معادلة واحدة قوانين كوبرنيك وجيليلو وكبلر وهو الذى تناوله أخيراً إينشتاين باعتبارات جديدة وجديرة أن نتحدث عنها فى المقالات القادمة .

ومن السهل أن ندرك الآن أنه بمثل هـذه المنابع الأربعة يصل العلماء إلى نتائج تختلف عن النتائج التى نصل لهـا بتجاربنا اليومية ومن هنا اختلفت صورة العالم عن الصورة التى رسمتها لنا حياتنا العادية .

فإذا ذكرنا الحركة البرونية ذكرنا جان بران ونجدا سم أينشتاين بجانب النسبية والـكتلة ، ولا يمكن أن نذكر الالـكترون دون

(١) هذه الابحاث نشرتها بالمجمع العلمى الفرنسى بتاريخ ٢ مايو سنة ١٩٣٨

أن نقرنه بأسماء ولسون والدوق موريس دى بروي ومليكان واستون دمبلر وأخيراً شيخ العلماء تومسون (J. J. Thomson) . وإذا ذكرنا البلورات ذكرنا دباى (Debye) وبراج (Les Bragg) وشيرر (Sherrer) ولوى (Laue) وإذا وصلنا للنشاط الإشعاعي وجهنا التحية لبكارل ومدام كيرى ورثرفورد ، جيجر (Geiger) وسودى ، وفى الأتوم يذكر دواماً رثرفورد وبوهر وسمرفيلد الكبير وستارك وزيمان وبولى ، وفى الحرارة النوعية نكرر أسماء إينشتاين ودباى ولندمان ، وفى التبادل الضوئى الكهربائى نحيى مرة أخرى العالم إينشتاين ومليكان وموريس دى بروى وهنت .

وفى علاقة المغناطيس ونظرية الكم تكاتف الكثيرون مما لا يسع المجال ذكر أسمائهم جميعا، وأخيراً تم بناء آخر مرحلة نعرفها الهيكل الطبيعي بل تم آخر طلاء للصورة الجديدة بعملين كبيرين.

الأول الميكانيكا الموجية وما توحى به من فكرة جديدة لمؤسسها لويس دى بروى ثم شرودنجر وهايزنبرج وبورن وجاردان وديراك . الثانى الاحصاء الجديد Les novel'es Statistiques لواضعيه بوز وفرمى ، والأخير حاز جائزة نوبل فى ديسمبر الماضى

هؤلاء هم بناؤا الهيكل الجديد للعالم الذى سأستعرضه للقارئ، ما استطعت بالرجوع لأصول الاكتشافات نفسها وبتبسيط الموضوع ما أمكن، وسأبذل كل ما أستطيعه من مجهود لنتجول معا فى العالم الجديد ولنفهم الصورة الجديدة، وكل رجائى أن يكون فيما أذكره فائدة لعدد كبير من قراء العربية .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

الجمال المصرى القديم
فى النحت
للدكتور أحمد موسى

« سل من شئت من المصريين عن تاريخ مصر الفنى ، وعما فى تراث الأجداد من مميزات ، وعن الناحية الجميلة المتعة فيه ؛ بل سل أغلبية الناس فى مصر ممن زار أهرام سقارة ، وممن تطرف فى حب مشاهدة الآثار المصرية وسافر إلى الأقصر ، وشاهد معبد الكرنك وطيبة ووادى الملوك والملكات ، وتمثال ممنون ... سل كل هؤلاء عما شاهدوه وعما استفادوه ، وعن ناحية الجمال فيما عاينوه ، فلا تسمع إلا تخبطاً يكاد لا يختلف عما تسمعه من أمىّ يعيش بجوار هذه الآثار

ش١ — (رأس نفريت) : متحف القاهرة

ثم شاهد مدينة القاهرة ـ على اعتبارها عاصمة القطر وأهم مدينة فيه ـ وما فيها من ضروب الخروج على أبسط مبادىء الذوق العام واخطر فى أحسن شوارعها يستوقفك شذوذ الانسجام

ش٢ — (زوجة العمدة) : متحف القاهرة

فى مبانيها ، وظاهرة انحطاط الذوق فى كل ما فيها . ثم تفلسف قليلاً لمعرفة السبب فى ذلك تجده ولا شك ينحصر فى جهل الناس معنى الجمال ، ومعنى الذوق ، ومعنى الفن . وهم فى ذلك سواء ، يستوى الجاهل مع العالم ، والفقير مع الغنى

بيوت عالية شاهقة ، وأخرى واطئة حقيرة ، كلها متجاورة . وإذا صادفت عشر عمارات كبار الواحدة ملتصقة بالأخرى ، ترى لكل منها شكلاً ولكل منها منهجاً ؛ كل هذا بجانب دكاكين كتب على أعلى مداخلها باللغة الفرنسية مرة وبالإيطالية أخرى وبالأرمنية ثالثة ، دكاكين كتب فى أعلى مداخلها بالعبرية حيناً

وبالإغريقية حيناً آخر ، كما تصادفك أخرى كتب عليها بالعربية لغة الوطن ، لغة البلاد !

ش ٣ — (والدة إخناتون) متحف القاهرة

تأمل كل هذا . وتأمل بعض الناس وهم يتهافتون على شراء تماثيل من الجص الرخيص ، تماثيل لا تمت للفن بصلة وتسجل على مشتريها قلة الذوق وعدم الفهم والجهل بأبسط مظاهر الجمال

تأمل كل هذا ثم عرج على آثار الأقدمين ترها منسجمة كلها من طراز واحد سمى الطراز المصرى القديم ، له طابع وله انسجام وله أثره فى فنون الغير ، يعطيك صفته دون حاجة إلى دقة الفحص ودون حاجة إلى سابق الدرس .

كل هذا لأن الذين قاموا بالعمل الفنى كانوا من المصريين الصميميين لم يكن لهم وسيلة للتهريج أو الدجل ، كما أن الذين أشرفوا عليهم وعملوا على تشجيعهم كانوا من أبناء البلاد

بهذا التمهيد بدأنا مقالنا الأول عن الفن المصرى[١] على صفحات « الرسالة » ومنه نرى أن تاريخ الفن قد سجل للمصريين الأقدمين ذوقاً عظيماً ووحدة فنية ظاهرة لكل متأمل .

(١) راجع عدد الرسالة الخاص بهذا الموضوع

وإذا كنا اليوم نكتب عن الجمال المصرى القديم ، فإننا نريد بذلك الكتابة فى الفن البحت، وليس فى تاريخ الفن، بالقسط الذى اعتدنا أن نتناول به سابق الأبحاث .

ولا يكاد يختلف اثنان فى تقدير الفن المصرى القديم وخلود عظمته بل والتأكد من أنه أصل الفنون جميعاً ، أثر فيها إلى حد بعيد جعل من علماء الفن والآثار من يشتغل بتحديد الصلة بين الفن المصرى وبين ماجاء بعده من فنون الاغريق وغير الاغريق؛ فأخذوا يقولون بأن الاغريق هم أول من اقتبس من المصريين ، كما أخذوا يدللون على ذلك بمقارنات قياسية بين تصميم المعابد المصرية ونظيرها عند الاغريق ، كما أنهم قارنوا بين منحوتات المصريين ومنحوتات الاغريق فى أول عهدهم ، ثم تراهم يعرجون بعدئذ على قواعد غاية فى الدقة تؤكد صدق قولهم ، منها تناسب الأعضاء وتشابه المجموع الكلى وتناظر الانشاء الشكلى .

ش ٤ — (والدة حرمحيب) متحف القاهرة

وكل هذا قد يكون صحيحاً غاية الصحة ، ولكن الذى يجب علينا أن نعلمه هو أن الفن المصرى فن مبتكر ، بدأ ونما وازدهر ثم انحط واندثر دون أن يصل فى مرحلة من مراحله إلى المثل

الأعلى بمعناه الفنى؛ لأنه لم يمثل الحقيقة تمثيلاً يدل على التقليد البحت ولا جعل من الحقيقة ملهماً للخيال السامى ، ولا اتخذ منها ما يرتفع بالتصوير الفنى إلى درجة الروعة .

ش٥ — (الواعظة توى) متحف اللوفر

كان هذا ولا يزال معدوداً من القصور الحتمى الذى لم يكن للتخلص منه بد ، لأنه نجم عن طبيعة البلاد المصرية ونفسية الشعب، إلى جانب بساطة الطبيعة وصفو السماء وسهولة العيش . لذلك ومع أن الفن المصرى قطع مرحلة تبلغ ثمانية أضعاف المرحلة الزمنية التى استغرقها الفن الإغريقى؛ فإنه للأسباب الطبيعية المذكورة لم يصل إلى ما وصل إليه الإغريق .

وإذا كنا لا نزال نذكر ما قلناه عن بعض منحوتات أكروبوليس أثينا ومعبد بارتنون (١) وما كانت عليه تلك القطع الخالدة التى مثلت الحياة أروع تمثيل ، لأنها وصلت إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الفن إطلاقاً، أمكننا أن نعرف بالمقارنة مدى ما وصل إليه المصريون فى هذا المضمار معرفة تقرب إلى الحقيقة العلمية .

ولعله جدير بالذكر أن نوضح شيئاً عن الكيفية التى سار عليها المصريون فى تلوين منحوتاتهم ، بل وكل ما تركوه بمقابرهم وأهرامهم ومعابدهم من غير المنحوتات بألوان معدنية وصناعية اتخذوا بعضها من الأرض .

حصل هذا التلوين عندما كانت منحوتاتهم من الحجر الجيرى أو الرملى ؛ أما عندما كانت من حجر الجرانيت الوردى أو الأسمر أو حجر البازلت أو السربنتين فقد تركت بدون تكوين اكتفاء باللون الطبيعى .

على أنه قد وجدت تماثيل خشبية أو حجرية قابلة لامتصاص الألوان ولكنها تبدو كما لو كانت غير ملونة ، وهذا فى غالب الأحيان لزوال اللون منها أو لأنها تركت قبل تلوينها لظروف طارئة .

هذا بيان لابد من إيضاحه قبل تأمل النحت المصرى الذى يمثل جمال المرأة المصرية على اعتبارها ممثل الجمال الإنسانى غالباً . وإذا كان الجمال فى جوهره متلخصا فى تناسب التكوين وانسجام المظهر ، فإن قياس الجمال رهين بالزمان والمكان ، كما أنه راجع إلى نفسية الحاكم وبيئته وثقافته ومدى تأثره .

ولذلك فلا يهمنا فى القرن العشرين أن نقارن بين جمال المرأة المصرية وجمال غيرها ، وإنما يهمنا أن نتخذ من آثار الأقدمين وسيلة لفهم الجمال المصرى القديم وفيم كان منحصراً وكيف كان تعبير الفنان المصرى عنه .

وبالنظر إلى أن تاريخ الفن المصرى قد استغرق قروناً ، فإنا سنحاول تأمل الإنتاج الفنى فى هذا المجال تأملاً تاريخيا إلى جانب التأمل الفنى الذى يمهد لنا سبيل التقدير الإستيتيكى .

فإذا تأملنا رأس « نفريت » التى يرجع تاريخ صنع التمثال الخاص بها إلى أقدم الأسرات ، رأينا أن ملامح الوجه تدل على النعمة والبعد عن الكفاح مع توافر النبل ، لاسيما إذا راعينا أن هذا من أقدم التماثيل المصرية التى تمثل جمال المرأة. أنظر إلى العينين والحاجبين وإلى الطريقة التى اتبعها المثال فى التأنق لإخراجها بغاية النظام والعناية . ثم تأمل الطريقة التى اتبعت فى تصفيف

(١) راجع عدد الرسالة الخاص بهذا الموضوع

الشعر وقصه عند الكتفين وتثبيته من أعلى بطوق من الذهب محلى بنقوش لها الطابع المصرى . كما تغطى العنق بحلية زادته جمالاً وزانت الصدر بما فيها من ألوان وزخارف . أما المميز الخاص الذى انطبع على الوجه فهو أميل إلى الصمت والسكون منه إلى الحياة والحركة . ولا نزال نرى الكثيرات من المصريات على جانب مماثل لهذا الجمال .

ش ٦ — (أمينبرديس) متحف القاهرة

وربما أضيف هنا أنى أردت منذ حين التوفيق بين الجمال المصرى القديم والجمال المصرى المعاصر ، وحاولت عمل المقارنات الدقيقة ، إلا أنى للأسف صادفت مصاعب ، منها عدم إمكان تصوير السيدات اللواتى جمعن إلى جمالهن طابع الجمال القديم

أما تمثال «حرم العمدة» وهو مصنوع من الخشب فقد أعطانا فكرة صحيحة عن قوام المرأة فى تلك الحقبة إلى الوقت الذى فيه نستطيع بمقارنة الوجه من جانبه ومن أمامه أن نعرف شكل الأنف المصرى وطريقة تكوينه واستقامته . أنظر إلى الفم وقارنه بفم « نفريت » تر أن هذا الأخير اكتسب شيئاً من الحياة بالنظر إلى تلك الابتسامة الهادئة التى ارتسمت عليه . والغريب فى الشعر هنا أنه ليس مجدولاً كشعر نفريت كما أنه تميز بتدرج نهايته السفلى ، فكان أشبه بثلاث طبقات تعلو الواحدة منها الأخرى ، فزادته رونقاً . نعم كان التمثال الأول ملوناً فظهر الكحل فى العينين على حين كان الثانى من الخشب دون ألوان ظاهرة . أما التشابه بين السيدتين فظاهر واضح من حيث امتلاء الوجه واستدارته .

أما والدة إخناتون فهى على هيئة عجيبة لها طابع مميز على غاية القوة ، كما يبدو لأول وهلة أن لونها كان أسمر مما يؤيد أنها كانت من مصر العليا . وعلى ما يظهر كان الفنان حريصاً على إخراج الوجه مليئاً بالحياة ، فتكاد العينان تنطقان . وقد بدا الفم غريباً فى تكوينه وفيما يدل عليه . أنظر إلى استدارة الخط الفاصل بين الشفتين واتجاهه إلى أسفل تر أن هذا الوجه لم يكن فقط ليعطى الناظر هيئة صاحبة التمثال ؛ وإنما عبر خير تعبير عن النفسية وما هو دفين فيها . ولعل غطاء الرأس بالسهم المثبت فى وسطه يذكرنا جيداً بالخوذات الحربية الألمانية قبل الحرب

وتمثال موتنوزميت أم حورمحِب (ش ٤) يعطى مثلاً سليما لنفس الجمال ، مع ملاحظة أن الرأس أصبح مزيناً بغطاء ذى نقوش رفيعة توسطتها أعلى الجبين الأفعى المصرية .

وإذا تأملنا بشىء من الدقة التمثالين (٥ ، ٦) وجدنا فيهما تشابهاً شديداً من حيث التكوين المجموعى إلى جانب التفاصيل الإنشائية ؛ فأنت ترى أن القوام متشابه وأن وضع اليد اليسرى كان على الصدر بفارق بسيط ، كما أن اليد اليمنى ممتدة فى كليهما إلى أسفل ، وتقدمت الساق اليسرى فى كليهما إلى الأمام . نعم نجد الشعر مجدولاً بشكل مخالف فى كليهما ، كما أنه مختلف من حيث التصفيف وطريقة القص . أما القوام فهو المثل الأعلى لوقتنا الحاضر ، كله رشاقة وكله جمال . ومن الغريب أن نرى أن أحدث طريقة لصف الشعر هى إظهار الأذنين ، ونجد أن المرأة المصرية قد اتبعت هذه الطريقة منذ خمسة وعشرين قرناً .

أما تمثال أوابرا (ش ٧) فهو يمثل امرأة جلست وقد سترت

جسمها بملابسها الرقيقة بطريقة استطاع الفنان أن يظهرها فى أجمل وأروع هيئة . تأمل الذراعين واتكاءهما على الركبتين ثم لاحظ النبل الذى ارتسم على الوجــه ، وانظر إلى خط التحديد للتمثال كله ، وفكر ولو قليلاً فى الكيفية التى استطاع بها الفنان المصرى التعبير عن الجمال .

ش ٧ — (أوابرا) متحف اللوفر

نلاحظ طبعاً كبر الأذن ، كما نلاحظ صمت التمثال وركونه إلى السكون ؛ ولـكن هـذا لا يمنع مطلقاً من الإعجاب فى أجلى مظاهره بالكيفية التى سار عليها الفن فى عصر يبعد عن عصرنا بألفين وخمسمائة سنة .

والخلاصة أننا نرى أن الجمال المصرى القديم كان نبيلاً عريقاً خالياً من الدخيل ، صافياً نقيًّـا ، غير ممتزج بغيره ، جمع بين الصفة المميزة وبين الطبيعة البريئة الوديعة .

والسلوة الوحيدة التى نتعزى بها ، هى أننا نرجو أن نحسن الفهم على الأقل لفن تركه الأجداد ولم نعن بدراسته والعمل على نشره حتى بين أبناء البلاد .

وإذا كنا ندين بنتائج الحفريات ومعرفة اللغة الهيرغليفية لعلمـاء الأجانب ، فإننا على الأقل يجب أن نعنى بفهم الفن المصرى ودراسته ، حتى نستطيع أن نخرج عن المباهاة بما فى بلادنا من آثار وندخل فى دور الاستمتاع بها ، فتكون لنا روح وطنية صرفة لها أثرها فى توجيهنا لمجاراة الشعوب الناهضة .

هـذا مقال لا يخرج عن كونه احتيالا على القارئ لتفهيمه صفحة رائعة من صفحات آثار أجداده بطريقة التكلم عن الجمال فى أسلوب بسيط بعيد عن الجفاف العلمى .

احمد موسى

قصة سورية

الضرتان

للسيدة وداد سكاكيني

قالت أمونة لصديقتها هدى: أرأيت حسد الناس لصداقتنا، ولغطهم فى تأويلها وإحاطتها بالأقاويل؟ إنهم لا يودون أن يرونا كالأختين فيغيظهم أن يشهدوا صديقتين ألفت بينهما براءة المودة وطول المصاحبة وتقارب السن وحسن الجوار، وإن شاؤا فبيننا وشائج القربى تحكم الصلة وتهون اللقاء. أليس زوجك ابن خالتى؟ أمى اليوم مكان أمه، ولئن غاب عنه وجه الوالدة فإنه يراه فى الخالة

لقد بت البارحة قلقة عليك متألمة لألمك، إذ تركتك تشكين صداعاً أليماً فأصبحت أسأل الله لك الشفاء.

كان الصداع الذى ألمَّ بهدى نذير حمى طرحتها فى السرير شهراً، وكانت أمونة لرفيقتها خلال المرض مواسية وممرضة، فلازمتها برضى أمها وبقيت عندها حتى دخلت دور النقاهة فعظمت يدها عند هدى وأكبرت صداقتها ومروءتها، وخلطت حياتها بحياة أمونة حتى كانتا لا تأكلان أكلة شهية إلا معاً ولا تفترقان إلا غراراً. كل هذا والزوج يسبغ النعمة على زوجته هدى، ويغمرها بالخير إذ مده الله بتجارة رابحة وبركة راجحة. وقد أكرم أمونة ابنة خالته وقدم لها بعض الهدايا جزاء معروفها وإخلاصها

كان طاهر زوج هدى كهلاً وقوراً، أعز شيء لديه فى حياته الدين، وألذ عمل عنده القيام بواجباته وتوفير السعادة لبيته. وقد عرف فيه الناس التعفف والاستقامة والبعد عن الغبن والغش فعجبوا كلهم من اسمه الصادق، فكانوا يقولون عنه: طاهر الاسم، وطاهر الذمة والضمير؛ ولكن الله لم يتم نعمته على الزوجين، فقد مرت على قرانهما خمس سنوات ولم يرزقا ولداً، يوثق ما بينهما برباط أكيد، ويملأ منزلهما أنساً ومرحاً، فكانت هدى تحس الأمومة صارخة فى غريزتها، فتشم عبقها من أطفال الناس حتى تهتاج طبيعتها وتشتد حيرتها. بيد أنها ترتد إلى عقلها بعد قليل فتكبت شعورها وتكفكف حدتها خشية أن يلحظها زوجها إذ تحسب فى سرها أنها عقيم. وكثيراً ما أفضت بدخيلتها لصديقتها أمونة، وشكت إليها لهفتها على الولد وأنها تتمنى أن تشتريه بعينيها، وتفتديه بروحها، فكانت تجيبها: لا تيأسى يا صديقتى. إن الله هو الرزاق الكريم. ولما رأتها ملحفةً فى طلبها غدت بها على الأولياء تستجير بهم وتعدهم بالنذور إذا رزقت ولداً. وقد استغاثت بالمشايخ الصالحين فقرأوا لها العزائم والتعاويذ، وحرقوا أمامها البخور، وحملوها الحُجُب والآيات فما أجدت عليها شيئاً لأن الله لم يشأ أن يجعلها ولوداً

كل هذا جرى دون أن يدرى زوجها به، فلقد كان متزمتاً متديناً لا يسمح لها بمغادرة البيت إلا قليلاً أو مع ابنة خالته التى ألفها واطمأن إلى أخلاقها من طول مقامها عنده وغشيانها داره وصحبتها لزوجه. وقد حلف بأن تكون طالقاً إن ذهبت تطب للنسل. فما خالفت له أمراً لأنها كانت تطيعه وتحبه برغم تفاوت السن بينهما، فأحست الأمان على حياتها الزوجية منذ صدف بها عن المعالجة واستسلمت للقدر لعل الله يرزقها ولداً

كان طاهر تاجراً غنياً جمع ثروته بعد الحرب الكبرى، واستطاع بماله الضئيل يومئذ وبماله من معاذير أن ينجو من الجندية؛ فلما توفر على تجارته وربحت أرادته أمه على الزواج، فقد كاد ينهد للكهولة ولم تفرح بزواجه. فأطاع وفرحت، ثم ماتت أمه فبقى وحيداً مع زوجته الحسناء. ومن ذلك الحين توثقت عرى الصداقة بينها وبين ابنة خالته أمونة التى كانت مخطوبة لموظف كبير، ولكنها مترددة بين قبوله ورفضه

مضى على زواج طاهر خمس سنين، بدأ فى آخرها يمل حياته الرتيبة مع هدى ويميل إلى تركها يوماً بعد يوم مع ابنة خالته أمونة، إذ دب فى نفسه الخوف من الفناء قبل أن تظهر فيه عواطف الأبوة

وطمع فى خلود الذكر من بعد موته بالولد الذى يدل عليه وضنت به هدى ، فصار يرى بيته صامتاً جامداً لا يُهز فيه سرير ولا يناغم طفل، ولاتتردد فى حجراته لفظة «بابا» فضاق عليه البيت بما رحب وكره الحياة من أجل ذلك، فأخذ يشنأ زوجته ويجتويها ويتبرم بحديثها ويتلكأ فى طلباتها . وقد خيل إليه الوهم والهم أنها عاقر وأن حياته معها جديبة ، مع أنه يعرف فى نفسه وفى ضميره أنه هو العقيم، فتذكر شبابه الطائش وتعرضه باستهتاره لمرض شائن، تاب بعد شفائه منه توبة نصوحاً ولكنه أورثه داء عقاماً حرمه النسل

كان يثور على زوجه هدى فى سره لعقمها الموهوم، ثم يعود فى نفسه إلى الهمود والجمود حين يرى هذه النفس الباغية هدفاً لتلك الثورة

وبينا هو مطرق ذات ليلة تلقاء الموقد اللاهب والوقت شتاء، تعصف فيه الرياح العاتية التى صدته عن السمر فى دار صديقه مرت أمامه قطته «فلة» التى يعطف عليها ويختصها بطيب الآكال، فلما حاذته تمطت ونفشت شعرها ، فأخذ يعبث به ويربت بكفه على ظهرها ، فلمعت إذ ذاك فى خاطره صور وأفكار، ورأى القطة فى نظره الحانق خيراً من زوجته العقيم ، هذه شجرة بلا ثمر ، وتلك ولود تملأ البيت كل عام بأولادها . وفيما كان يقلب الخواطر فى ذهنه تلفت إلى بيته فرآه ساكتاً ساكناً إلا من صوت زوجته هدى وابنة خالته أمونة وهما فى فورة اللعب بالبرجيس (١) وغمرة الحماسة للغلاب ، ومن مواء القطة بين الفترة والفترة ، فطغت عليه الهواجس وشعر بكره لامرأته ، ونفرة منها ، فأخذ يميل بوجهه عنها ويوجهه إلى أمونة فيقارن بينها وبين زوجته التى غض منها معين الجمال فى تلك الليلة فى نظره فتتخالس عيناه نظرات الإعجاب بابنة خالته، ثم جال طرفه الرغيب فى جسمها الريان ووجهها الأبيض الجاذب وشعرها الفاحم المتدلى على كتفيها اللتين انحدرت منهما يدان كأنهما ركبتا فى دمية من الرمر ، فانشرح صدره وتمدد على أريكة بإزاء المدفأة ثم لوى ذراعه تحت رأسه فأسند فوده عليه وأخذ يتأمل فى ساق أمونة الممدودتين إلى الأرض وقد امتلأتا صقالاً وانسجاماً وأحيطتا بظلال من النعومة والجمال . ولما أطال التحديق فيها وهى جالسة تجاه زوجه لاهية بلعبة البرجيس رأى نفسه وجهاً لوجه أمام المرأة التى يتمناها له زوجة ثانية ، فرتد بصره عنها بعد فترة من اللعب لكيلا تلمح نظراته الخاطفة الماكرة ؛ أما قلبه فبقى يرنو ويشتهى فقال فى ضميره : تُرى أى بأس على إن تزوجت أمونة ، وقد رفضت خطيبها السكير المقامر فيكون لى زوجان وأكون كجارى أبى عادل الذى تزوج اثنتين وهو معتزم هذه الأيام أن يبنى بالثالثة . وكثيراً ما حدثنى من باب دكانه عن حياته الزوجية فقال : ما أحلى الزوجتين يا طاهر ! هما ريحانتان للشميم ؛ لكل ليلة ريحانة

فكر فى هذا طاهر . ولعب ذلك الريحان على أنفه فى وهمه كأنه يد الشيطان ، ورده فى نفسه صوت أمونة ، وهى تضحك وتصفق بيديها ، وتضع حجراً من حجارة البرجيس على الآخر وترفع صوتها قائلة لهدى :

— خذى فنجان القهوة . مغلوبة . مغلوبة ...

فتنبه طاهر فور انتهاء (الدست) بين اللاعبتين وجمع أشتات فكره من دكانه ، وهو يحاور جاره ، ومن ملاحة أمونة ، ومن الأولاد الذين كان يحلم فى خياله أن يأتوه منها فقال :

— يا هُدُو ! وكان يناديها بهذا اللفظ الموجز كلما أراد العبث والدعابة — ماذا ترين وأنا كهل غنى ولا وارث لى منك؟ فهل عليك من حرج إذا تزوجت امرأة ولوداً وأنت تبقين سيدة البيت كلنا نأتمر بأمرك ونهتدى بهداك ؟

فما سمعت هدى كلامه حتى فغرت فاها وانتفضت كأنها صعقت، فامتقع لونها وطفى عليها دمع غزير صور على خديها معانى كثيرة من الذلة والخيبة والبغتة والفشل . وكان بعض الدمع يتساقط على خدها وبعضه تتلقاه بمنديل فى كفها أو تمسحه بكمها دون وعى حتى نشجت أعصابها وكاد يصيبها الغشيان فارتمت بوجهها على صدر صديقتها أمونة التى وجمت وبهتت . وانتابها عى وجمود فلم تنطق بذات شفة وإنما غلب عليها التأثر والبكاء مشاركة لرفيقتها

لقد كانت أمونة ذات قلب سليم حيال ابن خالتها فلم تعلم أنها ستكون الضرة المرة، وما عرفت أنها ستنزل على صديقتها كالنقمة والبلوى ، بل لم تشعر فى يوم من الأيام أن فلكها يدور هذه الدورة فيبدل الصداقة عداوة والمرافقة الرفيقة إلى مفارقة قاهرة .

* * *

لقد حمل طاهر إلى ابنة خالته مهراً غالياً ، وهدايا كثيرة ثمينة ، وحمل خالته على قبوله صهراً فما صدت ولا ردت ، وإنما وجدت فى إقدامه على الزواج مرة ثانية عقلاً وحكمة وصوناً لثروته من الضياع ، وعرفت أن ابنتها أمونة ستكون ولوداً مثلها فلقد أنجبت هى ثلاثة من البنين والبنات وهى جدة لأولاد أحدهم. فأبت بنتها هذا الزواج وحاولت التمرد والعصيان إذ استحمقت نفسها واحتقرت أن تكون ضرة لرفيقتها فماذا يقال عنها ؟ أية سمعة ستكون لها؟ وأية مضغة ستكون فى أفواه الناس؟ ولكنها برغم

(١) ألعبة سورية يلعب فيها بودعات وأحجار وهى فى رقعتها على شكل صليب مربع

كل مقاومة ومعاندة أفلحت أمها فى إكراهها على الزواج فقدوسوست فى عقلها كالشيطان ، وزينت لها حياة الثراء والرخاء عند ابن خالتها . وأنذرتها بالبوار والكساد إن أصرت على رفضه وآثرت العناس. فتنازعها عاملان : نزوعها إلى الزواج كيف اتفق شأنه بعد إخفاقها فى خطبتها للموظف، وحرصها على مودة صديقتها والوفاء لها . فغلبها على أمرها ما خلقت له وهو الزواج وفى النفس ما فيها من خوف وعذاب، فأطاعت أمها على مضض وعقدلها على ابن خالتها وزفت إليه.

ومضى زمن قصير فإذا هـدى تنقلب فيه إلى امرأة شرسة طاغية . كلما لسعتها الغيرة ثارت بأوعية البيت وآنية الطعام فهشمتها وداستها بقدميها ، ولعنت الرجال ، ونقمت على الصداقة التى طعنتها فى الصميم . وإذا جاء طاهر ليبيت عندها ليلتها الخاصة تنكرت له وتجهمت وانكفأت إلى عزلتها الأليمة ، ولا يزال قطعاً من الليل يتملقها ويترضاها وهى تتميز من الغيظ ، وتتمزق من القهر ، حتى تنفجر باكية فيتركها ريثما تهدأ ثم ينام . وبقى على هذه الحال بضعة أشهر حتى قطع عنها ليلتها وجعلها كل أسبوع مرة . وبعد سنة صار لا يزورها إلا لماماً . وكم كانت الغيرة تنغص عيشها كلما فكرت فى ضرتها وخيانتها وزهادة زوجها فيها وعزوفه عنها

تصرمت خمسة أعوام على زواجه الجديد ، فلم تلد له أمونة ولداً ، فثار عليها فى نفسه ثورته على هدى . ثم فكر كثيراً ، وتذكر ملياً فرد ثورته إلى نفسه وأدرك إخفاقه فى النسل ، فاستقر فى ظنه أنه هو العقيم ، لا هاتان المرأتان المظلومتان . غير أن خوفه على اتهام نفسه وامتهانها جعل فى فكره منطقاً فاسداً صور له براءتها فأحدث له شكا خرج منه إلى أن زوجته الثانية عاقر كالأولى،فقص هذا على جاره الأدنى فى السوق وكان يستخلصه لنفسه ، ويستشيره فى شؤونه. فقال له: لقد تزوجت الثانية حسبما أشرت فلم تلد، وأنا رجل غنى، كما تعلم، فماذا أفعل؟ فأشار عليه بالزوجة الثالثة وتطليق الأولى

فى مساء ذلك اليوم عاد إلى بيته الثانى ، وقال لابنة خالته فيما قال من حديث السمر أمام المدفأة فى الشتاء : أترين يا أمُّو — وصار يخاطبها بهذا اللفظ المقتضب كما كان ينادى زوجه الأولى — كيف أنك لم تحملى بولد يرثنى ، وقد صرت إلى حال من القنوط تمنيت معها الموت . وقد أشاروا علىّ بالزواج لعل حظى من الولد يوافينى من الثالثة، على أن أطلق لك الضرة الكريهة التى تبغضك وتطعن فيك وتدعو عليك بالموت .

فما سمعت أمونة هـذا الكلام حتى مرت فى طور صديقتها تلك الليلة الساطرة قبل خمس سنين ، فصفرت وبكت وانقضت على ابن خالتها كالمجنونة وصاحت به :

— ياخائن ، ياعبد الشهوات ! أنت العاقر الذى كنت فى شبابك فاسقاً فأصبت بالعقم ولم تنسل فما ذنبنا نحن ؟ وهمت بضربه بقطعة من الحطب كانت فى جانب الموقد

جنّ جنون طاهر من هول الفضيحة ، وفحش الشتيمة ، واجتراء زوجته وابنة خالته على إهانته وضربه فقال لها بمكروخبث:

— لا تصدق ياأمُّونة . إننى أمزح لأرى إن كنت تحبيننى أم لا ؟

أما أمُّونة فقد شعرت بنيته السيئة ، وأدركت ما يضمر فى طويته لها فهاترته وقامت عليه ناقة ثائرة ، والله يعلم كيف مضت عليها تلك الليلة المشئومة . فلما طلع النهار دلفت أمونة إلى بيت صديقتها القديمة وضرتها المهجورة ، وهى على استحياء من نفسها تتقدم رجلاً وتؤخر أخرى حتى كادت تتراجع القهقرى وتتردد فى مواجهة رفيقتها بالأمس ، لولا أن عادت إليها بجرأة ، وثارت فيهـا الغيرة الجـديدة والنقمة على زوجها ، فتنهدت وتشجعت وطرقت باب هدى طرقات خفيفة فردت عليها بفتحه . وما إن كشفت أمونه عن وجهها المحجوب حتى وقفت الأولى جامدةً كالصنم ، وشزرت ضرتها بعينين كالحربتين ، فارتمت أمونة على قدمى هدى وحاولت تقبيلهما ، ثم قامت إليها بالعناق والتقبيل وبالبكاء والنحيب، فلم يكن من هدى إلا أن أبدت عجبها من مظهر ضرتها الكئيب ، وسألتها على كره منها :

— هل من بلية حلت بطاهر ؟

— لعنة الله عليه ! إنه يجنى علىَّ وعليك . ليت عزرائيل ينقذنا منه قبل أن ينفذ إرادته الجديدة .

— وماذا يريد ؟

— فاهتزت أمونة وارتجفت يداها وتلعثمت وكاد يغمى عليها لولا أن تداركتها هدى واستدرجتها إلى الجواب . فعلمت منها أن طاهراً يريد الزواج ، وشاعت حينئذ الشماتة على وجهها ووضحت السخرية فى لفتاتها وحركاتها ، فسلقت أمونه بلسان حاد أصاب منها مقتلاً كأنه الرصاص . وضحكت أمامها لتزيد فى نكايتها وإهانتها

فشعرت أمونة بكبريائها المحطمة ، وضعضعتها الشماتة ولكنها صمدت للنهاية وتجالدت فبلعت ريقها وبلت حلقها الجاف من طول الكلام والبكاء ، ثم أخذت تستعطف هدى بصوت ذليل خفيض والتمست صفحها . فلما رقت ولانت أفضت إليها بنيات زوجهما ، وطفقت تستعديها عليه وتستفزها للثأر منه بحرارة الموتور ، وجلستا تفكران مطرقتين كأنهما فى بحران ، وتقدران ما ينبغى لهما من الحيطة والحذر من وقوع الكارثة . وسرعان ما زال من هدى

فى الشعر العربى

ليس بينى وبين الأستاذ على الجارم بك إلا محض صفاء ، بل له عندى مكانة . فاذا أنا أقبلت على شعره أنظر إليه بمؤخَّر العين فانما شعره وحده الذى يشغل نظرى . وللأستاذ على الجارم بك أن يعتدّ بالمعجبين بشعره — وهم غير قليل على ماينتهى إلى آذاننا — فيهمل ما يقوله فى طريقة نظمه من يجب أن يدون تاريخ الشعر العربى تدويناً لا يعرف الغرض

عندى أنّ الشعر العربى المسجون فى القصر الذى بناه له أمثال المتنبى والبحترى فى معالجة النزْع ، لأن أمثال المتنبى والبحترى تركوا نوافذ القصر مغلقة يوم ماتوا . ثم جاء خلفاؤهم وأتباعهم فسمّروا خُشُب النوافذ ، ففسد الهواء وضوى الشعر المسجون . إلا أنه اتفق لهذا الشعر أن تُثقب له كُوَّتان فى الحائط ، إحداهما على يد رجل يدعى أحمد شوقى ، والأخرى على يد رجل اسمه خليل مطران . أما هذه فقد أقيم بينها وبين القصر حاجز فوُقفت على حجرة ضيقة سرعان ما أضحكت أرجاءها نسمات مقدمها من هناك فى مصر ثم من أمريكة الشمالية والجنوبية . وأما تلك فقد سُدَّت فجأة ولم يبسط أحد إليها يداً ، فعاد الهواء إلى فساده

ومن هذا الشعر الشاحب قصيدة ألقاها الأستاذ على الجارم بك فى « حفلة تأبين المرحومين السكندرى ونالينو فى دار الأوبرا الملكية » يوم الجمعة الماضى (انظر الأهرام ١٤ ـ ١ ـ ١٩٣٩)

وإليك المطلع ، وفيه ما فيه من «براعة الاستهلال» (حسب الدستور الأكبر المسمى بعلم البديع) :

غداً فى سماء العبقرية نلتقى ويجتمع الأنداد بعد التفرق

أما المصراع الأول ففيه « فخر » لطيف مع شىء من « المبالغة » وأما المصراع الثانى ففيه « تأكيد » و « طباق »

وفى القصيدة ما تشاء من « محسنات معنوية ولفظية » لا يقوم مثل هذا الشعر إلا بها ، لأن لبابه يتفتت إذا خطر لك أن تقبض عليه فَـتَله مَثل الفتاة المصدورة تحمِّل وجهها مالا يطيق من ألوان الطلاء المعروضة فى جميع الحوانيت

وحسبى أن أقتطف بعض الأبيات ، فليس بقارئ « الرسالة » حاجة إلى التلقين :

وأبعثَ فى الصحراء أنّات شيّق

وهل تسمع الصحراء أنّات شيّق

حقدها على أمونة ، فتصافتا وحلفتا بالله جهد الإيمان لتعودان كما كانتا أختين صديقتين . وافترقتا على أمر واحد ، وهو السعى لدى المشايخ والسحرة لعلهما تجدان الدريئة والدواء ، وقادهما البحث إلى مغربى ساحر أعطاهما شيئاً كالملح الناعم يذر على الأكل فيحدث لذائقه الخبل والشرود فاقتسمتا الثمن الباهظ ودفعتاه راضيتين

ولما جلس طاهر إلى الطعام ذرَّت له التى هو عندها ذرور الساحر ، فلما أكل انقلب كالذى خامره امتعاض ، وظل أياماً كلما أكل عند واحدة منهما ذرت له قليلاً من الذرور فلم يمض شهران حتى غدا كالمخبول المرور لا يدرى ما يفعل . فقال الناس : قد أصابته عتاهة وبلاهة . وقالت نساء من أهله : لعل زوجتيه سحرتاه فصار إلى حاله الوجيع . ومرّ به زمن أغلق معه دكانه وباع ما فيها بثمن بخس ، ولزم بيته لا يبرحه إلا للصلاة فى الجامع . فلما ازداد به الخبال والذهول أقامت عليه زوجتاه الحجر وتسلمتا الإنفاق عليه وعادتا أختين محبتين كما كانتا ، تسكنان فى بيت واحد ، وتسخران من ذلك الزوج الذى تراخت أوصاله ، ووهنت عظامه ، ودب فيه المرض والهرم ، فأمنتا جانبه ، واكتسبتا ثروته . ثم عاودتهما بعد حين التوبة والندامة ، فأدركتهما الرحمة له والشفقة عليه واستغفرتا الله من ذنبهما . ولما قضى الزوج نحبه أدت الضرتان أو الصديقتان فريضة الحج معاً وابتهلتا إلى الله فى أشرف بقعة أن يعفو عن إساءتهما وهو العفو الغفور .

داود سلمان كبنى

وأعجبنى رأى سليم ومنطق يصول على رأى سليم ومنطق
تقاسمه غرب وشرق فألّفت مناقبه ما بين غرب ومشرق
ينسّق علم الأولين مجاهداً ولا خير فى علم إذا لم ينسّق

تلك أمثلة على ما يسمونه « رد العجز على الصدر » ، ولكن أين الفائدة من هذا الترديد ؟ . ثم :

ويعصى الحجا ما بين يوم وليلة كلمحة طرف أو كومضة مبرق

ذلك مثل على استعمال التراكيب المطروقة أى المبتذلات clichés « لمحة طرف » و « ومضة مبرق » . ثم :

يضيق فضاء الأرض عن همة الفتى ويجمع فى الحد من الأرض ضيّق

انظر إلى » الطباق » : « فضاء وضيق » . ثم :

كأنى أراك اليوم تخطب صائلاً وتهدر تهدار البعير الشقشق

الشيخ الإسكندرى — رحمه الله — كان « يهدر تهدار البعير الشقشق » . انظر كيف استدرجت القافيةُ الشاعر إلى صورة أقل ما يقال فيها أنها مستكرهة . ثم :

فقل للذى يسمو لنيل غباره ظلمت العتاق الشيظميات فارفق!

نعود إلى الإبل كأن الشاعر يكره أن يسلم بأنه يعيش فى القرن العشرين . أما لفظة « الشيظميات » فاطلبها فى المطوّلات من المعجمات و « الغريب » فى ذلك الشعر مستحسن . ثم :

فقلت أرى ليثاً وليثاً تجمعا وأشدق ملء العين يمشى لأشدق

وهو بيت بعض ألفاظه مأخوذة من بيت مشهور لبشر بن عوانة وهذا مستحسن أيضاً

لأمهل ههنا ، فانما أرغب فى أن أدلك على تداعى هذا الصنف من القريض ، لأنه مختلق اختلاقاً بكدّ الذهن وقوة الذاكرة واختيار اللفظ المدوّى (والغريب أحياناً) واستعمال المحسنات اللفظية والمعنوية إلى كل ما يتصل بالأساليب المصطلح عليها للصناعة الموقوفة . ومعنى هذا أنه بعيد عن لفظ يحصر فيه معنى الشعر كله ، وهو : الإلهام

وليعذرنى الأستاذ على الجارم بك ! فانه اختار هذا الضرب من النظم وما هو بمسئول عنه . وأملى أن يأذن لى أن يجذبنى ضرب آخر يكون من ذلك الضرب مكان الضد من الضد .

بشر فارس

الأستاذ طنطاوى جوهرى يتقدم إلى جائزة نوبل للسلام عن سنة ١٩٣٩

كان الأستاذ طنطاوى جوهرى قد تقدم إلى أولى الأمر فى مصر ليرشحوه إلى جائزة نوبل للسلام ، فلم يلق أحد باله إليه . فاضطر إلى أن يتقدم بنفسه إلى لجنة هذه الجائزة بالبرلمان النرويجى ، فسألت عنه وزارة الخارجية المصرية ، وهذه سألت عنه وزارة المعارف العمومية . فلم تر الوزارة بداً من النظر فى طلب الأستاذ وإحالة كتبه إلى عميد كلية العلوم لفحصها وإبداء رأيه فيها . والكتب المقدمة هى : (١) أحلام السياسة وكيف يتحقق السلام العام . (٢) أين الإنسان ، وقد تقدم به إلى مؤتمر الأجناس العام سنة ١٩١١ . (٣) صورة ما كتبه بعض عظماء ملوك الشرق وجمعيات أوربا وعلمائها فى هذين الكتابين . (٤) أساس النظام الدولى ، والموازنة بين آراء حكماء الشرق والغرب ، وبين الرأى المصرى الحديث . (٥) نسخة منقولة من المجلة الشرقية برومة بتاريخ سنة ١٩١١ للأستاذ سانتلانه : الدكتور فى الفلسفة . (٦) نسخة مما أرسله الأستاذ كرستيان جوب من لوكسنبرج مكتوباً باللغة الفرنسية إلى المؤلف ، وقال إنه ملخص من كتاب : « أحلام السياسة »

وهذه الكتب والرسائل تتجه كلها اتجاهاً عالياً فى الدعوة إلى السلام ، ونصيب الإنسانية من السعادة إذا ما رفرف عليها علمه ، وسار فيها نظامه

وآخر موعد للتقدم إلى جائزة نوبل للسلام ينتهى قبل أول فبراير القادم فلا بد من البت فى طلب الأستاذ قبل ذلك

جائزة نوبل للسلم

تلقينا من لجنة « نوبل » فى البرلمان النرويجى بيان الشروط التى يجب توفرها للحصول على « جائزة نوبل للسلم » . وقد جاء فى البيان ألا تقبل الترشيحات لهذه الجائزة — التى ستمنح فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٩ — إلا إذا قدمت إلى « لجنة نوبل للبرلمان النرويجى » من شخص له حق الترشيح قبل أول فبراير سنة ١٩٣٩

والأشخاص الذين لهم حق الترشيح هم :

الأعضاء الحاليون والسابقون للجنة البرلمان النرويجى لجائزة نوبل والمستشارون الملحقون بمعهد نوبل النرويجى

أعضاء الهيئات التشريعية وأعضاء الحكومات فى مختلف الدول وكذلك أعضاء الاتحاد البرلمانى الدولى

أعضاء محكمة التحكيم الدائمة فى لاهاى

أعضاء مكتب مجلس السلم الدولى

أعضاء معهد القانون الدولى والمشتركون فيه

أساتذة الحقوق والعلوم السياسية والتاريخ والفلسفة فى الجامعات

الأشخاص الذين نالوا جائزة نوبل للسلم فيما قبل

وقد تمنح جائزة « نوبل للسلم » للمعاهد والجماعات

وطبقاً لأحكام المادة الثامنة من القانون الأساسى لهبة نوبل ، يجب أن يكون الطلب مسبباً وأن يشفع بالمؤلفات والمستندات الأخرى المؤيدة له.

وتقضى المادة الثالثة من القانون بأنه لا يقبل أى مؤلف فى المباراة يسبق نشره فى الصحف

ولاستيفاء البيانات ، يمكن من لهم حق الترشيح أن يتصلوا فى هذا الشأن بلجنة نوبل بالبرلمان النرويجى ، وعنوانها هو :

(١٩ درا منسفاى — أسلو)

(Comité Nobel du parlement norvégien)
Drammensvei 19,
Oslo

المجمع العلمى المصرى — ملخص جلسة ٩ يناير

الوشم فى مصر القديمة — للمسيو كير

ليس لدينا براهين مطلقة عن استعمال الوشم فى مصر قبل الأسرة الحادية عشرة على الرغم من كون هذا الأمر محتملاً . والمعروف هو أنه يوجد ثلاث موميات ظاهر عليها الوشم ، وعدة رسوم لنساء «موشومات » يرتقين إلى عهد الأمبراطورية المتوسطة وقد عثروا على الموميات فى طيبة فإحداها كشفت فى سنة ١٨٩١ والأخريان فى سنة ١٩٢٢ ومن عهد الأمبراطورية الجديدة فما بعد عثروا على رسوم نسوية كثيرة يظهر الوشم على الأفخاذ فيها ، وهو يمثل الإله بابن . وكانت النساء « الموشومات » فى مصر القديمة ينتسبن كلهن ، على ما يظهر إلى طبقة الحظايا والراقصات والمغنيات ، وفى جملة أشكال الوشم التى ترى على أبدان الأسرى الليبيين التى تشاهد فى الهيا كل والمدافن فى عهد الأمبراطورية الجديدة ، رموز تدل على الإلهة « نيت » وهى إحدى الإلاهات الليبيات ، ولايزالون يرون مثل تلك الرموز فى أيامنا هذه عند بعض المصريين وسكان شمال أفريقية ، فهم يغطون بالوشم أذرعهم وأيديهم

وعقب ذلك بحث لحضرة الدكتور مونرو دومين عن بعض الأمراض المصرية وعن المساعى المبذولة للوصول إلى معرفة كنهها

وبعد الجلسة العلنية عقدت اللجنة جلسة سرية لانتخاب هيئة المكتب لدورة سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٠ فأسفرت النتيجة عما يلى :

الرئيس: الدكتور حسن صادق بك المدير العام للمساحة والمناجم

نائبه : الرئيس المستر لتل مدير المتحف الجيولوجى

السكرتير العام : المسيو فيات مدير متحف الآثار العربية

أمين الصندوق : المسيو كنتز معاون مدير المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بمصر

لجنة النشر : معالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك والمسيو لوكاس والأستاذ سامار كو والدكتو رمايرهوف

برنامج المؤتمر الطبى العربى

يوم الأحد ٢٩ يناير — « وقفة عيد الأضحى المبارك » — الساعة العاشرة صباحاً تقام حفلة افتتاح المؤتمر بصالة الاحتفالات بالجامعة ، وتؤخذ للأعضاء صورة فوتغرافية أمام الجامعة ، ثم يقصدون إلى كلية الطب حيث يفتتح معرض المؤتمر

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر يقيم سعادة عبد السلام الشاذلى باشا محافظ القاهرة حفلة شاى لأعضاء المؤتمر بحدائق الحيوانات بالجيزة

وفى المساء يقيم رفعة محمد محمود باشا رئيس الوزراء مأدبة عشاء احتفاء بأعضاء المؤتمر

يوم الإثنين ٣٠ يناير قبل الظهر تعطل أعمال المؤتمر للمعايدة ، وفى الساعة الثانية بعد الظهر يقوم الأعضاء بزيارة معالم الآثار بالقاهرة ، ثم يزورون مستشفى الهلال الأحمر حيث تقام لهم حفلة شاى

يوم الثلاثاء ٣١ يناير ، الساعة الثامنة والنصف صباحاً تبحث الموضوعات الآتية بقاعة محاضرات كلية الطب وهى :

١ — الصحة الدولية فى مصر والشرق الأدنى
٢ — جراحة الأكياس الديدانية ومضاعفات البول السكرى
٣ — التغذية والأمراض الناشئة عن سوء تدبير الغذاء
٤ — الأمراض الزهرية

وبعد الظهر يقوم الأعضاء بزيارة أهرام الجيزة وحفريات الجامعة ، حيث يقيم لهم معالى وزير المعارف حفلة شاى فى سفح الأهرام

وفى المساء تقام لهم حفلة غنائية موسيقية ساهرة

يوم الأربعاء أول فبراير — فى الصباح يستأنف بحث مسألتى جراحة الأكياس والتغذية ، ثم تبحث مسائل طبية متنوعة باطنية وجراحية ، وبعد ذلك تبحث مسألة توحيد المصطلحات الطبية فى اللغة العربية

وفى الساعة الثانية بعد الظهر يقوم الأعضاء بنزهة نيلية إلى القناطر الخيرية ، وتقيم الجامعة حفلة شاى لهم فى حدائق القناطر الخيرية

وفى المساء تقام حفلة تمثيلية فى دار الأوبرا الملكية

يوم الخميس ٢ فبراير — فى الصباح تبحث الموضوعات الآتية : أمراض النساء وأمراض الأسنان ، ثم المتنوعات ، وتوحيد المصطلحات الطبية

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر يقوم الأعضاء بزيارة مصلحة الطب الشرعى حيث تقام حفلة شاى

وفى المساء تقام حفلة العشاء السنوية للجمعية الطبية المصرية

وقد تقرر وضع شعار للمؤتمر يضم رسم عظيمين من عظماء الطب عند الفراعنة والعرب ، وهما أمنحوتب وابن سينا ، وقد وقفا وجهاً لوجه : أحدهما فى ظل الأهرام والآخر فى ظل أحد المساجد الشهيرة

حفلة تأبين الأستاذين السكندرى ونلينو

كانت الحفلة التى أقامها مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى دار الأوبرا لتأبين عضويه المرحومين الشيخ أحمد على السكندرى والسنيور نلينو حافلة كاملة ، حضرها صاحب العزة إسماعيل تيمور بك مندوباً من جلالة الملك وحضرات أصحاب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف والأستاذ مصطفى عبدالرازق بك وزير الأوقاف وسابا حبشى بك وزير التجارة والصناعة ونخبة مختارة من كبار الأدباء والموظفين وحضرات الشيوخ والنواب

وقد ألقى صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف كلمة الافتتاح فأشار إلى سمو المعنى الذى يستخرج من تأبين رجلين كبيرين من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية أحدهما مصرى هو المرحوم الأستاذ أحمد السكندرى والآخر إيطالى هو المرحوم الأستاذ نللينو ، ونوه بجهودهما فى المجمع واشتراكهما فى سعيه الجليل لمسايرة لغتنا حياة العالم فى العلم والفن وفى جميع مظاهر الحياة النظرية والعملية وقال : إن اختلاف الوطن والدين لا يحولان دون الاشتراك الوثيق فى العمل لخير الإنسانية كما تجلى فى عمل هذين الرجلين اللذين يسرهما القدر لغاية واحدة وجمع بينهما فى الحياة والممات . ثم وجه إلى سعادة ممثل إيطاليا وإلى أسرة السكندرى كلمات التعزية على فقدهما

وتلاه صاحب المعالى الدكتور محمد توفيق رفعت باشا رئيس المجمع فقال : إننا حين يسلمنا إلى الجزع تعاظم الخطب فيمن فقدنا من رجال أكفاء يحملنا على الصبر كريم العزاء وصادق الوفاء الذى نلقاه من رجال الحكومة وعظماء الدولة وجمهرة أهل العلم والفضل الذين حضروا هذا الاجتماع

ثم ألقى الدكتور منصور فهمى بك خطبة ضافية استهلها بشرح البواعث على رثاء الجماعات لمن تفقد من أعزائها ، وأفاض فى تأبين المرحوم السكندرى ووصف سجاياه وأعماله وجهوده فى المجمع وعظم الفجيعة فيه ، ثم قال : إن المجمع حين ابتلى بفقد السكندرى ما كان يعلم أن القدر يتربص له بخسارة أخرى فى فقد المرحوم الأستاذ نللينو وأطنب فى امتداح مناقب الأستاذ نللينو

ثم نهض الأستاذ ليتمان فنوه بمآثر الأستاذ السكندرى وزميله المرحوم الشيخ حسين والى ثم تكلم عما كان للمرحوم الأستاذ نللينو من كفاية عظيمة فى علم الشرقيات والعلوم الإسلامية

وأنشد صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك قصيدة رائعة البيان ، وفى النهاية ألقى كل من الأستاذ عمر السكندرى وسعادة الكونت ماتزوليني وزير إيطاليا المفوض كلمة شكر للمحتفلين الكرام وقد بدأ كل منهما كلمته برفع آيات الحمد إلى مقام جلالة الملك المعظم على تفضله بإيفاد مندوب عن جلالته .

7me Année No. 291

Lundi - 30 - 1 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة السابعة «القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٣٠ يناير سنة ١٩٣٩» العـــدد ٢٩١

عيـــد الفقير...

عيد الفقير ! وهل للفقير عيد ؟

نعم للفقير عيد إذا أردنا به الشعائر الدينية والقومية ؛ فهو يصلى العيد، ويزور المقبرة، ويعيِّد على آله وصحبه، ويُكرِه السرور النافر على الإلمام ببيته وقلبه، ويجعل من المساجد والحدائق والميادين مظاهر إخلاص وشكر لوطنه وربه

فإذا أردنا بالعيد التقلب فى وثير الفراش من غير صلاة، والتنافس فى ذبح الكباش من غير تضحية، والتأنق فى الزينة والثياب، والتفنن فى الطعام والشراب، والتبسط فى اللذة واللهو، والتهادى بين التيه والزهو، فذلك عيد الباشا والأمير، لا عيد المسكين والفقير

وارحمتا للفقير قبيل العيد ! يرى متاجر الملابس واللُّعب والحلوى قد ازَّينت واجهاتها البلورية بالعُروض الجذابة والنماذج المغرية، فينظر إليها نظر الراغب المحروم، ويذكر أطفاله الغارِّين فى حنانه وهم يحلمون بالثوب الجديد واللعبة المسلية والأكلة الشهية والنزهة الممتعة، ويعتقدون أن أباهم قادر على أن يجعل عيدهم سعيداً وحلمهم يقظة، فيكرُبه الأسى وتصيح الحسرة فى نفسه :

— حنانيك يا رباه ! هذه نعمك واسعة سابغة، ولكن القدر لحكمة لا يدركها البصر المحدود جعلها لغيرى لذة بالقدرة.

الفهـــــرس

ولنفسى ألماً بالعجز ، ولأولادى شقاء بالحرمان . فليت القدرة تعرف الرحمة ، وليت العجز يدرك المعونة ، وليت الحرمان يخطئ الطفولة ، وليت الأيام تمضى إلى غايتها من غير عيد ولا موسم !!

إن الأعياد مذلة للوالد الفقير وفضيحة للبيت البائس ! ففى الأيام الأُخَر يستطيع العائل المسكين أن يغلق بابه على بؤسه، ويَرُوض أهله على مكروهه ؛ ولكنه فى العيد لا يستطيع أن يضرب على الآذان ، ولا أن يختم على العيون ، فإن المدافع تقصف فى القلاع ، والمزامير تعزف فى الشوارع ، والناس يزيطون فى الملاهى ، والأطفال فى المراكب والمواكب يرفلون فى الوشى ويلهون باللُعب ؛ فأولاده لابد سائلون :

يا أبانا، أين الثوب الذى نلبس، واللحم الذى نأكل، والقرش الذى ننفق ؟ أهذا العيد لناس دون ناس ، أم هو ذو وجوه شتى منها العابس والباسم، ومنها الدميم والحسن؟ ولمَ آثرَنا نحن يا أبانا بهذا الوجه الشتيم الكالح ؟

لو كان هذا الرجل فى أمة مؤمنة محسنة لأجاب بنيه بقوله : صبراً يا بنى ، فعمّا قليل يدخل عليكم باباكم (بيرم) أو عمكم (نويل) بالألطاف والحلوى والحلل من وقفية الباشا فلان، أو من جمعية كذا للإحسان ؛ ولكنه يجيبهم بالدمعة البادرة، والزفرة المحرقة ، والنظرة الحزينة ، فلا يفهمون إلا أنهم أحقر من هؤلاء الأطفال ، وأن أباهم أفقر من هؤلاء الرجال . أما علة هذا التفاوت و إلهنا واحد، وأبونا واحد ، وملكنا واحد، ووطننا واحد، فعلمها سيأتيهم مع الأيام إذا ما خرجوا بأنفسهم إلى الحياة فرأوا المكفاوظ الذى غصب رغيف الجائع ، والملفّف الذى نهب كساء العارى ، والمموّل الذى سرق نصيب المحروم

* * *

حدثنى رجل من ذوى هذه الحال أنه كان يشتغل مياومة فى مصلحة من مصالح الحكومة ؛ فلما قل عليه العمل استغنوا عنه ؛ ولكنه لسوء حظه لم يستطع أن يستغنى عن الأكل ، ولا أن يقنع أولاده بالصوم ، فراح يطلب العمل فى كل مكان والمعونة من كل إنسان فلم يجد . ودخل عليه عيد الفطر من هذا العام وليس فى يده ما يشترى به الكُسى لبنيه والسمك لزوجه. وكان قبل نكبته بأسبوع قد وعد الكبار بالبِذَل والصغار بالهدايا، فسبحت أخيلة الأطفال فى جو من الأحلام عجيب الألوان عبقرى الصور ؛ وأسرعت ألسنتهم الثرثارة إلى إشاعة ذلك فى الرفاق والجيرة . فغُمّ على الرجل الحال ، واعتلج فى صدره الهم ، وأصبح حيران لا يدرى ما يقول ولا ما يفعل . تمنى الخروج من هذا المأزق بالمرض أو الموت ؛ ولكن المرض أو الموت إذا أصبح أمنيَّة الفقير امتنع كالخير وعزّ كالسعادة . فاحتال على العلة بالجوع ، فصام النهار والليل حتى هجمت عيناه وانسرقت قواه وبانت عليه نهكة المرض

ودخل العيد بضوضائه وخيلائه على هذه الأسرة البائسة فوجدها عاكفة على سرير مريضها الموجَع ، مضرّمة الأنفاس ، لهيفة القلب ، لا أمل لها إلا أن يعافى عميدها و يحيا . فانكفأ العيد النشوان المرِح خجلان عن هذا المنظر الأليم إلى مجالى البهجة والنعيم فى قصور الكبراء والأغنياء والسادة . ولولا هذه الحيلة التى أنقذت هذا التعِس بالمرض من غير موت ، لأشفى به الخجل والهم على الموت من غير مرض

* * *

تباركت يا ألله ! لقد جعلت فى عيد الفطر زكاة ، وفى عيد النحر تضحية . فهل فهم ذوو القلوب الغُلف والبصائر العُمْى من شرعك العادل أن الفقير يزكى بقوّته حتى يعجز ، والمسكين يضحى بصحته حتى يموت ؟ ؟

احمد حسن الزيات

تقدم الرسالة الى أصدقائها وقرائها فى عيد الأضحى المبارك بالتهنئة الصادقة والتحية الخالصة ، وترجو لهم وللبلاد السعادة الخالصة والنعمة السابغة والسلام الدائم

الأدب والمدرسة

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

« هل كانت علومك المدرسية ذات أثر فعال فى إظهار مواهبك الأدبية ؟ »

سؤال انتقل به صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم إلى « برجه العاجى » من مجلة أدبية فرنسية ألقته على طائفة من أدباء بلادها فكان جواب أحدهم: « يخيل إلى أن الغباء وفقر الذهن وبلادة الشعور وضعف التصور وانعدام الخيال مواد مقررة رسمياً فى المناهج المدرسية »

ويقول الصديق فيما عقب على هذا الجواب « ولو سئلت لما خرجت إجابتى عن هذا المعنى »

وكنا نتحدث فى هذا قبل أن أقرأه فى البرج العاجى من الرسالة، قصصت على الصديق بعض ما أذكر من عهد المدرسة ووصفت له أساتذتى فى اللغتين العربية والانجليزية وتوخيت الإنصاف وتحريت الحق، فسألنى أن أكتب هذا وأنشره، فوعدت أن أفعل . وقد بدأت أكتب وفى نيتى أن أبر بالوعد، ولكنى بعد أن بلغت هذا الموضع أرانى أميل إلى الإخلاف فما أحب أن أسئ إلى أحد بلا موجب وبغير حق، أو أن أرمى بالجحود والكفران. وأكبر الظن أن الذين علمونى نسوا — أو هم لا يدرون — أنى كنت من تلاميذهم؛ فلو قلت فيهم ما قال مالك فى الخمر ما عرفوا أنهم هم المعنيون ؛ ولو أثنيت عليهم لتعجبوا وراحوا يتساءلون « ترى من كانوا معلميه ؟ » ولعل أكثرهم قد عاد إلى التراب الذى جبل منه ولكنى مع ذلك لا أرانى أقدر أن أضعهم فى الميزان إلا إذا وضعت نفسى معهم

أنا أيضاً كنت تلميذاً ثم مدرساً لسوء الحظ . وكانت ميزتى المحتمة فى أيام التلمذة « الغباء وفقر الذهن وضعف التصور » يضاف إليها الفقر . وكان يبلغ من فاقتى فى ذلك الزمان أن كنت أحتاج إلى القميص الأبيض لألبسه مع البذلة فلا نجد ثمنه ، فتعمد أمى المسكينة إلى ما خلف أبى من قمصان فتصلحها فتضيق من هنا وتقصر من هناك ، ولكن الياقة أو البنيقة كانت تعييها فتلبسنيها كما هى ؛ ولو جعلت لى منها حزاماً لكان هذا أصلح. فتصور هذا الطوق العظيم على عنق. وكنت إذ أمشى بها لا أدرى ماذا أصنع وكيف أبلغ المدرسة، لأنى كنت أحتاج إلى كلتا يدى لأهوى بجانبي الطوق عن أذنى، ولكنى محتاج أيضاً إلى حمل الكتب والكراسات فكيف أصنع وليس لى غير يدين اثنتين .. ولا أدرى كيف نجوت من العمى فقد كانت عيناى ترمدان فلا تعبأ بى المدرسة . نعم كان لها طبيب يحضر كل يوم لعيادة المرضى منا فكنا إذا سمعنا ناقوسه نجرى إليه فيصفنا أمامه ولا يجشم نفسه عناء السؤال أو الفحص ، بل يقول وهو يشير إلى كل واحد منا على الترتيب : « شربة ، بخة ، قطرة » فيتفق أن يكون من حظك «القطرة» وشكواك أن رجلك مهيضة ، أو البخة وبك زكام . وكنت أذهب إليه لعلاج عينى ولكنى كنت أخرج مأموراً بالشربة أو البخة ولا أخرج قط بالقطرة . أما فى البيت فكان كل ما أتداوى به من الرمد الماء البارد .

وآية غبائى وبلادتى أنى كنت فى كل فرقة الأخير ، — حتى مقعدى كان الأخير فى الحجرة — وكنت لصغر جسمى وقماءتى لا أكاد أبدو للمدرس ، فهو لا يرانى ولا يحس بوجودى ولا يعنى بى ، وأنا أغتنم هذه الفرصة فأتشاغل عن درسه بما يخطر لى من العبث . وكان جارى فى بعض الفرق ضخم الجسم كأنه الفيل الصغير ، وكان لجسامته يحتاج حين يقعد أن يتكئ على الدرج بكلتا يديه ، وكانت عادته أن يمسح وجهه بكفيه بعد ذلك ويتمتم بقوله : « خيبة الله عليكم » — يعنى زملاءه التلاميذ لأنهم كانوا لا يكفون عن ركوبه بالعبث ، فاشتريت مرة قليلاً مما يسمى « بودرة العفريت » ونثرتها على الدرج فاتكأ عليه ومسح وجهه ثم ذهب يحك كفيه وخديه حتى دمى وجهه وانقطع عن المدرسة أياماً حتى شفى . ففطن المدرسون إلى وجودى بعد ذلك وصرت أتهم بكل ما يحدث فى المدرسة ولو وقع فى فرقة غير فرقتى ، فأنا عندهم المحرض أو الموسوس بالعبث إذا لم أكن أنا الفاعل

أما الدروس فما كنت أفهم منها شيئاً ؛ ولم يكن هذا ذنب المعلمين فما كانوا يقصرون فى الشرح والبيان ، ولكنى أنا كنت لا أستطيع أن أنتفع بذلك لأنى أكون قاعداً على ركبتى — فوق البلاط — عقاباً لى على مالم أصنع فى الغالب — أو واقفاً ووجهى

إلى الحائط أومطروداً من الحجرة كلها. وكيف يمكن بالله أن يفهم شيئاً من لا يزال هكذا — ركبتاه على الأرض أو أنفه على الجدار أو هو يتمشى فى الفناء أو الدهليز ...

وكان أرق المدرسين مى وأظرفهم وألطفهم على العموم إنجليزى أنيق كان إذا رآنى — وما أكثر ما كان يغضى — أخرج على النظام يدعونى أن أقف ويطلب منى أن أتهجى كلة « مجنون » أو « شقى » وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى . ويكتفى من العقاب بهذا

وكان لنا معلم للغة العربية غريب الأمر — كانت حجرتنا مجاورة لحجرة الناظر الإنجليزى ، فكان هذا المعلم يفرغ من إلقاء الدرس وشرحه ومن التطبيق أيضاً فى خمس دقائق على الأكثر ثم يقول : « اغلقوا النوافذ كلها » فنفعل ثم يأخذ فى حديث سياسى يذم فيه عهد إسماعيل ويلعن فيه أيام توفيق ويثنى على الإنجليز أطيب الثناء . ولم يكن أعجب من صنيعه هذا إلا إغلاقه النوافذ ليوهمنا أن الناظر الانجليزى يسوؤه أن يعلم أنه يثنى على قومه ... وكنا نناقشه ونجادله ونخالفه فيوسع صدره ويروح يحاورنا ويداورنا ليقنعنا بأن ما خرب من نفسه عامر . وكانت تلك أيام مصطفى كامل وكنا نقرأ « لواءه » ونسمع خطبه . وأحسب أنى لا أبالغ إذا قلت أنى تلقيت دروسى الأولى فى اللغة العربية من اللواء والمؤيد لا من معلمى فى المدارس، وتصور أن منهم معلماً كان يكلفنا أن نحفظ كتاب النحو عن ظهر قلب ... بل تصور أنه كان يثنى على التلميذ الذى يقول له فى جواب سؤاله عن الفعل اللازم « ماهو » — « هو ما ليس كذلك » — كما فى الكتاب بالحرف الواحد . ولم أستطع قط فى حياتى أن أحفظ شيئاً عن ظهر قلب إلا إذا جاء هذا عفواً وعن غير قصد، فكانت درجتى فى اللغة العربية هى الصفر دائماً

وكل ماحفظته من الشعر العربى فى المدرسة قصائد قليلة مثل :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وما إليها — وحتى هذه يخيل إلى أنى ما حفظتها إلا فيما بعد — لما كبرت ، ولكنى أذكر على كل حال أن المدرس الذى كان يغلق النوافذ ويهجو المصريين ويمدح الإنجليز هو الذى كان يتقاضانا أن نحفظ : « إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ، فكل رداء يرتديه جميل » . وقد يكون هذا اتفاقاً محضاً

وكان أساتذتنا فى اللغة الإنجليزية على عكس ذلك ، فكانوا يرشدوننا ويساعدوننا ويقرضوننا الكتب إذا أنسوا منا ميلاً إلى القراءة ، ويصحبوننا إلى مكتبة المدرسة ، ويتخيرون لنا ما يوافقنا وما يسعنا أن نفهمه ، ولا يبخلون علينا بالتفهيم والشرح حتى فى أوقات الفراغ إذا طلبنا منهم ذلك ؛ ولكن بعضهم كان عجيب الشذوذ . أذكر منهم واحداً كان يعلمنا الجغرافيا الاقتصادية فكان يكتب على السبورة رقماً يبلغ من طوله أن بقيته تجىء على الجدار! وكان هذا مبلغ علمه بهذه الجغرافيا . ومنهم من كان يعطينا الدرجات على الخط وجودته ولا يبالى أصبنا أم أخطأنا فى الموضوع، فأجودنا خطا أعلانا درجة ولو كان أجهل منى.

أظن أن المدرسة لا تستطيع أن تعلم الأدب ، وكل ما يسعها ويجوز أن يطلب منها هو الترغيب والتوجيه والتسديد ، وحسبها أن توفق فى هذا ، وأكاد أقول حسبها ألا تنفر من الأدب وتزهد فيه

ابرهيم عبد القادر المازنى

المتنبي وسر عظمته

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

إذا قرأ القارىء قول المتنبى :

وخِلة فى جَلِيسٍ أتقيه بها ... كيما يرى أننا مثلان فى الوَهنِ
وكِلْمةٍ فى طريق خفت أعربها ... فيهتَدَى لى فلم أقدر على اللحن
كم مخلص وعُلًى فى خوض مهلكة ... وقتلة قُرِنَتْ بالذم فى الجبن
لا يُعجبَنَّ مضيما حسن بزته ... وهل تروق دفيناً جودة الكفن

أحس بما تدعو الحياة إليه من تقييد النفس بقيود التجانس حتى ولو كان فيها قهر أنبل عواطفها ونوازعها ، وأحس بالمعركة التى تدور فى النفس بين نزعاتها من رضاء وإباء وتسليم وثورة ، والتذ مشاركته الشاعر فى تلك المعركة النفسية حتى ولو كانت المشاركة بالعقل الباطن والقراءة بالعقل الظاهر . وهو يحس هذا الإحساس إذا قرأ قوله :

واحتمال الأذى ورؤية جانيـ ... ـه غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار ... حجةٌ لاجئٌ إليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميِّتٍ إيلام

وهو أيضاً يضع نفسه موضع نفس الشاعر فى تلك الرحلة النفسية التى يلتذها بالقراءة إذا قرأ قوله :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهمْ ... ولكنْ معدن الذهب الرغام
خليلك أنت لا مَن قلت خِلى ... وإن كثر التجمُّل والكلام

ويزداد اعتداد المتنبى بنفسه ، فلا يزداد القارىء إلا لذة ببيانه عند ما يقرأ قوله :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود
عِشْ عزيزاً أومتْ وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود
واطلب العز فى لظى ودع الذ ... ل ولو كان فى جنان الخلود
أنا فى أمة تداركها اللـ ... ـه غريب كصالح فى ثمود

وكذلك عندما يقرأ قوله :

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ... ويجهل علمى أنه بِىَ جاهل
ويجهل أنى مالك الأرض مُعسرٌ ... وأنى على ظهر السماكين راجل
تحقر عندى همتى كلَّ مطلب ... ويقصر فى عينى المدى المتطاول
غثاثة عيشى أن تغث كرامتى ... وليس بغث أن تغث المآكل

والبيت الأول يدل على تفكير طويل فى أنواع جهل النفوس بالنفوس، وهو موضوع عميق كعمق الحياة، ومجاهل أعماق النفس والحياة كمجاهل أعماق المحيط . وكذلك إذا قرأ أبيات المتنبى التى يخاطب بها أسد الفراديس ويدعوها فيها إلى محالفته ، سار القارىء فى رحلة نفسية خيالية فى عالم البيان الشعرى ، حيث يود الشاعر أن يؤلف الوحش وأن تألفه ، كما حدثوا عن الشنفرى الشاعر . وإذا قرأ القارىء قول المتنبى :

عـدُوِّى كل شىء فيكِ حتى ... لخلت الأُكم موغرة الصدور
فلو أنى حُسدْتُ على نفيسٍ ... لجدْتُ به لذى الجد العثُورِ
ولكنى حُسِدْتُ على حياتى ... وما خير الحياة بلا سرور

كان قد بلغ من تلك الرحلة النفسية قفراً موحشاً تختلط فيه الحقيقة بالخيال فى نفس بلغت من النفرة من الناس والشك فيهم مبلغاً يجعلها تشك فى الجماد ، وتخاله موغر الصدر كالناس ، وهذه حالة حقيقية فى النفس ، وإن اختلطت فيها الحقيقة بالخيال ، وهى من الحالات النفسية التى يجيد المتنبى وصفها كما قال :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا
أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
ويختلف الرزقان والفعل واحد ... إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

ويتبع القارىء الشاعر فى رحلة التجارب النفسية حيث يقول :

فلا تَنلْكَ الليالى إن أيديَها ... إذا ضربن كسرْنَ النبع بالغرَب
ولا يُعِنَّ عدواً أنت قاهره ... فإنهن يصدن الصقر بالخرب
وإن سررْن بمحبوب فجعن به ... وقد أتينك فى الحالين بالعجب
وربما احتسب الإنسان غايتها ... وفاجأته بأمر غير محتسبِ
وما قضى أحد منها لبانته ... ولا انتهى أربٌ إلا إلى أربِ

والبيت الأخير يعبر عن سر التعلق بالحياة ؛ فليس سر التعلق بها لسعادتها وكمال مسراتها ، بل قد يتعلق بها أشد التعلق من قلت مسراته فيها ، وإنما يكون الحرص عليها كلما وجد المرء سبيلاً لنشدان المطالب والمآرب حتى ولو لم يسعد بها . فالحرص على الحياة موجود ما دام المرء ينتشى فيها بالسعى والطلب ،

وإن لم يُؤَدِّ السعى إلى فوز وسعادة . ويستمر القارئ متابعاً للمتنبى فى رحلته النفسية فى عالم التجارب وآلامها كما فى القصيدة التى يقول فى مطلعها : (كفى بك داء أن ترى الموت شافياً) . ويعاود وصفها فى القصيدة التى مطلعها : (أود من الأيام ما لا توده) وفى القصيدة التى مطلعها : (فراق ومن فارقت غير مذمم) والتى يقول فيها :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدَّقَ ما يعتاده من توهم
وعادى مُحبِّيهِ بقول عداته   وأصبح فى ليل من الشك مظلم

ويعاود وصف آلامه وآماله وخيبته وتجاربه فى قصيدة : (بم التعلل لا أهل ولا وطن) . وفى قصيدة : (أغالب فيك الشوق والشوق أغلب) . وفى قصيدة : (صحب الناس قبلنا ذا الزمانا) . وهو يحس فيها بضآلة مطالب الحياة بالرغم من إقبال نفسه عليها فيقول :

ومراد النفوس أصغر من أن   نتعادَى فيه وأنْ نتفانى
كل ما لم يكن من الصعب فى الأنـ   ـفس سهل فيها إذا هو كانا
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ   فمن العجز أن تكون جبانا

وتراه يصف كيف أن نفسه قد تُقهرُ على التخلق بصفات الحياة من مداهنة وشك ، فيقول :

ولما صار ود الناس خبا   جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه   لعلمى أنه بعض الأنام

إلى أن يقول :

ولم أرَ فى عيوب الناس شيئاً   كنقص القادرين على التمام

ويعود إلى وصف ما علمته الحياة من سوء الظن فيقول :

توهم القومُ أن العجز قرّبنا   وفى التوهم ما يدعو إلى التهم
ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة   بين الرجال وإن كانوا ذوى رحم
هوّن على بصر ما شق منظرهُ   فإنما يقظات العين كالحلم
ولا تشك إلى خلقٍ فتُشمته   شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

ثم هو بالرغم من شكواه يعرف أن للمعالى التى ينشدها ثُمناً لا بد أن يؤديه فيقول :

تريدين لقيان المعالى رخيصة   ولا بد دون الشهد من إبر النحل

ويعلم أنه من العبث أن يُعَنِّى المرء نفسه وأن تُعَنِّيه إذا لم تدرك ما تَمَنَّتْ فيسلى نفسه ويسلى القارئ معه بقوله :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

ويعلم أن الظلم فى النفوس صفة عامة إذا خفيت فإنما تخفى لسبب فيقول :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلم
والذل يظهر فى الذليل مودة   وأود منه لمن يود الأرقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه   ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وهذه الحكم العديدة وأمثالها فى شعر المتنبى ليست من الشعر التعليمى أو الوعظى الذى يصنعه المرء وهو ناعم البال قرير العين بارد العاطفة وهو جالس إلى مكتبه يتأمل فيما تصف به الكتب والدفاتر أوجه الحياة وأخلاق النفوس فيها ، ولكنه تأمل المختبر المجرب ، فهو شعر التأمل الذى تغرى به العاطفة لا شعر التأمل الذى يغرى به العقل فى دعته أو مباذله أو عند مباهاته بالعلم ومفاخرته بالعرفان ، فهو شعر حكمة يُبصِّرُ الشاعر فيها نفسه ويذكِّرها كى تتحمل الحياة بمعرفتها الحياة ، وتتحمل الناس بمعرفتها أخلاق الناس . ومن كان شديد الاعتداد بالنفس والاعتزاز بها كالمتنبى كان فى حاجة إلى هذه التبصرة والتذكرة بسبب ما يجشم الشاعر نفسه من معاناة الحياة والناس معاناة فوق معاناة القنوع التى لا بد منها . فهذا الاعتداد بالنفس بما يفيض به من حنكة وخبرة وأنغام وبيان وآلام وآمال ، هو سر نبوغ المتنبى وسر شهرته وتعلق الناس بشعره كما ذكرنا ، وهو سر قوة شعره. وهذه القوة هى فيض يغمر كل باب من أبواب شعره من مدح أو وصف أو عتاب أو رثاء . ومن أجل ذلك تبدو حكمة الحنكة فى شعره مختلطة بالمدح أو العتاب أو الوصف أو الذم ، ففى قصيدته التى يصف فيها الأسد ويقول :

فى وحدة الرهبان إلا أنه   لا يعرف التحريم والتحليلا

ويستجمع كل معانى الوصف الرائعة ، إذ تراه يورد الحكمة كما فى قوله :

أنفُ الكريم من الدنيئة تارك   فى عينه العدد الكثير قليلا

وفى قصيدة أخرى بينما هو يمدح الممدوح إذ تراه يقول :

إلفُ هذا الهواء أوقع فى الأنـ   ـفس إن الحِمَامَ مُرُّ المذاق

وفى قصيدة أخرى يقول :

لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل

وفى قصيدة أخرى من قصائد المدح يقول :

إنا لنى زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال

فأصبح منتهى ما يطمع فيه الطامع فى خير الناس أن يحصل على خيرهم السلبي ، أى امتناعهم عن الشر كأنما الامتناع عن العمل عمل يشكرون عليه . وكذلك يورد الحكمة فى قصائد المدح الأخرى مثل قصيدة (لكل امرئ من دهره ما تعودا) التى يقول فيها :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وكذلك يصنع فى قصيدة (على قدر أهل العزم تأتى العزائم) وقصيدة (الرأى قبل شجاعة الشجعان) . فقيمة مدحه ليست فى المغالاة المرذولة كما فى بعض قوله وإن اشتهر بها ، ولكن قيمته فيما يخالطه من حكمة وخبرة إما بالأخلاق والحياة عامة ، وإما بالصفات المرغوب فيها التى يود كل ممدوح أن تنسب إليه . وكذلك يورد الحكمة فى قصائد الاستعطاف أو التوفيق أو العتاب كقصيدة (إن يكن صبر ذى الرزيئة فضلا) وقصيدة (حسم الصلح ما اشتهته الأعادى) وقصيدة العتاب الرائعة الفخمة التى يعنف فيها فى عتاب سيف الدولة تارة وتارة يبلغ غاية الرقة كما فى قوله فيها :

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

ويورد الحكمة أيضاً فى قصيدة (بغيرك راعياً عبث الذئاب) فيمدح ويستعطف ويورد الحكمة ، وفيها يقول :

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العقاب

وكم ذنب مولده دلال وكم بعد مولده اقتراب

ويورد الحكمة أيضاً فى قصائد الرثاء والتعزية وله فيها قصائد شائعة مثل رثائه لعمة عضد الدولة ورثائه أم سيف الدولة وأخته ومملوكه يماك ورثاء المتنبي لجدته ورثائه لأبى شجاع فاتك ، وفى رثاء عمة عضد الدولة يقول :

يموت راعى الضأن فى جهله ميتة جالينوس فى طبه

وربما زاد على عمره وزاد فى الأمن على سربه

وفى رثاء أم سيف الدولة يقول :

وصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال

وفى رثاء مملوك سيف الدولة يقول :

وأوفى حياة الغابرين لصاحب حياة امرئ خانته بعد مشيب

إذا استقبلت نفس الكريم مصابه

بخبث ثنت فاستدبرته بطيب

وفى رثاء جدته الرائع يصف ما لاقاه فى سبيل تجشيم نفسه عظام المساعى فتزداد لذة القارئ فى قراءته . والمتنبي إذا أراد الوصف أجاد كما فى وصف الأسد وكما فى وصف شعب بوان ونباته الذى يقول فيه وهو من أبدع الوصف :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان

ويصف الخيل كما فى قوله (وما الخيل إلا كالصديق قليلة .الخ) ويصف الحروب . وليس إقلاله من وصف مظاهر الكون والطبيعة من عجز ، بل لأن بصر بصيرته كان موجهاً إلى دخائل نفسه ونفوس الناس وأخلاقهم فى الحياة أكثر مما كان موجهاً إلى مظاهر المرئيات وله فى الغزل بالرغم من ذلك أشياء تستجاد وتستحب مثل قوله :

زودينا من حسن وجهك ما دا م فحسن الوجوه حال تحول

وصلينا نصلك فى هذه الدنـ يا فإن المقام فيها قليل

وقوله :

إذا كان شم الروح أدنى إليكم فلا برحتنى روضة وقبول

ألم ير هذا الليل عينيك رؤيتى فتظهر فيه رقة ونحول

فسحر شعر المتنبي هو سحر جاذبية الشخصية المعتدة بنفسها وسحر ما تختبر من الحياة .

ولا نعنى بسحر الاعتداد بالنفس أن الناس لا يقاومونه . هم يقاومونه بكل وسيلة فى أول الأمر ، وبعضهم يظل يقاومه حتى مع التأثر به . بل إن بعضهم تدل شدة مقاومتهم له على شدة التأثر به . ففى بعض سجايا النفوس قد يظهر التأثر بالإنسان ، أو بالشيء بمظهر المقاومة . ولعل أظهر هذه الظاهرة فى العلاقات الزوجية ، ولكنها موجودة فى جميع علاقات الناس بعضهم ببعض ،

وقد لا تكون المقاومة دليلاً على التأثر. بل قد تكون دليلاً على قلة التأثر أو انتفائه. ولعل الظاهرة أساسها واحد فى الحالتين، وأساسها هو: دفاع كل نفس فى الحياة عن كيانها ومميزاتها وخصائصها؛ وكلما كان تأثرها بخصائص غيرها وكيانه أعظم، كانت المقاومة ألزم فى بعض الحالات وفى بعض النفوس، إما صيانة للبقية الباقية من استقلالها، وإما لكى تعذر نفسها لدى نفسها فى استسلامها لسحر الاعتداد بالنفس سراً بمقاومته جهراً فترتاح إلى هذا العذر وتحسب أنها قد صانت به كرامة استقلالها. ولكن إذا كان الاعتداد بالنفس عظيماً، وكان مقروناً بقوة العبقرية أو البيان والفصاحة أو الخلابة أو العصبية المناصرة له تمكن على الزمن من تحويل الشىء الكثير من المقاومة إلى إعجاب، كالإعجاب الذى ناله من النفوس التى ناصرته من أول الأمر بسبب لذتها فى الاستسلام أو لذتها فى رؤية اعتدادها بنفسها مقدساً فى شخص عظيم. وتغلب الاعتداد بالنفس على المقاومة يكون شبيهاً بتغلب النعاس على اليقظة. وقد لاقى المتنبى أشد المقاومة، ولكن شدة اعتداده بنفسه تمكنت من تحويل المقاومة على مر الزمن إلى إعجاب كثير

لقد كنا فى عهد الصغر إذا قرأنا للمتنبى قوله:

من لو رآنى ماءً مات من ظمأ
ولو عرضتُ له فى النوم لم ينم

تخيلناه مخلوقاً من مخلوقات الخيال فى القصص الخرافية. وفخره العريض فى هذا البيت وفى أمثاله كان من خواطر العظمة التى رآها لنفسه، ولكنا لم نشأ أن نعد كل أقواله فى القتال وإراقة الدماء من قبيل خواطر السوء التى تمر بخاطر كل إنسان، لأن الرجل كان محارباً فعَّالاً كما كان متخيلاً قوَّالاً. وإذا صدقت قصة مقتله التى قيل فيها إنه فر طالباً النجاة ممن أغاروا عليه حتى ذكَّرهُ مذكِّرٌ بقوله:

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وذكره بأن من يقول هذا القول لا بد أن يكون فعله كقوله، فعاد للقتال حتى قُتل أقول إذا صدقت هذه القصة: كان الاعتداد بالنفس الذى قتله، هو الاعتداد بالنفس الذى خلَّد عظمته وزادها. وهو أيضاً كذلك وإن لم تصدق هذه القصة

عبد الرحمن شكرى

من برجنا العاجى

إنى أتجنب دائماً رؤية خروف العيد حياً قبل العيد، وأتحاشى أن أدنو منه أو ألاطفه أو أعقد بينى وبينه أواصر صحبة أو مودة، خشية أن تمضى ساعات فإذا هو أمامى مشوياً فى طبق، ينظر إلىّ بعينين يسيل منهما الدهن والزبد، نظرات كلها ازدراء لما تكشف له من خلقنا الإنسانى المنطوى على الخيانة والغدر! إنى أتخيل دائماً معانى هذه النظرات الهادئة العميقة التى تنبعث من عيون هذه الحيوانات الوادعة الأليفة. إنها لأبلغ فى إنسانيتها أحياناً من بعض نظراتنا الآدمية التى يشع منها بريق جشع حيوانى ونهم مفترس قد لا تعرفه غير الضوارى والكواسر!

إنى لأتخيل الحديث الذى يمكن أن يدور بينى وبين هذا الخروف لو أنه منح القدرة على الكلام:

— لماذا صنعتم بى هذا؟

— لمجدك الأبدى

— مجدى الأبدى! هذا الذبح والسلخ والحرق مرة فى كل عام على مدى الدهور والأيام!

— نعم، هو مجدك الذى ينبغى أن تتيه به وتفخر وتزهى على غيرك من الحيوان! إن دمك يراق من أجل فكرة. وحياتك تضحى فى سبيل عقيدة!

— آه للإنسان ما أبرعه فى إلباس صغير الفعال رائع الثياب!

— نعم، هنا مفتاح سمونا وسر عظمتنا!

— هنا الفرق بيننا وبينكم

— نعم، كل الفرق

— إن الغرائز السفلى ما زالت هى الناموس الأعظم لنا ولكم. ولم تستطيعوا مع قدرتكم وقوتكم أن تخرجوا عن نطاقها قيد أنملة ...

— ولن نخرج

— إنما كل عملكم أن تضعوا على حقائقها العارية رداء، كما وضعتم على أجسامكم العارية لباساً. نحن العارون جسداً وروحاً، وأنتم الكاسون جسداً وروحاً. أما بعد ذلك فلا اختلاف بيننا وبينكم.

— هذا صحيح يا سيدى الخروف!

توفيق الحكيم

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

تاريخ كلمة أدب

لا نجد « كلمة أدب » فيما بين أيدينا من الكلام المأثور عن الجاهليين ؛ ولكن ورودها فيما أُثِر عن الرسول (صلوات الله عليه) وعن الصحابة يرجح أنها كانت مستعملة قبل الإسلام فى المعانى التى دلت عليها فى عهد الرسالة أو فى معان قريبة منها

ولدينا روايات من صدر الإسلام منها :

١ — أن علياً رضى الله عنه قال للرسول : يا رسول الله : نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، ورُبيت فى بنى سعد »(١) والتأديب هنا معناه التعليم

٢ — ورد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « إن هـذا القرآن مأدبة الله فى الأرض فتعلموا من مأدبته » ، والمأدبة هنا موضع الأدب أى الكتاب الجامع ما يؤدب به الله الناس من أوامر ونواه ومواعظ وحكم

٣ — وروى عن عبد الله بن عباس أنه قال فى تفسير الآية : «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» : فقهوهم وأدبوهم . وقال مُقاتل أحد التابعين فى تفسير الآية نفسها : أن يؤدب المرء نفسه وأهله فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر »(٢) والأدب فى هاتين الروايتين يراد به التهذيب الذى يقرب من الخير ويبعد عن الشر

وفى العصر الأموى نجد الكلمة مستعملة فى المعانى المتقدمة أو ما يقرب منها :

جاء فى شعر مُزاحم العُقيلى وصفُ الجمل المذلَّلُ بالأديب قال:

فهن يَصرفنَ النوى بين عالج ... ونجران تصريف الأديب المذلل

وجاء فى خطبة زياد البتراء :

« فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدِّبون لكم. أما والله لأؤدِّبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمُن »

(١) بنو سعد : قبيلة من هوازن تنسب إليها حليمة السعدية مرضعة الرسول

(٢) الرسالة القشيرية : باب الأدب ، تفسير الفخر الرازي

وقال بعض الفزاريين من شعراء الحماسة :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا أُلقّبه والسوأة اللقبا

كذاك أُدِّبت حتى صار من خلقى ... أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

واتخذ الخلفاء والكبراء فى العصر الأموى فما بعده معلمين يؤدبون أولادهم فكانوا يسمونهم « المؤدِّبين » وكانوا يؤدبون برواية الكلام البليغ الداعى إلى المكارم ، الحافز إلى العظائم . وقد روى عن عبد الملك بن مروان أنه قال لمؤدِّب ولده : وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا(١)

وفى عيون الأخبار أن عمر بن عبد العزيز قال لمؤدبه : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تؤدبنى ؟ قال : أحسن طاعة ؛ قال : فأطعنى الآن كما كنت أطيعك(٢)

وكان المؤدبون ، حين يروون القصائد والخطب والأمثال ، يذكرون طرفاً من أخبار أصحابها ونُبذاً من الواقعات التى قيلت فيها فاستعمل الأدب فى الشعر والنثر وما يتصل به من أخبار ونوادر ، وفشا هـذا العرف على مر العصور ، وسُمِّى من يروى الأدب وأخباره ويعلمه أديباً

وامتاز الأديب من الشاعر والكاتب . فإذا غلب على الرجل درس الأدب وتعليمه فهو أديب ، وإذا غلب عليه إنشاء الشعر فهو شاعر ، وإذا غلب عليه إنشاء النثر فهو كاتب . وربما جمع الرجل هذه الألقاب الثلاثة أو اثنين منها

وأطلقت كلمة « الأدب » منذ تلك العصور على المعنيين : المعنى الخلقى والمعنى الكلامى ؛ أعنى حسن الخلق والمعاملة والكلام البليغ وما يتصل به من أخبار . وقد ذكر هذين المعنيين ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « أدب الكاتب » إذ قال : « ونحن نستحب لمن قبل عنا أو ائتم بكتبنا أن يؤدِّب نفسه قبل أن يؤدِّب لسانه ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه » ، وقيل لهـذين المعنيين من بعد « أدب النفس وأدب الدرس »

فأما أدب النفس فقد توسعوا فيه حتى شمل كل طريقة مستحسنة فى علم أو عمل ، وألفت كتب باسم أدب القاضى وأدب المفتى ، وأدب القراءة ، وأدب المحدث، وأدب البحث، وأدب المتعلم،

(١) كتاب نقد النثر ص ٧٠ وعيون الأخبار ج ٢ ص ١٦٧

(٢) ج ١ ص ٢٠١ ، وانظر وصايا المعلمين فى ج ٢

وأدب المريد ، وأدب النديم ، وأدب الدنيا والدين ونحو ذلك[١]

وأما أدب الدرس فقد وسعوه كذلك حتى شمل علوماً عُدّة سميت علوم الأدب أو علم الأدب ، وأحياناً يسمونها الأدب اختصاراً

علم الأدب

لم يكن بد لدارسي الشعر والنثر من معرفة قوانين العربية التي تعصم ألسنتهم من الخطأ ؛ فكان كل متأدب يتعلم النحو وكل مؤدب يعلّمه إلى ما يعلّم من الأدب . فغدا النحو من وسائل الأدب ، واختلط به . وكذلك علوم العربية الأخرى كلما وضع علم جعل من وسائل الأدب ووصل به . فاتصل بالأدب الصرف والنحو والعروض وفنون البلاغة وعلوم أخرى ، وسميت كلها علوم الأدب أو علم الأدب أو الأدب[٢]

وأراد الباحثون في الأدب بهذا المعنى أن يحدوه حدًّا واضحاً يبين ما يدخل فيه وما يخرج عنه فعرفوه تعريفات متقاربة ؛ منها :

١ — علم يُحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظاً وخطاً

٢ — علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة

٣ — حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف

وحصروا العلوم التي تدخل في هذه التعريفات فجعلوا علوم الأدب ثمانية ، ثم زادوها إلى اثني عشر ، عدّها ابن الأنباري في طبقات الأدباء ثمانية : اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والعروض والقوافي ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم . ثم قال : « وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضمناهما وهما علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو الخ »

وقسمها الشريف الجرجاني تقسيماً منطقيًّا إلى اثني عشر : قال في مقدمة شرح المفتاح : « إن علم العربية المسمى بعلم الأدب علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابة . وينقسم — على ما صرحوا به — اثني عشر قسماً ؛ منها أصول هي العمدة في ذلك الاحتراز ومنها فروع »

ثم بين أن الأصول هي : اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان (والبديع تابع لها) والعروض والقافية

وأن الفروع هي : الخط ، وقرض الشعر ، وإنشاء النثر ، والمحاضرات (ومنه التاريخ)[١]

وقال ابن خلدون في فصل علم الأدب من المقدمة :

وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه . وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه

---

(١) وهذه أمثلة مرتبة على التاريخ :

١ — الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع المتوفى سنة ١٤٢

٢ — باب الأدب في كتاب البخاري المتوفى سنة ٢٥٦

٣ — أدب القاضي للامام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢

٤ — أدب القراءة لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦

٥ — باب الأدب في ديوان الحماسة لأبي تمام المتوفى سنة ٢٣١

٦ — أدب النفس لأبي العباس السرخسي المتوفي سنة ٢٨٦ ، ألفه للمعتضد بالله العباسي

٧ — أدب النديم لكشاجم الشاعر المتوفى سنة ٣٥٠

٨ — أدب الدنيا والدين للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠

٩ — آداب الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي النيسابوري المتوفى سنة ٤٤٥

(٢) ومن شواهد هذا أن ابن الأنباري في كتابه « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » ترجم للنحويين والأدباء معا . وقال في ترجمة هشام بن محمد الكلبي :

« وأما هشام بن محمد بن السائب الكلبي فانه كان عالما بالنسب وهو أحد علوم الأدب ؛ فلهذا ذكرناه في جملة الأدباء »

وقال ياقوت في مقدمة معجم الأدباء :

« وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والأخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف في الأدب تصنيفا أو جمع في فنه تأليفا »

وألف أبو يعقوب السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ كتابه « مفتاح العلوم » وقال في مقدمته : « وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام : القسم الأول في علم الصرف ، القسم الثاني في علم النحو ، القسم الثالث في علمي المعاني والبيان » وعد هذه العلوم من الأدب إذ قال في المقدمة نفسها : « وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون (نوع اللغة) ما رأيته لا بد منه وهي عدة أنواع متآخذة » ثم بين أن علم الاشتقاق تمام الصرف وأن المعاني والبيان يحتاجان إلى العروض والقافية

(١) بين الجرجاني طريقة التقسيم في قوله :

« أما الأصول فالبحث فيها إما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها فعلم اللغة ، أو من حيث صورها وهيئاتها فعلم الصرف ، أو من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالأصالة والفرعية فعلم الاشتقاق . وإما عن المركبات على الاطلاق فأما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو ، أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى فعلم المعاني ، أو باعتبار كيفية تلك الافادة في مراتب الوضوح فعلم البيان . وإما عن المركبات الموزونة فأما من حيث وزنها فعلم العروض ، أو من حيث أواخر أبياتها فعلم القافية

« وأما الفروع فالبحث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط ، أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر ، أو منثور فعلم إنشاء النثر من الخطب والرسائل ، أو لا يختص بشيء منها فعلم المحاضرات ومنه التاريخ »

وقد أُثِرَ تعميم « الآداب » وإطلاقها على معارف أخرى في قول الحسن ابن سهل :

« الآداب عشرة : فثلاثة شهرجانية ، وثلاثة أنوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أربت عليهن . فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج . وأما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية . وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس . وأما الواحدة التي أربت عليهن فقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس [1] »

وجاء في إحدى رسائل الجاحظ : « إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة ذكروا أن أصول الآداب التي يتفرع منها العلم لذوي الألباب أربعة : فمنها النجوم وأبراجها وحسابها ، ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير ، ومنها الكيمياء والطب وما يتشعب من ذلك ، ومنها اللحون ومعرفة أجزائها ومخارجها وأوزانها »

وجاء في رسالة إخوان الصفاء :

« إعلم يا أخي أن العلوم التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس منها الرياضة ومنها الشرعية الوضعية ومنها الفلسفة الحقيقية .

فالرياضة هي علم الآداب التي وضع أكثرها بطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا ، وهي تسعة أنواع : أولها علم الكتابة والقراءة ؛ ومنها علم اللغة والنحو ، ومنها علم الحساب والمعاملات ومنها علم الشعر والعروض ؛ ومنها علم الزجر والفأل وما يشاكله؛ ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما يشاكلها؛ ومنها علم الحرف والصنائع ؛ ومنها علم البيع والشراء والتجارات والحرث والنسل ؛ ومنها علم السير والأخبار » [2] ففي كلام ابن سهل والجاحظ واخوان الصفاء علوم سميت آداباً وليست من علوم الأدب المصطلح عليها .

ويشعر بهذا التعميم قول الجرجاني في كتاب التعريفات :

« الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ »

وقد يسر هذا التعميم حاجة الأديب إلى سعة المعارف والأخذ من كل فن بطرف (كما قالوا) وكذلك أدّى إلى هذا التعميم تولى الكتاب من الأدباء الوزارة ودواوين الدولة وحاجتهم إلى معرفة كل ما تصرفه الدول من السياسات وما يتصل بأعمالها من المعارف. ومن شواهد هذا أن كتاب « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » ضمن خلاصة المعارف التي كانت في عصره .

ومؤلفو الأدب في عصرنا يقسمون الأدب قسمين : الأدب بالمعنى الخاص وهو الشعر والنثر ، والأدب بالمعنى العام وهو كل ما أدركته أمة من المعارف . فيقال مثلاً أدب العرب لما أثر عنهم من نظم ونثر . ويقال أدب العرب أو آداب العرب لكل ما أثر عن الأمة العربية من آداب وعلوم .

وإنما دعا مؤلفينا إلى هذا أنهم قابلوا بكلمة أدب الكلمة الأفرنجية Litterature وهي تدل على كل ما تسجله لغة في عصورها كلها أو بعضها وتخص أحياناً بما يسمى عندهم Belles lettres أي الكتابة الجميلة وهي الكلام البليغ من الشعر والنثر . فلما ترجم كُتّابنا Litterature في معناها الخاص بكلمة أدب ، وهي ترجمة صحيحة ، ترجموها في معناها العام بكلمة أدب ، وهي ترجمة تحمل الكلمة العربية أكثر مما شاع استعمالها فيه على مر العصور .

ولو استعملت كلمة « معارف » في هذا المعنى العام لكان أقرب إلى الوضع اللغوي وأبعد عن اللَّبس .

وكان من الترجمة عن اللغات الأوربية أيضاً أن سمينا « كلية الآداب » ترجمة للتسمية الفرنسية Faculté des lettres ويقابلها بالانكليزية Faculty of arts فأطلقنا الآداب على اللغات وآدابها والفلسفة والجغرافيا والتاريخ وجعلنا كلمة « آداب » مقابلة لكلمة علوم التي ترجمنا بها كلمة Sciences

عبد الوهاب عزام

(١) منقول من كتاب (في أصول الأدب) للأستاذ الزيات

(٢) زهر الآداب ج ١ ص ١٥٩

على الشاطئ الحبيب

«مهداة إلى الصديق الدكتور أحمد موسى»

للأستاذ محمود الخفيف

كَمْ تَوَقَّفْتُ عِنْدَ شَطِّكَ حِينا
فَمَلأتَ الفُؤادَ شِعْرًا وَسِحْرًا
تَتَمَلَّى العُيونُ مِنكَ جَبِيناً
من جبينِ الصباحِ أَسْطَعَ فَجْرا
أنتَ أشهى طَلاقَةً وسُكُوناً
وانهلالاً وأنتَ أجملُ بِشرا

***

إنّ هذا السكونَ يَغْمُرُ نَفْسى
من لِقَلْبي بِرُقْيَةٍ من سُكُونِكْ
مَنْ لروحي بِنَشْوَةِ المُتَحَسِّى
من صَفاءٍ تذيعُهُ فى فُتُونِكْ
ما لهذا الصَّفاءِ يُغرِقُ حِسّى
ما أراه إلا أرقّ لحُونِكْ !

***

يا شِراعًا لا تَنْثَنِي عَنْهُ عَيْني
كيف يَسْهُو عن سِحْرِهِ مَنْ يَرَاهُ؟
نامَتِ الفُلْكُ فى سَلامٍ وأَمْنٍ
وسَبَى النِّيلَ حُسْنُها وازْدَهاهُ
فَجَلاها لِلْعَيْنِ فِي صُورَتَيْنِ
يا لَحُسْنٍ تَهُزُّنِي صُورَتاهُ !
راعَنِي ظِلُّهُ وَيارُبَّ لَحْنٍ
عَبْقَرِيٍّ يَرِقُّ عَنْهُ صَدَاهُ !
دَقَّ فى حُسْنِهِ فَقَصَّرَ فَنِّي
وَبَيَانِي وَفاتَ جُهْدِي مَدَاهُ

***

مَنْظَرٌ تَرْكَنُ النفوسُ إِلَيْهِ
يَغْرَقُ الهَمُّ فِي سَنَى رَيْعَانِهْ
يَهْتِفُ القَلْبُ بِالجَمَالِ لَدَيْهِ

على شاطئ النيل (تصوير الدكتور أحمد موسى)

وَيَفِيضُ الشَّجِيُّ مِنْ تَحْنَانِهْ
تَسْكَرُ الرُّوحُ إذ تَرِفُّ عَلَيْهِ
بالسُّلافِ الشَّهِيِّ مِنْ لَمَعَانِهْ
يَا لَعَانٍ تَنَازَعَتْ أَصْغَرَيْهِ
لَمَحَاتُ الجَمَالِ فِي إِبَّانِهْ
فَتَوَلَّي ، فَرَاقَ فِي نَاظِرَيْهِ
مَا جَلاهُ الخَيَالُ بَعْدَ أَوَانِهْ !
كُلُّ حُسْنٍ يَرِفُّ فِي مُقْلَتَيْهِ
فَهْوَ مَا عَاشَ فِي قَرَارِ جَنَانِهْ
هَكَذَا وَشْيُهُ وَسِحْرُ يَدَيْهِ
خَلَجَاتُ الجَمَالِ مِن وِجْدَانِه

***

قِفْ عَلَى الشَّطِّ سَاعَةً وَتَأَمَّلْ
مَنظرَ النيلِ فِي سكونِ المَسَاءِ
اجْتَلِ الحُسْنَ مِلْءَ عينيك وانْهَلْ
من صَفَاءٍ يُنسِيكَ كُلَّ صَفَاءِ

***

إيه يا نيلُ كَمْ يطوف بِقَلْبِي
عِنْدَ مَرآكَ من بَهِيِّ المَعَانِي
إن كبا الشِّعْرُ دونَهنّ فَحَسْبِي
أن أَرانِي مُسَبِّحًا من بَيانى

***

إيه يا نيلُ كَمْ بَنَيْتَ حَيَاةً
وَصَحِبْتَ الزَّمَانَ فِي خَطَرَاتِك
قَدْ نَبَتْنَا على ثَرَاكَ نباتا
وطَعِمْنَا الجَنِيَّ مِنْ ثمراتِكْ
لا تري الأرضُ ماحَلَلْتَ مواتا
إذ تسير الحياةُ فى خُطُوَاتك
أنتَ أجْرَيْتَهُ شَهِيًّا فُرَاتَا
كُلُّ حَيٍّ أنفاسُهُ مِنْ فُرَاتِك !
يا أخا الدَّهْرِ كَمْ وَلَدْتَ بُنَاةً
مَنْ عَلَى الأَرْضِ سَابِقٌ لِبُنَاتِكْ؟
إن تكن قَدْ عَدِمْتَ حيناً رواةً
إن هذا الترابَ خَيْرُ رُوَاتِكْ
بِشْرُ واديك يقظةً وَسُبَاتاً
أى شَيْءٍ أحلى لَهُ من سباتك ؟

الخفيف

أعلام الأدب

هومـــــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذي الجليل أحمد حسن الزيات أهدي هذه الفصول »

لزمت هوميروس أعواماً ثلاثة أدرسه وأترجه وألخصه فما ضقت به ، بل ازددت له حباً وبه إعجاباً . وكنت كلما تركته فترةً أحسست شوقاً عجيباً إلى أدبه يجذبني ويلح على فأعود إليه فيخيل إلى أنه قد شرع يغني لى ويطلعني على صور غريبة رائعة من فنه الجميل لم أكن قد ظفرت بها من قبل، فأكب عليه عوداً على بدء ، لأطوى الأحقاب الطويلة الماضية ، ولأجلس فى شرفة الزمان فأطل على أخيل وأجاممنون ونسطور وأجاكس وديوميدز وأوديسيوس فى جانب المسرح ، وعلى بريام وباريس وأندروماك وهيلين فى الجانب الآخر ، وبينهما ذاك الضجيج وذاك النقع ، ومن حولها آلهة الأولب يشتركون فى الوغى ينصرون أو يخذلون ما أجمل هوميروس !

لقد اختلف المؤرخون فيه اختلافاً شديداً ، لكن اختلافهم لا قيمة له مادامت الإلياذة والأوديسة ، وما دمنا لا نجد بدًّا من أن نعترف لهما بمؤلف استطاع أن يسجل شخصيته فى كلتيهما وأن يطبعهما بطابعه الخاص.. فلم لا يكون هذا المؤلف هوميروس؟ وإن لم يكن هو مؤلفهما فماذا يضير الأدب إذا سمينا هذا المؤلف هوميروس؟ وهؤلاء المؤرخون الذين ينكرونه بغير حجة ولا برهان إلا أنهم يستكثرون على عقل بشرى واحد هذا الإنتاج الضخم والمحصول الكبير الذى يكوّن أدب أمة ، والذى نهل منه شعراؤها وشعراء الأمم الأخرى فى كل زمان ومكان ، وما يزالون ينهلون .. هؤلاء المنكرون لهوميروس لم لا يصدقون هيرودوتس الذى هو أبو التاريخ والذى ذكر أن بينه وبين هوميروس أربعمائة سنة ؟

ألا يكون التواتر صحيحاً فى أربعة قرون ويكون صحيحاً فى عشراتها ؟ إن تاريخ هيرودوتس هو أصدق ما وصلنا من التاريخ القديم ، وقد ذكر لنا هوميروس وذكر ملحمتيه ، بل حدد يوم وفاته ، وقد سمع المنشدين فى كل فج من اليونان يرددون بالتواتر أغاريده من الإلياذة ومن الأوديسة ومن غير الألياذة والأوديسة ، وكان هيرودوتس خبيراً بأدب بلاده وبتاريخ هذا الأدب ، وكان يعرف أن الإلياذة والأوديسة لم تكونا معروفتين بحالها الذى تواتره الناس عن هوميروس ، قبل هوميروس ... حقاً لقد كانت الأساطير التى حشدها هوميروس فى ملحمتيه معروفة قبله بأجيال ، لكنه كان أول من نظمها فى هذا العقد الجميل الرائع الذى قبس منه إسخيلوس وسوفوكلس ، والذى حام حوله يوريبيدز ، والذى ظل مورداً لجميع شعراء الكلاسيك من غير استثناء

لقد كتب هيرودوتس تاريخه فى زمن استقرار الحضارة اليونانية ونضوجها ... ونحن نلمح فى تاريخه روح النقد والتمحيص ، والبحث والتحقيق ، فهو إذا روى لم يثبت إلا ما يراه متفقاً عليه من الناس ، فإذا رآهم يتفقون على شيء لا يطمئن إليه ضميره لم يبال أن يقول بعد إثبات ما اتفقوا عليه : أما رأيى فهو كيت ، أو أنا أعتقد كذا ... ولم يكن يبالى كذلك أن يدلى برأيه فى الآلهة ، فقد صرح أنه لا يدرى من أين نشأوا ، وأن شيئاً عن ذواتهم لم يكن معروفاً إلى زمنه ... وذهب إلى أبعد من هذا فقرر أنهم جميعاً من صنع هوميروس وهسيود اللذين وضعا للإغريق ذلك الثبت الطويل من الآلهة وأنصاف الآلهة ثم راحا يوزعان عليهم ذلك الاختصاص العجيب من مقاليد البر والبحر والأفلاك والهواء والنور والظلمة والحكمة والفنون ... وقد رفض ما ذهب إليه الشعراء من أن هذا التوزيع وذاك اللاهوت بطقوسه التى تعارفها الناس كانا موجودين قبل هوميروس وهسيود . . . وأكد أن الميثولوجيا اليونانية كلها لم تعرف إلا بعدهما ...

وإذا كان هيرودوتس قد ولد سنة ٤٨٤ قبل الميلاد ، فليس يبعد أن يكون هوميروس قد ولد سنة ٨٨٤ أو حوالى ذلك ... أو أنه قد عاش بالفعل فى القرنين التاسع والثامن ... أما ما قيل غير ذلك فلم تقم على إثباته حجة ، ولم يؤيده برهان

وتتنازع فخر مولده مدائن شتى. على أن الذى حققه المؤرخون ويؤيده ما جاء فى ترتيلة أبولو أنه من مدينة خيوس الواقعة فى الشاطئ الشرقى من الجزيرة المسماة باسمها والقريبة من مدينة أزمير ، وهو لهذا إيونيوى (من إيونيا) بدليل أن أقدم نسختين من الإلياذة والأوديسة مكتوبتان بلغة إيونيا

ويختلف المؤرخون فى اسمه وفى معناه ، فيذكرون له أسماء معقدة لا داعى لذكرها هنا ... ثم يفسرون اسمه فيقولون إنه يعنى (أعمى) وإلى ذلك ذهب هيرودوتس وهو يعلل ذلك بأن الاسم (هوميروس) مركب من هو — مى — أورون — ومعناها : الرجل الأعمى . ويتعصب هيرودوتس لهذا التأويل بالرغم من وجود تفاسير أخر قد تكون أقرب إلى المعقول من تفسيره هو ... ذلك أن بعض القدماء يقولون : إن كلمة هوميروس قد تكون مشتقة من (هوميريدا) . وهى اسم لإحدى العشائر التى كانت تقطن جزيرة خيوس آنفة الذكر ، وقد قطنوها برغمهم لأنهم كانوا أسرى حرب (رهائن) نفوا إلى تلك الجهة . وذلك بدليل أن كلمة هوميروس نفسها تحمل معنى أسير تحت الفدية أى رهينة حرب

ولم يضمن هوميروس إحدى ملحمتيه الخالدتين اسمه كما صنع هسيود فى منظومته العظيمة (ميلاد الآلهة وتناسلهم) Theogony فقد ذكر فى مقدمتها اسمه الصريح . ثم ذكر فى قصيدته الأخرى (الأرجا Erga) كيف هاجر من كيمى إلى أسكرا ، وكثيراً من حياته الخاصة وحياة أهله . ولو قد صنع هوميروس مثل هذا ، أو شيئاً من هذا لما وقع المؤرخون فى هذا الخلط الكثير عن شخصه وعن زمانه وعن حقيقته .

ولم يشرقط إلى السبب الذى ذهب ببصره ؛ ويؤكد المؤرخون أنه قضى شطراً عظيماً من عمره بصيراً سليم العينين بحيث استطاع أن يقرأ ويكتب ويسجل كثيراً مما نظم . ويذهب بعضهم إلى أنه بدأ نظم ملحمتيه — أو إحداهما — وهو بصير معافى

وكل ما جاء فى ذلك لا يعدو إشارة طارئة فى آخر ترتيلة أبولو يخاطب فيها العذارى اللائى كن يصغين إلى إنشاده : « إذا سألهن أيما ظاعن أى المنشدين أحب إليهن وآثر إلى قلوبهن أن يجبن على الفور إنه رجل أعمى من قطان خيوس الجبوب المعزاء[1] وإن أغانيه سيخلدن آخر الزمان ! »

وحتى هذه الفقرة لم تسلم من تشكك المؤرخين فى قائلها ، هل هو راوية هوميروس ، أو هو هوميروس نفسه !

هذا ولقد كان للاغريق أدبهم وأشعارهم وأغانيهم وموسيقاهم قبل هوميروس . وليس معقولاً أن هوميروس هو الذى بدأ ذلك جميعاً ، لأن ذلك الكمال أو ما يقرب من الكمال الذى جاء فى ملحمتيه لا يمكن أن يأتى طفرة ... وإذا صدقنا هيرودوتس يكون هوميروس صاحب فضلين عظيمين على سكان هيلاس — اليونان — كافة ... فهو الذى صنع آلهتهم وأنشأ بذلك لاهوتهم الوثنى العجيب ، ووزع ما فى الحياتين الأولى والآخرة على هذه الآلهة وتلكم الأرباب . . ثم هو الذى بدأ نظم الملاحم الطوال ودبجها هذا التدبيج المتألق البراق ، مستغلاً أساطيرهم القديمة ، وذاك الفوكلور الساذج الذى يفيض به تاريخهم القديم

والثابت أن هوميروس لم ينظم الإلياذة والأوديسة للقراءة والاستمتاع الأدبى ، بل هو قد نظمهما للتلاوة والإنشاد فى المحافل ومجامع السمر ، إذ كان من دأب دويلات بحر إيجه استدعاء الشعراء والمنشدين والمغنين لإحياء أفراحهم وبعث المرح فى حفلاتهم . وقد حفظ لنا الأثر أسماء أورفيوس وميوزيوس ولينوس وغيرهم من شعراء عصر البطولة ومنشديه وموسيقييه . الذين سبقوا هوميروس إلى نظم الخرافات وقرض الأساطير ، متأثرين فى ذلك بقصص الشعوب السامية فى مصر والشام وأساطير الفرس والبابليين . ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من آثار هؤلاء الشعراء ، اللهم إلا نتفاً مما كان يستشهد به اللغويون ومؤلفو المراجع للتدليل على صحة كلمة أو سلامة استعمال ، وهو شىء يسير ليس فيه غناء

وقد سهلت اللغة اليونانية القديمة على شعرائها الكلاسيكيين عملهم ، وجعلت نظم الملاحم الطوال من أيسر الأعمال الأدبية وأهونها عليهم ... ذلك أنها لغة واسعة شاسعة استوعبت لهجات كثيرة لمختلف القبائل والبطون والأفخاذ الضاربة فى شطئان البحر الإيجى ، وقد تهيأ لها بذلك ما تهيأ للسان قريش من كثرة المترادفات وليونة التعبيرات وتعددها

ولم يكن نظم الملاحم للتلاوة يستدعى فنية الأسلوب أو صقله بحيث يحتاج مجهوداً أو يلتفت فيه الناظم إلى ما يلتفت إليه شعراؤنا من التهذيب والتطرية البيانية والزخرف الصناعى ... وقد يحسب قارئ أدبهم أنه من عبث أطفال كما قال قدماء المصريين مرة لصولون ... وقد كان المصريون معذورين فى قولهم هذا ، فلقد كانوا يعنون بالجد الصارم من أمور الحياة أكثر مما كانوا يلتفتون إلى هذا القريض الطويل الشعبى يهرف به الشعراء والمغنون .

والحق أن روح الطفولة شائعة فى ملاحم اليونان كلها .

(١) الجبوب من الأرض الصلبة الغليظة والمعزاء كثيرة الحجارة السود

ولم تظهر العناية القليلة بالأسلوب إلا فى شعراء الدرامة ، ثم فى شعراء الأسكندرية بعد ذلك . وهذه الروح واضحة فى هوميروس وضوحا شديدا ، فهو لا يعنى إلا بالحادثة ، وكثيرا ما يتحاشى (الرتوش) والتهاويل المملة والزخارف اللغوية التى لا تتهيأ إلا فى الأثر الأدبى الذى يؤلف للقراءة لا للإنشاد أو للتمثيل . وهو لهذا يحصر انتباه سامعيه فى صميم القصة ، وقل أن يشرد بهم خارجها كما يصنع شعراء الرومانتيك . وقل كذلك أن يستعمل الأصباغ لتطرية بيانه كيما يسترفيه ضعفاً أو يعوض السامع بفخامة العبارة تفاهة الموضوع ، فهو دائماً يلتزم الروح ولا يلتفت إلى دمام [1] الجسم إلا بقدر ، وإلا فى حدود النظم الذى أخذ به نفسه فى الملحمة .

وفى ذلك يقول الأستاذ بورا : « إنه يكتب — أو ينظم — لكل الناس وليس لطبقة بعينها من الناس »

وقد ساعد هوميروس تقلبه فى البلاد فى هضم اللهجات المختلفة فى الأصقاع التدانية اليوم — الثنائية يومئذ - التى زارها . ونحسب أنه من أجل ذلك تنازعت فخر مولده هذه المدائن السبع التى فعلت ذلك ، فقد كان يقيم حقبة بكل منها فينشد إلياذته — ولما يكن قد نظم الأوديسة — ويغنيها بلهجة الجهة التى هو مقيم فيها فيتقن إنشادها بهذه اللهجة إتقاناً لا يدع أثارة من الشك فى أنه من أهلها ... وهنا ملاحظة طريفة انتبه إليها كل من برتون راسكو الأديب الناقد الأمريكى وجلبرت مورى — المؤرخ الثقة فى الأدب اليونانى — ذلك أنه لا بد أن يكون هوميروس قد نظم الإلياذة مرتين .. تُتلى إحداهما فى بلدان الشاطئ الأسيوى وفيها يُغَلّب أبطال طروادة على أبطال هيلاس .. وتُتلى الأخرى فى بلدان هيلاس ، وفيها يُغَلّب أبطال هيلاس على أبطال طروادة ويُظفرهم بهم . . . وبغير هذا لم يكن يستطيع أن ينشد إلياذةً واحدة فى كلا الشاطئين . ولو صح أنه فعل لثار به الأهلون بفعل العصبية ولمزقوه إرْباً . . . لأنه كيف يترك أخيلا مثلاً يقتل هكتور وهو ينشد هذا الشعر لأحلاف هكتور وأهله . . . وكيف يسيغ أن يترك هكتور يقتل أخيلا إذا كان الإنشاد نملأ من مواطنى أخيل ؟

• غير أن هذه الملاحظة ما تزال تفتقر إلى ما يثبتها ، لأن الإلياذة التى بأيدينا هى التى كانت تنشد وتغنى فى هيلاس

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

(١) الدمام : التواليت

لو كان ... لكان ...

للشاعرة ايلا هويلر ولككس

بقلم السيدة الفاضلة « الزهرة »

إننا نكون فى الحالة التى نستطيع بلوغها فلا تقولوا :

لو لم يكن كيت وكيت ، لكان تحقق لنا هذا الأمر أو ذاك

فليس فى تصاريف الحوادث والحظوظ والعوارض ما يمكن أن يثنينا عن النهج الذى اختارته لنا القدرة العلية

ولا يقدر على جلائل المدارك ومعالى الأمور إلا كل ذى همة قعساء .

إننا نؤدى الأعمال التى نرغب فى أدائها ، ونقدر على إنجازها ،

فإياكم أن تحلموا وتكتفوا بالأحلام ، فإن الفرصة تتخلى عن البطل ولا تواتيه ، وإنما تغادره حزيناً غير متوج

وإنى لأعتقد أن جميع الناس تنم عنهم ظواهرهم وتبدو سيماهم على وجوههم ويعرفون من ثمارهم

والفعّال الحق هو الذى يستطيع أن يعمل فى حزم ، وينفذ فى جدّ ...

إننا نختار المراقى التى نستطيع تسلقها ، فلا تحدثونى عن القواصف الهوجاء التى صدتكم عن تسنم الذروة

وأى نسر ضل سبيله عن المرتقى الذى كان يلتمسه ولم يدرك المصعد الذى اتخذ إليه سمته ... ؟

حقًّا إن الذى يزحم منكب الجوزاء فيتذرى الأوج دائماً ، هو الذى يجد فى طلابه

ولشدّ ما أمقت هذه العبارة القائلة : « لو كان ... لكان »

فإنها خلو من كل حوْل وقوة ، مشوّهة لأجمل حقائق الحياة

وإنى لأعتقد أننا ننال وندرك كل ما ينبغى أن يكون أجراً لكدحنا وجزاء لجهادنا

(الزهرة)

بيني وبين نفسي

للأستاذ علي الطنطاوي

نظرت اليوم في سجل ميلادي، فوجدتني على أبواب الثلاثين فتركت عملي وجلست أفكر. ماذا بقي لي من هذه السنين الثلاثين يا أسفي! لم يبق إلا ذكريات واهية تحتويها بقية قلب تناثرت أشلاؤه على سفوح قاسيون في دمشق، ومسارب الأعظمية في بغداد، وغابات الصنوبر في لبنان ... إي والله، وعلى طريق الأهرام في مصر، وضفاف (الشط) في البصرة، وحوائط النخيل في يثرب أشلاء من قلبي وأشلاء ... فماذا أفدت من عمري الضائع وشبابي الآفل؟ لاشيء! لا مجد ولا مال ولا بنين. لم أفد إلا اسماً مشى في البلاد يحمل قسطه من المدح والذم، والتمجيد واللعن. ولكني كنت في معزل عن هذا كله فلم ينلني منه شيء. إن اسمي ليس مني. إنه مخلوق من حروف، ولكني إنسان من لحم ودم. فهل تشبعني الشهرة، أو يكسوني الثناء؟ ولم أملك إلا قلباً أحبّ كثيراً، وأخلص طويلاً، ولكنه سقط كليماً على عتبات الحب والإخلاص، ورأساً حشوته بما وجدت من العلوم والمعارف فأثقلته علومه عن التقدم، فاحتلت مكانه الرؤوس الخفيفة الفارغة ...

فيا ليتني علمت من قبل أن الحياة مثل اللجة، يطفو فيها الفارغ ويرتفع، وينزل الممتلئ ويغوص

* * *

إني لأتصور الآن كيف كنت أنظر في طفولتي إلى أبناء الثلاثين، أولئك الشباب الكمّل الذين بلغوا قمة الحياة وعرفوا الاطمئنان والاستقرار، فأجد بيني وبينهم بوناً شاسعاً، وأرى أني لن أبلغ الثلاثين أبداً ... ذلك لأن كل ما أعلمه أني ولدت وأنا ابن أربع سنين. فأدخلت المدرسة. فكنت أعيش فيها سنة لأنجح في الامتحان، وأرتقي من صف إلى صف، وأستمتع بالعطلة. فلما أكملت دراستي العالية ولم يبق من مدرسة، ولم يبق امتحان وقفت فلم أتقدم، وفقدت غايتي فلم أعد أحس أني أعيش؛ ثم تلفتّ إلى الماضي أعيش بذكراه، فأصبحت كلما انقضى عليّ عام رجعت فيه سنة إلى الوراء، فأنا أصغر كلما كبرت، وأدنو من الطفولة كلما نأيت عنها. فمتى أبلغ الثلاثين، وأين أحط رحالي بعد هذا السمي؟

* * *

وغشيت قلبي غاشية من غمّ، فأشعلت عوداً من الكبريت لأوقد دخينة، وكنت في ذهلة فسرت النار في العود ثم تأججت وتوقدت، وأنا أنظر إلى اللهيب جامد العين محدقاً في عالم بعيد الغور حتى أحسست بحرارة النار في يدي، فانتبهت وألقيت العود، فإذا هو قد استحال إلى فحمة سوداء ضعيفة تطير مع النسيم ... فقلت: هذه هي الحياة. إن الألم الذي أحسسته يلذع نفسي هذه العشية كلذع النار أصبعي، سينتهي بي إلى مثل هذا المصير. سأمضي كما مضى هذا العود، ولكني لا أخلّف ورائي شيئاً. لن أدع مالاً ولا جاهاً ولا عملاً، لأني اشتغلت واحسرتي بالأدب ..

ويا ليتني تفرغت بعد للأدب، ولم يستغرق حياتي الكدح للعيش ... إني لم أعمل شيئاً. إن في رأسي وقلبي شيئاً كثيراً، ولكن قلمي مكسور، ودواتي جافة، ولساني مشدود بنسعة، فأنا لا أستطيع أن أقول ...

عندي ألحان كثيرة، فأنا أحب أن أغني، ولكن الغناء يستحيل من الضيق إلى زفرات تخرج مقالات فيحسبها الناس ألحاني كلها، إلا أن ألحاني لا تزال في صدري لم يسمعها بشر. وماذا ينفعني أن يسمعها الناس فيطربوا ويصفقوا وأتفرد أنا بالخيبة والألم؟ إن الناس لا يألفون إلا الأغاني الفارغة المدوية، فلتبق أغاني العذبة في صدري، أسمعها وحدي من غير أن يتحرك بها لساني، لأن لساني مشغول بإلقاء الدرس!

كل ما أكتب زفرات متألم وإشارات أخرس، فهل يأتي اليوم الذي تنحسر فيه الزفرات عن الأغاني، والإشارات عن الألفاظ والمعاني ...؟

* * *

على أن هذه الزفرات وهذه الإشارات عزاء نفسي، فكم لهذه (الرسالة) من فضل عليّ، وكم من الفضل لهؤلاء الأدباء الذين يستطيعون أن ينقلوني من دنياي هذي الضيقة، إلى دنيا واسعة تطير روحي في أجوائها حرة طليقة! فهل يدري الزيات،

أو هل يدرى معروف الأرناؤوط ، أنى طالما أحييت الليالى الطويلة فى فرتر ورفائيل وسيد قريش وعمر بن الخطاب ، وأنى طالما لجأت إليها أقرع بابها وأتوارى وراء سورها فى جنان سحرية لا أستطيع أن أصفها بأكثر من إعلان العجز عن وصفها ؟ فأى عالم فى رأس معروف ، وأى دنيا فى صدره ؟ وأى نبل وسمو فى هذه اللغة ، لغة معروف ولغة الزيات ولغة الرافعى هذه التى تتيه بجواهرها ولآلئها على حين تمشى لغات كتاب العصر بأسمالها البالية ومزقها المخرّقة ... لغة فخمة تشعرك بالسيادة والعظمة ، لا كهذه اللغات الهزيلة العارية ...

وكم من الفضل لهيكل عليّ ، فلقد سلخت فى قراءة كتابه (منزل الوحى) أياماً كنت أعيش فيها فى عهد النبوة ، ولقد مررت بهذه البقاع التى يصفها ، وأثارت فى نفسى عوالم من الذكريات والآمال والخواطر ، فإذا أنا أجدها كلها وأجد أكثر منها فى كتاب هيكل ...

هذه هى الواحات التى لقيتها فى صحراء حياتى ، فى سفر ثلاثين سنة ، فلولا عالم لامرتين أنفذ إليه من خلال نفس الزيات ولغته البارعة ، وأسلوبه السماوى الذى أسمع غناء كلماته وهتافها فى كل جملة ، حتى كأن كل كلمة يقرنها الزيات بأختها عروس تزف إلى بعلها؛ فأنت حين تقرؤه أبداً فى عرس ، تشم عطره ، وتسمع غناءه ، وتحسّ فى نفسك طربه . ولولا معروف وعبقريته ، ولولا هؤلاء المؤلفون الذين قبست منهم السعادة والاطمئنان ، كانت حياتى صحراء قاحلة ، وما كنت أطيق الحياة . أفليس أكبر المكافأة للكاتب أن يعيش على آثاره الناس ؟

* * *

يا رحمة الله على تلك الأيام . أيام كنت أغلق فيها بابى عليّ . . . ثم أقبل على كتبى أجالس فيها العلماء والأدباء ، وأجد فى حديثهم الصامت لذة ومتاعاً . كنت أقرأ لأنى كنت أجهل الحياة ، فلما عرفتها لم أعد أطيق قراءة ولا بحثاً . ولماذا أقرأ ؟ ولماذا أتعلم ؟ ولماذا أكون فاضلاً والحياة حرب على أهل العلم والفضل ، والناس كالحياة لأنهم أبناؤها وتلاميذها

ألا يحيا الكاذب المنافق سعيداً موقراً ، ويموت الصادق الشريف فقيراً محتقراً ؟ ألا يصدق الناس الشيخ المشعوذ لأنه يدخل إلى نفوسهم من باب الدين ويكذبون العالم الفاضل ؟ أليس طريق الشعبذة وادعاء الكرامات والمخرقة على الناس بعلم أسرار الحروف، واستحضار المردة، واستخراج الجنّ من أجسام بنى آدم ، آثر عند عامة الناس من العلم الصحيح والأدب المحض ؟ ألا يتمتع هذا اللص بالثقة التى لا يحلم بها عالم متخصص أو باحث مدقق ، وتنهال على يده الأموال ، وتزدحم على يده الشفاه ؟ ألا يبلغ المنافق ذوالوجهين أعلى المراتب وأسماها ويبقى الصادق الشريف فى الحضيض؟ ألا يركب الجاهل فى السيارة الفخمة ، ويسكن القصر العظيم ، ويحتل المرتبة العلمية العليا ، ويمشى العالم إلى بيته الحقير لا يدرى به أحد ؟

أليست أسواق الرذيلة عامرة دائرة ، وأسواق الفضيلة داثرة بائرة ؟

ألا يظفر الكاذب المفترى بالبرىء ؟ ألا يغلب القوى الضعيف؟ ألا ينتصر المال على العلم ؟

فلماذا أقرأ ؟ ولماذا أتعلم ؟ ولماذا أكون فاضلاً ؟

* * *

وقمت وقد صفيت حسابى مع الحياة ، فإذا أنا قد خسرت ثلاثين سنة هى زهرة عمري وربيع حياتى ولم أربح شيئاً . . .

على الطنطاوى

الأمـــل...

« إذا كانت الحياة وردة ،
فإن الأمل كمامها »

للأستاذ ابن عبد الملك

أجل يا صديقي مُسِّيه : الله فى السماء والأمل فى الأرض! وبين رَوْح الله المؤاسى ، ومَدد الرجاء الآسى ، تندمل الجفون القريحة، وتلتئم القلوب الجريحة، وتنتعش الجدود العاثرة

الكروان يموت فرخه فى المساء وفى الصباح يرقص ويصدح ، والشاة يُذبح حَمَلها فى الحظيرة وفى المروج تثغو وتمرح ، والقلب يُقطع من القلب ، والروح تُنزع من الروح ، ثم يعيش المحب بعد حبيبه ، والوالد بعد ولده ، كما يعيش النهر الناضب فى ارتقاب الفيضان ، والروض الذابل فى انتظار الربيع !

لله على الناس نعمتان لا يطيب بدونهما العيش ولا يُبلَغ إلا عليهما العمرُ : النسيان والأمل .

ماذا كان يصنع الأسى بالقلوب الواله إذا لم يمح النسيان من الذهن صورة الحبيب الراحل أو الهاجر؟ تأمل حالك يوم فجعك الموت فى عزيز عليك ، أما كنت تجد لهيب الحزن متصلاً يوقد صدرك من غير خُبُوّ ، ويذيب حشاك من غير هدنة ؟

تصور دوام هـذه النار على نياط القلب وأعصاب الجسد ، ثم قدر فى نفسك الحياة على هذه الصورة . على أنها والحمد لله لا تدوم ؛ فإن الجبار الذى سلط الألم على الروح ، هو الرءوف الذى سلط الزمن على الألم . فالزمن لا ينفك يسحب الأيام والليالى على الصور والآثار حتى تنطمس المَشابه، وتعفو الرسوم، ولا يبقى من المفقود إلا صورة لا تنطق ، ولا من الجرح إلا ندبة لا تحس

وماذا كان يفعل اليأس بالنفوس المكروبة إذا لم يفتح الأمل أمامها فرجة فى الأفق المطبق وفسحة من الغد المجهول ؟

يا ويلتا للفقير يعتقد أن فقره يدوم بدوام الحياة ، وللمريض يرى أن مرضه ينتهى بانتهاء الأجل ! ويا بؤسَ للحياة إذا لم يقل المأزوم والمحروم والعاجز : إذا كان فى اليوم قنوط ففى الغد رجاء ، وإذا لم تكن لى الأرض فستكون لى السماء !

ابن عبد الملك

على هامش الفلسفة

اختــــلاف الأفــكار والنظريات الأخلاقية

للأستاذ محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

قلنا فى الكلمة الأولى : إن الأخلاق تعتبر علما من العلوم إذ كانت تصل فى بحوثها إلى آراء وحقائق أخلاقية تبلغ من العموم وقبول الناس لها مبلغ الحقائق العلمية . ولكن هل توجد هذه الحقائق العامة للجميع ؟

مذهب الشك الأخلاقى ينكر وجود أمثال هذه الحقائق التى يقبلها الناس جميعاً : البيض والسود ، والحمر والصفر ؛ لأن القواعد الأخلاقية ليست إلا عادات وتقاليد تختلف باختلاف العصور والبيئات؛ وليس يعوزنا أن نجد لهذا الرأى سندا فى التاريخ. هـذا مُونْـتَانى Montagne الفيلسوف والأخلاقى الفرنسى المعروف ، بعد أن جمع كثيراً من الآراء والأحكام الأخلاقية ، يؤكد هذه النظرية بقوة حين يقول : لا يوجد شىء أكثر اختلافا بين أمم العالم بأسرها من العادات والقوانين . كثيراً ما نجد أمراً ممقوتاً هنا ممدوحا بل موصى به هناك؛ فى إسبارطه كانوا يتمدحون المهارة فى الفن ويتواصون بها بينما ذلك كان محرما عنـد غيرهم ، وقتل الآباء المعمرين إشفاقا عليهم من تحمل أعباء الحياة وتكاليفها نراه مباحا بل مأمورا به لدى بعض القبائل التى لا تزال فى دياجير الظلام ، وأخيرا لا يوجد أمر غير مرضى هنا إلا ويكون محمودا عند أمة أخرى[(١)] » .

وباسكال Pascal الفيلسوف الفرنسى الذائع الصيت استعاد بعض ما أتى به مُونْـتَانى من مثل وحجج ، وأتبع ذلك بفيض من فصاحته اللاذعة إذ يقول : « لا يوجد تقريباً شىء عادل أوغير عادل إلا ويغير من صفته تغير إقليمه ؛ ثلاث درجات فى الارتفاع إلى القطب تقلب رأسا على عقب كل ما عرف من عدالة . خط واحد من خطوط الزوال يتحكم فى الحقيقة والحكم الخلقى — الحق له أزمانه وبيئاته ، عدالة مضحكة هذه التى يحدها نهر ! حقيقة أمام جبال البرينيه Pyrenées خطأ وضلال وراءها[(١)] »

حقيقة أن التاريخ وعلم الاجتماع ليؤكدان أن القواعد اختلفت باختلاف العُصُر ، كما اختلفت وتختلف فى العصر الواحد بحسب البيئات . الرق كان نظاماً معروفاً لدى العبرانيين والمصريين القدماء والهنود والصينيين والعرب فى الجاهلية ، وإن اختلفوا شدة وليناً وقسوة ورحمة فى معاملة الأرقاء . كما كانت الجمعية الإنسانية فى المدينة الأغريقية — التى يفخر بها الأوربيون اليوم — تقوم على استرقاق فريق من المواطنين ؛ حتى إن أرسطو بجلالة قدره يبرره لاعتبارات مختلفة : منها أنه لا بد من العبيد ليتوفر الرجال الأحرار على الدراسات العقلية العالية . وأنه يوجد أناس بلغوا من السفالة والضعة أن يفهموا أنهم خلقوا للاستعباد . كما لم تمنعه الديانة المسيحية ولا الدين الإسلامى أيضاً ؛ وإن لم تنبه الشريعة الإسلامية كغيرها على أن من الناس من خلقوا للذل والهون ، ومن لا ترتفع بهم طبائعهم إلى مراقى الأحرار بل جعلت سببه أمراً واحداً : هو الكيد للاسلام ومحاربة الله ورسوله ، ثم تدور الدائرة عليه[(٢)] .

هكذا كان الرق نظاماً معروفاً فى الأزمان الماضية ؛ أما فى أيامنا هذه فقد صار معتبراً من أشنع المظالم الإنسانية ، وغدا محرماً تحريماً باتاً .

لنترك الآن حق الحرية الشخصية وما كان فيه من اختلاف ، لنلقى نظرة على حق الحرية الفكرية لنعلم ماذا كان حظه من تقدير الناس واتفاقهم عليه كحق عام يجب أن يتمتع به الجميع .

فى العصور المتوسطة كان عدم التسامح الدينى لدى المسيحيين مبرراً لا نكير فيه . ما كان أكثر رجال الدين الأعلام الذين كانوا يؤكدون أن الحقيقة لها كل الحقوق ومن بينها اضطهاد الضالين -- فى رأيهم طبعاً — بوساطة القوة ! وأية حقيقة هذه التى كانوا يتكلمون عنها ؟ إنها الحقيقة التى يعتقدونها ، أى حقيقة كنيستهم ؛ فالتعاليم التى تتعارض وتعاليم كنيستهم كلها ضلال ،

---

(١) Challaye : Philosophie Scientifique et philosophie morale

(١) أفكار باسكال Pascal : Pensées Pascal

(٢) مما يرجع إليه فى هذا كتاب الرق فى الاسلام الذى ألفه بالفرنسية العلامة احمد شفيق باشا وعربه المغفور له احمد زكى باشا

كلها إلحاد ، كلها جرائم موجهة ضد الارادة الإلٰهية فهى حرية بأشد العقاب . ها هو ذا سانت أُوجِسْتِينْ Sant Augustin (١) مع رجاحة عقله وسمو فكره يوصى بالالتجاء للاكراه لهداية الضال حينما تعوز الحيلة ولا ينجح الإقناع (٢). وكذلك سانت توماس Sant Thomas (أبعد رجال الكنيسة الغربية ذكراً : ١٢٢٦ — ١٢٧٤) يقول فى بعض ما كتب : إذا كان المزورون والمجرمون يعاقبون عدلاً بالإعدام ، فحرى بنا أن يكون جزاء الهراطقة الخوارج عن الدين لا الحرمان الأبدى من الكنيسة فقط بل الموت الزؤام . وقد كان من أثر هذا التعصب الممقوت ما يذكره تاريخ فرنسا من المذابح التى سالت فيها الدماء أنهاراً بين الكاثوليكيين ودعاة الإصلاح الذين اعتبروهم ملاحدة خرجوا على الدين .

ولسنا فى حاجة لذكر ما كان من محاكم التفتيش فى أسبانيا النصرانية، وما أنزلته بالأبرياء من عذاب لا لشىء إلا حداً من حرية الدين والفكر ، ولا لما كان من تعذيب بعض سادات قريش وغير قريش فى الجاهلية لبعض الذين هداهم الله للاسلام ليعودوا مشركين. لسنا فى حاجة لذكر هذا وأمثاله لنتبين كيف كانت عقلية الناس حتى كبار الأحلام فى تلك الأيام ! أما فى أيامنا هذه فيعتبر عدم التسامح سبة وجريمة أخلاقية مهما كان سببه ومأتاه. العقول الحرة تأباه وتجده مرذولاً ، وغالب رجال الأديان يمقتون الإكراه فى سبيل نشر ما يعتقدون « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء. لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى . فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم »

على أننا نقول إن الأمر كاد فى هـذه الناحية يعود قريباً من سيرته الأولى : أحداث تجد ، وأفكار تتغير ، وأنماط فى الحكم تستحدث فى بعض دول أوربا تقيـد بل تلغى حريات الناس . فلا يفكرون إلا بقدر ، وعلى ما يهوى السادة الحكام !

ثم حقوق النساء ؛ أترى الناس كانوا فيها على اتفاق ؟ لا . إن التاريخ شاهد صدق على اختلاف الناس فيها اختلافاً كبيراً . كان الأثينيون — وهم من تعلم مدنية وحضارة فى الأزمان الماضية — يرون المرأة سلعة تباع وتشترى ، وجعلوا مهمتها فى الحياة تربية الأطفال وتنظيم البيوت . واليهود أباح بعض طوائفهم للأب بيع ابنته وهى قاصرة . وفى فرنسا قديماً بلغ من امتهان المرأة وهوانها عندهم أن عقد فى بعض الولايات الفرنسية مؤتمر عام سنة ٥٨٦ م ، أخذوا يبحثون فيه حالة المرأة ومركزها فى المجتمع ، وما إذا كانت تعد إنساناً أو غير إنسان ، وانتهى الأمر بتقرير أنها إنسان ؛ ولكن خلقت لتخدم الرجل ليس غير (١) ! ولا تنس ما كان من وأد بعض عرب الجاهلية بناتهم ، ومن اعتبار المرأة كالمتاع تورث عن أبيها وزوجها . والآن تغير هذا كله ، وأصبحت المرأة مساوية للرجل إلا فى بعض حقوق يرى بعض الأمم من الصالح العام عدم منحهن إياها

وإذا كانت النظريات والآراء الأخلاقية تختلف فى الأمة الواحدة باختلاف الزمن ، فهى كذلك مختلفة فى الزمن الواحد باختلاف البيئات. بينما نرى فى هذه الأيام الناس الذين هم على الفطرة كسود استراليا يعتقدون دينيًّا قدسية بعض أنواع من النبات والحيوان ، فيكون الموت جزاء من يجرؤ على أكل شىء منها (٢) كما نرى البراهمة فى الهند يقدسون البقرة ويعتبرون أكبر الجرائم قتلها أو الأكل من لحمها ، وتقوم بينهم وبين مواطنيهم المسلمين لهذا السبب المعارك الدامية — بينما نرى هذا وأمثاله كثيراً ، نرى كثيراً من سود إفريقيا يستحلون بل يفضلون أكل لحوم البشر من أعدائهم الذين يسقطون فى ميدان الحرب ، أو عبيدهم الذين يعنون بتسمينهم ليكون منهم غذاء دسم شهى ، أو أقاربهم الذين نالت منهم السنون وعجزوا عن احتمال أعباء الحياة (٣)

فى مقابل هذا وذاك نجد بعض البوذيّين الدينيين كرهبان الهند الصينى يعدون جريمة قتل أى كائن حىّ مهما كان ؛ ويصل الأمر بهم إلى ترشيح مياه الشرب حتى لا يبتلع أحدهم أثناء شربه أية حشرة حقيرة غير مرئية فيكون فى ذلك موتها . أما نحن

---

(١) أسقف فرنسى يعتبر أشهر آباء الكنيسة اللاتينية (٣٥٤ — ٤٣٠)

(٢) الكتاب السابق ذكره للأستاذ الرحالة : Challaye

(١) مما يرجع إليه فى هذا كتاب : (مركز المرأة فى الاسلام) للسيد الأمير على الهندى

(٢) يرجع إلى كتاب Les formes élémentaire de la vie religieuse par Durkheim تأليف إميل دركيم

(٣) الكونغو الفرنسى Challay : Le Congo-français

فنتخذ موقفاً وسطاً بين الفريقين احترام الحياة الذى يعده هؤلاء الرهبان حقاً مقدساً لكل حى لا نراه حقاً إلا للآدميين ، ولا يعترف به أولئك المتوحشون إلا لعدد قليل كأسرة الشخص أو قبيلته أو أفراد قريته

كذلك الانتحار الذى يحرمه الدين الإسلامى وتنكره المدنية الأوربية الحالية ، يعده اليابانيون تقليداً وطنياً طيباً ، ويرونه واجباً فى كثير من الحالات ؛ ينتحر اليابانى حين يرى أنه جُرد من شرفه أو عانى سقوطاً فاضحاً كبيراً ، وينتحر احتجاجاً على ظلم ارتكب ، أو نحو ذلك من العوامل الأخرى التى تجيزه فى رأيهم . ذكر الأستاذ شاليِي Challaye فى كتاب له عن اليابان بعد رحلة إليها طائفة كبيرة من حوادث الانتحار وعوامله ؛ منها : أن ضابطاً انتحر سنة ١٨٩١ ليلفت نظر الحكومة والرأى العام إلى تعدى الروسيا على بعض النواحى فى شمال اليابان ، وأنه فى سبتمبر سنة ١٨٩٢ انتحر أحد الضباط الكبار وزوجته أثناء سير جنازة الامبراطور إظهاراً لإخلاصهما له وعدم رغبتهما فى الحياة بعده (١)

(١) المؤلف نفسه فى كتابه : اليابان المصورة Le Japon illustré

وحرمة مال الغير لم تكن دائماً حقاً مقدساً لكل إنسان . التاريخ يقفنا على أن الغارات على الآمنين من القبائل الأخرى كانت من أبواب الارتزاق لدى كثير من الأمم فى جاهليتها ؛ واليهود كانوا يرون مال الغير — أى غير اليهود — حلالاً سائغاً لهم : « ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل »

من السهل مضاعفة هذه المثل والإتيان بغيرها مستمدة من حياتنا الحالية وتقاليدنا المختلفة فى الصعيد أو الوجه البحرى مثلاً من مصر ، وخاصة فيما يتصل بالأفراح والمآتم وعادات أخذ الثأر والانتقام ، مما يؤكد أن الآراء والأحكام الأخلاقية تتغير مع الزمن وتختلف مع الأوساط والبيئات

ولكن هل من الحق رغم تضافر هذه الشواهد كلها أن ننكر أن هناك حقائق أخلاقية عامة سايرت العُصُر وسادت فى جميع البيئات ؟ بيان ذلك فى الكلمة الآتية إن شاء الله

محمد يوسف موسى

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشا

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال

للأستاذ محمود الخفيف

ساقت الأقدار ولاية العهد لإسماعيل فاستبشر الناس وارتقبوا عهد هذا الأمير الذى ذاع من صفاته فيهم ما حببه إليهم ، وكانوا قد علموا أنه من ذوى النباهة والحزم وبخاصة فى شؤون المال ! ولم يطل ترقب الناس ، فقد آل إليه الأمر عام ١٨٦٣ م

وراحت مصر تستقبل طوراً من أطوار تاريخها ، نحار أشد الحيرة ماذا نسميه وبأى الصفات ننعته .. طوراً كان غريباً حقاً ، تترك غرابته العقول فى دهشة شديدة وتكلف من يريد الإنصاف فى درسه عسراً شديداً

ما برحت فرنسا وانجلترة تراقبان الحوادث فى وادى النيل ؛ أما فرنسا فكانت لا تنى تعمل على أن تزيد نفوذها الأدبى فى مصر ، ذلك النفوذ الذى وضعت أساسه حملتها فى هذه البلاد والذى ما فتئ يتزايد ويعظم فى عهد محمد على ، وها هو ذا فى عهد إسماعيل قد بلغ غايته حينما اتصل فى عهده البحران واستطاع ديلسبس أن يجرى بينهما تلك القناة التى سوف تغير مجرى تاريخ هذا الوادى .. وأما انجلترة فكانت على سياستها تحول دون ظهور قوة فى مصر ، وقد استراحت من محمد على وراحت اليوم تقف فى وجه حفيده وتحرص على أن يظل خاضعاً للخليفة ، ولما التقى البحران أصبح همها متجهاً إلى السيطرة على مصر لتسيطر على القناة

وكان شريف من رجال هذا الطور فى الصف الأول ولكن كان ذلك من الوجهة الرسمية فحسب ، فلقد لبث من عمره سنين لا تحس مصر شيئاً مما ظهر له من خطر فى أواخر ذلك العهد ...

شهدت مصر فى هذا الطور جلائل الأعمال ومظاهر الاستقلال ، كما شهدت عوامل البلى وعناصر الانحلال . شهدت يد التعمير تبعث الحياة والنشاط والقوة فى العاصمة وعلى صفحة الوادى ؛ وشهدت يد التخريب تهوى بمعولها فى غير هوادة أو رحمة فتزلزل البنيان وتقوض الأركان. شهدت العظمة الشامخة والثروة الباذخة وشهدت الذلة المستخذية والفقر المستكين ؛ شهدت نوازع الاستبداد وشهدت دوافع الحرية ؛ شهدت مواقف البطولة والصدق ؛ وشهدت مخازى الدس والبهتان ... شهدت مصر ذلك كله وشهدت زيادة عليه مثل ما تشهد الفريسة تجمعت عليها الذئاب وأوهنها طول الدفاع والجلاد

أراد اسماعيل أن يسبق عصره فيما يطلب من أوجه الكمال ، فلن يجمل بمصر وهو واليها أن تكون قطعة من أفريقيا ، ولا أن تكون جزءاً من تركيا ، ولن يهدأ له بال حتى تنتسب مصر إلى أوروبا ، وحتى تحطم الأصفاد وتطرح عن عنقها نير الاستعباد

لم يمض من عهد هذا الأمير الفذ اثنا عشر عاماً حتى غمر مصر فيض من الإصلاح ، وتهيأ لها من أسباب الرقى ما لم يكن ليتهيأ مثله فى أقل من قرن إذا سارت الأمور سيرها العادى ... فى تلك الفترة الوجيزة وصل بين البحرين وشقت الترع الطويلة تحمل إلى أنحاء الوادى من مياه النهر وغرينه ما يدرأ عنها رمال الصحراء. ومدت سكك الحديد وأسلاك البرق ، ونظم البريد ومهدت السبل وعقدت الجسور ، وأصلحت الموانى وأقيمت المنائر ، وشيدت المصانع وافتتحت دور العلم للبنين والبنات وعنى بالمتحف

وفى تلك الفترة تقلص نفوذ السلطان ، وأحاطت بوالى مصر مظاهر السيادة فلقب بالخديو وسمح له بمنح الألقاب ، وأطلقت

يده فأصلح القضاء، وأدخل على النظام الإدارى كثيراً من الإصلاح وفى تلك الفترة سارت القاهرة تستبدل حياة بحياة ، ومظهراً بمظهر ، فتتخلص ما وسعها الجهد من أفريقيا ولا تنى تقترب من أوروبا، وراح الخديو العظيم ينشر فيها من مظاهر همته ما جعل أعماله فى هذا المضمار من عجائب القرن التاسع عشر ، وما برحت القاهرة طول عهده غاصة « بالمونة والأحجار » تلك التى كانت هوى الخديو ومسرة فؤاده

ولـكن اسماعيل وا أسفاه أنفق فى سبيل ذلك المجد ما زاد على خمسين مليوناً من الجنيهات لم يكن لديه منها شىء يذكر ... ولذلك لم يلبث أن رأى مصر التى أراد أن تكون قطعة من أوربا تساق على رغمه لأن تكون ملكاً لأوربا ! فمن أوربا استدانت تلك الملايين ؛ ولما عجزت عن دفع دينها كانت رهينة لذلك الدين .

أين كان شريف حين أخـذت مصر فى سياسة الاستدانة ؟ وكيف فاته وهو الأريب الحاذق ما كانت تبيت انجلترة من غـدر لاقتناص مصر ؟ أو لم يرَ أنهـا كانت تقيم من أموالها حول الوالى شبا كا أحكمت نسجها يد المكر، وبالغت فى سترها الرؤوس الماهرة والقلوب الغادرة ؟

كان شريف ناظراً للخارجية كما سلف أن ذكرنا ، فلما تم لإسماعيل الأمر أضاف إليه نظارة الداخلية ، فهو يعرف شريفا معرفة خبرة ووثوق إذ كان له زميلا فى الدراسة ؛ وبقى شريف يدير المنصبين متمتعا بثقة إسماعيل وعطفه ، خليقا بما نال منه من تكريم ، وأى تكريم . كان أعظم يومئذ من أن يقيمه الوالى نائبا عنه حينما رحل إلى الآستانة عام ١٨٦٥ وما كان إسماعيل ليفعل ذلك لولا أنه كان يرى شريفا أكثر الناس ولاء له

على أن شريفا لم يك يملك غير النصح فى عصر كذلك العصر وتلقاء رجل كإسماعيل تناهى إليه السلطان والبأس حتى ليستنكف أن يذعن للخليفة ، فيسعى ما وسعه السعى لتطلق يده فى شؤون مصر كلها وبخاصة فى عقد القروض

ولـكن هل نصح شريف لاسماعيل كما كان خليقا أن يفعل ؟ لو أنه فعل ذلك لجاء ذكره فيما جاء من أخبـار ذلك العهد الذى كثرت فيه الأقوال . ومهما يكن من الأمر فقد ظل شريف فيما اختير له من المناصب لا يعارض ولا يغضب فيستقيل ... وتلك مسألة أخرى نعدها على شريف ونأخذه بها ...

بيد أننا من جهة أخرى نعود فنذكر أن مبدأ المسئولية الوزارية لم يكن قد قام فى مصر بعد؛ فإسماعيل هو وحده المسؤول عن حكم مصر وسياسة مصر ، وما على نظاره إلا أن ينفـذوا ما يأمرهم به دون أن يكون لهم فيه رأى أو تكون عليهم من جرائه تبعة ؛ ولم يك ثمة فرق بين جيب إسماعيل وخزينة مصر ، ولذلك كانت سلطته المالية أعظم من سلطته الإدارية إن صح أن كان بين السلطتين تفاوت ...

هذا كله حق لا سبيل إلى إنكاره، ومن أجله يخف وزر شريف وتقل ملامته ، ولـكنه لن يعفى من ذلك الوزر إلا أن نميل فنتحيز أو أن نذكر بعض ما بذله شريف من جهود جبارة فيما بعـد فى مقاومة نفوذ اسماعيل ومحاربة طغيان الأجانب فيحملنا ذلك على تناسى موقفه فى تلك الفترة التى غلب على طبعه فيها الهدوء والرضى ... على أننا لا نسيغ هذا ولا تطاوعنا النفس على ذلك .

والواقع أن هذه الفترة من حياة شريف فترة سكون لا يتفق وما جبلت عليه نفسه من شجاعة شهد له بها حتى خصومه ، فهل كان مرد ذلك إلى ما كان من إذعان مصر نفسها واستسلامها ؟

يخيل إلى أن ذلك أقرب إلى الصواب . فلقد كان الرأى العام فى ذلك الوقت أعنى مدى الاثنى عشر عاماً الأولى من حكم إسماعيل لا يزال فى مرحلة تكوينه ، ولذلك لم يكن للشعب نفوذ إلى جانب نفوذ إسماعيل وجاهه ، فمجلس شورى النواب الذى أنشأه الوالى والذى أولاه شريف حظاً كبيراً من عنايته ونشاطه ، كان لا يملك حق محاسبة الحكومة ؛ وكانت البلاد محرومة من الصحافة الوطنية، خالية من الأحزاب السياسية ؛ وكان المتعلمون من المصريين منصرفين إلى المناصب الحكومية يتقدمون بالزلفى إلى إسماعيل وحكومته . ولقد أدى الانتخاب لمجلس الشورى إلى حرمان المجلس من هذا العنصر لو أنهم أرادوا أن يتجهوا إليه ...

وعلى ذلك فلو أن شريفاً تحرك حركة قومية فى ذلك الوقت لما هزت حركته النفوس ، كما راحت تهزها حركاته فيما بعد حين أفاق الرأى العام على تدخل الأجانب فى شئون مصر ، وحين ظهرت فيه عناصر لم تكن موجودة من قبل ، كدعوة جمال الدين التى أومضت فى ظلمات ذلك العصر، وكظهور الصحافة واهتمام المتعلمين بقضية البلاد المالية ، وغير ذلك من أسباب البعث والنهوض ...

عندئذ آن لشريف أن يخطو ، فكأنما كان قبـل خطواته الوطنية فى مرحلة الإرهاص ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الزعماء من قبله ومن بعده . وما أعظم الشبه فى ذلك بين سعد وشريف ! فهذا سعد جبار هذا الوادى وزعيم أبطاله ومفخرة أجياله ، ظل فى الفترة الأولى من حياته ساكناً لولا ما كان من آثار قلمه

ونفثات روحه . فلما سارت الحوادث سيرها ، وتهيأت البلاد لانتفاضة تنفس عنها بعض ما بها تلفتت القلوب ودارت الأعين فلم تستقر إلا عليه كأنما ألهمت ذلك إلهاماً ! ... وإنك لترى من أوجه الشبه غير هذا كثيراً بين سعد وشريف فيما نقص من سيرته

كان لا بد للمسألة المالية أن تنتهي إلى ما انتهت إليه من تدخل الأجانب فى شؤون مصر الداخلية ، ولكن هذا التدخل لم يكن شراً كله كما اعتاد المؤرخون أن يصوروه ، وحسبنا مما انطوى عليه من عناصر الخير أن قد استيقظت على ضجيجه وصخبه مصر ، فانبعثت القومية المصرية ومضت تنفض مصر عن كاهلها غبار القرون على صورة أروع وأقوى مما تبدى فى ثورتها على نابليون وكليبر ، ومما ظهر من آمالها ومشيئتها يوم ذهب أبناؤها وعلى رأسهم عمر مكرم والشرقاوى يلبسون محمد على الكرك والقفطان دون أن يرجعوا فيما فعلوا إلى السلطان ...

تراكمت الديون على مصر حتى أنها لم تكن تقل عن تسعين مليوناً من الجنيهات فى عام ١٨٧٥ م . فمن ديون سائرة كانت فى ذاتها أبلغ ما نال الخديو من معانى الغبن ، إلى ديون ثابتة فيها أوضح معانى الشره وأقبحها من جانب الدائنين ، إلى قروض داخلية لجأ إليها « المفتش » ذلك الذى قام على شؤون مصر المالية ، فكان فى ذاته عبئاً فوق أثقالها التى ناءت بها ، ومن تلك القروض الدالة على شدة الارتباك والخلل دينا المقابلة والرزنامة ...

عندئذ تحركت انجلترا نحو هدفها ، وكانت أولى حركاتها فى هذا المضمار شراء نصيب مصر من أسهم القناة ، اشتراه دزرائيلى رئيس وزرائها بثمن بخس ! ولم يرده عن ذلك عطلة البرلمان يومئذ . وكيف يفوت دزرائيلى وهو الذى يعرف الفرص ويعرف كيف يقتنصها، كيف يفوت ذلك الداهية أمر كهذا الأمر يجعل مركز بلاده فى القناة كمركز فرنسا أو أعظم ، ويصحح خطأ وقعت فيه انجلتره ألا وهو استهانتها بالمشروع أول الأمر ظناً منها أنه لن يتم، ثم تراخيها عن شراء الأسهم بعد ذلك رغبة فى إحباطه

ولكن مصر بعد بيع أسهمها لا تزال فى حاجة إلى المال لتدفع به بعض ما جره عليها المال من وبال . وأنى لها المال بعد ذلك كله ؟ وأية دولة تمد إليها يدها ؟ إذاً فلتفكر مصر فى الاصلاح ثم فلتفكر انجلترة فى اصطياد الفريسة !

طلب الخديو موظفاً انجليزياً يدرس لها شؤون مالها ويصلح ما يراه من أوجه الخلل ؛ فتلكأت انجلترة لأنها عن دهاء وجشع تحب أن تتدخل ولكنها لا تحب أن تفتح أعين غيرها

وجاء الموظف ولكنه زود من جانب حكومته بأوامر، فعليه أن يدرس وعليه فوق ذلك أن يحقق ويدقق ثم يرفع تقريراً عما رأى ! وما لهذا أراده إسماعيل فما كان يريد والى مصر إلا أن يكون هذا الموظف معيناً له فى إصلاح مالية البلاد

ورفع « كيف » التقرير إلى حكومته ! وجاء دور دزرائيلى فأعلن البرلمان الإنجليزى فى غير تردد ولا استحياء أنه يرغب عن نشر التقرير لأن الخديو رجاه فى ذلك . ولعمر الحق ما رجاه الخديو ولا أشار إلى ذلك من قريب ولا من بعيد ...

ذعر الدائنون ، وهبطت أسهم مصر كما يقول رجال المال ، وتلقى الخديو الصدمة العنيفة ممن أمل على يديهم الإصلاح وقال فى مرارة وغيظ : « لقد احتفروا لى قبرى » وهى كلمة موجعة جامعة ، فبعد هذا التصريح من جانب دزرائيلى سيكون الطوفان . وما كان فى تقرير كيف إلا أن مصر « تشكو مما ينتشر فى الشرق من أمراض منها الجهل والإسراف والاختلاس والإهمال والتبذير وأنها تشكو من كثرة النفقات التى سببتها محاولة إدخال مدنية الغرب والتى تترتب على مشروعات لا تجدى نفعاً ، وعلى مشروعات نافعة ولكنها تنطوى على الخطأ » . بل لقد ذكر كيف فى عبارة صريحة : « إن مصر تستطيع أن تدفع ما عليها من الديون إذا أحسنت إدارة البلاد » . ولكن للسياسة مطامعها وأغراضها ولها من أجل ذلك أساليبها التى كثيراً ما تسخر مما تواضع عليه أغرار الناس من قواعد الخلق والاستقامة !

لم تستطع مصر أن تفلت من دائنيها فكان لابد من إذعانها لمراقبة مندوبيهم وتألف فى مصر « صندوق الدين العام » فكان حكومة صغيرة من الأجانب داخل حكومتها ؛ ثم وافق الخديو مكرها على تعيين مراقبين أجنبيين أحدهما انجليزى للدخل والآخر فرنسى للصرف ، وعين تبعا لهذين موظفين من الأجانب برواتب ضخمة ؛ وعنى الخديو حقا بالاصلاح يومئذ ولكن يد الغدر كانت من ورائه تبعث الارتباك وتنصب الشباك

وقبل الخديو فيما قبل على رغمه تأليف لجنة من الأجانب سميت « لجنة التحقيق العامة » جعل على رأسها دلسبس ومنحت سلطة واسعة غير محدودة، فما كادت تعمل حتى اصطدمت، وكان اصطدامها فى بدء عهدها لسوء حظها بالرجل الذى يتحفز ويتحين الفرصة ليثب. ومن يكون ذلك الرجل فى تلك الأيام العصيبة غير شريف ؟

استدعته اللجنة ليمثل أمامها لتستفهمه، فتعاظمه الأمر فأبى، فأصرت اللجنة وقد خشيت على هيبتها ونفوذها ، ولكنه خشى

التربية العملية

أطفالنا

للآنسة زينب الحكيم

التربية العملية مسألة لا يجدى فيها ترقيع ، ولا يفلح فيها النصح الكلامى كثيراً إذا فات أوانها ، وأهمل شأنها فى حياة الانسان المبكرة . لهذا سأوضح بعض الأمثلة كيف يمكن تنشئة الطفل منذ طفولته، ليتناسب مع الجماعة، ويشب على روح الفرد للمجموع ، والمجموع للفرد (المحررة)

كلنا يُقرّ بشدة العناية التى تحيط الوليد من يوم ولادته ، تلك العناية التى قد لا يشابهها العناية بالملوك على عروشهم ، ولا الجبابرة المتألهين على أقوامهم

فالطفل، فى مدى الخمسة عشر أو الثمانية عشر شهراً الأولى من حياته ، تؤدى له جميع لوازمه ، ولو ضحيت فى سبيل ذلك صحة الكبار ولا سيما الأم . وكنتيجة لهذه المعاملة ، وتلك الرعاية ، يصير الطفل أنانياً بكل ما فى هذا التعبير من معنى ، خصوصاً بعد أن يقارب تمام السنتين من العمر

وكلما بدأ الطفل يتحرر من طور العجز، أو الاعتماد المطلق على من حوله فى الطفولة المبكرة ، يبدأ يتنازع رغباته ولوازمه من أجل إخوته وأخواته، ومن والديه والأفراد الآخرين الذين يحيطون به.

فرغباته الشخصية، وطلباته المضادة لطلبات المجتمع ، يجب تعديلها بحكمة ، وبهذا يبدأ حفظ أول درس صعب فى الحياة . وبفهم هذه التناقضات الأولية فى حياة الطفل تتساعد على فهم سلوك الأطفال بوجه عام ... ومن ثمَّ نرشدُ إلى أمثل الطرق لتربيتهم ، وأحسن التدابير لتنشئتهم

أما جعل الطفل مناسباً لبيئته ، وتهيئة البيئة نفسها لمناسبته ، فعقدتان تستلزمان مجهوداً عظيماً ، لأن كل فرد منا يفهم ويقدر أن للجماعة فى أى بيئة مطلبين ضروريين :

١ — أن يعيش الإنسان مع آخرين من نوعه ، لأجل حماية الجماعة ... ولأنه اجتماعى بطبعه ، ولأجل إيجاد إلف له

٢ — أن يقف كفرد يدفع عن سلامته الشخصية ، وأن يستطيع جذب رفيق له .

ومن هذا نرى ، أن له عدة حقوق خاصة واضحة ، وعليه

« يتبع »

هو أيضاً على كرامته وكرامة منصبه فأصر كما أصرت . . . أيمثل شريف أمام لجنة من الأجانب ؟ ولم لا تنتقل إليه اللجنة وهو العزيز بنزاهته واستقامته ، الكبير بشخصه ومنصبه ، العظيم بوطنيته وكرامته ؟ إذاً فليطلق شريف المنصب غير آسف ، وقد كان ما أراد فاستقال ! وهزت البلاد استقالته بما تنطوى عليه من المعانى فلقد كانت وثبة فى حينها ، كانت غضبة من رجل فى أمة عدَّ بها أمة فى رجل ؛ وهكذا خطوات أحرار الشمائل وعظماء الأجيال كأنما تجئ على قدر من الأيام فتكون رداً بليغاً على من يزعمون أن عظماء الرجال يدينون بعظمتهم لظروفهم لا لصفاتهم ، هذه فى مصر هى الظروف ، فليت شعرى لم لم يظهر غير شريف وقد غضب مع شريف عشرات غيره من الرجال ؟

الخفيف

واجبات لنفسه كفرد ، ولكن مشكلته العظمى هى معرفته كيف يوفق شخصيته ورغائبه لاحتياجات الجماعة .

لقد كان الإنسان الأول فى طفولته يعرف هذا التوفيق بالصدفة ، أى بطرق عرضية مطولة ملفوفة ، بينما نصل إليها الآن بطرق مباشرة مختصرة قليلة الالتواء إن وجد ؛ لأن الدراسات الحديثة قد أفادتنا كثيراً ، ودلتنا على أن فى نفس الطفل غرائز وميولا وطاقات كامنة، وهو مهيأ لكيفية تنميتها — إذن ما علينا إلا أن نترك له القيادة ، فيفصح لنا عن نفسه ؛ وعملنا نحن هو أن نوجهه ونرشده إلى أحسن السبل ليهيىء نفسه لبيئته ، مع مراعاة أن ضروريات الجماعة ومستوياتها دائمة التغير .

فالسلوك الخلق لجيل ما ، يعتبر دائماً السلوك غير الخلق بالنسبة للجيل الذى يليه . وإذا افترضنا أن على الطفل أن يستمع ويخضع لأوامر إخوته ووالديه ، وجدوده ومعلميه فعلينا أيضاً أن نفترض له منفذاً لرغباته حتماً .

وهنا يتحتم على الوالدين واجبان : —

١ — أن يعلما الطفل إلى أى حد يجب عليه أن يخضع رغباته واحتياجاته لرغبات واحتياجات الجماعة .

٢ — عليهما أن يعلماه إلى أى حد يمكنه أن يشبع رغباته ، وإلى أى حد يجب أن يدافع عن حقوقه ، وإلى أى حد يعتد بنفسه ، ومتى يخضع لأوامر الغير ، ومتى يعدل رغباته نزولاً على إرادة الجماعة .

الطفلة (جميلة) نشأت وهى صغيرة فى مزرعة ، وأحاطها أمهات وآباء محبون جداً لها ، ولم ينقص حب الخالات والعمات لها عن حب الجدات والجدود .

وطفلة فى مثل هذه البيئة ، وهذا الجو ، أحست بأهميتها ، وبالغت فى إملاء إرادتها فكانت إذا أرادت شيئاً ما يحضر لها ، ما كان عليها إلا أن تبكى بصوت مرتفع ، ولمدة كافية حتى تحصل على ما تريد . وأحياناً كانت تبكى على أشياء لا يمكن أن تعطى لها ، كأن تريد القمر مثلاً . وكانت تبكى أحياناً أخرى بدون سبب

ففى هذه الأوقات التى لم يمكن فيها إجابة طلباتها ، أو الصبر على تدليلها إشفاقاً عليها من كثرة البكاء — كان يقول أحد من بالمنزل : « خذوا جميلة إلى الحديقة وأركبوها الحصان — قد يهدئها ذلك » أو يقول آخر فى مناسبة أخرى : « خذوها إلى شارع المحطة لترى القاطرة الكبيرة وهى مارة — قد يهدئها ذلك »

وإذا لم تفلح هذه الطرق معها ، كان يعطى لها قطعة من الحلوى لكى تهدأ . ولقد استمر هذا النوع من المعالجة ، حتى أتى على أفراد الأسرة يوم نضب فيه معين حيلهم مع هذه الطفلة لتهدئتها كلما بكت

فمرة من تلك المرات ظلت تبكى وترغى وتزبد مدة طويلة ولم يلتفت إليها أحد . فما كان منها إلا أن نادت بأعلى صوت قائلة : « إعطوا جميلة قطعة من السكر — ذلك قد يهدئنى » دهش كل فرد حولها لما حدث منها ، وحار الجميع كيف يجاوبونها ، وتأملت هى طويلاً ثم قالت : « خذونى إلى الحديقة لأركب الحصان — ذلك قد يهدئنى » واستمرت تبكى

هنا وهنا فقط فطن الوالدان وكل أفراد الأسرة للدرس المهم

الذى أعطته لهم هذه الحادثة ، ونبهتهم إلى تلافى الغلطة التى كانوا يقعون فيها فى تربية الطفلة ؛ ومن حسن حظها أن غيّر الجميع خطتهم معها تدريجياً ، وعدلوا بجاوبتهم لبكائها

من هذا يرى أنه إذا سمح للطفل أن يصير أنانياً ، بحيث يطلب كل ما يريد غير ناظر إلى حقوق الغير ، فإنه سيبقى طول حياته على خلاف ومنازعات مستمرة مع الناس الآخرين ، ويشعر غالباً بأن الناس لا يعدلون فى معاملته أبداً . وكثير من الأفراد لا يحصلون على ما يشعرون أنه من حقهم ، ذلك لأنهم ينتظرون أكثر مما يستحقون من الحياة ، ويتطلبون من الناس أن يتنازلوا لهم ويؤثروهم على أنفسهم بحالات لا يمكن تحقيقها

وهـذا هو السرّ فى سـوء حال الشبان الذين لا تقدر على ترويضهم عائلاتهم ولا مدارسهم ويضج منهم المجتمع . والـكل يشكون ويتأففون من فساد المجتمع ، ولـكن ليس الذنب كله ذنب المجتمع ، فلو لم توجد عندنا حالات عامة شائعة فى بيوتنا المصرية من أشباه التربية الخاطئة ، لما سمعنا بحوادث الأولاد الذين يتهجمون على آبائهم بالضرب أو القتل ، أو تنكيد حياة الأم ، لشدة هياج ابنها العصبى وغير ذلك فى كل وقت . والحقيقة أن لا عصبية هناك ولا جنون ، وإنما هو سوء التربية المبكرة وخطؤها الذى يجعل من الطفل شخصية غير شخصيته ، ويجعل حياته كلها تصنعاً والتواء .

إن سلطة الوالدين والمربين على الطفل هى التى تعلمـه حقوق الجماعة . ولـكن ليحترس من استعمال السلطة بغلظة وجهل معه ، فإنه إذا حصل ذلك ولم يكن لدى الطفل المخارج الـكافية لنزعات نفســه ، فإنه يصبح شغوفا قلقا خجلا فى غير موضع الخجل ، عنيدا ينكر كل شىء ، ويشاغب حيث لا سبيل إلى الشغب ، ويصير أشد ميلاً للتأثر بغير بيئته التى باتت غريبة عليه .

وهذا دون ريب مالا نقصد إليه . إذن يجب أن تخدم السلطة الوالدية غرضين :

١ — أن تكون وسيلة يتعلم بها الطفل كيف يوفق نفسه للجماعة ...

٢ — أن تكون وسيلة يتعلم بها الطفل أيضاً إلى أى حد يمكنه أن يعبر عن رغباته واحتياجاته .

ذلك لأن كثيراً من الضغط على الطفل يتعين خطؤه وضرره إذا ما كلفنا أنفسنا مشقة إيجاد المخارج الصحيحة التى يعبر الطفل فيها عن نفسه ؛ ويظهر لنا تعسف أوامر النهى التى نضايق الطفل بها والتى يستغنى عنها تماماً ، إذا اتبعت طرق التربية الصحيحة ، التى تمـكن الطفل من إشباع ميوله دون إزعاج الآخرين .

ولا يصح أن نتصور أن الطفل إذا خالف قانونا أو نظاما يجب أن يسامح ، لا بل يجب أن يعاقب . وكل ما نرمى إليه هو أنه يمكن أن نعـلم الطفل دائماً ، ونعوده التعبير عن رغباته وإشباع ميوله ، دون مضايقة الجماعة .

زينب الحـكيم

ذكـــــريات

بمناسبة انعقاد المؤتمر الطبي بالقاهرة

في مثل هذا الوقت من العام الماضي، كنت أتخذ عدتي للسفر مع أعضاء المؤتمر الطبي العربي الذي انعقد في عاصمة بلاد الرشيد. ولقد تعاونت الحكومة والشعب على إنجاح المؤتمر وإكرام المؤتمرين ومساعدتهم على زيارة بلادهم الجميلة

سعادة فخر الدين باشا آل جميل الذي نزلت ضيفة على أسرته في بغداد، وهي من أعرق الأسرات العراقية

وفضلاً عن تخفيض أجور السفر المتبعة بمناسبة انعقاد المؤتمرات وما شابهها، فإن الحكومة العراقية مبالغة في السخاء تفضلت بجعل السفر مجاناً على السكك الحديد مع كثرة نفقاتها هناك ولقينا من حسن معاملة مختلف الهيئات كل مشرف سار

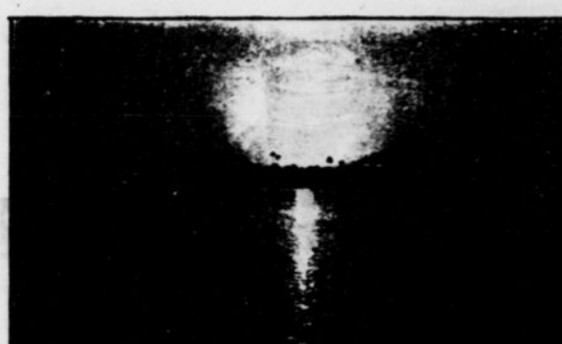

الغروب على دجلة (طريق الكرادة : بغداد)

وإني قوية الأمل، شديدة الرجاء، أن ينال جميع أعضاء المؤتمر الطبي — وهم في بلادنا — مثل هذه المعاملة جرياً على عاداتنا. وإني أهيب بكل تاجر ومرشد، وكل ذي مصلحة شخصية من أجانب ووطنيين أن يترفع عن مضاعفة أثمان ما يروق لضيوفنا شراؤه، وخصوصاً للعراقيين، فإن التجار في بلادهم أقسموا أنهم كانوا يبيعون لنا الأشياء بأثمان أرخص مما يبيعون بها لأهل البلد والتاجر العراقي صادق أمين، كلمته شرف، ووعده موف مهما يكن من الأمر

الشعار العراقي يزين أظهر مكان في سراي آل جميل وتجلس على الأريكة التي تحته الآنسة زينب الحكيم، مرتدية بعض ملابس السيدة العراقية في البصرة،

وإني لهذه المناسبة السارة أختص الرسالة الغراء بعض الصور التذكارية عن المؤتمر الطبي السابق تحية لأطباء العراق وترحيباً بهم ولجميع الأعضاء الأفاضل.

زينب الحكيم

الآنسة بديعة آل جميل

إثبات نظرية التطور

للأستاذ عصام الدين حفني ناصف

البراهين على صحة نظرية التطور كثيرة لا يحصرها العد ، فحيثما أرسل الإنسان الذى وعى هذه النظرية بطرفه فى عالمى الحيوان والنبات ، وجد شواهد توضح ما بين مختلف الكائنات الحية من صلة القربى . وقد اخترنا هنا أمثلة قليلة تتعلق بحيوانات مألوفة ، نراها مما يسهل فهمه وتجدر معرفته

من علم ترتيب الكائنات

وصف العلماء إلى الآن ما يربى على ٥٠٠ر٠٠٠ حيوان حى و٢٠٠ر٠٠٠ نبات و١٠٠ر٠٠٠ متحجر ينفرد كل منها بصفة من الصفات . وهم يقسمونها إلى أقسام مختلفة المراتب ، فنوع الثعلب ونوع الذئب ونوع الكلب تابعة كلها لجنس الكلب ، وهذا تابع للعائلة الكلبية من فصيلة آكلات اللحوم ، وهذه تابعة لتربية ذوات الثدى وهى تابعة لقبيلة ذوات الفقار

وليس تحديد الأنواع من الأمور السهلة ، فبعض العلماء يعتبر بعض المجموعات أنواعاً جديدة فى حين يعتبرها علماء آخرون مجرد « تنوعات » ونحن نلتقى بالتنوعات دائماً حين نبحث آلاف النماذج من أحد الأنواع الحيوانية أو النباتية ، وهذه القدرة على التنوع من أهم خصائص الأحياء ، فهى تيسر لها ملاءمة البيئة المحيطة بها ، وذلك يتيح لها أن تتطور وترتقى من حيث بناء الجسم وقدرته على العمل

وعلم ترتيب الكائنات ينطق بصحة نظرية التطور (١) لأن الوفرة الهائلة فى عدد الكائنات الحية التى يمكن على الدوام إثبات وجود أشكال انتقالية بينها ، تسير كلها ببطء فى طريق التحول والتغير (٢) ولأن « النوع » لا يمكن تحديده تحديداً تاماً ، فلا بد أن يكون شيئاً متغيراً

من علم الحفريات

تتكون طبقات الأحجار الرسوبية فى وضع أفقى ، ويكون أسفلها أقدمها عمرا ، وتحتوى كل طبقة على حيوانات ونباتات دفنت فيها فى العصر الذى تكونت فيه تلك الطبقة ، وقد وجد أن الحفريات التى دفنت فى طبقة قديمة العهد تكون أبسط فى تكوينها وتركيبها من حفريات الطبقات التى هى أحدث منها عهدا .

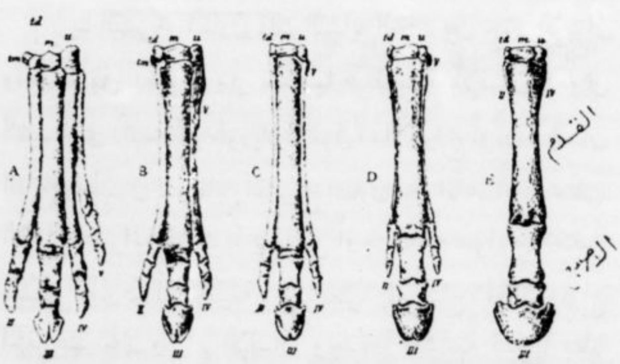

تبين هذه الصورة تطور عظام القدم الأمامية للحصان ، ونرى إلى اليمين قدم الحصان الحالى وقد قويت فيها الأصبع الوسطى ونمت ، كما نرى الأصبعين الثانية والرابعة وقد ضمرتا كثيراً . فاذا انتقلنا إلى الشكل الثانى من الجهة اليمنى وجدنا صورة عظام القدم فى عهد سابق قبل أن تصل الأصبعان الثانية والرابعة إلى هذه الدرجة من الضمور ونرى أثراً باقياً من الأصبع الخامسة ، أما الشكل الذى إلى اليسار فنرى فيه هذه الأصابع أكبر حجما لأنها أصابع حصان أقدم عهداً

ومن الأمور الهامة أننا نجد حفريات كل سلسلة من سلاسل الأنواع الحيوانية على النحو الذى كنا نتصورها عليه قبل أن نعثر بها وذلك ما حدث مثلاً فيما يتعلق بقدم الحصان ، فقد تعودنا أن نجد معظم الحيوانات الثديية الراقية ذات خمس أصابع فإذا اختلف الأمر عن ذلك فى الحصان ، ألزمتنا نظرية التطور

بافتراض أن أصابع أسلافه كانت خمسا فبقيت منها واحدة وضمرت الأربع الأخرى ، ونحن نميز فى قدم الحصان الحالى إصبعاً واحدة ونجد فى الخيل المتحجرة فى عهد البليوسين أن قدمها ذات ٣ أصابع وفى الخيل المتحجرة قبل ذلك فى عهد الميوسين أنها ذات ٤ أصابع وفى المتحجرة فى عهد الأيوسين أنها ذات ٥ أصابع

هيكل الزعنفة الصدرية إلا أن الحوت متسلسل من حيوان برى كان يستعمل طرفيه الأماميين فى المشى ثم تطورا بتطور معيشته من برية إلى بحرية . وهنالك إثباتات أخرى تؤيد أن الحوت حيوان ثدىّ متسلسل من أصل برى ، وهى كونه يتناول الأوكسجين اللازم لحياته برئتيه من الهواء لا بالخياشيم من الماء ، وكونه

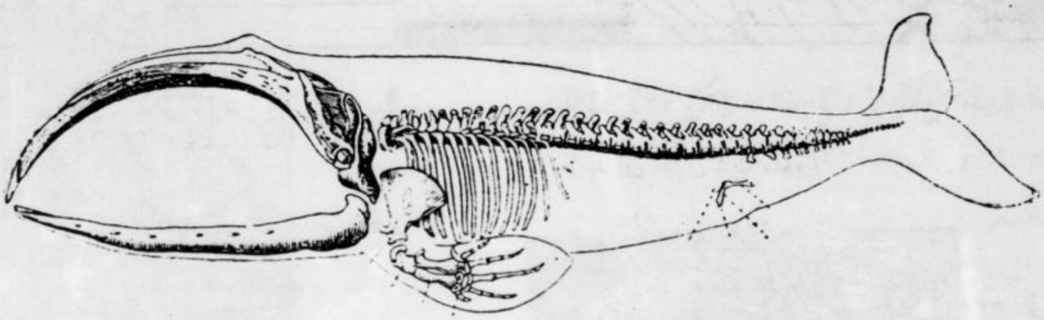

الهيكل العظمى لحوت جرينلاندا داخل إطار يبين الشكل الخارجى للحوت . ويتضح عند تشريحه أنه ليس من الأسماك كما يوهم شكله ، بل هو من رتبة الحيوانات الثدية ، فليست الزعنفتان الأماميتان سوى الذراعين وقد تطورتا . ويلاحظ أنه مع ضخامته ذو مرىء ضيق فهو مضطر إلى التغذي بالقوقع الصغيرة والحيوانات القشرية الصغيرة ومن نجف البحر ، فليس فى استطاعته أن يبتلع إنسانا كما يتوهم العامة

من علم التشريح المقارن

يرينا التشريح المقارن ذلك التشابه العظيم بين جسم الإنسان وأجسام باقى الحيوان وفى مقدمتها « الشبيهة بالإنسان » وهى الشيمبانزى (البعام) والجوريلا (الغول) والأورانج أوتان (إنسان الغابة) والجيبون . ويقابل التشريح المقارن بين الأعضاء فى مختلف الأنواع الحيوانية فيثبت ما بينها من أوجه الشبه سواء فيما يختص بالشكل الخارجى أو الوظيفة . فإذا نظرنا إلى جناح الخفاش وذراع الحفر عند الخلد وذراع الإنسان وجدناها متشابهة تشابهاً عظيما فى تركيب عظامها رغم تباين وظائفها ، وما ذلك إلا لأن هذه الحيوانات متسلسلة من أصل واحد

ينظر معظم الناس إلى الحوت باعتباره ضرباً من السمك ، وذلك لإقامته فى الماء ولشكله الوشى (المغزلى) ولوجود زعانف الصدر والذنب ، ولكن تشريح الزعنفتين الأماميتين يرينا فى كل منهما هيكلاً عظمياً يشبه مثيله فى الطرف الأمامى من الحيوانات الثديية الأخرى . أما الزعنفة الذنبية فيدعمها محور عظمى هو نهاية العمود الفقرى . ولبعض أنواع الحيتان زيادة عما تقدم زعنفة ظهرية بيد أنها خالية من أية دعامة عظمية ، ولا إيضاح لهذا التباين فى بناء الزعانف المختلفة فى الحوت الواحد ، ولهذا التعقد فى بناء

من ذوات الدم الحار فلا تنخفض حرارة جسمه — كالأسماك — بانخفاض حرارة الماء الذى يعيش فيه ، وكون أنثاه تلد صغارها تامة التكوين وترضعها .

من علم الأجنة

يجتاز كل حيوان فى نموه من خلية البيضة حتى يكتمل سلسلة من التغيرات المحتومة ، ويمر بسلسلة من الأشكال المختلفة، هى إعادة موجزة للسلسلة الطويلة من الأشكال التى اجتازها أسلاف هذا الحيوان أى أصول نوعه منذ أقدم أزمنة الخلق العضوى حتى الوقت الحالى

فالحوت — مثلاً — يمتاز فى كبره بعدم اشتمال جسمه على الشعر والأسنان والعنق والطرفين الخلفيين ، ولكن هذه الأعضاء توجد فى جنينه ، وذلك ما يشير إلى تسلسله من أصل ثديي له هذه الأعضاء

كذلك يحوى جسم الجنين الإنسانى أعضاء عدة لا إيضاح لها إلا أنها موروثة عن الأسلاف الحيوانية ، فهو مغطى بشعر كثيف يذكرنا بفروة القرد ، وقد يبقى الثوب الشعرى الجنينى فى أحوال مرضية شاذة عند من يسمونه بالإنسان الكلبى . وللجنين الإنسانى ذنب واضح ، وله فى كل ناحية خمس مجموعات

من غدد لبنية ، وذلك ما يدل على أن العضو اللبنى — كما هو الحال عند الحيوانات الثديية الدنيئة — لم يكن فى الأصل زوجاً واحداً فقط

من علم الانتشار الجغرافى

تقدم لنا الجغرافيا الحيوانية كثيراً من الحقائق الناطقة بصحة نظرية التطور . فمن ذلك أن المناطق والأقاليم المنعزلة عن غيرها تحوى أنواعاً حيوانية خاصة بها لا توجد فى سواها . ولئن كانت حيوانات أمريكا الشمالية شبيهة بحيوانات شمال آسيا وشمال أوروبا فإن لحيوانات أمريكا الجنوبية (أعنى التى كانت بها قبل أن يستعمرها الجنس الأبيض) صفات ومميزات خاصة بها نتجت من نمو تلك الحيوانات فى عزلة وعدم اختلاطها بحيوانات أمريكا الشمالية . وذلك لأن أمريكا الوسطى كانت فى عصر الميوسين مغمورة بالماء ، فلم يكن ثمة وجود لذلك المعبر الأرضى الذى انبثق بعد ذلك فوق اليم فأصبح يصل بين الأمريكتين . ومما يؤيد هذا التفسير وجود بعض الأسماك والقواقع مشتركة فى المحيطين شرق أمريكا الوسطى وغربها مع أنه لا يوجد نوع من الأسماك والقواقع مشترك فى شرق أمريكا الجنوبية وغربها

رأس جنين فى الشهر الخامس من تكوينه ويرى مكسواً بالشعر الجنينى الذى يسقط قبل الولادة

ومما يلفت النظر تلك الجزائر التى طلعت فى المحيط بعمل براكين تحت الماء مثل جزيرة سانت هيلانة (وتبعد ١٨٠٠ كيلو متر عن إفريقيا) فهى خالية تماما من الحيوانات الفقرية البرية والطيور البرية ، وبها من الطيور البحرية نوع واحد من النورز له قرابة بالأنواع الأفريقية ، وبها أنواع من الخنافس ذات الخرطوم وهى الأنواع التى تعيش هى ويرقاتها وعذاراها على الخشب وفى داخله. وفى ذلك ما يبين أنها انتقلت إلى تلك الجزيرة النائية محمولة على أخشاب طافية . ولو كانت حيوانات تلك الجزيرة قد خلقت على حدة لما كان هناك سبب مفهوم لإيثارها بالأنواع ذوات الخرطوم من الخنافس .

ما يسمى بالإنسان الكلبي وقد احتفظ بالشعر الجنينى

التفاعل الحيوى الكيميائى للدم

إذا تركنا دماً طازجاً فى مكان ما ، رسبت منه الكرات الدموية والألياف وبقى سائل أصفر هو المصل . ولكل حيوان فقرى مصل خاص به من شأنه أن يضر بالكرات الحمراء التى فى دماء الأنواع الحيوانية الأخرى . بيد أننا إذا كررنا حقن مقادير صغيرة من مصل دم حصان — مثلاً — فى الأوعية الدموية لأرنب ، تغير دمه بعد فترة من الزمن فأصبح مصل دمه يؤدى عند وضع قطرات منه فى محلول يحوى قليلاً من مصل دم الخيل ، إلى تكوين راسب زَغَبى ، وهو يحدث الترسيب أيضاً — ولكن بدرجة أضعف ، مع دم الحمار ، وذلك ما يوضح قرابته به . فإذا حقنّا أرنباً بمصل دم إنسانى أصبح مصل هذا الأرنب يرسب الدم الإنسانى ، بيد أنه أيضاً — وبنفس القوة — يرسب دم القردة « الشبيهة بالإنسان » ، أما القردة الأخرى فيرسب دماءها بدرجة ضعيفة.. وهذه التجربة تبرهن لنا على وجود « صلة الدم » بمعناها اللفظى

الإنسان في ضوء نظرية التطور

يتعين علينا من الوجهة الفنية المحض أن ندخل الإنسان في نطاق نظرية التطور وقوانينها، فليس الإنسان من حيث العلوم الطبيعية سوى حيوان فقري يمشي قائماً، ومن مميزاته الظاهرة على سائر الحيوانات الثديية القريبة منه أنه يعتمد في سيره على قدميه فقط، وكثير من خصائصه الجسمانية الأخرى موجود في عالم الحيوان وإن لم يكن مجتمعاً بهذا التوافق إلا في الإنسان

والإنسان عظيم الشبه بالقردة الراقية إلى حد جعل أحد العلماء يقول: إن الفرق بين أحط الأجناس الإنسانية والقردة «الشبيهة بالإنسان» أقل كثيراً منه بين هذه وأحط القردة

ولئن كان المنظر الخارجي للجوريلا يبعث فينا النفور من تصور صلة قرابة تربطنا بها، فأننا نجد حين نسلخ جلدها أن التشابه بين جسمها وجسم الإنسان لافت للنظر. فكل عظمة وكل عصب وكل عضو من الأعضاء المختلفة موجود عندها في مثل موضعه عند الإنسان. وهي تشبه الإنسان كذلك في كونها بلا ذنب ناتئ خارج الجسم، وبلا انتفاخ في الإلية، وبلا شعر كثيف في الخدين كما تشبهه في بناء عضو التفكير أي المخ، فإن مخها يحوي نفس الأجزاء والأخاديد والتلافيف التي يحويها مخ الإنسان

مستقبل الإنسان

من المرجح جداً أن يستمر الإنسان في التطور مدى أزمنة طويلة جداً، ولكننا لا نستطيع أن نقطع: هل يكون هذا التطور إلى أرقى أم إلى أحط؟

لقد اكتظت الأرض بالحياة أحقاباً طويلة دون وجود الإنسان. ومن الممكن أن تبقى حافلة بالحياة ولو انقرض الإنسان؛ فالأرض لم تخلق هي وعالم الأحياء من أجل الإنسان، ولكن مجده وقوته في كونه يعرف كيف يستغلها ويستخدمها لقضاء أغراضه.

عصام الدين حفني ناصف

الفـــن الأمريكى

العمارة

للدكتور أحمد موسى

لا يرجع الفن الأمريكى المقتبس من أوربا لأكثر من وصول الأسبان إليها . وبدت أول مظاهره فى تشييد الكنائس التى تميزت بضخامة مظهرها وطرازها الباروكى مع بساطة الزخارف وقلة النقوش ، على نقيض ما كان جارياً فى تلك المرحلة الزمنية .

ش ١ — مبنى مصلحة التليفون في نيويورك

كما أنها عند ما شملت شيئاً من التحلية كانت ضعيفة إلى حد لا يتناسب مع التصميم الإنشائى .

وأول المبانى الضخمة « الثقيلة » كانت بسان فرانسسكو وتولا Tula التى تمت بين سنتى ١٥٤٠ و ١٥٦١ وبعدها كنيسة مريدا Merida المقبية التى تم تشييدها سنة ١٥٩٨ ، ثم الكاتدرائية الهائلة بمكسيكو (١٥٧٣ — ١٦٥٦) بمنارتيها اللتين بلغ ارتفاعهما نحو الستين متراً .

ش ٢ — عمارة بيركشاير فى نيويورك

ولعل كنيسة لاجوس الباروكية الطراز (١٦٤٩) وكنيسة شابهواهوا (١٧٨٩) توضحان لنا أثر الفن الأوربى الإسبانى وتطوره فى أمريكا.

وبدأ تطور الطراز المعمارى تطوراً شاملاً منذ القرن الثامن عشر ، فاتجه الميل إلى إهمال الزخرفة واعتبارها عملاً يضيع الوقت والمال ، وظهرت الرغبة فى تبسيط البناء . إلا أنه بالنظر إلى اتساع الأراضى وقلة ازدحام السكان ورخص التشييد لخلوه من كثرة النقش والتحلية ، فإن الضخامة والثقل ظلا على حالها الأول وحافظا على مكانتهما من نفس المهندس المعمارى . وخير مثل نسوقه لهذا مبانى سان فرانسسكو وساجراريو متروبوليتانو فى مكسيكو وكتدرائية ليون.

ولم يكن هذا المظهر منحصراً فى الكنائس وحدها ، بل كان شاملاً للمبانى العامة والمبانى العادية ؛ فترى السراى الأهلية National Palace التى يرجع تاريخها إلى عام ١٦٩٢ بواجهتها التى يبلغ طولها مائتى متر ، وسراى البلدية (١٧٢٠ — ١٧٢٤) ومدرسة برج (١٧٩٧ — ١٨١٣) فى مكسيكو ، خالية كلها من النقوش والزخارف التى تعتبر فى « الدنيا القديمة » ضرورية لتجميل البناء

وأهم كنائس جنوب أمريكا كنيسة كوسكو التي بدأ إنشاؤها سنة ١٥٣٧ وكنيسة ريودى جانيرو ، وباهيا ، وبونس أيرس ، وليما ، وسانتياجو حيث توجد الكاتدرائية العظيمة (١٦٤٧ - ١٧٤٨) ، واختلف المجموع الإنشائى فى كل منها اختلافاً يحتاج إلى التفصيل الذى لا يتسع له المجال لاتصاله بأصول العمارة .

وقد لوحظ أن فن العمارة الذى انتقل من انجلترا وهولاندا والتى يذكرنا مظهرها الإنشائى العام بالتصميمات التى حملت طابع المعمارى الإنجليزى كرستوفرورن فى لندن ، وكذلك بيت البلدية فى بوستون والبيت الأبيض فى واشنجطون ، كلاهما حمل مظهر البساطة والرغبة فى جعل المبانى عملية أكثر منها فنية ، فكانت متأثرة بالفن الهولاندى المجرد .

أما فى القرن التاسع عشر فقد كان تأثير العمارة الأوربية أعم

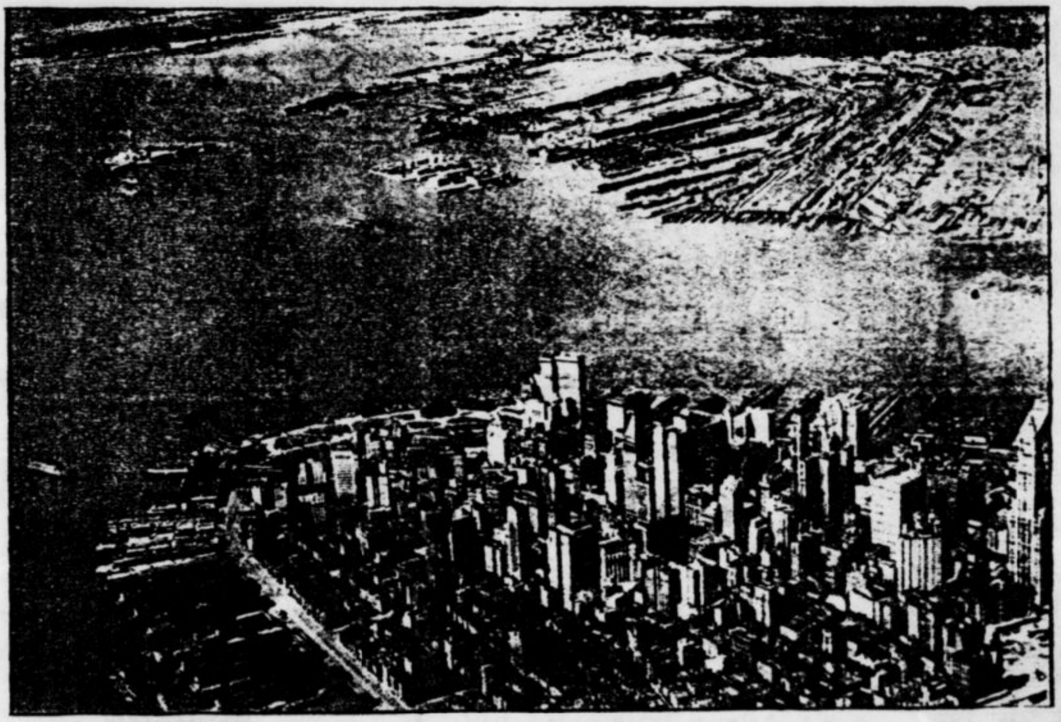

ش ٣ — منظر عام لجزء من نيويورك الحالية ماخوذ من الطيارة

إلى أمريكا كان أميل إلى الناحية العملية منه إلى الناحية الفنية لجملة أسباب ؛ منها أن الذين هاجروا إلى « الدنيا الجديدة » كان معظمهم ممن ضاق بهم العيش فى بلادهم ، أو من الذين اتسع لهم مجال التبسيط على اعتباره تجديداً ، فضلاً عن العطش والرغبة الصادقة فى الاستقلال السريع . أما الإسبان الكاثوليك فقد ظلوا سائرين فى اتجاههم المعمارى الذى مال إلى الزخرفة والتنميق ؛ فترى فى المدن الجديدة التى منها سانتافيه أمثلة عدة تؤيد ذلك .

وبينما اتجه الفن المعمارى فى الجنوب اتجاه البلاد الكاثوليكية كما هو الحال فى كاتدرائية نيو أورليانز (١٧٩٢ — ١٧٩٤) التى لا يخرج طراز بنائها عن كونه خليطاً من العمارة الكلاسيكية الفرنسية والعمارة القوطية إلماماً ؛ نراه اتجه فى الشمال نحو البعد عن الزخرفة والميل إلى تبسيط الواجهات . وهذا يؤيده ما يلاحظه المشاهد المدقق على كنيسة كرست فى فيلادلفيا التى تم بناؤها سنة ١٧٢٧ وأكبر ، وذلك بالنظر إلى كثرة المعماريين الذين ذهبوا إلى أمريكا .

وقد ظهر أثر الفن الكلاسيكي على أشده فى البناء الرائع المسمى كابيتول واشنجطن (ش ٤) الذي ابتدأ بناؤه سنة ١٧٩٣ والذى جعلت أعمدته من الطراز الكورنتى (١) والتى أقيمت فوق أعتابها القبة فارتفعت عن الأرض تسعين متراً . على أن هذا البناء ليس الوحيد من نوعه الذى حمل هذا الطابع وهذه الروعة ؛ فهناك مشيدات أخرى مثل بيت الاختراعات Patent Office فى واشنجطون ودار الجمرك فى بوسطن وفى نيويورك وغيرهما فى فيلادلفيا ، كلها شاهد على هذا الاتجاه .

ونجد أيضاً أثر الطراز الرومانتيكي ظاهراً فى التكوين الشكلى العام للكنائس وغيرها من المبانى الجديرة بالاعتبار . وهذا لا يمنع من أن تكون كاتيدرائية باترِكس فى نيويورك على الطراز القوطى

(١) راجع مقالنا (أكروبوليس أثينا) بالرسالة

التأخر وعلى جانب من عظمة المظهر ، ولو أنها بدت فى مجموعها نحيفة التكوين بالنسبة للمألوف فى هذا الطراز . وعلى نفس المنهج بنيت كنيستا ترينيتي وتوماس وغيرهما فى نيويورك وكان الواضع لتصميمها المعمارى الانجليزى أبجون Upjohn .

ولا نذكر كنيسة كانت على جانب عظيم من روعة الفن الخالص سوى كاتيدرائية « جميع القديسين » All Saints (ش٢) التى كانت ولا تزال ضيقة المساحة ، وهذه الروعة تتلخص فى دقة التعبير عن الطراز القوطى المبكر.

ولعله جدير بالذكر أن المبانى التى تجلى فيها الطراز الرومانتيكى هى كنيسة هولى كوميونيون فى فيلادلفيا وردهة كاتيدرائية ترينيتى السابق ذكرها ، وكنيسة نيو أولد ساوث بمنارتها التى تأثرت بالفن الإيطالى فكانت مثلاً جيداً له فى أمريكا .

أما فى المبانى العامة فبرلمان أوتاوا فى كندا وكابيتول الدولة فى هارتفورد والمكتبات فى بورلنجتون ووبرن ، وكاونتى كورت هاوس فى بتسبرج ، ومتحف الفن فى سنسناتى ، والناشيونال أكاديمى التى تذكرنا كثيراً بقصر الدوج فى فينيسيا ، ومتحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك .. كل هذه آيات بينات لفن البناء الأوربى فى أمريكا ، كما أنها خير دليل على الغنى الفنى المعمارى والمقياس الصادق لتقدير الفن الخالص .

ومن الغريب أن أمريكا لم تقتبس من فن « عصر النهضة » شيئاً يذكر ، ولكنه يخيل إلينا أن الرغبة العملية كانت لا تزال الحائل بين العمارة وبين الاقتباس. ولهذا السبب نجد أن الحلقة الفنية المعمارية ناقصة . وذلك ما انبنى عليه عدم وجود الرابطة بين الطرز السابق اقتباسها وبين المسلك المعمارى الذى مثل الضخامة والبساطة فى المظهر .

وهذا بلا شك سبب جوهرى فى الانتقال المفاجئ من عمارة القرون الوسطى من حيث « الثقل والضخامة » كما هو الحال فى كابيتول الدولة بنيويورك إلى عمارة بيت البلدية فى فيلادلفيا ، التى كان المنهج فيها مشابهاً لما اتبع فى بناء اللوفر ، هذا فضلاً عن منارته التى تعد أعلى منارة فى العالم . وهذا نفسه نعاينه فى مبانى بيوت الدولة والمكتبات والمحطات والمتاحف ودور التمثيل وغيرها من حيث اتساع مساحاتها وكبر أحجامها — ولكنها مع هذا الاعتبار ضئيلة القيمة المعمارية الفنية لما بدا عليها من مظاهر البساطة وقلة التنسيق .

وحتى القصور والفيلات فى « الدنيا الجديدة » بنيت دون قيد فنى أو شرط من شروط الجمال العام ، فهى لا تخرج عن كونها خليطاً من طُرُز مختلفة تجاورت وارتفع بعضها وانخفض البعض الآخر فظهرت خالية من الجمال ؛ هذا فى بيوت شيدها عظماء البلاد الذين يظن غالباً أنهم أدرى من غيرهم بأصول الجمال ، أو على الأقل ممن لا عذر لهم فى وجوب العمل على تشجيع الفن أيا كان نوعه.

من هذه الاتجاهات المختلفة وعلى ضوء هذا الخلط وعدم التقيد بقاعدة معينة أو فن معروف بدأت فاتحة اتجاه جديد فى أمريكا ، هذا الاتجاه هو إشغال أصغر مساحة من سطح الأرض بأكبر عدد ممكن من طبقات العمارات والبيوت ، وساعد على ذلك عدم إمكان التوسع فى مساحة مدينة واحدة أكثر من المعقول ، إذ لا يجوز أن تسافر ساعتين من طرف إلى الطرف الآخر فى بلدة واحدة ، هذا إلى جانب نمو عدد السكان نمواً هائلاً .

وأولى هذه العمارات بيت بيركشير فى نيويورك ؛ فقد بنى شاملاً لتسع طبقات ، وتدرج الحال حتى وصل إلى مائة وعشرين طبقة وأزيد! ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد ؛ بل سار كل فى اتجاهه حسبما أراد وتبعاً لما تسمح به دولاراته ، فتجد إلى جانب بيت يناطح السحاب منزلاً لا يتجاوز خمس طبقات .

وبعد أن كانت أمريكا تقلد أوربا فى أول الأمر ، أصبحت أوربا تقتبس من أمريكا وتقلدها . وطغت هذه الموجة على القاهرة أيضاً فأصبحت ترى عمارات يبلغ عدد طبقاتها عشراً وثلاث عشرة بنيت كلها متلاصقة أو متجاورة لا ينفذ إليها نور ولا هواء ، مع أننا لسنا فى حاجة ماسة إلى مثل هذا المنهج السقيم ، لا سيما وأن عدد سكانها ضئيل جداً بالنسبة إلى مدن أمريكا الكبرى ، ومساحة القاهرة أكبر نسبياً من مساحة تلك المدن .

ش ٤ — كابيتول واشنجطون (تصميم والتر)

(له بقية) أحمد موسى

صوت الآنسة أم كلثوم

من الوجهة الفنية

يعتبر صوت أم كلثوم أجمل وأكمل وأقوى صوت نسائى فى العصر الحديث . ولعله أخلد الأصوات جميعاً فى تاريخ الطرب بعد صوت (ألمظ) زوجة عبده الحمولى ومطربة الخديو إسماعيل .

فهو يمتاز بتكوين سليم لاعيب فيه ، وبضبط نسب مقاماته ضبطاً محكماً لايحتاج لشرح ولا تحليل لأننا جميعاً نسمعه .

فهو غنى بتريولاته (ذبذباته) التى تفعل فى النفس فعل السحر أو أكثر، والتى تعطى السامع لوناً لامعاً ونبرة صافية غنية بكل الدوافع التى تسلب الإنسان حسه ونفسه .

يتكون من (ديوانين) تقريباً. وهو من نوع (الكونترآلتو) (والميزوسبرانو) ويبلغ ١٥ مقاماً تقريباً (١٢ كونترآلتو) و (٣ ميزوسبرانو)

أم كلثوم أقوى مطربة فى الشرق ، تتصرف فى عقود النغم وعنصره تصرفاً فنياً سليماً . فهى مثلاً تتصرف فى العقد الأول (بياتى ذى الأربع على الدوكاه) وتتصرف فى العقد الثانى (راست ذى الأربع على النوى). كذلك عشاق ذى الأربع على النوى ، والحجاز ذى الأربع على النوى . وتهبط من البياتى ذى الأربع على الدوكاه (نغمة السكاه جهار)

وكل هذا لا يخرج عن عقود النغمة وعنصرها ولا يؤذى أذن السامع بل يصور له ذوقاً رفيعاً سامياً فى التصرف . وفى تذوق النغم وفهمه .

وهى أقدر المطربات قاطبة فى فن الإلقاء . وفهم الغناء ، وإعطاء كل كلمة المعنى الذى يترجمها ترجمة صادقة . وأكبر الظن أن هذا يرجع إلى أنها اشتغلت كثيراً مطربة ومغنية (للقصائد النبوية) فى المدائن والقرى .

تجيد كل ما تغنيه : فى الطقطوقة ، والدور ، والتوشيح ، والمنولوج ، والقصيدة ، لا تستطيع أن تسمو فى ناحية على الأخرى ولا فى نوع على نوع ، لأن التوفيق يأبى إلا أن يلازمها فى جميع ما تغنى .

تدين للملحنين بكثير من مجدها ، وإن كانت هى لا تحب أن تعترف بهذا

تعزف على العود ، وتفهم فى علم النغم ، وتلم إلماماً بسيطاً ببحور الشعر وقوافيه .

سننتظر طويلاً حتى نجد صوتاً كصوتها ، وتصرفاً كتصرفها ، وذوقاً فنياً كذوقها .

محمد السيد المويلحى

رسالة الشعر

جيش أسامة

للأستاذ أنور العطار

ضجَّ مَهد الصحراء بالتغريد   وسَرى النور فى رمال البِيد
هو ذا فى غَيَابة البعد خطٌّ   ينجلى من سَرابها المعقود
سال ذَوْبُ النضار فى مصحف الأفْ
ق فزانَ الدنيا بحُلم رغيد
نَهَرٌ من هـداية يتلوى   فى فضاء رحْب المطاف مديد
ضم فى شاطئيه صَبَابةَ العُرْ   ب وبأس المرَسين الصِّيد
والأمـير الفتىَ يَدَّرع البيـ   ـد بجيش من الكماة عديد
رفرفت رايةُ النبى عليـه   ورعته بالنصر والتأييـد

مَن هو القائد الفتىُ وما يَنْ   شُد فى قصده الطَّرُوح البعيد
ولمن هذه الزُّحوف تَوَالى   كوفود تنهلُّ تِلوَ وفود
يقدُم الفيلق الذى أفزع القفـ   ـر وهز النجود إثر النجود
تتمشى فى سُبْله البيد نشوَى   ثملاتٍ برملها العِربيـد
يا صحابى هذا (أسامة) يختا   ل يِبُرْد من الشباب نضيد
رأس الأكرمين وهو ابن عشريـ   ـن بعزمٍ ماضٍ ورأى سديد
وعليه جراءة الأسَـدِ الوَرْ   د وتحديقةُ العُقاب الصيُود
يا له قائداً نمتـه البطولا   ت وألقت إليه بالإقليـد
والبطولات شعلة الأمل السا   طع فى ظلمة الليالى السود

حدث النفس وهو يحلم جذلا   ن بنصر دانى القطوف عتيد
إيه يا نفس لا تَرُعْك المنايا   فالمنـايا أمنية الصنديد
أطلبى المطمحَ القصىَّ مداه   ودعى الضعف للجبان الرَّقود
واذكرى نائماً (بمؤتة) باع النـ   ـفس زُلْفَى رب البرايا الحميد
وانهضى للجهاد فى نصرة الحـ   ـق وبثي رسـالة التوحيد
ودعى اسم النبي تعبقْ به الدنـ   ـيا وترتع فى عالم من سعود
وتلاقى الجمعان فارتجت الأر   ض وغابت فى العاصف المشهود
هل رأيت الأتِىَّ يُزبد جيّا   شاً ويرمى الجلمود بالجلمود
وتعالت فى القفر تكبيرة اللـ   ـه فدوَّى الوجود بالتحميد
ثبت المسلمون فى لقية الرو   م وغاصوا فى القسطل المزرود
وفَرُوهم بكل ماض صدوق   كصباح يفرى الدجى بعمود
لا يُرى منهمُ ضحى اليوم إلا   آيسٌ من نجاته أو مُود
وأُسودُ الصحراء قد غنموا النصـ   ـر وفازوا بالمأمل المنشود
مَنْ يُرِدْ فرحة النعيم المرجي   يصدق الله فى ظلال البنود

الصحارى يا سحر هذى الصحارى   آيةُ الله فى كتاب الوجود
نورة الشمس فى خِضَمٍّ من النو   ر سحيق نائى المرام عهيـد
الأواذىُّ فى حماها تَنَزَّى   قاذفات باللاهب الموقود
يا لها الله من جحيم تَلَظَّى   تخطف الروع من جنان الجليد
هى للائذ المحب أمانٌ   وهى للغاصبين نار الوعيـد

أى زهو تثيره هـذه البيـ   ـد بقلب بحبهـا معمود
نهض الفجر فى حماها بهيا   حافلا بالسنا النقىّ الفريد
عانقتها الأضواء في هبة الصبـ   ـح فأزرت باللؤلؤ المنضود
سكبت فى فضائها المسجد الصر   ف وحلَّتْ أفياءها بالعقود
أشرق اليمن من محاريبها الزُّهـ   ـر ومحرابها محط السجود
ها هنا يا صحابتى معبـد الله   ـه على غابر الزمان الأبيد

لله... !!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« سألتنى القوت حسناء ، وهى لا تدرى أنى ... شاعر ! »

مَالى أرَاكِ اليَوْمَ ؟... نَارُ الضَّنَى
تَـكَادُ مِنْ عَيْنَيْكِ تلقِي الشَّرَرْ !

رُفَاتُ نُورٍ فِيهما لِلْمُنَى … رَغْمَ المآسِي عَبْقَرِيُّ الحَوَرْ
ونَعْشُ أحْلامٍ طَوَاهُ السَّنَا … وَسارَ ... لا يَعْلَمُ أيْنَ المَفَرْ
أيْنَ ؟ ! وَلَمْ تُبْقِ اللَّيَالِي بِنا … مِنْ رَحْمَةٍ تَأسُو جِرَاحَ القَدَرْ
لا تَنْدُبِيهِ عِنْدَنَا ... إنَّنَا … أقْسَى قُلُوباً مِنْ صَفَاةِ الحَجَرْ !

والصَّوْتُ.. ماذا فى صَدَى نَبْرِهِ ؟ … أنِينُ ثُكْلٍ أمْ نَشاجِي يَتِيمْ ؟!
شاكٍ أذَابَ الرُّوحَ فى جَمْرِهِ … لَـكِنَّهُ رَغْمَ التَّشَكِّي رَخِيمْ
سَاقٍ مَضَى بِالدَّمْعِ فى دَهْرِهِ
يَسْقِي الحَزَانَى مِنْ شَرَابِ الجَحِيمْ
لَوْ طَافَتِ الدُّنْيَا عَلَى خَمْرِهِ … لَما صَحا فى البُؤْسِ مِنها نَدِيمْ
لَـكِنَّها صَمَّاءُ عَنْ سِحْرِهِ ... … مَا يَفْعَلُ الشَّادِي لِسَمْعٍ لَئِيمْ ؟!

***

وهٰذِهِ الـكَفُّ الَّتِي ما تَرَى … مِعْصَمَهَا البارِي لِغَيْرِ السِّوَارْ !
بَيْضاءُ كالزَّنْبَقِ فَوْقَ الثَّرَى … أَلْقَتْهُ رِيحٌ فى هَجِيرِ القِفَارْ
الذُّلُّ سَوَّى حُسْنَهَا مِنْبَرَا … يَهْتَزُّ بِاللَّيْلِ فَيُبْكِي النَّهَارْ
والنَّاسُ مَلُّوا شَدْوَهُ... يا تُرَى … لِمَنْ يُنَادِي يا تُرابَ الدِّيارْ ؟
سائِلَةَ القُوتِ بِهَذَا الوَرَى … كُفِّي ... فما تَلْقَيْنَ إلاَّ الخَسَارْ !

***

الثَّغْرُ رَفْرَافُ الهَوَى لِلْقُبَلْ … لـكِنَّها ذابَتْ عَلَى بُؤْسِهِ
والصَّدْرُ نامَتْ فى أسَاهُ الشُّعَلْ … وَاهْتاجَ لِلْقُوتِ لَظَى حِسِّهِ
والسِّحْرُ فى الأجْفانِ يَنْعَى الأمَلْ
وَيَسْأَلُ الخَيْبَةَ عَنْ رَمْسِهِ !
بِنْتَ الطَّوَى ! ذُوبِي بُكاءً وَهَلْ … يَوْمُكِ إلاَّ مِنْ صَدَى أمْسِهِ !
الدَّهْرُ بِالرُّكْبَانِ لاَهٍ ثَمِلْ … والحَظُّ مَطْوِيٌّ عَلَى نَحْسِهِ !
سَألْتُها : ما بالُ هَذَا الجَمالْ
أسْيَانُ فى الدُّنْيا ، حَزِينٌ ، لَهِيفْ ؟!
ماتَ الهَوَى فى ظِلِّهِ والدَّلالْ … وفِتْنَةُ اللَّمْحِ ، وسِحْرُ الرَّفِيفْ
وَاصْفَرَّ حَتَّى عادَنِى فى الخَيالْ … رَيْحانَةً أبْلَى شَذَاها الخَرِيفْ
قالَتْ : مَحاسِنِي ذُلُّ السُّؤالْ … وَخَيْبَةُ الحَظِّ لِحُسْنَى العَفِيفْ
إنْ قُلْتُ : قُوتاً ! قالَ إثْمُ الرِّجالْ :
بِالعِرْضِ لاَ نَبْخَسُ حَقَّ الرَّغِيفْ !

محمود حسن اسماعيل

ها هنا مشرق النبوة ، مهوى الـ … ـخير مجلى الحلم السنيّ السعيد
ها هنا دارة الهناءة والبشـ … ـر وما شئت من سخاء وجود
ها هنا البأس والجراءة والحز … م ومستعصم الفخار الوطيد
ها هنا معقل الغطارفة الغـ … ـر ومستوطن العلاء التليد
هاهنا السيف صورة الأمل البكـ … ـر وترنيمة الشجاع النجيد

وعلى البيد صورة تبهر العيـ … ـن جلالا بسحرها المسرود
طوّف الدين ساحها ثم أسرى … يغمر الكون بالضياء الجديد
أسمع الرمل يملأ الأرض تسبيـ … ـحاً بشدو محبب مودود
هدهدته قيثارة تتغنى … بلحون قدسية الترديد
جازه العُرْب فى مواكب للنصـ … ـر تفادى على اللواء المجيد
أذن الله للصحارى فماجت … ساحتاها بقاحمين أسود
يا جنود الحق المبين سلام … أنتمُ للعلاء خير جنود
بكم عزت الحنيفة فى الكو … ن ونالت شأو المرام البعيد

فتحوا الأرض فاستقادت لفتح … ناصع كالسماء هاد رشيد
غيرهم يفتحون للذل والعا … ر وهم للعلاء والتشييد
ثم دال الزمان من بأسه الغـ … ـر فقرت سيوفهم فى الغمود
واستكانت إلى الكرى فعلتها … صدأ الدهر من طويل الهمود

« بغداد » أنور العطار

الدمـــــوع

مترجمة عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان ريكاردس أرملاً يعيش مع ابنته الوحيدة . وكان كثير التنقل من مسكن إلى مسكن ، ولكنه لم يترك لوندرا فى وقت من الأوقات . وكانت المساكن التى يقيم فيها من النوع الحقير الذى تؤجر فيه كل غرفة على حدة ، وتدفع أجرتها مقدماً

وكان كثيراً ما يلجأ إليه المجرمون للاستشارة ، فيفتيهم بما يدفع عنهم العقاب أو يجد لهم الوسيلة للخلاص . ولكنه هو نفسه لم يكن مجرماً ، وإن اعتمد فى رزقه عليهم وعلى مؤلفات صغيرة يضعها عن المجرمين والإجرام

كان أكثر زواره من طبقة الحدادين والنشالين واللصوص المبتدئين وخدم المنازل . وكانوا يطلقون عليه لقب (العلامة لتفننه فى ضروب الحيل)

وكان يقول لهم إنه قضى الشطر الأول من شبابه طالباً فى جامعة اكسفورد ، وإن له أصدقاء من بين الوزراء واللوردات . وكانوا يجدون أمامه كلما زاروه أكداساً من الكتب ، ومجاميع من صور العظماء . وكانت بنته فيوليت ذهبية الشعر جميلة العينين رشيقة القد . وهى تقوم فى المنزل بكل أنواع الخدمة ، من الطبخ إلى الكنس إلى مشترى الحاجات من السوق . وكانت زكية نشيطة ، وقد بدأ أبوها يحد من حريتها ويراقبها مراقبة شديدة لما بلغت عامها الرابع عشر . وذلك لأنه لاحظ أن بعض زواره كانوا يغمزونها بألحاظهم، وظن أنها كانت تنتهز فرصة يكون فيها غافلاً فتبسم لا حدهم . وقد لاحظ مرة أو مرتين أنها تركته فى أثناء حديث له معتذرة بعذر من الأعذار . ولكن اتضح أن العذر مكذوب ، وأنها خرجت لتحادث أحد الشبان على السلم

وكان فى مثل هذه الحالة يغضب ويحتد ويطرد زائره ويأمره بعدم العودة ، ثم يستدعى فيوليت فيأمرها بملازمة حجرتها

وفى يوم من الأيام استأذنته فيوليت فى الذهاب إلى السينما مع أحد أصحابها فقال : « كلا لا تذهبى »

قالت : « حتى ولا مع سوانى جيمز ؟ » . فقال : « لا تذهبى مع أى إنسان »

قالت وقد بدا عليها ما يبدو على سائر الفتيات فى حالة العناد : « ولكننى أريد أن أذهب فلماذا تمنعنى ؟ » فقال : « لأنى آمرك بعدم الذهاب »

فهزت رأسها الجميل الشعر وقالت : « هب أننى ذهبت بالرغم من منعك ؟ » . فقال : « إذن أضربك عند عودتك »

قالت : « وهب أننى لا أعود إلى المنزل ؟ » . ثم اغرورقت عيناها الجميلتان بالدموع وقالت : « هب أننى ألقيت بنفسى تحت الترام أو القطار أو فى البحر ؟ »

فهز العلامة كتفيه وأجابها بجواب خشن . واعتادت أن تسكت عند مثل هذه الحالة وتكف عن مطالبته بالذهاب

ولكن لا يحسب القارئ أن معاملته إياها كانت خشنة على الدوام ، فقد كان كثيراً ما يلاطفها خصوصاً إذا شرب وانتشى ، ويصفها بأنها عزاؤه وتسليته ويقول لها إن أمها أوصته وهى تموت بأن يعنى بها، وإنه لهذا السبب يحرص عليها ويبذل من أجلها كل ما يستطيع ، وإنه إذا منعها عن جيمز وأمثاله فإنه يعلم أن أمثال هؤلاء سيجرون إليها المتاعب فى المستقبل، وإنه سيجد لها الزوج الكفء فى الوقت المناسب

لـكن كل شيء من هـذا قد ذهب وفات أوانه وأصبحت فيوليت فى السابعة عشرة فلم يعد يستطيع تهديدها بالضرب ولم تعد تجدى معها النصائح ، فإذا ما أراد إرغامها على رأيه هددت بالانتحار فيضطر إلى الإذعان . ولم يعد له من سلاح غير لسانه الذى يلجأ إليه فى قليل من الأحيان

وكانت فى هذه الحالات تلجأ إلى الدموع

ولما تجاوزت العام السابع عشر وجد أبوها وسيلة جديدة للرزق هى إرسال خطابات يطلب فيها المساعدة من كبار المؤلفين والـكتاب وإلى من يقيمون من أنفسهم مقام الرعاية لحملة الأقلام. وكان يقول فى خطاباته إن حرفة التأليف كسدت فى مدة الحرب وفى العهد الذى تلاها. وإنه يرتزق من قمه، وإنه لا يملك حتى طابع البريد الذى يرسل به الخطاب ، وإنه لذلك يبعث به مع ابنته الوحيدة فيوليت .

ثم يسلم الخطاب إلى ابنته ويأمرها بأن ترتدى أقدم ثيابها وتضع فى كفيها قفازين باليين ، ويبحث فى فهارس الـكتب عن أسماء المؤلفين وعناوينهم ، ويوصى ابنته بأن تتصنع الـكآبة وتزعم أنه ليس فى المنزل طعام وبأن تقلل معهم من الـكلام بقدر المستطاع

قالت : « وهل أقول ليس فى المنزل شراب أيضاً ؟ » فقال : « إياك أن تذكرى اسم الشراب ، ولتقفى حتى يسلم إليك الرد »

وفى أول مرة كلفها بذلك ذهبت وعادت فوضعت أمامه عشرة جنيهات فاستخفه الطرب وقال : « كيف أمكنك الحصول على كل هذا ؟ »

فقالت: «لقد فعلت كما أمرتنى ، فأبى الرجل أن يعطينى شيئاً ولـكنى بكيت »

قال : « بكيت ؟ كيف ؟ هل آذاك ؟ »

فقالت : « كلا »

قال : « ولـكن كيف تبكين ؟ هل تأثرت من ذهابك بهذه الرسالة ؟ » فقالت : « كلا يا أبى ، ولـكنى وجدت البكاء وسيلة لتنفيذ المهمة التى ذهبت من أجلها »

قال وقد بدت عليه علائم الراحة والاطمئنان : « خبرينى يا فيوليت . هل فى استطاعتك البـكاء كلما أردت ؟ » . فقالت : « نعم . فإن معاملتك إياى منذ الصغر سهلت علىَّ اصطناع البكاء »

فلاطفها وواساها وقال : « تعالى يا ممثلتى العزيزة . إننى أهنئك بمستقبل باهر »

وكان ذلك اليوم بداية عهد جديد ترك فيه العلامة إفتاء المجرمين وترك حرفة التأليف ، وعكف على تحرير الخطابات وإرسال ابنته بها

ولقد أغنته هـذه المهنة فأيسر ، ولـكنه ما زال عاكفاً على إرسال الخطابات

وفى يوم من الأيام جاءت إليه الخادم بخطاب وقالت : إن الفتاة التى حملت هـذا الخطاب تنتظر مقابلته بالباب . فقال : « أسمعينى ما فى خطابها » فقرأته ، وهو خطاب من مؤلف كسدت سوق بضاعته ، وليس فى منزله طعام ، ويريد مساعدة مالية لا تقل عن عشرة جنيهات

قال ريكاردس : « أطردى التى جاءت بهذا الخطاب » . فقالت الخادم : « أخشى يا سيدى ألاَّ يكون هذا فى استطاعتى . إنها تبكى وحالتها مؤثرة جداً ، وتقول إنه ليس فى منزلها طعام »

قال : « اطرديها . فلماذا يلجأ إلىَّ من أرسلها ؟ عنده نقابة المؤلفين ، وعنده الجمعيات الخيرية المختلفة »

فخرجت الخادم وهى تفكر فى وحشية سيدها الذى يأمر بطرد فتاة مسكينة لا تجد هى ولا أبوها القوت الضرورى . ثم عادت فقالت: إن الفتاة أبت أن تنصرف ، وألحت عليه أن يقابلها. فنزل ريكاردس ووجد الفتاة فى ثياب سوداء وفى يدها قُفاز كله ثقوب . وبكت أمامه بدموع حارة ، وأقسمت بصوت متهدج ، أنه ليس فى منزلها قوت . فاضطر ريكاردس أمام هذه الدموع إلى إعطائها خمسة جنيهات »

وربما أدرك القارئ أن تلك الفتاة لم تكن سوى فيوليت متنكرة ، وقد غيرت صوتها ، وأنها تمثل أمام أبيها نفس الدور الذى كان يرسلها لتمثيله أمام الناس

وفى يوم قريب من هذا الحادث طلبت فيوليت إلى أبيها أن يأذن لها بالذهاب مع جيمز للنزهة. فأبى وأصر على إبائه، وأطاعته وقد كظمت غيظها وأصرت على فكرتها

فى عصر ذلك اليوم سلم إليها أبوها خطاباً إلى أديب كبير فى ضاحية من ضواحى المدينة لأنه كان قد استنفد أسماء المقيمين فيها، فذهبت لأداء هذه المهمة بعد أن زارت مكتب أبيها وأخذت منه أوراقاً

وانقضى اليوم ولم تعد ، وانقضى اليوم التالى كذلك ، وكاد أبوها أن يجن ، وأشيع أنها تزوجت من جيمز وأنها تقيم معه فى منزل قريب من منزل أبيها

وتفقد مكتبه فوجد كيس نقوده مفقوداً ، وكذلك دفتر مذكراته الخاص وبيان طويل بأسماء المؤلفين وعناوينهم ، فكان حزنه على البيان والدفتر أكثر من حزنه على المال المفقود لعلمه أن هذين هما مصدر ثروته . وأدرك أنها ذهبت إلى جيمز لتؤدى له الخدمة التى كانت تؤديها لأبيها فامتلأت نفسه بالأحقاد على هذا المزاحم

وبعد أسبوع واحد تقابل ريكاردس وجيمز فى الطريق فأمسك الأول بتلابيب الثانى ، وطلب إليه أن يرد ابنته أو يسوقه إلى البوليس، لأن فيوليت لم تبلغ العام الحادى والعشرين فلا حق له فى الزواج منها إلا بإذن أبيها . وقال إنه إما أن تكون معاشرته إياها سفاحاً معاقباً عليه لعدم بلوغها تلك السن ، وإما أن تكون متزوجة بعقد مزور

قال جيمز : « إذن فلنذهب إلى البوليس وأنا مستعد للعقوبة إن كان ثمت عقوبة ، ولكنى سأقدمك للمحاكمة وعندى الأدلة بخطك من دفتر مذكراتك ، ومن بيانك بأسماء المؤلفين . وسأقول إنك تعيش من أموال تحصل عليها بطريق النصب لأنك تطلبها بأسباب غير صحيحة ؛ وبنتك تشهد عليك »

لما سمع ريكاردس ذلك وجف قلبه وفتر تحمسه وترك خصمه وذهب قانعاً من الغنيمة بالإياب

وفى اليوم التالى نشرت الصحف إعلاناً هذا نصه :

« رجل من المشتغلين بالأدب متقدم فى السن يريد أن يتبنى فتاة يتيمة فى السابعة عشرة من العمر . العنوان : صندوق البريد رقم ٧٣١٥ »

وليس فى استطاعتى إلا أن أفهم أن صاحب هذا الإعلان هو ريكاردس وأنه يريد الاستعاضة باليتيمة عن بنته وممثلته فيوليت .

عبد اللطيف النشار

الدكتور طه حسين في ذكرى الأستاذ صادق عنبر

دعت (رابطة الإصلاح الاجتماعي) جمهوراً كبيراً من رجال العلم والأدب والصحافة إلى حفلة أقامتها بدار الجمعية الجغرافية الملكية بمناسبة مرور عام على وفاة المرحوم الأستاذ صادق عنبر . وقد افتتح الحفلة الأستاذ أنطون الجميل بك بكلمة بليغة ثم تعاقب الأدباء والعلماء من أصدقاء الفقيد وتلاميذه والمعجبين بأدبه ، فتكلم الأستاذ جاد المولى بك عن شخصيته ، والاستاذ المهياوى عن أدبه ، وألقيت قصيدة للأستاذ الكاشف ، وألقى الأستاذ محمود بيرم التونسى زجلاً رقيقاً ، والشاعر الشاب أحمد عبد المجيد الغزالى قصيدة

وكانت الحفلة تليق بذكرى الفقيد الراحل وتدل على أن الأديب يعيش فى أدبه العالى ويمتد عمره فى أصدقائه الخلصاء

وهنا مسألة لا بد من الإشارة إليها ، فقد ذكر الأستاذ المهياوى أن الأستاذ صادق عنبر هو الذى كان يكتب تلك المقالات المعروفة فى نقد النظرات للمنفلوطى ، وأن الدكتور طه لم يكن له فيها إلا الإمضاء ؛ وقد أيده الأستاذ عبد الرحيم بن محمود فى هذه الدعوى الجريئة ؛ وأذكر أن كاتباً كتب مثل هذا الكلام منذ سنوات فى مجلة الزهراء

ونحن بشهادة العيان ننكر هذه الدعوى أشد الإنكار ، لأننا كنا مع الدكتور ساعة كان يمليها ويدفع بها إلى الجريدة ، وقد ذكرنا فى بعض مقالاتنا أسباب ذلك . ولا ندرى كيف يسيغ العقل هذا والدكتور طه كان يومئذ أقل من الأستاذ صادق عنبر سنًّا ونفوذاً وشهرة . وما الحكمة فى أن يكتبها الأستاذ عنبر ويمضيها الدكتور طه وذاك موظف فى جريدة (العلم) وهذا أجنبى عنها ؟ إن الدكتور طه يأبى عليه طبعه أن يضع اسمه هذا الوضع ، وإنا لنعلم أنه نحل كثيراً من الناس مقالات وبحوثاً وكتباً نالوا بها الشهادات والدرجات والثروة

فلم « الدكتور »

تعرض « شركة مصر للتمثيل والسينما » هذه الأيام فى مدينة القاهرة شريطاً مصرياً محضاً عنوانه « الدكتور » . وبعيد أن أقف هذه الكلمة على العرض والوصف والبحث ؛ فإنما الذى فى نيتى أن أحدث قراء هذا الباب من « الرسالة » عما خلص لى من قصة « الدكتور » . وذلك لأن الذى يعنينى من المظاهر الأدبية والفنية فى مصر إنما يرجع إلى الناحية الاجتماعية خاصة

أما تمثيل القصة فيدلنا على أمرين : الأول مهارة الممثلين المصريين فى فن « المهزلة » Comédie (مثلاً مختار عثمان وفؤاد شفيق) ، ولن أنسى ساعة يدخل الخادم الريفى على الباشا وزوجه فيجرى حديث صامت يُضحك المصلوب . والسبب فى ذلك أن التمثيل فى مصر قام — أول ما قام — على المسرحيات الهزلية ، وأن سليقة المصرى إلى الخفة والظرف والمرح والمحاكاة الساخرة ميالة . وأما فن المأساة فالمصرى لا يتقنه بعد لأنه لا يحكم كيف يمثل الإنسان ، الإنسان من غير صفة تصفه ، الإنسان على سجيّته . وتعليل هذا أنه تجذبه المبالغة فى التعبير على الغالب وتعوزه قوة الصدق فى الإحساس الدفين أحياناً

والأمر الثانى مضىّ الممثلات فى طريق الإتقان ، من حيث أنهن طرحن التكلف وسلّمن بأن التواضع فضيلة وأدركن أن الكلام الملقى مصدره القلب أو العقل لا الذاكرة ولا الدعابة « الشخلعة » ... وماضرّ الأستاذ سليمان نجيب وهو بطل القصة (مع لقب بك) لو حذا حذوهن فتحلّى بالبساطة وأطلق وجهه من الإطار الذى حبسه فيه : إطار يغلب عليه الجفاء ويطّرد فيه الانقباض مع شىء من العجب ؛ إطار يحصر ابتسامة لا تتبدّل

كأنها مسمرة به، ولا تَرِف لأنها على حظ من التقبّض

بقيت القصة (وهى من تصنيف الأستاذ سليمان نجيب).
ومجمل القول فيها أنها تصلح موضوعاً لخطبة يخطبها مصلح اجتماعى متطرف. وإليك فقرات من البرنامج المطبوع، وقد ذكرت بحروفها أو بمعانيها فى أثناء التمثيل:

« فلم الدكتور صراع بين الحب العاطفى والحب الأبوى »، « مشكلة العصر: الرجل، المرأة: أيهما يسود » « فيلم الدكتور يعالج داء قاسياً داء التماسك بالطبقات والتغاضى عن قيمة الأشخاص » « فلم الدكتور يعيد إلى الريف المصرى مجده وعظمته ويرد إليه أبناءه الذين سحرتهم مدنية المدن وبهاؤها البراق الخداع »، « حياة اللهو وحياة الاستقامة: أيهما أفضل »، « حياة الترف فى الحضر وحياة البساطة فى الريف » الخ ...

يالله ما هذا الداء المتفشى فى المؤلفين عندنا ولا سيما الذين يؤلفون للمسرح والسينما؟ يريد كلهم أن ينقلبوا وعاظاً. فهل لهم — أصلحهم الله وأبقاهم ذخراً للفضيلة ومكارم الأخلاق! — أن يضعوا العمائم على رؤوسهم، أو يجلسوا القلانس على مقدَّمها فيرتقوا المنابر ليوعدوا خلق الله أو يعدوهم؟

ما هذا التهويل؟ الأديب المصلح يشير ويغمز لأن الأدب فن، أو يظن المؤلفون عندنا أن جمهورنا بليد أية بلادة حتى أنه يحتاج إلى التنبيه الصريح؟ ثم ما هذا الادعاء؟ هل سألهم الجمهور أن يسقطوا الفن إلى التأديب؟ وما هذه المشكلات التى يعرضها شريط « الدكتور »؟ الحب العاطفى والحب الأبوى، الريف والحضر. اللهو والاستقامة . . . تلك أحاديث طريفة جداً حقاً!

ثم إن مثل هذا اللون من القصص السينمائية الناهضة على الوعظ والنضال الفكرى يعوزه أجل العناصر شأناً: الحركة، نقاش وتدافع حجج وتبيين وتدليل، كل هذا ربما صلح للمسرح إلا أنه بعيد كل البعد عن السينما

و « الدكتور » — على هذا — يشمل قطعاً لطيفة بفضل حذق المخرج نيازى مصطفى وجودة الموسيقى على أيدى محمد الشجاعى وعبد الحميد عبد الرحمن ومهارة طائفة من الممثلين (وقد ذكرت بعضهم فوق) والممثلات أمثال فردوس محمد فدولت أبيض فأمينة رزق. فلا عدمنا « شركة مصر للتمثيل والسينما »

على الهامش: — متى يأتى الزمن الذى فيه نزن الكلام؟ فى البرنامج المطبوع ما حرفه: « فيلم الدكتور أروع ما جادت به قريحة مؤلف (هل هنالك غلطة مطبعية فتقرأ: المؤلف) وأعظم ما أخرجته عبقرية مخرج » (كذا) ... رحم الله هوليوود!

— كانت لغة القصة العامية على وجه الإطلاق، بل العامية السوقية أحياناً. ومهما يكن من شىء فقد ساء أذنى قول الآنسة أمينة رزق « يا دَكتور » (بفتح الدال) و « يا دُكْتر » (باختلاس الواو). وقد يحق لها هذا اللحن لو كانت ترتدى « ملاية لَفّ » والحال أنها تنعم فى « فساتين » على جانب عظيم من الأناقة

بشر فارس

معهد للغات الشرقية القديمة والحديثة

من المسائل التى نظرها مجلس جامعة فؤاد الأول، فى آخر الأسبوع الماضى مذكرة من كلية الآداب بمشروع قانون بإنشاء معهد للغات الشرقية

وقد قرر المجلس إحالة المشروع إلى لجنة اللوائح والقوانين لدراسته ووضعه فى الصيغة القانونية

وقد علمنا أن هذا المعهد سيضم ثلاثة أقسام: الأول خاص باللغات الشرقية الإسلامية القديمة. والثانى خاص باللغة السامية. والثالث خاص باللهجات العربية القديمة والحديثة. وربما تقرر أيضاً تدريس اللغات الفارسية والتركية والصينية

وسيقصر دخول هذا المعهد على طلاب كلية الآداب الذين يحصلون على درجة الليسانس، وستكون مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات. والمفهوم أن تلاميذ قسم اللغة العربية هم الذين سيمونون المعهد. ولكن سيباح لطلاب الأقسام الأخرى أن يتقدموا إليه إذا تحققت فيهم الشرائط التى تستوجبها الكلية فى الطلاب

التعليم الدينى فى المدارس

قامت وزارة المعارف فى خلال العام الماضى بجهود مشكورة للتوسع فى التعليم الدينى بمدارسها، عاملة على جعله أساساً للنهضة القومية الحديثة، وتنشئة الطلاب على مبادئه وآدابه تنشئة تقوم

عليها تقوية الأجيال المقبلة روحاً وعقلاً ونظاماً

وتقوم الوزارة الآن سيراً على هذا النهج بإعادة النظر فى هذا الموضوع من حيث الاعتبارات الآتية :

١ — تقدير أثر العناية التى بذلتها الوزارة أخيراً بمناهج الدين

٢ — المقارنة بين المناهج الحالية والمناهج السابقة من وجهة خطوات التعديل

٣ — الاطلاع على مبلغ عناية المدرسة وتلاميذها بهذه المادة بدراسة تقارير المفتشين

٤ — وضع بيان بالموضوعات التى يجب أن تشملها كتب الدين المقررة لمدارس الجنسين ، واختبار وفاء الكتب الحالية بهذه الموضوعات

٥ — النظر فى هل تقصر العناية بالدين على ما بين المدرس والتلميذ من تجارب يرجع إلى مقدرة كل منهما ، أو العمل على جعله مادة أساسية يمتحن فيها الطلبة فى آخر العام مثل غيرها من مواد اللغات والعلوم

وتتجه العناية أيضاً إلى اختيار مدرسى الدين من بين الذين أهلتهم ثقافتهم إلى عدم الاعتقاد بوجود تعارض ما أو جفوة بين تطبيق تعاليم الإسلام وبين مقتضيات العصر الحاضر ، وهم الذين عرفوا أسرار الدين معرفة عقلية وقلبية دون الوقوف عند حد النظريات

ويطلع كبار مفتشى اللغة بوزارة المعارف الآن على الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع لإبداء ملاحظاتهم عليها بما يلائم هذا التوسع توطئة لوضع تقرير توجيهى للعناية الواجبة نحو هذه المادة

بعثة ألمانية للأبحاث العلمية فى الحبشة

سافر فى منتصف يناير من مدينة ميونيخ عشرة من أعلام الألمان بينهم الدكتور فون سالفلد الذى اشتغل فى الجامعة المصرية أربعة أعوام ، فى رحلة إلى بلاد الحبشة وكينيا وتنجانيقا ، للقيام بأبحاث تتعلق بعلم الانتروبولوجيا وعلم الأجناس والحيوانات ، كل هذا لحساب متحف ميونيخ الطبيعى

ورأس هذه البعثة العلامة الدكتور هارتل مار الذى سبق أن تولى رياسة مثل هذه البعثات من قبل فى أفريقيا أو الهند

ولا شك أنها ستجد كل معاونة من السلطات الإيطالية فى الحبشة

ترقية الأغانى المصرية

تقوم وزارة المعارف الآن بمشروع هام لإصلاح ناحية لها خطرها فى النهضة الاجتماعية العامة عند الشعب ، وهى ناحية الغناء والموسيقى . فقد لوحظ من زمن بعيد أنه على الرغم من الخطوات الواسعة التى خطتها مصر فى سبيل مجدها وقوتها وثقافتها فإن الجانب الفنى منها ، والجانب الغنائى على الأخص ، لا يزال متأخراً عن الهدف الرفيع الذى تتمشى إليه

ويلخص مشروع الوزارة فى أن تعهد إلى طائفة من الشعراء الممتازين تأليف خمسين قطعة غنائية فى مختلف الموضوعات التى تفى بما يجب توفره فى أغانى أمة قوية ممتازة ناهضة ، على أن تعهد إلى طائفة أخرى من كبار الملحنين وضع الألحان المناسبة لها

وستترك الحرية لهؤلاء الشعراء والملحنين فى القيام بعملهم خاضعين فيه لوحى شعورهم وإلهامهم الخاص ، وتعطى على القطعة الواحدة عشرة جنيهات للتأليف وعشرة أخرى للتلحين . على أن يتجدد تأليف هذه الأغانى كل سنة حتى يتوفر منها العدد الكافى الذى يقضى على ما هو موجود الآن

وستتبع الوزارة فى موضوع « الأناشيد » نفس ما تتبعه فى الأغانى ، إذ رأت أن الذين يضعونها الآن من ناحية الصناعة لا ناحية الشعور يضرون بالقيمة الفنية التى لو توفرت فيها لأثمرت فيما وضعت له

ترشيح عميد الآداب لعضوية معهد التعاون الفكرى

تلقت وزارة الخارجية كتاباً من وزير الخارجية الفرنسية ، بوصفه مقرراً لمعهد التعاون الفكرى ، يرشح فيه صاحب العزة الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب عضواً فى المعهد ، لما له من أثر ظاهر فى الثقافتين العربية والفرنسية

وينتظر بعد أن توافق مصر على هذا الترشيح ، أن يعرض الأمر على سكرتيرية عصبة الأمم لإقراره

المباراة الأدبية بين رجال التعليم

طلبت وزارة المعارف ، إلى اللجان الفرعية التى كلفت لدراسة المؤلفات التى وضعها رجال التعليم فى مختلف نواحى المباراة الأدبية وبحثها ، أن تقدم تقاريرها قبل يوم ١٨ فبراير القادم

وقد بدأت الرسائل الخاصة بالموسم الثانى لهذه المباراة ترد على الوزارة توطئة لدرسها واتخاذ قرار فيها

التدريب والتكليب

استفاض على ألسنة الكثرة المثقفة قولهم « الكلب هول ومدربه فلان ... » وهو خطأ لغوى إذ الصحيح أن يقال : « الكلب هول ومكلبه فلان ... » سواء أرادوا بفلان أن يكون مسلطه على الجناة للدلالة عليهم أو هو الذى ضراه وعلمه طريقة الإرشاد إليهم ، إذ بكل من المعنيين وردت كلمة « مكلب » فى لغتنا بصدد الحديث عن كلاب الصيد ولا يصح استعمال غيرها فى هذا الصدد ، وما تسليطه على الجناة للدلالة عليهم إلا كتسليطه للصيد وتعويق المصيد .

وقد جاء فى لسان العرب ص ٢١٧ من الجزء الثانى « ومكلب مضر للكلاب على الصيد معلم لها ؛ وقد يكون التكليب واقعاً على الفهد وسباع الطير . وفى التنزيل العزيز وما علمتم من الجوارح مكلبين . والكلاَّب — بتضعيف اللام — صاحب الكلاب ، والمكلب الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . وفى حديث الصيد : إن لى كلاباً مكلبة فأفتنى فى صيدها . المكلبة المسلطة على الصيد المعودة بالاصطياد الذى قد ضريت به والمكلب بالكسر صاحبها والذى يصطاد بها »

احمد عبد الرحمن عيسى

مؤلفات موسيقى نابغ

جاءنا من وارسو أنه سيصدر فى فبراير القادم الجزء الأول من مؤلفات الموسيقى شوبان البولونى المشهور .

وسيشرف الموسيقى المعاصر المسيو بدرفسكى على إخراج هذه المؤلفات . وينتظر أن يتم إخراجها جميعا فى مدى أربعة أعوام

فياليت هذا العمل يكون له مشابه فى مصر وفى الشرق فنجد من يعنى بإحياء مؤلفات تعد من الكنوز سواء فى العلم أو الأدب أو الفن .

ولا يصعب العثور فى دار الكتب المصرية على مخطوطات إذا عمل على نشرها وإذاعتها فإنها ستكون موضع عناية أمم العالم وتصبح بمثابة دعاية قيمة تسجل لنا السير فى مضمار الأمم الناهضة فعلاً لا قولاً .

احياء ذكرى العلماء والأدباء

قررت الحكومة التركية إصدار مجموعة من طوابع البريد لمناسبة انقضاء خمسين عاماً على وفاة الشاعر القومى نامق كمال ، وستحمل تلك الطوابع صورة الشاعر وبعض كلمات من شعره

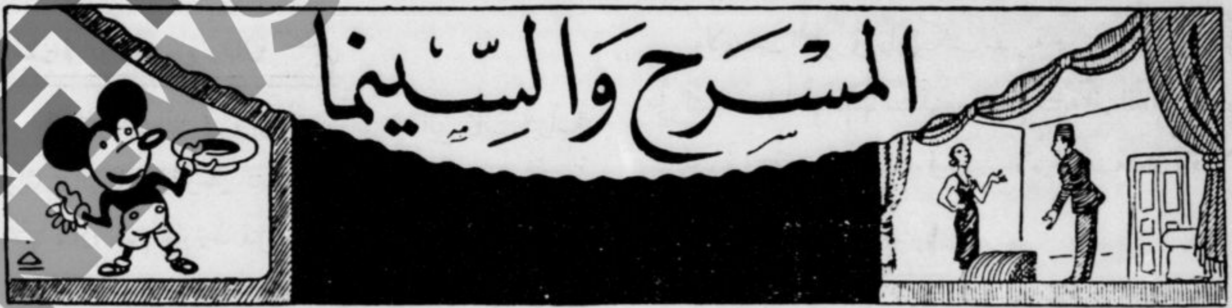

في الفرقة القومية

المخرج فلاندر وسكرتير الفرقة

الخواجة فلاندر مخرج استقدمته الفرقة من بلده باريس ليعمل فيها بعد إذ عاف الأستاذ زكى طليمات العمل ، وبعد إقصاء الأستاذ عزيز عيد عنه والاكتفاء بالمخرج عمر الجميعى ريثما يعود فتوح نشاطى الموفد إلى فرنسا للتخصص فى فن الإخراج

والخواجة فلاندر له ذوق وله فن ، وهو رغم جهله لغتنا العربية وعادات أمتنا وتقاليدها ، قد استطاع أن يساهم فى إخراج بعض روايات موضوعة فكساها رونقاً وأضفى عليها بهاء فنياً ، كما أخرج رواية مترجمة يعرفها فى الأصل إخراجاً تقليدياً لا اعتراض عليه فى الشكل المسرحى ، والحركة التمثيلية . ولا أقول شيئاً فى الإضاءة لأن معداتها ناقصة نقصاً لا سبيل إلى تداركه

ولعل أحسن الروايات التى أخرجها ، وأدناها إلى الدلالة على استعداده الفنى هى رواية « المتحذلقات » المكونة من فصل واحد

أزعم أن لمحة واحدة من الناقد يلمح لمعانها فى رجل الفن تكفى للدلالة على أن وراءها ما بعدها . فلمعان فن الخواجة فلاندر بدا فى قدرته على إلجام ممثلات وممثلى رواية المتحذلقات وتقييدهم كما يفعل مروض البغال الشموسة ومدرب الببغاوات ، وفى صدهم عن الإسراف فى العطاء أكثر من اللازم الواجب . مثال ذلك : الممثل الضحاك فؤاد شفيق كان أكبر همه استلفات النظر إلى حركاته وإشاراته ، غير آبه لإرشادات المخرجين بدعوى أنه يفهم فنه أكثر منهم ، ويدرك رغبات النظارة وميولهم ، وغير حافل بما تحدث حركاته وإشاراته من خلل فى سياق الرواية ومن صرف الأذهان عن الغرض الصارم الذى مهد له المؤلف بنكتة أو إشارة ، إذ كانت غايته كما قلت إضحاك الناس فقط

وهكذا الممثلة أمينة نور الدين فقد اقتبست بعض حركات من بعض ممثلى السينما أمثال هاردى ولوريل وأضرابهما ممن يقوم تمثيلهم على الحركة المفتعلة . ولم نكتف بالأخذ عنهم كالقردة بل أخذت تغرق فى التقليد والافتعال إغراقاً ممجوجاً وهذا ما دعانى إلى تشبيهها « بالساروخ » إذا اشتعل وارتفع فى الفضاء تبدو نجومه لامعة وضاءة بعض لحظة، ولكن كثيراً ما لا يشتعل لفساد مادته فينخنق وهو فى الأرض

أما هذا المخرج ، أو بعبارة أصح هذا المروض ، فقد استطاع أن يجعلهما يقومان بدورهما على وجه مقبول ، وهذا بعض المطلوب منه

ما كنت أبتغى الإلماع إلى هذه الناحية من النقد لولا حوافز ثلاثة :

١ — إدعاء قطب من أقطاب لجنة القراءة أن رأى النقاد المسرحيين لا يتعدى ، بل يجب ألا يتعدى ناحية إخراج الرواية وطولها وقصرها على الوقت المناسب

٢ — إدعاء قطب ثان أن ليس فى مصر نقاد

٣ — شكوى الخواجه فلاندر من سكوت الصحف وأغضاء النقاد عنه

أما أنا فلن أسكت عن دحض الادعاء وعن نفى التهمة عن الناقدين المترفعين والأدباء المنصرفين عن الفرقة اشمئزازاً من أعمال رجالها الذين يتخبطون فى ظلمات الادعاءات ، ولن أتراجع حتى أظهر العلل التى أخذت تتأصل فى الفرقة لوزارة المعارف المغضية عنها ، ولأعضاء البرلمان الذين يغذونها من مال الأمة ، ولكنى أقتصر الآن على تفهيم الخواجة فلاندر بأن فى مصر صحافة قوية ، وفيها نقاد يحسب لهم ألف حساب ، وإن مصر

تتوقل فى نهضتها الثقافية سلم الارتقاء ، وتتوجه بدوافع فردية ، لا جماعية ولا حكومية ، صوب المثل العليا ، وإن قول المغرضين أن قحطا يعتور الأدباء إنما هو محض افتراء على مصر الناهضة وشبابها اليقظ .

وإن فى الفرقة القومية — وياللأسف — جماعة ، وصلوا فى غفلة الزمن ، إلى وظيفة لم يخلقوا لها ، ومن هؤلاء موظف يقول إنه سكرتير الفرقة القومية واليد المنفذة لما يرتئيه أو يشير به مديرها والحامل « كرت بلانش » منه ، فهذا المخلوق المكلف بتوجيه الدعوات إلى رجال الصحافة وجماعات الأدباء يقبض يده عن الصحافة الناقدة ويبسطها بسخاء على الصحافة التى تنشر المدائح والتقريظ مأجورة بالمال ، ويفيض بها فيضاً على من لا أذكرهم وعلى نسوة ما عرفن من الأوبرا سوى بابها الخارجى

وهذا المخلوق يعطى تذاكر الدعوات ، لا جوداً ولا كرماً كأصحاب البدوات . بل حرماناً وتشفياً من صحافة ومن أدباء يرون الفرقة قد تحولت إلى « تكية » ، وأن رجالها تهاونوا فى تحقيق غرضها الثقافى ، ومن هؤلاء المحرومين من « نعمة » سكرتيرها المحجل ناقد مجلة الرسالة

كم من صحيفة أمثال « الرسالة » لم تشملها نعمة الفرقة ؟ وكم من أديب مغضوب عليه من سكرتير آخر الزمان لأنه لا يذكره إلا بقدر فهمه المحدود ؟

ليت الخواجة فلاندر الذى يشكو من إهمال الصحافة والنقاد لفنه يعرف أنه ما من سطر واحد ينشر فى الصحف إلا بأجر يدفعه المدير . وليته يعلم مدير الفرقة ويفهم السكرتير الذى لا يفهم أن الفرقة القومية للتمثيل هى للأدباء ورجال الصحافة والمتأدبين وطلاب الجامعات والكليات والمدارس العليا . هى لهؤلاء قبل كل شىء ، وليست للمثلات يدعون إليها أترابهن ومعهن أصدقاؤهن ، ولا للمثلين يوزعون الدعوات على المارة وجلاس القهوات وموظفى المحلات التجارية

ليت الخواجة فلاندر يقول لمدير إدارة الفرقة إن « بيت موليير » يرسل تذاكر الدعوات إلى أساتذة الكليات ، وهؤلاء يوزعونها بالقسط على الطلاب ، وأن الطلاب يتهافتون على مسرح الكوميدى فرانسيز والأوديون وسواهما من المسارح التى تغذيها وزارة المعارف بالاعانات كما يتهافتون على مطالعة الكتب المفروضة عليهم

ليت الخواجه فلاندر يقول لمديره إن واجبه يحتم عليه تفقد مندوبى الصحف إذا تغيب واحد منهم ، وأن يسعى إلى الناقد يسأله عما عاقه عن حضور التمثيل ، وأن يأمر ببيع عدد من التذاكر بأثمان مخفضة كما هى الحال فى كل فرق التمثيل التى ترعاها الحكومة

ليت سعادة المدير يعرف أن الفرقة هى للأدبيات والأدباء وأن مقاصير الأوبرا ليست لتاجر الخمور ، وبائع الأقمشة والخياط والحذاء الذين لا يعرفون ولا يفقهون من فن التمثيل شيئاً ، وأن الأليق من هؤلاء بجلوس المقاصير هم الذين يفهمون الحياة عن غير طريق جمع الملاليم إلى قروش والقروش إلى جنيهات تدخر لبناء مسرح خاص بالفرقة يغنيها عن استعارة الأوبرا بعض الوقت

أحسب أنى لو قلت فى خور الفرقة وهزالها وعجزها عن تحقيق بعض ما هو مطلوب منها تحقيقه أضعاف ما قلته لعددت نفسى من المقصرين ، ولكنى أرى لزاماً علىّ حرصاً منى على حياتها ، وتفادياً لما قد يخالط أذهان بعض الذين لا يرون سوى ظواهر الأشياء ، أن أشرك معى طائفة من الأدباء فى إبداء الرأى فى هذه المؤسسة التى أرادتها وزارة المعارف وأرادها نواب الأمة لغرض ثقافى نبيل ، فتحولت بفضل الرجال الأفذاذ إلى « مصطبة » للشيوخ العلماء المتعالين و « تكية » للكسالى من الممثلين والمتعطلين وفسا كل الصحفيين وحثالة المتأدبين

ابن عساكر

حاليـــاً
فرصة
عظيمة
عند
شيكوريل

7me Année No. 292

Lundi - 6 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٢٩٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهــــرس

كيف نعالج الفقر ؟

سؤال طالما وقع فى رَوْع النبيين والمصلحين والفلاسفة ممن يملكون القول والدعوة ، ولكنه لم يدرْ أبداً بخَلد الأمير فلان والباشا علاّن والبيك ترتان ممن يملكون الفعل والتنفيذ . ومن بدائه العقل أن يفكر الأنبياء والحكماء فى معضلة الفقر ، فإنهم نشأوا فى مهده الخشن ، ودرجوا فى فنائه الضيق ، وعاشوا فى مرعاه الجديب ، ورأوا بأعينهم العَبْرى أثقال العيش تنوء بالظهور الضعيفة فتسقط فى طريق الحياة عرضة لزواحف الرذيلة وجراثيم المرض . ومن بدائه العقل كذلك أن تبقى معضلة الفقر من غير حل يطهر الأرضَ من سمومه ، وينقذ الناس من همومه ؛ فإن أرباب الحكم والتشريع والتنفيذ هم من سلائل النعمة وكنائز المال ، فلا يخطرون ببالهم الفقر ، ولا يحطبون فى حبالهم الفقير ؛ وهم يظنون إذا محا الإحسان الفاقة ، ونفى التعليم الجهالة ، أنهم لا يجدون الخدم ولا يملكون العبيد ؛ والجاه من غير أذلاء زفة من غير نظّارة ، والمال من غير فقراء مُلك بلا رعية

من أجل ذلك كان الفزع إلى الأقوياء والأغنياء من عوادى الفاقة تزييفاً على الطبع وتكليفاً بالمحال . ومن أجل ذلك كان تنظيم العلاقة بين القوة والضعف ، والغنى والفقر ،

عملاً من أعمال الله وحده، يرقُّ عليه النفوس، ويرفع به الإنسانية، ويجمّل به الحياة . فإذا حار بنا الفاقة بسلاح الاقتصاد المحض كسنّ النظم ، وتوسيع الموارد ، وتوزيع العمل ، وأغفلنا أثر الحظوظ والميول والأحوال والأمراض فى حياة المرء ، قتلنا الفقر بقتل الفقير، كما يقتل الطبيب المرض بقتل المريض . إنما يحارَب الفقر بسلاح الدين ليس غير . وسلاح الدين فى مجاهدة البؤس أنه يجعل للفقير فى مال الغنى حقاً معلوماً لا يصح إسلامه إلا باعتقاده وأدائه ؛ وأنه يقوى الإنسانية فى الإنسان حتى يشعر بالأخوة لكل مسكين ، وبالرحمة لكل بائس . وبقوة الإنسانية وحدها فى الدول المتدينة كانجلترا وأمريكا أوشك البؤس أن يزول ، فوجد كل مريض مستشفى ، وكل هَرِم ملجأ ، وكل يتيم مدرسة . وقد بلغ ما أنفقته الحكومة الانجليزية على أعمال البر فى سنة من السنين ثلثمائة مليون جنيه ، ولا يقل ما يتبرع به الشعب البريطانى للمستشفيات وحدها عن خمسين مليون جنيه فى العام !

***

الدين هو الطب الوحيد لأدواء المجتمع ؛ فإذا غرستموه فى قلوب النشء ، وقويتموه فى نفوس الشباب ، جعل من الأمة أسرة متماسكة البناء ، متضامنة الأعضاء ، يعين سعيدها الشقى ، ويحمل قادرها العاجز ، حتى يقطعوا مراحل الحياة رافهين لا يمسهم نصب ، ولا تجافى بينهم عداوة

مَن غير الله يستطيع أن يرقق هذه الكبد الغليظة فى هذا الغنى المبطان الذى غلا فى الكبر ، ولج فى الهوى ، ودلّل نفسه على ذل الناس ، وأمسك رزق الله فى خزائنه فلا يطلقه إلا لشهوة أو نزوة ؟

من غير الله يستطيع أن يقلّب العِبر على عينى هذا المغرور فيريه بالثكل والمرض والهم أن الراحة فى النفس ألذ منها فى الجسم ، وأن الجمال فى الرحمة أسمى منه فى الجبروت ، وأن السعادة فى الإعطاء أعظم منها فى الأخذ ، وأن خير ما فى الدنيا هو ما انتقل معه إلى الآخرة ؟

هيهات أن يكون فى الأرض إيمان ما دام فى الأرض فقر . فإن أسباب الفقر ممدودة من الطمع والشح والأثرة ؛ وهذه الخلال السوء لا تطمئن عليها نفسٌ مؤمنة . وإن من ضلال الأفهام أو الأقلام أن نعالج الفقر على أنه ناجم من ندرة العمل فى البلد أو قلة الخير فى الدنيا ، فإن العمل ميسور للقادر ، ورزق الله موفور للحى . وإذا شكت الأمم اكتظاظ المعامل ونضوب الموارد وضيق الرقعة ، فإن مصر الجديدة البكر بينها وبين هذه الشكوى أن تمصر المصانع والمعامل والمتاجر والمصارف والشركات ، وما بالقليل ذلك

***

لا تطلبوا من الفقير العمل قبل أن توفروا له القدرة عليه . إنه جاهل فاشرعوا له منهل العلم ؛ وإنه عليل فانهجوا له سبيل الصحة ؛ وإنه معدم فدبروا له رأس المال . ومن بلادة الحس أن الغنى يسمعك وأنت تقرأ هذا الكلام، فلا يظن المخاطَب به أحداً غير الحكومة، فيشارك فى النقد ، ويسرف فى الإنكار ، ويلح فى الطلب، لأن الحكومة فى رأيه يجب أن تلبى كل نداء، وأن تؤدى كل واجب . والحكومة لو درى هذا المتوا كل الفدم لا تتسع مواردها بكل رغبة ؛ فإنها لم تجبُ منه ومن أمثاله إلا حق العمارة والأمن ؛ أما حق الله عنده فقد وكلت أداءه إلى ضميره، يعطيه من يشاء متى يشاء وكيف يشاء؛ ولكن الضمائر نامت على هدهدة الشهوات ، والعواطف قست على جفاف المادة ؛ وبين غفوة الضمير ، وقسوة العاطفة ، ذهب وازع الدين فلم يبق إلا وازع السلطان

فهل يفكر أولو الأمر أن يعالجوا الفقر بما عالجه الله به فيجبوا الزكاة وينظموا الإحسان ؟ إنهم إن يفعلوا ذلك لا يجدوا فى البيوت عائلاً ، ولا فى الطريق سائلاً ، ولا فى السجون قاتلاً ، ولا فى المواخير ساقطة !

احمد حسن الزيات

مشابهات

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى شهر واحد عرضت دور الصور المتحركة بالقاهرة روايتين متشابهتين فى كثير من السمات والمعانى ، وإن كانت إحداهما فى باريس والأخرى فى بتروغراد ، أو كانت إحداهما فى القرن الثامن عشر والأخرى فى القرن العشرين ، أو كانت إحداهما عن لويس السادس عشر والأخرى عن القيصر نقولا الثانى

كتبنا مقالنا الماضى بالرسالة عن « مارى أنطوانيت » فلم تمض أيام حتى شهدنا رواية « راسبوتين والقيصرة » وشهدنا كيف تتشابه الحوادث والنكبات ، وكيف يصدق فى بعض الأحايين قول من قال إن التاريخ يعيد نفسه ، وإن كانت الإعادة لا تخلو من تبديل وتنقيح : شيمة الراوية الماهر الذى لا يعيد القصة الواحدة مرتين بأسلوب واحد !

***

فى مأساة لويس السادس عشر ومأساة نقولا الثانى مشابه كثيرة يرجع بعضها إلى المصادفات وبعضها إلى تشابه النتائج عند تشابه الأسباب

فكانت لكليهما ملكة أجنبية من أصل ألمانى ، وكانت لكلتا الملكتين يد فى الكارثة التى حاقت بالرجلين ، وكان التاريخ فى كليهما يجرى على سنة « الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون » ولا يعمل بآية العدل فى القرآن الكريم : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »

فقد كان نقولا الثانى مظلوماً فيما أصابه كما كان لويس السادس عشر

كان كلاهما طيباً رؤوفاً يريد الخير لشعبه ؛ وكان نقولا الثانى محباً للسلام ينادى بالتحكيم فى الأزمات الدولية ؛ وكان يجنح إلى مشاركة الأمة إياه فى تبعات الحكم ما استطاع ، وكان منقاداً لمن حوله كما كان لويس من قبله ، ولم يكن مشاكساً ولا بطاشاً يحب الفتك وسفك الدماء ، ولكنه جاء فى زمن وبيل فأصابه وبال الزمن وأخذه مع التيار الجارف الذى لا يتأنى ولا يتدبر فى حكمه على الجناة والأبرياء

ليست هذه هى المشابهات الهامة فى تاريخ الرجلين المظلومين ، فربما كانت أو كان معظمها من أثر العوارض والمصادفات ، ولكن المشابهة العظمى هى تلك « الحالة العقلية » التى تحيط بالعوالم المنهارة والدول الدائلة والكواكب الآفلة ، ونعنى بها العهود التى تجمع بين الإدبار والإقبال وبين النظر إلى الغيب والخوف من الحاضر وقلة الاطمئنان إليه

فى تلك العهود يحس الناس أنهم ضعاف عاجزون ، لأن زمام الحوادث يفلت من أيديهم وتيار الحوادث يجرفهم على غير إرادتهم إلى غير الطريق الذى يختارونه لأنفسهم ، فهم من أجل هذا الإحساس بالعجز والضعف ينظرون إلى الغيب ويتطلعون إلى عالم الأسرار ويؤمنون تارة بالقديسين وتارة بالمشعوذين ، على قدر نصيبهم من العلم والبصر بحقائق الحياة

وفى تلك العهود يضمحل الأمل ويغلب اليأس ويبطل الإيمان بالمثل العليا والصفات الرفيعة فيقبل الناس على المتعة والسرور ، ويأخذون من الحاضر كل ما يعطيهم من اللذة واللهو ، لأنهم لا يرجون غداً ولا يركنون إليه

وقد تجمع النفس بين النقيضين : فهى مغراة بالشعوذة والنظر إلى المغيبات المجهولة ، وهى مغراة باللذة فى حاضرها ؛ لأن الحاضر بغير شاغل من الشواغل لا يطاق فى أمثال تلك الأزمان

إنما المرجع فى طلب الغيب وطلب اللذة معاً إلى سبب واحد ، وهو أن الحاضر مشؤوم والمستقبل غير مضمون، والإنسان بينهما عاجز عن التصرف بمشيئته فيما يزاول من كبار الأمور وصغارها على السواء

***

من أجل هذا ظهر « كاليسترو » الدجال الأعظم فى عهد لويس السادس عشر

ومن أجل هذا ظهر « راسبوتين » الدجال الأعظم فى عهد نقولا الثانى

وكلاهما دليل على تشابه الحوادث والدوافع النفسية بين بنى الإنسان

وكلاهما دليل على أن التشابه فى بنى الإنسان لن يمحو الفوارق بين الشعوب ، ولن يزيل الخصائص القومية التى اشتهر بها كل شعب من تلك الشعوب

فراسبوتين لم يكن يصلح فى مكان كاليسترو ... وكاليسترو لم يكن يصلح فى مكان راسبوتين

راسبوتين ظهر بين الروس وهم أمة لا شرقية ولا غربية ، لا مؤمنة كل الإيمان بالدين، ولا مؤمنة كل الإيمان بالوثنية ، لا متحضرة بحضارة العلم الحديث، ولا مستغرقة فى البداوة أوجهالة القرون الوسطى

فظهر لما ظهر بين هؤلاء القوم برسالة من الدين ومن الوثنية فى وقت واحد ، أو برسالة من الشعوذة ومن اللذة فى عقيدة واحدة ، أو برسالة يمت بعضها إلى زهادة المسيح ويمت بعضها إلى المزدكية القديمة، وإلى عبادة «عشتروت» التى هى أقدم منها ، وإلى ما قبل ذلك من المذاهب الخفية التى لم تنقطع بقاياها قط فى الرقعة الغربية الجنوبية من القارة الأسيوية ؛ أى فى ذلك المكان المعزول الذى تصل إليه آثار الحضارات جميعاً فى آسيا وأوربا وأفريقية ، ثم يحفظها جميعاً فى عزلته المطوية بعد أن يصبغها بماله من صبغة قلما تمسحها الأجيال

فى تلك الرقعة بقيت عبادة الشيطان ، وبقيت الشواذ من فرق الباطنيـة ، وبقيت تلك النحلة التى تبيح فى تكاياها وصوامعها باسم الدروشة الإسلامية ما ليس يبيحه الإسلام وليس يرضاه دين من الأديان الكتابية ، وبقيت نحلة « الخليستى » التى انتمى إليها آخر الأمر « راسبوتين » وكانت أصلح ما ينتمى إليه رجل يدل نعته القديم على طبعه القديم . فإن « راسبوتين » كلمة روسية معناها الفاجر أو الداعر ... وهو لقب اشتهر به الرجل فى شبابه من جراء عبثه وعيثه واستهتاره بالشراب والفسوق

ما هى هذه « الخليستيـة » وما عباداتها وشعائرها المفروضة على أتباعها ؟

هى نحلة مدارها على أن الخطيئة مطلوبة لأن الغفران صفة إلهية فينبغى أن تتحقق لله هذه الصفة التى هى أخص صفات الخالق جل وعلا . وإلا فكيف يكون الله غفوراً بغير الخلائق الخاطئين ؟

ومدارها من جهة أخرى على أن الإنسان يعيش بالروح مع الله ويعيش بالجسد مع الناس ، وأن لله قديسين هم الذين يقودون عباده فى طريق المعيشة الجسدية وفى طريق الغفران . فليس يحق للعبد أن يخطىء وحده بغير قيادة من قديسه المختار

وعلم راسبوتين « سلطانه المغناطيسى » العظيم على نفوس أتباعه فزعم أنه قديس الزمان المرسل من قبل الله لالتماس الغفران ، فبغيره لن يهتدى أحد فى « الطريق » إلى حظيرة الرحمن !

أما هذا « السلطان المغناطيسى » فقد كان فى راسبوتين كأقوى ماعرف فى إنسان من الناس ، حتى بلغ من سطوته أنه سلطه على رجل يمقته وينصب حوله الفخاخ لقتله بالسم أو الخنجر فأنامه وشل حركاته . ولا ريب أن هذا السلطان المغناطيسى مستمد فيه من تلك القوة الحيوانية الهائلة التى أنقذته من السم ومن الخنجر مرتين ، وكادت تنقذه المرة الثالثة لولا إطباق المتآمرين عليه بالعصى والسيوف بعـد إطلاق الرصاص عليه وتسميمه بما يكفى لقتل بضعة رجال ، ولا ريب كذلك أن هذا السلطان المغناطيسى هو الذى أعانه على شفاء ولى العهد بالسيطرة على أعصابه وسريرته بعد ما يئس منه الأطباء، وأنذروا بموته من أثر سقامه الموروث

***

بهذه العدة كان الدجال الروسى يستعد لإنجاز «مهمته التاريخية» فى ذلك العالم المنهار من الدولة الروسية

فماذا استعد زميله « كاليسترو » من قبله حين تصدى « لمهمته التاريخية » بين الفرنسيين فى عصر الفلاسفة المشككين والدعاة الملحدين الثائرين ؟

لا بد له من عنصر الغيب والخفاء، ولاسبيل إلى هذا العنصر من طريق النحل الدينية فى تلك الآونة الملحدة المسترية ، فلينقل أتباعه إذن إلى صوامع الماسون وهياكل الجماعات السرية ومكامن الدسائس والمؤامرات

ولا بد له من عنصر الغواية والمتعة، ولا سبيل إليهما من نحلة الدروشة والعبادة ، فليسحر أتباعه إذن باسم عقاقير الشرق التى تجدد الشباب وتطيل العمر وتكسو غضون العجائز مسحة الصبا ورونق الصباحة

وهكذا كان لـكل « عالم منهار » دجاله الأعظم ، ومن ثم موضع التشابه بين العوالم المنهارة

وهكذا كان دجال كل أمة على غرارها أو على نموذج أخلاقها وأطوارها ، ومن ثم موضع الخلاف بين تلك الأشباه

وإنما عبرة التاريخ أن نخلص إلى هذه المواضع المتشابهات ، وهذه المواضع المختلفات من حوادث الشعوب فى قبضة القانون الخالد المستعاد .

عباس محمود العقاد

ابن الرومي

الشاعر المصور

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يولع الناس فى الحياة عادة، لتسهيل فهم الأنفس والأمور وتبسيطه، بأن يجعلوا لكل نفس أو أمر صفة يرمزون بها أومعادلة أوقاعدة، وفى ذلك أضرار، منها أن العجلة قد ترمز للأمر أو النفس بصفة لا تتفق وأكثر الخصائص المراد تلخيصها بالرمز أو تختلف عنها كل الاختلاف، وإذا تعلق الناس بالرمز صعب إصلاح خطئهم وصعب حملهم على تغيير زيهم وصعب عليهم فعل الأمر الذى يعالجونه أو النفس التى يتفهمونها، أو قد يكون الرمز منطبقاً على جانب صغير منها فيغفل الناس عن الجانب الأكبر. على أن الرمز إذا وافق الجانب الأكبر فهو قد يغرى أيضاً بالغفلة عن الجانب الآخر الذى لا ينطبق عليه الرمز فيتسرب الخطأ فى هذه الحالة أيضاً، ولكن إذا تأنى الفكر فى وضع الرمز واختياره وقدّر أن يكون مخطئاً فى بعضه أو كله وحسب حساب ما لا ينطبق عليه الرمز حتى فى حالة الإصابة كان فعله مسهلاً للتفكير والفهم وتذوق الأمور. وعلى هذا الشرط نبيح لأنفسنا أن ننظر إلى كبار الشعراء على ضوء رمز نرمز به إلى كل منهم وصفة نصفه بها، فنقول إننا نتذوق أبا تمام كأنه خطيب عبقرى بصير بأساليب البيان وأثرها فى النفس، جرىء فى ابتداع الأقوال، بصير بما يعالج من أمور البيان بالرغم من جرأته؛ وسواء أكانت أقواله فى أمور حسية أو نفسية فإن كلماته تبلغ صميم القلب بما فيها من الخيال المشبوب وقوة الإيجاز مع الدلالة التامة والإلمام بالمعنى المراد ومع تجنب الإطالة الفاترة. وفنه من هذه الناحية يشبه أيضاً فن صانع القصص التمثيلية فى الاعتماد على قوة الأداء مع صدقه الفنى وإيجازه مع استيفائه المعنى. وندرك على هذا الوصف أن لأبى تمام ولمن نشبهه به جوانب لا يتفقان فيها ولا يلتقيان عليها، لأن النفس الإنسانية تشبه البلّور ذا الأضلاع والجوانب العديدة التى تنعكس عليها أشعة الشمس فى أشكال وجهات مختلفة متعددة. ونتذوق البحترى كأنه ممثل قدير يلوك حلو الكلام ويتأثر به وينتشى بحلاوة الصنعة حتى تخلق له الصنعة عواطف فنية كما فى حياة بعض كبار الممثلين؛ ونقدر مع ذلك أن لنفسه جوانب أخرى تنعكس عليها أشعة الفنون. ونتذوق الشريف الرضى كأنه موسيقى يحكم الوجدان ويؤثر فى النفس بأنغامه؛ ونقدر أيضاً ما للنفس البشرية من مرام مختلفة. ونتذوق المتنبى على أنه محارب مغامر مدجج بسلاح الحنكة والخبرة والاعتداد بالنفس ونعرف له جوانب أخرى. أما ابن الرومى فإننا قد أدركتنا فى أول الأمر حيرة فى اختيار صفة واحدة له، إذ أنه قد يقف موقف الخطيب المؤثر كما فى قصيدته فى التحريض على قتال العلوى صاحب الزنج بعد أن خرَّب البصرة وهى التى يقول فى مطلعها:

ذاد عن مقلتى لذيذ المنام ... شغلها عنه بالدموع السجام

وابن الرومى مثل أبى تمام مُغْرًى بابتداع التشبيهات والأخيلة والمعانى، ولكنا لم نشأ أن نختار له الرمز الذى اخترناه لأبى تمام لأنه قد يدركه الفتور، وأبو تمام لا يدركه الفتور؛ وقد يطيل حتى يمل سامعه خصوصاً فى المدح، وأبو تمام لا يطيل مثله. وقد تدركه اللجاجة الفكرية فى إيراد الحجة ودفع الحجة بالحجة على طريقة المجادل المناقش المناظر لا على طريقة الخطيب الذى يؤثر بالعبارات والأخيلة المشبوبة النارية المستقلة فى معناها بعضها عن بعض فى إيجازها وتركزها تركز الأحماض أو الروائح العطرية المنعشة أو المخدرة أو المميتة، وابن الرومى يبسط معناه بسطاً كما تتسع دائرة موقع الحجر فى الماء أو كما يبسط الخباز الرقاقة فى قول ابن الرومى نفسه:

ما بين رؤيتها فى كفه كرة ... وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة ... فى لجة الماء يُرمى فيه بالحجر

وهذا هو الوصف الذى ينطبق على ابن الرومى نفسه فى صناعة المعانى فكأنه خباز المعانى. ولابن الرومى فى الأهاجى ما هو أشد من الأحماض فتكاً، ولكن أثرها ناشئ أيضاً من تقصِّيه أجزاء المعنى وصوره المختلفة وتوليد المعنى من المعنى. ولم نشأ أن نصف ابن الرومى بما وصفنا به البحترى الذى ينتشى بما يصوغ من حلوى الصناعة وما يلوكه منها كما ينتشى الممثل بما يمثل من الأحاسيس. لم نشأ أن نصفه بهذا الوصف ولو أنه وصف ينطبق

على كل ذي فن إلى حد ما فهو ينطبق على الشعراء جميعاً ولكن ليس كانطباقه على البحتري. وابن الرومي لا يبلغ به التفاني في فن الألفاظ وصناعتها والانتشاء بها ما يبلغه البحتري بل يستخدم ابن الرومي الألفاظ استخدام السيد الآمر لعبده محبوباً كان العبد أو غير محبوب؛ أما البحتري فكان لا يقرب الألفاظ إلا كما يقرب المحب حبيبته

ولم نشأ أن نصف ابن الرومي بما وصفنا به الشريف الرضي الذي نتذوقه كموسيقى يحكم الوجدان والفطرة السليمة؛ لم نشأ أن نصف ابن الرومي بهذا الوصف ولو أن له في الغزل والعتاب والشكوى أشياء عميقة الأثر في النفس كقوله في الغزل:

أعانقها والنفس بعدُ مشوقة
إليها وهل بعد العناق تدانى
كأن فؤادي ليس يشفي غليله
سوى أن يرى الروحين يمتزجان

وقوله في العتاب:

تخذتكم ترسا ودرعا لتدفعوا
نبال العِدَى عني فكنتم نصالها
وقد كنتُ أرجو منكم خير ناصر
على حين خذلان اليمين شمالها
فإن أنتمُ لم تحفظوا لمودتي
ذِماما فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المعذور عني بمعزل
وخلوا نبالي والعِدَى ونبالها

من ربيع الفن

كل شيء أمامي في الريف يرتل نشيد السلام. فشجيرات الفول الخضراء ترقص مع النسيم، وترسل في الفضاء من حولي أريج زهرها الأبيض كما ترسل القبلات المعطرة. والبقرة ذات الأهداب الشقراء تتمطى في أشعة الشمس كأنها حسناء تستيقظ في فراش دافئ. والكلب رابض قد أغمض عيناً وفتح أخرى تلقي على الكائنات نظرات الرضا والصفاء. والدواجن والهوام والأرض السمراء وجداول الماء، كلها بأصواتها الصغيرة وأزيزها اللطيف وصمتها الدائم وخريرها الهامس تتراءى للمتأمل كأنها تتبادل حواراً خفياً مفعماً بكلمات الود والحب والأخاء الأبدي، وكأنها جميعاً في حركتها وسكونها جوقة موسيقية تخضع إلى يد غير منظورة كي توقع لحناً متناسقاً أزلياً لا يسمعه غير الأنبياء والشعراء.

صوت واحد نشز في أذني عن هذه المجموعة: هو صوت الإنسان. متى ظهر ظهرت معه الفوضى، ونشأ الخلاف حيث لا ينبغي أن يكون خلاف. تلك طبيعته. وقد تكون تلك أيضاً عبقريته.

جلس إليّ رجلان لا يختلفان في الزي ولا في اللغة ولا في اللهجة. لكن سرعان ما سمعت أحدهما يقول لصاحبه:

— أنت فلاح. أما أنا فعربي.

فعنيت بالأمر، وبادرت أسأل الرجل السؤال الذي طالما ألقيه في مثل هذا الظرف:

— وما الفرق بين الفلاح والعربي؟

فأجاب الرجل بذلك الجواب الذي سمعته كثيراً في مثل هذا الموضع: مروءة العربي وشجاعته وشهامته وإكرامه الضيف وحمايته الجار. ثم ... ثم شرف النسب. لم يدهشني ذلك ولكن الذي أدهشني حقيقة، وقد لا يصدقني البعض إذا ذكرته هو أن هذا الرجل غير المتعلم قد أشار إلى صاحبه وقال:

— أما جماعة الفلاحين فما هم إلا أولاد توت عنخ آمون!

عجباً: إذن منشأ الخلاف بين العروبة والفرعونية ليس أدمغة المفكرين والمثقفين، إنما هو في الريف وفي قلوب سا كنيه!

توفيق الحكيم

ولكنه بسبب لحاجته الفكرية أحياناً وتتبعه أو موازنته بين أجزاء المعنى وتلمسه دقائق الصور قد تضيع منه النغمة الشعرية وإن كان شعره يكتسب ميزة أخرى. وقد أحس ابن الرومي مع ذلك في نفسه بذلك الجانب منه الذي يشبه به الموسيقيّ أو الطائر الصادح فقال زاعماً أنه لا يمدح ممدوحه:

إلا كما راقت القمريّ جَنّتُهُ
فظل يُتْبِعُ تغريدا بتغريد

ولم نشأ أن نصفه بما وصفنا به المتنبي من أنه محارب مغامر يغالي في الاعتداد بالنفس لأن ابن الرومي لم يطلب مُلْكاً ولا حُكماً ولا رياسة وإنما طلب السلامة من الناس وإنصاف أدبه وفضله وفنه وإعطاءه حق ذلك الأدب والفضل مما في أيدي الوجهاء والرؤساء والأمراء من أموال الله والناس التي كثيرا ما كانت تنهب نهبا. وكان ابن الرومي مرهف الحواس منهوما بالجمال في كل مظاهره ومطالبه، وهذا يكفي أن يكون شغله الشاغل في الدنيا بعكس المتنبي. وكان ابن الرومي يخشى الأسفار في طلب الرزق وله في وصف خشيته منها أشعار، ويخشى ركوب البحر ويخشى لقاء الناس ويتشاءم بهم، فكانت صفاته النفسية تختلف

اختلافا كبيرا عن نفس المتنبى، ولا نحسب أن المتنبى كان يضرع فى مخاطبة ممدوح كما فعل ابن الرومى فى قوله :

أصبحتُ بين خصاصة وتجمُّل والمرء بينهما يموت هزيلا
فامدُدْ إلىَّ يدا تَعَوَّد بطنها بذلَ النوالِ وظهرُها التقبيلا

وفى قوله :

تعرفتُ فى صحبى وأهلى وخادمى هوانى عليهم مذجفانى قاسمُ

وبعد ذلك بأبيات يرجو الرئيس المعاتَبَ ألا ينسى أنه خادم. أما شدته فى هجائه فشدة الرجل المرهف الحس إذا جُوفِىَ أو غُبِنَ أو أُسىء إليه أو اضطهد. ونكرر أن النفس كالبلور ذى الأضلاع والأشعة المنعكسةُ عليه مختلفة النواحى. ولكن لعل أصدق وصف يوصف به ابن الرومى هو أن يوصف بالمصوِّر أو الرسام أو النقاش. ويخيل إلينا أنه لو كان عائشا فى إيطاليا فى عهد نهضة الإحياء، واشتغل بالنقش والرسم ما كانت قدرته تقل عن قدرة مصور مثل تشيانو (تيتيان) فى ولوعه بألوان الجمال وجمال الألوان. ولا نعنى أنه كان مصورا فى وصف مناظر الطبيعة والنبات[1] فحسب، وإنما كان مصورا فى كل أبواب شعره من مدح أو ذم أو غزل أو وصف للغناء أو المآكل أو الأشربات. وقد ذكرنا قدرته الخطابية فى قصيدة التحريض على قتال صاحب الزنج ولكن أعمق أجزاء القصيدة أثرا هو وصفه دخول الزنج المدينة ووصفه ما فعلوا بها وبأهلها. فولوع ابن الرومى بالألوان لم يكن مقصورا على ألوان المرئيات بل تعداها إلى ألوان الآراء، فتراه يُغرى بوصف لون من الرأى ثم بوصف اللون الذى هو نقيضه. والولوع بالألوان وشدة الإحساس بمعانيها وجمالها وأثرها من صفات المصور، وكذلك تَقَصِّى الأجزاء وربط أجزاء الصورة فى القصيدة. ومن مظاهر ولوعه بوصف ألوان الرأى قصائده فى مدح الحقد وذمه ؛ وليس من المرفوض أن نقول إن مدحه الحقد كان بسبب إحساسه المرهف وحقده على الذين آلموا هذا الإحساس المرهف من مناوئيه.

فمن مدحه الحقد قوله :

أديمى من أديم الأرض فاعلم أسىء الربع حين يسىء بذرا
يُسمى الحقد عيبا وهو مدح كما يَدْعُونَ حُلْوَ الحق مُرَّا

(١) قد نبه الأستاذ العقاد إلى ولوع ابن الرومى بالألوان وضرب شواهد ذلك الولوع وأشار أيضاً إلى ولوعه بتصوير الطبيعة ذات حياة.

وقوله :

وما الحقـد إلا توأم الشكر فى الفتى وبعض السجايا يَنْتَسِبْنَ إلى بعض

وإنى أشك فى أن الحقد توأم الشكر دائماً فإنه إذا قُرِنَ بالحسد، ولكل نفس نصيب منه قل أو كثر، منع من الشكر. وقد راجع ابن الرومى نفسه ولامها على مدح الحقد فى قصائد منها قصيدته التى يقول فيها :

يامادح الحقد محتالا له شبها لقد سلكتَ إليه مسلكا وعثا

وأبدع منها وأعظم قصيدته التى مطلعها :

ياضارب المثل المزخرف مُطْرِباً للحقد لم تقدح بزند وارى

وعندى أن هذه القصيدة من أعظم وأجل قصائده، وكل منتخبات من شعره لا تشملها تعد ناقصة، وفيها يحث على مغالبة النفس لطباع الشر وعلى تنمية طباع الخير. وقد بلغت قوة التصوير عند ابن الرومى مبلغاً جعله يُصوِّر الطبيعة وكأنها من الأحياء. وربما كان ولوعه بذلك أكثر من ولوع شعراء العربية الذين كانوا يجردون من الجماد أشخاصاً فيخاطبون الليل أو السرى أو الرياح أو النجوم أو الربوع والأطلال أو الفراق، فيحدثونها وتحدثهم، وهــذه الصفة من قبيل تلك الصفة فى ابن الرومى وإن كان إحساسه بحياة الطبيعة أعم وأشبه بطريقة الشعراء الآريين[1]. وليس شبه ابن الرومى بالشعراء الآريين مقصوراً على إحساسه بحياة الطبيعة وإشاعة المعنى فى أكثر من بيت وتقصى أجزاء المعنى، بل هو يشمل أيضاً تفضيله فكاهة الصور الخيالية ومعانيها على الفكاهة اللفظية الشكلية، وكانت فكاهة الصور الخيالية مفضلة فى العصور المتقدمة فى الآداب العربية فلم يبتدعها ابن الرومى وهى ليست ملكاً له ولا ابتكاراً ولكنه زادفيها زيادة كبيرة، ثم إن المتأخرين من الشعراء صاروا يفضلون فكاهة المغالطات اللفظية، وهذا النوع كان معروفاً شائعاً فى الأدب الأوربى وإن كانت الصور الخيالية أفضل وأعلى مرتبة.

ولعل عظم نصيب ابن الرومى من فكاهة الصـور الخيالية

(١) كثير من علماء علم الوراثة فى العصر الحديث ينكرون استطاعة الوراثة توريث أساليب الفكر ومذاهب الاحساس وقد تغالى بعضهم فى ذلك، ولكن لم ينكر أحد توريث هـذه الأمور عن طريق القدوة فى الأسرة والبيئة من الجد إلى الأب إلى الابن

كانت من أسباب تبريزه فى الهجاء تبريزاً لا يضارعه فيه شاعر آخر. ولو حذفنا هجاءه الذى أفحش فيه مثل هجاء ابن الخبازة المعروف بهجاء بوران وغيره من الفحش القاذع الذى لا يصح نشره فى هذا العصر بقيت لنا فى هجائه صور فكاهية خيالية لا يستطاع تجنب اختيارها إذا أحصيت خلاصة الخلاصة من شعره، لأنها أعلى مرتبة من مدحه بالرغم من إجادته فيه. وقد كان الهجاء سبب موته مسموماً. والظاهر أن الأمراء والوجهاء كانوا يسيئون الظن يبعض مدحه غلاوة على خشية الذم، وهذا أمر يشاهد كثيراً فى الحياة؛ فإذا اشتهر رجل بالسخر ظن الناس كل مايقول من قبيل السخر أو الذم حتى ولو لم يقصد إلا المدح والتودد والصفاء. ومن شواهد سوء الظن هذا ما حدث عند ما مدح ابن الرومى أبا الصقر اسماعيل بن بلبل الشيبانى بقصيدته الرائعة التى مطلعها (أجنت لك الوردَ أغصانٌ وكثبان) فأساء الممدوح الظن بقول الشاعر:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلتُ لهم ... كلا ولكن لعمرى منه شيبان
وكم أبٍ قد علا بابن ذرا شرف ... كما علا برسول الله عدنان
ولم أقصرْ بشيبان التى بلغتْ ... بها المبالغ أعراقٌ وأغصان

وظن أنه يهجوه بضعة الأصل مع أن المدح ظاهر للأصل والفرع. ولا نظن أن الغباء هو الذى سما بالممدوح إلى مرتبة الوزارة، وقد كان وزيراً فلم يبق إلا التعليل الذى ذكرناه، وهو أن الرجل إذا اشتهر بالسخر والذم حُملُ مدحه على محمل الذم والسخر، والشك فى نية القائل يُغطى على فهم السامع، وكثيراً ما تراه فى الحياة يُغطى على فهم ذوى الفهم حتى تراهم كالأغبياء.

والظاهر أن حادث أبى الصقر لم يكن الحادث الوحيد من نوعه وإن كان أظهر حادث. فإن لابن الرومى أشعاراً كثيرة يشكو فيها من خذلان الممدوحين مثل قوله: (ما لى لديك كأنى قد زرعتُ حصى). وقوله: (فلا تعتصر ماء الصنيعة بالمطل). وقوله: (طال المطال ولا خلود لحاجة). وقوله: (أباحسن طال المطال ولم يكن). ومثل هذا كثير فى شعره. وكان يغبط البحترى لإقبال الممدوحين على شعره، ومن أجل ذلك كان يتعرض ابن الرومى للبحترى، وله فيه أهاجٍ منها قوله:

الحظ أعمى ولولا ذاك لم نره ... للبحترىّ بلا عقل ولا حسب

(البقية فى العدد القادم) **عبد الرحمن شكرى**

من الشعر المنسى لحافظ!

« لحافظ إبراهيم كثير من القصائد والمقطوعات قد أهملها الناشرون، فلم يحفظها ديوانه فى طبعته الأهلية، ولا فى طبعته الحكومية، على أنها من الشعر الرائع الذى تشرق فيه روح حافظ وتتمثل فيه شخصيته؛ ولذلك رأينا من الوفاء لشاعر النيل، ومن الرعاية للأدب، ومن الإنصاف للتاريخ أن نذيع ما لدينا من ذلك — وهو قدر لا بأس به — بين قراء الرسالة، وربما لو اجتمع لنا مقدار كبير جعلناه تذييلاً لديوانه، ونرجو ممن عنده العلم بشيء من ذلك أن يدلنا عليه وله الشكر منا ومن أبناء الضاد فى سائر الأقطار ومن قراء الرسالة »

فؤادى ... !

يا خافقاً قل لى متى تسكنُ ... لله ما تُخفى وما تُعلِنُ
ياليت شعرى عنك فى أضلعى ... ماذا تقاسى أيها المثخَنُ
وما الذى أبقاه من مهجتى ... ومن حياتى داؤك المزمِنُ
يا ثغره، من ذا الذى يحتسى ... برد ثناياك ولا يؤمنُ
يا قده، هذى قلوب الورى ... معروضة طوبى، لمن تطعنُ
يا لحظه، مُرْنا بما تشتهى ... كل محال فى الهوى ممكنُ

خيبة أمل ... !

وخيّب آمالى وقوفُك دونَها ... وأنك عند الظّالمين مَكين
يَسرُّك أنى نائم الجد عاثر ... ويُرضيك أنى للخطوب ألين
ليهنك مابى من أسىً وخصاصةٍ ... وتقليبىَ الكفين حيث أكون

م . ف . ع

صحائف من تاريخنا القومى

قاسم أمين ـ الرجل

للأستاذ أحمد خاكى

اشتهر قاسم أمين بدفاعه عن المرأة لأن ذلك كان أوضح ما كتب عنه ، لكنه عندنا من أكبر المصلحين المصريين الذين ظهروا فى أوائل هذا القرن . وليس دفاعه عن المرأة إلا شعبة من آرائه فى الحرية والتربية واللغة وسائر وجهات الإصلاح . ولو أنك تصفحت كلماته قبل أن تقرأ كتابيه فى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » للمحت عقلية جديدة نفذت وراء الحجب التى تكاثفت على عقول المصريين خلال قرون طويلة ، ورأيت كيف تستطيع النفس الحساسة أن تندسّ إلى ما وراء الحجب فتلقى الحقيقة سافرة غير مقنعة ، ثم لشاقك من حياة هذا الرجل أنه كان شجاعاً ، ولاتخذت من حياته مثلاً أعلى للتفانى دفاعاً عن الفكرة

ظهر فى أعقاب القرن الماضى قليل من أمثال قاسم أمين ، لكنهم لم يلقوا ما لقى هو من العنت والسخرية والاستهزاء . كان يعيش أكثر أضرابه فى أجوائهم ، لكن قاسماً كان يعيش فى جو خاص به هو نفسه . وذلك ما استعدى عليه المتعصبين من أصحاب الدين وأنصاف المتعلمين من أصحاب العلم ؛ وقليل أولئك الذين قدروا تلك النفس الحساسة التى تؤمن بالحرية إيمانهم بنعيم الحياة . وكثير أحسوا مثل إحساسه بما كانت ترسف فيه المرأة المصرية من أغلال ، لكن أحداً من هؤلاء لم يؤتَ من شجاعة النفس ما استطاع أن يصمد به للمهاترين والمنالين ممن أعمتهم التقاليد

على أنه ليس يعنينا اليوم فى حديثنا عنه وجوه الإصلاح التى نبه إليها وتحدث فيها وإنما يعنينا أن نرى قاسم أمين الرجل وأن نتعمق فى درس تلك النفس الزكية التى أوتيت كثيراً من الغضب الكريم . وأشهد لقد هممت بالكتابة عن النقاش الذى دار بينه وبين الدوق دار كور ، لكنما رأيت أن الكلام فى ذلك سوف يصبح ناقصاً لا غناء فيه ما لم أتحدث عن قاسم أمين « الرجل » لأن قاسم أمين « الرجل » هو الذى غضب للقومية المصرية ، وهو الذى غضب للإسلام والمسلمين ؛ وهو بعد ذلك الذى دافع عن مصر والإسلام بحرارة المجاهد الرشيد

وأول ما يمتاز به قاسم أمين « الرجل » نفس محسّة تجيش بمختلف العواطف ، فهو قد أوتى الكمال من الحس الدقيق والشعور المرهف ، وهو من أول المصريين الذين اعترفوا بأن النفس جماع لمختلف العواطف والمشاعر والوجدانات إلى غير ذلك مما يتصل بالدراسات النفسية الحديثة . ولعله أحد المصلحين القلائل الذين اهتدوا إلى تلك النتائج قبل أن يتعمق الناس فى دراسة علم النفس . فهو يعترف بأن الانسان مجموعة من الأعصاب تتأثر بالبيئة التى يعيش فيها ، وأن القلب الذى يكنّ البغض هو نفسه الذى يكنّ الحب ، وأن النفس الشريرة تنمو — إذا نمت — لأنها تصادف جواً صالحاً يؤثر فيها

وقد كان شديداً على البيئة التى نشأ فيها قاسم أمين أن تؤمن بما جاء به ، كان شديداً عليها أن تعنو للنتائج القيمة التى وصل إليها لأنها كانت بيئة نصف متعلمة ونصف متدينة فى وقت معاً ، أما العلم الذى تشبثت به فقد كان خليطاً من القشور والخطل ، وأما وجهتها الدينية فقد كانت ملتوية تمتاز بالنفاق والجدل . لذلك لم يعترف أنصاف المتعلمين بالغرائز التى تندفع فى نفس الإنسان ، ولم يحاول أنصاف المتعلمين أن يتبصروا فيما انحدر إليهم من أصول القرآن والسنة. ولو أن أولئك وهؤلاء قد اجتمعوا على أن يذوقوا ما ذهبت إليه تلك النفس الحاسة لرأوا رأياً آخر غير الذى بسطوا فيه أقلامهم وألسنتهم عن جهالة

على أن تلك النفس الحساسة التى اعترفت بالخير والشر جميعاً هى النفس التى أعانت صاحبها على أن يستوعب الآثار الدقيقة التى مارسها فى حياته . هو قد اعترف بالغرائز الدنيا وقد اعترف بالعواطف العليا، وهو قد رأى الشر إلى جانب الخير، فكان فى كل ذلك يمثل المعلم المتبصر الرشيد ، ولن يكون الزعيم ولا المعلم حتى ولا القاضى أهلاً لما يرجى منه حتى يرى النفس الانسانية من ناحيتيها وحتى يقدر الشر والخير والرذيلة والفضيلة، وحتى يعترف بالشر والرذيلة ويتفحص هذه وذلك ليترسم السبيل السوية نحو الخير والفضيلة وكل ما ينطويان عليه من معان

تلك النظرة الدارسة هى التى أقامت عند قاسم أمين كل المعايير التى حاول أن يطبقها على المجتمع المصرى ، ولأنه كان يؤمن بأن النفس جماع العواطف والوجدانات فقد قال : « إن الفضيلة والرذيلة يتنازعان السلطة على نفس الانسان فى جميع أدوار حياته . فتارة يخضع للأولى وتارة تتغلب عليه الثانية ، ولا يوجد رجل مهما بلغ فى التربية والعلم يكون آمناً من السقوط يوماً فى الرذيلة ، كما لا يوجد رجل مهما أحاطت به الرذيلة إلا وفيه استعداد لأن يأتى يوماً بأفضل الأعمال

« وحقيقة الأمر أن أخلاق الإنسان ليست شيئاً يتم دفعة واحدة ، وليس لها حد تقف عنده ، إنما هى فى تحليل وتركيب ، فى تكوين مستمر يعتريها الانحلال زمناً وتعود بعده إلى التماسك »

بل هو قد استطاع أن يقيم معياراً صحيحاً يقيس به رغبات الرجال ونزعاتهم . ولسنا ندرى هل كان يتنبأ بكشوف علم النفس الحديث حين قال : « إن الإنسان أسير الشهوات ما دام حياً . وإنما تختلف شهواته باختلاف سنه : فشهوة اللعب عند الطفل ، وشهوة الحب عند الشاب ، وشهوة الطمع عند رجل الأربعين . وشهوة السلطة عند شيخ الستين ، جميعها شهوات تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا»

وقد كان قاضياً، على أنه كان ينظر إلى نفس المجرم نظرة دارسة أخرى . كان يرى أن المجرم مسير أكثر مما يكون مخيراً ، وأنه « لا بد أن تكون الغـاية النهائية للتربية الأدبية هى العفو عن الخطيئة — العفو عن أكبر خطيئة ، العفو عن كل خطيئة »

« هل المخطئ مسئول أوغير مسئول ؟ وما هى درجة مسئوليته ؟ مسألة عظيمة يجب على من يريد الحكم على غيره أن يحلها . لكن حلها يكاد يكون محالاً ، إذ لا يستطيع أحد أن يلم بجميع العوامل التى تتركب منها الذات الإنسانية بوجهيها الأدبى والمادى ، والقليل الذى يعلمه من ذلك يبين أن سلطة الإرادة على النفس محدودة وخاضعة لمؤثرات كثيرة شديدة تتنازعها وتقارعها وتضعف قوتها على نسبة مجهولة ومقدار لا يصل إلى تقديره عقلنا . وكل تاريخ الإنسان فى المـاضى يدل على أنه إن لم يكن متولداً عن الحيوان المفترس مباشرة ، فهو مشابه له فى شره وأطماعه وشهواته . خلق عليل النفس كما هو مريض الجسم . خلق على أن تكون صحته الجسمية والعقلية صدفة سعيدة وعارضاً مؤقتاً »

« فالخطيئة هى الشىء المعتاد الذى لا محل للاستغراب منه . هى الحال الطبيعية الملازمة لغريزة الإنسان . هى الميراث الذي تركه آدم وحواء لأولادهما التعساء من يوم أن اقتربا من الشجرة المحرمة ... من ذلك اليوم البعيد لوثت الخطيئة طبيعتهما ، وانتقلت منهما إلى ذريتهما جيلاً بعد جيل . ذلك هو الحمل الثقيل الذى تئن تحته أرواحنا الملتهبة شوقا إلى الفضيلة ... »

« وأخيراً ، فإن العفو هو الوسيلة الوحيدة التى ربما تنفع لإصلاح المذنب ، فقلما توجد طبيعة مهما كانت يابسة لا يمكن أن تلين إذا هى عولجت »

وإذا أنت نثرت بين يديك كل ما قيل عن تنازع الغرائز ، وإذا أنت نشدت فكرة تأخذ بجماع الغرض الأسمى للتربية ، لم تجد تصويراً أدق مما ترسمه قاسم أمين فى تلك الكلمات . كل كلمة تنضح من ينبوع من الحكمة والحق والحب ، وكل فقرة تجبهك بحقيقة من الحقائق التى يعيها رجال التربية ويعلمون مداها فى تربية العقل والوجدان فى العصر الحاضر . وإنما النفس الحساسة التى تفيض رحمة وحنانا هى التى شعرت بكل ذلك . وقاسم أمين القاضى هو الذى آمن ذلك الإيمان . أليس القاضى هو الذى يستطيع أن يبلغ بإحساسه إلى مستسر النفس ويتعمق بشعوره إلى أطوائها ؟ إلا أنه كان قاضياً فذاً ذلك الذى استطاع أن يوفق بين العدل وبين العفو . فهو يشعر بنواحى الضعف البشرى كما يشعر بها شاعر مثل شكسبير ثم لا يمنعه ذلك من أن تجرى أحكامه بقسطاس مستقيم

* * *

قاسم أمين المربى وقاسم أمين القاضى هو الذى شعر بكل ذلك؛ لكن قاسم أمين المتفنن الأديب هو الذى استطاع أن يؤلف بين العفو وبين العدل وأن يداول بين المثل الأعلى وبين الفطرة الدنيا . والمتفننون فى العالم هم أولئك الذين ألفوا بين المتناقضات وجمعوا الأبيض والأسود فى صعيد واحد يفرقون بين هذا وذاك بما يوحى إليهم من الحكمة وبما يلهمون من شعر أو حديث أو تصوير . ولولا أن المتفننين القدامى والمحدثين قد اعترفوا بالرذيلة والخطيئة والشر لما ورث العالم ذلك الفن الذى رفه على الإنسان حياته . وقد أوتى قاسم أمين نفس المتفنن الأديب وهى التى ألهمته

أن يرد حياة المجتمع فى عصره إلى عناصرها الأولى فاستطاع أن يفرق بين الحق وبين الباطل واستطاع أن يدافع عن الأصول التى اهتدى إليها فى حرارة الأدباء والمتفننين

ولسنا ندرى: أإذا أتيح لقاسم أمين أن يكتب فى الأدب التمثيلى أكان يكتب من المسرحيات ما يشا كل تلك النفس الفنانة التى ترددت بين جنبيه ؟ لكن قاسماً كان فيما يكتب يستروح نفحة نقية من الأدب ، ويتهدّى بشعور عميق من الفن . إلا أنه لأمر ما لم يتجه إلى الأدب المسرحى ، أو قل إنه أوتى الكثير من عدة الفن لكنه لم يتهيأ لإنتاج الفن نفسه . وإنما قوام الفن تلك الحساسية البريئة التى تستطيع أن تشفق على المجرم وأن ترى الغرائز الدنيا مصطخبة مع الأفكار العليا . إنها نفس حساسة تلك التى تستجيب لكل الآثار التى تلقاها ، وهى هى نفس المتفنن الأديب. وأى الرجال كان شكسبير، وأى الرجال إبسن أو برناردشو إذا هم لم يمتازوا بتلك النفس الحساسة التى تستجيب لكل الدواعى ؟ وعندنا أن قاسم أمين كان أحد الذين انفعلوا لآثار البيئة التى عاشوا فيها ، ثم أعطوا بعد ذلك أضعاف ما أخذوا : وهو يشبه فى ذلك جمهرة الروائيين الذين صوروا الحياة كما كانت وكما ينبغى أن تكون . ولو أنه أوتى حظاً من التأليف الروائى لخرجت من بين يديه مسرحيات تطاول ما ألفه الآخرون. وحسبه أن كلماته التى لم تبلغ الستين صفحة لم تزل معرضاً لنواح كثيرة من حياة الجيل السالف : معرضاً أحسن تصويره أى إحسان .

ولعلنا نطيل كثيراً إذا حاولنا أن نتأثر ما صوره قاسم أمين من حياتنا المصرية ، فهو فى مرة يصف حياة خمسة من الشيوخ أحيلوا إلى المعاش وقضوا أوقات فراغهم فى لعب الطاولة وفى مناقشات بريئة صاخبة عن السن . فقضى الموت على أربعة منهم « وبقى خامسهم منفردا كئيبا لا يتكلم ولا يخرج من بيته لا يدرى ماذا يصنع بحياته ويرقب الموت الذى يخلصه منها . » وهو يكتب فى مرة عن متطفل اقتحم بيت أحد أصدقائه وفيه قوم يسمرون فأفسد سمرهم . وهو فى كل ما يصف شاعر بالجذل الذى يملك نفس الروائى ، وهو يقول فى ذلك : « يقصد الناس التياترات لرؤية الحوادث الغريبة ، وسماع القصص المضحكة أو المبكية . والعاقل يكتفى بما يراه حوله ويسمعه ، يتفرج مجانا على وقائع لم تبلغها مخيلة المؤلفين ، ولا مهارة الممثلين » .

* * *

وشىء آخر شارك قاسم أمين فيه أهل الفن والأدب ، ذلك هو الشعور بالجمال . فلقد كان خياله سخيا لدنا ، اتسع لألوان كثيرة من الجمال . وقد حاول أن يسبغه على غرائز الفطرة الأولى التى اعترف بها . فهو إذا اعترف بأن الإنسان يولد شريراً فقد ذهب إلى أن الغريزة قد يستعلى بها إلى المكان الأسمى . وهو فى ذلك يختلف عن كل معاصريه الذين ثاروا به . ولأن هؤلاء لم يدركوا ذلك الأساس الأول من أسس التربية والإصلاح فقد ظل قاسم أمين عرضة لسوء الظن ،وظلت كلماته غرضا لسوء التأويل؛ وهو قد كان يؤمن بأن « أعظم ما يصاب به المرء أن يحرم من الذوق السليم » وبأن « الذوق السليم هو الإحساس الفطرى الذى ينمو ويتهذب بالتربية . هو الشعاع اللطيف الذى يهدى صاحبه إلى أن يقول ويفعل ما يناسب المقام »

وكأنما قد ألهمت تلك النفس الحساسة حب الجمال إلهاماً ، وكأنما تشرفت على ما تندفع به نفس الإنسان من عواطف نبيلة ، كما اطلعت على ما يتدفق فى أغوارها من غرائز وشهوات . والحق أن باحثاً يدرك الشر لا بد أن يرى ناحية الخير ناصعة بريئة . وقد داول هو البحث بين الخير والشر فأقام حدوداً جمالية نرى أن مصر لم تأخذ بالكثير منها . فهو قد كان يرى أن « أكبر الأسباب فى انحطاط الأمة المصرية تأخرها فى الفنون الجميلة : التمثيل والتصوير والموسيقى ، وأن هذه الفنون ترمى جميعها على اختلاف موضوعها إلى غاية واحدة هى تربية النفس على حب الجمال والكمال ، فإهمالها هو نقص فى تهذيب الحواس والشعور »

وهو يقص عليك القصة التالية لتدرك تقديره للجمال ، ولترى فى أية بيئة كان يعيش :

« دخلنا قصر اللوفر ، وكنا أربعة من المصريين لنمتع النظر بأبدع ما جادت به قرائح أعاظم الرجال فى العالم ، فبعد أن تجولنا فى غرفتين جلس أحدنا على أحد الكراسى قائلاً : أنا اكتفيت بما رأيت وها أنا منتظركم هنا . وقال الثانى : أتبعكما لأنى أحب المشى وأعتبر هذه الزيارة رياضة لجسمى ، وسار معنا شاخصاً أمامه لا يلتفت إلى اليمين ولا إلى اليسار ، وما زال كذلك حتى وصلنا

أعلام الأدب

هومـــــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذى الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

ألم ينظم هوميروس غير الإلياذة والأوديسة ؟

لقد ذكر كالينوس الشاعر اليونانى القديم (٦٦٠ ق . م) منظومة لهوميروس تدعى (Thebais) لما يعثر عليها إلى عصرنا هــذا . ويظن بعض المؤرخين أنها لا تعدو أن تكون الإلياذة فى صورة أنخم نظمها للانشاد فى طيبة اليونانية ولذلك أطلق عليها هذا الاسم

وعثروا على آثار للشاعر سيمونيدز (أمورجوس) الذى كان يعيش فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، وردت فيها مقتطفات من هوميروس يُظن أنها من الإلياذة — منها ذلك البيت المشهور : « وكما تَسَّاقط الأوراق (فى الخريف) فكذلك تَسَّاقط أرواح البشر »

وبعد ذلك بقرن كامل (٥٥٦ — ٤٦٨) رَوى شاعر آخر يدعى : سيمونيدز (من كيوس) بالتواتر عن هوميروس شعراً من ملحمة مفقودة لا تمت بصلة لا إلى الإلياذة ولا إلى الأوديسة

أما بندار (٥٢٢—٤٤٨ ق . م)، وهو زعيم الشعر الغنائى فى اليونان القديمة ، فقد كان مشغوفاً بهوميروس وإن لم يمنعه شغفه به من مآخذ أخذها عليه فيما يتعلق بأوديسيوس ...وقد ذكر لهوميروس ملحمتين طويلتين عن أخيل ما تزالان وا أسفاه مفقودتين إلى اليوم ... وإذا كانت الأوديسة قد بلغت هذه الغاية من الإبداع فى سمو القصص وكثرة الوقائع وهى لبعض أبطال الإلياذة ، فما بال هوميروس فى ملحمتيه فى أخيل وهو بطل أبطال الإلياذة جميعاً ؟ ! أية ثروة أدبية من شعر البطولة قد فقدها العالم !! لقد كان بندار يعجب بهاتين الملحمتين (الإلياذة الصغيرة والأثيوبيون) إعجاباً فائقاً جعله يشدو بهما كما يشدو عصفور الكناريا باللحن الموجع ...

أما إسخيلوس فقد كان يقول عن مآسيه التى نيفت على الثمانين ولم يصلنا منها ويا للأسف إلا سبع : « إنهن فتات من موائد هوميروس الحافلة ! ! » والثابت أنه استخدم أبطال الملاحم الهومرية فى أكثر ما ألف إن لم يكن فى كل ما ألف ... فهل كانت جميع مآسى اسخيلوس عن أبطال الألياذة والأوديسة فقط ؟!

وقد ألف سوفوكليس أربعاً وعشرين ومائة مأساة ... وكانت ثلاثياته (1) تحوم حول أبطال هوميروس كما كان يفعل إسخيلوس، فهل كانت أبطاله فى هذه الأربع والعشرين والمائة المأساة كلها من الألياذة والأوديسة ؟

يقول المؤرخون حين يعرضون لهذا إن كلا من إسخيلوس وسوفوكليس كان يعد كل ما وصل إليه من ملاحم العصر القديم هومرياً ، ولو لم يكن من نظم هوميروس ... ومن هذا التراث العظيم استمدا موضوعات مآسيهما ... بل يقولون إنهما كانا يدعوان ذاك العصر كله العصر الهوميرى ... على أنه ليس فى هــذا الكلام دليل على أن هوميروس لم ينظم غير الإلياذة والأوديسة ، وإلا لم يقل إسخيلوس إن مآسيه فتات من موائده

(١) كانت مآسى اسخيلوس وسوفوكلس تتركب من ثلاثيات والثلاثية Trilogy عبارة عن ثلاث مآس تؤلف موضوعاً واحداً

قاعة المصاغ والحلى . وحينئذ تنبهت حواسه وصار ينظر إلى الذهب ثم صاح : هذا ألطف ما فى الدار . وصلنا إلى تمثال إلهة الجمال الفريدة فى العالم أجمع ، فسألت دليلنا ماذا تساوى هذه الصورة إذا عرضت للبيع ؟ فقال إنها تساوى ثروة أغنى رجل فى العالم . تساوى كل ما يملكه الإنسان . تساوى ما يقدر لها حائزها ويطلبه ثمناً لها ، إذ لاحد لقيمتها »

وأنت تستطيع أن تقدر المرارة التى تخبث النفس الزكية حين تهتز لقطعة من الشعر أو الموسيقى أو لقطعة من التصوير والنحت؛ تحس بهذه المرارة إذا ابتلاك القدر بأن تسير وشخصاً تجافى نفسه كل نوع من أنواع الجمال ، فلا يرى من جمال الشعر إلا البيت المتهتك السخيف ، ولا من جمال الموسيقى إلا النغم الصاخب النفر . ولعلك تحس بالمرارة التى كان يشعر بها قاسم أمين إذ كان يساير رجلاً استغلقت عليه آيات الفن الخالدة غير بعض حلى من الذهب والفضة لأن لها بريقاً يلمع ! حقاً إن قاسماً كما أسلفنا القول كان يعيش فى جو خاص لا يشاركه فيه إلا القليل

احمد خاكى

الحافلة ، لأن إسخيلوس كان يعنى ما يقول أكثر مما يحاول مؤرخو زماننا هذا أن يفهموا من عبارته وجهها الصحيح ، وهو ولا شك كان يعنى هوميروس نفسه ، ولم يعن عصره كله وبعض العصر الذى سبقه وبعض العصر الذى جاء بعده أو ما يسميه المؤرخون العصر الهوميرى ، أو ما يزعمون أن إجزنوفان (القرن السادس) كان يدعوه كذلك

هذا وقد اعترف تيوسيديدز لهوميروس بالإلياذة وبالأوديسة وبترتيلة أبوللو ؛ أما أفلاطون فلم يستشهد بأكثر من نتف من الإلياذة والأوديسة ؛ وجاء أرسطو فاعترف له بالإلياذة والأوديسة وملحمة فكاهية تدعى (مارجيتس) ضاعت فيما ضاع من تراث الإغريق ... أما أرسطرخوس الأسكندرى العظيم (١٦٠ ق . م) فلم يعترف له بأكثر من الإلياذة والأوديسة

وعلى ذكر أفلاطون وأرسطو نروى أن كلا منهما كان يقتنى نسخة من الإلياذة مختلفة فى كثير من فصولها عن النسخة الأخرى ، ولم يستطع المؤرخون تعليل ذلك بعد ، اللهم إلا ما يعزى إلى بِزِسْتراتوس — منظم أشعار هوميروس فيما يقال — من أنه تناول الإلياذة بشىء من التحوير ، وأقحم عليها زيادات فى تمجيد الأثينيين ... وهو ما يشك فى صحته الأساتذة لانج وموراى وبورا والعلامة كارل موللر

على أنه ليس بزستراتوس وحده الذى اتهم (بتحشية) الإلياذة والتزوير على هوميروس ، بل إن صولون نفسه قد اتهم بمثل ذلك ... بل اتهمت به كل مدينة يونانية ... وما حدث للإلياذة من ذاك القبيل هو ما حصل لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حينما اختلفت الأحزاب وأراد كل منها أن ينصر مذهبه بأثر من كلام الرسول، فكثر التلفيق وشاع الوضع ، ثم نشأ بعد ذلك ما نشأ من مدارس الحديث وشمر الأئمة للتجريد والتضعيف وما إلى ذلك .. فمثل هذا حدث فى اليونان القديمة

ولقد ساهمت مدرسة الإسكندرية بأوفى نصيب فى درس الإلياذة والأوديسة ، وفرغ من تلاميذها الأفذاذ لكلتا الملحمتين عدد عظيم استطاعوا عرفان الزائف من غيره ، وكان إمام هذه المدرسة المؤرخ الناقد الكبير أرسطرخوس الذى وضع لنقد الأدب الهوميرى قواعده الرائعة

ويحددون عصر البطولة الذى وقعت فيه حوادث الإلياذة ثم حوادث الأوديسة بالقرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وذلك أن القبائل اليونانية (الأيونيّه والأيوليّه والدوريّه) كانت قد أخذت تنهض فجأة وتناضل فى سبيل مجدها وتناوئ الحثيين والمصريين على السواء ، وكان لا بد لها قبل كل شئ من أن تقهر طروادة المحصنة القوية الرابضة على ضفة الهلسبنت (الدردنيل) الشرقية ... وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ... وبعد أربعة قرون أو نحوها ، جاء هوميروس ليروى وقائع هذه الحرب فى منظومته الخالدة ، أو وقائع السنة الأخيرة من السنوات العشر من حصار طروادة — أو إليوم — كما كان يدعوها غالباً .

فالإلياذة من هذه الوجهة قصيدة حربية حافلة بأنباء المعارك ، تكاد تسمع صليل القتال وأنت تتلوها ، وتكاد تشرف منها على ميدان صاخبٍ ثائر النقع ، شديد الروع ، فائر بالدماء ... وإذا كنت من رجال الحرب سرتك الخطط المرسومة والخُدَع المحبوكة ، وراعتك هذه الفيالق المجيّشة تأخذ أماكنها ثم تتحرك كالموج ، ثم ترتد قطعة بعد قطعة وهى فى حالتى الكر والفر كالرجل الواحد ، أو كالبنيان المرصوص ... والإلياذة من هذه الوجهة أيضاً تصور لك حياة الجند فى الثكنات أبرع تصوير وأروعه ، كما تصور لك حياة البحارة والرياضيين والرعاة ورجال الجبال ... لكنها لا تبلغ من ذلك ما بلغه هسيود فى ملاحمه ، وذلك ما نرجئه لفصل آخر

الإلياذة وصف قوى لهذه المجازر التى نشبت بين جيل من الناس يسكن فى طروادة ، وبين جيل مختلف عن جيل طروادة ... لأنه جيل من أنسال الآلهة ، وذرارى أرباب الأولمب ، فيما تزعم أساطير اليونان ... جيل توالد من تزاوج عجيب بين هذه الأرباب الأولمبية وبين إنسيات فاتنات من بنات حواء ... فليس أخيل العظيم ولا أودسيوس ولا أجاممنون ولا منالايوس ولا ديوديميد ولا نسطور ولا أجاكس ولا أبطال أخايا[1] جميعاً أشباهاً لهكتور ولا باريس ولا أبيهما بريام ولا لأبناء طروادة ، لأن الأولين أبناء آلهة والآخرين أبناء بشر مثلنا

شخصيات عجيبة جداً تلك الشخصيات التى اخترعها هوميروس

(١) أخايا وهيلاس من أسماء اليونان القديمة . وأخايا أيضا مقاطعة بينها من هذه البلاد

فهو لم يكتف بأن صنع للأغريق لاهوتا يعج بكل زوج من الآلهة بل راح يزاوج بين تلك الآلهة وبين الناس ثم ينسل أولئك الأبطال المظام الذين دوخوا طروادة، وأرووا سوحها بالعزيز الغالى من دماء أبنائها

فالسيدة هيلين ، التى بسببها نشبت الحرب ، هى ابنة زيوس كبير الآلهة من ليدا التى أحبها الاله الأعظم فى غفلة من زوجه هيرا .

وأخيل — بطل الإلياذة — هو ابن پليوس ملك فتيا — لكن أمه عروس الماء الحسناء الفتان ذيتيس — التى استطاعت أن تزلزل قلب الإله الأكبر — زيوس — بجمالها الساحر ، وأن تجعله ، وهو سيد أولمب ، بعض عبادها ، كما استطاعت كذلك أن تسحر قلوب الآلهة الذين أهرعوا من كل مكان ليشاركوا فى زفافها ويشربوا النخب فى أكواب مما أهدى إليها الصب المدنف ، إله الخمر ، باخوس !

وأوديسيوس — بطل الأوديسة ، وثانى أبطال الإلياذة ، وصاحب فكرة الحصان الخشبي — يتصل بزيوس من أمه مايا — وكذلك ابنه تلياك

أما أجاكس ، وهو من أبرز فرسان الإلياذة وأشدهم بأساً ، فهو من حفدة دردانوس

وأجاممنون ، وأخوه منالوس ، هاولدا أتريوس حفيد تنتالوس ، ذلك الملك القاسى المتحجر القلب الذى حاول مرة أن يطعم الآلهة من شـواء صنعه لهم من بدن ابنه(١) . فكان جزاؤه النفى إلى ظلمات هيدز حيث قاسى الظمأ الممض وهو غريق فى نهر من الماء العذب لا يصل إليه فوه ، وإن بينه وبين الماء لشبراً واحداً

وجميع الأبطال الآخرين هم حفدة الآلهة ، وأبناء السماء كما دعاهم هوميروس (الألياذة جـ ٢ سطر ٥١٣)

على أن أبطال طروادة يمتون هم أيضاً بوشائج النسب إلى بعض الآلهة . فبريام وأبناؤه التسعة (هكتور وپاريس ... الخ) ينحدرون من أسلاف أجاكس (دردانوس)

وفى كثير من كتب الإلياذة مفاخرات عجيبة بالأنساب بين أبطال اليونان وأبطال طروادة ، إذ يرد الطرفان أصولهما إلى الآلهة (إقرأ المفاخرة الجميلة بين أخيل وبين إيناس — إلياذة — الكتاب العشرون)(٢)

بيد أن أبطال اليونان فى الإلياذة يبدون أكثر اقتراباً إلى الآلهة وأشد اتصالاً بهم مما تبدو العناصر المكونة لجيش طروادة

وكذلك الحال بين آلهة الأولب ، فأكثرهم يعطفون على اليونانيين ويناضلون عنهم ، ويُسْدون لهم أحسن الجميل فيما تقتضيه معاركهم من تيسير وترشيد

أما طروادة ، فيعطف عليها أبوللو ، وتنحاز إلى صفوفها فينوس... أليس پاريس قد قضى بالتفاحة لها من دون هيرا ومينرفا ؟

لذلك تكاد تكون حرب الإلياذة قائمة بين قبيلين متفاوتين فى الطبائع ، فأحدهما أقرب إلى الآلهة منه إلى الناس ، والآخر أقرب إلى الناس منه إلى الآلهة ، وفى ذلك ما فيه من ميل هوميروس الذى يبدو هواه مع اليونانيين فى الإلياذة التى نملكها ، والتى هى من تمحيص اليونانيين من أهل أثينا والأسكندرية

على أن هذا الميل لم يكن حاداً أو مبالغاً فيه كما هى الحال فى القصص الشرقى الذى خلفته لنا عصور البطولة ومن نحو قصة عنترة أو أبى زيد أو سيف بن ذى يزن ؛ فالغالب فى هـذه القصص أن يطبع الراوى سامعيه بطابع خاص ، فيجعل هواهم فى جهة واحدة بحيث يطربون أبلغ الطرب وأشده إذا جال عنترة جولة فأطاح برؤوس مائة أو مائتين أو ألف أو ألفين . أو إذا انهزم الزناتى أمام أبى زيد . . . لا . . . لم يفعل هوميروس كما فعل هؤلاء ، فهو بالرغم مما جعل لأبطال الاغريق من شرف النسب وكرم الحسب ، وبالرغم مما أنهى به الإلياذة من فتح طروادة وإشعال النيران فيها وقتل أبطالها البارزين إلا أنه قد خصهم بنوع عجيب من البطولة يرفعهم درجات فوق الأبطال الاغريق . وذلك أنه جعلهم أناساً ، وجردهم فى المعمة من هذه الحضانة الربانية التى خلعها على أخيل وغير أخيل ، ومع ذلك فقد صبروا وصابروا ولقوا جموع اليونانيين بمثل الشجاعة التى لقيهم اليونانيون بها ، فلم يجبنوا ، ولم يهنوا ، ولم يتخاذلوا عند اشتداد اللقاء ، وكانوا يَقتلون ويُقتلون ، وكانت الكرة تكون لهم مرة ولخصومهم مرة ... وكانت لهم مواقف عجيبة مشرفة تنتزع من القارئ استحسانه أو رثاءه ... وقد استطاع هوميروس أن يستدر دموع سامعيه وهو يصور وداع هكتور لزوجه وولده ،

(١) أساطير الأغريق والرومان لجربر ص ١٤٣
(٢) تجد فى الكتاب الثانى للألياذة أنساب معظم الأبطال اليونانيين الذين اشتركوا فى هذه الحرب وقد أورد الأستاذ جربر جدولا جنيالوجيا فى آخر كتابه هو أحسن ما وضع فى هذا الباب

عرض سريع

يوم الفتوّة فى بغداد

للأستاذ على الطنطاوى

وفزع هذا الولد العجيب وأبوه يتناوله من يدى أمه ليقبله القبلة الأخيرة التى لم يره بعدها ، لأنه ذهب ليصاول أخيلا فيقتله أخيل بمساعدة الآلهة ... لا لأنه أقوى منه وأشد مراساً ...

لقد استطاع هوميروس أن يستدر دموعنا وهو يصور لقاء أخيل لبريام المحزون وقد ذهب — وهو ملك طروادة — يرجو بطل الإغريق وزعيم الميرميدون فى أن يدع له جثة ولده هكتور ، وأن يخلى بينه وبينها ، فما كان من أخيل إلا أن أصاخ ودموعه تنزف ، فترك الجثة ، جثة هكتور الذى قتل بتروكلوس حبيب أخيل ، ووكيله على جنده وأعز الناس إلى نفسه ، والذى بكيناه أحر البكاء حينما قتل ، وحينما انتزعت أسلابه ، وحينما جئ به إلى معسكر أخيل معفراً بتراب المعمعة ، وحينما سهدت عليه العيون ، وسهرت عليه حبيبة أخيل

وهكذا يرتفع هوميروس بأبطاله فى الناحيتين ، ويوزع إعجاب القارئ على المعسكرين ، مما سنبينه فى العدد القادم

دريني خشبة

ذلك هو يوم الجمعة ٢٧ يناير ، الذى انتقلت فيه بغداد كلها ، فاستقرت فى شارع الرشيد وشارع غازى ، لترى مركب الفتوّة ، الذى يصل بين غازى والرشيد ، فينشئ المجد الجديد ، على أساس المجد التليد ... وقد أتى الناس من كل فج عميق ، ليشهدوا بأعينهم كيف غدا أبناؤهم أسوداً صغاراً ، أشبالاً ، يدافعون عن الحمى ، ويحمون العرين . . . ويبصروا ببصائرهم الآتى المجيد ، والمستقبل الزاهر ، وقد أشرق فجره من عيون أولئك الفتيان ، التى تبرق بريق الحماسة والإخلاص ، وقلوبهم التى تنطوى على التضحية والثبات ، وألسنتهم وهى تنشد النشيد الذى يوقظ الموتى ، ويصب الحياة فى الصخر الصلد ، وأيديهم التى تهز البنادق ، تقول بلسان حالها : إنا محقق ما نقول !

مرحى يا فتيان العراق ، عشتم للعروبة ، وسلمتم للاسلام !

***

أقبل الناس على شارع الرشيد ، قبل أن تقبل الشمس بوجهها على بغداد ، فملؤوا جوانبه ، واستأجروا مداخل المخازن ، وشرفات المنازل والفنادق ، حتى بلغت أجرة المقعد الواحد ربع دينار ، ولا ترى فى شرفة مقعداً ، ولا على رصيف مكاناً ، وتعلق الناس بالأعمدة ، وأشرفوا من الأسطحة ، وكانت الوجوه فى بشر وانطلاق ، كما كانت الطبيعة متهللة باسمة فى هذا اليوم المشهود ، والشمس بازغة ساطعة ، والأنس فى الأرض وفى السماء ...

وانتظر الناس ساعات ، لا يملّون ولا يضجرون ...

***

وكنت فى غرفتى فى (الأعظمية) أهم بالنزول إلى بغداد ، ثم يردعنى خوف الزحام ، وكراهية الاختلاط ، وخشية أن يبتلعنى هذا اللج البشرى الهائل . . . وكنت أنظر فى ركام الكراسات التى تبلغ المئات ، والتى جمع فيها كل تلميذ ما يستطيع من الأخطاء والحماقات ، لأموت بتصحيحها ، وتقدير درجاتها ، فلا أمسها ، ولا أدنو منها ، وإنما أنصرف عنها أفكر فى بلدى وأهلى ...

أأنا أهجع آمناً فى بغداد ، وآنس مطمئناً ، وأهلى فى دمشق يمشون على النار ، ولا يدرون أإلى موت أم حياة ؟ أأستمتع بالجمال ، وأتذوّق الحب ، وأنفق الأماسىّ الهادئة ، فى مسارب الأعظمية ، أساير (الشط) وأتفيأ ظلال النخيل . والشام قد ثار من تحته البركان ، وزلزلت منه الأركان ، وهبّ أهله هبّة المستميت ، يريدون الحياة كاملة ، أو الموت صرفاً زعافاً ؟

فكرت فى ذلك فامتلأت نفسى كآبة وحسرة ، فقمت على غير شعور منى وانطلقت إلى بغداد ، وما أدراك اليوم ما بغداد ؟

***

بلغت (الباب المعظم) وعهدى بالمكان أن فيه شوارع وميداناً ، فإذا هو بحر من الخلائق يموج بعضها فى بعض ، وقد غرق فى هذا البحر الشارعُ واختفى الميدان ، فوقفت حائراً لا أتقدم ولا أتأخر . وطال بى الوقوف ، وخشيت أن أبقى كذلك

RETRO NEWS

https://t.me/megallat https://www.facebook.com/books4all.net oldbookz@gmail.com

إلى المساء ، فتشددت وقلت: ويحك يا نفسى ! لماذا الجبن؟ وعلام التأخر ؟ ولماذا كنت تدفعيننى إلى أن أمارس ألوان الرياضة ، إذا كنت لا تستطيعين النجاة فى مثل هذا اليوم العصيب؟ وظننت نفسى قد اشتدت ، فشمرت عن ساعدىّ وأقبلت أدفع هذا ، وأزيح ذاك ؛ وكلما دفعت عنى واحداً حلّ مكانه عشرة ، فخارت قواى وأيست من النجاة ، واعترفت لنفسى بأنى لم أبلغ بعد مبلغ عنتر (عنتر القصة) الذى يقبض على الرجل فيرفعه بيده فيضرب به الآخر فيقتل الاثنين ... فوقفت فاشتد على الضغط من كل جانب ، حتى أحسست كأن أحشائى ستخرج ، وضاق نفسى ، ولكن كل ضيق إلى فرج ، فلم يكن إلا أن فرج الله عنى فبعث رجلاً من رجال الشرطة أعرفه فحملنى إلى الفندق الذى أريد ...

* * *

وكان فى شرفة الفندق سعادة القائد البطل فوزى القاوقجى وأخى الشاعر أنور العطار فى جماعة ، فخلت فيهم ، ولبثنا ننتظر الموكب ، ونتحدث عن الفتوة فى العراق ، ونستمع إلى أحاديث فوزي وهى للأديب كنز لا ينفد ... وأشهد أن فى العراق فتوة وشبابا ، وأنه شعب عرف طريق الحياة فسلكه . ولقد رأيت من مظاهر الفتوة فى بغداد ما جعلنى أبكى من فرط التأثر ! رأيت فى بغداد طفلاً يدرج على باب منزله ، لم يتعلم المشى ولا النطق ، وهو يحاول أن يخطو خطو الجند ، ويوعز إيعاز القائد : يُسْ . يمْ . أى : يسرى . يمنى ...

رأيت فى بغداد أطفال المدارس الابتدائية ، يسيرون سير الجنود . يقودهم مدرس بلباس ضابط ، يدربهم على فنون القتال

وذهبت مع الطلاب إلى معسكر الانكليز فى (سن الذبان) لمباراة رياضية . فرأيتهم قد قلبوا المدينة الانكليزية إلى حى من أحياء العرب ، وأفاضوا عليها روحهم وشبابهم وفتوتهم ، فقلت : تبارك الله ! إذا كان جيش من لاعبى الكرة لا يتجاوز الخمسين شاباً فعل هذا كله ، فكيف لو جاء الجيش العربى جيش المستقبل ؟ وسألت الطلاب فى الامتحان هـذا السؤال الأزلى : ماذا يريد أحدكم أن يكون ؟ فكان جواب الأكثرين أنهم يريدون أن يكونوا جنوداً ، مشاة وركباناً ، وبحارة وطيارين ، يدافعون عن أمتهم ويذبون عنها كل طاغية أو جبار ينبع من الأرض أو يهبط من السماء ... ورأيت أثر الروح العسكرية واضحاً فى الطلاب ، فالطاعة من غير استخذاء ، والحرية من غير تمرد ، والنظام من غير جمود . ثلاث هى صفات طلاب العراق . وإن فى مدرستنا الغربية لثلثمائة طالب ، والمدرسة سائرة سير الساعة المتقنة وليس فى إدارتها إلا مدير ومعاون ، مع أن مثل هذا العدد يحتاج فى دمشق إلى عشرة ضباط (معيدين) ثم لا تكون المدرسة كالساعة ، وإنما تكون كالبركان الذى يهدد كل لحظة بالانفجار . فيا ليت شباب دمشق يعرفون الروح العسكرية ، كما عرفها أشقاؤهم شباب العراق

* * *

لبثنا ننظر إلى الضحوة الكبرى ، والناس لا يزدادون إلا تدفقاً ، فكأنهم سيول تصب فى هذا الخضم العظيم ، والشارع يموج بالناس موجاً ، ويزخر بالخلائق ، وكلهم يتطلع وينظر ، وكلهم يسأل متى يأتى الموكب ، وعمال الشركة الأميركية للسينما ماثلون بآلاتهم فى الشرفات والزوايا ، ليصوروا معالم الحياة فى بغداد ...

وإن البحر ليموج ويزخر ، وإن أمواجه لتصخب وتضطرب ، وإذا بالمعجزة قد وقعت فانشق كما انشق البحر لموسى ، وانفتح الطريق ، فنظر الناس ونظرنا فإذا الأعلام العربية تلوح بألوانها الأربعة التى تجمع شعار دول الإسلام كلها بأميتها وهاشمها وعباسها وترمز لفضائل العرب كلها :

بيض صحائفنا سود وقائعنا ... خضر مرابعنا حمر مواضينا

وإذا الموكب قد لاح من بعيد ، كما يلوح الهلال الهادى ، للقائد الآيس ويسطع كما يسطع نجم الأمل فى ظلمة القنوط ، وإذا موسيقاه القوية تدوى فى الآذان ، فيكون لها أثر فى النفوس أحلى من نداء الحبيبة فى نفس المحب المشوق ، فحبس الناس الكلمات ووقفوا الأنفاس ، يتطلعون ويترقبون ، والموسيقى تعلو والفتيان يتقدمون حتى وصلت طليعتهم . . . فما استطاع ذو شعور إمساك دموع الفرح والرقة والتأثر أن تسيل ، وارتجت الأرض بالتصفيق والهتاف ، كما ارتجت من قبل بهذه الموسيقى القوية المحبوبة ، وهذا النشيد الذى يسمع من خلاله صوت المستقبل البارح وتلوح فى أثنائه خيالات المعارك الظفرة . . . وكان الفتيان أطهاراً مثل الزهر اليانع ، لدنا كأغصان الروض ، ولكنهم كانوا أقوياء كدوح الغاب ، أشداء كأسود العرين ؛ وكانوا يسيرون صفوفاً متعاقبة على عرض الشارع ، مرفوعة رؤوسهم ، منتصبة قاماتهم ،

موزونة خطاهم ، على أكتافهم بنادقهم وعدة قتالهم ، يتقدمهم قادتهم ومدربوهم والقائد العام المقدم محمود فاضل ومساعده الجرموز الأكبر بهاء الدين الطباع على الخيول البلق ، أمام الجيش الفتى

* * *

لا والله ما أحسست بالعجز مرة عن وصف ما أرى مثل عجزى اليوم . ومنذا الذى يقدر على وصف هذا الشيخ الهم ، ذى الشيبة السائلة على صدره وهو يلحظ حفيده الصغير ، يحمل البندقية ويمشى مختالاً مزهواً ، يحلم بأمجاد المستقبل ، ويذكر ما درس من أمجاد الماضى ، فلا يطيق منع الدموع أن تسيل من عينيه وتتحدر على لحيته البيضاء ... إنى لأسمعه يحمد الله على أن لبلاده جيشاً من أبنائها ولم يكن يرى إلا جيشاً واغلاً أو دخيلاً ..

ومنذا الذى يقدر على وصف هذه الأم التى أمسكت بيد طفليها الصغيرين وهما يتوثبان ليلحقا بالموكب ليريا أخاهما ، وطفقت تدعو الله دعاء هامساً يتصعد من خلال الزفرات أن يحفظ لها ابنها ، وللوطن بنيه : « يارب سلّم ، ماشاء الله كان .. يارب سلم .. » وتبكى !

ومنذا الذى يقدر أن يصف شارع الرشيد فى هذا اليوم ؟

يا أيها الرشيد ! قم تر المجد الذى بنيته لا يزال قائماً . قم تر الأحفاد قد نهضوا يسلكون طريق الأجداد . قم ترنا لم نضع الأمانة ولم نهلك التراث . قم تر مجد غازى يتصل بمجدك كما اتصل الشارع بالشارع فعادا مهيعاً واحداً ؟

هؤلاء يا مولاى عدة المستقبل ، وهذا الجيش وهذه الآمال !

* * *

وفكرت فجأة فى بلدى وأهلى ...

نحن هنا فى فرحة والنار مشتعلة فى فلسطين ، والنار توشك أن تلتهب فى الشام ! أى مصيبة لم يرها الشاميون ، وأى خطب لم ينزل بهم؟ أما خرب الأقوياء بلادهم ضرباً بالمدافع وقصفاً بالحديد وحرقاً باللهيب ؟ أما أخذوا ذهبهم وأبدلوهم به ورقاً أقفرت به الخزائن وافتقر به ذوو الغنى واليسار ؟ أما قطعوا البلاد حكومات، وجعلوا من القرى دولات ، وقسموا الناس بدداً ليجعلوهم طرائق قدداً ؟

أفما جروا على هذا كله ؟ بلى ، لقد جروا حتى لم يبق فى قوس الصبر منزع ، واحتملوا مالا يحتمل ؟ فلما نفد الصبر ، وباد طوق المحتمل ، هبوا هبة الحليم إذا غضب ، وياما أشد غضب الحليم !

أنكون نحن فى فرحة ، وقومنا فى الشام فى ألم ؟

وكنت أشعر بالحزن فى قلبى ، ثم قلت : لا ، إن هذا هو الجيش الذى يجب أن يفرح به قومى. إن بطولة العراق وفتوة العراق صفحة من سفر المجد العربى ، كما أن تضحية فلسطين ، وجهاد دمشق ، ونهضة مصر ، صفحات منه أخرى . إن هذه كلها قوى متحدة ، تتوجه وجهة واحدة !

ثم إن دمشق لا تخاف شيئاً ولا تخشى !

ولم تخاف ؟ الرصاص ؟ لقد فتح له أهلوها صدورهم ! المدافع ؟ لقد أعدوا لها منازلهم ! اليتم والثكل؟ لقد تعوده أبناؤهم وأمهاتهم ! إنهم يريدون أن يحيوا حقاً أو يموتوا . فهل يغلب شعب وطن نفسه على الموت ؟

* * *

وكان جيش الفتوة لا يزال يسير ، والأرض ترتج بالموسيقى والنشيد والهتاف والتصفيق والدعاء والبكاء ، فعاد الأمل إلى نفسى قويا ، هذه (بيه مونت) الوحدة العربية ، هذه (بروسيا) العرب ، هؤلاء عدة المستقبل ، وهذا الجيش ، وهذه الآمال !

فياأهل دمشق ، ويأأهل فلسطين ، ويأأيها العرب ، فى قاص من الأرض ودان .

اطمئنوا فإن لكم جيشاً !

* * *

ولما جاوز جيش الفتوة شارع الرشيد واتجه إلى شارع غازى ماج البحر واضطرب ، وتدفقت وراءه الجموع ، وأسرعت إلى (الأعظمية) لأدرك الصلاة ، ونفسى تضطرم بأجمل العواطف ، وأبهى الصور ، ولكن جمالها لا يستتم فى نفسى . إن فى الموكب لنقصاً ظاهراً . أفما كان فى الامكان سدّه ؟ أكانت تخر السموات على الأرض ، ويفسد نظام الكون لو قدم الموكب ساعة أو أخّر ساعة ، ولم تضع الصلاة على هؤلاء الفتيان كلهم ؟

هـذا هو النقص ، فياليت الوزارة لم تنسه ... يا ليتها ساقت هؤلاء الجنود كلهم إلى المساجد ليقيموا فيها الصلاة ، فإن أجدادنا ما غلبوا عدوهم إلا بالصلاة ، والالتجاء إلى الله ، وهوان الدنيا وأهلها عليهم ، وابتغائهم إحدى الحسنيين الظفر لإعلاء كلمة الله ، أو الشهادة !

إذن لكان لهذا اليوم جلال الدنيا ، وجلال الدين ، وإن فى الآتى لإصلاحاً لما مضى ، وإنه على هذا ليوم مشهود !

« بغداد » **على الطنطاوى**

من ذكريات لندن

عربيـــد

للأستاذ عمر الدسوقي

فى لندن للمصريين نَدِىّ ، يختلف إليه الأخيار والأشرار ؛ بعضهم لرؤية صديق ، أو التزود من أبناء الوطن ، أو الاستجمام من عناء الدرس ؛ وبعضهم لقتل الوقت فى لعب الميسر واللهو فى غير كرامة ولا وقار

وكانت لنا فيه جلسات ممتعة ، نصر منها قِسط الأسد ، ننتقد الساسة من غير تحرج ولا هيبة ، ونضع خطط الإصلاح الجريئة ، وتنفطر قلوبنا أسى ولوعة على مصر وما تعانيه ، ونحتدم فى جدال عنيف كله لمصر ولخير مصر

وفى ذات مساء ، بينما نحن جلوس حول المدفأة ، ندفع بحر ناره زمهرير الشتاء ، نجول ونصول كعادتنا ، فى السياسة تارة وفى الأدب أخرى ، إذ دخل علينا فتى فى شرخ الشباب ، رَبعةَ عريض المنكبين ، غائر العينين ، بارز الجبهة ، أسمر البشرة ؛ فحيا بأدب ، ثم اتخذ مجلسه بيننا ، ينصت إلينا ولا يشاركنا ، ثم بدا له فزج بنفسه فى الحديث ، وخب فيه ووضع ، وبعد لأى قصّ علينا قصته ، قال :

جئت ناديكم اليوم ، أطلب الغياث والنجدة ، فقد نزحت إلى لندن طلباً للعلم منذ شهرين ، وأقمت مع زوجى وابنتى الصغيرة فى منزل مؤثث ؛ وفى ذات يوم تسلمت كتاباً من سيدة انجليزية ، تعرض فيه استعدادها لخدمتنا ، مدة شهر الصوم ، وتدعى أنها مسلمة من ذوات التقى والورع ، وأن الذى حداها للكتابة إلينا ، إشفاقها علينا، نخدعنا بكتابها المعسول، وبرحنا منزلنا إلى منزلها؛ وقضينا اليوم الأول لا نلاقى إلا كرماً وأريحية، فذهبت الوحشة، واطمأنت النفوس ؛ وخرجت فى اليوم التالى مبكراً ، وأُبت متأخراً ، فوجدت زوجى تبكى وتنتحب ، وقد ضمت طفلتها إلى صدرها ، فسألتها ، ما بالُها ؟

— لقد مر بنا يوم عبوس قمطرير، قَفَّت فيه أوصالنا من القر، وجمدت أطرافنا من البرد ، وجاعت فيه الطفلة حتى أشرفت على الموت ، واستغثنا ربة البيت مراراً ، فلم يزدها نداؤنا إلا إعراضاً عنا وازوراراً . ذهبت إليها أستعطفها وأسترحمها ، فأرتنى وجهاً كالحاً كئيباً ، وأسمعتنى من هجر الكلام ما تعافه آذان الأحرار ، وهاأنت ذا ترانى أعانى والطفلة السغب والبرد ، وأضمها إلى صدرى لعلها واجدة فيه دفئاً أو سلوى

— ويل لها من كذوب ماكرة ! هكذا قلت ، وأنا أتنفض غيظاً وموْجدة ، وبودى لو أذهب إليها فأحطم رأسها أو أهشم عظمها ، أو أمزّقها إرباً ، ولكن عنّ لى أن أستعمل الحيلة حتى أخلص منها لا علىّ ولا لى . فغادرنا المنزل تواً ، وتركنا متاعنا إلى الصباح ، ثم أرسلت من يحضره ، فأبت أن ترد إلينا .

فقلت : يا للعجب ! إنى قد وقعت منها على داهية ؛ وأسرعت إلى منزلها غضبان أسفاً ، فاستدرجتنى حتى دخلت إحدى الغرف ، ثم أوصدت الباب وأحكمت رتاجه ، وأخذت تهدد وتتوعد ، وتبرق وترعد . وتقول : قد أتلفتم أثاث المنزل ولن تبرح حتى تنقدنى عشرين جنيهاً ، أو تكتب بها صكاً ؛ فكتبت ما شاءت فداء لنفسى ، وإبقاء عليها ؛ وخرجت لا ألوى على شىء ، وذهبت من فورى إلى محل الشرطة ، وذكرت ما عانيته منها ، فصحبنى أحد رجاله ؛ وما إن رأته حتى اصفر وجهها فرَقاً ورعباً ؛ فسألها عن الصك فأنكرته . فقال : إنى على ذلك شهيد ، وأخرج أمتعتى عنوة ، وحذرها بالعقاب الأليم إن هى فكرت فى إيذائى . فانطلقت شاكراً له ، وحمدت الله على أن نجوت من مخالبها

ولكن وا أسفاه ! قد طاردنى شرها فى كل مكان ، فضاقت علىّ الأرض بما رحبت ؛ إذ أنها كتبت للارسالية تصمنى بالعربدة ؛ ومرضت زوجتى وطفلتى من أثر ذلك اليوم المشئوم ؛ وقد نصحنى الأطباء ألاّ أبقيهما يوماً واحداً فى لندن حيث لا يعين جوها على البرء والشفاء ؛ فودعتهما والدموع تنهمر ، والقلب ينفطر ، وسافرا إلى مصر على ما بهما من مرض ، وعدت أدراجى إلى منزلى وحيداً غريباً ، لا أجد مواسياً أو حبيباً

وهأنذا يا سادتى ، أناشدكم أواصر الوطنية والإخاء ، إلاّ أقلتمونى من عثرتى ، وانتشلتمونى من وهدتى . فقد حجب الحزن بصرى عن النظر ، وغشّ الأسى قلبى عن التفكير ، وكل ما أبغيه أسرة تحنو علىّ ، وتأسو ذلك الجرح حتى يندمل ، وتعيننى بعطفها على الدرس ، وبحسن معاملتها على السلوى

فحركت مأساته الأفئدة رثاء له وحدباً عليه ، وعلت الآهات

والزفرات توجعاً لمصابه ، وأخذنا نقدح زناد الفكر حتى اهتدينا إلى سبيل نزود به وحشته ، ونخفف كربته ، فقلت:

— إنى أقيم فى أسرة أحلتنى مكاناً علياً ، وأنا عندهم ملء السمع والبصر ، أتقلب فى أعطاف الهناءة والدعة ، فإن شئت أن تشاطرنى ما أتمتع به من الراحة والطمأنينة ، فلن تزيدنى إلا سروراً

— شكراً لك ، ثم شكراً ؛ إنى محتاج ليد قوية رشيدة فى هذا البلد الغريب تهدينى سبيل الحق حتى أقف على أسراره وعاداته ، ولن يسعنى حيال هذه السماحة إلا القبول ، والثناء العاطر ، والاعتراف بالجميل

— هيا بنا الآن أريك المنزل وأقدمك للأسرة ، وكن واثقاً بأنهم سيضعونك فى منزلة العزيز المكرم

أخذت ألمح له أثناء الطريق بما يؤهله لاكتساب محبة الناس فى هذه البلاد ، وأننا هنا رسل الدعاية لمصر البائسة ، فلزام علينا أن نتحاشى السفاسف والدنايا ، وأن الأسرة التى سيقيم فيها ، تربأ بمنزلها أن يدنس ، أو يكون موئلاً للفحش والخنا ، أو يكون ضيفها عربيداً ماجناً ، وخليعاً مستهتراً ؛ لأنها متزمتة وقورة ، وربها أستاذ كبير فى الموسيقى ، ولم ير منى إلا كل ما يشرح صدره ، ولم أعهد عليه إلا التفانى فى سبيل راحتى

بدت على محياه أمارات الارتياح ، وأكد لى أنه سيكون مضرب الأمثال فى نبل الأخلاق والرجولة ، وأنى سأكون فخوراً بصحبته ، تياهاً بخلاله وسجاياه

قدمته للأسرة وزكيته وأطنبت فى مديحه ، وقصصت ما لاقاه من عنت وإرهاق ، فرثوا لحاله ورحبوا به ، وأخذوا يبعدون من مخيلته هذه الصورة المزرية عن بلاد الإنجليز وخلال أبناء التاميز ، بحديثهم الحلو ومداعباتهم الطريفة

مضى على صاحبنا أسبوع ، بدا فيه نموذجاً عالياً للأدب والظرف والدماثة والوقار ، فزدنا فى إكرامه والاحتفاء به . بيد أنه أخذ يتخلف عن جلسات الأسرة بعد العشاء ، ويلزم الصمت أثناء الطعام ، ثم يفر إلى غرفته فرار الظليم ، فرابنا أمره وخشينا أن تكون قد حلت به كارثة ، فتبعته مرة ، وطرقت باب غرفته ، فلم يجب ، فواصلت الطرق فترة غير وجيزة ، وأنا أناشده الله إلا أفضى إلىّ بدخيلته ، وبدواعى وجومه وعبوسه ؛ ففتح بعد لأى ، وشرر الغيظ يتطاير من عينيه ، وفى وجهه اكفهرار وامتقاع ، ويداه ترتعدان كالمحموم ، وابتدرنى قائلاً بصوت متهدج يفصح عن الوجل والحنق :

— ماذا تريد ؟ لن أسمح لك بدخول حجرتى ، أقصر عطفك على نفسك ، فلست حدثاً غِراً !

— آسف يا هذا ! فلم يدر بخلدى أن مثلك ، وقد كان بالأمس سمحاً وديعاً ، سيظهر اليوم سافلاً وضيعاً ، ما حفزنى للمجىء إليك إلا عطفى عليك ، وظننت أنك تقاسى همّاً دفيناً ، وأنك ستهش لحديثى وتبش ، وقد جئتك لأسرى عنك ، أما وقد طرقت أذنىَ كلماتك البذيئة ، فأعد نفسى متطفلاً وأنت وشأنك

انطلقت إلى غرفتى ، موهماً الأسرة أنى لا أزال عنده وأخذت أفكر فيما عساه يكون سره ، ولم حرص جد الحرص على عدم السماح لى بدخول مخدعه ، ولكن أعيانى الفكر ، فلم أهتد إلى إجابة مقنعة ، بيد أن الشك أخذ يساورنى ، ويخيله إلىّ شيطاناً مريداً ، قد أتى أمراً إداً ، ورغب فى إخفائه عنا

جاءتنى ربة المنزل بعد يومين وأنا أتناول طعام الفطور وقالت :

— إن صاحبك هذا مأفون معتوه ، فقد خرج بملابس النوم فى الطريق لابتياع إحدى الصحف ، ولا ريب أن هذا مخل بالآداب فى عرفنا وتقاليدنا ، وأخشى أن يراه رجل الشرطة فيقبض عليه

تركت الخوان مسرعاً ؛ وهرولت وراءه ، وحاولت أن أرده إلى صوابه ، وأبين له أن خروجه هكذا خطل سيعرضه للبرد القارس ، والانتقاد المر ، وتدخل رجال الأمن ، وأن انجلترا ليست كمصر فوضى لا يعرف الناس فيها نظاماً للأزياء

— لقد نهيتك من ذى قبل ألا تعنَى بأمرى ، وأن تدعنى وشأنى ، فأنا أعرف بآداب اللياقة منك

— إننا أبناء وطن واحد ، وما يلحقك من العار والمهانة سيلحقنى كذلك ؛ لن يتحدث الناس هنا بأن فلاناً أخطأ ، بل سيقولون : أحد المصريين أجرم ؛ فرفقاً بسمعتنا ، وتقبل نصحى ، فقد مضى علىّ بهذه الديار أمد غير قصير

عاد إلى المنزل وهو يزمجر كمن أخذته العزة بالإثم ، وكبر عليه أن ينصاع لطلبة غيره

عزوت كل هذه التصرفات لجهله بعادات القوم ، فلم آبه لتعنيفه وتقريعه ، وأخذت ألتمس العلل والمعاذير لكل ما يصدر عنه من فعال يندى منها الجبين خجلا أمام أناس لا يذكرون

عن مصر إلا المشوه من الحقائق . ولكن صاحبنا ظل سادراً في غوايته لا يستمع لموعظة ، أو يتعلم من تجربة ؛ فجاء ربة البيت في ظهيرة أحد الأيام ، وطلب منها أن تطهى له دجاجة على الطريقة المصرية ، فاعتذرت بأنها لا تعرف قليلاً أو كثيراً عن الطعام المصري ، وأولى له أن يباشر طهيها بنفسه ، إن كان لا يزال على رأيه .

فأخذ يكيل لها السباب ، ويؤول رفضها بامتهانها له ، وعدم تقديره ، ولج في وقاحته وسلاطته حتى أبكاها .

فذهبت محنقة تتميز من الغيظ ، وانتظرت مقدمي على أحر من الجمر ، وما أن دخلت المنزل حتى قصت على قصته منفعلة ، وأصرت على طرده من المنزل ، لأنها لم تسمع مثل هذه البذاءة طوال حياتها ؛ فأخذت أهون عليها الأمر ، وأعذر تصرفه هذا لشدة حساسيته ، شأن كل غريب في بداية حياته ببلاد لم يألف طباع أهلها .

ضقت بهذا الغبي ذرعاً ، ولعنت الساعة التي لاحت فيها طلعته الكئيبة علينا ؛ وأعملت الفكر عسى أن أوفق إلى سبيل أصرف به هذا الوباء ، وقد أصبح كالدمل الممد ، أحمله في رقعة من جلدي ، ينغص علىّ هنائي ، ويكدر راحتي . أي شيطان رجيم سول له أن يطهى دجاجة على الطريقة المصرية ؟ ذهبت على أجد عنده جواباً شافياً ، وطرقت بابه بشدة وغضب ، وفي عزمي أن أعطيه درساً لا ينسى ؛ فسمعت همس سيدة من الداخل تحذره من الفضيحة إن استجاب لقرعي ، بيد أنه فتح الباب على مصراعيه ، وقال بصوت المستهتر الماجن المجازف ، الذي غاض الحياء من وجهه وكان يترنح سكراً ، ويبتسم ابتسامة داعرة :

— هذه فلانة ، وقد كانت هنا حينما أنبتك في المرة السالفة على طرقك بابي ، وأبيتُ أن أدخلك غرفتي ؛ ولا يعنيني الآن ، أن تطلع على ما كنت أخفيه ، فسوف أنتهج طريق العربدة ، ولا أعيرك أو غيرك التفاتاً .

— لكنك رجل متزوج ، ولك طفلة ، وهذا مُزْرٍ بك ، محط لقدرك ، وسيلهب أهل المنزل عليك سخطاً وغضباً ؛ ثم إن ما تأتيه من المنكر ، مخالف للقانون ، فليس هذا بيتاً من بيوت الخنا والدعارة ، ويخيل إلىّ أن رفيقتك لم تبلغ بعد سن الرشد ، وسيكون جزاؤك ، إن فضح أمرك ، السجن أو الطرد من هذه الديار ، فعجل بإخراجها ، وإلا داهمك رجال الشرطة .

— ها ها ... ها ها ... ! نعم أنا متزوج ، ولكني أرسلت زوجتي إلى مصر تخلصاً منها ، لا لمرضها كما أخبرتك كذباً ؛ ولست أعبأ بما يحط من قدري في هذه البلاد ، فقد استمرأت هذه الحياة بمصر وأنا لا أزال عزباً ؛ أنا مستعد لأذكر لك تاريخ حياتي ، إني رفعت راية الشر والفسق عالية خفاقة ، وما تزوجت رغبة في الزواج ، ولكن طمعاً في مال من تزوجتها ؛ وقد تنازلت لي الساذجة عن كل ما تملك ، فليس ثمة حاجة إليها بعد ذلك ، بل إني أريد أن أبين منها إلى الأبد ، حتى أكون حراً طليقاً . نحن نختلف ، يا صديقي ، في نظرتنا إلى الحياة ؛ ولست أخشى رجال الشرطة ، فما أتت هذه الفتاة إلا طواعية واختياراً ؛ ولن أترك المنزل ، بل عليك أنت أن تغادره ، إذا كان مقامي به يزعج وقارك وتزمتك . لِمَ لا أنهل من مورد اللذات وأنعم ، أينما شئت وكيف شئت ؟ أليست هذه بلاد الحرية كما ينعتها قاطنوها ؟ ليست هذه أول فتاة وليس ما ترى أول كأس من الخمر أحتسيها ، افعل ما شئت ! !

— أيها الوغد الدميم ، إنك تبحث عن حتفك بظلفك ، ولن تجدمني بعد الساعة هوادة في التنكيل بك ، تطهيراً للمجتمع من حثالاته ، وعبرة لأمثالك الطائشين ، الذين لا خلاق لهم ، ولا ضمير يعنفهم ، ولا شرف يردعهم .

أخبرت ربة البيت بكل ما حدث ، فاقشعر بدنها هلعاً ، وقطبت أساريرها احتقاراً ، وعدت ابنتها تنادي رجل الشرطة ؛ ولكن الطير قد أفلت من سجنه ، فلم نقف للفتاة على أثر ، وطُرد العربيد شر طردة ، ووضع تحت مراقبة شديدة صارمة .

هجر لندن بعد أن سدت في وجهه المسالك أنى ذهب ، وأقام في إحدى ضواحيها غير متوان عن الغواية والضلال .

علم أترابي الذين سمعوا قصته الأولى بما آل إليه أمره ، وما اقترف في حق مصر من الآثام ، وما لطخ به سمعتنا من الوصمات ، فعزموا على شكايته للقنصلية المصرية ، حتى تقصيه ، ولكن رقت قلوبهم فلم يفعلوا ، وإن كان عجبهم قد بلغ أشده ، حينما علموا أنه من أعضاء البعثات ، وأنه طلق زوجه في النهاية .

ليت شعري لِمَ يُوفد مثل هذا ؟ أليكون سبة لنا وعاراً علينا ، ومثلاً حياً متنقلاً تقذى منه العيون ، ويعافه المجتمع ، ويلعنه الناس أينما حل ، والبلاد التي لفظته ، والأمة التي ينتمي إليها ؟ ؟

عمر الدسوقي

أســـطورة ...!

(تصوير هربان)

قالوا : وكيف كان ذلك ؟

قال الراوى: زعموا أن الرئيس رزفلت سفير السلام بين السامية والآرية، ورسول الوئام بين الديمقراطية والديكتاتورية، أولم لأقطاب الحكم فى الدول الأربع ذوات الرأى فى مصير العالم اليوم وليمة ليستخرج من بين الأفواه والكروش ، علل الخلاف بين الأساطيل والجيوش . فلما فرغت الصحون ، وامتلأت البطون ، دارت الكؤوس ، فدارت الرؤوس ، ونم كل لسان بكمين سره

قال الدتشى وقد نهض معتمداً على كتف الفوهرر :

إن تشمبرلين ودلادييه لا يزالان على الرياء القديم يتبجحان بالحرية والمدنية والسلام ، وهما يخفيان وراء الحرية استعباد الشرق ، ووراء المدنية اهتضام الحق ، ووراء السلام الجبن والشطارة . أما أنا وهتلر فمبدأنا أننا عراة جياع ، وسياستنا الصراع لا الخداع ، ووسيلتنا الإخضاع لا الإقناع . فإذا جنح خصومنا للسلام ، فليقاسمونا ما فى أيديهم من الطعام ، وإلا فالحرب التى تجعلنا سواء فى الضعف ، إن لم تظهرنا عليهم بالقوة

فنظر السيد رزفلت إلى عميدى الديمقراطية فوجدهما يتلاحظان ولا يتكلمان . فقال للرؤساء جميعاً :

— إن الذئاب تتهارش ولا تتفارس . وإنى أراكم متفقين على الغاية، بعضكم بالطيش وبعضكم بالحذر، وموافقين على هذا الرأى، بعضكم بالكلام وبعضكم بالنظر . وليس أمامكم ما يقبل القسمة إلا بلاد العروبة ! فهى التى غزتها فرنسا بالتعليم والربا ، وفرقتها أمريكا بالتبشير والهدى ، ومزقتها انجلترا بالتفريق والتجارة . وفى تقسيم القارتين العجوزين بينكم على السواء ، نجاة المدنية والديمقراطية من الفناء

قال الراوى : فانبسطت أسارير الرؤساء لهذا الرأى الصريح، وشربوا كما ترى نخب هذا الحل المريح !

ابن عبد الملك

دعيني أنام !

للأستاذ محمد سعيد العريان

دعيني أنام !

إن عينيَّ لم تذوقا طعم الكرى منذ بعيد !

سنوات وسنوات ، وأنا دائب السُّرَى فى هذه الطريق أفتش عن نفسى فلا أجد نفسى ، وأنشد سعادتى فلا أجد إلا شقوة النفس وظمأ الروح وقلق الضمير ! والطريق لا تنتهى إلى غاية ، والعثرات تتكاءد السالك فى كل منعرج وكل ثنية !

دعينى أنام !

فهل رأيتِ السعادة إلا حلماً هنيئاً يتخايل للنفس فى لحظةٍ ناعسةٍ ضرب النومُ على آذانها فى ليلٍ مطبق ؟..

ما أجمل هذه الفراشة تتواثب فى مطارفها الموشَّاة على أعين الناس ! ولكن هيهات أن تنالها يد ! كم جهدت جهدى فى اللحاق بها فما بلغْت ... !

دعينى أنام ! لعلى أن أنالها فى سِنةٍ حالمةٍ تبلغ بى ما لا مَبلغ إليه فى يقظة الحياة !

دعينى ، دعينى ... ! إننى وجدت نفسى هنا ، وطالما نشدت نفسى فما وجدتها ... !

إن بى حنيناً إلى هذا الفراش الدافئ بعد طول السُّرى وجهد السهر وكدّ الطريق !

***

افتحى عينيك ياعزيزتى على حقائق هذا الوجود ثم خبِّرينى ... ذكِّرينى ما كان من ماضىَّ ، فقد أنسانيه ما ترادف علىَّ من أحداث الزمان !

هل تذكرين يا عزيزتى تلك الأيام البعيدة ، يوم كنا وليس لنا ماضٍ نأسى عليه ، ولا مستقبلٌ نتطلع إليه ، والدنيا تدور بالناس فى حلقتها المفرغة وتدور بنا ، فما يعنينا شىء من الدنيا ومن الناس ، وما نشعر من الزمان إلا باليوم الذى نعيش فيه ؛ هو كلُّ تاريخنا فى الحياة لا ماضىَ له ولا آت ... ؟

ذلك زمان كان فما له من معاد !

مَن كنتُ أنا عند الناس يومئذ ومن كنتِ ؟

هل كنا يومئذ إلا فتاة وفتى قد ألّف الحبّ بين قلبيهما ؛ فما يُريان فى الطريق إلا ذراعاً إلى ذراع، وخطوة إلى خطوة، وقلباً يعطف على قلب ، وروحاً تهفو إلى روح ، وعلى الشفاه همسات تُخافت بها ، وفى العيون نظرات تتناجى . والناس تنظر إلينا فما يهمنا شىء من نظرات الناس ولا من حديث الناس ؛ لأننا كنا يومئذ نعيش فى أنفسنا بعيدين عن دنيا الناس ...

هل تذكرين ... ؟

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة ... وكنا صغيرين ... !

***

وجلسنا ذات يوم فى حديقة على الشاطئ ... وكانت يدك بين يدىَّ وقد أطرق كلانا ، وتراءى لنا فى لحظة حُلم رائع سعيد تجاوز بنا الزمان والمكان إلى حيث لم يكن لنا عهد ، يظلنا سقف واحد فى دورة تجمعنا وتجمع لنا ما تفرق من أحلام الشباب ... وظللت فى إطراقك وظللتُ ، نتناجى ونتبادل الأفكار صامتين ؛ فما كانت بى حاجة لأحدِّثك عما فى نفسى ولا كانت بك حاجة ؛ وتفاهمنا على صمت ... ونظرتُ فى عينيك ونظرتِ ، فتضرَّمتْ وجنتاكِ من حياء ، وأحسستُ يدك تختلج بين يدىَّ ...

ونهضنا صامتين فأوصلتك إلى دارك وعدتُ وحيدا إلى دارى وأنا أفكر ...

وعرفنا من يومئذ أن غداً هو يومٌ من عمر الزمان ؛ وما كان يعنينا قبلُ إلا حاضرنا الذى ننعم به ...

أما زلت تذكرين ياعزيزتى ؟

ولما ضُرب الحجاب بيننا وقامت دونه التقاليد ، تلفت القلب ينظر ؛ ولزمت الوحدة أياما أعرض ذكريات الماضى ولهفة الحاضر وأمل المستقبل فعرفت ...

... عرفت يومئذ أن حقيقة الزمان ليست هى فى هذا الحاضر ، ولا فى الغد المنتظر ؛ ولكنها فى اليوم الذى مضى ولا سبيل إليه ... أمس !

***

حينما يكون معنى الزمان فى نفس الحى هو اليوم الذى يعيش فيه وَحَسْب ، فهو فى حقيقة الحياة ومعنى السعادة ؛ فإذا سولت له

الأمانيّ أن يتعجّل أيامه فيتطلّع إلى ما قد يكون في غد ، فقد آذنتْه الدنيا بيوم يُطرد فيه من جنة السعادة نادما اسوان . . . ثم لا تكون إلا الثالثة ، حين يتذكر أن له ماضيا كان وطواه الزمن ؛ فما هو يومئذ حيٌّ يعيش في حاضره ، ولا آملٌ يفكر في مستقبله ؛ ولكنه ذكرى بلا رجاء ، ولهفة مالها انقضاء !

الحاضر هو الحقيقة ، هو السعادة ، هو الحياة ؛ وما الغد إلا وهمٌ يبدعه خيال الحيّ ليفر إليه من حاضره الذى هو به حيٌّ يسعد بالحياة ؛ وما الأمس إلا الجزء الذى مات منا وسبقنا إلى الفناء !

ولكن الزمان على ذلك هو أمس ، واليوم ، والغد جميعاً : هذه الثلاثة هى حياة الحيّ وعمر الزمان ؛ لا سبيل إلى تجاهل ذلك بعد عرفانه !

ليتنى لم أعلم ! ليتنى لم أعلم !

ليتنى ظللت حياتى أجهل معنى الزمان ؛ لا أفكر فيما كان ، ولا أتوقع ما يكون ، ولا أعرف من عمر الزمان إلا اللحظة التى أعيش فيها !

***

... وتلاقينا مرة على ميعاد ... هل تذكرين يا عزيزتى ؟ ... وجلستُ أقرأ لك فصلاً بليغاً من كتاب كان معى ؛ فتندّت عيناك بالدمع !... إننى ما أزال أذكر ذلك كأنه كان أمس ، على أن بينى وبينه عشر سنين !... لقد قلتِ لى يومئذٍ كلمة مازال صداها يرنّ فى أذنى :

« يا عزيزى ! ليس فى البشرية كلها من يقدر على خلق المعجزة التى تهزّ النفس من أعماقها غير الأديب البليغ ! »

وقلتِ كلاما آخر لا أذكره ، ولكن أثره ما زال يعمل فى نفسى ؛ فجهدت جهدى لأخلق المعجزة التى تهزّ النفس من أعماقها ... ولم أذق طعم الكرى من يومئذ ...!

ليت شعرى ، هل جاءك — وبينى وبينك حجاب التقاليد — نبأ ما كنت أبذل من أعصابى ومن دمى فى سبيل هذه الغاية حرصاً على أن أكون يوم اللقاء كما تريدين أن أكون ؟

يا ليت يا عزيزتى ، يا ليت !

عشر سنين من عمر الشباب وأنا أُخرج للناس كل يوم جديداً فى الأدب ، إلا يكنْ من إلهامك فإنه بسبيل إلى تحقيق أملك !

يترادف الليل والنهار ، وتتعاقب الظلمة والنور ، وأنا عاكف على دفاترى وأوراقى ، أكتب وأفكر جاهداً لأخلق المعجزة التى تهزّ النفس من أعماقها ...!

تُرى هل بلغْت ؟

هأنذا على شرفٍ من الأرض فى طريق لاحب ، وثمة بارقةٌ تلوح من بعيد ...

وما تزال الفراشة الجميلة تتواثب فى مطارفها المُوَشّاة ، لا تنالها يدى على طول السُّرَى وجهد السَّهَر وكدّ الطريق .. حتّامَ المسير ؟

من أنا اليوم عند الناس ومن أنت ؟..

ها نحن أولاء قد التقينا منذ عام يظلّنا سقف واحد فى دورة تجمعنا وتجمع لنا ماتفرق من أحلام الشباب؛ ووجدنا تعبير رؤيانا . ولكن ... أين أنا ؟ وأين أنت ؟

ماذا أجدى علىّ هذا الجهد المتواصل عشر سنين أبتذل شبابى وأنفق من دمى فى سبيل المجد والشهرة والصيت البعيد !

المجد ؟ الشهرة ؟ الصوت المسموع ؟ ... ما كل أولئك يا عزيزتى فى حقيقة الحياة وفى دنيا الناس ؟

واخسارة الصفقة ! إن الفراشة الجميلة لا يجتذبها شىء من كل أولئك . إنها جميعاً أوهام وأباطيل ليست من السعادة ولا هى سبيلاً إلى السعادة

أين منى نفسى وأين أنتِ منى ؟

لقد التقينا يا عزيزتى كما تراءى لنا فى أحلام الشباب منذ بضع عشرة سنة ، ولكننى لستُ هنا ، ولكنكِ لستِ هنا ...!

إنك أنتِ التى أغريتنى بسلوك هذا السبيل منذ سنوات وسنوات فنذرتُ نفسى للفن حتى أبلغ إعجابك ، فلا تسأليني بعدُ عن نفسى !

هذا العبوس فى وجهك يا عزيزتى أثمٌ إلى آلام على كاهلى ..

حدثينى صريحة : لماذا أنتِ غضبانة ؟

أنت تريديننى كما كنتُ منذ بضع عشرة سنة : فتًى لفتاة لا يشعر شعورَ الحيّ إلا معها ؟

أنت تدعينى لرحلة من مثل ما كان فى سالف الأيام ذراعاً إلى ذراع على الطريق ؟

أنت تسألينى : متى أراك إلى جانبى كعهد مضى لا يعنيكَ من أمرٍ شىء إلا أن تكون لى وأكون ... ؟

وأنت إلى كل أولئك تريدين لى المجد والشهرة والصيت البعيد ؟

لقد أذكرتنى ما كان من أمرى وأمرك يا عزيزتى، وأيقظتِ فى نفسى ما كان راقداً من زمان ؛ وهجتنى إلى ذكرى اللهو والهوى والصبابة وسعادة الحب فى سالف الأيام ، حين لم يكن فى الدنيا غيرى وغيرك ، ولم يكن الزمان إلا اللحظة التى نعيش فيها لا ماضىَ له ولا آت !

ما كان أسعدنى بهذا الماضى !

فماذا أجدى علىّ ما نلت من دنياى بعد هذا الجهاد ؟

ها هنا شىء وشى . فمنذا يهدينى بينهما سبيلَ الرشاد ؟

***

دعينى أنام !

إن عينىّ لم تذوقا طعم الكرى منذ سنوات وسنوات ...

دعينى دعينى ... إننى وجدت نفسى هنا ... !

ما المجد ، والشهرة ، والصوت المسموع ، إلا وهم من الوهم وحيلة من الحيلة لتفسد على السعيد دنياه !

لا تدعينى يا عزيزتى بعدُ إلى الجهاد والعمل . إن بى حنيناً إلى هذا الفراش الدافئ بعد طول السرى وجهد السهر وكدّ الطريق ... !

دعينى أنام لعلى أبلغ من السعادة فى سِنةٍ حالةٍ ما لا مبلغ إليه فى يقظة الحياة !

بل دعينى يا عزيزتى أستيقظ من ذلك الحُلْم الطويل الذى ضرب على عينىّ بضع عشرة سنة أهذى باسم الفن والأدب والشهرة والجاه والصيت

هذه هى الحياة ، هذه هى الدنيا ، كل ما عدا ذلك خداع وتلبيس ووهم من الأوهام !

دعينى ، دعينى !

« شبرا » محمد سعيد العريان

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

موضوع الأدب

الإنسان إما أن يبين عن حقائق خارجة عن نفسه لا يصلها بخياله ولا يصبغها بعاطفته ، وإما أن يعبّر عن حقائق امتزج بها الخيال ولوّنتها العاطفة ، أو عن خيالات مخترعة ليست صورة من حقائق العالم

إذا قال الجغرافى فى وصف أرض : فيها أودية عميقة بين جبال عالية ، فقد أبان عن حقيقة رآها أو سمعها ؛ لم يصلها بالعاطفة فيبيّن إعجابه بها أو خوفه منها أو انبساطه أو انقباضه لمرآها أو ما تخيله حين شاهدها

وإذا قال كاتب فى وصف هذه الأرض : « تهولك بها أودية عميقة تطلّ عليها جبال شامخة عاتية يحلق الطرف دون ذُراها » . فقد أبان عن الحقيقة مشوبة بما شعر هو به من رهبة وما تخيّل من إطلال الجبال على الأودية ، وتحليق البصر دون قممها

وكذلك يقول الجغرافى : « صحراء منبسطة مستوية طرقها متشابهة ، شديدة الحر ، كثيرة الرياح » فينقل إلى السامع صورة الصحراء لم تغيّرها عاطفته ، ولم يزد عليها خياله

ويقول الشاعر[1] فى وصف هذه الصحراء :

ومَجْهل كاطّراد السيف محتجز	عن الأدلاّء مسجور الصياخيد
تمشى الرياح به حسرى مولّهة	حَيرى تلوذ بأكناف الجلاميد
موقّف المتن لا تمضى السبيل به	إلا التخلل ريثا بعد تجهيد

فتراه قد أفاض على الصورة الطبيعية ألواناً من شعوره وتخيله

وانظر الفرق بين فلكىّ يتكلم عن الشمس طلوعها وغروبها ودورتها السنوية ، وعن القمر ومنازله ، والنجوم وحُبُكها ؛ يصف الحقيقة كما هى على قدر إدراكه، وبين من يقول ــ مثلا ــ :

منع البقاء تقلبُ الشمس	وطلوعُها من حيث لا تُمسى
وطلوعُها حمراء صافية	وغروبها صفراء كالورس

(١) هو مسلم بن الوليد

وقول الآخر :

مخبأة أمّا إذا الليل جَنّها فتخفى وأما بالنهار فتظهر
وقد انشقّ عنها ساطع الفجر فانجلى
دجى الليل وانجاب الحجاب المستّر
وألبِس عُرض الأفق لوناً كأنه
على الأفق الشرقى ثوب معصفر. الخ(١)

وقول ابن الرومى :

إذا رنّقت شمسُ الأصيل ونفّضت
على الأفق الغربىّ ورسا مُذعذَعا
وودّعت الدنيا لتقضىَ نحبها وشول باقى عمرها وتشعشعا
ولا حظت النُّوار وهى مريضة
وقد وضعت خدًّا على الأرض أضرعا. الخ

الفلكى يصف حوادث لا صلة لهـا بقلب الإنسان وخياله . والشعراء يصفون شعور الإنسان بفنائه على مر الزمان ، ويتخيلون فى طلوع الشمس وغروبها صوراً تخلع على الشمس شعور الإنسان وعاطفته .

***

تمثل نفسك تقرأ نظرية هندسية أو معادلة جبرية ثم تمثلها تقرأ قصيدة لشاعر نابغة أو خطبة لخطيب عظيم ؛ إنك حين تقرأ الهندسة أو الجبر لا تفرح ولا تحزن ، ولا تغضب ولا ترضى ، ولا تخاف ولا تأمن ، ولا تضحك ولا تبكى . ولكنك حين تقرأ القصيدة أو الخطبة لا تخلو نفسك من بعض هذه المعانى أو ما يشبهها .

وإذا قال طبيب : « إن مرض كذا منتشر فى كل بلد » فهذا خبر لا يعبر عن شىء من عواطف الطبيب بل يخبر عما هو كائن ، ولكن أبا العلاء المعرى حين قال :

ما خص مصرًا وبأ وحدها بل كائن فى كل أرض وبأ
أنبأنا اللب بلقيا الردى فالنوث من صحة ذاك النبأ

أراد أن يبين عما يحيط بالإنسان من الآفات ويعرب عن خوف الإنسان وحزنه فى هـذه الحياة ، وإنما ذكر عموم الوباء وسيلة إلى الإبانة عن آلامه ومخاوفه

وهكذا يستطيع الناظر فى هـذا الموضوع أن يوالى الأمثلة فى غير عسر .

***

(١) ديوان المعانى جـ ١ ص ٣٧٩

كل ما أبان عن عاطفة أو خيال صلح أن يكون موضوعا للأدب ؛ وهو مادة الأديب يؤلف منها أدبه . ولكن من هذا البيان ماهو شائع بين الناس يشترك فيه الخاصة والعامة والصغار والكبار، فهذا لا يعد فى الأدب وإن اتصل بالعاطفة والخيال ؛ فلا بد من سمو الإدراك ، وجودة التصوير . لا بد من الصنعة أو الفن . لا يُعد الإنسان مصورا حتى يجيد التصوير ، ولا يعد نجارا كل من نجر خشبة أو دق مسمارا بل لابد أن تكون له صنعة لا يستطيعها كل من حاولها . كذلك ليس كل من عبّر عن عاطفة أديبا. لا ! حتى يكون فى بيانه إدراك يرفعه عن العامية والابتذال ، وصنعة تميزه عن الدهماء وتميزه باسم الكاتب أو الشاعر أو الخطيب الخ — حتى يأتى بكلام معجب يحس فيـه سامعه أو قارئه إدرا كا قيماً ، وتصويراً بارعاً كما تُرى صنعة نجار فيُعرف أنها عمل لا يستطيعه كل من وجد الخشب وآلات النجارة .

الحزن — مثلا — عاطفة تبين بالوجوم والصياح ، والأنين والبكاء، والعبارة المعتادة، والقصيدة. وكل هذه الدلالات تبين عن العاطفة ولكن لا يعد من الأدب إلا القصيدة .

وكذلك الأمور النفسية الملونة بألوان النفس تملأ كلام العامة والخاصة ولكنها لا تحسب أدبا حتى ترتقى إلى مستوى الفن ، وفى هذا درجات تتوالى إلى حد الإعجاز .

الفرق بين الأدب والعلم

يتبين مما تقدم أن قضايا العلوم المحضة ليست مادة للأدب ؛ فإذا قلنا : زوايا المثلث تساوى زاويتين قائمتين ، أو الخط المستقيم أقصر خط بين نقطتين ، أو حاصل ضرب خارج القسمة فى المقسوم عليه يساوى المقسوم ، أو هذا الدواء ينفع لهـذا المرض الخ فهى قضايا علمية ليست من موضوع الأدب فى شىء

ليست هـذه القضايا من الأدب ولكن يجوز أن تدخل فيه لتكون مقدمة لغيرها أو للتشبيه بها أو نحو ذلك كما قال المعرى :

طرق العلا مجهولة فكأنها صم المدائد ما لها أجـذار

وقوله :

الخلق من أربع مجمعة ماء ونار وتربة وهوا

والكتب العلمية ليست من مباحث الأدب إلا أن ينظر

الأديب إلى حسن البيان فيها والترتيب والتقسيم ووضوح الألفاظ فيجوز للفن أن يتناولها من هذه الناحية

فإذا اتحدت المسائل فى كتب علمية واختلفت أساليبها فقيل هذا الكتاب واضح العبارة ، صحيح الألفاظ ، جيد الأسلوب فهذا تقدير موصول بالفن يجعل الكتاب من هذه الناحية ذا صلة بالأدب . ويستخلص من اختلاف موضوعى العلم والأدب هذه الفروق بينهما :

١ — الأدب مرجعه نفس الإنسان ، والعلم مرجعه الطبيعة

٢ — فمقياس الأدب صدق التصوير لما فى النفس خطأ أم صواباً ، ومقياس العلم صدق الإدراك للحقائق الواقعة دون نظر إلى أثرها فى النفس

٣ — والأدب الإنسانى موضوعه الإنسان : سعادته وشقاؤه فى هذا العالم . والعلم يستوى عنده الإنسان والحيوان الأعجم والنبات والجماد . فالطبيعى يبحث فى قوانين الطبيعة السارية فى هذا العالم ، والحيوىّ يبحث عن قوانين الحياة فى الأجسام الحية ، والطبيب يشرّح الأجسام ليتبين تركيبها . وهم فى هذا البحث يتحرون الحقائق كما هى لا يبالون أن تكون فى الإنسان أو فى غيره.

وأما الانتفاع بنتائج العلوم فى إحياء الإنسان أو قتله وإسعاده أو إشقائه ، فهو أمر خارج عن موضوع العلم

٤ — والآراء والكتب العلمية تترك إذا تبين خطؤها أو كتب ما هو خير منها فلا يرجع إليها إنسان إلا إذا أراد أن يؤرّخ العلم ؛ فلا تجد من يقرأ فى كتاب هندسة أو حساب قديم وقد كتب ما هو أحسن منه ؛ ولكن كتب الأدب تتضمن عواطف الإنسان فأيّان اطّلع القارئ فيها وجد عاطفة إنسانية تؤثر فى نفسه لا يضيرها الخطأ أو القدم . فنحن نقرأ اليوم شعر هومير وشعر امرىء القيس وغيرهما ، ونجد فيه من متعة النفس ما نجده فى الشعر الحديث

اختلاف المنشآت الأدبية

قد تبين أن مدار الأدب على العاطفة والخيال والأمور النفسية لا الحقائق الثابتة خارج النفس . وليست كل القطع الأدبية سواء فى ذلك ، بل تتفاوت قرباً من هذا المركز وبعداً . وأدخلها فى الأدب أقربها إلى المركز . وفى الأدب موضوعات يقل نصيبها من العاطفة والخيال حتى تنتهى إلى المحيط الذى يفصل الأدب عما سواه ، ويكاد يشك القارئ أنها من الأدب

ومن أجل ذلك اختلف النقاد فى شعراء من أئمة البيان كأبى تمام والبحترى والمتنبى وأبى العلاء . قال بعض النقاد : المتنبى وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحترى . ويميل بعض النقاد إلى إخراج لزوميات المعرى من الشعر . والحق أن دواوين هؤلاء الشعراء جميعاً تحوى أدباً لا علماً ، ولكن حظها من العاطفة وعمل الخيال يختلف ؛ فتجد البحترى أكثر نصيباً من العاطفة والخيال فى جملة شعره ؛ وأبو العلاء فى لزومياته أقل حظاً منهما ولكنه لم يخرج عن دائرة الأدب . وأبو تمام والمتنبى بين عاطفة البحترى وحكمة أبى العلاء

وبهذا يفسر قول القدماء : « أعذب الشعر أكذبه » فالأكذب أدخل فى الخيال وأبعد عن الحقيقة . ولكن ينبغى ألا يخدعنا هذا القول ؛ فربما نجد الشعر القريب من الحقيقة والبعيد عن الخيال أعذب وأحب إلينا من شعر كثر خياله وبعد عن الحقيقة . وقد تبين العاطفة قوية واضحة حيث لا خيال كما يؤثر مرأى الطفل الحزين فى رائيه ، ويعجب المنظر الجميل شاهده ، وليس هناك إلا الحقيقة المؤثرة

أنظر قول كثير عزة :

خليلىّ ! هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

لا تجد فيه مجازاً ولا استعارة ولكنه مثّل لك الشاعر واقفاً على دار عزة وقد خلت منها وهو يطلب إلى صاحبيه أن يعقلا ناقتيهما ليفرغا للبكاء معه . ليس فى هذا تخيل ولا صنعة ولكنه يكشف عن عاطفة محزونة ساذجة لها أثرها فى نفس الانسان

وانظر هذه الأبيات :

أقول لصاحبي والعيس تهوى ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عَرار نجد ... فما بعد العشية من عَرار
ألا يا حبذا نفحات نجد ... وريّا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحلّ الحىُّ نجداً ... وأنت على زمانك غيرُ زارى
ليال ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار

إنك تجد فى هذا الشعر الطبيعى الصادق الخالى من الكذب والخيال والإغراق من الإبانة عن العاطفة ما لا تجد فى شعر متكلف قد أغرب فيه الخيال وافتنّت فيه الصنعة

عبد الوهاب عزام

استطلاع صحفى

الأندية الأدبية فى مصر

نادى الحلمية

لمندوب الرسالة الأدبى

مقهى ضئيل المنظر، تافه الموقع، يطل على ميدان ضيق محدود، يعج بالسابلة، ويضج بالحركة، وترتفع فيه أصوات الترام والسيارات منحدرة من القلعة وصاعدة إليها، فلا رواء فيه ولا بهاء ولا شيء مما يبعث الشعر ويهز الفكر ويحبب إلى الأدب، ويغمر النفس بشعور الرضا والاطمئنان؛ ولكنه على الرغم من هذا كله مهوى الشعراء والأدباء، ومراد الأفكار والآراء، وله فى ذلك عمر طويل وتاريخ حافل

ترى ما الذى حبب هذا المكان إلى إخواننا الأدباء، وهم طلاب الهدوء والسكون، وعشاق المناظر الشعرية اللطيفة؟! أهى تلك الدرجات الأربع التى يصعدها الداخل إليه فتشعره بالرفعة والصعود والعظمة! وحب العظمة شيء فى نفوس الأدباء؛ أم هى تلك الديمقراطية الصريحة التى يتميز بها ذلك المكان، إذ يجلس القوم فى غير كلفة، والتملص من الكلفة شيء محبوب لدى الشعراء؛ أم هى قلة النفقة، والأدباء لا شك قروشهم معدودة، وجيوبهم مكدودة، فهم يرتاحون إلى قلة المصاريف وعدم التكاليف؟!

أنا والله لا أدرى السبب فى ذلك. ولقد سألت إخواننا الأدباء أنفسهم فما وجدت عندهم شيئاً من علم ذلك السر، بل لقد ذكر لىَ الشاعر «الأسمر» أن أدباء الحلمية تمردوا منذ سنوات على ناديهم، وحاولوا أن يكون مجلسهم فى مقهى فخم بميدان الأوبرا حتى يليق بمكانتهم، ولكنهم فشلوا فى تمردهم، وعادوا إلى مكانهم صاغرين! حيث ما زالوا يصعدون الدرجات الأربع! وقد يكون للمسألة تعليل من التاريخ، فلنرجع إلى التاريخ

إن نادى الحلمية يتصل بحى الحلمية، وحى الحلمية حى يتميز بطابع خاص، وينفرد بتاريخ حافل، وهو أول حى أسس فى مصر على طراز منظم، وقد كان موطن الأسر العريقة والسلالات التركية التى تحكم البلد، وتملك ثروته؛ وقد كان لهذا الحى ناد يشرف على شارع محمد على فى مواجهة جامع قوصون، وكان يختلف إليه كثير من الكبراء والأدباء الذين يقطنون ذلك الحى، فكان يجلس فيه المرحوم حسين باشا رشدى، والمرحوم شوقى بك قبل أن ينتقل إلى المطرية، وحفنى ناصف، وابراهيم هلال، وحافظ إبراهيم، والشيخ عبد المطلب، وأحمد نسيم، وأحمد الزين، وبيرم، والهراوى، وعماد، والسيد حسن القاياتى، وكان يتردد عليه المازنى أيام كان يسكن بالإمام؛ وقد أخبرنى الهراوى أنه لا يذكر أديباً فى مصر لم يتصل تاريخه بذلك النادى القديم، وإنه ليتحدى من ينكر الجميل على أصحابه. وإنه على استعداد لأن يذكر من لا يذكر ماضيه!

الأساتذة: الأسمر، حسين شفيق، عبد الرسول، الهراوى

وقد ظل ذلك النادى قائماً أيام الثورة المصرية، فانتقل إليه الشيخ مصطفى القاياتى رحمه الله، وكان الشيخ القاياتى عنصراً قوياً من عناصر الثورة، وكانت له حاشية حافلة بالشباب المفكر الجرىء أمثال الشيخ عباس الجمل، والشيخ الجديلى، والشيخ البنا، والأستاذ إبراهيم عبد الهادى، وأضرابهم، فاختلط الأدب بالسياسة بين جدران النادى، فكانت تنطلق منه التدابير المفزعة والقوافى المقذعة، فضاق به الإنجليز، وأطلقوا عليه الرصاص؛ وللهراوى فى ذلك شعر ...

فلما كان سنة ١٩٢٦ مات صاحب المقهى، فانفض السامر، وانقطع الزائر، وبطل الندى الحافل، وقام مكانه مطعم للفول ومستخرجاته، والعدس بجميع ألوانه؛ وراح الأدباء يتلمسون المكان الذى يجمعهم، فتأخروا خطوات عن جامع قوصون إلى جهة القلعة فوقعوا على النادى الذى هو مجمعهم اليوم، والذى هو موضوع حديثنا فى ذلك المقال

ولقد غدا النادى الجديد صورة كاملة للنادى القديم، فحفل بالأدباء والشعراء، وعمرت مقاعده بمجالسهم فى الليل والنهار،

وقصده الكبار فى الأدب والصغار !

فكان يجلس فيه الشيخ عبد المطلب شاعر البادية ، والحاج محمد الهراوى شاعر الأطفال والرجال ، والأسمر أديب القبلتين وشاعر الأزهر ، والزين شاعر دار الكتب ، وحسين شفيق المصرى الشاعر الحلمنتيشى المعروف ، والدكتور زكى مبارك عبقرى سنتريس ومعبود باريس ، والسيد حسن القاياتى شاعر النبل والورع ، و (مجنون) إحسان . وكان ينضم إليهم كثير من شباب الأزهر ودار العلوم وغيرهم ممن يشدون بالأدب ويعملون فى الصحافة ؛ وكان حافظ رحمه الله يتردد عليهم من وقت لآخر خصوصاً فى الفترة التى أحيل فيها على المعاش ؛ وبين جدران ذلك النادى نظم قصيدته الطويلة فى هجاء صدقى باشا التى لم ينشر منها فى الديوان إلا أبيات ...

الأسمر ، فهمى عبد اللطيف ، عبد الرسول ، الهراوى يأكلون الجزر

ولقد استبدت تكاليف الحياة ومطالب العيش بكثير من الأدباء فألهتهم عن مجالس السمر ، وحرمتهم من ذلك المجلس الطيب الشعبى ، ولكن ما زال النادى عامراً بأبنائه المخلصين ، وما زال المتخرجون فيه يهبطون عليه بين وقت وآخر حتى الذين يسكنون فى الضواحى على بعد الشقة وكثرة الكلفة . ويا له من حنين طيب ووفاء عجيب ! وقديماً قيل (ما الحب إلا للحبيب الأول)

ويعتبر الهراوى فى هذه الأيام عميد نادى الحلمية ، أو عمدة مصطبة الحلمية كما يقول صديقنا الدكتور زكى مبارك ، أو شيخ السقيفة على حد تعبير المهدى مصطفى الشاعر الظريف

فالهراوى من الجلساء المخضرمين أدرك النادى السابق وكان من رجاله ، وأسس النادى اللاحق وآثره بكثير من عطفه وإخلاصه ، فقل أن يتغيب عنه فى يوم من الأيام ودائماً يحلو له أن يأخذ مجلسه عند المدخل على سفح (الدرجات الأربع) ومن حوله الأسمر والشيخ عبد الرسول ومرتضى الخطاط ، أجزاء لا تتجزأ وعصبة لا تفترق

وأدباء الحلمية نمط واحد وطراز متفق ، ولهم ذوق عملت فيه الثقافة العربية أكثر من أى شىء آخر ؛ وهم يعشقون الديباجة القوية السليمة ، ويطيرون بالأساليب المشرقة المونقة ، ويذكرون شوقى وحافظ وعبد المطلب بالخير والحمد ، ويترحمون على المنفلوطى والرافعى وأضرابهما ؛ والزين لا يعدل بالزيات أديباً فى مصر بل فى الشرق . وهم يضحكون من أولئك الشعراء والأدباء المستغربين الذين يذكرون جوته وشكسبير ولا يعرفون المتنبى والبحترى وشيخ المعرة، ويسميهم الهراوى بدجاج القريض ، وفى رواية أخرى ببغاث الشعر .

وكثيراً ما يدخل أدباء الحلمية فى مناقشات حادة ، وجدال عنيف ، يصل ضجيجه إلى الشارع ، ويطول فيه اللسان ويسفه ، ولكنهم دائماً خلصاء أصفياء على الكراسى متقابلين .

ويجرى أدباء الحلمية فى فنون وأمشاج من أحاديث الأدب والنقد والدعابة ، فإذا كان الحديث فى ذكريات الماضى ، فالهراوى فارس الحلبة ، يزكيه الشيخ عبد الرسول ؛ وإذا كان القول فى أخبار الأدباء والشعراء فالحكم للزين والويل لمن يعترض ؛ وإذا تكلم القوم فى الشعر رأى الأسمر أن يخرج من وقاره فيخب ويضع ؛ فإذا انتهى القوم إلى الدعابة حاولوا جميعاً أن يمدوا ألسنتهم ؛ ولكن لا يلبث الشاعر الحلمنتيشى أن يضع يده على رؤوس القوم وأن يجرفهم بتياره الزاخر ، حتى يقول كل منهم لصاحبه : انج سعد فقد هلك سعيد .

وقد يبتدىء القوم حديثهم فى شىء يهمهم ، أو فى مشكلة تعنيهم ، ولكنهم سرعان ما يخلعون عليه ثوب الأدب ويجعلونه حديث السمر .

فهذا الشاعر الأسمر قد جاء فى أمسية يشكو إلى إخوانه أمر ساعة أهداها إليه صاحبه الهراوى فأتعبته وصارت تمشى كما يقول الأسمر تارة (عربى) وتارة (أفرنجى) وتارة لا عربى ولا أفرنجى ، أما الدكتور حسين الهراوى فتناولها ثم جس نبضها وقال :

هذه (عندها ضغط دق) وهى (تحتاج إلى الراحة التامة) .

وأما الدكتور زكى مبارك فنظر إليها ثم اندفع ينشد :

واهـا لبعض الهدايا   بعض الهـدايا رزايا
ساعات باريس عندى   لهـا جميع المزايا
تدق دقـاً لطيفـاً   كمثـل همس مُنـايا
وسـاعة الهراوى   أولى يبعض التكايا
تدق دقـاً عنيفـاً   كما تدور رحـايا

وأراد أن يسترسل فى إنشاده فهدده الهراوى بإهداء (منبه) إليه ، فأمسك وجبن

وأما الأستاذ حسين شفيق المصرى فقال : « دى ساعه دايره على كيفها » و (ماشيه مشى مسخره) و (قلبها فاضى) و (عاوزه بوليس يضبطها) و (الساعاتى لـما يشوفها قلبه يدق) و (أنها الساعة التى هى أدهى وأمر ...)

وكان مجلس طيب لم يسع الهراوى نفسه إلا أن يسجله بالشعر فقال :

وسـاعة أهديتها   إلى الأديب الأسمر
حسبتها فى مخـبر   كما لها من مظهر
فظرفها من معدن   مرقش منمّـر
فمن بياض فضة   إلى سـواد عنبر
وعقربا ميناٸهـا   من النضار الأصفر
أحجارها كأنهـا   من لؤلؤ وجوهر
فلم يكن كمثلها   هـدية من موسر
ولم يكن كمثلهـا   من بائع لمشترى
وليس من تقدم   فيهـا ولا تأخر
تمشى عليها الشمس فى   عطاردٍ والمشترى
وقـد ظننت أنه   بمثلها لم يظفـر
حتى احتوانا مجلس   يزخر بالتنـدر
فمن طبيب ماهر   إلى أديب عبقرى
وكاتب مفكر   وشاعر مصـوّر
فجاءنا الأسمر فى   زمجرة الغضنفر
ثم رمى بسـاعتى   بهيئة المستنكر
وقال فافتح محضراً   واذكر وقل فى المحضر
بأننى من ساعتى   ومنك فى تحـيّر
فإنهـا تذبذبت   من سنةٍ فأكثر
فتارة تَقَـدُّمٌ   إلى مدًى لم يحصر
فتسبق الليـل إلى   صبـاحه المبكر
وتارة تأخُّـر   لغاية لم تقـدر
والآن فانظر ترها   فى وقفة المستكبر
وإن ما ذكرته   دون الذى لم أذكر

* * *

فقلت مهلاً يا أخى   فضحتنى فى معشرى
فانهمرت نكاتهم   مثل السحاب الممطر
فقائل : حق نشـو   ق لفقيه أزهرى
وقائل : محـبرة   من اختراع (بَرْكر)
وقائل : رقاصهـا   يحتاج للمجـبر
وقائل : قوموا بنا   نسأل عنها السمكرى
فقلت كفوا ساعة   عن ساعة لم تستر
أليس منكم عاذر   حتى أخى لم يعـذر
إن قصرت فإنهـا   فى زمن مقصر
آليت لا أهدى لكم   شيئاً — يمين منذر
ومن أراد سـاعة   فليشـتر أو يكتر

وكم فى (نادى الحلمية) من مثل هذه المجالس الطيبة لو حفل أديب بتسجيلها لحفظ للناس كثيراً من السمر الطيب والدعابة الحلوة والأدب الرائع ... ولكن هيهات

م . ف . ع

السلام

نظم الصورة الفلمية المنشورة فى العدد ٢٨٩ من الرسالة

« مهداة إلى الأستاذ ابن عبد الملك »

للأديب عبد الحميد الهيتى

ذى صورة فى وحيها صادقهْ   توحى إلى الشاعر
صامتةٌ لكنها ناطقهْ   فى منطق ساحر
الأمن فى صفحتها الشارقهْ   يشرق مثل الأمل الزاهر
والخَلْقُ فى ساحتها غارقه   فى أمنها هادئة الخاطر

* * *

هنـا قطيع الغنم الرائع   فى عيشة راضيه
منبثة فى حقلها الواسع   آمنـة لاهيه
فبعضها فى وقفة الخاشع   وبعضها جاثية غافيـه
يا عجباً للحمَل الوادع   ترضعه الأم على ناحيه

* * *

قد نام عنها كلبها الحارس   على أثيث العُشُبْ
كأنه وهو به طامس   من نومه لم يهبْ
قد نسى الذئبَ ولا هاجس   يَمرُّ فى خاطره أو يدبْ
حتى ولم يهمس له هامس   في الطيف مايدعوه أن يكتئبْ

* * *

هناك بالقرب من الساحل   عائـلة تبسمُ
ما فكرت فى الزمن الزائل   ولا الذى يقدم
تلهو بصفو الزمن المائل   لها ولا فى غيره تحـلمُ
ياجلال الأسرة الكامل   لو خط فى الرسم أبٌ مفعمُ

* * *

هنك عن بعد على اليمينِ   مغروسة أشجارُ
ريانة مورقة الغصونِ   توقرها الأثمـارُ
وربما فى عشها المكينِ   آمنـة تزقزق الأطيارُ
قد نسيت مرارة السكين   ولم تدام عشها الأخطارُ

* * *

أرى طيوراً فى السما حائماتْ   من مرح صادحهْ
فى هدأة الكون مضت سابحاتْ   غادية رائحـهْ
فلم تروع ضربها الطائراتْ   ولم تجئ قاصفة صائحـهْ
والبحر رهوٌ فوقه الباخراتْ   تمخر لا تجتاحها جائحهْ

* * *

يا صورة صوِّر فيها السلامْ   صـورته الخالدَهْ
توحى كوحى الصحو بعد الغمامْ   فى الأنفس الراقده
ما السلم إلا الغيث فى الابتسامْ   والحرب إلا السحُب الراعدهْ
فلسفة الله هما فى الأنام   ضلت بها ألبابنا شاردهْ

« هيت »   عبد الحميد الهيتى

قصائد فى أبيـات

للأستاذ محمود غنيم

المطر

بدت الأرض مرة فى الشتاء   ثرّةً مثـل صفحة الدأماء
فسألت الغمام هل بك خطب   مثل خطبي حتى بكيت بكائى
قال لا بل دنّستم الأرض بالإثـ   م فطهرتُ وجهها بالمـاء

لؤلؤة

شاهدت لؤلؤة كالبرق تأتلقُ   على جبين أمير سار مختالا
فقلت ما أنت؟ قالت إننى عرقُ   من جبهة الزارع المسكين قد سالا
الناس تنعم والفلاح يحترقُ   وليس يحرز لا جاهًا ولا مالا

السعادة

لم أدر ما طعم السعادة فى الصبا   فإذا بهـا موفورة أسبابها
حتى إذا أصبحت أدرك كنهها   سلب السعادة من يدى سلابها

الغرب

قلت للشمس يا عروس السماء   إنما تغربين فى عين ماء
فلماذا لحت وجهك إذ أشـ   ـرق مثـل العقيقة الحمراء
قالت الشمس إنما طفت حول الـ   ـغرب والغرب سابح فى الدماء

محمود غنيم

أرض تدور
وإنسان يحيا ويموت

للدكتور محمد محمود غالى

الفراغ الذى نتنقل فى أنحائه — الزمن والحوادث — الأرض التى تدور — الكون مجموع العوالم — الانسان يحيا ويموت

نبدأ الكلام عن الفراغ أو الحيز الذى نتنقل فيه ، ونتكلم عن الزمن الذى يمر علينا لاتصالهما بفلسفة كل علم ، وأى علم نستطيع أن نتعلمه أو فلسفة نستطيع أن نناقشها لا يكون الفراغ والزمن عاملين أساسيين فى دراستهما ؟ هذان العاملان ظلا أساساً للعلوم من عهد المصريين والإغريق ؛ فليس فى وسعنا أن نتحدث عن الأرض والكون والإنسان المفكر دون أن نرجع مبدئياً إلى هذين البحرين اللذين تكتنف لججهما جميع المخلوقات : الحيز والزمن . وسنعرض لهما فى هذه الكلمة حسب الأوضاع التى ألفناها فلا نتعرض اليوم لفهمهما وفق أحدث الآراء

أما الفراغ أو الحيز Espace فإننا نلمسه بحواسنا وندركه بتحركنا . كلنا يعلم أننا، ونحن فى مكان معين، نستطيع أن ننتقل شرقاً وغرباً أو شمالاً وجنوباً أو إلى أعلى وأسفل ، كما نستطيع أن ندور حول نقطة ثابتة ، أو نكون فى حالة نلقى فيها حركتنا مجموعة من هذه الحركات كحركة شخص داخل سفينة تتأرجح فوق عباب الماء بالنسبة إلى منارة على شاطئ البحر

وأما الزمن وفق تصورنا البدائى فكلنا يعرفه ويدركه بالحوادث التى تقع لنا ، فنقول: لم نر فلاناً منذ رحيله للأسكندرية، ونقدر طول غيبته بعدد من الأيام ، وينشأ من ذلك أن أهم الحوادث بالنسبة لنا دورة الأرض حول محورها ، فهى التى تولد الليل والنهار ويسمى مجموعها « يوماً » وقد اعتدنا تقسيمه إلى ٢٤ ساعة ، وكان من الجائز أن نقسمه إلى عشرين ساعة أو عشر، فتقسيم اليوم إلى أى عدد من الساعات عمل اعتباطى من اختيار الإنسان لادخل للطبيعة فيه . فلو أننا اتفقنا على أن نجعل اليوم عشر وحدات جديدة تسمى كل منها ساعة لما احتجنا إلى إدخال أى تغيير فى آلات قياس الزمن التى نسميها «ساعة» سوى تغيير فى تقسيم ميناء الساعة

أما دورة الأرض حول الشمس التى يتكون منها السنة والفصول فتحوى ٣٦٥ يوماً وسدس اليوم تقريباً ، وهذا العدد ليس اختيارياً كعدد الساعات فى اليوم ، وإنما هو حدث طبعى لا نستطيع تغييره؛ فقد لوحظ أنه بمرور كل عام أى بإتمام كل دورة للأرض حول الشمس يتكون هذا العدد من الليل والنهار

أما فترة الحياة للانسان فهى تختلف لكل فرد، فليس من الميسور لنا أن نعين الذين ستنتهى حياتهم هذا الأسبوع من أهل القاهرة وإن كنا نعرف من مجموع القاهريين أنه يولد فى الأسبوع القادم حوالى التسعمائة ويموت حوالى الخمسمائة ...

ونحن أكثر إحساساً بالزمن منا للحيز، فإن الزمن يتغلغل فى مشاعرنا ، وفترة من الزمن أقرب لإحساسنا من مسافة فى الفراغ . وقد يخطئ المرء فى تقدير أو مقارنة مسافتين ولكنه لا يخطئ فى إدراك وترتيب حادثين ؛ فإذا وقفنا فى ميدان الأوبرا فقد لا يسهل علينا أن نعرف أيهما أقرب إلينا : مسجد القلعة أم الجامعة المصرية بالجيزة . بل كثيراً ما يخطئ المرء فى تبين الأطول من بين اثنين من أصدقائه رغم تكرر رؤيته إياهما

أما شعورنا بالزمن فلا يتسرب إليه الخطأ . فنحن واثقون أن حصولنا على تذكرة الترام حادث لاحق لارتقائنا إياه ، وأن وجودنا به حادث لاحق لمبارحتنا المنزل . وإذا اشترينا صندوقاً من السجائر فما لا يداخلنا الشك فيه أن الكتابة المطبوعة على ذلك الصندوق قد تم طبعها قبل شرائنا إياه ، وعندما نذهب

بأولادنا إلى المدرسة لا يكون ثمة ريب فى أن حادث ولادتهم سبق بكثير دخولهم المدرسة. ويدخل عامل الزمن فى التجارب العلمية، فى مقدور العلماء أن يقيسوا فترات صغيرة جداً منه، وقد بين لى الأستاذ جييه Guillet فى إحدى زياراتى له كيف نتوصل إلى قياس فترة من الزمن لا تتجاوز جزءاً من خمسة ملايين جزء من الثانية. ولا متسع هنا لشرح التجارب الخاصة بهذا التحديد الدقيق

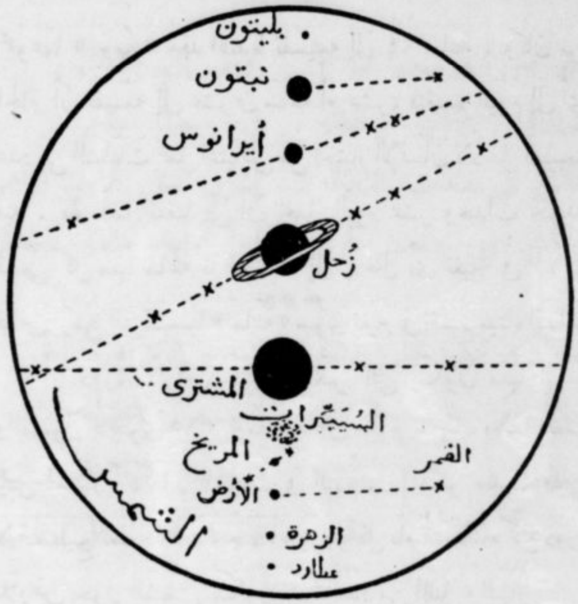

شكل (١)

على أن كل هذه الحوادث قصر أم طال مداها تتعين بأمر ثابت لنا هو : دورة الأرض حول الشمس التى نسميها عاماً . فعندما يقول إنسان لقد مضى على إقامتى بهذه الدار ثلاث سنوات وستة أشهر ، فمعنى ذلك أن الأرض فى مدارها حول الشمس عادت لمكانها الأول ثلاث مرات ، ولا تزال سابحة فى دورة رابعة قطعت منها نصف الطريق

***

كل الكائنات ، وكل ما فى الحياة ، وكل شىء نستطيع أن نحس به أو نراه، يكتنفه أو يشمله هذان البحران: الفراغ والزمن. إذ لا يمكن لخيالنا وحواسنا أن تتخيل أو نستوعب شيئاً كائناً ما كان غير موجود فيهما ، فهذه النملة فى طريقها على هذه البقعة من الأرض تقطع هذه المسافة فى الحيز ويمر عليها الزمن . وهذه الأرض التى تحمل النملة وتحملنا تقطع أيضاً فى هذه الفترة جزءاً من طريقها الذى تدور فيه حول الشمس . وهذا الحجر من أحجار الهرم يشغل حيزاً معيناً وقد مضى عليه أكثر من خمسين قرناً وهو فى هذا الوضع ؛ أعنى أن الأرض قد دارت حول الشمس منذ وضعه أكثر من ٥٠٠٠ دورة، وحول نفسها حوالى المليونين من الدورات ، وليس هذا عمر هذا الحجر منذ تكونه ، بل هو الفترة التى مرت على وضعه بين هذه الأحجار. أما عمره فمن عمر تكوين الأيوسين وهو عصر جيولوجى بعيد قد ولى منذ ٦٠ مليوناً من السنين

ولو التزمنا جانب الدقة لقلنا إننا نحن والحجر أقدم من ذلك بكثير فإن العناصر التى نشأنا منها ترجع إلى تكون الأرض التى يغلب على الظن أنها انفصلت عن الشمس ؛ فكل ما تتكون منه كان موجوداً منذ تلك اللحظة التى لعلها تبعد فى الزمن ألفى مليون من السنين ، بل كان موجوداً قبل ذلك منذ تكون الشمس ، بل قبل تكون السديم الذى نشأت منه الشمس ، بل منذ كانت الخليقة ..

هذا هو الحيز حسب الإدراك البدائى والزمن وفق الوضع البسيط . ولكن تصور العلماء لهما قد تغير اليوم

فى رواية تناقلتها الصحف إبان الضجة التى أثارتها نظرية إينشتاين فى النسبية أن ابنه سأله ذات يوم أن يوضح له تلك النظرية ؛ فأجابه : إنه لو فرض جدلاً أن كائناً سيسافر بسرعة تقرب من سرعة الضوء واتفق معه مودعه أن يغيب عنه سنة فإنه لا يحق له عند وداعه على المحطة أن يقول له : إلى اللقاء ! لأنه عند ما يعود هذا المسافر بعد عام يكون قد مر على الذى ينتظره مائتا عام ، وبذلك يكون قد ثوى فى رمسه منذ نيف ومائة سنة

هذا الوضع الجديد فى الزمن والحيز الذى كان الأساس فيه معادلات لورنتز Lorentz يختلف عما عهدناه ، وسنرجئ الدخول فى فهمهما إلى مقال آخر

أما فى هذه الأسطر فلدينا مسألة أكثر بساطة تتعلق بالأرض التى نعيش عليها والكون التى هى جزء منه

***

لئن كان بين الشموس ما يقرب حجمه من حجم الأرض ، فإن أغلبها كبير لدرجة أن ملايين الأرض ممكن أن تدخل فى إحداها وتدع مكاناً لملايين غيرها. وليس لنا أن نعجب من هذا، فلو أن قروياً لم يخرج فى حياته عن بلدته لظن أن كل ما على الأرض من ماء هو من نوع الجداول والسواقى التى اعتاد أن يراها فى حدود موطنه الضيق. وما أشد ما تتملكه الدهشة حين يسافر بالبحر للحجاز مثلاً أو لأوربا فإن هذه البحار التى يعبرها تحوى من الماء

ملايين أمثال ما تحويه الجداول التى اعتادها

على أن ملايين الملايين من هذه الشموس تكون عالماً واحداً كعالم المجرة الذى شمسنا إحدى شموسه — ويدلنا العلم اليوم أن ملايين الملايين من العوالم تكون الكون

ينتج من ذلك أن الأرض بقاراتها ومحيطاتها هى بالنسبة للكون كشوكة من أشواك التين بالنسبة لإقليم متسع غرس فيه نبات التين ، أو كقطرة من الماء بالنسبة لمجموع البحار

هذا هو مركز الأرض من الضآلة بالنسبة للكون الذى هى جزء منه. على أن هذه الملايين من ملايين النجوم تسبح فى مجراها على مسافات شاسعة جداً بين الواحد والآخر بحيث يعد اقتراب واحد من الآخر حادثاً نادراً جداً

فالمسافة بين الأرض والشمس التى هى مليون مثل ارتفاع الهرم الأكبر صغيرة جداً بنسبة المسافات بين الشموس التى نتحدث عنها. ويكفى أن نعلم أنه بينما يصلنا الضوء من الشمس فى ٧ دقائق تقريباً فإنه يصل لنا من أقرب شمس بعد ذلك (الفاسانتور) (Centauri) ويسمونها «قضيب الكرم» فى أكثر من أربع سنوات .

ولو أن الشمس على بعدها عنا تمثل مصباحاً فى الردهة المجاورة بالمنزل فإن الفاسانتور تمثل مصباحاً فى فينا أو طهران

على أن الغالب على الظن أنه منذ أكثر من ألفى مليون سنة اقترب أحد هـذه النجوم وهو فى طريقه من شمسنا . وكما أن اقتراب القمر يحدث على بحار الأرض ظاهرة المد والجزر أى ارتفاع المـاء فى جزء من الكرة وانخفاضه فى الجزء المقابل؛ ويبلغ ارتفاع المد قريباً من الشواطئ المصرية ٣٠ سنتيمتراً وفى الجزائر ٦٠ س م وفى فرنسا متراً أو اثنين وفى فندى فى أمريكا ١٩ متراً و ٦٠ سنتيمتراً فقد حدث فى جسم الشمس مد كبير جداً يبلغ حجمه آلاف أمثال حجم الأرض كافة؛ وازداد اقتراب النجم فارتفع المد لدرجة سببت انفصال كتلة من جسم الشمس انقسمت إلى الأجزاء التسعة التى هى السيارات المعروفة وأقمارها وهى التى تدور من ذلك الحين حول أمها الشمس

ولو شخص القارئ ببصره إلى السماء فى الليل لاستطاع أن يلحظ الفارق الكبير بين السيارات التسعة التى تكون مع الشمس مجموعتنا الشمسية وبين الشموس الأخرى ، فإن ضوء السيارات كضوء القمر يبدو ثابتاً لا كتساب هـذا الضوء من الشمس . أما النجوم فهى تتوهج كالشمس، وأثر هذا التوهج واضح على العين

(شكل ٢)

أما السيارات التسعة فمنها ما هو أصغر من الأرض مثل عطارد والزهرة والمريخ وبليتون ، ومنها ما هو أكبر منها مثل المشترى وزحل وإيرانوس ونبتون. وحجم الشمس يقرب من مليون وثلث مليون (١،٣٠١،٢٠٠) حجم الأرض بينما حجم عطارد ٥/٢٠٠ من الأرض والزهرة ٩/١٠ والمريخ ١٦/١٠٠ والمشترى ١٢٩٥ وزحل (وهو سيار يمتاز بطوق حوله) ٧٤٥ مرة وإيرانوس ٦٣ ونبتون ٧٨ ؛ أما بليتون فنظن أن حجمه ١/١٠ من حجم الأرض ولم يكتشف إلا منذ نحو سبع سنوات

ولكل سيار عدد من الأقمار تابع له يدور حوله، وليس لعطارد والزهرة أقمار . وقد أشرنا فى الشكل إلى مواضع الأقمار بعلامة ×

وللأرض قمر واحد وللمريخ قمران ، وكنا نعرف للمشترى تسعة أقمار، وقد كشف المنظار الجديد لمرصد مونت ولسون بأمريكا قمرين جديدين فأصبح عـددها ١١ ، والمعروف لزحل حتى الآن تسعة أقمار ولإيرانوس أربعة ولنبتون قمر واحد

أما بليتون فلم يشاهد له حتى الآن أقمار .

وفى الشكل الأول تمثل الدائرة الكبرى الشمس وفيها دوائر صغيرة تمثل حجوم السيارات التسعة بالنسبة للشمس وترى مرتبة

الفن الأمريكي
النحت والتصوير
للدكتور أحمد موسى

أما النحت فلا يرجع لأكثر من القرن الثامن عشر . على أن ما هو جدير بالفحص والدرس منه لا يعود إلا إلى منتصف القرن التاسع عشر ؛ لأن ما تم عمله منذ تلك الفترة يمكن اعتباره مقياساً صادقاً لمدى ما وصل إليه النحت الأمريكي

وأول من يمكن ذكره من رجال الفن في « الدنيا الجديدة » رجلان هما باورز H. Powers وجرينوف Greenouph اللذان نالا في بلدهما درجة من التقدير . وقد سافرا مبكرين إلى روما للمشاهدة والمعرفة ، والتقيا هناك بكل من كانوفا Canova وثورو الدسين Thorwaldsen المعاصرين لهما واللذين كانا من رجال النحت المعروفين . فشاهدا في روما واقتبسا الكثير مما فيها

ومن رجال الفن الذين لم يتلقوا على مدرس أو أستاذ ومع هذا أنتجوا إنتاجاً يستحق الاعتبار كراوفورد وأراسموس يالمر

وكان المسلك الذي سار عليه باورز متأثراً بفن « عصر النهضة » الإيطالي والفرنسي ، ولكنه مع هذا انتهى إلى مذهب الفن الواقعي الذي تجلى في منحوتاته للأشخاص بطريقة قوية دلت على المقدرة والثقة بالنفس ، فجمع بين الأناقة في الإخراج ، وبين القوة التي تمكن بها من إبراز الشخصية

وبالرغم من أن الاتجاه السياسي في أمريكا كان أميل إلى إظهار الروح الوطنية عند بعض الأفراد ؛ فإن فن النحت كان تاج عام لم يخف أثر الاقتباس الأوربي الذي إليه يرجع الأصل في خلقه

ولا يمكن أن نسجل هنا مع الإعجاب خلقاً فنياً في مجال النحت إلا لمثالين محدثين نسبياً إلى من ذكرناهم . وأول هؤلاء جودنز Saint Gaudens الذي نأتي له هنا بصورة من إحدى تماثيله الرائعة (ش . ١) . ألا وهو التمثال البرونزي لتسجيل شخصية لينكولن ، فترى الرجولة والقوة والاحترام متمثلة كلها في التمثال أنظر إليه وتأمل الكيفية التي وقف بها لينكولن ، وبساطة

في داخلها بترتيب بعدها عن الشمس فأبعدها هو سيار بليتون إذ هو يتم دورانه حول الشمس في ٢٥٢ سنة

هذه هي المجموعة التي تنتمي إليها الأرض التي تحملنا.

وما شمسنا كما قدمنا إلا إحدى ملايين الشموس من نهر المجرة الذي هو عالم واحد من ملايين الملايين العوالم التي تكون الكون . ويمثل الشكل الثاني أحد هذه العوالم ، وفي هذه الصورة نرى صورة ضوئية لأحد هذه العوالم وهو عالم تبدو مجموع شموسه للناظر في شكل الحلزون ، ويغلب على الظن أن هذا الشكل الحلزوني لا يوجد في واقع الأمر على هذا النحو ، وإنما هي ظاهرة خاصة بالعوالم البعيدة . فلو افترضنا أن في ذلك العالم البعيد كائناً ينظر إلى عالم المجرة (عالمنا) لرأى جماع شموسه في هذه الصورة الحلزونية.

وسنتكلم في المقال الآتي عن الفكرة في منشأ الحياة على أحد هذه الكويكبات وهي الأرض وعلى احتمال نشوئها كذلك على غيرها من السيارات ، ونحاول على قدر الاستطاعة أن نفسر الحياة ونرى هل هي ظاهرة كغيرها من الظواهر الطبيعية مثل الإشعاع المادي والمغناطيسية أم هي أمر آخر

وقد وجدنا من الأيسر قبل أن نطرق باب الحياة ولا سيما فيما يتعلق بالإنسان أن نبدأ اليوم بوصف البيت الذي يعيش فيه قبل أن نصف صاحب الدار . وموعدنا المقال القادم

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

المظهر الذى ارتسم على ملابسه ، ثم شاهد الموضع الأنيق للذراع اليسرى والكيفية التى بها أمسكت اليد المعطف . هذا إلى جانب جمال التكوين للرأس والنظرة الثاقبة التى تجلت على العينين .

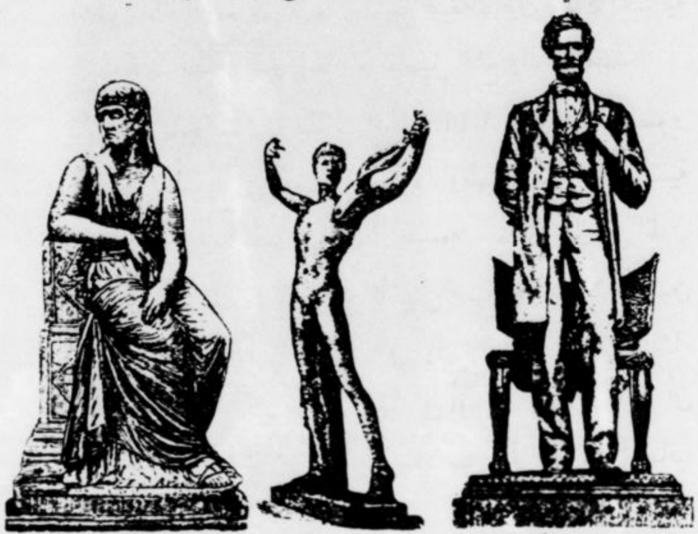

ش — ١ (لينكولن)   ش — ٢ (سفوكليس)   ش — ٣ (أورشليم الحزينة)

ولا أبدع من تلك الوقفة حيث ترى القدم اليسرى تخطو إلى الأمام؛ أما المقعد خلف التمثال فهذا وإن خرج عما نألفه الآن ، إلا أنه طابع مميز ومسجل للاقتباس كما ذكرنا .

وثانى نحات جدير بالذكر هو نيهاوس Ch. H. Niehaus ، وثالثهم ماكنايل H. A. Mac Neil الذى نحت ما يعبر به عن عادات الهنود الحمر من « رقص الأفاعى » و « تمجيد الشمس »

وغير هؤلاء هربرت أدمز Herbert Adams الذى وضع تصميم البناء التذكارى فى أوبرن ، ودانيل شيستر فرنش صاحب تمثال ميلمور وتمثال المهندس المعمارى هنت فى نيويورك ، وله أساليب خلابة فى الكيفية التى أخرج بها منحوتاته التى نذكر منها تماثيل واردوبار تردج والجنرال جرانت فى بروكلين

ولا بد من أن نذكر على الخصوص النحات بويل J. Boyle وودوج الذى يعطينا التمثال (ش — ٢) فكرة عنه . أنظر إلى سفوكليس [1] ، وقد بدا نحيلاً كما كان ينبغى لمن وصف نفسه بالجمال والشباب ، وتأمل امتداد الذراعين وجمال حركة اليدين إلى جانب الرأس

ومن بين النحاتين الأمريكيين من أظهر فى صدق وقوة مقدار تأثره بفن أجنبى . وخير مثال لذلك الفنان ستورى الذى عمل تمثال « أورشليم الحزينة » ، وإذا نظرت إليه (ش — ٣) رأيت أن التكوين الكلى للجسم والطريقة التى جلست بها « أورشليم » والتفاصيل التى تبين ثنايا الملبس كلها إيطالية . أما الوجه وما ارتسم عليه من كآبة فقد عبّر خير تعبير عن الحزن واليأس والاستسلام وهو ما يتمشى مع المقصود من وضع التمثال . وكان كل من روجز وبيبيسو L. Bibisso يسير فى نفس الاتجاه متأثراً بالفن الإيطالى

أما من تأثر بالفن الألمانى فكان كل من راينهارت وإزيكيل M. Ezekiel وكايزر ، هذا عدا الفنانين الألمانيين أصلاً والذين اتخذوا أمريكا وطناً ثانياً لهم ، أمثال كارل بيتر Bitter وإيزيدور كونتى ويوهان جيليرت

سار كل هؤلاء فى طريقهم تحت لواء الفن الواقعى المنتمى قليلاً حيناً وكثيراً حيناً آخر إلى فن « عصر النهضة » الإيطالية والفرنسية

ش — ٤ (موت الجنرال وولف)

وقد ظهر بعدئذ فن جديد فى الأفق الأمريكى لا يخالف فى مظهره العام « الفن الحديث » من حيث الرغبة فى التبسيط والابتعاد تدريجياً عن الضوابط والمقاييس الفنية

وهذا لا يستغرب إذا تذكرنا أن العلاقة بين العمارة والنحت والتصوير موجودة دائماً ، وأن البيئة التى يتأثر بها البناء هى نفسها التى تؤثر فى النحت وفى التصوير

(١) Sophokles ابن سوفيللوس الثرى ، (٤٩٦ — ٤٠٦ ق . م) وكان من أعظم شعراء اليونان الثلاثة . وفى روما بمتحف لاتيران يوجد تمثال رخامى يمثل الشاعر ، وقد عثر عليه فى تيراسينا سنة ١٨٣٨ ، وهو دون شك من أجل تماثيل اليونان وأعظمها قيمة وتكوينا

على أننا لا نريد أن نتناول اتجاهات « الفن الحديث » أو الفن المعاصر فى أمريكا بالدرس والنقد لأننا قد وعدنا القارئ بمقال خاص عنه نكتبه فى فرصة أخرى

ش ــ ٥ (واشنجطون يعبر نهر دلاوار)

أما فى التصوير فإن الأثر الأوربى ظاهر أيضاً وواضح إلى حد لا يحتاج للبراهين . فقد ارتبط فن التصوير فى أول أمره ارتباطاً وثيقاً بالفن الانجليزى ، وتقدم على هذا الأساس تقدماً باهراً ، فما كاد ينتهى القرن الثامن عشر إلا وقد ظهر مصوران عظيمان ، أولهما وست B. West الذى سجل موت الجنرال وولف فى موقعة كويبك تسجيلاً رائعاً . أنظر إلى المجموع الإنشائى للصورة (ش ــ ٤) وفكر فى الكيفية التى استطاع بها الفنان إظهار هذه المجموعة من الوجوه الناظرة إلى الجنرال المحتضر ، وكلها تعبر عن الأسى والحزن والجزع، ولاحظ العدد الهائل من الجنود الذى يبدو كأنه ظل فى مؤخر الصورة ، وتأمل إلى جانب ذلك حركة الأيدى والروعة التى تجلت فى الإخراج

وثانيهما جون كوبلى Gohn Singleton Copley الذى اشتغل كالأول أيضاً بتسجيل المناظر التاريخية والوطنية وغيرهما جلبرت ستوارت ولورينج إليوت الذى اشتهر بتصوير المناظر الشخصية !

وهكذا استمر أثر المدرسة الانجليزية فى فن التصوير الأمريكى حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وبعدئذ ظهر اتجاه جديد بظهور الفنان لويتس E. Leutz الذى أظهر أثر مدرسة دوزلدورف الألمانية Duessel-dorfer Schule فترى فى الصورة (ش ــ ٥) واشنجطون واقفاً فى وسط قارب صغير ازدحم برجاله ، منهم من حمل العلم الأمريكى ومنهم من اشتغل بالتجديف فى ماء مملوء بالثلوج . وليس هذا المنظر مما يستهان بتصويره ، فهو محتاج إلى مقدرة عظيمة ودراسة عميقة لقانون الحركة الجسمانية إلى جانب صعوبة التلوين لإبراز تفاصيل الثلج والماء المتجمد

وأعقبه الفنان بيرستادت A. Bierstadt الذى اشتغل بتصوير المناظر الطبيعية التى وقعت تحت نظره . وظهر أثر المدرسة الفرنسية فى أمريكا بعد انقضاء الستين أو السبعين سنة الأولى من القرن التاسع عشر ، ذلك بالرغم من تأسيس جمعية الفنانين الأمريكيين Society American Artists فى أول يونيو سنة ١٨٧٧ وإنشاء أكاديميات على نمط ما هو موجود فى أوربا . وهذا يدل على أن الفن الأمريكى كان أوربيًا فى الأصل ولم يجد منهلاً صافياً يستقى منه إلا فيها

واشتغل فريق من رجال الفن بتصوير الحيوان وعلى رأسهم بيرد Beard وبيتر موران Peter Moran وبور Poor ، كما اشتغل فريق آخر بتصوير المناظر الطبيعية وحدها ، وأهم هؤلاء توماس وبيتر موران الذى صور لوحته الرائعة « مزاج الغروب » (ش٦) والتى أظهر فيها انعكاس أشعة الشمس الذهبية على صفحة الماء . وغيرهم من هو جدير بالذكر مثل جيفورد R. S. Gifford وميلار Ch. Miller وهارت Games M Hart وجاى W. M. Gay عدا من كانوا فى الدرجة الثانية مما لا يتسع المجال لذكرهم

ش ــ ٦ (مزاج الغروب)

وكان الفنان شاز W. Chase من الذين أجادوا تصوير الأشخاص وتسجيل المناظر الشعبية ، وكنا نود أن نأتى بأكثر من صورة لإنتاجه . ولعلنا بالنظر إلى (ش ــ ٧) نتمكن من

الوقوف على جانب من مقدرته ، فقد صور الشيطان يفرغ الخمر فى كأس وعلى شفتيه ابتسامة السخرية .

ش ـ ٧ (الشيطان)

وتخصص هنرى باكون للمناظر التاريخية كما تفرغ هومر Winslow Homre للمناظر الشعبية البحتة التى اتصل بها واندمج فيها وذلك فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن .

وظهر جماعة من الذين انتقلوا بخيالهم المحلى إلى خيال أوسع مدى ، فنهم من نقل صور الحياة كما هى دون تعريج على المثل العليا ، ومنهم من رسم مناظر رآها فى بلاد انطبعت صورتها فى مخيلته ، ومنهم فريق أكثر من

ش ـ ٨ (باب الحريم)

الأسفار ، وسجل كل ما شاهدته عيناه .

ولعلنا نرى فى (ش٨) التى صورها بردجمان F. A. Bridgman خير دليل على انتقال الخيال ، لا إلى « الدنيا القديمة » بل إلى الشرق !

سمى هذه الصورة « على باب الحريم » فصور مدخلاً تعلوه « مشربية » لبيت على الطراز العربى واهتم بإبراز الزخرفة والنقش كما حرص على تصوير امرأتين إلى يسار الباب ، وقد جلست كل منهما تعرض ما تريد بيعه ، وأمام المدخل سيدتان جاءت إحداهما على ما يظهر فى الصورة راكبة حماراً وقف بالقرب منهما وبجانبه صاحبه . والمجموع الإنشائى رائع لا يستطيع تدويره إلا المتمكن .

وترى على اليسار شجرة اللبخ الكبيرة وقد وقعت ظلالها على حائط البيت ، وجلس إلى اليسار بعض الصبية أمام شباك « الكتاب » .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر مورلر وبيرس وويكس ممن ينتمون إلى المدرسة الباريسية فى أوائل القرن العشرين .

أما بعد الحرب العظمى فقد سرت موجة جديدة غيرت معالم الفن القديم ، سيكون الحديث عنها ضمن مقالنا الخاص بالفن الحديث .

احمد موسى

الأستاذ محمد عبد الوهاب

من الوجهة الفنية

لم يخدم (الحظ) فى دنيا الموسيقيين أحداً كما خدم عبد الوهاب، ولم يتطوع الزمن فى ركاب مطرب كما تطوع فى ركابه حتى أبدله نعمى ببؤس، ويسراً بعسر ... !

هو من صدور (الملحنين) فى الشرق، ولكنه سيد المطربين فيه . بز القدماء بقديمه، وعز على قرنائه بجديده وتجديده . سما بالموسيقا سمواً كبيراً حتى جعل منها شيئاً محترماً، وارتفع بمنزلة (المطرب) ارتفاعاً عظيماً حتى أصبح العظماء يتوددون إليه بعد أن كانوا يحسبونه مهرجاً لا أكثر ... ! !

صوت رخيم جميل، ولعله أسلم أصوات مطربينا وأقدرهم على التطريب الحق الذى يأسر النفس، ويملك الحس . لا نستطيع أن نقول عنه إنه غنى (بتريولانه) ولكننا نستطيع أن نقول إنه غنى بالطاعة لصاحبه، والخضوع لكل أوامره ونواهيه

يبلغ أربعة عشر مقاماً (أوكتافين)، خمس مقامات (تينور) ثقيل، وتسعة مقامات (بريتون) تقريباً كلها سليمة قوية واضحة لامعة

لا يرتجل، ومع كل ذلك فهو (يشتغل) ! ويشتغل شغلاً عجيباً يدر عليه الآلاف المؤلفة . والسر فى هذا أنه لا يؤمن بالتصرف ولا بالارتجال . ولا يغنى إلا بعد أن يكون قد لحن الكلام وجربه أكثر من عشرين مرة مع رجال تخته . فإذا طلبت منه (مقطوعة) له قديمة غناها كما سجلها دون تصرف أو خروج كالأسطوانات تماماً ... !

يحب فنه أكثر مما يحب نفسه؛ ولذلك لا تعجب حينما تعرف أنه لا يرى بأساً من مواصلة ليله بنهاره ونهاره بليله ملحناً وعازفاً دون أن يراعى صحته الضعيفة ! درس (الصولفيج) دراسة طويلة، وهذا ما أفاد صوته كثيراً، ولكنه مع هذا لم يستطع أن يسجل لنفسه لحناً واحداً (بالنوتة) بل يستعين فى ذلك بالأستاذين جميل عويس، وعزيز صادق

هو أول من أدخل على التخت العربى آلات الكونترباس ... الفيولانسيل .. الإكورديون الكاستنيت .. المثلث النحاسى .. النقرزان ...

له مدرسة واسعة تضم أغلب الشرق مطبوعة بطابعه، ملونة بلونه، لا تحب إلا إياه ولا تستسيغ إنتاجاً إلا إنتاجه وكفاه فخراً أنه (متبوع) أبداً فلا يكاد يخرج شيئاً جديداً حتى ترى بعض الملحنين الذين يتعقبونه ويترسمون خطاه قد حاكوه وقلدوه . فالموسيقا العربية لم تكن تعرف أو لم تكن تعترف بالرومبا، والتانجو، والكاريوكا . فلم يكد يمصرها ويخضعها للذوق الشرقى حتى تهافت عليها غيره كالذباب عدداً وهم يحسبون أنهم ملحنون مجددون كعبد الوهاب

تدين له الموسيقا بالشىء الكثير؛ فهو وإن كان لم يخلق كبتهوفن، وموتسارت، وفجنر، وهندل، ودى لاسو (مثلاً) إلا أنه جدد، وجمع من هنا وهناك بذوق سام حتى خلع على الموسيقا إهاباً قشيباً متيناً !

أصبح الآن (مقلا) لدرجة تبعث على النقد؛ وهو يحتج بتفرغه للسينما ولكننا لا نعفيه من اللوم، فالمال لا يدوم، وإن دام فالسمعة وحب الشعب والمجد والشهرة، كل هذه الأشياء لا يغذيها إلا العمل، والعمل المتواصل الذى يمدها بالحياة .

* * *

سن للمطربين سنة (الطراوة والاسترخاء، والدموع) فقلما يغنى شيئاً حماسياً أو وصفياً، بل أغلب أغانيه غزلية لحسب

فإذا سألته السبب قال : إن الشعب لا يحب ولا يشجع إلا هـذا اللون ، وما درى أنه وحده الذى يقع عليه أغلب هذا الوزر . المعروف أن المغنى الحق هو الذى لا يعرف إلا فنـه ، وفنه فقط ولـكن عبد الوهاب أراد أن يخالف هذه النظرية فعرف الفن وغير الفن ، وتأثر بميول ضد ميول وقد عرف عنه ذلك ومع كل فهو يصر على لونه ...

إن الفن موطنه السماء؛ ومن فى السماء فوق الجميع وللجميع. فمن ترك فنه وسماءه ليعيش فوق الأرض جرفه التيار الذى لا يرحم

محمد السيد المويلحى

من مآسى التاريخ

مصرع الدون كارلوس

للأديب محمد محمد مصطفى

قال الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه « تاريخ المؤامرات السياسية »

« ... ما أفاضت سيرة من سير القصور فى القرن السادس عشر على دولة الجبال والشعر قدر ما أفاضت سيرة الدون كارلوس ، وما تبعث قصة إلى النفس من روعة وكآبة قدر ما تبعث أساطير هذه القصة العجيبة

وأى سيرة أدعى للروعة والوحشة من سيرة ملك يقضى بالموت على ولده لمؤامرة قيل إنه دبرها لقتله . ثم يذهب فى بطشه إلى حد تنفيذ هذا الحكم

هذا ما يحفظ التاريخ من سيرة فيليب الثانى ملك أسبانيا وولده الدون كارلوس »

فوجئ الأمير بتحية صدرت إليه من خلفه ، فاتجه ببصره إلى مصدر الصوت فرأى صديقة الأمين الـكونت « أجمونت » ... فقل اضطرابه قليلاً وسأل الـكونت :

— أتبعك جواسيس الملك الليلة يا كونت ؟

فابتسم هذا فى خبث وأجاب :

— أبداً يا مولاى ، فقد ألحت صورة الخمر على أعينهم فرنق بها السكرى فدلفت إلى جناحك من الباب الخلفى بعد أن تخطيت الأهوال فى اجتياز الحدود سراً ...

— أبخير أتيت ؟

فأجاب والابتسامة لا تفارق شفتيه :

— بكل خير

ثم أخرج الـكونت من ثنايا ثوبه ورقة نشرها أمام ولى العهد ، وجعل يمر عليها بأصبعه هامساً للأمير :

— بين شعاف هذه الجبال يا مولاى ستكمن قواتى ، فإذا ما جن الليل انضمت إليها قوات أمير أورانج تتبعها قوات الـكونت هورن (١) . وعلى سموك اجتياز الحدود سراً مساء منتصف مايو القادم لتعودوا على رأس هذه الجيوش إلى أسبانيا لتثل بها عرش هذا الشيخ الذى لم يتورع الليلة عن الزواج بطفلة فى سن حفيدته

* * *

وحمل الدون كارلوس آماله وأحلامه ، ومضى بها إلى حديقة القصر الملكى يرسل بين الحين والحين صفيراً خافتاً حتى عثر بين الخمائل على دوحة استذرى بها حتى لا يناله برد الليل إن غلبه النوم تحتها

* * *

وتسربت خيوط الفجر من ثوب الليل ، ولما يغمض لعروس الملك جفن ، وتشعر الفتاة لرؤية عريسها الشيخ الذى يغط إلى جانبها بهم يجثم على روحها ، فتتسلل مارقة إلى حديقة القصر الملكى ، وتسير بين رياضه على غير هدى ...

سارت بين الخمائل تناجى النجوم وقلبها الغض يخفق فى عالم مجهول . ثم أفلتت منهـا صرخة خافتة إذ رأت أمامها شاباً كأنما قد تناءت عنه الأرض

(١) أمراء الأراضى السفلى (هولاندة والبلجيك) وكانت وقتئذ تابعة لأسبانيا

— ترى بعثت روعة هذا الفجر فى نفسك الاكتئاب أيها الشاب؟

— وى ... من أنت ... ومن أى فردوس فررت يا فتاة؟

فيشرق الابتسام على ثغر الفتاة وتقول للشاب الماثل أمامها فى سذاجة الطفولة ومرحها :

— الملكة ... ومن أنت ؟

فيقف الدون كارلوس فى تؤدة ويشخص ببصره إلى الصبية يعبث الهواء بشفوف ثوبها فيبرز نهداها الصغيران، ويظهر تقاسيم جسمها الفتان، ويتمتم الشاب فى خفوت :

— عروس أبى ... أقصد الملك ... وإلى أين ؟

— إلى الفجر وسحره

ويأسى الأمير لهذا الجمال الذى سيذوى فى ظل والده الشيخ ويدرك من حديثها نقاء سريرتها فيدرج بها على العشب النضير هو ... يتسامران فتجرده من قلبه ولبه، ويأخذها بشبابه وحبه، ويبدو لها وجه الشيخ بلحيته المرسلة كأنه شيطان مريد . وتنظر إلى ولى عهده فتدخل من عينيه الجميلتين إلى جنة الحب ، ويخفق له قلبها النض المتعطش إلى الغرام ...

وفى غفلة من الدهر كانا يختلسان اللقاء على الربى وبين الخمائل، فهى لا تعرف السعادة إلا فى حضنه الفتى الحبيب ، وهو قد تدله بها فلا يعدل بقبلاتها المسكرة ما فى بطون الأرض وعلى سطحها من أذخار وكنوز ...

وينظر الملك إلى طول لبثها فى الحديقة فيرتاب ويحوطها بعيونه فتنقل إليه الأخبار ...

وعلى إحدى الربى وقف الملك مستتراً يرى العاشقين الصغيرين وكيف ينهلان السعادة ويستمع إلى وسوسة قبلاتهما الناعمة فيحرق الأرم ويستجمع ما تبخر من صبره ويولى عنهما هامساً بينه وبين نفسه :

— ليكن هذا بينهما لقاء الوداع

ويتأوه من أعماق نفسه ويهتف :

— أما وقد بليت أيضاً بحبها فستعيش هذه الفتاة لأن قلبى يريد لها الحياة ... أما هذا الوغد ... وهدد بقبضته فى الهواء ومضى لسبيله فى طريق القصر

***

وراح ولى العهد يستعرض أصدقاءه ليختار من بينهم من يمده بخيل يرحل عليها خفية إلى الحدود، فيقع اختياره على مدير البريد...

ويشفق مدير البريد أن ينكشف أمره فتناله يد الملك، فينقل إليه رغبة الأمير ...

ويأمر الملك بالقبض على ولده وإيداعه السجن، فتضبط أسلحته ونقوده وأوراقه التى دلت على مشروع محاولة استيلائه على الأراضى السفلى ودحر الملك ثم الجلوس على عرش أسبانيا. فأبلغ الملك الحادث إلى الجهات الكبرى وانتدب محكمة عليا برياسته لمحاكمة ولده

***

كان سجن الأمير غراماً على نفس الملكة فطوت جوانحها على حرق حبه ، وأضحت ذاهلة وانية ترى القصر كأنه قطعة من الجحيم ، وعزفت عن الطعام حتى رق جلدها وشحب لونها

ولقد تتحامل على نفسها التطوف بمجالس غرامها وأعشاش حبها تدب فى رفق كأنما قد حطمت قواها السنون ، فإذا جلست فى مكان ضمهما يوماً خيل إليها أنه إلى جانبها يضمها ويحنو عليها فتخشى أن يكون ذلك وهماً فتتحسسه بيديها فلا تقع على شىء فتقف فزعة وتحوم حول نفسها وتسقط صارخة :

— يا كارل ....

فتردد جوانب القصر صيحتها :

— يا كارل ...

وكان صفاء عينيها الجميلتين وتدلههما ينمان عما تكابده من حر الحب وبالغ الوجد

وينظر الملك إليها فيراها متلفة آيسة وقد أطفأ الحزن بريق عينيها فينهدم لها قلبه انهداما ويسألها عن سر وجومها واكتئابها فتنفجر باكية وتجثو عند قدميه .

ويعلم الملك أنه الحب فيستضحك حتى تبدو نواجذه ويمسك بيديها الصغيرتين لينهضها فتأبى إلا أن يسمع لشكاتها ...

— خير . أتستنزل لك من السماء نجما تقرين به عينا ياطفلتى الحبيبة ؟

— أتقسم على طاعتى فيما أرجوه منك .

— لك هذا .

— أن تطلق سراح ولدك .

فاربد وجه الملك وعبست أساريره وأشاح عنها قائلاً :

— أشغفك حبا ذلك الولد الغر ؟

— حباً ملك علىّ نفسى

— فلم لا تدفعين هذا الحب عن قلبك وهو لم يزل بعدوليداً ؟

— إنه ولد عاتيا قويا

— فلن أفرج عنه إذاً أبداً. وسأجعل من جسده للطيور طعاماً شهياً ...

ويظلم الفضاء فى نظر المسكينة وتقول وما تملك نفسها :

— فإذا ما قلت لك إنى سأقضى على نفسى وأحملك وزرى إن مسسته بسوء ؟

ففكر الملك ثم فكر ... وفتقت له أفكاره حيلة فدنا منها وقد زال أثر العبوس من وجهه قائلاً :

— إننى لم آمر بسجنه يا صغيرتى إلا لدفع بغيه عنى ، ولئن أطلقته ختر بميثاقه وأعاد المؤامرة بعد أن قتلتها فى مهدها

— سيفيد من درسك هذا له عبرة

— أفتجعلين من ذمتك عهداً ألا يعيد الكرة ؟

فأبكاها فرط السرور لقرب انتصلرها ومدت إليه يدها باسمة

— هذا عهد

فرقت لها نفس الشيخ وقال :

— إنى أعدك بالحكم ببراءته

فهزتها نشوة الفرح وطوقت عنقه قائلة :

— هل قلت إنك ستبرئه ؟

فطرب الملك لعناق فتاته وأعاد القول باسماً : لك هذا

وفى هدأة الفجر تسللت عروس الليل على أطراف قدميها وقلبها يخفق ويدها عليه ... حتى إذا ما اجتازت الباب السرى ركبت عربة كانت تنتظرها خارج القصر وانطلقت بها فى مسارب الوادى لتنقلها خفية إلى سجن الحبيب

وما اقتربت الملكة من باب السجن حتى تخلى عنه حراسه ، فطوت سلالم القبو أربعاً أربعاً ...

وألفت حبيبها الموموق مكباً على نضد عتيق وقد سقط رأسه الجميل على صدره تتناوبه فورات اليأس والحمى ؛ فلما رأى الملكة انتعشت نفسه وصاح : إيزا

— كارل

وألقت نفسها بين أحضانه وأهوت بقبلاتها على فمه وشعر الدون كارلوس بأنه فى حاجة إلى الحياة عن ذى قبل وأحس أن قوة هرقل قد حلت فيه وأن قوى العالم لن تستطيع إفلاتها من بين يديه ولو تكالبت عليه جميعاً وكان بعضهم لبعض ظهيراً

ولم يخف افترار ثغره عن عين طفلته الحبيبة ما رسمه الأسى على وجهه وما يلاقيه فى غياهب سجنه . فانتشرت نفسها عليه رقة ورحمة وأرسلت من عينيها عبرات حرارا ...

قال الدون كارلوس :

— لم البكاء يا إيزا وهو يتلف عينيك ؟

— ومن أحرى منى بطول البكاء ؟

— أنا ... لهول ما أفكر فيك ولفرط ما عاث الحب فى قلبى وأماتنى حياً لبعدك بينا يحيا هذا العجوز الحيزبون بين أعطافك ناعماً بجمالك مخفرجاً فى ظلك ؟

ففاضت عيناها بالدمع فحبس عبراته وكبت عاطفته ، ولم تشأ أن تخبره بوعد الملك لها بتبرئته لعدم ثقتها بتنفيذ هذا الوعد وخشية أن يظن الدون كارلوس أنها خدعته إذا ما حنث الملك بوعده حتى إذا أشرقت غرة الصبح انتزعت نفسها من بين أحضانه وعادت إلى القصر تتأوه من قلبها المعذب المفؤود

سيق الأمير إلى قاعة المحاكمة وقد بدا على وجهه الساهم علائم العناء. فلما رآه الملك عبس فى وجهه وبسر. وأخذت عينا الملكة الجميلتان ترسلان الدمع مدرارا فتنضو عن صدرها الجميل ثوبها لتخفيه فيه

وتقدم الدون كارلوس تنوء قدماه بحمل جسمه الوانى حتى انتهى إلى مقعد أعدله فجلس عليه وأخذ يردد الطرف بين الملك حينا وأعضاء المحكمة أحيانا فيرى على وجوههم مسحة الجد والاهتمام .

وقطع الملك رهبة السكون حيث أمر بابتداء المحاكمة فوقف المدعى (البرنس إيفولى) وألقى بيانا مسهباً عن محاولة الدون كارلوس الاعتداء على الذات الملكية بوضعه مشروعاً لاغتيال أبيه ومحاولته انتزاع الأراضى السفلى ، واختتم بيانه بطلب اعدامه

فتحرك الملك فى مقعده قليلا وقال بصوت هادىء :

— ألديك ما تقوله يا كارلوس ؟

فنهض الدون كارلوس متثاقلاً وقال بثبات :

إننى لا آنس فى وجه أحدكم رأفة ولا رحمة ، وكلكم كشق مقص الفناء، كل يتمم للآخر مهمة القضاء علىّ؛ بيد أننى أود أن أتلقى حكم إعدامى من شفتين غير شفتيك، فهل لى أن أرجو المحكمة أن تنطق مليكتى بهذا الحكم ؟

فرد المدعى قائلاً :

— ولكن الملك رأس الدولة ورئيس المحكمة

فهتف الدون كارلوس :

— والملكة جسم الدولة فهل تعيش رأس بلا جسم ؟ فاشتد غضب الملك وموجدته على ولده وتهامس قليلاً مع الأعضاء ، ثم اعتدل فى جلسته ونطق بالحكم

ودوى حكم إعدامه فى أذن الملكة كهزيم الرعد فاستهولته وهبت عجلانة إلى الدون كارلوس فاحتضنته وأخذت ترسل من عينيها إلى الملك شرراً كالقصر وهتفت صاخبة :

انتهاء الدورة السادسة لمجمع فؤاد الملكى

عقد مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى الأسبوع الماضى آخر جلسة من جلساته فى هذه الدورة (وعددها ٢٥) وعقد فى المساء جلسة أكمل فيها بعض الدراسات التى يضطلع بها

وشهد الجلسة الختامية الأعضاء جميعاً ، عدا أربعة منهم ، هم حسن حسنى عبد الوهاب باشا ، وقد اعتذر من عدم حضور الدورة كلها ، والأستاذ أحمد أحمد العوامرى بك ، والدكتور فيشر بسبب تغيبهما لمرضهما ، والأستاذ جب إذ سافر إلى وطنه انجلترا منذ أسبوع

وقد أتم المجمع فى دورته السادسة طائفة كبيرة من المصطلحات العلمية قاربت الألف

فأنجز فى علوم الأحياء زهاء ٢٥٠ مصطلحاً ، وفى علوم الطبيعة نوع الحرارة زهاء ٢٠٠ مصطلح ، وفى الموسيقا حوالى ٢٥٠ مصطلحاً ، وفى علم الهندسة نحو ٢٠٠ مصطلح

وأرجأ إلى الدورة القادمة قسماً كبيراً من المصطلحات فى شتى العلوم وفى الاقتصاد السياسى . وستضم المسائل المؤجلة إلى ماتضعه لجان المجمع فى الفترة القائمة بين الدورتين الحاضرة والقادمة

أما المصطلحات العسكرية فكان المجمع قد كتب إلى وزارة « الدفاع الوطنى » يطلب إليها أن توافيه بما قامت به فى شأن المصطلحات العسكرية التى سبق أن وضعتها اللجنة المختصة ، غير أنه لم يتلق رد الوزارة حتى الآن . وستنتظر اللجان المختصة هذا الرد لتعد بمساعدة الخبير الحربى المختص مايمكن وضعه منها تمهيداً لعرضها على المجمع فى الدورة المقبلة

— ألا أيها العجوز الحانث بوعده ... لن تناله بأذى حتى تمر على جثتى ... فلتأت أنت وحرسك وجندك فإنى لكم

وصمت الملك قليلاً ثم قال :

— أنظروا كيف تدافع الملكة عن عشيقها الفاجر ... وأشار إلى جنوده فانتزعوه منها حتى إذا بلغوا به السجن ألقوه فيه فى انتظار تنفيذ الحكم

وانصرف أعضاء المحاكمة تاركين الملك والملكة وحدهما فجثت إزا تحت قدميه جثو الراهب فى محرابه وأخذت تستعطفه فى ذلة وانكسار أن يرد على ولده حياته وأن يقف تنفيذ إعدامه وأعطته موثقاً ألا تلتقى به بعد اليوم إن أجاب سؤلها . . . ولكنها كانت تستدر القطر من الصخر ، وتبذر الحب فى المهمه القفر ...

وشدد الملك الرقابة على السجين حتى لا تلقاه الملكة فتدبر لفراره أو تحاول إنقاذه . فتبدلت فى عينها الدنيا وضاق أمام نظرها فضاء الأرض التى لم تتسع على رحبها لحبيبين فعزفت عن الطعام وتساقطت نفسها حسرات عليه

وأومأ الملك إلى طبيب القصر أن ينفذ بنفسه الحكم على أن يبقى شرف الأمير مصوناً ...

وانخلع قلب الملكة لسماعها نبأ إعدامه بجرعة سم دسها إليه الطبيب ، فعصفت برأسها نوبة جنون جرت على أثرها حافية القدمين إلى السجن . . . ومنعها حارس الباب فبكت إليه وتوسلت ... فقال الحارس إن أوامر الملك مشددة ... فهوت بشفتيها الرقيقتين الناعمتين على قدمى الحارس الوحلتين ... فتركها تمر ... وقال: ليفعل بى الملك ما يشاء

ووجدت جثة الحبيب مسجاة على فراش خشن فأخذت رأسه الجميل بين يديها وشخصت ببصرها إليه فكان فى غفوته الأبدية كطائر الأفنان ؛ وسكنت حتى لقد خيل لمن رآها أن روحها قد تسللت من جسدها تاركة وجهها على هذه الصورة الجامدة

واختلط عقل الفتاة المسكينة فكانت لا ترى إلا فى الطريق لقبره ذاهبة أو عائدة ، وأرقت فلم تعد تنام إلا لماما ...

وهاجها الوجد إليه فجر ذات يوم فقامت إلى قبره بفأس تريد اقتحامه وأخذت تحطم رخامه وتكشف عنه التراب حتى إذا انفتحت لها فيه فجوة أدخلت فيها يديها ورأسها وأخذت تعالج غطاء ناووسه حتى رفعته فانهال عليها حجر كبير فسقط رأسها الجميل على صدر حبيبها ... ولفظت آخر أنفاسها .

محمد محمد مصطفى

ويرى كثير من حضرات الأعضاء ضرورة الإشراف على وضع المصطلحات العسكرية فى صيغ عربية صحيحة ، استكمالاً لمظاهر الاستقلال القومى ، وحرصاً على استخدام لغة الدولة

المصطلحات الطبية

كان من أهم الدراسات التى قام بها المؤتمر الطبى العربى ، موضوع المصطلحات الطبية فى اللغة العربية . وقد رأس الجلسة التى دار فيها بحث هذه المسألة حضرة صاحب العزة محمد العشماوى بك وكيل وزارة المعارف . وقام بأعمال سكرتيرتها صاحب العزة الدكتور عبدالواحد الوكيل بك

وقد أدلى الدكتور الوكيل بك ببيان عن الجهود التى قامت بها الجمعية الطبية المصرية فى هذا الشأن ، إلى أن انتهت بالقرار الذى اتخذه مؤتمر بغداد وهو أن تتصل الحكومة المصرية بجميع البلاد العربية لتأليف لجان لبحث المصطلحات والقواميس والمجموعات اللغوية الطبية الموجودة فى كل منها ، على أن تؤلف لجنة عليا ، وتجتمع فى مصر شهراً أو أكثر من كل سنة لاختيار أوفق تلك المصطلحات ، بحيث تكون قراراتها ملزمة للجامعات والكليات والمؤلفين والأساتذة فى التدريس

وقد ذكر سعادة الدكتور على ابراهيم باشا فى هذا المقام قراراً أصدره مجلس كلية الطب فى جلسة عقدت قبيل العيد يتضمن إدخال اللغة العربية بالفعل لتدريس بعض الفروع على أن تكون الإجابة باللغة العربية إجبارية عن الأسئلة التى تلقى فى الامتحانات فى موضوعات الطب الشرعى والقوانين واللوائح الصحية المصرية . كما قرر المجلس تكليف الأساتذة المصريين بكلية الطب تلقين الطلاب التقارير الطبية باللغة العربية فى أثناء تدريسهم العلوم التى تقدم ذكرها باللغة الأجنبية

وأشار سعادة الرئيس فى هذه الجلسة إلى جهد وزارة المعارف فى صدد تعزيز صلات الثقافة والعلم بين مصر والبلدان الشرقية ، وأنه قد أنشئت لجنة لهذا الموضوع مضت فى طريقها شوطاً بعيداً

وقد قرر المؤتمر فى هذا الموضوع التوصية بإبلاغ قرارات لجنة المصطلحات إلى مجمع « فؤاد الأول » للغة العربية حتى لا تتعارض أعماله مع قرارات المؤتمر

مدينة فى مسقط لا يعرف العالم عنها شيئاً

وصلت البعثة الجيولوجية التابعة لشركة النفط العراقية إلى البصرة وبدأت أعمالها فى الأراضى الواقعة فى جبل سنام ويقوم مدير البعثة بتعيين المواقع المراد حفر الآبار فيها

وقد صرح المدير أنه قبل وصوله البصرة ، قام بجولة جوية فى سلطنة مسقط ، اكتشف فى أثنائها مدينة آهلة بالسكان ولا يعرف أهل هذه المدينة شيئاً عن العالم كما لا يعرف العالم عنهم شيئاً . وقد ظهر للبعثة التى ارتادت تلك المنطقة للبحث عن النفط أن جبل الأخضر المعروف فى مسقط لم يكن سوى كثبان رملية كانت السبب الأول فى جهل هذه المدينة واعتقاد الناس بأنه جبل حقيقى تنتهى عنده أطراف تلك البلاد من سلطنة مسقط

معرض المثالين الفرنسيين المعاصرين والمثال مختار

دعت جمعية محبى الفنون الجميلة بعد ظهر الجمعة الماضى رجال الصحافة والفن إلى زيارة معرض المثالين الفرنسيين المعاصرين والمثال مختار بعد أن انتهت من تنسيقه وأعدته للافتتاح . فلما اكتمل عقدهم فى الساعة الرابعة والنصف ألقى عليهم المسيو جورج جراب أمين متحف رودان فى باريس كلمة استهلها بالإشادة بذكر مصر مهد الحضارة والفنون ولا سيما فن النحت ، ثم تكلم عن الفنانين الفرنسيين أصحاب التحف المعروضة

وقد اشتمل هذا المعرض على حوالى ١٤٠ قطعة تعد من آيات النحت فى العالم منها ٢٨ تحفة للمثال العظيم رودان (١٨٤٠ — ١٩١٧) الذى يعد بحق فى مصاف فيدياس نحات اليونان العظيم وميكائيل انجلو الفنان الإيطالى الشهير فى عصر النهضة بأوربا

أما بقية القطع فهى لتلاميذ رودان مثل بورديل ودسبيو ومايول وبومبون وديجا الذين يؤلفون مدرسة النحت الحديثة فى فرنسا وهى المدرسة التى بلغت أوج العظمة فى هذا الفن

وتدل مجموعة تحف رودان على ما امتاز به من مقدرة فائقة على تصوير الحياة فى تماثيله ، فتسجل للخلود الخواطر المضطربة من عقائد دينية أو حب الوطن أو الحنان الأموى أو لهيب الغرام أو الحقد الدفين أو التفكير العميق وغير ذلك من مظاهر الحياة

وقد نسج تلاميذه على منواله حتى كاد بورديل يضارعه فى القدرة ، كما امتاز بومبون بتماثيله عن الحيوان فأودعها من الفن والبراعة كل ما يمكن أن يمثل فى الطين والشمع من حياة

وقد رأى المسيو جراب منظم المعرض أن يعبر عن شعوره

نحو صديقه مثال مصر الكبير المرحوم مختار فخصص جانباً من المعرض لتحف مختار فعرض منها ٣٤ قطعة كانت دليلاً ساطعاً على أن صانعها أول من وفق من النحاتين المصريين المعاصرين للبروز فى هذا الفن فكان خير خليفة لأسلافه النحاتين المصريين الذين سموا بفن النحت فى عهد الفراعنة إلى ذروة النبوغ

وقد وفق المسيو جراب فى عرض تحف مختار مع تحف الأساتذة الفرنسيين الذين أحاطوه بمحبتهم وتقديرهم

وأعد للمعرض دليل واف باللغتين العربية والفرنسية اشتمل على نبذة تاريخية عن تطور فن النحت وبلوغه حد الكمال فى هذا العصر فى فرنسا ، ويلى ذلك وصف مختصر لكل قطعة من المعروضات

تاريخ كلمة أدب

كتب الدكتور عبد الوهاب عزام بالعدد ٢٩١ من الرسالة بحثاً قيماً فى (تاريخ كلمة أدب) تتبع فيه مراحل استعمال هذه الكلمة إلى عصرنا هذا ، فى دقة العالم الباحث وإمتاع الكاتب الأديب . بيد أنه قال فى افتتاح البحث : « لا نجد (كلمة أدب) فيما بين أيدينا من الكلام المأثور عن الجاهليين » الخ ...

ولما كنت قد رأيت هذه الكلمة فى كلام جاهلى فقد رجعت إلى مظانها ، فرأيت أبا على القالى فى الجزء الثانى من الأمالى (ص ١٠٤) يورد قصة زواج أبى سفيان بن حرب من هند بنت عتبة . وصف عتبةُ لابنته هند أبا سفيان فجاء فى وصفه : « يؤدب أهله ولا يؤدبونه » وجاء فى رد هند : « وإنى لآخذه بأدب البعل مع لزوم قبتى وقلة تلفتى »

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ محمد هاشم عطية فى مطلع كتابه «الأدب العربى وتاريخه» فى نفس الموضوع وبعنوان (تاريخ كلمة أدب) . وللدكتور عزام تحيتى وإجلالى (ع . ع . غ)

غريب

قرأت فى عدد ٢٨٩ من «الرسالة» مقالاً دبجته يراعة الأستاذ عمر الدسوقى وقد أعجبنى الشعور النبيل والثورة للكرامة المهانة والدفاع عن القومية المثلومة

وأود أن ألفت نظر الأستاذ إلى الغلطة الكبرى التى وقع فيها. إنه دافع عن نفسه خير دفاع وأبان حقيقة المدنية المصرية إبانة لا ينكرها عليه عاقل، ولكنه حط مقام شعوب لها كرامة تعتز بها وقومية ومدنية حافلة زاهرة ، فإنه تبرأ من أن يكون « زنجياً أو هندياً أو نوبياً أو حبشياً » وذلك ظاهر فى كلام الأستاذ الفاضل، إذ يقول : «بل إنى مصرى، تجرى فى عروق أنبل الدماء وحسبك أن تعرف أننا من أرقى الشعوب مدنية وحضارة قديماً وحديثاً ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته أن يلحقنى بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ويعدهم دونه فى الذكاء والمدنية»

إننى لست فى مقام جدال ، وفى هذا الموضع لا يمكننى إلا أن أذكر الكاتب الهندى كاراكا وكتابه « إلى الغرب » Igo West فإن هذا الشاب عند ما كان يدافع إنما كان يشمل قضية المهضومين كلهم ولا يفرق بين أسود وأدكن وأسمر وقمحى. كلهم سواء استعبدوا واستذلوا ظلماً وعدواناً . وكان الأحرى بأستاذنا أن يحذو حذوه ويدافع عن « قضية الظلم والاستعمار والاستعباد »

لا شك فى أن القوم هناك ينظرون إلينا (الملونين) بعين الازدراء والاحتقار ويعتبروننا أقل ذكاء وعقلية منهم ، ولكن العلم الحديث برهن على خطل هذه النظرية التى روجها بعض « العلماء التجار » المغرضين كى يجعلوا لهم حقاً سماوياً منزلاً لاستعباد الشعوب الضعيفة واستعمارها

إن الدافع الذى أملى على الأستاذ كتابة المقال ، هو نفسه الذى حفزنى لأن أسطر هذه الكلمات التى لا تنى ولكنها تذكرة . إن الحبشى لا يقبل أى إهانة لوطنه ، والهندى لن يرضى بطعن فى عقليته أو وطنيته . ولا أدرى كيف زل قلم الأستاذ هذه الزلة فإن النوبيين مصريو الأصل ... وربما رد الأستاذ هذا القول بقوله إنهم سودانيون ... وفى هذه الحالة ستزداد دهشتى لأن المعروف لدينا أن مصر والسودان قطر واحد، ولكن السياسة المغرضة جزأته ولعبت فيه ماشاء لها، وأرجو أن يعمل العاملون لرتق هذه الثغرة . والغريب أن كثيراً من فقرات المقال ينافى قوله هذا !

« الخرطوم » (م . ع . ب)

الأندلس الجديدة

لما أخذ الاسبانيون يكتسحون البلاد الأندلسية فلا يدعون فى واحدة منها أثراً لما كان فيها للاسلام من سلطان وحضارة — اهتزت البلاد الإسلامية الأخرى واضطرب سكانها فارتفعت

أقلام الناشئين

للأستاذ فليكس فارس

أمامى كتابان نشرهما الشيخ أحمد جمعة الشرباصى . الأول بعنوان « حركة الكشف » صدر منذ سنتين ، والثانى بعنوان « محاولة » صدر فى هذا الشهر

ولقد رأيت فى هذين الكتابين من روعة الإنشاء ، ودقة الشعور والنضوج المبتسر ما أهاب بى إلى إرسال كلمة فيهما

إن المؤلف يرمى فى كتابه الأول إلى إظهار ما فى نظام الكشافة من محاسن وفوائد ، داعياً إلى تكوين فرق تعمل بهذا النظام من الشبيبة المنتسبة إلى المعاهد الأزهرية ، مستنداً فى دعوته هذه إلى أن تقوية الناشئة ، وتعويدها الصلابة والطاعة وتدريبها على توحيد الحركة والسير نحو هدف واحد فى غاياتها الأخلاقية ، إنما هى جميعاً من قواعد الإسلام الأساسية . فلا يمكن أن يعد تكوين هذه الفرق فى المعاهد الدينية بدعة أو اقتباساً لطريقة تخالف العقيدة ، أو تشذ عن التقاليد الموروثة عن السلف الصالح

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاب « حركة الكشف » صدر سنة ١٩٣٦ حين كان المؤلف فى السابعة عشرة من عمره ، وقد وقفت فيه متعجباً بل مندهشاً أمام هذا التسلسل فى تدوين تاريخ الكشف وتطور أساليبه وأمام هذا المنطق الرصين يقدر الحوادث ويزن أعمال الرجال ويتغلغل فى التاريخ ليثبت فضل العرب المهتدين بنور الوحى على نهضة الغرب فى تفكيره وتنظيمه

أما فى الكتاب الثانى فالمؤلف يذهب فى محاولته ذهاب من

الأصوات من كل جانب تدعو ملوك المسلمين وأمراءهم لنصرة إخوانهم الأندلسيين . ودفع عادية الأسبان عن بلادهم .

فلما لم تلق الدعوة مجيباً ، ولم يتقدم أحد من ملوك المسلمين . منفردا — بنجدة — ولا كان بينهم من الاتحاد واجتماع الكلمة — ما يجعل لهم — مجتمعين ، قوة يستطيعون بها للأندلس إنقاذا — نفذ القضاء وتم للأسبان فيها ما أرادوا .

عم الأسى ، وشمل الحزن جميع المسلمين . ففاضت ألسنة شعرائهم وخطبائهم قصائد وخطباً — لا تزال تملأ الكتب وتبعث فى النفوس أليم الذكريات — فى رثاء الأندلس ، والتفجع لمصابها ،

أما اليوم فالمسلمون يشاهدون « طرابلس الغرب » تقتطع من بين أقطارهم لتصبح إيطاليا الأفريقية ، وتمحى منها آثار العروبة والاسلام لتقوم على أنقاضها صروح الحضارة الرومانية ، ويستبدل بإخوانهم فيها عنصر لا يمت إليهم بصلة ، ولا يحمل لهم غير البغضاء والطمع فيما يتصل من أوطانهم شرقاً وغرباً بطرابلس الغرب يشاهدون كل هذا متفرجين ، ويقرأون أخباره فى الصحف ، ولكن كما يقرأون أخبار حوادث الشرق الأقصى أو أمريكا الجنوبية ، لا يثور فيهم اهتمام ، ولا يهتز لهم شعور ، ولا ترتفع بينهم أصوات ، حتى بالاحتجاج والاستنكار

فهل ينتظرون أن يغمرها الخطب ، وحينئذ ترتفع أصواتهم ، ولكن بالرثاء والتفجع والبكاء على الأطلال — أطلال العروبة والإسلام الدارسين — فى طرابلس الغرب :

يا طالبى وحدة الأوطان هل طرقت
أبواب آذانكم ذكرى طرابلس ؟
أيصبح العرب « طليانا » تضمهم
(روما) و (مكة) فى صمت وفى خرس ؟

« غزة » محمد خليفة شعبان الطرابلسى

رسخت عقيدته متعالية عن تردد المحاولين ، فيأتى بسلسلة مقالات أولها عن الصديق الصدوق يجىء فيها على وصف إخلاص أبى بكر الصديق للرسول الكريم سارداً ما حدث للأول مع عمر فيرسم أروع صورة شهدها التاريخ للوفاء والإقرار بالخطأ وإنصاف سيد المنصفين . ثم يدبج مقالاً بعنوان « محمد عبده ، النابغة الذى عاش فى وطنه غريباً » فتقع بصيرة القارئ فى هذا الفصل على الصورة الخالدة التى ستحل للامام الكبير فى روع الجيل الآتى بعدنا فترى هذا الجيل أشد إنصافاً منا نحن أبناء حقبة الانتقال وأوسع إدراكاً لعظمة أبطال النهضة وأعمق تأثراً مما لاقوا فى زمانهم من أذية واضطهاد

ويكتب الأزهرى الناشئ قطعة « أمام المحراب » بشعر منثور فإذا هى صرخة نفس تتجه إلى خالقها بإيمان يختلج له القلب ويتنبأ لرجال اليوم بتفوق رجال الغد عليهم فى إدراك عظمة العبادة ومبادئ الدين الحق

وتقرأ بعد هذه الصلاة مقالاً بعنوان « نزعة الإجرام » يقف فيه الفتى المعمم — وهو لما يبلغ العشرين من سنيه — وقفة الشيخ الحكيم ينفذ بنظراته إلى ما وراء القانون المدنى من وازع فى الشرع والأخلاق يجتث الإجرام من أصوله

وهكذا يسير الفتى الناضج فيكلمك عن غدر الصديق وعن أيام قضاها فى رأس البر يرجع منها يعبر عن الصيانة ومكارم الأخلاق وعن أمل المحبين فى مناجاة للقمر ، كلها وصف دقيق وشعور رقيق ، وعن إصلاح الصحافة فيعرض لها فى منازعها وأحزابها وفى قوتها وضعفها . ويصور لك الفراش الدائر بالمصباح وخيانة ابنة ساطرون لأبيها فى سبيل عشقها لعدوه كسرى سابور بقصة من أروع وقائع التاريخ ، ثم يورد أسطورة الأميرة ليستغل منها عبرة التعاون بين الناس ، وينشدك بعد ذلك قصيدة عامرة يهيب فيها بالشباب للدفاع عن الوطن ثم يرسل نجواه إلى الليل فيريك كيف يتجلى النضوج فى روح الشباب إذا هو اتخذ الدجنة مركباً للتفكير لا ستراً للمعاصى وارتكاب الموبقات ، ويوجه بعد ذلك خطاباً للمرشدات تدلك على احترام فتى مصر لفتاته ورفعه لمقامها إلى حيث أراد الشارع الأعظم ، ثم يعطف على زهرة القبور يناجيها فتى شاعراً وشيخاً مؤمناً ، فلا تدرى أيسمعك هذا الهاتف قصيدة أم ابتهالاً . ولا يفوت الشيخ الفتى أن يعقد فصلاً عن شهر الصيام يتجلى فيه الزهد والعزم قوة واحدة تجاه الحياة

وأخيراً يعرض عليك قصة عربية عن الحب اتخذ الأندلس مسرحاً لها ليعرض للحب الأسمى وللشهوة الدنيئة بتحليل رائع ، ويتبع هذه القصة بأخرى عن سرعة الخاطر عند العرب وبأسطورة عن السعادة ويختم الكتاب برواية مسرحية للأطفال .

إن العبقرية العربية تنتبه فى هذا الجيل الذى يتقدم ليحل محلنا على الذروة نحن النازلين منها إلى الأغوار .

لقد ولدت أقلامنا أقلاماً خيراً منها ، وما كان بيننا من يكتب بين الخامسة عشرة والعشرين ما تكتبه الناشئة فى نضوجها المبتسر فى هذه الأيام . فليعطف شيوخ الأدب على هؤلاء الأحفاد . إن أقلامنا ستبعث فى أقلامهم ، وصوتنا سيدوى فى أصواتهم ، حين تتحطم أقلامنا ويخرس الموت أصواتنا .

فليكس فارس

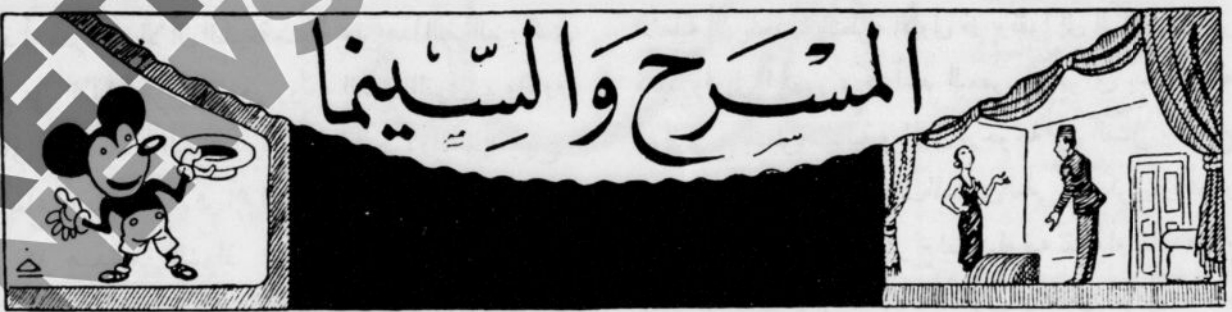

الفرقة القومية

ماهي الوسائل لاصلاح المسرح

هل من عقاب أشد وقعاً على النفس من تركك شخصاً وشأنه فى المجتمع لا يأبه له أحد ولا يلتفت إليه ملتفت خصوصاً إذا كان له خطره الأدبى والاجتماعى ؟

هكذا ترك الأدباء الفرقة القومية وانصرفوا عنها لا يلتفتون إليها . فلولا كتابة مأجورة تنشرها الفرقة فى بعض الصحف الأسبوعية ، ولولا إعلانات عن أربع أو خمس روايات تمثل فى الفصل ، لكانت هذه الفرقة التى استنفدت من مال الأمة ستين ألفاً من الجنيهات أشبه بحلم يتبخر فى اليقظة ، أو بعابر سبيل لا يلتفت إليه أحد

ولما كانت غايتنا المحافظة على هذه المؤسسة الثقافية ، واستنهاض بقايا الهمة الباقية فى القائمين عليها ، عمدنا أولاً للتنبيه إلى الغرض الخبيث الذى ترمى إليه إدارة الفرقة من إغضاب النقاد واستغلال انصراف الصحافة وصدوف الأدباء عنها ليقبع رجالها الأفاضل كالتماسيح المبشومة يهضمون الغنيمة على مهل ، وثانياً إلى استفتاء أدبائنا أصحاب الدراية فى فن الرواية والمسرح فيما يجب عمله لإنقاذ هذه المؤسسة العزيزة على الأدباء

بدأنا بسؤال كبار الأدباء كالعقاد والمازنى وغيرهما ، ولهؤلاء الأساتذة الأجلاء رأى مجمل نرجئه إلى ما بعد ، ثم سألنا الأستاذ زكى طليمات عن وسائل إصلاح المسرح ، وللأستاذ طليمات دراية نظرية وعملية لا ينكرها عليه سوى المتعنت صاحب الغرض، فأجاب :

يتكون المسرح من ثلاثة عناصر : رواية ، وممثل ، وجمهور . فإذا نشدنا الإصلاح للمسرح وجب أن نقوم بإصلاح هذه العناصر الثلاثة ، بعد أن نتبين ما هى عليه الآن ، وما كانت عليه بالأمس ، وما يجب أن تكون عليه فى المستقبل

الرواية : أقامت وزارة المعارف مباريات لتأليف المسرحية المصرية بقصد ترقيتها ورفع شأن التمثيل ، فكان أن حظى المسرح ببعض روايات جيدة ، إلا أنها لم تسم بكثير عما كان شائعاً إخراجه على المسارح ولم تسفر عن المخرج الحق المرجو الذى بيده وضع طابع أصيل للمسرحية ، والذى يرجى منه خلق مدرسة جديدة فى التأليف ، وعليه فإنى أعتقد أن إقامة المباريات وسيلة تكميلية أهم منها حث الفرق العاملة على إخراج أكثر عدد من المسرحيات المصرية ، وذلك بتنشيط الأفلام ، وحفز النابهين من المؤلفين على الإكثار من نتاجهم ، لأن المؤلف إذا لم يجد سوقاً لرواياته تولاه اليأس وأمسك عن الكتابة . وأرى من واجب الفرقة أن تضطلع بمهمة تقديم المسرحيات المصرية قبل أية مهمة أخرى ، فإذا انحرفت عن ذلك فإنها لا تحقق الغرض من قيامها ، ولذلك أشير لترقية المسرحية المصرية أن تعمل وزارة المعارف على ترجمة نفائس الروايات المسرحية الغربية ترجمة أنموذجية وإذاعتها بين المتأدبين ، وذلك لإحياء ثقافة المسرح نحن فى أشد الحاجة إليها بحكم أننا نفتقر إلى هذه الثقافة فى الأدب العربى القديم والأدب العربى المستحدث .

الممثل : فن التمثيل عامة حديث فى مصر ، دخيل فى الأدب العربى ، لم نعرفه باللسان العربى إلا منذ ثمانين عاماً . جاء مصر فيما جاءها ضمن موجة الثقافة الغربية التى طلع علينا بها البحر الأبيض فى النصف الأخير من القرن الماضى . ومنذ ذلك الحين ونحن نباشر فن التمثيل على طريقة ارتجالية، وإن شئت قل بدائية، أعنى أنها لا تقوم على قاعدة ولا ترتكز على أساس . وفن التمثيل ، أى فن الأداء كسائر الفنون الشكلية مثل النحت والتصوير وغيرهما، له قواعد وأصول يجرى تدريسهما فى معاهد خاصة تخرج الممثلين الحاذقين بعد أن يكونوا قد أحسنوا تعرف هذه الأصول والقواعد . وإذا قلت إنه واجب على الممثل أن يتلقى أصول فنه فى معهد ، فهذا لا يحجزنى عن الاعتراف بأن هناك طبائع غنية بمواهبها ، خصبة بإحساساتها ، هى فى غنى عن الصقل والتهذيب فى

معهد أو مدرسة ، إلا أن الطبيعة ضنينة بخلق هذا النفر العزيز الذى يطلع على الدنيا وهو يحمل فى روحه الطبع القوى ، والذوق الصافى ، والحساسية اليقظة ، والصوت الجهير ، واللفظ الفصيح ، والإيقاع المحكم ؛ وهذه هى أهم المصادر التى يصدر عنها المثل الحق مثل هـذا من الشواذ — والشاذ لا قاعدة له — وعليه فإنشاء معهد للتمثيل هو الوسيلة الفعالة ذات الأثر فى تكوين نشء جديد من الممثلين يجمعون إلى فيض الموهبة الطبيعية ، حذق التعليم ، وصقل التهذيب ، وثقافة الفن

الأكثرية الغالبة من محترفى التمثيل فى مصر يقومون بعملهم على إيحاء الفطرة وهدى التجارب ومايستقر فى أذهانهم مما يشاهدونه من آثار الفن الغربى أو على الشاشة البيضاء

ومن هؤلاء طائفة احترفت فن التمثيل ، لا عن عقيدة وموهبة وإنما عن حاجة ، فهم عمال فن Artisans إذا خصتهم الطبيعة بشىء من الموهبة الصادقة فإن ضعف التحصيل العلمى ، وافتقار الثقافة الفنية ، يجعلان هذا القدر من الموهبة لا يرفع صاحبه إلى المثل الموهوب المفتن الذى يترجم بأدائه أعمال مؤلفين نبهاء ويسمو بفكره إلى حياة سامية مثل حياة شكسبير مثلاً أو موليير أو أبسن وغيرهم

أما عنصر الممثلات فأقل شأناً من عنصر الممثلين ولا سيما فى الناحية الثقافية والعلمية . ويؤلمنى أن أقرر أن بيننا ممثلات لا يحسن القراءة ، فإذا قرأن يتعثرن ، وإذا كتبن فليأتين بأغرب النقوش وأعجب الخطوط

بعد هذا أرى أنه لزاماً على المهتمين بترقية المسرح أن يعملوا على إنشاء معهد للتمثيل فى معناه الكامل . وفوق هذا أرى أن ترسل بعوث إلى الخارج من خريجى هذا المعهد ، لا أن ترسل بعوث من أفراد كل مؤهلاتهم صلة قرابة أو محسوبية

الجمهور : الجمهور فى مصر خليط عجيب ، فيهم من يعيش بعقلية القرون الوسطى أو ما قبله ، ومنهم من يعيش بعقلية عصر النهضة ، ومنهم من يعيش بعقلية عام ١٩٣٩ ولكل فريق منزع خاص وذوق خاص ، وهذا أمر لا نجـده فى الجمهور الأوربى ، فمهمة إرضاء هذه الجماهير عن طريق المسرح صعبة وعرة .

هناك نظريتان يأخذ بهما العاملون فى المسرح ، الأولى الارتقاء بالجمهور إلى آفاق الأدب الرفيع ، والثانية مجاراة الجمهور فى مرغوبه ومما لأته فيما يريد من تملق عواطفه . حاول بعض أصحاب الفرق الأهلية أن يأخذوا بالنظرية الأولى فلم يوفقوا إلى الكسب الوافر فانحدروا إلى الجمهور ، كما أخذ البعض الآخر فى بدء اشتغاله فى المسرح بالنظرية الثانية وما زال أرجوحة بين الفشل والنجاح

وسبب ذلك فيما أرى اختلاف المستوى العلمى والفكرى ، والجمهور المصرى حديث العهد فى المسرح ليست له فيه ثقافة أو تقاليد ، يؤم دوره بغية التسلية لا ارتجاء الغذاء الفكرى أو العاطفى . فواجب مصلح المسرح أن يعمل تدريجياً على إيجاد جمهور يحسّ التمثيل ويتذوقه .

* * *

— هـل قامت الفرقة القومية بواجبها فى إيجاد الجمهور والرواية والممثل ؟

— الفرقة القوميـة ما برحت تتطوح وتتهادى فى عملها ، ولم تستقم لها بعد طريقة خاصة أو سياسة مقصودة وذلك بحكم أنها مؤسسة جديدة تقوم بمهمة إذاعة فن جديد فى مصر ، ولا أدرى ما الذى يمنعها من أن تستخلص لها خطة بعد التجارب التى أفادتها فى السنوات الأربع التى مضت على تأسيسها .

المال لا يعجزها ، ومعينها فى عطف وزارة المعارف واسع المدى ، فهى بذلك تعمل فى ظروف جيدة لم يسبق لفرقة مصرية أن عملت فيها .

فمن حيث فن التمثيل لم تقدم الفرقة جديداً ، لأن المشتغلين فيها عملوا على المسرح سنوات عديدة ، والبعوث التى بعثت بها إلى الخارج لم تعد بعد . فلا ندرى ماعسى أن تلقاه فى هذه الناحية من توفيق ونجاح . وشأن فن الإخراج كشأن فن التمثيل

ومن حيث الرواية فإنها لم تقدم كاتباً يأبه له ، وعملها فى المسرحيات المترجمة يطغى على حرصها على تنشيط المؤلفين المصريين وتشجيعهم . وهنا موضع العجب ، ففى الوقت الذى يقول فيه أحد أعضاء لجنة قراءة الروايات : « إن الفكر الروائى المسرحى آخذ فى التقدم إلى الكمال ، بل إلى الكمال السريع » نرى أن نتاج هذا الفكر ضئيل يتنافى مع ما يقرره أعضاء اللجنة فلا ندرى هل اللجنة أخطأت فى تقديرها ؟ أم إن مدير الفرقة لا يؤمن بما تؤمن به اللجنة ، وأنه لا يحب الرواية المصرية لوجه الشيطان ... ؟

أما من حيث الجمهور فقد أخفقت الفرقة إخفاقاً تاماً فى اجتذاب أى طبقة من طبقات الجمهور فى مصر ، ولو اقتصر معينها المادى على إيرادها من جيوب الجمهور لما استطاعت أن تصمد شهراً واحداً

ابن عساكر

7me Année No. 293

Lundi - 13 - 2 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ١٣ فبراير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

يا أذن الحى اسمعى !

أوشكت هذه الصفحة أن تحترق لطول ما أنَّ عليها الفقر وزفر فيها الشقاء ، وأغنياؤنا — أحيام الله — لا يسمعون لأن آذانهم مبطنة بالذهب الأصم ، ولا يشعرون لأن قلوبهم مغلفة بالورق المالى الصفيق ؛ وبال الخلىّ أطول من ليل الشجىّ ، وسمع الناعم أثقل من همّ الشقى ، ودنيا اللذة أشغل بمباهجها وملاهيها عن دنيا الألم !

***

لعل من القارئين من يختلج فى رأسه هذا السؤال : لماذا يمتد نفَسى بهذا الأنين الموجع ، ويستمد قلمى من هذا الدمع القانئ ؟ وجوابى أنى نشأت فى قرية من أولئك القرى العشرين التى سلط القدر عليها الباشا والأمير[1] ؛ فانشق بصرى على مناظر البؤس ، وتنبَّه شعورى على مآسى الجور ؛ وعلمت حين تعلمت أن وطننا يفيض بالخير ، وديننا يأمر بالإحسان ، فأيقنت أن فقر الناس ، ناشئ من فقر الإحساس ؛ فإذا عرف الفقير حقه ، والغنى واجبه ، تلاقت الأنفس على حدود الإنسانية الكريمة . فأنا أحاول بمواصلة هذا الأنين أن أعالج وقر المسامع وسدَر العيون وخدَر المشاعر ، عسى أن يتذكر المترفون

(١) أنظر العدد ٢٨٩ : « بين الفقير والغنى »

أن لهم إخوة من خلق الله يأكلون ما تعاف الكلاب من المآكل، وينامون مع الحيوان فى المزابل، ويقاسون من الأدواء ما لا يقاسيه حىٌّ فى غير مصر. ولكنى علمت وا حسرتاه بعد شهرين مضيا فى الشكوى والاسترحام، أن بين أبناء الذهب وأبناء التراب أطباقاً من اللحم والشحم، والحديد والأسمنت، ترتد عنها أصوات الضارعين أصداء خافتة؛ ثم تتجاوب هذه الأصداء فى أكواخ المساكين؛ ثم تهافت على بريد الرسالة تهافت الأرواح الهائمة على الشعاع الهادى تتلمس فى ضوئه الطريق إلى الله وائل الضعيف وعائل المعدم!

***

من لنا بمن يفتح عيون السادرين على هؤلاء الأيامى اللاتى يقضين ليل الشتاء البارد الطويل على بلاط الأفاريز وقد تطرح أطفالهن على جنوبهن طاوين ضاوين لا يفهمون عطف الأب، ولا يعرفون دفء البيت، ولا يدركون إلا أنهم أجساد تعرى ولا تجد الكساء، وبطون تخوى ولا تصيب الغذاء، وأكف تمتد ولا تنال الصدقة؟

تمثال السائلة، وكم تمثال لها فى مصر من لحم ودم!!

من لنا بمن يفتح قلوب المالكين لأولئك الفلاحين الذين اصطلحت عليهم محن الدنيا وبلايا العيش، وجهلتهم الحكومة فلا يعرفهم إلا جباة الضرائب فى المالية، وفرازو القرعة فى الحربية، وحراس السجون فى الداخلية! أما المعارف والصحة والأوقاف والأشغال فشأنها شأن المترفين والمثقفين لا تعرف غير المدينة ولا تعامل غير المتمدن؟

من لنا بمن يقول لهؤلاء المثرين المستكبرين إن ركفلر ورتشلد لم يرفعهما إلا حب الإنسان، وإن الدمرداش والمنشاوى لم يخلدهما إلا بذل الإحسان، وإن لديهم من فضلات الثروة كربح الأموال فى المصارف، ومكافأة النيابة فى البرلمان، وحثالة الزروع فى العزب من التبن والقش والحطب، ما يوفر الغذاء والدواء والعلم لألوف الألوف من بنى الوطن؟

***

بالأمس كانت ذكرى وفاة المرحوم السيد عبد الرحيم الدمرداش، وهو والمنشاوى وبدراوى سمنود من ملائكة الأرض الذين يرفرفون بأجنحتهم النورانية على شقاء كثير من الناس. فلماذا لا يقام لهؤلاء الخيِّرين البررة وأمثالهم تماثيل فى الميادين العامة، ليتشبه بهم الغنى، ويترحم عليهم الفقير، وليكون فى رفع ذكراهم على هذا النحو إعلاء لمعنى الإحسان، وإطراء لأريحية المحسن، وتفريق بين من دلله الوطن فعقَّ، وبين مَن رباه الوطن فبرَّ، فلا تستوى الحسنة ولا السيئة، ولا ينبغى «أن يكون المحسن والمسىء بمنزلة سواء، فإن فى ذلك تزهيداً للمحسن فى إحسانه، وتدريباً للمسىء على إساءته»

احمد حسن الزيات

نقص أم ماذا ... ؟

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

كان معي — وأنا مدرس في مدرسة دار العلوم — أستاذ انجليزي كانت بيني وبينه صداقة وثيقة. وكنا نعلم الطلبة مبادئ اللغة الإنجليزية، فأقبل علي يوماً يقول: « لقد أخفقت وأحسب أن من واجبي الآن أن أقنع رؤسائي بنقلي إلى مدرسة أخرى، فما في بقائي هنا خير، ولست أدري كيف تصنع أنت، ولكن الذي أدريه أني أنا أخفقت »

فقلت له وأنا أمازحه: « أقعد، أقعد، وحدث (عمك) المازني بما تعاني وتكابد. ما هي الصعوبة اليوم؟ »

قال: « سأخبرك. إن كل طالب يسألني مثلاً عن الفعل «Sit» — يجلس — كيف انقلب فصار «Sat» — جلس — فلا أستطيع أن أجيب بكلام معقول مقبول يرتاح إليه العقل. هم يريدون سبباً ويطلبون تعليلاً، وأنا لا أعرف إلا أن هاتين صيغتاه في الحالتين. وقس على هذا »

قلت: « هل تطيعني إذا أشرت عليك بأمر؟ »

قال: « أتمزح؟ »

قلت: « أمزح ... أجد ... سيان. المهم إنقاذك من الورطة. إسمع يا صاحبي. لقد كنت أظن أنك أفدت شيئاً مما تعلمته من قواعد اللغة العربية. وكنت أحسب أن ذهنك مرن، وأن لك قدرة على الاقتباس والقياس. وكنت أتوهم أنك تستطيع أن تخاطب كل فريق من الناس بما يفهمون »

قال: « لست فاهماً »

قلت: « ألم يعلمك شيوخك في اللغة العربية أن (قال) أصلها (قَوَلَ) وأن الواو فُتح ما قبلها فصارت ألفاً؟ »

قال: « نعم »

قلت: « هل تستطيع أن تزعم أن هذا كلام معقول مقبول يستريح إليه العقل؟ »

قال: « لا »

قلت: « ولكنك سلمت به بلاجدال، وأخذته عن مشايخك بلا مناقشة أو تفكير، وأجبت به في الامتحان بلا تردد، وأنت تزعم اليوم أنك تعرف العربية حق معرفتها، وأنك أخذتها عن أهلها »

قال: « ولكن ما دخل هذا في موضوعنا؟ »

قلت: « كنت أحسبك ذكيًا ولبيباً، فإن هذا هو حل المشكل. بهذه العقلية التي جعلتك تسلم بأن قال أصلها قَوَلَ، فُتح ما قبلها فانقلبت ألفاً، يجب أن تخاطب الطلبة. فاذهب وقل لهم إن «Sat» أصلها «Sit» وإن حرف العلة فتح ما قبله فانقلب «Sat» فسترى أن هذا يسرهم ويكفيهم، وستجد أنك استرحت بعد ذلك من كل عناء »

فصاح بي: « ولكن هذا غير معقول »

قلت: « إنه معقول كقولك إن قال أصلها قَوَلَ وأن الواو فُتح ما قبلها إلى آخر هذا الهراء. ولا تحتقر تلاميذك حين تراهم يصدقون أن «Sat» أصلها «Sit» وأن حرف العلة فُتح ما قبله إلى آخر هذا الهراء، أو حين يتوهمون أنهم فهموا. فلست خيراً منهم، وما أكثر ما يتوهم الإنسان أنه فهم، وهو غير فاهم شيئاً. إذهب وافعل ما أشير به وأخبرني بالنتيجة، وإن كنت أعرفها من الآن كلها. لن تقول لي بعد الآن إنك أخفقت، وإنك ستطلب من الوزارة النقل إلى مدرسة أخرى »

وقد كان، وسكنت الثورتان: ثورة الطلبة على المدرس، وثورة المدرس على نفسه

وهذا استطراد بدأت به، أما ما كان العزم أن أقوله فهو أن هذا الصديق المدرس سألني يوماً وقد علم أني رُزقت طفلاً: « حدثني عنه. صف لي كيف تحبه! »

قلت: « لا أعلم أني أحبه »

قال: « لا تتكلف الفلسفة »

قلت: « الحقيقة أني حائر، لا أشعر بأية عاطفة، ولا أحس أن لي به سروراً كذلك الذي أسمع وأقرأ أن الأدباء يحسونه ببنيهم؛ وإني لمستغرب »

قال: « أتتكلم جاداً؟ »

قلت: « إني جاد جداً. وثق أني حائر »

قال: « لعل العاطفة راقدة، وعسى أن تكون محتاجة إلى ما يوقظها وينبهها »

قلت : « عسى »

وانتقلنا إلى حديث آخر ، ومضت الأيام وماتت البنت — فقد كانت بنتاً — فلم أرنى حزنت أو جزعت ، ولم يكن هذا كافياً لتنبيه عاطفة الأبوة التى قال لى صاحبى أن أكبر ظنه أنها راقدة . ولى الآن من البنين ثلاثة ، وقد استطعت أن أوحى إلى نفسى حب بنتى التى ماتت ، وحب أخرى جاءت وذهبت مثلها ، وحب البنات على العموم دون البنين ، أو أكثر من البنين ، ولكنى أدرك أن هذا فعل الإيحاء لا فعل الطبيعة ، وأعرف من نفسى أنى لا أعرف لبنىّ مثل ما يعرف الآباء غيرى . نعم أشفق عليهم وأعنى بهم ، ولكنى لا أشعر لهم بتلك الرقة التى أسمع بها . ويخيل إلىّ أن العادة هى منشأ ما أحسه لهم ، وأنى أرحمهم لأنهم صغار ضعاف ، وأعنى بهم لأنى جئت بهم فأنا مسئول عنهم . وكثيراً ما أضجر وأمل ، وأسأل نفسى متى يكبرون ويستغنون عنى ، فأحط عن كاهلى عبئهم ، وأرتاح منهم ، وأعيش وحدى مستقلا عنهم ؛ وأرحل وأغيب ، فلا أحن إليهم إلا حنة المرء لعشيره وصديقه ، ولمألوفه

وكان لى أخ أسن منى ، وكنت أوقر سنه ، ولكنى لم أكن أشعر له باحترام أو حب ، كالذى يكون بين الأخوين عادة . ولم أبكه لما مات ، وإنما سخطت على ضعفه الذى قتله ، فقد كانت امرأته تركبه كالحمار ، وكان يشكو لى هذا ، فأضجر ، وأقول له : « ما الفائدة ؟ إنك ضعيف ، وهى تركبك ، ولا أمل فيك ولا خير فى الشكوى ، فاحتمل على قدر طاقتك ، فما خلقك الله لغير هذا » فيقول : « نعم . صدقت . يجب أن أحتمل » فأنهض من مجلسه مشمئزاً ، وإن كنت فيما عدا ذلك أستظرفه وأستخف ظله ، وأحب فكاهته ، ولكن ضعفه كان يهيج نفسى عليه ، وقد مرضت جدتنا فلم يعدها لأن امرأته أبت عليه ذلك ، فلما ماتت جاء ليمشى فى جنازتها ، فأبيت عليه ذلك وقلت له : « كان الأولى أن تعودها فى حياتها لتسرها على الأقل ولتعفيها من شعور الحسرة ، أما الآن فأولى بك أن تذهب إلى بيتك » ففعل

وانقطع ما بينى وبينه سنوات لم أشتق إليه فيها قط ، ثم التقينا اتفاقاً فتصالحنا فى صمت ثم نزعت يدى ، ومضيت لشأنى ومضى فى سبيله . وقد قصصت هذا لأصف شعورى الحقيق

فهل هذه بلادة ؟ أو هى نقص فى بعض جوانب النفس ؟ أم ذاك لأن عاطفتى الأدبية تستغرق نفسى كلها ؟ أم لأن حبى لأمى استنفد ذخيرة النفس من هذا الحب ؟ فقد كان حبى لأمى — وما زال — أقوى ما استولى على نفسى ، وكان هو العامل المؤثر فى سيرتى ، فكنت إذا هممت بأمر أسأل نفسى : « ماذا ترى يكون رأى أمى فى هذا ؟ » فإذا كان الجواب خيراً أقدمت ، وإلا صددت نفسى وكبحتها عن مرادها ، وصرفتها عما تحاول . أم ترى التعليل الصحيح أن البنين والإخوة والأقرباء على العموم نتيجة المصادفة ، ليس إلا ؟

لا أدرى . وأكبر الظن أن بى نقصاً ، فإنى فيما عدا حبى لأمى ، لم يغلبنى حب قط — لا حب امرأة ، ولا حب أحد من البنين أو الأقارب . ولست أرى الناس كذلك ، وليس من المعقول أن أزعم أن الناس غيرى شاذون ، وأنى أنا وحدى الطبيعى ، والأولى والأقرب إلى العقل أن آخذ بمنطق « قراقوش » فأصدق الناس ، وأرفض زعم الفرد .

ابرهيم عبد القادر المازنى

للتاريخ السياسى

النزاع الايطالى الفرنسى
وموقف المستر تشمبرلين

للدكتور يوسف هيكل

لم تأت سياسة « تهدئة الخواطر » بما كان يتوخاه المستر تشمبرلين منها . بل إن هذه السياسة أكثرت المشاكل الأوربية وعقدتها . فنجاح الهر هتلر فى ميونيخ قاد ألمانيا إلى مهاجمة بريطانيا والتهكم بهـا ، وجعل الفوهرر يعد العدة لتحقيق مشروعاته الواسعة فى شرق أوربا ؛ فعظم الخطر الألمانى وتفاقم ...

أما إيطاليا فقد ازدادت تدخلا فى أسبانيا وازدادت جرأة وتبجحاً ، فقامت تهاجم فرنسا مطالبة إياها بقسم من أملاكها . واشتدت مظاهرات هذه للمطالب فتحولت إلى نزاع بين باريس وروما يهدد العالم بحرب ضروس. فما هى المطالب الايطالية ؟ وماذا كان تأثيرها فى فرنسا ؟ وهل تستند إلى حق صحيح ؟ وما هو موقف المستر تشمبرلين منها ؟

بينما كانت فرنسا آخذة فى تحسين علاقاتها بجارتها اللاتينية ، فعينت سفيراً لها فى روما ، واعترفت بالإمبراطورية الإيطالية ، جابهتها إيطاليا بمطالب جديدة فيهـا اعتداء على أملاك حكومة باريس ، وإهانة للجيش الفرنسى . وللتهرب من مسؤولية ذلك ، لم تضع حكومة روما هذه المطالب فى قالب رسمى ، بل عمدت إلى التمثيل فى إسماع حكومة باريس مطالبها . وكان مسرح التمثيل قاعة البرلمان فى روما ، وكان الممثلون وزير الخارجية وأعضاء مجلس النواب . وموجز المشهد أنه فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ ألقى الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا خطاباً سياسيا فى مجلس النواب ، نوه فيه بـ « مطالب الشعب الإيطالى الطبيعية » وعند ما لفظ الوزير هذه الجملة ، وقف النواب وقفة رجل واحد صائحين : « نريد تونس وكورسيكا ونيس » ... وفى الأيام التالية أخذت الجموع الإيطالية تطوف الشوارع مطالبة فرنسا بمطالب نوابها ، وقامت الصحافة الإيطالية وهى شبه رسمية تبرر موقف النواب ، وتوضح شعور الجماهير الإيطالية المطالبة بحق طبيعى لها فى الممتلكات الفرنسية الثلاث السالفة الذكر . ولم تكتف الصحف الإيطالية فى بيان ما تدعيه حقاً لإيطاليا، بل أخذت ولا تزال تأخذ فى التنديد بفرنسا وانتقادها انتقادات مرة ؛ فقابلتها الصحف الفرنسية بالمثـل ، فنشأ بين البلدين جدل صحفى كان من تأثيره ازدياد توتر العلائق بين روما وباريس. وفى هذه الأثناء لم يرد الطلبة فى فرنسا الوقوف موقف المتفرج ، بل قرروا الرد على المظاهرات الإيطالية ، فقامت جموعهم بمظاهرات فى أنحاء المدن الفرنسية هاتفة بهتافات تهكمية منها « صقلية وسردينيا لفرنسا » و « إيطاليا للنجاشى »

كان للمشهد التمثيلى فى البرلمان الإيطالى وقع سيئ فى الدوائر الفرنسية . وقد اهتمت حكومة باريس به اهتماماً كبيراً ، فدعا المسيو بونيه وزير خارجية فرنسا سفير إيطاليا لمقابلته فى اليوم التالى للحادث ، وقابل المسيو فرنسوا بونيه سفير فرنسا فى روما الكونت شيانو فى ٢ ديسمبر واحتج على حادث مجلس النواب الإيطالى ، فنفى الوزير مسؤولية الحادث عن حكومته بقوله « إن الحكومة الإيطالية لا تعد مسؤولة إلا عن مسلكها ومطالبها الرسمية »

لم تكتف الحكومة الفرنسية بهذا الرد ، وعولت على أن تبرهن أنها لا تتهـاون فى مصالحها ولا تسمح بالتفكير فى الاعتداء على أملاكها ، فردت على مظاهرة البرلمان الإيطالى المدبرة رسمياً ، بزيارة المسيو دلادييه لكورسيكا وتونس فى ٣ يناير سنة ١٩٣٩، بموكب عسكرى ، فقوبل فيها بترحاب عظيم . وقد هتف أهل كورسيكا وسكان تونس الفرنسيون بحياة فرنسا ، وأظهروا أنهم فرنسيون لا يريدون من جنسيتهم بديلاً . أما أهل تونس العرب فأكدوا — إن كان لا بد من المفاضلة بين فرنسا وإيطاليا — أنهم لا يترددون فى التمسك بفرنسا ، ولا يقبلون قط الانتقال إلى الحكم الإيطالى . وزيادة على ذلك فقد صرح المسيو دلادييه ، والمسيو بونيه داخل البرلمان وخارجه ، أن الحكومة الفرنسية لن تتنازل عن شبر واحد من أملاكها

لم ترتح إيطاليا لزيارة المسيو دلادييه لكورسيكا وتونس ، بل رأت فيها اعتداء صريحاً عليها وسبباً لزيادة توتر العلاقات بين الجارتين . كما أن تأكيد الدوائر المسؤولة فى باريس برفض المطالب الإيطالية ، أغضب رجالات إيطاليا وصحافتها . فاشتدت فى حملتها على فرنسا ، وحاولت إثبات عدالة تلك المطالب الطبيعية .

***

لم تكن نيس وكورسيكا يوما ما تابعتين لإيطاليا الحديثة ، إذ أن نيس ومقاطعة سافوا كانتا من أملاك الدون دى سافوا وجزءا من مملكة سردينيا . ولما قام الملك فكتور عمانوئيل ووزيره كافور بتوحيد إيطاليا ، احتاجا إلى مساعدة فرنسا لهما ففاوضا نابليون الثالث فى مساعدتهما على إخراج النمساويين من اللومباردى وفى موافقته على توحيد البيمون مع الدول الوسطى . ووعداه مقابل ذلك بالتنازل لفرنسا عن نيس ومقاطعة سافوا . فتم الاتفاق بينهم على ذلك عام ١٨٦٠ . وعندما جرى استفتاء التنازل لفرنسا فى ١٥ ابريل عام ١٨٦٠ ، كان ٢٥٧٤٣ صوتاً محبذين الانتقال و١٦٠ صوتا فقط ضد التنازل .

أما كورسيكا فقد كانت تابعة لجنوا منذ القرن الخامس عشر حتى عام ١٧٦٨ ، الذى فيه باعت جنوا سيادتها على هذه الجزيرة لفرنسا . ومنذ ذلك التاريخ وكورسيكا جزء من فرنسا .

وأما تونس فقد تدخلت فيها الدول الاستعمارية عن طريق قرض الأموال لها . ثم تذرعت هذه الدول كعادتها باضطراب الأحوال المالية والإدارية ، ففرضت على تونس عام ١٨٦٩ رقابة مالية قوامها ممثلون لبريطانيا وفرنسا وإيطاليا . وأخذت هذه الدول الثلاث تتنافس وتسعى كل منها بأن يكون لها القسم الأول من التدخل فى شؤون تونس ونشر نفوذها عليها . وكانت إيطاليا تأمل فى احتلال تونس وجعلها مستعمرة لها . ولما أرادت تنفيذ رغبتها ، أبدت ما عزمت عليه لانكلترا لأخذ موافقتها ، فأجاب رئيس وزارتها حينئذ ، أن بريطانيا العظمى لا ترى بعين الارتياح ساحل تونس وساحل صقلية فى يد حكومة واحدة . ولا تزال بريطانيا تحتفظ بهذه السياسة حتى الآن حفظاً لسلامة طرق المواصلات فى البحر الأبيض المتوسط . وكانت فرنسا ترغب فيما كانت ترغب فيه إيطاليا من ضم تونس إليها ، فاتفقت مع بريطانيا بأن تترك لها حرية العمل فى تونس نظير موافقة فرنسا على ضم انكلترا جزيرة قبرص

وفى عام ١٨٨١ سارت قوة عسكرية فرنسية إلى داخل تونس بحجة مطاردة بعض القبائل التى اعتدت على حدود الجزائر ، وأخذت تتوغل فى البلاد التونسية وتستولى عليها .... فاضطر « باى » تونس إلى النزول عند رغبة الغزاة ، وتوقيع معاهدة « بردو » فى ١٢ مايو ١٨٨١ التى بموجبها قبل الحماية الفرنسية

تأثرت إيطاليا من عمل فرنسا كثيراً ، واعتبرته اعتداء على أمانيها وعلى حقوقها الطبيعية ، حتى أنها لم تعترف بفتح فرنسا لتونس إلا عام ١٨٩٦ ، الذى به تم الاتفاق بين باريس وروما على منح الرعايا الإيطاليين البالغ عددهم حينئذ ٥٥٫٥٧٢ إيطالياً ، امتيازات خاصة ، يحافظ الإيطاليون بموجبها على جنسيتهم

* * *

وقد تجدد الخلاف بين فرنسا وإيطاليا فيما بعد الحرب العالمية ، بسبب الجالية الإيطالية فى تونس ، تلك الجالية البالغ عددها الآن نحو مائة ألف إيطالى تقريباً ، مقابل ما يزيد على مائة وعشرة آلاف فرنسى ، عائشين بين مليونين ونصف من العرب . وأخذ هذا الخلاف يتفاقم حتى أن الصحف أخذت تتحدث عام ١٩٣١ عن احتمال وقوع حرب إيطالية فرنسية ، وظل توتر العلاقات بين الجارتين شديداً حتى ٧ يناير ١٩٣٥ ، وهو التاريخ الذى تم فيه الاتفاق بين السنيور موسولينى والمسيو لافال على تسوية الخلاف القائم بين الحكومتين

نالت إيطاليا ، بموجب هذا الاتفاق ، لرعاياها فى تونس امتيازات جديدة . فالإيطاليون الذين يولدون فى تونس قبل ٢٨ مارس سنة ١٩٤٥ يحافظون على جنسيتهم الإيطالية ، والذين يولدون بين ١٩٤٥ و ١٩٦٥ يحق لهم اختيار الجنسية الفرنسية ، وأما الذين يولدون بعد ١٩٦٥ فيخضعون للقانون العام . وأما المدارس الإيطالية فتحافظ على وضعها الحالى حتى عام ١٩٥٥ ، ومن ثم تصبح تحت الرقابة الفرنسية . وفى هذا الاتفاق أيضاً قام المسيو لافال بتنفيذ البند ١٣ من اتفاق لندن عام ١٩١٥ ، الذى بموجبه تعهدت فرنسا بتعويض إيطاليا ببعض المزايا الاستعمارية نظير دخولها الحرب ضد ألمانيا ، وذلك بالتخلى لإيطاليا عن منطقة تبسى البالغة مساحتها ١١٤ ألف كيلو متر مربع فى صحراء أفريقيا ، وبالتنازل عن جزيرة دوميرا فى البحر الأحمر ، وعن قسم من الساحل الصومالى الفرنسى المواجه لباب المندب ، وعن عدد من أسهم سكة حديد جيبوتى — أديس أبابا . وظن حينئذ أن هذا الاتفاق وضع حداً للخلاف بين الجارتين .

غير أن تطور الحالة الدولية ، وطموح إيطاليا إلى سيادة

البحر الأبيض المتوسط ، أديا بالسنيور موسوليني إلى تجديد الخلاف مع فرنسا على بساط المطالب الاستعمارية . ولم يكن فى الواقع الداعى لهذه المطالب سبباً تاريخياً ، أو حرصاً على تطبيق حق تقرير المصير ، وإنما هو سبب حربى

فلكورسيكا أهمية كبيرة فى نظام الدفاع الفرنسى ، كما أن بيزرت الواقعة فى غربى تونس هى الميناء الحربى الرئيسى للأسطول الفرنسى فى شمال أفريقا . فوضع إيطاليا يدها على كورسيكا يضعف وضعية فرنسا الحربية فى البحر الأبيض المتوسط ويزيد فى أهمية المواقع الإيطالية الحربية . وأما استيلاء إيطاليا على تونس فمعناه ، زيادة على إضعاف فرنسا ، تمكنها من وضع رقابتها التامة على القسم الضيق من البحر الواقع بين تونس وصقلية ، والذى لا تزيد مسافته بينهما على ٩٠ ميلاً ، ولا سيما أن جزيرة بانتلاريا الإيطالية قد حصنت تحصيناً حربيًّا عظيماً . وبذلك تتمكن إيطاليا من شطر البحر الأبيض المتوسط إلى شطرين ، ومن قطع المواصلات بين قسميه ، وفى ذلك ما فيه من الأخطار الفادحة على أملاك فرنسا الآسيوية والإفريقية الشرقية ، وعلى الإمبراطورية البريطانية . ومن الغريب أن بعض الصحف الإيطالية لم تخف هذا السبب ، إذ قالت : إن إيطاليا لن تتغاضى عن المطالبة بكورسيكا وتونس لأن وجودهما فى يد فرنسا خطر عليها ...

ولكيما يكون لإيطاليا عذر قانونى فى تجديد الخلاف مع فرنسا ومطالبتها بمزايا استعمارية جديدة ، نقض السنيور موسوليني معاهدة ١٩٣٥ ، وذلك بتبليغ الكونت شيانو فى ٢٢ ديسمبر المسيو فرانسوا بونسيه أن حكومته لا تعد المعاهدة الفرنسية الإيطالية التى عقدت عام ١٩٣٥ نافذة ، لأنها لا تتفق مع مقتضيات الحالة الحاضرة ، ولأن فرنسا لم تنفذها ولم تحافظ على نصوصها أو روحها بل اشتركت فى العقوبات الاقتصادية التى وضعتها عصبة الأمم على إيطاليا خلال الحرب الحبشية . على أن فرنسا متمسكة باتفاق ١٩٣٥ الذى سوى فى نظرها كل أسباب الخلاف بينها وبين إيطاليا ، بدليل توقيع الحكومة الإيطالية رسمياً عليه فى ٧ يناير سنة ١٩٣٥ ، والتصريحات التى أفضى بها السنيور موسوليني فى ليتوريا يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٦ وجاء فيها قوله : « إن مشاكل إيطاليا فى القارة الإفريقية حلت كلها حلاً نهائياً مشرفاً »

وهى تقول إنه إذا كان اتفاق ١٩٣٥ لا يلائم أحوال إيطاليا الحاضرة ، فإن اتفاقات ١٨٩٦ بشأن الإيطاليين فى تونس لم تعد ملائمة للحالة الحاضرة أيضاً ، ولذلك يكون لفرنسا الحق فى وضع نظام جديد للرعايا الإيطاليين فيها . أما مسألة العقوبات فمن نكران الجميل التحدث عنها ، لأنه لولا ولاء حكومة باريس للاتفاق الذى عقد مع حكومة روما لما تمكن السنيور موسوليني قط من اكتساح الحبشة وإيجاد الإمبراطورية الايطالية

أما ما هى المطالب الرسمية الإيطالية فلم تعلنها بعد حكومة روما ، وهى تقول إنها ستتقدم بها إلى فرنسا فى الوقت المناسب وبالصورة المناسبة . غير أننا نستبعد أن تكون نيس وكورسيكا من ضمن هذه المطالب . وإن ما تطمع فيه إيطاليا على ما يظهر هو الاستيلاء على تونس ، أو جعلها منطقة حرة على مثال طنجة والاشتراك فى إدارة قناة السويس ، والاستيلاء على خط حديد جيبوتى — أديس أبابا ، وعلى جيبوتى نفسها أو الاشتراك فى استعمال مينائها من غير مقابل .

* * *

ومما هو جدير بالملاحظة أن الصحافة الألمانية ، الناطقة بلسان حكومة الريخ بصورة غير رسمية ، تؤيد إيطاليا فى موقفها . وقد ذكر الهرهتلر موقف بلاده تجاه إيطاليا فى خطابه الذى ألقاه فى ٣٠ يناير ، ومما جاء فيه أنه « إذا كان يراد إثارة حرب تحت أى ستار كان ضد إيطاليا فإن الواجب يدعو ألمانيا إلى الوقوف بجانب صديقتها .

ومما لا شك فيه أن إثارة السنيور موسوليني الخلاف الاستعمارى مع فرنسا من جديد ، هو نتيجة لاتفاق مونيخ ، وأن زعيم إيطاليا ما كان يجرؤ على ذلك لو أن فرنسا فى المكانة الدولية التى كانت فيها قبل تضحية تشيكوسلوفاكيا . فالسنيور موسوليني أراد الاستفادة من ضعف فرنسا بسبب انهيار ما كانت تعتمد عليه من نظام التحالف بعد اتفاق مونيخ . ورأى فى زيارة المستر تشمبرلين فرصة سانحة لمساعدته على تحقيق ما يريد من فرنسا ، لأنه كان يعتقد أن بريطانيا ترى من الحكمة توطيد صداقتها مع إيطاليا بالنصح لفرنسا بإيثار خطة المسالمة على العمل على تبديد روح ميونيخ والقضاء عليها

ولما كانت إيطاليا تعلم أن لا أمل لها فى تحقيق مطالبها من فرنسا عن طريق المفاوضات المباشرة ، أرادت أن تنقل خلافها معها إلى مجال المسائل الدولية . وبما أنها متأكدة من مساعدة ألمانيا لها فى مطالبها عملت على إقناع بريطانيا بعقد مؤتمر رباعى لبحث هذه المطالب . ولنقل إيطاليا مطالبها إلى مجال المسائل الدولية وجعلها من اختصاص المؤتمرات الدولية ، أعلنت أن اعترافها بالحماية الفرنسية على تونس كان مقيداً باحترام حقوق الإيطاليين فى البلاد التونسية . وبما أن فرنسا لم تحترم هذه الحقوق فقد أصبحت إيطاليا فى حل من الاعتراف بالحماية الفرنسية . وترى أنه من الواجب على الدول الأخرى ألا تكون مقيدة بهذا الاعتراف .

وقامت الصحافة الإيطالية تؤيد هذه النظرية وتمهد الرأى العام الدولى لتحبيذ عقد مؤتمر رباعى حفظاً للسلام ، وحرصاً على إيجاد التفاهم بين الدول الأوربية الكبرى . فحملت حينئذ الصحافة الفرنسية على هذه النظرية وأكدت أن مثل هذا المؤتمر لن يعقد لبحث المطالب الإيطالية ؛ وإن عقد فلن تشترك فيه فرنسا . وعلى أثر ذلك أخذت الصحافة الإيطالية تلفت النظر إلى أن فى نية بريطانيا التوسط لتسوية النزاع الإيطالى الفرنسى . وكان السنيور موسولينى يعلق أهمية كبرى على زيارة المستر تشمبرلين للعاصمة الإيطالية ؛ فخشيت الحكومة الفرنسية من أن يتمكن زعيم إيطاليا من الضرب على الوتر الحساس عند رئيس الوزارة البريطانية ، ومس نقطة الضعف فيه ، فيحمله على التوسط كما حمله الهر هتلر على ذلك فى المسألة التشيكوسلوفاكية

وللحيلولة دون ذلك قابل المسيو كوربان سفير فرنسا فى لندن اللورد هاليفاكس ، وأعلمه أن فرنسا ترى أن المطالب الإيطالية من الشؤون التى يجب أن تسوى بينها وبين إيطاليا وحدهما ؛ وأن فرنسا لا توافق ، وعلاقاتها سيئة مع حكومة روما ، على منح إيطاليا شيئاً ما بقناة السويس . وفى ١١ يناير يوم وصول المستر تشمبرلن واللورد هاليفاكس باريس فى طريقهما إلى روما نشرت جريدة « الطان » الناطقة بلسان وزارة الخارجية الفرنسية أن لا وساطة هناك ، لأن فرنسا لن تسمح بأى مناقشة دولية عند ما يتعلق الأمر بمصالحها الحيوية ووحدة إمبراطوريتها ، وهى لن تشترك فى أية مساومة رباعية أو ثلاثية فى هذا الموضوع . ومن الأكيد أن بريطانيا تشارك فرنسا فى وجهة نظرها ، ويستطيع السنيور موسولينى أن يتحقق ذلك بنفسه ، إذا رأى فائدة من مفاتحة الوزراء البريطانيين فى هذا الصدد

وقبل أن يزور المستر تشمبرلن روما زار باريس وتحدث مع وزارتها ، وفى هذه الزيارة أكد للمسيو دلاديه أنه لا يريد التوسط فى الخلاف القائم بين روما وباريس . فكان ذلك خيبة للآمال التى كان السنيور موسولينى يعقدها على توسط المستر تشمبرلين ، وصدمة للدول التى كانت تعمل على التفريق بين لندن وباريس .

أما محادثات روما فقد فشلت فشلاً تاماً فى جميع المسائل التى طرحت على بساط البحث . وكان هذا الفشل نجاحاً باهراً من وجهة نظر بريطانيا وفرنسا ، لأن تلك المحادثات لا تعد ناجحة فى نظرهما إلا إذا فشلت . وكل ما استفيد من هذه المحادثات هو إدراك انكلترا أن المستقبل قاتم على رغم إظهار إيطاليا نيات سليمة ، وتأكد إيطاليا من متانة التضامن الفرنسى الانكليزى ، وأنه ليس من السهل زعزعته ولا الحفر تحته .

وفشل هذه المباحثات جعل جريدة « تلغرافو » ذات العلاقات الوثيقة بالكونت شيانو تصرح بأن « ليس معنى نقض إيطاليا لاتفاق ١٩٣٥ أنها تريد الحرب ، بل معناه أنه يجب البحث عن اتفاق آخر . فالحكومة الفاشية لا تعارض فى مباشرة مفاوضات جديدة ، ولكن ذلك يعد أمراً متعذراً فى الجو الحالى » . وذلك الجو لم يصف منذ ذلك الحين بل تلبدت غيومه ، فاشتد الجفاء ، وتعاظمت حملة صحف الطرفين ، مما جعل السنيور جايدا يشير إليها بقوله « إن المدافع ستطلق من تلقاء نفسها » على أن إيطاليا لم تفعل شيئاً لتحسين علاقاتها بفرنسا ، بل زادت الحالة خطورة بدعوة فرق من الإيطاليين لحمل السلاح ، وبحشد فرق من الجيش الإيطالى فى الحبشة قرب حدود الصومال الفرنسى ، مما جعل فرنسا ترسل فرقاً وبوارج حربية إلى جيبوتى . ولعل السنيور موسولينى يأمل نيل مطالبه عن طريق التهديد بالحرب ، وإرهاب الرأى العام .

فهل ينجح بذلك كما نجح الهر هتلر خلال شهر سبتمبر الفائت ؟ هذا ما نشك فيه .

يوسف هيكل

ابن الرومي
الشاعر المصور

للأستاذ عبد الرحمن شكري

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ويرى ابن الرومي بالرغم من إطالته فى المدح وإكثاره فيه يذم هذه الخطة فيقول :

وإذا امرؤ مدح امرأً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه

ويقول للممدوح :

فإن الله أعلى منك جِـدًّا ويرضيه من الحمد اليسير

على أن له بالرغم من كل ذلك مقدرة كبيرة على توليد معانى المدح كما فى الأبيات التى يقول فيها :

والناس تحت سماء منك مُشْمِسةٍ
والنـاس تحت سماء منك مدرار

فيتتبع هذه المعانى الشائعة ويولد منها معانى أخرى ، وله الأبيات التى يقول فيها :

هب الروض لا يثنى على الغيث نشره
أمنظـرة يُخْفى مآثره الُحسْنى

والتى يقول فيها :

له هيبـة لم يكتسبها بكلفة
إذا اكتسبت ذاك الوجوهُ العوابس

والتى يقول فيها :

آراؤكم ووجوهُكم وسيوفُكم فى الحادثات إذا دَجوْنَ نجوم

والتى يقول فيها :

خِرقٌ تعرَّضتِ الدنيا له فصبا
إلى المكارم منها لا إلى الفتن

له حريم إذا ما الجار حل به أضحى الزمان عليه جد مؤتمن

كأنه جنـة الفردوس قد أمنت
فيها النفوس من الروعات والَحزَنِ

ولكن أهاجيه بالرغم من ذلك أبرع وأشد أثراً ، وهو فيها أكثر ابتداعاً للمعانى والخيالات ، وأحياناً يسوق فيها الأخيلة الفكاهية مترادفة ويولد الذم من الذم والهجاء من الهجاء ويتشى بالهجاء ويعربد كل عربدة ويطلق لنفسه العنان كراكب الجواد الذى يطلق العنان لجواده يعدو ما شاء العدو . ومن شعره المشهور فى الهجاء قوله :

ولو يستطيع لتقتيرِهِ تَنفّس من منخر واحد

وقوله :

إن للجد كيمياء إذا ما مسَّ كلباً أحالهُ إنسانا

وقوله :

فلو لم تكن فى صُلبِ آدم نطفة لخر له إبليس أول ساجد

وقوله :

لو كنتمُ صحتى وعافيتى فررتُ من قربكم إلى السَّقمِ

وقوله فى هجاء طبيب :

سلَّط الله عليه طبَّهُ وكفاه طبه لا بل كفانى

وقوله :

وأخرق تضرمه نفخةٌ سفاها وتطفئه تفلة

وقوله :

وقال اعذرونى إن بخلى جِبلةٌ
وإن يدى مخلوقة خلقة القفل
طبيعة بخل أكَدَّتها خليقة
تخلَّقتُها خوفَ احتياجى إلى مثلى

وقوله : وقد أبدع واستطرد فى وصف صور السعادة التامة وتصويرها تصويراً بارعاً كى يقول : إن سعادة الناس التامة لا تقتضى الشكر عليها ما دام المهجو منهم ، فانظر إلى براعة الرسم والتصوير فى قوله :

ما كرَّمَ الله بنى آدم إذ كان أمسى منهمُ خالد
والله لو أنهمُ خلَّدُوا حتى يبيد الأبد الآبد
وأصبح الدهر حفياً بهم كأنه من برِّهِ والد
ولم يكن داء ولا عاهة فالعيش صافٍ شربه بارد
ودامت الدنيا لهم غضة كأنهـا جارية ناهد
ما كلِّفوا الشكر وقد ضمهم وخالد اللؤم أب واحد

على أن هذا كله أهون ما فى شعره من الهجاء ، وأسهل تحملاً من فحشه الذى أطلق لنفسه العنان فيه وخلع الحياء ، وأتى بأشد

مما جاء به كل الشعراء . فلا الحطيئة ولا الأخطل ولا جرير يدانيه فى الهجاء ، وهو مع ذلك أحياناً يخلط الهجاء بالحكمة والمثل كما فى قوله :

توقّ الداء خيرٌ من تصدٍّ
لأيسره وإن قرب الطبيب

وكما فى الأبيات المشهورة التى يقول فيها :

رأيت الدهر يرفع كل وغد
ويخفض كلَّ ذى شِيَمٍ شريفهْ
كمثل البحر يغرق فيه حى
ولا ينفكُّ تطفو فيه جيفهْ
أو الميزان يخفض كل وافٍ
ويرفع كل ذى زنةٍ خفيفهْ

فترى أنه مُغرًى دائماً بتتبع الصور وبالتصوير سواء أكان ذلك فى مدحه أو ذمه. وتظهر مقدرته على التصوير أعظم ظهور فى وصفه الأزهار أو الأنهار أو الأشجار أو القفار أو الرياح أو السماء أو السحاب أو الفواكه أو الروائح أو المأكولات ، وله فى كل هذه الأشياء أشعار كثيرة . أنظر إلى وصفه للنسيم :

وشمال باردة النسيـــم
تشفى حزازات القلوب الهيِّم
كأنها من جنة النعيم

وقوله فى وصف الأرض والمطر :

أصبحت الدنيا تروق من نظرْ
بمنظر فيه جلاء للبَصَرْ
أثنت على الأرض بآلاء المطر
فالأرض فى روض كأفواف الحبر
نَيِّرَةَ النوار زهراء الزَّهَرْ
تَبَرَّجَتْ بعد حياءٍ وخَفَرْ
تَبَرُّجَ الأنثى تصدت للذكر

ويقـــول فى غروب الشمس :

كأن خُبوَّ الشمس ثم غروبها
وقد جعلت فى مجنح الليل تمرض
تخاوُص عينٍ مس أجفانها الكرى
يُرَنِّقُ فيها النوم ثم تُغَمِّضُ

ومن بدائعه القصيدة التى يقول فيها (حيتك عنا شمال طاف طائفها) والتى يقول فيها : (ورياضٌ تخايَلُ الأرض فيها) والتى يصف فيها النرجس والورد فى قوله (للنرجس الفضل المبين لأنه) والأخرى التى يصف فيها فواكه إيلول ويقول : إنه لولاها لزهد فى الحياة . وله القصيدة البديعة التى يصف فيها غروب الشمس وأول وصفها قوله فيها :

وقدر نَقَّت شمس الأصيل ونفَّضت
على الأفق الغربىِّ ورسا مذعذعا

وفيها يتخيل أن الشمس تودع النبات ويودعها النبات وكأن كلا منهما يحس لوعة الفراق . ويخيل إلى أنه لو كان نقاشا لرسم

من برجنا العاجي

يقع لى أحياناً أن أهبط محلاً عاماً فيتقدم إلىّ شخص لا أعرفه ، يحيينى تحية رقيقة ويقول : « أحد قرائك المعجبين » ثم يمضى دون أن يزيد . ويحدث لى دائماً فى كل عيد أن أفض البريد فأجد بطاقات التمنيات ورسائل التهانى كأنها باقات الورد من قراء كرام لم تبصرهم عينى ولم يرونى إلا فكرة تعيش فى سياج السطور على أديم الصفحات هنا معنى الاتصال الروحى ، أرفع ألوان الاتصال ، وأسمى أنواع المشاعر . وإنى ليملؤنى العجب حيناً ، ويداخلنى الزهو أحياناً إذ أجد فى الشرق مثل هؤلاء القراء !

لكن مهلاً ... فيم العجب ؟ ألسنا القائلين إن الشرق هو قلب « الروحانية » النابض ؟

إنما المدهش حقاً هو أن نرى قراء الغرب يبعثون كل صباح ملايين الرسائل إلى كتابهم المحبوبين ! نعم أين هذا الاتصال الروحى من ذاك ! إذا قلنا إن الفرق فى عدد القراء وانتشار الأمية أو التعليم لكذبتنا النسب والأرقام ، ولتبين لنا آخر الأمر أن الشرق متخلف فى هذا المضمار على كل حال

إن عيب الشرق هو « الكسل » . والقارئ الشرقى على وجه عام رخو المزاج فاقد النشاط . إنه يطالع وتتأثر نفسه ويتفتح قلبه ، ثم لا يلبث أن يتثاءب ويلقى الكتاب وينسى المؤلف وتخمد فيه الجذوة . ثم هو بعد ذلك كثير الإهمال قليل الاكتراث . فأين القوة الداخلية التى تدفعه إلى طلب الاتصال بذلك الروح الذى أنس إليه ؟

إنه « يستهلك » مادة الكتاب مثلما يستهلك مادة الطعام دون أن يلقى بالاً إلى الطاهى الذى أعده لمائدته .

وهكذا ينكشف الأمر عن هذه النتيجة العجيبة :

إن روحانية الشرق قد هبط بها « كسل النفس » إلى المادية ، وإن مادية الغرب قد ارتفع بها « تيقظ النفس » إلى الروحانية !

توفيق الحكيم

ونقش صورة مملوءة بالحياة كأبدع ما صنع المصورون فى معنى هذه القصيدة ، ولكن ما أحسب أن مصوراً يأتى بأحسن مما جاء به فى الشعر ، وله وصف العنب الأبيض الذى يقول فيه :

لم يُبْقِ منه وَهَجُ الحرور إلا ضياء فى ظروف نور

وله فى وصف الخمر :

لطفت فقد كادت تكون مُشاعَةً فى الجو مثل شعاعها ونسيمها

وأمثال هذا الوصف كثير فى شعره. وهو مصور أيضاً فى غزله. أنظر إلى وصفه محاسن النساء فى قصيدة (أجنت لك الورد أغصان وكثبان) ووصفه الجمال والغناء فى قصيدته الدالية فى وحيد المغنية وهى التى يقول فيها : (ياخليلىَّ تَيَّمَتْنى وحيد) وكأنما هو فيها يُصوِّرُ الألحان كما يصور الوجوه الحسان . ومن بدائعه فى الغزل قوله : (وحديثها السحر الحلال لو انه) وقوله : (لو كنتَ يوم الفراق حاضرنا) وقوله : (لا تكثرنَّ ملامة العشاقِ) وقوله : (وفيك أحسن ما تسمو النفوس له) وقوله : (شفيعك من قلبى شفيعٌ مُشَفَّعُ) . وله غزل كله شهوة ، وله مجون شنيع ، وكان يفتخر بالقدرة الجثمانية على الملذات. وهذا كله لا يليق نشره ولكن له مع ذلك غزلاً وجدانياً رقيقاً ، فهو قد جمع الأطراف لأنه كان مرهف الإحساس كما كان مرهف الحواس وتراه يجمع الوجدان والتصوير فى قوله فى حب الوطن :

بَلدٌ صحبتُ به الشبيبة والصِّبا ولبست فيه العيش وهو جديد
فإذا تمثَّل فى الضمير رأيته وعليـــه أفنان الشباب تميد

فهنا أيضاً نزعة التصوير غالبة عليه فى البيت الثانى. وله أشعار أخرى فى حب الوطن، ولا غرو فإنه كان يمقت الأسفار. ومن رأيى أن تحسُّرَ ابن الرومى على ذهاب الشباب ليس له مثيل فى شعر الشعراء وإن كانوا قدأ كثروا فى هذا الموضوع. وأحسن قصائده فيه قصيدته التى يقول فيها (كفى بالشيب من ناهٍ مطاعِ) ومن أبياته فيها، وقد غلبت عليه النزعة إلى التصوير فى هذه الأبيات:

يُذَكِّرُنِى الشبابَ جنانُ عـــدن
على جنبات أنهـــار عِـــذابِ
تفيء ظلالهـا نفحات ريح تهز متون أغصان رطاب
إذا مَاسَت ذوائبها تداعت بواكى الطير فيها بانتحاب

يذكرنى الشباب وميض برق وسجع حمامة وحنين ناب
وكانت أيكتى لِيَدِ اجتناء فصارت بعده ليد احتطاب

وهو لا يكتفى بما يكتفى به غيره من جعل الحياة بعد الشباب كالموت بل يقول إنها عذاب. وله قصائد أخرى فى التحسر على الشباب منها قصيدة (دَابَرَ أو طارَهُ إلى الذِكَر)و(خليلىَّ ما بعد الشباب رزية) و (لا تَلْحَ مَنْ يبكى شبيبته) و (أيام استقبل المنظور مبتهجاً) وقوله :

اكتهلتْ همتى فأصبحتُ لا أبـ
ـهج بالشىء كنتُ أبهج بِهْ
وحسْبُ من عاش من خلوقته خـــلوقة تعتريه فى أربهْ

وهذا الرجل المنهوم بمحاسن الحياة ولذاتها ، المولع بوصف مباهجها وفتنها وأطايبها، له حالات إذا وصف فيها الزهد أتى بالقول المؤثر ، كما فى قصيدته فى وصف الزُّهَّادِ ، وهى قد جمعت أيضاً بين التصوير والوجدان ، وهى التى يقول فيها :

تتجافى جنــوبهم عن وطىء المضاجع

ولكن الجمع بين التهافت على الملاذ فى وقت من أوقات الحياة وشدة الشعور الدينى فى وقت آخر أمر مشهود؛ وقد يتردد صاحبهما بينهما مرات عديدة .

وقصائد ابن الرومى فى الاخوان والعتاب متنوعة الأغراض والمعانى والأنغام والصور . وأشهرها قصيدة : (يا أخى أين ريع ذاك اللقاء) وفيها يتخيل مناظرة ونقاشاً طويلاً بينه وبين هنات صاحبه ، وهى بارعة فى التصوير والتفكير ؛ ولكن له من القصائد ما هو أكثر وجداناً وعاطفة ، وله مقطوعات موسيقية كقوله :

طلبتُ لديكم بالعتـــاب زيادة وعطفاً فأعتبتم بإحدى البوائق
فكنتُ كمستسْقٍ سماء مخيلة حياً فأصابته بإحدى الصواعق

وقوله :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنَّ من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يحول من الطعام أو الشراب

والأبيات التى ذكرت من قبل وأولها : (تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا) وهى من أبدع ما قال فى العتاب الوجدانى ، وكذلك قوله : (أتانى مقال من أخ فاغتفرته) . وقوله : (إنى لأغضى

عن الزلات مجتنباً) . وكثرة العتاب فى شعره تدل على أنه كان منكوباً فى الإخاء والأنصار . وقد أجاد ابن الرومى أيضاً فى الرثاء لأنه كان منكوباً فى أولاده ، وإنما هذه نكبة الرزء والموت لا نكبة الجفاء التى دعت إلى إجادة العتاب ، ولا أذكر قصيدة فى رثاء الأبناء فى اللغة العربية تقارب قصيدة ابن الرومى الدالية فى رثاء ابنه الأوسط غير قصيدتى التهامى ، ومطلع قصيدة التهامى الأولى :

حكم المنية فى البرية جارى ما هذه الدنيا بدار قرار

ومطلع الثانية :

أبا الفضل طال الليل أم خاننى صبرى
فخيّل لى أن الكواكب لا تسرى

وفيهما رثى ابنه كما رثى ابن الرومى ابنه بقصيدته التى أولها مخاطباً عينيه :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يُجدِى فجودا فقد أودى نظيركما عندى

وتغلب نزعة الرسم والتصوير على الشاعر ، فيصف ابنه يعالج المرض والموت ، ويصف حزنه إذا رأى أخويه يلعبان فى ملعب له . وهذه القصيدة من أجلّ ما قال ابن الرومى من الشعر ، بل من أجلّ ما قال شاعر من الشعر ، وهى أكبر دليل على أن الشعر الرفيع المقام لا يكون إلا إذا وجدت العاطفة ، وأما الصنعة وحدها فلا تخلق شعراً عالياً . ولابن الرومى قصائد أخرى فى الرثاء تستجاد ، منها رثاء يحيى بن عمر العلوى التى مطلعها :

أمامك فانظر أىّ نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيمٌ وأعوج

وفيها يقارن بين ترف العباسيين وبين ما كان العلويون فيه من تشريد واضطهاد . ومما يؤسف له أنه شانها بالفحش الشنيع فى هجاء العباسيين ؛ وهذه القصيدة تذكرنى بقصيدة دعبل الخزاعى الرائية فى آل البيت وهى أعمق أثراً ومطلعها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

والذى يقرأ شعر ابن الرومى يرى أنه أشد ذوى الفنون عجزاً عن حبس بعض ما يجول فى خاطره من الخواطر ، وهذا العجز يجعل صاحبه كأنه أسوأ خلقاً ونفساً من الناس ، وهو قد يكون وقد لا يكون ، فإن كل إنسان ـ كما قال سمرست موام ـ القصصى الانجليزى فى كتاب (الخلاصة) تخطر على خاطره خواطر السوء حتى على بال القديسين المطهرين الذين كانوا يشكون فى نقاوتهم وطهارتهم بالرغم من أنهم كانوا لا يفعلون ما يدعو إلى هذا الشك؛ وذوو الفنون، بسبب النزعة الفنية إلى تصوير أنفسهم والتعبير عن خوالجها ، قد يعجزون عن كتم هذه الخواطر التى يكتمها غيرهم . وإنى أميل أحياناً إلى الاعتقاد أن قصص المجون فى شعر أبى نواس وابن الرومى لم تحدث حقيقة ولم يفعلوا ما زعموا أنهم فعلوا أو على الأقل بعضها لم يحدث ، وإنما هى خواطر السوء التى تمر بخاطر الناس ويكتمها الناس ويعجز بعض الفنانين عن كتمها بل يصنعون منها قصصاً فخراً بها أو صنعة . وعلى هذا القياس نستطيع أن نفهم قصيدة ابن الرومى التى أولها : (لهف نفسى على رصاص مُذابِ) أى رصاص منصهر كى يصبه فى فم عدوه حتى يموت ويتشفى بسؤاله عن صحته أثناء ذلك، وهى قصيدة شنيعة. ولكن كم من الناس إذا تألم من عداء رجل ألماً شديداً لا تخطر له مثل هذه الخواطر إذا اشتد به الألم وكان مرهف الإحساس ؟ أما أن يصب الرصاص المنصهر فى فم إنسان فهذه مسألة أخرى، فقد يكون صاحب هذه الخواطر أعجز الناس عن إتيان الشر كما هو أعجز الناس عن كتمان ما يجول بخاطره من خواطر السوء. ولا ننس أن ابن الرومى كان مرهف الإحساس حتى أنه أعد خنجراً مسنوناً كى يقضى به على حياته فيما زعموا إذا اشتد به الألم فى الحياة، وقد اشتد واشتد ولم يفعل

عبد الرحمن شكرى

أعلام الأدب

هومـــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذي الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

كان هوميروس يخفض الآلهة إلى مراتب الناس فيجعل لهم من الغرائز الدنيا مثل ما للناس ، ثم يرفع الناس إلى مراتب الآلهة فيجعل لهم من الفضائل ما ليس ينبغي إلا للآلهة ، أو ما ليس يتوفر إلا للآلهة

وعجيب أن تتخذ آلهة هوميروس مثلها العليا من البشر الذين خلقتهم بأيديها ، لأن هوميروس — على ما يبدو في ملاحمه — لا يرى الحياة الدائبة النشيطة المفعمة بالغرائز المتضاربة ، إلا في محيطها المرئي المعترف به الذي يتكون منا نحن البشر ... ولكي تتم الصورة الشعرية التي هي روح ملاحمه ، والتي تفوّق بها على ضريبه هسيود ، تراه يلجأ إلى الأساطير يلون بها فصوله ، وليثير بغرابتها اشتياق سامعيه ، وليجدد فيهم الحماسة التي هي أولى غايات الملاحم . لذلك تراه يعقد مجالس الآلهة للتشاور فيما ينبغي أن تكون الوسيلة لنصرة فلان أو لخذلان فلان ، فإذا اجتمع شمل الأولمب فلا بأس أن تثور الحفائظ بين أرباب وأرباب وبين ربات وربات ، ولا بأس أن يُعيّر أحد الآلهة فلكان إله النار بما وقع بين زوجه فينوس وبين مارس إله الحرب من خطيئة وفسوق ... ولا بأس أن يدس هرمز أنفه في الموضوع فيصرح أن مارس معذور جد معذور فيما حدث له من الصبوة إلى فينوس ، وأنه أول من يشتهي أن يكون الذي وقع لمارس كان قد وقع له ...

وليس يرى هوميروس بأساً في أن ينزل الآلهة في معمعان الحرب ينافحون عن الأبطال الذين ينتمون إليهم ... ففي الكتاب العشرين من الإلياذة يستأذن الآلهة سيد الأولمب فينقسمون فريقين ، فتكون هيرا وميترفا وهرمز وفلكان في صفوف الإغريق ، وينحاز أبولو ومارس وديانا وفينوس إلى صفوف الطرواديين ... فإذا ثار النقع ، واضطرمت الحرب ، والتقى أخيل وهكتور (الكتاب العشرين) وقعقعا بالسلاح ، وأوشك هكتور أن يظفر ببطل أبطال اليونان عند ما يسقط رمحه ... تتقدم ميترفا فجأة وعلى عجل فتأخذ الرمح من فوق الأرض وتناوله لأخيل فتنقذه من قتلة لم يكن فيها شك ولا عنها متحول ... وهي تفعل مثل ذلك في الكتاب الثاني والعشرين فتنقذ أخيل وتمهد له بذلك فيقتل هيكتور ... ومع أن ميترفا هي ربة الحكمة في الميثولوجيا اليونانية فهوميروس في هذا الموقف ينحط بها إلى أسفل مراتب الإنسان لأنها تكون سبباً في قتل رجل عظيم مثل هكتور يدافع عن وطنه ويذود عن حمى بلاده ... وهي لا تتسبب في قتله فقط بل تحرمه فرصة نادرة أوشك أن يبطش فيها بأخيل

وليتها فعلت كما صنع نبتيون في الكتاب العشرين حينما أنقذ إينياس من رمح أخيل مرتين حتى لا يغضب زيوس كبير الآلهة على بطل الإغريق (١)

هوميروس يزخرف الإلياذة بمثل تلك الأساطير ليقطع تسلسل المعارك ، وليتقي سأم السامعين ، وليجدد حماستهم ، وهو في ذلك أستاذ أرباب المسرح من أمثال شاكسبير وموليير . . . وهو لا تعييه حيلة في اختراع ما يخفف وطأة الحزن إذا استعرت نيرانه في قلوب الناس حوله ، فلا بأس عنده إذن من أن يترك جدث بتروكلوس ويقيم حفلاً أولمبيا للألعاب يشترك فيه أبطال الحرب فينافس بعضهم بعضاً فيتسابقون ويتلاكمون ويصطرعون ويقذفون القرص ويرمون الطوق ويحملون الأثقال ويسابقون على الخيل .. وتكون حفلة باهرة كأحسن ما شهد العالم الحديث في أولمبياد برلين . . . ثم ينهض أخيل المحزون المرزأ ، في إثر كل مباراة ، فيوزع الجوائز السنية على الفائزين (الكتاب الثالث والعشرين)

وقارئ الإلياذة يتولاه العجب وتأخذه الدهشة لبراعة هوميروس الأعمى في الوصف . . . فكأس نسطور في الكتاب الحادي عشر ، ودرع هكتور في الكتاب السادس ، والنقوش الأخاذة التي حفرت في درع أخيل ، والستر الأزرق الجميل في قصر ألكينوس ، وشروق الشمس وغروبها ، وتكاثف الضباب ، والنقع المثار فوق المعمعة . . . كل هذه آيات من الوصف الدقيق الذي يشهد لهوميروس بملكة فنية قوية تتجلى في أكثر أنحاء

(١) في هذا الكتاب أيضا ينقذ أبولو هكتور من يدي أخيل

منظومته ، وتربك المترجم خاصة [١] حتى يستعصى عليه أن يساير هوميروس ، ملك الشعراء ، الذى تراه فيما ينظم مصوراً ورساماً وقائد جيوش وإلـهاً وسحاباً وبرقاً ورعداً وحداداً .. ثم جزاراً وشواء ... ثم راهباً وواعظاً وما شئت من فنون الحياة التى لا حصر لها ...

لقد يتهم الإنسان لغته وهو يترجم هوميروس ... فهو لا يدرى كيف ينقل كلامه وهو يصف الرجل يتل الشاة ثم يذبحها ثم يسلخها ثم (يوضّبها !) ثم يشعل النار ثم يؤججها ثم ينثر فيها من أعواد الند والرند والصندل ثم يلقى فيها بالقراميد ثم يقطع اللحم ثم ينتشر القُتار (رائحة اللحم المشوى) ... ثم ... ثم ...

حقاً إن فى كتب فقه اللغة ما يعين المترجم على كل هـذا ، لـكن المترجم يغازل الذوق العام للقراء وهو ينقل آثار الأعاجم ، وهو إذا قسا على هذا الذوق أعرض عنه ، ولم يلتفت إليه ، وذوق القراء عندنا ذوق كسول لا يجب أن يُرهق بما حُشد فى كتب فقه اللغة ، لأن أكثر ما فى هذه الـكتب حوشى وقد هجر استعماله ، والمترجم لا يستعمله إلا إذا ضاقت به الحيل ، ولم يستطع أن ينحت من الـكلمات الحديثة السائغة ما ينزل برداً وسلاماً على القراء .

***

وبعد فأى الملحمتين أثرت فى نهضة الأدب المسرحى اليونانى أكثر من الأخرى ، الإلياذة ، أم الأوديسة ؟

لقد أشرنا إلى ما قيل من أن هوميروس قد نظم الإلياذة للرجل ، كما نظم الأوديسة للمرأة . الإلياذة التى تفيض بذكر الحروب ووصف المعامع ومقادير الأبطال فى أولئك جميعاً ، والأوديسة التى هى قضية زوجة وفية غاب عنها زوجها حتى ظن أنه غير آيب وحتى طمع فيها كل طامع ، لأنها تفردت بين نساء زمانها بالحسن الذى لا يغيره مرور الأيام ولا ينال منه تطاول الزمان

نظم هوميروس الإلياذة لتكون مثالاً للرجال يحتذونه ... إذ ينبغى أن يكون الرجال شجعاناً . ينبغى أن تثور فيهم النخوة إذا تعرض رجل نذل مثل باريس لامرأة أحـد منهم بسوء فيقوموا كرجل واحد ويجتمعوا من كل حدب وصوب ليردعوا من نالهم بالأذى فى أعراضهم ، ولو شبوها ضراماً ، وَصَلَوْها أعواماً ...

ونظم هوميروس الأوديسة للنساء مثالاً رائعاً من الوفاء يحتذينه... إذ ينبغى أن يكون النساء وفيات لأزواجهن فلا يفرطن فى أعراضهن ، ولا يستسلمن للمقادير إذا عارضت شرفهن . لقد غاب أودسيوس زمناً طويلاً ، واجتمع عشاق بنلوب فى قصره يراودون زوجه ويأكلون زاده ويهينون ولده ، ومع ذلك فلم تضعف بنلوب ، بل احتالت للطاغين العتاة ، وصابرت ، وضربت بعضهم ببعض حتى آب زوجها فخضد شوكتهم واستأصل شأفتهم

فالإلياذة خشنة كخشونة الرجال ، والأوديسة لطيفة رقيقة فيها كثير جداً من رقة النساء ... وهى رقة جعلت صمويل بطلر الأديب الانجليزى العظيم يؤمن بأن هوميروس لم ينظم الأوديسة ولم يعرفها ولا تمت إليه بسبب ، وبأنها من نظم فتاة من جزيرة صقلية استطاعت أن تدرس هوميروس والميثولوجيا اليونانية دراسة هادئة ثم فرغت لنظم الأوديسة فأتمت عملها فى سهولة وفى يسر ، وأخرجت هذه الدرة الفريدة التى تسمو فى كثير من فصولها إلى ذروة الإلياذة

لشد ما يدهش المرء لهذه الفكرة الغريبة التى قذف بها منطق بطلر ! إن كثيراً من القرائن يؤيد هذا الرأى ، بيد أننا لا نميل كثيراً إلى الأخذ به لأن الأخذ به شرود خطير مبالغ فيه عن حيز الأدب اليونانى القديم ، وقليل من الاستقراء فى المآسى التى ألفت بعد هوميروس تهدم رأى بطلر وآراء الذين تشككوا فى صحة نسبة الأوديسة إلى هوميروس ، فثلاثية إسخيلوس (الأورستيه) مثلاً والتى تتركب من مآسيه أجاممنون وحاملات الـكئوس والأيومينيدز قد أشير إليها فى الأوديسة (الـكتاب الحادى عشر) إذ يقص أوديسيوس على ألـكينوس الملك رحلته إلى هيدز (الدار الآخرة) وما تحدث إليه به الـكاهن تيرزياس عن أوبة أجاممنون ، وما حدث له من الغيلة على يدى زوجته كليتمنسترا وعشيقها إيجستوس ثم ما كان من ثأر الفتى أودست لأبيه وقتله أمه ... الخ

فهذه الثلاثية التى أخذها إسخيلوس من الأوديسة وقدمها للمسرح تنقض وحدها دعوى الأديب بطلر ، لأن الفتاة الصقلية التى يزعم أنها نظمت الأوديسة لم تكن قد وجدت بعد

(١) إقرأ مقدمات مترجمى هوميروس كوبر ولورد دربى وتشابمان وبوب

وقد جاء سوفوكلس فوضع مسرحيات كثيرة معظمها مفقود بكل أسف متخذاً موضوعاتها من صميم الأوديسة ، ومما وصل إلينا من أسمائها تلك المسرحية الجميلة المسماة نوزيكا ، وقد أخذ فكرتها من الكتاب السادس ، وهى المسرحية التى يُروى أن سوفوكلس نفسه قد قام فيها بتمثيل دور الفتاة نوزيكا ابنة الملك ألكينوس حينما ذهبت إلى شاطئ البحر فى سرب من وصيفاتها تغسل أثواب عرسها وتنشرها فى الشمس فوق أغصان أشجار الغابة التى كان أوديسيوس مختبئاً فيها بعد نجاته من الغرق

وهناك أدلة كثيرة تهدم ما رآه بطلر خطأ فى نسبة الأوديسة إلى مؤلف غير هوميروس ولم أعثر فى الكتب التى درست فيها ملك الشعراء من يوافق الأديب الأنجليزى على وجهة نظره هذه

والذى يقرأ مآسى اليونانيين القديمة يلاحظ أن الشعراء قد عنوا بالإلياذة أكثر مما عنوا بالأوديسة ، فأخذوا من الأولى أضعاف ما أخذوا من الثانية . وقد لا يكون بعيداً أن إسخيلوس قد أخذ من الإلياذة ستين مأساة على أقل تقدير من الثمانين التى ألفها والتى قال فيها إنها فتات من موائد هوميروس الغنية ... وكذلك أخذ سوفوكلس مادة مآسيه فى أكثر ما وضع للمسرح

والإلياذة حقيقة بهذا الالتفات من شعراء اليونان ، فهى النهر العظيم الجياش المتدفق الذى تفرعت منه الأوديسة والإلياذة الصغيرة والإلياذات الكثيرة التى ألفها شعراء القرن الثالث قبل الميلاد فى كل من أثينا والأسكندرية ، والتى لا نستطيع هنا أن نحصرها ، بل أن نتكلم عنها

* * *

وليس من شك فى أن شخصية أخيل هى أبرع شخصيات الإلياذة . ولا غرو ، فقد سمى هوميروس إلياذته « قصيدة غضب أخيل !! » . وروح أخيل هى كهرباء الحماسة فى الإلياذة من أولها إلى آخرها

أنظر إليه وقد ذهبت به أمه إلى نهر الخلود تغطه[1] فيه حتى لا ينفذ فى جسمه رمح ولا سهم من رماح الحرب أو سهامها لأن لماء هذا النهر ذاك الفعل العجيب ! وانظر إليه كيف يبتل جسمه كله ما عدا عقبه ... ثم يكبر أخيل ويشب ويصبح بطل أبطال اليونان ، ثم تكون حروب طروادة فيمضى إليها بخيله ورجله ، ويقتل الأبطال الصناديد ، ثم يصوب إليه باريس سهماً من سهامه يقر فى العقب التى تبتل بماء نهر الخلود فيكون فيه حتفه !

وانظر إليه يختلف ، وأجاممنون من أجل الجارية بريسيز التى هويها أخيل وعلقها قلبه فيرفض أن يغشى المعركة ، ويعتزلها وجنوده الميرميدون ، فتدور بذلك الدائرة على جيوش اليونان ولا يغنيها أن يكون فى صفوفها الأبطال المغاوير أودسيوس وأجاكس وديوميدز ومن إليهم ... وأنظر إليه يكامه بتروكلوس فى نصرة بنى جلدته حين يعز عليه أن يصطلمهم أبطال طروادة فيأذن له ، ويضفى عليه درعه العظيمة التى ذهبت أمه فصنعتها له عند فلكان الحداد ... ويذهب بتروكلوس فيكسر شوكة الطرواديين ويصيبهم القرح على يديه وأيدى الميرميدون جنود أخيل .

وانظر إلى أجاممنون يعتذر إليه ويرد عليه بريسيز ويقسم له أنه لم يطمثها ولم يمسسها بسوء . وانظر إلى أخيل لا يفئ ولا يلين ولا ينهض لحرب الطرواديين ، فيغضب الآلهة ويسخط أرباب الأولمب ويخرق الشرائع وقوانين الأخلاق ، فتكون النتيجة أن يُقتل بتروكلوس الحبيب العزيز

وانظر إلى أخيل كيف تسود الدنيا فى عينيه حزناً على بتروكلوس فيمضى إلى المعمعة فيصرع أبطال طروادة ويجول فيها ويصول ويزأر ويزمجر ويطويها كالعاصفة . . . ثم انظر إليه يظفر بهكتور قاتل بتروكلوس فيصرعه ويجره خلف عربته ويدور حول طروادة غير موقر قدس الموت ولا حافل بتقاليد السماء

ثم قف عند أروع مناظر الإلياذة جميعاً : بريام الحزين ! والد هكتور ! هذا الرجل المحطم يمضى وحده إلى أخيل باكياً ضارعاً متوسلاً ، يرجو الرجل الذى قتل أولاده فى أن يدع له جثمان هكتور ليشفى بالبكاء عليه جوى نفسه ، وليطفئ بتحريقه السعير المضطرم بين جوانحه ، فيعصف الحزن بأخيل العظيم ، ويعانق الرجل العظيم ، ويتبادلان البكاء ، ثم يأذن له بيدن ولده ...

هنا نبل هوميروس ، وهنا إنسانيته وسموه ، وهنا فرق ما بينه وبين قصاصينا الذين يشتركون مع سامعيهم فى السخط على بطل الناحية الثانية

دريني خشبة

(١) غطه فى الماء غمسه فيه وغطسه بالتشديد

الإســـلام دين تبشيرى

للمستشرق الإنجليزى توماس أرنولد

للأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى
أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية أصول الدين

كان المرحوم السير توماس أرنولد المتوفى فى التاسع من يونية سنة ١٩٣٠ — أستاذاً للغة العربية فى جامعة لندن، وكان واسع الاطلاع فى علوم الدين الاسلامى واللغة العربية ، وأهم مؤلفاته كتاب: «الدعاية الاسلامية The Preaching of Islam» . وهو بحث عظيم الخطر جليل القيمة فى تاريخ انتشار الدين الاسلامى. طبع المرة الأولى سنة ١٨٩٦ ، وأعيد طبعه سنة ١٩١٣ ؛ ثم طبع بعد وفاة المؤلف طبعة ثالثة سنة ١٩٣٥ كتب مقدمتها المستشرق العلامة (رينولد نيكولسن) . وأهم ما يلفت النظر فى هذا الكتاب هدوء البحث ، وسلامة التفكير ، وعدم التحيز . ولا غرو فقد كان مؤلفه من أكثر المستشرقين اعتدالا وأصدقهم نظراً وأكثرهم تجرداً من النزعات التعصبية ، وهذا جعل لكتاباته فى الموضوعات الاسلامية أهمية خاصة ، ونحن نكتفى بهذا التعريف القصير لنقدم لقراء (الرسالة) ترجمة الفصل الأول من هذا الكتاب القيم ، وهذا الفصل يعتبر مقدمة لما تناوله المؤلف بالبحث فى بقية فصول الكتاب ، وسنوافى الرسالة بترجمة الفصول الأخرى تباعاً ، كما أننا سنعد دراسات أخرى لمآخذنا على بعض آراء المؤلف «ع.س»

برح الخفاء منــذ ألقى الأستاذ ماكس مولر Max Müller محاضرته بكنيسة وستمنستر يوم الشفاعة للجماعات التبشيرية فى ديسمبر سنة ١٨٧٣ . وأسفر الموقف عن أن الديانات الست العالمية العظيمة يمكن تقسيمها إلى تبشيرية وغير تبشيرية . فالنوع الثــانى تنضــوى تحت لوائه اليهودية والبراهمية والزرادشتية . ويضم النوع الأول البوذية والمسيحية والإسلام . ولقد حدد الأستاذ فى وضوح ما اصطلح على تسميتها (ديانة تبشيرية) فقال : إن معناها أن يكون نشرها وإدخال الكفار فيها قدسا إلى مرتبة الواجب القدسى فى نظر منشئ الديانة أو خلفائه الأولين ... إنها روح اليقين فى نفوس المؤمنين لا يقر قرارها حتى تنبعث فكرة فقولاً فعملاً ، ولا ترضى وتطمئن حتى تبلغ رسالتها إلى كل نفس إنسانية ، وحتى يؤمن بما آمنت به أفراد البشرية جميعاً (١)

ومثل هذه الغيرة التى بدت من المسلمين لتشهد على صدق دينهم هى التى حفزتهم على أن يحملوا رسالة الإسلام إلى كل أرض ينفذون إليها ، وهى التى جعلت لدينهم بحق تلك المكانة بين الديانات التى نطلق عليها (الديانات التبشيرية) . وتاريخ نشأة هذه الغيرة التبشيرية والقوى الدافعة إليها وطرائق نشاطها كلها موضوع الصحائف القادمة ، ولا ريب فى أن أولئك المائتى مليون من المسلمين المنتشرين اليوم فى الأرض دليل جهاد هذه الروح طوال القرون الثلاثة عشر الماضية .

وأعلن تعاليم هذا الدين لأول مرة فى القرن السابع عشر على أهل بلاد العرب نبى انضوت تحت لوائه قبائلها المتفرقة فأضحت شعباً واحداً ، ثم دبت فيهم الروح القومية الجديدة فملأتهم حياة ونشاطاً ، ثم سرت فى جيوشهم حماسة وغيرة فملأتاها بأساً وقوة لا مرد لها ، وبهذه العدة كلها خرج المسلمون إلى القارات الثلاث يفتحون البلاد ويخضعون العباد ، فاستولوا فى أول الأمر على سوريا وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا وبلاد فارس ، وانطلقوا بعد هذا غرباً إلى أسبانيا وشرقاً إلى ما وراء الأندوسيا ، ولم يمض على وفاة النبى مائة عام حتى وجد المسلمون أنفسهم سادة امبراطورية أوسع رقعة من امبراطورية روما فى أوج قوتها

ورغم أن هــذه الأمبراطورية قد تصدعت فيما بعد وانهارت قوة الإسلام السياسية فإن فتوحه الروحيــة قد بقيت لا تحول دون سبيلها الحوائل . نعم أغار المغول على بغداد سنة ١٢٥٨ وسلبوها ، وأغرقوا فى الدماء مجد العباسيين وقد ذبل عوده وحال لونه ، وقام النصارى فى الأندلس وعلى رأسهم فرديناند صاحب ليون وقشتالة فطردوا المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦ ، ودفعت غرناطة آخر حصن للمسلمين فى الأندلس الجزية للملك المسيحى . كان ذلك كله يجرى والمسلمون يضعون أقدامهم فى أرض جديدة يدخلون أهلها فى دين الله ، تلك هى جزيرة سومطرة ، ثم كانوا على وشك أن يبدأوا تقدمهم الموفق فى جزائر أرخبيل الملايو ، وهكذا يقوم الإسلام فى ساعات انهياره السياسى بطائفة من أعظم غزواته الروحيــة . وفى التاريخ ظرفان خطيران وطىء فيهما الكفار بأقدامهم أعناق المسلمين ، أولهما : حين دهمهم الأتراك

(١) تعليق على مقالة (المستر لايال = Mr. Layall) التى عنوانها (الديانات التبشيرية) فى مجلة فورتنيتلى ريفيو = Fortnightly Review) عدد يولية سنة ١٨٧٤

السلاجقة فى القرن الحادى عشر ؛ والثانى حين غزاهم المغول فى القرن الثالث عشر . ورغم أن الغزاة أخضعوا المسلمين لسلطانهم السياسى فى كلتا الحالتين فإنهم خضعوا لسلطان الدين الإسلامى ورضوه دينا لأنفسهم . وفى مرة أخرى نجد المبشرين المسلمين فى غير اعتماد على سلطان الحكم وصولة الجيوش يحملون الدين الإسلامى إلى أواسط أفريقيا والصين وجزائر الهند الشرقية .

واليوم يمتد نطاق الإسلام من مراكش إلى زنجبـار ، ومن سيراليون إلى سيبيريا والصين، ومن البوسنة إلى غيانة الجديدة . ولو أننا تركنا البلاد الإسلامية البحتة أو التى يسكنها عدد كبير من المسلمين كالروسيا والصين ، وجاوزنا حدودها إلى البلاد التى لم تؤمن بالإسلام لوجدنا بها بعض الجماعات الإسلامية القليلة العدد المحدودة الكيان تشهد على قيام الإسلام بين من كفروا بدعوته . ومن أمثلة ذلك لتوانيا التى يعيش فيها مسلمون من أصل تترى يتكلمون اللغة البولندية ويسكنون أقاليم كوفنو وفلنو وجردونو [1] ، وكذلك المسلمون الذين يتخاطبون باللغة الهولندية فى مدينة الرأس ، كذلك أجراء الهنود الذين حملوا معهم الدين الإسلامى إلى جزر الهند الغربية وغيانا البريطانية والهولندية ، وأخيراً نجد للاسلام أنصاراً فى انجلترا وشمـال أمريكا واستراليا واليابان ...

ويرجع انتشار الإسلام فى تلك المساحات الواسعة على ظهر الأرض إلى أسباب كثيرة اجتماعية وسياسية ودينية ، ولـكن من أهم العوامل التى أحدثت هـذه النتيجة المثيرة للاعجاب جهود المبشرين المسلمين المتتابعة ، وهؤلاء اقتدوا بالنبي (ص) نفسه فضحوا بحياتهم معه فى سبيل إدخال الكفار فى دينهم .

ولم يكن واجب الدعوة إلى الدين فكرة متأخرة فى تاريخ الإسلام ، بل كان أمراً محتوماً على المؤمنين من أول الأمر ، يدل على ذلك ما نسوقه إليك من آيات القرآن المرتبة ترتيباً زمنيا بحسب نزولها :

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (س ١٦) (١٢٦)

(١) (ركليس = Reclus المجلد الخامس صحيفة ٤٣٢ و (جازتوت Gasztowtt صحيفة ٣٢٠

« وإن الذين أورثوا الـكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولـكم أعمالـكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير » (س ٤٢) ، (١٥ — ١٦)

ونجد نذراً كثيرة كهذه فى السور المدنية التى نزلت ومحمد على رأس جيش عظيم وهو فى منتهى قوته ، نسوق منها ما يأتى :

« وقل للذين أوتوا الـكتاب والأميين أأسلمتم ؛ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » (س ٣) (٢١)

« ... كذلك يبين الله لـكم آياته لعلـكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (س ٣) (١٠٤ — ١٠٥)

« لـكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم . وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » (س ٢٢) (٦٨ — ٦٩)

والآيات الآتية مأخوذة من السورة التى تعتبر على وجه الإطلاق آخر ما نزل من القرآن :

« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » (س ٩) (٨)

إذاً فالإسلام منذ نشوئه دين تبشيرى من الوجهتين النظرية والعملية ؛ وحياة محمد مثل لهذا المبدأ التبشيرى ، كما أن النبى نفسه قد ظهر على رأس جماعات تبشيرية عديدة نجحت فى إدخال الـكفار فى الإسلام . ولا يصح فوق هذ أن نغتنم الأداة على الروح التبشيرية فى الإسلام فيما قام به أهل الاضطهاد من ضروب العنف والقسوة ، أو أن نبتغيها فى جهاد هذه الشخصية التى تكاد تكون إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة ، شخصية المحارب المسلم يحمل سيفه فى إحدى يديه ويحمل القرآن فى الأخرى [1] ؛ وإنما يجب

(١) نشأ هـذا التشويه لحروب المسلمين عن افتراض أن غزوهم لبلاد الـكفار تضمن أن الغرض تحويلهم إلى الاسلام ، ولقد أوضح (جولد زيهر) هذا التمييز بين الأمرين فى كتابه (Vorlesungen über den Islam)

أن نلتمسها فيما بذله المبشر والتاجر من جهد هادئ بعيد عن الفضول ، فحملا دينهما إلى كل مكان على وجه الأرض . ويريدنا البعض أن نحذو مثالهم فى الاعتقاد بأن المسلمين لم يلجأوا إلى مثل هذه الطرق السلمية فى التبشير والإقناع إلا حين أقعدتهم الظروف السياسية فجعلت من المستحيل أو من غير الكياسة استعمال العنف والقوة ، ولكن الحقيقة أن القرآن فى كثير من الآيات يحض على الرفق فى الدعوة ؛ ومن أمثلة ذلك :

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً . وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلاً » (س٧٣) (١١ — ١٢)

« إلا بلاغاً من الله ورسالاته » (س ٧٢) (٢٤)

« قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون » (س ٤٥) (١٣)

« وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ ، كذلك فعل الذين من قبلهم، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين » (س ١٦) (٣٦)

« فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين » (س ١٦) (٨٣)

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » (س ٢٩) (٤٧)

« فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ » (س ٤٢) (٤٩)

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (س ١٠) (١٠٠)

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (س ٣٤) (٢٩)

وليست أمثال هذه الوصايا قاصرة على السور المكية ، ولكنها تكثر كذلك فى السور التى نزلت فى المدينة . ومن أمثلتها ما يأتى :

« لا إكراه فى الدين » (س ٢) (٢٥٦)

« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين » (س ٦٤) (١٣)

« قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمّل وعليكم ما حملتم ، وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين » (س ٢٤) (٥٥)

« قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين » (س ٢٢) (٥٠)

« إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً » (س ٤٨) (٩ - ١٠)

« ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين » (س ٥) (١٥)

والغاية من كتابة الصحائف الآتية أن نبين كيف تحققت هذه المثل فى التاريخ ، وكيف تناول الداعون إلى الإسلام تلك المبادئ التى تعتزى إلى النشاط التبشيرى فجعلوا منها أموراً عملية ، كما أود فى بداءة البحث أن يفهم القارئ فى وضوح أننى ما قصدت من وضع هذا الكتاب أن أدون تاريخ العنف والاضطهاد فى الإسلام ، وإنما قصدت أن أدون تاريخ التبشير الإسلامى . وليس غرضى من تأليفه أن أتناول الظروف التى تحوّل الناس فيها إلى الإسلام بوسائل الإكراه والقسر — وهى مبعثرة هنا وهناك فى صحائف التاريخ الإسلامى — فقد أمعن الكتاب الأوربيون فى التنقير عنها والتهويل فى تدوينها على وجه لا يخشى معه من نسيانها ، ثم هى لا تدخل على وجه الدقة فى نطاق تاريخ التبشير الإسلامى . فلنتجاوز هذا إلى تاريخ التبشير المسيحى ، وفى بطونه نتوقع بطبيعة الحال أن نقرأ عن الجهود التى بذلها القديس ليدجار Liudger والقديس ويلهاد Willehad بين الوثنيين السكسون أكثر مما نقرأ عن حالات التنصير التى أمر شارلمان أن تكون ، فكانت تحت قراع الرماح ورنين القسى ، فى جو من الرهبة تداعت فيه الأصوات وتجاوبت الأصداء[1] . كذلك الحال فى الدانمرك فقد اجتث ملكها كنوت Cnut الوثنية من بلاده بحد السيف ، ولكن بالرغم من هذا فالقديس أنسجار St. Ansgar وخلفاؤه هم الممثلون الصادقون للتبشير بالنصرانية هناك . وفى بروسيا يمثل التبشير بالمسيحية القسيس جو تفريد

(١) راجع حوليات انهاردى فولدنسيس (Enhardi Fuldensis) سنة ٧٧٧ م وراجع كتاب (Monumenta Germanicæ Historica) تأليف (G. H. Petz) المجلد الأول صحيفة ٣٤٩ وراجع أيضاً صحيفتى ١٥٦ ، ١٥٩ من نفس الكتاب .

والأسقف كرستيان برغم ما منيا به من الفشل فى كسب الوثنيين البروسيين إلى دينهم، وبالرغم مما كتب من التوفيق لجماعة (إخوان السيف) وبقية الصليبيين الذين تيسر لهم أن يتموا بقوة النار والحديد ما بدأه جوتفريد وكرستيان. وفى ليفونيا نهضت طائفة من الفرسان تدعى (جماعة الاخوان المسيحيين الحربيين) بإدخال أهل هذه البلاد فى النصرانية بوسائل الحرب والقسر، ومع ما اقترن بجهدهم من الضناء والعناء فالراهبان مينهارد وتيودوريك هما بحق رسولا المسيحية إلى هذه البلاد. ولقد لجأ الجزويت أحياناً إلى وسائل الارهاب والعنف[1]، ولكن هذا لا يحط من قدر المآثر التى كسبها أمثال القديس (فرانسيس اكسافيير) والمبشرين الآخرين من الجزويت. ولا يقل عن أولئك كل ما يعزى إلى (فالنتين) رسول جزيرة أمبوينا إذ صدرت الأوامر سنة ١٦٩٩ لكل راجا من حكامها أن يعد عدداً من الوثنيين يتنصرون على يد هذا الرسول فى إحدى جولاته فى الجزيرة[2]

وتبدو حركة التبشير فى تاريخ الكنيسة المسيحية متقطعة غير متصلة، فهذا عصر انتعاش وحماسة فى التبشير يعقبه عصر بلادة وجمود، وذاك عصر تحل فيه وسائل الإرهاب والقسوة محل وسائل الإرشاد والدعة. وهذا بعينه هو شأن الدعاية فى الإسلام تنساق إلى المد، ثم لا تلبث أن تستطرد إلى الجزر. ولكن لما كانت الحماسة التبشيرية فى كلتا الديانتين ظاهرة متميزة، فتاريخ الدعاية فى كل منهما حرىٌّ بأن يكون موضوع درس مستقل. وليس معنى هذا أن نبعد عنه بقية المظاهر الأخرى للحياة الدينية، ولكن معناه أن نفرغ جهدنا فى واحد من هذه المظاهر له مميزاته الخاصة. إذاً فتاريخ الدعاية وتاريخ الاضطهاد يجب أن يدرس كل منهما درساً مستقلاً بعيداً عن الآخر، سواء أكان ذلك فى تاريخ الكنيسة المسيحية أو فى تاريخ الديانة الإسلامية رغم ما حدث من تلازمهما فى بعض الظروف فى كلتا الديانتين، ذلك لأن الدين المسيحى لم يستفض هذه الاستفاضة وينتشر هذا الانتشار فى كل الظروف بمثل الوسائل التى استخدمها فى فيكين Viken جنوب النرويج الملك أولاف تريجفسون Olaf Trygvesson الذى عمد إلى من رفضوا الدخول فى المسيحية فذبحهم أو قطع أيديهم وأقدامهم أو نفاهم خارج بلاده، وبهذا نشر النصرانية فى كل أنحاء فيكين[1]. كذلك لم تكن نصيحة القديس لويس مبدأ يسير عليه المبشرون النصارى، تلك النصيحة التى يقول فيها: «إذا سمع أحد العوام شخصاً يطعن فى الشرع المسيحى، فلن يذبّ عن دينه إلا بسيفه، وليوغل بذلك السيف فى أحشاء الكافر إلى أبعد مدى يستطيع[2]»

ونجد بالمثل جماعات تبشيرية إسلاميه لم تستن تلك السنة البربرية التى عبر عنها مروان آخر الخلفاء الأمويين بقوله: «من لم يدخل من أهل مصر فى دينى ويصل كما أصلى ويتبع مذهبى لأقتله وأصلبنه[3]»

كذلك لن نعتبر المتوكل والحاكم وتيبو سلطان أصدق أمثلة المبشرين المسلمين لنخرج من الميدان أمثال مولانا إبراهيم الداعى إلى الإسلام فى جاوة وخواجة معين الدين ششتى فى الهند وغيرهم ممن لا يحصيهم العد وكان لهم فضل فى إدخال الناس فى الإسلام عن طريق الهدى والإرشاد السلمى وحدهما

ولكن بالرغم من أنه يمكن وضع فاصل للتمييز بين اعتناق الدين عن طريق الاضطهاد والعنف وبين اعتناقه نتيجة الإرشاد والدعاية السلمية، فإنه ليس يسيراً أن نتحقق الدوافع التى حملت الشخص على أن يستبدل بدينه القديم ديناً آخر. كذلك ليس من السهل أن يتجلى لنا إذا كان المبشرون بالدين قد تساموا إلى حد اعتبار الدعوة الدينية واجباً روحياً مقدساً، واسترشدوا بالمثل الأعلى الذى أوضحناه فى الفقرة الأولى من هذا الفصل،

---

(١) راجع كتاب (تاريخ النصرانية بين الهنود) تأليف (ماتورين فيسبير دلا كروز صحيفة ٥٢٩ — ٥٣١) طبعة لاهاي سنة ١٧٢٤

(٢) مجلة تاريخ الأديان (Revue d'histoire des Religions) المجلد الحادى عشر صحيفة ٨٩

(١) كتاب الأستاذ كونراد ،ورير (Die Bekehrung des norwegischen zum Christenthume) المجلد الأول صحيفة ٢٨٤ طبعة (München) سنة ١٨٥٥

(٢) كتاب تاريخ القديس لويس تأليف (جان سير دي جوانفيل) طبعة (N. de wailly) صحيفة ٣٠

(٣) كتاب (Severus) صحيفة ١٢١

فى كلتا الديانتين نجد نفوساً متحمسة تحل دينها محل الحقيقة العليا فى حياتها ، وقد وَجَدَ مثل ذلك الكلف الشديد بالشئون الروحية مخرجاً فى تلك الحماسة التى أدّت إلى اعتناق الحقائق الجزلة السديدة ، وإلى سيادة المذاهب والعقائد التى آمن الناس بصحتها ، وهذا كله مصدر القوة التى اشتدت بها عرى الحركات التبشيرية وثبتت قواعدها . وهناك قوم لم يعملوا أكثر من الاستجابة إلى دعوة الداعين ، ولكنهم اعتنقوا الدين الجديد بحماسة لا تقل عن حماسة الأولين ، وعلى نقيض هؤلاء وهؤلاء عرف الإسلام كما عرفت النصرانية قوماً آمنوا بكلتا الديانتين ، وكانت الشرائع الدينية لديهم مجرد ذرائع إلى ما يبتغون من الأغراض السياسية أو وسائل إلى ما يلتمسون من أوضاع للنظم الاجتماعية ، وهكذا اعتنق أولئك القوم دينهم الجديد على أنه ضرورة يخطرون أنفسهم عليها إخطاراً ، أو على أنها حلول مناسبة للمشاكل التى لم يعنوا بالتفكير فيها وإيجاد حلها بأنفسهم ، ومثل هؤلاء نجدهم على السواء فى كلتا الديانتين ، إذاً فقد اعتنق الاسلام كما اعتنق النصرانية فى ظل الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية قوم لا تصلهم صلة بهذه الحرقة الروحية ، وذلك الغليل النفسانى الذى يسهّد المبشرين الصادقين ، وفوق هذا فتاريخ الحركات التبشيرية وما يصادفها من الأحداث إنما يعنى عادة بتدوين حالات التحول من دين إلى آخر دون العناية بتحليل الدوافع التى حملت الناس على استبدال دينهم بغيره ، وتاريخ التبشير الاسلامى على وجه الخصوص يفتقر افتقاراً بيناً إلى المادة فى هذا الصدد لأن الأدب الإسلامى معوز إلى أخبار حالات التحول إلى الدين الإسلامى ، بينما اهتم أدب الكنيسة النصرانية بمثل هذه الحالات فى الدين المسيحى وأحلها منه محلاً رفيعاً ، وعلى هذا فنحن فى مجالتنا القادمة لموضوع النشاط التبشيرى الإسلامى لم نستطع الوصول إلى طبيعة العوامل التى حملت الناس على الدخول فى الاسلام ، سواء منها السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية البحتة ، ولو أننا استطعنا فى بعض الظروف أن نشير إشارات عرضية لما أحدثته بعض هذه العوامل من الآثار

عبد الفتاح السرنجاوى

قلت لنفسى ...

عجيبٌ أمر ابن آدم اليوم !! يكاد لا يعطف بعضه على بعض إلا المادة أو السطوة أو الشهوة ! أما أُلفة الجنس للجنس ، ومتعة الإنس بالإنس ، وإجابة الحس للحس ، فقد أصبحت فى هذا الزمان ، من الصفات الأثرية فى الإنسان .

كانوا يقولون إن الناس مع الزمان ، يقبلون متى أقبل ، ويدبرون متى أدبر . فكنا نقول : كان ذلك والزمان كلبٌ يجرى وراء سيده ، ما دام الرغيف فى يده . أما اليوم فالزمان إنسان حر مفكر لا يتبع إلا المبدأ ولا يطيع غير الضمير . ولكن الواقع وا أسفا علمنا أن الزمان لا يزال كلباً ، وأن المال لا يزال رباً ، وأن حكمة الأولين لا تزال صادقة !.

لى صديق من رءوس العراق المرفوعة بالفضل والنبل والكفاية ، كان وهو فى سلطان السيف وعزة القلم مرجع الرأى والهوى والحاجة . فلما نكبته فى نفسه وأهله السياسة العشواء الجموح ، تجرد كالسيف ، وتفرد كالأسد ، وأصبح فإذا الوجوه أقفاء ، والأنصار أعداء ، والأحياء فى دنياه موتى ؛ فلا رأس ينحنى ، ولا لسان يحيى ، ولا يد تصافح . وظل وحده يعالج مرارة الحزن والحرمان والغربة حتى صحا الدهر من غفوته ، ونهض الحظ من كبوته ، فعاد إلى الوزارة ، وعاد الناس إلى الزيارة ، وقال الوجه الذى عبس وأشاح ، واللسان الذى ذم ونم : والله يا مولانا لا يعدل حزننا لغيبتك ، إلا فرحنا بأوبتك ... ثم انعكست الصفات فى الصحف ، فصارت الخيانة أمانة ، والبلادة زكانة ، والعقوبة شهادة ...

ابن عبد الملك

على هامش الفلسفة

الحقـــائق الأخلاقية

للأستاذ محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

ليس من الحق برغم ما سقناه في الكلمة السابقة من الشواهد على اختلاف الآراء والأفكار الأخلاقيـة تبعاً لاختلاف الأمم والشعوب والزمان والمكان — ليس من الحق مع هذا كله أن ننكر أن هناك حقائق أخلاقية عامة سايرت العُصُر وسادت في جميع البيئات

ذلك أنه من السهل أن نلاحظ أن الناس على ما بينهم من اختلاف مرجعه الجنس والبيئة والزمن يمتثلون لما يعتقدونه واجباً على أوجه مختلفة، وقد تتباين كما رأينا أحياناً؛ ولكنهم جميعاً يقبلون في قرارة أنفسهم فكرة الواجب ويعتقدون أن بعض الأعمال أعلى خلقياً من البعض الآخر. الكل يعلم أنه يوجد خير وشر، ويحس الاحترام لبعض الناس والاحتقار لآخرين. الرجل الساذج في إفريقيا وأستراليا في خضوعه لتقاليده العجيبة وعده ذلك واجباً، والمجرم الذي لا يخلف ما وعـد بعمله من مآثم ومناكر، والذي يرى نفسه ملزماً من نفسه بعدم خيانة عصابته؛ أولئك جميعاً عندهم خلقية مشابهة في صورتها لا في مادتها ومحتواها لخلقية الرجل الفاضل من هذه الناحية، ما دام الجميع يرون القيام بالواجب أمراً مقضياً. ليس علينا إلا إثارة عقول هؤلاء المساكين الذين يخضعون هـذا الخضوع الأعمى لتلك التقاليد الظالمة، وتفهيمهم أي الأعمال تعتبر واجبات يجب أن يقوموا بها ويعدوا تنفيذها أمراً إلزامياً

هذا التحقق وهو أنه يوجد لدى جميع الناس بلا استثناء منذ ابتدأوا يفكرون ويعملون نظريات وعواطف أخلاقية، يجيز لنا أن نصف فكرة الواجب والخضوع له وعدّ من يقوم به خيّراً بأنهـا حقيقة أخلاقية عامة. ثم على رغم هذا الاختلاف الذي لا ريب فيه بين ما يسمى واجباً هنا وواجباً هناك، ليس من النادر أن نلاحظ تماثلاً بين بعض النظريات الأخلاقية لدى جميع الناس. إنه من العسير بل من المستحيل أن نذكر وسطاً أو عصراً يعتبر الجبن فيه أفضل من الشجاعة أو الظلم أفضل من العدالة. العدالة اختلف الناس في فهمها وطبقت بطرق متغايرة في الأمم المختلفة، هذا حق؛ ولكن الرجل العادل كان ولا يزال محترماً دائماً لعموم فكرة اعتبار العدالة فضيلة خلقية

الرجل الذي على الفطرة، بل الطفل الغرير، يقبل بطيبة خاطر عقاباً يعتقد عدالته، ويثور في نفسـه على عقاب يراه ظالماً. ذلك معناه تأصل فكرة العدالة لدى الجميع، العدالة العامة التي يحسها النـاس جميعاً ويحنون لها الرءوس إكباراً وإجلالاً، لا العدالة القانونية المدونة في بطون كتب القانون والتي تتغير بتغير البيئات. وفي هذا يقول مُونْتاني Montagne[1] الشاك الذي يرفض كل ما لم يقم عليه دليل لا ريب فيه: «العدالة في نفسها الطبيعية العامة، فيها من النبل ما ليس في العدالة الخاصة الأممية التي تنفذ عند الحاجة بسلطة الشرطة ورجال الأمن العام»

كذلك «فُولتير» نراه يدلل على عمومية عاطفة العدالة، بعد أن بحث الأمر بحثاً دقيقاً، بدليل مقنع إذ يقول: فكرة العدالة تظهر لي حقيقة من الطراز الأول، يقبلها الجميع ويشعرون بوجوب احترامها، حتى إن أكبر الجرائم نراها ترتكب تحت حجة باطلة من العدالة. الحرب، وهي أكبر الجرائم الهدامة التي تتعارض والغرض الإنساني النبيل وهو المساعدة والتساند، يجتهد في تبريرها من يشعل نارها أولاً بحجة الدفاع عن العدالة[2]»

لا أراني بحاجة لتدعيم هذا الرأي الذي يذكره «فولتير»، فالحوادث التي تتوالى أمام أعيننا منذ سبتمبر الماضي للآن تؤيد لأقصى حدود التأييد هذا الرأي. لقد أنذر هتلر العـالم بحرب ضروس دفاعاً عن السوديت وحقوقهم المهضومة كما زعم؛ واليوم يلعب هذه اللعبة موسيليني دفاعاً عن حريات الإيطاليين وحقوقهم ومصالحهم المهدرة في تونس وغيرها كما يقول! وقبل ذلك استعمر الشرق والأمم المستضعفة تحت ستار من العدالة أوهى من بيت العنكبوت!

وإذا كان من الحق اعتبار العـدالة حقيقة عامة أخلاقية فكذلك عاطفة الضيافة والكرم، تلك العاطفة السامية التي تنبئ

(١) أحد مشاهير الفلاسفة والأخلاقيين الفرنسيين (١٥٣٣ — ١٥٩٢ م) خلدته «Ses Essais» أي «التجارب» التي منها هذه الفقرة في الكتاب الثالث الفصل الأول.

(٢) من مؤلفه: «الفيلسوف الجاهل Le Philosophe ignorant»

بالإخاء الإنسانى ، نجدها ممدوحة موصى بها فى كل الأوساط والأزمان ؛ الأمم تعيّر بالبخل وتتمدح بالكرم إذا جدت دواعيه

وليس عجيباً أن ترى تقارباً بل اتفاقاً على كثير من الآراء والصفات الأخلاقية ؛ بل لعل العجيب ألا يكون مثل هــذا الاتفاق . ذلك أن الناس ، تقدم بهم الزمن أو تخلف ، السامى والآرى والشرقى والغربى والأسود والأبيض ، أى هم جميعاً لديهم معين للأخلاق يكاد يكون واحداً ، أو هو واحد فى أصله وإن اختلف فى بعض التطبيقات تبعاً لاختلاف الأزمان والبيئات ؛ ذلك المعين هو الضمير .

وفى هــذا يقول العلامة بارتلمى سانهلير مترجم أرسطو من اليونانية للفرنسية فى مقدمة كتاب الأخلاق لأرسطو : « ولنؤكد من غير أن نخشى الزلل أن حقائق علم الأخلاق فى الساعة الراهنة عند الأمم المتمدنة ليست منذ الآن محلاً للجدل بين النفوس الفاضلة ، وأن تلك الحقائق لا خوف عليها . يمكن أن يقع الجدل فى النظريات ، ولكن لأن سلوك الناس الأخيار هو فى الواقع واحد ، يلزم حتماً أن يكون بينهم قدر من الحق مشترك يستند إليه كل واحد منهم من غير أن يستطيع مع ذلك فى الغالب أن يقف غيره عليه ولا أن يدركه هو نفسه . ومن النادر أن يقع إجماع الآراء على طريقة بسط مذهب بعينه مهما أجيدت ومهما بلغت من الحق ، ولكن من الأفعال ما هو مقر عليه عند جميع الناس ؛ وبيّن أن هذا الإقرار العام سببه أن هذه الأفعال تابعة لمبادئ مسلمة عند الجميع ، وتقع على مقتضاها من حيث لا يشعر الفاعل لها فى غالب الأحيان »[1]

ثم يقول فى موضع آخر : غير أن قانون الأخلاق ليس قانوناً شخصياً بل هو قانون عام ، قد يكون فى ضمير أشد قوة وأكثر وضوحاً منه فى ضمير آخر ، ولكنه موجود فى كل الضمائر بدرجات تختلف قوة وضعفاً . إنه ليناجى جميع الناس بلهجة واحدة ، وإن كانت أفئدتهم لا تصغى إليه على السواء . ينتج من ذلك أن قانون الأخلاق ليس فقط قاعدة للفرد بل هو أيضاً العامل لوحدة الروابط الحقيقية التى تربط الفرد بأمثاله . لئن كانت الحاجات تقرب بين الناس فإن المنافع تباعد بينهم إذا لم تكن تذكى بينهم نار الحرب .

(١) كتاب الأخلاق لأرسطو ترجمة الأستاذ لطفى السيد باشا ص ٧

فلولا الاتحاد الأخلاقى لكانت الجمعية البشرية محالاً[1]

ولعمر الحق إن هذا لا يحتاج إلى أى تعليق لبيان صحة ما فيه من آراء .. فهناك كثير من المبادئ الأخلاقية مسلمة بشهادة الواقع من الجميع لصدورها عن معين واحد ، قد يختلف قليلاً أو كثيراً بعض الأحيان ، لكنه واحد على كل حال

على أن التاريخ يكشف لنا أمراً آخر يجب أن يكون موضع تقديرنا وأن نعلق عليه أهمية لها خطرها : المثل الأعلى الأخلاقى يقاسى الكثير من التقاليد فى بعض الأزمنة والبيئات ، هذه التقاليد التى تراها حجر عثرة فى طريق المصلحين دائماً . تصفح تاريخ أمة من الأمم تجد فى فترات مختلفة سعدت الإنسانية ببعض كبار الأحلام والفكر الراجح الذين كانت رسالاتهم معارضة للتقاليد الضيقة التى تسيطر فى أيامهم بمثل عليا رحبة صالحة للجميع . حقا إن الرأى العام كان يقف ضد هؤلاء العباقرة ، إلا أن المستقبل كان يحكم بأنهم على حق فيما بشروا به ، كما أن الإنسانية باركت هذه الثورات ، الثورات المدينة لها بخلقية أعلى وأفضل ، وأذاعت فى جنبات الأرض أن هؤلاء الذين ثاروا على التقاليد هم النبلاء المحسنون للانسانية عامة

ولعــل من الخير ومن الواجب أن نلاحظ أن تلك التقاليد الدينية أو الاجتماعية التى عارضها أولئك المصلحون كانت مختلفة أشد الاختلاف فيما بينها ، وأن هذه الآراء الأخلاقية ، والمثل التى كانوا يدعون لها فى الأزمنة المختلفة والبيئات المتعــددة تعطينا مشابهة مدهشــة عجيبة وانسجاماً خارقاً يجيز لنا أن نقدر أنهم كانوا يصدرون عن معين واحد فيما وقفوا أنفسهم على تحقيقه . وموعدنا ببيان ذلك الكلمة الآتية إن شاء الله .

محمد يوسف موسى

* * *

وقع خطأ فى مقالنا الذى نشر بالعدد ٢٩١ — المهارة فى الفن وصوابها : المهارة فى الفش .

(١) المرجع نفسه ص ١٦

استطلاع صحفى (ريبورتاج)

البحث العلمى فى كلية العلوم

جولة فى معاملها

« فى كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول نهضة علمية يسودها روح البحث والاكتشاف ويشرف عليها الأستاذ الرياضى الدكتور على مصطفى مشرفه بك عميد الكلية

وقد آثرنا أن نقدم لقرائنا نبذة قصيرة عما يدور بين جدران هذا المعهد من أبحاث ترفع رؤوسنا وتشعرنا بأننا نقدم للعلم نصيباً من البحث كأمة حية ناهضة »

معهد للبحث

فى الطابق الثانى من بناء كلية العلوم غرفة صغيرة هادئة ، تشاهد فيها دائماً شخصين ، أحدهما يواجه النافذة وينظر إلى مجهر يكبر له أنسجة النبات فيرسمها على قطعة من الورق ؛ بينما اختار الثانى لنفسه ركن الغرفة بعيداً عن الأيدى والأرجل ، فجهازه معقد طويل يتكون من عدة أوان زجاجية تتصل بآلة كهربائية تسجل درجات الحموضة أو القلوية فى التربة أو النبات

الأول هو الدكتور جريس والثانى هو الدكتور عبد الحليم منتصر ، يبحث الأول فى النباتات المصرية القديمة ومنها يعرف تاريخ الأمراض التى تصيب النباتات كما يعرف شيئاً عن التطور الذى تناول النباتات المصرية الحديثة ، ويقوم الثانى بتجاربه ليبين للناس خواص التربة المصرية ونباتاتها ، فقد صرف الدكتور منتصر كثيراً من وقته وعلمه حتى قدم عدة أبحاث عن تركيب التربة المصرية وعلاقتها بالنبات

وكلا الأستاذين من أعضاء هيئة التدريس فى كلية العلوم . فالأستاذ أو المدرس أو المعيد فى كلية العلوم لا يقصر همه على تلقين الطلاب بعض الدروس ؛ ولكنه مسئول أمام نفسه وأمام العلم أن يقدم للعالم بحثاً يدل على أنه يصرف وقته لمنفعة الانسانية ؛ ولذلك لا يكاد يمر شهر واحد حتى نرى بحثاً جديداً تنشره مجلات العالم العلمية التى يدل النشر فيها على أن البحث جديد على الناس وأن الباحث أضاف مادة جديدة تدعم مدنية المجتمع

الأدوات الأولية للبحث

ومهمة الأستاذ فى كلية العلوم تختلف عنها فى الكليات الأخرى ؛ فقد يقتصر الأستاذ فى كلية الآداب مثلاً على إلقاء المحاضرات وتلقين الطلاب مختلف أساليب البحث ، ولكن أستاذ كلية العلوم مطالب بأن يجعل من أبنائه علماء باحثين يكشفون أسرار الطبيعة ويظهرون للناس خواص المادة ، يهتمون بالمجهول أكثر مما يهتمون بالمعلوم . فعملهم هو إزاحة الستار عما غمض فهمه ، ولذلك قلما يهتم المدرس أو الأستاذ بما حصله تلاميذه من قوانين معروفة أو نظريات ثبت وجودها ، فإن هذين الشيئين يعتبران الأدوات التحضيرية للعمل فى كلية العلوم

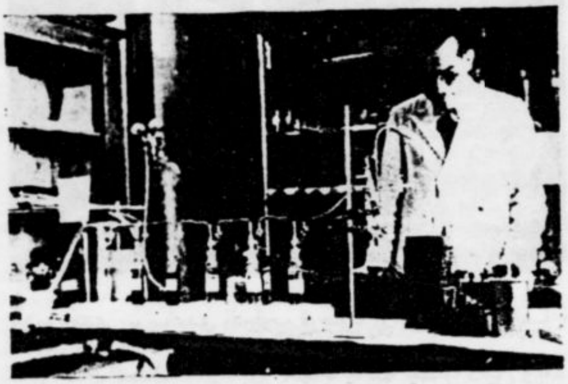

الدكتور عبد الحليم منتصر يسجل بجهازه الدقيق درجة الحموضة والقلوية فى التربة والنبات

ومقياس النجاح عند الأستاذ أن يرى طلبته يصلون إلى نتائج سريعة ، ولذلك يهتم بأن يدل كلا منهم على أفضل المراجع التى يلم فيها الطالب بموضوعه . وإذا قلنا المراجع فليس معنى هذا أن الأستاذ مستعد لأن يرشد تلميذه فى أى موضوع بل إنه مستعد لأن يقدم له المعونة والإرشاد فى الناحية التى تخصص فى دراستها. فقد اتسع مجال العلم حتى قسم إلى أقسام تجزأت إلى فروع والفروع إلى موضوعات . ولذلك يحتاج الباحث كثيراً أن يترك بلاده ومن فيها من أساتذة ليذهب إلى جهة معينة حيث يجد أستاذاً اختص فى نفس البحث الذى يقوم بتحقيقه . وهناك جامعات بكافة فروعها اشتهرت بالبحث فى موضوع واحد كما هى الحال فى إحدى جامعات انجلترا العظيمة التى أصبحت قاعدة لدراسة مادة الراديوم وخواصه

استقرار

وليس اتجاه جامعة من الجامعات إلى دراسة معينة من الأمور الهينة فهو يحتاج إلى استقرار الحياة فى تلك الجامعة مدة طويلة كما يحتاج إلى أساتذة ثابتين يضمنون مراكزهم إلى أن تأتى نهايتهم . فطبيعة البحث والاستقراء العلمى بطيئة يُحسد فيها العلماء على طول صبرهم . فهناك علماء قضوا طول حياتهم جادين وراء مبحث واحد . ولعلك تذكر ما ذكرناه فى عدد ماض من أن أحد أطبائنا صرف عشرين عاماً ليكشف أسباب مرض تضخم الطحال

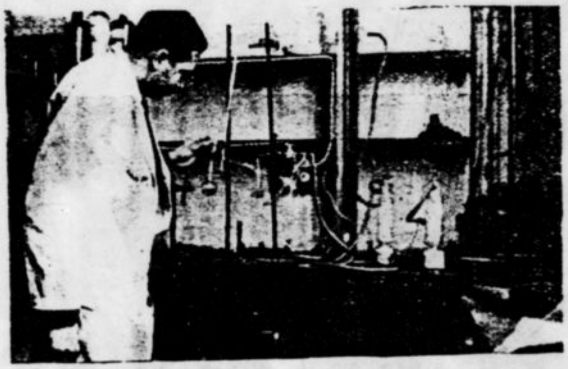

وديع افندى يقوم باحدى التجارب للوصول إلى أسهل طرق الصباغة

ويحتاج البحث العلمى إلى أجهزة خاصة بعضها دقيق وبعضها كثير التكاليف مما تعجز عن شرائه مالية الأفراد، ولذلك لا مفر من هيئات قوية تحمى تلك الأبحاث وترعاها حتى يجد العلماء واسطة يقدمون عن طريقها ما فى رءوسهم من جذوات تنير طريق المجتمع

وعدم الاستقرار هو الظاهرة السيئة المشاهدة فى كلية العلوم، فإن أكثر أساتذتها من الأجانب الذين يشتغلون بعقود محدودة الأجل . فلا يضمن الأستاذ بقاءه فى مصر أكثر من المدة التى نص عليها عقد استخدامه ، وهو لذلك ضنين بجهده أن يضيع فيما لا ينتج ، فقد يبدأ بحثه وينتهى عقد استخدامه وهو فى خطواته التمهيدية .

فمن الطبيعى لهذه الأسباب أن يقصر الأستاذ بحثه على موضوعات قصيرة سهلة التناول سريعة الفحص . ولا شك أن مجهود الأساتذة الأجانب مجهود مشكور ؛ إلا أن أبحاث كليتنا لن تتخصص إلا بعد أن ينعم كل أساتذتها بالاستقرار . وهذا لن يتحقق إلا إذا أصبح كل أساتذتها مصريين ، وأملنا عظيم فى أن يحل ذلك اليوم سريعاً . ففى كل معمل كيميائى أو نباتى تشاهد الأيدى المصرية تقوم بنصيبها لتقرن الغاية العلمية بالفكرة الوطنية فيسيطر المصريون على جامعتنا ليوجهوها إلى الناحية المقصودة

هيئة العلم

وتقوم الدراسات فى كلية العلوم على أساس البحث العلمى . فالطالب فى سنى الدراسة النظامية إلى أن يحصل على درجة البكالوريوس مطالب بأن يحقق نظريات معروفة ويختبر بنفسه عمليات فرغ منها سواه ليتدرب على طرق البحث العلمى ، ويطلع على أساليبه . فإذا جاز امتحان البكالوريوس فهى شهادة بأنه قادر على البحث العلمى تحت إشراف أستاذه . ويراقب أساتذة الكلية أبحاث خريجيهم ، فيسدون إليهم النصح ويدلونهم على المراجع التى تسهل لهم الوصول إلى النتائج التى يبحثون عنها

وإن المشاهد ليدهشه أن يرى هيئة التدريس فى الكلية تعمل بنشاط مستمر فتتقدم بأبحاثها فى كل شهر وكل سنة، فإن الموظف يبدأ فى الكلية معيداً بدرجة بكالوريوس ليرقى بعد فترة فيحصل على درجة ماجستير ثم دكتور . فمن المظاهر البارزة هناك أن كل شخص مقيد ببحث يعمل ليله ونهاره لتحقيقه . وقد أتاحت لى الفرصة أن قضيت الصيف الماضى مع أحد معيدى الكلية فكان دائماً يجلس إلى شاطئ البحر فى أوقات فراغه ليقرأ كتاباً عن « الامتصاص السطحى » وهو جزء من بحث يقوم به بين جدران الكلية .

لم تخش هذه الآنسة على جمال يديها أن تشوهه المواد الكيماوية ، فهى تقدم عن المرأة نصيبها فى سجل البحث العلمى

وتنصب أكثر أبحاث الكلية على موضوعات مصرية، فتجد موريس أفندى يبحث فى الامتصاص السطحى للقطن، ووديع أفندى

يبحث فى تركيب أنواع الأصباغ . وقد تمكن بعض الأساتذة المصريين من اكتشاف عائلات من النباتات والحيوانات المصرية التى لم تكن معروفة من قبل . ونظرة واحدة فى تقارير الكلية تبين لنا ضخامة العمل الذى يقوم به أولئك الباحثون فى غرفهم ففى كل قسم عشرات من الأبحاث . وتصدر الكلية نشرة صدر منها حتى الآن ثمانية عشر عدداً ، وتحتوى على أبحاث قومية جديدة على العلم . هذا خلاف ما ينشر فى المجلات العلمية الأجنبية التى تشعر العالم الخارجى بوجود العلماء المصريين أكثر مما نشعر نحن بوجودهم . فما زلت أذكر ما أصاب ذراعى من « تنميل » أصابه لثقل مجموعة النشرات التى حملتها إلى دارى لأعرف بعض ما يفعل أولئك الناس . ففى الكلية ثمانية أقسام لا يقل عدد الموضوعات التى تبحث فى كل منها عن عشرين بحثاً، إلى أن إنتاج الكلية لا يقل عن مائة بحث فى السنة

وتعتمد هذه الأبحاث هيئات علمية أجنبية محترمة فيرسل البحث إليها لمراجعته وتحقيقه وإبداء الرأى فيه؛ فإذا وافقت الهيئة المنتدبة على اعتباره بحثاً جديداً صحيحاً منح صاحبه الدرجة التى يستحقها إذا كان الغرض من تقديمها الحصول على درجة . والدرجات ثلاث: البكالوريوس وقد تكلمنا عنه، ودرجة الماجستير وهى اعتراف بأن حائزها يمكنه أن يقوم بأبحاثه مستقلاً تمام الاستقلال وتؤهله للحصول على درجة دكتور التى يجب للحصول عليها أن تقرر لجنة الامتحان أنها تضيف مادة مبتكرة إلى الإنتاج العلمى .

نسيج العلم الحى

وقلما تجد فى كلية العلوم طالباً لا يطمع فى الحصول على إجازة الدكتوراة ويسعى إليها . فإن روح الكلية لا تفهم إلا معنى واحداً وهو إضافة مادة جديدة إلى نسيج العلم الحى . وقد يعجب الناس ويقولون: وما لنا لا نسمع عن هذه الأبحاث ولا نراها ؟ والجواب على ذلك سهل بسيط، فإن الباحث العلمى يضع الحجر الأول للاستغلال الاقتصادى والصناعى فهو يضع النظرية اليوم ليمكن استغلالها بعد عشرات السنين . وما زال كثير من النظريات التى تحقق وجودها علمياً بعيدة عن التطبيق فى الحياة العامة . فهل تمكن العالم بعد من الاستفادة من تحطيم الذرة ؟ إنهم يعرفون ما فيها ولكن هل وصلوا إليه ؟

وثمة سبب آخر حجب أعمال هذه الكلية عن الشعب حتى اختلط على الناس اسمها واسم دار العلوم ، فقد حكى لى أحد الأساتذة أن أحد الوزراء السابقين كان يجهل الفرق بين كلية العلوم ودار العلوم ! ويرجع هذا الجهل إلى اعتزال الكلية وعدم اهتمامها بالدعاية اللازمة لها . فإن الدكتور مشرفة عميد الكلية من ألمع الشخصيات العلمية فى الخارج وخصوصاً لأبحاثه عن العلاقات بين المادة والإشعاع التى علق عليها عظماء العلماء فى أوربا كالسير أليفرلودج والسير جيمس جينز . ولكن هذه الأبحاث ما زالت مجهولة من أكثر المصريين

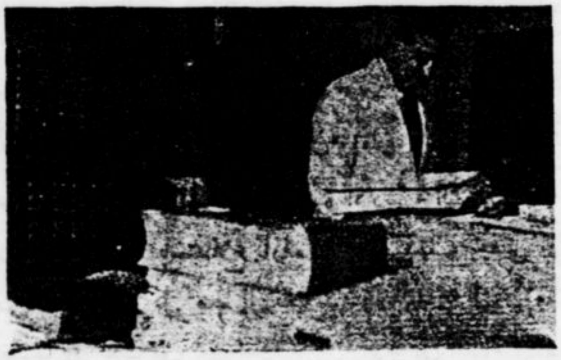

أمين المكتبة ويجد الباحثون عنده كل المراجع التى يحتاجون إليها فى المجلات أو فى الكتب

وللكلية مكتبة كبيرة يشرف عليها برهان الدين افندى وهى مكتبة خاصة بالكتب العلمية التى يحتاج إليها الطلبة والأساتذة فى دراساتهم . ومن أهم أقسامها المجلات فإنها الرباط الوحيد بين الباحثين ومنها يعرف الإنسان ما يدور فى المعاهد الأخرى وقد يصل بعض أعداد هذه المجلات إلى عدة جنيهات . ويصرف على المجلات وحدها ٥٠٠ جنيه وعلى الكتب ٨٠٠ جنيه فى السنة

فوزى عبد الشنوى

بين المـــــرأة والرجل

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

الشرق والغرب شرع واحد فى المسائل التى تتناول الأحاسيس والعواطف ، بل الحب — بنوع خاص — فى مختلف أنواعه وحالاته ، والمرأة هى هى فى كل مكان وزمان . والتحليل الدقيق للقصص الأربع التى تفضلت حضرة الأديبة الكبيرة محررة « رسالة المرأة » باستطلاع آراء القارئات فيها ، يجعلنى أردّ تصرفات المرأة فى كلٍّ منها إلى تلك الأصول البدائية التى ركزتْ فى نفسها مركبات قوية متناقضة تكاد تكون من الغرائز النسوية لأنها اندست فى أغوارها حقباً طويلة دون أن تدريها ، فطبعتْ سمتها على حياتها وآرائها ، ووجهتها إلى نواح متشعبة كانت مصدراً خفياً لأعمال تنفع وتضر على السواء . ولعلّ من أعظم هذه المركبات ما يسمى « مركب النقص » فإن المرأة منذ بدء عصور التاريخ البشرىّ قد كانت فى الغرب موضوع حب الرجال وإعزازهم ، وكان التغنى بمحاسنها والتشبيب بها موضوع قصيدهم وأناشيدهم ، على أنهم رغم بلوغهم أوج التعبد لها ، ما برحوا حتى العصور الوسطى بل والحديثة يوجسون خيفة منها ويعدونها بلاءً مقيما وشراً مستطيراً . وكانوا إذا تفوقت إحدى النساء فى ذكائها أو بسالتها يتهمونها بالسحر والشعوذة ، ويجعلونها غرضاً لسهام طغمة كبيرة من رجال الدين . أما فى عصور الوثنية والجاهلية فى الشرق فقد أجلسوها على عروش الربوبية ، وجعلوا من العذارى الجميلات كاهنات لمابد أصنامهم ، ثم بقيت من العصور الوسطى وما بعدها كأنموذج لحسنٍ ضائع ، وكقنية ثمينة يدخرها الملوك والولاة فى قصورهم ، أو ملهاة جميلة يتسلون بها بعد عودتهم من غزواتهم ورحلات قنصهم ، ثم اتخذوا منها إكليل الغار الذى يتوّجون به كل بطل صنديد مكافأة له على شجاعته ، أو ثمناً لعبقريته ومواهبه ... ولقد أدّى هذا كله إلى إشعار المرأة بعجزها ونقصها ، ودفعها إلى تغذية رغبتها فى الظهور أمامهم لا بمظهر الندّ والنظير فقط ، بل محاولة التفوق عليهم وعدم الاستخذاء لهم ، والجدّ فى الظفر بإخضاعهم لنفوذها الآمر .

وعندى أن هذا هو « مركب النقص » الذى يعدّه كثيرون من كتّاب المرأة غريزة أساسية من غرائزها ، بل ميلاً قوياً من ميولها الفطرية التى تغريها بحب السيطرة فى إيجاع وإيلام للرجل ، ولكنى أرى أن هذه الغريزة المزعومة ليست أصيلة فى المرأة ، بل هى فى الحقيقة صورة ظاهرة من صور الحب التى مرجعها حب الذات ، والتى تختصر تاريخ النزاع المديد الشديد الذى قام بينها وبين ذلك الرجل الذى ظل أحقاباً متعاقبة يقهرها ويحتجزها كغرضٍ من أغراض العاطفة الرخيصة . على أن ذلك النزاع لم يلبث أن استحال إلى حرب نظامية تطورت وصارت خطة سياسية أو وسيلة نسوية ، أخذت الآن تتضاءل وتتقلص حتى لتكاد تختفى فى أعلى طبقات السيدات تهذيباً وأرقاهن علماً وثقافة ..

أجل ، هى صورة ظاهرة من صور الحب التى مرجعها الذات والرغبة فى إثباتها بشكل أكمل وأوضح ، وتحديد مكانها فى حيز الوجود . بل هى مظهر راق لحب الذات مصدره إعجاب المرأة بالقوة ، ذلك الإعجاب الذى ينسبه سبنسر فيها إلى نمو شعورها الدينى ، وحنينها إلى اللياذ بقوة أعظم من قوتها ، فهى حين تظهر سيطرتها على الرجل ، إذ تطالبه باستعراض مجازفات إقدامه وصلابة مكسره وصرامة بأسه أمام الملأ ، إنما تريد أن تتبذخ بقوته ، لأنها كما تقول الكاتبة الإنجليزية جورج أليوت : « لا تستطيع أن تتعلق بالرجل الخوار الهشيم » . ثم إنها حين تستفز فيه روح المنافسة والغيرة ، ولو عن طريق الخطار بحياته ، تعمد إلى امتحان حبه ، وتتطلع إلى مبلغ تهافته على الاستئثار بإعجابها ، وإرضاء نزعات تدللها وتيهها ، بطرائق تسير ذكرها فى الآفاق ، وتفشى تدلهه بحبها على الألسنة ، وترجِّع صدى هيامه بها فى المحافل ، وتذهب سمعه فى الناس ، ولا تتوانى فى سبيل سعيها لامتلاك قلبه عن

إثارة زهوه بتقريظ شهامته وتملق رجولتــه وإطراء نخوته ، فلا يتوانى هو بدوره عن حمل نفسه على المخاوف والمعاطب واقتحام الهلكات والمتالف

ولكي نقرب من إنصاف المرأة مع ذلك ، أصرح بأن ما يبدو منها من حب السيطرة ، لا يمكن أن يؤخذ على معناه المطلق ، لأنه لا يتجاوز ميلها الفطرى إلى التسلط على قلب الرجل ، ونيل الحظوة فى عينيه . ولئن رغبت فى أن تكون محبوبة منه بكل قواه ، فإنما رغبتها الأولى أن تكون هى المحبّة . وأكبر اعتقادى أن ما تبذله من قبيل استمالته إليها ، ليس إلاّ نتيجة لتلك الرغبة الملحة ، وعلى كل حال فرغبتها ورغبته مترابطتان ، والغالب أن يكون الحب متبادلاً بينهما . ولقد قدمتُ أن المرأة الراقية المهذبة ، قد تمكنت بفضل العلم الناضج من معالجة «مركب النقص» الذى أذكته فيها سيادة الرجل فى مثل البيئات والأحوال الخاصة التى سردتها حضرة الآنسة الفاضلة « زينب الحكيم » فى قصصها ، وأصبحت الفتاة اليوم تتوخى فى عهد خطبتها وسائل متزنة للسيطرة على قلب خطيبها وشريك حياتها ، فأبت أن تتبع ما كانت تتبعه أختها فى العهد الماضى من ضروب إحاطته برعاية الأم الحانية على طفلها الرضيع بنواهيها العديدة ، لأنها قد تحققت أن فتى اليوم ، يكره القيود التى تغلّ الإرادة وتشلّ القوى ، ويرفض الانصياع لمنْ تمحضه النصح على الولاء ، بارتداء الملابس الصوفية إذا ما لاحت بوادر الشتاء ، واستصحاب زوج إضافى من الجوارب السميكة إذا خرج لمباراة فى لعبة الجولف ليتقى بها الأمطار فى حالة هطولها ، وأن يتعشى بفالوذج اللبن والبيض ، وأن يعنى بتهوية مسكن العزوبة المجدب من أناقة المرأة وعنايتها ؛ لأن الحياة الرياضية ، التى يحياها فتى اليوم ، فى فرق الكشافة والجوالة والتدريبات العسكرية ، قد جعلته واسع الحيلة فى شؤون المعيشة ، شديد الاعتماد على نفسه ، كبير القدرة على العناية بصحته وبمسكنه ، وأصبحت فتاة اليوم تتجنب إظهار امتلاكها له أمام الناس ، والتحدث بحقوق الاختصاص التى وضعتها عليه كما لو كان بعض الدواجن التى تدللها وتستصحبها معها فى المنتديات العامة مباهية بسيطرتها عليه . وأصبحت تتجنب الاعتداد بنفسها ، والاستعلاء عليه وإبداء البرودة نحوه والإكثار من معاتبته والتفلسف فى تحليل كل صغيرة وكبيرة من تصرفاته ومحاسبته على كلماته والإغراق فى أخذه بمغالبات جدلية ومناقشات منطقية، وإملاله بسرد النظريات العلمية والتخيلات الروائية ، وإذاعة المعلومات وآخر النشرات الإخبارية الشائعة بين أفراد طبقتها ، والظهور أمامه بمظهر الحزن والاكتئاب والتجهم ويقظة الضمير والإفراط فى ادعاء الورع والتدين ، وتحوير الأمور وتحريفها وقلب ظاهرها لباطنه ؛ وأخذت تبدو أمامه على الدوام متهللة الغرة ، قريبة منال البشر ، طيبة النفس فكهة الأخلاق، فى احتشام الفتاة ، وخفر العذراء ، وكرامة السيدة وجلالها وصراحتها وثقتها ومحبتها ووفائها وطاعتها . .

ولعله يحسن بى أخيراً أن أنتحى ناحية الرجل فأقول إنه يستطيع تحقيق المثل الأعلى للفتاة كزوج حين تجتمع فيه أنبل ميزات الرجولة وأكرم أخلاقها وأمجد مناقبها ، فتجد فيه القوّام المخلص العطوف المطاوع ، والشريك الحازم الرشيد الأمين الكريم الذى يتفانى فى توفير أسباب الراحة والطمأنينة لها ، ويتعاون معها على إسعاد العمران ، والسمو بالمجتمع الإنسانى إلى مراقى الكمال المنشود .

الزهرة

الحيـــاة

هل هي وليدة المصادفة؟

للدكتور محمد محمود غالي

من تفكير مدام كيري — هل نحن والتفاحة شيء واحد — هل تكتب القردة بيتاً من الشعر — وهل يرفع الماء طوبة مغمورة فيه — إمكان الحياة على كويكبات أخرى — شعورنا بأنها غير وليدة المصادفة.

في خطاب لمدام كيري مكتشفة الراديوم لبنت أختها « زلاي » ما يدعو لإنعام النظر، لهذا أذكر منه بعض الفقرات:

« عُني ابنتاي في الربيع بتربية دود القز وكنت وأنا مريضة أتتبع مدة عطلتي بالمنزل التطورات التي تحدث عند تكون الشرانق، وكانت لي في ذلك لذة عجيبة، فقد لفت دود الحرير نظري إلى الشعور بجنسها العجيب الذي يُشبهنا في ناحية الجلد على العمل والنشاط والمثابرة

لقد ثابرت طول حياتي على العمل لغرض واحد، وقمت بهذه المهمة دائماً نحو غرضي رغم علمي أن حياتنا سريعة العطب محتومة الفناء لا تترك شيئاً أيا كان وراءها، ولا بد أني فعلت ذلك لأن وراءنا شيئاً يحفزنا للعمل، لعله نفس الشيء الذي يحفز الدودة لتبني هذه الشرنقة. هذه الدودة المسكينة يجب عليها أن تبدأ هذه الشرنقة التي من المستحيل عليها أن تتمها، فهي كما نعلم لا تصل إلى نهاية مهمتها بل تموت في طريق العمل دون تعويض

فليستمر كل منا يا عزيزتي في نسج شرنقته دون أن يسأل لماذا وإلى أية نهاية »

حياة النملة أو دودة القز أو الإنسان، هذه الحياة وما تخفي وراءها من حافز شخصي وما تكنه من وراثة بعيدة المدى، تلك الوراثة التي تحفزنا للعمل المستمر، هذه الحياة — وأدهش ما فيها الإنسان الحي — نريد أن نعرف الفكرة في منشئها ونتبين علاقتها بالكون، ويتناول هذا الموضوع مدرستان أو مذهبان:

الأولى تعتقد أن الحياة وليدة لمصادفة وقعت في الكون، وأن الكون لم يكن في نشأته مخصصاً أو مقصوراً عليها. والمدرسة الثانية تقول عكس ذلك وتعزو للحياة وللانسان أهمية خاصة

أما عن نفسي فإن إحساساً خفياً وإن كان غير مَبْنِيّ على حقائق علمية أو على أساس في العلم التجريبي يدفعني إلى أن أكون من أنصار المدرسة الثانية

أن تحاول إقناعي اليوم أنني والتفاحة التي أكلتها شيء واحد، وأنني والمحبرة التي أكتب الآن منها مركب متشابه من النيترون والالكترون وغيره وأن ترتيباً خاصاً من هذه الذرات وما يدور في غلافها من ألكترونات هو الذي جعل هذه تفاحة تُنبت غيرها من التفاح وجعلتنا آدميين ننسل غيرنا من جنس الإنسان وجعلت هذه محبرة لا تصلح إلا لتمكنني من أن أمد القارئ بهذه الأسطر

أن تحاول أن تُدخل في روعي أنني وبقية النبات أو الجماد شيء واحد وأن الحياة ظاهرة وليدة الصدفة كظاهرة المغناطيسية أو الإشعاع المادي، وأنني وهذه الكائنات نتساوى، كل هذه مسائل لا أجد من نفسي تساهلاً في قبولها

قد تكون بليغاً جداً في محاولتك، وقد تكون براهينك العلمية والعملية من القوة بحيث نطأطئ الرأس لحججك، وبحيث لا نستطيع اليوم أن نُقنعك بطريق العلم النظري أو العلم التجريبي بخطأ علمك وتجاربك، ولكن غريزة في النفس تشبه الغريزة التي تحمل دودة القز السابقة على العمل وتحملك على الخروج من المنزل كل يوم لكسب عيشك، تدفعني إلى أن أخالفك في الرأي، ويداخلني شعور يستقر في نفسي يوحي إلى أننا نختلف عن التفاحة والمحبرة اختلافاً مبيناً، وأن في جوهر حياتنا ما يجعلنا نفترق عن الأشياء وعن الظواهر الأخرى للكون

في محاضرة لمسيو روجيه عميد كلية الطب السابق بباريز حضرتها في شتاء ١٩٣٤ بين آلاف المستمعين في إحدى ردهات بوليفارد سان جرمان بالحي اللاتيني ، ألقاها في جماعة العقليين Les Rationalistes التي هو وكيلها تعرّض للحياة وعلى الأخص لما نسميه الروح والعقل . ولو أنك حضرت هذه المحاضرة لأيقنت أن روجيه على حق ، ولخرجت مثل الكثير مقتنعاً بأنك والتفاحة وباقي الكائنات شيء واحد ، وأن ما نسميه العقل والروح والنفس وغير ذلك ما هو إلا نوع من الآمال التي نتصورها لأنفسنا ، وأنه لا وجود لها إلا في خيالنا . ليست أمامي الآن محاضرة الأستاذ روجيه حتى أعيد قراءتها وألخص لك نقطها القوية التي تستند إلى وقائع فعلية وتجارب عملية في الطب والتشريح المقارن والتي تعرّض في ختامها لفلسفة برجسون Bergson التي لا يعترف بصحتها ويهاجمها هجوماً عنيفاً

ولعل رأي روجيه يمثل رأي غالبية العلماء زملائه اليوم من الأطباء والبيولوجيين . والظاهر لي أننا إن أردنا أن نستدل على تفسير للحياة بين علماء الطبيعة والرياضة المعاصرين فإنه يغلب على الظن أننا نصل إلى النتيجة نفسها . وها هو ذا السير جينز Sir James Jeans في كتابه « العالم الغريب » يقول وهو يتكلم عن الأرض كسيار انفصل عن الشمس : إننا لا نعرف كيف ومتى ولماذا تولدت الحياة بطريق الصدفة في واحد من هذه الأجزاء التي تناثرت من الشمس وهو الأرض

هذه الحياة التي بدأت في مخلوقات بسيطة لا تعرف في المبدأ شيئاً غير أنها تتوالد ثم تموت . أجل هذه الحياة التي استمر خيطها يطول ويتعاظم إلى أن وصلت إلى هذا الوضع المعقد الذي تتوالد فيه كائنات تهب الجزء الأكبر من عمرها لأطماعها ورغباتها بل لأديان وضعت فيها أكبر آمالها . وإن شيئاً من التأمل في البحث عن صلتنا بالكون المحيط بنا يحملنا كما يقول ذلك السير جينز على الفزع ، فالكون يفزعنا بعظم مسافاته الشاسعة وبطول الزمن الذي يمر ويبدو كأنه لا نهائي ، والذي لا يُعد تاريخ الإنسانية فيه إلا لمحة من البصر — الكون يفزعنا بوحدتنا وبضآلة المادة التي يتكون منه عالمنا الشمسي بالنسبة إلى ملايين العوالم ، وإن أرضنا على حد تعبير السير جينز ما هي إلا جزء واحد من مليون جزء من حبة رمل من مجموع كل رمال الشواطيء — إنما الفزع أن ندرك أن العالم أصم لا يشعر بنا وأنه ممانع لكل نوع من الحياة تشبه حياتنا . فالفراغ بين العوالم أو الشموس من البرودة بحيث أن كل حياة تنتهي فيه بالجمود والموت ، والجزء الأعظم من المادة المكونة للنجوم ، من الحرارة المرتفعة بدرجة تجعل كل حياة فيها مستحيلة ، ويصل إلى هذه الأجرام من الأشعة المختلفة ما هو غير ملائم للحياة وقاتل لها . ويكفي أن أذكّر القارئ أن طبقة الأوزون المحيطة بالكرة الأرضية تحمينا من الإشعاعات القاتلة

في عالم هذا وصفه ألفينا أنفسنا مخلوقات فيه تتحرك وتفكر . ولو اعتقدنا كما يعتقد جينز وغيره أن وجودنا حادث وليد الصدفة فإن فناءنا أيضاً سيكون وليد الصدفة . فإن من المعقول في رأيهم أنه باستمرار الزمن يحتمل أن يقع أي نوع من الحوادث .

ويعتقد السير جينز أن « هكسلي » هو الذي قال :

« لو فرضنا وتركنا ستة من القردة تكتب على الآلات الكاتبة دون أن تعي ما تخطه مدة طويلة تبلغ ملايين الملايين من السنين، فإننا في سير الزمن نرى بين أسطرها بطريق الصدفة كل الكلمات المحفوظة في المتحف البريطاني . ولو أننا اختبرنا آخر صفحة من الصفحات التي سطرتها القردة فقد نلاحظ أن توقيعاتها العمياء قد خطت أحد أبيات شيكسبير ، وعند ذلك يحق لنا أن نعتبر هذا البيت من الشعر حادثاً من أغرب الحوادث. ولو أننا بعد ذلك تصفحنا ملايين الصحائف التي كتبتها القردة في ملايين السنين فإنه مما لاشك فيه أننا سنعثر مرة أخرى على سطر آخر من أبيات شيكسبير كان هو أيضاً وليد الصدفة العمياء » .

وهكذا لا بد أن يحدث لعدد قليل من الشموس بين ملايين الشموس الأخرى الحائرة ما حدث للشمس من وجود سيارات تدور حولها، مما أوردناه في مقالنا السابق، ويدل الحساب على أن هذا العدد من الشموس قليل جداً بالنسبة لعدد شموس الكون .

ومن البدهي أن الحياة كما نستوعبها لا تحدث إلا على سيارات شبيهة بالأرض إذ يجب لوجودها شروط طبيعية ملائمة مثل اعتدال درجة الحرارة ، وعلى هذا الاعتبار تستحيل الحياة في الشموس نفسها التي هي نيران متقدة كما تستحيل في الحيز بعيداً عنها ، فهذا لا تزيد درجة حرارته على أربع درجات فوق الصفر المطلق (أي أقل من ٢٦٨ درجة تحت الصفر العادي)

فالحياة جائزة على كويكبات تقع على مسافة معينة من هذه

الشموس ، إذا ابتعدنا عن هذه المناطق المعينة امتنعت الحياة للبرودة المهلكة ، وإن اقتربنا امتنعت أيضاً بسبب الحرارة المحرقة

ونستدل من الحساب على أن المناطق التي تجوز فيها الحياة لا تكون إلا واحداً على مليون البليون من مجموع الحيز . على أن الحياة تندر فى هذا الجزء النادر من الحيز ، ذلك لأن تناثر جزء من إحدى الشموس وانفصاله عنها يعد حادثاً نادراً جداً ، ويغلب على الظن أنه يوجد نجم واحد فى كل مائة ألف نجم يشبه الشمس فى وجود سيار يدور حوله كالأرض حيث الحياة على هذا السيار قد تكون جائزة .

لهذا يجوز الاعتقاد أن الكون لم يخلق خاصاً لغرض الحياة، هذا رأى يميل إليه السير جينز وغيره ، والواقع أنه لا تناسب مطلقاً بين عظمة الكون والنتيجة الضئيلة الموجودة فى بعض أجزائه والتى ترى أثرها فى الحياة .

على أننا لا نعلم هل توجد شروط طبيعية كافية بذاتها لإيجاد الحياة، فَثَمّ مدرسة تعتقد أنه عند ما بردت الأرض كان لا بد من ظهور الحياة فى أثناء ذلك، ومدرسة أخرى تقول إن حادثاً أولاً أوجد الكائن وأنه كان لابد من حادث ثان ليوجد الحياة فى الكائن

على أن المركبات المادية للكائن الحى هى ذرات كيميائية عادية ، هى الكربون كالذى نجده فى دخان المصانع، والاكسيجين والهيدروجين كاللذين نجدهما فى الماء ، والأزوت الذى يُكوّن الجزء الأكبر من الجو المحيط بنا — كل هذه الجزئيات والذرات الموجودة فى الكائن الحى كانت موجودة حتما فى الأرض ، هذه المولودة الجديدة ، وقد حدث فى وقت من الأوقات أن مجموعة من هذه الذرات — بطريق الصدفة — ترتب بالطريقة الموجودة بها اليوم فى الخلية الحية ، وكان لا بد من ذلك مع طول الزمن ، كما كان لا بد للقردة الستة من أن تُسَطّر يوماً أحد أشعار شيكسبير . وعلى هذا لنا أن نتساءل هل هذه الذرات بترتيبها هذا هى التى كونت بمفردها وبهذا الترتيب الخلية الحية ؟ وبعبارة أوضح ، هل الخلية الحية هى مجرد مجموعة من الذرات العدية مرتبة بشكل خاص أو هى شىء آخر ؟

هل المادة الحية مجموعة من الذرات أو مجموعة من الذرات مضافاً إليها الحياة ؟ وبعبارة أخرى هل يستطيع كيميائى ماهر أن يوجد لنا الحياة على أى شكل باستعمال عدد معين من الذرات أو تنقصه قوة أخرى غير العدد والترتيب ؟

هذا ما نحاول أن نتناوله فى المقال القادم. ويبدو لى أنه للاجابة على ذلك لا مناص من الدخول فى عميق العلوم الطبيعية فنبدأ وصفاً وجيزاً للمادة وللمادة الحية وفق آراء العلماء اليوم

وخلاصة القول أنه بالرجوع إلى فكرة ترجع فى الواقع لشىء أشبه بحساب الاحتمالات (Calcul de Probabilité) وبالرجوع إلى جواز طول الزمن وجد العلماء مخرجاً وتفسيراً محتملاً لوجود الأرض ولوجود الحياة عليها ، تفسيراً مبنياً على الصدفة

* * *

فى مثال ذكره العالم الكبير جان بيران (Jean Perrin) وأبلغنيه الأستاذ الكبير هنرى موتون (Henry Mouton) أننا إن اعتبرنا الحركة البراونية التى تتلخص فى أن ما يصيب أى جسم داخل السائل من ضغط هو مجموع صدمات جزئيات السائل عليه ، فان لنا أن نعتقد أنه يصح بعد ملايين السنين أن يحدث مرة أن يرفع الماء قالباً من الطوب مغموراً فى ماء ساكن ، وعندئذ لنا أن نعتبر حادث رفع هذا القالب على سطح الماء من المعجزات النادرة ، وإن كان هذا الحادث ليس مستحيلاً عند العالم الذى يعرف الحركة البراونية والذى يتوقع حدوثه يوماً

ومع جواز تسليم القارئ بما يذهب إليه كل من هاكسلى وبيران فالحياة عندى رغم القردة التى يصح أن تكتب يوماً ما سطرا من الشعر ورغم الطوبة التى يصح أن ينهض بها الماء ، من الغرابة بحيث لا تطاوعنا النفس على أن نعتبرها وليدة الصدفة وأنها طرأت عن غير قصد .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية، ليسانس العلوم الحرة، دبلوم المهندسخانة

النباتات آكلة الحشرات

بقلم رضوان محمد رضوان

تتشابه النباتات بوجه عام فى نظم تركيبها واحتياجاتها الغذائية سواء كانت هذه النباتات مائية أو نامية فى الصحارى أو على قمم الجبال ؛ إلا أن شكلها الظاهرى وتركيب بعض أعضائها الداخلية تتحور وتعدل تبعاً للبيئة التى يوجد بها النبات حتى يمكنه أن يعيش فى الظروف التى تحيط به ؛ وهذا هو الحال فى النباتات آكلة الحشرات

فمن المعلوم أن النبات يحتاج فى غذائه إلى عناصر خاصة(١) . لا بد من توفرها فى البيئة التى يعيش فيها النبات حتى يمكنه النمو والحياة . والنباتات الخضراء حساسة جداً لعنصر الأزوت فهو من أهم العناصر المكونة للبروتوبلازم الحى ؛ كما أن النبات لا يمكنه امتصاص الأزوت إلا على صورة أزوتات ، وعلى ذلك فوجود الأزوتات أمر ضرورى لحياة النبات

ويقوم بتجهيز أملاح الأزوتات للنبات أنواع من الأحياء الدقيقة تعرف باسم «بكتريا التأزت» فهى تحول النوشادر إلى حمض الأزوتوز ثم تؤكسده وتحيله إلى حمض الأزوتيك الذى يتحد بالأملاح القلوية مكوناً أملاح الأزوتات

أما فى الأراضى التى لا تعيش فيها بكتريا التأزت لعدم ملاءمة الظروف لها كأن تكون الأرض حمضية مثلاً ، فعلى ذلك لا تتوفر أملاح الأزوتات اللازمة لحياة النبات ، كان لا بد للنباتات التى تعيش فى مثل هذه الأراضى أن تبحث عن وسيلة جديدة للحصول على الأزوتات اللازمة لها ، وفعلاً قد هيأتها الطبيعة بتحورات خاصة لتجعلها ملائمة لاقتناص الحشرات حتى تستطيع أن تستمد منها عنصر الأزوت . وسنذكر فيما يلى أهم أنواع هذه النباتات وطريقة كل منها فى الاقتناص :

(١) العناصر الأساسية فى غذاء النبات هى : كربون . أكسجين . إيدروجين . أزوت . كبريت . فوسفور . بوتاسيوم . كلسيوم . حديد . مغنسيوم

نبات الدروزرا (Drosera)

ينمو فى وسط حمضى فيستحيل على الجذور أن تمتص أملاح الأزوتات ، وفيه الأوراق ضخمة بها عدد من الزوائد الحساسة التى تفرز مادة لزجة حمضية ؛ فإذا ما سقطت حشرة ما على ورقة من هذه الأوراق ، التصقت بالمادة الرحيقية حالما تلامسها ، وعبثاً تحاول الحشرة الفرار ، فإنها إذا حاولت ذلك اشتبكت بزوائد أخرى ، فتصير داخل شبكة محكمة من هذه الزوائد الحساسة ، وبذا يصبح خروجها ضرباً من المحال . فإذا ما اقتنص النبات فريسته تنحنى تلك الزوائد فوق الحشرة وتفرز عليها أنزيم البيبسين Pepsin لهضم الحشرة وإذابة جسمها ، وبعد ذلك يمتص النبات تلك المواد المذابة ، ثم تعتدل الزوائد وتعود الورقة إلى شكلها الطبيعى وتتهيأ لاقتناص فريسة أخرى .

(ورقة الدروزيرا)

نبات النيبنثس (Nepenthes)

يوجد هذا النبات فى بلاد الملايو ، وهو يحتال على اقتناص الحشرات بطريقة طريفة ، فنجد أن جزءاً من الورقة يتحور إلى شكل جرة ذات غطاء يتحكم النبات فى فتحه وقفله حسب حاجته . وتتجمع قطرات ماء المطر داخل هذه الجرة ؛ ويستعين النبات على جذب الحشرات برحيق حلو الطعم يفرزه داخل الجرة ، فإذا ما دخلت فيها حشرة لامتصاص الرحيق انزلقت أرجلها وسقطت فى الماء . وفى الوقت نفسه يغلق الغطاء وبذا توصد أوجه

الخلاص أمام الحشرة وتفقد كل أمل في النجاة ، حينئذ يبتدئ النبات في عملية الهضم بواسطة إنزيما خاصة يفرزها لإذابة الحشرة حتى يتمكن من امتصاص المواد الناتجة . بعد ذلك يفتح غطاء الجرة وتستعد الورقة لاستقبال قادم جديد وهكذا .

(نبات النيبنثس)

وهناك نبات معروف في شمال أمريكا يسمى Sarracenia مثل نبات النيبنثس

نبات الديونيا (Dionaea)

تحتوي ورقة هذا النبات على مصراعين يتحركان على العرق الأوسط وتنتشر على السطح العلوي لكل منهما زوائد شوكية دقيقة ، فإذا وقفت حشرة ما على الورقة انقفل المصراعان فجأة وبسرعة وتنغرز الأشواك الحادة في جسم الحشرة فتمزقها وبذا تبدأ عملية الهضم والامتصاص

حامول الماء (Utriculària)

ويوجد هذا النبات في مصر منتشراً في المياه العذبة ، وتحمل أفرعه أجزاء منتفخة أشبه بالمثانات بها خلايا خاصة ولها غطاء يفتح للداخل فقط ، فإذا لامست إحدى الحشرات المائية الشعور الحساسة ، انفتح الغطاء بسرعة إلى الداخل ، واندفعت الحشرة مع الماء إلى داخل المثانة ، وتبقى هنالك حتى تموت وتتعفن . ثم تمتص بعد ذلك بواسطة الخلايا المبطنة لجدر المثانة

هذا وقد قرأت أخيراً في إحدى المجلات الأمريكية(١) نبأ المنشور على نوع من الأشجار يفترس الإنسان ؛ فقد روى العلامة الدكتور كارل ليشى أحد الرواد النمسويين ومن أقطاب العلماء ، أنه أثناء رحلته في ارتياد مجاهل جزيرة مدغشقر اتفق أن رأى منظراً غريباً ملك عليه حواسه وأخذ بلبه . ذلك أنه رأى جماعة من الزنوج يدفعون فتاة عارية نحو شجرة هائلة تشبه شجر الأناناس ولها أوراق ضخمة ، ويبلغ محيط الشجرة من أسفل ست أقدام أو أكثر ، ويخرج منها أفرع طويلة ذات أوراق عريضة إبرية الحافة ، ويسيل من الشجرة رحيق مسكر ، حتى إذا ما وصلت الفتاة إلى الشجرة أرغموها على شرب الرحيق. فلم تكد تفعل حتى انتابتها نوبة من الإغماء قد تكون من تأثير الخوف ، وقد ترجع إلى أن الشراب مخدر للأعصاب

وما لبثت الأوراق أن التفت حولها واحتوتها بين أسنانها وبذا اختفت عن الأنظار ، وما لبث أن سال دم الفتاة مع رحيق الشجرة فأقبل الزنوج عليه يشربونه بشراهة وغلظة

وقد أيد هذه المشاهدة الكابتن هرست الإنجليزي الذي قام على رأس بعثة علمية لارتياد مجاهل مدغشقر ؛ فقد وصف ما شاهده وقال إن أوراق تلك الشجرة تلبث مطبقة ستة أيام أو أقل قليلاً ثم تنفرج عن هيا كل عظيمة تذروها الرياح

أقول إن هذه المشاهدات سواء كانت واقعية أو خيالية لا تخالف العلم فقد رأينا كيف أن النبات يفترس الحشرات في احتياجه إلى الأزوت ؛ ولن يميز النبات بين حشرة أو حيوان أو إنسان إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً . وأغلب الظن أن الشجرة المذكورة في جزيرة مدغشقر ، تعتمد في غذائها على الحيوانات التي تلجأ إليها ليلاً أو فراراً من القيظ أو هرباً من عدو ، وأن الأهالي وقد عرفوا فيها تلك الخاصية قدسوها وأخذوا يقدمون لها القرابين من الفتيات ، ويشربون من رحيقها المسكر المختلط بدم الضحايا ، وهم يعتقدونه شراباً إلهياً قدمته إليهم الآلهة تقبلاً منها وكرماً

هذه كلمة موجزة عن النباتات آكلة الحيوان ، وهي جديرة بأن تسمى : « النباتات آكلة اللحوم » أسوة بالحيوانات « آكلة اللحوم »

رضوان محمد رضوان
بكالوريوس في العلوم الزراعية

(١) National Geographic Magazine

فيدياس

PHIDIAS

للدكتور أحمد موسى

كان لاستيقاظ الشعب الإغريقي ونمو الروح الوطنية فيه بعد الحروب الفارسية أن ازدهر فن النحت على أيدي الذين استطاعوا السيطرة على الخلق التكويني، ووصلوا إلى أقصى درجة من الإعجاز في إخراجه، فكان لمنحوتاتهم أن مثلث المثل العليا أسمى تمثيل وعبرت عن الوصول إلى درجة الكمال؛ فارتبط الواقع بالجمال المثلي، وظهر النحت الإغريقي بمظهر لا يزاحم فيه إطلاقاً.

وكان استعداد الإغريق للنحت هائلاً، فجعلوا من تماثيلهم البارزة ونصف البارزة ما سجلوا به الموهبة الفطرية والعقلية والفنية في هذا المجال.

ولهم من منحوتاتهم ما أظهر عقائدهم الدينية والكيفية التي كانت تسير عليها عاداتهم فضلاً عن حياتهم العامة التي كانت الألعاب الرياضية ركناً هاماً من أركانها.

وكان ولا يزال وسيظل النحت الإغريقي مثار إعجاب الإنسان المتحضر ورمزاً للتفوق ومثلاً عالياً يحلق في سماء الفن، لا يمكن لطامح أن يعلق بأطرافه.

وللنحت في بلاد الإغريق مناطق ومراحل ومدارس. أما من حيث المناطق فخيرها لهذا المقال منطقة أثينا، وأما المرحلة الزمنية فهي المحصورة بين سنة ٤٧٠ وسنة ٣٣٠ قبل الميلاد، لأن هذه هي مرحلة « عصر الرفعة » أو «الازدهار».

على أنه يمكن تقسيم هذا العصر إلى قسمين: أولها أو أقدمها استغرق القرن الخامس قبل الميلاد (من كيمون إلى حرب البيلوبونيز) وفيه تناول النحات الإغريقي الحقيقة الواقعة أمام عينيه في أحسن وضع لها؛ فلم تكن تنتحي هذه الحقيقة إلى فرد بعينه، بل إلى النوع كلية، في شيء من السمو في الخيال والتصور، فكانت طابعية النزعة وليست طابعية الإخراج.

ومع هذا لا يزال المشاهد يتصور أو يظن « وحيناً يعتقد » أن التماثيل – في تلك المرحلة على الأقل – قد عبرت بتفاصيلها وطريقة إخراجها عن أصحابها التي نحتت من أجلهم تعبيراً حقيقياً

ش – ١ (عملة إليس وعليها صورة زويس)

أو طبيعياً، ولكن هذا بعيد الاحتمال بالنظر إلى ما في تكوينها من جمال ساحر قلما يوجد مثله في النوع الإنساني.

و له جدير بالذكر أن المظهر الكلي والمجموع الإنشائي لمنحوتات « عصر الرفعة » أو « الازدهار » يعطي فكرة المبالغة في الأحجام مع تمام التناسب، ولم يقصد النحات الإغريقي من ذلك إلا إبراز المعالم في مظهر من القوة وعلو الهمة ووجود الشخصية، في هدوء نفساني وبعد عن العنف.

وأما الحركة الجسمانية التي تعبر عن الحيوية فهذه مع بساطتها – نسبياً – من حيث التنويع؛ فإنها عبرت خير تعبير عن اليقظة والنشاط.

ولا يوجد من يمكن اعتباره فى مقدمة هذا العصر سوى زعيم المدرسة الأتيكية القديمة (نسبة إلى أتيكا) ألا وهو فيدياس الذى لا يزال ليومنا من أعظم فنانى العالم أجمع .

ش — ٢ (تمثال نصفي للاله زويس — الفاتيكان)

ولد فيدياس بن خرميدس الأثينى فى عام ٥٠٠ ق . م . واشتغل مصوراً فى أول الأمر ثم تتلمذ على أجيلادس Ageladas وبعدئذ استقل فى عمله حتى استدعى لنحت تمثال زويس المعروف فى أولمبيا ، وعاد إلى أثينا والتقى فيها بيركليس وعمل فى البارتنون.[١]

وبعد ما أتم تمثال أثينا سنة ٤٨٣ اتهم بالخيانة وطلب للمحاكمة ولكنه مات قبل الحكم عليه .

وأبرز مميزات فنه أنه أول وأعظم مثال مُثلى بكل معانى الكلمة ، لا سيما وأنه حصر مجهوده الجبار فى خلق تماثيل الآلهة واستطاع التعبير عن المثل الأعلى فى التكوين الجسمانى المتناسب مع تمثيل الآلهة ، فاتخذ من جسم الإنسان مادة بيانه ، ولكنه ارتفع بتماثيله إلى المستوى الذى أبعدها عن الصفات البشرية وقربها من الألوهية ؛

(١) راجع مقالنا « بارتنون » فى الرسالة

فبدت فى غاية كمال الانسجام التفصيلى للأعضاء ونهاية الكمال المجموعى للانشاء ، وأصبحت مدرسة أتيكا تسير على منواله وعرفت بهذه الميزات الرائعة من بعده .

اشتغل فيدياس بنحت تماثيله من سن الفيل والذهب حيناً ، ومن البرنز حيناً آخر ولكنه نحت فى الرخام نادراً .

أما أعماله التى استطعنا أن نقف عليها فأولها تمثاله لأثينا برماخوس على مرتفع أكروبوليس وكان ارتفاع هذا التمثال نحو العشرين متراً . وقد سبق أن نوهنا بذكره فى مقال سابق.[١]

وله أيضاً مجموعة رائعة مثلت ملتيادِس القائد الذى انتصر على الفرس فى موقعة ماراتون سنة ٤٩٠ ق . م وحوله الآلهة وأبطال أتيكا ، كما مثل الأثينيين يقدمون الهدايا والقربان فى دِلفى .

هذا إلى جانب تماثيل معبد زويس Zeuss الذى اعتبره الإغريق إلٰهاً للسماء والبرق والضوء ، والذى يقابل الإلٰه جوبيتر عند الرومان ، وتماثيل معبد أثينا بارتنوس Parthenos .

وكان الجسم مكوناً من سن الفيل والملبس من صفائح الذهب ؛ وقد تم تمثال زويس سنة ٤٤٨ ولكنه حرق بعدئذ ، ولولا الصور التى سُكّت على نقود إليس Elis لما أمكننا أن نعرف من شكله شيئاً . جلس زويس (ش ١) على عرش بديع حاملاً بيمينه إلهة النصر Nike وفى يساره العصا ، وواضعاً قدميه على كرسى صغير خصص لهذا الغرض ، وأحيط الرأس بغصن الزيتون فوق شعره المجعد ، كما أحيط الوجه بذقن كثيف . وإذا تأملت الصورة اليمنى

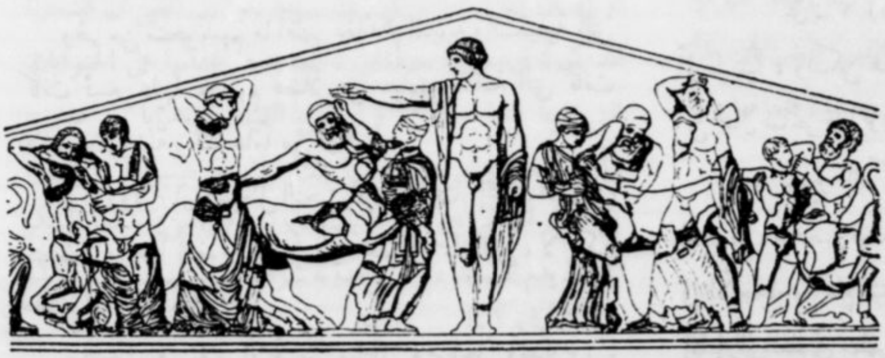

ش — ٣ (جزء من وسط المثلث الواقع تحت جالون الواجهة الغربية لمعبد زويس فى أولمبيا)

فإنك تجد القوة والنبل والجمال السامى مرتسما فى وضوح على وجه زويس . وقد تحلى الملبس ببعض رسومات ملونة على الذهب .

(١) راجع مقالنا « اكروبوليس أثينا » فى الرسالة

أما قاعدة العرش فقد تحلت برسومات تمثل مولد أفروديت إلهة الحب عند الإغريق ، والتى خلقت كما هو مذكور فى قصص الآلهة ، من زبد ماء البحر . ولا بد لنا من أن نذكر أن نظرة زويس تدل على الحلم والجبروت ، وهذا منطبق على صفة الألوهية فى معناها الكامل

وكان تمثال أثينا پارتنوس من سن الفيل والذهب أيضاً ، أتمه سنة ٤٣٨ إلا أنه اختفى منذ أوائل القرن الرابع . وكل ما حصلنا عليه تمثالان منقولان عن الأصل ، أحدهما كبير عن الآخر ، وهما محفوظان فى متحف أثينا . ويخيل إلينا أن الأكبر منهما أقرب إلى الأصل بالنظر إلى ما فيه من تفاصيل تتناسب مع ما عرف عن فيدياس وما امتاز فنه به من طابع خاص .

وله قطعة تمثل أثينا وهى من بدائع معروضات متحف عاصمة بلاد اليونان . هذا عدا تمثال برزى على جانب عظيم من الجمال لأثينا ليمنيا Lemnia قدمه الليمنيون إلى مرتفع أكروپوليس .

وفى متحف درسدن تمثالان رخاميان مماثلان له يظهر أنهما منقولان عنه . أما فى روما فله تمثال لأفروديت أورانيا، ولهرمس ابن زويس الذى اعتبره الإغريق إلهاً للرعاة ورسولاً للآلهة وإلهاً للطرق والتجارة، وهو الذى يقابل عند الرومان الإلـه مركور .

وكان لفيدياس تلامذة أمجاد منهم من سار على خطاه مثل أجور كريتوس Agorakritos of Paros وألكامينيس Alkamenes of Athena or Lemnos وكولوتيس Kolotes الذى ساعده فى العمل بأولمپيا ، ومنهم من ارتسم لنفسه خطة خاصة مثل ليكيوس Lykios بن ميرون وتلميذه ، وسترونجيليون Strongylion الذى كان بارعاً فى نحت تماثيل الخيل فى حالة السير والتسابق ، وكريزيلاس .

واستعان فى خلق تمثال زويس بشعر هوميروس الذى فيه وصف الإله وصفاً مكن النحات من خلقه (ش ٢) . ولعلنا بالمقارنة بين الرأسين نجد غنى الفنان واضحاً جلياً ، فلا ملامح متشابهة ولا الشعر على أبسط جانب من التماثل .

ونختار هنا جانباً من التماثيل المنحوتة فى جزء من وسط المثلث الواقع تحت جمالون الواجهة الغربية لمعبد زويس فى أولمپيا لنقف على مدى العظمة الفنية التى تجلت فى عمل فيدياس (ش ٣) .

أنظر إلى تفاصيل الأجسام ، وتأمل تكوين العضلات ، وشاهد الحركات الرائعة فى كل جزء من أجزاء القطعة ، ثم انتقل

بنفسك فجأة إلى مصر وإلى من يقدّر الفن فيها ويفهمه ، تجد أننا بحالتنا الراهنة لا نستطيع أن نخلق جيلاً يتذوق الجمال فى الوقت الحاضر .

أما المستقبل فهو رهين بما نعده الآن ، فإن لم يتكاتف الشعب المصرى مع الحكومة كلٌ فى دائرته على إحياء الفن والعمل على تعليم النشء كيف ينظر وكيف يتأمل وكيف يتذوق فلا أمل عاجلاً أو آجلاً فى شىء .

أحمد موسى

الشيخ محمد رفعت

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحي

أكبر الظن أن القراء سيعجبون ما وسعهم العجب، ويدهشون ما مكنتهم الدهشة لأننا نعتبر الأستاذ الشيخ محمد رفعت القرىء المعروف بل سيد قراء هذا الزمن — موسيقياً قبل أن نعتبره مقرئاً. ولكنهم لو علموا أن الأستاذ موسيقى بفطرته وطبيعته وأنه يزجى إلى نفوسنا أرفع أنواعها، وأقدس وأزهى ألوانها، لكفوا أنفسهم مؤونة العجب والدهشة ... لو علموا أنه (بصوته) فحسب يأسرنا ويسحرنا دون أن يحتاج إلى (أوركستر) يشد أزره ويهيىء الأذهان لفنه ويرسم الطريق لصوته، للمسوا موضع الإعجاز فى فن هـذا الرجل العجيب. وليتصور كل منا مطرباً أو مطربة يغنى أو تغنى دون مصاحبة (تخت) ماذا يكون، وماذا تكون ... ؟؟

إن البعض يستتر خلف هذه الموسيقى لتضفى عليه لوناً من الحسن والقبول، ولكن أستاذنا لا يعتمد إلا على نبرته اللامعة، وصوته اللائكى الحنون، وفنه المرهف، وأسلوبه المقتدر المبتكر. .!

(محمد رفعت) ... اسم يخطه القلم بسهولة وبساطة وسرعة فما إن يخط ... حتى يهيىء للأذهان جواً غير الجو الذى كانت تعيش فيه ... جواً من النور تسبح فيه أطياف الملائكة، وتغرد فيه بلابل الجنان، ويعطره أريج شذى ندى نقى. جو القرآن الكريم، المرتل، المفسر، الذى تخشع له القلوب، وتخضع له النفوس، وتؤسر له الأرواح مهللة مكبرة، جو الصفاء والنقاء الذى يتخلص فيه الإنسان من أدرانه وأوضاره، وشروره وآثامه. الجو الذى تصفو فيه الروح لتحلق فى سماء قدرة الله ورحمته وحنانه، الجو الذى يخضع له العاصى، ويخشع له المتكبر المتجبر الذى يظن أنه كل شىء وما هو بشىء أمام جبروت الله وكبريائه .!!

***

صوت تبارك من خلقه وصوره، وخصه بهذا السحر الذى ينشر ألويته، ويرفع بنوده فوق ملايين البشر فى أنحاء العالم الفسيح

صوت لم يخلق الله مثله فى لونه ونوعه، كما لم يخلق - جل شأنه - بصمتين متشابهتين، فجاء فريداً وحيداً غنياً بكل ما فى الفن من قدرة واقتدار ... !!

يقول البعض إنه ضعيف (ضيق الحجم) لا يستطيع أن يظهر فى المجتمعات المحتشدة، ونقول لهذا البعض إن الجمال لا يتوقف على القوة والشدة، والارتفاع. فالحمار كبير والبلبل صغير والفرق واضح بينهما. .!

يتكون صوته من ديوانين ونصف (١٨ مقاما) تقريباً. ديوان (بريتون) وديوان (تينور) ثقيل ونصف ديوان (تينور) خفيف ويمتاز (باستعارته) التى لا يستطيع أن يحاكيها إلا كل صوت سليم قوى ...

استعارة تزيد على الديوانين والنصف بنصف ديوان تقريباً. فهو كما ترى صوت سليم قوى وإن كان صغيراً فى حجمه ...

أنبل ما فى هذا الرجل السامى تواضعه الجم وحياؤه الإيمانى، تواضعه

الجم مع أن عرشه من فلذات القلوب والأرواح ومع أن جمهوره يزرى بجمهور أكبر مطربينا ومطرباتنا لا فى مصر وحدها بل فى بقاع العالم المترامى، لا من المسلمين فحسب بل من جميع الملل والأديان ...

أعرف تاجراً كبيراً (مسيحيا) فى الموسكي لا أمل له ولا سلوى إلا سماع رفعت. وأذكر فى هـذا الصدد أن ابنته — وهى متزوجة — كانت على شىء من التعصب فأتلفت (الراديو) عمـداً حتى لا يتأثر والدها فيغير عقيدته — كما صور لها الوهم — فلما علم بالأمر طردها هى وزوجها وأولادها من بيته، ثم اشترى آلة جديدة ليرضى روحه من فن رفعت العالى، وقرآنه المرتل المفسر !

والقس « م . ع » الذى أسلم فى العام الماضى لم يسلم على يد واعظ أو عالم، وإنما أسلم على (صوت) رفعت وحسن ترتيله، وسحر تأثيره

لو أتيح للقراء أن يذهبوا إلى — الشام — لعلموا أن رفعت هناك مقدس، إذا قرأ سكنت الأصوات وانقطعت الهمسات، وعم السكون، وامتلأ الجو كله تأثراً وخشوعاً ونوراً، فـكل بيت وكل فرد يتمنى أن يجود بكل ما يملك حتى يسمعه دواماً

هذا الرجل وهذه منزلته ومكانته يأبى أن يلقبه الذيع بكلمة (الأستاذ) لأن بعض المقرئين طالبوا أن يلقبوا هم أيضاً كما يلقب فرفضت المحطة فتنازل عن لقبه حتى لا يتألم إخوانه !

تقواه مضرب المثل، وكرمه يشمل الجميع. يعتقد أن توفيقه من الله وحده لا من صوته ولا من فنه ؛ لهذا يخلص له الإخلاص كله. فإذا قرأ، قرأ بخشوع وفهم لما يقول. يعينه على ذلك إلمامه ببعض علوم العربية وعلم القراءات

لم يتعلم الموسيقى على معلم ولا فى مدرسة، بل ربى نفسه بنفسه، وله فى أذنه الموهوبة خير ضمان. وقد عوده الله أبداً أن ينصره ويوفقه، ويجمع حوله القلوب ...

قد يدهش القارئ إذا علم أن بعض إخوانه يحاربه ويشيع حوله الشائعات المختلفة التى بلغت مرة درجة (الموت)، وقد يدهش أكثر إذا علم أن محطة الإذاعة (لسبب مجهول) تشايع من هم دونه فى كل شىء فإذا سألته : ولم لا تظهر هذا الملأ ... ؟ قال : « عودنى الله أن يوفقنى أبداً . فماذا يصنع العبد أمام إرادة خالقه ... ؟ ! »

كما أن للورد أريجه، وللماس بريقه ... فللأستاذ (رفعت) سحره الآسر، وأثره الساحر، وسيبقى اسمه متألقاً ساطعاً فى سماء الخلود ... ! !

محمد السيد المويلحى

رسالة الشعر

ابنة الفجر

للأستاذ إيليا أبو ماضى

حينما يغمض الحِمام جفوني … ودوى صوت مصرعى فى المدينه
وتمشى فى الأرض داراً فداراً … فسمعتِ [1] دويه ورنينه
لا تصيحى واحسرتاه لئلا … يدرك السامعون ما تضمرينه
وإذا زرتنى وأبصرت وجهى … قد محا الموت شكه ويقينه
ورأيت الصحاب جاثين حولى … يندبون الفتى الذى تعرفينه
وتعالى العويل حولك ممن … مارسوه وأصبحوا يحسنونه
لا تشقي عليّ ثوبك حزناً … لا ولا تذرفى الدموع السخينه
غالبي اليأس واجلسى عند نعشى … بسكون إنى أحب السكينه
إن للصمت فى المآتم معنى … تتعزى به النفوس الحزينه
ولقول العذال عنك «بخيل» … هو خير من قولهم «مسكينه»
وإذا خفت أن يثور بك الوجـ … ـد فتبدو أسرارنا المكنونه
فارجعى واسكبى دموعك سراً … وامسحى باليدين ما تسكبينه

يا ابنة الفجر من أحبك ميت … ولأنت بمثل هذا رهينه
زايل النور مقلتيه وغابت … تحت أجفانه المعانى المبينه
فأصيخي هل تسمعين خفوقاً … كنت قبلا فى صدره تسمعينه
وانظرى ثم فكرى كيف أمسى … ليس يدرى عدوه وخدينه
ساكتاً لا يقول شيئاً ولا يسـ … ـمع شيئاً وليس يبصر دونه
لا يبالى أأودعوه الثريا … أم رموه فى حمأة مسنونه
وإذا الحارسان ناما عياء … ورأيتِ أصحابه يتركونه
فتعالى وقبلى شفتيه … ويديه وشعره وجبينه
قبل أن يسدل الحجاب عليه … ويوارى عنكِ [1] فلا تبصرينه
واحذرى أن تراك عين رقيب … ولئن كان حل ما تحذرينه
فإذا ما أمنت لا تتركيه … قبلما يفتح الصباح جفونه
وإذا الساعة الرهيبة حانت … ورأيتِ حراسه يحملونه
وسمعت الناقوس يقرع حزناً … فيرد الوادى عليه أنينه
زودى الراحل الذى مات وجداً … بالذى زود الغريب السفينه
نظرة تعلم السموات منها … أنه مات عن فتاة أمينة

طوت الأرض من طوى الأرض حياً … وعلاه من كان بالأمس دونه
واختفى فى التراب وجه صبيح … وفؤاد حر ونفس مصونه
وإذا ما وقفت عند السواقى … وذكرت وقوفه وسكونه
حيث أقسمت أن تدومى على العهـ … ـد وآلى بأنه لن يخونه
حيث علمتِه القريض فأمسى … يتغنى كى تسمعى تلحينه
فاذكريه مع البروق السوارى … واندبيه مع الغيوث الهتونه
وإذا ما مشيت فى الروض يوماً … ووطأتِ سهوله وحزونه
وذكرت مواقف المجد فيه … عند ما كنت بالهوى تغرينه
حيث علمته الفتون فأضحي … يحسب الأرض كلها مفتونه
حيث وسدته يمينكِ حتى … كاد ينسي شماله ويمينه
حيث كنتِ وكان يسقيك طوراً … من هواه وتارة تسقينه
حيث حاك الربيع للروض ثوباً … كان أحلى لديه لو ترتدينه

---

(١) نلاحظ أن الشاعر قد ارتكب ضرورة لا تجوز وهى إشباع تاء المخاطبة وقد كررها مراراً فى القصيدة (الرسالة)

(١) إشباع الكاف هنا خطأ أيضا (الرسالة)

فالثمي كل زهرة فيــه إني ... كنت أهوى أزهاره وغصونه
ثم قولي للطير مات حبيبي ... فلمــاذا يا طير لا تبكينه

وإذا ما جلست وحدك في الليـل وهاجت بك الشجون الدفينه
ورأيت الغيوم تركض نحو الغــرب ركضاً كأنها مجنونه
ولحظت من الكواكب صداً ... ونفاراً ، وفي النسيم خشونه
فغضبتِ على الليالي البواقي ... وحننت إلى الليالي الثمينه
فاهجرى المخدع الجميل وزوري ... ذلك القبر ثم حيّي قطينه
وانثرى الورد حوله وعليه ... واغرسي عند قلبه يا سمينه

(الولايات المتحدة) إيليا أبو ماضي

توبة المكره

للأستاذ حسين شفيق المصرى

كبرتُ وهدنى طولُ الليالى ... فلا حالٌ تسر ولا وَسامة
فمــاذا تبتغى الغاداتُ منى ... أضعفى يبتغين أم الدَّمامة ؟
وماذا أبتغى منهن ويحى ؟ ... أيهوى الشيخُ أم يشكو سقامه
كبا فرسُ الهوى فسقطتُ عنه ... ومات فلستُ بالراجى قيامه
وأقعدنى عن اللذات عجزى ... فليست توبتى عقبى ندامه
فما صومى الغداة ولا صلاتى ... بشىء نافعى يومَ القيــامة

حسين شفيق المصرى

حنــين

للأستاذ حسن حمدى بك

يا غائبين عن العليل لأنتمُ ... فى القلب مهما غبتمُ شُهّادُ
يا عائديه فى الكرى عودوا ، فِدًى
لخيــالكم فى اليقظة العُوّاد
لا تحسبوا الآحاد طابت بعدكمْ ... طابت لكمْ ما عِشتمُ الآحاد
لا تحسبوا الأعياد عادت بعدكمْ ... أيامُ قربكمُ هى الأعيــاد
بحياة من وقف الجمال عليكمُ ... وحياتكم قولوا متى الميعاد
كم قلت من أسفى عليكم نائحًا: ... بانت ، فيا أسفا علىّ ، سُعاد
فمتى أقول من ابتهاجى شادياً : ... «يا مصر أهلك بالسلامة عادوا»

حسن حمدى

من الشعر المنسى لحافظ

إلى الرئيس روزفلت !

« مر مستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة بمصر وهو عائد من الصيد والقنص في أواسط أفريقيا في مارس سنة ١٩١٠ ، فخطب في الجامعة المصرية خطبة أشاد فيها بأبناء عمومته الانجليز وحمد صنيعهم في مصر . فقال له حافظ هذه الأبيات » :

إى خطيبَ الدنيا الجديدة شنِّف ... سمعَ مصرٍ بقولك المأثور
إنما شوقها لقولك يا (روز ... فلت) شوقُ الأسير للتحرير
قف غدًا أيها الرئيس وعلـم ... أهلَ مصرٍ حرية التعبــير
أخبر الناسَ كيف سُدتم على النا ... سِ وجئتم بمعجزات الدهور
وملكتم أعنَّة الريح والمـا ... ء ودُستم على رقاب العصور
قف وعدِّدْ مآثر العلم واذكر ... نِعَمَ الله ذكر عبــدٍ شكور
وإذا ما ذكرت أنعُمَ الكبـ ... رى فلا تنس نعمةَ الدستور
يا نصير الضعيف مالك تطرى ... خلقَ القوم بعد ذاك النكير
لم تطيقوا جوارهم بل أقمتم ... فى حماكم من دونهم ألفَ سُور
أنت تطريهمو وتثنى عليهم ... نائياً آمناً وراء البحور
ليت شعرى أكنت تدعو إليهم ... يوم كانوا على تخوم الثغور
يوم كانوا قذًى بعين « نيو يور ... ك » وداء مستحكمًا فى الصدور
يوم نادى « واشنجطون » فلبّا ... ه من الغاب كلُّ ليثٍ هَصور
يوم سجلتمو على صفحات الد ... هر تاريخ مجـــدكم بالنور
ووثبتم إلى الحيــاة وثوباً ... ونفضتم عنكم غبار القبور
إنما النيل و « المسيسبي » صنوا ... ن هما حَلْبتان للمعمور
وعجيب يفوز هـــذا بإطلا ... ق وهــذا فى ذلة المأسور
يا نصير الضعيف حبب إليهم ... هجر مصر تفز بأجر كبير
فعليهمْ أن يهجروا وعلى المصـ ... رى ذكر المتيَّم المهجور

م . ف . ع

غريب

قرأت بدهشة وعجب كلمة الأستاذ (م . ح . ب) من الخرطوم في العدد (٢٩٢) من الرسالة ، ولا ألومه أن يغضب إذا أهينت كرامته ، أو مست قوميته بسوء ؛ بيد أني حين تبرأت من أن أكون « زنجيًا أو هنديًا أو نوبيًا أو حبشيًا » كنت أشير إلى ما يعتقده الانجليز في هذه الأجناس خاصة ، ولذلك قلت فيما بعد : « ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته أن يلحقني بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ، ويعدهم دونه في الذكاء والمدنية » . وقلت : « إني لست في مقام جدال » حتى أفند هذا الرأي الخاطئ ، إذ كنت حريصاً على إيجاد مأوى أستريح فيه من عناء السفر ، وشدة الداء ؛ وحين لاحت الفرصة دافعت بكل ما أوتيت من قوة عن « الشعوب الملونة » فقلت : « الآن عرفت الحقيقة ، إذاً لا يوجد هناك تفوق في الذكاء كما لا يوجد تفوق في ميدان الحضارة والاستعداد لتقبلها ، ولكن المسألة استعمارية بحتة » ؛ وتكلمت عن الشرقيين عامة كما تكلمت عن المصريين خاصة ، ولا يلمني الكاتب الفاضل إذا دافعت عن نفسي أولاً ثم عن غيري ثانياً

الواقع أن الإنجليز وبعض الأوربيين حينما يرون شخصاً أسمر اللون ، لا يفكرون إلا في هذه الأجناس ؛ لأن الأمريكيين نشروا الدعاية السيئة ضد الزنوج ، والاستعماريين شوهوا سيرة الهنود والنوبيين والأحباش ووصموهم بكل رذيلة وعيب . أما أنا يا سيدي فلم يزل قلمي ، ولم يخطر قط ببالي أن أهين شخصاً ما ، ولو عرفت مقدار صلتي بالهنود والسودانيين والأحباش لما اتهمتني بما ذكرت ؛ ففي الهنود ذكاء عظيم ، وفضل كبير ، وعلم جم ؛ والسودانيون إخواننا في الوطن والعروبة والدين ، ومنهم أعز أصدقائي الأستاذ الأديب توفيق البكري كاتم سر « النادي السوداني بمصر » وأنا أعطف على ناشئتهم في مدارسنا المصرية عطف الأخ الأكبر على إخوته الصغار . أما الأحباش فقد اتصلت بهم في لندن أيام نضالهم مع الايطاليين ، وعرفت فيهم خلالاً حميدة ، وأدباً غزيراً ؛ ودرست اللغة الحبشية في معهد اللغات الشرقية بلندن على آخر وزير لخارجية الحبشة المستقلة الأستاذ «هروي» Herouy ويعد من إنكار الجميل أن يخطر ببالي إهانتهم

ولعل في كلمتي هذه ما يزيل الشك ، إن كان ثمة شك

محمد الدسوقي

تاريخ العرب

لما كانت الظروف الحاضرة قد أحيت بين بلاد الشرق العربي صلاته القديمة ، وجمعتها على أمل وحدتها التاريخية ، للتعاون المشترك على النهوض والاستقلال ، فقد تقدم اقتراح إلى وزارة المعارف لتعمل على وضع تاريخ للشعب العربي منذ أقدم العصور على أن يدلل هذا التاريخ ، بحسب ما وصل إليه محققو العرب ، على حقيقتين خطيرتين لازمتين للوحدة العربية: أولاهما أن الشعب العربي أعرق الشعوب جميعاً وهو واضع أسس الحضارة الإنسانية ومنظم العدالة ومبادئ العلم وتعتبر أرضه مهبط الشرائع السماوية جميعها. وثانيتهما أن الأمم الشرقية الحالية مما يحيط بجزيرة العرب أمم عربية خالصة مما يمتنع معه الاندفاع مع الدعايات السياسية الغربية من أن العراق آشوري وسوريا فينيقية ومصر فرعونية وبلاد المغرب بربرية وغير ذلك

وقد رحبت وزارة المعارف بهذا الاقتراح ، وشرعت في دراسته

الشيخ طنطاوي جوهري وجائزة نوبل للسلام

سبق أن أشرنا إلى تقدم فضيلة الأستاذ الشيخ طنطاوي

جوهرى بعض مؤلفاته لنيل جائزة نوبل للسلم فى هذا العام، وقد كان من شروط التقدم لمثل هـذه الجائزة أن يكون صاحب المؤلفات من أساتذة الجامعة أو أن يرشحه أحد الوزراء أو عضو فى البرلمان أو أستاذ جامعى فى الفلسفة أو التاريخ أو القانون أو السياسة .

ولقد تطوع لترشيح فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى مشرفه بك عميد كلية العلوم ، والدكتور عبد الحميد سعيد عضو البرلمان ، فأخذت وزارة الخارجية بهذا الترشيح وأرسلت مؤلفات الأستاذ إلى البرلمان النرويجى مشفوعة بتقرير عن جهوده فى سبيل العلم والسلام وشهادات علماء انجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا فى قيمة مؤلفاته.

اللغة العربية فى مدارس ايران

رغبت وزارة المعارف الإيرانية فى الأخذ ببعض مناهج التعليم فى مصر على أثر اطلاعها عليها بمناسبة الدعوة لعقد مؤتمر شرق للتعليم . وقد تبودلت رغبة أخرى فى دراسة اللغة العربية فى إيران إذ لوحظ أن انتشار هذه اللغة يكون عاملاً على توثيق الروابط بين إيران وبين جاراتها الشرقية

وينتظر أن تبدأ وزارة المعارف فى أوائل العام المقبل فى ندب عدد من مدرسى اللغة العربية للعمل فى مدارس إيران

الأغانى المصرية وتعميمها فى العراق

تلقت وزارة المعارف من حكومة العراق طلباً بإرسال صورة من الأغانى المصرية والقطوعات الشعرية الغنائية لتعميمها فى بلاد العراق

وقد أرسلت الوزارة بعض المقطوعات التى منح أصحابها جوائز مالية وبعض مقطوعات أخرى تمثل النهضة المصرية الحديثة ومنها النشيدُ القومى للأستاذ محمود محمد صادق

وقد ذكرنا من قبل أن وزارة المعارف تعنى الآن بإحياء الأغانى المصرية وتوجيهها التوجيه التهذيبى لتتمشى مع روح النهضة الحديثة

قصيدة مولد الليل

سيدى الأستاذ صاحب الرسالة الغراء :

سلام الله عليك . وبعد فقد ورد فى قصيدة الأستاذ الشاعر محمود الخفيف « مولد الليل » (الرسالة عدد ٢٩٠) بيتان شذ عجزاهما عن تفاعيل بحر القصيدة ، أحدهما « ومضت تمسح كف الدجى » والآخر « إن دجا فو قِ قَ ليل الردى » ولعل هذا تطبيع فنرجو تصويبه ضناً منا بجمال هذه القصيدة أن يصيبه تشويه الكسر . وفى شعر الأستاذ الشاعر رقة وسمو فى الخيال يغريان على حفظه والترنم به . وبقاء العجزين على حالها فيه نبوٌ باللسان عن إنشادها ونبوٌ بالأذن عن سماعهما .

هذا وحفظ الله ابن عبد الملك الزيات

« نابلس » فدوى

(الرسالة) : نشكر للأديبة الفاضلة حسن التفاتها ودقة ملاحظتها ونرجو منها أن تقرأ الشطرين هكذا :

« ومضت ماسحة كف الدجى »

« إن دجت فوق دياجير الردى »

حول الفرقة القومية

نشر الأستاذ (ابن عساكر) حديثاً لى فى العدد رقم ٢٩٢ من مجلتكم الزاهرة أسقط منه — لعلة لا أعرفها — فقرة خاصة بالمؤلفين المسرحيين المصريين الذين أخرجت لهم الفرقة القومية روايات مسرحية ، فذكر فى الحديث المنشور ما يأتى : « ومن حيث الرواية فإن الفرقة لم تقدم كاتباً يؤبه له ... »

هذا فى حين أن العبارة التى أمليتها عليه إملاء — وإننى دائماً أملى أحاديثى أو أكتبها — هى : « ومن حيث الرواية فإن الفرقة لم تقدم كاتباً جديداً يؤبه له إلا الأستاذ توفيق الحكيم »

أمليت هـذا إحقاقاً للحق ، وتنويهاً بجهود الأستاذ توفيق الحكيم فى حين أننى لم أغمط قدر المؤلفين الذين تقدموه فى كتابة المسرحية أمثال الأساتذة : ابراهيم رمزى ومحمود تيمور ولطفى جمعة وعباس علام ومحمد خورشيد وغيرهم .

لهـذا أرجو التفضل بنشر هذه الكلمة استدراكا لأمر خرج عن محاوره .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . زكى طليمات

كلمة « فطاحل »

عثرت وأنا أقرأ المقدمة التي وضعها الأستاذان الكبيران العوامري والجارم عضوا المجمع الملكي، لكتاب البخلاء (طبع دار الكتب المصرية) على الجملة الآتية:

« وليس من غرضنا في هذه الكلمة أن نجلو على القارئ فن الجاحظ وأدبه ولا ... أن نقايس بينه وبين فطاحل العصر العباسي من الكتاب والمنشئين » ص ٣ سطر ٤

وكلمة فطاحل هذه هي جمع فِطَحْل، وقد استعملها كثيرون وأرادوا بها معنى العظيم. على أنها ليست من هذا المعنى لشيء على ما نحسب. جاء في اللسان:

« فِطَحْل كهزبر: الأرض قبل أن يخلق الإنسان. البعير الضخم. » وذكر مثل ذلك صاحب القاموس والتاج والنهاية. ولم يذكرها الأساس

ونحن لم نعثر على هذه الكلمة في شعر العرب أو كلامهم بهذا المعنى. وقد ورد: فحل، وقرم...ولم أجد أحداً من العرب استعملها مجازاً. فهل للأستاذين أن يبينا لنا وجه استعمالها، أو يذكرا لنا أحداً من العرب الخلص استعملها، أم كان ذلك جرياً وراء الخطأ الشائع؟

« دمشق » صلاح الدين المنجد

الفاعل عند البصريين

يمتنع عند البصريين أن يكون الفاعل متقدماً على فعله. وفي الصبان ج٢ ص٣٢ جاء «وفي كلام الدماميني ما يفيد أن من المانعين للتقدم من يخص منعه بالاختيار حيث قال نص الأعلم وابن عصفور في قول الشاعر:

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

على رفع وصال بيدوم وقدم للضرورة وهو ظاهر كلام سيبويه »

فأنت ترى أن من المانعين للتقدم من يخص المنع بالاختيار مستدلاً بهذا البيت. ولو أنهم فسروه تفسيراً آخر غير التفسير الذي فسروه به لما جروا علينا خلافاً كنا في غنية عنه ...

والتفسير المقبول هو: قل وصال يدوم على طول الصدود. فيكون قل فعل ماض وما زائدة ووصال فاعل قل. يبرر ذلك عندي:

(١) أن قلما تستعمل في وجهين: تستعمل للنفي المحض فيمكن أن تكون حرفاً نافياً « كما » فلا تطلب فاعلاً. وقد قرر البصريون إعرابهم على هذا الوجه « ب » وتستعمل لإثبات الشيء القليل كما قال الرضى. وقد قررت إعرابي على هذا الوجه.

(٢) أن الفعل وفاعله كجزأي كلمة ولا يجوز تقديم عجز الكلمة على صدرها ج ٢ ص ٣٢ صبان. على أن هذا البيت الوحيد الذي يحتج به قد أخطأ في اللغة قبل أن يخطىء في النحو. فصحة أطولت أطلت. ولكن الشاعر اضطر إلى هذا لضرورة الوزن. فيجوز أن يكون في البيت ضرورتان. ولعل هذا الوجه من الاعراب يسنده ما رأيته « للقاني » في المغني في بحث « ما الزائدة »: « إن البصريين لا يجيزون تقديم الفاعل في نثر ولا شعر ».

فهل آن لنا — ونحن في دور تبسيط النحو — أن نحذف من كتبنا أمثال تلك الخلافات التي لا تجدي ولا تفيد؟

عبد العليم عيسى
كلية اللغة

في الشعر العربي

أخذ الأستاذ بشر فارس على الجارم بك كثرة استعمال المحسنات المعنوية والألفاظ التي لا ترى إلا في المطولات من المعاجم، والتي لا يقوم شعر الجارم إلا بها، وعندي أن هذا خير ألف مرة ومرة من هذا الضرب الذي ارتضاه الجارم بك لنفسه

وإني أقتطف شيئاً من قوله يوم نقل رفات سعد الخالد وأضع بجواره قول أحمد شوقي بك « على قبر نابليون » وقصيدة أخرى له أيضاً « دمعة وابتسامة »

قال شوقي في الأولى:

قف على كنز بباريس دفين من فريد في المعالي وثمين

وفي الثانية:

إرفعي الستر وحيّي بالجبين وأرينا فلق الصبح المبين

فيقول الجارم بك :

اكشفوا الترب عن الكنز الدفين
وارفعوا الستر عن الصبح المبين

ويقول شوق :

وانتقد جوهرة من شرف صدف الدهر بتربيها ضنين

فيقول الجارم :

واجتلوه درة ساطعة صدف الدهر بشرواها ضنين

والقصيدة كلها على هذا النمط الذى إن قبله الأستاذ الجارم لنفسه فلن يرضاه له أحد

« إسكندرية » مصطفى على عبد الرحمن

بيان من جريدة الشباب

يسرنا أن نخبر القراء أن جريدة الشورى ستعود إلى الصدور قريباً وسنرسلها إلى القراء بدلاً من جريدة الشباب التى سنوقف إرسالها. وستكون الشورى مثل الشباب تماماً إن شاء الله. وإننا من الآن نوصى حضرات المشتركين والقراء والأصدقاء والزملاء بأن يجعلوا جميع مخابراتهم معنا على هذا العنوان :

محمد على الطاهر
جريدة الشورى بمصر
Mohamed Ali Ettaher
Ashoura Newepaper„ Cairo„

حول شريط الدكتور

تعقيباً على ما كتبه الدكتور بشر فارس عن رواية « الدكتور » السينمائية ، أقول إن من العيوب الموجودة بالفلم أيضاً أن تبرز صورة الحمار الناهق حينما أطل « الباشا » من نافذة المستشفى القروى ، لكى يتمتع بهواء الريف العليل ، ويتمتع بجمال الطبيعة الساحر ! . أما كان الأجمل ألا تبرز صورة الحمار هنا ، وأن يكون بدل ذلك شتى المناظر الفاتنة والصور الخلابة ؟

ولست أدرى سبب تلك الصورة المشوهة التى أعطتها لنا الرواية عن أسرة الدكتور حلمى . وأظهر موضع لتشوهها حينما جلس الباشا وزوجته وابنته إحسان مع حلمى وأبويه ، لتناول الغداء بالعزبة ، فهل يعقل أن تقدم « الشوربة » والأطعمة فى صحاف فخمة وأدوات « مودرن » ونظام مدنى ؛ ثم يقدم بعد ذلك « الخروف » المطبوخ ، فلا يؤثر فى لحمه السكين ، ولا يقدر على تقطيع أوصاله إلا كف الشيخ عبدالسلام الشثنة ؟ !

وعند ما دخلت أم حلمى على الضيوف ... هل يعقل أن تسلم فقط على إحسان ، ثم تترك أباها وأمها ، فلا تخاطبهما ببنت شفة ؟ أهذا ما يوحى به الطبع الريفى والعادات المصرية ؟!

وهناك مظهر اصطدام السيارة المقلة للضيوف بالجمل المثقل بحمله فى حمى العزبة ... أحقاً يفعل أبناء القرى بالسيارة الفارهة وفيها راكبوها وهم غرباء ذوو مظهر وجاه ونعمة ، مثل ما رأينا فى الرواية ، مما توحيه الجرأة ويمليه التبجح ؟ أظن أن الريفى بعيد كل البعد عن هذه الروح ؛ فهو لا يزال يجل الغريب ويحيطه بأنواع التجلة والإكبار .

أحمد الشرباصى

رجعـــة أبي العلاء

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

أبو العلاء المعرى رجل عبقرى الذهن ما فى ذلك شك ، وهو فى عبقريته هذه نفاذ مستوعب يقتحم كل شيء ويحيط بكل شيء . ولقد اهتم به كثير من النقاد والباحثين فى هذه الناحية ، فدرسوا آثاره ، وشرحوا أقواله ، وحللوا ملكاته ، وقال كل فيه بما يرى وعلى ما يفهم ، والأستاذ العقاد فى جملة هؤلاء الذين عنوا بشيخ المعرة ، بل إنه لأشدهم مصاحبة له ، ونظراً فيه ، وإدماناً عليه . اتخذه رفيقاً فى جميع أطوار فكره ، وجرى معه فى كل أدوار عمره ، وكتب عنه فى « المطالعات » عدة فصول هي أدق وأعمق ما كتب عن المعرى فى عبقريته وفلسفته وتحليل ملكاته ...

والمعرى أيضاً رجل عبقرى النفس ما فى ذلك شك ، وعبقرية النفس هى الشعور بالواجب والحرص عليـه ، والإيمان بالحق والتفانى فيه ، والإحساس القوى الذى يملأ النفس بالروحانية والثقة والكرامة والأنفة والترفع عن كل مايشين ويزرى بصاحبه . وغاية الكمال فى « الشخصية » الإنسانية أن تجتمع لها العبقريتان: عبقرية الذهن وعبقرية النفس ، فتتوازن من الجانبين ، وتتعادل فى الجهتين ، فإذا هى على استواء فى التفكير والتقدير ، والعواطف والأهواء ...

وإذا كان المعرى فى الناحية الأولى قد أشبعه الباحثون قديماً وحديثاً بالبحث والدرس ، فإنه فى الثانية مطمور مغمور ، لم يفطن إليه كاتب ، ولم يتنبه له ناقد ، ومن هذه الناحية المجهولة ، أراد العقاد أن يكشف عن أبى العلاء فى « رجعة أبى العلاء » فبلغ من ذلك غاية ما يبلغه الناقد البصير فى الكشف عن « مجهول » بالفرض والاستنتاج والحدس والتخمين والمقارنة بين العبقريات والشخصيات ، والمقابلة بين الآراء والأفكار ، مع مراعاة الزمان والمكان ، والظروف والملابسات

فى المقال الذى كتبه العقاد عن « صاحب الجلالة المعرى » دراسة قويمة نافذة ، تتجلى فيها عبقرية العقاد فى البحث والتحليل وتنكشف فيها عبقرية المعرى النفسية ، أو ما يسميه العقاد بشيمة السمت والوقار ، أو كما نقول فى لغة العصر الحاضر : أدب البيئة وأصول اللياقة « ص ٢٤ » ومن رأى العقاد أن هذه الخصلة فى الرجل ترجع إلى مراجع كثيرة : هى التربية فى بيت العلم والوجاهة ، والسليقة العربية ، وفقد البصر ، والكبرياء ، وعزة النفس ، ووهن البنية ، وضعف الخوالج الجسدية ضعفاً أتاح له أن يكبح نوازع اللحم والدم ويقمع دوافع الشهوات

وفى الفصـل التالى يمعن العقاد فى التحليل والكشف عن عبقرية المعرى النفسية ، ويحاول أن ينظر إليه فى « عالم السريرة » فيسأل : هل كان من المستطاع تغيير هذه الخصلة ، خصلة السمت والوقار ؟ ثم يسأل : وماذا كان المعرى صانعاً لو أنها تغيرت بعض التغيير أو كل التغيير؟ ثم يجيب العقاد على ذلك بأن تغييرها كان مستطاعاً كما يستطاع كل تغيير فى عوارض الصفات ، وأكبر الظن فى هذه الحالة أنه كان يجمع بين النواسية والخيامية فى نمط واحد ، أو كان يخرج لنا نمطاً جديداً يضاف إلى نمط النواسى ونمط الخيام فى ديوان الآداب الشرقية

ولقد بلغ العقاد فى هذا الفصل والذى قبله غاية لا تطاول فى التحليل والتقدير والاستنباط . وهـذان الفصلان هما خير ما فى كتابه من الدراسة ، وأمتع ما فيه من نفاذ الذهن العبقرى

فى إدراك السر العبقرى . ولقد فرض العقاد لشيخه المعرى فروضاً كثيرة ، ونظره فى أوضاع مختلفة . ولقد حاول أن يلبسه لبوس قاضى المعرة ، أو أن يظهره فى مظهر النواسى ، أو يجعله على نهج الخيام وطريقته، ولـكنه انتهى به إلى حقيقته الـكائنة « فأبو العلاء هو أبو العلاء » حين يمعن فى أغوار ضميره فيلمح هواجس قلبه ، وشكوك عقله ، ومادة علمه واختباره ، وآثار نعمته وحرمانه (ص ٦١)

وبهذه الطبيعة الـكائنة رجع العقاد بشيخه المعرى إلى الحياة ، وطوّف به فى أنحاء الأرض ، واستطلع طلعه فى شؤون العالم الحاضر ممـا رأى وسمع . فلما بلغ غاية المطاف ، وسئم المضيفين والأضياف ، رجع به إلى مثواه ، وانتهى به إلى حيث هو فى رقده ، بعد أن ودّعه بقصيدٍ على طريقة اللزوميات . والفكرة فى رجعة أبى العلاء قد حاولها المنفلوطى رحمه الله من قبل ، ولـكن هناك فرقاً كبيراً بين العقاد والمنفلوطى فى رجعة أبى العلاء وبعثه، فقد كان المنفلوطى يبنى دراسة المعرى من أقواله وأشعاره فانتهج لذلك نهجاً قصصياً قريباً إلى النفوس ، سهلاً فى التناول . أما العقاد فقد تخيّـل «رهن المحبسين» يجوس بيننا خلال الديار ، ويتمرس بأحوال الأمم فى عالمنا الحاضر . ثم راح ينطقه بالرأى فى شؤون زماننا بالقياس على المعهود من كلامه ، والمقابلة بين المعروف من آرائه، وهو فى كل هذا يستشهد بشعره ، ويتمثل بقوله ، ويصطنع لغته ، ويجرى على طريقته ...

ولقد أخذ على العقاد بأنه فى كتابه قد أظهر شخصيته هو لا شخصية أبى العلاء ، وأبدى رأيه هو لا رأى شيخه فى الحياة ، وأنه أنطق الرجل بالقرآن وما كان ديدنه ذلك ، وكأنى بقائل هذا قد فاته الغرض الذى قصد إليه العقاد . وأشار إليه فى المقدمة بصريح العبارة ، فإن العقاد لم يقصد إلى دراسة المعرى ولـكنه فرضه حيًّا فى هذا العصر ، وعلى هذا الفرض أنطقه بالرأى قياساً على المعهود من كلامه وآرائه كما يقول ، فله أجر المجتهد إن أخطأ أو أصاب فى مجال الفرض والتخمين ...

وفى الـكتاب أقوال يجوز فيها بيننا وبين الأستاذ الخلاف ، فهو يقول مثلاً : أما الخمر فلا أستبعد أن الشيخ قد ذاقها فى بعض الأديرة التى كان يغشاها للدرس (ص ٤٦) وأنا أخالف الأستاذ فى ذلك وأرى أن وصفه للخمر لا يقوم دليلاً على ذلك . والأستاذ العقادنفسه يأخذبهذا الرأى فيما كتبه عن المعرى فى المطالعات فبأى قولى الأستاذ نأخذ ؟

ويقول على لسان المعرى لتلميذه حسبك حسبك وهو يشرح له فلسفة العصر فى المرأة ، وعهدنا بالمعرى يتلهف على المعرفة ، ويضرب إليها أكباد الإبل ، فليس من طبعه أن يقول : حسبك حسبك . فى مثل هذا المقام

ويقول العقاد : أما أبو العلاء فهو قريب من أبى نواس فى الثقافة ، وكان الأنسب أن يقول : ولقد كان أبو نواس قريباً من المعرى فى ثقافته ... والفرق واضح بين القولين

ويحاول الأستاذ العقاد أن يقف بالمعرى فى المناقشة والمحاجة دائماً موقف التريث المجمجم المتمعض ، وما كان المعرى كذلك بطبعه إلا فى مواقف التقيّـة والمداراة

وأعود فأثنى على كتاب أستاذنا الـكبير خير ثناء ، وأشكره على يوم قضيته فى استجلاء « كتابه » فلم أندم عليه ، بل ربحت منه الـكثير ، وأفدت منه النافع الجليل .

م . ف . ع

الفرقة القومية

هل هى فى تقدم

أم فى تأخر أم فى ركود ؟

لقد ساير الأستاذ توفيق الحكيم الفرقة القومية منذ نشأتها وكانت أولى مسرحياته ، أهل الكهف « حسن طالع » لها ، افتتحت بها عملها الفنى ، وقد غذى المسرح بروايته الثانية « سر المنتحرة » وله مجالات فى فن القصة تدل على روحه القوى واندفاعاته الجريئة فى ارتياد آفاقها ليتعرف أسرار الحياة وليشرك قارئه معه فى الفرح بالحياة أو الاكتئاب منها

قلت للأستاذ الحكيم : لقد سايرتَ الفرقة القومية منذ افتتاحها وغذيتها بمسرحياتك ، وعاونت مديرها وساندته فى مهمته ، وها قد مضى على ذلك أربعة أعوام ، فهل فى وسعك أن تقول هل الفرقة فى تقدم أو فى تأخر أو فى ركود ؟ فأجاب :

من يطلع على التقرير الذى وضعه سعادة الدكتور عفيفى باشا وفيه بيان الغرض من إنشاء الفرقة القومية ير أن المقصود من وجود هذه الفرقة ورصد مبلغ كبير من مال الأمة ، هو إنشاء دار تحدث نهضة عظيمة تشعر البلاد والجمهور المثقف بها ، يكون من شأنها ترقية الفن والأدب المسرحى وحركة الترجمة أيضاً مما يجعل هذه الدار عنواناً تفخر به مصر . لذلك كان المفهوم أن خطة الفرقة سائرة فى هـذا السبيل ، ولكن اتضح مما قدمته فى مواسمها العديدة أنها لم تؤد أكثر مما أدته الفرق الأهلية من قبل ، بل إن البلاد شعرت بنهضة مسرحية فى أول عهد ظهور مسارح جورج أبيض، ورمسيس ، وفاطمة رشدى . حيث أخرجت للناس بعدروائع الأدب الغربى المعروفة أمثال عطيل ومكبث وسيرانو دى برجراك وغادة الكاميليا وغيرها ، كما أن مسرح الأزبكية كان قد نهض إلى حد ما بالرواية المسرحية الغنائية . وكان المنظور بمجرد ظهور الفرقة القومية بما لها من وفرة المال والممثلين وتعضيد الحكومة أن تتجه بالفن اتجاهاً جديداً ، ولكنها خيبت ظن الجمهور، فرواياتها المترجمة هى من سقط متاع الغرب ومن أقلام شبه مجهولة ، وكذلك التأليف . كما أن الإخراج والتمثيل ليس لهما قاعدة ثابتة لعدم إسنادهما إلى أيد مختصة مسؤولة عن الإدارة الفنية كما هو الحال فى جميع المسارح والسينما المحترمة ، وقد وضحت جميع هذه النقط فى التقرير الذى كلفت بتقديمه إلى وزارة المعارف

إذن يمكننى أن أقول إن الفرقة القومية ليست فى تقدم كما تدعى هى ، بل هى فى جمود سيؤدى إلى التأخر ولا شك

— هل علة هذا الجمود هى الإدارة العامة ، أم لجنة القراءة ، أم المؤلفون الذين لا يغذون المسرح ؟

أعتقد أن المسؤول الوحيد عن سير الفرقة هى الإدارة العامة ، وأن لجنة القراءة والمؤلفين ليسوا غير وسيلة يتوسل بها المدير للانتفاع بهم فى الوصول إلى الغرض الأسمى للفرقة ، فلجنة القراءة ليست هى المدير ، والمقصود من وجودها إعانة المدير على اختيار الروايات من بين الأكوام التى تقدم إليه . أما المؤلفون فهم على نوعين : مجهول ومشهور ، فظهور الأول رهين بالظروف والمصادفات ، والمباراة فى التأليف هى إحدى الوسائل التى تعجل اكتشافه وتيسر إبراز مواهبه . أما الثانى أى ذلك المؤلف الذى لا تشغله ميادين نشاط أخرى فهو فى الغالب لا يمكن أن يقحم نفسه فى الفرقة بغير دعوة منها ، وفى العالم كله نجد المسارح وشركات السينما هى التى ترسل فى طلب المؤلفين المشهورين وتتعاقد

معهم . أما قول بعضهم إن كبار المؤلفين يتهيبون الوقوف مع الكتاب الناشئين فغير صحيح ، لأن الكاتب المشهور مهما أسفّ فإنه يخرج عملاً له قيمته الفكرية على كل حال ، مطبوعاً بطابع شخصيته الأدبية التي عرفها الجمهور ورضى عنها واشتهر من أجلها فى مناحى الأدب الأخرى

– أراك أزحت عن عاتق لجنة القراءة أسباب تأخر الفرقة فى حين أن مديرها يقول إنه ينفذ قراراتها ، وإن الفرقة لا تمثل إلا الروايات التى تقرها اللجنة

قلت : إن مهمة لجنة القراءة تصفية التراكم من الروايات المقدمة للمدير ، وليس من شأنها إحداث النشاط الأدبى والفكرى اللازمين لحياة الفرقة ورقيها . فليس مثلاً من شأنها البحث عن أمهات الآثار الغربية التى تلائم المزاج المصرى فتدفع بها إلى المترجمين ، والمقتبسين ؛ وليس من شأنها أيضاً أن تتعاقد مع المؤلفين الذين ترى أن مصلحة الفرقة فى أن يكتبوا لها ؛ وليست هى التى تبحث عن وسائل إخراج هذه الروايات التى يسترعى إخراجها انتباه الجمهور ، فكل هذه المسائل من اختصاص مدير الفرقة وحده ، وهو إمّا لكسله أو عدم تحمسه لإحداث النشاط الفكرى والفنى المطلوب يحاول أن يلقى تبعة هذا الجمود على لجنة القراءة أوعلى كبار المؤلفين ، وهى فى حقيقة الأمر حجة يسترخلفها تبريراً لما يشعر به من خيبة الأمل التى كانت معقودة على الفرقة

قلت : أعرف مدى نفوذ أعضاء لجنة القراءة على مدير الفرقة ، كما نعرف جميعاً مبلغ تسامح المدير فى كل شىء ، وحبه للسلام ، وبعده عن النضال والجدل الأدبى فهل لك أن تقول بصراحة هل يمكن لأعضاء لجنة القراءة أن يكونوا رجال حكم صحيح فى الفن المسرحى والرواية المسرحية ، وهل ما جاء فى أحاديثهم يدل على أنهم أهل لمساعدة المدير فى تحقيق رسالة الفن المسرحى

فقال: أعتقد أن أسباب نفوذ لجنة القراءة مستمدة من ضعف مدير الفرقة ، وأن أسباب ضعف المدير آتية من استئثاره بالعمل والضن على نفسه بمساعدة يستمدها من صاحب دراية ومعرفة ، وهو الكسول كما عرفنا ، فلو أنه كان يشفع الرواية التى يقدمها إلى اللجنة برأى فنى قاطع ، ويترك للجنة النظر إلى الرواية من الناحيتين : اللغوية والخلقية ، لكانت اللجنة لزمت حدها . ولو أنه ألف لجنة فنية من المخرجين وكبار الممثلين مسؤولة عن نجاح الرواية وعن سقوطها ، لكانت الفرقة مشت فى طريقها الطبيعى ، وقامت كل هيئة بما هو موكول إليها من أعمال . ولو أن الأمور كانت تسير فى هذا الطريق وهو الطريق القويم المتبع فى فرق التمثيل فى العالم ، لما كان يضير الفرقة أن تكون لجنة القراءة فيها مؤلفة من شيوخ أو غير شيوخ . وفى الختام أقول لك ولقرائك: سامح الله مدير الفرقة ، فلقد أبطأ جد الإبطاء فى تيسير الأدب المسرحى فى سبيله الممهد

ابن عساكر

فى يوم ١٣ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية شباس الملح مركز دسوق وإذا لم يتم البيع فيكون فى يوم الخميس التالى بسوق دسوق كطلب السيد افندى السيد أبو حلاوة من دسوق سيباع علنا الأشياء الموضحة بمحضر الحجز ملك ابراهيم على خلف الله وآخر من الناحية نفاذاً للحكم فى القضية ن ٦٤ سنة ٩٣٩ وفاء لمبلغ ٤٦٢ قرش صاغ خلاف ما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم ١٩ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بكفر سلامه حنا تبع القنايات مركز الزقازيق شرقية سيباع علنا المواشى الموضحة بمحضر الحجز ملك طلبة بندارى رمضان من الناحية نفاذاً للحكم فى القضية ن ٦٤٧ سنة ٩٣٧ كطلب منصور ابراهيم زيد من الناحية وفاء لمبلغ ١٠م٢ج خلاف النشر وما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم ٢١ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية بنى عمار وزمام بندر طهطا ويوم ١٣ منه بسوق طهطا والأيام التالية إذا لزم الحال سيباع علنا محصولات زراعية موضحة بمحضر الحجز ملك السيد عبد الرحيم الفولى من الناحية نفاذاً للحكم فى القضية ن ٥٤٩١ سنة ٩٣٨ مدنى طهطا كطلب أحمد سلامة أحمد من الناحية وفاء لمبلغ ١٠١٢ قرش صاغ

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم ١٩ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية البراجيل وسوقها سيباع علنا زراعة قصب موضحة بمحضر الحجز ملك سيد محمد درويش من البراجيل نفاذاً للحكم ن ٣٦٣٤ سنة ٩٣٨ وفاء لمبلغ ٩٥٨ قرش صاغ كطلب حضرة عبد الرحمن افندي مصطفى المحامى الوكيل عن راشد عبد الله بصفته من البراجيل فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم ٢٥ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية رويشه كطلب ابراهيم موسى عيد بكفر الشيخ سيباع علنا أذرة موضحة بالمحضر ملك حسانين شرف بالناحية نفاذاً للحكم ن ١٣٦١ سنة ١٩٣٣ وفاء لمبلغ ٥٩٥ قرش صاغ فعلى راغب الشراء الحضور

7me Année, No. 294

Lundi - 20 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٢٩٤ «القاهرة فى يوم الاثنين أول محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

الطفولة المعــــذبة

فى الأقوال السائرة أن الفقير كلما طلب من الله قرشاً أعطاه كرشاً . وفى ذلك حكمة للعليم الحكيم تستسرُّ دلائلها على الفطن المحدودة . فإن قوام العيش ونظام الدنيا منوطان بالسعى المرهق والعمل المَهين ، وهذان لا يقوم بهما إلا الكثرة ، ولا يحفز عليهما غير الحاجة . والغنىُّ المترف يحسب أن يديه لم تخلقا إلا لصرف النقود وقطف الخدود ورفع القدح ؛ فمثله كمثل السبع من الوحش والطير : يهلك ولا ينتج ، ويدمر ولا يعمر ؛ فكان من صلاح الأرض أن يقل نسله كما يقل نسل الأسود والنمور ، ويكثر نسل الفقير كما يكثر نسل الضأن والبقر . ولكن حكمة الله ضاعت فى غفلة الناس ، فبغى الغنى على الفقير حتى أصبح وهو مصدر الإنتاج فى النسل والحرث ، مفدوحاً بحمله فلا ينهض ، ومكدوداً بعمله فلا يستطيع . ثم نبا كوخه الجديب الضيق عن بنيه فدرجوا فى أفاريز الشوارع وزوايا الطرق وعليهم هلاهل من أخلاق الثياب تهتكت على الصدور والجوانب ، يستندُون الأكف بالسؤال ، أو يستدِرُّون الجيوب بالسرقة ، أو يأكلون ما طرح الناس من فضلات الطعام فى المزابل . هؤلاء الأطفال المشردون هم الذين تراهم يطوفون طول النهار وثلثى الليل على القهوات والحانات ، كما تطوف الكلاب والهررة على دكاكين الجزارة ومطاعم العامة ، وهمهم أن يصيبوا ما يسد الرمق ويمسك الحياة . فاذا أغلقت المقاهى

وجمت المدينـــة تساقطوا من السغوب واللغوب على العتبات وفى الحنايا وتحت الجدُر ، فيقضون آخر الليل بعضهم فى بعض كما تتداخل خراف القطيع إذا عصفت الريح أو قرس البرد

هؤلاء الأطفال المهملون هم الذين يستغل ذكاءهم تجار الرذيلة ، وسماسرة الجريمة ، يسلطونهم على القلوب البريئة والجيوب الآمنة ، فيسلبونها العفة والمال ، ثم لا يكون نصيبهم من هذه الثمار المحرمة إلا الخوف والجوع والأذى والمطاردة . يغرون الصبيان بالشر ، ويوزعون المخدر فى السر ، ويسرقون السابلة بالحيلة ، ويستجْدُون الجلوس بالرحمة ، ويجمعون الأعقاب من الطرق ، وكل أولئك لطغمة من المتعطلين يتعقبونهم بعين النسر من بعيد؛ حتى إذا أخذوا مامعهم تركوهم لأهوال الليل ، فإذا خشوا منهم ثاراً أو فراراً كدسوهم فى أقباء المنازل المهجورة فلا تدركهم عين الشرطة ولا تنالهم رعاية البر . ولا أدرى كيف

سالت على قلمى كلمة البر هنا ، وهى لو كانت في لغة الناس لما كان كل هذا !

إن سادتنا المترفين ليأنفون أن تقع أعينهم على هذا القبح ، وتدنو أثوابهم من هـذا القذر ، فهم ينهرونهم كما ينهرون الـكلاب ، ويذبونهم كما يذبون الذباب ، ويفورون غضباً على الحكومة أن تسمح لهـذه الحشرات أن تدب على الطرق المغسولة ، أو تحوم حول الموائد المزدانة !

شقّ الله هذه الأشداق المنفوخة يا سادة ! إن هؤلاء الأطفال الذين يحملون الملب بالأصباغ ، أذكي من أطفالـكم الذين يحملون القماطر بالـكتب ؛ وإن عباقرة العالم فى الأدب والفن والعلم والحـكم قد وُلدوا كهؤلاء فى مهاد اليتم والعَدم، ونشأوا فى حجور الألم والفاقة ، فاضطرهم الشقاء الباكر أن يعرفوا أن لهم أذهاناً للتفكير ، وعقولاً للتدبير ، وأيدياً للعمل ؛ ففكروا ثم قدَّروا ثم عملوا ، فكان من أثرهم هذه الدنيا ، ومن سيرهم هذا التقدم . أما أبناؤكم أبناء الدعة والسعة والرفاهة فانتفى عنهم العمل لقلة الحاجة ، وضعفت فيهم أداته لـكثرة البطالة ، فأصبح المخ مستوياً أملس كالصحيفة ، والجسم صقيلا أملط كالديباجة ، واليد رقيقة رفافة كالزنبقة . فهم تماثيل ناطقة للغباء الأنيق ، تَطعَم وتنعم وتلهو على حساب الفقير الذى يعمل ولا يأكل ، والأجير الذى يشقى ولا ينال !

بالله ما ذنب هـــذا الطفل الشريد الذى تتحامون مسّه ، وتتفادون مرآه إذا كان القدر قد اختار له ذلك الأب البائس الذى يتزوج ولا يعاشر ، ثم يلد ولا يعول؟ هل من طبيعة الحى أن يلقى أفلاذ كبده مختاراً في مدارج الطرق تطأها الأقدام وتتخيفها المكاره ؟ هل تستطيعون أن تجدوا لذلك إذا وقع علةً غير الفقر الذى يحمل الأب فى أزمات القحط والحرب على بيع بنيه وأكل بناته ؟ فإذا كنتم تشفقون على نعيم عيشكم من رؤية البؤس ، وتخشون على جمال حياتكم دمامة الفقر ، وتضنون بسلام وطنكم على أدواء التشرد ، فاقتحموا على الفقر مكامنه فى أكواخ الأيامى وأعشاش العجزة ، ثم قيدوه بالإحسان المنظَّم فى المدارس ، والصدقة الجارية فى الملاجئ ، تجدوا بعدئذ أن الدنيا جميلة فى كل عين ، والحياة بهيجة فى كل قلب ، وتشعروا أن روحاً عامة قد وصلت بين جميع الأرواح فأصبح الشعب كله جسماً حيًّا متآلفاً متكاتفاً تتغذى خلاياه بدم واحد ، وتتساير نواياه إلى غاية واحدة !

احمد حسن الزيات

كتاب مصطفى كامل

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى بك جدير أن يسمى بحق مؤرخ النهضة القومية الحديثة ، لأنه أرخها فى مرحلتها التى بدأت بالحملة الفرنسية ، وأرخها فى مرحلتها التالية التى بدأت بقيام محمد على الكبير على الأريكة المصرية ، وصحبها فيما أعقب ذلك من المراحل إلى عهد الثورة العرابية فالاحتلال البريطانى فالحركة الوطنية فى عهد هذا الاحتلال

وها هو ذا قد تأدى فى تاريخه لها إلى ختام القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، أى إلى الفترة التى ظهر فيها زعيم الوطنية فى أبناء ذلك الجيل مصطفى كامل باشا رحمه الله

ونهجُ الأستاذ الكبير فى كتابه عن مصطفى كامل شبيه بنهجه فى الكتب المتقدمة من حيث الطريقة والوجهة ، يتتبع الوقائع ويستقصى ما احتاج إليه من الأسانيد وينصف فى الحكم على الرجال والحوادث مع ميل يسير إلى تخفيف التبعات أو تجميل المحاسن فى بعض الجوانب ، وسهولة فى التعليل والتعليق لا تثقل على ذهن القارئ ولا تكتفى مع ذلك بالظواهر دون ما يلازمها من الأسباب والعواقب

إلا أنه فى كتابه عن مصطفى كامل قد اقترب من ميدان الحياة الحاضرة أو من معترك السياسة الذى يعيش فيه ، فكان لذلك أثره فى الميزان دون قصد فى بعض الأحيان ، وعلى قصد ظاهر فى بعض الأحيان

ولتوضيح ما نقول نرجع إلى الحركة الوطنية ومذهبيها المختلفين بعد احتلال الإنجليز لهذه البلاد

فقد كانت الدعوة الوطنية كما قلنا فى كتابنا عن سعد زغلول « شِعَباً مختلفات فى القصد والنتيجة المأمولة، فمنها ما كان يتجه إلى الدولة العثمانية ، ومنها ما كان يتجه إلى فرنسا لأنها أكبر الدول التى كانت تناوئ انجلترا فى مطامعها الشرقية ، ولم يشترك مع هؤلاء ولا هؤلاء حصفاء الثورة العرابية الذين شهدوا بأعينهم تذبذب السياسة الفرنسية والسياسة العثمانية قبل الاحتلال . فقد رأى رجال هذا الفريق ما هو حسبهم وزيادة فى هذه الآمال الكاذبة وهذه الجهود العقيمة ، فاستقاموا على الطريق الوحيد المفيد الممهد لهم وهو طريق النهضة المصرية الصميمة واستقلال المصريين أنفسهم بطلب الاستقلال، وتزويد الأمة بعدة العلم واليقظة والمثابرة، لأنه ما من وسيلة إلى الاستقلال فى رأيهم أنجع من وسيلة فهمه والاستعداد له والإصرار على طلبه ، ومن هذا الفريق كان أناس من فطاحل المصريين أمثال محمد عبده وسعد زغلول »

* * *

هذان هما المذهبان اللذان شاعا من مذاهب الحركة الوطنية بعد الاحتلال : مذهب مصر للمصريين. ومذهب الاعتصام بالسيادة العثمانية ، إما لأنها دولة الخلافة ، أو لأن السيادة العثمانية « حجة شرعية » لمحاربة الغاصب وإظهار مركزه « غير المشروع »

ولا يخفى أن مصطفى كامل رحمه الله كان من أنصار السيادة العثمانية ، وكان يذكر الاستقلال ولا يذكر الاستقلال التام ، وكان يقيم المحافل كل عام فى عيد جلوس « المتبوع الأعظم » عبد الحميد سلطان آل عثمان ليؤكد ولاء المصريين للسيادة العثمانية . وقد أنشأ الحزب الوطنى فكان المبدأ الأول من مبادئه « استقلال مصر كما قررته معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠ ، ذلك الاستقلال الذى يضمن عرش مصر لعائلة محمد على مع الاستقلال الداخلى عن تركيا »

وكان المبدأ العاشر من مبادئه « تقوية العلائق بين مصر والدولة العلية »

ولبث أشياع مصطفى كامل على هذا الرأى حتى كتب اللواء يعيب على الأستاذ الكبير « أحمد لطفى السيد بك » أنه يطالب بالاستقلال التام ويخرج بذلك على أحكام القانون وعلى سنة الولاء للسيادة العثمانية ، فاضطر الأستاذ يومئذ إلى التفرقة بين الاستقلال التام والاستقلال الكامل توفيقاً بين ما يدعو إليه وبين الصيغة الشرعية

ثم لبث أشياع مصطفى كامل على هذا الرأى إلى ما بعد الحرب العظمى وبعد الثورة الوطنية التى أعقبتها ، فحولوا الأمر إلى أصحاب السيادة فى الآستانة ثم فى أنقرة ، كأنهم هم الأصلاء وليس للمصريين أن يبرموا أمراً فى هذه السيادة إلا بعد إبرام الأصلاء رأيهم فى موضع الخلاف

وقد تعاقبت الحوادث وتمخضت الآراء فظهر بعد حين موقع الصواب من المذهبين ، وضعفت حجة السيادة العثمانية شيئاً فشيئاً حتى أصبح الجيل الحاضر يعجب كل العجب كيف كان هذا الرأى فى يوم من الأيام موضع خلاف ! !

وقد كان الإنصاف التاريخى يقضى ببيان هذه الحقيقة فى تاريخ مصطفى كامل ولا يمنع المؤرخ أن يفصل أعذار المتصمين بالسيادة العثمانية فى ذلك الحين ، بل يوجب عليه أن يذكر هذه الأعذار وأن يذكر معها صواب المخالفين ولا سيما حين يشعر أنه صواب.

ولكننا بحثنا فى كتاب مصطفى كامل فلم نر فيه إشارة إلى هذا أو ذاك ، وكأنما غلبت النزعة الحزبية على النصفة التاريخية فوجدنا أن الأستاذ الكبير قد أغفل الموضوع كل الإغفال ، فلم يذكر محافل المتبوع الأعظم ولم يذكر حملة اللواء على طلاب الدستور والحرية فى البلاد العثمانية ، وكتب أكثر من عشر صفحات عن تأسيس الحزب الوطنى مفصلا أسماء أعضائه وأقوال الصحف فيه دون أن ينشر مبادئه أو يأتى بالمهم منها وهى أهم ما يثبته المؤرخ فى سيرة زعيم حزب من الأحزاب

ولو أنه فعل هذا لأقر الحقائق فى نصابها وأتاح للقارئ أن يحيط بمعانى الحركة الوطنية من جميع نواحيها ، وأن يستخرج العبرة المقصودة بالتاريخ من صواب أو خطأ لكل فريق ، وما من فريق واحد معه كل الخطأ أو كل الصواب .

وبينما الأستاذ الكبير ينسى هذه الحقائق التى لا يطلها النسيان إذا به يأخذ بالظنون التى لا سند لها ولا معول عليها فيما يكتبه عن سعد زغلول فيقول عن علاقة سعد بالجامعة المصرية « وتبين أن انسحابه من رياسة اللجنة كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال لكى يحبط المشروع ، وقد أصابه الفتور والركود فعلاً بعد انسحابه من اللجنة ، وبخاصة لأن الحكومة خلقت فى ذلك الحين بإيعاز من الاحتلال أيضاً حركة إنشاء الكتاتيب واستحثت الأعيان فى مختلف الجهات على التبرع لها معارضة بذلك مشروع الجامعة »

ثم أشار الأستاذ الكبير إلى مسألة التعليم باللغة العربية فقال « وقد كانت خطبته — أى خطبة سعد — دفاعاً عن سياسة الاحتلال فى التعليم ، لأن الاحتلال هو الذى أحل اللغة الانجليزية محل اللغة العربية فى التدريس بالمدارس الأميرية ... »

* * *

تبين أن انسحاب سعد زغلول من رياسة الجامعة كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال ... يا عجباً ! كيف تبين ذلك ؟ ومن أين جاء ذلك البيان ؟

أما الحقيقة فهى أن الحكومة تبرعت للجامعة بالمال واعترفت بشهاداتها كما تعترف بشهادات المدارس الأميرية . وسألنا سعداً فى ذلك فقال فى بيان نشرناه فى كتابنا عنه : « ... كل هذا والذين يريدون إخراج الجامعة من قبضة الحكومة قد يجهلون أنها دفعت مرة واحدة خمسة أضعاف ما دفعه المتبرعون فى أنحاء القطر المصرى بأجمعه ، وليس هذا كله كل ما أمدت به الحكومة هذه الجامعة فإن اعتبارها لها مدرسة منتظمة وقبول شهادتها بين بقية الشهادات المدرسية ينشط الناس إلى الإقبال عليها إقبالاً لا تظفر بمثله إذا كان الغرض منها مجرد تحصيل العلم وتوسيع العقل ، وربما لا تنسى أن بعض هؤلاء كان يطلب من الحكومة إعانة المشروع مادياً ، فرفضهم الآن إشرافها عليه بعد أن أدت الحكومة ما طلبوه منها يعد من الغرابة بمكان »

هكذا كان موقف سعد من الجامعة وهو وزير ، وإنه لأصوب ألف مرة من موقف الداعين يومذاك إلى إحباطها وتشكيك الناس فى مصيرها . أما إنشاء « الكتاتيب » واعتباره حرباً للجامعات والمدارس العليا فقد عشنا بحمد الله حتى رأينا الدستور المصرى يفرض التعليم الإلزامى فرضاً ويجعله واجباً من الواجبات الوطنية، وعشنا بحمد الله حتى علمنا أن سعداً قد سبق النهضة القومية سنوات إلى ذلك العمل المجيد الذى كان محسوباً يومذاك من الجنايات

ومن السهل على الإنسان أن ينقد سعداً حين يعارض الهجوم على تقرير التدريس باللغة العربية فى جميع المدارس المصرية قبل إعداد الكتب وإعداد المدرسين والنظر فى عواقب هذا التبديل ؛ ولكن من السهل أيضاً أن يعلم الإنسان أن المستطاع هو المستطاع وأن سعداً قد عمل فى سبيل اللغة العربية والتمهيد لتدريسها جهد ما يعمله وزير فى تلك الأيام ، وأن مدرسة مصطفى كامل نفسها لم تكن تستغنى بالمدرسين المصريين عن المدرسين الانجليز ، اعتماداً

رد على رد

بين القديم والجديد

(لأحد أساطين الأدب الحديث)

يجمع الأستاذ الغمراوى فى نفسه من صفات الخلق العظيم ما لا يتفق إلا لقليل من المهذبين الأفاضل؛ فهو يغار على الفضيلة والدين، ويجمع إلى غيرته لطف المناظرة والإنصاف وآداب الحديث والمجادلة بالتى هى أحسن؛ وهذه رعاية من الله، نرجو أن يديم الله عليه نعمته. وقد ظهر عدل الأستاذ وإنصافه فى اعترافه بأن فى الأدب القديم أكثر مما يشكو منه مما فى الأدب الحديث، وفسر القديم بأنه ليس القدم الزمنى، فالقديم والحديث فى اصطلاح الأستاذ صفات لا تدل على الزمن، وضرب مثلاً بشعر عمر بن أبى ربيعة وقال: إنه لو كان فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لنفاه بسبب غزله. فعمر بن أبى ربيعة إذاً على قدمه الزمنى ليس من المذهب

على ما كان يقال فى ذلك الحين من أن تدبير الدراسة والكتب المدرسية ليس بالأمر العسير

***

هذه ملاحظاتنا على موازين الأستاذ الرافعى فى تاريخ هذه الفترة، فهو يمسح من هذا التاريخ كل ما يبين وجه الصواب عند من خالفوا صاحب السيرة فى الأساس أو التفصيل، ويثبت من جهة أخرى ظنوناً لا ثبوت لها لتقرير الصواب فى جانب المؤيدين والمناصرين

ومع هذا نقول إن مكتبة «النهضة القومية» لا تكمل بغير كتاب الأستاذ عن مصطفى كامل، لأنه يشتمل على وقائع صحيحة وأسانيد صادقة وملاحظات قيمة. أما المواضع التى ينحرف فيها بعض الانحراف عن سنته فى الإنصاف والتمحيص، فليس للقارئ أن يطلب الحق كله من كتاب واحد، ولا سيما فى تاريخ تختلف فيه الميول والآراء.

عباس محمود العقاد

القديم فى الشعر والأدب على حد اصطلاح الأستاذ، إذ أن القديم فى اصطلاح الأستاذ هو من لم يقل غزلاً يثير شجون النفس وشهواتها وتعلقها بفتنة الحسن. وليعذرنى الأستاذ إذا قلت إنه يصعب عليه أن يجد شاعراً واحداً يصح أن ينطبق عليه اصطلاح القديم فى عرفه، فهذا الرافعى على تقواه ودينه وفضله له فى الغزل نثراً وشعراً أشياء (أشهى) من شعر عمر بن أبى ربيعة. ألم يقرأ الأستاذ الغمراوى للرافعى وصفه للراقصة ومحاسن جسمها وقصته معها؟ ومع ذلك فالأستاذ الغمراوى يقول إن أدب الرافعى يمثل الأدب القديم فى اصطلاحه، مع أن الأستاذ الغمراوى لو كان خليفة وعرض عليه غزل عمر بن أبى ربيعة وبعض ما قاله الرافعى شعراً ونثراً فى الغزل ووصف مفاتن الحسن ولذة التقبيل ومحاسن جسم المرأة لأمر الأستاذ بنفى الشاعرين: ابن أبى ربيعة والرافعى معاً. وإذا كان الأستاذ فى شك من أن الرافعى له أشياء أشهى من أشياء عمر بن أبى ربيعة ذكرنا له طرفاً منها ورضينا بحكمه وهو أعدل الحاكمين من الناس. بل نحن نترك للأستاذ الخيار فليختر أى شاعر ونحن نورد له ما يستحق به النفى لو وكل الأمر إلى الأستاذ الغمراوى فى نفى الشعراء ونورد ما يستحق به النفى ونقارنه بما استحق به عمر بن أبى ربيعة النفى ونقبل حكم الأستاذ الغمراوى فى المقارنة وهو خير الحاكمين

إننا ما أردنا أن نعتذر شطط المتأخرين بشطط المتقدمين كما ذكر الأستاذ وإنما أردنا أن نبين أولاً أن النفس البشرية واحدة فى كل زمان ومكان مهما اختلفت الفروق الظاهرة وبالرغم من شذوذ الآحاد بالنقاوة النادرة أو النجاسة البالغة النادرة. وأردنا أن نفسر أثر المتقدمين فى أقوال المتأخرين وأن نقول إن الشطط فى وصف الفاتن وفى شرح الشكوك النفسية لم يأتنا من ناحية الافرنج وحدهم بل جاءتنا به مؤلفات العرب ولا سيما عند ما أُدخِلت الطباعة وطبعت المخطوطات العربية القديمة والحديثة. على أن النفس الإنسانية ياسيدى الأستاذ ينبوع يفيض بكل ذلك من غير حاجة إلى كتب العرب أو كتب الأوربيين؟ وإن شاء الأستاذ فليرتد أماكن الناس الذين لم يتأثروا كثيراً بكتب العرب ولا بكتب الإفرنج وليسمع هواجس نفوسهم.

على أن فى ذكر الأستاذ التجاء عمر بن الخطاب إلى النفى

ما يدل على أن النفوس فى عهد عمر رضى الله عنه لم تكن تمتنع عن التعلق بمفاتن الحسن ومحاسن الحياة ، ولعل الأستاذ قد أذكره التجاء عمر إلى النفى قصة سماع عمر غناء التى تغنت بهذا البيت:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفى عمر رضى الله عنه نصراً هـذا . ولو رجع الأستاذ إلى ما قبل سيدنا عمر وتدبر حكمة الآية الكريمة التى تنهى الناس عن قرب الصلاة وهم سكارى لرأى عبرة تسلك النفوس البشرية فى كل عصر فى صعيد واحد بالرغم من تفاوتها . وأستحلف الأستاذ أن يحكم على تلذذ كعب بن زهير بذكره كبر عَجُز حبيبته فى قصيدة (بانت سعاد) عند ما قال (هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة) وتلذذه بذكره كبر العَجُز فى قصيدة يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وهى قصيدة يتبرك بها بعض الناس، وبعضهم يتخذها حجاباً وتميمة بما فيها من التلذذ بذكر كبر العجز من غير فطنة إلى ما فيها . ومع ذلك قد مر النبى صلى الله عليه وسلم بغزل كعب هذا مر الكرام بما كان يدعو إليه من العقيدة السمحة وتألف النفوس ومعرفته ضعف النفس وقصورها . فماذا كان يصنع الأستاذ الغمراوى لو أن شاعراً مدحه بقصيدة تغزل فى أولها وتلذذ فى غزله بذكر كِبَرِ عَجُز حبيبته ؟ هل كان يتغاضى كما تغاضى النبى صلى الله عليه وسلم أم كان ينفيه كما أراد أن ينفى عمر بن أبى ربيعة ؟ وماذا كان يقول الأستاذ لو أن شاعراً انجليزيا مدح ملك انجلترة ومقام الملك دون مقام النبوة فقال الشاعر فى قصيدته (إن حبيبتى يا كنج جورج لها عجز كبير)؟ إننا يا أستاذ نضرب هذه الأمثال لنبين أن الناس ناس فى كل زمان ومكان، وأن النفس البشرية واحدة مهما تباينت واختلفت صفاتها . ولو كان الأستاذ فى شك من ذلك فليراجع ديوان حسان بن ثابت فيراه فى قصيدة يتهم أبا الوليد ابن المغيرة بمحبة غلام رومى جميل كان مملوكاً له ، وبأنه علق صورة الغلام كى ينظر إليها إذا غاب عن نظره ، ويتهم أمه بمحبة الغلام أيضاً . (صفحة ٣٢٩ طبعة السعادة شرح العبانى) . ولو رجع الأستاذ إلى كتاب (العقد الفريد)

من رجع الأفق

جاءنى بريد « بيروت » هذا الأسبوع بمجلة أدبية فاضلة ما كدت ألقى نظرة على صدرها حتى وجدته زاخراً بسب مصر ورجال الأدب فى مصر . مع استنكار « لامتداد الأدب المصرى والثقافة المصرية فى أجواء البلاد العربية » وبعد أن نفى الكاتب الكريم عن مؤلفات المصريين كل قيمة فى بضعة أسطر ، ختم الكلام بقوله : « إننى أنكر هذه الثقافة (اللقيطة) ويعز علىّ كلبنانى عربى أن تؤخذ بلادى بالتدجيل وتخدع بالدعايات المجانية أو المأجورة »

ما هو الدافع إلى هذا القول ؟ أهو نقد الجهود فى ذاتها حتى نستيقظ قليلاً ونرى أن قراءنا فى البلاد الشقيقة قد بدأوا يسأمون إنتاجنا ، ويستحثوننا على تجديد طرائقنا وتعزيز وسائلنا ، حتى يظفروا ويظفر الأدب العربى الحديث بالنهضة الباهرة المنشودة ؟ إن كان هذا هو قصد المجلة والكاتب فهو قصد نبيل ، لا يسع مصر وكتابها إلا أن يبعثوا إليهما من أجله أصدق عبارات الشكر

أما إذا كان الباعث هو مجرد الغضب لأن مصر بالذات هى التى تنبعث منها أشعة الثقافة العربية الحديثة فى الوقت الحاضر ، فتلك عاطفة لا تشرف صاحبها ولا نحب نحن أن نسلم بوجودها ، خصوصاً فى بلد تربطنا به أواصر النسب

ومع ذلك فهذا أمر لا ينبغى أن يكون موضع جدال ، لأنه أمر يتعلق بالواقع

فإذا كان الواقع هو أن نسيم الثقافة يهب علينا اليوم من جبال لبنان ، فلا أحبّ إلينا نحن المصريين من هذا . وهو خير لنا وأشرف منّ أن يهب علينا من جبال الألب

غير أن الذى يؤلمنى هو أننا معشر الشرقيين يكبر علينا دائماً أن نرى الفضل يأتينا من شرق ، ولا نغضب بل نفخر إذ يأتينا الفضل من غربى !

ولأرفع صوتى صريحاً : إن الشرق لن تقوم له قائمة إذا بقيت فيه ذرة من روح التنابذ والتحاسد . فإن لم يسعفنا التعاون والتساند فلنوقن بسقوطنا العاجل بين فكى الغرب النهم .

توفيق الحكيم

لقرأ أن سائلاً سأل عبدالله بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم: هل قول المجون ينقض الوضوء؟ فقال: لا. وأنشد بيتاً فيه مجون وكانت قد حانت الصلاة فقام وصلى للدلالة على أن شعر المجون لم ينقض وضوءه. وفي حالة أخرى سمع وهو يحدو ببيت فيه مجون. ولو تقصى الأستاذ أخبار سبي الرقيق من المدن الفارسية والرومية التي فتحت عنوة وأثر ورود هذا السبي إلى شبه جزيرة العرب، وما كان يرد قبله من جلب تجارة الرقيق قبل الإسلام لعلم أن الولوع بمفاتن الحسن لم يكن مقصوراً على الشعراء المتقدمين أو المتأخرين. ونحن لا نريد أن نعذر حالة الناس في عصرنا. فلعل التعلق بمفاتن الدنيا في عصرنا أضر وأفسد إذ أن القوى الحيوية الخلقية العظيمة في نفوس المتقدمين كانت تستطيع موازنة ضعف هذا التعلق، وانعدام هذه القوى الخلقية الحيوية في عصرنا تزيد ضرر التعلق بمفاتن الحسن وشهواته. نعم ذلك ونوافق الأستاذ على ضرورة معالجة هذه المسألة، ولكن لا يكون ذلك إلا بالتربية وتطهير الكتب ولاسيما القديمة. أما أننا رجعنا إلى مبدأ نهضة التجديد فالأستاذ نفسه يعترف بأن التجديد في الأدب روح لا قالب، وأن هذه الروح مستمدة من نظام التعليم الحديث، ومن الأنظمة التي اقتبست من الأنظمة والشرائع والسنن الأوروبية، ومن البعثات العلمية إلى أوروبا وأثرها في النفوس، ومن الكتب التي ترجمت؛ وما دامت المسألة مسألة روح لا قالب فلا يستطيع الأستاذ فصل التجديد في العلوم والتعليم والنظم والشرائع عن التجديد في الأدب وهو لم يحاول أن يفعل ذلك. أما أننا فسرنا قوله: (تغليب دين على دين) بغير ما أراد فعذرنا في ذلك أنه كان يقارن بين الثقافة والحضارة والدين عند العرب وعند الأوروبيين فلم يخطر ببالنا أنه يعني بالدين عند إطلاقه على الأوروبيين معنى الضلال والباطل وإنما ظننا أنه يعني دينهم، ولنا العذر أو بعض العذر. وأما قول الأستاذ إن حافظ ابراهيم رجع بالغزل إلى طريقة الجاهلية وصدر الإسلام أي طريقة الغزل بالعاطفة كما فعل العذريون فهذا ما لا يقول به حافظ نفسه ولم يقل به أديب قبل الأستاذ. والأصح وهو ما قلناه من أن البارودي وشوقي وحافظ أنقذوا الأدب من طريقة ابن حجة الحموي وخليل بن أيبك الصفدي وصفي الدين الحلي وأشباههم ورجعوا به إلى طريقة مسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري وحسبهم هذا فخراً. وقد جعلنا أكثر قولنا في التجديد في الشعر لأن الباعث على مقالات الأستاذ كان شعر الرافعي والعقاد، ولم نقصر التجديد على محاولة إدخال العاطفة كشرط أساسي في الغزل بل قلنا إنها شرط أساسي في كل شعر، وإن الصنعة لازمة، ولكن لخادمة للتعبير عن النفس والحياة وعواطف النفس وأحاسيسها فيهما، فتحجر الصنعة من غير بحث في النفس قيد، والتخلص من جمود ذلك التحجر حرية، وهي الحرية التي أردناها في قولنا. وقد فسرنا ذلك بإطالة وأوضحنا أن هذه الحرية ليس معناها التخلص من قيود العرف أو الدين، فنرجو الأستاذ أن يرجع إلى ما فصلنا من الكلام عنها. وقد اعترفنا للأستاذ بما في نزعة التجديد من عيوب وحبذا لو رجع الأستاذ إلى ذلك التفسير والتعليل، وقلنا إنها عيوب عارضة وليست كل شيء. أما المسائل الاجتماعية التي ذكرها الأستاذ فهي أمور يختلف فيها الأدباء وغير الأدباء ويختلف فيها الناس في كل عصر؛ ولو شاء الأستاذ لذكرنا من أقوال كتاب العرب وشعرائهم ما هو أشد من أقوال طه حسين وهيكل وقاسم أمين. ومن الغريب أن الأستاذ لا يرى حرجاً في الاقتباس من علوم أوربا ويرى حرجاً في الاقتباس من مذاهبهم وأبواب أدبهم، وإذا كان هناك حرج فالحرج في الحالتين.

(قارئ)

أعلام الأدب

هومـــــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذى الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

(تابع)

ومن ألمع شخصيات الإلياذة شخصية أجاممنون ... تلك الشخصية العجيبة التي رفعها هوميروس فوق شخصياته جميعاً، وخصها بالقيادة العامة للأسطول في البحر والجيوش في البر

وأجاممنون هو شقيق منالوس زوج هيلين التي بسببها شبت الحرب بين اليونان وطروادة . وهو الذي ضحى بابنته إفجنيا كي تتحرك الريح وتتأذن الآلهة للأسطول أن يقلع من أوليس بعد إذ لبث هناك زماناً طويلاً لا يقوى على حركة لسكون البحر وجمود الرياح ... وقد اتخذ إسخيلوس من مأساة الفتاة إفجنيا[1] موضوعاً لمأساته الرائعة التي دبرت فيها كليتمنسترا زوجة أجاممنون غيلة زوجها بعد أوبته من طروادة وذلك بمعاونة عشيقها إيجيستوس ثم تتسلسل ثلاثية إسخيلوس الشجية (الأورستية) التي ترجمناها لقراء الرسالة منذ ثلاثة أعوام

ومن المشاهد المؤلمة التي ينقم فيها القارئ على أجاممنون ، ذلك المشهد الذي يقص علينا فيه هوميروس ما شجر من الخلاف بينه وبين البطل أخيل ... وذلك أن الجيوش اليونانية كانت قد ظفرت في إحدى المعارك بسبي عظيم كان في جملته الفتاة خريسيز ابنة كاهن أبولو والفتاة الحسناء بريسيز . وقد كانت خريسيز من نصيب أجاممنون وبريسيز من نصيب أخيل ... ولما علم والد خريسيز بما آل إليه أمر ابنته كمد كمداً شديداً وذهب إلى خيمة أجاممنون يتوسل إليه أن يرد إليه ابنته ، لكن القائد العام أغلظ للوالد المنكوب ورده رداً شديداً . فدعا الكاهن إلهه أبولو أن يصب سـوط عذابه على اليونانيين ما داموا لا يردون عليه فلذة كبده وقطعة قلبه ... واستجاب له إله الشمس فسلط عليهم طاعوناً راح يبيدهم ويفتك بأجنادهم ... ثم جاءتهم النبوءة بوجوب رد الفتاة إلى أهلها إذا أرادوا رفع البلاء عنهم ، فوافق أخيل كما وافق كل رؤساء الجيش ، لكن أجاممنون أبى أن يرد الفتاة إلا إذا قبل أخيل أن ينزل له عن بريسيز التي ملكت عليه فؤاده وامتزج حبها بدمه ... ولما رأى أخيل ما يحل باليونانيين من بلاء قبل مكرهاً أن يهب أجاممنون معبودته ، لكنه اشترط ألا يخوض المعركة مع بني جلدته بعد ذاك[1]

هذا مشهد يثير السخط على أجاممنون ، كما أثاره تسليم رأس ابنته للجلاد قرباناً للآلهة حتى تثير الرياح كي يقلع الأسطول ... ويمثل هذه المشاهد التي سنضع بين يدي القارئ صوراً رائعة منها وضع هوميروس أساس المأساة اليونانية ومهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء فخلقوا الدرامة وخلقوا المسرح وتركوا للذهن البشري ثروة ما يزال يستغلها وما يزال يروي ظمأه منها

وقد ورد ذكر أجاممنون في الأوديسة كما أسلفنا وذلك عند ما لقي أودسيوس الكاهن تيرزياس في العالم الثاني وأخذ يقص عليه ما آل إليه أمر أبطال الإلياذة بعد أوبتهم إلى أوطانهم ، وقد ذكر له من أمر أجاممنون ما دبرته له زوجه

وللبطل ديوميد منزلة رفيعة في الإلياذة ، ويكاد بشجاعته النادرة يتفرد بالإعجاب بعد إذ هجر المعركة أخيل . ففي الكتاب الخامس الذي قصره هوميروس على هذا البطل لا تقتصر شجاعته على التفوق على الآدميين الذين خاضوا الحلبة بل تتعداها إلى الآلهة ، وحسبه فخراً أنه جرح فينوس ربة الجمال التي كانت تتفانى في مساعدة جيوش طروادة ، ثم مارس إله الحرب الجبار ، الدله بهوى فينوس ... وكلما حاق بأحد اليونانيين كرب في المعمعة كان ديوميد أسرع الفرسان إلى نجدته بل إنقاذه ... وقد ذهب في الكتاب العاشر في صحبة أودسيوس إلى معسكر الطرواديين في حلك الليل حيث اغتالا ريسوس بعد أن اجتازا ساحة تعج بالمنايا وتضطرب بألوان المهلكات

أما أودسيوس فله شخصية فذة ... إنه بطل مخاطر لا يبالي الردى ولا يرهب المنايا ، إلا أنه يمتاز بناحية أخرى أظرف وألطف ... ناحية تثير المرح وتبعث على الضحك ، ضحك الجد

(١) كذلك كتب نخر شعراء اليونان يوريبيدز عن إفجنيا درامتيه البارعتين إفجنيا في أوليس وإفجنيا في توريس كما كتب عن أورست وعن كثير من أبطال هومر وسنعرض لذلك في الفصول التي سنخصه بها إن شاء الله

(١) الكتاب الأول من الإلياذة

الصارم لا ضحك المشعبذين ورجال المساخر ... إنه كان من عشاق هيلين قبل أن تنشب هذه الحرب ، فلما فاز منالوس بهيلين ، حزن وتولاه الكمد ، لكنه تزوج من إحدى قريباتها (بنلوب) التي لم تكن تقل عنها جمالاً ونضرة وطلاوة ، والتي استطاعت أن تحتل من قلبه فراغ هيلين كله ... فلما نشبت الحرب بسبب هيلين وعلم أوديسيوس أنه مدعو إلى خوض غمارها فيمن دعى من ملوك هيلاس وأمرائها آثر السلامة ، فادعى العته ، وذهب إلى شاطئ البحر بمحراث عظيم يجره ثور وجواد ، وجعل يحرث الأرض ويبذر فيها الملح كما يفعل المجانين ... ولم تنطل هذه الحيلة على بالاميد رسول منالوس فقد عمد إلى تزييفها بوضعه الطفل تلماك بن أوديسيوس فى طريق المحراث . فكان أوديسيوس يتفادى ولده فى مهارة أشد الناس وعياً وأكثرهم إدراكاً ... وفى الإلياذة كثير من المشاهد التى تدل على براعة أوديسيوس وجمال حيلته وعمده إلى الخدعة فى الحرب أكثر من الاتكال على الشجاعة المجردة . كما كان يصنع ديوميد أو أجاكس أو أخيل ... وخدعة الحصان الخشبى التى فتحت طروادة هى من تدبير أوديسيوس ... أما الأوديسة فإنها غاصة بحيل هذا الرجل العجيب ، وهى حيل خلابة لا يمكن استيعابها فى هذه الفصول المقتضبة عن هوميروس. ونتهز هذه المناسبة فنشير إلى ما تسرب إلى قصص ألف ليلة وليلة من خدع أوديسيوس . فأكثرنا قد قرأ رحلات السندباد البحرى ، وأكثرنا يذكر المارد الذى حبس السندباد ورجاله فى كهفه ، وراح يسمنهم ويغتذى بهم واحداً بعد واحد حتى دبر السندباد حيلة سَمْل عينى المارد بالسيخ (السفود) المحمى وما تم بعد ذلك من هرب السندباد ورجاله إلى زورقهم ونجاتهم بأنفسهم فى البحر .. هذه صورة كاملة من صور الأوديسة اقتبسها الراوية العربى وكساها هذا الرواء القشيب مباعدا بينها وبين الأصل غير مشير إلى مصدرها . ونحسب نحن أن قصة السندباد كلها لم تكتب إلا بعد العصر الذى فشت فيه الترجمة عن اليونانية واشتدت فيه أواصر الصداقة بين هارون عاهل بغداد ، وشرلمان عاهل بيزنطة ، وما تبع ذلك من وفود تجار القسطنطينية إلى بغداد ووفود تجار بغداد إلى العاصمة الرومية ، وما كان يصحب هذه الرحلات من تبادل القصص وسرد الأخبار ... وليس يبعد كذلك أن يكون لاختلاط العرب بأهل الأسكندرية من مصريين ويونانيين أثر فيما نلحظه من تلقيح القصص العربى بطرائف القصص اليونانى .

هذه بعض الشخصيات اليونانية من المذكور فى إلياذة هوميروس ، تقابلها شخصيات أخرى فى معسكر طروادة ... ولسنا ندرى بأيها نبدأ ؟ إن باريس الذى كان سبب هذه الحرب الضروس شخصية هزيلة مريضة شاحبة ، وليس يستطيع الإنسان أن يفهم كيف جاز أن تنشب هذه المجزرة الشنيعة المروعة بين هذين الحلفين الكبيرين من أجل أن هذا الفتى باريس ينزل ضيفاً على منالوس فيكرمه ويحتفى به ثم ما يلبث الضيف أن يغازل زوج مضيفه . ثم ما هو إلا أن يفر بها بعد تدبير هو أسفل ما عرف فى تاريخ الهمجية والقحة ! ! حقاً ، لقد وعدته فينوس قبل أن يقضى لها بالتفاحة المشئومة أن تمنحه أجمل زوجة وأفتن امرأة . أفلم يكن هذا النذر الإلهى يُقضى إلا على هذا النحو ؟ والغامض الذى لم يفسره علم الأساطير هو كيف أنه قد ساغ صنع باريس فى ذهن أبيه ملك طروادة ؟ وكيف رضى بطل عظيم مثل هكتور عن هذه الدعارة التى أثار بها أخوه الحرب بين هذين العالمين ؟ قد نلتمس العصبية الجنسية عذراً واهياً لهذا الرضى ، بيد أنه يكون عذراً متهدماً على كل حال

يدرس الإنسان شخصية بريام الملك فيعجب لنبالة الرجل وفطرته التى فطره الله عليها من محبة للعدل وميل إلى الإنصاف وإشفاق على الرعية ، فكيف وزن عمل ولده حين أبى أن يأمره برد هيلين إلى زوجها حقناً لكل تلك الدماء ؟! أين المرض إذن ؟ أفى رأس بريام وملئه ؟ أم هو فى رأس هوميروس ؟! هنا موضع الضعف فى عقدة الإلياذة ، وهو ضعف يشبه الضعف فى عقدة الأوديسة ، حين يجتمع عشاق بنلوب فى قصر أوديسيوس ، وحين تمر عليهم السنون الطوال منتظرين أن تختار منهم ربة الدار بعلاً لها ، فهم بذلك يشبهون القطط ويحاكون الديكة حين تقتتل على الأنثى ... هذا ضرب حيوانى من تفكير هوميروس يشوه جمال ملحمتيه ، ولعل للوثنية نصيباً كبيراً فى توجيه شاعر الخلود هذه الوجهة . . . ولعل المصريين القدماء لم يكونوا متجنين حين قالوا عن ملاحم اليونانيين إنها نتاج صبيانى ، ولذا لم يأبهوا لها ولم يعنوا بها برغم ما مدحها لهم صولون

والعجيب فى هوميروس أنه لم يبال أن ينحط بالمرأة اليونانية إلى مستوى دون مستوى المرأة الطروادية بمراحل هائلة . . . لقد جعل المرأة اليونانية متاعاً شائعاً وغرضاً تتحيّفه لبانات الرجال ؛ فهيلين زوجة منالوس ملك أسبرطة تفر مع باريس إلى طروادة دون أن تتأبى أو تتمنع . ثم تشب الحرب بسببها فلا تحاول مرة أن تفر إلى معسكر اليونانيين . بل تظل طوال السنوات العشر متعة حلالاً لباريس ، وتنتهى الحرب ، وتضطرم النار فى طروادة ، وتعود هيلين إلى أسبرطة ، فلا تثور نخوة منالوس ، ولا يضطرب قلبه بقليل من غيرة الرجال

أما بنلوب فقد ضربت المثل الأعلى لحفاظ المرأة ووفاء الزوجة ، لكنها مع ذلك عوملت من أمراء هيلاس معاملة عجيبة مضحكة تدعو إلى السخرية التى فاجأ بهـا المصريون القدماء المشترع صولون ... وإلا فما هـذه العصبة من العشاق المعاميد تحتل منزل أودسيوس فتريغ خيره وتأكل زاده وترتع فى شرفه وتستبيح عرضه ؟ ! أكانت منزلة المرأة عند اليونانيين — ولو فى عصر هوميروس — بهذه الدرجة من الهوان ! زوجة ملك إيثاكا تكون بطلة هذه المأساة الغرامية الوضيعة ، وقد قدم هوميروس من خيوس لينشد ملحمته فى المدائن اليونانية ليسمع أهلوها كيف كان أسلافهم يعاملون زوجة بطل أبطالهم ؟ !

وكليتمنسترا زوجة أجاممنون . . . لقد عشقت هى أيضاً إيجستوس المتآمر على عرش مولاه والذى دبر له تلك القتلة الهائلة الشنيعة بعد عودته ظافراً من طروادة ... فما هذا الذى صنعه هوميروس بنساء اليونانيين ؟ لقد عبث بهم وهو يرفع أبطالهم إلى ذروة المجد ، ولها بعقولهم حين عرض عليها بضاعة البطولة المزجاة ملفوفة فى أكفان تلك الأعراض الممزقة ... حتى آلهتهم ... لقد تناولها كما يتناول الطفل دماه ولعبه يعبث بها ويلهو ... حتى كبير الآلهة وسيد الأولمب ... أنظر إليه كيف احتالت عليه زوجه جونو (حيرا) — الكتاب الرابع عشر — فجعلته يغفى ثم يغط فى نوم عميق كيما يذهب نبتيون لنصرة الإغريق ، فإذا استيقظ فى الكتاب الخامس عشر وعلم ما كان من أمر نبتيون أرسل إليه ينذره فى المعركة ، فيعود رب البحار وينبرى أبولو لشاكسة اليونانيين فترتد جموعهم إلى قواعدها عند الأساطيل ...

أما المرأة الطروادية فقد سما بها هوميروس سمواً بلغ الغاية وأوفى على المأمول ... أنظر إلى الأزواج والعذارى والأمهات يجتمعن حول هكتور فى الكتاب السادس فى عودته من المعركة يسألنه عن ذويهن ؛ وانظر إلى أمه تبرز إليه من حريم بريام عابسة مقطبة تزجره لأنه عاد من المعركة وهى على أشدها ، ثم تحضه على اللحاق بإخوانه ينصرهم ويشد أزرهم ويرد عادية الإغريق ... ثم انظر إلى هذه المرأة المرزأة — هيكوبا — تجمع المتضرعات من بنات طروادة وتذهب فيهن إلى هيكل ميزفا تصلى وتعقر القرابين كيما تشمل جيش طروادة بحسن رعايتهـا وجميل حمايتها ... ثم استمع إنها تحنو على هيكتور فى الكتاب الثانى والعشرين بعد إذ وعظه والده خوفاً عليه من أخيل (الجنّى!) وقد أفزعها منظره يصول فى الحلبة ويجول ، فتذرى دمعها وتساقط نفسها بعد إذ أرسلت إلى المجزرة بأكثر أبنائها ... أو انظر إليها تمزق نياط القلوب فى الكتاب الرابع والعشرين إذ هى تبكى هكتور بعد إذ عاد أبوه بجثمانه من لدن أخيل ... أو انظر إليها تتعلق ببريام وقد انقض پيروس (ولد أخيل) على آخر أبنائها يخترمه برمحه ، ثم ينقض على بريام الشيخ الفانى المسكين فيجهز عليه ، ثم يقتاد هكيوبا ... هكيوبا المحزونة الفجّعة فتكون فى جملة السبى الذى يعود به اليونانيون من طروادة[1] ، ويكون سبياً يجر عليهم النحس فيقتل من يقتل ويردى من يردى

وأندروماك ! لشد ما يُدَوِّى فى فؤاد القارئ هذا المشهد الرائع بينها وقد حملت طفلها وبين زوجها هكتور فى الكتاب السادس من الإلياذة ! إن هوميروس يرتفع فى هذا المشهد إلى ذروة فنه فى ملحمته الخالدة ! لشد ما يحرق القلب وداع أندروماك الزوجة لهكتور الزوج !

أنظر إليها واقفة فوق برج من أبراج طروادة وقد قتل أخيل زوجها وراح يجره وراء عربته فى الساحة حول إليوم . والرأس الكريم العظيم يثير التراب المنضوح بالدم ، وأخيل يلهو بكل ذلك ويشتفى !

بل انظر إليها وقد وقفت تضرب صدرها وتسكب دمعها على جثة هكتور بعد إذ عاد بها أبوه بريام من عند أخيل ، ثم تقول :

(١) هذه الوقائع الأخيرة ليست من الالياذة

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب والنقد والتاريخ

يبيّن الأديب شاعراً أو كاتباً عما يدرك ويتصوّر ويتخيل من مشاهد العالم ومعانيه . يصف مرأى جميلاً أو دميماً ويعرب عن إحساس مؤلم أو لذيذ . وتارة يكون موضوع الأديب مظاهر الأدب لا مظاهر العالم . يصف قصيدة أو مقالاً يبيّن ما فيهما من بلاغة وجمال أو ما يعوزهما من قوة فى المعنى وسلاسة فى اللفظ، أو يعرض للشاعر والكاتب يبين ما فطرا عليه من طبع وما واتاهما من علم ، وما يُسّر لهما فى موضوعات البلاغة وأساليبها أو يأخذ عليهما قصوراً فى الإدراك أو عيًّا فى البيان وهلم جرًّا . وربما يتناول الباحث موضوعات من الأدب بصف تقلبها على مر العصور ، أو طائفة من الأدباء يصف تواليهم على الزمن وأخذ بعضهم عن بعض وتقيّل بعضهم بعضاً . فيخرج للناس صورة للأدب فى عصر أو أعصر

هذا كله من الأدب . ولا يسوغ أن نخرج من الأدب المقالات التى تنقد الأدب أو تؤرخه

١ — لأن الباحث فى قصيدة أو مقال يصف ما أوحت إلى نفسه هذه القصة وهذا المقال وما أدرك فيهما من جمال وما أشرب قلبه من حب أو بغض ، وفرح أو حزن . فهو كالذى يصف مشهداً جميلا أو دميماً فى العالم أو أمراً حزيناً أو بهيجاً من أمور الحياة

٢ — ولأن الناقد والمؤرخ مهما يستعمل الفكر والعقل ويذكر العلل والنتائج إنما يحكم بعاطفة ويقيس بوجدان فلن يستطيع أن يدخل دائرة العلم المحض ما كان موضوع بحثه الأدب والأدباء

يتبين من هذا أن الأدب له فروع : إنشاء ونقد وتاريخ . ويمكن أن نرد هذه الفروع إلى فرعين : أدب ذاتى [1] وأدب موضوعى، وهذا يشمل النقد وتاريخ الأدب ونزيد وضوحاً فيما يلى :

الأدب الذاتى النفسى هو الكلام الذى ينشئه صاحبه إبانة عما فى نفسه . والأدب الموضوعى هو الكلام الذى يقصد به تبيين ما فى الكلام الأدبى من محاسن ومساوئ ، أو الإبانة عن فضل شاعر على آخر ، أو ترجيح طريقة من البيان على طريقة ، أو بيان أطوار الأدب فى عصوره المختلفة الخ ...

والخلاصة أنه الكلام الذى يراد به وصف الأدب والأدباء

وفيما يلى أمثلة توضح هذين الضربين من الأدب :

— ١ —

قال البحترى فى وصف دمشق :

إذا أردتَ ملأتَ العين من بلد ... مستحسنٍ وزمان يشبه البلدا
يمشى السحابُ على أجبالها فِرَقاً ... ويصبح الروضُ فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفاً خضلا ... أو يانعاً خضراً أو طائراً غرِدا

وقال أبو هلال العسكرى :

أما ترى عود الزمان نَضْرا ... ترى له طـــلاقة وبشرا
أتته ألطافُ السحاب تترى ... وساقت الجنوب غيما بكرا
تبسط فى الصحراء بُسطاً خُضرا ... وتمنح الروضة زهراً صُفرا

(١) التعبير بالذاتى والموضوعى أدق من التعبير بالانشائى والوصفى

« زوجى ! أهكذا تمضى فى عنفوان الصبا وشرخ الشباب ، وتتركنى وحيدة فريدة كاسفة ! هـذا ابنك ما يزال فى المهد ، وهذان أبواك الشقيان ! لن يشب ابنك يا هكتور عن طوقه ، لأن من دون هذا دك تلك الحصون ، وتقويض طروادة التى كنت حاميها وحامى نسائها والذاب عن بنيها ! يا لشقاء الحرائر اليوم يا طروادة ! إن هى إلا لحظات ثم يحملهن البحر إماء للغزاة ، وأنا وولدى فى جملة السبى ياهكتور . . . ولدى ! ولدى البائس الشقى ! إلى أين المسير ؟! إلى بلاد العدو الظالم لنكون من جملة الخدم والخول ... ليراك من يحسب أباك قد قتل أباه أو أخاه فيبطش بك ، وينتقم منك ، ويقذف بك من فوق برج أو حصن ...

« لشد ما كنت حزناً لأبويك ياهكتور ! بيد أنك كنت حزناً ممضا لمخلوق تعيس آخر هو أنا ... ! »

وهكذا بكت هـذه الزوجة المخلصة الوفية زوجها ، وهكذا كانت دموعها الغوالى مداداً لا ينفد لمآسى يوريبيدز [1]

ما أجمل هوميروس !!

وما أضيق هذه الفصول بأدبه الخالد الذى لا يبيد !! .

دريني خشبة

(١) كتب يوريبيدز فى نساء طروادة مآسى كثيرة لم يصلنا منها إلا ثلاث : هيكوبا وأندروماك وسيدات طروادة

ونرجسا مثل العيون زهرا وأقحوانا كالثغور غُرّا
كأنما يصوغ فيها تبرا كأنما يروق فيها عطرا
كأنما ينثر فيها درّا ... الخ

وقال أبو الطيب فى رثاء أخت سيف الدولة :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبرٌ فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى
تعثرت به فى الأفواه ألسُنها والبرد فى الطرق والأقلام فى الكتب

وقال الحسين بن مطير الأسدى أحد شعراء الحماسة يرثى معن بن زائدة الشيبانى :

ألِمّا على معن وقولا لقبره : سقتك الغوادى مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض خُطّت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مُترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدّعا
فتى عِيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود فانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقال ابن المعتز يصف سامرّا بعد أن تركها الخلفاء إلى بغداد فسارع إليها الخراب :

« كتبت إليك من بلدة قد أنهض الدهر سكانها ، وأقعد جدرانها ، فشاهِد الناس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، وكأن عمرانها يُطوى ، وكأن خرابها ينشر ، وقد وكلت إلى الهجر نواحيها ، واستحثّ باقيها إلى فانيها ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فما يجب فيها حقٌ جوار ، فالطاعن منها ممحوّ الأثر ، والمقيم بها على طرف سفر ، نهاره إرجاف ، وسروره أحلام ؛ ليس له زاد فيرحل ، ولا مرعى فيرتع الخ »

فى هذه القطع كلها تجد البين ينشئ ما يترجم عما شعر به وتخيله وتصوره حينما رأى منظراً بهيجاً من السحاب والرياض ، أو مرأى كئيباً من الخراب والاقفار ، وحينما علم موت صديق يعز عليه أو عظيم ، كان يرجى آماله إليه . وكل هذا تصرف فى معان نفسية يُحسها التكلم نفسه . فهذا أدب ذاتى

— ٢ —

فإذا تبينت هذا فانظر إلى الأمثلة الآتية :

قال القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فى كتاب الوساطة :

« وقد علمت أن الشعراء قد تداولوا ذكر عيون الجآذر ، ونواظر الغزلان ، حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا فى النادر الفذ . ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس :

تصدُّ وتُبدى عن أسيل وتتّقى بناظرة من وحش وَجرة مطفل

أو قابلته بقول عدىّ بن الرّقاع :

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحورُ من جآذر جاسم

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين ، وتبينت قربهما منه ؛ والمعنى واحد ، وكلاهما خال من الصنعة ، بعيد من البديع . إلا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة التى كسته هذه البهجة . وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حُذف لاستغنى عنه وما لا فائدة فى ذكره لأن امرئ القيس قال : « من وحش وجرة » . وعدياً قال . « من جآذر جاسم » ولم يذكرا هذين الموضعين إلا استعانة بهما فى إتمام النظم وإقامة الوزن ، ولا تلتفتن إلى مايقوله المعنيون فى وجرة وجاسم فإنما يطلب به بعضهم الإغراب على بعض ، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء ، وسألت من لا أحصى من الأعراب عن وحش وجرة فلم يروا لها فضلاً على وحش ضرية وغزلان بسيطة . وقد يختلف خلق الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع ، وأما العيون فقل أن تختلف لذلك . وأما ما تم به عدى الوصف ، وأضافه إلى المعنى المبتذل بقوله على أثر هذا البيت :

وَسْنان أيقظه النّعاس فرنّقت فى عينه سِنة وليس بنائم

فقد زاد به على كل من تقدم ، وسبق بفضله جميع من تأخر . ولو قلت : اقتطع هذا المعنى فصار له ، وحُظر على الشعراء ادّعاء الشرف فيه لم أرنى بعدت عن الحق » اه

الجرجانى فى هذه القطعة يفضّل بيتى امرئ القيس وعدىّ على أبيات الشعراء فى معناهما ، ثم يبيّن ما فيهما من الحسن وما تخللهما من الحشو ، ثم يصف بيت عدىّ الثانى بأنه أحسن بيت فى معناه . فالجرجانىّ لم يُبن هنا عما أحسّه هو فى وصف

العيون ، ولكنه ينظر فيما قال غيره فيبين ما فيه من إجادة وتقصير ويبين أى الأبيات أبلغ وهكذا . فهو إنما يصف كلام غيره ويقيسه بذوقه وتصوره (١)

فهذا أدب موضوعى ...

وقال بشر بن المعتمر (٢) :

« ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات : فإن كان الخطيب متكلماً تجنّب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه إن عبّر عن شىء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارة أفهم ، وإليها أحنّ ، وبها أشفق ... الخ »

وقال أبو العباس الناشئ (٣) :

لعن الله صنعة الشعر ماذا ... من صنوف الجهّال منه لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما ... كان سهلاً للسامعين مبينا
. . . .
إنما الشعر ما تناسب فى النظم ... وإن كان فى الصفات فنونا
فأتى بعضه يشاكل بعضا ... قد أقامت له الصدور المتونا
كل معنى أتاك منه على ما ... تتمنّى ، ولم يكن ، أن يكونا
فتناهى عن البيان إلى أن ... كاد حسناً يبين للناظرينا
فكأن الألفاظ فيه وجوه ... والمعانى ركّبن فيه عيونا
. . . .
فإذا ما مدحت بالشعر حراً ... رُمتَ فيه مذاهب المسهبينا
فجعلت النسيب سهلاً قريبا ... وجعلت المديح صدقاً مبينا الخ (٤)

ترى فى قول بشر والناشئ وصف خطة للبيان ، ودعوة إلى طريقة فى الإنشاء يريانها الطريقة المثلى وهذا أدب موضوعى أيضاً

واقرأ هذه القطعة أيضاً : قال أبو منصور الثعالبى فى مقدمة اليتيمة :

« لم يزل شعراء الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها فى الجاهلية والإسلام ... والسبب فى تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم فى الشعر قربهم من خطط العرب ، ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم إياهم

ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة العبارة وحلاوة الحضارة ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان ، وبنى ورقاء هم بقية العرب، والمشغوفون بالأدب، والمشهورون بالمجد والكرم، والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل — انبعثت قرائحهم فى الإجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا »

يوازن الثعالبى فى هذه الأسطر بين شعراء الشام وشعراء العراق ، ويفضّل الأولين ، ثم يبيّن الأسباب التى فضلتهم على غيرهم ؛ فهو يصف كلاماً بالجودة وشعراً بالتفوق ويحاول أن يعدد الأسباب التى أجادت هذا الكلام ، وقدمت هؤلاء الشعراء

وهذا أدب موضوعى كذلك

واقرأ بعدُ هذه الجملة من مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة :

« هذا الكتاب ألفته فى الشعر ؛ أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم فى أشعارهم ، وقبائلهم وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ؛ وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ فى ألفاظهم ، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون

وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التى يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها إلى غير ذلك »

تجد صاحب الكتاب يعمد إلى تأريخ الشعراء بذكر أخبارهم وأزمانهم وإلى تأريخ الشعر بذكر ما أخذه المتأخر عن المتقدم من المعانى والأساليب — زيادة على النقد وتبيين المستحسن المستقبح ، والخطأ والصواب . وهذا يدخل فى الأدب الموضوعى كذلك .

(١) أمثلة أخرى فى أسرار البلاغة ص ٤٠ وما بعد (ط) المنار
(٢) البيان ج ١ ص ١٠٦ (ط) التجارية
(٣) العمدة ج ٢ ص ٩١ ط) النعمانى
(٤) مثال آخر بعد هذا فى الكتاب نفسه (العمدة)

دراســـــات
فى الأدب المصرى القديم

للآنسة الفاضلة الزهرة

إنّا سلالة أمة تباهى بتاريخها الأمم ، فمن الواجب علينا أن نلمّ بذلك التاريخ المجيد ، ونستعرض صوره ، لنمكن حلقة من تلك السلسلة الجليلة الغالية، التى تصل بيننا وبين القدم، وتقربنا إلى آبائنا الكرام ، أولئك الذين بنوا المجد وشادوه ، واستذلوا الزمان وأخضعوه ، وأكرهوه يباهى أعمالهم على أن يسجل أسماءهم فى ديوان الخالدين .

ولقد رأيت أن أستمدّ ذرائع الاتصال والقربى بالتغلغل فى قرارة الماضى السحيق ، للاحاطة بحياتهم الأدبية ، بحيث نستطيع أن نلمس فيها زمانهم وبيئتهم ، ونلمح قبساً من نظرياتهم فى الوجود ، وما اتخذوه لأنفسهم فيه من نظم الاجتماع والسياسة ، والدين والأخلاق، لعلنا نتدرج من هذا كله إلى إقامة الدليل القاطع، على سمو المنزلة التى بلغها الأدب المصرى القديم، ودحض مارمى به من النقص والقصور. وقد كان علماء المستشرقين إلى منتصف القرن التاسع عشر يعتقدون أنه قد خلا من القصص وطول العبارة ، وانسجام التفكير واستمرار الخيال ، وافتقر إلى الفلسفة والنظريات . والواقع أن الأدب المصرى القديم كان حافلاً بالثروة المعنوية ، وأفانين القول ، وكان متعدد الفروع والأبواب حتى إنه لم يترك فرعاً إلا تناوله، خلا فرع الشعر التمثيلى . ويرى الدارس للكتابات القديمة خصائص بارعة تميزها عن باقى آداب الشعوب السامية لما يتجلى فيها من حسن الوصف ، وكمال الصوغ ، وبساطة التعبير ، وطلاوة اللغة ومتانتها ، وسهولة الألفاظ ورقتها ، فى امتاع جزل بليغ . ولقد كان من أظهر تلك المميزات ، الوضوح والاستقامة ، وأناقة الأسلوب ، وروعة التركيب ، وجودة المقاطع ، ونصاعة المبنى ، وإيجاز المعنى وإصابته . على أن هذا الإيجاز كان ينتهى بالكاتب الضعيف فى أحايين إلى السخف والعى والركاكة . غير أن الكاتب الأريب ، كان يستطيع بقليل من التفنن أن يصور سجية من السجايا ، وضاءة الجبين إذ يصف عاطفة من العواطف ، قدسية الجوهر سافرة المحيا . ولم يكن للكاتب المصرى ند فى حسن اختيار الألفاظ ووضعها فى المكان الملائم لها فى الجملة ، فأنت تراه يكتب كمؤلفى هذا العصر المجيدين دقة ورقة ومتانة وظرفاً ، ويمثل لك الحياة كما تقع فى صورة كلامية لا تقلّ تأثيراً وإبداعاً عن الصورة اللونية المتقنة ، فإذا نزل بك إلى ميدان السياسة ، تجده يصف لك الملوك والحكام وصفاً دقيقاً ، فيقول عن العاهل الجليل : « إنه يعزف كيف يأسر القلوب ويملكها » ويصف القاضى العادل بقوله : « إنه يسلك مناهج الاستقامة ونزاهة القلب » . وبألفاظ قليلة منتقاة كان يجلى لنا الحاكم المحبوب المترفق، والقاضى الحكيم المنصف . وإذا عرّج على الحياة وألوانها ألفيناه يصف الشباب ولذاته، والمشيب وحسراته، والهرم ومرارته ، كل ذلك بأسلوب سهل وإيجاز مبين ، لا أثر فيه للصناعة الأدبية المتكلفة فكان فنّه الفن الصحيح . وكان من مميزات هذا الأسلوب الموجز الممتع ، ما حملته ألفاظه من صور ومقدمات معنوية كانت فى الأدب المصرى القديم روح المجاز المرسل وعنصر الكتابة البليغة ، ويمكننا أن نقتبس أمثلة لذلك كقولهم : « المطيع يطاع ! » و « الجاهل حىّ ميت » وهكذا كانت الجملة القصيرة فى الأدب المصرى تفرغ فى مثل هذا القالب من البساطة وانسجام التفكير ودقة السبك . ومعلوم أن الجملة القصيرة الصحيحة تلخص فكرة العقل القوى الحصيف

كل الأمثلة التى قدمتها فى إجمال هذا الفصل تدخل فى الأدب ؛ ولكنها يمتاز بعضها عن بعض : فى القطع الأربع الأولى أدب ينشئه الشاعر إنشاءً ويبتدئه ابتداءً لا يصف فيه كلام غيره، بل يصف ما رأى هو من مناظر ، وما شعر به من حزن وألم ونحو ذلك فهذا الذى يسمى الأدب الذاتى

وفى القطع الأخرى تجد أدباً يدور حول الكلام البليغ ، أدباً يصف أدباً آخر أو يبحث فى قوانين الأدب وأحواله وأطواره وهذا الذى يسمى الأدب الموضوعى

ولكن بعض هذا الأدب الموضوعى يبين محاسن القطعة من الشعر أو النثر أو يبين أحسن المناهج التى يسلكها الشاعر أو الكاتب ، كما فى قطعة القاضى الجرجانى وقطعة بشر ابن المعتمر وقطعة الناشئ وهذا يسمى النقد .

وبعض الأدب الموضوعى يبين التاريخ والتطور كما فى قطعة ابن قتيبة . وهذا تاريخ الأدب .

وفى العدد الآتى نجمل الكلام فى النقد وتاريخ الأدب .

عبد الوهاب عزام

لأن الإيجاز فى الإفهام ممدوح مستحبّ . ولقد كان الأسلاف يكرهون الإسهاب المخلّ ، والإطناب المملّ ، فتراهم يجنحون دائماً إلى قرب المجتنى ، ويعتقدون أن خير الكلام ما قلّ وجلّ ، ودلّ ولم يملّ . وكانوا فى حياتهم اليومية يشمئزون من الثرثار ويعدون الثرثرة مما ينافى عقيدتهم الدينية فى أشرف المواهب ، واعتاد من يقف منهم فى محكمة العدل والدينونة ، أمام قضاة « العالم السفلى » فى دار الآخرة أن يقول : « أشهد أنى لم أكثر من الكلام فى حياتى ولم أسترسل فيه بإطناب تمجه الآذان» وكانوا يحبون تنميق اللفظ وزخرفته ولكنهم أجادوا تنقيحه ووفقوا فيه توفيقاً عجيباً دون أن يداخله التعمل. وكذلك كانوا لا يطاولون فى دقة التشبيه . والحق أنهم كانوا يرتفعون إلى أجمل سماواتها وأعلاها كلما التمسوها من الطبيعة . وبيّنٌ أن التفوق فى تقريب المثال، دليل القدرة على بُعد المنال، والتعميم والإطلاق فى رسم الحقائق الناصعة رسماً صادقاً ، وعنوان البراعة فى الموازنة العقلية والمقارنة الذهنية ، بل إنه مجلى الحماسة والحرارة والإخلاص للفنّ ومعرض العاطفة العميقة الصحيحة التى تفتن الألباب بصحتها وقوتها. مثال ذلك تشبيه الملك رمسيس الثانى «بأسد ظافر يضرب بمخلبه ولا يدبر ، يزأر ويزمجر بصوت هائل فى وادى الظباء. . .» أو قولهم فيه : «إنه يشبه ابن آوى فى سرعة خطاه وسعيه لاقتناص ما يجده والانقضاض عليه كالبرق الخاطف»

وكانت التعبيرات المتجافية الوعرة ، والكلمات الغثة المثقلة بالاستعارات الرثة والتوريات المتنافرة ، والمترادفات المتقعرة الفجة والمحسنات اللفظية الجوفاء من الأخطاء التى يجهلها المؤلف المصرى الذى كان يميل فى أسلوبه ولغته إلى الوضوح دون أن يتسامح فى لفظة واحدة تطن بلا معنى وبلا غرض ... وكان آية فى الجلاء والاحكام حين يروى حديثاً أو يدون حادثاً . ولعل ذلك راجع إلى سلامة طبعه ، واستقامة خلقه ، وتمسكه بالصدق ، ومقته للمبالغة والغلو ، ولم تكن تآليفه صادرة بحال من الأحوال عن انحطاط فى التخيل ، أو قصور فى التصور ، أو عجز عن عمق التفكير ، لأننا حين نطالع سيرة عظيم من العظماء من خلال منظار الحقيقة ، ثم نعمد إلى قراءة الشخصيات البارزة فى أقاصيص أولئك المؤلفين ومن جعلوا أبطالاً لها كما ابتكرتها تصوراتهم الخصبة واخترعتها عبقريتهم المبدعة ، نرى تخيلاً سامياً معتدلاً رصيناً ، يحدوه العقل الراجح ، ليطابق الواقع المعقول ، ويمنح تلك الشخصيات سحنة جميلة ، تدب فيها الحياة الناشطة ، فتراها متجسدة حيالنا ، لا أشباحاً ضعيفة لا كيان لها ولا جسم ...

وفى هذا العالم الأدبى العجيب ، الذى كان يعنى بالأنواع والنماذج التى يكثر أشباهها فى الحياة اليومية ، نرى مواطن الشبه الموجودة بين كل فروع الأدب القصصى المصرى القديم ، وبين القصص التى يتحفنا بها المؤلفون المجيدون فى القرن العشرين من أتباع المذهب الواقعىّ . ونزداد إيماناً بأن عقول أهل الأجيال السالفة لم تكن دون عقول أبناء العصور الحديثة . هذا ولعلنا واجدون فى قصة « سانيهات » — ابن الجميزة — صورة أمينة واضحة للحياة والعادات القديمة . ولا يبعد أن هذا الاسم قد أطلق على بطل القصة لكونه عاش حيث توجد شجرة من أشجار الجميز المقدسة التى اشتهرت بها مصر منذ القدم ، ولا سيما أن الاسم « سانيهات » معناه « ابن الجميزة » ونحن نرى فى موضوع القصة ما كتبه سانيهات هذا عما شاهده فى مغامراته أثناء تنقلاته ورحلاته فى جنوب شرق فلسطين . وإنى كمصرية يسرنى أن أذكر بلسان الأعاظم والأكابر ، هذا الدليل الذى تقيمه القصة على أن المصريين قد سبقوا ماركو بولو و كولمبس وفاسكودى جاما وماجلان وغيرهم من كبار المستكشفين إلى ارتياد المجاهل ، وأنهم قد كتبوا قصص هذا الارتياد بيد أجادت نقل ما انطبع فى الذهن من صور المرئيات والحوادث بخاصة عجيبة وقوة انتباه فائقة . وقد وصف سانيهات هذه الأصقاع التى رآها وصفاً بارعاً ، ورسم الحياة الاجتماعية لسكانها ، ومثّل أخلاقهم وعاداتهم ونزعاتهم وميولهم أكمل تمثيل وأظهر بعد عودته إلى مصر ، الفرق العظيم بين حضارة بلاده والحياة البدائية الخشنة التى كان يحياها أولئك القوم ... وسانيهات هو هذا « الأمير الملكى وحامل خاتم الملك ، والصديق المخلص ، وأمين شؤون الأجانب ، والمحبوب الملكى التابع للمقام الأسمى » وقد فرّ من مصر حالما سمع بوفاة الملك أمينمعهت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، أى قبل الميلاد بألفى سنة. وهو لا يحدثنا فى القصة عن هروبه ، ولكننا نرجح أنه هرب لأنه كان أحد أبناء الملك من أم لا يجرى فى عروقها دم الفراعنة ولذلك لا يقدر أن يرث عرش أبيه وإلى جانبه « أوسرتسن » الابن « الملكى للفرعون » فهو يخشى أن يقتله الفرعون الجديد حتى لا يكون له من ينازعه العرش وينافسه فيه ، ويشجعنا على التمسك بهذا التعليل ما جاء فى سياق القصة ، من اللهج بالإكرام الذى صادفه سانيهات من أفراد البيت المالك عند أوبته من ديار الغربة . ومعلوم أن الفراعنة كانوا شديدى التمسك بعصبيتهم ، عظيمى التعلق بأقاربهم

فلا يقربون منهم غير كريم النسبة ...

نعود إلى حديثنا الأول فنقول: إن سانيهات يذكر أنه ولى هارباً من مصر فى الليل، وكان «يختبئ فى الأدغال نهاراً لئلا يراه أحد من الجيش المرابط على الحدود» وبعد صعوبات جمة ومخاطر عدة وصل إلى سلسلة الحصون التى أقيمت لصد غارات الأعداء على الحدود، وجاوزها فى دياجير الظلام، وأنه حين شارف «البحيرات المرة» خارت قوته «وشعر بظمأ شديد، وجف ريقه، وضاقت أنفاسه» فقال فى نفسه: هذا نذير الموت. ولكن ثغاء الماشية كان يتطرق إلى سمعه فينعشه وينفخ فيه روح القوة ويطمئنه فيواصل سيره إلى أن يصادفه زعيم إحدى القبائل، فيعطيه «ماء ولبناً مغليا» ويخبرنا بعد ذلك أن كل قبيلة من القبائل العائشة فى تلك الأقاليم كانت تكرم مثواه وتستضيفه بدورها، حتى حط رحاله فى أرض «أيدوم» حيث أقام سنة ونصف سنة، وأن أمير «تنو» التى زرتها منذ أعوام فى جنوب شرق فلسطين وتقع بين الخليل وبيت جبرين، قد أرسل إليه ودعاه إلى الإقامة عنده. ويحسن بى أن أنقل هنا ما ذكره سانيهات من حسن معاملة ذلك الأمير بقوله: «ومنحنى اختيار ما أريده من الأرض حتى تلك الأرض التى كان يملكها فى الخارج وهى أرض حسنة. والحق يقال أن ما أعطانيه كان عظيما، وقد قدمنى على أولاده وزوجنى من كبرى بناته وأقامنى أميراً على قبيلة من خيرة قبائل أرضه». ثم يحدثنا عن إغاراته على القبائل الأخرى ويقدم لنا وصفاً فريداً عن قيامه بمنازلة أحد أبطال تنو. والظاهر أنه كان محسوداً على المكانة التى كانت له فى قلب الأميرة العظيمة، وعلى ما أحرزه من مجد الشهرة وفخر الانتصار، فجاء ذلك البطل ذات يوم ودعاه إلى النزال، «رجلاً قوياً لا أخ له فى القوة»، وقد «أخضع لجبروته وكان: كل إنسان». وقال: «فلينازلنى سانيهات»، وكان يريد أن يقتله، ولكن بطل تنو تضاءل أمام المصرى الخبير بفنون القتال والقائل فى ذلك: «وجاء الموعد فالتقينا وناديته أن يبدأ فصوّب سهامه ولكنى تحاشيتها كلها، وسقطت بقربى سهماً إثر سهم. وهنا فوّقت نحوه قوسى وأطلقت السهم. فنفذ إلى عنقه فصاح من شدة الألم وخرّ على أنفه فأخذت قناته وأنفذتها فى جسمه، ووضعت قدمى على ظهره فهلل البدو، واستحوذت على جميع مقتنياته وماشيته. الشيء الذى كان يريد أن يفعله بى فعلته أنا به»

وأظننى بعد هذا كله لست فى حاجة إلى الإشارة إلى أن الآداب القصصية العالية لم تمنح أية أمة فى الوجود ما منحت الأسلاف من التفوق فى القصص الخيالية الممتعة التى يعدها العلماء المشتغلون بالمصريات فى الوقت الحاضر غاية فى سمو التصور ودقة التفكير وسعة التصور وخصوبة الخيال وسلامة اللغة وسلاسة الأسلوب. ولعل أبدعها «قصة السحرة» التى جمعت ورتبت على طريقة كتاب «ألف ليلة وليلة». فهى فى الحقيقة قصة واحدة طويلة. تضم ثلاث أقاصيص متتابعة، أدخل المؤلف كل واحدة منها فى التى تليها، وقد عارض سير القصة عينها عند نهاية الجزء الأول منها بشيء جديد، لأنه رأى كما يرى كتاب العصر الحديث فى قصصهم ضرورة وقوف القارئ عليه قبل الخاتمة، وهى مهارة أرادها فوفق فيها رغم ما تفيض به سطورها من تحول ساذج معجب لا ترون مثاله فى غالبية ما يكتبه كتّاب اليوم من الفرنج وغيرهم! وهذه القصة البديعة أشهر من أن تعرّف. إلا أن السبيل إلى تلخيصها الآن غير ميسور، ولا يسمح المقام باقتباس شيء مما حفلت به تصانيف الأسلاف من الحكم الخالدة والمواعظ الأبدية والأمثلة العالية والكتب السياسية التى تبودلت بين الفراعنة وملوك الشعوب الأخرى من معاصريهم والرسائل المتبادلة بين الإخوان والأصدقاء وأغانى الحب والتسابيح الدينية، والأناشيد الغنائية والأشعار القصصية الطويلة التى أتوا فيها على ما سعد به ملوكهم من جلال الانتصارات وعز الفتوحات. بيد أنه لا يسعنى إلا أن ألمع فى إيجاز إلى كتاب «المحاورة بين مصرى ونفسه» تلك المحاورة التى يزخر فيها كل ما يزخر فى الحياة النابضة من قوة دافقة، وتمثّل صراع الروح والجسد، وأزمات الوجدان الطاحنة، وفورات العواطف المتأججة، وهمسات الضمائر، فى مهاوى ضعفها ودركات فورها، أو درجات مجدها وذروات قوتها

وهناك ثلاثة كتب جديرة بالعناية أولها كتاب «بتاهوتب» وهو أقدم كتاب فى الدنيا كما يقول المؤرخون. وفى هذا الكتاب فصول ممتعة، فأنتم ترون مؤلفها حين يعرض لذكر المرأة يكتب عنها كمؤلفى القرن العشرين — حفاوة وإجلالاً وإكباراً —

أما الكتاب الثانى فهو «حكم الكاتب آنى» ولست أريد أن أطيل الوقوف عند هذا الكتاب وإنما أريد أن أذكر منه نبذة واحدة نصح فيها المؤلف الولد برعاية أمه فقال: «ضاعف الطعام والشراب اللذين تقدمهما لأمك فهى التى تعبت فى تربيتك ووجودك

وأدخلتك المدرسة وعنيت بتهذيبك وتثقيفك . احذر من أن ترفع يدها إلى السماء ضدّك فتسمع الآلهة شكاتها » ويظهر من هذا جلياً أن رياسة الأسرة فى ذلك الحين كانت للأم حيث ينبئنا الكاتب أنها هى التى عنيت بتهذيب الولد وأدخلته المدرسة

أما الكتاب الثالث فهو سياسىّ بحت وعنوانه تعاليم أمينمهت الأول وهو غاية فى الحكمة والحيطة ، كتبه إلى أمينه يحذره ممن حولهم من أهل البلاط ومن دسائسهم الكثيرة

وهنا أكتفى بما تقدم مبرهنة على أن مصر بأدبها القديم قد كانت أستاذة الدنيا ومعلمة الوجود ، وحسبى أن أختم بقول مسيو سانتهلير : « لست أريد أن أردّ على الذين يتهمون اليونان بعدم معرفتهم القراءة والكتابة إلا بهذه الكلمة وهى : كيف يجهل اليونان القراءة والكتابة وقد كانت تربطهم بالمصريين صلات قوية ؟!! »

وجدير بهذا كله أن ينبّه غافلنا ، ويشعرنا بحاجتنا إلى إيجاد أدب قومى يصوّر المزاج العقلى المصرىّ ، ويستمد من صميم الحياة المصرية مادته وعناصره ومسالكه ، فيمثل حالتنا الاجتماعية ، وحركاتنا الفكرية ، والعصر الذى نعيش فيه لكى تكون لأدبنا شخصية بارزة ممتازة ، تضمن لنا المكان العالى الذى نريد أن نشغله بحق فى خريطة الوجود

« الزهرة »

أين أنا ؟

للأستاذ محمد سعيد العريان

« أين أنت يا صديق ؟ منذ كم ألتمس لُقياك فلا أجد سبيلاً إليك ! »

هكذا سألنى صديق وقد لقينى على الطريق منطلقاً لبعض شأنى على غير ميعاد ... فأخذت أسأل نفسى سؤاله إياى :

« أين أنا ؟ »

هأنذا واقف بإزائه على حَيْد الشارع أستمع إليه وهو يفيض فى الحديث سائلاً ومجيباً ، وعاتباً وعاذراً ؛ ولكننى مع ذلك لست هنا !

إن نفسى هناك ... بل إننى على التحديد لا أعرف أين نفسى! فى هذا المكان الذى يجمعنى وإياه ، كنتُ وكان ، ولكنى مع ذلك لا أكاد أشعر أننى وإياه فى ذاك المكان !

« أين أنتَ يا صديق ؟ »

عجباً ! إنه ليرانى بإزائه وإننى لأراه ، وإنه ليعرف مكانه من نفسى ؛ وإن الحبّ الذى وحّد بين قلبينا لخليقٌ بأن يلهمه الجواب ولكنه مع ذلك يسأل ، ولكننى مع ذلك لا أملك الجواب !

« أين أنا ؟ »

لقد أخطر هذا السؤال فى بالى معانىَ وصُوراً جمة ، تذكّرنى حيث كنا ... ويومَ كنا ... وتنشر على عينىَّ صحائفَ من ذكريات الماضى ومَشغَلةِ الحاضر وأمانىِّ المستقبل !

هأنذا واقف بإزائه على حيد الشارع جسداً إلى جسد ، فإننى لَمعه ، ولكننى لست فى هذا المكان ! وإننى لبعيد عنه ، ولكنه معى فى سياحةٍ فكرية طويلة تنتقل حيث شئنا فى ذكريات الماضى الغابر ونطوى السنين فى لحظات !

أُتراه كان يرانى ؟ أُتراه كان يعرف أين مكانى ؟ هل كان بإزائه فى تلك اللحظة إلا جسداً وصورة ؟

إنه ليسألنى : « أين أنت ؟ ... » وإننى لأسأل نفسى ... هل كنتُ معه؟ هل كنتُ بعيداً عنه؛ هل كان يجمعنى وإياه مكان؟ هل لقينى جسداً أم لقينى فكراً وعاطفة ؟ هل كان الذى معى هنا على حيد الشارع هو الذى معى هناك فى وهمى وفى ذكرياتى ؟

أين كنتُ وأين كان ؟ أين وأين ؟

ليت شعرى ما الحقيقة ؟ وما الخيال ؟ أين يلتقيان وأين يفترقان؟ وأين الحدُّ الذى يفصل بين دنيا المنظور ودنيا التصوُّر ؟

هأنذا ما أزال أسأل نفسى : « أين أنا ؟ » وهذا سؤال صديق ما يزال يرن فى أذنى : « أين أنت ؟ » وما تزال يدى فى يده ، وما زلنا واقفين جسداً إلى جسد على حَيْد الطريق !

وتحدّث صديقى إلىّ ما شاء وتحدّثتُ إليه ، وهمَّ أن ينصرف لشأنه وهممت ؛ وعاد يسألنى :

« وأين ألقاك بعد ؟ »

أين يلقانى وأين ألقاه ؟

ها هو ذا يولينى ظهره ماضياً إلى غايته ، ولكنه معى ، ولكننى معه ، ولكنه يسألنى : « أين ألقاك ؟ »

أُترانى وإياه الساعةَ على فراق أو على لقاء ؟

منذ لحظة كان وكنتُ وإنه ليسألنى : أين أنت ؟ وإنه ليسألنى الساعة أين ألقاك ! وما افترقنا بعد !

أُترانى معه هناك أصحبه فى طريقه أم تُراه هنا يصحبنى ؟ جسدان كانا معاً منذ لحظة فافترقا ومضى كلٌّ منهما على

وجهه، ولكنه مازال معى يصحبنى فى طريق وما أزال أصحبه لا ريب

أأنا الذى معه هناك يناجيه فى طريقه أم أنا الذى هنا ؟

أهو الذى معى الساعةَ أتحدث إليه أم هو الذى مضى وخلفنى؟

اثنان هنا : أنا وهو ، واثنان هناك : هو وأنا ، واثنان كانا جسداً إلى جسد يتناظران على حيد الشارع منذ قليل ... !

أىٌّ هؤلاء أنا وأيهم هو ؟ .. أيُّنا الحقيقة وأيُّنا الخيال ؟ ..

أأنا واحد أم اثنان ؟.. وهو ، ما هو ؟ وكم هو ؟

إننى أنا مع نفسى الساعة لا ريب ، فمن ذاك الذى يزعم صاحبى فى وهمه أنه يماشيه ويُسرّ إليه النجوى ؟

وإنى لأشعر أن صاحبى هو معى الساعة ؛ فمن ذاك الذى مضى بعيداً ؟

أتُرى ذاك الذى مضى بعيداً يعرف هذا الذى معى أو ينكره ؟

أم تُرانى أعرف ذاك الذى يماشيه صديق ويزعم أنه أنا وما هو أنا ؟

يا عجبا ! إننى لأكاد أنكر نفسى !

ها هنا أصل وصورة ؛ فنذا يمايز بينهما ؟

ها هنا حقيقة وظل ؛ فأىّ الاثنين أنا ؟

... وطال علىّ الطريقُ وما ظفرتُ بجواب ؛ وبرمتُ بصاحبى الذى كان يماشينى وأناجيه فأنسيتُ ذكره ؛ وأحسب صاحبى الذى هناك قد مَلّ ملالتى فأنْسىَ ذكرى ... ...

وشعرتُ فجأة كأنما ثابتْ إلىّ نفسى ...!

وكأنما كان جزء منى بعيداً عنى فآب إلىّ !

وأحسست إحساس الحىّ بوجوده !

ووجدت بعد لأى جواب ما سألت نفسى !

« هأنذا ... هأنذا ... إننى أنا هنا ! »

أين كنت ؟ ومن أين عدت ؟

وهل كنت شيئاً قبل له كيان وله مكان ؟

سَل الطفلَ ساعة مولده : أين كنت أيها الوليد قبل أن تصير جنيناً فى بطن أمك ؟ »

فلو عقل السؤالَ وعَنَى الجوابَ لما أطاق

سَلْه أولاً : هل كنت ؟ قبل أن تسألَ : أين كنت ؟

أنا ونفسى شىء واحد : لو انفصل منهما شىءٌ عن شىء لما كان ثمة شىء !

ما أنا ؟ حين يكون خيالى بعيداً عنى ؟

ما أنا ؟ حين تتعلق أوهامى بما ليس فى يدى ؟

ما أنا ؟ حين تمضى بى الذكرياتُ إلى غير عالمى وتحاول أن تعيش بى فى غير أيامى ؟

ما أنا ؟ حين أفكر فيكَ ، أو فيه ، أو فيها وأغفل عن حقيقة نفسى ؟

ما أنا حينئذ بشىء ؛ فلا أنا هنا ولا أنا هناك ولكننى أشلاء !

نحب الشىء ونتمناه ، ونتخيل ساعة الظفر به ؛ فنحسّ فى أعماقنا ساعة نحب ونتمنى ونتخيل — إننا لا نشعر بوجودنا الكامل فى أنفسنا ؛ لأن الشىء الذى يكمّل وجودنا ليس فى يدنا ؛ ثم نظفر بما كنا نحب ونتمنى ونتخيّل ، فلا نشعر حينئذ بوجودنا الكامل فى أنفسنا ؛ لأن الشىء الذى يكمّل وجودنا لا يمكن أن يأتى من خارج أنفسنا !

ونأسى على مافات ، ونتلهّف على سوالف اللذات ، ونتخيّل عودة الماضى إلينا أو رجعتنا إليه ؛ فما نحس ساعةَ نأسى ونتلهف ونتخيل أننا أحياء لنا وجودٌ محدود بزمان ومكان ؛ ولكننا فكرةٌ أو حلم أو أمنية : صورة ما لها مثال ، ووهم ما له حقيقة !

... ولكن الإنسان على ذلك لا بدّ له من أمل يسعى إليه ، أو ماض يحرص على ذكره ؛ أفيكون ذلك لأن الله الذى برأ الخلق حين منح الإنسان نعمة الوجود قد حرمه نعمةَ الشعور بالوجود ؟

إلا الطفل : إنه هو وحده الذى يعيش فى حقيقة الوجود ، ليس له ماض وليس له أمل ؛ إنه هو ونفسه شىءٌ واحد منذ كان إلى أن يأذن الله ! ولكنه لا يدرى ! ولكنه لا يدرى ! .

تعاليت يا ربّ ! شهدتُ أن لا إله إلا أنت ؛ لأنك أنت وحدك الموجود ؛ وكل ما عداك ظلال وأوهام وأباطيل ! .

« شبرا » محمد سعيد العريان

من مزاح الشعراء

ســـــاعة الهراوي

متاعب لا تنتهى

للأستاذ محمد الأسمر

أصبحت مع ساعة الهراوى كما يقول البهاء زهير :

كلما قلنا استرحنا   زارنا الشيخ الإمام

فهذه الساعة الملعونة كلما قلت استرحت منها (جدّ لى منها سبب) وفى العام الماضى حينما ظننت أن الله أراحنى منها ودعتها بكلمة فى جريدة الأهرام الغراء ، ولـكن ما لبث هذا التوديع غير قليل حتى أعادنى إليها — ولا أقول أعادها إلىّ — فإنه تبين لى أننى التابع لها ، وأنها صاحبتى ولست أنا صاحبها … أقول ما ظهر هذا التوديع حتى كانت الأبيات التى قلناها على لسان الدكتور أو (الدكاترة) زكى مبارك موضع أخـذ ورد ودراسة وتمحيص أثارها حضرة المربى الفاضل الأستاذ عبد الحليم خطاب بين تلاميذه بدار العلوم فى درس من دروس العروض ، وكتب عن ذلك البحث العروضى صديقنا الأستاذ عباس خضر كلمة بالأهرام مما حدا بنا إلى رد الشبهة التى وجهت إلى بعض أبيات الدكتور — أستغفر الله — بل الدكاترة زكى مبارك .

ثم انتهت بعد ذلك أخبار هذه الساعة ومتاعبها ، ولـكن مجلة الرسالة الغراء طلعت علينا فى العـدد ٢٩٢ وبين صفحاتها كلمة ممتعة عنوانها (نادى الحلمية) للـكاتب المجيد (م . ف . ع) مندوب الرسالة الأدبى ، وقد حوت هذه الـكلمة فيما حوته قصيدة الشاعر الـكبير الحاج محمد الهراوى ، قصيدته الطيبة فى ساعته الملعونة التى أراها فى جلبها المتاعب لى كحذاء (أبى القاسم) وما جرّه على صاحبه من ويلات . وكيف لا تكون هذه الساعة أخت هذا الحذاء — حذوك النعل بالنعل — وهأنذا بعد عام كامل أجدنى مضطراً إلى التحدث عنها !

يقول الأستاذ الهراوى فيما يقوله عن ساعته فى قصيدته ما يأتى :

وسـاعة أهديتها   إلى صديق الأسمر
أحجارها كأنهـا   من لؤلؤ وجوهر
فلم يكن كمثلها   هـدية من موسر
ولم يكن كمثلها   من بائع لمشتر
وليس من تقدم   فيهـا ولا تأخر
تمشى عليها الشمس فى   عطارد والمشترى

وهذه الأبيات يصدق عليها قول القائل فى الشعر — أعذبه أكذبه — إلا أن البيت الأخير تجاوز الحدود المعقولة كلها لعذوبة الشعر جميعها . فنحن إذا صدقنا أن هذه الساعة أحجارها من لؤلؤ وجوهر وأنه لم يكن كمثلها هدية من موسر .. الخ الخ ، فإننا لا نصدق بحال من الأحوال أن الشمس تجرى عليها فى عطارد والمشترى . فإن الشمس إذا انحرفت عن أبراجها ومشت على أحد الـكوكبين عطارد أو المشترى لـكان هولٌ فى السماء والأرض لا يتصوره العقل إلا يوم يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات غير السموات . وحينئذ لا تغنى ساعة الهراوى عن العالم شيئاً ، وحينئذ يعلم الأستاذ الهراوى كم كنت أنا مبتلى بهذه الساعة

لو أن صديق الشاعر الـكبير نظر نظرة فى النجوم لتبين له أن (عطارداً) و (والمشترى) كوكبان من الـكواكب السبعة ، لا برجان من أبراج الشمس .

… وقد تناول أبو إسحاق الصـابى الـكواكب السبعة فى الأبيات الآتية . قال مادحاً :

نَلِ المنى فى يومكَ الأجورِ   مستنجعاً بالطالع الأسعد
وارق كرقى (زحلٍ) صاعدا   إلى المعالى أشرف المقصد
وفض كفيض (المشترى) بالندى   إذا اعتـلى فى أفقه الأبعد
وزد على (المريخ) سطواً بمن   عاداك من ذي نخوة أصيد
واطلعْ كما تطلعُ (شمس) الضحى   كاسفةً للحِـنْدِسِ الأسود
وخـذ من (الزُّهرة) أفعالها   فى عيشك المستقبل الأرغد
وضاهِ بالأقلام فى جريهـا   (عُطارِدَ) الكاتب ذا السُّودد
وباه بالنظر (بدرَ) الدجى   وافضُله فى بهجتـه وازدد

هذا واللهُ سبحانه وتعالى هو المرجوُّ — بعد اليوم وقبل اليوم — فى إراحتنا من هذه الساعة ، ومن متاعبها ، وهو أرحم بعباده وألطف من أن يجعل الشمس تجرى فى عطارد والمشترى من أجلها .

محمد الأسمر

القمر بين الحقيقة والخيال

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

طرائف وعجائب

لو سار قطار إلى القمر بسرعة خمسين ميلاً فى الساعة لوصل إليه فى مائتى يوم . ولو أطلقت قنبلة فى الجو بسرعة ١٦٤٠ قدماً فى الثانية لوصلت إليه فى ثمانية أيام وبعض يوم . والأمواج اللاسلكية التى تدور حول الأرض فى سُبع ثانية ! تصل إلى القمر فى ثانية وربع ثانية !

قد يعجب القارئ إذا علم أن بعد القمر عن الأرض ضئيل جداً إذا قورن بغيره من أبعاد السيارات والنجوم عن الأرض . ويزيد استغرابه إذا قيل إنه على الرغم من هذا البعد الذى يبدو هائلاً بالنسبة للأبعاد الأرضية ، فإن القمر هو أقرب جسم سماوى إلى الأرض يبعد عنها بمقدار ٢٤٠٠٠٠ ميل ! ...

القمر من الأجرام السماوية التى تستمد نورها وحرارتها من الشمس، يدور حول الأرض مرة فى كل ٢٨ يوماً ، يومُه طويل ونهاره طويل ، طول كل منهما أربعة عشر يوماً ، فتأمل ! ... يشرق متأخراً ويغيب متأخراً خمسين دقيقة ونصف دقيقة عن إشراقه ومغيبه فى اليوم الذى تقدمه . يظهر فى أشكال مختلفة فمرة نراه هلالاً ومرة نراه نصف دائرة ومرة نراه دائرة كاملة وفى بعض الأحايين يغيب ولا نستطيع رؤيته . وعلى هذا فالقسم المنير منه يزيد وينقص ، يزيد إلى أن يصبح بدراً كاملاً ، ثم ينقص إلى أن يطلع مع الشمس فيكون محاقاً . وسبب هذا أن الشمس تنير نصفه كما تنير نصف الكرة الأرضية ، وفى أثناء دورانه حول الأرض من الغرب إلى الشرق يكون القسم المظلم متجهاً نحونا إذا صدف أن وقع بيننا وبين الشمس . ثم يتقدم قليلاً نحو الشرق ، وهذا التقدم يظهر جانباً صغيراً منه منيراً ويزداد هذا القسم المنير كلما تقدم نحو الشرق إلى أن يطلع من الشرق وقت غروب الشمس وحينئذ يبدو لنا قرصاً منيراً وبدراً كاملاً . ثم يبدأ القمر بإتمام دورته حول الأرض فينقص ما نراه منيراً ، وتستمر هذه الحركة والقمر المنير فى تناقص إلى أن يطلع مع الشمس فيكون حينئذ وجهه المظلم هو المتجه نحونا ويكون عندئذ محاقاً .

ونظراً لقربه منا فهو يبدو كبيراً إلا أنه فى الحقيقة صغير بالنسبة للنجوم وبعض الكواكب ، فقطره أكبر من ربع قطر الأرض بقليل كما تبلغ مساحته مساحة أميركية الشمالية والجنوبية . وعلى هذا فجاذبيته أضعف من جاذبية الأرض ، والرجل الذى يزن ٦٠ كيلو جراما على سطح الأرض يزن سدس هذا المقدار على سطح القمر . وإذا قذفنا حجراً إلى علو خمسة أمتار هنا، واستعملنا نفس القوة والسرعة فإن الحجر يرتفع إلى علو ثلاثين متراً فى القمر، وقد تكون رغبة لاعبى الكرة شديدة فى أن تجرى اللعبة على القمر إذ يستطيعون رميها وإرسالها مسافة تفوق ستة أضعاف مسافة رميها هنا

ولضعف جاذبيته فهو تقريباً خال من الهواء والماء إذ ليس فى القمر قوة جذب كافية لحفظ دقائق الهواء محيطة به فهى (أى الذرات) دائمة الحركة والتصادم بسرعة (٤٥٠) متراً فى الثانية، وليست حركتها فى جهة واحدة بل فى جميع الجهات ، لذا فهى تفلت تماماً من سطح القمر ولا تستطيع البقاء عليه

ولقد نتج عن خلو القمر من الهواء انعدام المياه وعوامل النحت أو التفتت ، فلا نرى على سطحه أثراً من ذلك وبقيت الجبال على حالتها الطبيعية لم يحصل فيها أى تفتيت فى الصخور ولم تتكون أودية بالمياه الجارفة ، ويمكن القول أنه عالم قاحل هادئ ساكن خال من أنواع الحركة وعلامات الحياة

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن خلوه من الهواء أدى إلى تعرض سطحه لحرارة الشمس المحرقة وللبرودة الشديدة، إذ الهواء هو الذى يلطف حرارة الشمس وهو الذى يحتفظ بالحرارة التى تشعها الشمس حائلاً دون خروج الحرارة

وعلى هذا ترتفع الحرارة على سطحه أثناء النهار الطويل ارتفاعاً عظيماً حتى تصل إلى درجة الغليان؛ وقد تزيد حتى تقترب من درجة ذوبان الكبريت ، وتهبط الحرارة فى الليل الطويل فجأة وتستمر فى الهبوط حتى تصل إلى أكثر من (٢٥٠) درجة فهرنهيت تحت الصفر

وإذا تحادث اثنان على سطحه فلا يسمع أحدهما الآخر فيضطران عندئذ إلى التفاهم بلغة الإشارات، ذلك لعدم وجود أمواج هوائية تنقل الصوت ، وأظن أن القمر يلائم الذين يعنون بالمدفعية إذ لو أطلق مدفع فى القمر لما سمعه أحد هناك ولما حصل على الأذن أى أثر ولما اضطر الإنسان إلى استعمال ما يقى أذنه من شدة الأمواج التى يحدثها صوت المدافع

القمر يعوق حركة الأرض

كانت الأرض قبل وجود القمر تسير حول الشمس فى مدة أربع ساعات أى أن يوم الأرض كان أربع ساعات ولم يكن أربعاً وعشرين ساعة كما هو الآن !

لقد زاد القمر فى طول يوم الأرض، فما السبب فى ذلك؟ لكل شىء سبب ، وكل ما فى الكون يسير ضمن نواميس لا يتعداها . ولقد استطاع الإنسان بفضل ما وهبه الله من القوى العقلية أن يكشف عن السبب ويعرف المجهول فى بعض الحالات ، وهو لا يزال سائراً فى ذلك، وقد كشف من القوانين الكونية والأنظمة الطبيعية ما أمكنه الوقوف على كثير من عجائب الكون وروائعه .

استطاع الإنسان أن يحسب سرعة القمر حول الأرض فوجدها ٢٣٠٠ ميل فى الساعة ، كما ثبت له أن القمر يدور على محوره مرة واحدة كلما دار حول الأرض مرة واحدة فى ٢٨ يوماً ورأى فى الجاذبية ما يفسر له الإعاقة التى يحدثها القمر على حركة الأرض فثبت له أنه لولا قوة الجذب بين القمر وبين الأرض لاستمر فى سيره على خط مستقيم ، ولأصبح بعيداً عنا الآن ملايين الأميال

ولكن هذه القوة المستمرة ، هى التى تغير اتجاه سيره وهى التى تجعله يسير فى خط منحن (فلك) حول الأرض على الكيفية التى نعرفها .

إن الجاذبية بين الأرض والقمر متبادلة ، فكما أن الأرض تجذب القمر وبينهما قوة تجاذب تجعله يسير فى مسار منحن حول الأرض، فكذلك القمر يجذب الأرض وبينهما قوة تجاذب ، وهذه القوة أثرت على الأرض ولا يزال أثرها يعمل فيها (فى الأرض) إذ أبطأت حركة الأرض وجعلت دورتها حول نفسها تستغرق ٢٤ ساعة بدلاً من أربع ساعات !

وعلى أساس قانون الجاذبية العام الذى ينص على أن قوة التجاذب بين جسمين تتوقف على مقدار كتلتيهما وعلى المسافة بينهما — أقول على هذا القانون حسب العلماء وزن الأرض وغيرها من الأجرام السماوية . فلقد حسبوا وزن الأرض من جذبها طناً من الرصاص (مثلاً) أو من جذبها القمر أو غيره من الكواكب

وهكذا توصل الإنسان بفضل قانون الجاذبية وبفضل ما أخرجته (الرياضيات) من معادلات ونواميس من الإتيان بالعجب العجاب وبالسحر يخلب الألباب !...

القمر والتجارة

ما علاقة القمر بالتجارة ؟ أو ما علاقة التجارة بالقمر ؟ وهل القمر يساعد على التجارة أو يعوقها ؟

إن للقمر أكبر الأثر فى إحداث المد والجزر ، ولولاها لما كان فى الإمكان أن تدخل البواخر إلى الموانى أو أن تخرج منها . ومن هنا تتبين لنا علاقة القمر بمصالح الناس واتصاله الوثيق بها . ويذهب بعض الفلكيين إلى أن هذا الاتصال قوى إلى درجة أن القمر فى نظرهم هو من عوامل تقدم المدنية وارتقائها ، فإذا تلاشى من الوجود أو بعد كثيراً عن الأرض اضطربت التجارة واختل نظامها .

يحصل مدان وجزران فى كل يوم ؛ والمد هو ارتفاع الماء والجزر هو انخفاضه . ويحدث ذلك من جراء الجاذبية بين الأرض والقمر ، هذه الجاذبية ليست من القوة بحيث تجعل دقائق الأرض تتحرك ، ولكن مياه البحار تطيعها حسب قوتها وتتجمع فى البحر من هنا ومن هناك تجاه القمر ، ومن هذا وبتأثير الشمس يحصل المد والجزر . وكثيراً ما نسمع بأن للقمر علاقة بالزراعة ، ولكن إلى الآن لم يثبت شىء من هذا . ولا غرابة فى ذلك إذا عرفنا أن الزراعة تتأثر (قبل كل شىء) بالحرارة ، فالشمس تؤثر على النبات بحرارتها . أما حرارة القمر فهى من الضآلة بحيث أنها لا تحدث أى تأثير يذكر على النبات أو على غير النبات

ولقد قاس الفلكيون حرارة القمر وهو بدر كامل فوجدوها لا تزيد على جزء واحد من ١٨٥ ألف جزء من الحرارة التى تخرجها الشمس إلينا

وقد جرب العالم الفلكى (فلاماريون) عدة تجارب فى ضواحى باريس ليتحقق مما إذا كان للقمر أى تأثير على المزروعات، فزرع بعض الخضر كالفول والبطاطس والجزر فى أوقات مختلفة تطابق أوجه القمر الأربعة فلم يثبت لديه أقل تأثير فى نموها . وإذا كان هناك تأثير للقمر فى النبات فقد يكون من الزوابع والعواصف التى يثيرها القمر بجاذبيته للأرض

القمر والبحار

إذا نظرنا خلال التلسكوب إلى القمر فإنا نراه غير مستو كثير الارتفاعات والفوهات البركانية . ويقال إن عدد هذه الفوهات

يزيد على ستين ألفاً يبلغ قطر بعضها ١٤٠ ميلاً وعمق البعض الآخر ١٨ ألف قدم . أما الارتفاعات فهي سلاسل لجبال كثيرة ، فهناك من السلاسل ما يمتد إلى أربعمائة وخمسين ميلاً ، ومنها ما يشتمل على أكثر من ٣٠٠٠ قلة أعلاها جبل (هيجنز) ارتفاعه ٢١٠٠٠ قدم وهو أعلى من (أفريست) أعلى جبال الأرض. وكذلك يوجد على سطحه سلسلة تعرف باسم « الألب » تشتمل على ٧٠٠ قنة من قنن الجبال ولها واد طوله أكثر من ثمانين ميلاً وعرضه يزيد على خمسة أميال

ولهذه الجبال ميزات لا نجدها على جبال الأرض ، منها عدم وجود مغاور وكهوف ومنها جمال مناظرها الخلابة وما لها من ظلال تنئ على ما تحتها من صحارى . هذه الجبال سهلة التسلق لا يجد الإنسان صعوبة أو مشقة في السير عليها أو التسلق إلى أعلاها، بل يشعر بخفة وسرعة ما كان ليشعر بهما لو كان يتسلق جبال الأرض. وإذا صدف أن زلت قدماه وهوى من محل عالٍ فلا أذى يصيبه ، ولا ضرر يعتريه . وقد يستغرب القارئ من هذه التفصيلات ، وقد يختلط الأمر عليه فيظن أن القمر موطن المعجزات وموطن السحر . ولكن لا معجزات ولا سحر ، فكل ذلك آت من ضعف جاذبية القمر إذ قوة التثاقل تعدل سدس مقدارها على الأرض

هذه هي التي تجعل المستحيل هنا ممكناً هناك (على القمر) ، وتجعل المعجزة هنا أمراً عادياً هناك، وتجعل من الحركات الصعبة هنا سهلة هناك باستطاعة من (يزود نفسه بالأكسجين) وغير ذلك من الألبسة الواقية من الحر الشديد والبرد الشديد — أن يقوم بها ويتفنن فيها

وفي القمر أودية كثيرة يربو عددها على عشرة آلاف واد ، منها ما هو واسع جداً كالسهول الفسيحة ومنها ما هو ضيق فيبدو كمجاري الأنهار

وإذا نظرنا إلى القمر حينما يكون بدراً واستعملنا نظارة صغيرة لذلك رأينا أنه مليء بالبقع المنيرة التي هي جبال عالية، وبقع أخرى مظلمة هي سهول فسيحة . وقد ظن العلماء في أول الأمر أن هذه البقع المظلمة بحار فسميت بأسماء البحار كبحر الزمهرير وبحر الرطوبات وبحر الخصب وبحر الرحيق وبحر الغيوم

وعلى ذكر البقع يقول أحد الفلكيين إن هذه البقع لم تعرف إلا عند اختراع النظارات ، ولكن رأيت في الشعر العربي ما يدل على أن العرب عرفوا هذه البقع المظلمة قبل اختراع النظارات من ذلك ما قاله التهامي :

فبات يجلو لنا من وجهها قمراً   من البراقع لولا كلفة القمر

القمر من الأرض

لاحظ العلماء أن كثافة القمر تقرب جداً من كثافة الصخور الموجودة في أعماق الأرض ، وثبت لديهم أن العناصر التي يتألف منها القمر هي نفس عناصر جوف الأرض؛ ومن ذلك تحققت النظرية القائلة بأن القمر كان يوماً من الأيام جزءاً من الأرض انفصل عنها من المكان الذي هو اليوم قاع المحيط الهادي؛ وهذا يطابق رأي العالم الإنكليزي (جينز) الذي يرى أن التوابع أو الأقمار ليست إلا قطعاً انتزعت من السيارات كما انتزعت السيارات من الشمس على أثر سلسلة من الحوادث تشبه أن تكون واحدة في الحالين

أما الدكتور علي مصطفى مشرفة بك فلا يميل إلى هذا الرأي ولا إلى الأخذ به لأن الأرض (على رأيه) كانت في حالة سيولة عند ما انفصل القمر عنها

وقد يكون من الطريف أن يعرف القارئ أنه لما انفصل القمر عن الأرض وأفلت إلى الفضاء نشأ (على رأي الأستاذ بكرنج) انفصال أمريكا عن أوربا فكان الأوقيانوس الأتلنتيكي وكان ذلك عند ما كانت الأرض مائعة أو شبه مائعة

اقتراب القمر

قد يظن البعض أن اقتراب القمر من الأرض مما يزيدها جمالاً ومما يغمرها بهاء وسناء وسحراً ، ومما يجعل الإنسان يتمتع بنوره وبأشعته الفضية أكثر من تمتعه الحاضر. قد يكون هذا الظن في محله فينعم الإنسان حينئذ بمناظر القمر ويجد فيها كل الجمال وكل المتاع

ولكن ذلك لا يكون إلا بثمن ؟ وعلى حساب كوارث وبلايا تصيب الأرض من اقترابه منها . فعلى فرض أن هناك من العوامل ما يقرب القمر من الأرض وما يجعله على بعد ستين ألفا من الأميال فقط فحينئذ يزيد المد والجزر ٦٤ مرة . وإذا كان ارتفاع المياه عشرة أمتار فسيصبح ٦٤٠ متراً وستغمر الموانى والمدن وما يجاورها ، وقد يلتقي من جراء ذلك البحران الأبيض والأحمر ولا ينجو من اليابسة إلا القليل كالجبال والربوات العالية

وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى الملاحة فلا تعود تأمن سلوك البحار ودخول الموانى .

منظر الأرض من القمر

إذا تصورنا أنفسنا على سطح القمر ولدينا ما يلزمنا من الأكسجين وما يقينا من الحر والبرد فكيف نرى منظر الأرض؟

وهنا يختلف الوضع عن منظر القمر من الأرض، فلا إشراق ولا مغيب لأن أحد وجهى القمر يبقى متجهاً إلى الأرض دائماً، وإذا اتفق أن ذهبنا إلى الوجه الآخر فلا نستطيع رؤية الأرض بحال ما، وتبدو الأرض كالقمر ولكن أكبر منه، لا تغير مكانها فى الفضاء تظهر فى بعض الأحيان مظلمة وفى أحيان أخرى منيرة كلها أو نصفها أو ربعها . أما جمالها فيتجلى عند ما تكون بدراً إذ يكون ضوؤها شديداً أخاذاً .

أما السماء المحيطة بنا ونحن على سطح القمر فغير السماء التى نعرفها، لا شفق هناك ولا سراب، ولا سحب ولا ضباب، نرى الشمس على حقيقتها كرة هائلة فى سماء حالكة الظلمة شديدة السواد، ضوؤها ساطع، ولونها إلى الزرقة مائل . قد يبدو هذا غريباً، ولكن ليس فى هذا أى غرابة، فلا جو حول القمر يشتت الضوء ويحلله إلى ألوانه، ولا امتصاص ولا انعكاس لهذه الألوان . وهذا ما يجعل السماء تبدو سوداء ليس فيها ما نراه فى سماء الأرض من جمال فاتن وألوان مختلفة خلابة .

نرى القمر عالماً هادئاً يطيب للمفكرين فلا زوابع ولا عواصف ولا غبار تعكر السكينة وتفسد الهدوء، عالماً يكتنف الجبال الكثيرة ويحوى الوديان والفوهات العديدة حيث لا مدن ولا غابات، ولا حقول ولا بحار .

القمر والشعراء

لا تعجب من هذا العنوان : فهناك علاقة وثيقة بين القمر والشعر، وكيف لا يكون هناك علاقة والقمر هو الجرم السماوى الذى لفت أنظار الشعراء وشغلهم، وهو الوحى الذى يستلهمون منه، كما أنه المعين الذى يغرف الأدباء منه الخيال؛ وقلما تخلو قصيدة غزلية من التشبيه به أو التحدث عنه . لا يفارق مخيلتهم، يأخذون من تزايده ونقصانه ومن اكتماله بدراً ومن أشعته الفضية — ميداناً لنظم الشعر ومسرحاً للأدب الرفيع

ولا أدرى لماذا كل ذلك ؟

إنى على يقين أنهم (الشعراء والأدباء) غاضبون حانقون لما ورد فى هذا المقال من حقائق، وأقول كما قال الأستاذ توفيق الحكيم

« إن كل الجمال المحيط بنا إنما هو من صنع عيوننا القاصرة . والويل لنا إذا أبصرت أعيننا الآدمية أكثر مما ينبغى لها أن تبصر ... »

ولئن أبصرت عيوننا أن القمر خال من الهواء، وأن نهاره محرق وليله بارد لاذع، وأن أشعته مستمدة من الشمس وهى أشعة أكذب من سواد الخضاب فى اللمة البيضاء

ولئن أدى البحث إلى أكثر من هذا فصنع لنا عيوناً نبصر بها فوهات براكينه المخيفة، ووديانه الموحشة، وأراضيه المقفرة؛ أقول لئن أبصرت عيوننا كل هذا وفجعتنا فى القمر، فلقد دلتنا عيون العلم الحادة إلى ما هو خير منه وأبانت لنا الشمس على حقيقتها وأماطت اللثام عن روائع كثيرة ما كنا لنعرفها أو نبصرها بعيوننا الآدمية القاصرة

كشفت لنا عن الشمس وأنها باعثة الجمال على القمر ومصدر الحياة على الأرض، ولولاها لما دارت الأرض ولا دار القمر

فلماذا إذن لا يتغنى بها الشعراء والأدباء؟ ولماذا ينكرون عليها خيراتها وبركاتها

ولئن جحد الشعر والأدب أفضال الشمس عليهم وعلى الناس فلقد أنصفها العلم ورعى حقها وبوأها مكانها اللائق بها وبما تسديه إلينا من نعم لا تحصى ولا تعد

وأخيراً أعزى الشعراء عن حبيبهم القمر بقول المتنبى :

لو فكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسبيه لم يسبه

« نابلس » قدرى حافظ طوقان

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشـــا

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطـال

للأستاذ محمود الخفيف

كان فى استقالة شريف معنى الغضب ، ولـكنه لم يكن غضب فرد لشخصه فحسب وإلا لما كان له ما كان من خطر ، كان غضب رجل لشخصه ولقوميته معاً أمام لجنة من الأجانب تريد أن تظهر بمظهر السيادة ، وتحرص أشد الحرص على ذلك المظهر ، ولذلك كان ذلك الغضب ثورة ؛ وما لبثت تلك الثورة أن بعثت فى كل نفس من نفوس الأحرار ثورة مثلها ، وبذلك تهيأت البلاد لأن تثبت أمام الأجانب وجودها ، واغتدى شريف بمـا فعل رجلها ورأس أبطالها

ورب قائل يقول وماذا كان فى ذلك الموقف من معانى البطولة ؟ هذا رجل اعتزل منصبه فكيف يكون الابتعاد عن الميدان رجولة ؟ ولـكن الذين يعلمون مبلغ ما وصل إليه نفوذ الأجانب يومئذ ، ومبلغ ما منى به المصريون من خور ، وما عرف عنهم من الحرص على المناصب الحـكومية ، يدركون ما ينطوى عليه موقف شريف من عزة وتضحية . هذا إلى ما سبق الاستقالة من تحد للجنة وسلطانها . ولو أن الخديو آزر شريف يومئذ لما ترك منصبه تاركاً اللجنة بذلك فى أحرج المواقف ممعناً فى عصيانه وترفعه ... ولـكن الخديو على جلال قدره طلب إلى اللجنة فى لهجة تشبه الرجاء أن تكتفى من شريف أن يرد على أسئلتها كتابة . ولما رفضت اللجنة ذلك لم يرد الخديو عليها بعمل أو بقول يكون فيه معنى التأييد لرجله والاستنكار لفعل الأجانب ، ومعنى ذلك أنه لم يبق أمام شريف إلا أن يتخذ من استقالته مظهراً من مظاهر الاحتجاج على تدخل الأجانب فى شؤون البلاد ، فكان ذلك المظهر أول نذر الثورة ...

أخذت لجنة التحقيق العامة تدرس الحالة . ولقد جعلت اللجنة هدفها بطبيعة الحال العمل الصالح للدائنين ، ولذلك فـلم تأل جهداً فى أن ترجع بكل المساوىء إلى الخديو وحكومة الخديو متناسية ما فعله الدائنون من مخاطراتهم بأموالهم ابتغاء الربح الوفير وما جره جشعهم على البلاد من دمار ، وما انطوى عليه مكرهم من غدر وبهتان وزور واختلاس .

تعامت اللجنة عما كان يقاسيه الفلاحون يومئذ من شقاء ، ولم تراع فى تقريرها بؤس أولئك الذين أثقلتهم الضرائب وهدهم الجوع ، أولئك المساكين الذين كانوا كثيراً مايفرون من أرضهم لـكثرة ما كان يطلب منهم ، أولئك الذين غمرهم فى سنة من تلك السنين السود سيل جارف لم يكن أقل هولاً عليهم من سيل الضرائب ، ألا وهو فيضان النهر على قراهم وأراضيهم ، أولئك الذين أحاط بهم المرابون والأمراض معاً وباتوا يتمنون الموت من قبل أن يلقوه

وتغافلت اللجنة عن أولئك الأجانب الذين كانوا يهربون بضائعهم وينجون بها من الجمارك ثم لا يدفعون عنها شيئاً داخل البلاد فى ظل تلك الامتيازات المشؤومة التى كانت من أكبر المساوىء التى منيت بها مصر والتى قل أن يجد المؤرخ مثيلاً لها فيما كانت تتضمنه من الجور ، وما كانت تقوم عليه من الباطل والبهتان ؛ وكذلك تغافلت اللجنة عن أولئك الأجانب الذين تزايد عددهم فى الحـكومة المصرية ، والذين كانوا يتقاضون الأجور العالية جزاء على ما اتصفوا به من الـكسل وقلة المروءة وجمود العاطفة ؛ بينما كانت مرتبات الوطنيين لا تدفع لهم إلا فى مشقة وعناء وهى من القلة بحيث كانت تحفز الـكثيرين إلى الاختلاس والتهاون فى العمل .

واقترحت اللجنة فى قرار تمهيدى أن يتنازل الخديو عن سلطته المطلقة إلى وزراء مسؤولين ، وأن ينزل عن أملاكه فى نظير مرتب معين ، وكذلك تنزل أسرته عن أملاكها ... كل ذلك دون أن تفكر اللجنة فى أن يتنازل الدائنون عن شىء من ديونهم وهى تعلم كيف تراكمت تلك الديون وكيف تزايدت أرباحها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه

وقبل الخديو تأليف الوزارة المسؤولة فاستدعى نوبار من أوربا وعهد إليه تأليف وزارة يتضامن أعضاؤها فى التبعة وتقوم بالحـكم فى البلاد ، ونظر المصريون فإذا وزارة المـالية تسند إلى رجل انجليزى ، وإذا وزارة الأشغال تسند إلى رجل فرنسى ، وهكذا سيطر الأجانب على مصر سيطرة تامة !

ومن غريب أمر هذه الوزارة أنها بينما كانت تسمى « وزارة مسؤولة » لم يكن لمجلس شورى النواب حق إسقاطها بل لم يكن له حق محاسبتها ، ولم يك للخديو سلطان عليها ، ومع ذلك كانت

تلقب بذلك اللقب ! فليت شعرى كيف كانت مسؤولة ومن كان إليه يرجع الأمر يومئذ ؟

كان الوزيران الأجنبيان هما صاحبي السلطان الحقيقي فى البلاد، فلئن كانت ثمة مسؤولية على نوبار ومن معه من الوزراء المصريين فأمام الأجانب كانت تلك المسؤولية، وعلى ذلك فمن هذه الوجهة يصح تسمية تلك الوزارة بما سميت به، أما أن تعتبر وزارة مسؤولة كالوزارات التى يكون للشعوب حق محاسبتهـــا وإسقاطها من مناصبها فتلك سخرية من سخريات الأجانب كانت فى ذاتها من أبلغ نكاياتهم يومئذ بالبلاد وأهل البلاد

ولـكن شريفاً كان عضواً فى تلك الوزارة، أسندت إليه وزارة الحربية، وحل محله رياض فى الداخلية . ولنا أن نتساءل كيف قبل شريف أن ينضم إلى تلك الوزارة؟ والذى نستطيع أن نستخلصه من حوادث ذلك العهد وملابساته أنه فعل ذلك على الأرجح لأن الخديو كان يرى فيه يومئذ الرجل الذى يستطيع بما أوتى من شجاعة وثقافة أن يراقب أعمال نوبار ومن معه من الأجانب، وفى هـذا من الغض من شخصه ما لم يكن يسعه السكوت عليه

على أن شريفاً على رغم ثقة الخديو به وإيثاره إياه بالمحبة كان يكره استبداد الخديو بالأمر بقدر كراهته لنفوذ الأجانب، وكان يضمر ذلك فى نفسه حتى تحين الفرصة كما سيظهر من أعماله عما قريب

وسرعان ما دب الخلاف بين الخديو ووزرائه أو على الأصح بينه وبين نوبار والعضوين الأجنبيين، فلقد كان فى الوزارة رجال غير شريف يدينون بالولاء لحاكم البلاد الأعلى ومن هؤلاء على مبارك ورياض ... وتزايد هذا الخلاف حتى أصبح اسماعيل ولاهم له إلا أن يتخلص من تلك الوزارة التى لم تترك له من السلطة إلا اسمها

وسنحت له الفرصـة فى حادث مظاهرة الضباط، فإن نفراً من الضباط الذين استغنى عنهم عملاً بسياسة الاقتصاد قد تجمهروا أمام وزارة المـالية واعتدوا على نوبار والعضـو الإنجليزى السير ريفرزولسن، وكادوا يلحقون بهما الضرر البالغ لولا أن شخص الخديو بنفسه وفرق المتظاهرين . . . وأعلن اسماعيل على أثر ذلك أنه غير مسؤول عن شىء فى البلاد مادام محروماً من السلطان ومن ثم رأى نوبار أنه لا قبل له بمواجهة الحال بعد ذلك فرفع إلى الخديو استقالته، وبذلك تخلص الخديو وتخلصت البلاد من تلك الوزارة التى اعتادالناس أن يسموها الوزارة الأوروبية

وإنا لا نستطيع أن نمـر بحادث الضباط هذا دون أن نشير إليه ولو فى إيجاز، فنقول إن هذا الحادث كان أول خطوة فى الحركة العسكرية التى سوف تكبر حتى تكون الجانب العسكرى فى الثورة العرابية، ذلك الجانب الذى سوف يفسد على الثورة مبادئها ويميل بها عن وجهتها

قلت لنفسي ...

لا أدرى لأيَّة حكمة قضى الله على قادة العرب أن يختلفوا دائماً فى الأسماء دون الأفعال، وأن يدعوا الموضوعات وينصرفوا إلى الأشكال؟ ما هذه العصبية الجاهلية التى عجزت عن محوها الحنيفة المؤلفة، والمدنيـة المهذبة، والثقافة المتحدة، والآلام المشتركة، والخطوب التى تكفكف النفوس الأثِرة، وتطرف العيون الرغيبة ؟ !

هذه القضية المصرية لم يصبها بالضعف والبطء والتأخر إلا تكالب الزعماء على الرياسة، وإقحامهم الأهواء الحزبية فى باب السياسة، ووزنهم الأمور العامة بميزان المنفعة الخاصة ؛ فزهق الحق، ونفق الزور، واستخذى المنطق، وطاش الرأى الحصيف بين غفلة الشعب وأثرة القادة !

كذلك سياسة الأحزاب فى سورية والعراق، لم تخل يوماً من هذا النفاق والشقاق . وهذه قضية فلسطين يجتمع لحلها وفود الدول العربية، وتتفق على أمرها الأحزاب الإنجليزية، وتتحـد فى سبيلها الطوائف اليهودية، ثم لا يختلف إلا أقطاب الرأى فيها ! وقد اشتد هذا الخلاف واحتد حتى أوشك أن يقطع أسباب الأمل، وأن يحول بين المؤتمر وبين العمل !

حتى الأدب والثقافة ! لا بد أن يكون لهما زعامة وخلافة، ثم يختلفون فى مقر هذا السلطان، أفى مصر يكون أم فى لبنان ؟ ... فهل فرغنا من الجد يا قوم حتى نشـتغل بهذه الصغائر ؟ أم عجزنا عن استبطان الأمور فوقفنا عند الظواهر ؟

ابن عبد الملك

ويكون فى النهاية سبب فشلها وتحويلها إلى كارثة تجرف البلاد إلى هوة بعيدة القرار .. ذلك الجانب الذى كان له بسيرة شريف صلة وثيقة، فلسوف نرى أنه لولا تطرف العرابيين وشططهم لسار شريف بالبلاد سيراً كان يصل بها بلا شك إلى غاية لو أنها أتيحت لها لتغير بها تاريخها واتجه وجهة غير التى سيق إليها

وكانت تولد بالبلاد يومئذ حركة وطنية قوية، حركة سوف تلتقى فيما بعد بالحركة العسكرية فيتألف من التيارين تلك الثورة التى تعمد كثير من المؤرخين تشويهها والتى أخطأ فهمها عدد منهم ليس بالقليل حتى تبينت آخر الأمر على حقيقتها ...

وكان لتلك الحركة الوليدة مركزان أولهما المركز الرسمى وهو مجلس شورى النواب ، وثانيهما المركز الأهلى وهو بيت البكرى حيث كان يلتقى الأحرار من العلماء والنواب والأعيان .. وبهذين المركزين كان شريف دائم الاتصال لا يسهو ولا تفتر له همة

كان شريف دائم الصلة بالنواب إن جاز أن نسمى أعضاء المجلس على حالتهم هذه نواباً ؛ وكان يتمنى أن يتخذ منهم قوة يناوئ بها الأجانب ويحد من سلطان الخديو، ولن يتم ذلك فيما يرى إلا أن يكون الوزراء مسؤولين أمام هذا المجلس كما هو الحال فى المجالس الأوربية التى تسير على القواعد الدستورية . ولقد بذل شريف جهداً محموداً فى إنشاء هذا المجلس وظل يتعهده بنصحه ورعايته، وإنه ليأمل أن يتطور مع الزمن حتى يصبح هيئة لها مكانها فى النظام الحكومى فى مصر

وكان شريف يرقب حركة هؤلاء الأحرار من الرجال الذين كانوا يجتمعون فى بيت البكرى ، وكان لا يفتأ ينصح لهم ويشير عليهم بما يعملون ، وإن له بينهم لمكانة تجعله مناط آمالهم ومعقد رجائهم ، وما أشبه تلك الظروف بظروف مصر غداة الهدنة التى انتهت بها الحرب العظمى يوم كان الرجال يجتمعون خفية يفكرون فى مصير بلادهم ويتجهون بأفكارهم وإن لم يقصدوا إلى رجل بعينه يحسون أنه سيغدو عما قريب زعيم ثورتهم

سقطت الوزارة الأوربية ولكنها ألفت من جديد برياسة الأمير توفيق ، فلقد رفض قنصلا انجلترا وفرنسا أن يرأس اسماعيل نفسه الوزارة كما طلب . ولقد أرادت الدولتان على لسان قنصليهما أن يدخل نوبار الوزارة الجديدة فرفض الخديو وصمم على الرفض ورأت الدولتان مبلغ حرص اسماعيل على إبعاد نوبار ، فاشترطتا أنهما تقبلان ذلك إذا أعطى العضوان الأوربيان فى الوزارة حق « الفيتو » على قرارات مجلس الوزراء ، ورضى إسماعيل بذلك فصار للعضوين الأوروبيين حق إيقاف أى قرار لمجلس الوزراء لا يوافقان عليه؛ ومعنى ذلك أنهما صارا يحكمان البلاد حكما ديكتاتوريا لا يدع للخديو فى مصر سلطة أو ظلها !

وآن لمجلس شورى النواب أن يخطو خطوة ما كان أعظمها من خطوة ؛ نمى إلى المجلس فيما نمى إليه من أنباء الوزارة الأوربية أنها تأتمر بالمجلس وتنوى التخلص منه فصمم الأعضاء ألا يتفرقوا وأن يظلوا فى أماكنهم للنظر فى شئون البلاد فى تلك الآونة العصيبة ... ألسنا نرى فى ذلك صورة مما حدث فى فرنسا فى مستهل عهد ملكها لويس السادس عشر ، حين اشتدت الضائقة المالية ورأى نواب الشعب وجوب العمل على وضع حد لسوء الحال ؟ لقد أدت الظروف إلى أن يصبح مجلس شورى النواب تلك الهيئة التى لم يكن لها حول ولا قوة — هيئة تحاسب الوزراء وتملك حق إقصائهم عن مناصبهم إذا ما تهاونوا فى حقوق البلاد

لقد كان لشريف الفضل كل الفضل فيما وصل إليه المجلس من حقوق حتى ليعد شريف بذلك مؤسس الحركة الدستورية فى مصر.

كان المجلس فى وزارة نوبار قد أرسل إلى السير ريفرزولسن وزير المالية يدعوه ليحضر أمامه ليسأله عن بعض الأمور ، فسوف وما طل ولم يحضر أو يرسل إلى المجلس شيئاً مما طلب المجلس أن يطلع عليه من المشروعات ؛ وضاق المجلس بما فعل وزير المالية وأصبح يفسر عمله بأنه إهانة موجهة إلى الأمة فى أشخاص نوابها

وفى وزارة الأمير توفيق استصدر وزير الداخلية رياض باشا أمراً من الخديو إلى النواب بأن مدة مجلسهم قد انتهت فعليهم أن ينفضوا ؛ وذهب رياض يتلو على النواب هذا الأمر ؛ وهنا وقف النواب وقفة جديرة أن تفخر بها مصر فيما تفخر به من مواقف البطولة ، فلقد رفضوا أن يذعنوا ، وهددوا رياضاً بما عساه أن يقع من الحوادث فى البلاد تجاه سياسة الوزارة ، وجعلوا تبعة ذلك عليها .. ولكم نرى من أوجه الشبه بين موقف هذا المجلس ومجلس طبقات الأمة فى فرنسا حين وقف فيه نواب العامة يتحدون قرار الملك أثر صيحة ميرابو المدوية التى نقلت تاريخ فرنسا من فصل إلى فصل

ولكن النواب هنا لم يكونوا فى الحقيقية يتحدون الخديو، ولقد كانوا يعلمون أنه يعطف على حركتهم ليتخلص بهم من تدخل الأجانب فى شؤون مصر ، ذلك التدخل الذى حرمه كل سلطة وإنما كان النواب يتحدون الوزارة الأوربية ويريدون أن يأخذوا السبيل عليها

وكانت مطالب المجلس يومئذ تنحصر فى المسألتين الدستورية والمالية ، أما أولاهما فتتلخص فى أن تكون الوزارة مسؤولة أمام

المجلس بحيث يصبح هيئة لها مكانها الفعلى فى حكومة البلاد ، وأما الأخرى فمؤداها أن يبحث المجلس المسألة المالية دون الأجانب وأن يقرر فى أمر الدين والضرائب ما تمليه عليه مصالح البلاد .

وأصر النواب على تلك المبادئ فكانت حركتهم هذه حركة قومية بأوسع معانى تلك الكلمة ؛ وكان يظاهر النواب أحرار البلاد من العلماء والأعيان والتجار، الذين لم تنقطع اجتماعاتهم فى بيت البكرى. وأخيراً اتفقت كلمة الجميع على أن يتوجهوا إلى الخديو بما عرف باسم اللائحة الوطنية ، وفيها يعترض النواب على اقتراحات ريفرز ولسن التى كانت ترمى إلى إعلان إفلاس مصر ، ويقررون أن إيرادات مصر تفى بدفع ديونها ؛ ويطلبون إلى الخديو تقرير مبدأ مسؤولية الوزارة أمام المجلس وتأليف وزارة وطنية تقوم مقام هذه الوزارة الأوروبية التى ضاقت بسياستها البلاد ...

ولقد وضعت هذه اللائحة لجنة من النواب تحت إشراف شريف ؛ فكانت هذه اللائحة الخطيرة كبرى حسناته إلى هذه البلاد كما كانت أهم خطواته السياسية وأبعدها فى مجرى الحوادث أثراً ؛ ووقع على اللائحة ستون من أعضاء المجلس ومثلهم من العلماء وفى مقدمتهم شيخ الأزهر والبطريرك والحاخام ، كما وقع عليها عدد كبير من الأعيان والتجار والموظفين والضباط ، ورفعت بعد ذلك إلى الخديو فرأى أن قد حان الوقت ليوجه إلى النفوذ الأجنبى ضربة قوية ، فالبلاد من ورائه تؤيده وتشد أزره، ولذلك لم يتردد فى الموافقة على اللائحة، وسرعان ما هزت فعلته البلاد هزة قوية، هزة الفرح بانتصار الحركة الوطنية والأمل فى مستقبل تحطم فيه البلاد أغلالها وتنعم فيه بالراحة والرخاء

واستقالت وزارة توفيق ، فاتجهت الأبصار إلى شريف واتفقت عليه القلوب والأهواء، فالبث أن تضاعف سرور البلاد بأن أسندت إليه رياسة الوزارة الوطنية، وأصبح شريف زعيم الحركة الوطنية ورئيس وزارة الأمة فكان بذلك فى مصر صاحب الرياستين

(البقية فى العدد القادم) محمود الخفيف

عنــــد الثلاثين

للأستاذ محمود الخفيف

تَمَهَّلِي والتفتِي لَفْتَـــةً   لا تَذْهَلِي عَنْ دَهْرِكِ الرَّاحِلِ
لا تعبئِي ما إن تُرَى لَذَّةٌ   أشهى مِنَ الآمالِ لِلآمِلِ
عِنْدَ الثَّلاثِينَ قِفِي ساعَةً   وَجاوِزِي اليَمَّ إلى السَّاحِلِ
هَذَا هُوَ المَاضِي فَماذا تَرَى   عَيْنَاكَ مِنْ طَيْفٍ لَهُ مَاثِلِ ؟
مَطَارِحُ الأيامِ مَبْسُوطَةٌ   كَمْ بَيْنَهَا من أثَرٍ حَافِلِ !
كَمْ أجْتَلِي يا نَفْسُ مِنْ صورةٍ   عَرَفْتُهَا فِي عَيْشِيَ الزائِلِ
كَمْ بَهْجَةٍ قَدْ بِتُّ يا وَيْلَتَا   في شُغُلٍ عَنْ ذِكْرِهَا شاغِلِ !

***

أرَى وَكَمْ يُبهِجُنِي أنْ أرَى   مَسارِحي في قَرْيَتِي الضاحِيَهْ
هُنَاكَ حَيْثُ الأمنِ مَمْدُودَةٌ   ظِلالُهُ والبِشْرُ والعافِيَهْ
هُنَاكَ حَيْثُ الحسنُ رَفَّافَةٌ   طُيُوفُهُ للأعْيُنِ اللاهِيَهْ
وَحَيْثُ تَحْلُو الأرضُ مَنْثُورَةً   وَيَطْلِقُ السِّحْرُ بها خَالِيَهْ
وَتُعْجِبُ الأدْوَاحُ فَيْنَانَةً   وَمَا خَلَتْ مِنْ رَوْعَةٍ عارِيَهْ
هُنَاكَ حَيْثُ الصَّمْتُ أُنْشُودَةٌ   لا تَفْتَأُ النَّفْسُ بِهَا شَادِيَهْ
فِي جَنَّةٍ عِشْتُ زَمَانًا بِهَا   يا لَيْتَ لِي أيامَهَا ثَانِيَهْ

***

هَذِي هِيَ السَّرْحَةُ فِي ظِلِّهَا   إبْنُ ثمانٍ فِي الضُّحَى يَلْعَبُ
فِي ثَغْرِهِ مِنْ بَسَمَاتِ الرِّضَى   مِثْلُ ابْتِسَامِ الزَّهْرِ أوْ أعْذَبُ
وَعَيْنُهُ مِنْ لَمَحَاتِ المُنَى   كَمَا انْجَلَى فِي أُفْقِهِ الكَوْكَبُ
مِثْلُ فَرَاشِ الرَّوْضِ فِي لَهْوِهِ   وَدَأْبِهِ لَكِنَّهُ أوْثَبُ !
دنياه هذي النَّخْلُ . فِي جَانِبٍ   مِنْهَا يُرَى للأعْيُنِ المَكْتَبُ
كَمْ رَتَّلَ الآيَاتِ فِي مَقْعَدٍ   فِيهِ وَكَمْ بَاهَى بِمَا يَكْتُبُ
أجْرَتْ لَهُ الفُصْحَى بِهِ كَوْثَرًا   مَعِينُهُ فِي القَلْبِ لا يَنْضُبُ
يا ناشِئًا أوْحَتْ لَهُ سِحْرَهُ   شَمْسٌ من الفُرْقَانِ لا تَغْرُبُ

***

يا لاعِبًا لم يَدْرِ غَيْرَ المُنَى   كَمْ يَطْرَبُ القَلْبُ لِمَرْأَى صِبَاه
كَمْ يَسْحَرُ النَّفْسَ خَيَالٌ لَه   يَنْقُلُ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي خُطَاهْ
فِي عَيْشِهِ الحَالِمِ كَمْ هَزَّهُ   مِنْ عَالَمِ السِّحْرِ جَمَالٌ رَآه
أعْرِفُهُ ! فِي صَدْرِهِ خَافِقٌ   غَضٌّ يَرَى فِي الرِّيفِ دُنْيَا مُنَاه
هَا هُوَ ذَا فِي كَوْنِهِ هَائِمٌ   تَغْرَقُ فِي نُورِ الضُّحَى مُقْلَتَاه
ها هو ذا الكَوْنُ عَلَى بُعْدِهِ   عَنْ حَاضِرِي، تَمْلأُ عَيْنِي رُؤَاه
كَأنَّمَا تَهْزِجُ فِي مَسْمَعِي   أصْدَاؤهُ اليَوْمَ وَيَسْرِي شَذَاه !

***

مَغْنَايَ فِي الرِّيفِ أرَى طَيْفَهُ   فِي زَحْمَةِ المَاضِي وَفِي لُجَّتِهْ
إنْ ذَهِلَتْ عَيْنَايَ عَنْ مَوْضِعٍ   سِوَاهُ لَنْ تَذْهَلَ عَنْ صُورَتِهْ
هذا الفِنَاءُ الرَّحْبُ لَمْ أنْسَهُ   وَالقَلْبُ هَيْمَانُ إلَى فِتْنَتِهْ
وَهَذِهِ الشُّرْفَةُ يَا حُسْنَهَا   يَا حُسْنَ شَمْسِ الصُّبْحِ فِي جَبْهَتِهْ
الأمْنُ فِيهِ بَاسِطٌ ظِلَّهُ   وَاليُمْنُ وَالإقْبَالُ فِي سَاحَتِهْ
وَالأهْلُ، وَالوِلْدَانُ مِنْ حَوْلِهِمْ   أرْوَعُ مَا فِي البَيْتِ مِنْ زِينَتِهْ
صَلاتُهُمْ يَزْخَرُ تَسْبِيحُهَا   بِالحَمْدِ لِلَّهِ عَلَى مِنَّتِهْ . . .

عِشْتُ زَمَاناً ثم حُمَّ النوى ... وَذقتُ طَعْمَ الهمِّ مِن فرقتِه
فى غُرْبتِى كم مَسَّ قَلْبِي الضَّنَى ... وهَاجَ تَحْنَانِي إلى رُؤْيَتِه
يا نَازِحاً عَنْ أَهْلِهِ قَلْبُهُ ... يَذُوبُ مِن شَوْقٍ إلى جَنَّتِه

***

يَسْتَقْبِلُ الدَّرْسَ عَلَى وامِضٍ ... يَسطعُ كالكَوْكَبِ مِن أَمْسِهِ
مَا كَادَ يَخطُو لِلعُلَى خُطْوَةً ... حَتَّى شَأى الأقرانَ فِي دَرْسِهِ
السَّبْقُ مِنْ عَادَاتِه ، طَعْمُهُ ... أَشهى مِنَ الشَّهْدِ إلى نَفْسِهِ
خَيالُهُ المَشْبُوبُ يُوحِي لَهُ ... ما يُبْهِجُ المُرْهَفَ مِن حِسِّهِ
يَلْهَجُ بِالشِّعْرِ فَفِي رُوحِهِ ... وَحْيٌ لَهُ يُصْغِى إلى هَمْسِهِ
إن ضَاقَ بِالوَحْشَةِ طَارَتْ بِهِ ... أَجنحَةٌ مِنـهُ إلى أُنْسِهِ
أَوْ كَلَّتْ النَّفْسُ حداها إلى ... ما أنبتَ العِرْفَانُ من غَرْسِهِ

***

فِى حَلْبَةِ العِلْمِ مَضَى سَابِقاً ... يَسْتَقْبِلُ اليافِعَ من سِنِّهِ
ما أَوْهَنَ الجُهْدُ لَهُ عَزْمَةً ... فى سَهْلِ مايطْوِى وَفِى حَزْنِهِ
يُسَدِّدُ الحَزْمُ له خَطْوَهُ ... وتنطوى الأيَّامُ فِى يُمْنِهِ
يَرْسِمُ آمَالاً عِرَاضًا ولا ... يَدْرِى من الدَّهرِ مَدَى ضَنِّهِ
فِى كُلِّ ما يَقرأُ مِن سِيرةٍ ... صَدًى لِما يَهْجِسُ فى ظَنِّهِ
فَفِى غَدٍ (سَعْدٌ) بهذا الحِمَي ... يَذودُ ذَوْدَ اللَّيْثِ عن رُكْنِهِ
وتارةً ذو صَـوْلَةٍ قادرٌ ... يُصَرِّفُ الأمرُ عَلَى إذْنِهِ
أَوْ مِدْرَهٌ مُقْتَدِرٌ نَابِهٌ ... الحَقُّ والقِسطاسُ فى وَزْنِهِ
أَحَبُّ ما مَنَّى بِهِ نَفْسَهُ ... شادٍ تَغَارُ الطَّيْرُ مِن لَحْنِهِ
مُقَدَّمٌ فِى قَوْمِهِ شاعِرٌ ... السِّحْرُ والإعجازُ فِى فَنِّهِ !

***

غَـنَّى زماناً بِالمُنَى حالماً ... فى عُمْرِهِ المزدَهِرِ النَّاضِرِ
يبيتُ جَذْلاَنَ هَنِيَّ الكَرَى ... مُمَتَّعاً بِالحُـلُمِ الزَّاهِرِ
ماذا دهى قيثاره فاشتكى ؟ ... يا ويله من حُبِهِ البا كِرِ !
طافت بِهِ من خَمْرِ هذا الهوى ... كؤوسهُ ... يا وَيحَ لِلشَّاعِرِ
تَـكَشَّفَتْ دُنياهُ عن عالَمٍ ... يا قُدْسَ هذا العالَمِ السَّاحِرِ
يا حَيْرَةَ الشِّعْرِ لَدَى وَصْفِهِ ... يا رَحْمَةَ الأطيافِ فى الخَاطِرِ !
هذى الرؤى تَرْجِعُ رفَّافَةً ... من غَمْرَةِ الماضى إلى ناظِرِي

***

يَهْدِفُ لِلعِشْرِينَ فى نَفْسِهِ ... وَحىُ الذى يخفق فى جنبه
مُحَبَّبُ العِشْرَةِ فى وَجْهِهِ ... بَشَاشَةُ الوَرْدِ إلي صحبه
وفى حنايا صَـدْرِهِ رُقْيَةٌ ... عن الخنا والهُجرِ مالَتْ بِهِ
يا نَفْحَةَ الخُلْدِ لأَنتِ التى ... أيقظتِ هذا الطُّهْرَ فى قَلْبِهِ
يا وَمْضَةَ الرُّوحِ جَلَبْتِ الهُدَى ... وطُفْتِ بالنُّورِ على هُدْبِهِ
يا نَسْمَةَ الحُبِّ بِهذَا الشَّذَى ... الرَّوحُ وَالرَّيْحانُ مِنْ رَبِّهِ
فى كُلِّ حُسْنٍ حَوْلَهُ لَمْحَةٌ ... تُلْقِي عَلَيْهِ السِّحْرَ مِن حُبِّهِ
والكَوْنُ، ما دارت به عينه ... مُلْقٍ معانى الحُبِّ فى لُبِّهِ

***

كَمْ عَادَ لِلقَرْيَةِ فِي لَهْفَةٍ ... لِلعَيْشِ فى أَكْنَافِهَا الواسِعَهْ
والصَّيْفُ فى أنحائها رائعٌ ... بَاتَتْ بِهِ أَمْسَاؤُهَا رَائِعَه
هُنَاكَ لاَ يَلْبَثُ حَتَّى يَرَى ... فتاتَهُ بَعْدَ النَّوَى رَاجِعَه
هُنَاكَ كَمْ سَارَا عَلَى مَوْعِدٍ ... وَاللَّيْلُ يَغْشَي القَرْيَةَ الهَاجِعَه
فالتقيا لا عَـيْنَ تَرْعَاهُمَا ... إلاَّ عُيُونَ الأَنْجُمِ اللاَّمِعَه
يا قُدْسَ هذا الحُبِّ فى خَلْوَةٍ ... صَلَّتْ بِهَا مُهْجَتُهُ خاشِعَه
فى رَوْعَةِ الصُّبْحِ يرى وَحْدَهُ ... جَبِينَهَا فِي شَمْسِهِ الطَّالِعَه
وَيَمْلأُ النَّفْسَ صَدَى صَوْتِهَا ... والطيرُ فى أفنانِهَا سَاجِعه
وَينطوِى الصَّيْفُ وَأَحلامُهُ ... والوَصْلُ فى عيشته الوادِعه
يا لَيلةَ التَّوْدِيعِ كَمْ لَوْعَةٍ ... هَاجِسَةٍ فى نفسه الجازِعه
يا حَيْرَةَ الأعْيُنِ فى مَوْقِفٍ ... تُرَى بِهِ بَاسِمَـةً دَامِعَه !

***

صَحَا عَلَى العَيْشِ وَأَكْلاَفِهِ ... فَسَارَ سَيْرَ التَّابِهِ المَاجِدِ
هذا هو الزَّوْرَق يجرى بِهِ ... يا رَحْمَتَا لِلزَّوْرَقِ الجاهِدِ
ما هذه الدنيـا وأوضاعها ... كم ذا يرى مِن طَبْعِهَا الفاسِدِ!

الجـاهُ فيها للخنا تَوأمٌ   والحظُّ للاّهي وللقاعِدِ !
كم جاهلٍ يعلُو به جهلُه   فيها وكم من غافلٍ جامدِ !
والصابرُ المكدودُ يشقى بها   ما أضيعَ الآمالَ للحـاصِدِ
وكم يَرى ذو البرّ من جاحدٍ   وذو الحجا والفضلِ من حاسِدِ
والناسُ إلا قـلّةً أذؤبٌ   وحاقدٌ ينعَى على حاقدِ
ما ضرّهُ من عيشهِ ما رأى   أو صدّهُ عن سيرهِ القاصدِ
يحتقرُ الدنيا وأوهامَها   من طارفٍ فيها ومن تالدِ
يكيدُ للدهرِ بأقدامِهِ   فليسَ هذا الدهرُ بالكائد!

***

ما هذه الدنيا ليشقى بها   أما تُرى هازلةً لاعبه؟
وَيلٌ لمن تطغى على لبّه   بروقُها الـكاذبةُ الخالبه
يا أيها الباكي على حظّه   لا يُرجعُ الدمعُ مُنّي ذاهبه
عجبتُ للشاكين أيامَهمْ   ما نفعُ تلك العيشةِ الصاخبه؟
الهمُّ ، والدنيا على حالها   غذاءُ هذي الأنفسِ الغاضبه
حياتُهم لا يستسيغونها   حتّى تُرى شاحبةً غاربه
يا عجباً حين يلوحُ الردى   تلمحُهُ أنفسُهم هائبه !

***

ابتسمي يا نفسُ لا تعبسي   لا خيرَ للعابسِ من دهرِهِ
الحرُّ لا يأسَى على فائتٍ   والدهرُ لا يقوى على قهرِهِ
هذا هو الماضي خُذي وحيَهُ   واستقبلي الغيبَ على ذكرِهِ
ماضيكِ لا تذهبُ أطيافُهُ   أو تُطفئُ الأيامُ من بِشرِهِ
باتَ من الأقدارِ في نجوةٍ   هذا هو المعجبُ من سِرّهِ
ما غابَ من عيشِ الفتى من أسًى   لا يُقدِمُ المرءُ على نشرِهِ
أمّا سنا الماضي فيوحي لَهُ   ما كرّتِ الأيامُ ، من نورِهِ
ما لذّةُ العيشِ إذا ما خلا   من روعةِ الماضي ومن سحرِهِ ؟
موتٌ من الموتِ بقلبِ الفتى   نسيانُهُ السالفَ من عمرِهِ

***

آليتُ لا آسَى على ذاهبٍ   أو أذرفُ الدمعَ على دارسِ
هواي لن أشقى به بعدَ ما   عشتُ زماناً عيشةَ اليائسِ
سيّانَ عندي بعدَهُ ما أرى   من باسمِ الأيامِ والعابسِ
لكنني أمضي إلى غايتي   أحنو على المحزونِ والبائسِ
أُصغي من الماضي إلى ماثلٍ   من طيفِهِ في مسمعي هامسِ
أحيا على الذكرى حياةَ امرئٍ   ما كانَ من دنياهُ بالآيسِ
إن فاتَهُ فيها لذيذُ الجنى   كفاهُ منها لذّةُ الغارسِ

***

عندَ الثلاثين قفي وانظري   وغازلي يا نفسُ حلوَ الأملْ
من لم يُشمّرْ للمعالي فتى   هل يعرفُ العزمَ إذا ما اكتهلْ؟
العيشُ في الدنيا قليلٌ فهل   من موضعٍ فيه لغيرِ الجذلْ ؟
كم شدّةٍ يا نفسُ مخبوءةٍ   ولذّةٍ في عيشكِ المقتبلْ
لا تلعني دهركِ أو تحمدي   الدهرُ لا يُسألُ عمّا فعلْ

***

هيّا إلى الزورقِ خوضي به   غمارَ هذي اللُّججِ القاذفه
لا تطربي للريحِ إن سالمتْ   أو ترهبي أنواءَها القاصفه
السبقُ أن تجري على ثائرٍ   والفخرُ أن تقتحمي العاصفه
الضفّةُ الأخرى إذا ما دنت   لا تنفري من قربها خائفه

الخفيف

فن التجميـــل

للآنسة زينب الحكيم

التطور سنة الحياة، ومعناه النمو التدرجي والتكشف، ومعناه أيضاً نشوء الأشكال العليا من الدنيا فى الحياة كما يقول القاموس

إذن نفهم من هذا أن كل شيء حي، وأي شيء يمت لذلك الحي بأدنى صلة، يسرى عليه ناموس التطور التدرجي فى الحياة. ومن غير الضرورى أن نثبت منطقياً أو علمياً سلسلة تطور الإنسان مثلاً من عصور ما قبل التاريخ إلى البربرية الأولى فالثانية فالثالثة، ولا أن نعدد الأطوار التى قطعها حتى وصل إلى ما هو عليه الآن. فلسنا فى حاجة إلى ذلك فى هذا المجال. إن هذه أشياء مقطوع بصحتها على الأقل من ناحيـة التدرج النشوئى الذى استغرق آلاف السنين

إنما الذى يعنينا هو أن نوضح أن الحياة فى مختلف نواحيها تخضع للناموس ذاته؛ فكلما تطورت حالة الإنسان اختلفت بيئته وتغيرت طرقه ووسائل معيشته من تجارة وصناعة، وعادات ونظم، وتعاليم ومبادئ، وعلوم وفنون وغير ذلك

وفن التجميل ولو أنه يبدو فناً كمالياً، فإنه فى الواقع فن ضرورة ولزوم إذا أخذنا بالمبدأ القائل بسذاجة الطبيعة وأنها جرداء قاحلة ما لم نضف عليها من رائع خيالنا وبديع تصورنا

فإذا وضحت النظرية الآن، وصح تطبيقها على الجمادات والعجماوات، فمن الضرورى لزومها للكائن المفكر الذى يسوقه تفكيره إلى بلوغ أقصى درجات الكمال فى كل شيء. ولا جناح عليه إذا لحظ أنه يعمل للارتقاء فى جهات قبل أخرى، أو إذا تباينت درجات ذلك التطور، فهذه سنة الحياة ونظام تكوينها

وفن التجميل على هذا الأساس من أعرق الفنون وأكثرها حركة وأشدها اقتحاماً. فالكوخ لم يبق ذلك الشكل الساذج، بل تحول وتحور حتى صار بيتاً، والبيت تطور وتطور على أشكال وأنمـاط ...

زينة امرأة فى القرن السادس عشر

والقدر لم يبق ذلك الإناء الضرورى لحمل الماء أو غليه، وإنما تطور فتحوّر وهذب، واختلف أنواعاً وأشكالاً، ونقش تارة، ولُوّن وزركش أخرى

وكذلك الناس تطوروا، ولم تعد المرأة تلك البربرية التى كانت تحمل نفسها الأحجار وقطع المعادن الثقيلة للتزين مثلا، وإنما تطورت زينتها إلى ما هو ألطف وأجمل

لهذا نقول: إن فن التجميل فى كل العصور بالنسبة للمرأة

في الشرق والغرب ، يتغير مثله الأعلى بالنسبة لدرجة تطورها ، وإن اتفقت بعض مظاهره في أشياء

فمثلاً من زمن بعيد كانت منضدة التزين هي المرآة التي انعكس عليها نشاط المرأة . وقد وجد المنقبون في بلاد آشور ، وفي مصر ، مناضد للزينة تكاد تكون محملة بضروب من وسائل الزينة ، كما قد يرى على أفخم مناضد التزين اليوم في البيوت ، وفي محال التجميل العامة

والتاريخ يبرهن ، مع الأسف أو مع الغبطة ، على أن الجمال لم يكن طبيعياً أبداً (وهذا يتفق مع النظرية التي أشرنا إليها في أول هذا المقال) ثم قرر العقل البشري إثبات ذلك في الشرق

زنجيات أمريكا يجملن أظافرهن وأيديهن بصالونات التجميل العامة

والغرب ، بدليل ما تتخذه الناس من وسائل للتجميل ، ومن تحايل لأسبابه انتفعت به النساء بوجه خاص ؛ وإذا اختلفت وجهات النظر في ذلك ، فإنما تختلف من حيث التقدم في التطور لا من حيث المبدأ

ففي الغرب اخترعت محسنات البشرة ولون الوجه وفق أسس فنية وعلمية . أما الشرق فقانع بهذه النتائج غير المتقنة ، التي يمكنه الحصول عليها من أنواع الكريم والحناء ، والكحل الأزرق الذي تكحل به الجفون من الداخل ، فيحدث تهيجاً في العين يسبب ملأها بالدموع ، ويجعلها شديدة اللمعان ، ويعتبر ذلك من الجمال ، وهو خطأ مضر بالعين

ويستعمل الروائح العطرية القوية التي تضعف من أعصاب نساء الشرق البدينات فتزيدها وهناً على وهنها ، وبالجملة فإن نساء الشرق لا يحسن استعمال وسائل تزين الغربيات ، وكثيراً ما يخطئن في تطبيقها العملي ، ويخلطن بينها مما يؤذي أجسامهن ويسيء إلى أخلاقهن بوضعهن الأشياء في غير موضعها

كل ذلك لجهلهن تراكيبها ، وعدم دراستهن لأنفسهن بحيث يعرفن ما يلزم لهن ، وكذلك لعدم استعمالهن مبتكرات بلادهن ، التي تكون وليدة حاجاتهن ، وما يتناسب مع طبيعتهن

إن غفلتهن عن التعليل المنطقي تجعلهن مقلدات مسرفات في التقليد ، فكثيرات منهن قلدن وما زلن يقلدن النجمة السينمائية فلانة ، والممثلة المسرحية علانة ، وغاب عنهن أن زينة الفتاة الممثلة على المسرح أو السينما ، لا يمكن أن تجعلها جميلة أو متزينة بالمعنى الذي يقصد من التزين ، لأن المقادير الهائلة التي تصبغ بها وجهها ، إنما يقصد بها أولاً أن تساعد على إظهارها بوضوح على المسرح الشديد الضوء ، أو أمام أنوار التقاط الأفلام السينمائية ، كيلا تظهر شاحبة ذابلة ، غامضة الملامح إذا ما سطعت عليها تلك الأنوار القوية .

والصورة البشعة ، التي نراها هنا وفي كل مكان من المعمورة

بوجوه النساء ، إنما تدل على الجهل الذى تحمل المرأة عنوانه على أبرز جزء فيها ، مما ينفر من مزاولة فن التجميل الذى يعتبر من أرقى الفنون وأعرقها .

لو عاشت جدتنا لتسمع ما نقوله اليوم عن التزين ، ولو رأت بعينى رأسها حال وجوه السيدات اليوم ، لذهلت وطار لبها ، لأنه ما كان يستعمل للتزين فى أيامها إلا أنواع من الصابون الصحى غير المهيج للبشرة كصابون القطران والكبريت الممتازين .

بينما كان الرجال فى ذلك الزمن ، يوضحون رجولتهم بنحو قدم أو أكثر من لحية مربعة مهذبة حول ذقونهم .

أما وسائل التزين التى يعلن عنها بلا انقطاع فى جميع المجلات النسائية وغيرها الآن ، أو ما يسمع عن علاجات البشرة المختلفة وما شابه ذلك ، فكان غير مألوف ، ولم يطق سماعه أو السماح باستعماله السواد الأعظم من الناس فى القرن التاسع عشر

وقد اعتبر استعمال الدهون وأصباغ الوجه — من أحمر وذرور وغيرهما — من الجرائم الخلقية ، والغواية فى المجتمع ، واعتبر استخدام أصباغ الشفتين وتزجيج الحواجب من علامات الانحراف ، ومنتهى التبجح ، بل دليل الفساد والشر

لهذا طالما انتهرت الجدة العزيزة بناتها إذا ارتابت فى حمرة وجنتى إحداهن ، أو إذا هى صففت شعرها بأداة التجعيد المحماة . ولعمرى ما عساها كانت تفعل الآن ، إذا رأت بعض الفتيات المتطرفات ، اللائى ينمين أظافرهن حتى تصير كمخالب الحدأة ، أو يلبسن أحذية طول كعوبها أربع بوصات أو خمس ؟! من غير شك كانت تثور وتفور ولها الحق ، وليست معارضتها فى هذه الحالات وأشباهها مما تؤاخذ عليه ، والشىء إن زاد عن حده انقلب إلى ضده

وفى الواقع ، لا يوجد شىء تطور فى العالم بسرعة مثل ما تطورت وسائل الزينة وطرق استعمالها

وأصبح استخدامها باعتدال وفن من التقاليد المرعية والعادات المقبولة .

فالسيدة التى تظهر بأظافر غير معتنى بها مثلاً ، أو بشعر لا تظهر عليه دلائل العناية والتهذيب والتجميل ، أو بوجه شائه وكان فى استطاعة صاحبته أن تقلل من شوهه ، تعتبر خارجة على التقاليد ، مقصرة فى حق نفسها ، وفى حقوق المجتمع . وهل هذا العصر إلا عصر تجدد ونشوء ؟!

لهذه الاعتبارات من جهة ، ولإسراف السيدات وبعض الرجال فى التزين الخاطئ من جهة أخرى ، ارتفعت تكاليف التزين جداً ، بحيث أصبح ما ينفق على وسائله من نقود مقادير لا تصدق بسهولة لو لم تثبت صحتها الإحصاءات الرسمية

فتاة منغولية فى كامل زينتها

لقد قدر الآن فى الولايات المتحدة أن المرأة تنفق ثلاثمائة مليون جنيه فى السنة على معالجة التجميل ، والدهون من كل نوع . وقد قسم الإحصائيون هذا المبلغ الضخم بين أصباغ الشفاه ، وأصباغ الوجنتين والذرور ، ودهانات تغذية بشرة الوجه والكريم بأنواعه ، وأصباغ الحواجب والأهداب ، ودهونات الشعر وغير ذلك

أما فى انجلترا ، فإن أرقام ما ينفق على هذه الأشياء ليست إلى هذا الحد من الغلو ، والمصاريف فى انجلترا على التجميل خمسون مليوناً من الجنيهات ، أو ربما كانت ٧٠٠٠٠٠٠٠ جنيه

أما فى مصر ، فليست لدينا إحصائيات يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد ، ولا بد أن يكون الإنفاق فى منتهى الإسراف ، لأن مصر سوق دولية ، والعرض كثير والمهارة فى التصريف ممتازة ، والعقول ساذجة ، والإرادة ضعيفة فى أغلب الحالات

كثيراً ما ألحظ وأنا أشترى شيئاً من الصيدلية ، أو من متاجر الأدوية ، سيدات يستغلهن مهرة الباعة فيها استغلالاً سيئاً ،

وكثيرات من السيدات يفوضن أمرهن للبائعة اللبقة ، أو البائع ذى الحيلة لينصحا لهن بما يشترين، مما يكون أقوى أثراً فى زينتهن ولنا أن نتصور أى نوع وأية كمية من البضاعة يبتاع هؤلاء السيدات!

المرأة التركية الحديثة أمام مرآتها

أما الحالة فى العراق ، فإنه ولو لم أعثر فيه أيضاً على إحصائيات يستدل منها على مقدار ما تنفقه السيدات هناك على التجميل ، فإنى بما شهدته من تهافت المرأة ، وطنية وأجنبية ، على الأصباغ والدهون والعطور، والتغالى فى عمل التواليت بوجوههن وأيديهن بل وأرجلهن ، باستعمال أجود أنواع الزينة وأغلاها ثمناً ، أستطيع أن أقول إن المبالغ التى يصرفنها حتما تكون ضخمة .

ويأتى بعد سيدات العراق السيدات اللبنانيات

أما السوريات (وعلى الأخص الرشيقات) فكثيراتهن لا يُحسن استعمال هذه الأشياء ، ولا يسرفن فيها

والسورية العادية لها طرق تزين أهلية ، فتستعمل أنواعاً من تربة أرض بلادها وأعشابها ، وتستعمل أنواعاً من الصابون من صناعات حلب ، وبالضرورة قد تحتوى هـذه الأشياء أنواعاً من العناصر الضارة التى تتلف الأجزاء التى توضع فوقها من الجسم ، ولكن المرأة لا تبالى كثيراً بذلك لجهلها من جهة ولشدة اقتصادها من جهة أخرى، ولا تستطيع أن تدرك أنها تسرف من حيث تقتصد

أما المرأة التركية فتسرف فى استعمال وسائل الزينة ولكنها تتزين بفن وحسن ذوق

والمرأة اليونانية الحديثة قد سبق لنا ذكر شىء عن زينتها ، والأغلب عليها الاعتدال والبساطة فى التجميل وفى النفقات

أما المرأة اليوجسلافية ، فأشد نساء أوربا الحديثة تطرفاً ، ولكن بحسن تصرف وإتقان ، ويغلب عليها الإسراف الشديد .

والنساء الفرنسيات لهن شهرة معروفة عالمية فى فن التجميل ، ومع إسرافهن الشديد فى عمل التواليت ، وإنفاق الكثير جداً على أسبابه ، فإنه مشهود لهن بالدقة والصنعة وحسن التصرف .

أما المرأة الألمانية ، فتكاد تكون مسترجلة فى هذا الصدد ، والتزين الصناعى قليل عندهن ، ولذلك فكثيراتهن يعانين حياة سقيمة مع أزواجهن، ومن العجيب أن العلم وحده لا يفيد كثيراً فى الحياة ، فإنه يقدر ما تمتاز به المرأة الألمانية من علم وثقافة ، وتفرغ لفن الأسرة ، بقدر ما يتعلل الرجل عليها . وهى تكلف نفسها فوق ما تحتمل النهوض به من مسئوليات الحياة العملية ، فتهرم قبل أوانها ، ولا تحاول كثيراً أن تخفى هذه المظاهر بعمل التواليت .

هذه إلمامة سريعة بفن التجميل بالنسبة للمرأة فى العصر الحاضر، فهل كانت وسائله قديماً مشابهة لما تستخدمه الآن؟ هذا ما سنطالعه فى الأسبوع القادم إن شاء الله .

زينب الحكيم

النظام الشمسي للمادة

كلمة لازمة قبل التعرض للحياة

للدكتور محمد محمود غالي

تجزئة المادة والرجوع بها إلى علاقات زمنية مكانية — الذرة في المادة تمثل نظاما شمسيا — أمثلة من هذا النظام في المواد المختلفة

يرى القارئ وهو يقلب صفحات هذا المقال أشكالاً تشبه الأشكال التي كان يحاول كل منا رسمها وهو على مقاعد المدرسة عند ما ملك كل منا لأول مرة بركاراً (برجلاً) للرسم، وقد يعتقد القارئ بادئ الأمر أن هناك خطأ مطبعيًّا لورود هذه المنحنيات المنتظمة التي حاولها كل منا في حداثته وسط مقال يتعلق بالمادة وبالحياة ويحاول كاتبه أن يجد تفسيراً لهما، وبدهي أن تتملكه الدهشة عند ما يطالع في عنوان المقال «كلمة لازمة قبل التعرض للحياة»، ثم يتأمل هذه الأشكال: تُرى ما العلاقة بين المادة أو الحياة وهذه الرسوم المنتظمة؟ أية رابطة بين الكائن الحي وأغرب ما فيه الإنسان المفكر، وهذه المنحنيات والقطاعات التي تذكرنا بعبثنا في حداثتنا؟... هذا ما سيجده القارئ بين هذه الأسطر وفي المقال الذي يليه

***

كل ما في الكائنات في حركة دائمة — عند ما ترى قطرة ماء صافية على ورقة من أوراق الشجر وسط حديقة في يوم هادئ خف نسيمه ووجم كل ما في المكان من كائنات، قد يخيل إليك أن كل ما هو حولك في هدوء تام، والواقع أن أيًّا من هذه الكائنات، حتى نقطة الماء، بعيدة كل البعد عن هذا الوصف من الهدوء، فلا نقطة الماء في سكون ولا ورقة الشجرة التي تحملها؛ إنما السكون جزئي بالنسبة إليك وليس بالنسبة للكون.

نعود إلى نقطة الماء فكل جزء منها مركب من ذرات من الأكسجين والهيدروجين، كل ذرة من هذه مجموعة شمسية تشبه الشمس والأرض وسياراتها التسعة وأقمارها

ليتأمل القارئ معنا أصغر ما في هذه المجموعة وهو الالكترون يجده يدور حول نفسه ثم حول النواة مركز الذرة، كما تدور الأرض حول نفسها ثم حول الشمس. على أن هذه المجموعة من الذرات تكون جزءاً دقيقاً من الماء ذكرنا فيما تقدم أنه في حركة دائمة ذهاباً وإياباً، صعوداً وهبوطاً، بالنسبة لمجموعة الجزئيات الأخرى المكونة لنقطة الماء. هذه الحركة الأخيرة كبيرة جداً بالنسبة لحركة الالكترون الدورية المتقدمة، حتى أننا نرى أثرها إن لجأنا إلى تلوين هذه النقطة بأية مادة كولويدية واستخدمنا الالترابيكروسكوب. على أن هذه الجزيئات المكونة للنقطة تدور مع الأرض حول محورها بل تدور مع الأرض حول الشمس — على أن الشمس بدورها تدور ومعها الأرض والسيارات التسعة دورة أخرى مداها حوالى ٣٠٠ مليون سنة لتعود إلى وضعها الأول بالنسبة لمجموعة الشموس التي هي إحداها. على أن هذه المجموعة من الشموس ومنها شمسنا تبتعد في الحيز بالنسبة للمجموعات الأخرى المجاورة لها، وتبلغ سرعة ابتعاد بعض هذه المجموعات أو العوالم بعضها عن بعض ٢٥ ألف كيلو متر في الثانية أي أنها تقطع في الثانية الواحدة مسافة كالتي تفصلنا عن الصين، وهكذا لو أردنا أن نبحث حركة الالكترون، أصغر ما في نقطة الماء أو حركة جسيم آخر في الورقة الحاملة نقطة الماء، بالنسبة للحيز، لتملكتنا الدهشة، ولأدركنا أن كل ما في الحديقة، على ما يبدو عليها من هدوء ظاهر، بعيد جد البعد عن السكون والراحة

إنما ذكرنا ما تقدم لأن العلوم اليوم تتقدم نحو مقصد جديد، ذلك أنها تحاول الرجوع بالأشياء إلى علاقات مكانية زمانية

١٢٠ - ٢٤

(Spaco - temporelle) وعندما يصل الإنسان إلى الرجوع بكل الظواهر إلى مثل هذه العلاقات، فى الزمن وفى المكان، نكون قد اقتربنا من قمة العلم ونهاية المعرفة. أما وقد تعرضنا للحياة وهى التى تبدو لنا مظهراً من مظاهر المادة فلنحاول أن نعرف إلى أى مدى وصل بها العلماء فى هذا السبيل.

قبل أن نتكلم عن المادة الحية كالخلية وجسم الإنسان ونبحث هل تمكن العلماء فى تحديد جسيماتها بعلاقة مكانية زمنية يَجْمل بنا أن نشرح للقارىء إلى أى درجة وصلوا بالمادة الصماء (عادمة الحياة) إلى مثل هذا التحديد.

يتكون الجزىء للعناصر المادية كالحديد والذهب من مجموعة من الذرات وقد ثبت أن الذرة ليست أصغر ما فى المادة، ذلك أنه أمكن عمليا فصل الألكترونات عن الذرة وإثبات وجودها فيها، وقد تبين ذلك فى بادىء الأمر أولاً لوجود ما نسميه الذرات المتأينة Atames ionisés فى المحاليل وهى ذرات فقدت أو اكتسبت ألكترونات وهذا ما يُثبت وجود الألكترن فى الذرة؛ وثانياً لما يمكن أن تُصدره الذرة من الإشعاع، وما دام الضوء موجات كهربائية فلا بد أن هذا الإشعاع نتيجة لعملية كهربائية حدثت داخل الذرة نعلم الآن أنها حركة الألكترونات أى ذرات الكهرباء داخل الذرة

ويطول الشرح لو أردنا أن نذكر للقارىء سلسلة التجارب الطبيعية التى تُثبت ذلك. ولعل النتائج التى نشأت عن اكتشاف «بكارل» الفرنسى للنشاط الإشعاعى واكتشاف مدام كيرى أستاذة السوربون للراديوم، لا تجعل اليوم مجالاً للشك فى إثبات حقيقة تَفَتُّت الذرة الكيميائية وأنها تتركب من مركز رئيسى يسمى النواة Noyau ومن عدد من الألكترونات تدور حولها

هذا التركيب الذرى كان وما زال هدفاً لسلسلة من الدراسات الطبيعية التى ترمى إلى معرفة النموذج الذى تتألف منه الذرة أى صورتها المكانية سواء فيما يخص النواة أو الألكترونات التى حولها. ولقد كان للعالم الإنجليزى المعروف رذرفورد Rutherford الخطوة الأولى لمعرفة هذه الصورة المكانية للذرة. وتنحصر دراسته الأولى فى قذف الذرة أى ضربها بإشعاعات مختلفة، ودراستها ودراسة هذه الإشعاعات بعد ذلك. وقد أثبت بهذا أن الذرة مجموعة لجسيمات منفصلة الواحدة عن الأخرى ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بقوة جاذبية تعادل قوة دوران هذه الجسيمات حول الذرة

وبعبارة أخرى اكتشفت «رذرفورد» فى الذرة نظاماً شمسياً يشبه نظام مجموعتنا الشمسية، ولكن يختلف عنه فى أن القوة الجاذبية فى المادة قوة كهربائية بين شحنة موجبة وشحنة سالبة بينما القوة بين الشمس والأرض هى القوة الجاذبية النيوتونية أى بين الكتلة والكتلة

على أن نظريات «روزفورد» وغيره الخاصة بنماذج الذرات المختلفة لم يكن التقدم فى كل حالة حليفها، فقد تقدمت تارة وعثرت أخرى، ونرى ونحن نطالع الآن أجمل باب نعثُر عليه فى فلسفة العلوم الطبيعية كيف اتخذ نظام رذرفورد الشمسى للمادة طريقاً مُتعرِّجاً غير مستقيم، وإن شئنا أن نُسطر هنا ما صادف هذه الآراء من عقبات ووثبات لسطرنا نصف العلوم الطبيعية الحديثة، ولكن لا مناص من أن نلخص يوما هذه المسائل وهى من أبدع ما وصل إليه الفكر البشرى من الجمال والتنسيق، عندئذ نذكر قصة بالمير (Balmer) ثم انتصارات بوهر (Neils Bohr) الدنمركى الذى كان مساعداً لرذرفورد. فليست هذه من المسائل التى يجوز إغفالها، ونكتفى الآن أن نذكر أن الأخير وفق بين النماذج الشمسية لرذفورد، وبين نظرية الكم (quanta) للعالم الكبير بلانك (Max Planck). ولبوهر تُعزى فكرتان أساسيتان فى الفلسفة الحديثة، الأولى تتلخص فى أنه يجوز لنا أن نفترض كل الأقطار أى الأطوال فى مسارات المجموعات الشمسية الخاصة بالعالم الكبير بينما لا يجوز لنا أن نفترض إلا أطوالاً معينة لمسار الألكترونات. والفكرة الثانية: أن الإشعاع وفق آراء «بوهر» هو جهد حادث من وثبة للألكترون حول النواة من مسار إلى مسار أقرب منه لها

إنما أذكر ذلك ليعلم القارىء أن النموذج الشمسى (رغم ما دخل عليه من تعديل بعد الميكانيكا الموجية للعالم «دى بروى» (De Broglie) لم يكن مجرد العلم التخمينى أو النظرى بل كان يتصل بكل الفروع الطبيعية الأخرى وبخاصة التحليل الطيفى، وعند ما تتاح لى الفرصة لأطلعك على الانتصارات الكبرى التى حازها بوهر وغيره تصبح هذه الحركات الألكترونية فى المادة الصماء أمراً عند القارىء لا يقبل الجدل.

نعود للنموذج الشمسى ونترك البراهين عليها فى الوقت الحاضر؛ فالذرة وفق «رذفورد» مجموعة شمسية تتوسطها نواة كالشمس شحنتها موجبة وتدور حولها ألكترونات كالسيارات التسعة

شحنتها سالبة ، ويصح أن تحوى النواة عدداً من الوحدات السالبة تتعادل مع عـدد من الألـكترونات، وكلما كانت النواة ثقيلة زاد عدد وحداتها الموجبة . وأخف ما نعرفه من النواة نواة الهيدروجين التى تحوى شحنة واحدة موجبة يدور حولها ألـكترون واحد كالأرض يتبعها القمر . أما الهيليوم فلنواته شحنتان وبالتالى يدور حولها ألـكترونان ، ويحضر الذهن بعد ذلك فى جدول العناصر الليتيوم Lithium الذى لنواته ثلاث شحنات ويدور حولها ثلاث ألـكترونات كما هو مبين بالشكل (١)

ولقد أمكن البرهنة على أن واحـداً من الألـكترونات الثلاثة لا يجتمع مع الآخرين فى غلاف واحد (الغلاف الجزء المحدد بالسمار) وهذا الألـكترون الثالث يشبه فى هذه المجموعة الشمسية الصغيرة كوكب بليتون فى مجموعتنا الشمسية الكبيرة ، والذى ذكرنا أنه يدور بعيداً جداً عن الشمس ويتم دورانه فى ٢٥٢ سنة وهكذا كان لذرة كل عنصر عدد من الألـكترونات يتزايد من عنصر لآخر حتى نصل إلى الذرات العليا مثل الرصاص الذى يدور فى غلافه ٨٢ ألـكتروناً وهو بذلك مجموعة شمسية معقدة . كذلك الايرانيوم وتعد ذرته أثقل الذرات إذ يدور حول نواته ٩٢ ألـكتروناً ولعل هذه الـكثرة هى السر فى عدم اتزانه وفى كونه المواد المشعة

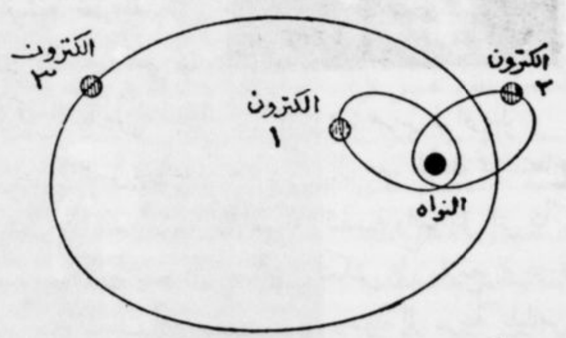

شكل ١ : نموذج ذرة الليتيوم

وفى (الشكل ٢) مثال آخر لنموذج ذرة النيون وهو الغاز الذى استعمله لأول مرة جورج كلود أستاذ كلية فرنسا والذى يكثر استعماله فى الاعلانات فى المساء فتملأ أنابيبه شوارع القاهرة. وفى هذا النموذج ترى للنواة مسارين لألـكترون وثمانية مسارات لثمانية ألـكترونات أخرى

هذه هى المادة كما يراها العلماء وقد ذكرنا فى مقالنا السابق أن المركبات المادية للـكائن الحى هى ذرات كيميائية (الـكربون والأكسيجين والهيدروجين والأزوت) وأن العلماء يعتقدون أنه قد حدث فى وقت من الأوقات أن مجموعة من هذه الذرات ترتب بطريق الصدفة بالطريقة الموجودة بها اليوم فى الخلية الحية ، وتساءلنا هل المادة الحية مجموعة من الذرات أو مجموعة من الذرات مضافاً إليها الحياة ؟ وقد بدأنا اليوم بهذا الوصف للمادة وفق آراء العلماء ، وبقى لنا أن نتناول المادة الحية ونعرف فى أى الأوجه تختلف عما وصفناه

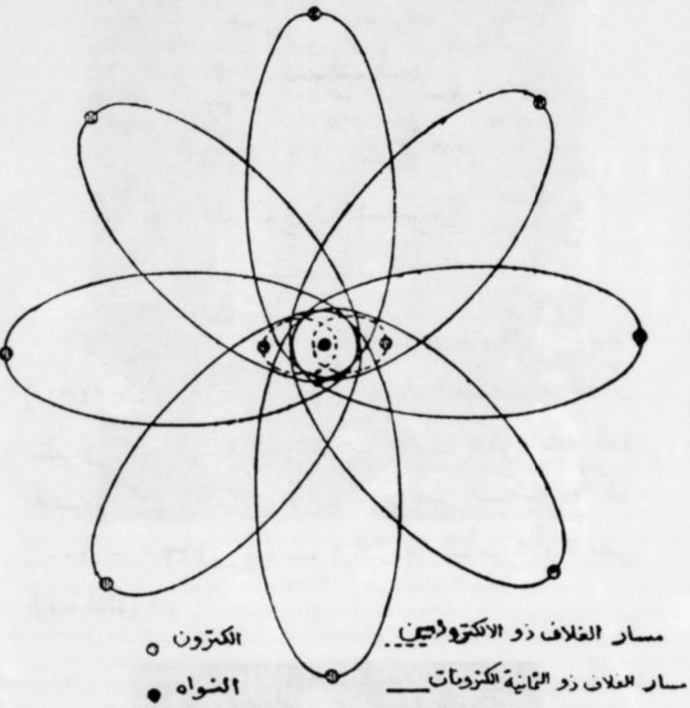

شكل ٢ : نموذج ذرة النيون

لقد اعتدت أن أعد القارئ فى آخر كل مقال بما سأتناوله فى المقال الذى يليه وأن أدله عند الوصول إلى خطوة بلغناها على الطريق الذى يتبعها فى استعراض هيكل العالم وسير الحقائق . على أنى أتقيد هذه المرة بتناول موضوع الحياة بعد أن انتهينا اليوم من وصف المـادة وصفاً كان لازماً لتناول مثل هذا الموضوع . وها قد وصلنا معاً إلى طريق وعرة ولـكننى سوف لا أدخل بالقارئ مكاناً أشعر أنه لا يتعلم منه شيئاً جديداً . وإنى أنتهز الفرصة لأقدم شكرى للذين أرسلوا إلى كلماتهم الطيبة بخصوص هذه الجولات ، وسأواصل جهدى على صفحات الرسالة فى تبسيط ما نصل إليه من المعرفة

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ، ليسانس العلوم الحرة ، دبلوم المهندسخانة

پركسيتلس

PRAXITELES

للدكتور احمد موسى

كان للانقلاب المدنى الذى جلبته حرب البيلوبونيز (٤٣١ — ٤٠٤ ق . م) وتطور العقلية والنفسية الإغريقية أثر عظيم فى النهوض الفنى واتجاهه . ولذلك يمكن اعتبار المدة المحصورة بين نهاية تلك الحرب وبين عصر اسكندر الأكبر (٤٠٠ — ٣٣٠ ق . م) مدة « الازدهار المتأخر » أو « عصر الرفعة الثانى » .

(ش ١) ساتير

ولا يهم مؤرخ الفن المشتغل بالأركيولوجية الإغريقية أن يتناول فى مقال كل ما أحاط بالحياة الإغريقية من سياسية واجتماعية إلى مدنية إلى حياة خاصة بسبب الحرب ؛ وإنما يهمه أن يتلمس النتائج التى ترتبت عليها فى الآثار الموجودة أو على الأقل بين دفات الكتب الموثوق بقيمتها العلمية كراجع يعتمد عليها ومصادر أثبت البحث صحة ما جاء فيها .

ولما كان الفن الإغريقى قد اتجه فى النحت بعد حرب البيلوبونيز اتجاهاً صادق التعبير عن التغير والمنهج الجديد الذى مال كثيراً وفى وضوح إلى تمثيل الفردية بعد أن كان ممثلاً للجماعات ؛ فقد جاء من حيث الجوهر أقوي إفصاحاً عن النظرة الشخصية للفنان .

(ش ٢) هرمس فى أوليبيا

ولذلك — ولا نبعد عن الصواب — نجد أن التماثيل فى مجموعها انتقلت انتقالاً هائلاً من ناحية تعريفها للحياة فى صدق ومحاكاتها للطبيعة البشرية فى قوة، لما ظهر عليها من حسن التكوين والحركة، كما تمكن الفنان من التعبير عن خوالج النفس، وهذه ناحية لم تكن إلى هذه المرحلة مما يستطاع تمثيله أو محاكاته ولا سيما أن المشاعر النفسية والعوامل التى يتأثر الجسم منها تأثراً يبدو فى حركته وينعكس على ملامح الوجه ، مما لا يتاح لنحات أن يخرجه إلا بعد وصوله إلى درجة عليا من المقدرة الفنية

فبينما نرى اهتمام الفنان كان قبل هذه الآونة متجهاً نحو تمثيل المقدرة والشجاعة والقوة(١) ، نراه فى هذه المرحلة أكثر ميلاً نحو صدق المحاكاة ومراعاة التعبير عن النفسيات ، والرغبة فى التأثير على المشاهد بإشراك حواسه فى الاستمتاع والسمو قبل الشعور بالرهبة والتأثر بالعظمة .

وهذا ما انبنى عليه تقهقر النحت التذكارى والتجسيم المعارى وتقدم التماثيل المستقلة ذات الفكرة المحدودة . وهكذا نرى انتشار

(١) راجع مقالنا عن فيدياس بالرسالة

التماثيل الرخامية (لا سيما فى أتيكا) واختفاء غيرها من تلك التى كانت تنحت من سن الفيل والذهب ، هذا فضلاً عن الكيفية التى سار عليها النحات لإبراز التفاصيل دقيقة وإظهار القدرة فى القطع الرائع.

تم هـذا على أيدى فنانين مبدعين نذكر منهم ديمتريوس Demetrios of Alopeke وسيلانيون الأثينى Silanion وسكوباس Skopas الذى يعد أول نحات إغريقى فى القرن الرابع قبل الميلاد . كما يعتبر فى مقدمة زعماء المدرسة الأتيكية الحديثة .

بعد هذا التطور وفى وسط هذا المحيط نشأ الفنان العظيم برَكسيتلِس بن كيفيسودتس الذى ينتمى إلى عائلة أتيكية . وكان أصغر سناً من سكوباس فرأى الكثير قبل البدء، كأنه أقام معظم سنى حياته فى أثينا حتى عصر اسكندر الأول ، وقد خلدت شهرته كنحات للرخام دون غيره بالرغم من أن له بعض قطع عملها من البرنز

(ش ٣) هرمس فى لندن

وبدراسة ما تركه هذا النحات الفذ نحصل على قسط وافر من مميزات طابعه الشخصى الذى يتلخص فى أنه عنى عناية فائقة ونجح نجاحاً باهراً فى التعبير عن الجمال النابض ، واختار مادته منه فى ربيع الحياة، فمثل الشباب تمثيلا رائعاً خلاباً وأبرز أسمى صفاته وهى الصبا والزهو والقوة والنشاط وحسن التكوين .

وهذا لا يمنع من وجود بعض القطع التى مثلت ناحية الجد والنضوج ، فجمع بين حالتين جعلت منه أستاذاً فى تصوير العوامل النفسية دون نزاع . كل هذا بالنظر إلى الدرجة العليا التى وصل إليها فى هذا المجال ؛ فمن الهدوء إلى الحركة ومن اللين إلى العنف فضلا عن أنه جاء بجديد له قيمته العظمى فى دراسة فن النحت،

(ش ٤) رأس تمثال هرمس فى أولمبيا

فقد استطاع الجمع بين التكوين الجسمانى فى وضع ما ، وبين ما يلائم هذا الوضع من ملامح ترتسم على الوجه وتنسجم مع تكوين الرأس فكأنه أكسب رؤوس تماثيله حياة اتفقت مع تمثيل الواقع ، وانسجمت مع المجموع الإنشائى ، فجاءت دليلا على أن الفنان بلغ الذروة فى دقة الإخراج من ناحيتيه الفنية والعملية ، كما أنه سار بالنحت خطوات واسعة نحو التأنق فى التكوين .

أما من حيث الناحية الإنشائية فإنه كان واسع الأفق غير محدود الخيال ، فأخرج إلى جانب تماثيل الآلهة تماثيل للإنسان (تمثال ديادومينوس وغيره) .

ولبركسيتلس ناحية أفرغ فيها حبه وهيامه ، تلك هى الناحية التى عبر بها عن جمال أفروديت إلهة الحب ، وشباب إيروس Eros إله الحب وابن أفروديت وهو الذى تحدثنا القصة الإغريقية عنه بأنه كان ولداً جميلاً بجناحين أو شاباً يحمل قيثارة Lyra أو قوساً ، وموسيقى أبولو Apollo بن زويس إله النور والغناء والعزف ، ونشوة ديونيزوس Dionysos إله الزراعة والحصاد وزراعة الكرم .

وأهم أعماله الباقية وأحسنها تمثال هرمس Hermes ابن

زويس إله الطبيعة والرعاة ورسول الآلهة « وإله التجارة والطرق والرّحل واللصوص » والنوم والأحلام . وهو التمثال الذى وجد أثناء أعمال الحفر سنة ١٨٧٧ ولا يزال محفوظاً بمتحف أولمبيا .

وقف الإله الشاب عارياً يحمل بذراعه اليسرى المتكئة على جذع شجرة الطفل ديونيزوس (ش ٢ تمثل نصف التمثال فقط) ويمسك بيمناه عنقود العنب متجهاً به نحو الطفل . والساق اليمنى مستقيمة (هكذا فى الأصل الكامل) والوسط محدود بخطوط غاية فى الدقة مما تميز به نحت الفنان . والإنشاء المجموعى والوضع الكلى لهذا التمثال كله ملىء بالحياة ، عظيم بالجانب المتوفر فيه من الجمال ، ولا سيما الرأس الدقيق الصنع البديع التكوين . أما الابتسامة الهادئة التى ارتسمت على وجه صاحبه (ش ٤) فهى من أدق ما شوهد منحوتاً فى الرخام .

ولعل تمثاله لأفروديت كنيتوس Aphr. of Knitos هو أهم وأعظم عمل فنى قام به (ش ٦) ، وقد فهم الأقدمون ذلك ونظروا إلى التمثال نظرة تقدير وإعجاب واستمتاع بروعته . تريد أفروديت النزول إلى البحر ، فتخلع ملابسها وتلق بها على آنية الزهر . وقد اتخذ من فكرة الرغبة فى الاستحمام والتهيؤ للنزول فى الماء موضوعاً للانشاء الفنى الخلاب ، فبدا التمثال هائلاً ، وظهر الوجه وعليه أثر ابتسامة أقل ما يقال فيها أنها التوفيق الكامل .

(ش ٥) رأس أفروديت فى لندن

ولم يبق أثر يدل على هذه العظمة الفنية إلا الصور التى رسمت على العملة ، إلى جانب تماثيل نقلت عن الأصل ، أحسنها التمثال المحفوظ بالفاتيكان (ش ٤) وآخر محفوظ فى ميونيخ Glyptothek in muenchen فيه بعض التغيير .

(ش ٦) تمثال أفروديت فى الفاتيكان

وفى انجلترا رأس أفروديت (ش ٥) وله تماثيل لأفروديت فى لباسها نذكر منها ما عمله لمدينة كوس Kos .

وله أربعة تماثيل لإيروس موجود أحدها بالفاتيكان وآخر فى نابولى . وتماثيله لأبولو تحتاج إلى شرح وإفاضة . وكل ما نبتغيه من هذا المقال ومن غيره أن يلتفت القارئ إلى النحو الذى سار عليه أساطين الفن ومقارنة ذلك بالاتجاه السقيم الذى يتجه نحوه بعض الشباب من المشتغلين بالنحت فى هذه الأيام ، وهم يعتقدون أنه الاتجاه الصحيح على حين أنه العجز فى معناه الكامل .

أحمد موسى

السيدة فتحية أحمد

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحى

من أثبت المطربات قدماً فى فنها ، وأعظمهن خبرة بصناعتها. تعتبر ثانية مطربات الشرق بعد (أم كلثوم) ، وإن كان بعض جهابذة الفن يرفعها عليهن جميعاً لقدرتها وتصرفها العجيب الذى يجمع بين سحر القديم وقوته ، ورونق الجديد ورقته ، والذى لا يعجز عن إرضاء جمهرة السامعين ولو كانوا حشدا مختلفا فى ذوقه متباينا فى عمره .!

سمعتها مرة تغنى فى دار (الاتحاد الموسيقى) الذى يرأسه الأستاذ ابراهيم شفيق وكان على رأس الجميع مصطفى رضا بك مدير المعهد الملكى للموسيقى العربية ، والدكتور محمود أحمد الحفنى مدير إدارة الموسيقى بوزارة المعارف ، والآنسة أم كلثوم، فإذا بها تبتدىء من نغمة (النهاوند) فعملت من (النوا) بياتى ثم نهاوند . وحولت النوا عشاق وقفلت (نركيز) على أساس النغمة، ثم النوا راست وقفلت (زاريل)، ثم رجعت للنوا حجاز وطلعت على جواب الكردان وعملت نهاوند وراست على (الكردان) ، ثم صبا على الحسينى ، ثم قفلت (نهاوند) !

وكل هذا متآلف مع النغمة الأصلية مما أخرج (أم كلثوم) عن طورها فلم أرها فى موقف لمطرب أو مطربة (تصرخ) كما كانت تصرخ أمام (فتحية) . ولقد أراد البعض أن يرجوها فى الغناء بعد أن انتهت ... فما كان منها إلا أن قالت حرفياً (وماذا أقول بعد هذا) !

يبلغ صوتها خمسة عشر مقاماً تقريباً . وهو من نوع (الكونتر آلتو) وإن كان البعض يقول إنه من فصيلة (التينور) ... !

يمتاز بلمعته ونبرته وقدرته حتى أطلق عليه جميع الموسيقيين والموسيقيات لقب (الفتوة) ! لأنه ينفرد بقوة عجيبة غريبة ؛ فلو استمر شهوراً يشتغل كل ليلة ما شكا وما نقص وما (خستك) كغيره من الأصوات .. جيد الإلقاء . دقيق المحاكاة .

هى أول (مطربة) جمعت بين أشياء متناقضة متنافرة لا سبيل إلى جمعها أبداً ! جمعت (الشرف) والفن والأمومة المنتجة الرحيمة التى تبذل دمها وروحها لتهذب وتعلم أولادها من مالها (الحلال) الذى جمعته من كدها ، وتعبها ، وصوتها !

(ياليل) ... أشهد أننى أكره هذا النداء الذى قتله مطربونا ومطرباتنا نداء ، وأوجعوه وأتخنوه مناجاة . ولست أدرى السر فى هذا ، ألقصور فنى ، أم لضعف صوتى ؟؟ إن كان هذا أو ذاك فقد كنت أكره نداء الليل ومناجاته حتى سمعت هذا النداء العجيب من (فتحية)

سمعتها تناجيه وتناغيه بتصرف حيرنى ، ثم أدهشنى وأعجبنى حتى حول كراهتى حباً وافتتاناً ... وصرت لا أود ولا أسمى إلا لأسمعها تقول : ياليل .. ! بقوة تخجل الرجال ، وبقدرة تذهل النساء ، حتى اعترف لها الجميع وأولهم (أم كلثوم) و (عبدالوهاب) بأنها أقدر مطربة فى العصر الحديث فاقت المطربين والمطربات فى مناجاة (الليل) وغناء (الموال) .!!

هاجرت إلى الشام مراراً وراحت تذيع رسالتها هناك فذاع اسمها ذيوعاً قل أن يدركه غيرها ، ولكن الحنين عاودها إلى مصر

فى الاستشراق

ظهر الجزء الأخير من المجلد الثانى لكتاب « تكملة تاريخ الآداب العربية » من تأليف المستشرق الكبير الذائع الصيت الأستاذ كارل بروكلمن ، وهذه « التكملة » تستدرك ما فات المؤلف فى « تاريخ الآداب العربية » المطبوع سنة ١٨٩٨ . ثم تأتى بكل ما حدث فى جانبى النشر والبحث منذ ذلك العهد . وهى على جانب عظيم من التدقيق والتحقيق ، وإن رأى بعضهم أنها موضع مراجعة من هنا ومن هنا . والحق أن الأستاذ بروكلمن جدير بالإعجاب فضلاً عن الشكر ؛ ذلك أن عمله جليل ونافع ، وما نظن أحداً من المشتغلين بالشرقيات يستطيع أن يهمل « تاريخ الآداب العربية » و « تكملته » فإنهما مصدر عرفان لا يعدله مصدر فى بابه . ودليل هذا أن جميع من كتبوا فى الآداب العربية رجعوا إليه بل اعتمدوا عليه . ولهذه التكملة جزء ثالث سيبرز هذه السنة فى أجزاء متوالية ، وسيكون موقوفاً على الأدب العربى الحديث

مكارم الأخلاق

للدكتور بشر فارس مبحث عنوانه : « مكارم الأخلاق » عبارة أخاذة ترجع إلى الأخلاقيات التقليدية نشر من عهد قريب باللغة الفرنسية فى « مجلة الأكاديمية الوطنية للعلوم » فى روما (الجزء ٥ — ١٠ لسنة ١٩٣٧) وهى من أعلى المجلات العلمية مكانة فى أوربا ، وكان الدكتور بشر فارس ألقى هذا البحث محاضرة فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى روما سنة ١٩٣٥ ، وإليك فصول هذا البحث : رواج عبارة «مكارم الأخلاق»، مفادها، مصدرها، مضمونها ، علاقتها بالفتوة والمروءة ، اتصالها بزمن الجاهلية ، الخاتمة : عبارة إسلامية محضة ، رخصة ، مبهمة ، أخاذة . ويمتاز هذا البحث بالمنهج العلمى وبإثبات المصادر الأولى . وقد بلغنا أن صاحبه سينشره بالعربية هذه السنة فى مصر طى كتاب يضم مباحث أخرى عنوانه « مباحث عربية »

فرجعت لترى أن القدر قد أعد لها (مزحة) تهد الجبال وتقتل الرجال . رجعت وكان لها (رصيد) فى البنك يبلغ سبعة آلاف من الجنيهات فإذا به (ستة مليمات) فحسب ... ! فإذا أردت أن تعرف السبب فهو (رجل) وضعت فيه ثقتها بحكم قرابته لها فإذا به يستغل جهلها بالقراءة والكتابة — وقتئذ — وينتزع منها ومن أولادها هذا المال الذى جمعته كما قلت قبلا بكدها وسهرها وصوتها ... !

لاعيب فى مطربة (القطرين) إلا أنها كغيرها من مطرباتنا قطعت شوطاً عظيما ، وزمناً طويلاً فى الجو الموسيقى فلم تستفد ، ولم تتقدم ، ولم تتعلم ، اعتماداً على صوتها وحسن تصرفها الذى وهبها الله إياه

تحب الفن للفن ، والموسيقى للموسيقى ، ولا تستطيع أن تملك نفسها وتكبت شعورها وتحبس إعجابها — كما يفعل غيرها — عند ما تسمع الجيد المتقن ، فتراها تنثنى وتصفق (وتزنّ) كأى فرد عادى تماماً . ولعلها المطربة الوحيدة التى تسعى وراء كل مطرب أو مطربة لتسمع وترخى أذنها وفنها . ولا يظن القارئ أن تلك الصفة التى توصف بها فتحية (عادية) لأنها إن كانت عادية معه ومعى إلا أنها معدومة مفقودة فى الوسط الفنى . ما من فرد من أبناء الموسيقى سواء أكان مطرباً أو مطربة تسأله رأيه فى زميل إلا سمعت الثناء أولاً ثم التعقيب بكلمة (ولكن...) ولكن هذه كفيلة بتشويه جميع الحسنات ، وتدنيس جميع المزايا ، وتحقير جميع الهبات ...

أما فتحية فرأيها صريح واضح ، قاطع صادق . وما أندر الصدق بين المطربات !

محمد السيد المويلحى

هل فى القرآن الكريم أسلوب غير عربى ؟

ذكر الشيخ الخضرى فى حاشيته على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك فى النحو أن قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) يجوز أن يكون وضع اسم الإشارة للمذكر فيه وهو هذا موضع المؤنث لأن لغة ابراهيم كانت لا تفرق فى اسم الإشارة بين المذكر والمؤنث ، فجرى القرآن فى ذلك عليها ، وأشار إلى الشمس وهى مؤنثة باسم الإشارة الموضوع فى لغة العرب للمذكر

وقد نبهت طلابى فى الدرس إلى خطر هذا الرأى ، وأحببت أن أبين هذا لقراء مجلة الرسالة الغراء

فالأمر فى هذا يرجع إلى الأسلوب ، ولم يختلف أحد فى أن أسلوب القرآن يجب أن يكون عربياً ، فلا يصح أن يتقدم فيه مثلاً المضاف إليه على المضاف ، ولا غير هـذا من أساليب اللغات الأخرى ، وإن كان كلامه مترجماً عنها ، لأنه يسلك فى ترجمته أسلوب الترجمة المعنوية ، ولا يتقيـد فيها بشىء من أسلوب ما يترجم عنه

وهذا الذى أمنعه مما يرجع إلى الأسلوب غير ما اختلف فيه العلماء من وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، لأن ما يرجع إلى الأسلوب يرجع إلى نحو العربية، فتكون مخالفته خطأ. أما وقوع المعرب فى القرآن فيرجع إلى إيثار لفظة أعجمية على لفظة عربية، وهذا لا يمكن أن يتوجه إليه الخطأ ، ومع هذا اختلف علماؤنا فيه ورأى بعضهم أنه يقدح فى عربية القرآن الكريم

وقد ذكر الشيخ الخضرى مع ذلك الاحتمال الذى نخالفه فيه احتمالات أخرى تسيغها العربية ، ولا تكلف القرآن أن يجرى على أسلوب لغة أخرى غيرها ، فقال: يجوز أن يكون تذكير اسم الإشارة فى ذلك مراعاة لتذكير الخبر ، أو أن يكون تذكيره لتنزيل الشمس منزلة المذكر . وإنى أرى أن ابراهيم كان يشير إلى جرم الشمس فى ذلك الوقت لا إلى لفظها ، ولفظها هو المؤنث فى العربية ، أما مدلولها فكوكب من الكواكب كالقمر وغيره ، والكوكب مذكر لا مؤنث ، ولهذا أشار إليه ابرهيم بلفظ المذكر

عبد المتعال الصعيدى

الأدب المصرى فى رأى كاتب لبنانى

ننقل عن زميلتنا (المكشوف) البيروتية ذلك الرأى الجرىء الذى أشار إليه فى هذا العدد الأستاذان : توفيق الحكيم وابن عبد الملك ، فإن فى الاطلاع عليه فائدة من جهة صوابه ومن جهة خطأه . قال الكاتب :

« لست مكابراً ، ولكننى أنكر مستنداً إلى الوقائع الحقيقية التى قررها الأستاذ سامى الكيالى فى رده على كلمتى البريئة حول إشارته إلى « امتداد الأدب المصرى والثقافة المصرية فى أجواء البلاد العربية » . فقد بنى الأستاذ زعمه هذا على ما تخرجه المطبعة المصرية من مؤلفات عربية

فما هى هذه المؤلفات ؟

أكثرها غير مصرى . والأستاذ الكيالى لا يجهل أن المطبوعات الصادرة عن مصر هى فى الغالب كتب قديمة أعيد طبعها ، أو مخطوطات نادرة تطبع للمرة الأولى . فهى إذن ليست مصرية لأن أصحابها من خارج مصر . وليدلنى إن استطاع على كتاب واحد ذى قيمة لمؤلف مصرى صميم

أما المؤلفات المصرية الحديثة فلا أعرف أين هى مخبأة لا تظهر على وجهى ، فإن أكثر هذه المؤلفات أنشأه كتاب مصريون ، ولكن بمادة أجنبية مستوردة من الخارج

تأمل أن مصر التى يقول الأستاذ صاحب « الحديث » أنها تسيطر بثقافتها على البلاد العربية قد عجز أدباؤها وأعلامها عن وضع الموسوعة الإسلامية فلجأ بعض العاملين الرسميين إلى ترجمتها عن لغة أجنبية . ويا ليتهم أجادوا الترجمة ، إذن لهانت المصيبة ، ولكن ترجمتهم جاءت فاسدة مشوهة تضلل ، والمفروض فيها أنها تهدى !

وتأمل أن مصر التى يريد بعضهم أن يجعلها زعيمة العروبة ، ينادى أكبر أديب فيها بفرعونيتها ويقول : إن الاسلام لم يغير شيئاً من عقلية أبنائها على الرغم من مرور ثلاثة عشر قرناً على قيامه فى وادى النيل !

وتأمل أن مصر العظيمة هذه لم يخلق فيها بعد ناثر أو شاعر يسجل فى ملحمة شعرية أو نثرية الأحداث الخطيرة التى تعاقبت

عليها منذ الهدنة إلى اليوم ، ويخلفها تراثاً خالداً للأجيال الآتية !

وتأمل أن أكبر مفكرى مصر وأدبائها من طه حسين ، إلى حسين هيكل ، إلى أحمد أمين ، إلى محمد لطفى جمعة ، إلى غيرهم وغيرهم ، قد عجزوا فى مؤلفاتهم التى خلقت شهرتهم الأدبية عن الإتيان بنظرة واحدة طريفة لم يستمدوا روحها من أجنبى . فالشك فى صحة « الشعر الجاهلى » مسبوق إليه ، و « حياة محمد » مقتبسة من كتاب أميل درمنكهيم ، و « ضحى الإسلام » ليس لمؤلفه فيه إلا العنوان بدليل الأسماء العربية الواردة مشوهة فى طبعته الأولى أمثال زافار وأصلها ظفار ، وأريتاس وأصلها الحارث، و«فلاسفة العرب» وأصله بالفرنسية «مفكرو الإسلام» لكاراديفو

أتكون هذى هى الثقافة المصرية التى تريد يا أستاذ سامى أن تتأثر بها البلاد العربية ؟

إننى أنكر هذه الثقافة اللقيطة ، ويعز على كلبنانى عربى أن تؤخذ بلادى بالتدجيل وتخدع بالدعايات المجانية أو المأجورة »

زهير زهير

مصر فى مختلف العصور

فرغ الأستاذ محمد قاسم بك عميد دار العلوم من تقريره عن مؤتمر العلوم التاريخية الثامن فى دورته الأخيرة التى عقدت بمدينة «زوريخ» ومثل هو مصر فيه ثم رفعه إلى معالى وزير المعارف

ويقع هذا التقرير فى ٢٣ صفحة ، تحدث فيها الأستاذ قاسم بك عن النظام السياسى والفكرى فى سويسرا ، ثم أشار إلى أهم الموضوعات التى عرضت على بساط البحث ، ولا سيما ما يتصل منها بالبلاد الشرقية والمسائل التى تتخذ صبغة عامة

وانتقل إلى الكلام عن رسالته التى عرضها على المؤتمرين — وهى خاصة « بالبحث العلمى » — وانتهى من هذا إلى ذكر طائفة من المقترحات رأى أن تنفيذها يجعل مصر تتابع الأبحاث التاريخية التى تجرى فى البلاد الأخرى .

ومن هذه المقترحات تحويل الشعبة التاريخية المحلية إلى جمعية تاريخية تعنى ببحث تاريخ مصر ، وإنشاء متحف تاريخى ووضع فهرس سنوى خاص بشئون التاريخ

ومما جاء فى هذه المقترحات أن تعمل الحكومة على وضع أطلس تاريخى لا ليسد حاجة المدارس ومعاهد التعليم وحدها بل يفى بجميع حاجات الدولة . وأن يوضع معجم تراجم يبين تاريخ كل من اشتغلوا بالشئون التاريخية فى أجيال مصر المختلفة

ومن أهم هذه المقترحات وضع تاريخ عام لمصر تنهج فيه الحكومة منهجاً قومياً ، أسوة بما حدث فى الممالك التى نهضت حديثاً كبولندا وتركيا وألمانيا وإيطاليا وغيرها

ترقية الأغانى وإعداد أناشيد مدرسية قومية

أشرنا من قبل إلى مشروع وزارة المعارف لترقية الأغانى المصرية ورفع مستواها والتوسع فى أغراضها ومدلولاتها بما يفى بحاجات الوطن المعنوية لاطراد النهوض والتقدم

وقلنا إنها اعتزمت أن تعهد إلى عدد من كبار الشعراء والموسيقيين تأليف وتلحين خمسين قطعة غنائية ، متجهة فى ذلك إلى العدول عن نظام المسابقات

ونزيد اليوم أنه تألفت لجنة من حضرات على الجارم بك ومصطفى رضا بك مدير معهد فؤاد للموسيقى والدكتور محمود الحفنى مفتش الموسيقى بوزارة المعارف للنظر فى تفاصيل هذا المشروع وطرائق تنفيذه وإنجاحه

أما اختيار الشعراء الذين يعهد إليهم وضع القطع فسيترك إلى رأى معالى وزير المعارف ، وسيبدأون فى عملهم عقب إبلاغهم ذلك مع التوجيهات التى تحرص الوزارة على إحاطتهم بها دون المساس بحريتهم فى التأليف

وسيكون من عمل اللجنة أن تنظر فى إعداد الأناشيد المدرسية التى تريد الوزارة أن تكون نموذجاً للأغانى التى تنشدها وذلك فى مناسبة احتفالها باستقبال صاحب السمو الأمبراطورى ولى عهد إيران .

توحيد الثقافة بين مصر والأقطار الشرقية

من الخطوات أو الوسائل التى فكر فيها أولو الأمر فى وزارة المعارف للوصول إلى توحيد الثقافة بين مصر والأقطار الشرقية إنشاء معاهد علمية مصرية فى بعض هذه البلاد الشرقية

تنشر بين أبنائها الثقافة المصرية والمناهج العلمية الحديثة التي يراعى فيها أن تتوحد بالتدريج ثقافة الشرق العربي . وقد صادف هذا التفكير قبولاً من بعض الهيئات التي يهمها أن تشتد أواصر الصداقة بين مصر وشقيقاتها العربية ، وأن تحمل مصر علم الزعامة العلمية في هذا العهد الجديد

ولكن هذا المشروع ما زال مبدئياً ، ولا بد أن تخطو به وزارة المعارف خطوات كثيرة ، فتخرج به من حيز التفكير إلى حيز العمل ، ومنها الاتفاق مع الدول الشرقية التي ينتظر أن يبدأ بإقامة المعاهد المصرية فيها، وتدبير المال اللازم للبدء في المشروع. وقد اتصلت الوزارة ببعض وزراء الدول المفوضين في الدول الشرقية وطلبت إليهم إبداء رأيهم في إنشاء هذه المعاهد وينتظر أن تتصل بالبعض الآخر لتتكون لديها فكرة واضحة ذات تفصيلات صحيحة عن الموقف كله ولتبدأ بعد ذلك في السير في المشروع إذا استطاعت اجتياز عقبة تدبير المال

احياء الأدب العربي القديم

عزمت وزارة المعارف رغبة منها في تقريب الأدب العربي القديم من نفوس الطلاب وناشئة المتأدبين أن تعمل على تهذيب طائفة من كتب الأدب

وقد استقر رأيها على البدء بتنفيذ هذا المشروع في ٣٠ مؤلفاً بين كتاب وديوان على أن تدع باب الاشتراك في هذا العمل مفتوحاً أمام من يريده من الكتاب حتى ١٥ مارس القادم، وأن يكون أجل تقديم الكتب والدواوين بعد إعادة وضعها على الأسلوب الذي تشير به الوزارة يوم أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ وفيما يلي أسماء هذه الكتب :

العقد الفريد . الصناعتين . الخطط للمقريزي . الطالع السعيد للأدفوي . تاريخ الجبرتي . علم الدين لعلي مبارك. المستطرف للابشيهي . محاضرات الأدباء . مختارات من الأغاني . مسالك الأبصار للعمري . نهاية الأرب للنويري . طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . صبح الأعشى . النجوم الزاهرة . مختارات من مقامات الحريري . الضوء اللامع للسخاوي . حسن المحاضرة للسيوطي . مختارات من قصة عنترة . مختارات من رسائل الجاحظ . تراجم من ابن خلكان . تراجم من خزانة الأدب للبغدادي . تراجم من معاهد التنصيص . ديوان أبي تمام . ديوان ابن النبيه . ديوان البحتري . ديوان المتنبي . مقدمة ابن خلدون . ديوان البهاء زهير . ديوان ابن سناء الملك . ديوان ابن نباته

هذا وستمنح الوزارة مكافأة كبيرة لكل كتاب يقبل ، وقد ألفت لفحص هذه الكتب لجنة من الأساتذة : أحمد أمين ، ومحمد جاد المولى بك ، وعلى الجارم بك

اللغة الفارسية في الجامعة الأزهرية

ندبت مشيخة الأزهر الأستاذ محمد تقى القمى العالم الإيراني نزيل مصر الآن لتدريس اللغة الإيرانية بكلية اللغة العربية. وقد بدأ الدراسة في الأسبوع الماضي وحضرها من الطلبة ثلاثون طالباً وقدمه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم حمروش شيخ الكلية بكلمة طيبة فرد عليه مبينا فضل اللغة العربية على العالم الإسلامي وأشار إلى ما بينها وبين اللغة الفارسية من الروابط الثقافية مما يجعلهما متلازمتين .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الدرس الأول في اللغة ولم يشأ أن يعلم في هذا الدرس الطلبة غير كلمات ثلاث وهي « الله والملك والوطن »

وسيشمل تدريس اللغة الإيرانية تاريخ الأدب الإيراني وينتظر أن يمتد تدريس هذه اللغة إلى كليات أخرى .

الدكتور زكي مبارك

مضت أسابيع وأصدقاء (الرسالة) يسألون عن السبب في احتجاب الدكتور زكي مبارك ، وقد خشينا أن يكون أصيب بمرض الكسل الذي يؤاخذ به من يناوشهم من الأدباء . و مَن عايَرَ ابتُلي ! ثم عرفنا أنه كان في ضيافة «ليلى المريضة في العراق» وأن كتابه عنها وصل إلى ثلاثة مجلدات ضخام . وقد وصلت إلينا مقدمة هذا الكتاب وسننشرها في العدد المقبل

أما أبحاث الدكتور زكي مبارك في النقد الأدبي فسنواجه بها القراء بعد أيام

جمعية زكية مصرية

تلقينا أنه قد تألفت في مدينة القاهرة جمعية باسم « الجمعية التركية المصرية الخيرية » غرضها إيجاد صلة من التعاون والتعارف

بين الأتراك والمصريين وتقوية الروح الفكرية والروحية والخيرية بين الشعبين .

وستعمل الجمعية للوصول إلى هذا الغرض على إلقاء محاضرات تتناول الموضوعات العلمية والاجتماعية والأدبية وغيرها ، كما أنها ستنشئ مدرسة تقوم بتعليم اللغتين العربية والتركية لأعضائها مجاناً ؛ وستقوم كذلك بمساعدة المحتاجين وإنشاء المستوصفات الخيرية لمرضاهم ، وتسهيل السياحة بين مصر وتركيا ، وما إلى ذلك من الأعمال التي تقوى العلاقات بين المصريين والأتراك

وترحب الجمعية براغبي الانتساب إليها ، وترجو منهم مقابلة سكرتيرها فى مقرها رقم ٥١ بشارع ابراهيم باشا

الى الأستاذ فيلكس فارس

أحييك تحية الأدب وأشكر لك تلك الروح الطيبة ، وأتقدم إليك بموفور الشكر على كلمتك الممتعة التي جبهدرت بمجلة الرسالة الغراء بعنوان (أقلام الناشئين) فقد لمست فيها عظمة جبارة وروحاً عالية وتقديراً صحيحاً وميزاناً عدلاً

وحقاً ليس الأديب من يدبج بليغ المقالات ويبتكر غريب المعاني ويظهر للملأ أقوم الأساليب فحسب ، إنما الأديب هو الذى يضم إلى ذلك نقداً صحيحاً ، وتقديراً حقاً ، ويحكم للأديب أو عليه بأحكام هي الصواب . فمحكمة الأدب إذا كانت عادلة فإنها مع إحقاق الحق لذويه مدرسة عالية ، وثقافة جد نافعة ومرآة عامة تتجلى فيها صورة الحقائق فيشهدها الناس ويتخذون منها درساً مفيداً

وإنك بما حللت به نفسية الشاب أحمد جمعة الشرباصي وكلامه قد وضعت نفسك أو وضعك أدبك موضع عظماء الحكام فشكراً لك وسلام عليك

مصطفى الصاوى
مدرس أدب بمعهد القاهرة الأزهرى

الى الأستاذ دريني خشبة

بمناسبة الفصول القيمة التي تنشرها فى الرسالة الغراء عن هوميروس — أودّ أن أعرف هل هناك ترجمة عربية مطبوعة للإلياذة والأوديسة ، وإذا كانت هذه الترجمة حلماً لم يتحقق بعد ، فلماذا لا يفكر الأستاذ فى طبعها فى كتاب ينشره على الناس بعد أن والى نشرها فى الرسالة والرواية ، بقلمه العذب الرصين ، وأسلوبه الساحر البليغ ؟!

إنّ هذا أمل الأغلبية الساحقة من قراء الرسالة فى مصر والشرق الذين يقدرون إنتاج هوميروس ، ويعجبون بالأستاذ دريني خشبة ، ويعرفون قيمة الأدب القوىّ الرفيع .

احمد احمد العجمى

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية فى مقال (يوم الفتوة فى العراق) فى العدد ٢٩٢ من الرسالة تصحيحها كما يأتى :

الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٣	١	٢	مركب الفتوة	موكب
٢٥٤	٢	٣	لثلثمائة	لثمانمائة
٢٥٤	٢	٢١	للقائد	للتائه
٢٥٤	٢	٢٨	البارح	البارع
٢٥٥	١	٩	على أن	على أن رأى
٢٥٥	٢	٧	ولم تخاف	وهم تخاف
٢٥٥	١	٢٩	جروا	صبروا

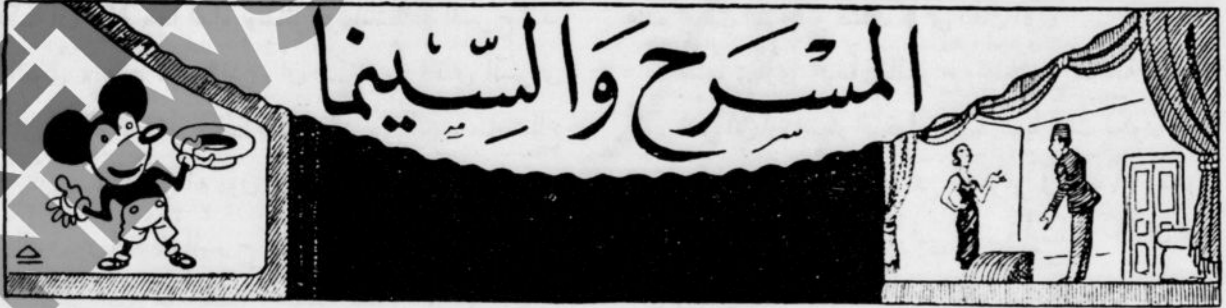

الفرقة القومية

نجاحها وفشلها
ووسائل إصلاحها

ينفرد الأستاذ محمود تيمور بك بين من أعرف من أصدقائى الأدباء ، بطبيعة مسالمة ، وخلق سبط منسجم ، يحاول جهد المستطاع الابتعاد عن مسالك الخصام الأدبى ومواطن الشحناء . ومجمل ما قد تسمعه منه — إذا احتكت الآراء واصطدمت الغايات فى موضوع قصة أو كتاب أدبى — رأى يبديه بدون ما تصلب أو تشدد ، أو حد يوقفك عنده إذا توعرت وتصعبت . يفعل ذلك ولا تفارقه ابتسامة رخية تطوى تحتها كل شىء ، وتجعلك لا تطالع فى تقاطيع وجهه ما نم عن تكتم مقصود ، أو فى رفات جفونه عن نفس كظيمة . ولكنى لمحت فيه فى هذه المرة وهو يحدثنى عن الفرقة القومية ما لا يتفق وما وصفت من طباعه . وأحسب مرد ذلك إلى ألم فى النفس من أمل خائب . وهل من ألم أشد على نفس الأديب من صدمة يصدم بها من هذه المؤسسة الثقافية فى مثل هذا الوقت ؟

سألته ما رأيه فى الفرقة القومية ، هل نجحت فى رسالتها أم فشلت ؟ فأجاب :

الفرقة القومية نجحت وفشلت فى وقت واحد . نجحت فى أنها قدمت لنا بعض الروايات الفنية فى إخراج مبتكر وتمثيل متقن، نذكر من ذلك: أهل الكهف ، وتاجر البندقية ، والجريمة والعقاب .

وفشلت فى أن ما قدمته لنا من مثل هذه الروايات كان قليلاً جداً فى السنوات الماضية التى اشتغلت فيها ؛ وهذا يدل على أن المجهود المبذول من القائمين بأمرها ضعيف

والأقوال كثيرة فى أسباب هذا الفشل ، وقد عالجها بعض النقاد فى حملاتهم على الفرقة ، كما أن البعض الآخر أدلى برأيه فى الدفاع عنها ، فمن ذلك يقال : إن الفرقة تشترى الروايات ولا تمثلها إذ يتضح لها عدم صلاحيتها أو عدم رضا بعض المقامات

كذلك يقال إن كثيرين من المؤلفين المصريين قدموا روايات جيدة ولكنها أهملتها لأسباب لا محل لذكرها . ولو صحت هذه الأقاويل لدلت على أن الإدراة ليست مستقلة تمام الاستقلال فى عملها ، وأنه يعوزها إدارة مركزة تتحمل كافة المسؤوليات

ويمكننا أن نتأكد من فشل الفرقة فى عملها بمراجعة ميزانيتها المادية والأدبية ، أى مقدار ما ربحته ومقدار ما قدمته من الروايات الناجحة للجمهور . وليس هناك سر إذا أذعنا أن الفرقة القومية تتكبد اليوم خسائر مادية جسيمة لولا الإعانة السخية التى تمدها الحكومة بها لكان قضى عليها فى بدء عملها

أما الخسارة الأدبية كما أوضحنا سابقاً فالفرقة لم تقدم لنا من الروايات الناجحة خلال الأعوام الأربعة سوى ثلاث روايات أو أربع ، وأنها لضعفها لجأت إلى استعارة روايات سبق تمثيلها كمجنون ليلى ، وأنها تزمع فى موسمها المقبل تمثيل روايات فرقة جورج أبيض القديمة ، مع أن الروايات الأفرنجية الجديدة مثلاً تعد بالمئات ، وأقصد بهذه الروايات تلك التى تساير نهضة الفن الحديثة . فمصر محرومة من هذا النوع ، مع أن الوسائل كلها متوفرة لترجمة وإخراج هذه الروايات ، كما أن مصر لها من المؤلفين المصريين المجيدين من يستطيع أن يمد الفرقة ويغذيها بروايات فنية

ويمكننا إنصافاً للفرقة أن نقول إن من دواعى فشلها سبباً عالمياً يشكو المسرح منه على وجه العموم ، ألا وهو طغيان السينما .

إنما يمكننا أن نعالج هذا الداء بوسائل فى استطاعة المسرح صدّ تياره القوى ، فلقد ثبت للفنيين أن لكل من الفنين المسرحى والسينمائى ميدانه المستقل ، فإذا فهمنا ذلك حق الفهم ، استطاع المسرح أن يعمل فى ميدانه دون أن يخشى قضاء السينما عليه

والفرق بين السينما والمسرح أن الأول يعنى بالمظاهر إذ يعطينا أروع المناظر بصورها المفصلة وجوها الحقيقى ، بينما المسرح لا يطلب منه فى الوقت الحاضر مثل هذه الزخارف الدقيقة ، لأنه مهما أوتى من الدقة فى إظهارها فإنه يعجز دائماً عن تأديتها على وجهها الصحيح ، ولكن يطلب منه العناية بإبراز الفكرة ناضجة قوية كما يعنى بروح الانسجام الواجب بين الممثل والجمهور ، وهذا ما نطالب به الفرقة

— ماذا ترون من علاج للإصلاح ؟

— لعلاج الفرقة وإصلاحها أوجه أذكر منها ما يأتى :

أولاً : هو ما سبق لنا ذكره من ضرورة تركيز الإدارة واستقلالها استقلالاً تاماً أى جعلها تتحمل مسؤولية أعمالها وحدها أمام وزارة المعارف . وتوضيحاً لذلك نقول إنه يجب ألا تتلقى الإدارة أوامر لتنفذها ، بل يجب أن تصدر هى الأوامر وتتحمل مسؤولية إصدارها . ويجب أيضاً أن يكون للجنة القراءة رأى استشارى فقط وتكون هى ضمن الإدارة المشرف عليها مدير الفرقة

ثانياً : يجب دعوة المؤلفين المصريين بصفة جدية ، والعمل على تشجيع مؤلفاتهم بكافة الوسائل . وحسبنا أن الجمهور هو الذى سيصدر حكمه على هؤلاء المؤلفين أو عليهم ، كما أن هذه الدعوة ستمهد للمؤلفين المغمورين طريقاً إلى تبوىء مراكزهم بحق

ثالثاً : إيجاد مسرح دائم للفرقة تمثل فيه طوال الموسم ليتم الاتصال بينها وبين الجمهور

رابعاً : أرى أن يتبع فى نظام المرتبات التى تدفع لهيئة الإدارة والممثلين النظام الآتى :

يدفع للموظف نصف مرتبه الحالى والنصف الآخر يكون بمثابة أسهم تدر عليه ربحاً يقل أو يكثر وفق نجاح الفرقة أو فشلها. والمقصود بذلك إشعار العامل فى الفرقة موظفاً كان أم ممثلاً بمسؤولية نجاح الفرقة ، وأن عليه واجباً يؤديه كأنه يعمل لفرقة هو أحد أصحابها ، وليس موظفاً يتقاضى مرتبه الشهرى، وسيّان عنده نجحت الفرقة أو فشلت كما هى الحال الآن

خامساً : أرى تحبيباً فى المسرح وتقليلاً من منافسة السينما له أن ترخص الإدارة أسعار الدخول رخصاً نسبياً بحيث تكون أسعار نصف كراسى الصالة تساوى ثمن الكرسى فى السينما ، وتكون أسعار النصف الآخر من الكراسى مخفضة أيضاً . كذلك يجب عمل تخفيض خاص لطلبة وطالبات المدارس ، والموظفين ، وأعضاء الهيئات الأدبية ، والنوادى ، والصحفيين بأن يكون لهم حق الدخول بنصف الأجرة

سادساً : يجب تحديد التذاكر المجانية تحديداً دقيقاً فلا تبعثر ذات اليمين وذات الشمال ، كما يشاع ويقال ، بعثرة زهدت الناس فى الفرقة تفادياً لما يقال عن هذه الدعوات التى تأتيهم بالمجان أو تطرح عليهم طرحاً . انتهى

أشار حضرة الأستاذ الفاضل تيمور بك إلى أشياء أرى لزاماً على توضيحها، وهى استقلال الإدارة ، ونفوذ لجنة القراءة، والسعى إلى قبول بعض الروايات ورفض بعضها فالإشارة وحدها فى مثل هذا الموقف لا تفى بالمرام ولذلك سأعود إليها فى فرصة مواتية

ابن عساكر

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

7me Année No. 295

Lundi - 27 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٨ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

إن فى ذلك لعبرة

غنى فقـــير ...!

قد يكون مع بعض الفقر عزاء ورجاء وسكينة ؛ ولكن فقر هذا الغنى البائس الذى سأقص عليك نبأه ألم لا يهاون ، وهمّ لا يهادن ، وحمّى لا تُقلِع

سأسوق إليك خبر هـذا المسكين بقلمى لا بقلمه ، فإن الرسالة التى كتبها إلىّ كلماتٌ كحسرات النادم لا تتصل ، ومقاطع كأنّات المحتضَر لا تبين . على أننى سأحاول ترجمتها لك ترجمة الشعور للشعور ، لا ترجمة اللفظ للفظ ، لترى كيف يشقى المرء بخطأ نفسه ، أكثر مما يشقى بخطأ غيره

قال بعد أن سلم وعظم وشكر :

« قرأت وأنا فى وحدتى السامة وعلتى القاتلة ما كتبتَ من مآسى الحياة فى الرسالة ، فراعنى أن يبلغ البؤس ببعض النفوس إلى هذا الحد ، وفى أرض الله رزق لا ينضب ، وفى يد الناس مال لا ينفد !

ولا أكذِبُ الله لم أفطن إلى معنى الحرمان والإحسان إلا بعد أن نيفت على الستين وأقعدنى الكُساح ، وسلبنى حريتى وثروتى وغبطتى من جعلت حياتى له ، ووضعت أملى فيه

أنا أملك ربع مليون من حر المال وخالص الذهب . وكان يخيل إلىّ قبل أن ينكشف الغطاء عن العين أنى أسبح فى بحر أحمر لا أدرى أكانت حمرته من الذهب أو من الدم أو من الدموع ،

فإنى كنت مصمت القلب لا يختلج فيه شعور ولا ترف عليه عاطفة. فلما بلغت الشاطئ لأستجم وجدتنى على ساحل الحياة، هنا الموت الراصد، وهنا المرض المثبت[1]، وهنا الضمير المعذب، وهنا الوارث الحاقد الذى دفننى وأنا أشعر، وورثنى وأنا أنظر، وحرمنى وأنا أريد. فإذا كان فى بؤس الفقراء ما يستدر ماء العيون، فإن فى ذل الأغنياء ما يذيب شغاف الأفئدة!

أتدرى كيف جمعت هذا المال يا سيدى؟ جمعته بالسعى الدائب، والتدبير المعجز، والربا الفاحش، والشح الدنىء، والتقتير المهلك؛ ثم أمات الله فى نفسى نوازع الأبوة والقرابة والإنسانية فلم تبض يدى فى سبيل شىء من ذلك، فنما المال واتسع وامتد حتى صرفنى عن الناس وشغلنى عن العالم. ثم حسبتنى بهذا الثراء الضخم أستطيع أن أشترى السعادة والسيادة والإيمان والجنة، فإذا بى واحسرتاه أملك مفاتيح قارون ولا أملك عصا موسى!

كان رأس مالى جنيهات معدودات ادخرتها من نفقاتى وأنا طالب بالأزهر، فلما عدت إلى بلدى استثمرتها فى الربا والتجارة، فكنت أقرض الزراع المأزومين والعمال المعوزين والتواجر الأرامل بربا خمسة قروش فى الشهر للجنيه الواحد. ثم اتخذت من فناء بيتى قناً للدواجن، ومن سطحه مزرعة للبقول؛ فكنت أبيع الدجاج والأرانب من تحته، والفجل والكراث من فوقه؛ وألححت على نفسى بكبت الشهوة وقتل الرغبة إذا اعتدتا على المال، حتى كنت أرى الفاكهة عند الفاكهانى فأتقزز، وأبصر اللحم عند القصاب فأهوع[2]، ولكنى إذا لمحتهما فى يد إنسان تبعتهما نفسى وتحلب عليهما فمى. ثم اقتنيت العقار والضياع؛ أكثرها بغلق[3] الرهان وأقلها بالشراء؛ وقمت عليها أحسن القيام بالرعاية والجباية والتوفير حتى غدت غلتها سيلاً لا ينقطع عن الأهراء[4] والخزائن. ثم فرضت نفقة أسرتى من الطعام والإدام على مستأجرى المزارع والدكاكين يؤدونها فوق الأجرة يوماً بيوم؛ واقتصرت فى غذائى على الأبيضين: الماء والثريد، وفى كسوتى على جلاليب من القطن للبيت والغيط، وبذلة من الصوف للاحتفال والسفر. ثم وقع فى نفسى أن حماية هذه الثروة العريضة لا بد لها من لقب (بك) فاشتريته أيام كانوا يبيعون الألقاب، بقبضة من الذهب؛ ثم شيدت قصراً وبنيت دواراً وجعلت فى رأسه دائرة، فاتسع النفوذ وامتد السلطان، وصرت آمر ولا أرجو، وأغتصب ولا أختلس. ورأيت الناس يلقوننى بالإجلال والهيبة لفخامة اللقب وضخامة الثروة، فازدادت نفسى شراهة ويدى كزازة؛ وأفرط علىّ الغنى فغطى على بصيرتى وبصرى، فلم أعرف أن لىّ ديناً له حرمة، وزوجة لها حق، وأولاداً لهم رعاية؛ وعشت لنفسى بل لمالى، أقضى النهار له، وأسهر الليل عليه، حتى كرهتنى أسرتى، وحقرتنى عشيرتى، وسئمتنى حياتى، وأصبت بمرض عقام برى عظام ساقى ونخذى فلم أستطع المشى ولا النهوض؛ واستولى ولدى البكر على مفاتح الكنوز وأضفى على نفسه وزوجه وأمه وأخواته الذهب والحرير والنعيم والأبهة، وتركونى سطيحة فى حجرة منعزلة لا يدخلها علىّ إلا الخادم بالماء والثريد والقهوة. ولا أدرى لماذا استعرت فى نفسى اليوم شهوة الأكل ورغبة المتاع؛ فأنا أشتهى كل شىء، وأبتغى كل معنى؛ ثم أنظر فى يدى الجماعة الكسوب فإذا هى معروقة كيد المسلول، فارغة كراحة السائل؛ وأدور بعينى فى الحجرة الموحشة فأرى أطياف الذين فجعتهم فى أموالهم وآمالهم تحقق على الجدران ساهمة حزينة، فأتذكر كم مدين أغرقت، وكم بيت أغلقت، وكم قلب سحقت، فتنهل مدامعى انهلال القطر على خدى الغائر الشاحب؛ وأتمنى لو تعود قدرتى على ثروتى فأمحص خطاياى بإنفاقها كلها فى سبيل الله؛ ولكن هيهات هيهات لما أرجو! لم يبق لى منها إلا حريق القلب فى الدنيا، وحريق الجسم فى الآخرة! حتى الدواء لا أناله، وحتى الكفن لا أرجوه! وكأنما أمات الله نصفى الساعى وأبقى على نصفى الشاعر لأدرك بعينى وفكرى وخيالى مض الألم الذى يحسه المظلوم يغتصب ولا يستطيع أن يدفع، والمحروم يتشهى ولا يستطيع أن يجد، والمهموم يتلظى ولا يملك أن يموت.»

ثم يلى ذلك شكوى ضارعة من زوجه الفارك وابنه القاسى وصهره المتعجرف لا تتسع لها الصفحة!

***

سيدى البك! إن حالك لا تغنى فيها دمعة تذرف ولا كلمة تقال. أدع الله معى أن يتغمد خطاياك بالعفو، ويقطع بلاياك بالموت. وإن كنت فى حياتك للضعيف شقاء وللأهل حسرة، فإنك فى موتك للفقير عزاء وللغنى عبرة!

احمد حسن الزيات

(١) المرض المثبت هو الذى يمنع من الحركة
(٢) أهوع: أقىء
(٣) غلق الرهن إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط
(٤) الأهراء جمع هرى وهو مخزن القمح

الشهرة والجماهير

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

فى سنة ١٩٠٩ كنت ألازم من الأدباء صديقنا المرحوم الأستاذ محمد السباعى صاحب كتابى « الصور » و « السمر » ومترجم قصة « المدينتين » لدكنز و « الأبطال » لكارليل و « التربية » لسبنسر وعشرات من الكتب الأخرى . وما أظن بأبناء هذا الجيل إلا أنهم يجهلونه ولا يعرفونه ولا يخطر لهم أنه عاش على ظهر هذه الأرض ، وكان له فضل على الأدب الحديث . وأحسب أنه سيكون علىَّ أن أعرفهم وأذكرهم به إنصافاً له وقضاء لحقه على فإن له لديناً فى عنق

وكان السباعى — رحمه الله — منهوماً بالأدب لا يشبع ، وعاشقاً لا يسلو ؛ وقلما رآه أحد إلا وفى يده كتاب أو كراسة . ولا أدرى ماذا لفته إلى ابن الرومى ، ولكن الذى أدريه أنه كان يذهب إلى دار الكتب وينسخ ديوان ابن الرومى فى كراسات ويحفظ أكثر شعره عن ظهر قلب فأعدانى بحب هذا الشاعر المنكود الحظ فقلدته واستنسخت شعره ؛ فلما كملت عندى نسخته شرعت أبيضها فى كراسات بعد تصحيح ما يوفقنى الله إلى تصحيحه من الأغلاط التى لا آخر لها فى نسخة دار الكتب

وكان صديقنا الأستاذ السيد عبد الرحمن البرقوقى قد أصدر مجلة البيان فاقترح علىَّ أن أكتب عن ابن الرومى ففعلت ؛ وكان هذا حافزاً آخر لدرسه، ولكن الحرب صرفتنى عن مواصلة الكتابة فانقطعت عنها إلى سنة ١٩٢٤ . وفى أثناء ذلك ظهر الجزء الأول من ديوان ابن الرومى شرح المرحوم الشيخ شريف ثم الثانى بعد وفاته، ومختارات من شعر ابن الرومى جمعها الأستاذ كامل الكيلانى ، فوصلت ما انقطع وعدت إلى الكتابة عن ابن الرومى فى جريدة الأخبار وجمعت ذلك كله ونشرته فى كتابى « حصاد الهشيم » وكان من توفيق الله بعد ذلك لهذا الشاعر المغمور أن عنى به صديقنا الأستاذ العقاد فتناوله بالبحث الوافى والدرس الدقيق فى كتابه الجليل عنه

وهكذا برز ابن الرومى من ظلمة الخفاء ونضيت عنه الأكفان التى ظل ملفوفاً فيها أكثر من ألف سنة

خطر لى وأنا أدير هذا فى نفسى أن فى العالم من أبناء اللغة العربية أكثر من مائة مليون ، وأن من هؤلاء نحو عشرة ملايين يقرأون ويكتبون، فكم من هؤلاء يقرأ ابن الرومى والمتنبى والمعرى والشريف وأبا تمام والبحترى وأبا نواس وغيرهم وغيرهم . . . ؟ لا أكثر من بضعة آلاف قليلة . وجل هؤلاء يقتنون الكتب كما يقتنون التحف ويرصونها للزينة لا للاطلاع ، ويتخذونها كما يتخذون السجاجيد والزهريات والصور وما إلى ذلك . والذين يفتحونها ، منهم من يفعل ذلك للتسلى وتزجية الفراغ ، والأقلون هم الذين يعنون بالدرس والتحصيل ؛ فهم فى هذا العالم العربى الطويل العريض لا يعدون بضع مئات . فكأن خلود الأديب فى أخلاد الناس ليس معناه أن السواد الأعظم منهم يعبأون به ، بل معناه أن قلة ضئيلة هى التى يرجع إليها الفضل فى بقاء اسم الأديب مذكوراً وآثاره منشورة

وهذا هو الخلود — ثلاثة أو أربعة أو أكثر من المجانين بشىء لا يزالون يقرعون الطبول باسم من الأسماء ويلحون به على الناس حتى يوقظوا النفوس لهذا الاسم ويوحوا إليها أن صاحبه جدير بالذكر وأن آثاره تستحق الاقتناء

ومن كان لا يصدق فليسأل نفسه : هل شهرة المتنبى مثلاً ترجع إلى تعلق رجل الشارع به . . . أليس الواقع أنه لو كانت شهرته رهناً بعناية الرجل العادى به لما طال عمرها أكثر من بضعة أيام — أسبوع على الأكثر . . . والمتنبى مع ذلك أشهر شعراء العرب ، وحكمه لا تزال تدور بها الألسنة وتجرى بها الأقلام ، وديوانه يعاد طبعه كل بضعة أعوام مرة . ولكن كم نسخة تطبع من ديوانه فى كل مرة ؟ ألفان .. ثلاثة آلاف .. أربعة آلاف .. فى عالم عربى يبلغ عدد القراء فيه عشرة ملايين أو خمسة على الأقل إذا جادلت ... فما ظنك بحظ الذين هم أقل منه شهرة ..؟

والمدارس والجامعات تخرج فى كل عام — فى هـذا العالم العربى — عشرات من الآلاف تلقوا دروساً فى الأدب ، وعرفوا أسماء الأدباء وألموا إلى حد ما بخصائص فنونهم ومميزات آثارهم ، ومع ذلك تبقى ثلاثة آلاف نسخة من ديوان شاعر كالمتنبى محتاجة إلى أكثر من عشر سنوات لتنفد ... ولولا أن فى كل جيـل بضعة مجانين بالأدب لا يكفون عن الصياح بأن المتنبى شاعر فحل وأنه رجل عظيم ، وأنه جدير بأن يقرأ ويدرس لبقيت هذه الآلاف القليلة من نسخ ديوانه مكدسة فى مخازنها لا تجد لها طالباً .

هؤلاء المجانين القليلون هم الذين ينقذون الشهرات من الفناء ويبقونها حية جيلاً بعـد جيل . فإن لـكل جيل مجانينه الذين لا يزالون يبحثون وينقبون حتى يعثروا على عظيم مقبور كما يفعل المنقبون عن آثار المدنيات التى عفى عليها الزمن — لا يعروهم فتور ولا يدركهم ونى ؛ حتى ليكاد المرء يعتقد أنه لا خوف من بقاء عظيم مدفوناً وحقه مهضوماً وفضله مطوياً أو مجحوداً . وقد لا يكون فى هذا ما يعزي العظيم ، ولعله شبيه بمنح القتيل فى ساحة الحرب وساما على سبيل الاعتراف ببسالته ، والشهادة بحسن بلائه ، ولـكنه على كل حال يجدى بأن يمنع اليأس من إنصاف الدنيا ولو بعد الأوان .

وحتى حين يفوز المرء فى حياته بالشهرة التى يستحقها — أو لا يستحقها كلها — عند الجماهير يكون الفضل فى بقاء هذه الشهرة للقلة المتحمسة ، لا للـكثرة التى لا تلبث أن تذهل عما أحبت ومن أحبت . وبهذا وحده تظل الجماهير تذكر وهى لا تفعل ذلك عن اقتناع أو فهم وإدراك صحيح لاستيجاب الشهرة، بل لأن هؤلاء المجانين الذين لا يخلو منهم زمن يقولون لها عشرة آلاف مرة أو عشرين ألف مرة إن فلاناً عظيم وحقيق بالذكر والتخليد ، فتصدق وهى لا فاهمة ولا مدركة . ويقصد آحاد من هـذه الجماهير التى فعل الإيحاء فى نفوسها فعله — إلى المكاتب ويشترون ديوان المتنبى ويضعونه على الرف ويفركون أيديهم وهم فرحون باقتناء هذه التحفة التى آمنوا بأنها خالدة وأنها أبقى على الزمن من الزمن

وتسأل : لماذا يجن هؤلاء الأقلون بخارجيات السلف، فلا تجد جواباً يقنع العقل وتسكن إليه النفس . ولن تعدم من يقول لك إن سر هذا الجنون هو ما فى هذه الآثار من الحق والحكمة والفكاهة والجمال ، ولكن هذه لا تزال ألفاظاً تتطلب معانيها التحديد ، ومن العبث أن تلعب لى بهـا وتصنع لى منها توافيق وتباديل ، وتزعم أن هذه هى المعانى التى تفهم من هذه الألفاظ التى نشعر بدوران معانيها فى النفس وتعيينا العبارة الدقيقة عنها ... أو هذا على الأقل حالى أنا معها . وإذا كان شاعر مثل « كيتس » يستطيع أن يقنع نفسه بأن الجمال هو الحق ، وأن الحق هو الجمال ، ولا يحتاج بعد ذلك إلى كلام أو شرح أو بيان ، فإنى أنا مع الأسف لا يكفينى هذا وإن كنت آنس من نفسى حب كلمته هذه والسرور بها سروراً ليس مرجعه إلى الفهم .

ابرهيم عبد القادر المازنى

اسمعوا صيحة الحق

للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات :

ما هذا الذى نشرته فى مجلتك لبعض أدباء لبنان ؟ وكيف جاز أن تقول : « إن فى الاطلاع عليه فائدة من جهة صوابه ومن جهة خطأه » وهو بعيد كل البعد من الصواب ؟

أفى الحق أن أدباء لبنان ينافسون أدباء مصر ؟

ليت ذلك كان صحيحاً . فقد شقينا من غير طائل فى البحث عن المنافسين حتى خشينا أن تفتر عزائمنا لقلة من نصاول ونقاتل من أقطاب البيان

إن ذلك الأديب اللبنانى دلنا على أن العقل فى بعض البيئات الأدبية فى لبنان لا يزال فى طور الطفولة البريئة ، وكل شىء من الأطفال الأبرياء مقبول

ألم يقل إن مصر لم يصدر فيها كتاب واحد ذو قيمة لمؤلف مصرى صميم ؟

فإن لم يكن هذا الحكم من أحكام الأطفال الأبرياء ، فكيف تكون أحكام الأطفال الأبرياء ؟

***

ولنفرض أيها الأخ أن مصر ليس لها وجود أدبى كما يتوهم بعض أهل لبنان ، فهل لكم أن تدلونى على الأسباب الصحيحة التى قضت بأن يبذل المستعمرون ما يبذلون ليشوهوا سمعة مصر فى الأقطار العربية ؟

هل لكم أن تدلونى على الأسباب التى قضت بأن يشقى المستعمرون فى الحيلولة بين مصر وبين الأقطار العربية ؟

إن المستعمرين يعرفون أن مطامعهم فى الشرق لن تتحقق إلا يوم تضعف اللغة العربية ويضعف سحر المصحف ؛ وهم يعرفون أن مصر تستقتل فى سبيل اللغة العربية وفى سبيل المصحف ؛ ولبعض ساستهم الكبار كلمة مأثورة وصلت إلى أسماع من فى القبور وإن لم تصل إلى آذان بعض الأحياء !

وأنا لا أتهم من يشوهون سمعة مصر الأدبية بأنهم يخدمون بعض الأغراض الشيوعية أو الاستعمارية ، فذهنى لا يسيغ أن يكون فلان وفلان من أهل الضلال ؛ ولكنى أرجو أن يتنبه فلان وأشياع فلان إلى أنهم يخدمون المستعمرين من حيث لا يشعرون . والغفلة قد تكون أقبح من الإثم الصريح

وما الذى يغنم بعض أدباء لبنان من الطعن فى الثقافة المصرية؟ أيستطيعون أن يدّعوا أن فى مقدورهم أن يمُدُّوا أهل بلادهم بكل ما تتطلع إليه الأذواق والعقول ؟

أيستطيعون أن يدّعوا أن أهل بلادهم من القناعة والزهد بحيث يكتفون بما يصدر فى لبنان من مؤلفات وجرائد ومجلات ؟

أيستطيعون أن يدّعوا أن أدباء مصر لا يملكون من وسائل العناد والغطرسة ما يملك بعض أدباء لبنان يوم يستعر الجدال ؟

أيستطيعون أن يدّعوا أننا سنصفح أبد الدهر عن تطاول بعض الناس فلا نجزيهم عقوقاً بعقوق ؟

***

لقد زرت لبنان ، فماذا رأيت ؟

رأيت الطبيعة ورأيت الناس ، ويعزّ علىّ أن أصرح بأن بعض الناس فى لبنان يصدّون النفوس عن التطلع إلى جمال الطبيعة فى لبنان. وما الذى يهمنا من الجبل وهو صامت لا ينطق ؟ ما الذى يهمنا من جبل لبنان يوم يصح أن أبناءه يؤذون العروبة جاهلين أو عامدين؟

لقد تعقبتنى إحدى مجلاتهم وأنا فى بغداد فكتبت تقول :

« سفير العروبة المصرية فى العراق يطعن صدر لبنان »

وقد كتبت ردًّا مفحماً على ذلك المقال الجائر الظلوم ، ثم طويته ترفُّقاً بلبنان الذى أرجو أن يظل بإذن الله من حصون اللغة العربية . وأنا مستعد لنشر ذلك المقال إن أذن أصدقائى الكرام من أهل لبنان

إن أدباء مصر يملكون من الثروة الذوقية ما لا يملك بعض الناس ، فأدباء مصر هم الذين يشيدون بمحاسن الأقطار العربية ، وهم الذين يُضفون الجمال على كل بلد يحلون فيه ؛ وإلى أقلامهم يرجع السحر الذى يتمتع به جبل لبنان

وأنا مع ذلك أشهد بأننا نرد إلى أهل لبنان بعض ما طوقوا به أعناقنا من وداد : فلمصر فى لبنان مكانة عالية . وفى أدباء لبنان رجال أبرار لا يذكرون مصر بغير الجميل ؛ ومن أجل هؤلاء الرجال الأبرار تتسع صدورنا لما نسمع من فلان وأشياع فلان ، لأننا نعرف أن المرء لا يتمثل أمته حين يخطئ ، وإنما يمثلها حين يصيب

ثم ماذا ؟

قالوا : إن مصر مدينة فى بعض نشاطها الأدبى إلى ناس كان أجدادهم من لبنان

وهذا حق

ولكنى أتحداكم أن تثبتوا أن لبنان نبغ فيه أديب واحد ولم يكن مصدر نبوغه الاتصال بالثقافة المصرية

أتحداكم أن تثبتوا أن فى مقدوركم أن تنقلوا إخوانكم فى مصر إلى مرابعهم فى لبنان

إن الأدباء السوريين واللبنانيين لم يذوقوا طعم المجد الأدبى إلا بعد أن شربوا ماء النيل ، وفلان وأشياع فلان سيظلون من النكرات إلى أن يذوقوا ماء النيل

فتعالوا إلينا أيها الإخوان لنحوّلكم إلى رجال عظماء يسيطرون على الأدب والتاريخ

إن القاهرة تصنع بعقول العرب فى العصر الحديث ما كانت تصنع بغداد فى عصر بنى العباس ؛ فإن استطعتم طمس نور الشمس فامضوا فى عنادكم آمنين !

أتُشتم مصر فى لبنان وبفضل مصر تنبه العرب إلى جمال لبنان ؟

***

ثم ماذا ؟

ثم زعم فلان وأشياع فلان أن أمثال الدكتور طه حسين والدكتور هيكل والأستاذ احمد أمين والأستاذ لطفى جمعة لم يصنعوا شيئاً ، وأنهم فى مؤلفاتهم لم يكونوا مبتكرين

فهل يستطيع فلان وأشياع فلان أن ينكروا أن لهؤلاء الرجال فضلاً عظيماً فى نشر الثقافة الأدبية والعلمية والذوقية ؟

هل ينكر أحد أن الدكتور طه حسين رجل موهوب وأن صوته وصل إلى المشرقين ؟

هل ينكر أحد أن الدكتور هيكل من أعاظم المتحدثين عن شخصية الرسول ؟

هل ينكر أحد أن الأستاذ احمد أمين وضع أحجاراً متينة فى تاريخ الحضارة الإسلامية ؟

هل ينكر أحد أن لطفى جمعة له أبحاث وفصول تعدّ من الروائع ؟

ومن هو الأديب الذى يسمح له ضميره بأن يتجاهل أقدار هؤلاء الرجال ؟

قد يستطيع أحدكم فيبعث ما كنتُ قلته فى طه حسين واحمد أمين وأنا أعرف أنى قلت فى هذين الرجلين ما قلت باسم النقد الأدبى ، ولكنى مع ذلك أعرف أنهما من أقطاب هذا العصر ، وليس لهما نظير فى لبنان أو غير لبنان ، وسيكون لهذين الرجلين صدًى مسموع فى الأقطار العربية يمتد إلى أجيال وأجيال

***

أحب أن أعرف لحساب مَنْ يُتعب بعض الناس أنفسهم فى الغض من الثقافة المصرية ؟ فمن المستحيل أن يكون هذا التحامل خالصاً لوجه الله والأدب . ومن البعيد أن تكون تلك النزوات بريئة من شوائب الأغراض

لقد آن أن نعرف أن الاستعمار يغزونا من كل جانب . آن أن نعرف أن الاستعمار يريد أن يتخلص أولاً من تفوق مصر فى خدمة اللغة العربية ، لأنه يفهم جيداً أن سيطرة الثقافة المصرية تقوم بفضل اللغة العربية ، وهو يرجو أن يخرس لسان العرب لتحتل مكانه ألسنة روما ولندن وباريس

الاستعمار يفهم أن القاهرة صارت محور الحركة العربية ، ففيها تُعقَد المؤتمرات ، وفيها يلتقى العرب بعضهم مع بعض ، وفيها تحلّ المعضلات ، وإليها يرجع الأمر فى فضّ الخصومات العربية ، وهو من أجل ذلك يبذل جهده الأثيم فى تنفير العرب من الثقة بالأمة المصرية

فكيف يغفل بعض إخواننا فى لبنان عن هذه الحقائق ؟

كيف ينسى بعض إخواننا فى لبنان أن للمستعمرين مكراً يخفى على إبليس ؟

كيف يجهل بعض إخواننا فى لبنان أن تلك الحركة قد تسوق أهل مصر إلى نفض أيديهم من صداقة لبنان ؟

وهل يظنون أن أهل مصر من الملائكة وأنهم لا يعرفون فى جميع الأحوال غير الصفح الجميل ؟

أرجو أن يعرف بعض إخواننا فى لبنان أننا نلاقى كثيراً من العَنت والمشقة فى تبديد ما يحيطون به أغراضهم من ظلمات وشبهات .

أرجو أن يعرفوا أن قالة السوء قد تطوِّق أعناقهم إذا فكرت الصحافة المصرية فى دفع ما يوجهون إلى مصر من زور وبهتان

أرجو أن تعرفوا جميعاً أن يد الله مع الجماعة . أرجو أن تعرفوا أن العروبة تستطيع أن تنسى أن فى الدنيا بلداً اسمه لبنان يوم تثق بأنه يضع الأشواك فى طريق الوحدة العربية ، ولكن ذلك اليوم سيكون مشئوماً لأن العرب يؤذيهم أن يضيع لبنان

هل تصدقون أننى دافعت عنكم فى دمشق وبغداد ؟

هل تصدقون أن الحزن يفعم قلبى كلما تذكرت أن الدسائس الاستعمارية قد تبعدكم عنا إلى غير مَعاد ؟

هل تصدقون أنى طربت حين رأيتنى أُشتَم فى بعض مجلاتكم باللغة العربية لا باللغة الفرنسية ؟

وأؤكد لكم أيها الإخوان أنى لا أتصدق عليكم بهذا العطف الصادق ، فلو جُمع ما نُشر فى جرائدكم ومجلاتكم من الدعوة إلى الثقة بمصر لتكوّن منه محصول أدبى نفيس . ونحن نعرف منزلتنا فى قلوبكم ، ونحرص على أن تبقوا أصدقاء أوفياء ، ولكنكم تعرفون أن الطبيعة الإنسانية يغلب عليها الضعف، فهى قد تذكر السيئات وتنسى الحسنات . فأرجوكم بالله ألا تحبطوا أعمالكم بمظاهر الغدر والجحود ، فقد تلقون منا من يقابل العدوان بالعدوان

* * *

أما بعد فهذه كلمة صريحة أردت بها وجه الحق ، وما أنكر أن فيها بَدَوات لا تخلو من خشونة وعنف ، ولكن يعزينى أنى كنت فيها مخلصاً كل الإخلاص

ولكم أن تثقوا بأن مصر لن تقف إلا حيث تحبون ، ولن تروا منها غير الصدق والوفاء .

زكى مبارك

من برج العاجي

هل ينتظر اللغة العربية والأدب العربى الحديث فى مصر مستقبل سعيد ؟ لقد بدرت البوادر بشروع بعض الأجانب فى الإقبال على تعلم اللغة العربية والاهتمام بمعرفة كتاب مصر البارزين . من رأيى أن الحياة لن تدب فى هذه اللغة وهذا الأدب إلا إذا ظفر بقراء كثيرين من هذا العنصر النشط المثقف . وإنى لأتخيل اليوم الذى يتم فيه ضم أجانب مصر أو أغلبهم إلى حظيرة قرائنا فى لغتنا . هؤلاء الأجانب الذين يعدون القراءة غذاء ذهنياً له ضرورته فى حياتهم اليومية ، شأنه فى ذلك شأن الحاجات الأولية ؛ هؤلاء الآلاف القليلة من الأجانب الذين استطاعوا أن يكفوا لرواج حوانيت الكتب الأجنبية التى لا يخلو منها شارع كبير فى أى مدينة كبيرة من مدن هذه الدولة العربية اللغة ؛ هؤلاء النفر الذين استطاعوا أن ينشئوا لأنفسهم صحفاً ومجلات بلغاتهم المختلفة وأن يضمنوا لها حياة وازدهاراً . ترى ما الذى يحدث لو أن هؤلاء فهموا أخيراً أن استقلال مصر وسيادتها معناه سيادة لغتها وآدابها وفنونها على الأقل فوق أرضها وفى حدود بلادها ، وأن الخير والكياسة والمصلحة تقضى عليهم أن يكفوا عن تجاهل لغة الدولة وأن يعيشوا بيننا كما يعيش كل أجنبى فى دولة محترمة ، يُعنى بتعلم لغتها والاطلاع على أدبها ومسايرة الحياة الذهنية والاجتماعية فيها ؟ لا ريب عندى ، لو وقع ذلك الحدث ، فى أن أدبنا سيتغير ويتطور فى مثل لمح البصر تطورات تثير الدهشة والعجب . ليس فقط لأن نتاج فكرنا سيرتفع شأنه فى السوق، بل لأنه سيرتفع فى ذاته من حيث الصنف والقيمة . فإن القارئ الجيد يخلق الكاتب الجيد، و«الزبون» المحترم يوجد الحانوت «المحترم» .

لكن . . . كيف نحمل الأجانب على ارتياد « حانوتنا » الفكرى وأكثرهم قد استقرت فى نفسه بغير علة فكرة الاستخفاف بلغتنا ؟ ما هى الوسائل التى ينبغى أن نتخذها لنزع هذه الفكرة عنهم وترغيبهم فى بضاعتنا ؟ هذا سؤال مطروح على القراء المثقفين .

توفيق الحكيم

بين القديم والجديد

لأحد أساطين الأدب الحديث

عاب الأستاذ الغمراوى على عميد كلية الآداب الدكتور طه أنه اختار فى كتاب (حديث الأربعاء) مجموعة من شعر المجون العباسى، ولا أريد أن أتعرض الآن لهذا الاختيار بنقد مطول وإن كنت أعتقد أنه جعل الكتاب غير لائق إلا لقراءة المؤرخ الباحث فى آداب الشعوب فى العصور المختلفة، وأنه ليس للقراء عموماً؛ وهذا لم يكن رأى مؤلفه عندما ألفه، فإنى أذكر أنه عاب على الشيخ الخضرى حذفه المجون من نسخة الأغانى التى هذبها وقال: إن دارس الأدب لا بد أن يقرأ هذا الشعر كيلا يخطئ فى الحكم على عصره. وكان الدكتور يجد له طلاوة خاصة يستحق من أجلها الصيانة. ولا أدرى هل الدكتور لا يزال على هذا الرأى أم أن جلال المنصب قد حوره؛ لكنى أريد أن أستخلص من ذكر الأستاذ الغمراوى كتاب (حديث الأربعاء) حجة على الأستاذ الغمراوى؛ فالشعر الذى اختاره المؤلف فيه شعر عربى، والأستاذ الغمراوى يقول إن الأدب الأوربى هو الذى أفسد المذهب الجديد فى الأدب بمجونه. فكأنما يريد الأستاذ الغمراوى أن يقول إن اطلاع الدكتور طه حسين بك على الأدب الأوربى هو الذى دعاه إلى اختيار شعر الحسين بن الضحاك وشعر أبى نواس وغيرهما. فإذا كان هذا قصده ومعناه فإن الأستاذ الغمراوى يكون على حد اصطلاح الأوربيين كمن يضع العربة أمام الفرس بدل أن يضع الفرس أمام العربة وهو الترتيب الطبيعى، لأن الدكتور طه قرأ الشعر العباسى قبل أن يقرأ الأدب الأوربى، وتأثر بالشعر العربى قبل أن يتأثر بالشعر الأوربى. وإنى واثق أنه قد اطلع فى الأدب الأوربى على الوقور وغير الوقور من الشعر. اطلع على شعر سوفوكليز ويوربيدس وإسكيليس. فهل يريد الأستاذ الغمراوى أن يقول إن اطلاع الدكتور طه حسين على شعر سوفوكليز مثلاً هو الذى أغراه باختيار شعر الحسين بن الضحاك؟ إنه إن قال هذا القول دل على أنه لم يطلع على شعر سوفوكليز. وقس على ذلك غيره من الشعراء ولا أدرى أى الشعراء الأوربيين هم الذين أوعزوا إلى الدكتور باختيار شعر مجان العرب. هل قراءته لشعر بودلير أم قراءته لشعر فرلين؟ إنى لم أقرأ فى شعر بودلير وفرلين (وقد قرأت بعضه) ما يماثل بعض شعر أبى نواس والحسن بن هانى فى صراحته. ولا أظن أن الجمهور الأوربى كان يطيق من بودلير أو فرلين صراحة كصراحة أبى نواس والحسين بن الضحاك. إذاً يستحيل أن يكون بودلير أو فرلين هو الذى أغرى الدكتور باختيار شعر الحسين بن الضحاك أو شعر أبى نواس، لأن الأشد صراحة فى المجون هو الذى يبيح ما هو أقل منه شدة. فأبو نواس هو الذى يبيح فرلين وبودلير، وليس بودلير هو الذى يبيح أبا نواس. وإذا عرفنا أن الدكتور تأثر بالشعر العربى الأشد صراحة فى صباه ولم يطلع على الشعر الأوربى الأقل صراحة إلا بعد أن رسخ أثر الأول فى نفسه علمنا أن ما زعمه الأستاذ من أثر الشعر الأوربى خاصة والأدب الأوربى عامة فى التأثير على المؤلف وفى تعيين اختياره لما اختار فى كتاب (حديث الأربعاء) زعم غير رجيح. وعلى هذا القياس يكون أيضاً زعمه غير رجيح فى تعليل اختيار الدكتور طه حسين بك للقصص الفرنسية التى كان ينقلها إلى العربية، وكان ينشرها هيكل فى السياسة الأسبوعية، وهى القصص التى يشكو منها الأستاذ الغمراوى (1) فإنها مهما بلغت فى صراحتها، أقل صراحة مما قرأه الدكتور طه فى صباه من القصص العربية فى كتاب (مصارع العشاق)، وغيره؛ وإذا يكون مثل الأستاذ الغمراوى فى تعليله كمثل من يحسب السبب نتيجة والنتيجة سبباً، أو كمن يقوم بتجربة كيميائية فى المعمل فيبدأ التجربة من آخر خطواتها سائراً إلى أولها. والحقيقة أن الأستاذ الغمراوى أحياناً فى مقالاته يتخلى عن التعليل الطبيعى ويفضل التعليل المصطنع، ويتخلى عن ترتيب المؤثرات الطبيعى ويفضل الترتيب المصطنع. فهو مثلاً يقول إن فى المذهب الجديد شططاً، وبدلاً من أن يعلل هذا الشطط التعليل الطبيعى القريب بما اكتسبته العقول والنفوس من شغف بتذوق التجارب النفسية والعقلية بسبب الحوافز الاجتماعية وغير الاجتماعية، وهذا الشغف قد يؤدى إلى الشطط؛ وبدلاً من أن يعلله بازدياد الحرية السياسية والقانونية وهى قد تؤدى إلى هذا الشطط؛ وبدلاً من أن يعلله بأنه من أثر نشر الطباعة العربية الحديثة للكتب العربية التى فيها أمثال ما يشكو منه كما علل المؤرخون

---

(1) يحسن بالأستاذ الغمراوى أن يضع موازنة بين قصص (الأغانى) و (فاكهة الخلفاء) و (مصارع العشاق) وبين القصص التى نشرها طه حسين وهيكل ليفسر سبب إغفاله أثر كتب العربية.

الأوربيون بعض الشهوات فى نزعة التجديد والإحياء فى القرن السادس عشر فى أوربا بطبع كتب الأدب الإغريقى القديمة — أقول بدل أن يأخذ بهذه الأسباب الطبيعية التى لها نظائر فى التاريخ — والتاريخ يفسر بعضه بعضاً — تراه يغفل كل هذه الأمور ويقول : إن أعداء الدين الإسلامى من الأوربيين رأوا أنهم لا يستطيعون النيل من الإسلام قدر ما ينالون منه بمؤلفات الدكتور طه حسين ومؤلفات هيكل باشا القديمة قبل كتاب « حياة محمد » و « منزل الوحى » . وقد يسىء القارئ فهم تعليل الأستاذ الغمراوى ويتساءل : هل يعنى الأستاذ الغمراوى أن نزعة التجديد دسيسة مقصودة مدبرة ؟ أرجو ألا يجسم الوهم المسألة للأستاذ إلى هذا الحد، فإنه عالم قد اختبر البحث العلمى، وهو كالعلماء لا بد أن يترك التعليل البعيد ما دام هناك تعليل طبيعى له شواهد ونظائر فى التاريخ كما أوضحنا بذكر ما كان من الشطط فى نهضة إحياء العلوم فى أوربا فى القرن السادس عشر . فلو أن مؤرخاً زعم أن الوثنيين خفية راموا القضاء على المسيحية ببثهم الشهوات والمفاسد فى الكتب الإغريقية ما كان تعليله بعيداً عن طريقة الأستاذ الغمراوى فى تعليل شطط النزعة الحديثة إلى التجديد . أو لو أن مؤرخاً زعم أن الفرس والروم فى صدر الإسلام أرادوا النيل من الإسلام ببثهم المفاسد والترف حسداً وحقداً ما كان تعليله بعيداً عن تعليل الأستاذ . أو لو أن مؤرخاً زعم أن مفكرى الإغريق حاولوا إفساد العقائد الإسلامية فى عصر الدولة العباسية ببثهم روح التفكير الحر المطلق من قيود الدين حنقاً وحقداً على الدين الإسلامى ما كان تعليله بعيداً عن تعليل الأستاذ . والحقيقة أننا ربما نكون قد فهمنا من كلامه عن أعداء الدين الإسلامى ومحاولاتهم القضاء على الدين الإسلامى بنزعة التجديد ومؤلفات المجددين المصريين أكثر مما يقصد الأستاذ ، لأننا لا نستطيع أن نتصور أن عالماً جليلاً كالأستاذ الغمراوى يريد أن يقول : إن بين الدكتور طه مثلاً وبين أعداء الدين من الأوربيين تفاهماً واتفاقاً على الدين الإسلامى . إنما ينبغى ألا يترك الأستاذ لجمهور القراء موضع لَبْس ، لأن اللَّبْس فى هذه الأمور قد تكون له عواقب خطيرة . ولا أدرى لماذا اعترف الأستاذ الغمراوى بما فى الأدب القديم من مفاسد ولم يستطع أن يعترف بما لهذه المفاسد من أثر فى الأدب الجديد ، وما هذه إلا خطوة بعد تلك الخطوة ، وهى نتيجة لها ؛ ولا يستطيع أن يخطو خطوة

إلا وهو ينظر إلى خطوته الثانية ؛ وقد خطونا خطوتين فاعترفنا أن الأدب الجديد به عيوب وأن بعضها يرجع إلى بعض المؤلفات الأوربية ؛ فالخليق بالأستاذ أن يعترف بأن بعضها أيضاً أو أكثرها يرجع إلى قدوة المؤلفات العربية ؛ والخليق به أن يعترف أن ليس كل الأدب الأوربى من نوع القصص التى كان يشكو من نشر السياسة الأسبوعية لها ، وأن يعترف أنه إذا كان بعضها صريحاً فى تصوير الشهوات فإن بعضها جليل ؛ وأن الصريح منها أقل صراحة من بعض ما فى كتب القصص العربية ؛ وأن يعترف أن شاعراً كشكسبير لا خطر منه على الإسلام ، فلا هو مبشر بالمسيحية ولا هو ملحد وداعية للإلحاد . وما يصدق فى الكلام عن شكسبير يصدق فى الكلام عن ألف شاعر وألف كاتب من شعراء الأوربيين وكتابهم . وخليق بالأستاذ أن يعترف أيضاً أن بين الكيميائيين وعلماء الطبيعة الأوربيين من هم أشد خطراً على الإسلام من كثير من أدبائهم ، لا لأنهم يحقدون على الإسلام ويريدون الكيد له، بل لأن علمهم الطبيعى شط بهم عن الأديان . وأظن أن لنا بعض العذر إذا فهمنا بعض ما فهمنا من قول الأستاذ عن أعداء الدين الإسلامى من الأوربيين إذ قال إنهم أرادوا ألا يهاجموه مواجهة بل بحركة التفاف ، وأن حركة الالتفاف هذه هى نزعة بعض الكتاب المصريين إلى التجديد، وذكر مؤلفات الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب ومؤلفات هيكل القديمة، فبالله كيف لا يكون للجمهور العذر إذا فهم من قول الأستاذ الغمراوى أن الدكتور طه حسين وهيكل من دعاة أعداء الدين الإسلامى ومن عمالهم السريين القائمين بحركة الالتفاف هذه بدل مهاجمة الدين الإسلامى مواجهة . وعلى فرض أن تأليف الدكتور طه كتاب (على هامش السيرة) وتأليف هيكل (حياة محمد) و (فى منزل الوحى) لم يقنع الأستاذ الغمراوى بخطأ رأيه فيهما ألا يقنعه تأليفهما هذه الكتب أنهما لا يريدان معاونة الحاقدين على الدين الإسلامى من الأوربيين للقيام بحركة التفاف كما يقول الأستاذ وأنه إن كان فى تأليفهما القديم أو الحديث شطط فأسبابه ما أوضحنا من الأسباب الاجتماعية، ومن شغف جديد بالبحث قد يخطئ وقد يصيب، لا لأنهما يريدان معاونة الحاقدين على الدين فى القيام بحركة التفاف . ولو أن كاتباً فى أوربا فى بدء نهضة الأحياء فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر اتهم رواد النهضة فى أوربا بأنهم يريدون القيام بحركة التفاف معاونة لمن يكره المسيحية من المسلمين لما تعدى قوله

على هامش الفلسفة

الحقائق الأخلاقية أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

قلنا إن من الخير والواجب عند بحث تاريخ التقاليد والحقائق الأخلاقية أن يلاحظ الباحث ما كان من اختلاف بل تناقض أحياناً بين كثير من التقاليد الضيقة، وما كان من تشابه عجيب وانسجام نادر بين المثل الأخلاقية العليا التى عارض بها دعاة الإصلاح وفلاسفة الأخلاق ومعلمو الإنسانية تلك التقاليد. وذلك ما يدعو للقول بأن هؤلاء المصلحين كانوا يصدرون عن معين واحد فيما وقفوا أنفسهم على تحقيقه

من الممكن أن نذكر فى معرض التمثيل لذلك فى الأزمنة العريقة فى القدم حكيمى الهند والصين « بوذا وكونفشيوس » وسقراط الإغريقى وأنبياء بنى إسرائيل وفلاسفتهم وحكماءهم، وأخيراً المسيح ومحمداً عليهم أفضل الصلاة والسلام

فى تراث الهند الروحى وتعاليمها السامية يجد الباحث تعاليم أخلاقية صالحة حقاً، أو يجب أن تكون كذلك لكل الناس. منها: لا تقتل، لا تكذب، لا تشرب المسكرات، لا تأخذ مال غيرك ولا زوجته. هذا بعض التعاليم السلبية؛ وفى التعاليم الإيجابية نجد الأمر بالصبر والرحمة والتسامح والإغضاء عن الأذى ونكران الذات والتضحية فى سبيل الغير. يقول بوذا نفسه فى بيان وجوب مقابلة السيئة بالحسنة: « إذا كان الحقد يرد على الحقد بالمثل كيف ينتهى إذن[1] ». وللبوذيين مثل بديع فى وجوب الإحسان هو « أن أرنباً لا يملك قوته عزّ عليه أن يرد سائلاً طلب مايمسك به رمقه، فشوى نفسه له حتى لايرجع خائباً[1] » هذا المثل يبين بإعجاب كيف يجب أن يساعد المرء غيره بما يملك من وقت ومال، بل وبذات نفسه أيضاً. ويحضرنى فى هذه المناسبة قول الشاعر العربى:

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه   لجاد بها فليتق الله سائله

وإذا تركنا الهند إلى الصين نجد كونفشيوس حكيمها الأكبر يبشر فى القرن السادس قبل الميلاد كسابقه بأخلاق يحكم العقل السليم بصلاحيتها للجميع، كأن يوصى بالاعتراف بالخير والجميل للأموات، بالشفقة البنوية، بالإخلاص الأخوى، بالأدب الذى منبعه القلب، بالمعاملة الحسنة لجميع الناس على السواء. بعض كلماته تمثل نمطاً عالياً من التفكير وأخلاقاً تفرض نفسها فرضاً. ها هو ذا يقول[2]: « من المعرفة الحقة أن يكون المرء عارفاً ويعلم أنه عارف، أو جاهلاً ويعلم أنه جاهل. العاقل لا يرفض كلمة طيبة لأنها جاءت من شرير. يجب مقابلة الخير بالخير (لعل هذا خطأ مطبعى وأن الصواب مقابلة الشر بالخير) والظلم بالعدل. أحبوا الآخرين كأنفسكم ». ولما حانت ساعته رفض أن يصلى تلاميذه لأجله وقال فى نبل وإيمان: حياتى كانت عبادتى وصلاتى »

وفى اليونان القديمة نرى سقراط مؤسس علم الأخلاق يأمر، ضمن

(١) شالي. الفلسفة العلمية والأخلاقية ص ٢٥١، ٢٥٢ : Challaye Phil. Dcien. et Phil. M.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ Challaye : Phil. Dcien. et Phil. M.

قول الأستاذ الغمراوى. ولا أظن أن الأدباء فى أوربا يسعون سعياً حثيثاً لهاجمة الإسلام؛ وإن كان بعض الكتاب الأوربيين يفعل ذلك فإنه لا يفعله كأديب ولا كمفكر عالم ولكن كمبشر بدين آخر. وإذا كان بين أدباء المسلمين ومفكريهم وبين الأدباء والمفكرين فى أوربا صلة فهى ليست صلة عداء لدين بل صلة بحث وتفكير قد يخطئ وقد يصيب. وبالرغم من أن الأستاذ الغمراوى قد فسر قوله (إرادة تغليب دين على دين) تفسيراً جديداً فإنه يحوم ويحلق دائماً فى جو المعنى الذي فهمناه من قوله.

إن المؤرخين المعاصرين فى أوربا يميل الكثير منهم إلى الاعتقاد أن النزعة إلى التجديد فى أوربا فى القرن السادس عشر كانت لا بد واقعة بمحاسنها ومفاسدها لأسباب أصيلة فى دول أوربا حتى ولو لم يكن للعرب أثر فيها. وربما يدعونا هذا الرأى إلى بحث رأى يقابله وإلى أن نتساءل إلى أى حد كان التغير الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الحديث فى مصر مؤدياً حتماً إلى النزعة إلى التجديد بمحاسنها ومفاسدها حتى ولو لم يكن للأدب الأوربى أثر فيها قل أو كثر. وإنى واثق أن الأستاذ لو بحث هذا الموضوع وجد فى هذا الرأى من الحقائق ما يصح الاعتراف به حتى ولو لم يقره كله على علاته.

قارئ

ما يأمر به ، بأن يكون المرء سيد نفسه : بالشجاعة ، وبالعدالة . إلى غير ذلك من الصفات الأخلاقية العامة . وفى ساعة موته دفع بشجاعته إلى حد البطولة حين يقول لقضاته ، وقد قدّم للمحاكمة متهماً ظلماً بالسفسطة والإلحاد وإفساد الشباب : « لشدّ ما أنتم فى الضلال إذا كنتم تعتقدون أن رجلاً يعرف لنفسه بعض القيمة يفاضل بين حظوظ الحياة والموت ، وبين البحث دائماً عما إذا كان ما يعمله عدلاً أو غير عدل » وحين يقول لتلميذه : « كريتون Criton » لا ينبغى أن نجترح أى ظلم حتى ولو كنا ضحـايا لظلم الآخرين . عمل الشر للغير هو الظلم بعينه . لا يجب مقابلة السيئة بمثلها »[1] .

وإذا تركنا اليونان ، وعرجنا على بنى إسرائيل ، نجد أنهم كانوا فى فجر تاريخهم لا يعتقدون واجباً إلا لإلـٰههم المحلى وأنفسهم حتى جاءهم أنبياؤهم وحكماؤهم بالمبادئ الأخلاقية الرحبة الواسعة[2] . وفى ذلك يقول أحدهم فى القرن السادس قبل الميلاد : « ليس لجميع الشعوب إلا إلـٰه واحد كل العالم معبده ، وتكريمه أن يكون الكل عادلاً[3] » . وفى التلمود : « أحبب غيرك كنفسك . لا تعامل غيرك بما لا تحب أن يعاملك به[4] » . وهذه الحكمة أخذها أحد حكمائهم وهو : « هلِّى Hille » الذى عاش فى القرن الأول قبل الميلاد مبدأ له . فهى عنده كلمة الشريعة وما عداها مجرد تفسير لها . وفيه أيضاً : « من يفعل الخير حباً فى الخير يكن من أصدقاء الله » . وجاء فى كلمة للكاتب الروسى الكبير « مكسيم غوركى » هذه الحكمة السامية لهلِّيل الحكيم السابق ذكره : « إن لم تكن لنفسك فلمن تكون ؟ ولكن إن كنت لنفسك فقط فلم تكون ؟ » . وقد تأثر غوركى بما فى تلك الكلمة من معنى إنسانى نبيل ، وحكمة عميقة حتى ليقول : « إن حكمة هلِّيل هى النبراس الذى هدانى السبيل وما كان سهلاً سوياً »

بعد هؤلاء جميعاً نذكر عيسى عليه السلام الذى جاء معارضاً لمـا وجده من تقاليد عتيقة ضيقة بمثل أخلاقى عال صالح للناس جميعاً . كان مما بشّر به : « حب المرء لله أن يحب قريبه كنفسه » وليس القريب هنا هو الإسرائيلى للاسرائيلى مثلاً ، بل الإنسان للانسان : « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به . إن وصيتى لكم أن يحب بعضكم بعضا كما أحببتكم ، لا يوجد حب أعظم من أن يعطى المرء من حياته لأصدقائه » .

أما محمد : صفوة الخلق كافة ، خاتم الأنبياء والمرسلين فقد جاء فى الأخلاق بما يعتبر بحق المثل الأعلى الكامل : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالو الدين إحساناً » ... إلى آخر هذه الأوامر الحكيمة الذهبية العالية التى احتوتها تلك الآيات الكريمات : « وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . ويضاف لهذا ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) . (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) (الدين المعاملة) .

وهكذا نرى أن كثيراً من ذوى الضمائر الإنسانية عارضوا التقاليد والأفهام الضيقة التى كانت مقبولة فى أزمانهم وبيئاتهم بمثل عليا ؛ وبعبارة أخرى بمثل أعلى أخلاق حكموا حقاً بصلاحيته للجميع دائماً . وصلوا لذلك لأنه أتيح لهم أن يتخطوا الجماعات التى كانوا يعيشون بينها ، ونجحوا فى الدخول فى حظيرة الإنسانية الخالدة والحياة العامة التى لا يحدها مكان أو زمان

هذه الأفكار الأخلاقية العالية التى وصل إليها أصحاب الضمائر العالية النيرة بعد تفكير عميق تجاوزوا به أزمانهم وبيئاتهم وأممهم إلى الإنسانية العامة فى أوسع حدودها . هذه الأفكار السامية التى يجب أن تكون مقبولة منا جميعاً ، أليس لنا أن نقرر أنها حقائق أخلاقية عامة فتكون الأخلاق لذلك علماً من العلوم ؟ بلى وربى ، إنه مما لا مرية فيه أن هذه الآراء ليست شعاراً ومبادئ مقدسة للناس جميعاً يصدرون عنها فى أعمالهم دائماً . هذه حقيقة لا ريب فيها ، ولـكن الحقائق العلمية لا تزيد عليها فى هذا المعنى

حينما يعرف العلماء الحقيقة العلمية بأنها الاتجاه العقلى العام نحو مركز واحد أو نتيجة واحدة ، أو بأنها الشىء الذى تتجه

(١) المرجع نفسه ص ٢٥٤

(٢) يرجع فى هذا الكتاب تاريخ شعب بنى إسرائيل للكاتب الفرنسى المعروف رينان — Renan

(٣) شالى Challaye الكتاب السابق ص ٢٥٥

(٤) التلمود هو الجامع للقانون المدنى والدينى لليهود . ومرجعنا فى هذا هو كتاب «فى الفكر اليهودى» وهو دائرة معارف موجزة تشمل العقائد اليهودية فى الدين والأخلاق والاجتماع . جمعه ونسقه الدكتور هرتس الحاخام الأكبر للامبراطورية البريطانية وعربه الدكتور الفريد يلوز إلـكرتير العام السابق لجمعية المباحث التاريخية الاسرائيلية المصرية .

إليه العقول كلها وتقبله — حينما يعرفونها بهذا أو ذاك لا يقصدون أن هذا الاتجاه العام محقق ، بل يقصدون أنه أمنية يرجون يوماً ما أن تكون . وفى الواقع لا يقبل كثير من الناس الذين لا يزالون على الفطرة والجهالة الأولى التفسيرات العلمية الصحيحة لكل الظاهرات الكونية كالرعد والبرق والمطر والكسوف والخسوف ، بل لا يزال منا معشر المصريين من يعلل هذه الظواهر ونحوها بما لا يتفق مع العقل فى شىء . مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . فحين يعلن العلماء أن الحقائق العلمية محل اتفاق جميع العقول ، يكون الغرض العقول الموهوبة القادرة على الحكم الصحيح ، أو الأمل أنها تكون حقاً ذات يوم محل اتفاق جميع العقول بلا استثناء . إذن لنا أن نأمل هذا للحقائق الأخلاقية السابق ذكرها هى وأمثالها، فنقول: هناك حقائق أخلاقية تفرض نفسها على الضمائر السليمة ، وإنها من الآن مقبولة من كل من وهب القدرة على الحكم الصائب كما أنها ستكون يوماً ما، قريباً أو بعيداً، مقبولة من الجميع عندما ينظر المرء نظرة واسعة تنتظم العالم بأسره وتعتبر الناس إخوة متساوين فيما لهم من حقوق وعليهم من واجبات

هذا الرجاء الذى يجب أن نقنع به الآن ، نجد لحسن حظ الإنسانية أنها تقترب منه شيئاً فشيئاً لعوامل عديدة . هناك قوى هامة مختلفة تعمل للتقريب بين الضمائر وجمعها على مبادئ واحدة من الناحية الأخلاقية كما حصل ويحصل كذلك من الناحية العلمية. من ذلك انتشار العلم وسهولة اتصال الناس فى كافة أرجاء الأرض وسرعة ذلك الاتصال وحدته وتزايده يوماً فيوما لا فرق فى ذلك بين السود والبيض وغيرهم من الأجناس المختلفة . هذا الاتصال المستمر الذى طابعه الحدة والعنف بل الوحشية بعض الأحيان كما فى حالات الاستعمار ، أنتج كثيراً من المظالم والآلام، ولكنه عمل أيضاً على تعارف الأمم وتفاهم الشعوب والقضاء على كثير من التقاليد الأخلاقية الضيقة الخاصة ، كما عمل على تبادل المبادئ الأخلاقية واختيار أنفعها . وسيؤدى استمرار هذه العملية الواسعة إلى إتاحة الفرصة إلى أن يوسع الناس جميعاً مداركهم ويسموا بتربيتهم حتى يجاوزوا بذلك الحدود الطبيعية من محيطات وبحار وأنهار وجبال ويصلوا إلى أبعد الآفاق. حينئذ يجمعون فى عقولهم وقلوبهم كل ما أمكن لشعوب العالم قاطبة خلقه أو كشفه من حقيقة وجمال ، ويركزون فى ضمائرهم ما يوجد فى الحياة العامة من عقل وحكمة ومبادئ أخلاقية نبيلة

والآن وقد ثبت أن هناك حقائق أخلاقية عامة نرى الضمير المستقيم مجبراً على قبولها ، ونرى من الواجب أن يقبلها الجميع يوماً من الأيام . لنا الآن من غير إسراف أن نقرر أن الأخلاق علم من العلوم ، وأن نعتبره عملاً من أعمال العقل كسائر العلوم الأخرى لا وليد التقاليد أياً كان مصدرها . الأخلاق عمل من أعمال العقل الذى يبحث بكل ما يملك من قوى مختلفة من تفكير وذاكرة وتخيل وتعليل واستنتاج للوصول لحقائق أخلاقية صالحة للجميع

بعد هذا لنا أن نتساءل : ما هى الطريقة التى تتبع فى دراسة هذا العلم ، فى تحديد المثل الأعلى الأخلاقى تحديداً صالحاً طيباً يقبله الناس بلا استثناء ؟ ذلك موضوع البحث التالى إن شاء الله .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

في الحرب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كل زعيم ينشد نشيد السلام ويقف في محرابه على منبره يقدم له الترتيلات والقرابين والنذور ...

ويلكم ! إن السلام هو أن تسكتوا جميعاً عن النقيق والنعيق باسمه ...

أتذبحونه وتذكرون اسم الله عليه ؟!

إن السلام ألا تفكروا في مستقبل الذريات لإسعادها بإشقاء آبائها وطحنهم برحى حروب زبون ... بل أن تفكروا في حاضر الآباء الحاضرين الذين تأخذون لقمة بطونهم وتضعونها في بطون المدافع آكلات الأجسام، وهاضمات المدن والخيام !

عدتم إلى فلسفة الردة تمجدون الحرب للحرب ، وتضعون لها مكاناً في قلوب الرجال كمكان الأجنة في بطون الأمهات .. والأمهات الوالدات تخرج لكم الكتل اللحمية البشرية كما تخرج معامل الأسلحة مصنوعاتها ... فتولد كل يد ومعها أظفورها وقنبلتها ومدفعها .. ويولد كل وجه ومعه قناعه ...

والشياطين والزبانية تجمع الأحطاب من نغل القلوب وإحن الأفئدة .. وتضع الألغام على منابر الساسة وألسنة الزعماء . . . والإنسانية — العروس الهندية ! — تسمع إلى صلوات كهنة النار قبل أن يقذفوها فيها بصبر وعجز، وربما بطرب وسرور؟

وصار كل كاهن يلقي خطبه وتصريحاته المشئومة بإلقاء جميل وإشارات تمثيلية باهرة ...

ووقفت « العروس الهندية » تنظر إلى ألسنة الخطباء نظر الأحطاب إلى أعواد الثقاب ...

واجتمعت في قلوب الزعماء أحقاد أممهم تغلي على الألسنة ، فصار كل زعيم يصر على أضراسه لأنه يحس سُعار السلاح في يده ...

ونظر كل زعيم إلى قرينه قبل أن ينظر إلى مصالح أمته ... والحرب تتجرد من ثيابها لتبرز إلى الميادين راقصة عارية ...

عليها تَنُوس ذؤابات سود وعقود من الجمرات الحمر ...

وقد خرست أصوات الكهان والملمين والدعاة . إن كل هذا يختفي عند لزوم ظهوره وإلاعد أسلوباً من أساليب الخيانة والتثبيط والفت في الأعضاد ...

لأن الحيوان المقدس المتمدن لا يزال يعيش بغرائزه على رغم معابده ومحافل السلام فيه ومعاهد العلم عنده ...

وتكتلت المحصولات والأثمار والذهب لتقذف في النار مع الجماجم والأيدي التي صنعتها وتعهدتها ...

إذاً لماذا تبنون ناطحات السحاب وتجملون المدن وتقيمون التماثيل والأنصاب وتفرغون على ما تصنعون كل ما تملكون من فن وعلم ما دمتم تهدمون كل أولئك في لحظة ؟

أين الحياة التي يحياها الإنسان في الأرض ؟ ومتى ؟ إن كل ما في العالم الآن من علم ودين وفن إنما هو إعداد للموت السريع . فأين العمل للحياة والاستقرار ؟

أما والله لو لم تكن «الآخرة» التي تصير فيها الإنسانية إلى مصير آخر ، أمام عيون الحكماء فلقد يضل ضلالهم ويجن جنونهم !

لقد أسبغت الإنسانية على مظاهر الحرب خلاصة من فنها المغرى بها ؛ إذ زينت الجنود بزينة فاتنة ، وجعلت ثيابهم أفخر الثياب وأدعاها إلى العشق والإعجاب ، وعشق النساء رجال الحرب أكثر مما عشقن رجال السلم والعلم والفن .

أية خدعة محبوكة الأطراف هذه الحياة يا رب الحياة ! إنك تدفعنا فيها إلى غايات مستورة ببعض الحلوى والزينة ...

تدفعنا بمظاهر الضعف: بالحب، إلى النسل والولادة والعمران وتدفعنا بمظاهر القوة : بالحرب ، إلى الموت والعقم والخراب ... الحب والحرب هما المظهران الأكبران للحياة ، وعلى هامشهما يحيا الفن والشعر والعلم والعمل ...

حياة محوطة بنواميس في داخل النفس وفي خارجها هي بهما في جذب ودفع ...

أنحن آلات لا سعادة لها في دنياها إلا العمل ، وليس وراء العمل سعادة ؟

أظن هذا هو الأصح والأدعى إلى راحة العقيدة في الحياة

وإلى الآن لم يظفر الإنسان — ذلك المخلوق التائه — بنعمة الاستقرار حتى يتيح الفرصة لعلمائه أن يجاهدوا في الكشف عن عرائس أحلامه ... لأن زعماء القطيع لا يزالون يتغنون بمجد الأنياب والأظفار ... ولا تزال خيلاء المجد : مجد الديكة المنتفشة تسوق الناس في ضباب من الشعر والألفاظ المعسولة .

« بغداد — الرستمية » **عبد المنعم خلاف**

أعلام الأدب

إسخيـــلوس
والدرامة اليونانية
للأستاذ دريني خشبة

مقدمة

نشأ شعر الملاحم وترعرع فى ظلال الأرستقراطية التى سادت الحياة اليونانية طوال عصر البطولة فى القرنين التاسع والثامن ، أو الثامن والسابع قبل الميلاد

ونشأ الشعر الغنائى وترعرع فى ظلال الأرستقراطية كذلك وامتد إلى منتصف القرن الخامس

وبرع فى شعر الملاحم هوميروس صاحب الإلياذة والأوديسة، وهسيود صاحب الأرجا (الأعمال والأيام) والثيوجونية (نشوء الآلهة) ودرع هرقل

وبرع فى الشعر الغنائى كل من سافو — شاعرة الخلود — وألسيوس وأناكريون وأرخيلوكوس .. وقد كان هؤلاء يقرضون الشعر ويتغنون به تسلية لأنفسهم فحسب ، أى أنهم لم يكونوا (محترفين)

أما الشعراء المغنون (المحترفون) فقد ألفوا الفرق الغنائية (للغناء والإنشاد والرقص) ، فهم بذلك مبتدعو (الخورس) اليونانى . وقد كان أرسطو يطلق على الأغنية من أغانيهم لفظة (دثرامب) Dithgramb (كتاب الشعر لأرسطو)

ومن زعماء الشعراء المغنين ألكمان الشاعر الغزل الرقيق الذى يعده المؤرخون مبتدع أشعار الحب ، وإن تكن سافو فيما نرى زعيمة هذه المدرسة . وقد اكتشف ماريت باشا[1] سنة ١٨٥٥ بردية مصرية بها قصيدة من روائع هذا الشاعر الفحل مما نظم لفتيات الكورس . وفى القصيدة نفحات من الدرام تدل على بداءة الأدب المسرحى

(١) جلبرت موراى (أبلتون) ص ١٠٠

ومنهم الشاعر آريون الذى يُعزى إليه ابتكار الدثرامب (أغانى باخوس)

ومن أعظمهم الشاعر تيزياس[1] الذى يعدونه فى الشعر الغنائى نداً لهوميروس فى شعر الملاحم ؛ وقد اكتسب الشعر على يديه مزايا عظيمة من حيث التنوع والقصص والمزج بين الملحمة والغناء وابتكار القصة الشخصية التى تفيض بالاعترافات

ومنهم الشاعر إيبكوس الذى اهتم كثيراً بقرض أناشيد (الصبيان) ومازج بين الشعر والموسيقى ووشى قصائده بورد الربيع وعصافيره وحبر العذارى

ومنهم سيمونيدز (٥٥٦ — ٤٦٨) وهو أوسعهم ثقافة ، وهو فى شعر الحكمة يشبه شاعرنا أبا الطيب من حيث الفكرة العميقة وقوة السبك وعلو المنزلة ؛ وكانوا يتدارسون شعره فى مجالس يعقدها جلة العظماء لهذا الغرض . وكان سفير قومه فى بلاط الملوك والأمراء الأجانب . وقد ذهب برغم كبره ليعقد الصلح بين أميرى صقلية المختصمين فأدى مهمته على خير وجه . ويعزون إليه أنه كان بخيلاً شديد الحرص؛ وذلك أنه كان يطلب لقصائده (ثمناً محدداً !) لا ينقص منه مهما ألحف عليه فى ذلك .. وأحسن قصائده ما كان له علاقة بالحرب . وقد كتب عن ترموبيلى أروع غُرَره ونظم فى قتلاها أجمل فرائده .. ولذا أحبه اليونانيون وآثروه بلقب شاعرهم الوطنى دون بندار

أما بندار[2] ، فهو بلا ريب أعظم الشعراء الغنائيين الذين أنجبتهم اليونان على الإطلاق ... ولقد ولد فى إحدى قرى بووطيه حيث نشأ نشأة موسيقية ، فتعلم العزف على القيثار ثم مهر فى النفخ بالناى ، وكان أستاذه فى ذلك عمه الشاعر الذى كان يلازمه ويعلمه الغناء والإنشاد فضلاً عن الموسيقى والشعر ... ثم ذهب إلى أثينا ليتخصص فيما شداه من هذه الفنون ، فأتيح له الاتصال برجالاتها وذوى الرأى فيها . ومما يذكر له فى هذه الفترة من فترات التحصيل أنه دخل فى مباراة إنشادية غنائية مع زعيمة من زعيمات الغناء فى أثينا تدعى كورينّا . فغلبته وتفوقت عليه ... وتقلب بندار

(١) وقد سمى فيما بعد (ستاسى خورس)

(٢) ٥٢٢ — ٤٤٨ ق . م

فى الإمارات اليونانية جميعاً ، وحل ضيفاً كريماً على أكثر ملوك الولايات حيث كان يقابل بالبشر ويُتلقى بالترحاب ... وكان بندار يكره سيمونيدز ، وينقم من الناس تهافتهم على شعره الذى كان يدعوه حكمة ولم يكن يدعوه شعراً . وبندار وسيمونيدز فى ذلك مثل البحترى والمتنبى. فقد كان البحترى شاعراً لأنه كان يُغنى، أما أبو الطيب فقد كان حكيماً . وحسبه أن ثلاثة أرباع ما يحفظ الناس من أبيات الحكمة هو من شعره . وقد كان بندار ينزع فى شعره وفى حياته نزعة لاهوتية ، فقد أخذ على عاتقه إحياء سنة السلف الصالح بالغناء للآلهة ، وقرض الشعر ، ونظم الأناشيد الدينية تسبيحاً بأسمائهم ، وله فى رها Rhea[1] . وبان[2] . وأبولو[3] منظومات خالدة ... ومن هنا منزلته الرفيعة فى دلفى ، فقد كان كهنة المعبد يحبونه ويعتبرونه قديساً ، لأنه ألّف حولهم قلوب العامة ، وأعاد للدين بهجته ، ولذا خصوه بأرفع منزلة فى هيكلهم وأفردوه بغرفة خاصة يحل بها كلما زار دلفى . ونحسب نحن أن هذا هو الذى نفر منه خاصة الأدباء الذين هم قادة الرأى العام ... والشعب الوثنى هو أعرف الناس بآلهته ، فلما أغرق بندار فى هذه النزعة الدينية انصرف الجمهور عنه إلى سيمونيدز شاعر الحق والحكمة وتمجيد البطولة والأبطال .

وقد انتشرت أشعار بندار انتشاراً واسعاً بلغ مصر ، وتغلغل فى صحرائها إلى معبد أمون — زيوس فى سيوه حيث نقشت أوراده الدينية على جدران المعبد وأعمدته بالذهب الخالص مما أدهش الاسكندر الأكبر وملك عليه لبه ... لكنه كان إعجاباً طارئاً سرعان ما طغت عليه الذكريات القديمة المؤلمة ... الذكريات التى لم ينسها اليونانيون لهذا الشاعر الكبير الذى خان وطنه الأكبر « هيلاس » بموقفه المزرى فى غزوة الفرس الكبرى ... لقد انضمت بلاده للفرس ضد أثينا ، فلم يحتج ولم تثر فيه النخوة الوطنية ، بل راح ينظم القصائد فى وجوب عقد الصلح . . . هذه صفحة بندار السوداء ، الصفحة التى لم تنسخ ظلماتها شموسُ القصائد الغُر التى نظمها بعد ذلك فى تمجيد أثينا وتخليد بطولة أبنائها . وهى قصائد أجود بكثير من كل ما نظم سيمونيدز فى هذا المضمار . لكنها قصائد تشبه هدايا عضد الدولة للمتنبى . أعز من هدايا سيف الدولة وأكثر ، لكنها كانت ينقصها الروح ! !

ولا نستطيع نحن أن ننقص من قدر أشعار بندار إذا قرأناها ولم نكن ملمين بتاريخه ، بل ربما رفعناها إلى أعلى أوج يرتفع إليه شعر قديم أو جديد ... فأشعاره إلهام رفيع ووحى علوى مما يعز على فحول الشعراء ... وقد نظم كثيراً غير أوراده الدينية فى الرياضة والرياضيين ، وقد كانت أولمبيا تستهويه بأبطالها كما كانت دلفى تجذبه بآلهتها ... وكان بندار يعيش عيشة فنية ، فمسكنه كان متحفاً للصور والتماثيل والموسيقى والشعر ، وكان مشغوفاً بالجمال ينشده فى كل ما تقع عليه عيناه ... فى الطريق ... فى الحديقة .. فى الملهى ... فى الماء ... فى السماء ... فى كل شىء

* * *

هذه هى الأطوار التى ترق فى مدارجها الشعر اليونانى قبل أن ينهض الدرام نهضته العجيبة الخارقة فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهؤلاء هم الشعراء المخلدون الذين مهدوا الذهن اليونانى لعصر النور والعرفان ... عصر بركليس العجيب

أما كيف بدأ شعر الدرام ، وأما كيف وجد المسرح اليونانى فهذا ما لم يعرفه أحد حتى ولا آرسطو نفسه[1] الذى يعتبر معاصراً لنهضة الأدب المسرحى فى أوجه، والذى شهد روائع هذا الأدب تؤديها أقوى الفرق اليونانية فى أعظم المسارح التى عرفها التاريخ، والذى أخذ نفسه بالدفاع عن الشعر عامة ونقض نظرية أستاذه أفلاطون فى ذم الشعر وامتهان الشعراء

والنظرية الشائعة فى ذلك ، والتى اتفق على صحتها المؤرخون[2] هى أن الشاعر آريون هو أول من حوّر الإنشاد الفردى إلى إنشاد يقوم به خورس (فرقة) ويتولى توجيهه رئيس ، وأنه هو أول من ابتكر أغانى الدثرامب Dithyramb (أغانى باخوس أو ديونيزوس إله الخمر والمرح والعربدة !) وهى أغان كان يمارسها

(١) إحدي أنثيات التيتان وهي ابنة أورانوس (السماء) وجيا (الأرض)
(٢) إله الطبيعة والمراعى
(٣) إله الموسيقى والشمس

(١) برتن راسكو — فصل سوفوكلس ص ٤٣ — طبعة بلوريون
(٢) الأدب اليوناني القديم لبورا ص ٧٦ وجلبرت مورای ص ٢٠٤ وتاريخ المسرح اليونانى ودرامته للدكتور روى فلكنجر فصل نشأة المأساة

الشعب على النمط الذى وصفه آريون إبان قطاف العنب

ثم جاء الشاعر تسبيس[1] (من قرية إيكاريا) فكان يرأس خورسا كبيراً وزع على أفراده أدوار غنائه مستقلا الدثرامب التى وضعها آريون ثم وسع دائرتها بحيث جعلها تشمل أغانى بان إله المراعى، فكان أفراد خورسه يلبسون رؤوساً تنكرية تمثل رؤوس الماعز ، ولذلك كان يطلق عليهم لقب (المنشدين العنزيين) Tragôdoi ، ولم يكونوا يمثلون درامات بالمعنى الذى نعرفه اليوم . بل كانوا ينشدون مقامات Cantatas أشبه بمقامات الحريري والبديع تشمل كل منها حادثة واحدة معينة

ومن لفظة Traqödoi اشتقت لفظة تراچيدى للمأساة

ومن لفظة Drömena أى الأشياء التى تؤدى اشتقت لفظة درامه Drama أى الأداء ، وهى ألفاظ كانت شائعة فى المحيط الدينى فى اليونان القديمة ثم أطلقت الدرامة على الرواية المسرحية فيما بعد[2]

هذا وثمة آراء أخرى فى أصل نشوء الدرامة ، منها أنها نشأت فى جزيرة كريت (إقريطش) حيث كان الأهالى يحتفلون كل سنة بإحياء ذكرى مولد سيد الأولمب (زيوس !) فكانوا يمثلون ميلاده ثم زواجه من حيرا كما كانوا يصنعون ذلك فى آرجوس وفى ساموس

ثم نهضت أتيكا — المقاطعة التى كانت حاضرتها أثينا — وعز عليها ألا يكون لها أدبها القومى الخاص فأقلمت الملاحم — كما صنع بيزاستراتوس — وأشعار الغناء ، ثم نهضت بأدب الدرام على يدى تسپيس الأيكارى الذى مثل بنجاح عظيم فى سوقها سنة ٥٣٤ ، وخوريلوس وبراتيناس

ولقد كان الشاعر — وهو رئيس المنشدين — يقوم بأدوار عدة ، من دور الملك إلى دور القائد إلى دور الجندى إلى دور الرسول ... فكان لا بد له من تغيير ملابسه فى كل حالة من هذه الأحوال . لذلك أعد له فى جانب من جوانب ساحة الرقص Orchêstra (خص) أو خيمة SKênê ليبدل فيها ملابسه

وإذا كان الشاعر يقوم بكل هذه الأدوار فى المقامة الواحدة فماذا كان يصنع فى الأحاديث ؟ قالوا إنه كان يستعين بممثل آخر ليكون الطرف الثانى فى الحديث ، وكانوا يسمون هـذا الطرف الثانى Hypocités ومعناها المجيب، ثم استعملت هذه اللفظة نفسها فيما بعد للممثلين ... فكانت الفرقة القديمة تتكون عادة من شاعر ومجيبين (اثنين) وثمانية وأربعين راقصاً

وكانت الحكومة هى التى تؤتى الممثلين والراقصين أجورهم كما كانت تنفح الشعراء بجوائزها الثمينة السنية . أما الإخراج فقد كان الأغنياء يتحملون كل نفقاته ، وذلك بأن يلجأ الشاعر إلى أحدهم فيعرض عليه أن ينفق على درامته من خالص ماله إلى أن تؤدى فى المسرح ، فكان الثرى يستأجر للشاعر خورساً بأكمله ثم ينفق على الملابس والمناظر حتى يتم الإخراج كله . وكان الأغنياء يتباهون بهذا العمل ويتبارون فى مضماره ، ولا يبخلون بعزيز أموالهم عليه ولو ذهب بأكثرها ، وكل ما كانوا ينشدون من جزاء هو شعور الفخر والزهو الوطنى حين تنجح الدرامة التى أنفقوا عليها بعد العرض الأول . ويجب أن نذكر هنا أن جمهور النظارة بل الجمهور الأثينى كله فى القرن الخامس قبل الميلاد كان قد أوتى حظاً عظيماً من الثقافة العامة ، وكان قد تربى فيه ذوق فنى رفيع نمته فيه ديموقراطية هذا العصر التى أكبرت من قيمة الفرد وأشاعت فيه كبرياء الحرية والشعور بالسيادة

فى ظل هذه الديموقراطية تربى ذوق الأثينيين الفنى حتى غدا ذوقاً أرستقراطيًّا مرهفاً يقدر الفن حق قدره ويزن آياته بالقسطاس المستقيم ، فحينما كانت تعرض الدرامات فى مسرح أثينا كان الجمهور نفسه هو الذى يصدر حكمه عقب الانتهاء من التمثيل ... وكان الشعراء يرهبون هذا القاضى الجبار لأنهم كانوا يقدرونه . وكم كان جيلاً من أرسطوفان فى بعض مهازله أن يتملق النظارة ويبالغ فى تمليقهم ويطلب إليهم صراحة أن يحكموا له ... ولنتصور إذن قضاة يبلغ عددهم ثلاثين ألفاً أو يزيدون يصوتون للشاعر أو عليه ، وما يكون لحكمهم من أثر عظيم فى نفسه فى حالتى السخط أو الرضى ... لقد يكون فى هـذه الألوف المؤلفة قضاة غير عدول ... فقد ذكر الأستاذ ج . ك .

---

(١) لم يذكره أرسطو فى كتابه (الشعر) وقد ذكره صولون

(٢) آثرنا أن نرجئ الكلام عن الكوميدية إلى فصلنا عن أرسطوفان

ستوبارت(١) أن كثيرين من أهل أثينا كانوا ينظرون إلى التحكيم فى المباريات الأدبية بحسبان أنها مصدر عظيم من مصادر رزقهم... بل كان بعضهم يعدها المصدر الوحيد لهذا الرزق ... يقصد بذلك أنهم كانوا يبيعون أصواتهم لمن يدفع ثمناً أكثر ... وهذا عيب تافه من عيوب الديمقراطية شهدنا مثله فى معاركنا الانتخابية ، لكنه لا ينهض دليلاً على فساد الذوق الفنى عند اليونانيين .

لقد كان غشيان المسارح فرضاً قومياً على الأثينيين فى أعيادهم . وقد أثر عنهم أنهم كانوا يقولون إن من لم يذهب إلى المسرح فى العيد لم يكن له عيد ... وقد كانت الحكومة تنظر إلى المسرح نظرة كريمة عالية . لقد كانت تعده الجامعة العليا التى لا تعلم حروف الهجاء بل التى تطبع الشعب على أسمى صور الفضيلة والإيثار والتضحية فتخلق منه شعباً راقياً طيب الأعراق يتذوق أمور الحياة العليا بإحساس حى ناضج بصير لا بإحساس بهيمى بليد

وكانت كل طبقات الشعب تغشى المسرح الكبير فى أثينا ، وكان يظن أن النساء كن محجوبات عن شهوده ، لكن الأستاذ روى فلكنجر دحض هذا الظن الذى لم يكن إلا حدسا وترجما ، بل زاد فأثبت بأدلة قاطعة أن الأرقاء أنفسهم كانوا يذهبون إلى المسرح للتمتع بالتمثيل ، وكانت الحكومة تدفع لهم ثمن تذاكرهم ، وكان ثمن التذكرة أوبولين ، والأوبول Obol هو قطعة من العملة اليونانية القديمة يساوى من عملتنا المصرية اثنى عشر مليما (ثلاثة بنسات انجليزية أو خمسة سنتات أمريكية) فيكون ثمن التذكرة قرشين ونصف قرش تقريباً أو ما يعادل ثمن تذكرة بالدرجة الثالثة فى أى دار من دور السينما عندنا .

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن نشوء الدرامة اليونانية تليها لمحات عن المسرح اليونى فى عصر بركليس ، العصر الزاهر العجيب الذى حفل بأكبر عدد من شعراء الدرام على رأسهم إسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدز .

دريني خشبة

---

(١) فى كتابه الفخم عن اليونان The Glory that was Greece الفصل الرابع (القرن العظيم) ص ٤٢

من برج بابل

ليعذرنى الأستاذ الحكيم صاحب البرج العاجى ؛ فما اتخذت عنوان خواطرى « برج بابل » تقليدا ومحاكاة ... وإنما اتخذته تحديا ومباراة !

وأخشى أن ينقلب البرجان أحياناً حصنين ...

ولكنهما سوف لا يتقاذفان بالرصاص والقنابل ...

وقى الله الإنسانية شرهما ، فتلك أبعد عن طبيعتنا السمحة الوديعة المسالمة .. بل سيتراشقان إن تراشقا بسهام من أغصان الزيتون ...

وأخشى أن تزعجه ثرثرة برجنا ، فتقطع عليه هدوءه وعزلته وتفكيره وأبحاثه الفلكية أيضاً ! ناهيك بثرثرتنا نحن النساء .

ومن يدرى ؟ فلعله يهجره فراراً من جيرتنا المزعجة !

وحسناً يفعل ! فلسوف تحتله المرأة ... فهو من العاج ... والعاج حلية لطيفة ثمينة محببة إلى قلب المرأة ، والتحلى حاسة سادسة لها ... كأنك تتحدى المرأة وتمعن فى عدائك المعروف بالتزامك حصنك العاجى ، معذرة ، بل برجك !

وكأنك أردت أن تخدع بنت حواء بأنه برج حقاً ، حسبك منه استشراف نجوم الأرض ونجوم السماء ونجوم السينما ! .

ولكن عاجك يارسول البرج غنيمة تغرى ولا تخدع فهو قلعة فى زى برج !

لم تحدثنا أيها الفلكى الراهب من برجك العاجى منذ أقمت بنيانه حتى الآن عن نجوم الليل السابحة فى تيه قصى بعيد ، ولا عن عين السماء الفضية ، ولا عن الزهرة فى موكبها الفخم الجليل ... وكأنك عدوها أيضاً !

وإنما بلغ أسماعنا من شاهق برجك كلامٌ لا يتصل بالفلك ولا بالنجوم ولا بالأبراج ! ...

ولو كان برج حمام لأقنعت نفسى بأنه حمى أمان وسلام !

ولكنه برج من عاج . وهو كأشجار زرقاء اليمامة !.

« الاسكندرية » ماري نسيم

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشا

كان شريف فى عصره رجلاً اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال

للأستاذ محمود الخفيف

كاد الخديو للأجانب كيداً شديداً ؛ وظهر كمن يريد أن يثأر لنفسه فلم يكتف بإجابة الوطنيين إلى ما طلبوا ، بل لقد ذهب إلى مشاركتهم مظاهر ابتهاجهم بالعهد الجديد حتى لقد حضر بنفسه حفلاً أقامه فى داره السيد على البكرى ودعا إليه كبار رجال الحركة الوطنية فكان موقف الخديو فى ذلك موقف الزعيم !

وتلقى الأجانب الضربة ولكنهم لم يطيشوا أو يذهلوا عما يجب عليهم أن يعملوا إزاء موقف الخديو ، ومن أجل ذلك لقيت وزارة شريف منهم عنتاً بالغاً ، فتلاشت فى ضوضائهم كل دعوة إلى الحكمة، وضرب الحقد على آذانهم وجعل الغضب على أبصارهم غشاوة

ولكن شريفاً ظهر يومئذ بمظهر جدير بالإعجاب حقاً ، فلا هو خشى جانب الأجانب فتخاذل عما هو بسبيله ، ولا هو مال كل الميل فانقلبت سياسته شططاً ، وبذلك جمع شريف على خير ما يرجى بين حمية الوطنى الثائر وكياسة السياسى الماهر وروية المجرب البصير

احتج الأجانب على إبعاد الوزيرين الأوربيين واستقال كثير منهم من مناصبهم ، وراحت انجلترة وفرنسا تهددان الخديو وحكومته وتنددان بهما ؛ وتوجه الدائنون إلى المحاكم المختلطة فرفعوا أمامها القضايا ؛ وأعلنت لجنة التحقيق أن الحكومة فى حالة إفلاس منذ أكثر من عامين ؛ ولما عرض شريف على هؤلاء الأجانب الصاخبين استعداده إلى إعادة المراقبة الثنائية كما كانت تقضى به تعهدات الخديو فى حالة ما إذا أخرج الوزيران الأجنبيان أو أحدهما رفضوا ذلك الحل مبالغة منهم فى الكيد ورغبة فى زيادة الأمور حرجاً وتعقداً ...

ولكن شريفاً لم يلوه حرج الموقف عن وجهته ؛ وما كانت وجهته إلا أن يجعل مرد الأمور إلى الأمة، فلئن كان يمقت تدخل الأجانب، لقد كان كذلك يكره استبداد الخديو أشد الكراهية . لذلك جعل محور سياسته أن يكون مجلس الوزراء مسؤولاً أمام مجلس شورى النواب ، ولقد تم له ما أراد فجاء فى خطاب الخديو إليه بتأليف الوزارة عبارات لا تقبل تأويلاً فيها يذكر الخديو أنه يرجع بالأمور إلى الأمة ويوافق على مسؤولية الوزارة أمام مجلسها

بهذا كان شريف أبا الدستور فى مصر ، فإن ذلك المجلس الذى تعهده برعايته منذ نشأته عام ١٨٦٦ م قد تمت له السلطة على يديه عام ١٨٧٩ م فصار الحكم فى مصر حكماً دستورياً لا تشوبه شائبة مهما يقول القائلون فى طريقة الانتخاب يومئذ وجهل سواد الناس بأصول الحكم ...

أجل، إن العهد الدستورى فى مصر إنما يرجع إلى عام ١٨٧٩م وهذا العهد إنما نالته مصر بجهاد بنيها وعلى رأسهم شريف وما كان دستور عام ١٩٢٣ م إلا الدستور الثانى للبلاد ، أو بعبارة أخرى ما كان إلا توقداً لتلك الجمرة التى ظلت مطمورة تحت رماد الاحتلال حتى حل سعد محل شريف فى الحركة القومية فأزاح ذلك الرماد ونفخ فى تلك الجمرة فأوقد نارها !

لم تكد البلاد وا أسفاه تفرغ من مظاهر فرحها حتى جاءت الأنباء بعزل عاهلها ، فإن الدولتين ما فتئتا تسعيان لدى الباب العالى حتى تم لهما عزله وإسناد الحكم إلى ابنه توفيق باشا ؛ وبخروج إسماعيل من مصر فقد شريف وفقدت البلاد الرجل الذى كان يمكن الاعتماد عليه فى مناهضة نفوذ الأجانب ...

رفع شريف استقالته إلى الخديو الجديد كما تقضى التقاليد الدستورية ، فطلب إليه الخديو إعادة تأليفها ، وأشار توفيق صراحة فى أمره وفى خطابه أمام مجلس الشورى ميله إلى العطف على الأمانى القومية كما تظهر فى الحركة الدستورية الوطنية . وسار شريف على نهجه الدستورى يدعم ما بنت يداه ويجهد فى توطيد أسسه ...

ولكن توفيقاً ما لبث حين جاءه فرمان التولية أن تنكر للحركة الوطنية فما كان فى موقفه الأول إلا مخادعاً يكتسب الوقت فلما اطمأن إلى مركزه من جهة الباب العالى بدأ سياسته الجديدة بأن رفض أن يجيب رئيس وزرائه إلى ما طلب بشأن توسيع سلطة مجلس الشورى ووضع نظام الحكم على أساس دستورى ثابت ؛ وفى هذا رأى شريف نية إقصائه عن الحكم فاستقال ، وجاءت استقالته هذه المرة أيضاً عاملاً قوياً من عوامل إذكاء الروح الوطنية وإشعال جذوتها

وما كان أحوج توفيق يومئذ إلى شريف وإليه دون غيره من الرجال . أجل ما كان أحوج الخديو إلى ذلك الرجل الذى كانت تجتمع فيه الرجال وتلتق فى سياسته الآمال ، وإنى لأزعم هنا فى غير تحرج أنه لو بقى شريف فى وزارته يؤيده الخديو لكان من الممكن أن تتفادى البلاد تلك الثورة التى جرت عليها نكبة الاحتلال فلقد كانت دسائس انجلترة فى تلك الآونة تنفذ إلى كل ركن وكانت انجلترة تتحين الفرص وتعمل على تهيئتها ، ولو أن شريفاً قد بقى فى مركزه لما اتجهت الحركة الوطنية إلى الحزب العسكرى ولسارت سيرها ولو فى بطء إلى غايتها

حل رياض محل شريف فأخذت السياسة الرجعية موضع الحركة الدستورية ، وتلفت الوطنيون ، فإذا الأجانب يعودون إلى نفوذهم الأول بل إلى أكثر منه وبخاصة انجلترة التى أوحت بسياستها إلى توفيق أن يتخذ منها سنداً ضد الباب العالى وضد فرنسا وضد الوطنيين ! فلقد كان توفيق يوجس فى نفسه خيفة من تركيا ويعتقد أنها تتآمر عليه ، كما كان يفهم أن فرنسا تعطف على العرابيين منذ ظهرت حركتهم . هذا إلى أنه رأى مبلغ نفوذ الأجانب فى خلع أبيه وأحس ما تركه هذا الخلع من أثر فى قلب مثل قلبه ...

واقتضت الظروف أن يظل شريف بعيداً عن الحكم سنتين عانت فيهما البلاد رزايا الحكم المطلق وبلايا تدخل الأجانب ، حتى هبت العاصفة من ناحية أخرى هى ناحية الجيش

وكانت حركة الجيش أول الأمر قاصرة على مطالب تتعلق برجاله ، ولكن ما لبث أن التقى التياران واتحدت الغاية ، فإن رجال الحركة الوطنية حينما ضاقوا بما فعلت وزارة رياض ، وحينما سدت فى وجوههم السبل لم يبق أمامهم إلا الاستعانة بالعسكريين ورأى العسكريون من جانبهم أن فى اضطلاعهم بمطالب الأمة ما يرفع من قدر حركتهم فرحبوا بالفكرة وساروا بها لا يلوون على شىء ...

وهكذا تتقاذف السفينة الأنواء وتلق بها فى غيبة ربانها فى بحر لجى متتابع الإزباد كأنما جن فيه جنون الريح فلن تهدأ إلا على مناظر الغرق والدمار .

سار عرابى العسكرى بخيله ورجله ومدافعه إلى الخديو يعلن إليه مطالب الأمة وينذره أن لا مرجع للجيش حتى تجاب تلك المطالب ؛ ولم يكن للخديو أمام هذا التحدى إلا أن يجيب عرابيا إلى ما ضن به على شريف ! ولكنه صرف الجند ليلقى بنفسه فى أحضان المشيرين عليه من الإنجليز الذين واتتهم الفرصة المرتقبة

وأقيلت وزارة رياض كما طلب الجيش ، ودارت أعين الأحرار تلتمس غيره فلم تقع إلا على شريف ؛ وهل كان ثمة غيره تقع عليه العيون ؟ ونظر شريف فإذا العاصفة هوجاء تنذر بفقد الرجاء ففكر فى الإحجام ولكن الرجل لم يكن من طبعه الإحجام ، وما كان ليرضى أن يترك البلاد فيما كانت عليه فإنما يعرف ذو العزم فى الشدة وعلى قدر عزمه تكون رجولته .

اشترط شريف ألا يكون لعبة فى يد الجيش فما كان هو بالرجل الذى تهون عليه نفسه إلى هذا الحد ، وقبل الجيش ما اشترطه ، فألف الزعيم الكبير الوزارة وكان أول عمل قام به أن أبعد زعماء الجيش عن العاصمة فخرجوا طائعين .

وراح شريف يصل ما انقطع فما كان ليحيد عما وهب للبلاد حياته من أجله؛ فوضع نظام الحكم على أساس دستورى كأحدث الأسس الدستورية يومئذ ودعا البلاد لانتخاب مجلس نيابى .

ولما انعقد المجلس ترك له شريف النظر فى الدستور وأصوله فجعل منه جمعية تأسيسية يريد بذلك أن يجعل إلى الأمة مرد كل شىء

وخيل إلى البلاد أنها استراحت من عنائها ، وأن قد آن لها أن تسير إلى معالجة مشكلتها المالية فى هدوء ، وأن تمضى إلى إصلاح مرافقها والنهوض بشتى نواحى البناء والتعمير فيها ؛ فهذه هى وزارة الأمة حائزة لثقة النواب ، وعلى رأسها الرجل الذى تطلعت إليه آمال الرجال ، وهؤلاء هم نواب البلاد لا غرض لهم إلا العمل لخير البلاد .

ولكن — وما أوجع لكن فى هذا الموضع — هناك ... وا أسفاه من وراء ذلك دسائس لا تنام ولا تسهو ، ورؤوساً لم تتدبر الأمور كما كان يرجو شريف أن تفعل ، ومطامع شخصية هى علة العلل فيما أرى فى كل خلاف تشتعل ناره فى هذا الشرق المسكين ؛ وماذا كانت تجدى إزاء ذلك كله كياسة شريف وروية شريف، وماذا كان يغنى عنه بعدنظره وحسن تدبره عواقب الأمور؟

وكانت فرنسا هى التى بدأت بالتحرك هـذه المرة فأشارت على انجلترة بالتدخل ، فرنسا التى سندت محمد على بالأمس ضد انجلترة حتى جد الجد فتراخت عزمتها دون نصرته حتى تحطمت قوته هى بعينها فرنسا التى تشير على انجلترة بالتدخل اليوم فى شئون مصر ! ألا ما أشقى الضعفاء بضعفهم ! كلا، بل لعمرى ما أتعس الأقوياء بقوتهم إن كان ما يبنونه لأنفسهم على حساب الضعفاء قصارى سعادتهم وبرهان إنسانيتهم ...

هذا هو مجلس النواب يجادل شريفاً وشريف يجادله فى أمر الميزانية وحقه فى نظرها أوعدمه ؛ أليست هـذه مسألة داخلية بحتة ؟ ولكن الدولتين لا تعترفان بذلك ؛ ومتى اعترفت ذوات المخالب لغيرها من ذوات اللحم الطرى بحقها فى أن تعيش ؟ إذاً فلتحرم الدولتان على المجلس النظر فى الميزانية، ميزانية مصر، وإلا فهمتاه كيف يكون الإذعان للسلطان لا للحجة والبرهان !

وتضيع جهود شريف عبثاً فى دعوه المجلس إلى الاعتدال ... إلى الاعتدال ؟ أيطلب الاعتدال زعيم ثورى من هيئة ثوريه ؟ ذلك ما راح النواب يتساءلون فيه ؛ ألا يا ويل كل رئيس من الظروف إذا كادت له فقلبت كل عرف لديه نكراً وألبست حوله بالباطل كل حق. لقد وصف اعتدال شريف بأنه خور وأخذت سياسته على أنها مروق ، ألا هل من يعقل أو يتدبر ؟ ألا هل من يستمع له حينما فكر فى آخر حل فطلب تأجيل الأمر كله حتى يبحثه فى هدوء ؟ كلا لن يستمع له أحد . أيستمع إليه عرابى المتحفز المتوثب ، أو يدين برأيه البارودى الطامح إلى رياسة الوزارة ؟ أو يسكن إليه المجلس الذى كره الأجانب وتدخل الأجانب حتى لم يعد له على الصبر طاقة ؟

والدولتان أتتهاونان أو تريان جانب الحق ؟ كلا . إنما ترسلان إلى الخديو أنهما على استعداد واتفاق لتأييده أمام ما عساه أن يصادفه من المتاعب، ولا يتردد هو فى قبول هذه « المذكرة » ، فتثور ثورة الوطنيين ، ويطلب شريف من الدولتين مذكرة تفسيرية تهدئ الخواطر ولكنهما، وقد أرادتا إثارة الخواطر، لا تجيبان . . .

ويحمل الوطنيون على شريف زعيم الوطنيين فيحرجونه حتى لا يجد أمامه وسيلة لإقناعهم ، ثم يطالبون بإسقاط وزارته فيستقيل ويعود إلى داره ، فتندفع الثورة هوجاء قد جن جنونها ؛ ويفرح ذوو المطامع من الأجانب ، هؤلاء الذين أجابهم شريف إلى إعادة المراقبة الثنائية ووافقهم على قانون التصفية التى تم فى عهد رياض على ما كان فيه من عدوان وظلم ...

وتمضى الثورة فى طريقها ، والدولتان فى طريقهما ؛ ثم تنفرد انجلترة فتتغافل فرنسا كى تلتهم الفريسة وحدها ، وتضرب أساطيلها قلاع الاسكندرية مرتكبة بذلك أشنع ما عرف فى تاريخ الحروب من عدوان وغدر ، ويدفع عرابى مصر لتدافع عن نفسها فيكون جهاد فيه قوة وحماسة ، ولكنه لا يخلو مما منى به الشرق فى عصوره الأخيرة من ختل وخيانة ، فتفشل الثورة ويعود الخديو من الاسكندرية ليجد فى طريقه إلى قصره فرقة من الجيش البريطانى تصدح موسيقاها بالسلام الملكى الانجليزى ... ! وتقع على هذا المنظر عينا شريف وقد عاد معه ، فلا يملك — على ما يقول الرواة — ذلك الرجل الكبير دمعه فيجهش كما يجهش الطفل ! ألا ما أغزر ما تفيض به الدموع من المعانى !

بكى شريف وحق له أن يبكى فهذه جهوده تذهب عبثاً ،

بل هذه مصر تصبح وهى لا تملك من أمرها شيئاً ؛ وما كان شريف غداة طلب من المجلس الأناة والاعتدال لممرى خواراً ولا مارقاً ؛ بل لقد كان يومئذ يقف أجل وأعظم موقف فى حياته، موقف الشجاعة التى لا تتملق النواب ولا تخشى فى الحق ما يعلنه الرأى العام، والتى لا يغرها مديح أو يستهويها الحرص على إطراء الجمهور ورضاه، وموقف الكياسة فى معالجة الأمور، والنظر فى عواقبها؛ وإنا لن نجد فى الحق موقفاً يوضح أخلاق شريف ويكشف عن طباعه خيراً من هذا الموقف الجليل. والزعيم الحق هو الذى يهم بما يراه حقاً ويصر عليه مهما لاقى من عنت، وإلا فعلى أى أساس دون ذلك تقوم زعامته؟

ودعى شريف بعد الاحتلال لتأليف الوزارة فلم يحجم، ودخل رياض فى وزارته، وما كان قبوله الحكم فى تلك الظروف عن رغبة منه فى المنصب، فهو يرى ما يطلبه المنصب الآن من جهد شاق وصبر طويل، وإنما كان موقفه موقف ذى النجدة الذى لا يتسرب إلى عزمه وهن ما دامت فى جسده حياة . . . كان موقفه موقف المخلص الذى يسيره إخلاصه وعلى عليه ما يجب أن يعمله حتى ما يستطيع أن يفلت أو يتردد إن فكر فى ذلك أو مال إليه

وكان طبيعياً أن يجرى فى وزارته على خطته قبل الاحتلال، أو على الأقل كان طبيعياً أن يقبل تأليفها على هذا الأساس فإن ذلك وحده هو الذى استطاعه، ذلك أنه ما لبث أن رأى الإنجليز هم كل شئ على رغم ما كانوا يذيعونه من وعود بالجلاء فى مشرق الأرض ومغربها

وجاءت الفتنة المهدية فى السودان فأرادت انجلترة أن تخليه مصر لتعيد فتحه من جديد؛ وأبى شريف إلا أن يضيف إلى محامده ومآثره فى هذا الوادى مفخرة سوف يقترن بها اسمه الكريم على مدى الأيام، فرفض ذلك الاقتراح وقال كلمته التاريخية التى تنطوى على كثير من المعانى: «إذا تركنا السودان فالسودان لا يتركنا»

ولكن انجلترة التى تعتزم الجلاء عن مصر تصرح على لسان معتمدها أنه على الوزراء والموظفين أن يعملوا «بالنصائح» التى تسديها حكومة جلالة الملكة وإلا فعليهم اعتزال مناصبهم! ولا يتردد الخديو أن يقبل حتى هذا التصريح!

وعرف شريف من المقصود بهذا التصريح، وهيهات أن تسير الوطنية مع نوايا الاحتلال والعبودية، لذلك لم يكن بد أن يختم شريف حياته السياسية بالاستقالة من وزارته الرابعة والأخيرة بعد أن قضى فيها عامين ... وكانت هذه كبرى استقالاته إذ كانت تنطق بشهامته وصراحته؛ وتفيض برجولته فهو لا يستقيل «لأسباب صحية» ولكنه يحتج على محاولة سلخ السودان وعلى هذا التصريح الذى يتنافى مع الدستور ويتنافى مع الاستقلال، وكان ذلك عام ١٧٨٤

قلت لنفسي ...

حتى العلماء ورّاث النبوة وأولياء الحكمة يجوز عليهم ما يجوز على أتباع الهوى وعباد الشهوة من بنى الأرض!

— وما ذاك؟

— يقولون إن فى الأزهر عريضة، فضيحتها طويلة عريضة. وإذا صح ما تلهج به حولها الألسنة فقد استشرى الضلال حتى حارت الهداية، واستحكم النفاق حتى فجرت الغواية. وإذا ضل الدليل، فكيف تسلك السبيل؟

يتحدثون أن نفراً من العلماء جعلوا قيادهم فى يد الهوى فدلاّهم بغرور ومنّاهم بباطل وزين لهم أن يشغبوا على الإمام المراغى مظهر الإسلام المشرق، وممثل الرأى الصحيح، وأول من وحد بين المُلك والدين، ووفق بين الأزهر والدنيا؛ فمضوا يظهرون عريضة فيها الرجاء والثقة، ويسترون عريضة فيها التمرد والإفك، وطافوا بهما على علماء المعاهد يقرأون عليهم ما فوق، ويضعون أختامهم على ما تحت، حتى اجتمع لهم من هذه الإمضاءات المغشوشة سبعون ونيف، فدخلوا بها على الأستاذ الأكبر دخول النذير المدل بما وراءه، فتلقى الإمام هذا النزق بحلم العظيم ورفق الكريم؛ ثم تدارك الله الحق فبرح الخفاء وشاعت الفضيحة. وقال الأعمى أنا لا أقرأ، وقال الغافل أنا لا أفهم، وقال الخادع أنا لا أستحى!

بهذا يتحدث الناس وربما كان فى الحديث افتراء؛ فإن رجال الدين أكرم على الله أن يجعل فيهم هؤلاء، وهل يخشى الله من عباده إلا العلماء؟!

ابن عبد الملك

استطلاع صحفى

الأندية الأدبية فى مصر

مقهى الفيشاوى

(لمندوب الرسالة الأدبى)

أتعرف الحىّ اللاتينى يا صاحبى ؟

أقصر الطرف ، وقرّب الفكر ، واقتصد فى الخيال ، فلا تذهب إلى ما وراء البحار إذ تحسبه فى باريس مدينة العلم والنور ، وبلد الطرافة والحسن ، ومبعث الفتنة والخروج على الوقار ...

إلى هنا يا صاحبى ! فى قاهرة المعز لدين الله ، موطن المجد القديم والعز التالد والتاريخ الحافل ، حيث المسالك الضيقة والدروب الملتوية والشرفات المتشابكة والسطوح المتواصلة والبناء العتيق العتيد ، الذى أفنى جدارُه القرون وما زال تتجلى فيه روعة الفن الشرقى الخالص ، وعبقرية الذوق المصرى الصحيح ...

إلى هنا يا صاحبى ! حيث الأزهر يعجّ بأبنائه من سائر الأقطار ، ومشهد الحسين يضج بقصاده من جميع الأمصار ، وخان الخليلى معرض الكهرمان والآبنوس والصدف والعاج والسجاد الفاخر يتلهف عليه السائحون ومجانين الأثرياء ؛ والغورية سوق العطر والأصباغ والألوان وكل مساحيق التجميل البلدية والأوربية تتزاحم عليها أسراب الفتيات من كل هيفاء هى منية النفس ، ومن كل شوهاء هى فداء إحسان(1) ، ومن كل عطبول رداح يفديها صاحبنا بيرم بأبيه وبروحه إذ يقول : بأبى وروحى اللابسات خلا خلا ، الآكلات مدمساً وفلافلا

إلى هنا يا صاحبى ! حيث يمتزج القديم بالحديث ، ويختلط الطيب بالخبيث ، ويتلاصق الوضيع بالرفيع ، ويتساوى الأصيل بالدخيل ، فتتجلى لك القومية المصرية فى تباين المظاهر واختلاف الطبقات ، وتتبين لك المفارقات فى أذواقنا وسلوكنا ومدنيتنا إذ ترى عربات سوارس والكارو ما زالت تجرجر وتكركر إلى جانب مركبات الترام والأتوبيس والفيات . . .

إلى هنا يا صاحبى حيث سوق البقول والأفاويه والتوابل والأعشاب ، والبن بجميع أصنافه ، والشاى بسائر ألوانه ، واللب

الأستاذ فكرى أباظه فى جمع من إخوانه النواب والصحفيين يرشفون أكواب الشاى على الفيشاوى فى ليلة من رمضان

المحمص ، والحمص المقلى ، والبطاطة المشوية ، والعدس القشرى ، وما إلى ذلك من الأطعمة الشهية التى تخالف فى عرضها وفى طهيها كل شروط الصحة على أنها عند أهلها كل قوام الصحة والعافية ، فهى لهم ملء البطن ، ومشتهى النفس ، ورغبة العين ...

إلى هنا يا أخى ! حيث درج محمد عبده وسعد زغلول وحمزة فتح الله والسيد المرصفى والسيد القاياتى وابرهيم الهلباوى ومحمد أبو شادى ومحمد السباعى وطه حسين وأستاذنا الزيات وزكى مبارك وغير أولئك ممن أعرف ومن لا أعرف من رجال مصر فى السياسة ، وأعلامهم فى الرياسة ، ونبهائهم فى الأدب والفضل والصحافة ...

إلى هنا يا أخى ، فذلك هو الحى اللاتينى كما يسميه الظرفاء من أهل الأدب ، والنبهاء من أولاد البلد !

فى هذا الحى الذى رأيت ، وعلى خطوات من مدخل خان الخليلى

(1) هذا من وضع صديقنا المرحوم إبرهيم الجزار لكل قبيحة تتزن ، أخذه من قول السيد القاياتى : فداؤك يا إحسان كل دمية... البيت

وفى عام ١٨٨٧ يموت هذا الرجل العظيم وهو على سفر فى النمسا فتتلقى مصر جثمانه وتمشى خلف نعشه الجموع الهائلة التى لم تر مثلها البلاد من قبله ، فهذه أول جنازة شعبية فى تاريخها الحديث . هذه هى السابقة التى سترى مكبرة عظيمة يوم تضيق القاهرة بالمنتحبين من أبناء مصر يشيعون جثمان رئيس الثورة الثانية زعيم الوفد الأول ، ذلك الذى كانت حياة شريف أيضاً وجهاده القوى سابقة قومية لحياته وجهاده . . رحم الله العظيمين وجزاهما عن وطنهما خير ما يجزى به الشهداء والمجاهدون « تم »

الخفيف

الضيق من جهة الحسين يقع مقهى الفيشاوى العتيد، فهو فى موضع بعيد عن جلبة السابلة ، وضوضاء المركبات ، فأحر به أن يكون فى غمرة من الهدوء والسكون ، ولكن الله ابتلاه بكثرة الباعة ، وإلحاح ذوى الحاجة ، وصوت النادل الأجش يرفعه عالياً عالياً فى المناداة على المطلوب وشرح المطلوب فيكون له دوى وطنين لا يتحمله إلا الذين تعودوه

ومقهى الفيشاوى فى روائه آية من آيات الفن القديم، وصورة قوية من الذوق الشرقى الذى يغرق بطبعه فى التجميل ، ويهول فى التزين، ويخلبه البريق واللمعان ، فيحمل الصورة فوق ما تطيق من التمويه والتوشية ، وكثرة التلافيف والتعاريج ، وأنت تستطيع أن تستجلى ذلك كله فى تلك المرايا الضخمة الفخمة التى علقت بجدران الفيشاوى وتجاه مدخله بالشارع ...

ويهدف إلى الفيشاوى كل أدباء مصر بلا استثناء ، فى فترات قد تبعد وقد تقصر ، ويدمن الجلوس فيه طبقة خاصة من مفاليك الأدب ، وصعاليك الصحافة ، وصرعى الآمال فى المشاريع الحرة ، والذين عاكستهم الأقدار فى نيل الشهادات والفوز بوظائف الحكومة ، ومن شطت بهم الدار من الأقطار الشقيقة فى طلب الرزق أو طلب المجد ، يتلفف هؤلاء حول موائد « الشاى المفتخر » كل مع من يشاكله ويأنس إليه ، فيغرقون فى الحديث عن أنفسهم ، أو يتلهون بالنرد ولعب الورق على تدخين النارجيلة ورشف أكواب الخمر الحلال : أكواب الشاى الأخضر والأحمر والأسود والأبيض الذى يتيه الفيشاوى بصنعه على كل مقاهى القاهرة ، وكأنى بأدباء الفيشاوى يجدون فى هذه الأكواب لذة وغناء عن أكواب بنت الحان ...

وكثيراً ما ينطلق أدباء الفيشاوى على طبيعتهم ، فيتشاجرون بالنادرة، ويتضاربون بالنكتة ، ويغرقون فى المرح إلى أبعد حد ، ويرسلون الضحكات عالية قوية كلها سخرية بالحياة، واستهانة بقسوة الدهر، واستخفاف بعبث الأيام ومطالب العيش، فهم يضحكون عن فلسفة ونظر ، وكأنهم يقولون : ولماذا يا أخى لا نضحك ، وقد تحملنا من الرهق فوق الطاقة ، ولقينا من الأقدار ما تنوء به عزائم الرجال ؟ فيالها من دنيا لا تستحق إلا الهوان ...

وأدباء الفيشاوى يتباينون فى ثقافتهم ، ويختلفون فى عقليتهم وإن كانوا جميعاً فى نظرتهم إلى الحياة سواء ، فتجد فيهم الشيخ الأزهرى الذى يرغى ويزبد بالقافات كما يقول حافظ ، وفيهم الأديب الظريف الذى يملأ جعبته بنوادر السابقين واللاحقين ، وفيهم الصحافى الذى يضيق رأسه بأخبار الملاهى والمسارح ونجوم السيما والمسرح فى هوليود وعماد الدين ، وفيهم من يضج لسانه بالعجمة ويرتضخ بالعامية وكل ما عنده جملة طيبة من أسماء الأدباء فى الشرق والغرب ، وهو يحسب أنه رأس المفكرين ، ولله فى خلقه شئون .

ويجرى ذكر الأدب والأدباء فى حلقات الفيشاوى ، فيذكر من الكتاب العقاد والمازنى وطه وهيكل والزيات وأحمد أمين وزكى مبارك وكل كاتب فى مصر ، ويذكر شوقى وحافظ ومطران وشكرى والزين والهراوى والأسمر وكل شاعر حى أو غبر ، ويذكر حافظ عوض وعبد القادر حمزة وأنطون الجميل وصاحب الهلال وإخوانهم فى الصحافة، ويذكر يوسف وهبى، وجورج أبيض وسليمان نجيب ، وعزيز عيد ، وفاطمة رشدى ، وزينب صدقى ، وأمينة رزق ، ومن لا أعرف من أهل المسرح ، ولكن كل هؤلاء لا يفوزون من أدباء الفيشاوى إلا بابتسامة ؛ ولست أدرى أهى ابتسامة الرضى والإعجاب أو الهزء والاستخفاف. وعلى كل حال فهم يرون أنه لولا معاكسة الأقدار ، وقسوة الحظ لكان أقل شخص فى الفيشاوى أكبر من أى شخص من هؤلاء فى النثر أو فى الشعر أو فى الصحافة أو فى التمثيل ، كل فيما يحاوله ويرغب فيه ، وجبراً لخاطر إخواننا فى الفيشاوى نلعن ذلك الشىء المدعو بالحظ ، قاتل النبوغ ، وقابر العبقريات ...

وللفيشاوى « موسم » يتم له فيه المجد ، ويبلغ الغاية من الجلال والكمال ، وذلك فى رمضان إذ تنشد النفوس الإنابة وحسن الثواب وتطلب السهرات البريئة الطيبة فتستبدل أكواب الشاى بأكواب المعتقة ، ومن ثم تجد فى حلقات الفيشاوى رجال السياسة والأدب والصحافة فى مصر ، فتجد لطفى السيد باشا ، وهيكل باشا ، وحفنى محمود، وعبد الرحيم محمود، ونيازى باشا ، والصحافى العجوز ، وفكرى أباظه ، ولطفى جمعة ؛ وكثيراً من النواب وأساتذة الجامعة وشيوخ الأزهر ، كل منهم فى حلقة حافلة ، يشدون أطراف الحديث طلباً للسمر ، واستعانة على السهر ، حتى السحور

ثم يأتى العيد ، فينفض السامر الحافل ، ويعود الوضع إلى مستواه ، ولا يبقى للفيشاوى إلا الذين يعكفون عليه من أمثال الشاعر ابراهيم الدباغ والأستاذ عبد العزيز الأسلامبولى صاحب المعرفة ، والشيخ سلطان الجهنى المحرر بالوفد ، والشيخ على عامر المحرر بالدستور ، وصديقنا الشيخ البعى المحرر بالمقطم ، والشاعر

حوريتي تسأل ...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« مهداة إلى شفتيها الطاهرتين »

قالَتْ: لَقَدْ غربَ الشُّعاعُ ! فَقُلتُ: مَا
غَربَتْ بَشاشَتُهُ وأَنْتِ بِجَانِبي !
قالَتْ: وَكَيْفَ؟ فقُلْتُ: أَنْتِ شُعَاعَةٌ
بَيْضاء فى قَدَحِ الْمَسَــاءِ الذَّائبِ
تَفْنَى الأَشِعَّةُ والْعَوالِمُ خَلْفَهَا وسَنَاكِ يُشْرِقُ فى قَتَامِ غَياهِبي
أَنْوَارُ حُبِّك خَالِدَاتٌ فى دَمى غَمرَتْ لَدَىَّ مَسالِكى ومَذاهِبي
بِسِوالِكِ لا تَزِنُ الْوُجُودَ بَصِيرَتى إلاّ بوَهْمٍ فى الْجَوانِحِ سَارِبِ
لا تَنْدُبِى شَمْسَ النَّهَارِ ، فَطالَمَا
دَارَتْ رَحاها فِى الضُّحَى بِمَصائِبى
طَلَعَتْ عَلَىَّ فما لَمَحْتُ لَها سَنًا
فى الأَرْضِ تَزُفُّهُ فى بَدَيْهِ مَتاعِبِي
النَّاسُ حَوْلِىَ أَنفُسٌ مَطمُورَةٌ
فى بَهْرَجٍ دَنِسِ السَّرِيرَةِ كَاذِبِ
أَشْبَاحُهُمْ سَقَطُ الْقبُورِ ، وَطَيْفُهُمْ
ـ قَدَّسْتُ طَرْفَكِ عَنْهُ ـ بُومُ خَرَائِبِ
هَيَّا اتْرُكى عَنْهَا الْحَدِيثَ ، فَإِنَّنِى
عَنْ دَهْرِها لَسْتُ الْغَدَاةَ بِعاتِبِ
عَمْياء كابْنِ الطِّينِ تَخْبِطُ مِثْلَهُ خَبْطَ الْمُحَيَّرِ فى هَجِيرٍ سَباسِبِ
مَالَتْ وَحادِيها الظَّــلامُ لِشَاطِىء
فى الْغَرْبِ مِنْ جُرْحِ الْمَطَامِعِ خَاضِبِ
مَرَّتْ جنَازَتُهَا بِطَرَفِى مِثْلَمَا إِثْمٌ يَمُرُّ عَلى ضَمِيرِ الرَّاهِبِ ...
نَسَّانِىَ الدُّنْيَا جَبِينُكِ فَاسْكُبِى قَبَسًا أَعَزَّ من الشُّعاعِ الْغارِبِ
أَيَّامِىَ احْتُضِرَتْ ! فيَاوَيْلى إذا لَمْ يُحْيِهَا نُورُ الْجَبِينِ الْغَائِبِ

* * *

قَالَتْ: وَمَا لِلنِّيلِ يُشْبِهُ سَاجِدًا نَسِىَ الصَّلاةَ وَلَجَّ فى اسْتِغْفَارِهِ؟
قُلْتُ: ارْقُبِيهِ ، لَعَلَّ مَوْجَةَ شَطِّهِ
تُنْبِيكِ دُونَ النَّاسِ عَنْ أَسْرَارِهِ
هُوَ شَاعِرٌ مِثْلِى رَآكِ فَرَقَّ لِى وَأَذَابَ هذا السِّحْرَ مِنْ أَوْتَارِهِ
وأَعَانَ مِزْهَرِىَ الْجَرِيحَ عَلَى الْهَوَى
وَشَــدا بِلَوْعَتِهِ عَلَيْكِ وَنَارِهِ
وَمَضَى يُغَمْغِمُ فِى الضِّفَافِ ، وَفِتْنَتِى
وصَبابَتِى تَنْسَابُ فى تَيَّارِهِ !

* * *

قَالَتْ: كَآبَاتُ الْمَسَاءِ أَهَجْنَنِى ! قُمْ هُزَّ مِنْ فَجْرِ الْخَيَالِ صَبَابَتِى
هاتِ اسْقِنِي نَغَمَ الصَّبَاحِ لَعَلَّنِى
أَنسَى عَلَى شَفَةِ الْمَسَاءِ كَآبَتِى !
قُلْتُ: ارْقُبِينِي فِي غَدٍ إِنَّ الْأَسَى
فى الرُّوحِ أَخْرَسَ هَوْلُهُ شَبَّابَتِى !...

« وزارة المعارف » محمود حسن اسماعيل

البائس الثائر على نفسه وعلى الناس والأيام عبد الحميد الديب ...

وعبد الحميد الديب هـذا شخصية عجيبة متناقضة ، تثير فى النفس بمظهرها وبأدبها وبسلوكها كل عواطف الإشفاق والقسوة والألم والضحك. فهو يعجبك بشعره، ولـكنه يغضبك بسلوكه. وهو يضحكك بحديثه ، ولـكنه يؤلمك بمظهره . أشبعته الأقدار قسوة وإرهاقاً وبؤساً ، وأشبعها هو استخفافاً واستهانة وزراية . وهو على حاله تلك يعتد بنفسه إلى أبعد حد ، ويرفع شعره فوق كل شعر ، فشوقى مهما سما فى تقديره لا يبلغ شعرة فى مفرقه ، وهو ملازم للفيشاوي لا يريمه فى الضحى والأصيل والعشية، حتى لقد يبيت على كراسيه . ولقد جاء العيد وتفرق إخوانه كل إلى شأنه وبقى هو وحده على إفريز الفيشاوى ينشد :

يامعشر الديب وافى كل مغترب إلا غريبكم فى مصر ما بانا
قدمتمو الشاة قربانا لعيـدكم والدهر قدمنى للبؤس قربانا

لقد تغير كل شىء فى الحياة ! ومن ذا الذى يا عز لا يتغير ؟! وها هو ذا معول الهدم يهدد مقهى الفيشاوى بالدمار تنفيذاً لقرار دائرة الأميرة شويكار . فهل يحفل أدباء الفيشاوى بتاريخ ناديهم العتيق وذكرى أيامهم الطيبة فيه كما يعنى بذلك أدباء الغرب؟ هيهات!

م . ف . ع

النُّــــور

للأستاذ أمجد الطرابلسى

تَدَجَّى السَّبيلْ ومات الدَّلِيـلْ
وتاه الرَّفيـقْ
وهـذا الظَّلامْ أضاع الزِّمامْ
فضلَّ الطَّريق
وخاف الرَّحيلْ فأغـفى ونامْ وما يستفيقْ

***

وأين الصَّباحْ يواسى الجراحْ
ويحيي الأمـلْ
سقته الحسانْ ضيـاء الدِّنانْ
وخمرَ القُبـلْ
فألقى السِّلاحْ وراء الزَّمانْ صريعَ المُقَـلْ

***

أقامَ الألَقْ وراء الغسقْ
يُنـيرُ المدى
وحولَ الخصورْ وفوقَ النَّحورْ
يَصُبُّ النَّـدى
صـبايا الشَّفَقْ رفعنَ السَّتورْ له فاهتدى ...

***

سـباه الجمالْ وسحرُ الدَّلالْ
وحـلوُ النَّغمْ
فألقى عصاهْ مُريقاً سَـناهْ
وراء الظُّـلَمْ
وخـلَّى الضَّلالْ ويؤمى المَتاهْ لِرَكبِ الألَمْ

***

هنا الليـلُ نامْ رهيبَ الظَّـلامْ
مهيبَ الحَلَكْ
وبات الصَّباحْ أسـيرَ المِلاحْ
رَضِيَّ الشَّرَكْ
فمن للهِيامْ وراء البطاحْ وتحتَ الفلكْ ؟

***

طلبتُ الضِّياءْ فجزتُ الجِواءْ
أمامَ النُّـــورْ
نفضتُ الدُّهورْ وخُضتُ البحورْ
لأحظى بِنورْ
ظـلامُ الفناءْ يَعُمُّ القُصـورْ فكيفَ القبورْ...؟

« باريس » أمجد الطرابلسى

المصور

شاهدت حاكية تأتى على الصوَرِ كأنما يتحدى رسمها القدرا
فقلت خلق بلا سمع ولا بصرِ لينفخ المرء فيها الروح إن قدرا

محمود غنيم

فن التجميل
والمرأة في مختلف العصور

للآنسة زينب الحكيم

بينت فى مقال الأسبوع الماضى نشأة فن التجميل ، وأوضحت اتجاه المرأة بالنسبة له . واليوم نتحدث عن فن التجميل فى مختلف العصور .

استفسرت من أميرة كردية فى راوندوز عن الوسائل التى يتزين بها بعد أن أثنيت على جمالهن ، وعجبت إذا كان كله من إبداع الطبيعة ! فقالت : إننا نحن الكرديات ليست لنا أسرار . قالت ذلك علناً أمام رجلين من الأكراد كانا فى مجلسنا . وعند ما هممت بالانصراف ، وجدتها تستبقينى لحظات بعد انصراف الرجلين ، وانتحت بى ناحية خاصة من الحجرة الكبيرة ، ثم قالت : الآن أستطيع أن أصدقك القول جوابا عن سؤالك لى عن وسائل زينتنا. ورفعت غطاء حريرياً ثقيلاً عن صندوق ، فلما فتحته أوضحت لى محتوياته ، فأرتنى نوعاً من المسحوق الأبيض غير النقى ، وقالت : هذا نوع من تربة بلادنا كردستان نستعمله لتبييض وجوهنا بعد أن نمزج قليلاً منه بالماء

ثم أرتنى نوعاً من الكحل ونوعاً من الدهن يستعملنه لشعورهن ، وأطلعتنى على عدد من مناديل اليد الحريرية الزاهية الألوان ، هذا إلى جانب الحلى الذهبية الكثيرة التى تحملها فوق رأسها وصدرها وأطرافها ، والثياب الفخمة الثقيلة التى تلبسها وأسرّت إلىّ : « إننا لجميع النساء لا بد لنا من بعض الأسرار »

وما كان أشبه هذا الحادث بما حصل مرة مع أميرة هندية ، سئلت عن وسائل تزينهن قالت : « ليس لنا نحن الهنديات أسرار لأننا لجميع النساء كلنا أسرار » ومع ذلك ، فقد كانت تحمل أنواعاً من صناديق المراهم والدهون أينما ذهبت ، ووسائل تزين هاتين (الكردية والهندية) توضح أبسط وسائل الزينة وأيسرها اتباعاً

المصرية الفرعونية فى تمام زينتها فى استعدادها للعيد أو لحفلة دينية قوام رشيق وحلى فاخرة وثوب مطرز بدقة

وفى الحق أن التفانى فى اللجوء إلى الجمال المصطنع ، والتغالى فى إتقان فن التجميل دلت عليه نهضة صناعة قديمة تضارع أقدم الحضارات

فقد أوضحت الاستكشافات الأثرية ، وبرهن التاريخ ، على أنه قد وجد فى مقابر قدماء المصريين ، وعلى زهريات اليونان ، وفى نقوش بابل ، وفى الفسيفساء الرومانى ، أن الدهون قد استعملت بكثرة غامرة ، بحيث يجعلنا نتخيل أن وسائل التزين والتجميل استعملت فى تلك الأيام بحالة لا يمكن أن تكون أقل انتشاراً مما هى عليه فى أيامنا

فطالما وجدت تحت أكوام الآثار القديمة عشرات الآنية

التي احتوت على أنواع الكريم والأصباغ وسوائل التدليك من كل صنف

أما المرأة الرومانية واليونانية كما يقرر عنها أتنيس Athenaeus فقد استعملت مسحوق المحار الأرجواني اللون « كالروج » للوجنتين، واستعملت للشفاه أحمرها المعتاد. ومن المشاهد أن هذا اللون الأرجواني لصبغ الوجنتين، قد أعيدت بدعته من نحو سنتين، ولا يزال يعرض في الأسواق اليوم وتستعمله بعض السيدات؛ وهذا دليل على تقصى مهرة مصنعى وسائل التجميل لتاريخ فن التجميل، ودراستهم لنفسية المرأة، وتتبعهم تفننها وتنوّع ميولها في مختلف الحقب

أما المصريات فقد استعملن الكحل (الأثمد)، ومن الغريب أنهن كن يسودن طرفى الفم بحيث يصل طول الخط الأسود الممتد من طرف الشفتين نحو سنتمتر أو أكثر قليلاً، وتوجد نماذج من التماثيل التي توضح ذلك في المتحف المصرى بالقاهرة

والأثمد يستعمل الآن بكثرة في الشرق الأدنى لتسويد الأهداب، وإظهار الحواجب، وتفخيم العيون، وكان يستعمل معجوناً كدهان للجفون السفلى مما أكسبها نظرة جذابة، ولعل (الرِّمل) Rèmel الذي يستعمل الآن هو اختراع مهذب عن ذاك

والإنجيل يخبرنا أن الزيوت العطرية كانت تستعمل لدهن الشعر، وكثير من رءوس الموميات المصرية وجدت مغطاة بآثار شعر مصفف بطرق أنيقة لتجعيد الشعر وكيه وقصه. ووجد أن الزهريات الرخامية الفاخرة، تحتوى على مراهم يرجع تاريخها إلى ٣٥٠٠ عام قبل الميلاد.

ووجدت مرايا من أيام الأسرة السادسة، أى من نحو ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد، وأقلام لتزجيج الحواجب من عهد الأسرة الثامنة عشرة أى منذ ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد

وبفحص ما عثر عليه من آثار توت عنخ آمون الفخمة في مقبرته، وجدت آنية تحتوى على عطور لا تزال باقية من نحو ٣٣٠٠ سنة

وكان السعتر والمر، والبخور والناردين، وأنواع الزيوت ولا سيما زيت السمسم واللوز والزيتون، كلها كانت المواد التي استعملت في أقدم أصناف الدهون، وكثير منها استخدم مع الكحل، والحناء التي استعملت لصبغ الأصابع والأقدام، ولا يزال يستعملها بعض الناس إلى اليوم

بل لقد اختص المصريون باختراع أغطية متقنة من الذهب والفضة، لتغطية أظافر السيدات وتجميلها، فكانت ترفع أو تستعمل وفق التقاليد.

إمرأة فرنسية تأثرت بالمرأة الجزائرية في حليها وبخاصة في العقد والقرط

ولعل طلاء الأظافر الفضى اللون والذهبي الذي يستعمل اليوم، طريقة أسهل وأرخص من ذاك الاختراع الذي أخذت عنه على ما يظهر

والإسلام يأمر باتخاذ الزينة والتطيب، والنظافة الشخصية. واستعمل العرب السواك كفرجون للأسنان

واستعملت الرومانيات الزنك الأبيض والطباشير لتبييض وجوههن في بعض الأزمنة، كما استخدمن الكحل لأعينهن، والأحمر لوجناتهن وشفاههن

أما النساء المتمدنات اللائى وجدن في الآثار القديمة فقد عرف أنهن استعملن مسحوقاً لطلاء الأسنان، صنع من نوع من الأحجار...

وصنعت أنواع الكريم للتجميل من دقيق الشعير والزبد.

وبيض النساء شعورهن بطريقة يظهر أنها تشبه الطريقة البلاتينية التي اخترعت في أيامنا

التجميل بالوشم عن بعض القبائل الافريقية
حيث لا توجد الأحجار ولا الأصباغ ولا الحلى

وكانت مناضد زينتهن تحمل ثلاثة أصناف من الدهون في أوان قيمة، كما استعملن أنواعاً من الذرور الثمينة مثلما يستعمل نساء اليوم

وشاع استعمال العطور والمساحيق وحمامات اللبن ووسائل تجميل أخرى في أظلم الأوقات من العصور الوسطى ! بل لقد عمت البدع المتبعة، ونقلت من الشرق إلى الغرب وبالعكس بواسطة الصليبيين الذين أحضروا الفرسان وعرفوهم أسرار التجميل التي كانت محفوظة في (الليفان Levant) أي شرق بحر الروم

أسباب لها تأثيرها في طابع الأمم

في سنة ١٧٧٠ م قدم اقتراح للبرلمان الانجليزي ، يهدد بتحريم أي زواج لإحدى رعايا الملك إذا استعملن الروائح والأصباغ والدهون، كما حرم اتخاذ الأسنان الصناعية وغيرها. ولست أدرى إذا كان هذا الاقتراح هو السبب في شدة اعتدال المرأة الانجليزية في استخدام أصباغ الوجه ، وانصرافها عن عمليات التجميل التي تحسن الأسنان الشائهة مثلاً ، فإن الانجليز ناس تقاليد ونظم !

وهل يمكن أن يكون هو السبب ذاته في عدم تشجيع القوم هناك على العناية بالنظافة الشخصية ، مضافاً إلى ذلك حالة الجو !

أظن أنهما معاً السبب المباشر في الروائح التي تنبعث من بعض المجتمعات الإنجليزية مما ينفر من حضورها أو الإقبال عليها ، لا سيما إذا ما كانت في أمكنة ضيقة

حاولت بعض المستعمرات الأمريكية أن تسن قوانين مشابهة لتلك ، قاصدة إلى إحباط نشاط المرأة في سبيل التزين ولكنها لم تفلح كثيراً

أما النساء الفرنسيات في بلاط لويس الثالث عشر فكان لهن ملء الحرية في استعمال الدهون من أغلى الأنواع ، وبذلك ساعدن على اختراع وتركيب العطور والكريمات وجميع المنتجات التي تزيد من جمال المرأة على أساس صناعي تجاري

وأظن من الواضح ما نشاهده من تأثير تلك الحرية بالنسبة لفن التجميل عنـد المرأة الفرنسية التي تغالي جداً في استخدام الأصباغ والعطور بحسن تصرف وذوق حسن كما سبق أن نوّهنا

ولقد روج هذا ، دون ريب، تجارة وسائل الزينة وصناعتها ، وأحدث موجة من نوع خاص في جملة بلاد ولا سيما في الولايات المتحـدة .

زنجيات أمريكا يعصبن سيقانهن بأسلاك معدنية لتصير دقيقة

فمثلاً حلاقو الشعر وأصحاب محال التجميل وأطباء جراحات التجميل للوجه والجسم ، وغير هؤلاء من الإخصائيين تعاونوا مع الصيدليين والمجربين على اختراع طرق ووسائل لما تركته الطبيعة بدون تشكيل حسن في نظر العصر وذوق التطور ، أو ما سببه شذوذ الخلقة من نقص أو ما فعلته تأثيرات ظروف حياتنا الحاضرة

ومن عوامل التوفيق أن تدخلت الحكومات فى هذا العمل من ناحية تقييد المقادير ومراقبة المركبات الكحولية خصوصاً المركبات السائلة

أما الصناعات الإضافية مثل صناعة القوارير الجميلة للروائح وآنية التررود وأصباغ الشفاه وأشباهها فساعدت كثيراً على رواج استعمالها

على أنه مع كل الذى أسلفنا لايزال هناك معارضة من بعض النواحى للتزين واستخدام الأصباغ : من ناحية الفضيلة من جهة، ومن جهة أخرى من ناحية مبدأ الإنسان الشخصى الذى لا يتفق والصورة المصطنعة التى تظهر بها الفتاة الحديثة والسيدة المقلدة

ولكن ما العمل و (الموضة) معلمة شاقة الرسالة والتطور سنة الحياة ؟

إن كثيراً مما يظهر مجرد بدعة وعجب لأول وهلة أصبح ضرورة ملحة فى سبيل المجاهدة للحياة التى يتعرض لها كثير من السيدات اللائى يضطلعن بالوظائف والحياة العملية

فعارضة الأزياء ، والبائعة ، والتشريفية ، والزوجة ، والفتاة التى تنتظر الزواج ، عليهن جميعاً أن يكن أنيقات غير متبرجات ، ولا داعى لأن ننبه الأذهان أيضاً إلى ما يستلزمه موقف الممثلة والراقصة والمغنية .

لقد أصبحت روح العصر تحتم أن تكمل ما تنقصه الطبيعة ، وأن نصلح ما تخطىء فيه ، لهذا تقدم المختصون فى التجميل بأنواعه جالبين معهم جميع ما يستطيعونه من المغريات للتزين ومحرضين عليه بشتى وسائل الإعلان .

لا عجب إذا فى نهوض فن من أقدم الفنون، تدرج فى نشوئه من مئات السنين ، وليس مما يطمس هذه الحقيقة ، أو يحط من قدر الفن ذاته ، الفكرة التى سادت بين الناس من نحو قرن أو أكثر قليلاً ، وهى أن الوسائل الاصطناعية للتجميل ليست إلا مغريات لسفلة نساء الأمم . إنما شدة مغالاة النساء فى التزين راجعة إلى قفزة عنيفة قفزتها المرأة لتحطم بعض ما تبقى من القيود الثقيلة التى شلت حركتها ، وعطلت تفكيرها طويلاً .

وما إسرافها الذى نلحظه ولا نوافق عليه إلا رد الفعل الذى يأتى بعده الإصلاح والتوجيه ، وهذا ما سيكون موضع عنايتنا إن شاء الله .

زينب الحكيم

الحيـــاة

للدكتور محمد محمود غالى

من البويضة للشيخ — فيم تختلف المادة الحية عن المادة عديمة الحياة — الكربون مكون أول للحياة — ذرة الراديوم — الشبه بين الحياة والمغناطيسية والنشاط الاشعاعى — أعمال « ليب » — إمكان تطور البويضة والحصول على كائن لا يحافظ على جنسه — آمال التجديد فى هذا السبيل

نرقى مدارج الحياة ، وننتقل خلال ذلك من حالة لأخرى ، من طفل يلهو ويعبث بما يراه ، إلى غلام يلعب ويُعنى بتافه الأمور ، إلى شاب ممتلئ حركة ونشاطاً ، يكبُّ على العمل ويقوم بدوره فى المجتمع ، إلى رجل يهتم لأبنائه أكثر من اهتمامه لنفسه ، إلى كهل يتهالك فى خدمة عشيرته وبلاده ، ثم إلى شيخ لا يستطيع قليلاً ولا كثيراً ، يستند إلى عصاه إن تعسّر عليه السير ، ا كتفى بمقعد فى حديقة المنزل ، حتى إذا تعسّر عليه هذا أيضاً قضى أيامه الأخيرة فى مضجعه ، طوراً بين ذكريات الماضى ومرارة الحاضر ، وتارة بين الداء وزجاجة الدواء ، كلنا نعرف آخر القصة ، وكلنا نعرف نهاية الهرَم المحتوم .

هذه طريق الحياة ، كلنا عابرها ، من البويضة الضئيلة فى الرحم قبل مولد الطفل ، إلى هيكل مهجور فى الرَّمس بعد التجرد من الحياة — تُرى ما هى الحياة ؟ وفيم يختلف الإنسان عن العصفور ، والعصفور عن التفاحة ، وهذه عن المحبرة التى نستعين بها لنبعث للقارئ بهذا النوع من التفكير .

***

لقد ذكرنا أن جزيئات المادة عديمة الحياة هى ذرات كيميائية ، وأن الذرة تتركب من نواة مركزية يدور حولها الكترونات[1] . وذكرنا أن المركبات المادية للكائن الحى هى ذرات كيميائية مألوفة ، وأن العلماء يعتقدون أنه قد حدث أن مجموعة من هذه الذرات تجمعت بطريق المصادفة بالكيفية الموجودة بها اليوم فى الخلية الحية ، وتساءلنا : هل المادة الحية هى مجموعة من الذرات المادية ، أم هى هذه المجموعة مضافاً إليها الحياة ؟

أما أن المادة الحية تختلف عن المادة التى لا حياة بها اختلافاً يدل على وجود عناصر كيميائية جديدة لا نعرفها فى الثانية ، فهذا لا يقوم عليه أى دليل ، فكل أنواع الذرات الموجودة فى إحداهما موجودة فى الأخرى ، فلا فارق هناك بين مادة ومادة من حيث أنها عناصر كيميائية

على أن الذى يستطيع أن يؤكده العلماء ، أن المادة الحية مركبة من ذرات معتادة ، لا تختلف إلا فى أن لها قابلية عظيمة للتماسك أو التجمع Coagulation فى جزئيات كبيرة بنوع خاص ، بمعنى أن معظم الذرات الأخرى المكونة للمادة المجردة عن الحياة ليس لها هذه الخاصة . خذ مثلاً الماء باعتباره المادة الأكثر شيوعاً أمامنا على سطح الأرض ، فإن ذرات عنصرية الهيدروجين والأوكسجين تتحد لتكون إما جزئيات هيدروجينية أو أكسوجينية أو ماء[2]

على أن أيّا من هذه المركبات لا يحوى أكثر من أربع ذرات ، كذلك لا يتغير الموقف بإضافة الأزوت ، فإن جزئيات مركباته مع العناصر السابقة تحوى ذرات قليلة ؛ بيد أن وجود

(١) هذه النتائج تتأثر اليوم بالأعمال العلمية التى يقوم بها الآن لويس دى بروي (Louis de Broglie) عضو المجمع العلمى الفرنسى وأستاذ السوربون وحائز لجائزة نوبل ، كذلك بأعمال شرودنجر Shrodinger وغيرهما مما سيكون موضوع مقالاتنا فى المستقبل

(٢) كذلك الأوزون والماء الأوكسوجيني مجموعتان لجزئيات من عنصرى الهيدروجين والأكسجين

الكاربون مع هذه العناصر يُغيّر الموقف كلية ، إذ تتحد ذرات هذه العناصر مع الكاربون لتكوّن جزئيات تحوى الواحدة منها آلافا بل عشرات الآلاف من الذرات ، ويتكون جسمنا الحى من هذا النوع من الجزيئات الكبيرة

وقد كان يعتقد العلماء ، منذ قرن من الزمان ، لزوم قوة حيوية خاصة ، لإحداث هذه الجزيئات الكبيرة . على أن « فولر » (Wohler) استطاع بالوسائل الكيميائية أن ينتج أحد المركبات البولية (L'urée) ، وهو نتاج حيوانى كما تمكن علماء غيره من الحصول على مركبات حيوية أخرى

ولنعد إلى الكلام على ذرة الكاربون العجيبة فى كونها مكونة أولى للحياة ، فنرى أنها تتألف من ستة ألكترونات تدور حول نواة مركزية ، كستة سيارات تدور حول الشمس ، ولا يختلف الكاربون عن البورق (Bore) والأزوت أقرب الذرات شبهاً به فى الجدول الكيميائى ، إلا فى أنه يزيد سياراً واحداً عن البورق ، كما ينقص سياراً عن الأزوت ، ويبدو أن هذا الفارق البسيط هو الذى يعين كون المادة كاربوناً أو غيره ، وبالتبع يعين إمكان دبيب الحياة فيها ، أو استحالة ذلك

ومن هنا نتساءل ، عما إذا كانت الذرة التى لها ستة سيارات تدور حولها ، لها خواص استثنائية ترجع بها لسر من الأسرار العلمية التى لم تُكشف لنا ؟ إن الرياضة الطبيعية ، كما يقول السير جينز لا تجيبنا اليوم على هذا السؤال

وتدلنا الكيمياء على ظواهر أخرى تشبه ذلك أشار إليها السير جينز فى كتابه[1] وتبدو فى نظرى أهم ما فى هذا السفر الجليل ، فالمغناطيسية مثلاً تبدو واضحة فى الحديد (وذرته ذات ٢٧ ألكترونا) وتبدو بدرجة أقل فى النيكل (وذرته ذات ٢٦ ألكترونا) وفى الكوبلت (وذرته ذات ٢٨ ألكترونا) ويلاحظ أن لذرات هذه العناصر الثلاثة عدداً من الألكترونات متتابعاً ، كما يلاحظ أننا لا نرى فى كل العناصر المادية الأخرى المعروفة لنا أى أثر للمغناطيسية ، فالمغناطيسية إذن ظاهرة خاصة بالذرات التى لها هذا العدد من الألكترونات

(١) كتاب السير جينز (Sir James Jeans) العالم الغريب ترجمه للفرنسية بيلودل وروسينيول (Billaudel et J. Rossignol) مطبعة هرمان باريز (١٩٣٣) .

ولدينا فى العلوم الطبيعية مثال آخر ، هو النشاط الإشعاعى ، وهو ظاهرة نراها فى العناصر التى لذراتها من ٨٣ إلى ٩٢ ألكترونا والتى تبدأ فى البزميث ورادون الراديوم وتنتهى فى الأورانيوم ، وقد بينا بالشكل الكيفية التى عليها ذرة الراديوم وفق بعض الاتجاهات الحديثة ، فهى كما تراها مركبة من نواة وسطى يدور حولها عدد كبير من الألكترونات يبلغ ٨٨ ألكترونا كما هو مبين بالشكل

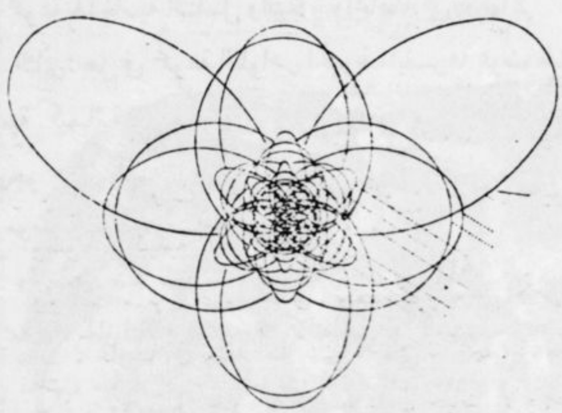

ذرة عنصر الراديوم كما يعتقدها العلماء ويتحرك فيها ٨٨ ألكترونا

على أن هذه المقارنة بين المغناطيسية كظاهرة والنشاط الإشعاعى الذى يبدو ظاهراً فى الراديوم كظاهرة أخرى ، هذه المقارنة توجهنا إلى أن نضع الحياة فى قائمة الظواهر الطبيعية الأخرى كالظواهر المتقدمة

وعلى هذا الأساس ، فإن العالم مربوط بقوانين معينة ، ووفق هذه القوانين يبدو أن للذرات التى لها عدد معين من الألكترونات (٦ ثم من ٢٦ إلى ٢٨ ثم من ٨٣ إلى ٩٣) لها خواص مُعيّنة ، يظهر أثرها فى الأولى بالحياة ، وفى الثانية بالمغناطيسية ، وفى الثالثة بالنشاط الإشعاعى وفعل الراديوم .

***

فالذرة إذن فى جزىء المادة الحية لا تختلف فى مجموع ما فيها عن الذرة فى المادة المجردة عن الحياة ، ولكلتيهما إذن نظام أشبه بالنظام الشمسى للمادة الذى سبق التحدث عنه ، وإن كان من الصعب أن نمثل على الورق جزيئا من المادة الحية لكثرة عدد ذراته وبالتابع ألكتروناته كما مثلنا على الورقة الآن ذرة الراديوم . وبعبارة أقرب للوضع العلمى : إن كل ما يؤلف المادة الحية هو جسيمات أو كهارب فى حركة ممكن إرجاعها يوماً إلى علاقات ترتبط

بالبحرين الكبيرين اللذين يغمران كل الكائنات : الحيز والزمن ، وبعبارة واضحة : إن المادة الحية كالمادة عديمة الحياة ، ترجع فى النهاية إلى حركة أو اعتبارات ألكترونية فى الزمان والمكان .

***

بقى أن نتساءل عن أمرين :

الأول: هل يجوز إذن، ابتداء من مادة عديمة الحياة، أن نحصل فى مختبراتنا على مجموعة من المواد الحية كالمجموعة المكونة لنا ؟ أى مجموعة لها خاصية التناسل والتكاثر والمحافظة على نوعها ؟

الثانى: هل فى مجموعة الظواهر الحيوية ما يفسرها بموضوعات طبيعية كيميائية ؟ وبعبارة أوضح ، هل يمكن بمعلوماتنا الحالية ، وبالرجوع إلى الميراث العلمى أن نرجع مجموع الظواهر الحيوية إلى موضوعات طبيعية كيميائية ؟

ولو أننا بعد التحرى الجدى ، وجدنا الإجابة على الأمرين بالإيجاب ، لجاز لنا أن نعتقد أننا كالتفاحة التى نأكلها ، والمحبرة التى نكتب بها ، بل لجاز لنا أن نعتقد أن لحياتنا الاجتماعية والأخلاقية ، أساساً علمياً ، يرجع إلى قواعد تتوافق مع نتائج البيولوجيا العلمية والطبيعية النظرية التجريبية

أيستطيع البيولوجيون والطبيعيون أن يرجعوا يوماً كل مظاهر الحياة ، كل ما فيها من صفات وغرائز موروثة ، حتى عظمة الرجل الذى يموت فى سبيل بلاده وهو راض ، حتى حنان الأم التى تتفانى فى سبيل أولادها وهى سعيدة ؟ أيستطيع العلماء إرجاع كل هذا ، كل ما فى الرجل من إرادة وآمال ، كل ما فى الأم من عطف وحنان ، إلى حوادث داخل أجسامنا ، تجد تفسيرها المادى فى الكيمياء والطبيعة والرياضة ؟ هذا ما أريد أن ألم به فى ختام هذا المقال

***

للعالم ليب J. Loeb أستاذ جامعة بركلى بالولايات المتحدة كتاب[1] عنوانه La Conception mecanique de la vie أى الفكرة الميكانيكية للحياة ، صادف نجاحاً فى أمريكا ، ترجمه إلى الفرنسية العالم المعروف هنرى موتون Henri Mouton أستاذ الكيمياء الطبيعية فى السوربون ، صادفت ترجمته أيضاً نجاحاً حتى أصبح البعض يعرف « موتون » بها أكثر مما يعرفه باكتشافه

(١) هذا الكتاب فى المجموعة المعروفة باسم إميل بورل (Emile Borll) الطابع فلكس ألكان (Félix Alcan)

للألترا ميكروسكوب وبأبحاثه[1] فى « تأثير المجال المغناطيسى على الظواهر الضوئية »

لقد لازمت موتون سنوات عديدة ، وطالما جمعتنا الأيام منفردين فى مَخْبَره بمعهد باستير ، وطالما حدثنى فى العلوم بما لا يَمُتّ لعملى فى شىء ، وكان لهذه الاجتماعات أثر فى تكوينى ، وعجيب أنه لم يذكر « موتون » يوماً شيئاً عن « ليب » ، ولم أشعر أن أعمال الأخير شغلت يوماً حيزاً من فكر صديقى العالم

وعند ما افترقنا فى سنة ١٩٣٥ بوفاة « موتون » وبعودتى إلى مصر ، اقتنيت بطريق المصادفة تلك الترجمة المتقدمة التى أخرجها الآن من مكمنها بين الكتب بعد أن ظلت محتجبة أربعة أعوام ، لأستدل من رجل قضى سنين طويلة من حياته فى البحث التجريبى على الإجابة على ما تقدم ، ولأستدل على ما قد يُرضى رغبتى أن أجد فى الحياة أمراً غير التفاحة التى نأكلها ، والمحبرة التى أستملى منها

والواقع أنه قد نجح « ليب » وغيره نجاحاً باهراً فى نواحى تجاربه العديدة ، هذه التجارب التى هى آية فى الدقة والتى تبعث على الإعجاب فى الوصول إلى تفسير مادى لكثير من الظواهر الحيوية ، هذه التجارب التى وإن انحصرت فى مخلوقات كالأسماك والحشرات إلا أنها قد تمتد يوماً إلى الحيوانات العليا كالإنسان .

وعند «ليب» وزملائه أن اتجاه الفراشة نحو الضوء فى خط مستقيم ليس إلا أثراً ضوئياً كيميائياً Effet Photo-Chemique ، بل إن تلقيح البويضة وإمكان تطورها إلى مخلوق دون الالتجاء إلى الحيوان المنوى Spermatozoide أو بالالتجاء إليه ، له عند « ليب » ومعاصريه تفسير كيميائى طبيعى

على أنه إذا كان العلماء قد يحصلون الآن على مادة عديمة الحياة فإنه مما لا شك فيه أنه لم يمكن حتى الآن إلا تحضير مجموعة من نواة مختلفة للخلايا ولكنها مجموعة لا تصلح أن تكون خمائر تتكاثر وتحافظ على جنسها ، بالشكل الموجودة فيه فى الأحياء

لتكن عقائدنا بحيث يجمل بنا أن نمتلئ إيماناً بتقدمنا ، يجمل بنا ونحن ندرس أعمال العلماء الجيدة أن نعتقد أنه إذا كان

(١) لمسيو كوتون وموتون ظاهرة معروفة باسم ظاهرة « كوتون موتون » باسم العالم الكبير أستاذى كوتون رئيس المجمع العلمى الفرنسى الآن ، تذكرنا هذه الظاهرة بظاهرة زيمان وستارك الذين يعرفهما المشتغلون بالعلوم الطبيعية ، وإن اختلفت عنهما

لم يتح لأحد منهم حتى اليوم أن يوجد المادة الحية بطريقة يتكون بها كائن يتناسل ويحافظ على جنسه من مادة مجردة عن الحياة فإنه ليس من حقنا ولا فى مقدورنا العلمى ، أن نجزم بأن هذه الغاية ضرب من المحال

إن أعمال «ليب» وغيره تدعو للإعجاب . وإذا كان قد نجح ونجح معه معاصروه فى أن يُرجع كل التطورات التى تتم عند تلقيح البويضة إلى مسائل كيميائية طبيعية ، بل نجح فى تعهد بويضة لم يلقحها الحيوان المنوى بحيث نتج منها كائن له قلب ومعدة وهيكل عظمى ، وتنقصه الدورة الدموية اللازمة لاستمرار الحياة ، كائن استطاع أن يعيش على هذه الأرض شهراً من الزمان — فإنه ما زال أمام العلماء إحداث كل ذلك بالاستغناء عن البويضة نفسها وعن كل ما يمس الحياة .

أيستطيع إنسان أن يوجد ، ابتداء من الذرات مهما تنوعت والألكترونات مهما تعقدت ، كائناً آخر ؟ كائناً يتطور ويترقى ليكون يوماً أو بعد ملايين السنين مثلك ومثلى ومثل « موتون » و « ليب » ؟ هذه مسألة ما زال العلم النظرى والتجريبى بعيداً جد البعد عن الوصول إليها ، وإن كانت العلوم التجريبية تحتم علينا ألا نعتبرها ضرباً من الخيال

على أنه عند القرب أو الوصول إلى هذه الحدود ، يكون العلماء قد أحدثوا فى العلم تطوراً يفوق بكثير ما أحدثه جاليليو ونيوتن فى القرن السابع عشر ، وما يحدثه بلانك وأينشتاين ودى بروى فى العصر الحاضر .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ، ليسانس العلوم الحرة
دبلوم المهندسخانة

ما هى الحيــــاة ؟
وكيف ظهرت على الأرض ؟
للأستاذ نصيف المنقبادى

وحدة النباتات والحيوانات

يعتقد جمهور الناس أن الحيوانات (ومن بينها الإنسان) والنباتات والجمادات يختلف كل منها عن الآخر اختلافاً جوهريًّا كليًّا . وكانوا يعلموننا فى المدارس أن هناك عالم الحيوان وعالم النبات وعالم الجماد ، وأن كلاً منها مستقل تمام الاستقلال عن غيره . ولا شك فى أن من يلقى نظرة سطحية عليها يجد أنها تختلف فى الظاهر . فالحيوان يتحرك ، والنبات ينمو ، والجماد يبدو كأنه ثابت لا يتغير . ولكن الذى ينعم النظر ويدقق على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة يتضح له أن هذه كلها اختلافات ظاهرية لا حقيقة لها فى الواقع

ونقصر اليوم حديثنا على وحدة النباتات والحيوانات (ومنها الإنسان) والصفات المشتركة بينهما وهى مميزات الحياة بعينها . ونبحث فى مقال قادم عن وحدة الأحياء عموماً (الحيوانات والنباتات والجمادات) لنستخلص من ذلك ماهية الحياة وكنهها وكيف أنها ظاهرة طبيعية مثل باقى ظواهر الطبيعة . ثم نشرح فى مقال آخر كيفية ظهورها على الأرض بفعل العوامل الطبيعية ، وعلى الأخص طاقة الشمس التى كانت تشتمل فى ذلك الماضى البعيد جدًّا على الكثير من الأشعة فوق البنفسجية وعلى إشعاعات أخرى أكثر مما تحتوى عليه الآن . وأخيراً نتكلم عن المواد المتوسطة بين الأحياء والجمادات كالخمائر الذائبة فى الماء وكالمعادن الغروية المدهشة التى تتصرف مثل الكائنات الحية فى أهم أحوالها

مميزات الحياة المشتركة بين الحيوانات والنباتات

نطلق على جميع الحيوانات (ومن بينها الإنسان) وجميع النباتات اسم « الأحياء » أو الكائنات الحية » . ونقول عن كل فرد منها إنه « حى » . وهذا يدل على أنها تشترك جميعها فى بعض صفات وظواهر هى التى تميز الحياة وتجمع بين الكائنات الحية على اختلاف طوائفها وأنواعها وأفرادها . كالشكل النوعى ، والتكوين الخلوى ، والتركيب الكيميائى ، والتغذي ، والتنفس ، والتحرك الذاتى والتطور الفردى والنوعى . وسيرى القارىء أن هذه الصفات وإن كانت تميز ـ مجتمعة ـ الكائنات إلا أنها ليست خاصة بها كما سنثبت فى مقال قادم ، بل هى توجد ولكن مشتتة أو مبعثرة فى الجمادات ، وكل ما فى الأمر أنها إذا اجتمعت فى جسم واحد قيل عنه إنه « حى » .

فلنستعرض هذه المميزات المشتركة لنقول كلمة موجزة عن كل واحدة منها لأن مقام التفصيل فى كتب البيولوجيا . وحسبنا أن يكون فيما نورده هنا مقدمة أو تمهيد يسهل لقراء الرسالة الوقوف على الأبحاث الجديدة العظيمة التى كشف عنها العلم فى الثلاثين سنة الأخيرة مما سنشرحه فى المقالات القادمة .

الشكل النوعى : لكل نوع من الكائنات الحية شكل معروف خاص به يميزه من غيره لأول وهلة . وتستوى فى هذا الحيوانات والنباتات ، كما أن لبلورات الجمادات والمواد المعدنية المبلورة أشكالاً هندسية ثابتة خاصة بكل نوع كيميائى منها تميزه من سواه .

وأشكال الحيوانات والنباتات تظهر ثابتة فى مدة معينة من الزمن . ولكن إذا نظرنا إليها خلال ملايين السنين ـ على ما تبدو لنا فى البقايا المتحجرة فى طبقات الأرض المختلفة التى تكونت فى الأعصر الجيولوجية القديمة المتعاقبة نجد أنها غير ثابتة ، بل إنها فى تغير وتحول مستمرين بفعل العوامل الطبيعية ، والمؤثرات الجوية وتقلباتها ، وتنازع البقاء بين الفصائل والأنواع والأفراد ومايترتب على ذلك من الانتخاب الطبيعى وبقاء الأنسب وانقراض غير الملائم للبيئة الجديدة والظروف الطارئة . غير أن فعل الطبيعة هذا تدريجى بسيط لا يظهر أثره إلا فى ملايين السنين فيخيل لنا أن أشكال الحيوانات والنباتات ثابتة على الدوام ، ولكن الحيوانات والنباتات المتحجرة التى عثر ويعثر عليها العلماء كل يوم فى مختلف طبقات الأرض فى جميع أنحاء الكرة الأرضية تدلنا على عظم تحول الأنواع وتسلسل الحديث منها من القديم . ويكفى أن نزور

الإنسان أحد المتاحف الجيولوجية فى أوربا ليقتنع بهذه الحقائق الثابتة التى يؤيدها من جهة أخرى علم التشريح التقابلى وعلم تكوين الجنين (يراجع المقال القيم الذى نشر أخيراً عن هذا الموضوع بمجلة « الرسالة » للأستاذ عصام الدين حفنى ناصف)

التكوين الخلوى : إذا فحصنا بالميكرسكوب أية قطعة من جسم الإنسان أو أى حيوان أو أى نبات نرى أنها مؤلفة من خلايا صغيرة متلاصقة لا ترى بالعين المجردة ، والخلية مكونة من مواد زلالية بها قليل من مواد دهنية وسكرية ، وفى وسطها نواة من مادة زلالية خاصة ، ويحيط بها فى أغلب الخلايا غشاء من مادة زلالية أخرى فى الحيوانات ومن مادة السيليلوز (مادة القطن) فى النباتات، والشكل العام للخلايا الحيوانية والنباتية واحد ولا سيما فى الأدوار الأولى من تكون الجنين ، ولكن الخلايا تختلف بعد ذلك بعض الاختلاف فى تفصيلاتها باختلاف وظيفة كل نسيج تدخل فى تكوينه ، كالخلايا العصبية وخلايا العضلات وخلايا الجلد وكالخلايا التى تدخل فى تركيب الأوراق وأعضاء الزهرة والخلايا الخشبية والخلايا التى تؤلف منها الطبقة المولدة فى غصون النباتات.

وتوجد إلى جانب هذا كائنات من خلية واحدة وهى الحيوانات والنباتات الأولية التى لا ترى إلا بالميكرسكوب ، وكذلك كرات الدم البيضاء والحمراء

التركيب الكيميائى : تشترك جميع الأحياء من حيوانات ونباتات وإنسان فى تركيبها الكيميائى وهو تركيب الخلية نفسها ونعنى به ذلك الخليط من المواد الزلالية والدهنية والسكرية أو النشوية المتقدم ذكرها ، وبعض مواد أخرى إضافية ثانوية قد توجد فى بعض الخلايا ولا توجد فى غيرها

التغذى : معلوم أن النباتات تتغذى مثل الحيوانات . ذلك أن مادتها الخضراء (الكلوروفيل) تستعين بالطاقة الإشعاعية الكامنة فى ضوء الشمس لتحليل غاز حامض الكربون المنتشر فى الجو ، وتنتزع منه الكربون: (الفحم) وتمزجه بالماء الذى تمتصه جذورها من الأرض فيتولد النشا الذى يتحول تارة إلى السكر وتارة إلى السيليلوز ومادة الخشب ، وتتولد أيضاً على هذا النحو المواد الدهنية وتراكيب وأحماض عضوية أخرى ثلاثية : (مكونة من كربون وهيدروجين وأوكسيجين) . وتمتص جذور النباتات فى الوقت نفسه من الأرض — مع الماء — تراكيب الأزوت مثل الأزوتات : النترات وأملاح النشادر ، وكذلك بعض مواد معدنية أخرى . وهذه المواد الأزوتية تمتزج بفعل قوة الشمس أيضاً بالسكر أو النشا ، وبالمواد الدهنية والأحماض العضوية المشتقة من كربون الهواء على الوجه المتقدم بيانه ، فتتولد المواد الزلالية التى هى أهم غذاء لها : أى للنباتات وللحيوانات ومنها الإنسان . وخلاصة القول أن النباتات تتغذى مثل الحيوانات وتتناول لغذائها نفس المواد التى تتغذى بها الحيوانات وهى : المواد الزلالية ، والمواد الدهنية ، والمواد السكرية أو النشوية .

كما أن الغرض من التغذى واحد فى الحيوانات والنباتات وهو، أولاً : توريد المواد اللازمة لتشييد بناء الأجسام الحية أثناء نموها وإصلاح ما يتلف ويستهلك منها. ثانياً : وهو الأهم، احتراق المواد الغذائية — بعد هضمها وامتصاصها — داخل أنسجة الجسم وخلاياه لتوليد الطاقة (التى كانوا يسمونها بالقوة فيما مضى) . والحرارة اللازمتين للقيام بأعمال الحياة ووظائف الأعضاء .

التنفس : ويلحق بالتغذى التنفس ، ولا يخفى أن النباتات تتنفس مثل الحيوانات أى أنها تمتص الأكسيجين من الهواء وتفرز غاز الحامض الكربونيك ، ولها مسام فى أوراقها وغصونها لهذا الغرض ، كما أن الغرض من التنفس واحد فى الحيوانات والنباتات وهو احتراق المواد الغذائية لتوليد الطاقة (القوة سابقاً) والحرارة الضروريتين لأعمال الحياة. وقد عرّف علماء الفسيولوجيا الحياة بأنها احتراق أوتأكسد La vie est une combustion

التحرك : والحركة لا تختص بها الحيوانات دون غيرها فإنه توجد — من جهة — طائفة كبيرة من الحيوانات السفلى تعيش ثابتة فى مكانها لا تتحرك منذ نشأتها ، وهى تتولد بعضها فوق بعض فى قاع البحار فتتكون منها جزر وهضاب لها شأن كبير فى علم الجيولوجيا مثل الحيوانات الجوفاء أو المرجانية وغيرها . وإلى جانب هذا توجد نباتات تتحرك حركة ذاتية من تلقاء نفسها مثل الأنواع المفترسة (يراجع المقال الذى نشر فى هذا الصدد أخيراً بمجلة الرسالة للأستاذ رضوان محمد رضوان) . ومن النباتات المتحركة النبات المعروف باسم المستحية La sensitive ومنها فصيلة كاملة من النباتات الطحلبية المائية Algues ، وهى الفصيلة المسماة « بالمهتزة » Oscilaires ومنها جرثومة التلقيح فى النباتات السفلى فإن لكثير منها شعرة طويلة فى مؤخرها أو أهداباً عديدة حولها تستعين بها على العوم فى الماء فتتحرك وتنتقل وتروح وتجئ ، لا فرق فى ذلك بينها وبين الحيوانات الصغيرة ذات الخلية الواحدة

ولهذا سميت Zoospor أى الجرثومية التلقيحية الحيوانية ، وهى نبات محض

ولولا ضيق المقام لبيّنا أن السبب فى عدم تحرك النباتات فى مجموعها يرجع إلى مادة السيليلوز الجامدة التى تتركب منها أغشية خلاياها فتمنع امتداد الحركات المحلية الحاصلة على الدوام داخل كل خلية وذلك خلافاً للخلايا الحيوانية

التلقيح والتناسل والتطور : تتناسل النباتات كالحيوانات للتلقيح فى أغلب الأحوال (ولكن ليس فى جميعها على الإطلاق) وينشق أو يولد كل فرد منها من فرد مماثل له ، ثم ينمو بالتغذية ، ثم يتناسل ويتكاثر بدوره ، ثم يضعف ويموت متأثراً بما يتراكم فى أنسجته من بقايا احتراق المواد الغذائية ومن تعفن فضلات الطعام داخل جسمه قبل إفرازها، عدا الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة فإنها أحياء خالدة لا تموت إلا إذا طرأ عليها حادث مهلك يقتلها كأن يجف مثلاً الماء الذى تعيش فيه أو يفسد.

وحدة الحيوانات والنباتات

ينتج مما تقـدم أنه ليس هناك فرق جوهرى بين الحيوانات والنباتات حتى لقد حار العلماء فى إيجاد حد فاصل بينهما أو محك للتمييز بين بعض الأحياء السفلى الملتبس فى أمرها لمعرفة هل هى حيوانات أم نباتات . ولم يجدوا أمامهم غـير فاصل واحد هم أول من يعترفون بأنه سطحى ظاهرى ونعنى به مادة السيليلوز التى تتركب منها أغشية الخلايا النباتية فإنه لا وجود لها فى الحيوانات

ولـكن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات فى جميع أدوار حياتهـا لأنه توجد بعض الأنواع السفلى من النباتات الفطرية (Champignon) من فصيلة الميكزوميست تقضى حياتها كلها أو معظمها دون أن تكون لخلاياها أغشية من أى مادة كانت . غير أنه إذا ساءت الأحوال الجوية أفرزت هذه النباتات حول نفسها مادة السيليلوز فتتقى بهذا تقلبات الجو . أما فى باقى الفصول المعتدلة فإنها تعيش خاليةً من هذه المادة .

ثم إنه من جهة أخرى توجد فى جميع الحيوانات مادة تُعد شقيقة السيليلوز من الوجهة الكيميائية وهى السكر ، فـكلاهما مكون من امتزاج الفحم بالمـاء ولـكن على نسب مختلفة فى كل منهما . ولذلك أطلقوا على هذه المجموعة اسم « هيدرات الـكربون » التى منها أيضاً النشا ومادة الخشب

وهناك فاصل فسيولوجى بين الحيوانات والنباتات قد يكون أهم إلى حد ما من الفاصل المتقدم وهو كيفية التغذى فى كل منهما. فقد قلنا فيما تقدم إن الحيوانات والنباتات تتغذى على السواء ، وأنه لا بد لغذائهما من نفس المواد الزلالية والدهنية والسكرية ، ولـكن الفرق بينهما هو أن الحيوانات تتناول هذه المواد مركبة مهيأة من الحيوانات الأخرى أو من النباتات . أما النباتات فإنها بحكم تكوينها لا تستطيع أن تتناولها مركبة (مع استثناء النباتات المفترسة) بل تركبها أولاً من الهواء والماء والأرض بفعل قوة الشمس بواسطة المادة الخضراء (الـكلوروفيل) على الوجه المتقدم بيانه ثم تتغذى بها

على أن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات ، فإنه فضلاً عن النباتات المفترسة توجد طائفة أخرى كبيرة هى النباتات الفطرية (Champignions) المعروفة بعض أنواعها العليا عند الجمهور فى مصر باسم « عيش الغراب » وهى خالية من المادة الخضراء فلا تستطيع أن تركب غذاءها بنفسها كما تفعل النباتات الأخرى ولـكنها تتناوله مركباً — كما تفعل الحيوانات — من الأجسام الحيوانانية والنباتية الأخرى . ومن أجل هذا نراها جميعها طفيلية تعيش على غيرها من الأحياء أو أجزائها الميتة أو مشتقاتها .

وعلى هـذا تكون النباتات الفطرية الحلقة المتوسطة بين الحيوانات والنباتات، ولولا وجود السيليلوز فيها لعدها البولوجيون من الحيوانات. فهى نبات من جهة احتوائها على السيليلوز وحيوان من كيفية تغذيتها . وفى هذا الدليل الواضح على وحدة النباتات والحيوانات وعلى تسلسلها من أصل واحد وهو الجمادات كما سنبينه فى المقالات القادمة .

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العـلوم بجامعة باريس (السوربون)

التصوير الاغريقى
فى مرحلته الأولى
للدكتور أحمد موسى

كان الفنان المصرى إذا صور جماعة من الناس أو الحيوان أو المواد ، فإنه يضعها بحيث يكون بعضها خلف بعض أو إلى جانبه ، من غير مراعاة الوضع الطبيعى الذى كانت تظهر به أمام عينيه ، وكان هذا هو الحال أيضاً عند ما أراد التصرف بعض الشيء – مثلاً – فى تصوير مائدة عليها أدوات أو مواد ، فتراه يصورها قطعة قطعة ، كما لو كانت متفرقة غير مجتمعة على مائدة واحدة ؛ ذلك لأنه لم يكن يعرف أصول تصوير المجسمات ، وعلاقة الحجم والبعد بالتصوير المنظور Perspective وكان هذا سبباً جوهرياً فى ظهور مختلف المصورات التى مثلت شئون حياته الزراعية والصناعية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، كما لو كانت متجاورة بالرغم من أن بعضها كان يجب أن يخفى البعض الآخر بحسب وضعه وراءها .

كما أن نظرة الفنان المصرى لجماعة من الناس بينها شخصية بارزة ، دفعته حيناً إلى إظهار هذه الشخصية بمقياس أكبر من المقياس الذى تقيد بتنفيذه فى مصوراته ، غير ناظر إلى موقع هذه الشخصية من حيث البعد أو القرب منه ، أو لوضعها بالنسبة إلى مجاوريها ، فضلا عن نظرته إلى جسم الإنسان على وجه الخصوص، كما لو كان شيئاً يُنظر إليه من وضعين مختلفين ؛ فتراه كما ذكرنا فى مقال سابق[1] ، نظر إلى الرأس والبطن والساقين والقدمين من الجانب ، على حين نظر إلى العينين والكتفين والبطن من الأمام .

هذا هو التقرير العلمى عن التصوير المصرى القديم ، ذكرناه لتعريف القارئ بعض الشيء عنه ، ليلمس الفوارق بين فنين قديمين أحدهما فن قومى والآخر فن مَثلى بلغ الذروة التى تدفعنا دائماً إلى تلمّس آثاره والسير على نوره والعمل على استيعابه ، والمناداة بأنه وإن لم يكن أول الفنون جميعاً إلا أنه كان ولا يزال أعظمها خطراً وأجملها مظهراً وأصدقها تعبيراً .

لذلك كله لا نشك فى أن الإغريق خلقوا فناً تصويرياً حقيقياً

ش ١ (أورفيوس المغنى الساحر)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف برلين – طابع بوليجنوت

تقدموا فيه بخطوات واسعة ووصلوا إلى نتائج باهرة .

إلا أنه لشديد الأسف لم يبق الكثير من آثارهم فيه ، وحتى الصور التى نقلت عن الأصول لا يمكن التأكد – غالباً – من صحة نقلها ، أو مطابقتها لما نُقلت عنه

وعلى ذلك فالتصوير الإغريقى الذى يمكن اتخاذه مادة لتاريخه

(١) راجع مقالنا : الفن المصرى – النحت والتصوير – بمجلة الرسالة

والوقوف على اتجاهاته ينحصر باستثناء قليل فى التصوير المرسوم على أوانى الزهر Vase Painting التى اتخذ منها الإغريق عالماً كاملاً لتصوير مختلف شئون الحياة عندهم ، وفى التصوير الزخرفى Decorotive Painting الذى جاء متأخراً ومعاصراً للرومان .

ش ٢ (سفر تيسيوس بحراً)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف بولونا — بوليجنوت

ولذلك كان معظم ما نعرفه عن المصور الإغريقى أو قل كل ما نعرفه عنه مأخوذاً من المصادر المكتوبة .

وبالرغم من أن التصوير وصل فى دقته إلى درجة مثيرة لكل إعجاب ، فإنه لم يكن ليصل إلى درجة السمو والعظمة التى بلغها فن النحت الإغريقى الخالد ، وهذا لا يمنع من ذكر بعض فنانين مصورين ارتفعوا بفنهم إلى درجة عالية لا يمكن إغفالها أو إهمالها إطلاقاً .

وإذا شئت فقل : إن الاختلاف الجوهرى بين فن التصوير الإغريقى — على قِدمه — وبين فن التصوير « الحديث » محصور فى ناحية « الظل والنور » وناحية « التلوين » Colorit .

أما من ناحية روح الفن والطابع المميز والطراز والموضوع الإنشائى وتقدير الجمال والوثوب إليه رغبة تسجيله ؛ فإن مصورات الإغريق لم تكن لتقل نسبياً عن أعمال الفنانين المحدثين .

فقد كان المصور الإغريقى قادراً على تجسيم الرسوم وإعطائها شيئاً من الحياة ، ولكنا لا نزال نكرر القول بأنه لم يصل للدرجة الهائلة التى وصل إليها النحات والمثال[1] .

وظل التصوير إلى القرن الخامس قبل الميلاد بدائياً بسيطاً ، أى أنه سار فى أول أمره بخطوات أبطأ بكثير من تلك التى سار بها فن النحت .

ولعل أول ما يمكن ذكره عنه هو أنه تطور فى مدرسة أتيكا ، تلك المدرسة التى أسسها فى أثينا الفنان بوليجنوت Polygnot of Thasos المعتبر أول مصورى العالم بالمعنى الفنى ، والذى عمل بين سنة ٤٧٥ وسنة ٤٥٥ ق . م فى أثينا .

والفنان فى اعتبارنا لا يكون عظيماً إلا إذا كان له طابع مميز واتجاه معين ، مثله فى ذلك مثل الموسيقى والشاعر والكاتب ، وإلا ففى أى شىء آخر يمكن أن تظهر هذه العظمة ؟

إن كثرة إنتاج الفنان لما يساعد دون نزاع على درس طابعه واستخلاصه من خلال هذا الإنتاج ، ولكنها لن تكون سبباً فى تعظيمه أو تخليده ؛ إذ أن من بين أساطين التصوير من كان نسبياً قليل الإنتاج ومع هذا كان عظيماً ، على حين رأينا غيره ممن كثرت لوحاتهم وبقيت آثارهم لم يكن لهم نصيب فى الخلود فى عالم الفن ، نظراً لضآلة طابعهم المميز أو انعدامه .

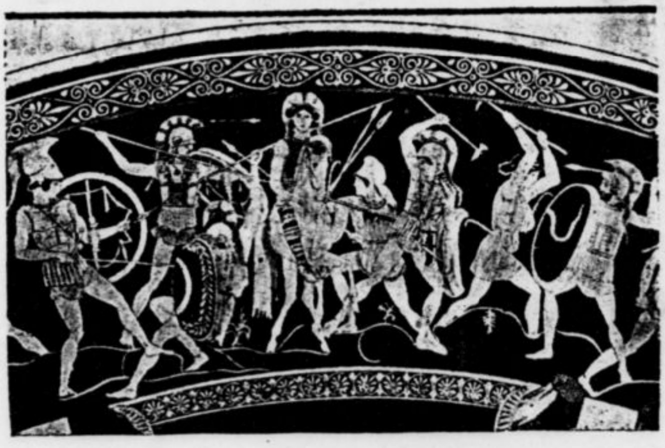

ش ٣ (عراك الأمزونات)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف نيويورك — بوليجنوت

وها هو ذا المثل بين أيدينا ، فالمصور بوليجنوت مع قلّة ما أنتجه وضآلة ما وصل إلى أيدينا من خلقه ، كان فذاً بارزاً

(١) راجع مقالينا عن فيدياس وبركسيتلس فى الرسالة (للنحت) وكذلك مقالاتنا عن أكروبوليس أثينا وبارتنون وأرشتيون (للنحت المعمارى)

لوضوح طابعه الدالّ على سمو نفسيته وقوة تعبيره ودقة ملاحظته.

ويتلخص هذا الطابع فى أنه أول من ابتدع التصوير التذكارى الذى سار فيه متجهاً نحو المثل الأعلى؛ فدلّ فى جلاء على النضوج العقلى . وإلى جانب ذلك يُعد پوليجنوت أستاذاً فى التصوير الخطى

ش ٤ (انهزام الأرجونات)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف اللوفر — مدرسة پوليجنوت

أى المكون من خطوط تحديدية خصصها لتصوير موضوعات أخلاقية أظهر فيها ناحية الجمال المثلى ، فكان كما أطلق عليه علماء الفن « مصور الأخلاق » Painter of Ethos ، ويعنون بذلك الانتماء إلى الاتجاه الفلسفى الذى يعنى بالتفرقة بين عادات الإنسان وبين ميوله لتحقيق فكرة الخير أو العمل مندفعاً نحو الشر .

على أن هذا الطابع وهذا الاتجاه ليس دليلاً على النضوج الفنى الذى لم يصل إلى نهايته فى التصوير ، ولذلك ، كما قلنا ، كانت معظم أعماله تصويراً خطياً لوّنها بألوان معدودة دون ظل ولا نور؛ فبدت أشبه شئ بصفوف بعضها وراء بعض على أرضية ذات مستوى واحد . وكان غالباً ما يرسم — فى ركن من الصورة — شجرة أو بيتاً قاصدا بذلك تمييز مصوراته متخذاً معظم مادته الإنشائية من سير الأبطال .

وأشهرما تبقى من إنتاجه صورتان حائطيتان فى ردهة الاجتماع بمدينة دِلفى ، أولاهما مثلث « تخريب تروادة ورحيل الإغريق عنها » ، وثانيهما زيارة أوديسيوس — بطل تروادة — للدنيا السفلى .

كما أن له صورة حائطية مثلت « تشاور الإخائيين » فى ردهة السوق . وغيرها تمثل « الديوسكوريين يخطفون بنات لويسپس » فى معبد ديوسكور أو معبد أبناء زويس من معشوقته إليدا Elida التى كان — كما تذكر القصة الإغريقية — يزورها وهو فى هيئة البجعة .

وكان له تلاميذ تأثروا به ونهجوا على منواله أهمهم ميكون Mikon الذى صور « أعمال ثيسيوس » فى معبد سمى باسمه ، ورسم « عراك الأمازونات » فى ردهة السوق . وتنسب إليه أيضاً (؟) صورة حائطية موضوعها « موقعة ماراتون » فى نفس الردهة ، وهى الموقعة المشهورة التى قامت فى البقعة المعروفة بهذا الاسم على ساحل أتيكا الشرقى ، والتى ترجع شهرتها إلى النصر المبين الذى أحرزه الأثينيون تحت قيادة ملتيادِس على الفرس فى ١٢ سبتمبر سنة ٤٩٠ ق . م .

ووجد حوالى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد فنان ذو طابع جعل منه رائداً لمرحلة فنية ، هو أپولودور Apollodor الأثينى ، لأنه استطاع إبراز الصور بهيئة مجسمة وذلك بإدخال التظليل فيها بعد أن كانت صوراً خطية . ولذلك يطلق عليه مؤرخو الفن « مصور الظل » Skiagrophos فخطى بذلك حظوة جديرة بالتسجيل والإعجاب .

احمد موسى

محمد القصبجى

من الوجهة الفنية

للأديب السيد محمد المويلحى

يحاول الآباء أن (يصبوا) أبناءهم فى (قوالب) المجد فيبذلوا وسعهم من جهد ومال ليحققوا هذه الأمنية المرغوبة ... ولكن القدر ... يقف وينظر ويبتسم ! لأنه يعلم أنه السيطر الآمر الذى يهيئ المستقبل الذى لا ينقض !

أراد الشيخ (القصبجى) الكبير أن يكون ابنه « محمد » صورة له ، فيلبس العمامة ، ويتثقف ثقافة دينية تهيئه للتدريس بالمدارس الأولية ، فنجح إلى حد ما ... وحصل ابنه على كفاءة التعليم الأولى وامتهن التدريس سنة . . . ولكن القدر كان يترصد الشيخ محمد الشاب المرح الذى يعبد الموسيقى ، فانتزعه من مدرسته وقلبه بين الحرمان والفقر وغضب الوالدين ، ولكنه تعلم خلال هذه المحنة كيف يتقن العزف إتقاناً عجيباً ... هذبته السنوات العجاف وربت فى نفسه رجولة قوية ، وصبراً طويلاً . فتحدى الحياة ، وتحدى الفقر وانتصر عليهما ... ثم كان ما أراده القدر (القصبجى الموسيقار)

أول من خرج من الموسيقيين بتجديد (صحيح) وابتكار طريف ، وأول من جرد فغير وبدل حتى أخرج للناس صوراً رائعة للموسيقى الفنية القوية

صاح فى الشرق صارخاً بقطعته الخالدة (إن كنت اسامح) فعرف الناس أن فى مصر صوتاً جيلاً لآنسة ترتدى العقال وتسمى (أم كلثوم) ... ! وأن فى مصر ملحناً شاباً يسمى (القصبجى) أنقذ (التخت) الشرقى والمصرى من جموده ، ونفض عنه ثوب (اللل) الذى كان يعلوه .

(إن كنت اسامح) ، هذا (المنولوج) الذى لحنه من نغمة (الماهور) بشكل لم يسبقه إليه سابق ، وقد بلغ من الذيوع والشهرة ما حبب الناس فى الموسيقى ولفت نظر الملحنين إلى هذا الفتح الجديد . وقد بلغ من إقبال الناس على شراء هذا (المنولوج) أن باعت منه شركة أوديون مليوناً ونصفاً من الاسطوانات ابتدع فن التطويل والمد ، وأدخل على التلاحين الشرقية لوناً (كلاسيكياً) أخذ عنه وتأثر به أكثر ملحنى هذا الزمن

* * *

أهم ما يمتاز به عن غيره من الملحنين والمجددين أنك لا تستطيع أن تردله لحناً إلى لحن قديم سمعته ، وأنك مهما كنت بارعاً عالماً لا تجد تلحيناً له يشبه الآخر كل الشبه أو بعضه كما نسمع فى تلاحين غيره

أخرج للناس أكثر من خمسمائة (لحن) ما بين مونولوج وأهزوجة ودور ، ولكنه انفرد بالتوفيق الكامل فى (المنولوجات) وتمتاز تلاحينه القوية الحية بأنها لا تستغل الغرائز الدنيا فلا بكاء فيها ولا عويل ، وبأنها تحتل الآذان فوراً لتصل إلى شغاف القلوب ، فهو الملحن الوحيد الذى لا يكاد يخرج للناس شيئاً حتى تسمعه يجرى على لسان الرجل والمرأة ، والولد والبنت ، لا فى مصر وحدها بل فى بلاد الشرق قاطبة

طيب القلب لا يخاصم ولا يناوئ ولا يحمل ضغينة أو حقداً إلا من أجل المال والعمل مع أم كلثوم !

يعجبنى فيه أنه شركة لا تنضب ، فلو طلب منه تلحين (رواية) بأكملها وأغرى بالمال الذى يعبده لرأيت التلاحين تجرى على لسانه وتسيل من فيه كأنها آتية من بحر خضم !

سمع مرة رجلاً يبيع (الزيتون الأخضر) وينادى عليه بصوت جميل ، وبنغم جديد سحره ، فلم ير القصبجى بداً من متابعته والسير وراءه فى الأزقة والحارات والدروب ، حتى وصلا إلى شارع فى العباسية (شارع عبده باشا) وهناك حفظ اللحن والنغم الذى لحن به قطعته المحبوبة (يا فايتنى وانا روحى معاك) ..!!

الدكتوراه الفخرية لصاحب الجلالة الملك

تشرف صاحب السعادة الأستاذ احمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك لالتماس الموافقة من جلالته على قبول درجة الدكتوراه الفخرية التى قررت جامعة فؤاد الأول رفعها إلى مقامه السامى

وتفضل جلالته فوافق على قبول الالتماس وأمر بتحديد الساعة الحادية عشرة من صباح الغد (الثلاثاء ٢٨ فبراير) لإقامة الحفل الجامعى التقليدى الذى سترفع فيه الدكتوراه الفخرية إلى جلالته، وتفضل جلالته كذلك فوافق على توزيع عدد من الدرجات الجامعية على الذين أجازتها لهم إدارة الجامعة

وقد عهدت الجامعة إلى أحد كبار متعهدى الأزياء الجامعية بإعداد روب خاص لجلالته يختلف عن روبات جميع الكليات

وعهدت الجامعة كذلك إلى أحد متعهدى الداليات للسرايات الملكية فى صنع مدالية ذهبية فى حجم الريال تقريباً وستكون على شكل دائرى بداخلها تمثال للآله توت مصنوع من المينا وستكتب فى داخلها العبارة الآتية : « إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر المعظم ترفع جامعة فؤاد الأول درجة الدكتوراه الفخرية فى ٩ محرم سنة ١٣٥٨ الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٩ »

وقد تقرر ألا تهدى الجامعة هذه الدرجة الفخرية إلا لأصحاب التيجان ورؤساء الدول . أما الدكتوراه الفخرية التى تقدمها الكليات فتمنح طبقاً للتقاليد المتبعة بعد موافقة مجلس الجامعة

وسيخطب فى حفلة الإهداء صاحب المعالى الدكتور حسين هيكل باشا بوصفه الرئيس الأعلى للجامعة ، ثم صاحب السعادة احمد لطفى السيد باشا رئيس مجلسها .

فى ذمة الله صديقنا الهراوى

فى صباح يوم الجمعة الماضى قضى بموت الفجاءة صديقنا الأستاذ محمد الهراوى ، وكان لليلتين خلتا فى دار الرسالة ملء السمع والبصر والشعور ، يناقش فى الأدب ، ويوازن فى الشعر ، وينشدنا قصيدته التى أعدها لموسم الشعر، وما كنا ندرى أن ذلك الجسم الدافق بالحيوية ، وذلك القلب النابض بالشاعرية ، يطويهما الردى فى مثل لمح الطرف ، فيخلو مكان الهراوى الوالد والصديق من بيته وناديه ، فيفتقده أبناؤه فإذا هو أثر ، ويسأل عنه أصدقاؤه فإذا هو خبر !

كل حى فان ، ولكن فناء الحى الذى طبع وجوده فى القلوب

شاذ فى تصرفاته ، ولعل الشذوذ ضرب من ضروب العبقرية، فهو يركب الترام فإذا ألفاه مزدحماً ، وكان الجو حاراً تظاهر بأنه محموم وأخرج من جيبه (الترمومتر) ووضعه فى فيه وتهالك وأكسب وجهه منظر الذى سيموت بعد لحظات فلا يلبث الركاب أن ينسحبوا ، ولا يلبث الترام أن يخلو جميعه إلا من القصبجى الممثل ...!

هو على رأس العازفين فى الشرق، وتعتبر (ريشته) أقوى ريشة فى مصر، فهى تمتاز بالقوة والحلاوة والقدرة على الاستمرار فى العزف ليلة كاملة دون أن تسمح للملل بأن يتطرق إلى نفوس السامعين؛ ومع ذلك فإن محطة الإذاعة تتجاهله ولا تحس بوجوده لأنه يرفض الأجر الذليل ...!

لولا بخله الشديد، ولولا بيعه تلاحينه أكثر من مرة لكان شيئاً عظيما ... ولكنه إنسان !.

محمد السيد المويلحى

والعيون والـكتب والأمكنة تحدّ لهذه الحقيقة ، واعتراض على هذه القضية . وسيحيا الهراوى فى شعره الذى عاش فيه وله ، وفى قلوب إخوانه الذين أخلص لهم وبرّ بهم ، وسيكون من الصعب على الزمان والنسيان أن يطمسا هذه الشخصية المحبوبة بما خصها الله من سلامة القلب وعفة اللسان وكرم العشرة وصدق المودة . رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض الأدب العربى منه خير العوض .

حول كتاب ضحى الاسلام

أرسل إلينا صديقنا الأستاذ أحمد أمين ما يأتى :

زعمت جريدة المكشوف — فيما نقلت الرسالة — أنى أوردت الأسماء العربية فى « ضحى الإسلام » محرفة فقلت : « زافار » بدل « ظفار » و « أريتاس » بدل الحارث و « فلاسفة العرب » مكان « مفكرو الإسلام »

وهذا كله غير صحيح ، وأنا أتحدى صاحب المكشوف أن يبين الصفحة التى وردت فيها هذه العبارات إن كان صادقاً

أحمد أمين

حول كلمتى ذكورة وأنوثة

حضرة الأستاذ الكبير ... صاحب (الرسالة) الزاهرة

السلام عليكم ...

وبعد فقد قرأت فى العدد (٢٨٢) من رسالتكم كلمة للأستاذ صلاح الدين المنجد تحت عنوان « حول كلمة أنوثة » أنكر فيها الكاتب الفاضل صحة كلمتى ذكورة وأنوثة محتجاً بأن اللسان لم يذكر الأولى بالمعنى المتعارف وهو مقابل الأنوثة ، وأما الثانية فلم يذكرها بتاتاً ؛ ولذلك حكم بعدم وجود كلمة أنوثة فى العربية . قال : وإنما هى أناثة

ونرى أن عدم ذكر اللسان — كغيره من المعاجم — كلمة لا يدل على عدم صحتها إلا إذا نص علماء اللغة على ذلك ، أو على الأقل خلت منها المعاجم الموجودة ، وإلا فمن حفظ حجة على من لم يحفظ .

ونلفت نظر الكاتب الفاضل إلى أن الكلمتين اللتين أنكرهما لم تنكرهما المعاجم . ففى المصباح بمادة ذكر :

« والذكورة خلاف الأنوثة »

وهذا نص قاطع . وفى الأساس بمادة أنث :

« ونزع أنثييه ثم ضرب تحت أنثييه ، والأنوثة فيهما من جهة تأنيث الاسم »

وكذلك فى التاج . واستعمال هذا اللفظ فى بابه من معجم موثوق به دليل على صحته . وفى التاج أيضاً مادة فحل :

« وتفحل تشبه بالفحل فى الذكورة »

واللفظان جاريان على ألسنة المصنفين من الفقهاء وغيرهم ، ومن أمثلة ذلك قول النووى فى المجموع : « أما نبات اللحية ونُهود الثدى ففيهما وجهان أحدهما يدل النبات على الذكورة والنهود على الأنوثة ... الخ »

إذن فكلمتا ذكورة وأنوثة صحيحتان شائعتان قديماً وحديثاً ولهما فى العربية نظائر كالطفولة والفحولة والأبوة والبنوة والأمومة والعمومة والخؤولة ... إلى غير ذلك ...

ولا أحسب أن أخانا الفاضل — بعد هذا — يرى أن لفظ (أناثة) أسوغ من لفظ (أنوثة) مع ما قدمناه والله أعلم

« حضرموت : سيوون » **صالح الحامد العلوى**

تخليد ذكرى مختار وإقامة متحف مؤقت لمخلفاته

كانت إدارة متحف فؤاد الأول الزراعى قد قدمت اقتراحاً إلى ولاة الأمور فى صدد إقامة متحف خاص لمخلفات المرحوم المثال مختار . وأخيراً رأت إدارة المتحف اختيار مكان مؤقت لهـذه المخلفات ريثما يعتمد المال اللازم لإنشاء مبنى لها، وقد تقرر أن يكون ذلك المكان المؤقت هو المسكن اللحق بالمتحف

وستكون نواة متحف مختار الذى يقام عما قريب فى ذلك المكان ، ما يوجد الآن من تماثيله فى معرض الفن الفرنسى القائم على أرض الجمعية الزراعية بالجزيرة، وذلك إلى أن ترسل الحكومة فى طلب بقية آثار مختار من باريس

ويتجه الرأى إلى استعارة التماثيل التى باعها مختار لبعض الهواة لتعرض فى متحفه لآجال معينة على أن تحمل خلال عرضها أسماء أصحابها . وسيضم المتحف إلى جانب التماثيل زى مختار والأدوات التى كان يستعين بها فى عمله ، ونموذجاً من حياته الخاصة

أعلام الدراما فى مصر

كتبت القنصلية الملكية المصرية بسان فرنسسكو إلى وزارة الخارجية تنبئها بأن جمعية القلم النسائية الأمريكية قد طلبت إليها موافاتها بأسماء أعلام فن « الدراما » فى مصر رغبة منها فى ضم أسمائهم إلى زملائهم فى مختلف الممالك والأقطار

وطلبت الجمعية أن تتعرف مركز هـذا الفن فى مصر بعـد أن طغت السينما على المسرح وهل لا زالت « الدراما » محتفظة بمكانتها فى البلاد

وقد أحيل هذا الطلب إلى وزارة المعارف للنظر فيه ولعلها تحيله هى أيضاً على إدارة الفرقة القومية لتقول لها كيف قضت على بعض أعلام الدرامة بالخمول وحكمت على البعض الآخر بالتشريد

مستشرق ألمانى

يزور مصر الآن الدكتور جوستاف نيوهاوس ، أحد أساتذة معهد اللغات الشرقية فى برلين

ومما يذكر عن الدكتور نيوهاوس أن له مؤلفات كثيرة فى اللغة « السواحلية » وأبحاثاً طريفة عن بلاد زنجبار ودار السلام وآثار العرب فيها ، كما أخرج أخيراً كتاباً عن رحلته من مصر إلى بلاد شرق أفريقيا

جماعة الأخوة الإسلامية

اجتمع فى اليوم الحادى عشر من فبراير أعضاء جماعة الأخوة الإسلامية برآسة الدكتور عبد الوهاب عزام فى دارها (قبة النورى) وحضر الاجتماع كبار العلماء ورجال الإسلام من أربعين قطراً إسلامياً .

وتكونت هيئة المكتب من ممثلى : مصر والحجاز والهند ، ويوغسلافيا والصين وألبانيا والعراق واليابان وكردستان وبلغاريا وأفريقيا ورومانيا واليمن ومنشوكو وفلسطين واندونوسيا وبولونيا وافغانستان وطرابلس الغرب وجبل أورال وسودان وجزيرة لفزيه وحضرموت وإيران وروسيا والحبشـة والشام وتركيا وملايو وسيام وشرق الأردن وسيلان والجزائر ومراكش وملديفيا والبحرين وقفقازيا وأناضول وبنغال .

افتتح الحفل بآى الذكر الحكيم ثم قام الدكتور عبد الوهاب عزام فبين أغراض الجماعة ، وتلاه من الخطباء : الأستاذ طنطاوى جوهرى ، فتكلم فى الإسلام والسلام العام ، ثم الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، ثم الشيخ صاوى شعلان ، ثم الأستاذ أحمد بك خليل ، والأستاذ محمود جبر ، والدكتور عبد العزيز عزام ، ثم الدكتور ميرزا فضل الله الإيرانى .

وتألفت اللجنة الأساسية من : الدكتور عبد الوهاب عزام رئيسا والأستاذ محمد أمين نور الدين بك المحامى وكيلاً والأستاذ ابراهيم عثمان مراكش مراقباً عاماً. والأستاذ محمد حسن الأعظمى الهندى مراقباً مالياً . والأستاذ اسماعيل حنفى البلغارى خازناً . والأستاذ عمر وجدى كيردى سكرتيراً . والأستاذ يوسف عبد الله قريمى أميناً للمكتبة

حياة الرافعى

يصدر فى هذا الأسبوع كتاب « حياة الرافعى » وسيرسل إلى حضرات المشتركين الذين سـددوا قيمة الاشتراك ونفقات البريد ؛ أما الذين لم يسددوا إلا قيمة الاشتراك فقط ، فيمكنهم الحضور إلى إدارة الرسالة ليتسلموا النسخ التى اشتركوا فيها .

اللجنة العليا لقرش فلسطين

اجتمعت اللجنة العليا لقرش فلسطين فى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأحد ٢٣ من ذى الحجة سنة ١٣٥٧ هـ والموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٣٩ بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وانتخبت حضرة الأستاذ الدكتور عبـد الحميد سعيد رئيساً والأستاذ عبد المجيد بك ابراهيم صالح سكرتيراً عاماً وحضرة صاحب العزة ميرزا مهدى رفيع مشكى بك أميناً للصندوق والوجيه محمد أفندى حسين الرشيدى مساعداً لأمين الصندوق وحضرات أصحاب السعادة الأستاذ محمود بك بسيونى وعبد الخالق مدكور باشا ومحمد فهمى الناضورى باشا واللواء أحمد قطن باشا وأصحاب العزة الأستاذ الشيخ أحمد ابراهيم بك ومحمد عيد بك وأصحاب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار والشيخ محمد عبد اللطيف دراز والأستاذ حسن البنا وحضرات الدكتور محجوب ثابت والدكتور نجيب اسكندر والأستاذ عبـد القادر العبد والأستاذ أحمد السكرى أعضاء

وألفت لجاناً فرعية :

في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

— ١ —

من فوق هـذا المنبر العالى والمنار القائم للغة الضاد (وهو صحيفة الرسالة الغراء) نرفع صـوتنا مرة أخرى فى سبيل العربية ، وقد كنا تعرضنا تحت هذا العنوان لنقد كتب يصدرها بعض رجال وزارة المعارف المصرية ، وتقرها الوزارة لطلابها .

عدنا اليوم لمثل عملنا فى العـام الماضى ، ولـكن فى طريق شائكة وخطة ملتوية . تلك هى نقدنا للغويين الـكبيرين والعالمين الفاضلين : صاحبى العزة أحمد العوامرى بك ، وعلى الجارم بك المفتشين الأولين للغةالعربية بوزارةالمعارف، وعضوى المجمع الملكى اللغوى بالديار المصرية

وقد جئنا ننقدهما فى عملهما الذى تآزرا عليه وأفرغا جهدهما فيه ، فكان لا بد أن يجىء مظهراً لفضلهما وصورة صادقة لهذه الممارسة الطويلة للعربية وآدابها ، هذه الممارسة التى كانت منهما فى هذا العمر المديد والزمن المتطاول ، وكنا ننوى أن نتخذ من أقوالهما وآرائهما حججاً فى العربية نضيفها إلى أقوال فحول اللغة السابقين ...

ذلك ما فتحنا صدورنا له واستعددنا لتلقيه حين بدأنا نقرأ تعليقهما على كتاب البخلاء للجاحظ الذى وكلت وزارة المعارف المصرية إليهما أمر إخراجه فى صورة واضحة تقرب إلى أهل جيلنا أدب القرن الثالث للهجرة ، وتحبب إلى قرائنا الزاهدين فى هـذا الأدب أن يقبلوا عليه ويستجلوا جماله الفاتن .

توقعنا ذلك من هذين العالمين الفاضلين اللذين جمعا إلى الثقافة العربية ثقافة غربية ، ولم يدر بخلدنا إلا أن يكون عملهما فى خدمة هذا الـكتاب مزجاً حسناً لهاتين الثقافتين وتجلية لهما فى ثوب عصرى شائق

ولـكننا لم نلبث حين نظرنا فى الـكتاب أن رأينا جهداً نحوياً عنيفاً أغرم فيه المخرجان بتعقب الجاحظ ، يعربان أدبه الراق وفكاهاته الظريفة ، ويعتديان على ذلك البيان الواضح بقولهما إنّ أنْ هذه مفسرة وتلك مخففة من الثقيلة ، والتعليق على « كان » بأنها مرة تامة وأخرى ناقصة إلى غير ذلك من مسائل الإعراب التى زهدت الطلبة فى العربية إبان طلبهم للعلم بالمدارس . فإذا بالمخرجين لم يكفهما إلحاح بعض المدرسين فى ذلك على طلابهم حتى زادا الإبّالة ضغثاً والـكيل طفحاً

لجنة الدعاية : برياسة حضرة الدكتور محجوب ثابت

لجنة الحسابات : برياسة حضرة صاحب العزة ميرزا مهدى رفيع مشكى بك

ولجنة المتطوعين : برياسة الوجيه محمد حسين الرشيدى أفندى

ورأت أن توزع الطوابع يوم ١٥ من المحرم سنة ١٣٥٨ هـ وهى تهيب بطبقات الشعب أن تساهم فى هذا المشروع الإنسانى الجليل لتخفيف جراح فلسطين الشقيقة المجاهدة كما تدعو شباب الأمة الناهض فى مختلف طبقاته إلى المسارعة للتطوع والقيام بما يفرضه الواجب نحو فلسطين المجاهدة

وما ندرى كيف اجتمع فى صدر هذين الرجلين أو صدر أحدهما على التحديد هذا الإلحاح فى مسائل الإعراب ، مع الرغبة فى تيسير قواعد اللغة العربية وقد كان أول مظاهرها عند هؤلاء الميسرين إهمال ذلك الإعراب !

والكتاب إلى ذلك مظهر آخر لهذا الذى يسمونه تطبيقاً على البلاغة فما تزال ترى فى تعليقاتهما أن هذا التركيب استعارة وذلك تشبيه أو مجاز بالحذف أو إطناب أو إيجاز ، وكأنما ظن المخرجان أن الجملة لا تفهم إلا إذا أعربت، ولا تقدر قيمتها فى البيان إلا إذا طبقت عليها علوم البلاغة بوضعها الذى نعرفه . ولسنا نحرم على شراح كتاب ككتاب البخلاء أن تكون منهم إشارة إلى مثل ذلك ، ولكن حضرتى المخرجين أسرفا فى ذلك حتى صح فى نظرى أن أعتبر هذا الشرح كراسة تطبيق على النحو والبلاغة . وصرت أعد نفسى حين قراءته طالباً من طلاب الشهادة الثانوية أتزود للامتحان قبله بأيام . وهذا إسراف فى حق الأدب أو الأدب الرفيع الذى إن صدق على شىء فأول ما يصدق عليه هو كلام الجاحظ

وليت المخرجين حين فعلا ذلك كانا موفقين إلى الصواب سالكين النهج الجدير بمكانتهما بين أهل العربية فى عصرنا ! ولكن الذى كان موضع العجب أنهما زلا فى كثير من هذه المواضع التى أرادا أن يدلا بمعرفتهما فيها على جمهور الأدباء ممن يجهلون أو يتجاهلون ذلك .

كان هذا حقاً موضع العجب من أمر رجلين عظيمين قضيا حياة طويلة فى نقاش المعلمين ، ومحاسبتهم على عباراتهم وإشاراتهم ، حتى كان للهمزة توضع فى غير موضعها ، وحرف الجر ينوب عن غيره مشادات ومصاولات ، ثم فوز لهذه الاعتبارات الهينة يظهر أثره فى التقارير ، فإذا هذا المعلم مهمل لأنه لا يعنى بوضع الهمزات مواضعها ، وإذا بذاك مجيد لأنه راعى رغبة المفتشين فى هذه الدقة وتلك الشدة .

قلنا إن طريقنا فى نقد المخرجين كانت شائكة ، وإن الخطة كانت ملتوية ، وما قصدنا فى هذا إلى صعوبة المآخذ وغموض الصواب علينا ، فقد والله قيدنا ملاحظاتنا فى أثناء قراءة هادئة لم نقصد منها إلا التمتع بأدب الجاحظ واللهو بفكاهته ، فإذا المآخذ تنادينا وتقول خذونى !

وإنما شاكت الطريق والتوت الخطة لأننا اضطررنا فى سبيل العربية أن ننال من علمين من أعلامها بيننا ؛ ولم يكن نيلنا فى أمور يحتمل فيها الخطأ ، أو يقبل اعتساف الرأى لدقة المسلك أو حلكة الشبهة ، بل قد وجدنا هذه المآخذ يشتد العيب فيها على ناشئ فى العربية لا يزال يتعثر فى ذيول الإعراب والتطبيق ، فآلمنا أن نجرح بمثل هذه المآخذ عالمين فاضلين من أفذاذ المصريين فيما نصبا أنفسهما له ، وتصديا للرياسة فيه من علوم .

وقد كنا هممنا أن نبوب للقارئ هذه المآخذ فنجمع متشابهاتها تحت عناوين تشملها : فهذا عنوان الأغلاط النحوية، وذاك عنوان المآخذ اللغوية ، وذلك باب الفهم النابى أو الترجيح للمرجوح و ... ولكنا رأينا أن نجعل مآخذنا تساوق صفحات الكتاب ، فكلما مررنا بواحدة منها تكلمنا عنها وبينا وجه الصواب فيها

* * *

فى أول صفحة من الكتاب فى تعليل ذكر نوادر البخلاء بين جد وهزل « لأجعل الهزل مستراحاً ، والراحة جماماً » وفى التعليق على هذه العبارة يقول الشارحان : الجمام : الراحة

وهذا التفسير ظاهر الخطأ لأنه ينتهى بالجملة إلى أن تكون هكذا : لأجعل الراحة راحة ، وهذا غير جائز فى حقيقة ولا مجاز

ومأتى هذا الخطأ من الشارحين أنهما وجدا فى كتب اللغة تفسير الجمام فيما تفسره بالراحة ، فارتاحا إلى هذا وفاتهما أن هذه الكتب عينها تفسره أيضاً باجتماع النشاط وتراجع القوة . تفهم ذلك من قول القاموس : جمت البئر تراجع ماؤها ، والفرس ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وترك فلم يركب فعفا من تعبه ... فهذه العبارات تفيد معناها صراحة وتعفينا من تفسير الماء بالماء كما حصل من حضرتى المخرجين

وفى ص ٢٦ مسألة ذات بال سيتعب القارئ من تتبعها ولكنها ستنتهى به إلى نتيجة شديدة على الشارحين، فليجعل حكمه على فهمهما ووقوفه على مقدار ذوقهما ثمناً لهذا التعب

قال الجاحظ « فأما ما سألت من احتجاج الأشحاء ونوادر أحاديث البخلاء فسأوجدك ذلك فى قصصهم إن شاء الله تعالى

مفرقاً وفى احتجاجاتهم مجملاً ، فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندى دون ما انتهى إلىّ من أخبارهم على وجهها وعلى أن الكتاب أيضاً يصير أقصر ويصير العار فيه أقل »

قال الشارحان « فهو إلخ : الضمير عائد إلى (ذلك) أى أن احتجاج الأشحاء ونوادر أحاديث البخلاء منبثة فى قصصهم مفرقة ومجملة — أجمع لهذا الباب (باب البخل) من وصف إلخ والجار والمجرور فى قوله من وصف حال من « ذلك » فى قوله : فسأوجدك ذلك و (دون ما انتهى) حال من وصف ما عندى . والمعنى سأطلعك على ذلك حال كونه من وصف ما عندى من مشاهدات أحوال البخلاء ونتائج معاشرتى إياهم وسيكون هذا غير ما سأذكره أيضاً مما انتهى إلىّ من أخبارهم »

تدبر أيها القارئ عبارة الشارحين واعصر ذهنك فى ضمائرها وإشاراتها وأحوالها ومتعلقاتها فإن محاولة إفهامك مرادها شاقة عسيرة إلا إذا اجتمعنا أمام سبورة أكتب لك عليها الجملة بالأحمر والأصفر وأجعل أنتقل بك من ضمير إلى اسم إشارة واصلا هذا بذاك حتى تفهم المراد

ولكن ينبغى أن تعلم أن السر فى هذا التعقيد هو عدم اهتدائهما إلى مرجع الضمير فى قوله : « فهو أجمع . . . » كذلك اعتبارهما الجار والمجرور « من وصف » متعلقاً بحال من « ذلك » . وقد أوقعهما هذا التقدير فى مشكل نحوى لم يلتفتا إليه وهو وقوع اسم التفضيل المنكر المجرد من الإضافة ، بدون من تالية له جارة للمفضل عليه ، كما تقول : محمد أكرم من على ، فيكون (من على) متعلقاً بأكرم وهذا ملتزم فى مثل ذلك التعبير .

أما الذى نقوله فى عبارة الجاحظ فهو أن الضمير فى قوله « فهو أجمع » يعود على مصدر الفعل « أوجد » والجار والمجرور « من وصف » متعلق باسم التفضيل « أجمع » فيكون المعنى : إن إيرادى لقصصهم واحتجاجاتهم أشمل لهذه النوادر من أن أقتصر على إيراد ما عاينته بنفسى من أحوالهم ، مع ترك ما وصل إلىّ من أخبارهم عن طريق الرواية ، إذ أنى لو اقتصرت على إيراد ما عاينته وحده ما استطعت أن أذكر شيئاً كثيراً فيقصر الكتاب ، كذلك مشاهداتى وحدها لا تمثل شناعة فعل البخلاء كما تمثله الحكايات التى تناقلها الناس عنهم لصحة اتهام الفرد بالكذب أو المبالغة ؛ فأما إذا تواترت الأخبار واجتمع عليها جم من الناس فذلك أقوى لها وأشد فى تصور شناعتها .

ولا نترك هذا المقام حتى ننقل لك ما علق به الشارحان على قول الجاحظ فى نهاية العبارة « وعلى أن الكتاب أيضاً يصير أقصر ويصير العار فيه أقل » قالا حفظهما الله : « وعلى أن الخ . (على) للتعليل هنا ، وهو تعليل لاقتصاره على ما عرفه عن البخلاء ، وما وصل إليه برواية صحيحة من أخبارهم » .

وقد بان لك من كلامنا كيف أن هذه العبارة الأخيرة من الشرح مضطربة إلى أبعد غايات الاضطراب ، إذ كيف يقصر الكتاب لو ذكر الجاحظ ما عرفه عن البخلاء وما رواه من أخبارهم ! وهل يبقى بعد ذلك شىء يذكر ؟!

« للكلام بقايا »

محمود مصطفى

المدرس بكلية اللغة العربية

الفرقة القوميـــة

لا غرضاً ثقافياً حققت

ولا روائع المسرحيات الأوروبية أذاعت

الأستاذ ابراهيم رمزى ، مدير التعليم الحر ، واحد من أوائل الأدباء الذين عنوا بإحياء المسرح المصرى ، وبذلوا فى سبيله جهوداً ذات قيمة ، وغيرة كان يجب أن تقابل بالثناء الخالص والشكر الجزيل . إلا أن عوامل لا أعرف بواعثها — قد تكون مادية لبست جلباباً على غير قدها — قد حولت الأستاذ رمزى عن طريقه القويم ، فجعلته يسلك مسلكاً فى التأليف باللهجة الدارجة وفى تجريح الفصحى أراه ويراه معى كل غيور على اللغة العربية التى ارتضتها مصر وسواها من الأقطار المجاورة أو النائية عن شبه جزيرة العرب ، أن تكون لغتها الدينية والقومية ولغة حكوماتها الرسمية . إنه خروج على آدابها وقواعدها ، ونكوص يخالف سنن الترقى والتقدم ، ولوثة تلوث نهضة مصر الثقافية ، وما خلا ذلك فالأستاذ رمزى ما برح يعمل للمسرح المصرى بروح الأديب المخلص لفنه

قلت له : الفرقة القوميـة مؤسسة حكومية ، هل حققت الغرض الثقافى والفنى ، وهل عملت على ترقية المسرحية المصرية وأذاعت روائع المسرحيات الغربية ؟ فأجاب :

— ليس من السهل الجواب على هذا السؤال إلا إذا استهدف الإنسان لعتاب الأصدقاء والأحباب ، ولكنى تعودت أن أكون صريحاً فيما له علاقة بمصلحة قومى ووطنى ، ولذلك لا أتردد فى أن أقرر :

(١) أن الفرقة القومية لا تستطيع أن تحقق غرضاً ثقافياً كبير الشأن فى هذه المدة القصيرة لأنها إنمـا تعمل حتى الآن لجمهور المثقفين وعلية المصريين الذين ليسوا فى حاجة إلى تثقيفها . على أنى لا أدرى كيف ينتظر منها التثقيف وهى إلى اليوم لم تتخط القصة المترجمة والمقتبسة التى لا علاقة لهـا بمجتمعنا المصرى ، كما أنهـا على كثرة ما أخرجت لا تشتغل إلا أياماً معدودات فى العـام كله وتقتصر على مدينة القاهرة ولا تنتقل إلى أى بلد من عواصم المديريات .

لا يا سيدى ، الفرقة لم تحقق غرضاً ثقافيا ولن تحقق غرضاً ، وأحب أن أقول هنا إن القيود الكثيرة التى كبلت بها أيدى المشرفين عليها ، والمبادئ العجيبة التى تتحكم فى مراميها ، لا يمكن أن تنهض معها فرقة بعمل كالذى يرمى إليه اسمها . وأعتقد فى النهاية أنها فرقة موجودة وعمل من الأعمال التى لها نظائر فى بلدنا ينفق عليه لقصد عظيم لا يتحقق منه شىء كثير

أما تحقيقها الغرض الفنى فكل ما يمكن الإجابة فى صدده أن الممثلين يقومون بأدوارهم أحسن قيام ، والإخراج لا بأس به لأنه ليس إلا نقلاً لإخراج ظهرت به فى فرنسا الروايات المعربة وأكثرها منقول عن الفرنسية

جوابى عن سؤالك : هل عملت الفرقة على ترقية المسرحية المصرية وإذاعة روائع المسرحيات الغربية ، هو : لا ، ثم لا ، وأخيراً لا ، لأنه بلغ من المشرفين على هذه الفرقة (وعندهم الروايات المؤلفة) أن يؤثروا عليها الروايات المقتبسة والمنقولة ومنها السخيف وغير السخيف لسبب واحد هو أن مخرجهم أوربى ، ولأن إخراج الروايات العربيـة ليس فى مقدوره ، وإخراج الروايات المصرية يحتاج إلى من يدرك دخائل الظروف المحلية ، ولأن المشرفين

على هذه الفرقة ليسوا كلهم ممن يشعرون تمام الشعور بالواجب القوى فى هذا الزمن الأسود .

أما كونها أذاعت روائع المسرحيات الغربية ، فالجواب عنه: لا يصح أن يكون ذلك مؤاخذة للفرقة لأنها لم تظهر منها إلا القليل وذلك بحكم الضرورة ، فالروائع لا عد لها وهى لم تتأسس إلا منذ أربعة أعوام، على أنها تميل الآن إلى التقرب من الجمهور فهى تعطيه شيئاً من غير الروائع يستطيع أن يستمتع بما فيها من بساطة سطحية

قلت : إذن هل أنت متفائل ؟

فأجاب : كلا لست بمتفائل ، لأن الهمة الواجبة لمثل هذا العمل الذى تمده الحكومة بمالها وجاهها وقوتها يحتاج إلى نفوس أقوى ، وأيد أشد ، وعزائم غير هذه العزائم ، عزائم مخلصة فعلاً ومضحية فعلاً

على أنى يا سيدى وقد وضعت للمسرح ما تعلم من القصص التاريخى الكثير وغيره من القصص العصرى باللغة العربية السليمة أعلن جهاراً أن المسرح المصرى يجب أن يكون أولاً للشعب أى للتسعين فى المئة من أهله من المصريين، أى باللغة الدارجة المهذبة ومكملة بما تحتاج إليه من الألفاظ فى اللغة العربية السليمة كما نفعل الآن فى أحاديثنا وخطبنا ومساجلاتنا ونترك هذا النفاق الذى نعيش عليه فى هذه الأيام !

أما العشرة الباقية فى المئة فحسبهم هذه الفرقة القومية ورواياتها ولغتها العربية القرشية أو لاتينية الشعوب الشرقية[1]

انتهى كلام الأستاذ إبراهيم رمزى بنصه . وعندى حديث ممتع للأستاذ عمر سرى بك تناول فيه هذه الناحية تناول الرجل الخبير وأوضح موقف وزارة المعارف المتناقض فى مساعدتها للفرقة القومية الحريصة على اللغة الفصحى وفى مساعدتها لفرقة أخرى تعمل على ترويج العامية . وسننشره قريباً

ابن عساكر

(١) الرسالة : هذا كلام غريب ، وصدوره من أديب أغرب !

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

7me Année No. 296

Lundi - 6 - 3 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٦ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

منطق الغــــنى ...

لقيت أول أمس على مقهى « أتينيوس » بالإسكندرية رجلاً من نابهى النواب أعرفه معرفة لا تقرّب ولا تبعّد . هذا الرجل ينزع بطبعه منزع الأرستقراطيين فى نمط العيش وأسلوب التفكير ورونق المظهر ؛ فهو يتجمل بالزينة ، ويتنبَّل فى الكلام ، ولا ينفك يعلك ألفاظ المثرين المترفين كالبنك والبرصة والسيارة والخيل والسباق والسهرات والحفلات والملاهى حتى لتظنه المرجع الحجة فى أولئك جميعاً . ونباهة هذا النائب لم تأته عن طريق الفطنة أو الخبرة أو الكياسة ، وإنما أتته عن طريق التهويش والتهريج والسياسة ؛ فهو فى مجلس النواب جزء من كرسيّه لا يتحرك ولا ينبس ؛ ولكنه فى الأمور الحزبية والانتخابية ولاَّج خرَّاج يجذب الزعماء بالمآدب الصاخبة ، ويخلب الناخبين بالوعود الكاذبة ، ويدرج بالدعوى والدعاية من قهوة إلى قهوة

قال لى بعد أن تبجح طويلاً بقوة أثره فى توجيه المجلس ، وتسفيه المعارضة ، وتنظيم النادى ، وتقويم الحكومة :

— مالك وللأغنياء توغر عليهم صدور الصناع والزراع والخدم ؟

— عجيب ! وهل تقرأ الرسالة ؟

— إنما يقرأها ابنى وابنتى ؛ وهما متأثران بها ومشايعان لها ، ولا يزالان يجادلاننى فيما تكتب وتطلب حتى أترك لهما الدار ! فهل

تريد أن يكون الناس كلهم سواء فى الثروة ، وليسوا كما تعلم سواء فى الذكاء والقوة ؟

— يا سيدى ما اعتقدنا ذلك ولا كتبناه . فإنا نؤمن بالغنى والفقر كما نؤمن بالقضاء والقدر . والتفاوت فى الطبع والكفاية والحيلة والوسيلة مبدأ مقرر فى الطبيعة ، ونظام مسلَّم فى الدين ؛ ولكنا نحاول أن نذَكر الأغنياء، أن الله الذى خلقهم وخلق الفقراء، قد جعل جُمعة ما بينهم وبينهم قائمة على أساس من المودة والرحمة يكفل المخالصة ويضمن السلامة . فإذا تعهدوا هذه الصلة الإلهية بالبر ، فمنح القادر العاجزَ روْحاً من قواه ، ونفح الواجد الفاقدَ قليلا من جدواه ، سارت القافلة الإنسانية فى طريقها إلى الكمال الممكن غير ظلعاء ولا وانية . وإذا أردنا المساواة فإنما نريدها فى الحق والواجب ، وإذا ذكرنا المشاركة فإنما نذكرها فى حدود الإحسان والزكاة

— الإحسان يغرى بالكسل ويعين على بقاء الفاسد . والفقير فى أكثر أمره عليل الجسم أو العقل ؛ فلم لا يكون من الخير أن يُترك للحرمان حتى يذبل ويسقط ؟

— إذا استطعت أن تنفذ هذا الرأى فى أسرتك الخاصة ، استطعنا أن ننفذه فى أسرتنا العامة . فهل فى مقدورك أن تترك ابنك الملول الذى لا يبرأ ، وأخاك المخبول الذى لا يعى ، حتى تعصف بهما المنون كما تعصف ريح الخريف بالورق الجفيف ؟

— ما أظن القلب يطيع العقل فى ذلك

— ومن قال لك إن العقل يخولك حق الله على خلقه ؟ إن للفقير حق الحياة ، وليس لك عليه حق الموت . والله الذى خلق الكون خلق الفساد وجعل لكل منهما قوانين يجرى عليها فى الطبيعة . وستنالك أنت على الرغم من قوتك وغناك عوامل الذُّوِىّ والبلى ، فهل تقبل من ذوى رحمك وورائى مالك أن يدعوك فريسة الهرم والمرض ، كما يدع القطيع الحمارَ المحموم فى القفر الجديب ؟

***

رأى صاحبى أن هنالك مدارك من فهم الحياة استعجمت على ذهنه الشارد، فغمغم ببعض الجواب وبيّن بعضه الآخر حين قال:

— ... ولكننى أعلم أن الزكاة فى أوربا ليست مشروعة ولا مجموعة ، ومع ذلك تجد الفقر محمولاً والحياة آمنة . فكل إنسان يعمل ، وكل حى يعيش

— لا يغرنك ياسيدى ما تعلم من ظواهر الحياة الأوربية ، فإن مدنيتها طلاء على صدوع ، وكبرياء على خضوع . ولولا قيام الأديرة بجمع الصدقة وتنظيم الإحسان ، ونهوض الحكومات لحماية العجز وتوفير العمل ، لرأيت البؤس كرمز الموت هيكلاً بادى العظام لا تستره أثواب ولا تحجبه أبواب

— وما قولك فى أمريكا ؟ أليست المسافة فيها بين الفقراء والأغنياء ، كالمسافة بين الأرض والسماء ؟ ومع ذلك لا تجد بين هؤلاء وهؤلاء حسداً ولا ضغينة

— عفواً يا صاحب العزة ! لقد عرفت القياس وأنكرت الفارق . إن أكثر المنافع فى أمريكا من فضل الغنى ؛ فكيف يبطن الفقير له الغل وهو يتعلم فى مدرسته طفلاً ، ويعمل فى مصنعه رجلاً ، ويتداوى فى مستشفاه مريضاً ، ويأوى إلى ملجئه شيخاً؟ إن صاحب الملايين فى الدنيا الجديدة مثل الإنسان الأعلى : أثرى بالكد والإيمان والكفاية ، ودبر ثراءه على قواعد الوطنية والإنسانية والدين ، فكان حرباً على الجهل والبؤس والشر ، وعاملاً للسلام والوئام والمحبة . أما أغنياؤنا فتثال الطمع الجرىء والشح الدنىء والصلف العاتى : أثروا بالإرث أو بالحرص أو بالحظ أو بالحيلة؛ ثم كدروا صفو الحياة على الفقير، فهم يزاحمونه على المجانية فى المدارس ، ويغلبونه على الوظائف فى الدواوين ، ويدوسونه بسياراتهم فى الشوارع ، ويسلبونه بطاعتهم فى المزارع ، ويصدونه عن البرلمان حتى لا يكون لغير أقوالهم سميع، ولا يصدر بغير إرادتهم تشريع

ونظر صاحبى فى ساعته ذات السوار ، ونظرت أنا إلى البحر فإذا هو يمور ويفور ، والصيادون المساكين يكافحون العاصفة ليصيدوا لهذا الغنى البطان لوناً من الطعام تكمل به مائدته الموقَرةُ الحافلة !

ثم افترقنا وكل منا على رأيه !

أحمد حسين الزيات

حرب الأجيال

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعلن الناقد الإنجليزى « فرانك سوينرتون » فى صحيفة « الأوبزرفر » عن قرب صدور الكتابين الجديدين للمؤلفين الكبيرين « ولز » و « موجهام » فقال فى مقدمة كلامه :

« هناك تناقض يغرى بالتساؤل بين موقف المصريين وموقف الجيل الفكتورى حيال الكتاب النابهين . فقد كان هؤلاء الكتاب يحاطون بالإجلال المرهوب حين ينتهون إلى الشيخوخة ويقلعون عن التأليف ، وكانوا قبلة التبجيل والتشريف والحجيج من سائر البلاد . أما اليوم فنقيض ذلك هو الواقع : اليوم يلبث كتاب الأمس فى الميدان ولا يخرجون منه ولا يتطلعون إلى إجلال مرهوب أو يستقبلون التبجيل والتشريف ، وكل شاب ذى ملكة موهوبة يقتضيهم الثناء السخى والتشجيع ولكنه يرى لنفسه حقاً فى الإنحاء عليهم واتهامهم بالوقوف فى طريق الثورة الأدبية »

* * *

هذه حرب الأجيال التى يتحدثون عنها فى البلاد الأوربية ، ويقصدون بها قيام جيل من الكتاب والأدباء وراء جيل ، ومحاولة الجيل الجديد أن يفسح له مكاناً إلى جانب الأعلام النابهين فى ميدان الأدب والتأليف

وهذه الحرب قديمة لم تنشأ فى زماننا هذا ولا فى الزمان الذى قبله وإن اختلفت فيها الدعاوى والأساليب

ولكنها اشتدت فى الجيل الحاضر لعوامل جديدة طرأت عليها : منها التزاحم العنيف ، ومنها أن النظرة إلى « الماضى » اختلفت بين العهد الفكتورى والعهد الحاضر ، أو بين أوائل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

كان التوقير حقاً للماضى ، لأن الناشئين كانوا ينتظرون منه كل شئ ويتجهون إليه إذا أرادوا العلم والخبرة والحنكة والهداية

أما اليوم فقد جدت مشكلات نفسية واجتماعية ليس للماضى فيها تصريف ولا احتيال ، ولا يتجه فيها أحد إلى الماضى ليعرف ما عنده لها من علاج وتدبير ، لأنها لم تكن معروفة فيه ولم تكن معروضة على أهله ، فتحول الاتجاه من الماضى إلى المستقبل ، وبطل ما كان مألوفاً مقرراً للماضى من التبجيل والتشريف

هذه المشكلات هى سر الحياة وسر الأزمات العالمية وسر القلق والاضطراب فى علاقات الاجتماع

ليس للماضى فيها تصريف ولا احتيال . فهل التصريف والاحتيال فيها للحاضر ؟ وهل هما للمستقبل القريب أو البعيد ؟

كلا ! التصريف والاحتيال فيها للزمان وللعمل المشترك بين جميع الناس من شيوخ وكهول وشبان وأطفال لا يزالون فى المهود أو لا يزالون فى الأصلاب

وهل يرجى أن يجىء على الدنيا عهد من العهود خلواً من المشكلات التى تطلب الحلول ولا ينفرد بحلها جيل واحد من الأجيال ؟

كلا ! إن هذه المشكلات لا يحلها الحاضر ولا المستقبل برأى هذا أو باحتيال ذاك ، ولكنها تنحل مع الزمان تارة بالعمل المقصود وتارة بأعمال كثيرة غير مقصودة ، ولا تزال طبقة منها وراء طبقة على مدى السنين

هذه هى الحقيقة التى يجهلها بعض المتعجلين . وليس من غرضنا فى مقالنا هذا أن نسهب فى توضيحها وتمحيص نظرات الناظرين إليها ، وإنما أردنا أن نشير إلى العامل الجديد الذى أضاف بعض الشدة والعنف إلى حرب الأجيال ، وأدى إلى ذلك الموقف الذى لخصه « فرانك سوينرتون » فيما تقدم

* * *

يوشك من يقرأ كلمة الناقد الإنجليزى ويذكر ما يكتب فى مصر وفى بعض الأقطار العربية أن يبادر فيقول : « إن بعض الحال من بعض » أو « الحال من بعضه » كما يقول العامة فى البلاد المصرية ...

فإن قال قائل مثل هذا فهو مخطىء ، لأن الحال الذى يحسب « بعضه من بعض » لمختلف أبعد اختلاف .

هناك يتكلمون عن الشيوخ الذين أنافوا على السبعين ، وهنا يطالبون الكهول فيما دون الخمسين بالسكوت والانزواء .

هناك يأتى بعد جيل « ولز » جيل هكسلى وهو فى الرابعة والأربعين ، ثم يأتى بعده جيل الشبان الناشئين وهم فى نحو

الثلاثين ، وهنا لا يتجاوز الشاب العشرين حتى يتعجل الشهرة بل يريدها له وحده خالصة دون أبناء الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين ، بل دون زملائه الآخرين من أبناء العشرين .

هناك يؤلفون ويبتدعون ويزاحمون الرأى بالرأى ، والنهج بالنهج ، والتفكير بالتفكير ؛ وهنا لا يؤلفون ولا يفكرون ولا يقرأون ، ولا يزيدون على إبراز شهادة الميلاد والترنم بما يسمونه حقوق الجيل الجديد .

هناك يثبون إلى المستقبل فيسبقون ، وهنا يرجعون إلى الوراء ويشبهون الببغاوات فى ترديد الصياح القديم .

***

أضف إلى هذا أموراً أخرى تختلف فيها البواطن والظواهر ويؤجرعليها القادحون فى مشاهير الكتاب لغرض ليس بالصريح ولا بالشريف .

فهم تارة مأجورون لأصحاب المطامع السياسية الذين يريدون القبض على أعنة الدعوة فى بلاد المشرق، فلا يملكون هذه الأعنة والمشاهير من الكتاب قائمون مسموعون ، فيبذلون ما فى وسعهم للغض من أولئك الكتاب والتطاول عليهم بالصياح والضجيج الذى قد يروج بين الأوشاب والأغمار ، لأن الأوشاب والأغمار لن يطلبوا دليلاً ولن يميزوا ما يسمعون .

وهم تارة مأجورون للشيوعيين الذين ينادون بالأدب الدارج أو أدب اللغة العامية لأنه أدب « الصعاليك » وهم يبشرون بدولة الصعاليك ولا يسرهم أن ترسخ فى الشرق العربى آداب اللغة الفصحى ولا الآراء التى تناقض ما يدعون إليه من فوضى وابتذال، بل لا يسرهم أن تستقر فى الأقطار العربية مكانة مصر خاصة لأن مصر خاصة قبلة المأثورات الموقرة من التاريخ القديم ، فإذا هدموا مكانتها فقد زال من طريقهم هذا المعقل الحصين وتمهدت الأرجاء بطاحا ذلولا ليس فيها ما يعوق نعيب ماركس وخليفته لنين، وصاحبيه تروتسكى وستالين .

فإذا لم يكونوا مأجورين لأصحاب المطامع أو للشيوعيين فهم مغرورون يتهافتون على الشهرة ولا يتذرعون لها بأسبابها ولا يرجعون إلى ما فيهم من نقص وكسل وعجز عن الكفاح، بل يفضلون التعلل بالأسباب الواهنة والدعاوى الكاذبة والحجج السلبية التى تشبه الأفيون فى التخدير والإرضاء وتشبهه فى هدم القوى وتخريب الأذهان

وكثيراً ما تسمعهم يقولون : كيف تأتينا الشهرة وهؤلاء الكهول أو الشيوخ يحتكرون ثناء الصحف السيارة ويستأثرون بميدان الدعوة والتأليف ؟

وهذا بعينه هو الأفيون إن لم نقل هو أخبث من الأفيون فى الكذب والتحطيم

فقد صدر فى مطلع هذا العام كتب ثلاثة لمن يسمونهم بالكهول والشيوخ وهم طه حسين واحمد أمين وكاتب هذه السطور . فكم نهراً من أنهر الصحف اليومية قرأوه فى تقريظ هذه الكتب أو فى الإشارة إلى صدورها ؟

لا أذكر أننى قرأت شيئاً ذا بال فى الصحف اليومية عن كتاب طه حسين « مستقبل مصر الثقافى » أو كتاب احمد أمين « فيض الخاطر »

أما كتابى رجعة أبى العلاء فقد ظهر وأوشك أن يباع نصفه ولما تذكر صحيفة يومية واحدة أنه صدر من المطبعة مجرد صدور ... والكتب مع هذا تسير فى طريقها وتلق حظها من الذيوع

فالواقع أن جيل الأدباء الكهول فى مصر جيل لا يدين لأحد بما أصاب من شهرة ومكانة ، وهو فى هذه الخصلة جيل فريد بين أدباء العالم من أقدمين ومحدثين

فالأدباء الأقدمون كانوا يعولون على النصراء والمشجعين ويعتمدون على الخلع والهبات

والأدباء العصريون فى أوربا يعولون على دعوة الناشرين وإقبال الملايين من القراء فى لغاتهم وفى اللغات الأخرى التى يترجمون إليها

أما أدباء الكهول والشيوخ المصريون فلا نصراء ولا هبات ولا دعوة ناشرين ولا ملايين قراء ، وكل ما هنالك حسد واضطغان واستهداف للبذاء من مأجورى الشيوعيين ومأجورى أصحاب المطامع ومن تقعد بهم الرخاوة عن الجد والكفاح

فماذا كانوا لا قين يا ترى لو أصابوا من الكسب والشهرة ما يصيبه برناردشو أو ولز أو موجهام أولدفيج من طبعة واحدة لكتاب واحد يباع للقراءة ويباع للتمثيل ويباع للصور المتحركة ويباع للترجمة فى بضع لغات !

وما أحسب إلا أننا كنا نمشى يومئذ فى الطريق فيخرج علينا الكامنون من « نابتى الجيل الجديد » بالسدسات والسكاكين !!

***

هذه هى حرب الأجيال عندنا لا يقال فى وصفها أصدق من أنها لعب أطفال، أو مكيدة أنذال، أو سفاهة جهال؛ وليس من ورائها نفع للأدب العربى ولا لمن يحاربون فى ميدانها بذلك السلاح المفلول؛ ولن ينهزم فيها أناس انتصروا على الزمن وعلى الجهل وحدهم بغير معونة من حكومة ولا دعاة، ولا محاباة من الجماعات أو الأفراد الأقوياء، بل على الرغم فى معظم الأحايين من الإجحاف والعداء يلقاهم بهما جميع هؤلاء . فأحرى بهم ألا ينهزموا اليوم فى ميدان مأمون لا يقابلهم فيه جيش ولا جنود، ولا سلاح ولا بنود، إلا اللجاج والهراء ودسائس الجبناء فى الجهر والخفاء .

عباس محمود العقاد

النجم الذى هوى

للدكتور زكى مبارك

ما كنت أحسب أن الأيام تدّخر لى هذا النصيب الضخم من الحسرة والحزن والالتياع

ما كنت أظن أن فى أخبار الدنيا ما يهددنى بالموت وأنا سائر فى الطريق

ما كنت أتوهم أن صدرى يملك هذه الذخيرة من الحرص على حياة الأصدقاء

رجعت إلى بيتى عصر الخميس ولم أخرج منه إلا صباح السبت طلباً للتفرغ لبعض الأعمال

فماذا رأيتُ حين خرجت ؟

رأيت أن يوماً واحداً هو يوم الجمعة كان كافياً لأن تذهب دولة من المروءة والشرف والأريحية من عالم الفناء إلى عالم البقاء

إى والله، يوم واحد كان كافياً لأن يموت فيه رجل ويدفن وينقضى مأتمه وينفضّ من حول بيته الجازعون بحيث لم تبق فرصة لمن يريد أن يقدم إلى أهله كلمات العزاء

إى والله، فى يوم واحد ذهب الأستاذ محمد الهراوى إلى غير مَعاد ...

فيا أخى ويا صديقى ويا كل ما كنت أملك من الصدق الصادق الصحيح، كيف تطيب الدنيا بعدك وفيها ما أعرف وما كنت تعرف من ندرة الأصدقاء الأوفياء ؟

كيف تطيب الدنيا بعدك، يا محمد، وكانت حياتك العزاء، عما فى الدنيا من بلايا وأرزاء ؟

كيف تطيب الدنيا بعدك، وما تخلّق الناس بالصدق إلا ليزاحموك، ولا عرفوا الوفاء إلا لينافسوك ؟

يا محمد، وما أجمل اسمك !

لك أن تعرف فى عالم الأرواح أن إخوانك وأصفياءك سيذكرون أيامك كما يذكرون بشائر الأحلام وبواكير الأمانى

لك أن تعرف، يا محمد، أن إخوانك وأصفياءك يؤمنون بأن فجيعتهم فيك هى فجيعة الرياض بموت البلبل الصداح، وفجيعة القلوب بذهاب الأمان، وفجيعة الجسد بفراق الروح

أين من يعزينى فيك يا أخى ويا صديقى ؟

أين من يعزينى فيك وأنا أشعر بأن الموت حين خطفك لم يوجّه الطعنة إلى صدر غير صدرى ؟

أين من يعزينى فيك وأنا أومن بأن أباك لو كان عاش حتى ثكلك لما جزع عليك معشار ما جزعتُ عليك؟ أين من يعزينى فيك إن كان قلبى سيعرف من بعدك العزاء ؟

يا محمد، وما أجمل اسمك !

كيف جاز عندك أن تغمض عينيك قبل أن ترانى ؟

كيف جاز عندك وأنت مثال العطف والحنان أن تفارق الدنيا قبل أن أراك ؟

أكنت تعرف بوحى القلب أنك مفارق ؟

كنت تعرف ذلك ولاريب، لأنك تلهفت إلى لقائى فى أيامك الأخيرة مرات ومرات، وكنتُ لجهلى أحسب ذلك من أمارات الشوق، لا من أمارات التوديع، فضيَّعتُ حظى من لقائك وأنا آثم ظلوم

ليتنى أعرف، يا محمد، كيف تشعر بعد الموت بجزعى عليك !

ليت الحجاب يُكشف مرةً واحدة لأعرف أن حزنى وصل إليك !

***

أين من يعزينى فيك يا نعيماً ذهب وأملاً ضاع ؟

أين من يعزينى فيك يا روضة من الحسن عصف بأزهارها الزمان ؟

أين من يعزينى فيك يا دوحةً من المجد عدَتْ على أغصانها العوادى ؟

أين من يعزينى فيك وما عرفتُ معنى الأخوّة إلا حين عرفتُك ، ولا تذوّقتُ معنى الأنس بالأرواح إلا حين أنستُ بروحك ، ولا فطنتُ إلى ما فى الدنيا من ذخائر إلا حين فطنتُ إلى الذخائر المودَعة فى صدرك الأمين

***

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

أفى يوم واحد تضيع من يدى ، أيها الكنز الثمين ؟

أفى مثل ومضة البرق يذهب الروض الذى كنت آوى إلى ظلاله حين يلفحنى هجير العناء ؟

أفى مثل لمح البصر أنظر فأرانى وحدى وكنتَ جيشاً أحارب به الزمان ؟

أفى مثل خفقة القلب ينطفئ السراج الذى كنت أستهدى به فى الملمات ؟

***

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

سيكون فى دنيانا بعدك أفراح وأحزان ، وسناقى الدنيا بعدك باسمين أو عابسين ، ولكنا سنذكر إن طالت الحياة أن خفقات القلوب من بعدك لن تكون إلا مزاحاً فى مزاح .

نكذب عليك ، يا محمد ، إذا قلنا إننا سنجعل خفقات القلوب وقفاً على الهتاف باسمك ، والشوق إليك ، ولكنك ستعرف أنك ستظل فى قلوبنا مثال الشرف والصدق ، وسترانا من أهل الحرص على التغنى بمحامدك فى أكثر الأوقات ، حين يجدّ ما يوجب أن نتطلع إلى الأصدقاء الأوفياء .

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

بموتك عرفتُ أن الحزن خليقٌ بأن يكون شريعة من الشرائع

بموتك عرفت كيف يجب أن أفكر فى لقاء الرفاق الأصفياء كل يوم .

بموتك عرفت أن فى قلبى ذخائر من الصدق والوفاء

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

أقسم بالله وبمودتك أن الموت كاد يتناشى فى الطريق حين قرأت خبر موتك ، فإن طالت حياتى بعدك فسيكون ذلك أعجوبة من الأعاجيب ، وسأقضى ما بقى من حياتى فى تحقيق الأغراض التى كنت تحبّ أن تحققها فى حياتك

أخى وصديق :

لا أقول : « يغفر الله لك » ، فقد كنت أطهر من الزهر المطلول ، وإنما أقول : « يغفر الله لمن عرفك ولم يمت لموتك » .

***

أما بعد ، فقد كان فى نيتى أن أرثى الهراوى فى إحدى الجرائد اليومية ، ثم رأيت أن أرثيه فى « الرسالة » لأحدث عنه إخوانه فى سائر الأقطار العربية .

وسأرجع إلى الحديث عنه مرة أو مرات لأبين ما صنع هذا الفقيد العزيز فى خدمة العروبة والإسلام والإنسانية .

نفعنى الله بدعواتك ، يا محمد ، وحرمنى فيك العزاء ، فما أحب أن يكون لى فيك عزاء .

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

أحبك وأشتاق إليك ، وأحب من أجلك ذاويات الأزهار ، وهاويات الكواكب ، فاذكرنى عند ربك يا أصدق صاحب وأشرف صديق . وسلامٌ عليك من صفيّك وأخيك .

« مصر الجديدة » زكى مبارك

رد على رد

بين القديم والجديد

لأحد أساطين الأدب الحديث

كنت أقرأ مختارات الشعر التي جمعها محمود باشا سامي البارودي الذي يعد زعيم المذهب القديم في الأدب في العصر الحديث؛ فوجدت أنه قد اختار في باب النسيب مجونا ليس بأقل من مجون الحسين بن الضحاك وأبي نواس الذي اختاره الدكتور طه بك في كتاب حديث الأربعاء بل بعضه أشد منه وبعضه مثله، فاختار لأبي نواس قصيدة قالها يتغزل في شاب جميل كان كاتبا في ديوان الخراج بدليل قوله في القصيدة:

ومن يريد ديوان الـ ... خراج مضمخا عَطِرا

وكانت عادة الشعراء في ذلك العهد التغزل في ملاح كُتَّاب الدواوين. وفي هذه القصيدة يقسم أبو نواس أن مُرَقَّشاً الشاعر العذري النزعة لو كان حيا لما أحب امرأة بل لأحب ذلك الكاتب المليح: وهذه هي القصيدة كما أوردها البارودي:

أما والله لا أشرا ... حلفتُ به ولا بَطَراً
لو آن مُرَقَّشاً حيٌّ ... تعلَّق قلبه ذَكَرا
كأن ثيابه أطلعـ ... ـن من أزراره قمرا
بوجه سابريٍّ لو ... تَصَوَّبَ ماؤه قطرا
وقد خطَّتْ حواضنُهُ ... له من عنبر طُرَرا[1]
بعين خالطَ التفتيرُ ... في أجفانها حَوَرا[2]
يزيدك وجهه حسنا ... إذا ما زدته نَظَرا

واختار البارودي لأبي تمام قطعة قالها في غلام مملوك أهداه إليه الحسن بن وهب فقال:

قد جاءنا الرشأ الذي أهديته ... خَرِقاً ولو شئنا لقلنا (المركب)

والذي اختار هذا الشعر ليس الدكتور طه بك ولا هيكل باشا بل البارودي باشا.

(١) الحواضن أشبه (بالدادات) (٢) يعني بالتفتير نعسة العين

وقد أوردنا قبل الآن اختيار البكري أشياء من مجون ابن الرومي ونشر الشيخ شريف مجونه أيضاً. ولكن الأستاذ الغمراوي ترك البارودي وترك البكري والشيخ شريف واختص الدكتور طه وهيكل. فإذا كان ذلك لأن البارودي عارض قصيدة البردة فقد ألف الدكتور طه على هامش السيرة وألف هيكل حياة محمد وفي منزل الوحي، ولا أظن أن أحدهما نشر شيئاً يقارب ما نشره البكري والشيخ شريف والبارودي

والفكرة التي يتبينها القارئ من كلام الأستاذ الغمراوي غير صحيحة، وهي أن المجون يعصم منه التدين فقد سمعنا في بعض حفلات إحياء المولد النبوي الكريم من التغزل في الذات النبوية من الشعر ما ينبغي أن ينزه عنه ذلك الحفل من ذكر الرضاب والريق والوصال الخ الخ على طريقة بعض الصوفيين.

وسمعنا بعض الأفاضل يختلفون في أمور ثانوية تافهة من أمور الدين، وكل منهم متدين، فإذا انصرف أحدهم ذكره مناظره بكل سوء وبالمجون واتهمه بالزندقة. بل رأينا أن أعظم سلاح شيوعاً في الدفاع عن الدين والفضيلة أو عن عقيدة الوطنية أو عقيدة سياسية هو سلاح المجون في القول وتهمه، وتعدى هذا السلاح هذه الأحوال إلى الدفاع عن النظريات العلمية والرأي يُرَى في البحث العلمي. والحقيقة أن المجون مزاج لا دخل له بالتدين أو عدم التدين؛ وقد كان من أثر انتشار مزاج المجون أنك تقول قولاً سليماً تقصد به معنى نظيفاً فيكون أول ما تصنع عقول السامعين أن تفتش فيه عن تخريج إلى المجون، ولا فرق في ذلك بين المتدينين وغير المتدينين، ورأينا أناساً من المتدينين يدعوهم الحسد والحقد إلى اتهام كل من كان أغنى أو أعقل أو أنظف منهم بالمجون. ونعرف أن في علم النفس قاعدة تدل على أن بعض الناس حتى المتدينين منهم يتمنون. لأنفسهم أماني المجون فيتلذذون بأمانيهم بنسبة ذلك المجون إلى غيرهم. وهناك طائفة من المتدينين صاروا ينافسون بعض رجال الصحافة والسياسة في سلاحهم السياسي ويحتجون باستعمال حسان بن ثابت هذا السلاح في الدفاع عن الدين، وقد فاتهم أن المسلمين كانوا في عهد قوله هم المضطهدين المشتومين وقد نالهم من أقوال خصومهم من السباب مثل ما نال المشركين من أقوال حسان بن ثابت. وفي يقيني أن النبي صلى الله عليه وسلم

عند ما دعا له أن يؤيده روح القدس وعند ما نصحه أن يلجأ إلى أبي بكر الصديق لم يكن يريد أن يزيده سيدنا أبو بكر من شدة الهجاء فقد كان الشاعر به أعرف، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يحرج من الرمي بالباطل بالرغم من أن شعراء الكفار ما كانوا يتحرجون من ذلك. وقد ذهبت أقوالهم بعد ما انتصر الإسلام وبقيت أقوال حسان بن ثابت. ولو بقيت أقوال شعراء الكفار لدلت على ما أردنا إثباته وهو أن شعراء الكفار كانوا هم البادئين بتلك الطريقة في الهجاء. ومع ذلك فإن ديوان حسان بن ثابت خليق بأن يسمى ديوان العبر لأن سادة المشركين الذين هجاهم صاروا بعد إسلامهم سادة المسلمين، وفي هجائه بعض ما لا ينقضه الإسلام ولا يغيره. وهذا الديوان إذا أخذ على علاته دل على حالة خلقية لا يتوقع القارئ أن تكون في ذلك الزمن. والسير على هذه الطريقة من غير رقيب أو وازع هو من الإخلال بروح الدين في عصرنا وهو عصر ينقاد فيه السذج لمن يريد أن يشفي حقده أو حسده ممن لا دين له ولا خلق وإن تظاهر بالدين والخلق، وهذه حقيقة لا مبالغة في تعبير ناعنها وقد لا يكون الأستاذ الغمراوي ممن يعرفها لبعده عن هذه الطوائف وبعده عن أحقادها وأقذارها ولكنها حقيقة يستطيع أن يراها في المجادلات السياسية وخصومات بعض المشتغلين بالسياسة والصحافة والأدب؛ فليس من العسير أن يفهم المفكر وجودها في بعض النفوس التي تتخذ السذج من المتدينين قنطرة للوصول إلى غرض شخصي، أو في نفوس بعض الذين لا يفهمون أن الدين ينبغي أن يترفع أنصاره عن المجون؛ لكن كيف تفهم ذلك نفوس مزاجها ذلك المجون. والمزاج لا يستطاع تجنبه مهما كان المرء متديناً. فالخطأ الذي وقع فيه الأستاذ الغمراوي عند ما حسب أن شدة التدين تعصم من الانهماك في الشهوات، أو أنها تعصم من لذة قول المجون إنما هو خطأ الذي يحكم على غيره بحالة نفسه؛ فإذا وجد نفسه متديناً يكره المجون ظن أن التدين يعصم من المجون. وليسمح لي الأستاذ الغمراوي أن أقول بكل رعاية: إن هذا الظن يدل على أنه لم يدرس خصائص النفس الإنسانية عامة في نفوس الناس دراسة غير المتحيز وغير المتعصب لطائفة دون طائفة، فإنه لو فعل ذلك لعلم أن مقدار ما في نفس المرء من مجون لا يعينه مقدار تدينه، حتى ولو وجدنا أمثال الأستاذ الذين يعصم تدينهم من المجون. ونحن لا نريد التعرض لشواهد من شعر ونثر

من برج العاج

قرأت بين الرسائل التي جاءتني في موضوع نشر اللغة العربية بين الأجانب رسالة لم أر بدًّا من إثباتها هنا، لأنها قد عرضت في فقرات سبع، مسائل ينبغي أن توضع موضع التفكير. قال صاحب هذه الرسالة: كي ننجح في اجتذاب الأجانب إلى «حانوتنا» الفكري يجب أن نتبع ما يأتي:

أولاً — أن يتكلم المصريون جميعاً اللغة العربية في كل المناسبات، وألا يسمحوا لأنفسهم ما داموا يعيشون في مصر بالتكلم بأية لغة أخرى مهما ترتب على ذلك من نتائج

ثانياً — أن تكون جميع مكاتباتنا باللغة العربية، وأن نضطر الأجانب إلى قبول الكتابة إليهم بلغتنا

ثالثاً — أن يكون التعليم في جميع المدارس الأجنبية في مصر باللغة العربية

رابعاً — أن يوطد الكاتب المصري عزمه على أن يكتب للعالم كله. إذ على الرغم من أن ما يكتبه لن يخرج عن حدود الأمم الشرقية الناطقة بالضاد، إلا أن مصر بالذات هي شبه عالم صغير فيها من كل الأمم وكل الجنسيات

خامساً — العناية بأسلوب الكتابة، والارتقاء به إلى السلاسة مع السهولة، وأن يجتهد كل كاتب في الكشف عن نفسه وغرضه في وضوح وصفاء

سادساً — أن تعرض المطبوعات بأثمان معتدلة لإغراء الأجانب بقراءتها

سابعاً — أن تكون هناك رقابة على المؤلفات جميعاً فلا ينشر منها إلا ما يستحق النشر، حتى لا نكلف الأجانب قراءة سخافاتنا المزرية

تلك مقترحات صاحب الرسالة. وهي من غير شك كفيلة بتحقيق الغرض. لكن المعضلة في التنفيذ، وأن بعضها لا يمكن أن يقوم به غير حكومة قوية الشوكة مرهوبة الجانب، وبعضها يقع حمله على كواهل الأدباء.

وأعجبني قول هذا الأديب: إن الكاتب المصري ينبغي أولاً أن يوطن عزمه على أن يكتب للعالم كله. ولعل هنا مفتاح القضية كلها، فهل في مصر الآن أدباء يكتبون للعالم كله؟ ذاك موضوع يحتاج في بحثه إلى صفحات طوال.

توفيق الحكيم

الأدباء القريبي العهد كرامة وصيانة ؛ وأما من عداهم من التدينين وغير التدينين فما على الأستاذ إلا أن يخالطهم وأن يدرسهم من غير أن يشعرهم أنه يدرسهم إلا إذا كانوا يهابونه كل الهيبة فلا يظهرون أمامه حقيقة نفوسهم . والخطأ الثاني الذي وقع فيه الأستاذ هو ظنه أن الشكوك الدينية تمنع الاعتقاد . والخطأ الثالث حسبانه أن عجز الكاتب عن منع إذاعة هواجس نفسه يدل على أنها أكثر تمكناً من نفسه ؛ ومثل الأستاذ كمثل الذي يرى صنبور ماء لا يقفل تماماً فيحسب أن ماءه أغزر من ماء غيره لأنه لا يستطاع إحكام حبس الماء من التسرب منه . وهذه الهفوات الفكرية هي التي وطدت السبيل لأن يفهم الأستاذ في النزعة إلى التجديد ما ليس فيها، ففهم أنها حركة التفاف يراد بها التعاون مع الحاقدين على الدين الاسلامي من الأوربيين . وقد أوضحنا للأستاذ بالشواهد التاريخية والأدلة المنطقية أن كل ما في هذه النزعة من محاسن ومفاسد كان من الممكن استنباطه من الآداب والعلوم العربية حتى ولو لم تتأثر النفوس بأدب اللغات الأوربية ، وإنما كانت تحتاج إلى زمن أطول لاستخراج كل هذه الأمور لو لم تتأثر بأدب اللغات الأوربية . ولا أدري لماذا لم يتهم الأستاذ الغمراوي أبا العلاء المعري بأنه كان يريد أن يقوم بحركة التفاف وتطويق معاونة لأعداء الإسلام من الأوربيين

ومن رأيي أن الأستاذ الغمراوي يؤدي خدمة كبيرة للدين والفضيلة لو أنه ترك نزعة التجديد وحاول بغيرته الصادقة أن يطهر الشعور الديني من شوائب الأثرة والمجون في نفوس الناس الذين يعتقدون أن تدينهم صك يعفيهم من ضرورة تطهير أنفسهم من المجون ومن تهالك الأثرة وجشعها ووسائلها الخبيثة وأحقادها .

وإذا كان شيخ الأدب القديم محمود باشا سامي البارودي لم يعصمه أخذه بالمذهب القديم من اختيار شعر أبي تمام في الغلام . فإن من الظلم يا أستاذ أن تلوم الدكتور طه وهيكل بعد ذلك على نشر قصص منقولة عن الفرنسية ، وهي مهما كانت لا يبلغ بها المجون هذا المبلغ ، وبعضها كان دراسات نفسية (سيكولوجية) ، وإذا كان شيخ المعرة أبو العلاء المعري لم يرد أن يقوم (بحركة التفاف) لمعاونة أعداء الإسلام من الأوربيين عندما قال : (قالوا لنا خالق حكيم) إلى أن قال :

هذا كلام له خبيء   معناه ليست لنا عقول

وعندما قال : (الموت نوم طويل لا انتهاء له) ، وانظر إلى قوله لا انتهاء له ، وعندما قال في إنكار البعث :

لو كان جسمك متروكاً بهيئته   بعد التلاف طمعنا في تلافيه

ومثل قوله في فناء الروح :

وجسمي شمعة والروح نار   إذا حان الردى خمدت بأفٍّ

أقول بعد هذه الأقوال وأشباهها التي يتخللها أقوال أخرى تختلف عنها: إذا كان شيخ المعرة جديراً بإحياء المسلمين ذكراه ، وطبع أقواله فمن الظلم أن يعد الأستاذ الغمراوي دراسة فولتير جريرة وحركة التفاف .

إن للدكتور طه آراء نخالفها كل المخالفة ، ولكنها ليست حركة التفاف؛ إنما هي نتيجة التفكير الذي قد يخطئ وقد يصيب. وكذلك ليست القصص التي نقلتها السياسة الأسبوعية حركة التفاف وإنما يصح أن ينتقد الناقد نشر بعضها، وما دامت مكتبات مدارس البنين والبنات الدينية وغير الدينية مملوءة بمثل المجون وأشد من الفحش والمجون الذي سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] سحيم عبد بني الحسحاس ينشده في بنت سيده ويقول :

ولقد تحدَّر من كريمة بعضهم   عرق على جنب الفراش وطيب

فمن العبث لوم السياسة الأسبوعية على تلك القصص

(قارىء)

(١) راجع كتاب طبقات الشعراء لابن قتيبة

أعلام الأدب

اسخيلوس والمسرح اليوناني

للأستاذ دريني خشبه

وكان للتمثيل موسمان عند اليونانيين . فموسم الشتاء (اللينايا Lenæa) وذاك هو موسم عصر الخمر عندهم ؛ وموسم الربيع (الديونزيا Dionysia) حينما كانت تجتمع في أثينا وفود أحلافها[1]

ولم تكن تمثل على المسرح اليوناني إلا كل درامة تنجح أمام هيئة المسابقة ، وكانت المسابقات تعقد ثلاث مرات[2] في السنة بإشراف الحكومة التي كانت تمثلها الهيئة الدينية

وقبل أن ينشأ مسرح ديونيزوس العظيم على منحدر الأكروبوليس الجنوبي الشرقي كان لأثينا مسرح آخر في مكان سوقها وكانت مدرجاته من عروق الخشب ، وقد حدث أن سقطت هذه المدرجات مرة في نزاع كبير نشب بين أنصار كل من اسخيلوس وبراتيناس وخوريلوس في الأولمبياد السابع (٤٩٩ ق . م) فقتل خلق كثير من النظارة ، وكان هذا الحادث هو الباعث لبناء مسرح ديونيزوس[3] ، حيث صنعت المدرجات من الحجر على الحدور الراسخ فكانت تتسع لثلاثين ألف متفرج

وكان مكان التمثيل هو الدائرة المنخفضة الوسطى من المسرح وكانت تسمى المرقص أو الأركسترا Orchestra

وفي وسط المرقص كان يقام المحراب الذي يبدل فيه الممثلون ملابسهم وأزياءهم التنكرية ، وقد رؤى أن يكون إلى خلف المرقص حين رفعت أرضه بالخشب لتتناسب مع المدرجات العالية أمامها

ولما كان المسرح في مثل هذا الاتساع الهائل عمد الأثينيون إلى حيل المكياج ليضخموا الممثلين بحيث تراهم الصفوف الخلفية ، فكان هؤلاء يلبسون أخفافاً كباراً لها أعقاب عالية من الخشب ، وثياباً سميكة محشوة ومبطنة ببطائن منتفخة ، وقد يكون للثوب ذيل فضفاض يجره الممثل وراءه

وكانوا يلبسون الأوجه التنكرية الكبيرة التي تلائم المشهد الروائي ، فإذا كان المشهد محزناً ظل الوجه عابساً بادي الألم ، وإذا كان المشهد مضحكاً بدت على الوجه أسارير المرح وقسمات الضحك أو علائم التهزيل

وكما عمدوا إلى ذلك لتضخيم الممثلين فكذلك عمدوا إلى فم الوجه التنكري فنفخوه بحيث يخرج الصوت منه مدوياً يجلجل في أرجاء المسرح فلا تضيع كلمة واحدة على نظارة الصفوف الخلفية

وقد أدى هذا المكياج العجيب إلى بطء الحركة في المرقص بطئاً شديداً لأن تلك الأخفاف الخشبية ذات الأعقاب العالية لا تعمل على السرعة بل تعمل على البطء ، هذا إلى اضطرار الممثل أن يتجه دائماً إلى الوجهة التي يعبر عنها الوجه التنكري الذي يلبسه ، لأنه لا يستطيع تبديل (تقاطيعه) حسب ما يقتضيه سياق الحديث[1]

وكانت طبيعة هذا المسرح الضخم الرحيب تقتضي أن يكون الممثل حاذقاً بارعاً ملماً بدقائق فنه خبيراً بتوجيه الصوت الذي كان ينبغي أن يكون دائماً جهورياً عالياً في غير حشرجة ولا تصديع

وقد كان الشعراء أنفسهم — وهم مؤلفو الدرامات — يقومون بتمثيل الأدوار المهمة ويتولون في الوقت نفسه مهمة الاخراج والإشراف الشامل على تمثيل الأدوار الأخرى ... وقد ظل إسخيلوس وسوفوكليس يمثلون أدوارهم حتى اضطرا إلى التخلي عن ذلك حينما ضعف صوت إسخيلوس ورأى سوفوكليس أن يستعمل ممثلا آخر يقوم عنه بهذه المهمة ، ومن هنا نشأ الاحتراف في التمثيل حوالي سنة ٤٥٦ ق . م

وإسخيلوس هو أول من اتخذ ممثلين بدل ممثل واحد يقوم بمعظم الأدوار الهامة في الدرامة . وقيل إن سوفوكليس زاد عدد الممثلين فجعلهم ثلاثة ؛ وقيل إن إسخيلوس هو الذي صنع ذلك وسَنَّه لمن جاء بعده

وكانت أدوار النساء تسند عادة إلى الصبيان المُرْد ذوي الصوت الناعم الرخيم . وقد مثل سوفوكليس نفسه دور الحسناء

(١) بركليس للأستاذ E. Abbot ص ٢٩٣
(٢) خلاصة الأدب لدرنكووتر ص ١٧٧ (٣) راسكو ص ٤٣

(١) ستوبارت ص ١٧٥

نوزيكا[١] فى درامته المفقودة (نساء غاسلات) ... ولا ندرى ماذا منع الآغريق من إسناد هذه الأدوار إلى السيدات ، وليس فى المصادر التى بأيدينا ما يلقى النور على ذلك

وقد كان الفنانون يبدون مهارة عجيبة فى صنع الأوجه التنكرية وخاصة لأدوار النساء، وقد حفظ لنا الأثر كثيراً من فن فدياس فى ذلك خصوصاً فى أدوار درامات سوفوكليس

أما الخورس (المنشدون) فقد عرفنا أن عددهم فى الدثرامب (أغانى باخوس[٢]) القديمة كان خمسين .وقيل ثمانين وقيل غير ذلك ، وقد نزل بهم إسخيلوس إلى ثمانية وأربعين لا يظهر منهم فى المشهد الواحد إلا اثنا عشر . وقال ستوبارت بل كان يظهر منهم فى المشهد الواحد خمسة عشر يخرجون من المحراب فى صفوف ثلاثة طولية عدد كل منها خمسة ، ويقودهم رئيسهم صاحب الناى وعلى يمينه ويساره قائدا الصفين الآخرين

وكان أفراد الخورس يُختارون من أمهر الراقصين اليونانيين ، ومن الذين مرنوا على الإنشاد والغناء ، وذلك لما يتطلبه فن الدرامة اليونانية من التوقيع الموسيقى الرشيق الأنيق المنتظم الذى يوائم مجرى التمثيل ويتفق ومشاهد المأساة أو الملهاة

أما ملابس الخورس فكان يؤدى ثمنها الثرى الذى تعهد للشاعر بمصروفات الدرامة ، وكان لكل فرد من المنشدين أربعة (أطقم) من الثياب يغيرها حسب اختلاف المشاهد ...

وكان للخورس المقام الأول فى الدرامة القديمة ، فهم الذين يشرحون الحوادث وهم الذين يعطون للنظارة كل فكرة هامة عن الدرامة ، وما الممثل (أو الممثلان أو الثلاثة) إلا قائد التسلسل أو كما يقول آرسطو (The Protagonist) أى الشخص الذى يقود الحديث ويوجهه[٣] . وقد أخذت مهمة الخورس تتضاءل وتقتصر على الشرح الخفيف والأغانى والموسيقى بعد اسخيلوس . ففى درامة المتضرعات Suppliants[٤] نرى أن الخورس هم أبطال الرواية ذكوراً وإناثاً ، وأنهم ينشدون من مادتها الثلثين على الأقل ؛ أما الثلث الباقى فهو للحوار ويؤديه الممثلان. فالخورس فى إسخيلوس هم صلب الرواية ، وهم حاضرون أبداً فى الأوركسترا لا يبارحونه ... أما فى سوفوكليس ،أو فى درامته فيلوكتيتس[١] Philoctêtes فلا تكاد تحس للخورس تلك الأهمية ، بل لا تكاد تحس لهم أهمية مطلقاً ، وهم لا يظهرون فى الأوركسترا إلا بعد أن تقترب المأساة من أوجها ، ولا يكادون ينشدون من مادتها أكثر من السدس . وهذا هو السبب فى سرعة الأداء فى مآسى سوفوكليس وبطئه فى مآسى إسخيلوس ، بل هذا هو السبب الذى أظفر الشاعر الشاب بالشاعر الشيخ كما سنرى فيما بعد .

وقد فقدت أغانى الخورس قيمتها تقريباً فى درامات يوربيدز واحتلت الموسيقى المكان الأول فيها جميعاً، وقدحدث ذلك التبدل حينما انحط الغناء وتشوف الأثينيون إلى الموسيقى العلوية الرفيعة التى تذكى الشاعر وتحوم بهم فى آفاق شعرية جميلة ، ومن هنا اهتمام يوربيدز بالأناشيد والمراثى القروية مما سوف نتناوله فى حينه إن شاء الله .

وقبل أن يبدأ التمثيل ، كان لا بد من إعطاء النظارة فكرة عن موضوع الدرامة ، فكان يبرز من المحراب أحد أفراد الخورس أو الممثلين أو الشاعر نفسه ليقدم المقدمة أو ال Prologue وذلك قبل أن يدخل أحد من الخورس ، أما مقدمة الخورس أو ال Episodion فهى ما يقدم به الخورس نفسه قبيل كل مشهد جديد ...

***

أما مادة الدرامات اليونانية فقد كان لها مصدران عظيمان : أحدهما خارجى ويشمل مشكلات السياسة ومؤامراتها وكل ما يتعلق بسلامة الدولة ، والآخر داخلى أو أهلى ويشمل الأساطير الدينية التى تحدد العلاقة بين الناس والآلهة أو بين الآلهة والآلهة أو بين الناس والناس فيما يتعلق بتقليد دينى أو فيما له صلة بتلك التقاليد

وفى الدرامات التى تتناول موضوعاً سياسياً لم يكن يسمح للشاعر أن يستهزئ بدولة ما حتى ولو كانت دولة معادية ؛ ولم يكن يسمح له أيضاً بأن يثلب طائفة ما من الطوائف التى يتركب منها الشعب الإغريقى . وقد حدث أن ألف الشاعر فرينيخوس

(١) موراى ص ٢٣٣
(٢) باخوس هو الاسم الرومانى لاله الخمر ديونيزوس
(٣) موراى ص ٢٠٨
(٤) لخصناها لقراء الرسالة سنة ١٩٣٥ وهى لأسخيلوس

(١) هى الدرامة الخالدة التى أعجب بها شاكسبير ونظم همك على غرارها وسنخلصها للقراء إن شاء الله فى فصولنا عن سوفوكليس

درامة[1] آذى بها الأيونيوسيين ، فثارت الخواطر عليه فى أثينا وانتهى الأمر بمحاكمته والحكم عليه بغرامة فادحة

وقد كان لأبطال الملاحم الهومرية والهسيودية النصيب الأوفى من عناية شعراء الدرام . وكانوا يعنون كذلك عناية فائقة بأبطال الحروب المروعة التى نشبت بينهم وبين الفرس ... تلك الحروب التى خلقت المجد اليونانى وحالت بانتصار اليونانيين دون تبربر أوربا

أما الأساطير التى تعج بها الميثولوجيا اليونانية فقد كانت مادة أساسية للدرامة ... ولا غرو ، فقد عرفنا أن الدثرامب كانت الفجر الصادق لهذا الفن الجميل العظيم ... والدثرامب هى أغانى باخوس ، وهى وإن كانت تنشد باسم هذا الإله المرح الطروب قد أدت إلى المأساة الصارمة الشجية التى تفيض بالألم وتورث الحسرة والأسى

وهنا موضع إشارة إلى رأي طريف جهر به أستاذ عظيم من أساتذة الأدب اليونانى القديم هو العلامة ردجواى ... فقد أنكر هـذا الأستاذ أن تكون أغانى باخوس الفياضة بالفرح والمرح والتهريج أصلاً للمأساة ، وزعم أن أصلها إنما هو الأسى والحزن ، والأسى والحزن إنما ينشآن حول الموتى وحول المقابر وفى المحافل الجنائزية التى كانت تقام فى هذه المناسبات ، وما كان يصحبها من إقامة شعائر الموت والطقوس الدينية المختلفة . ودليله على ذلك تلك المشاهد الكثيرة التى تزدحم بها المآسى من مناظر الحزن وإبراز أمارات الأسى وتجصيص القبور فى المناظر التى تقتضى ذلك .

هذا رأى طريف حقاً ... لكنه رأى لم يشر إليه أحد من قدماء اليونان ، لا أفلاطون ولا أرسطو ولا هيرودوتس ولا أحد ممن أرخ لهذا الأدب المسرحى العظيم . بيد أنه لا ينقض هـذا الرأى عدم إشارة أحد من هؤلاء إليه . فهو رأى محترم لأنه منطقى ولأن الأستاذ قد أردفه برأى آخر فى نشوء الدرامة الكوميدية كاد ينكر به ما تواتر به التاريخ وأجمع عليه العلماء من أمر نشوئها ، فقد زعم أن الكوميدية لم تنشأ عن الدثرامب التى هى أغانى باخوس الخمرية المرحة ، بل نشأت فى قرية تدعى Kome اشتهر أهلها بممارسة عبادة العنز لا عن تقى وورع بل اندفاعاً مع التيار ... وآية ذلك أنهم لم يكونوا يظهرون إلـههم الذى هو ديونيزوس أيضاً ... فى المظهر الذى كان ينبغى له بصفته أحد سادة الأولمب ، بل هم كانوا يظهرونه فى مظهر المخلوق المخمور العربيد الذى يثير مرآه الضحك[1] ويبتعث النشوة والابتهاج ، والسخرية أحياناً . فمن اسم هذه القرية اشتقت كلمة Komôidia للملهاة ولفظة Kômoi لشعرائها ومنشديها

ومع ما لهذا الرأى من قيمة ووجاهة فهو ما يزال يفتقر إلى إثبات وتدعيم .

* * *

هذا ولم تكن مناظر القتل وسفك الدماء تمثل على المسرح ، بل كان يكتفى بدخول رسول فيفاجئ الممثلين والخورس بمقتل فلان أو الاعتداء على فلان . وهنا تتغير اتجاهات المأساة ، وتبلغ أوجها بالخطبة الطويلة التى يلقيها هذا الرسول . لأنه يتناول شرح الاعتداء ووقته ومكانه وكيفيته والقائم به ...الخ . وكانت المأساة فى الغالب تنتهى بهذه الخطبة ، فيظهر إلـه، خصوصاً فى درامات يوريبيدز ، فيلقى عظة أو عبرة ، ثم يدخل الخورس إلى المحراب ، وينصرف الجمهور إن لم يكن هناك تحكيم

وعلى ذكر الخطبـة التى يلقيها الرسول نذكر أن الدرامة اليونانية لا تشبه بحال من الأحوال الدرامة التى نشهدها اليوم فى مسارحنا ... فدرامتنا تعتمد على الحوار القصير ، أما الدرامة اليونانية فتعمد على الخطب الطوال فى أكثر الأحوال ... ولم يوزع الشعراء اليونانيون بيتاً واحـداً من الشعر على أكثر من ممثل واحد كما يصنع شعراؤنا اليوم ومنذ عصر شاكسبير ... ومن الظريف جداً أن مترجمى الدرامات اليونانية القديمة من الانجليز والألمان والفرنسيين قد حافظوا على هذا التقليد حينما نقلوا تلك الدرامات إلى لغاتهم شعراً

وقبل أن نختم هذا الفصل نرى ألا يفوتنا أن نشير إلى حرية الرأى الكاملة عند هذا الشعب الأثينى الراقى العظيم ... تلك الحرية العجيبة غير المحدودة — إلا ما سلفت الإشارة إليه فى تناول بعض المشكلات السياسية — التى كان ينعم بها المؤلف والخطيب والمحاور وكل فرد من أفراد ذلك المجتمع الأثينى المهذب

لقد نشأت الدرامة اليونانية نشأة دينية بَحْتَـة ... لـكن

(١) غرادة ملتيوس

(١) سنضع بين يدى القارىء صوراً من هـذا الأله العجيب للشاعر أرسطوفان . وكذلك سنعرض مرة أخرى لنظرية نشوء الملهاة عنـد الكلام عنه .

فى السلام

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

لا كلمة الآن أشد سحراً وأكثر دوراناً على ألسنة الساسة من كلمة السلام، فهم يرسلونها فى خطبهم العالمية والمحلية حتى لتظهم ويظنون أنفسهم خلفاء الرسل فى الدعوة إلى سلام الأرض

وقد بنوا لهذه الكلمة الساحرة بيتاً عالياً فى جنيف له سدنة وكهان وحجاب، وكل هذا « كالعروض » : بحور بلا ماء !

ولا أعرف ديناً عنى بترديد هذه الكلمة على أسماع أهله فى الخلوة والجلوة وتثبيتها فى طباعهم كما عنى الإسلام

بل إن الإسلام والسلام كلمتان متداخلتان مادة ومعنى . ويعرف كل من له إلمام بفقه اللغة العربية وخصوصاً قانون « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى » أن هاتين الكلمتين ليس بينهما من فرق فى المعنى إلا بمقدار ذلك الفرق الضئيل فى اللفظ

وأنا الآن بمعرض بيان الأسس التى وضعها الإسلام لضمان السلام فى النفس، وبين الطبقات فى الشعب، وبين الأمم فى الأرض

وأول ما يسترعى النظر هو أن تحية المسلمين هى إلقاء كلمة السلام. وما أجد تحية أقرب مناسبة لكل وقت كهذه التحية، وهى فى الواقع بمثابة عهد بين البادئ والمجيب، على ألا يمس أحدهما الآخر بسوء. وفى البادية يفهمون لها هذا المعنى الجميل فيرافق المجيب البادئ إلى آخر حماه حتى لا يصاب بسوء ما دام فى حماه، بعد هذا التعاقد

وفى الصلاة الإسلامية ترديد كثير للسلام؛ حتى ليصح أن نطلق على التشهد « نشيد السلام » ففيه سلام على النبى صلى الله عليه وسلم وفاء له وذكرى بين يدى الله، وسلام على النفس لبعث الطمأنينة وإشاعة معناها فى الروح وإيحاء ذاتى إلى القلب بذلك المعنى، كما يشير بذلك علم النفس الحديث، وسلام على العباد الصالحين يرسله المصلى إليهم فى غيبتهم وغيبوبته هو فى مقام الله، وكأنه يتعهد أمام الله ألا يمس أحداً من رجال الإصلاح بسوء، ثم تنتهى الصلاة بسلام عن اليمين والشمال يستأنف به المصلى عودته إلى ملابسة أمور الحياة. ذلك موقف هو أعظم مواقف التصفية للنفس المسلمة فى حياتها اليومية، فلينظر فيه علماء النفس ويبينوا أى قوة تربيوية أوحى بمعانى السلام منه ؟

ثم يعمد الإسلام إلى تثبيت معنى السلام من طريق العظة بالقول بعد أن أوحى به فى العبادة فيصف المسلمين بأنهم « إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلية » « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » إلى آخر النصوص التى تفيض بها مراجع الإسلام

ولما قامت دولة الإسلام بالمدينة وابتدأت الحياة السياسية للمسلمين شرع الله شرائع الحرب والسلم حتى لا يسير المسلمون وراء السياسة وهى فاجرة قاسية، فنادى نداء عاماً « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً » وقد نهى وحذر من الخداع واتخاذ العهود والمواثيق تمويها وغشاً « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم

المجتمع الأثينى لم يكن مجتمعاً دينياً متزمتاً ... ودينه لم يفرض عليه طقوساً يومية من العبادات، وإن كنا نحن نؤمن إيماناً مطلقاً بما لهذه الطقوس من الأثر الجميل فى مجتمعنا ... لكنهم هكذا نشأوا ... نشأوا وثنيين فى عشقهم للجمال والحرية ومحبة العدل وإيفاء كل ذى حق حقه .. احترموا الموت ولم يفكروا فيما وراءه، وآمنوا بالقضاء والقدر إيماناً إيجابياً لا إيماناً سلبياً مثل إيمان بعضنا بهما ... ومن هنا نبعت روائع دراماتهم ... لقد كان كل ما يأمرهم دينهم به هو تقديم القرابين وعقر الأضاحى ... ثم دفن الموتى ... فمن لم يدفن بعد موته أو قتله ظلت روحه هائمة فى الظلمات عابسة كاسفة حتى يدفن صاحبها فيؤذن لها فى دخول هيدز ...

هذا كل ما فُرض عليهم من أمر دينهم . . . ومع ذلك فقد فهم أحرارهم هذا الدين الأسطورىّ على وجهه الحق فلم يبالوا أن يزيفوه ويتناولوا آلهته بالنقد والتخطئ والتسفيه والسخرية أحياناً ... كما سيمر بك فيما يلى دريني خشبة

ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » « ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً » « ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به »

وهنا نقف قليلاً لنفكر فى هذه الآية العجيبة التى تلخص كل مشاكل السياسة وبخاصة فى هذا العصر. فنحن على علم الآن بأن كل ما يوقع الأمم فى جحيم الحرب هو عدم الثقة المتبادلة فكل دولة لها مواثيق مستورة ومواثيق علنية، والاعتماد الأكبر على المحالفات السرية، وكل دولة متهمة عند الأخريات، وكل دولة تريد أن تكون أربى وأكثر عدداً وقوة ومنافع من الأخرى، فهم قد اتخذوا مواثيقهم وعهودهم دخلاً وغشاً بينهم فلا تترك ثقة ولا تدفع شكا، وكل هذا للمادة والمال « لتكون أمة أربى من أمة » لا لخدمة مثل أعلى، ولا لعلم أو معرفة، ولا شك أن هذا بلاء كبير كما يعبر القرآن

فانظر كيف يدخل الإسلام إلى السياسة بهذه الروحانية الجميلة التى هى سر نجاح سياسة العرب فى تعريب الأمم وإسلامها

ويعد القرآن اتخاذ العهود والمواثيق دخلاً وخداعاً وغشاً، زلة قدم بعد ثبوتها، وذلة تحت حكم السوء، وصداً عن سبيل الله « ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم »

ولم أر القرآن يؤكد معنى فى موضع واحد منه وفى آيات متلاحقة وفى بيان يدير المعنى على اختلاف وجوهه ويستعين على توكيده بالتشبيه والتمثيل كما رأيته فى هذه الآيات التى تحض على الوفاء وتنهى عن الخداع فى السياسة بين الأمم ... !

وأحب ألا يفهم قارئ أن القرآن يدعو إلى الضعف والغفلة بإدخاله الروحانية فى السياسة، فإن هذا فهم خطئ. فقد دعا الإسلام إلى الأخذ بأسباب القوة ما وسعت الطاقة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ». « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ». « وليجدوا فيكم غلظة » ... « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف »

وإنما هى رحمة الأقوياء، وعفو القادرين، وسلام تحت ظلال السيوف ...

« بغداد — الرستمية » **عبد المنعم محمد خلاف**

من برج بابل

أسعد ساعاتى وأحفلها بالعبر والتأمل، حين أجلس إلى طفلى. فأعمد أنا إلى إبرتىّ الطويلتين دائبة على صنع قطعة من النسيج، ويفرغ هو إلى الدُّمى واللُّعب كأنه ملك عابث، فهو منهمك أبداً فى تدبير دولة من لُعب، فتارة يقسم فصائل جيشه وينصب عليهم القواد ويدعوهم إلى القتال والجهاد، وطوراً يزف الملك إلى الملكة، وأحياناً يحرك القطار على القضيب. وهو فى هذا كله نشيط دائم الحماسة والحركة، يزمزم بلغة غريبة عنا، كأنما لا يفهمها غير عاله الصغير ورعيته الجامدة!

ثم لا يلبث أن يعتريه الملل والسآمة وتسيطر عليه غريزة عجيبة، فيهدم عرشاً نصبه، ويبعثر جنوداً مدربة منظمة، ويصدم عربات قطاره، ويهرع إلىّ محتجاً متبرماً، يطلب عالماً جديداً أو إن شئت لعبة جديدة. وبأى قدرة أستطيع أن أمده على الدوام بعوالم لا متناهية متجددة فى كل لحظة! فإذا شعر منى بالعجز عن الخلق والإبداع انصرف إلى دنيانا نحن الكبار: فيجذب الزهرية المستقرة فى رشاقة على المنضدة ويهوى بها إلى الأرض؛ وإلى الورد فيعبث بأوراقه، ويعمد إلى الستار المسدل على النافذة فيهدله، وإلى زجاجها فيحطمه؛ ويسعى إلى القط الجميل الوديع فلا يزال يستدرجه، حتى إذا تمكن منه حاول خنقه بيديه الدقيقتين.

لشد ما يجهد أعصابى هذا المخلوق الصغير الجبار! إنه لا يهدأ، إنه لا يستقر. ولا يحلو له غير التدمير والعبث بنظامنا. لا توقفه نظرتى الحادة المهددة، ولا تهدئه بسمتى الحنون الرقيقة، ولا يثنيه ما أقدم من حلوى.

ألا إن فى الأطفال حافزاً عجيباً يدفعهم على الدوام إلى هدم ما هو قائم، وإفساد ما هو كائن، وتحليل ما هو مركب. وحين ألقى النظر على يدىّ وهما دائبتان فى نسج الحياة، وعلى آثار الحطام التى أنزلها بعالمى طفلى الصغير، أشعر بالفارق الهائل بين الأمومة العاملة والطفولة الهادمة

هؤلاء الصغار، فلذات أكبادنا، يولدون فى الحياة بمشاعر جديدة، وطبائع جديدة، وأفكار جديدة، وآمال جديدة.. فلا يطيب لهم أن يبقوا على ما صنعت الأمهات وما بذل الآباء؛ فتراهم يحطمون فى لحظة عالمنا، ثمرة كدنا وعمرنا وجهدنا، كما لو كان صنماً قديماً سخفت عبادته!

مارى نسيم

حول كتاب « مصطفى كامل »

مصطفى كامـــــل
والسيادة العثمانية
للأستاذ محمود العمرى

في عدد الرسالة الصادر فى ٢٠ فبراير كلمة للأستاذ العقاد عن كتاب « مصطفى كامل » لعبد الرحمن بك الرافعى ، لا يسع قارئها إلا أن يرى فيما جاء بها ، حواراً طبيعياً بين مؤرخ (سعد زغلول) ومؤرخ (مصطفى كامل) . وقد أوسع الأستاذ العقاد مجال المناقشة من الجانبين، إذ قال فى آخر كلمته أن ليس للقارئ أن يطلب الحق كله من كتاب واحد لاسيما فى تاريخ تختلف فيه الميول والآراء. وهذه دعوة ضمنية إلى طرح الموضوع على بساط البحث كما يستنير أبناء الجيل الحاضر ممن تأثروا بحركة سعد زغلول دون حركة مصطفى كامل .

والمهم فى هذه الكلمة أن الأستاذ العقاد يأخذ على عبد الرحمن بك أنه ظل غير متحيز فى سلسلة كتبه عن الحركة القومية منذ الحملة الفرنسية إلى أن وصل إلى مصطفى كامل فتحيز له ضد خصومه .

ولأجل أن نبحث هذه الملاحظة لا بد لنا من الرجوع إلى السياق التاريخى لمنطق الوطنية المصرية منذ الحملة الفرنسية ، لنتبين ما إذا كان هناك عدم تناسق فى حلقاتها ؛ وعندئذ نرى الحكمة الحقيقية فيما قاله عبد الرحمن بك فى مقدمته : من أنه كان فى أول الأمر يريد ترجمة سيرة مصطفى كامل ، فأدى به البحث إلى أن يمهد لها بتحقيق تاريخ الحركة القومية منذ الحملة الفرنسية التى تعد بداية محاولة دول أوربا الاستيلاء على مصر بأساليب واحدة ؛ إذ أن حركة مصطفى كامل لا يمكن اعتبارها من جانب المؤرخ الحقيق إلا حلقة من حلقات سلسلة جهود المصريين للوقوف فى وجه الفاتح الأوربى ؛ كما أن تشابه الموقف فى هذه الحلقات كان من شأنه أن أملى على المجاهدين فى سبيل الاستقلال الحقيقى خطة واحدة . وما الشعور الوطنى إلا غريزة الدفاع عن النفس ، وهى غريزة طبيعية فطرية إذا كانت سليمة صادقة فرضت على النفوس منطقاً سلبياً على اختلاف درجة تعمق الآخذين بها فى مبلغ فهمهم إياها عن طريق العقل .

فالسلسلة التاريخية التى بدأت منذ قرن ونصف قرن تقريباً إنما هى عدة فصول فى رواية واحدة يطلع عليها القارئ فى سلسلة الحركة القومية بقلم رجل يجمع إلى صفاته كمؤرخ صفة أخرى وهى صفة المؤمن بتلك الحركة، وهذه مزية ضرورية لمؤرخ أى فكرة ؛ إذ أن عبد الرحمن بك رجل يؤهله طول بلائه فيها لأن يفهمها بروحه ومزاجه فضلاً عن فهمه إياها كمؤرخ وكرجل يدرك المرامى السياسية عن طريق إلمامه بالقانون .

احتل نابليون مصر ، وكانت تابعة لتركيا ، وكانت انجلترا منافسة له تسعى لإخراجه منها . وكانت حجتها فى ذلك أن فى هذا الاحتلال اعتداء على حقوق الدولة العثمانية التى لم يكن فى حالة حرب ضدها بل كان متعهداً بسلامتها بمقتضى المعاهدات . فأخذت تحرض تركيا على التمسك بحقوقها، وتحرض المصريين على التمسك بعلاقتهم بها ما دام الاحتلال الفرنسى قائماً . وكان نابليون يسعى جهده لحمل تركيا على الرضا عن احتلاله لمصر نظير مزايا عظيمة فى البلقان ، كما سعى بوسائل شتى لحمل الزعماء المصريين على قبول الانفصال عن تركيا فبذل فى سبيل ذلك جهوداً عظيمة ، وأدى للشعب خدمات جليلة ، ولكنه لم يفلح مع تركيا ولا مع مصر ، ولذلك تم للمصريين ما أرادوا من عدم تمكن النير الأجنبى من أن يقوم على رضاهم بسند شرعى. ولو أنهم خدعوا بما أغراهم به نابليون باسم الانفصال عن تركيا لخلا الجو أمام احتلاله وهو الإهدار الحقيقى للاستقلال ولكانت مصر إلى الآن مستعمرة فرنسية ...

أثبت التاريخ بعد ذلك أن مصر لم تكن بهذا السلاح السلبى تقصد التبعية لتركيا بدليل أنها ما كادت تتخلص من الاحتلال الفرنسى حتى أخذت تعالج مشكلة استقلالها مع تركيا وجهاً لوجه، فوضعت محمد على على رأسها وحاربت تحت قيادته المتبوع الأعظم وهزمت جيوشه ؛ وذلك بفضل استقلالها الداخلى الذى مكنها من أسباب القوة القومية، وهذا لعدم توفر الركن الأساسى للتبعية الفعلية لتركيا وهو وجود جيش احتلال تركى فى مصر .

لم يقف الجيش المصرى الظافر على تركيا إلا تدخل دول أوربا التى لا تأخذ الواحدة منهن على المصريين تمسكهم بتركيا إلا عند ما يكون هذا التمسك مقصوداً به التخلص منها . أما إذا كان مقصوداً به التخلص من دولة منافسة لها فإنه يصبح عندئذ أمراً منطقياً تمليه الوطنية الحقة ولا تعصب فيه للدين ولا للخلافة

ولم يقف الاستقلال الذى عملت له مصر فى ميدان القتال

عند الحد الذى رسمته معاهدة سنة ١٨٤٠ إلا تدخل تلك الدول خشية فتح باب المشكلة الشرقية بما تقتضيه من التنافس على توزيع أسلاب الدولة العثمانية

وفى سنة ١٨٨٢ احتلت انجلترا مصر احتلالاً مؤقتاً بموافقة صاحبي الشأن فى معاهدة سنة ١٨٤٠ وهما سلطان تركيا وخديو مصر فعاد نفس الموقف الذى كان قائماً أيام الاحتلال الفرنسى . وبعد أن انتهت الحالة المؤقتة التى أدت إلى ذلك الاحتلال أصبحت فرنسا تطالب انجلترا بالجلاء بنفس الحجة التى كانت هذه تتذرع بها أيام نابليون فسعت انجلترا سعى هــذا الأخير لإزالة العقبة القانونية التى تجعل احتلالها غير مشروع فأوفدت درامندو ولف إلى الآستانة للاتفاق على تبرير الاحتلال الدائم وهو الحماية ففشلت، وكان بعض فشلها راجعاً إلى سعى فرنسا التى حاربتها بنفس الحجة التى حوربت بها قبلاً وظلت تحاربها بها إلى أن اتفقت معها انجلترا على إطلاق يدها فى مراكش

لجأت انجلترا أيضاً إلى مثل ما لجأ إليه نابليون من حمل الشعب المصرى على المطالبة بالانفصال عن تركيا قبل أن ينجلى الجيش الانجليزى عن مصر وقدمت فى سبيل ذلك للشعب المصرى خدمات اقتصادية وقامت له بإصلاحات إدارية كثمن لإلهائه عن الاستقلال فنجحت مع بعض الأعيان الذين كانوا يسمونهم أصحاب المصالح الحقيقية فراحوا يقولون إن الاستقلال هو الانفصال عن تركيا قبل الجلاء . وكانت الغاية التى قصد إليها الإنجليز أن تزول من طريقهم إلى الحماية الحقيقية تلك العقبة التى جعلت مركزهم غير صحيح . ثم شفع هؤلاء المصريون خطتهم بالمناداة بالاتفاق مع انجلترا كما تنكروا لسلطة الخديو الممثل الشرعى للسيادة المصرية المقررة فى معاهدة سنة ١٨٤٠ حتى تنهدم المعاهدة المذكورة من ركنيها الخارجى والداخلى ، هذين الركنين اللذين هدمهما الاحتلال

. عندئذ قام مصطفى كامل فنهض نهضة استقلالية تامة لاشك فى اتجاهها ومراميها ، وقال مراراً إن مصر لاتريد إبدال متبوع بمتبوع ، ولكنه احتاط عند تحديد المطالب السياسية فجعل هدفه الأول جلاء الاحتلال ووضع أمامه معاهدة سنة ١٨٤٠ سنداً قانونياً سياسياً ضد الاعتداء الحقيقى على تلك المعاهدة

إن القول بأن استفادة مصطفى كامل بالعوامل الخارجة عن الجهود المصرية كان مناداة بالتبعية لهذه العوامل إنما هو قول بعيد عن الحقيقة التى لمسها معاصروه قبل أن يسلموا له بما اعترف به الأستاذ العقاد إذ قال عنه إنه زعيم الوطنية المصرية فى ذلك العصر

استفاد مصطفى من خلاف فرنسا مع انجلترا فظن بعض الناس أنه صنيعة فرنسا . فلما تنحت فرنسا عن قضية مصر استمر فى جهاده بل ضاعف قواه . واستفاد من خلاف ألمانيا وحلفائها وأيد الخديو ، حتى إذا خرج كرومر وتغير الحال أثبت مصطفى كامل أن انتصاره لسمو عباس حلمى باشا لم يكن إلا انتصاراً للسيادة المصرية لا لشخص الخديو وضاعف الهمة حتى زالت حجة المكابرين الذين قالوا بأنه صنيعة . وكذا كان شأنه مع تركيا شأن المستفيد من مصلحة مشتركة فى موقف معين . وما قوله فى شأن الخلافة إلا شأن فرنسا وإيطاليا مثلاً عند اتفاق مصالحهما بأن هناك رابطة لاتينية

ولما تولى الحركة فريد بك ازدادت خطة الوطنية وضوحاً لمناسبة الظروف التى استجدت فقامت الحرب العالمية وهو فى تركيا فأفهم رجالها وهم على وشك الهجوم على مصر أن عدم مطالبة المصريين برفع السيادة التركية إنما كان لوجود الاحتلال الإنجليزى

اعترفت انجلترا بأن تكييف مصطفى كامل للاستقلال كان تكييفاً صحيحاً كما اعترفت للمجاهدين ضد نابليون عند ما كانت تريد إخراجه من مصر . ويكفى أن يطلع الإنسان على إعلان الحماية ليرى هذا الاعتراف إذ جاء فيه : « بما أن تركيا فى حالة حرب مع انجلترا فتزول من الآن السيادة التركية وتصبح مصر تحت الحماية البريطانية »

ولما انتهت الحرب العظمى لم يتمسك رجال مصطفى وفريد بالسيادة العثمانية ، فهذا غير معقول ، وإنما عملوا على ألا يتم تنازل تركيا عن سيادتها إلا لمصر لا لانجلترا كما عملوا على احتفاظ مصر بما لها من الحقوق فى معاهدة سنة ١٨٤٠ . ولذلك سافروا إلى أنقره وإلى لوزان ولم يسع (الوفد المصرى) إلا أن يبعث معهم بعض رجاله ويشترك معهم فى هذا السعى .

أما ماحصل بعد ذلك فيكفى أن تكييف مصطفى كامل قد سجل له التاريخ نتيجة واضحة وهى أن معاهدة سنة ١٩٣٦ استنفدت برامج جميع الأحزاب ما عدا برنامج الآخذين بمبدئه .

محمود العمرى

دراســات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب الموضوعى نقد وتاريخ

رأينا فيما تقدم أمثلة من الأدب الموضوعى ، ورأينا بعض هذه الأمثلة يتناول قطعة من الأدب ليبيّن ما فيها من عيوب ومزايا ؛ ورأينا أمثلة أخرى تبيِّن مناهج الكلام البليغ ، وتوضح مزايا هذا الكلام فى معانيه وألفاظه وأساليبه ، وقلنا إن هذه الأمثلة وما يشبهها تسمى نقداً . ثم وجدنا أمثلة غيرها تقصد إلى تبيين أطوار الكلام فى العصور المتتابعة وإيضاح أسبابها ، وقلنا إن هذه الأمثلة وأشباهها تُعدّ من تاريخ الأدب

وهنا نُجمل الكلام فى النقد الأدبى وتاريخ الأدب

١ — النقد الأدبى (١)

نقد الكلام تبيين مزاياه وعيوبه ، وتمييز جيِّده من رديئه

يقال : نقد الكلام وانتقده على قائله ، وهو من نقدة الشعر ونقَّاده ... الخ (٢)

٢ — نشوء النقد وتطوره

النقد طبيعى فى الإنسان ، ينشأ من استحسان الشىء أو استهجانه . ويزيد الناس اهتماماً به اختلاف الأذواق فى تقدير الشىء الجميل والقبيح ، وتفاوت الإدراك فى معرفة الصواب والخطأ ، ويعظم الخلاف فى دقائق الأمور التى لا يُبينها حِسٌّ واضح أو إدراك بيّن ، وكلما دقت المسألة عَسُر الحكم فيها وكثر الخلاف ؛ وكلما كثر الخلاف كان النقد أصعب ، وكان على صعوبته ألزم . والنقد يكون فى العلوم ، والصناعات ، ويكون فى الآداب . وهو فى هذه أغمض وأعسر لأن الآداب لا يرجع فيها إلى الحس أو العقل ولكن إلى العاطفة والذوق ، وهما من الأمور النفسية يصعب تحديدهما ويكثر الاختلاف فى أحكامهما

والنقد يكون فى مبتدئه أحكاماً لا يدعمها برهان ولا يُوضحها بيان ، ثم تتناقض الأحكام، وتتصادم الآراء، فيذهب كل ناقد يفسر رأيه ، ويقيم حجته ، على قدر ما يواتيه فكره ، ويمده ذوقه ، حتى ينتهى الجدال إلى أمور مسلمة ومقاييس محدودة يحتكم الناس إليها فيتفقون. وربما ينتقل الخلاف من المسائل الجزئية التى يختلفون فيها إلى المقاييس الكلية التى يقيسون بها ؛ يختلف اثنان فى وزن شىء أو طوله فيعمدان إلى الميزان أو الذراع ليعرفا الصواب فيما اختلفا فيه ، وربما يقع الخلاف فى صنجة الميزان أو فى طريقة الوزن أو فى الذراع أو طريقة الذرع .

وكذلك الأمور المعنوية ، يقع فيها الخلاف فيرجع المختلفون إلى قواعد يتفقون عليها ، وربما يختلفون فى القواعد نفسها . يقول واحد : هذا حسن ، ويقول آخر : بل هو قبيح ، فيرجعان إلى القوانين التى يعرف بها الناس الحسن والقبيح ، يقول أحدهما : حسن لأنه نافع ، ويقول الآخر : قبيح لأنه ضار ، ثم يعرفان أنه نافع أو ضار فيتفقان . وقد يتمادى الخلاف بينهما فى المقياس نفسه ، فيقول أحدهما : كل نافع حسن ، ويقول الآخر : ليس كل نافع حسناً، ليس مقياس الحسن والقبح هو النفع والضر بل قبول النفس أو نفورها أو اللذة والألم . فإن لم يتفقا على مقياس الحسن والقبح استمر الخلاف بينهما

كذلك الأدب : يسمع أحد الناس قصيدة فيستحسنها ويطرب لها ويخالفه آخر ؛ فيقول الأول : ألفاظها مألوفة سلسة حسنة النغمة ، ومعانيها جميلة فيها سمو بالنفس ولها أثر فى القلب، وكثير

---

(١) لا نقصد فى هذا المقال استيعاب الكلام فى النقد ، ولكن نريد أن نصوره للقارئ فى أيسر الصور وأقربها

(٢) وأما المعنى اللغوى للكلمة فقد جاء على الأضرب الآتية ويمكن ترتيبها على النسق الآتى لتمثل استعمال الكلمة بين أول معانيها اللغوية ومعناها الاصطلاحى :

١ — نقد الطائر الحب ينقده إذا لقطه واحدة واحدة

٢ — نقد الشىء ينقده إذا ضربه بأصبعه كما تنقر الجوزة

٣ — فى حديث أبى ذر : فلما فرغوا جعل ينقد شيئاً من طعامهم ، أى يتناول يسيراً منه

٤ — نقد الدراهم نقداً : ميز زائفها من جيدها

٥ — فلان ينقد فلانا بعينه : يديم النظر إليه خلسة

٦ — ناقدت فلانا ناقشته

٧ — نقد الناس عابهم . وفى حديث أبى الدرداء : إن نقدت الناس نقدوك ، وإن عبتهم عابوك

منها مخترع . ويخالفه الثانى فيما زعم للألفاظ والمعانى من أوصاف فيقول: ليست الألفاظ مألوفة سلسة ، أو يوافقه على أنها كما قال ولكن يدعى أن الألفة والسلاسة ليست مقياس الجمال أو البلاغة؛ فإما أن ينتهيا إلى مقياس يرضيانه فيتفقان ، أو يتمادى بينهما الخلاف

وفى البحث عن المقاييس والاتفاق عليها أو الاختلاف فيها يكون تطور النقد الأدبى وتشعب مذاهبه ، ووضوح مناهجه ، واستناده إلى براهين تتفق فيها المعرفة الواسعة والذوق المهذب والحس المرهف

٣ — ضروب النقد

وفى النقد الأدبى ضروب منها :

١ — نقد الجزئيات، وهو نقد قطعة من النثر أو الشعر بالنظر فى ألفاظها وتبيين أنها مما عرف فى اللغة ، وأنها موافقة للصرف والنحو ، وأنها مألوفة غير مبتذلة ، وأن وزنها ، إن كانت من الشعر، صحيح لا خلل فيه — أو بالنظر إلى معانيها وتبيين أنها غامضة أو واضحة ، وقيمة أو تافهة ، وطريفة أو مبتذلة ، ومخترعة أو مسروقة ، وأن التصوير فيها واف بالمقصد أو مقصر عنه ، وأن مجازاتها واستعاراتها حسنة أو قبيحة ... وهلم جرا

٢ — وقد يتناول النقد شاعراً أو كاتباً ؛ فيقال إنه ركيك الألفاظ أو غامض المعانى أو مستهجن الموضوعات أو متكلف لا يصور الطبيعة أو سراق غير مخترع

٣ — وربما يكون النقد أوسع من هذا فلا يتناول قطعة أو شاعراً بعينه ، بل يتناول طرائق البيان ومناهج البلاغة ؛ فيقال : ينبغى أن تؤلف الألفاظ على أسلوب كذا ، وأن تحرر من السجع والصناعة ، وينبغى أن تكون المعانى بينة قريبة من المخاطب ، وينبغى أن يطول الكلام أو يقصر على قدر المقام وهكذا

٤ — وأحياناً يسمو النقد فوق هذا كله وينظر إلى الأدب ومقاصده عامة فيتناول مسائل كالمسائل الآتية : هل للأديب أن يطرق كل موضوع ، أو هو جدير بأن يتناول موضوعات سامية لا يتناولها العامة ؟

هل على الأديب أن يلتزم الأخلاق والآداب فيما يكتب أو هو حر فيما يبين غير مطالب إلا بالإجادة فى بيانه ؟

هل الحق والصدق من أسس البلاغة أو يكون الكلام بليغاً وهو كذب وباطل ؟

هل للأديب مقصد فيما يكتب ، أو هو كالزهرة تنشر الرائحة العطرة بطبعها لا تبنى وراء هذا شيئاً ؟

وهذه المباحث أعمق مباحث النقد وأوسعها وأعظمها جدوى لأنها تتناول وجهة الأدب ومقاصده وموضوعاته ، تعمد إلى سبل الأدب تبينها وتوضحها ليكون الأديب على بينة من غايته وسبله قبل أن يسير ، فلا يعتسف الطريق ولا يضل دون الغاية

٤ — النقد فى الأدب العربى

أما النقد اللفظى الذى يرجع إلى متن اللغة والنحو والصرف والعروض فالأمر فيه يسير لا يحوج إلى شواهد ، وهو واقع فى كل زمان يشترك فيه الشادون والمتنهون . ويرى فى كتب الأدب كثير منه ؛ وقد كتب فيه الحريرى كتابه « درة الغواص فى أوهام الخواص »

وأما نقد الألفاظ من حيث سلاستها أو تنافرها وألفها أو غرابتها ونحو هذا ففى كتب الأدب والبلاغة مباحثه وشواهده

والنقد المعنوى عرفه العرب فى كل عصور الأدب حتى العصر الجاهلى ولكنه كان أول الأمر نقداً مبهماً غير معلل كقولهم : فلان أشعر ، وهذه القصيدة أحسن ؛ أو نقداً لمعان جزئية أحسن فيها القائل أو أساء

ثم حاول العلماء منذ القرن الثانى أن يصفوا طرائق البيان ، ويحدوا حدوده ويبينوا معالمه فكتبوا فى البيان وأكثروا ودعموا دعاويهم بكثير من المنظوم والمنثور

ونجد النقد عندهم مفرقاً فى الكتب الآتية وأمثالها :

١ — كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥

٢ — كتاب نقد الشعر وكتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٥

٣ — الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي على بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٢

٤ — كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحترى للحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٧٠

٥ — كتاب العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٥٦

٦ — كتاب أسرار البلاغة ودلائل الأعجاز لعبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١

٧ — كتاب المثل السائر فى أدب الشاعر والناثر لضياء الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧

تناول هؤلاء البيان من جهاته المختلفة ألفاظه ومعانيه وأساليبه وحاولوا جهد الطاقة أن يبينوا النهج للبلغاء ويصفوا القواعد التى يبنى عليها الكلام البليغ

ولكن نقادنا لم يتناولوا المباحث العامة التى تبين وجهة الأدب ومقاصده، وموضوعاته وصلة الكلام بقائله وصلة القائل ببيئته

وقد عنى بهذا الأوربيون منذ عصر النهوض، وتوسع فيه الفرنسيون منذ القرن السابع عشر الميلادى حتى نبغ منهم فى القرن التاسع عشر ثلاثة يعدّون أئمة النقد الأدبى حتى اليوم . وهم :

١ — سنت بوف [١] وأساس مذهبه معرفة الصلة بين الأدب ونفس الأديب، وجعل النقد تاريخاً للعقول والأنفس يتعرفها فى آثارها ويكشف عن خباياها

٢ — تين [٢] ومذهبه يعنى كثيراً بمعرفة البيئة التى نشأت الأديب ليتوسل بها إلى معرفة الأديب نفسه

٣ — برنتيير [٣] ومذهبه أن البلاغة قائمة على التدرج والتطور كالحيوان والنبات وعمل الناقد هو تتبع هذه الأطوار

عبد الوهاب عزام

---

(١) Saint Beufe (١٨٠٤ — ١٨٩٦)

(٢) Taine (١٨٢٨ — ١٨٩٣)

(٣) Ferdinand Bronetiére (١٨٤٩ — ١٩٠٧)

إنى تعبـــة!

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

إننى تَعِبة الليلة، وهناك شىء — لست أدرى على وجه التحقيق ما هو . ولعلّه هزيم الريح أو دوى المطر فى جنح الدجى، أو لعله تصايح الطير على الأيك من كل جانب فى الخارج

هناك شىء، أجد لشجوه أمثالاً تستخرج وجدى، وتبعث أساى من بعد هجومه، وتعيد إلى الماضى السحيق وأحزانه وآلامه

فاشعر، وأنا أجلس هنا متأملة مفكرة، أن يد شهر مدبر، من شهور يونية التى خلت ولم يبق من عهدها السعيد إلا التذكر، تمتدّ الآن إلى أوتار قلبى المرتخية، وتشدّها، وتصلح وحدة أوزانها، وتحكم انسجام اهتزازاتها

إنى تعبة الليلة، وإنى لأفتقدك، وأحنّ إليك يا حبى، وأشتاقك شوقاً أكتمه جهدى ... ومن خلال الدموع أحسب أننى أراك، وكأنك تمضى اليوم فقط مع الذاهبين إلى ربهم

مع أن الزمان قد مدّ خطاه الواسعة فى مهامه مترامية، وتجاوز عهوداً عديدة وأعواماً مديدة مذ فارقتنى، وكأنى أستشعر الانفراد والوحشة من جديد . . . أنا التى كثيراً ما أحيا فى عزلة وحدى، وها هى ذى أوتار قلبى المشدودة تدعو الهديل

ولكن هيهات أن يجيبها منوط بأطراف الجناح رميم ... هيهات أن يطربها باللحن القديم الحلو الرنان

إننى تعبة، وذلك الحزن المعمىّ الذى كرّت عليه الأعوام، يثور دفعة واحدة على غير انتظار، وإن ثورته الهائلة لتحدث فيه ثلمة واسعة تتدافع منها الآلام، وتنحدر بقوة إلى قاع نفسى كما يتحدر بغتة تيار نهر هائج من ثغرة فى حواجزه وينفجر كطوفان متدافع لا تقوى عليه السدود، فيجرف فى طريقه كل شىء، ويكتسح فى لجه الزبد، وثبجه المرغى بقايا سفينة محطمة لها شراع ناصع البياض، وإن تلك اليد لتهوى ثقيلة على أوتار قلبى المشدودة وتحركها بريشتها فى عنف لتكتسح منها الأنغام

ولكن يخيل إلىّ أن أوتار عواطفى التى تلاشى رنينها مع الزمان عادت تطنطن وتدوّى بعد ذلك الأمد الطويل بفعل تلك اللمسات العنيفة التى تحاول أن تجدد وقع اللمسات الأولى الرقيقة، بيد أن النغمات التى تفرّ من تحت الأنامل المحركة الأوتار لا ترجّع غير صوت النواح والعويل، وصدى الحسرة والأنين

الزهرة

حيــاة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الاسلامية

للمستشرق الانجليزى توماس أرنولد
ترجمة الأساتذة
عبد الفتاح السرنجاوى — عمر الدسوقى
عبد العزيز عبد المجيد (١)

لم أقصد بكتابة هذا الفصل أن أضم إلى البحوث الكثيرة التى عالجت موضوع السيرة بحثاً جديداً ، وإنما قصدت دراسة حياة محمد فى مظهر واحد من مظاهرها ، هو الذى يتمثل لنا فيه رسولاً يدعو الناس إلى دين جديد . ومن الطبيعى أن نتوقع فى حياة منشئ الإسلام والداعى له عرضاً للوضع الحقيقى لما اقترن من النشاط بالتبشير بالدين الجديد ، ولو أننا اعتبرنا حياة النبى معياراً خلقياً لما يجب أن يكون عليه المؤمن العادى ، لحق أن تكون حياته كذلك معياراً لما يجب أن تكون عليه الدعوة الإسلامية ، وما دامت حياة النبى عنواناً للدعوة الإسلامية ، فإنا نتطلع إلى معرفة شيء عن الروح التى استولت على من يأخذون مأخذه ويستنون بسنته ، وعن الوسائل التى قد يعمدون إليها فى سبيل تحقيق أغراضهم ، ذلك لأن الروح التبشيرية فى الإسلام ليست فكرة متأخرة فى تاريخها ، وإنما نذهب إلى أنها تقترن بالدين منذ نشوئه الأول . ونود فى هذه العجالة أن نبين ما ذهبنا إليه ، ونوضح كيف أن محمداً النبى (ص) مثال للمبشر الإسلامى ، ونحن بغض النظر عن معالجة حياته الأولى أو العوامل ذات الأثر فى حياته حتى بلغ رجولته ، أو دراسة حياته باعتباره سياسياً أو قنداً حربياً ، نعنى العناية كلها بدراسة حياته كمبشر ونذير .

ومحمد ما لبث بعد اضطراب وكفاح نفسانى طويلين أن اقتنع بصحة رسالته السماوية ، وكانت أولى جهوده أن دأب فى إقناع أهله بذلك الدين الجديد القائم على وحدانية الله ، وإنكار عبادة الأوثان ، ووجوب أن يخضع الإنسان لمشيئة الخالق ، تلك هى الحقائق المجردة التى دعاهم إلى الإيمان بها . فكان أول من آمن به زوجه الوفية المخلصة خديجة التى تزوجت قبل هذا بخمسة عشر عاماً من قريب لها فقير كانت قد استخدمته فى تجارتها ، فصيَّرها أجدى عليها وأربح ، تزوجته بهذه الكلمات :

« يا ابن عمى ، إنى قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك فى قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك[١] » .

فانتشلته بهذا من الفقر ومكنته من العيشة فى المستوى الاجتماعى الذى يليق بنسبه ، ولكنَّ هذا كله يسير إلى جانب ما بدا من وفائها وإخلاصها إذ شاطرته اضطرابه الفكرى وغمرته بعطفها وشملته برعايتها فى ساعة الشدة . أتاه الوحى مرة وهو فى الغار فآوى إلى خديجة ، وقد شمله الفزع واستولى على قلبه الاضطراب ، فأمنت خيفته وأذهبت عنه الروع وقالت تخاطبه :

« أبشر يا ابن عمّ واثبُت ، فوالذى نفس خديجة بيده ، إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ووالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلَّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق »

ولقد بقيت حتى وفاتها سنة ٦١٩ م أى بعد خمسة وعشرين عاماً فى حياة الزوجية تفيض عليه دواماً من حنانها وعزائها وتشجيعها كلما أصابه من أعدائه الأذى أو ساورته فى نفسه الشكوك ، وفى هذا يقول ابن اسحاق :

« كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء به عن الله تعالى ، وآزرته على أمره فخفف الله بذلك عنه ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من قومه من رد وتكذيب إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس»[٢]

هذه خديجة يقدم لنا التاريخ فى سيرتها أروع الصور فى الحياة الزوجية وأنبلها .

ومن بين السبَّاق فى الإيمان بدعوة محمد اثنان كان قد تبناهما هما زيد وعلى ، ثم صديقه الحميم أبو بكر الذى قال فيه النبى فيما بعد :

« ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوةٌ ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبى بكر ، ما عَكم عنه حين ذكرت له »

(١) ابن اسحاق ص ١٢٠ (٢) ابن اسحاق ص ١٥٥

(١) اتصل بنا بعد نشر المقالة الأولى من ترجمة كتاب « الدعاية إلى الاسلام » لمؤلفه المستشرق العظيم والمؤرخ المحقق السير توماس أرنولد الانجليزي أن الأستاذين عمر الدسوقى وعبد العزيز عبد المجيد كانا يعملان فى ترجمة هذا الكتاب أثناء حياتهما الدراسية بانجلترا وقد اتفقا الآن مع الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى على أن يشترك الثلاثة فى نشر هذا الكتاب تباعاً فى الرسالة ، وفى إعداد البحوث الخاصة بالتعليق على الكتاب حتى يخرج فى وضعه الأخير متناسباً مع خطر الموضوع الذي يعالجه

وكان أبو بكر تاجراً على سعة من المال ، يحترمه قومه احتراماً شديداً لكرم خلقه وذكائه وكفايته ، أنفق بعد إسلامه الجزء الأكبر من ثروته فى شراء الأرقاء المسلمين الذين اضطهدهم مواليهم لاعتناقهم تعاليم محمد . وحين أسلم أبو بكر دعا إلى الله فأسلم بدعائه خمسة نعتبرهم فى عداد السابقين فى الإيمان ، هم سعد بن أبى وقاص الذى فتح فيما بعد بلاد فارس ، والزبير بن العوام الذى اشتهر بالكفاية الحربية ، وعبد الرحمن بن عوف التاجر الثرى ، وعثمان ثالث الخلفاء الذى تعرض للأذى والاضطهاد منذ إسلامه ، فقد أخذه عمه فأوثقه كتافاً وقال له :

« ترغب عن ملة آبائك إلى دين مستحدث ! فوالله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه » . فقال عثمان :

« والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه »

فلما رأى عمه صلابته فى التعلق بدينه أطلق وثاقه وتركه . واستطاع النبى أن يجتذب إليه طائفة أخرى أكثر أفرادها من الموالى والفقراء ، وبذلك نجح فى أن يجمع حوله فئة قليلة من التابعين خلال السنوات الثلاث الأولى من الدعوة . وكان التوفيق الذى أصابه محمد فى هذه الجهود السرية مشجعاً له على أن يوسع نطاق دعوته ويجهر بها ، فدعا عشيرته فاجتمعوا فقال لهم :

« يا بنى عبد المطلب ، إنى والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر ؟ »

وهنا صمتوا جميعاً ولم يتكلم غير علىّ فى حماسة الصبى فقال :

« أنا يا رسول الله »

وما كاد على يفرغ من كلامه حتى علا ضحك القوم ساخرين مستهزئين . ولم يكن ذلك الإخفاق ليصد محمداً عن تبليغ رسالته فدعا الناس فى مناسبات أخرى ، ولكن دعوته لم تلق منهم غير السخرية والتحقير

وحاولت قريش أكثر من مرة أن تغرى عمه أبا طالب باعتباره عميد بنى هاشم الذين ينتمى إليهم النبى كى يردعه عن سب آلهتهم وعيب دينهم ودين آبائهم ، وهددوه وقالوا إما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فنصح أبو طالب لابن أخيه أن يبقى على نفسه وعليه وألا يحمله من الأمر ما لا يطيق ، فأجابه النبى :

« يا عماه ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته »

فتأثر أبو طالب وقال له :

« اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً »

ولما أن ضرب الإخفاق على هذه المحاولات السلمية اشتدت موجدة قريش وتضاعف احتدامهم وأيقنوا أن انتصار ذلك الدين الجديد معناه القضاء على دين بلادهم وعلى ما يمتازون به بين العرب من السيادة القومية ، ثم هم فوق ذلك يخسرون الثروة والجاه اللذين يستأثرون بهما عن طريق سدانة الكعبة الشريفة . أما محمد نفسه فقد كان برغم ما تعرض له دواماً من بذاءة القوم وسفاهتهم فى ذمة أبى طالب وذمار بنى هاشم الذين منعوه وحالوا دون أى اعتداء على حياته ؛ يحفزهم على هذا ما جبل عليه العرب من قوة العصبية ، مع أنهم لم ينعطفوا نحو الآراء التى دعا إليها . أما الفقراء والرقيق الذين لا ملاذ لهم ولا جوار فلم يجدوا مخرجاً من طائلة الاضطهاد الغليظ ، فكانوا يحبسون ويعذبون كى يفارقوا عقيدتهم . وكان أبو بكر يشتريهم ليخلصهم من العذاب ، فقد اشترى بلالاً [1] ذلك العبد الإفريقى الذى كان محمد يطلق عليه (أول ثمار الحبشة) والذى لقى من ضروب الامتهان ما لم يلقه أحد ، فكان يلقى فى الرمضاء وقت الظهيرة وقد حميت الشمس ثم توضع على صدره صخرة ثقيلة ويقال له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وترجع إلى عبادة الأوثان ، وبلال لا يجيب على ذلك إلا بقوله : (أحدٌ أحدٌ) . وهلك شخصان متأثرين بما أصابهما من الاضطهاد وما ألم بهما من نوازله القاسية . ولما أن رأى محمد ما نزل بالمسلمين من الأذى مع عدم قدرته على تخليصهم مما هم فيه نصح لهم بالهجرة إلى الحبشة ، فخرج فى السنة الخامسة من النبوة (٦١٥ م) إلى الحبشة أحد عشر رجلاً وأربع نساء ، وهناك رحب بهم ملكها النصرانى . وكان فيمن هاجروا مصعب بن عمير ، وفى سيرته يتمثل أقصى ما أصاب المؤمنين من بلاء ومحنة ، فقد أبغضه من أحبهم ومن كانوا من قبل لا تقصر قلوبهم عن الولوع به . أسلم بعد أن تفهم تعاليم الدين الجديد فى بيت الأرقم ، ولكنه أخفى إسلامه لما كان له من مقام كبير فى قومه ، ولما كان له من حب جم فى قلب أمه ، وأمه لا تقل عن قومها كراهية للدين الجديد . ثم ما لبثت هذه الحقيقة أن تبدت للناس وذاع إسلام مصعب ، فأطبقوا عليه وسجنوه ، ولكنه استطاع الهرب وخرج مهاجراً إلى الحبشة

(١) هو المشهور فى العالم الاسلامى (بالمؤذن الأول)

وسار حقد قريش فى إثر المهاجرين إلى الحبشة فأرسلوا وراءهم بعثة من رجلين يطلبان إلى النجاشى أن يسلمهم إليهما ليردوهم إلى قومهم ، ولكن النجاشى سأل المسلمين عن أمرهم ، ولما أن علم منهم الخبر اليقين أبى أن يسلمهم وقد جاوروه ونزلوا بلاده واختاروا حمايته، قال المسلمون للنجاشى عندما دعاهم وسألهم عن أمرهم ما يأتى:

« أيها الملك ، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله وألا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام، فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا ؛ فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك » فقبل النجاشى رجاءهم ورد رسولى قريش خائبين

فى ذلك الوقت بذلت جهود جديدة فى مكة لإغراء محمد بالجاه والمال على أن يكف عن الدعوة إلى دينه ، وضاعت كل هذه الجهود عبثاً فلما عاد رسولا قريش إلى مكة يعرضان نتيجة سعيهما ضد المهاجرين إلى الحبشة ، وكان قريش يترصدون خبرهما ويتحينون عودتهما ، حدث حادث خطير ، هو إسلام شخص كان من قبل أشد وأغلظ أعداء محمد ، وكان يعارضه بحماسة وحدة لا يحدها الوصف ، وكان المسلمون يعتبرونه بحق أقوى خصوم الإسلام وأشدهم ، وأصبح بعد إسلامه من أعظم الشخصيات وأنبلها فى الصدر الأول من تاريخ الإسلام ، ذلك هو عمر بن الخطاب

حدث يوماً وهو فى نوبة غضب على النبي أن خرج ومعه سيفه يريد قتله ، فلقيه رجل من أقاربه فقال له :

« أين تريد يا عمر ؟ »

« أريد محمداً الذى فرّق أمر قريش وعاب دينها وسبّ آلهتها فأقتله ! »

فقال له : والله لقد غرّتك نفسك ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهلك فتقيم أمرهم ؟

قال عمر : « وأى أهلى ؟ »

قال الرجل : « خَتَنُك وابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة زوجهُ ، فقد والله أسلما ! »

فرجع عمر إليهما وعندهما خباب يقرئهما القرآن ، فلما سمعوا صوت عمر أخذت فاطمة الصحيفة فألقتها تحت فخذيها ، وقد سمع عمر قراءة خباب فلما دخل قال :

« ما هذه الهينمة ؟ »

قال : « ما سمعت شيئاً »

قال : « بلى ، وقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه »

وبطش بخَتَنِه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته :

« قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما شئت »

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم فى وجهها ندم وقال لها : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون فيها الآن حتى أنظر إلى ما جاء به محمد . وبعد تردد أعطته الصحيفة وفيها (طه) فلما قرأ بعضها قال :

« ما أحسنَ هذا الكلام وأكرمه ! »

وانشرح صدره للإسلام وما لبث أن قال :

« دلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم » (يتبع)

الأدب المصري

وكيف ننظر إليه

للأستاذ شكري فيصل

أثارت كلمة (زهير زهير) فى «المكشوف» التى نقلتها الرسالة الغراء فى العدد ٢٩٤ موضوعاً جديداً للبحث عن الأدب المصرى، وعن مظاهر هذا الأدب، وما كان من أثر المؤلفات والمطابع المصرية فى الأقطار العربية الأخرى

وأشهد أن كلمة «المكشوف» كانت جريئة... وأن حملة (زهير زهير) كانت شديدة قاسية بخست الأدب المصرى والثقافة المصرية حقهما وفضلهما على وضوح هذا الحق وعظم هذا الفضل

***

وما كان لى أن أعرض لبواعث هذه الحملة

ولا يسرنا أن نذهب إلى الظن بأن العصبية الدينية، أو النزعة الإقليمية، تملى مثل هذه الآراء أو أبعد منها، وإنما الذى يهمنا أن نناقش السيد زهير زهير فيما عرض له

يقول الكاتب: إن أكثر المؤلفات التى تخرجها المطبعة المصرية غير مصرى، وهى تختلف بين أن تكون نوادر مخطوطات أو طبعات جديدة لكتاب قديم، وإن المؤلفات المصرية الحديثة مخبأة لا تظهر على وجهه، وهو يتساءل عن كتاب واحد ذى قيمة لمؤلف مصرى صميم

لنتساءل: ألا يكون إخراج المخطوطات النادرة، والقيام على تصحيحها وطبعها ونشرها، أو تجديد طبع الكتب القديمة وإصلاحها وإخراجها للناس منقولة محببة، عملاً أدبياً ذا قيمة؟ وهل يقتصر العمل الأدبى على كتابة مقال، أو تأليف قصة، أو نظم قصيدة؟

نحن فى طور من أطوار النهضة، ونحن فى هذه النهضة محتاجون إلى هذه المكتبة القديمة، ننبش آثارها، ونحيى مواتها ونجلو صدأها، ونظهرها طريفة براقة، تجتذبنا إليها، لنفيد من علمها الغزير، وفوائدها الكثيرة، والعمل فى هذه الناحية والتوفر على إخراج هذه الثروة الدفينة عمل أدبى قيم، وجهد علمى شاق

ونحن لا ننظر إلى الأدب المصرى فى المقالة والقصة والقصيدة، فهذه ناحية واحدة من نواح كثيرة متعددة؛ وإنما ننظر إليه على أنه مجموعة من الجهود تتناول إحياء الثقافة الغافية، ونشر المؤلفات القديمة، والإنتاج الأدبى الصرف

وعلى هذا فقد قدمت الطبعة المصرية إلى العالم العربى أجل الخدمات، وستظل النهضة الحديثة فى الأدب العربى مدينة للمطابع المصرية، لأنها كانت أكثر مطابع الشرق العربى إنتاجاً ولأنها فى هذا الإنتاج بعثت النشاط والحركة فى ذهن العالم النائم

ومن العبث ومن الإنكار أن ننسى فضل المطبعة الأميرية، ومطبعة السامى والحلبى وكثير غيرها، فقد ولدت هذه المطابع بما أخرجت من كتب، وقدمت من ثمرات، تياراً فكرياً كان له أكبر الأثر فى الحركة الأدبية الحاضرة

والعالم العربى كله عالة على المطبعة المصرية، ينظر إليها كما ينظر المزارع إلى السماء، يأمل خيرها، ويرجو غيثها؛ والسيد زهير يعرف ذلك فى بيروت، وأعرفه أنا فى دمشق، ويعرفه غيرى وغيره فى العراق والمغرب والحجاز؛ وهو لا يجهل أيضاً أن الجيل الحاضر قد فتح عينيه على المنفلوطى والزيات وطه حسين وأحمد أمين والمازنى والعقاد والحكيم وشوقى وحافظ ومطران ورامى، وأنه قرأ هؤلاء وكثيراً غيرهم وأفاد منهم فأصلح لسانه وقوّم بيانه، وثقف عقله، ثم التفت إلى المكتبة العربية الزاخرة فلم تطق عيناه هذه الأوراق الصفراء البالية، فكاد يعزف عنها لولا أن تداركته المطبعة المصرية بهذه الذخائر الممتعة التى أخرجتها للناس

الواقع أن امتداد الأدب المصرى ، والثقافة المصرية ، فى أجواء البلاد العربية قد كان ... وأنه كان امتداداً واسعاً ... وأن أثره كان طيباً عميماً ... وأن البلاد العربية كلها مدينة له ، عالة عليه ، فقد استثار فى أجوائها الحياة ، وسكب فيها بعد رقدة طويلة روحاً جديدة نيرة

وليس من عرفان الجميل حين يشتد منها الساعد ، فى العراق ودمشق وبيروت، وتبدأ البذور التى رعتها المطبعة المصرية بالإنماء، أن نجحد الفضل الأول وننكره ونزدريه .

* * *

وبعد فهل صحيح أن المطبعة المصرية اقتصرت على المؤلفات القديمة ، وأن المؤلفات المصرية الحديثة أنشأها كتاب مصريون بمادة أجنبية مستوردة من الخارج ؟

نحن نحب أن يقوم النقاش الأدبى، وأن تنضج الحركة الفكرية، ولكنا لا نحب أبداً أن يكون هذا النقاش قائماً على عصبية مفرطة أو خيال خصب ... وإلا فمن ذا الذى يقول إن المؤلفات المصرية الحديثة غير موجودة ؟ أنا أحيل السيد زهيراً إلى فهارس المكتبات العامة ، فسيجد فيها كل ما كان مخبأ لا يظهر على وجهه، وسيحفظ للقراء أوقاتهم مخافة أن يضيعوها فى التعداد المضنى .

وكأن السيد « زهيراً » قد أحس هذا الإسراف ... وهذا الإفراط ، فحاول أن يبرهن عليه ، فما استطاع أكثر من أن يعدد الشعر الجاهلى وحياة محمد وضحى الإسلام

ولكن هل يكفى أن تكون نزعة الشك التى سبق إليها طه حسين ، أو نظرة دورمنكهيم إلى حياة النبى ، أو آراء المستشرقين فى الثقافة العربية ... هل تكفى هذه وحدها لتجرد الأدب المصرى كله من ميزاته كلها ؟ ؟ ومن ذا يقول إن التأليف يجب أن يكون مبتكراً فى كل نواحيه وكل خصائصه ؟ .. وهل يحرم على العقل الإنسانى أن يستفيد من عقول إنسانية أخرى ؟.. إن حقائق العلم مشاعة ، وإن ثمرات الفكر وقف مباح للناس كلهم ، يفيدون منه ويبنون عليه ، وإذا كان كل عالم من العلماء مضطراً إلى أن يبدأ أبحاثه من النقطة الأولى، أو أن يبتدئ تعداده — كما يقول الرياضيون — من الصفر ، فإن الحضارة الإنسانية ستظل حيث هى لا تتزحزح .

وهذه سنة الكون يبنى المتأخرون على غرار المتقدمين أو ينتقدون ما بنوا ، ليشرعوا فى منهج آخر ... وهذا ما فعله طه حسين واحمد أمين وهيكل ، وقد يكون أكبر أخطائهم أنهم لم يشيروا إلى بعض المصادر التى أخذوا عنها فى الطبعات الأولى .. أو أنهم أشاروا إليها فى اختصار واقتضاب .

* * *

والترجمة أيضاً . . . ألا تكون ناحية من نواحى النهضة الأدبية . . . وهل يقتضى تكوين الأدب المصرى ألا تكون هناك ترجمة أو مترجمون . . . وهل تدل ترجمة بعض المؤلفات الأدبية والفلسفية ، على أن مادة الأدب المصرى مستوردة من الخارج ؟ .

إن عصور النهضة Renaissance فى أقطار الدنيا مقرونة ببعث وتجديد وترجمة ... ولقد كان البعث والتجديد عن طريق إخراج المؤلفات القديمة ، ثم كانت الترجمة أيضاً على أيدى كثيرين وتناولت الأدب والرواية والفلسفة ، وأضافت إلى الأدب العربى لوناً جديداً من ألوان الثقافة ، وأطلعت الأقطار العربية على علم الغرب وأدبه وفلسفته

* * *

هذه هى الناحية العلمية من النهضة الفكرية فى مصر . . . أما الناحية الأدبية فهل نستطيع أن نتجهم لها أيضاً بمثل هذه الجرأة وهذا الإنكار ؟ . . . وهل كانت مؤلفات توفيق الحكيم منقولة عن لغة أجنبية ؟... وهل مقالات الزيات وأمين والعريان مستوردة من الخارج ؟ . . . ثم هل كان خيوط العنكبوت وعلى هامش السيرة وعشرات غيرها ، يخجل المنصف أن نعددها له ، غير مصرية ...؟

هنالك بعض نقاط ضعيفة فى الأدب المصرى . . . ولكن هذه النقاط الضعيفة لا تقتضى أن تذهب بنا هذا المذهب الجاحد فى الإنكار الشديد ، وأن تدفع بنا إلى مثل هذه الأدلة المزيلة .

فنقول إن مصر التى تسيطر بثقافتها على البلاد العربية قد عجز أدباؤها وعلماؤها عن وضع الموسوعة الإسلامية ، أو إن أكبر أديب فيها ينادى بفرعونيتها ، أو إنه لم يخلق فيها بعد ناثر أو شاعر يسجل فى ملحمة شعرية أو نثرية الأحداث الخطيرة التى تعاقبت عليها

ومتى كان رأى قديم لأديب كبير باعثاً على إنكار ثقافة بلد كامل ؟ وما هى العلاقة بين هذا وذاك ؟ أفلا يحس الأستاذ زهير زهير نفسه فى بيروت آراء أشد من هذه ، وأقوى فى النيل من الإسلام ، وطعنه فى ظهره . ألا يرى ذلك فى كليات التبشير ونشرات الأدباء المبشرين ؟ . . . ثم هل يكون العجز عن تأليف موسوعة دليلاً على ما نتعمده من إنكار ؟ إن الأقطار العربية ، ومصر منها ، لا يعيبها أنها لم تشرع بعد فى الموسوعة الإسلامية فلقد كانت غارقة فى معترك سياسى عنيف ، وكانت قوى علمائها وعامتها منصرفة إلى السياسة ومتأثرة بها ، والموسوعات إنما تتطلب الاستقرار والنعيم والثروة ... ولئن توفر بعض هذا فى مصر فلم يتوفر كله ، وحين يبدأ قطر عربى آخر بالموسوعة الإسلامية نستطيع أن نقرنه بعد ذلك إلى مصر ، لنهب أحدهما الزعامة الأدبية

***

وبعد فإن الأستاذ « زهير زهير » قد أغرق . . . وقد كان فى كلمته حائراً بين امتداد الثقافة ، وسيطرة الزعامة ، وفرعونية مصر ، وإنكار الأدب المصرى ... ولقد كان متجاوزاً حدود الجرأة حتى سمى هذه الثقافة . « ثقافة لقيطة » وكما عز عليه كلبنانى عربى ، يعز علينا كعرب مسلمين أن يؤخذ الشاب العربى المسلم بعصبيات إقليمية ، ونعرات دينية ، « وأن يخدع بالدعايات المأجورة المجانية »

« نزيل القاهرة » شكرى فيصل

استطلاع صحفي

في خدمة الفلاح

جولة فى المعمل البيطرى

(لمندوب الرسالة)

فى مصر كثير من أمراض الحيوانات المعدية والوبائيـة التى تحرم الفلاح كثيراً من ثروته . فان طبيعة مصر حيث تبدأ حدودها شمالا فى المنطقة المعتدلة وتنتهي جنوبا في المنطقة الحارة ، يساعد علي نمو الحشرات والميكروبات بأنواعها وخصوصا أن نظام الرى الحديث يزيد الجو رطوبة .

ويقاوم المعمل أمراض الحيوانات تبعا للمثل العربى السائر « وداوها بالتى كانت هى الداء » فهو يقضى على المرض باستعمال ميكروبه فى الأمصال أو اللقاحات التى ثبت عمليا صلاحيتها أكثر من الأمصال واللقاحات الواردة من الخارج .

مصنع الميكروبات

« التهبت أحشاء هذا الأرنب فمات نتيجة حقنه بدم حصان أردنا أن نتحقق من أنه مات بمرض التسمم الدموى » ... هكذا قال الدكتور زكى محمد وكيل المعمل الباثولوجي للأبحاث الفنية وهو يكشف أمعاء الأرنب ليبين ما أصابها من التهابات . ثم تناول ماصة وغرسها فى قلب الأرنب وامتص فيها قليلاً من الدم وزرعه

الدكتور زكى وهو يلقح بعض الميكروبات فى أنبوبة بها أوساط زراعية

فى أنبوبتى اختبار كانتا مغلقتين بسداد من القطن المعقم وتحتوى إحداهما على حساء لحم وتحتوى الأخرى على مادة جيلاتينية تصنع من نبات يابانى اسمه آجاراجار ، وبعد أن أعاد السدادتين أحرق سطحهما الخارجي بالنار ليقتل ما قد يكون علق بهما من ميكروبات خارجية

الدكتور عباس يفحص نموذج دم بالمجهر
وهو مأخوذ من الأرنب على شريحة من الزجاج

ثم تناول شريحتين من الزجاج نشر عليهما نموذجاً من دم الأرنب ، ثم ثبتهما بالكحول استعداداً لصبغهما وفحص النماذج تحت المجهر . وبهذه العملية احتفظ الدكتور بميكروبات المرض حية وميتة . فإن الغرض من وضع نماذج الدم فى أنبوبتى الاختبار اللتين تحتويان على أنسب الأوساط الغذائية التى ينمو فيها الميكروب أن ينمو ويتكاثر ، وبذلك يسهل الحصول على لقاح واق ضد هذا المرض . والغرض من نشر الدم على شريحتى الزجاج وصبغهما معرفة شكل الميكروب وما طرأ على الدم من تغير

مهمة المعمل

ويقوم المعمل الباثولوجى البيطرى بتحضير عدد كبير من المستحضرات البيولوجية المختلفة من أمصال ولقاحات ومواد للتشخيص يمكن باستعمالها علاج بعض أمراض الحيوانات ومكافحتها وتشخيصها ، وعلاوة علىّ ذلك فإن المعمل يفحص النماذج المأخوذة من حيوانات مريضة أو نافقة لمعرفة نوع المرض المصابة به ودراسة الميكروبات المختلفة التى ينشأ بسببها كثير من الأمراض الوبائية وبذلك أمكنه أن يحفظ الثروة الحيوانية فى القطر المصري من أخطار الأوبئة

والميكروبات هى شغل المعمل الأكبر ، وهى مخلوقات دقيقة تكبر ألفاً أو ألفى مرة لنتمكن رؤيتها وبعضها لم تره العين ولكن أحست بفعلها الأجسام . وهى تهاجم الحيوان والنبات بأعداد يعجز

عن إدراكها الخيال . وأخطر الأمراض المنتشرة فى مصر الحمى الفحمية والسل والسقاوة والتتنوس والتسمم الدموى وخناق الخيول والكوليرا . ولذلك فإن مخازن المعمل تحتوى على مقادير كبيرة من مواد المصل والكفاح لإرسالها إلى الجهات التى تطلبها. وقد تمكن المعمل بمساعدة معمل السيرم من إيقاف الطاعون البقرى الذى فتك بكثير من الماشية فسبب كثيراً من الخسائر للفلاحين

الدكتور راغب يفحص انبوبة زرعية كانت ملقحة بميكروب

المصل واللقاح

وقد تمكن المعمل من تحضير أغلب أنواع الأمصال واللقاحات ويتجه التفكير الآن إلى تحضير مصل ولقاح الحمى الفحمية الذى يستورد من الخارج لخطورته، ولأن تجهيزه يحتاج إلى مكان منعزل واحتياطات شديدة . وبتحضير هذه الأمصال واللقاحات فإن المعمل البيطرى يوفر على الحكومة كثيراً من المال

ويتعرض المشتغلون بتجهيز هذه المستحضرات للعدوى بتلك الميكروبات، فإن بعض أمراض الحيوانات كالسقاوة والسل والحمى الفحمية يصيب الإنسان أيضاً . وبعضها شديد الخطر فلا ينجو من يصاب به إلا بمعجزة .

ويخطىء كثير من الناس إذ يظنون أن المصل واللقاح شىء واحد . فإن الأول يتكون من أجسام مضادة للميكروبات والغرض من إعطائه للحيوانات إيقاف المرض وعلاجه . وهو يعطى للحيوانات السليمة والمريضة إلا أن جرعته تتضاعف فى حالة الحيوانات المريضة . أما اللقاح فيتكون من ميكروب المرض أو سمه مقتولاً أو ضعيفاً والغرض منه وقاية الحيوان مدة طويلة إذ يكون فى الجسم مناعة ضد المرض لمدد مختلفة

تحضير المصل واللقاح

ويحضر اللقاح بعزل الميكروب ثم زرعه على أوساط غذائية يضاف إليها بعض الفيتامينات لتكون أكثر مناسبة لحياته وتكاثره . واللقاح عبارة عن الميكروب نفسه أو ما يفرزه من السموم بعد قتلها أو إضعافها بالحرارة أو بالمواد الكيميائية تبعاً لطريقة التحضير

أما الأمصال فتجهز من حقن الخيول أو الأبقار بكميات من الميكروبات أو من سمومها، وتزاد الجرعات بالتدريج حتى يبلغ الحيوان أقصى درجة من المناعة فيفصد جزء من دمه ويفصل منه المصل .

احتياطات شديدة

ولا تتم هذه العمليات بسهولة، ففى كل خطوة يعملها الإخصائى فى إعداد هذه المستحضرات ، يقوم بعدة عمليات يطهر بها أدواته وأوانيه بحيث يتأكد أن الميكروبات الغريبة لم تصل إلى مستحضره لا بالنقل بالأيدى ولا بالهواء . ولذلك فإن الأوانى الزجاجية الفارغة التى يزرع فيها الميكروب تحفظ فى أفران تكفى درجة حرارتها لقتل جميع الميكروبات . فإذا أراد الاخصائى فى علم الميكروبات أن ينقل الميكروب من أنبوبة إلى أخرى أحرق أداة النقل بالنار قبل أن يضعها فى الأنبوبة ثم ينقل الميكروب

الدكتور حسين كامل يصب سموم التتانوس لترشيحها

عملية دقيقة

وليكون البحث العلمى كاملاً فإن الأعضاء المصابة من الحيوان تؤخذ ويعمل منها قطاعات تثبت على شرائح زجاجية لفحص حالة أنسجة العضو وخلاياه بالمجهر (الميكرسكوب) فبعد أن يفصل

رسالة الشعر

إلى الهاجرة ... كوكب !

للأستاذ أنور العطار

— ١ —

مناجيك مكتئب متعب ... وأنت تألق يا « كوكب »
أفى الحق ألا يقرّ البرئ ... وأن ينعم الآثم المذنب
وأن يشتهى فؤادى رضاك وأنـ ... ـت أخو نفرة مُغضَب
فيا هاجرى قد أطلت الصدو ... د وصدك يا هاجرى يصعب
لقد ضقت ذرعاً بهذا الهوى ... وضاق بى الفلك الأرحب
فلا جدولى يتندّى مُنًى ... ولا بلبلى لحنه يطرب
حياتىَ معشبة بالأسى ... وخدى بدمعه معشب
رضاك هواى الذى أشتهى ... ووصلك سؤليَ والمطلب

— ٢ —

سلام عليك أيا كوكبى ... سلام على النافر المغضبِ
أعيش بنورك جم السناء ... ولولاك غلغلت فى الغيهب
أغنيك أعذب ما فى الهوى ... من النغم المسكر المطرب
وأصبو إلى طرفك المشتهى ... وأهفو إلى ثغرك الأشنب
وأحيا لقلبك أنشودة ... تَرَقرق بالحلُم الأعذب
حلال لك الشعر يا هاجرى ... وملك لك الروح يا كوكبى

— ٣ —

أنر لى دجى العمر يا كوكب ... فقد مضّنى الجهل الغيهب
وخذ بى إلى عالم ضاحك ... يموج به الأمل الأطيب
فلا تتركنِّىَ نهب الأسى ... يعاودنى داؤه الأصعب
فأنت شعاعىَ فى ذى الحياة ... وأنت رجائى والمطلب
ترفق بصب براه السهاد ... يناديك فى الليل يا كوكب

أنور العطار

العضو من جسم الحيوان تقطع منه أجزاء صغيرة تمرر فى محلول فورمالين ثم فى كحول لتتخلص مما قد يعلق بها من ماء . ثم توضع فى «زيلول» ليطرد مافيها من كحول وليسهل اتحادها بالشمع إذ توضع فى أفران درجة حرارتها ٥٦° فيتخلل الشمع الناعم الخلايا وتصبح فراغات العضو ممتلئة بالشمع وعندئذ تصب الكتلة الناتجة فى قوالب من الشمع الجاف وتقطع إلى قطاعات صغيرة سمكها أربعة من ألف من المليمتر

وتؤدى عملية التقطيع بهذا السمك آلة خاصة دقيقة الصنع تحتاج إدارتها إلى مهارة ودراية فإذا تم تحضير القطاعات ثبتت على شرائح زجاجية بالحرارة ثم تصبغ بالصبغات المختلفة ليظهر مافيها من أنسجة وخلايا وميكروبات وما طرأ عليها من تغييرات يكشفها المجهر

ويحتفظ المعمل فى فنائه الخارجى بعدد كبير من الحيوانات كالأرانب والحمام والدجاج والكلاب فيجرى عليها تجاربه كحقن الميكروبات فيها أو اختبار فعل المرض فى أعضائها أو للتأكد من معرفة الأمراض التى نفق بها أحد الحيوانات الأخرى .

(الشنوى)

حوريتي تسأل...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« مهداة إلى شفتيها الطاهرتين »

— ٢ —

... وذهبتُ أستبقُ الشعاعَ لِربوةٍ
أبكى شتاءُ العمرِ يافعَ زهرِها
الطلُّ في أكمامِها دمعُ الهوى   شرحتْ به للطيرِ كامنَ سرِّها
مِنْ كلِّ عصفورٍ ، وسقسقةُ المنى
مِنْ ثغرِهِ دُنيا ذُهلتُ لِسحرِها
أتُراهُ غنَّى ؟ أمْ بكى ؟ أمْ هزَّهُ
نغمُ الأليفةِ فاستطارَ لِنبرِها ؟
ومضى لها... ومضيتُ أخنقُ آهتي
صبراً على حلوِ الحياةِ ومُرِّها
وعلى التي ثكلتْ حياتي بعدَها
وأذابني في الدمعِ فاجعُ هجرِها
ظلَّتْ تُهامسُني ونشوةُ لفظِها
كأسٌ جُنِنْتُ معَ السكونِ بِخمرِها
ولها جبينٌ كادَ يرتدُّ الدجى
حينَ استهلَّ ، وشيمةٌ مِنْ فجرِها
برأتْهُ كفُّ اللهِ ، وارتجزتْ لهُ
لحنَ العفافِ تمائمٌ مِنْ ثغرِها
سجدتْ عليهِ وكبَّرتْ مِنْ فتنةٍ
حولَ الضياءِ ذوائبٌ مِنْ شعرِها
وغدتْ تفوحُ به ، وتنسمُ قدسَهُ
في خافقٍ مجامرٌ مِنْ طهرِها
أفضيتُ بالشكوى لها فتخايلتْ
واختالَ عابدُها الشقيُّ بِكبرِها
وعدتْ... فأخلفَ دهرُها ! ويلي على
رِقِّ الحبيبِ لها وقسوةِ دهرِها
أفنيتُ عمريَ في مسابحِ خطوِها
شغفاً ... وعشتُ معَ الوجودِ بِعمرِها
أفما تحسُّ بعاشقٍ أنَّى مشتْ
في الأرضِ يخفقُ حبُّه مِنْ ذرِّها !
عالٍ على الأكوانِ ذلَّ لِحسنِها
وأذلَّ كبرَ الملهمينَ لِأمرِها ...

***

بالأمسِ رفرفتُ النشيدَ وسُقتُهُ
مِنْ نارِ أشجاني بها وتفجُّعي
لهبٌ مِنَ الأنغامِ رقَّ مهابةً   وجثا نبيًّا في عبادتِها معي
كُنَّا غناءً لِلجمالِ ، مضى الهوى
في ظلِّهِ الشاجي يقولُ لها : اسمعي
فترنحتْ طرباً ، وقالتْ : هاتِ لي
نغمَ الصباحِ العذبِ يمسحُ أدمعي
مرَّتْ الكآبةُ مِنْ غنائكَ في المسا
فاسبقْ خيالَ الشمسِ وارقبْ مطلعي
وأعِدَّ لي أنشودةً قمريَّةً
مِنْ نورِ أحلامي التي لمْ تسطعِ ...
فقبستُ مِنْ ألقِ النجومِ قصيدةً
وبكرتُ أنتظرُ السنا في موضعي
وسبقتُ ، وارتقبتْ عيوني علَّما
هالاتُ موكبِها تذيبُ تفجُّعي ...
فإذا بِوعدِ الأمسِ كانَ علالةً   وغدا جحيماً لِلحنينِ بأضلعي
فرجعتُ والآلامُ تصرخُ في دمي
وينوحُ مِنْ ولهي بها دهري معي !

« وزارة المعارف »   محمود حسن اسماعيل

التجميل والمرأة عن طريق الرياضة

توجيه

للآنسة زينب الحكيم

قال فيلسوف حكيم مرة لابنته : « ابقى صغيرة وأنت تحتفظين بجمالك »

ولعله كان يحسن به أن يضيف إلى هذه النصيحة : أن احرصى على صحتك وأنت تبقين شابة :

فإن الشباب والصحة والجمال ، هى الأشياء الثلاثة التى يقدرها الجنس اللطيف ، ويقدرها فيهن الجنس النشيط

ولربما كان أهم هذه الأشياء الثلاثة هو الجمال ، ولكن من الصعب أن يفكر الإنسان فى الجمال دون شذى الورد ، أو أن يفكر فى الورد بدون نضرته. احتفظى بصحتك تحتفظى بشبابك، واستمعى لهذه النصيحة المخلصة ، ونفذيها بصبر ومثابرة . ثم ثقى أنه لن يعرف حقيقة عمرك أحد

وفى الغالب أن أكبر مايعيب المرأة أياً كان عمرها هو جسمها حيث ينمو بثقل ، ويصير كجسم المرأة التى قاربت سن اليأس ، فتنام إلى ساعة متأخرة من الصباح ، وتشعر يبعض التعب أثناء النهار ، وتأكل كميات أكثر مما اعتادت أكله ، وتأوى إلى فراشها مبكرة ، وتصبح أقل مبالاة بمنظرها ومظهرها

ماذا يحدث لقاء هذا كله ؟ !

يسمن الجسم وتزدوج الذقن ، ويتمدد البطن ، ويغلظ الخصر وتتجمد المفاصل وتبدو المرأة كأنما مرت من طور الشباب المبكر إلى متوسط العمر

والواقع أن لا عذر لها فى ذلك ، والسبب فى كل هذا راجع إلى عدم عنايتها بنفسها ، وإلى إهمالها ما منحتها الطبيعة من محاسن كان فى مقدورها أن تزيد فى جمالها

فبشرة الإنسان وعضلاته ، فى حاجة إلى دم متجدد حار يجرى فيها عن طريق الرياضة البدنية الصحية التى يجب أن تمارس فى الصباح والمساء لمدة ربع ساعة على الأقل

تمارين الرشاقة

إن المرأة التى بدأ يظهر عليها الكبر ، والمرأة الشابة التى تريد أن تحتفظ بشبابها ونضرتها . يجب أن تعرفا أن الشباب والجمال يتوقفان على ثمانية أشياء رئيسية

(١) قوام الجسم (٢) لون بشرة الوجه (٣) الفم (٤) العيون

(٥) الوجنتان (٦) العنق (٧) اليدان (٨) الشعر .

هذا وقد يمكن إضافة أشياء أخرى للتجمل ، ولكن هذه الأشياء الثمانية تكتفى لغالبية النساء

الشكل الصحيح لوضع الجسم للمشى

أما المرأة التى تمتاز برشاقة قدّ وتريد أن تبق كذلك ، فعليها باتباع التمارين الرياضية التى تساعد على ذلك وهى كثيرة ومتنوعة . ولقد أصبح ذلك ميسوراً جداً فى الوقت الحاضر بفضل الاختراعات الحديثة والراديو ، وخروج المرأة إلى ميادين الرياضة العامة ، وهذه وإن كانت لا تزال قليلة فى مصر ، إلا أنه فى مقدور السيدات اللائى لهن بيوت منظمة ، والتى لها حدائق ، أن يلعبن وفق ما تذيعه محطة الإذاعة كل صباح ، وأن يخصصن جانباً من أوقاتهن للعب فى حدائق دورهن . كما فى استطاعتهن استعمال الألعاب البيتية التى تدعو إلى الحركة كالبنج بنج ، وتنس اليد ، والمسابقات وغيرها . ولست ممن يحبذن الألعاب البيتية التى تدعو إلى الجلوس مدداً طويلة مثل لعب الورق ، فإن ذلك يضيع كثيراً من نشاط العقل ، ويوهن الجسم ويرهل لحمه

ولا تنس السباحة فإنها من أهم الرياضات التى تجمل الجسم عموماً ، والمشى فى الهواء الطلق ، والاستمتاع بحرارة الشمس ، والسفر فى قطر المفاجآت كلما أمكن .

وعلى المرأة أن تعنى بأخذ حمامات الماء الدافىء مرة واحدة يومياً قبل التمارين الرياضية ، مع استعمال أملاح أو سوائل الحمام المنشطة .

كثيراً ما يشكو إلينا بعض السيدات من أن أوقاتهن لا تسمح لهن بالانتفاع بتمارين الرياضة الصباحية التى يذيعها الراديو وكذلك يفتقدن النوادى الرياضية ، ونحن من أجل هؤلاء ، نذكر هنا بعض تمارين رياضية بسيطة ، وبعض مركبات يمكنهن الانتفاع بها فى الأوقات التى تناسبهن حتى لا يحرمن الرياضة يومياً.

١ — الدرس الأول والمهم هو المشى صحيحاً .

ضعى الجسم فى الوضع الصحيح . امشى يبطء مع ارتفاع الرأس . وافردى الكتفين إلى الخلف . أملئى الرئتين بالهواء ، وتنفسى بانتظام مع ارتفاع الذقن واعتدال الظهر وضغط المعدة . وتكون الذراعان إلى الجانبين . فى هذا الوضع احنى الجسم إلى الأمام حتى الوسط . ثم امشى خطوات واسعة ثم أديرى قدميك إلى الخارج . يؤدى هذا التمرين مدة عشر دقائق يوميا .

٢ — اصعدى على مقعد قريب من الأرض (ستول) وفى يدك عصا .

تمرين لتقوية الظهر

يشتمل هذا التمرين على الوقوف بتوازن على قدم واحدة بالتبادل ، ثم تحرك العصا إلى أعلى وأسفل حول الرأس .

٣ — تمارين الانحناء .

يجب أن تؤدى بحرص ، فالمرأة الضعيفة يجب ألا تنحنى أثناء التمرين أكثر من مرتين أو ثلاث مرات ، ويشتمل التمرين على المشى أيضاً والجرى حول جدران الغرفة أو فى الحديقة ، ويمكن المشى والجرى على اليدين والرجلين تشبها بذوات الأربع . ثم الوقوف والانحناء إلى الخلف حتى تلمس اليدان الأرض إذا أمكن . والانحناء إلى الأمام حتى تستقر راحتا اليدين منبسطة على البساط ثم ينقلب الجسم من ناحية إلى أخرى .

تمرين السيدة البدينة

هذه التمارين تكفى للمرأة العادية ، وإذا تمرنت عليها باستمرار مرتين مع الحمام كل يوم، يمتنع تراكم اللحم الزائد على جسمها. ويبقى الجلد نضرا والعضلات مرنة قوية حافظة لجمالها الطبيعي ووظائفها .

أما المرأة البدينة والسيدة المتوسطة فى العمر ، فننصحهما بعمل تمارين Domb-Bell المصنوعة من الخشب ، وهذه التمارين مع الحمام ترجع الجسم إلى حجمه الطبيعي ، وتعيد العضلات إلى مراكزها الأصلية . والحمام الذى تأخذه السيدة البدينة ، يجب أن يكون بارداً إلى الحد الذى تحتمله ، فإذا كان قلبها ضعيفاً (وغالباً يكون) ففى هذه الحالة يجب ألا تأخذ حمامات باردة جداً ، وإنما تكتفى بحمام بارد فقط معطر بأملاح أو خل الحمام

وربما كانت أحسن طريقة لإعداد حمام السيدة البدينة ، هو أن يوضع الماء فى الحوض فى الليلة السابقة للصباح الذى يؤخذ فيه الحمام ، وبذلك تكون حرارة الماء كحرارة الحجرة ، ويضاف إلى الماء أملاح الاستحمام كالمعتاد

كانت عطور الحمام فى الزمن الغابر تصنع فى المنازل ، وكانت رخيصة ، تصنع من أنواع من الأزهار والأعشاب مع الكحول والخل . والغرض منها تنظيف الجسم وإنعاش الجلد والاحتفاظ بنضارته .

أما الآن وقد تقدم علم الطبيعة ، وعمت الآلات ، وكثرت الاختراعات ، فأصبح من ضياع الوقت والجهود ألا نشترى هذه الأشياء من الصيدليات

وعلى هذا لن أصف هنا غير سائل واحد رأيته يستعمل فى انجلترا ، ومفعوله جيد ، وصنعه بسيط

يؤتى بمقدار جيد من ثمر الشليك ، ويوضع فى جزء من خل النبيذ ، ويترك لمدة ثلاثة أيام ، يصفى بعدها ويوضع فى زجاجة للاستعمال وقت الحمام

وإذا وضع ملء فنجان منه على قليل من الماء وغسل به الوجه ، فإن ذلك يساعد على تحسين لون بشرته

إن تأثير الروائح العطرية على الأعصاب مدهش ، ولقد حرق القدماء البهارات إذا ما مرض منهم أحد ، لا على سبيل التطهير فحسب كما نفعل اليوم بالليزول وغيره، وإنما اعتبر شم الروائح نفسها الدواء الشافى . والإنجيل يخبرنا أن القدماء عالجوا المرضى بالروائح العطرية ؛ كما اشتهرت البيمارستانات فى بلاد الشرق برش العطور فيها باستمرار

وأطباء اليوم النفسيون وغيرهم يخبروننا : أن النساء الحساسات جداً ينتعشن إذا ما شممن طاقة من البنفسج، لأن رائحته للأعصاب، ورائحة الورد للروح ، والعطور الأندلسية للرأس . والمرأة العصبية لها أن تمزج قليلاً من النوشادر بعطر البنفسج ، وتشمها لتريح أعصابها . أما المرأة القلقة ، فيسرى عنها شمُّ الروائح اللطيفة الشذى . ويجب أن توجد زجاجة منها على الدوام فى المنزل للاستعمال كضرورة واجبة لا كشىء كمالى ، وأظن الرياضة فى البساتين تؤدى ذلك على خير وجه

هذا وإن للروائح فلسفات ، وللرياضة أشكال وأنواع ليس هذا مجالها .

زينب الحكيم

رسالة من العوالم البعيدة
تنبئنا أن الكون ينتشر

أحدث ما نعرف فى علم الفلك

للدكتور محمد محمود غالى

فكرة النسبية لأينشتاين توحى بتمدد الكون — نبوءات العالم « دى سيتر » بوجوب ظهور الأجرام البعيدة كأنها تبتعد عنا — هذا الابتعاد حقيقى بخلاف ما يعتقد « دى سيتر » — الطيف خير رسالة من النجوم لاثبات ذلك — رسالة العوالم تنبئنا بابتعادها كلها عنا ، وأننا أبناء كون يتمدد .

ترى ما هى هذه الرسالة من العوالم البعيدة ؟ وترى كيف يكبر الكون ولماذا ؟ وكيف توصل العلماء إلى اكتشاف ذلك ؟ وهل يعد الاكتشاف من الأمور النظرية ، أو أن خطوات العلم التجريبى تدل على ذلك ؟ ... هذا ما نحاول أن نتناوله فى هذه الأسطر ، فنبحث موضوعاً جديداً ، لا تبعد نتائجه التجريبية الأولى عن عشر سنوات ، وإن رجع البحث النظرى فيه لأكثر من عشرين عاماً .

وتعد نشرات[1] السير أرثر أدنجتون أستاذ الفلك فى جامعة كمبردج ، وكتابه « العالم ينتشر[2] » الذى ترجمه للفرنسية مسيو روسينيون من أهم المراجع فى هذا الموضوع . كذلك محاضرته التى ألقاها فى المؤتمر الدولى للفلك المنعقد فى كمبردج سنة ١٩٣٢ والتى أتبعها بسلسلة محاضرات فى الراديو بأمريكا .

لم يعن الجمهور فى الممالك المختلفة بنظريات إينشتاين فى النسبية ، التى تنبأ فيها بتقوس الأشعة الضوئية التى تصل لنا من الأجرام السماوية ، إلا بعد التجارب الشهيرة التى قامت بها الهيئات العلمية المختلفة أثناء كسوف الشمس فى سنة ١٩١٩ ، هذه التجارب التى أثبتت نبوءة إينشتاين ، وجعلت من نظريته مثاراً لحديث الناس عامة . على أنه إذا كان هذا حظ الجمهور من الاهتمام فقد عنى كثير من العلماء بنظرياته قبل ذلك التاريخ ، ففى نوفمبر سنة ١٩١٧ أى بعد مرور عامين من نشرات أينشتاين عن « النسبية فى وضعها العام[1] » ، نشر العالم « دى سيتر » W. de Sitter بحثاً عن أثر نظرية أينشتاين فى الناحية الفلكية . وترى فى هذا البحث لأول مرة أن الأجرام السماوية البعيدة يجب أن تعطينا على الأقل فكرة الابتعاد عنا ، ولم يؤكد « دى سيتر » هذا الرأى بطريقة جازمة ، وكان عمله من قبيل توقع ظاهرة يغلب على الظن ملاحظتها .

وظلت فكرة « دى سيتر » الجديدة فى مفترق الطرق تفتقر للاثبات التجريبى بحيث إذا أيدت أرصاد الفلكيين هذا الابتعاد ثبتت صحة الطريق النظرى الذى اختطه « دى سيتر » .

ومن المدهش أن يتوصل الفلكيون بعد ذلك ، لا إلى إثبات تحقق نبوءات « دى سيتر » فحسب ، بل إلى أن هذا الابتعاد حقيقة واقعة ، وأنه يتغير مع المسافة وفق قانون خاص . وبعبارة أخرى توصل العلماء لاكتشاف يُعد أكثر أهمية مما كان يتوقعه

---

(١) يراجع الذين يريدون التوسع فى معرفة آراء السير ادنجتون عن العالم الاستاتيكى لاينشتاين، ومايتصل بموضوع انتشار العالم — أعداد الجمعية الفلكية الملكية الانجليزية المجلد ٩٠ ص ٦٦٨ والمجلد ٩١ ص ١٢٨ لسنة ١٩٣٠ والمجلد ٩١ ص ٢٧٤ ، ٩٢ ص ٧ ، ٩١ ص ٤٩٠ ، ٩٢ ص ٧ لسنة ١٩٣١ كذلك محاضر الجمعية الملكية الانجليزية (Proc of the Roy. Soc.) عدد ٣ مايو سنة ١٩٣٣ مقال « سان » S. R. Sen ونشرات لميتر (Lemaitre) وغيره

(٢) L'univers en Expansion الطابع هرمان بارفيس سنة ١٩٣٤

(١) نشر اينشتاين النسبية (Lara Relativité Restreinte) سنة ١٩٠٥ ونشر النسبية فى وضعها العام (La Relativité Généralisée) سنة ١٩١٦ وسنأتى على شرح النسبية فى دوريها فى مقالات قادمة

« دى سيتر » . لندع الآن جانبا النظريات لنتكلم عن الطرق التجريبية التى أثبتت تمدد الكون واتساعه

***

ذكرنا أن السُّدم اللولبية هى أبعد ما نعرف من عوالم فى الكون[١] . وتقع السدم التى أمكن رؤيتها على مسافات تختلف من ١ إلى ١٥٠ مليون سنة ضوئية . ويجمل بنا أن نذكر أن السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة ، بمعنى أنه لو تصورنا قاطرة تستطيع أن تدور حول الكرة الأرضية سبع مرات فى الثانية الواحدة ، فإنها تستغرق ١٥٠ مليون سنة لتسير من أحد تلك السدم حتى الأرض

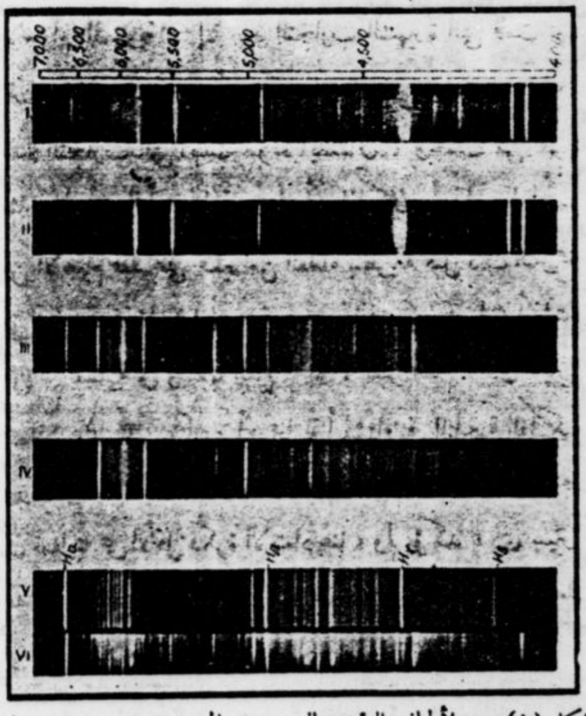

شكل (١) صور لأطياف الزئبق والصوديوم والهيدروجين من بحث نيومان

هذه السدم المتباعدة منتشرة فى الحيز الواحد بعد الآخر . كل منها يكون عالماً كعالم المجرة الذى يحوى ملايين الكواكب التى تُعد شمسنا واحداً منها، ولا حاجة بنا إلى أن نذكر مرة أخرى أنه إذا كان المجرة عالماً واحداً مكوناً من حوالى مائة ألف مليون نجم فإن مجموع العوالم الأخرى التى تشبهه تبلغ مثل هذا العدد

هذه العوالم المتباعدة الواحد منها عن الآخر لا نستطيع ، عند التفكير فيها ، أن نفصل فكرة الفراغ واتساعه عن فكرة الزمن والتطور ، ولكن ندع فكرة تكوينها لنشرح الطريقة التى علمنا بها سرعة ابتعادها

ونبدأ بكلمة موجزة عن التحليل الطَّيْفى لملاقته بهذا الموضوع . كلنا يعرف أن الضوء إذا وقع على منشور ، كحافة مرآة مشطوفة ، يتحلل إلى ألوانه العديدة التى نميز منها بالعين السبعة الألوان المعروفة ، من البنفسجى إلى الأحمر ؛ كذلك نعرف أن لكل مادة طيف اشعاع يميزها عن غيرها ، فالهيدروجين والصوديوم مثلاً لهما خطوط معينة يتميزان بها فى الطيف ، كما أن لكل مادة خطوطاً أخرى، وعلى هذا يدلنا التحليل الطيفى للأشعة الآتية من الشمس أو النجوم عن العناصر الموجودة بها ، وهكذا أثبت العلماء أن كل العناصر الموجودة فى الأرض موجودة أيضاً فى الشمس .

ويجد القارىء فى الشكل (١) ست صور لأطياف مواد مختلفة[٢] ، بعد أن نسلط عليها قوساً كهربائياً . والطيف الأول من أعلى الشكل خاص بالزئبق عند أول تكوين القوس ، والثانى خاص به ولكن بعد أن توازنت حالة الإشعاع فى الزئبق ، أى بعد مرور فترة على تكوين القوس ، والطيفان الثالث والرابع خاصان بنفس الظاهرة للصوديوم ، والطيفان الأخيران ، الأول للهيدروجين عند احتراقه بمرور شرارة فيه ، والثانى للبوتاسيوم عند تسليط القوس عليه .

ومما يجدر ذكره أن المصابيح المستعملة فى إنارة بعض ميادين العاصمة والاسكندرية ، كالمحطة وجوار معبر قصر النيل ، تضاء بهذه الطريقة أى باستعمال الزئبق الذى يعطى هذا اللون الجميل المائل للزرقة أو استعمال الصوديوم الذى يعطى لوناً مائلاً إلى الاصفرار ، على أن هذا النوع من الضوء يقع فى الجزء الحساس من العين ؛ لذلك ولأسباب أخرى ، تُعد هذه المصابيح أكثر اقتصاداً من المصابيح المعروفة

وهكذا لكل مادة طيف خاص بها يميزها عن غيرها من المواد ؛ على أنه يشترط لكى تبقى هذه الخطوط الطيفية فى مواضع معينة وثابتة ، أن يكون الجسم مصدر الطيف ثابتاً بالنسبة لنا ، وكما أننا

(١) نشرنا صورة لاحدى هذه السدم اللولبية فى مقال « أرض تدور وإنسان يحيا ويموت » المنشور بالرسالة فى ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ص ٢٧١

(٢) هذا الشكل من مقال الأستاذ نيومان منشور فى المجلة الفلسفية (La philosophical magasine) بتاريخ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ص ٧١٢

نستطيع أن نعرف درجة ابتعاد قاطرة عنا من سماع وتسجيل صفيرها ، كذلك يمكن بدراسة خاصة بالتحليل الطَّيْفِى أن نعرف إذا كان النجم يبتعد أو يقترب منا ، كما نعرف سرعة ابتعاده ، ذلك أن الخطوط الطَّيْفيَّة تقترب من جهة الطيف الأحمر إذا كان النجم يبتعد عنا ، أو من الجهة الأخرى إذا كان النجم يقترب منا ، وعلى قدر اقترابها من أحد الطرفين نعرف سرعة ابتعاد النجم أو اقترابه

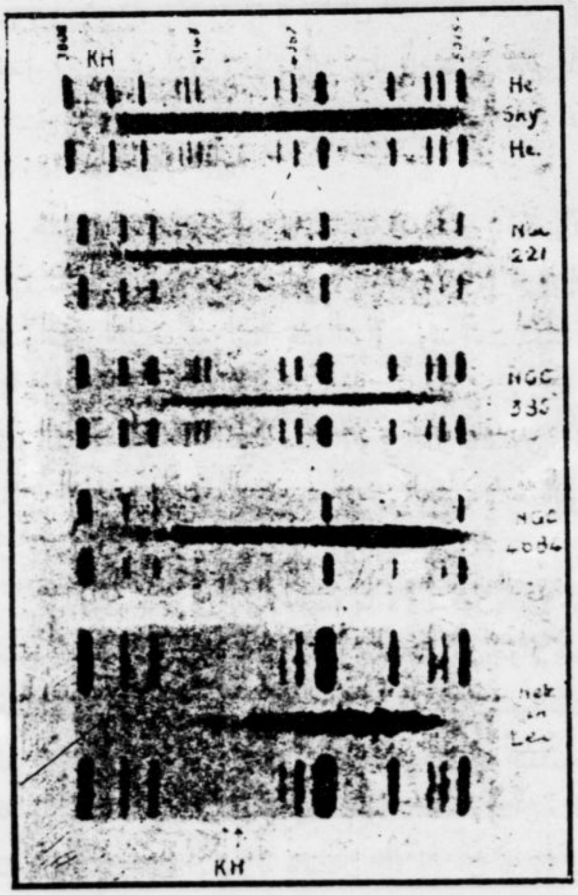

شكل (٢) أطياف السدم عند اقتراب خطوطها من جهة اللون الأحمر تدل على ابتعاد هذه السدم عنا

والشكل (٢) مثال من هذا الطيف الذى يسمح بالحصول على تقدير هذه السرعات الكبيرة ، والأشكال التى تبدو فى الصورة كالطوربيد ، هى طيف لسدم مختلفة ، مأخوذ فوق الطيف الأرضى العادى ، وترى أنه كلما نزلنا فى اللوحة مالت خطوط معينة فى الطوربيد إلى الجهة اليمنى ، وتختلف سرعة هذه السدم الواحد عن الآخر فالطيف الأعلى يمثل ضوء السماء والسديم الأول وهو الذى يليه يقترب بسرعة ١٨٥ كيلو متراً فى الثانية والثانى يبتعد بسرعة ٣٨٥ كيلو مترا والثالث والرابع بسرعة ٤٩٠٠ كيلومترا و٤٨٨٤ كيلو مترا على التوالى والخامس بسرعة ١٩٧٠٠

وأول من قام بعمل هذا النوع من التجارب هو الأستاذ سلفر V. M. Slipher من مرصد لويل Lowel

هذا عن تعيين سرعة السدم وبقى أن نشرح الطريقة لمعرفة بعدها عنا

من الممكن أن نرى فى العوالم الحلزونية القريبة بعض النجوم الكبيرة المنفردة عند ما تفوق هذه النجوم الشمس فى حجمها وضوئها مئات أو آلاف المرات ، ومن حسن الحظ تتغير شدة إضاءة طائفة من هذه النجوم من وقت لآخر وتسمى هذه النجوم التى يتغير ضوؤها Cepheides Variables ويحدث توهجها ، الذى يقع فى فترات متتابعة ومتساوية ، من نبض حقيق للنجم أو تغير فى حالته الطبيعية ؛ وتختلف هذه الفترات من بضع ساعات لبضعة أسابيع ، حسب حجم هذه النجوم وقوة توهجها

وكما أن الأطباء يحاولون بدراسات جديدة تمييز الجنين فى بطن أمه إن كان ذكراً أو أنثى ، من عدد ضربات قلبه ، فقد وجد العلماء أن هذه الفترات تدل على حالة النجم . وقد أثبتت الملاحظات أن النجوم التى لها نفس الفترة لها نفس الخواص الأخرى كالحجم والتوهج والنموذج الطيفى ، وعليه فالفترة التى يمكن أن نقيسها بسهولة بساعاتنا الأرضية تعين درجة توهج النجم ؛ فإذا عرفنا أن نجماً من النجوم توهجه يختلف مرة كل عشرة أيام ، كان سطوع هذا النجم يماثل ٩٥٠ مرة قدر سطوع الشمس . وتنحصر المسألة بعد ذلك فى معرفة المسافة التى يوجد عليها نجم عرفنا درجة توهجه ، ونعرف أن حجمه الظاهرى لنا النقطة التى نراها . من هنا عرف العلماء مسافة هذه النجوم البعيدة ، وبالتبع مسافة العالم الذى يحويه (١)

وهكذا أصبحنا نعرف مسافة هذه النجوم المتغيرة ، معتبرة وحدة للقياس، كما نعرف مسافة شمعة معتبرة وحدة للقياس من درجة توهجها الظاهرة

وقد اكتشف الدكتور هبل (Hubble) من مرصد جبل ولسون بأمريكا نجوماً من هذا النوع فى ثلاثة من أقرب السدم

(١) هذه الطريقة خاصة بمعرفة المسافات والعوالم البعيدة ، ولادخل لها فى تحديد المسافات التى تفصلنا عن النجوم القريبة أو الشمس ، والتى نعرفها باعتبارات أخرى ، تتلخص فى رصد النجم فى موضعين مختلفين للأرض بالنسبة للشمس

الحلزونية وحدد أبعادهم بالطريقة السالفة — هذه الطريقة التي صعب على هذا العالم تطبيقها للسدم البعيدة ؛ فاضطر إلى الالتجاء لطريقة أخرى يعتد بها فريق من العلماء ، ولا مجال لشرحها هنا .

***

وها نحن نسرد النتائج الفعلية لهذه الأبحاث

أولاً : أن سرعة ابتعاد السدم تفوق كثيراً السرعة التي تسير بها النجوم في أفلا كها داخل هذه السدم

ثانياً: هذه السرعة للسدم تزداد بازدياد المسافة التي تفصلنا عنها

ثالثاً : تبتعد جميع السدم عنا بسرعات كبيرة جداً

صحيح أنه دل امتحان ٩٠ سديماً، في بادىء الأمر، على اقتراب الخمسة السدم الأولى منا بسرعة بطيئة ، ولكن يعتقد السير أدنجتون أن هذا الاقتراب اقتراب ظاهري ، ذلك أن الباحثين لم ينسبوا سرعة هذه السدم للمجرة كمجموعة ، إنما نسبوها لمجوعتنا الشمسية ، وباعتبار أن الشمس تسير حول مركز المجرة بسرعة تختلف من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كيلو متر في الثانية ، فإن هذا الاعتبار الأخير يصحح معرفتنا الحقيقية عن هذه السدم الخمسة التي يثبت بعد ذلك ابتعادها .

***

ويحسن أن نطلع القارئ على درجة سرعة ابتعاد السدم عنا ، فبينما تختلف سرعة النجوم في أفلاكها من ١٠ إلى ٥٠ كيلو متراً في الثانية(١) ، إذ تختلف سرعة السدم في الأربعين سديماً القريبة منا كما بين ذلك «سلفر» من ٨٠٠ كيلومتر في الثانية إلى ١٨٠٠ ، هذا وقد اكتشف « هاماسون » Humason من مرصد مونت ولسن بأمريكا أن السرعة تزداد بعد ذلك كثيراً للسدم البعيدة في جهة التوأمين Gumaux يرى سديم يبتعد عنا بسرعة ٢٥ ألف كيلو متر في الثانية ، ويبعد عنا بنحو ١٥٠ مليون سنة ضوئية. ولا شك أنهم سيكشفون الآن سُدُماً أبعد من هذا ، وذلك بعد أن تم وضع المنظار الجديد في مرصد جبل ولسون ، ذلك المنظار الذي كان له الفضل في كشف القمرين الجديدين للمشترى كما ذكرنا في مقال سابق

ولقد كان لهبل في سنة ١٩٢٩ الفضل في اكتشاف تناسب سرعة السديم مع بعده ، وهذا مطابق لنظرية إينشتاين ، ولو أن « دى ستر » ظن بادئ الأمر أن السرعة تتناسب مع مربع المسافة ، إلا أنه اتضح له خطأ هذا الحساب فيما بعد

وتزيد السرعة وفق تجارب هبل ٥٠٠ كيلو متر في الثانية لكل سديم يبعد عنا بثلاثة ملايين سنة ضوئية تقريباً ، وعلى هذا فالسديم الذي يبعد ٣٠ مليون سنة ضوئية يبعد عنا بسرعة تقرب من ٥٠٠٠ كيلو متر في الثانية(١) أي يبعد عنا مسافة كالتي تفصل أمريكا عن أوربا ، ويكفي أن نصل إلى مسافة تقدر بمائة وخمسين مليون سنة ضوئية لتكون سرعة ابتعاد السديم عنا ٢٥٠٠٠ كيلو متر في الثانية

هذا هو الكون ، كل عالم يبتعد فيه عن الآخر ، وقد يأتي وقت تبتعد فيه كل العوالم ، فلا يبقى للأحياء عالم ليروه، اللهم إلا إن تقدم المنظار الفلكي بقدر ابتعاد هذه العوالم . وقد أثبت الحساب كما يقول أدنجتون ، أن على راصد السدم أن يزيد فتحة منظاره بقدر الضعف كل ١٣٠٠ مليون سنة ، وعلى الذين يعتقدون دوام الجنس البشري ملايين السنين ، لنعرف كل ما لا نعرفه اليوم أن يُعَجِّلوا بدراسة موضوع غير قابل للتأجيل

هذا رأي جديد في العوالم المحيطة بنا ، والكون الذي نحن بعض أفراده . ولنا أن نتساءل : لماذا تبتعد عنا كل العوالم كأنها جميعاً أعداؤنا ، لا صديق بينها يقترب منا ؟ هل هناك سر وسبب لهذا الابتعاد ؟ وترى ماذا شكل الكون وفق الظواهر المتقدمة ؟ هذا ما أتركه للقارئ يتأمل فيه ليجد الجواب عليه ، إذ أن هناك صورة واحدة محتملة لكون له خاصيتان : الأولى أن كل عالم فيه يبتعد عن الآخر. والثانية أنه كلما كان العالم بعيداً بالنسبة لعالم آخر زادت السرعة التي يبتعد بها هذا العالم عنه .

هذه الصورة للكون وفق أحدث الآراء نطلب من القارئ أن يحاول تصورها ، فإن لم يهتد فسنحاول أن ندله عليها في المقال القادم ؛ وسنرى أنه إذا كان أغرب القضايا العلمية هي أننا أبناء كون يمتد ويتسع ، فأغرب من ذلك أننا سنرى أننا أبناء كون محدود .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم . دبلوم المهندسخانة

(١) سرعة الأرض حول الشمس ٣٠ كيلو متراً في الثانية

(١) يعتقدون أن الخطأ في هذه التجارب ويعدون مصدره تقدير المسافة لا يتجاوز ٢٠ في المائة

التصوير الاغريقى
في مرحلته الثانية

للدكتور أحمد موسى

وكان لإبراز الصور بهيئة مجسمة على يد أبولودور الأثينى أثر عظيم فى الاتجاه الفنى ، فلم ينته القرن الخامس ويبدأ القرن الرابع قبل الميلاد حتى كانت المدرسة اليونانية قد تأسست واشتغلت باكمال الحلقة التى بدأها أبولودور ، فتقدم تصوير اللوحات، وظهر زويكس Zeuxis of Heraklea فى الميدان وكذلك بارازيوس Parrasios of Ephesus الذى اشتغل فى أثينا وإيفيزوس . وكان كل منهما قادراً على التأثير فى المشاهد بالنظر إلى ما بدا على رسومهما من تجسيم خادع

أما التلوين فقد ظل عندهما بسيطاً كما كان . وأما الموضوع الإنشائى فقد اتجه نحو تسجيل الجمال المادى ، فضلاً عن بحثهما عن الموضوعات الجديدة اللافتة ، فكان هذا سبباً لأن تصبح رسومانهما ذات تأثير خاص ، وحاولا إيضاح العالم النفسية فى تصوير الأشخاص .

وصورة زويكس لهيلينا Helena in Croton (1) وصورته لزويس محاطاً بالآلهة جديران بالذكر والاعتبار

ومن ضمن ما تخيره بارازيوس موضوعاً للرسم تصويره بروميتيوس Prometheus فى الأغلال ، وبروميتيوس هذا هو الذى سرق — كنص القصة الإغريقية — النار من زويس لإعطائها للناس وعوقب بضغطه فى الصخر حتى جاء هرقلس وخلّصه من محنته . وله صورة أخرى لا تقل عن هذه تمثل فيلوكتيت Philoctet الصارخ الذى ورث نشاب هرقلس وقتل باريس فى تروادة وغير ذلك للأشخاص ولأوديسيوس Odysseus

ش ١ — تضحية إيفيجانى ، صورة حائطية بيمباي ، متحف نابولى

وثالث مصورى هذه المرحلة تيمانتيس Timanthes of Kynthos الذى تفوّق على بارّازيوس ، وكان مولعاً بتصوير المناظر المعبرة عن خوالج النفس المتصلة بالعقل . فصور (تضحية إيفيجانى) Offer of Iphigenie ابنة أغاممنون وكليتيمنسترا Klytämnestra التى قُدمت قرباناً لأرتميس Artemis ابنة الإله زويس ، والتى تقابل ديانا عند الرومان . وقد وجدت صورة حائطية فى بمباى على نفس النمط ، وهى من أروع الصور بالنظر إلى أهمية القصة .

ولم يصل إلى أيدينا من آثار تلك المرحلة إلا بضعة مصورات حائطية من باستوم (بمتحف نابولى الآن) . وهى ترجع إلى آخر

(1) زوجة مينلاوس التى اختطفها باريس ونشأت عن ذلك حرب تروادة

القرن الخامس . وصورة المحاربين العائدين تحت لواء النصر وصور الراقصات التى رسمت على أرضية بيضاء وتمتعت بقسط وافر من دقة الإخراج والحياة .

ش ٢ — طبق سوسياس ، تضميد الجريح ، متحف برلين

أما فى القرن الرابع فقد وصل التصوير الإغريقى إلى أزهى أيامه لامن حيث الناحية الفنية والدقة فحسب، بل كذلك من حيث العمل الصناعى . وتُعد مدرسة سيكيون School of Sykion التى رأسها بامفيلوس Pamphilos من أبرز المدارس وأهمها . وكان بامفيلوس نفسه عالماً وكاتباً فى فن التصوير، وقد صور لوحات صغيرة لتمثيل المناظر الاجتماعية فى دائرة محدودة ، ولكنه تخصص فى تصوير الزهر والأغصان، وله لمعشوقته جليكيرا Glykera صور عديدة ، كما أن له صورة مشهورة أسماها محاربة الثيران

وقد وجدت مدرسة هامة من مدارس التصوير لها تاريخ مجيد ، ألا وهى المدرسة الطيبية[1] الأتيكية التى برز بعض العاملين فيها مثل نكوماخوس Nikomachos الذى اشتهر بسرعة العمل والإنتاج المبسط ، وابنه وتلميذه أرستيدس Aristides الذى كان مولعاً بالمواقف الممثلة للحالات النفسية العنيفة وله فيها صورة فذة تمثل أماً تنظر إلى ابنها الرضيع يحتضر . وله تلميذ هو أويفرانور Euphranor الذى اشتغل حينا فى أثينا ، وكان نحاتاً إلى جانب كونه مصوراً ، كما كان كاتباً وعالماً ، وله طابع مميز هو تصويره الرجولة فى أكمل معانيها . وله قطعة معروفة أسماها « عراك الفرسان فى مانتينا Mantinea الواقعة فى أركاديا الشرقية والتى تم النصر لاياميثنداس على الاسبرطيين فيها سنة ٣٦٢ ق . م وغير ذلك فى أثينا .

ولعل تلميذه وقريبه نيكياس Nikias of Athena من أحسن

(١) وجدت غير مدينة طيبة المصرية مدينة أخرى سميت بهذا الاسم وكانت عاصمة لبوثيا ، خربها الاسكندر سنة ٣٣٥ وأعيد تشييدها فيما بعد

مصورى تلك المرحلة، فقد كان معاصراً لبركسيتلس[1] ولون له بعض تماثيله ، واشتهر بالتصوير بالشمع ووصل إلى درجة عليا فى صناعة الألوان ، وكانت له عناية خاصة باختيار الموضوعات الجديرة بالتصوير ، فصور مناظر القصة الإغريقية وأبدع فى تصوير أبطالها من الرجال والنساء .

أما أعظم مصورى الإغريق إطلاقاً فهو أبيلليس الكلوفونى Apelles of Klophon الذى عاش فى إفيزوس Ephesos والذى تمتع بأكبر قسط من التقدير والشهرة ؛ فأسموه بحق « بوكسيتلس التصوير » أو « رفائيل العصر القديم » . عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ودعاه الملك فيليب إلى قصره ، ثم عمل كمصور فى بلاط اسكندر الأكبر ، وقد قدره أحسن تقدير ورعاه أجمل رعاية . ومما هو معروف عنه أنه كان على غاية التواضع ولين المعشر ، وكانت له كلمات خالدة ذهبت مثلاً بين الناس .

ش ٣ — جو وأرجوس وهرمس ، صورة حائطية فى بلاتين روما ، عن نيكياس

وينحصر طابعه المميز فى أنه وحد بين الاتجاه الهادئ للمدرسة اليونية وبين الميل العنيف الذى غلب على إنتاج المدرسة

(١) راجع مقالنا — بركسيتلس النحات — فى الرسالة .

السيكيونية فضلاً عن أنه كان مصوراً تخطيطياً من الطراز الأول . ولا يزال معدوداً من الطبقة الأولى ، بل ولم يكن لغيره فى العصر القديم أن يصل إلى مرتبته فى العمل الصناعى والتكوين الإنشائى والجمع بين الظل والنور وحسن استخدام اللون .

هذا إلى جانب القدرة الهائلة فى تمثيل الطبيعة أصدق تمثيل ؛ فدل بذلك على دقة الملاحظة فى أكمل معانيها ؛ فيرى الناظر إلى مجموع إنتاجه مما وصل إلى أيدينا أنه كان مَثلياً فى اختيار الجمال وتكييفه وعرضه فى ثوب الأناقة والباهاة التى أصبحت له وللوحاته دون غيره من مصورى عصره مع توافر البساطة فى الإخراج .

وقد اقتصر على تصوير اللوحات فلم تكن له صور على أوانى الزهر أو على الحوائط . وأهم ما تركه من العمل الفذ حقاً صورة لأفروديت أناديومين Aphrodite Anadyomene فى معبد أسكليپيوس بقوص Asklepiostempel in Kos والتى أخذت إلى روما فى وقت ما . صور أفروديت تظهر خلال أمواج البحر ، فبدا نصفها الأعلى وأخذت تنثر شعرها بيديها . وكانت لهذه الصورة منزلة عظيمة عند معاصريه ، وأثر كبير على الفنانين إلى حد أن بعض النحاتين مثّلها فى الرخام بنفس طريقته وعلى نمط إنشائه .

وله غير ذلك صورة « لأرتميس وعرائس البحر » وصورة لهرقليس وخاريس ، ولوحات لاسكندر الأكبر فى صورة الإله زويس بمعبد أرتميس فى إفيزوس ؛ وصورته له كفارس محاط بأوضاع رمزية لحاشيته . وكانت له معشوقة هى پانكسپا Pankaspe التى كان لها حظ التخليد على يديه .

ووجد غيره من الفنانين ، منهم من كان على اتصال به مثل پروتوجينيس Protohenes of Rhodos الذى عمل صوراً فردية ولكنها كانت على أعظم جانب من صدق المحاكاة وأبرع قسط من جمال الإخراج . وأهم ما نذكره له صورتان إحداهما ليالبزوس هيروس وأخرى لساتير متعب

وللمصور آتيون Aetion صورة مشهورة لزواج الإسكندر من روكسانا . ولا بد لنا من ذكر المصور تيون Theon فى ساموس والمصور أنتيفيلوس Antiphilos الذى عاش وأنتج فى مدينة الأسكندرية (١)

وفى هذه المرحلة تطور فن التصوير من حيث الرغبة فى إخراج اللوحات الصغيرة Phopographie التى يمكن لأكثر الناس اقتناؤها . وأول من اتجه هذا الاتجاه الفنان پاريكس Peiraeikos الذى صور مناظر دكاكين الحلاقين وصانعى النعال وبائعى الخضروات والمأكولات فأظهرها إظهاراً بديعاً

وإذا بدا الجفاف على هذا المقال فذلك لأنه مقال على خال من حشو القول ، ولا غاية لنا منه سوى توجيه القارئ إلى نواحى الفن العريق ؛ فيحصل على قسط من المعرفة يكسبه شيئاً من النزة والدراية والتثقيف الواجب ، فيكبح من جماح إعجابه السريع بكل ما يراه لصغار الفنانين الذين يدعون لمجرد عرض بعض لوحاتهم وإطناب الصحافة التى ليس لها فى قياس الإنتاج الفنى معيار ، أنهم وصلوا إلى القمة . أما أولئك الذين يشتغلون بالفن ويعتبرون أنفسهم من تلاميذه ، فإليهم أيضاً أكتب آملاً أن يكون فيه بعض التوجيه لما يفيد وبعض التهيئة لإنتاج جدير بالاعتبار والتقدير

أحمد موسى

(١) راجع مقالنا — الفن الاسكندرى — بالرسالة .

زكريا أحمد

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحى

أقرب الموسيقيين إلى الفن من ينغمس فى لجج الحياة حتى يصل لأعماقها ، ويذوق حلوها ومرها ، وابتسامها وعبوسها

وأبقى الموسيقيين على الزمن من يحتقر المادة فلا يشغل نفسه باكتنازها بل يصرف ما فى يده فى ليلة ، حتى إذا تنفس الصبح لم يجد لقمة يسكت بها صراخ أمعائه فلا يكترث ولا يقتصد إذا أصاب بعد هذا يسراً . بل هو لا يتغير ، ولا يتدبر ، ولا يحسب (للغد) حساباً أبداً ولا يهمه أن يكون أنيقاً رشيقاً بقدر ما يهمه أن يكون أشعث الشعر مهلهل الثوب . لا يكترث لكلام الناس عنه إن كان خيراً أو شراً ، لأنه لا يعوج إلا لشىء واحد . هو «فنه» .. وزكريا أحمد يعبد الحرية ويقدسها .. يمثل «البوهمية» الفنية أدق تمثيل لا يهمه فى دنياه إلا فنه وقلبه .

***

تربى زكريا تربية دينية، فحفظ القرآن المجيد وألم ببعض علومه ولكن (جرثومة) الموسيقى كانت تسرى فى دمه فلم يستطع مقاومتها فانضم (كذهبجى) للشيخين على محمود، واسماعيل سكر، وأمضى معهما وقتاً طويلاً ، ثم تتلمذ لأستاذنا الشيخ درويش الحريرى يأخذ عنه ما عنده من موشحات (وضروب) فأدهش الرجل بذكائه وحسن استعداده وأذنه العجيبة !

آنس زكريا من نفسه المقدرة فرأى أن ينفصل عن الشيخ على محمود ليكون ملحناً فأخرج السحر الحلال الذى جمع حوله جمهرة الطربين والمطربات يأخذون منه وهو البحر الذى لا ينضب والفنان الذى لا يعجز .

لا يلحن للمال ، ولا للفخر . بل يلحن لقلبه وحبه ووحيه الذى يترجم أسمى ما فى العواطف من نبل ونور .

ملك « الصبا » غير منازع ، وإذا قلنا (الصبا) فإنما نعنى اللحن المسيطر على النفوس والمترجم لأشرف ناحية وأسماها من حياة الإنسان وهى ناحية عواطفه ، وآماله وآلامه ، وتوفيقه وفشله . وهل نستطيع أن ننسى أدواره التى غنتها أم كلثوم : (قلبى كل ما تقوى ناره) (هو ده يخلص من الله) (ياراىح على جده) (اللى حبك ياهناه) ...

لحن أكثر من خمسمائة قطعة نجحت جميعها نجاحاً عظيماً .

وهو فنان موهوب لم يتعلم فى مدرسة ولا معهد، وإنما نشأ كما ينشأ العبقرى اللهم تكفيه (الخميرة) التافهة لتزداد وتزداد حتى يصبح كله (خميرة) تنضج كل شىء ...!

يعزف على العود (سماعياً) فلا يعرف (النوته) الغربية .

تمتاز قطعه بروحها العربية الشرقية البحتة ، فلا سرقة ، ولا مزج ، ولا خلط ، ولم يعرف عن ملحن أو موسيقى أنه اختلط بالمرحوم الشيخ سيد درويش زعيم المدرسة الحديثة فنال حبه وملك قلبه كزكريا. وإنك لتجد تشابهاً عجيباً فى روحيهما ونظرتيهما للحياة . . . !

***

تقويم النوع الإنساني

نشرت مجلة « حياتك » الأمريكية التقويم التالى للنوع الإنسانى ، وهو من وضع العلامة الأستاذ «آرثر ه . كومبتن » حائز جائزة نوبل فى « الفيزياء » ، والباحث الشهير فى الأشعة الكونية ، وقد صغّر فيه الزمن مليون مرة :

قبل مدة تتراوح بين السنة والسنتين : تعلّم الإنسان الأول استعمال العصىّ والأحجار كأدوات وأسلحة .

فى الأسبوع الفائت : أنشأ إنسان ما فن تكييف الأحجار بحيث تسدُّ حاجاته .

أمس الأول : استعمل الإنسان الصور المبسَّطة كتابة رمزية

أمس : ابتكِرت الألفباء .

أمس عصراً : أنشأ اليونان فنهم وعلمهم .

منتصف البارحة : سقطت روما

الساعة ٨ والدقيقة ١٥ من هذا الصباح : لاحظ « غليليو » أجسامه الساقطة .

الساعة ١٠ صباحاً : صُنع المحرك البخارى الأول .

الساعة ١١ صباحاً : كشفت قوانين المغنطيسية الكهربائية

الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ صباحاً : تلا ذلك التلغراف والقدرة الكهربائية ... الخ .

الساعة ١١ والدقيقة ٤٠ صباحاً : كشفت أشعة إكس

قبل خمسة عشرة دقيقة : عم استعمال السيارة

قبل خمس دقائق : بدأت خدمة البريد الجوى .

فى الدقيقة الفائتة : شاع استعمال الراديو .

الآن ، ظهراً : نجد النوع الإنسانى – بمعنى جديد كلَّ الجدة – موحداً بفضل العلم

عبد الكريم الناصرى

يدهشك فى هذا الرجل وفرة رجولته ، واعتداده بفنه وكرامته . فهو يعطف على إخوانه الفقراء ويساعدهم ويلحن لهم بالمجان ، ولكنه يتصلب ويشتط ويغالى مع الكبيرات الغنيات اللائى يأخذن كل شئ ولا يعطين شيئاً . ولعل وقفته المشرفة مع (أم كلثوم) فى روايتها الأخيرة تترجم تلك الرجولة القوية وتسجل تلك النفسية الكريمة ، فقد رفض أن يأخذ أقل من (مائة) جنيه فى اللحن الواحد ولم يقبل ما قبله القصبجى والسنباطى . ومن أصدق ما قيل فيه قول شاعر الشباب الأستاذ محمود حسن إسماعيل :

يامثير «الصبا» من العود تحكى نغم الطير فى صباح الخلود
أو تأويه عاشق عبقرى أرعشت ليله رياح الصدود
أو قمارى جنة ساجلتها حلم الشدو غافيات الورود
أيها الشاعر الذى طار بالفن وأعلى شعاعه فى الوجود
مرّ بالجاحدين ، كالكوكب المشبوب واصدح بكل لحن جديد ...

محمد السيد المويلحى

الفنون الإسلامية

أبدى صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف رغبته فى نهاية العام الدراسى الماضى فى أن تزيد عناية مدرسة الفنون الجميلة العليا بالفن الإسلامى جاعلة منه أساس الدراسة فى هذه المدرسة ، بما يتناسب وأغراض النهضة القومية الحديثة ومراميها فى تربية شباب الفنانين المصريين ، وكان ذلك عقب زيارة معاليه للمعرض الذى أقيم فى المدرسة لإظهار نشاطها

والمعروف أن القواعد التى تقوم عليها برامج هذه المدرسة تميل حتى الآن بحكم نشأتها القديمة إلى تدريس الفن فى مختلف صوره على الأصول الغربية ، مع تقدم الزمن بمصر للأخذ بفنونها الخاصة ، ولطبع الثقافة الفنية فيها بطابعها الأصيل وهو الفن الإسلامى

على أن بعض أساتذة المدرسة المصريين قاموا فى الأيام الأخيرة بجهود فردية — وبخاصة فى قسم العمارة — لتوجيه البرامج إلى هذه الوجهة ، وتربية الذوق الإسلامى فى نفوس الفنانين الناشئين

ولما كان الأمر أجل من أن يترك فى هذا المعهد الفنى العالى لمجرد الجهود الشخصى فقد رفع الدكتور محمد فكرى أستاذ تاريخ الفن بالمدرسة مذكرة إلى معالى وزير المعارف اقترح فيها بناء على رغبة معاليه السابقة إنشاء قسم خاص للفنون الإسلامية بالمدرسة وتقوم فى نفس الوقت بتفاصيل إنشاء هـذا القسم والمقترحات الخاصة ببرامجه

وقد جاء فى هذه المذكرة أن الفن الإسلامى هو الفن القومى لمصر ، وأن الخصائص الفنية العظيمة التى ينفرد بها هذا الفن يجعل منه مادة خصيبة لتغذية جميع نواحى النهضة الحديثة فى مصر ، فضلاً عن قابليته الدائمة للتطور وتمشيه مع روح البيئة الطبيعية فى هذه البلاد

وقد عنى معالى وزير المعارف بهذا الاقتراح وأحاله على مراقبة الفنون الجميلة لدراسته

وفاة العالم الأثرى هوارد كارتر

نعى من لندن الأستاذ هوارد كارتر العالم الأثرى الانجليزى المشهور عن ٦٦ عاماً . وليس بين المصريين من يجهل اسم هذا الرجل الذى كشف مع اللورد كرنارفون مقبرة توت عنخ أمون التى لفتت العالم بأسره إلى مصر . وكان عمله العظيم أكبر دعاية عالية شوقت ألوف السياح إلى غشيان مصر من كل فج وصوب .

جاء المستر كارتر إلى مصر سنة ١٨٩٠ وعاون الأستاذ فلندرس بترى فى حفائر تل العمارنة لحساب اللورد أمهرست سنة ١٨٩٢ ، وعين مفتشاً عاماً لمصلحة الآثار فى الحكومة المصرية وأعاد تنظيم إدارة الآثار فى مصر العليا تحت إدارة السير وليم جارستن والمسيو جستون مسبيرو ، وأدخل نور الكهرباء إلى وادى الملوك وإلى أبو سمبل ، واكتشف لحساب الحكومة المصرية مدافن الملوك منتوحتب وحتشبسوت وتحتمس وامنحتب الأول وغيرهم إلى أن اهتدى فى سنة ١٩٢٣ إلى قبر توت عنخ أمون

وقد نشرت صحف انجلترا ترجمة حياته بتفاصيل مسهبة ، وأسفت على فضله وعلمه الواسع وعادت تذكر الخرافة المشهورة باسم « لعنة الفراعنة » التى قيل إنها لاحقت جميع من اشتركوا فى كشف مدفن توت عنخ أمون لكن جريدة « الديلى تلغراف » أوضحت أن كارتر نفسه لم يكن يعبأ بهذه السخافة فضلاً عن أن موته بعد هذه السنين المديدة من كشف المدفن لا يمكن أن ينسب إلى كشفه

تركيا تهزل والعالم بجد !

من أنباء استامبول أن الصحافة التركية قامت أخيراً بحملات شديدة على فكرة إنشاء مؤسسات لها صبغة دينية فى البلاد وتقوم على أكتاف الشباب . وقد طلبت جريدة « ينى صباح » إغلاق هذه المؤسسات فى تركيا واستامبول بوجه خاص بحجة أن هذه المؤسسات تقوم بدعايات غير قومية ولا تتفق مع الروح التركية الجديدة .

ويظهر أن هذه الحملة التى تثيرها الصحف كانت صدى لخطاب رئيس الوزراء رفيق سيدام الذى أعلن بالراديو مقاومة الجمهورية التركية لكل حركة دينية تقوم فى البلاد

حول عريضة الأزهر

جاءنا من أحد العلماء الذين أمضوا تلك العريضة التى تحدث عنها الأستاذ ابن عبد الملك فى عدد الرسالة السابق كلمة يصحح فيها بعض الوقائع ، وقد طلب إلينا أن ننشرها على مسئوليته ، ولكنه فى الوقت نفسه وقعها بتوقيع مستعار ، وبين تحمل المسئولية وإخفاء الاسم تناقض ظاهر .

حول ترجمة الإلياذة والأوديسة

أخى الكريم الأستاذ أحمد أحمد العجمى :

كنت أوثر أن أعرف عنوانك لأكتب إليك عما سألت لأن بعضه يخصنى ويتعلق بظروفى . . . فاعلم يا أخى أن المرحوم البستانى قد نقل الإلياذة إلى العربية نظماً . . . ولم يكن رحمه الله طويل النفس فى الشعر ولا ذا ديباجة تحببه إلى القراء . . . من أجل هذا ركدت ترجمته ولم يقرأها عشرات ... وأستغفر الله أن أسوء أحداً بما أقول ...

وقد بدا لى بعد أن فرغت من كتابة (أساطير الإغريق) ونشرها تباعاً بالرسالة أن أترجم الإلياذة نثراً لا شعراً لما للنثر

من مزايا خصوصاً في اللسان العربي . . . ومع ذلك فقد خشيت إذا أنا ارتبطت بترجمة الأصل أن يصدف القراء، وينفروا لكثرة ما يرد من أسماء الآلهة والأشخاص ، وأكثرها أسماء حوشية نابية ... فآثرت التلخيص السريع وأضفت مقدمة لحروب طروادة ليست من الإلياذة ، بل هي مما ترك الشعراء القدامى غير هوميروس ، حتى إذا انتهيت من الإلياذة أردفت لها ذيلاً من ڤرچيل ... وقد كان لا بد مما صنعت ليكمل سياق الملحمة الخالدة ، فالزيادة الأولى هي الفصل الأول ، والزيادة الثانية هي الفصل الأخير

أما الأوديسة فلم ينقلها إلى العربية فيما أعرف سواى ، وقد نقلتها نثراً لا شعراً للأسباب نفسها التي خشيت منها على الإلياذة ... وللأمانة التاريخية أقرر أنني نقلت الفصول الخمسة عشر الأولى نقلاً شبه كامل ، ولما خفت أن ينتهي المجلد الأول من مجلة الرواية دون أن تنتهي الأوديسة عمدت إلى تلخيص كل فصلين مما تبقى ونشرهما في عدد واحد بعد أن صارحت أستاذنا الزيات بذلك ...

أما أن جمهور القراء في مصر وفي الشرق يرغب في طبع ما ترجمت وما لخصت من ذاك كله فهذا ما يظنه أخي وما يخيفني أنا لأن الطبع يكلفني مئات كما كلف كثيرين غيري فلم يحصلوا ربع ما أنفقوا . . . هل سمعت ؟ لقد قلتها لك بصراحة يا أخي

وتقبل شكري على ما أطريت .

دريني خشبة

جريدة الوادي

اعتزم زميلنا الأستاذ محمد نجيب صاحب جريدة « الوادى » أن يصدر الجريدة قريباً بشكل جديد يعتبر فتحاً في الصحافة العربية اليومية . وسيتولى الإشراف عليها أساطين السياسة المصرية وكبار المفكرين وجمهرة وافرة من الأدباء والكتاب الممتازين .

ولا تزال الاستعدادات جارية لإخراج الجريدة في هذا الثوب الجديد قبل نهاية الشهر الحالي

فصلان :

١ — الأمـيرة : للآنسة جميلة العلايلى

٢ — كاهن آمون : للأديب أحمد صبرى

— ١ —

هاتان قصتان، كانتا غذائى فى يومين :

أما الأولى فقصة غرام عنيف عفيف، وهى كما تقول المؤلفة : قصة جمعت فى فصولها تاريخ الحياة كلها ، كتبت حروفها من نار العقل ونور القلب ، فتصارع فيهـا اليقين والشك ، والإيمان والإلحاد، والخير والشر ، وظهرت فيها شخوص مختلفة من تهاويل المدنية الحادثة، وبساطة الطبيعة الخالدة، واصطدمت فيها التقاليد الصارمة بالعواطف اليقظة، وكان فيها ما كان من رغبة ورهبة، وثورة وخنوع، وألم وأمل، ثم انتهت عند حقيقة خالدة، وهى أن الرجل رجل والمرأة مرأة، ولن يكون الاتصال بينهما إلا على هذا الأساس الذي قامت عليه الحقيقة الإنسانية منذ الأزل

والآنسة جميلة أنثى ، فأحسن ما فيها أنهـا تكتب بطبيعة الأنثى وبعواطفها وميولها ، فلا كذب ولا نفاق ولا تزوير ، ولـكنها الأنوثة الواضحة ، والصراحة التى لا تتوارى ، والعواطف التى تتدفق على وضع الطبيعة ؛ ووضع الطبيعة فى الأنوثة الـكاملة هو الإعجاب، أو إن شئت فقل العشق للرجولة الـكاملة ، وإقراراً لهـذا الوضع المقدس ضحت بالأوضاع والتقاليد فى سبيل زوج لا تقدره لها الأوضاع والتقاليد . ولقد نجحت التجربة الجريئة ، فكان لها برجولته وكبريائه واعتداده ملء القلب والبصر والسمع ، وكانت له بأنوثتها ملاك الرحمة ، ومثال التضحية ، ورسول الحب !

والمرأة بطبيعتها — كما تعلم — رقيقة الإحساس ، مرهفة العواطف ، فإذا جمعت إلى ذلك موهبة الشعر كانت فى خيالها وفى شعورها متوثبة ، كأنها تريد أن تلتهم الدنيا بنظرة ، وأن تزم البحر بشعرة ، وهذا هو شأن الآنسة الفاضلة فى قصصها : فهى تغرد على كل فنن تغريد الشاعر ، وهى تجرى وثباً وراء الخيال فتسبق الحوادث ، وتستطرد من معنى إلى معنى دون أن تعنى بالنسق القصصى ، وما يسمونه بالحبكة الفنية ، ومن ثم جاءت قصتها كما تقول هى : سلسلة حبائل كلها أقاصيص عجيبة ، ولدتها قصة واحدة غريبة غامضة ، فيها شىء من خلل السرد ، وترتيب الوقائع ، وكانت فى حل « العقدة » قاسية ، عفا الله عنها ! فقد أغرقت تجارة، وطوحت بعائلة كريمة فى مهاوى الفقر والحاجة لأجل أن تصل إلى رجلها الذى رأت فى الاتصال به اطمئنان النفس، وبهجة القلب، ويقظة الروح ، على أنه لا يمت لأسرتها بصلة القومية كما تقول

وفى القصة ما أحب أن أنبه إليه الآنسة المهذبة ، ولولا الرفق لحاسبتها عليه الحساب العسير ، وهو الاستهانة فى الأسلوب بحق اللغة وهو حق تجب مراعاته وإن تبجح فى ذلك المتبجحون ، ثم حق القوة البلاغية وهو أيضاً حق تجب العناية به لا للإفهام فحسب بل للتأثير الذى هو مهمة الفنان وغايته ، ثم تلك الأخطاء المطبعية الشائعة التى إذا احتملها ذوق الرجل الجبار فلن يتحملها ذوق المرأة الدقيق الذى يغرم بالأناقة ويفنى فى روعة التنسيق ؛ وأخيراً بعض هفوات فاتت على فطنة الأديبة اليقظة ، فما كان يصح مثلاً أن تصف الأعرابى يلبس حذاء لا يلبسه غير سراة العرب ، ثم تعود إلى وصفه بعد صفحات فتصف حذاءه بأنه لا يلائم الرجل العادى على الأقل، وبعد هذا كله لا يصح من الآنسة الشاعرة أن تستهين فى أناشيدها بعروض الشعر، ونعلها تهتم فتتلافى كل هذا فى الطبعة الثانية للرواية ، فإن فى تلافيه الجمال والـكمال

– ٢ –

أما القصة الثانية فقصة مسرحية تقوم على حقيقة من حقائق التاريخ المصرى القديم ، وضعها مؤلفها الفاضـل وهو فى معزل على حافة الصحراء فى جنوب القاهرة حيث امتلأت رأسه من صور الأجيال القديمة وأطيافها ، وازدحمت عيناه بعبرات الجيل الحـاضر وآلامه ، فطالع التاريخ لهذه القصة ووضع صورتها التخطيطية الأولى ، وعرف أبطالها وحلم بهم . وبالنفس الفنان إذا اهتاجتها ذكريات الماضى وعبرات الحاضر ! إنها تحترق فى فكرتها ، وتذوب فى فنها فتأتى بكل ما فيه الروعة والجمال ...

وتاريخ هذه القصة يرجع إلى عهد الملك اخناتون ، وقد كان لهذا الملك مذهب دينى يدعو إلى عبادة قرص الشمس متمثلاً فيه جميع الآلهة ، وقد كان متعصباً لمذهبه هذا تعصباً شديداً ، فحاول أن يفرضه على الناس فرضاً ، واندفع يغلق الهياكل ويطرد الـكهنة ، وانشغل عن أمور الدولة فسرح الجنود وأهمل الجيش ، فكان من وراء ذلك أن انتقضت عليه المستعمرات المصرية ، واستولى الحثيون على شمال سوريا كما استولى العبرانيون على جنوبها ، ففزع المصريون لذلك ، ونهضوا ثائرين عليه بتدبير الـكهنة ورجال الجيش المعطلين ، وفى مقدمة هؤلاء أوزيران كاهن آمون فى معبد خناعى ، وهو شيخ جليل خالف الملك اخناتون فى عقيدته الدينية ودعا إلى محاربته باسم الوطنية[1]

هذه المبادئ التى أذاعها أخناتون ودعا إليها ما وسعه الجهد ، وهذه الثورة التى أعلنها عليه المصريون لإنقاذ حضارتهم وغضباً لوطنيتهم وقوميتهم هو موضوع القصة ، وغاية المؤلف التى يرمى إلى توضيحها . ولا شك أنه قد استطاع أن يشرح فكرته شرحاً فنيًّا قويًّا ، فلا فضول ولا ثرثرة ، ولا اقتضاب ولا شذوذ فى سرد الحوادث والانتقال من وضع إلى وضع ، ولـكنك تحس وأنت تقرأ أنك تجرى فى نسق طبيعى مطرد ، يرسمه أسلوب حلو يفيض بحرارة الإيمان وحماسة الوطنية ، وكأنها حماسة أمازيس إذ يقول : لقد فهمت وآمنت ، سأعلمهم أننا ولدنا جنوداً ، وأننا ما زلنا رغم العوادى أبناء هذا النيل ، نحارب وننتصر ، ونطوى العالم فى نفوذنا من جديد ...

ولقد ذكر المؤلف الفاضل أنه تقدم بقصته إلى الفرقة القومية فكان رأيها قاطعاً فى عدم صلاحيتها ! وأنا أستطيع أن أطمئن المؤلف الفاضل من هذه الناحية ، فإن الفرقة القومية أصلحها الله لا تقدر الآثار إلا بأسماء أصحابها وما لهم من شهرة ودوى وطنين . ثم إن الفكرة فى هذه القصة تقوم على الانتصار لتاريخنا وقوميتنا ووطنيتنا ، هى غذاء لروحنا وعواطفنا بما يلائم روحنا وعواطفنا ؛ ولـكن الفرقة لا يهمها ذلك ، فهى تحب أن تكون دائماً متطفلة على موائد الغرب ، تذبع كل ما هو غريب عنا ولا يمت إلى روحنا بأدنى شىء ...

نعم أنا أطمئن المؤلف من هذه الناحية ، وأقدر فيه موهبته الفنية واستعداده للقصص ، فإنه استعداد قوى كامل ، إذا ما تعهده بالمران والصقل فسيكون له شأن أى شأن . ولو أنه رزق الدقة فى الحوار ، والوضوح فى التعبير لـكان فناناً من الطراز الأول ، ولجاءت قصته وشأنها فى الـكشف عن عبقريته والإعلان عن مواهبـه شأن « أهل الـكهف » فى الـكشف عن صاحبه الأستاذ الحكيم

وأحب أن أنبه الأديب الفاضل إلى ما أخذه عليه بعض الناس من غموض العبارة وخفاء المعنى فى بعض جوانب الرواية ، وليس بالعذر أن يقول إنه حاول أن يكون مفهوماً بالمعنى الذى يألفونه فلم يستطع ، فإن اللغة أداة الإفهام ، وعلى الفنان أن يُفهم وإلا كان قاصر الأداة ، عاجزاً عن تصوير ميوله وعواطفه ، وماذا يكون الفنان إذا عجز عن تصوير ميوله وعواطفه ؟ !

تلك ناحية ليست بالعسيرة ولا بالشاقة ؛ وفى استطاعة المؤلف الفاضل أن يبلغها إذا ما قصد فى ثورته وتمكنت عنده الرغبة فى ذلك

محمد فهمى عبد اللطيف

(1) راجع مقدمة المؤلف

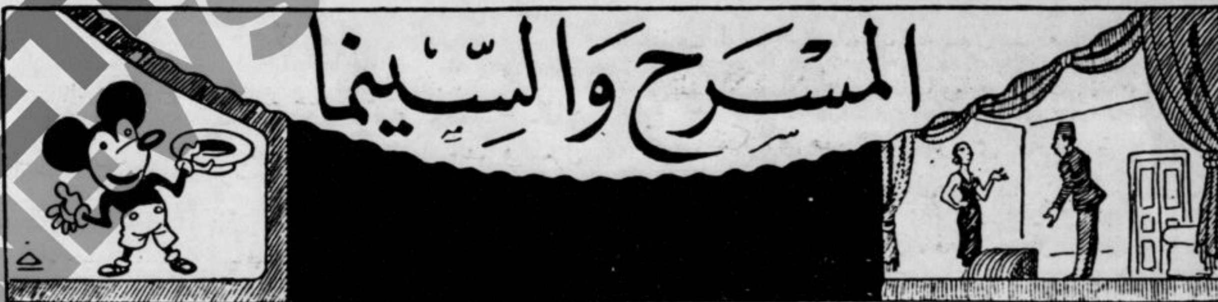

الفرقة القوميــــة

لغة المسرح ، أدباء الشباب

الدكتور إبرهيم ناجى أديب وعالم ملحوظ المكانة ، معروف فى الأوساط الأدبية ، مشهور بأحاديثه الطيبة ، وبحيويته الفياضة ، وحسه الدقيق ، يعرف فيه أصدقاؤه — وأنا منهم — سرعة فى الفكر وفى الحركة وفى كل شىء

لم تقف حركة الدكتور ناجى عند حدود نظم الشعر، وتأليف القصة ، وكتابة البحوث العلمية ، وإلقاء المحاضرات، بل تناولت أيضاً فن الترجمة . وقد تعاون أخيراً مع الممثل الأديب فتوح نشاطى على ترجمة رواية « الجريمة والعقاب » لمؤلفها ديستويفسكى القصصى الروسى العظيم ، فمثلتها الفرقة القومية وجعلتها « افتتاحية » لموسمها الثانى. وها هو ذا يحدثنا عما لقيت روايته من رجال هذه الفرقة ويجيب على الأسئلة التى وجهتها إليه :

قلت له : الفرقة القومية مؤسسة ثقافية فهل حققت شيئاً من أغراض الثقافة ؟ فأجاب :

« إنها تحاول يا سيدى ، ويجب أن نعترف أنها تبذل ما تستطيع ، ولكن الفكرة خطأ ، والتوجيه خطأ ، والمسرح الذى نراه مسرح قديم بال

أما خطأ الفكرة فلأن مدير الفرقة ، مع احترامنا لأدبه وفضله ، يصرح ويجاهر بأن المسرح إنما وجد لترقية اللغة ، وما دامت هذه الفكرة أساساً للمنطق فقد انهار كل شىء ولا معنى للجدل

والفكرة خطأ أيضاً ، وخطأ فاحش لأن قراء لجنة الروايات علماء لغة ، وليس فيهم فرد يعرف شيئاً عن فن المسرح

والتوجيه خطأ ، لأن التوجيه مبنى على الفكرة ، والتوجيه المسرحى عندنا أساسه إنشاء مسرح كلاسيكي على فكرة كلاسيكية، ولهذا حفل مسرحنا بأندروماك وأنتيجونا وعدنا إلى راسين وكورنيل وقد فرغ العالم منهما ونفض يده ، وإليك المثل :

الجريمة والعقاب رواية شعبية كتبت للناس ولمخاطبة الناس ، وهذه رسالة المسرح ، وقد أرادت إدارة الفرقة من مترجمها أن يترك ترجمته بتاتاً ويعيد كتابتها بلغة من عنده أنيقة مجلجلة مدوية كأنه هو مؤلفها . فانظر بالله كيف تريد الفرقة القومية أن تعبث بدستويفسكي وتسىء إلى دستويفسكي وتسىء إلى رسالة المسرح . كل ذلك فى سبيل لغة كلاسيكية مجلجلة أولى بها حلقات الأدب لا المسرح الذى هو منبر يثقف ويعلم ويفيد

وإنه لما يبكى ويحزن أن تجد الممثل النابغ (؟) وقد فرضوا عليه حفظ لغة بائدة فصار يوجه همه إلى إتقان المرفوع والمنصوب وقد نسى الفن وترك روعة التمثيل جانباً لأنه منصرف إلى ما ألقى روعه فى شأنه أنه أهم . وإنه لمن المحزن أيضاً أن تجد لجنة قراءة الروايات تجيز رواياتٍ ليس فيها من شىء إلا أنهـا كتبت بلغة عربيـة سليمة . وإنك لتستعرض كل الروايات التى نجحت فى الباريات فتجدها لغة فى لغة ، وتجدها نماذج من الإنشاء ، أما الفكرة فلا ، أما الفن فلا، أما الكلام و(الدروشة) فنعم. وقد تجيز رواية لا لغة فيها ولا فكر ولا فن كرواية طبيب المعجزات . إليك المثل الثانى :

قُدمت رواية من هذا الطراز فأجازتها الفرقة فأعدت للتمثيل

وكلّف مترجم الفرقة أن ينقلها إلى الفرنسية ليتمكن المخرج الفرنسى من إخراجها ، فرأيته بعينى رأسى يكاد يغمى عليه من الطنطنة والجلجلة والكلام المدوى كالطبل الأجوف ، ويسأل ناقلها إليه : أحقيقة كل هذا موجود ، كل هذا الكلام الطويل العريض ، كل هذا اللفظ المكرر المعاد . لا وربى ، إن هذه الرواية لا يمكن تمثيلها بحال ؛ إن التمثيل تمثيل لا كلام ، وكلمة دراما معناها نقل القول إلى الحركة ، لا الحركة إلى القول ، كل هذا عن رواية أجيزت وأعدت للتمثيل . وكم وكم عند الفرقة مثلها من متراكم لا حصر له تجيزه الفرقة فلا يمثل ولا يصلح لشىء .

قلت : مادمت ترى الأساس خطأ فى إنشاء الفرقة فما رأيك فى علاجها لتصبح مؤسسة تماشى النهضة الأدبية ؟

فأجاب : يجب أولاً أن يتنازل مدير الفرقة فيعترف معنا بأن رسالة المسرح الجديد غير قائمة على اللغة ، وليس من العار أن يجلس إلى رجل كالسيو فلاندر أو إلى ممثل كجورج أبيض فيتحدث إلى أحدهما فى رسالة المسرح . ويمكنه أن يسأل نجيب الريحانى وهو رجل يفهم هذه الرسالة على أتمها وقد سمعته بأذنى يتمنى أن يرشد المهيمنين على الفرقة القومية إلى رسالة المسرح

الفكرة الثانية : يجب أن تبدل لجنة القراءة تماماً — مع احترامى لأعضائها وتقديرى لعلمهم وأدبهم — أرى أنهم لا يصلحون بتاتاً إلى ما هم مكلفون به ، ولو خيّرت لجعلت لجنة القراءة مكونة من فلاندر وجورج أبيض ورياض وعلام وأضيف إليهم رجلاً واحداً يفهم اللغة

وفكرة أخرى : يجب أن تكلف الفرقة من تتوسم فيه من المؤلفين الفهم والمقدرة أن يترجم أو يقتبس أشهر الروايات العالمية . نعم تكلفهم بذلك وتفتح الباب أمامهم وترتقب مجهودهم وبهذا يتسع المجال ولا تقبر الكفايات ، وبذلك تخطو الفرقة خطوات فى سبيل السداد

— هل أنت من دعاة اللهجة العامية ، وأنت الشاعر المفروض فيه الحرص التام على المعنى والمبنى ؟ وهل تصلح اللهجة العامية للتراجيديا والدراما والكوميديا على السواء ؟

— إنى من دعاة اللغة العربية التى يفهمها الشعب على شرط أن يباح استعمال اللفظة العامية حين لا يكون منها مناص وحين لا يعتبر وجودها إسفافاً ، وحين تضيف جمالاً ونغمة جديدة إلى لغة المسرح

— هل كانت رواية « الجريمة والعقاب » مكتوبة فى الأصل باللهجة العامية ؟

— كانت مكتوبة فى الأصل باللهجة الفرنسية البسيطة التى تقارب العامية ولكن ترتفع قليلاً عنها . ومن يرد معرفة الحقيقة فليقرأ النص الفرنسى التمثيلى من وضع جاستون باتى ، ولكنها فى الأصل من قلم ديستويفسكى الفخم وتحليله العميق

— هل تظن أن هذه الرواية كانت تفقد قيمتها لو ترجمتها باللغة الفصحى ؟

— يا سيدى إنها بلغتها البسيطة كانت أرقى من مستوى الجماهير فما بالك بها وهى بالفصحى المجلجلة ؟... انتهى .

* * *

لا ينفرد صديق الدكتور ناجى بالرأى الذى أبداه بشأن لغة المسرح وضرورة جعلها تناسب ذوق الجمهور ، فقد سمعت حديثاً غريباً من صديق أديب أعرف فيه ولعاً باستعمال الألفاظ النابية وقد أطلقنا عليه اسماً لا أريد ذكره يدل على أنه يقد ألفاظه قداً وينحتها من صخر صلد ، لأن كلتى افرنقع وتكأكأ وما يماثلهما من الكلمات الحوشية التى ألحدها الإهمال ودفنها التناسى هما من الكلمات المستملحة المستحبة عنده . وقد لا يخلو مقال له من «منجنيق» يصوب كراته الافرنقعية والتكأكئية على الأذواق. أقول سمعت رأياً غريباً منه ، وقد سمعنا ما يضارعه فى حديث الأستاذ ابراهيم رمزى(١) خلاصته أن الأمة لا تريد اللغة الفصحى ولا تستطيبها ، وحجته أن الطبقة الأرستقراطية نساء ورجالا ، لا تعرف العربية وهى تتكلم الانجليزية أو الفرنسية ، ولهذا لا تميل إلى التمثيل سواء أكان بلهجة العامة أو باللغة الفصحى ، وإن طبقة الدهماء لا رجاء منها ولا فائدة . أما الطبقة الوسطى وهى أقلية بالنسبة

(١) الرسالة عدد ٢٩٥

للطبقتين العليا والدنيا تؤثر اللهجة العامية لقربها من الفهم ، ولأنها تنشد من المسرح التسلية والترفيه عن النفس ، وينتهى بالدعوة إلى مسايرة الشعب ما دام الشعب لا يميل إلى غير التسلية والانبساط

قد يكون رأى صديقى هذا أكثر آراء الشبان تهاوداً وأبعدهم عن التعسف فى الحكم على اللغة العربية وقواعد صرفها ونحوها ، وتنوع مترادفاتها ووفرة مفرداتها ، ولكن هل يجوز — على هذا القياس — أن نهمل اللغة ونعطل أداة التعليم ونجد من معرفتنا إرضاء لطبقة تؤثر التسلية والانبساط ؟

إنى قبل كل شيء أنزه الأمة بطبقاتها الثلاث عما قاله فيها صديقى الأديب ، لأنى أوقن أن نهضة الأمة محسوسة ملموسة بدليل أنها عندما تهم لحضور التمثيل تهيئ ذاتيتها كما تهيئها للصلاة أو لسماع خطاب أو محاضرة . وقد برهنت على هذا الاستعداد النفسانى قبل عشرين أو ثلاثين عاماً بإقبالها على حضور تمثيل فرق عبد الرحمن رشدى وجورج أبيض والشيخ سلامة حجازى إذ كانت كل رواياتها تمثل باللغة العربية الفصحى ، فما بالها وقد ارتقت بالفعل ، وتطورت وفق نهضة العصر وأصبحت آدابها واضحة الازدهار ؟ أقول : ما بالها تشكو اليوم مما قد استساغته بالأمس وأفادت منه خير فائدة ؟

الأدب بخير ، والآداب بخير أيضاً ، وتقدمنا الثقافى مستمر ، وإن كان ثمة من شكوى موجعة فهى من كسل الشبان ومن رخاوتهم وخنوثتهم ومن قعودهم عن سلوك مسالك الكمال ، فلغة المسرح الرصين يجب أن تكون الفصحى كما يجب أن تكون لغة الرواية التى من نوع التراجيدى أسمى من لغة الرواية التى هى من نوع الدراما، ولغة الكوميديا أبسط من لغة الدراما. أما القائل باللهجة العامية للمسرح فهو مغرض أو كسول أو بعيد عن روح الأمة

ابن عساكر

7me Année No. 297

Lundi - 13 - 3 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسؤل

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

العام الهجرى

الفهـــرس

رسالة أمير المؤمنين الفاروق إلى الشباب

شعبي العزيز

أحببت ونحن نستقبل العام الهجرى الجديد ، أن أهنئكم والعالم الإسلامى بهذا العيد السعيد ، مبتهلاً إلى الله أن يجعله عام خير وسلام وإقبال على الجميع ، وأن يقرنه بتوفيق الجد ، وبلوغ القصد .

إن هذا اليوم الذى يتمثل فيه أمامنا حادث الهجرة العظيم بما فيه من العظة البالغة ، والمعانى السامية ، وبما كان له من الأثر الخالد فى بث روح الفضيلة والإخاء والمغامرة فى سبيل الحق ، ليستحق منا تمجيده بالعمل الصالح والتوجيه النافع لخير الإنسانية .

وإنى ليطيب لى أن أشير إلى ما سيتم بإذن الله وجيل رعايته فى مستهل هذا العام المبارك من عقد أواصر المصاهرة ، بين الأسرتين الكريمتين فى إيران ومصر ، مما يزيد فى إحكام روابط الإخاء والمودة بين الشعبين ، فوق ما يربطهما من الصلات الأدبية والثقافية منذ القدم

شعبي العزيز

لم أتحدث إليكم قبل اليوم عن نفسى ، وكنت أعد ذلك من سبق الحوادث ؛ ولكن هذه الفرصة قد أتاحت لى أن أتحدث إليكم قليلاً فى ذلك فتزدادوا معرفة بى ، وركونا إلىّ

إن سر النجاح هو الثقة والإيمان . ومن لا ثقة به ولا إيمان له لا رجاء فيه . فعلى الذين وثقوا بى أن يعتمدوا علىّ ، إذ فى ذلك كل الخير لهم

إننى مع إعجابى العظيم بوالدى — طيب الله ثراه وتغمده برحمته — قد أكون خالفته فى بعض طباعه ، ولكننى أؤكد أننى قد احتفظت بأبرز هذه الطباع . فأنا مثله لا يستطيع أن يؤثر فىّ أحد إذا تبينت صواب أمر واعتقدت — بعد تقليب وجوه الرأى — أنه فى صالح شعبي أفراداً وجماعات

وإن ثقتى بنفسى ، وتوكلى على الله ، هو الذى يلهمنى تصريف الأمور ، ويوجهنى الوجهة التى اختارها

بيد أن هذا لا يمنع أن أستمع لآراء ذوى الخبرة من الرجال ، شأن كل إنسان يتحرى وجوه الصواب

إننى أومن — ومرُّ الأيام يؤيد إيمانى — أن شباب مصر المتوثبة للمجد سيكتبون صفحة خالدة فى تاريخ الوطن . وفى استطاعتهم أن يصنعوا من هذا الوطن العزيز مصر العظيمة المتحدة التى هى آمالنا وأحلامنا جميعاً وعلى الشباب وحده تحقيق هذا الحلم .

ولكن انتبهوا ؛ فالطريقة التى تتبعونها لا تحقق أملنا هذا . ولا بد من العمل المتواصل فى جو يسوده الهدوء والإفادة من الرؤوس الناضجة واحترام النظام .

وليكن هدفكم سعادة المجتمع ومصر القوية ، القوية فى نفسها ، وفى أبنائها ، والمستعدة لإعلاء كلمتها ، وفرض احترامها على من يعبث بعزتها

شعبي المحبوب !

كم كنت أحب أنكم بعد أن سمعتم هذه الكلمات تذكرونها ليرجع إليها كل منكم بين الوقت والآخر ، حتى لا تأتى عليها يد النسيان

ونصيحتى التى أسديها إلى كل مصرى مخلص لوطنه ومليكه : أن يكون واثقاً بالله وبنفسه وبمليكه .

والسلام عليكم ورحمة الله

براعة استهلال العام

ليس أدل على يمن هذا العام وإقباله ، من براعة استهلاله . وبراعة استهلاله تأييد قوة الإسلام ، وتوحيد كلة الشرق ، بتوثيق الصلة بين عرشين أثيلين بالمصاهرة ، وتمكين الألفة بين شعبين نبيلين بالمودة . والعرشان المصرى والفارسى أعرق العروش فى أصل الحضارة ، والشعبان المصرى والإيرانى أسبق الشعوب إلى خدمة الفكر . والساميَّة الممثلة فى مصر ، والآرية الممثلة فى إيران ، هما اليوم مناط الرجاء فى نهضة الشرق الإسلامى القريب والبعيد ، لأنهما تجمعان شعبتى الفكر البشرى وما يميزهما من سمو الروح وبراعة الذهن وصوفية الخيال وحب الحقيقة . فلا جرم كان زواج صاحب السمو الامبراطورى محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران ، من صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية شقيقة صاحب الجلالة الفاروق ملك مصر ، حادثاً سعيداً فى تاريخ الإسلام والشرق، سيكون له أثره المحمود فى تبليغ الرسالة المحمدية مرة أخرى إلى النفوس العانيـة التى ضلت سعادتها وراحتها فى ظلام القلق والحيرة والشك

***

نسجل هذا القران الميمون فى هذا العدد الخاص بالهجرة ، لأنه وقع فى أوائل السنة الهجرية ، ولأننا نرجو أن يكون للاسلام والسلام والمدنية من نقلة الأميرة المصرية من القاهرة إلى طهران ، ما كان لها من نقلة الرسول الأعظم من مكة إلى المدينة . وأنا لندعو الله مخلصين أن يحقق فيه للعرشين العريقين سوادق الرجاء ، وأن يجعله للشعبين العظيمين عهد الأخاء والرخاء ، وأن يقرنه للعروسين الكريمين بالبنين والرفاء .

ابن عبد الملك

ذكرى الهجرة

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد مصطفى المراغي
شيخ الجامع الأزهر

في مستهل هذا الشهر العظيم بذكراه، أذعت على العالم الإسلامي نجوى لصاحب الهجرة صلوات الله وسلامه عليه، كان فيها تذكرة وفيها بلاغ. وليس شيء أحب إلى نفسي من إعادة هذا الحديث، فإن التذكير بسيرة رسول الله، وبهجرته في سبيل الله، شفاء لغل الصدور، وجلاء لرين القلوب، وقوة لضعف الأنفس

إن دعوة الرسول الأعظم كانت في مكة أشبه بالغيث أنزله الله في يباب القفر، ففاض بعضه في سباخ الأرض، واحتبس بعضه في أصلاد الصخور، ثم نفّس الله عنه من شدة الضيق والحصر فانبثقت عنه الحواجز الصم، فجرى سيولاً في السهول والأودية، وتشعّب ينابيع في القرى والمدائن، يحمل الخصب والنماء، ويوزع الري والغذاء، فأحيا موات الأرض، وروى غُلة الناس، وكان منه العمارة والحضارة والخير

نعم كانت هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة هي هذا الانبثاق الذي انساح به الإسلام في أقطار الأرض يحمل الهدى للأرواح الحائرة، والسلام للنفوس المحروبة، والألفة للقلوب المختلفة، فسارت الإنسانية في طريق الحياة على ضوئه، تنعم بالإخاء في الدين، وتتمتع بالمساواة في الشريعة؛ فلا عصبية تزرع الأحقاد وتنشر الفرقة، ولا امتياز في الجنس أو في اللون أو في الثروة يوجب الاستعباد ويقتضي الظلم. وحمل خلفاء الرسول رضوان الله عليهم أجمعين مصباح الهداية وزمام القيادة من بعده؛ ثم استناروا بسيرته، واستنوا بسنته، فأورثهم الله ملك الأرض، وملكهم مقادة العالم، فقادوه على بصيرة وساسوه عن دراية؛ فكان كتاب الله هو الدستور، وحكمه هو القاضي، وسنة رسوله هي الخطة. فلما ابتعد المسلمون عن مشرق النور وأعرضوا عن الذكر، غشيتهم النواشي فضلوا وجهة أمرهم، وجهلوا غاية قصدهم، وتفرقوا شيعاً في الضلال، وتدفقوا أحزاباً في الباطل، وأصبح كلام الله على ألسنتهم ألفاظاً لا معاني لها ولا رَجْع منها، فأفلت من أيديهم زمام الأمر، وسلب الله من أعدائهم الرعب منهم، فتقهقروا إلى مؤخرة الركب، وساروا أتباعاً بعد أن كانوا أئمة، وأهمالاً بعد أن كانوا سادة. كل ذلك والإسلام هو الإسلام، أنواره لألاءة لا تخبو، ومنابعه ثَرَّة لا تنضب؛ ولكن المسلمين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، واستعزوا بغير سلطانه فوكلهم إلى غير راحم

أشهد أن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله: رجوع إلى الله في أمره ونهيه، وردُّ الخلافِ إلى تنزيله ووحيه، وتأليف القلوب على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة. وفي يقيني أن الضال متى أدمت قدميه وعورة الطريق، وأنهكت قواه مشقة الحيرة، عاد يلتمس الهدى من مصدره، ويبتغي القصد من دليله. فالإسلام كما كان المبدأ سيكون المعاد، وكما أنقذ العالم في الأولى سينقذهم في الثانية. وما دام الله عز اسمه قد ختم به الوحي فلا بد أن يجدد حبله كلما رث ليعتصم به اللاجئ ويجتمع عليه الشتيت ويفيء إليه الشارد.

إن آية الهجرة التي ظهر بها الإسلام وعلا فيها الحق هي الإخلاص للعقيدة والتضحية للمبدأ والمصابرة في الجهاد والمؤاخاة في الله. وهذه الصفات التي زود الله بها رسوله الكريم لتبليغ رسالته وتمكين أمره، هي عدة كل دعوة ووسيلة كل نهضة؛ وبدونها لا يتفق رأي ولا تجتمع كلمة ولا تؤدى سياسة. (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه إليه تحشرون. يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) أسأل الله للمسلمين عامة ولهذا البلد خاصة هَدْيا وسدادا، وعونا وإسعادا، وألفة واتحادا، إنه واسع الفضل عظيم الطول سميع الدعاء.

محمد مصطفى المراغي

يهتمون به فهل يعرفونه ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

العصر الحاضر من العصور التى اشتد فيها الاهتمام بالعالم الاسلامى بين جميع الدول الكبرى

لأن هذه الدول على وشك القتال، وتعلم كل منها ولا ريب أنها غانمة رابحة ، وأنها كبيرة الأمل فى النصر إذا ظفرت من اليوم بمودة الشعوب الاسلامية ؛ وهى موزعة فى المواقع التى تحوم حولها المطامع ويتأشب فيها النزاع

فاليابان تنادى بمبدأ « آسيا للأسيويين » وتعنى بذلك أن « آسيا لليابانيين » وتعرف ما تكسبه فى أسواق التجارة وفى ميادين الحرب إذا هى استمالت إليها مسلمى الصين والهند وما وراءها من أواسط آسيا ، فضلاً عن المسلمين فى جزر الهند ، وهم أصحاب شأن عظيم فى تلك الأرجاء

والولايات المتحدة لا يسعها أن تنسى الاهتمام بشىء يهتم به اليابانيون ، وبخاصة كل شىء تكون له علاقة بالصين والفليبين وشواطئ المحيط الهادى فى عدوتيه

والدولة الشيوعية الكبرى — وهى الروسيا — تقف لليابان بالرصاد فى القارة الآسيوية ، وتتودد إلى المسلمين هناك ، وهى حائرة لا تدرى هل تهدم الشعائر الدينية تطبيقاً لمذهبها فتغضب المسلمين وتدفع بهم إلى أحضان خصومها ، أو تبقى على الشعائر الدينية فتغضب دعاتها ولا تستطيع التوفيق بين برامجها فى الأرض الروسية وبرامجها فى البلاد التى تصاقبها وتبادلها المعاملات التجارية والسياسية .

ولا تتخلف « الفاشـية » فى المضمار ، بل يبرز على رأسها « موسولينى » منادياً بأنه « حامى » الإسلام ونصير المسلمين ، ولو كان على نصيب من « الحذق الاستعمارى » أوفى من هـذا النصيب لعلم أن الإيمان بالدين وقبول حمايته من غير أهله نقيضان فى المنطق والشعور على السواء ، ولاسيما من وجهة النظر الإسلامية التى تفرض على المؤمن بها حماية نفسه فى وجه المغيرين عليه

أما الدول الديمقراطية فهى تقابل المساعى اليابانية والمساعى الشيوعية والفاشية بالتوجس والحيطة ، وتريد أن تقاومها فتعمد إلى عقد المحالفات وفض المشكلات وتوحيد المصالح بينها وبين العالم الاسلامى فى حالتى الهجوم والدفاع ، وتفتح لها الطريق فى هذا المجال بريطانيا العظمى ثم الجمهورية الفرنسية

والعالم الغربى يعتقد اليوم أن « العالم الإسلامى » يتحفز ويتوثب ، وأنه قوة رشيدة لا تعامل معاملة القاصر التابع لغيره ، ولا مناص من حسبان حسابها لمن تربطه بها علاقة قريبة

كتبت مجـلة « التاريخ الجارى » فى عددها الأخير مقالاً جعلت عنوانه : « محمد يتهيأ للعودة » وعقبت ذلك بعنوان آخر فحواه أن المسلمين رقدوا خمسمائة سنة وهم يتحركون الآن ويتوثبون إلى السلطان

ثم قالت : « فى جزائر الفليبـين وفى الجامعات المصرية ، فى قصور الملوك الشرقيين وفى خيام التتار الترحلين ، على كراسى البرلمان اليوغسلافى وبين أكواخ الزنوج عند الشاطئ الذهبى ، فى آجام أفريقيا وفى صحارى آسيا ، يترقب المسلمون كل يوم بل كل ساعة مطلع المهدى الذى يتجسد فيه محمد عليه السلام، وقد تيقظت قوة الاسلام واتخذت لها شكلا سوياً فى عالم السياسة ، ولا تزال « التعاليم المحمدية » سارية منتشرة بين الشعوب الملونة التى تجد من المقاربة بين إدراكها وبين هذا النوع من التوحيد ما ليست تجده فى المسيحية أو اليهودية . وهنالك عامل آخر من عوامل هذه الحركة وهو إخصاب الشعوب الإسلامية وتوالدها . فإن الشعوب البيضاء تصاب بالعقم وقلة النسل بينما يتوالد المسلمون كالأرانب ! »

وعلى هذا الاهتمام باليقظة الإسلامية وهـذا الإيمان بقوتها هل تراهم يعرفون الحقائق عن الإسـلام أو عن أخبار المسلمين الجوهرية ؟

إن مجلة « التاريخ الجارى » من أوثق المجلات الأمريكية خبراً وأصدقها بحثاً ، ومع هذا ترى الخلط فيها بين نهضة الاسلام وبين ما تسميه انتظار المهدى الذى يتجسد فيه محمد عليه السلام

وترى قبل ذلك أنها تمهد لمقالها فتقول : « فى كل يوم من أيام الجمعات يقف خمسة وعشرون ألفاً من رعايا الولايات المتحدة خاشعين مكتوفى الأيدى متوجهين إلى الشرق يصلون إلى الله ويسألونه قرب ظهور المهدى المنتظر . فإن أبناء الإسلام هؤلاء قد حافظوا على عقيدتهم الغامضة فى رجعة مسيحهم كمحافظة المائتين والخمسين مليوناً من إخوانهم الموزعين بين مراكش وجزائر سنداى وبين مدغشقر وأرض المغول »

فأين العلم بالإسلام وبنهضة المسلمين ممن يكتبون هذه الكتابة وهم محسوبون بين أبناء وطنهم ممن يحسنون الخوض فى هـذه الشؤون ؟

على أن الجهل بالأخبار الواقعة لا يقـل عن الجهل بالعقائد النفسية والشعائر الدينية ، فقد كتبت مجلة أمريكية أخرى اسمها « أخبار الأسبوع » تقول بعنوان : (الخليفة فاروق) :

« لما دخلت تركيا الحرب فى سنة ١٩١٤ أعلن السلطان عبد الحميد (هكذا) باعتباره خليفة المسلمين الدعوة إلى الجهاد أو الحرب المقدسة على الحلفاء الكافرين ، وقد فشلت هذه الدعوة ولكنها كلفت بريطانيا العظمى وفرنسا وهما تحكمان مائة مليون وستة ملايين من المسلمين نفقات جمة فى مقاومتها بدعوة أخرى ، وبذلت الدولتان تلك النفقات وهما خائفتان .

« ثم ألغى كمال أتاتورك الخلافة فى سنة ١٩٣٤ بعد إقصاء السلطان .

« ثم قام موسولينى ينادى بأنه حامى الإسلام ويستثير العرب على بريطانيا العظمى فى فلسطين وغيرها من البلاد . وشاع أنه أراد بعض حكام العرب من أصدقائه على أن ينصب نفسه للمبايعة بالخلافة ، وإن كان الأمل فى نجاح الجهاد اليوم أضعف من ذلك الأمل فى سنة ١٩١٤ مكتفياً بما تستطيع تلك الخلافة من المضايقة فى بعض الأحوال » .

وبعد أن أشارت المجلة إلى منافسة بريطانيا العظمى فى هذه الحلبة قالت ما خلاصـته أن صاحب الجلالة الملك فاروق بويع فى الأسبوع الماضى بالخلافة فى مسجد قيسون العظيم ، وأن خمسمائة ضابط هتفوا فجأة للخليفة الفاروق! وأن أمراء العرب شهدوا ذلك الحفل كأنما كان شهودهم إياه من قبيل المصادفة .

***

هذه أمثلة من جهلهم بعقائد المسلمين وأخبار بلاد المسلمين ، وهم يهتمون جد الاهتمام بنهضة المسلمين .

ويرجع هذا الخلط إلى أسباب : بعضها مقصود ، وبعضها غير مقصود .

فمن الأسـباب ما هو مقصود لأغراض سياسية أو تجارية كتمثيل المسـلمين فى صـورة تسـوغ للدول المستعمرة أن تعاملهم معاملة المتأخرين الذين لا يصلحون لقوانين الحضـارة وقواعد الحرية

ومن الأسباب ما هومقصود لأغراض فنية ونعنى بها الرغبة فى التأثير والإغراب وتشويق القارىء إلى العجائب التى لا يألفها فى بلاده وبين أبنـاء وطنه . ومن الـكتاب الغربيين من يتعمد التحريف فى أخباره لأنه يخشى أن « يخيب أمل » القراء فيه إذا أصغوا إليه ليحدثهم عن شعوب الشرق وأحوال الإسلام فإذا هو يحدثهم بما يأنفونه ولا يستغربونه ولا يحققون به تلك الصور المزخرفة التى طالما تخيلوها وحلموا بها وهم يقرأون ألف ليلة وليلة ويستعيدون ما نقل إليهم من أقاصيص الرحالين فى الزمن القديم .

أما غير المقصود من الأسباب فمنشأه قلة الاكتراث وصعوبة البحث وعزلة المسلمين فى العصور الماضية وسماع أخبارهم من جهلاء بينهم لا يفقهون أسرار دينهم ولا يبالون ما يهذرون به عن عقائدهم وعاداتهم ولا يدركون الفرق بين ما تعودوه ودرجوا عليه وبين ما هو من حقائق الإسلام وشعائره الصحيحة .

على أن الذى يعنينا حق العناية هو أن نعلم نحن حقيقة

الغربيين ، لا أن يعلموا هم حقيقتنا ، وينفذوا إلى الصحيح من أخبارنا ومقاصدنا ، وإن كان علمهم بهذا نافعاً لنا كما تيسرت وسائله فى أيدينا .

والذى يبدو لنا من العلم بحقيقة القوم أن العالم الإسلامى خليق أن يعامل كل من يعامله منهم على سنة الإنصاف والمنفعة المأمونة العواقب ، وكل ما ينبغى أن يحذره هو الإصغاء إلى دعاة الشيوعية والإصغاء إلى دعاة الفاشية ، وأن يكون ذنبا فى أعقاب الديمقراطية ، فإذا استطاع أن يمشى مع الأمم الديمقراطية الحرة فى الطليعة فلا عليه بعد ذلك أن يعامل من يشاء على سنة الإنصاف والنظر البعيد إلى عواقب الأمور .

عباس محمود العقاد

عمر فى بيت المقدس

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

هذا عام ستة عشر من الهجرة ، وقد انساحت جيوش المسلمين فى الشام والعراق وفارس وألقت أقاليم الشام بالمقاليد إلا فلسطين . وأبو عبيدة ابن الجرّاح يحصر بيت المقدس ، وقد ملأ الأسماعَ والقلوب بأس المسلمين وعدلهم ووفاؤهم

عزم أهل البيت المقدس أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس — فى عهد المسلمين وحمايتهم وعدلهم ، ورغبوا أن يكون صاحب عقدهم عمر ... عمر الذى ملأت سيرته الآفاق وسكنت إلى عهده النفوس ، واشتاقت إلى رؤيته العيون

وفصل عمر عن المدينة فى جمع من الصحابة ومعه مولاه أسلم. خرج يغذّ السير إلى الشام ليتفقد أحوال المسلمين ، ويصالح أهل فلسطين ...

ويمضى فى طريقه حتى يبلغ أيلة . ويتنظّر الناس موكب أمير المؤمنين يحسبون أنه سيطلع عليهم فى زينته يحيط به جنده ورجاله . والذى رأى منهم هرقل حين فتح بيت القدس قبل عشر سنين ، أو شهده من بعدُ فى حلّ أو ترحال ، تخيّل عمر قادماً فى موكب كموكب هرقل أو فى موكب دونه ولكنه موكب ملك أو أمير

ولما دنا عمر من أيلة تنحى عن الطريق وتبعه غلامه فنزل فمشى قليلاً « ثم عاد فركب بعير غلامه وعلى رحله فَرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه » . وكأن عمر خاف أن يداخله الزهو وهو على مركبه فى غير زينة فآثر أن يشعر نفسه أنه وخادمه سواء فتحول إلى رحل غلامه . فلما تلقّاه أوائل الناس قالوا : « أين أمير المؤمنين ؟ قال : أمامكم (يعنى نفسه) . وذهبوا إلى أمامهم فجازوه حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها . وقيل للمتلقين : قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها . فرجعوا إليه »(١)

ونظر الناس إلى رجل طويل جسيم أصلع أشقر شديد الحمرة كثير السبَلة(٢) فى أطرافها صهوبة وفى عارضيه خفة — رجل لا تقع العين منه إلا على الوقار والتواضع والشدة فى الحق والرأفة بالضعفاء . رأوا ملكاً فى زى ناسك ، وراعى أمة فى صورة راعى ثلة . رأوا إنساناً لا تفقد فيه الإنسانية حقيقة من حقائقها ، ولا يصيب فيه الجبروت باطلاً من أباطيله .

اجتمع الأساقفة والرهبان يرون رجلاً فى يده الدنيا ولكنها ليست فى قلبه ، يملكها ولا تملكه ، ويصرّفها ولا تصرّفه ، ويستعبدها ولا تستعبده . وليس شيئاً أن تكون زاهداً فى صومعة ولكن العظمة كلها أن تكون زاهداً والدنيا تحت قدميك .

« ودفع عمر قميصاً له كرابيسَ قد انجابَ مؤخَّرُه عن قعدته من طول السير ، إلى الأسقُفّ وقال : اغسل هذا ورقعه . فانطلق الأسقف بالقميص ورقعه ، وخاط له آخر مثله فراح به إلى عمر ؛ فقال : ما هذا ؟ قال الأسقف : أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته؛ وأما هذا فكسوة لك منّى . فنظر إليه عمر ومسحه

(١) الطبرى حوادث سنة ١٧ (٢) طرف الشارب

ثم لبس قميصه وردّ عليه ذلك القميص . وقال : هذا أنشفهما للعرق(١) » .

— ٢ —

وسار عمر حتى نزل الجابية فى وسط الشام التى غلب عليها هرقل ، ولكنه دخل الجابية كما دخل أيلة . قدم « على جمل أورق تصطفق رجلاه بين شعبتى رحله بلا ركاب . وطاؤه كساء أنبجانى ذو صوف ، هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل . حقيبة نمزقة أو شملة محشوّة ليفا هى حقيبته إذا ركب ، ووسادته إذا نزل ، عليه قميص من كرابيس . الخ(٢) »

وجاءه رجل من اليهود ، وكان اليهود يرقبون رَوح الله بأيدى العرب ، ويدعون الله أن يفرج كربهم ويذهب عنهم جبروت الروم بأيدى المسلمين . قال اليهودى : السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء

وأقبل وفد بيت المقدس إلى الجابية فصالحوا ، وكُتب لهم عهد شهد فيه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن ابن عوف ومعاوية بن أبى سفيان . وأعطوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وألا يُكره أحد على الدين أو يضارّ فى شىء .

وأزمع أمير المؤمنين المسير إلى بيت المقدس فاذا فرسُه يتوجّى(٣) فأتى ببرذون فركبه ومشى البرذون مِشيته فأسرع وهزّ راكبه فرأى عمر فيها خيلاء فنزل وضرب وجهه وقال : لا علّم الله من علّمك ، هذا من الخيلاء

— ٣ —

دخل عمر بيت المقدس لا مدمّراً مخرّباً كما دخلها بختنصّر ، ولا مضطهداً أهلها كما دخلها الرومان من قبل ، ولا مزهوّاً بفتحه كما دخلها هرقل قبل عشر سنين بعد أن غلبَ الفرسَ على الشام ، ولكنه دخل رافعاً لواء التوحيد والعدل والأخوّة العامة والمرحمة الشاملة . دخل المدينة فسار إلى المسجد ليلاً ومضى إلى محراب داود فصلّى فيه . وطلع الفجر بعد قليل ودوّى الأذان فى أرجاء المدينة المقدّسة لأول مرة — صيحة الحق فى أعقاب الباطل المهزوم ترفعها تباشير الصبح فى أخريات الظلام . وشهد الله لقد كانت فاتحة الخير والسلم والكرامة لبيت المقدس ومن فيه .

(١) كان قميص عمر من الكرابيس أى القطن وكان الأسقف قدم إليه قميصا ناعما وفى بعض الروايات أنه من كتان فلم يرضه عمر

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزى

(٣) الوجى : العرج من الحفا

وقرأ عمر فى الركعة الأولى سورة (ص) وسجد حين قرأ آية السجدة : « وظن داود أنّما فتنّاه فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب » . ثم قرأ فى الركعة الثانية أول سورة الإسراء — سورة بنى إسرائيل وفيه وصف ما أصابهم على يد البابليين

ثم تقدم إلى الكناسة — الكناسة التى تراكمت على البيت حين أُخرب وهجر والتى عجز اليهود أنفسهم عن إزالتها حين ملكوا أمر البيت — تقدم إلى الذلة المكدّسة على الحرم — تقدم عمر ليزيلها عن البيت كما أزال عن أهله الظلم والقسوة . تقدم أمير المؤمنين وجثا وقال : « أيها الناس اصنعوا كما أصنع وجثا فى فرج من فروج قبائه » ، وإنما فعل عمر ما فعل تكريماً للبيت وتطهيراً وإيذاناً بهذا العهد عهد الطهارة والكرامة

وكبر كعب الأحبار وكبر الناس معه . قال عمر : ما هذا ؟ قال : كبّر كعب وكبّر الناس . قال : علىّ به . فقال كعب : «يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ بما صنعت اليوم نبىّ منذ خمسمائة سنة . فقال : وكيف ؟ فقال : إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ؛ ثم أديلوا فلم يفرغوا له(١) حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بنى إسرائيل ؛ ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت(٢) ، فبعث الله نبياً على الكناسة فقال : أبشرى أورى شلم ! عليك الفاروق ينقّيك مما فيك . أتاك الفاروق فى جندى المطيع ، ويدركون لأهلك بثأرك فى الروم(٣) »

لقد لبث اليهود خمسمائة سنة ينتظرون أن تطلع شمس الإسلام ، ويأتى الفاروق ليحثو التراب فى قبائه ويأمر الناس بتطهير البيت المقدس

وما فقدوا رعاية الإسلام من بعدها ، إلا تسعين عاماً غلب فيها أهل الصليب فأصاب البيت المقدس ما أصابه حتى استرجعه رجل من رجال المسلمين ، ملك يتشبه بعمر بن الخطاب فى الإشادة بعدل الإسلام ومرحمة الإسلام . رحم الله صلاح الدين يوسف ابن أيوب

ولكن بنى إسرائيل حين رأوا الزمان ينيخ على المسلمين بكلكله لم يألوا عوناً للعرب والمسلمين ، ولم يذكروا فضل الإسلام ولا حفظوا يد عمر ، ولا اعترفوا برعاية المسلمين وحمايتهم ثلاثة

(١) غلب الفرس على آسيا الصغرى والشام ومصر أيام كسرى برويز إلى أن استردها هرقل ؛ وهى الحوادث التى أشير إليها فى سورة الروم

(٢) الطبرى حوادث سنة ١٥

(٣) يعنى رجعت الدولة لليهود فلم يفرغوا لازالة الكناسة عن حرمهم

عشر قرنا ، بل جاءوا يجزون الحسنة بالسيئة ، ويعينون الخطوب على الذين دفعوا عنهم الخطوب ، ويناصرون الأعداء على الذين أنقذوهم من الأعداء ، ويمالئون الذين دفنوا بيت المقدس على الذين رفعوا عنه التراب والرجس والهوان

وليت شعري ما ذا ينقمون من المسلمين والعرب ؟

« يا أهل الكتاب هل تنقمون منّا إلا أن آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم » ؟

« يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبون »

عبد الوهاب عزام

من الفتوة العربية

الشاعر الفارس

أبو محجن الثقفي

للأستاذ أحمد حسن الزيات

— ١ —

كانت (المدينة) يومئذ عاصمة الإسلام ، وعمر الجبار العادل يحمل بيده القوية مشعل محمد فيرسل أضواءه السماوية إلى الجهات الأربع ، والفرسان المسلمون في القادسية يَثُلُّون العرش المجوسي ليقيموا على قواعده الكسروية منبر الهدى والسلام . وكانت الجزيرة العربية لا تزال معلقة بين السماء والأرض ، ترفعها الروحية الإسلامية إلى أعلى ، وتجذبها المادية الجاهلية إلى أسفل . وكانت مدن الحجاز الثلاثُ : مكةُ والمدينة والطائفُ مظهرَ الفتوة العربية ، لأنها مجمع السيادة والقوة ، ومنبع الرفاهة والثروة . والفتوة العربية وإن جمعت أطراف المروءة كانت تدور على ثلاثة الشاعر الشاب طَرَفة ، وهي الحب والشرب والحرب ، ثم تصوير كل أولئك بالشعر الفنانى الرقيق . ولم تستطع هوادة الإسلام ولا صرامة عمر أن تكفكفا نوازي الهوى في نفوس نشأت على فتون الجهالة ومرَح الشِّرك ؛ فكان في أبطح مكة ، وعقيق المدينة ، وغزوانِ الطائف « مساحبُ من جرّ الزِّقاق على الثرى » لا تزال معطرة الأديم بمناجاة الحب ، ومطارحة الشعر ، ومناقلة الحديث . وكان وادي العقيق في العاصمة المنورة قلما يفيض دون أن تنتظم على حواشيه الخضر مجالس الشراب وسوامر الأحباب يتساقون في غفلة العيون كؤوس الراح والصبابة ؛ ولكنهم ما كانوا يستطيعون أن يغيبوا عن عيون العَسس[1] ولا أن يفلتوا من يد الخليفة مهما تستروا بالليل وتحصنوا بالبعد

* * *

في صبوة من هذه الصبوات الليلية الجاهلية قبض العسس العُمَرى على الشاعر الفارس أبي محجن وهو عائد في ندامائه من العقيق يتماوح من السكر وينشد في تطريب وهِزّة :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة ... تُرَوِّى عظامى بعدموتى عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

وأبو محجن — إن كنت لا تعرفه — رجل من سروات ثقيف ، درج في رياض الطائف وكرومه ، ونشأ على فتوة أهله وصبوة شبابه ؛ فهو رضيع كأس ، وتِبْعُ نساء ، ومِسْعَر حرب ، وصناجة شعر ، وصِنو مروءة . أسلم هو وقومه في أُخريات الناس حين لم يكن من الإسلام بد ، ودخل في دين الله بما ورث وكسب من عادِ الجاهلية ، فأخذ يروضُ نفسه الصعبة على الوقوفَ عند حدود الله ، فكان يخفق مراراً وينجح مرة ، حتى أقنعه اليأس آخر الأمر

(١) العسس : شرطة الليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة

أن لا بأس من الشراب ما دام يطهره الحد(١)، وأن لا ضَيْر من الحب مادامت تمحصه التوبة !

على ذلك عشق (شموس) الأنصارية وركب إلى رؤيتها المحظورة شيطانه المحتال، فتزيا بزى فلاح وعمل أجيراً فى بستان يطل على دارها، فكان ينعم بالنظر والسمع، وربما تمتع بالسلام والحديث، ثم يعود فيسلسل الماء بين البقول والزهور ويتغنى بمثل قوله :

ولقد نظرت إلى شموس ودونها   حرَجٌ من الرحمن غير قليل

وعلى ذلك أيضاً كان يتتبع هو ونداماه رياض الأرض، يشربون ويطربون ثم يرجعون إلى المدينة نشاوى من القصف والعزف فلا تنم عليهم عين ولا يشى بهم لسان، حتى ولى الخلافة الفاروق فطارد الجريمة فى كل مكان، وهاجم الرذيلة فى كل مكمن

— ٢ —

دخل العسس بأبى محجن وندمائه على عمر، فسألهم :

— أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ؟

فأجابه لسان القوم أبو محجن :

— كيف حرمها الله يا أمير المؤمنين وهو يقول : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ؟

فوقف صاحب رسالة القضاء من حجة الشاعر موقف الحائر؛ ثم التفت إلى من حوله من صحابة الرسول يستمد رأيهم فى الأمر فاختلفوا فيه. فأرسل إلى علىّ مرجع الفتوى وفيصل الحكم يستشيره، فقال : « إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير. وأرى إن كانوا قد شربوا الخمر مستحلين أن يقتلوا، وإن كانوا شربوها مستحرمين أن يُحدُّوا. فسألهم عمر، فقالوا : والله ماشككنا فى أنها حرام، ولكنا قدّرنا أن لنا فيما قال نجاة. فجعل يجلدهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إلى أبى محجن، فلما جلده جعل يقول :

وإنى لذو صبر وقد مات إخوتى   ولست عن الصهباء يوماً بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها   فخلانها يبكون حول المعاصر

فقال له عمر : قد أبديت ما فى نفسك، ولأزيدنك عقوبة لإصرارك. فقال الإمام علىّ حجة القضاء وولى العدل :

— ما ذلك لك يا عمر. وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل. وقد قال الله فى الشعراء : وأنهم يقولون ما لا يفعلون. فقال عمر : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فقال على : أهؤلاء عندك منهم ؟ لقد سمعت الرسول (ص) يقول : لا يشرب الخمر شاربُها وهو مؤمن.

نجا أبو محجن وما نجا. فإنه أصر على ألا يترك الخمر مخافة العقوبة، وأصرّ عمر على أن يجلده كما شرب، حتى أعيا الخليفة أمره وأعجزه صلاحه، فقرر أن ينفيه إلى جزيرة كان ينفى فيها الخلعاء، ووكل به شُرَطياً يصحبه إلى المنفى وأوصاه ألا يدع معه السيف فإنه كمىٌّ فاتك. وعلم أبو محجن بالحكم والوصية، فتزود بغرارتين ملئتا دقيقاً، ثم عمد إلى سيفه فجعل نصله فى غرارة، وغمده فى غرارة. فلما بلغ هو والشرطى ساحل البحر قعدا للغداء، وفتح الغرارة يوهم أنه يخرج الدقيق ولكنه أخرج السيف ! فلم يكد الشرطى يراه فى يده حتى انطلق يعدو إلى بعيره فنجا به إلى المدينة بعد لأى.

وقال الشاعر لنفسه بعد تفكير وتدبير وعزم : لا ينبغى أن يكون المفر من عمر فى الحجاز إلا إلى سعد فى العراق

— ٣ —

وفد أبو محجن على فاتح العراق سعد بن أبى وقاص يوم الكتائب من أيام القادسية؛ وكان سعد قد تلقى من أمير المؤمنين الساهر اليقظ كتاباً يأمره فيه بحبس الشاعر ساعة يفد. ودارت رحى الحرب بين العرب والفرس وأبو محجن مقيد فى قصر القائد، فما كاد يسمع وغاها حتى عصفت النخوة فى رأسه، وثارت الحمية فى نفسه، واضطرب فى حبسه اضطراب الأسد فى قفصه. ثم زأر بهذه الأبيات على مسمع من سلمى زوج سعد :

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا   وأُترَكَ مشدوداً علىّ وثاقيا

(١) الحد : عقوبة الجلد المقررة على الشارب

إذا قمت عنّاني الحديد وغُلّقت مصاريع من دوني تُصم المناديا
هلم سلاحي لا أبالك إنني أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
ولله عهدٌ لا أخيس [١] بعهده لئن فرجت ألا أزور الحوانيا [٢]

ثم قال يا سلمى: هل لك من خيرٍ إلى؟ فقالت: وما ذاك؟ قال: تخلين عنى وتعيرينني البلقاء فرس سعد، ولله علىّ إن سلمتُ أن أرجع حتى تضع رجلىّ فى القيد. فترددت سلمى حتى تبينت الصدق فى قوله فأطلقته. وركب أبو محجن البلقاء ثم دب عليها؛ حتى إذا تنفس الصبح وأشرق يوم أرماث واصطف الناس، حمل على ميسرة العدو حملة صادقة فانخامت لها القلوب، وانخرعت منها الفيَلة، وتضعضعت أمامها الفرس. وعجب العرب أن يكون فيهم هذا الفارس ولا يعرفونه، حتى قال أحدهم: إن كان الخضر يشهد الحرب فهو صاحب البلقاء. وقال آخر: لولا أن الملائكة لا يقاتلون ظاهرين لقلنا هذا ملَك. وجعل سعد يقول وهو يشرف على المعركة: الطعن طعن أبي محجن، والضَّبْر [٣] ضبر البلقاء، ولولا محبسه لقلت إنه هو!

وانتصف الليل فتحاجز العسكران؛ وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ووضع رجليه فى القيد!

وكانت سلمى قد رأت فعله وسمعت قوله فأعجبت بإبائه ووفائه وبطولته. ثم دخلت على سعد وكانت مغاضبة له، فصالحته وأخبرته بخبر أبي محجن، وسألته أن يطلقه. فاستخف سعداً ما رأى من فتوة أبي محجن ورضا زوجه، فدعاه وقال له وهو لا يزال فى حماسة الإعجاب ونشوة الغبطة: والله لا أحبس بعد اليوم رجلاً نصر الله المسلمين على يديه هذا النصر، ولا أعاقبه إذا شرب. فقال له أبو محجن وقد بدت على محياه سِماتُ النبل ودلائل المروءة:

— وأنا والله لن أذوقها بعد الساعة. لقد كنت أشربها أنفةً من أن يقولوا خاف الحد، فأنا اليوم أتركها رغبة فى أن يقولوا خاف الله!

احمد حسن الزيات

(١) خاس بالعهد: نكث
(٢) حوانيت الخمر
(٣) ضبر الفرس: جمع قوائمه ووثب

المرأة في شباب الرسول

للأستاذ توفيق الحكيم

لم يرو لنا التاريخ أن النبي عرف امرأة أو تحرك قلبه لامرأة قبل خديجة. فلقد كانت حياته حتى الخامسة والعشرين حياة الشاب الهادئ البعيد عن النساء، العاكف على عمله، يرعى الغنم فى الفلاة ويلجأ إلى التأمل العميق. فلم يكن للهو والمرأة حتى ذلك الوقت مكان من اهتمامه أو تفكيره. كل ما ورد مع ذلك من أخبار لهو الشباب أنه قال ذات ليلة لفتى من قريش كان معه بأعلى مكة يرعيان غنم أهلها: «أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان». ثم خرج. فلما جاء أدنى دار من دور مكة سمع غناء وصوت دفوف ومزامير، فجلس يلهو بذلك الصوت حتى غلبه النعاس فنام فى مكانه ولم يوقظه إلا مس الشمس. فرجع إلى صاحبه فسأله: «ما فعلت؟» فأخبره بما كان. وكان هذا شأنه فى كل ليلة من مثل هذه الليالى

كانت العفة المطلقة إذن هى صفته الغالبة؛ وكان الزهد والحلم والصبر والتواضع ما ميزه عن بقية الشبان، وما جعل قومه يسمونه «الأمين».

ما الذى كان يشغل رأس الشاب محمد فى تلك السن ما دام اللهو والمرأة لا محل لهما عنده؟ أتراه كان يحس فى قرارة نفسه بمصيره العظيم؟ نعم.

ولعل هذه الفكرة تملكت كيانه وطغت على كل شبابه فلم تتسع حياته فى ذلك الوقت لشىء آخر .

لقد كان هذا دائماً شأن أغلب أولئك الذين انتظرتهم أقدار عظام، وتملكتهم منذ شبابهم مثل عليا وأحلام ، عمرت كل أعوام شبابهم وحلت فيها محل اللهو والمرح .

إن كل شاب يعيش مع شبح امرأة جميلة إلا الشاب الموعود برسالة عظمى فهو يعيش دائماً مع شبح المجد المنتظر .

لعل هذا يفسر لنا بعض الشىء حياة الفتى محمد حتى الوقت الذى لقى فيه أول امرأة أحبها « خديجة » . وإنا لو تأملنا الأمر ملياً لتبين لنا أنه لم يكن البادئ بالحب . كل شىء يدل على أن الزواج لم يخطر له على بال ، والزوجة والمرأة آخر ما كان يفكر فيه وقتئذ ، فلقد كان يسير فى طريق تأملاته الداخلية وأحلامه العليا، وكأنه لا يمشى على هذه الأرض إلى أن لحظته خديجة ذات يوم ولمست كتفه فأفاق قليلاً ورفع عينيه إليها .

نعم . إنها هى التى كانت ترقبه منذ زمن ؛ وإن لشعورها نحوه جذوراً ممتدة فى أغوار قلبها ، امتداد عرق الذهب فى المنجم العميق . ما مبدأ هـذا الشعور ؟ لعله ذلك اليوم الذى احتفلت فيه نسـاء قريش بعيد لهن ، وكانت خديجة بينهن عند وثن من الأوثان فبرز لهن أحد اليهود ونادى بأعلى صوته: « يا نساء تيماء! إنه سيكون فى بلدكن نبى يقال له محمد ، فأيما امرأة استطاعت أن تكون له زوجاً فلتفعل ! » فقذفته النساء بالحجارة وقبحنه وأغلظن له، إلا خديجة فإنها أطرقت وكأن شيئاً وقع فى نفسها من كلامه .

ثم حدث بعد ذلك أن خديجة — وقد كانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام وتستأجر من أجلها الرجال — أرسلت الشاب « محمداً » فى تجارتها وضاعفت له الأجر وأرسلت معه غلامها ميسرة ، فعاد رابحاً ضعف ما كانت تربح التجارة على يد غيره ، لأمانته واجتهاده

وقص عليها عندئذ غلامهـا « ميسرة » وقد راقب محمداً فى رحلته ما رآه من خلق هذا الشاب المستقيم الأمين ، ولعله أخبرها فيما أخبر أن أحد الرهبان قابله ، وأنهما تذاكرا ملياً فى أمر النبى الموعود المسمى « محمد » كل هذا مع ما تشبعت به الأذهان من أساطير النبوة المنتظرة قد ألقى فى روع خديجة أنها أمام شاب لا يبعد أن يكون هو النبى الموعود .

فإذا أضفنا إلى كل هذا أن محمداً كان فتى فى الخامسة والعشرين كريم الخلق جميل المنظر ، وأن خديجة كانت امرأة فى الأربعين ، أدركنا أن مثلها كان لا بد له أن يحب مثله . وهل يمكن أن نسمى هذا الشعور باسم آخر غير « الحب » ؟ ذلك الذى يدفع امرأة ذات شرف وثروة أن تبدأ هى الخطوة الأولى نحو فتى فقير يتيم؟ هى التى قدتقدم إليها أكرم رجال قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً ، طلبوها وبذلوا لها الأموال فلم تلتفت إليهم ، وأرسلت تابعتها « نفيسة » دسيساً إلى الشاب محمد تعرض عليه يدها منبع الحب إذن كان قلب « خديجة » ، ولقد كان هذا الحب سامياً قوياً عظيماً فاستطاع أن يفتح قلب محمد وأن يملأه كل تلك الأعوام التى عاشتها خديجة، بل إن الحب لم ينطفئ بموت خديجة،ولقد ظل مكانها من قلبه قائماً دائماً لم تستطع قط امرأة أن تزاحمها فيه .

هـذا هو حب محمد الأول ، وتلك ناحية من نواحى الفضل المجهولة لم يذكرها الناس كثيراً لخديجة بما هى أهله من التكريم والتمجيد .

توفيق الحكيم

قرش فلسطين

دعت جمعية الشبان المسلمين إلى التبرع بقرش لاعانة منكوبى فلسطين ، وستجمعه قريبا . فباسم الاسلام الذى يحض على التعاون ، والعروبة التى تدعو إلى النجدة ، والمروءة التى تعطف على المظلوم ، والانسانية التى تحدب على المنكوب، تدعو الرسالة كل إنسان أن يسارع إلى بذل هذا القرش الصغير، فى سبيل هذا المسعى الكبير .

أعظم يوم في تاريخ العالم

للأستاذ عبد العزيز البشرى

لاشك عندى فى أن أعظم يوم فى تاريخ العالم على الإطلاق ، هو اليومُ الذى هاجر فيه محمدٌ (ص) وصاحبُه من مكةَ إلى المدينة . فإذا كنتَ فى حاجة إلى دليل ، فسيطالعك بعد قليل .

يرى المستعرضُ لتاريخِ الأديان ودعوةِ الرسل أنها جازت بمراحل ثلاث ، طوعاً لتطوّر الإنسان من البساطة والغفلة والوحشية إلى أن أصبح كفؤاً للحياة المفكِّرة المدبِّرة التى تطلب السموّ ، وتنشد السعادة فى ظلّ الأمنَ والنظام .

الطور الأول :

فى الطور الأول كانت بعثة الرسل مقصورةً على الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله ، والأمر بأمهات الفضائل ، والنهى عن كبريات الرذائل ، كما كان وعيد المخالفين الكائدين وتعذيبهم وإرسال العِبرة بهم بالغاً غايةَ الرّوعة فى الفتك والعصف والتنكيل .

فلقد أهلك الله قوم نوح ، بعد إذ عصَوْه وتحدَّوا دعوته ، بإغراقهم أجمعين . قال تعالى : « حتى إذا جاء أمرُنا وفار التنورُ قلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلَك إلا من سبق عليه القولُ ومَن آمَن ، وما آمن معه إلاَّ قليل . وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ، إن ربى لغفورٌ رحيم . وهى تجرى بهم فى موجٍ كالجبال ، ونادى نوحٌ ابنه ، وكان فى معزلٍ ، يا بنىَّ ، إركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى إلى جبلٍ يَعصمنى من الماء . قال لا عاصمَ اليومَ من أمر الله إلاَّ من رحم ، وحال بينهما الموجُ فكان من المغرَقين » : (سورة هود)

ومن هؤلاء المخالفين من أُهلِكوا بالريح العاصفة . قال تعالى : «وأما عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صَرْصَر عاتية، سخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حُسوماً ، فترى القومَ فيها صرعى كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية . فهل ترى لهم من باقية » : (الحاقّة)

وقال تعالى : « كذبت عادٌ فكيف كان عذابى ونُذُر ، إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمرّ ، تَنزِع الناسَ كأنهم أعجازُ نخلٍ مُنقعر ، فكيف كان عذابى ونُذُر » (القمر)

وأما ثمود فأُهلِكوا بالصواعق والزلازل . قال تعالى : « فأخذتهم الرّجفةُ فأصبحوا فى دارهم جاثمين » (الأعراف) .

وقال تعالى : « وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنَوا فيها » (هود) .

وقال تعالى : « وفى ثمودَ إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ، فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقةُ وهم ينظرون » : (الذاريات) .

أما قوم لوط ، فانظر ماذا أُخذوا به من العقاب الشديد . قال تعالى : « فلما جاء أمرُنا جعلنا عالِيَها سافلَها وأمطرنا عليها حجارةً من سجِّيلٍ منضودٍ مسوَّمةً عند ربك . وما هى من الظالمينَ ببعيد » (هود) .

وقال تعالى : « فأخذتهم الصيحةُ مُشرِقين ، فجعلنا عالِيَها سافلَها وأمطرنا عليهم حجارةً من سِجِّيل ، إن فى ذلك لآيات للمتوسمين » (سورة الحجر) .

ونكتفى بهذا القدر اليسير فى الاستشهاد بما كان يُؤخذ به العُصاة الكائدون من ألوان العصف والخسف والتنكيل والتدمير

وقبل أن نتحول إلى الحديث فى الطور الثانى نرى من الخير أن ننبه إلى أن انقسام التاريخ إلى مراحل أو أطوار ، ليس معناه أن مرحلة تبدأ من حيث تنتهى سابقتها على الضبط والتحديد ، ولا أن التطور من حال إلى حال يحدث دفعة واحدة ، بل إن المراحل لَيتداخل بعضها فى بعض كما أن التطور لا يكون إلا بالتغير من طرفيه جميعاً بالنقص من هذا وبالزيادة من هذا ، حتى يتلاشى القديم ويحل محله الجديد، وهكذا. وكذلك يكون التطور فى كل شىء فى هذا العالم

الطور الثانى : أما الطور الثانى فمن أظهر مظاهر الترفُّق بعض الشىء فى النُّذُر ، والتخفيف فى فنون العقوبات وسمة

الدعوة وتبسّط التشريع ، سواء فى العبادات أو فى المعاملات بين الناس . وفى هذا الطور أيضاً كانت تعتمد الدعوة ، بقدر كبير ، على التحدى بالمعجزات ، حتى لقد انتهى هذا الطور بكف العقوبات وتفرد المعجزات

أما الترفق فى النذر والتخفيف فى ألوان العقاب ، فلقد كان هذا التخفيف يتناول الكمّ أو الكيف أو يتناولهما جميعاً . قال الله تعالى : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » إلى قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضفادعَ والدم آيات مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين . ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادعُ لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمِنَنّ لك ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون » سورة الأعراف

وقال تعالى : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أَسْرِ بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لا تخاف دَرَكاً ولا تخشى . فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غَشِيهم وأضل فرعون قومه وما هدى » سورة طه

فأنت ترى أن ما أصاب آل فرعون من الجدب ونقص الثمرات وما أرسل عليهم من الطوفان والجراد الخ لم يبلغ من الشدة والروع بعض ما يبلغ العصف والدمدمة والخسف والتدمير . أما إغراق فرعون ومن أتبع بنى إسرائيل من جنده فلعصمة الفارّين من كيدهم وبطشهم، والأمر لا يعدو هنا وقع الأذى على كل حال . على أن عددهم بالنسبة لجمهرة الكافرين الكائدين جدُّ قليل

وأما المعجزات فحسبك منها معجزات موسى عليه السلام إذ ألقى عصاه فإذا هى حية تلقف ما يأفِك الساحرون ، وإذ ضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً ، وإذ ضرب بها البحر فانفلق فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّود العظيم

وحسبك منها معجزات عيسى عليه السلام . قال تعالى : « ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأُبرِئُ الأكمهَ والأبرصَ وأُحيى الموتى بإذن الله ، وأُنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » . (آل عمران)

الطور الثالث : وبعد فإن بمعجزات عيسى عليه السلام ، قد خُتم هذا الضربُ من الخوارق التى تجرى على أيدى الرسل ، يتحدَّون بها المخالفين المعاندين ، ويثبتون بها أن ما جاؤوا به إنما هو من عند الله ، وكيف لا وقد أيدهم منها بما يخالف سنن الكون ويندّ على طبائع الخلق

أما بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ففوق أنها تشارك بعثة عيسى عليه السلام فى تجرُّدها من الأحداث التى مر بك بعض وصفها ، فلا عصفَ ولا خسف ، ولا رياحَ عاصفة ، ولا زلازلَ مدمدمة ، ولا شىء من هذا ولا ما دونه مما يزعج النفوس ويدخل الروع على القلوب — فإن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم تمتاز بأمرين : الأول أنها لا خلاف فيها لسنن الكون ولا مغايرة فيها لطبائع المخلوقات ، والثانى أنها باقية مستمرة لا تنقطع على طول الزمان . وقد عرفتَ من غير شك أن هذه المعجزة هى (القرآن)

وكذلك جعلت الدعوة الإلهية تتطور وتنمو بتطور الإنسانية ونموّها على الأحقاب

***

إذن لقد نضجت الإنسانية أو أصبحت على وشك النضوج ، وإذن لقد تجاوز الإنسان طور القِصَر وبلغ الرشد أو أضحى على شَرَف البلوغ

لقد أضحى الإنسان حقيقاً بأن يُرفع عن نفسه الحجر ، وتُطلق له حرية التصرف فى استنانه مناهج الحياة . إذ قد تهيأ له لو فكّر وتدبّر ، أن يعرف ما ينفعه وما يضره ، وما يسيئه فى الغاية وما يسره ، وأن يميز بين ما يسعده وما يشقيه ، وما يعزه وما يرديه . فإذا اختلط عليه الأمر أو نَزَعت به العادة إلى الهوى ، نُبِّه ذهنُه ، وحُرِّك فكره ، وضُربت له الأمثال ، وأقيمت له الحجة يصول بها العقل كل مَصال . (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)

(أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون) الأعراف

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت وإلى السماء كيف رُفعت وإلى الجبال كيف نُصبت وإلى الأرض كيف سُطحت ، فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) الغاشية . وهذان مثلان مما لا يدركه الحصر مما ورد فى القرآن الحكيم

***

قومي بين الشرق والغرب

للأستاذ محمود غنيم

قومي لأنتم عبرةُ الأقوامِ — هل تُنسبون ليافثٍ أو سامِ ؟
أبناء عمى من نزارَ ويعربٍ — ليسوا بأعراب ولا أعجام
يترسمون الغرب حتى يوشكوا — أن يعبدوه عبادة الأصنام
ما قلدوهم مبصرين وإنما — تبعوا نظامهمُ بغير نظام
للغرب عادات كفازات سرت — فى الشرق مسرى الداء فى الأجسام
إنى رأيت جيوشه لم تغزنا — فى الحرب بل فى ملبس وطعام
لا تأمنوا للمستعمرين فكم لهم — حرب تقنع وجهها بسلام
حرب على لغة البلاد وعادها — ليست تُشَنُّ بمدفع وحسام
والشعب إن سلمت له عاداته — ولسانه لم يخش قطع الهام

* * *

ماصاغ ربك من نضار خالص — شعباً، وشعباً من حصى ورغام
هى محض أوهام أعيذ الشرق من — أمم تعيش أسيرة الأوهام
أنى أعيذ الشرق من متمسّح — بالأجنبي لقومه هدام
إنْ لاَمَ غربىٌّ على أوطانه — أمحى بلائمة مع اللوام
وإذا رنا نحو الغريب فإنما — يرنو بمجهر راصد الأجرام
وإذا أعار بني أبيه نظرة — فبمقلة الأعمى أو المتعامى
والعين تخدع ربها . ولربما — خلقت عمالقة من الأقزام

هذه دعوة محمد ، وقد رأيت أن ما سبقها من دعوات الرسل إنما كان مقدمة لها وطريقاً إليها

هى الدعوة التى تسمى بالإنسانية إلى غاية كمالها من طريق إيقاظ العقل ، والفسح فى حرية الفكر ، والتى تسمى بالإنسان إلى غاية سعادته من طريق اعتناق الفضائل ، والتجرد من الرذائل . فبكظم الشهوة ، والعفة ، والرحمة ، والإيثار ، تستطيع هذه المجموعة البشرية أن تعيش على الأرض ناعمة بالرغد والدَّعة والسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق)

ولقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم أول ما دعا ، أهلَه وعشيرته من قريش ، فكذبوه وشاقوه وآذوه وأسرفوا فى الكيد له والعَنَت عليه . وكيف له باستعانتهم على بث دعوته ، ونشر رسالته التى أُرسل بها للعالمين ، إذ هم أشدُّ من كفر بها وصدَّ عنها ، وبغَّض فيها ونفَّر منها ؟

ولكن يأبى الله إلا أن يُتم نورَه . فلقد أسلم أهلُ يثرب وآمنوا بالله ورسوله ، وأعدّوا أنفسهم للذياد عن دينه مهما جشّمهم الأمر من التضحية فى سبيل الله بالأموال والأنفس والأولاد . هذا شعبٌ قوىٌّ بعَدده ، قوىٌّ ببسالته ، قوىٌّ بإيمانه . يدعو الرسول ليتسلَّم زمامَه، ويتولَّى قيادَه ، ليثبِّت من الإسلام دِعامَه، ويرفع أعلامَه ، ويَبسُط فى الأرض حكمَه وأحكامَه . وكذلك يهاجر محمد فى سرّ من معشره العاتين إلى المدينة، حيث يُعِزّ اللهُ الدين، ويُذل الشرك ، ويفتح اللهُ لنبيه الفتح المبين، وينصره النصر العزيز

وتعلو كلمةُ الإسلام فى العالمَ ويسود حكمُه أقطارَ الأرض .

ثم لا يَمضى أكثرُ من قرن ونصف قرن حتى ينشىء بفضل تحكيم العقل وإطلاق حرية الفكر أزهى حضارة عرفها التاريخ ، تجود فى ظلِّها القرائحُ بأجدى العلوم وأندى الفنون ، مما لا تزال آثاره ، ولو على أيدى غير أهله، ثابتةً على وجه الزمان !

أرجو أن تكون أنت أيضاً قد آمنتَ بأن يوم الهجرة هو أعظمُ يوم فى التاريخ

عبد العزيز البشرى

وإذا تنكر للحمى أبناؤه فهمو أضرُّ له من الأخصام

***

ما بال بحر الروم من يجتازه يوماً تناسى سالف الأيام ؟
فإذا به خلق جديد . ما مضى من عمره حلم من الأحلام
تتغير الدنيا عليه فكلها في عينه نقص بغير تمام
هل تغرق العادات من أربابها في ذلك البحر الخضم الطامى ؟
ما اجتاز شرقى عجاجة موجه إلا وعاد مزوداً « بمدام »
إن التكافؤ فى الدماء فريضة ولو أنها لم تأت فى الأحكام
وهو القران إذا تخالف أهله وطناً فمعقدته لغير دوام
كم زيجة مازال يدمى جرحُها ومن الجروح ذوابلٌ ودوام

***

لا أعرف العربيَّ يكشف رأسه نحو المجالس مومئاً بسلام
إنْ زيرَ تخرجُ عرسُه من دونه للزائرين بثغرها البسام
بدوارس الأطلال يلحق أمه ويرى أباه رابع الأهرام
يعصي الإله . فإن أشارت عرسه بإشارة فالقول قول حذام
ويكاد يسلخ نفسه من قومه لو تُستطاع قطيعة الأرحام
ويكاد يمسخ خلقه لو كان فى يمناه قلب معالم الأجسام

***

لا أعرف العربي يلوي فكه إن همَّ يوماً فكه بكلام
إن فاهَ تسمعُ لكنة ممقوتة من فيه سكسونيةَ الأنغام
لفظاً من الفصحى وآخر نابياً كالقار ممزوجاً بكاس مدام
لغة إذا قرعت بجندل لفظها أذن السميع شكت من الآلام
لهفي على الفصحى رماها معشر من أهلها . شلت يمين الرامى
لم يهتدوا لكنوزها فإذا همو يرمونها بالفقر والإعدام
الدر فى طى البحور مخبأ والتبر ـ إن تنشده ـ تحت رجام
لن يستعيد العُرْب سالف مجدهم ولسانهم غرض لكل سهام
إن يرفعوا ما انقضَّ من بنيانهم فالضاد أول حائط ودعام

***

أبنى نزارَ ويعرب أوصيكمو بذخيرتين الضاد والإسلام
إن جاءكم باسم الثقافة ملحد فى دينه فطؤوه بالأقدام
الملم وضع العالمين وإنما الأ ديان وضع الواحد العلام
المسلمون على شتات ديارهم فرض الإله خضوعهم لإمام
الله بالجُمعات وحَّد بينهم وبحج بيت فى الحجاز حرام
دين ابن عبد الله دين باسمه قبض الرشيد على الوري بزمام
هو دولة كبرى وملك شامخ لا محض تكبير ومحض صيام

***

إن يُزْهَ شرقي بغير العرب من أجداده الأتراك والأروام
فأنا الفخور بأننى لا ينتمى لغير أخوالى ولا أعمامى
إن تسألوا عنى إلى من أنتمي ؟ فإلى رعاة النوق والأغنام
أبغير مجد بنى نزارَ ويعرب يُزْهى عراقيٌّ ويفخر شامى ؟

« مدرسة الأورمان » محمود غنيم

صيانة العقيدة المحمدية من احتيال النفوس

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

تقرأ فى كتب السِّيَر عن أناس من السلف الصالح بلغت نفوسهم من الصفاء والتغلب على احتيال الأهواء مبلغاً كان للاسلام حجة أعظم من ألف حجة ودليل من الحجج والأدلة النظرية، وقد بهرت سيرتهم وقدوتهم من عرفها من غير المسلمين فأجلوا ذلك السلف الصالح من أجلها وأجلوا المسلمين من أجلهم ولو أنهم كانوا لا يؤمنون به وامتدحوه كما يمتدح الأب إذا حسنت سجايا ابنه التى بثها فيه . ولكن لا شك أن روح العقيدة الواحدة تختلف فى نفوس معتنقيها باختلاف تلك النفوس ؛ فإن من الناس القاسى والرحيم والكريم واللئيم والشهم والوغد والمقبل على لذات الدنيا والزاهد فيها والوفى والغادر والعالم والجاهل والذكى والغبى ، وقد يعتنق العقيدة الواحدة أناس من كل هذه الطوائف ولكل منهم صفات تغلب على نفسه وتصبغ آراءه وأقواله وأعماله بلونها ، وكأنه لا يرى ولا يسمع ولا يحس ولا يعمل إلا وعليه رقيب من تلك الصفات وهى كالقيود لا يستطيع أن يخلص منها .

والعقيدة فى نفس معتنقها كالماء فى الإناء يتخذ شكله؛ فإذا كان الإناء مستديراً كان الماء فيه مستديراً ، وإذا كان الإناء مستطيلاً كان الماء مستطيلاً . وكذلك العقيدة تتخذ شكل النفس التى تعمرها . نعم إن العقيدة تخالط النفس والماء لا يخالط مادة الإناء ولا يحدث به أثراً؛ ولكن الشاهد المحقق أن العقيدة تؤثر فى النفس بعض الأثر ولكنها لا تستطيع أن تحول طبائعها، وإلا لو استطاعت لما وجد بين معتنقى العقيدة الواحدة الطاهر البرىء والمجرم الأثيم والسمح الكريم والوغد اللئيم والذكى الفهيم وذو الفهم البهيم والرحيم والقاسى الزنيم . فالعقيدة فيما هو مشاهد فى الحياة لا تحمل النفوس على أن تتخذ شكلاً واحداً بل تبقى النفوس على محامدها ومساوئها ، وكما تؤثر العقيدة فى النفس بعض التأثير تؤثر النفس فى عقيدتها . ومهما اشتركت النفوس المتباينة فى شعائر العقيدة فهو اشتراك عام لا يمنع اختلاف النفوس فى تفضيل جانب على جانب ومظهر على مظهر من مظاهر الدين ، فشكل العقيدة فى النفس الغليظة القاسية الغبية غير شكلها فى النفس الرحيمة الذكية ، وتتخذ العقيدة الواحدة أيضاً أشكالاً مختلفة فى الأمم والأقاليم والأزمنة المختلفة وهى عقيدة واحدة ذات شعائر ومبادئ لا تتغير . والناس قلما يلتفتون إلى فروق روح العقيدة فى النفوس المتباينة ، وقلما يحسبون حساباً لهذه الفروق بالرغم من أنها قد تجعل الرجلين وهما على عقيدة واحدة وكأنهما على عقيدتين بينهما من البعد مثل ما بين السماء والأرض ، وإغفال هذه الفروق يؤدى إلى الاهتمام بمظاهر الدين أكثر من الاهتمام بروحه ، والدين معناه فى روحه الزكية ، فإن رذائل النفوس قد تستولى على مبادئ الدين وتقاليده وعرفه وأخلاقه فلا تأخذ منها غير الظاهر بل إنها قد تزكى نفسها وتهون أمر تركها روح الدين وحقيقته وأخلاقه بالاندفاع فى نصرة مظاهره والانفعال فى نصرتها وقد يكون انفعالاً لا يُخفى العقلُ الباطنُ أنه بسبب أن النفس فى غيظ شديد من أن روح الدين تخالف أثرتها وفائدتها الدنيوية وأنها لا تستطيع أن توفق بين ورع روح الدين وعفته وبين مطالب الحياة فتضحى بورع روح الدين كى تنال الدنيا أو بعض مطالبها حسب استطاعتها ثم تظهر الغيرة على مظاهر الدين الذى ضحت بروحه وورعه وتغتفر تلك التضحية بتلك الغيرة، والنفس فى احتيالها هذا ربما كانت معذورة إلى حد ما إذا لم تغال وتشتط وتقسو وتلوم وتؤذى الناس كى تعذر نفسها لدى نفسها التى ضحت بورع الدين وكفافه وعفته وهى تحسب أنها إذا لم تستطع صيانة روح الدين والتخلق بورعه كى تنال رضاء الله ونعيم الآخرة فهى ربما تنال رضوانه ورحمته ونعيمه بهذا الاحتيال فتجمع إلى نعيم الأخرى الانطلاق فى طلب الدنيا وتكفر عن نبذها ورع الدين

بالاقتصاص من غيرها وتجعل هذا الاقتصاص قرباناً إلى الله بدل أن تجعل قربانها الصفاء والزهد فى الدنايا والعفة عما يتطلبه نيل حطام الدنيا . ولقد قلنا إننا نعذر هذه الروح ونرحمها إذا لم تشتط فى هذه الخطة، نعذرها بعض العذر لضعف النفس البشرية ولضرورات الحياة وما تقهر الحياة النفس عليه من الدنايا، ولأن النفس الورعة التقية قد تتردد فيها بالرغم من ورعها هواجس وخواطر طلب الشهوات لنفسها فتحاول أن تكفر عن تلك الخواطر التى تخشاها بالقسوة على من تحسبه مطيعاً لها ولأن النفس قلما تفطن إلى باعثها على الانفعال فى نصرة مظاهر الدين دون ورعه وتقواه، بل إنها قد تحسب أن الورع هو باعثها وإن كانت لا تتورع، وقلما تفطن النفس إلى أن بين الناس من يستطيعون الجمع بين المجون والقسوة والغباء وبين التدين ونشدان المثل الأعلى بالقول لا بالخلق، وهذه الاستطاعة من مآسى الحياة وربما كانت من ضروراتها المكروهة بسبب ضعف النفوس ونقصها وأوضاع الحياة التى تعيش فيها

فينبغى لمن يريد صيانة روح الدين والعقيدة المحمدية السمحة الرضية أن يحذر عند أدائه فروض الدين وفروض الحياة وأن يحاسب نفسه حساباً عسيراً عند أداء تلك الفروض أكثر من محاسبتها عند إهمالها لأن ألذّ فرض وواجب وأطيبه لدى النفس وأحلاه عندها هو الواجب الذى يمكّنها أداؤه من أن تؤذى الناس وأن تتشفّى بأذاهم من متاعب الحياة وإن كانت لا تفطن إلى ذلك . وما أشد إتلاف متاعب الحياة لصفاء النفوس خفية

فالنفس قد تفضل أداء الواجب الذى يمكنها أداؤه من أذى الناس سواء أكان الذى تؤذيه عدواً أوغريباً عنها وإن كانت تفضل أذى الأول ، وأسمج فرض وواجب لدى النفس وأبغضه لديها هو الواجب الذى يتطلب أداؤه ترك شىء من أطايب الدنيا المادية أو المعنوية . والنفس قلما يعوزها عذر تحول به ما تجد فيه سعادة ولذة إلى فرض وواجب .

فنصرة العقيدة الرضية الزكية وصيانة روحها وقدسها من احتيال الروح الدنيوية تقتضى دراسة علم النفس وتطبيقه على النفوس وأعمالها وأساليبها ووسائلها واحتيالها للتوفيق بين القدسية والدنيوية ولو بمخادعة نفسها فلا شىء يقتل أمل الإنسانية فى صفاء الدين وقدس فضائله من احتيال أهواء النفس على النفس وتزويرها الحقائق تزويراً يخلط بين حقد النفس الشريرة وبين الغضب المقدس للحق ، ويخلط بين الباعث السامى للنفس والباعث غير السامى ، ويخلط بين صيانة روح الدين وبين التكفير عن قتل روح الدين فى طلب الأهواء بالانفعال فى نصرة مظاهره. ومن قرأ تاريخ الأديان فى العالم وجد أن بعض القبائل المتأخرة ترى مخرجاً لغرائزها الوضيعة عن طريق الدين. وفى الأمم المتحضرة يوجد أناس يسلكون فى إخراج غرائزهم التى يستحيون من إخراجها على حقيقتها مسلك تلك القبائل المتأخرة إما لجهل وإما لما يُسمى فى علم النفس بالرجعية النفسية إلى صفات عصور الإنسانية الأولى وهذه الرجعية قد يصاب بها حتى المتعلمون وقد تظهر فى أمور كثيرة غير أمور العقيدة .

وهذا غير ما يُخشى على قدسية الدين من رياء المرائين، وأعظم ما يدعو إلى الحسرة والأسف أن ترى روحاً صافية نقية صادقة فى غيرتها على الدين طائعة منقادة لنفس مرائية تبنى حطام الدنيا، وهذه النفس الثانية أى النفس المخادعة عادة تغلب النفس الأولى، الصافية الطاهرة لأن النفس المتلهفة فى طلب حطام الدنيا تخلق لها لهفتها ويخلق لها غيظها وخوفها من فوات الحطام انفعالاً شديداً تحاكى به الغيرة على الدين وقلما تستطيع النفس الصادقة فى تدينها محاكاة ذلك الانفعال الدنيوى الذى تمده الحياة بقوتها لأنه فى طلب أمور الحياة . وقلما تستطيع تمييزه إلا إذا كان لها نصيب من الخبرة بعلم النفس وتطبيقه على أساليب النفوس ووسائلها وهى خبرة لا بد منها لصيانة روح العقيدة المحمدية السامية .

ومن الأخطاء التى يقع فيها المفكرون وغير المفكرين أن يحسبوا أن الإنسان على مستوى واحد لا يتغير من حيث روح الدين فى نفسه ومن حيث فضائله، والحقيقة هى أن النفس الإنسانية فى الحياة كالطائرة الهوائية التى تصادف جيوباً هوائية كثيرة مختلفة الضغط الجوى فتظل ترتفع وتنخفض فجاءة، ولكن كل إنسان يريد أن يستثمر ارتفاعه لمغالطة الناس كما قد يغالطهم فى انخفاضه ويعده ارتفاعاً ويوهم أنه كذلك بقوة الإيحاء . وهو لو قصر المغالطة على قوة الإيحاء لهان الأمر ولكن أشد الضرر بروح الدين أن يتخذه المرء وسيلة للاشادة بعلو قدره وإعلان انحطاط قدر عدوه أو عدو صديقه أو عدو قريبه أو من يعاديه قريبه فيصبح الدين فى نظره قوة دنيوية للكسب كقوة المصاهرة أو المسامرة أو كقوة المال .

عبد الرحمن شكرى

حرارة الإيمان

للدكتور ابراهيم بيومي مذكور

ما أرهب ذلك الجيش السائر والبحر الزاخر والجمع الثائر يخوض غمار المعركة في عزمة رجل واحد وهمة قلب صادق فلا يلبث أن يكتب له النصر ويفوز بالغلب على من تفرقت بهم الميول والأهواء! وما أروع تلك الرءوس الحاسرة والأجسام شبه العارية تجتمع فى صعيد واحد تسبح الله وتناجيه فلا تخشى بأس حر ولا برد، ولا تألم من صر أو قر! وما أخشع ذلك الناسك الذى حرم نفسه لذيذ الطعام والشراب واستطاب الخشن وغليظ الثياب، وضوي جسمه من طول الركوع والسجود، واحمرت عيناه من البكاء والسهر. كل هؤلاء قد استولت عليهم فكرة وتملكتهم عقيدة، فساروا وراءها طائعين، وائتمروا بأمرها راغبين لا راهبين

وكم من أفكار نسلم بها وآراء نوافق عليها ودعوات نصغى إليها، ولكن طائفة قليلة منها فقط هى التى تنفذ إلى قلوبنا وتمتزج بأرواحنا، فتُصبح طوع إرادتها ورهن مشيئتها، وما ذاك إلا لأن الدعوات لا تتجه دائماً إلى القلب ولا تخاطب كلها الروح؛ فمنها ما يرمى إلى غاية مادية يتشبث بها من يرجو أن يساهم فيها بنصيب، ويطمئن إليها من آثر العاجلة على الآجلة. ومنها ما يقوم على الحجة والبرهان والبحث والتعليل، ولغة المنطق لا تلائم الناس على اختلافهم ولا يسمو إليها جمهورهم وعامتهم.

١٢ ، ٣٢

لذلك كان أكثر الدعوات حظا من النجاح ألصقها بالقلب وأقربها إلى الفؤاد، وبقدر تفاوت الدعاة فى القدرة على تحريك العواطف وإثارة الشعور تتفاوت آثارهم ويزيد أو ينقص عدد أتباعهم، وعن هذا الشعور تنبعث حرارة الإيمان المتأججة، ومن تلك العواطف يتولد صدق العقيدة الباهر، وفى القلب قوى خارقة للعادة وفى الروح أسرار تلين الحديد وتنسف الجبال ولا تبالى بصعاب

هناك ضربان من الإيمان لا سبيل إلى خلطهما ولا إلى إنكارهما: إيمان العقل وإيمان العاطفة، أو إن شئت فقل: إيمان البرهان والتعليل والحجة والدليل؛ ثم إيمان الشعور والإحساس والقلب والروح؛ فى أحدهما هدوء التفكير ورزانة المنطق، وفى الآخر حمية الوجدان ونشاط العاطفة. ولئن كان الأول قد استنار بنور الحجة وقوى على مجالدة الخصوم ودفع الشبه، فإن الثانى ينبعث من قرارة القلب وأعماق الفؤاد ولا يرى نفسه فى حاجة إلى برهنة واستدلال، ولا يأبه مطلقاً بخصوم ولا معارضين. والدعوات سياسية كانت أو دينية، إنما تقوم إبان نشأتها على معتنقين اتجهوا نحوها بقلوبهم وتفانوا فيها بأرواحهم، فأصبحوا ولا يعز عليهم مطلب ولا تبعد عنهم غاية. وكم سمعنا أن قائداً تسلق مع جنده الجبال واخترق البحار وخاض غمار الشرق والغرب دون أن يتخلف عنه متخلف، أو يقعد عن مناصرته الأتباع والأعوان. وكم روى لنا التاريخ من أخبار زعماء سياسيين أو دينيين كانت إشارتهم وحياً وكلمهم أمراً، إذا ما تحركوا تحركت الألوف المؤلفة، وإذا ما دعوا لبى الجميع. فإذا ما فترت الدعوة وضعفت العقيدة وخمدت حرارة الإيمان الأولى، أخذ الناس يبحثون فى معتقداتهم ويعللون ويناقشون ويعارضون

لهذا كان لا بد لكل عقيدة من غذاء، ولكل دعوة من مواد تلهب الشعور وتنمى العاطفة. وما الطقوس الدينية والصلوات المفروضة والأدعية الخاشعة والذكر الدائم والقرابين المتكررة، إلا وسيلة من وسائل جذب النفوس نحو عالم النور والألوهية والإيمان والعقيدة. وعلى نحو هذا يجدُّ السياسيون فى إقامة الحفلات، وتنظيم الدعوات والمظاهرات، وإلقاء الخطب المثيرة للجماهير. وإذا استطاع الزعيم أن يكون سياسيًّا ودينيًّا فى آن

واحد، أو بعبارة أخرى، سياسيًا وصوفيًا، توفر لديه كثير من أسباب الغلبة والفوز . وها نحن أولاء نرى زعماء العصر الحاضر يخلطون حركاتهم السياسية بآراء تتصل بالدم والجنسية والدين والعقيدة ؛ فالهتلرية مثلاً نظرية سياسية تعتمد على دعائم روحية وصوفية ، وهذا من غير شك عامل كبير من عوامل نجاحها وتقدمها . ولقد أجادت سبل الدعاية وأتقنت طرق تنظيم الأتباع إلى طوائف وجماعات يميزها زى خاص وشارات معينة ، فزادها هذا تقديساً لإرادتها واستمساكاً بنظرياتها . ولعل أعون شىء على تنمية الإيمان والعقيدة أن يحس المؤمن أنه عضو فى أسرة وجزء من مجتمع ، وأن يشعر المعتقد أن عقيدته ذات سيادة شاملة وسلطان عام . وما نراه من تعصب أعمى أحياناً وغلو فى الدين أحياناً أخرى إنما منشؤه تغلب العاطفة على العقل والرغبة فى أن نحمل الناس على اعتناق كل ما ندين به من أفكار

اختلف علماء الكلام المسلمون — كما اختلف رجال الدين من المسيحيين — فى حقيقة الإيمان ، هل يزيد وينقص وهل هو إذعان قلبى فقط أم هو اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان . وكأنى بهم جميعاً قد تناسوا جانبه العاطفى ، ولو ذكروه ما وقعوا فى كثير من خلافاتهم . فالإيمان على أنه حقيقة وفكرة قد لا يقبل الزيادة والنقص ، أما الإيمان الذى هو عاطفة تتأجج لحظة وتخمد أخرى فثمت مجال فسيح لزيادته ونقصه ، ويتبع هذا طبعاً أن يكون الاعتقاد قوياً أو ضعيفاً جازماً أو غير جازم . ولا شك فى أن الأعمال الخالصة تنميه والأقوال الصالحة تغذيه ، ومن ذا الذى ينكر ما للدعوة والإرشاد من أثر فى تربية النفوس وتهذيبها وما للتقرب والعبادة من قدرة على ربط الأرواح ووصلها بعالم النور والفيض

ولا يضير الاعتقاد فى شىء أن يُدفئه القلب بحرارته ، وتمده الروح بأسرارها . والعواطف كانت ولا تزال ، من أهم بواعث التفكير ودواعى العمل . والجماهير أخضع عادة للغة القلوب منهم للغة العقل والمنطق ، ورب عاطفة قوية أعون على تحقيق غايات سامية من تفكير عميق .

ابراهيم مدكور

عند ذلك الغد لهم

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الغربيون يبحثون عن غد يشرق عليهم ضحاه وهم فى سلام وطمأنينة على ميراث العلم والمدنية وقد صار نفيساً عزيزاً على الذين بنوه بضياء العيون وحُرّ الدماء وحبس الأنفاس فى المعاهد والمعابد والمعامل ؛ فهم لذلك يخشون فى لهفة أن يهدمه البطر والجشع فى لحظة واحدة فتذهب مدخرات الإنسانية من العلم والمتاع ... ولا ينفك آباء الحضارة وعلماء الاجتماع يرسلون روادهم للبحث عن غد يوحى إليهم فيه الواقع أن ينشدوا نشيد السلام الذى سمعه الرعاة من السماء ليلة ميلاد المسيح « وعلى الأرض السلام وللناس المسرة » لأنهم وجدوا أن الواقع يكذب هذا النشيد منذ ميلاد المسيح إلى اليوم كما يقول القس إبراهيم سعيد فى جريدة الأهرام عدد ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٨

ونحن المسلمين الذين يتمثل فينا العقوق لأنفسنا وللمدنية ، نرى الإنسانية جاهدة فى البحث عن ذلك الغد ، تشقى أمام عيوننا وتشقينا معها ومع ذلك لا نحرك المفتاح فى باب الكنز المرصود العجيب الذى فيه لآلئ الصباح وذهب الضحى ..

وأقسم للحق ولكل حر الفكر ! أننى لا أتكلم كمسلم يقول تقليداً لقول أبيه وأمه وأمته ، وإنما أقولها بعد أن أنضجتها حجج الأيام ونهض بها كل قائم فى الفكر والحياة والزمان !

ولست كاهنا ولا رجلاً يحترف الدين للعيش ينادى على بضاعته

فى الأسواق ... وإنما أنا باحث كسر عنه كل قيد ليظفر بالحق خالصاً من غير تقليد ورجا أن يوفقه قيوم السموات ...

ثم أقسم أننى لا أريد أن أتملق من يسمون أنفسهم مسلمين ولا أن أسير فى مواكب أناس لا يدرون لماذا هم فيها سائرون ولا يسألون لماذا يسيرون . . . وإنما أتكلم بقلب إنسانى خالص للإنسانية . . . للقطيع الشقى الذى ما ظفر إلى الآن براحته من حل تلك المشكلات الكبرى : الاعتقاد ، والعيش ، والعمل . ولم يتفرغ بعدُ للقبض على مفاتيح الطبيعة التى خوله الله إياها لأخذ أسرارها المخبوءة فيها حتى تصعد بها روحه إلى السماء فى سلام ورضا

إلى الآن لم يظفر ذلك المخلوق التائه بنعمة الاستقرار وإتاحة الفرصة لعلمائه أن يجاهدوا فى الكشف عن عرائس أحلامه ؛ لأن كباش القطيع لا تزال تتهارش وتتغنى بمجد الأنياب والأظفار . لا تزال خيلاء المجد مجد الديكة المتنفشة المزدهية تسوق الناس فى ضباب من الشعر إلى الجحيم .. حتى المسلمون قد أخذهم الهول من كل جانب وغشى ضباب الزمان وضلال الإنسان على عيونهم فنسوا ما بين أيديهم من العواصم ... نسوا مضخات الحريق واندمجوا فى المحترقين ...

ما الذى تملكه لإصلاح غدنا وغد الناس ؟

سأجرد الأهم من التركة فاقرأوا الأسماء :

نملك اعتقاداً صافياً ليس فيه شىء يفسد على العقل الإنسانى ألفته ؛ إذ أن إلهنا هو إله الطبيعة الذى يدرك العلماء والحكماء والفلاحون السائرون على الفطرة أسماءه وصفاته كما ندركها نحن .

ونملك سماحة فى النظر إلى القاصرين الذين لم يدركوا إدراكنا ولم يعتقدوا اعتقادنا ، لا نحمل أحداً على ترك دينه إلى ديننا كرها.

ونملك فهماً واسعاً وتقديراً جيلاً لجهود المجاهدين من الرسل السابقين كتقديرنا لرسولنا .

ونملك سلاماً عميقاً فى أرواحنا ننشد له فى صلواتنا نشيداً لم يترك جهة من جهات الحياة إلا ألقى عليها الأمان والدعاء : فسلام على النبى ، وسلام على العباد الصالحين للحياتين ، وسلام على النفس وإيحاء لها به فى هذا الموقف العظيم بين يدى رب الحياة ودخول فى السلم كافة وجنوح إليها مع الجانحين ، وتحية بيننا سلام .

ونملك كتاباً تنزل آياته دائماً من السماء ... لأن صور الدنيا وحرب الخير والشر وتقلبات النفس فى الهدى والضلال ومظاهر المجتمع وظواهر الطبيعة هى مادة ألفاظه وهى مادة الحياة .

ونملك حلاً دائماً لمشكلة الفقر والغنى مشكلة المجتمع ... مادة الدمع والدم ، مادة الدعوات والأحزاب ، مادة الثورات والحروب .

ولا ندين بعصبية جنسية ولا دموية ولا لونية . ولا نقدس الوطنية والمحلية هذا التقديس الوثنى الضيق .

ونملك الرحمة بكل حى ذى كبد رطبة إنساناً أو حيواناً ، عدواً أو صديقاً .

ونملك تقديس حريات الحياة فلا يهدر حق نفس فى نظامنا إلا بحق الحياة .

مأمورون بصداقة الطبيعة لأنها باب ربنا ومصدر علومنا وأستاذ عقولنا ...

أخلاقنا هى كل ما يرفع النفس ويسمو بالحياة .

محرماتنا هى كل ما يفسد الجسم والنفس .

اللذات الطيبات وزينة الحياة هى عندنا أعمال دينية إذا ذكرنا فيها اسم رب الحياة ، واستحللناها بكلمته وإذنه ، ونظرنا إليه فى متاعنا بها كما ينظر الأطفال إلى أبيهم وهم يأكلون وينعمون !

العلم عندنا تعبد ، لأنه يرينا يد الله فى كل شىء ... ويجعل لنا الطبيعة محاريب دائمة لصلاة الفكر .

* * *

هذا هو ميراثنا مضغوطاً فى ألفاظ معدودة يضعها كل مسلم حقيق فى عقله وقلبه . ثم يسير فى الحياة عاملاً ساعياً للمجد والحق إلى أن تخرجه من الدنيا اليد التى أدخلته إليها ...

أفلا يرى كل عاشق للفكر والحق والسلام والصلاح أنه مضطر إلى أن يقف فى صف الحراس لهذا الميراث ، وأن يجاهد فى سبيله ما وسعه الجهاد ؟

أفلا يرى كل من يحس بنفسه ، ويفكر فى وجوده ووجود دنياه أن راحته النفسية وألفته العقلية ، ونوازعه الشريفة تتطلب منه أن يقدم جسده ليكون ثوباً لهذه المعانى تلبسه وتسمى به ، وتبطش فى حرب الخير والشر ؟

أيها الملحدون من أبناء المسلمين !

هل آن لكم أن تعيدوا النظر بهدوء فى مفردات هذا الميراث لتروا أننا لسنا مخرفين ولا هارفين ، وأننا لم نعشق خيالاً ، ولم نضع ضلالاً ؟

ألا ترون أن الجهاد فى هذا السبيل إنما هو جهاد للانسانية

لا لعصبية جنسية ولا لغايات اقتصادية ، وأن خير ما تقدمونه للغرب الآن مكافأة له على جهوده فى سبيل العلم هو هذه المعانى الإسلامية التى يحتاجها بالذات ، ويرسل من أجل مثلها رواده ورصد أرصاده ؟

إن الغرب كفر بالدين لأسباب تعلمونها ... وليست هذه الأسباب فى الإسلام ، حتى تكفروا به . وإن أفق الإسلام هو نفس الأفق الذى تتجه إليه حياة الفكر والحكمة والحرية .

وإن أصول الإسلام هى خلاصة الاتجاه الدينى فى نفس الإنسان منذ فجر التاريخ إلى الآن، هى أصول ثابتة فى الأرض فارعة فى السماء ثبات الحق والعقل .

كل ما فى الغرب جاءنا وعرفناه ؛ فما كان فيه من خير وجدناه فى ميدان الإسلام ، وما كان فيه من نقص وجدنا كماله فى الإسلام . فماذا يحملنا على خلعه وإهداره إلا الضعف والسفه ؟ ما الذى يحملنا على السير وراء قافلة ضائعة فى بيداء ونحن فى الطريق الواضحة التى عليها صُوًى وأعلام ؟

ربما يكون السبب فى تمرد بعض النفوس على الإسلام أن كثيراً ممن ينتسبون إليه الآن هم لعنات مجسمة تجمع القبح والجهل والسوء وتمشى فى الأرض مشى الطاعون ...

ولكن لأجل هذا يجب أن نجاهد ... لأجل إنقاذ الإسلام من هذه الأجساد التى تلتصق به كما تلتصق القاذورات بمحراب جميل يجب أن نجاهد ...

نريد أن نخلصه من المنتسبين إليه زوراً ونعرضه على الجاهلية كأنه حقيقة تاريخية ضائعة قد عثر عليها باحث منقب فى بطون الكتب والأسفار أو طبقات الأرض .. أجل ، من مصلحة الإسلام أن يدرس على أنه نظرية ليس لها أناس يتبعونها وأن محمداً صاحب الإسلام قد ظلم فى الماضى أكبر ظلم وقع على رجل فى التاريخ ! فلقد شوه الجهلة والمتعصبون والمجرمون اسمه فى أوربا كتشويه اسم الشيطان ... كل هذا لأنه نبى رسول من الله ! والمسلمون الآن يشوهون اسمه بالجهل والذل ...

وأقسم بالعدالة ! إن محمداً لو لم يكن رجلاً إلهياً ممدوداً بوحى الله ، وكان رجلاً بشرياً من أبطال التاريخ كالاسكندر أو سولون أو نابليون أو هولاكو ... إذاً لحظى من تقدير الأوربيين بما لم يحظ به بطل ...

إن ذكريات ابن سينا والفارابى والزهراوى وابن رشد والبتّانى وغيرهم يحتفل بها فى مجامع أوربا ويدرس تاريخها بنزاهة مع أنها ثمرات ضئيلة من ثمرات محمد ... ولكن محمداً رجل الخير المطلق والحق المطلق لا تقام لذكرياته حفلات وجميات ، وإنما تلصق به كل شنيعة وعضيهة ...

بل لقد ظلم من كثير من أتباعه أيضاً ؛ لأنهم صاروا يحسبونه رجلاً من رجال الآخرة فقط ... يعد النفوس للموت وما بعده ولا يعدها للحياة هنا ، فاتخذوا القرآن أوراداً وتسابيح وتعاويذ وتمائم ، وتركوا التفكير والعمل بما فيه من آيات القوة والمجد والعزة والإعداد لهذه الحياة الدنيا ... وافتتنوا ببضائع الفكر المجلوبة من الغرب كما افتتنوا ببضائعه المادية كالأحذية والخمور ...

ولكن روح الحق لا تموت ، وعين العدالة الإلهية لا تنام ، وما كان الله ليضيع إيمان الناس وهو الذى تعهدهم بالرسالات كلما ضللتهم قوى الشر عن طريقه . ولذلك ابتدأ يزلزل عناوين النظم الأوربية ويضرب بعضها ببعض أمام أعين المسلمين حتى يعود لهم يقينهم بثبات عناوين الإسلام

ولا يزال روح الحق الذى تمثل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجذب إليه الأفكار الحائرة والقلوب الضالة التى تبحث عن الحق والسلام . فتقيم له موازين الإنصاف بعد الإجحاف . ويخطئ من يظن أن الإسلام قد انقضى عهد عزته فى القلوب والعقول ، فإن عزة الإسلام لا تكون إلا فى أيام العلم والحرية ، ولا يذل إلا فى أيام الجهل والاستبداد

ها نحن أولاء نرى من سير التاريخ الحاضر أنه كلما تقدم الزمان بالمسلمين خطوة إلى العلم والحرية ، تقدم بالإسلام إلى الحسنى

إن رسالة محمد ليست تبنة تذهب فى الريح أو ورقة جافة تحرق فى موقد ، أو بدعاً من بدع الزمان يذهب بذهاب جيل وفناء قبيل وإنما هى مَرَدُّ الحق والخير وخلاصة جهاد الذين جاءوا بهما إلى الناس من عهد آدم إلى يومهم هذا

وإن الذين يعرفون ما فى الإسلام من سعة وعمق واستيعاب يدركون تماماً أنه إنما يليق لمثل هذه الأزمنة التى نعيش فيها وما بعدها أكثر مما كان يليق بالأزمنة الماضية

وإن ما فيه من الحرية والمساواة والأخوة والتسامح والسلام والفكر لا يمكن مطلقاً أن يفهم فهماً صحيحاً إلا على ما فى عصرنا الحاضر من تجارب . فعلينا أن نفهمه ونؤمن به ونعمل له عمل المتقدمين

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم محمد خلاف

من التاريخ الإسلامي

هيلانة ولويس

للأستاذ علي الطنطاوي

كل شيء ساكن سكون الموت ، مظلم ظلمة القبر !

ولقد أسدل الليل فروعه السود ، فغطى على المعركة اللاحبة الأوار ، وأخفى هذه الساحة المفروشة بالجثث ، وهذه الأصلاد المصبّغة بالدم ، وأرخى الستار على مشهد من أروع مشاهد المأساة التي يمثلها الإنسان أبداً على مسرح الوجود فيلبس فيها جلد الذئب وأظفار السبع وأنياب الثعبان . . . فسقط جنود المعسكرين صرعى الجهد والكلال ، وهجموا كالقتلى لا يحسّون ولا يحلمون ، وأمست خيامهم ومنازلهم جامدة لا حياة فيها كهذه الصخور الصمّ التي تحيط بها من كل جانب . . .

وتلك هي الحرب ، آفة الحياة ، وعار الإنسانية !

تلك هي الحرب : تنفجر الأذهان بالعلوم والمعارف ، وتنفرج الأيدي عن الصنائع والمصانع ، واللطائف والزخارف ، وينفق الوالدون النفس والنفيس لتنشئة الأولاد وتهذيبهم ، فإذا استكمل البنون الفتوة والقوة ، وأزهرت الفنون وتقدمت وارتفعت المصانع وسمت ، وأخذت الحياة زخرفها وازّينت ، جاءت الحرب فأودت بذلك كله ، فجعلته حصيداً كأن لم يغن بالأمس . . .

فياويل الحرب . . . ويل لها ما لم تكن دفاعاً عن شرف أو حياة أو دين !

***

كل شيء ساكن سكون الموت ، مظلم ظلمة القبر ، إلا خيمة في معسكر النصارى نائية ، ينبعث من شقوقها وفرجها ضوء خافت ، ويسمع من جوفها همس ضعيف ، لو أنت أصغيت إليه لسمعت صوت امرأة تتكلم بلسان الإفرنج تقول لصاحبة لها :

— ماذا يشجيك الليلة ياهيلانة ، وما الذي جدّد أحزانك ، وهاج آلامك ؟ أفزعت من هذه المعارك العابسة التي جئنا نخوضها ونصلى نارها دفاعاً عن (قبر . . .) المسيح ؟ أم هو الحزن على لويس قد خامر نفسك ؟ لا تحزني يا هيلانة فقد كان مقدراً عليه هذا المصير ؛ ولقد عرفه ومشى إليه مطمئناً راضياً ، فاصبري يا أختاه ، فإن لويس في السماء . ألا يسرّك أنه مات في سبيل النصرانية ؟ فلا تدعي اليأس يخالط نفسك القوية في هذه الساعة التي تحتاجين فيها إلى الصبر والجلد !

وسكتت المرأة وعاد السكون يغمر الدنيا . . . ومضت فترة طويلة لم يسمع خلالها نبأة ، ولكن النور الضعيف لبث منبعثاً من شقوق الخيمة ... ثم ظهر القمر يطل على الدنيا بوجه شاحب كأنه وجه عليل مدنف ، أو ميت محتضر ، وأبدت أشعته الكليلة ما كان الليل قد ستره ، فبان من خلالها ذلك المشهد الموحش المرعب وقد زاده شحوبها وحشة وهولاً . . . فخرجت المرأة من الخيمة وجلست على مقربة منها تتأمل وتفكر ، وكانت في الثلاثين من عمرها ، ذات عينين زرقاوين واسعتين ، وشعر كستنائي اللون ، وبشرة بيضاء ناعمة ، وكانت جميلة جذابة ، ولكن في أنفها طولاً ينأى به عن الجمال . . .

كانت تنظر إلى تلك الخيام وقد انتثرت على السفوح والصخور ، وتمدّ البصر إلى جيش أعدائها المسلمين وقد احتل القلمات العالية ليحمي أسوار المدينة ويدرأ عنها ، وتفكر في هذه الحياة المروّعة التي تحياها ، فتمتلئ نفسها حسرة على حياتها الوادعة في ماضيات لياليها ، يوم كانت في قريتها المتوارية في حجر صخرة من صخور (الألب) لا تعرف إلا هذا العالم الصغير الذي يحدّه شرقاً منعطف الوادي ، ويحده من الغرب المضيق الصخري

الضيق ، ومن الشمال والجنوب غابة الصنوبر الفتانة وهى تحتضن القرية وتنبسط على السفح الجيل ، وذلك السور الصخرى يطيف بذلك كله ويمانقه ويدفع عنه الأذى . لقد كانت ترى من يوغل فى الوادى ، ويحتجب عن القرية فى ملتفاته ومنعطفاته بطلاً من الأبطال ؛ أما هذه الجلاميد ، وهذه الذرى المشرفة على القرية ، فلم تفكر يوماً من الأيام فى البحث عما وراءها ، ولم ترتق بفكرها إلى أعاليها لتفكر ماذا فيها ... فكيف طوّحت بها الأقدار فألقت بها فى هذا العالم النائى الغريب الذى لم تكن تدرى به أو تعلم له وجوداً ! وكيف كتبت عليها أن تفقد زوجها الحبيب ، وأن تعيش وسط الذعر والموت ؟

واشتد بها الضيق ، وزاد بها الحنين إلى ماضيها الهانئ ، وصور لها الوهم القرية فرأتها أمامها ، وشاهدت الغابة التى يقطعها فتيان القرية وفتياتها كل صباح ومساء ، ليبلغوا العين فيزدحموا عليها ليرتووا من مائها العذب النمير ، ويذهبوا ظمأ أجسامهم ، وليرتووا من العيون الأخرى فيطفئوا ظمأ نفوسهم إلى الحب ... فذكرت كيف عرفت فتاها الحبيب ، وقد رأته أول مرة على باب داره تلقاء الغابة ، فأحست كأن عينيه قد اخترقتا شغاف قلبها ... ورأته بعد ذلك فى الغابة ولكنها لم تجرؤ أن تكاشفه بحبها ... وهل تجرؤ على مثل ذلك فتاة ؟ حتى كان ذلك اليوم السعيد الذى يمر فى موكب حياتها بهيًّا مشرقاً ، على حين تمر أيامها الأخرى شاحبات غائمات ... فجلست معه تحت تلك الشجرة المنعزلة أحلى مجلس فى حياتها ، إذ قد أعلن فيه مولد الحب بقبلة مسكرة لا تزال تحس طعمها فى فيها ، وأثرها على شفتيها ...

لقد كانت سعيدة فى هذه القرية ، تعيش فى جنة الغرام ، لا تعرف إلا قلبها وربها ، فهى تصبح فتمشى إلى الكنيسة لأنها لم تعرف لله بيتاً خيراً منها ، فتتوجه فيها إلى الله بالصلاة التى حفظتها ... وتمشى فتطوف فى الغابة يدها فى يد الزوج الحبيب ، حتى تبلغ كنيسة حبها تحت الشجرة المقدسة ، فتؤدى فيها صلاة الحب على دين الغرام ، قبلة فيها (كما قال ابن أبى ربيعة) خمر وعسل !

كانت القرية كلها فى أمن ودعة ، حتى نزل بها ذلك الرجل ، فنزل بها البلاء وهبطت المصائب ، وتعكرت حياتها الصافية كأنما هى بركة ساكنة ألقيت فيها صخرة من الجبل ... كانت القرية فى ذلك الصباح مستلقية فى فراش أمنها ترشف بقية أحلام الليل اللذة ، تنهض مع الشمس فتعمل على تحقيقها ، وكانت الغابة تصلى وقد شمرت أشجار الصنوبر للعبادة عن سوقها ، ووقفت بين يدى باريها صفوفاً للصلاة ، وقامت الطير تتلو صلواتها على منابر الأغصان ، ووقف الورد والزنبق فى الحدائق خاشعاً مصغياً ، وسبّحت السواقى بحمد ربها فكان لتسبيحها وسوسة دائمة جميلة ، وأصاخ الجبلان وصمت الوادى ... فلم يفسد هذه الصلاة الخاشعة فى معبد الطبيعة إلا صرخة تدوّى فى الوادى ، يحملها صوت مبحوح ، كأنه صوت جريح ينضح صراخه بدمه ، فيسمع الصوت أحمر قانياً يقطر دماً . وتوالت الصيحات الحمر ، وازدادت شدة وهولاً ، فحملت الذعر إلى بيوت القرية وأرباضها وأوكارها وأبدلت بصباحها الباسم صباحاً كالح الوجه مربدّاً قبيحاً ، وذهب القوم يستقرون الصوت ويتقصونه ، فرأوا قساً من القسوس مكشوف الرأس ، منفوش الشعر ، قد لبس المسوح ، وطفق يلقى عليهم باللاتينية تارة وبالفرنسية تارة أخرى ، ما يفهمون ومالا يفهمون ؛ وكان يمر فى كلامه (الخطر الداهم) و (المسيح) ثم عرض عليهم صورة (القبر المقدس...) الذى ينزل عليه النور ، والذى يحجون إليه ويتبركون به ... وقد قام فارس من فرسان المسلمين ، فوطئه وأهانه وجعل الفرس يبول عليه[1] ... وكان يعرضها باكياً نادباً ناتفاً لحيته ، منذراً بفناء النصرانية وضياع الدين ، ويدعو إلى إنقاذ (القبر...) من أيدى (الكفرة المسلمين...) فذهب الهياج بالعقول ، وأطار الأفئدة ، وألغت الحماسة المنطق ، ونسى الناس كل شىء إلا هذه النار التى سرت فى العروق ، ومشت إلى الدماغ فألهبته ، فنهضوا يتبعون الراهب إلى حيث لا يعلمون ، إلى إنقاذ (قبر المسيح ...) من أيدى (الكفرة المسلمين ...) الذين أهانوه وحقروه ! ...

وكانت هيلانة وزوجها من المؤمنين ، فلما قالوا لهما إن المسلمين أكلة لحم البشر ، وأنهم ذئاب الإنسانية ، وأنهم عدوا على المسيح .. نهضا يدفعهما الإيمان الذى عبث به القسوس ، واستغلوه وأوقعوا فى أبناء آدم هذه الذبحة المروعة ، فأخذا الطفل الوليد وساروا مع الجموع — نحو بيت المقدس ...

(١) كذا جاء فى التاريخ .

وعاودتها ذكرى زوجها الحبيب ، فانفجرت باكية ، فأيقظ صوتها صاحبتها فخرجت تراها ...

— مالك يا هيلين ؟ لماذا تبكين ؟ لم لم تنامى ؟

فلم تجب واستمرت تبكى ، فعادت ترفه عنها وتواسيها .

— ماذا عراك يا هيلانة ؟ أجيبى ، كلمينى ، لا تقتلى نفسك بسكوتك .

— لويس !

وخرج اسمه زفرة متصعدة من أعماق القلب ، غارقة بالدمع ، وعادت تبكى .

— اصبرى يا أختاه . إنه فى السماء ، ثم إن عندك لويس الصغير ، ألا تسمعين كيف يبكى ؟ إنه ابنه يا هيلين ، ابن الحبيب ، فعيشى من أجله . أريه ألوان السرور والمرح ، تسعد روح لويس فى سمائها . هاك الطفل يا هيلانة ، ألا ترين أن بكاءك يؤلمه ؟

فأخذت هيلانة الطفل ، تضمه إلى صدرها ، وهى مغمضة العينين ، وتقبله فى عنقه الدافئ ، وتمرغ وجهها فى صدره . ثم تضع خدها على خده ، وهى تهمس باسم لويس ، كأنما تذكر فيه مولد الحب وقبلاته الأولى ...

— ٢ —

وهجعت هيلانة وصاحبتها ، وانطفأ هذا النور الكليل الذى كان ينبعث من الخيمة ، ومرت من الليل ساعات ...

وكان معسكر المسلمين صامتاً مظلماً لا يرى فى خلاله إلا النور الذى يسطع من خيمة السلطان ، وكان الجند نائمين يستريحون من عناء النهار الماضى الذى خاضوا فيه حرباً من أشد ما عرفوا من الحروب ، وبذلوا جهد الجن حتى استطاعوا أن يشقوا الطريق إلى (عكا) المحصورة ، وكان المدد يتتالى على جيش العدو من البحر ، وكاد يجزع المسلمون عندما رأوا الأمداد ، ولكن منظر السلطان ثبتهم ، فقد كان ينظر إلى المراكب تحمل الصليبيين إلى البر ، فلا يثنيه مرآها ولا يدخل الروع إلى قلبه ، بل كان يراها مستبشراً متفائلاً مؤمناً بنصر الله . ولقد خبّر القاضى ابن شداد رفيق السلطان الجند وقص عليهم أن السلطان عدّ بنفسه من العصر إلى الليل سبعين مركباً نزلت إلى البر تنقل المدد والذخيرة فما ضعف ولا اضطرب ، ولا تغيّر اعتقاده بالله الذى يعتقد بأن النصر من عنده . وكان السلطان أشد القوم تعباً لأنه كان يباشر أمور الحرب بنفسه ، وينتقل خلال المعركة ، ويعرض روحه للمهالك ، ثم يبيت الليل ساهراً يدبر أمور المسلمين لا يبالى راحته ولا صحته فى سبيل إعلاء كلمة الله .

فى تلك الساعة كنت تلمح رجلين يتقدمان فى الظلام يريدان معسكر المسلمين ، وهما يخطوان بحذر ، ويقفزان على الصخور بخفة ونشاط ، وقد حمل أحدهما هنة صغيرة ملفوفة بخرقة بيضاء قد ضمها إلى صدره برفق، وأحاط بها يسراه بعناية، وأمسك بيمناه السيف مصلتاً خشية أن يفجأه كمين أو يعرض له عدوّ فى هذه الظلمة الحالكة، وكانا صامتين . فلما جاوزا (اليزك) ودخلا معسكر المسلمين وأمنا ، وضعا السيوف على الأرض وجلسا يستريحان وقد أبقى الأول حمله على ذراعه وأحاطه بطرف ثوبه مبالغة منه فى العناية به ، وقال لرفيقه :

— ماذا ترى السلطان قائلاً لنا ؟ أتراه راضياً عن عملنا وهو الذى أوصانا ألا نعرض للنساء والأطفال ، وألا نمس الأعزل بسوء ، وأن ندع القسوس ، ولم يسمح لنا إلا بسرقة المحاربين والجند ؟ أفلا تحسبه يكره ما أتينا هذه الليلة ويكون غضبه علينا أضعاف رضاه عنا يوم سرقنا ذلك القائد من فراشه ؟

فأطرق الثانى كأنما كان يفكر فى غضب السلطان ، ويبحث عن سبيل الخلاص من هذه الوهدة التى سقطا فيها ، ثم رفع رأسه فجأة وقد أشرق وجهه بنور الأمل وقال له :

— لماذا يغضب ؟ أليس الله قد أباح لنا أن نردّ العدوان بمثله ؟ أما بدأونا هم بمثل هذا أول مرة ، وروّعوا نساءنا وسرقوا أطفالنا فلما صبرنا عنهم وترفعنا عن مقابلتهم بمثل فعلهم ، ظنوا ذلك عجزاً منا فأوغلوا فى عدوانهم الآثم الدنىء ؟ أفندعهم يفعلون ما يريدون لا نمدّ إليهم يداً ؟

واطمأن الأول إلى هذه الحجة ، فقاما يسيران فى هذه البقاع التى كانت فيما مضى رياضاً زاهرة وتلالاً خضراء معشبة ، فجعلتها الحرب قفراً خالياً ، وقبراً واحداً مفتوحاً ، وألبستها ثوباً دامياً من أشلاء أبنائها ، حتى بلغا خيمة السلطان فوجداها مضيئة فعلما أنه لم ينم ، ووقفا ينتظران الإذن ليعرضا عليه ما جاءا به ، لأنه كان يطلع بنفسه على كل كبيرة وصغيرة ...

ومرت ساعة ومال ميزان الليل وهما واقفان ، فسمعا حركة ورأيا رسولاً يحاول أن يدخل على السلطان وهم يمنعونه حتى أنبأهم أنه يحمل رسالة خطرة مستعجلة لا يجوز تأخيرها ، فخبر السلطان فسمح له وقابله على خلوة لم يكن فيها إلا ابن شداد القاضي ثم خرج الرسول على عجل ، وخرج من بعده ابن شداد معلناً أن السلطان سينام قليلاً ، وكان ذلك في السحر ... فأيس الرجلان من لقائه وذهبا ينتظران الصباح

ولما كان الصباح ذهب أول الرجلين يلقى القاضي ابن شداد يسأله عن أمر السلطان، وكان صديقاً له ، فحدثه أن الرسول حمل إلى السلطان نبأ مروعاً هو أن جيشاً من الصليبيين الألمان يزحف نحو الجنوب في عدد هائل ، فلم يستطع أحد من أمراء المسلمين في الشمال أن يرده أو يقف في وجهه فأصبح المسلمون بين نارين

تفكر السلطان في الأمر ، ثم جمع الملوك والقواد ولم يكن يقطع أمراً دون مشورتهم ، فهبوا من فرشهم ، وجفوا راحتهم في هذه الليلة العصيبة التي يلتمس الراحة في مثلها أشد الناس مراساً ، وأكثرهم صبراً ، فلما اجتمعوا عرض عليهم الأمر ، فبذلوا له طاعتهم ، ولكنهم تهيبوا الإقدام على هذين الجيشين ، واضطربوا لهذا الخطب الذي لم يتوقعه أحد منهم ، ولم يكن هؤلاء الملوك والقواد من الجبناء الرعاديد ، بل كانوا أبطال الحومة ، وسادة الجلاد ، ولم يفقدوا الإيمان الذي قابلوا به جيوش أهل الصليب كلها حين جاءت يحدوها التعصب الذميم ، ولا الشجاعة التي ردوا بها هذه الجحافل الجرارة ، وقسموها قسمين ، قسم مصرع على الثرى قد ذهب ضحية العدوان الآثم ، وقسم طائر على وجهه فزعاً لا يدرى أين المحط ، فتصدع الخميس العرمرم تحت ضرباتهم المسددة وهتافهم المظفر ، كما يتصدع القطيع من الغنم إذا سمع صوت الأسد وأحس أنيابه ... ولم ينسوا طعم النصر الذي ذاقوه، ولا النهاية الماجدة التي ختمت بها الوقائع الماضية التي خاضوا غمرتها ، ولكن لم يكن في تلك المعارك مثل هذا الخطب العابس الذي حمل نبأه الرسول ... فغاضت الحماسة من صدورهم وإن لم تنفد ، وسكنت قليلاً لتستجم وتنهض من جديد؛ أما نفس السلطان فلا تني ولا تلين ، وحماسة السلطان لا تبلغ منها خطوب الدنيا كلها ، وإنهم لمن العظماء ذوى النفوس الكبيرة ، ولكن أنى لهم بمثل نفس السلطان وخلاله البارعة وبطولته الفذة التي تحققت مرتين فقط في تاريخ البشر كله: في عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي ، ولم تعرف في غيرهما إلا خيالاً يلوح ولا يظهر ، وإشارات تلمح ولا تبصر !

فلما رأى السلطان هيبتهم صرفهم . ولبث وحده مهموماً يفكر ...

قال الرجل : فماذا فعل السلطان كان الله له ؛ كم يحمل وحده من الأهوال التي تخر تحتها الجبال ، وتعجز عن حملها الأمم !

قال ابن شداد : جلس يدبر أمره ، ويرسم خطط القتال وهو مهموم قد أخذ منه التعب والنعاس ، وأنا أنظر إليه ليس معنا ثالث إلا الله ، فسألته أن ينام ساعة فيستريح ؛ فظن أني قد نعست فقال لي : (لعلك جاءك النوم .) ونهض ... فخرجت أمشى إلى خيمتي فلم أصل إليها وآخذ في بعض شأني حتى أذن الصبح . فعدت لأصلى معه على عادتي ، فوجدته يمر الماء على أطرافه فقال لي حين نظر إلى : (ما أخذني النوم أصلاً) فقلت : قد علمت . قال : من أين ؟ قلت : لأني ما نمت وما بقي وقت للنوم

ثم اشتغلنا بالصلاة وجلسنا على ما كنا عليه ، وجعلت أفكر في أمره وما يحمل من الهم وما ورد عليه من الشدة وذكرت أن قتيبة بن مسلم وقع في إحدى الشدائد وهو يحارب الأتراك وضاق به الأمر ، وتكاثر عليه العدو ، وبذل كل ما يستطيع من القوة والمكيدة فلم يغن ذلك عنه شيئاً. فقال: أين محمد بن واسع؟ قالوا: هو في أقصى الميمنة جانح على سية قوسه يومى بأصبعه نحو السماء. فتهلل وجه قتيبة واستبشر ووثق بالنصر ، وقال : والله لتلك الأصبع الفاردة أحب إلى من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير. فلما فتح الله عليهم قال له : ما كنت تصنع ؟ قال كنت آخذ لك بمجامع الطرق

وذكرت أن قواد المسلمين الذين دوخوا العالم ، وأخضعوا الممالك ، وملكوا الأرض ، لم يملكوها بقوتهم وعددهم وإنما ملكوها بإيمانهم والتجائهم إلى الله ، ورأيت السلطان قد وقف حياته على الجهاد في سبيل الله ، وباع نفسه من الله ، ولم يقصر في فريضة ولم يهمل نافلة ، بل كان ينزل حينما أدركته الصلاة فيصلي ويسمع الحديث بين الصفين ، ولم يعرف عنه ميل إلى دنيا

أو حرص على لذة من لذائذ العيش . فأيقنت أن دعاءه لا يرد ، وأنه هو الولىّ إن عدّ الناس الأولياء، وهو التقى إن ذكر الأتقياء. فقلت له : قد وقع لى واقع وأظنه مفيداً إن شاء الله

قال : وما هو ؟ قلت : الإخلاد إلى الله ، والإنابة إليه ، والاعتماد فى كشف الغمة عليه

قال : وكيف نصنع ؟ قلت : اليوم الجمعة، يغتسل المولى ويصلى ويتصدق بصدقة خفية على يد من يثق به ويدعو الله وهو ساجد فيقول : « إلهى قد انقطعت أسبابى الأرضية فى نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك. أنت حسبى ونعم الوكيل »

وإن الله أكرم من أن يخيب من يلتجئ إليه !

— ٣ —

وقطع القاضى حديثه ونظر إلى تلك المرأة التى أقبلت تريد خيمة السلطان ، وهى سافرة تصيح بلسان الافرنج وتعول باكية تشير إشارات الفزع المروّع، فأقبل عليها يسألها ماخطبها ...

وكانت هيلانة بذاتها ، أفاقت فلم تجد طفلها فخرجت من الخيمة جاحظة العينين مجنونة تصيح باسم ولدها وهى تعدو على غير هدى، تسير فى كل سبيل تسأل كل من ترى عن ولدها هل رأى ولدها؟ أين ذهب ولدى ؟ ماذا أعمل ؟ ساعدونى . فتشوا لى عن ولدى . أين ذهب ؟ هل مات ؟ من أخذه ؟ أأكلته الذئاب ؟ هل تدخل الذئاب إلى المعسكر ؟ أم قد سرقه اللصوص ؟ آه أين أنت يا ولدى؟ ألا تردونه علىّ ؟ ارحمونى يا ناس . فتشوا لى عن ولدى ...

وانطلقت تعدو فى أرجاء المعسكر ، حتى بلغت خيمة القواد فاقتحمتها ، وهبطت على أقدامهم تولول وتصيح ... فأخذتهم الشفقة بها ولكنهم كانوا عاجزين عن معونتها. فصمتوا ، وبالغت فى البكاء والتوسل ، فرأى قائد منهم أن يبعث بها إلى صلاح الدين

— إن الرجل شهم وشريف ، وفارس نبيل ، وما نحسبه يسد أذنيه دون شكوى امرأة مفجوعة تسقط على قدميه باكية ذليلة ترجوه أن يردّ عليها ولدها الوحيـد ... وهو الذى قبض بالأمس على قائد الحملة الفرنسية ، فلما صار بين يديه وانتظر القتل لم ير منه إلا الإكرام والإحسان ، خلع عليه وقدّمه ورفع مجلسه وسيّره إلى دمشق معزّزاً مكرّماً ، فلم يستطع القائد أن يرفع بصره إليه لعجزه عن شكره ، ولخجله من نفسه حين قابل بين صنيع السلطان به ، وصنيعه هو بمن أسرهم من قواد السلطان...

ووافق القواد على ما وصف به صلاح الدين من النبل والشرف والإنسانية، فسيروا المرأة إليه، فانطلقت تعدو حتى تقطعت أنفاسها وهى تتحامل على نفسها وتعود إلى السعى تريد أن تقطع الطريق كله بوثبة واحدة ترى من بعدها ابنها ، أو يكون فيها حتفها ، وتخشى أن تتأخر لحظة فيصيب ابنها شر ... يا رحمة الله على الأمهات ! وكانت نفسها كالبحر الغضبان لا تستقر فيه موجة حتى يموج موجة أخرى ... وكانت الصور تتردّد على نفسها متعاقبة يأخذ بعضها بأعقاب بعض ، فبينما هى تتصوّر فرحها بلقاء الطفل فتقدم مسرعة ، إذا بها تفكر فى هلاكه فتقف لحظة كأنما لطم وجهها القدر بكفه ، ولكنها تطرد هذه الصورة من نفسها ولا تطمئن إليها، ويعاودها الأمل قويًّا منيراً، ويخالط الأمل خوف وإشفاق ، ثم تمرّ عليها صور من حياتها الأولى تجوز آفاق نفسها بسرعة البرق فتهزها هزًّا عنيفاً ثم تمضى إلى غايتها وترجع صورة الولد فتحتل خيالها كله ...

حتى بلغت (اليزك) فصاحوا بها : قفى . فوقفت تنظر ماذا يريدون ... ولم تكن تدرى ما (اليزك) وما الحروب ، وما جاء بها إلا إيمانها الذى استغله دعاة الشر وسخروها من أجله لمنافعهم فحرموها زوجها وطفلها وجرعوها كما جرعوا الآلاف المؤلفة من البشر غصص الآلام !

وجعلت تصرخ فيهم صراخ اللبوة التى فقدت أشبالها ، وتخاطبهم بالفرنسية :

— ابنى ، ابنى أيها الجند ؟ ردّوه علىّ ، أريد ابنى ، فلماذا تمسكونه ؟ لماذا تعذبون امرأة مسكينة ؟ أين هو ؟ هل قتلتموه ؟ لا ، لا أرى على وجوهكم سمات الوحشية . إنى ألمح الشفقة على هذه الوجوه ، فلماذا لا تردون علىّ ابنى ؟

فلا يفهمون منها شيئاً ، فتعود إلى صراخها حتى جاء رجل منهم يعرف لسانها فسألها :

— ومن هو ابنك أيتها المرأة ؟

— ابنى لويس. لويس. أنا هيلانة. ردّوه علىّ. أريد أن أقابل السلطان .

فأخذته الرحمة فتركها تمر ودلها على الطريق إلى خيمة السلطان فذهبت تعدو

***

قال لها القاضي :

— ولكن السلطان الآن فى شغل . يجب أن تنتظرى ساعة

— لا . لا . أتوسل إليك ، أخاف أن يصيب ابنى سوء ، فدعنى أذهب إليه

فقال لها القاضي : اذهبي مع هذا الرجل . وأمره أن يدعها ساعة فى خيمة الأسرى حتى يستأذن لها على السلطان ، وينبئه نبأها . وظنت أنهـا فى طريقها إلى السلطان ، فسارت صامتة مسرعة ، فلما دخلوا بها الخيمة ورأت الأسرى ، عادت تصيح وتولول ، فنبـه صياحها الأسرى ، واستفاض حتى بلغ خيمة السلطان فبعث يطلبها . . . وكان فى أقصى الخيمة أسير اضطرب لما رآها ووجف قلبه ، ولبث بصره عالقاً بها حتى خرجت من حيث جاءت ، فلبث مفكراً مشدوهاً ، تطفو على وجهه خيالات أفكار هائلة وذكريات بعيدة ، ثم تراخى رأسه فأسنده بكفيه ، وظل ساكناً تنطوى جوانحه على البركان ... الذى انفجر بعد دقائق ، فنهض الأسير يصرخ صراخ الوحش الكليم : أريد أن أراها ، أريد أن أراها . . .

وراع صياحه الأسرى وهم يعهدونه وديعاً كالحمل ، فأقبلوا يسألونه ، فلا يأبه لهم ولا يكلمهم ، وأسرع إليه الحراس يكلمونه فلا يجيب إلا بهذا الصراخ ، فرفعوا أمره إلى السلطان وأدخلوه عليه . . . فلما احتواه مجلس السلطان طأطأ رأسه ووقف خاضعاً ، وكانت عظمة السلطان تملأ نفسه إكباراً له ، وكان يحس فيها الشكر الخالص لما رأى من إكرام السلطان فى هذه المدة الطويلة التى قضاها أسيراً عنده ، ثم رفع رأسه وجعل يقلب نظره فى أرجاء المجلس فوقع على هيلانة وهى راضية مطمئنة وابنها فى حجرها ، وهى تنظر إلى السلطان نظرة شكر وحبّ ، ثم رآها تنهض فجأة فتجثو بين يديه فتقبل قدميه وتتقاطر دموعها ، فيتململ السلطان وينهضها . . . فلم يعد يتمالك نفسه ، فأسرع نحوها على غير شعور منه ، فلما رآه الطفل هتف به : بابا . . . ووقع بين ذراعيه . . . ونظرت المرأة مبهوتة لا تكاد تصدق ما ترى ، وجعلت تنظر حولها لتتثبت مما ترى ، ولتعلم هل هى فى يقظة أو فى حلم ، ثم صاحت : لويس ! أنت حىّ ؟

وفهم السلطان القصة فحول وجهه حياء وتركهما يتعانقان...

***

ولما تلفت السلطان وجدهما جاثيين بين يديه يحاولان شكره ، فلا تجاوز الكلمات شفاهما إلا وهى جمجمات غامضة ، فقال لهما :

— إنّـا لم نفعل إلا ما يأمرنا به ديننا ؟

قالت المرأة :

— أدينك يأمرك بهذا ؟

— قال : نعم ، فإن الإسلام رحمة للعالمين ، للانسانية كلها .

قالت : أفتضيق هذه الرحمة عن امرأة مسكينة ... تحب أن تسعد وتحيا بسلام ، فى ظلال الإسلام ؟

فتهلل وجه السلطان ، وقال لها : إن رحمة الله وسعت كل شىء

قالت : كيف أغدو مسلمة ؟

قال : تشهدين أن الله واحد ، وأن محمداً رسول . لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

فنطقت بها ، وتلفتت إلى زوجها فوجدته ينطق بالشهادة .

***

وخرج ويده فى يدها يذكران الماضى الحلو ، والقرية الهادئة .

— لقد تركنا البنفسج ياهيلانة مخضراً يانعاً ، فهل أزهر من بعدنا البنفسج فتضوّع أريجه فى جوانب الحديقة ؟ وشجرة التفاح هل تدلت ثمارها ، وارتخت أغصانهـا ؟ والعين هل بقيت على صفائها ... أواه ياهيلانة ! هل لنا من رجعة إلى ذلك الوادى السعيد وتلك الغابة التى ولد حبنا فى جنانها ونما واكتمل ؟

— لا يالويس، إنا لن نعود . إن يكن حبنا قد ولد فى تلك الغابة ، فإنه قد بعث هنا بعد ما مات . هنا عدت إلى ، وهنا عرفت الله ، وهنا رأيت النبل والطهر والإنسانية ، فلنبق هنا يالويس ... أليست هـذه هى الأرض التى ولد فيها المسيح ؟ إننا لم نخسر المسيح ، ولكننا ربحنا معه محمداً !

***

وتقدم الجيش بعد ساعة ، يمشى إلى الظفر مكبّراً مهللاً ، وكان لويس فى طليعة الجيش !

« دمشق »

على الطنطاوى

النواحي الإنسانية فى الرسول

للدكتور زكى مبارك

أعتقد أن شخصية النبي محمد لم تُدرس حق الدرس إلى اليوم فى البيئات الإسلامية لأن المسلمين يجعلونه رسولاً فى جميع الأحوال : فهو لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحى من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل

ومعنى ذلك أن شخصية محمد فى جميع نواحيها شخصية نبوية لا إنسانية

يضاف إلى هذا أن جمهور المسلمين يعتقدون أن النبوة لا تُكتَسب ، وهم يعنون بذلك أنها لا تنال بالجهاد فى سبيل المعانى السامية ، وإنما هى فضل يخص الله به من يشاء

وإنما غلبت هذه العقيدة لأن الإسلام نشأ فى بيئات وثنية ، أو خاضعة للعقلية الوثنية ، والرسول لم يَشْقَ بين قومه إلا لأنه حدثهم بأنه بَشرٌ مثلهم ، ولو أنه كان استباح الكذب لحدثهم بأن فيه عنصراً من الألوهية لوصل إلى قلوبهم بلا عناء

***

الواقع أن محمداً كان آية من آيات التاريخ ، ولكن كيف ؟ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم . فبنو آدم يصلحون لكل شىء إلا سماع كلمة الحق

أراد الله أن يكون الإسلام إعزازاً للفكرة الإنسانية، ولكنْ بنو آدم يؤذيهم ذلك ؛ لأنهم خضعوا الألوف أو ملايين من الأوهام التى تشل القلوب والعقول

كان محمد إنساناً بشهادة القرآن ، والقرآن كتاب سماوى نص على أن محمداً إنسان ، وبنو آدم يؤذيهم أن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق !

وفى غمرة هذه الضلالة نُسيت النواحى الإنسانية فى حياة الرسول وإلا فمن الذى يصدق أن رجلاً مثل محمد يضيع من عمره أربعون سنة بلا تاريخ ؟

ولأى سبب ينسى الناس أو يتناسون تلك المدة من حياة الرسول ؟

إنهم يصنعون بتاريخ الرسول ما صنعوه بتاريخ الأمة العربية لأنهم أرادوا أن يخضعوا خضوعاً تاماً للمعجزات ، فالنبى لم يكن رجلاً عبقرياً وإنما خصه الله بالرسالة فكتب له الخلود ، والعرب لم يكونوا أمة قوية وإنما ارتقوا بفضل الرسول

وما يجوز عند جمهور المسلمين أن يقال : إن الله خصَّ محمداً بالرسالة ، لأنه كان وصل إلى أسمى الغايات من الوجهة الإنسانية ، ولا أن يقال : إن الله اختار ذلك الرسول من العرب ، لأنهم كانوا وصلوا إلى غاية عالية من قوة الروح .

***

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أمشى على الشوك وأنا أقيد هذه الفكرة الفلسفية ، لأن بنى آدم يحتملون جميع الأفكار ، إلا الأفكار المتصلة بحيوات الأنبياء

ثم ماذا ؟

كان محمد إنساناً قبل أن يكون نبيًّا ، وذلك من أعظم الحظوظ التى غنمها فى التاريخ ، فسيأتى يومٌ قريب أو بعيد يثور فيه الناس على الأمور الغيبية ، ولكنهم لا يستطيعون أن يثوروا على عبقرية محمد .

كان محمدٌ فى سريرة نفسه إنساناً يخطئ ويصيب ، بدليل ما وُجِّه إليه من اللوم أو العتاب فى القرآن ؛ وهو قد خضع للضعف الإنسانى فذرف الدمع السخين يوم مات ابنه ابرهيم ، وهو

قد عانى الحب والبغض كسائر الناس ، وهو قد توجع من ظلمات الخطوب، وهو قد تألم من غدر الأصدقاء، ثم لم ينج من الكرب عند سكرات الموت

* * *

أحبك أيها الرسول !

أحبك لأنك كنت إنساناً له ذوق وإحساس ، ولم تكن كما يصورك الجاهلون الذين رأوا عظمتك فى أن تكون حاكياً لوحى السماء ، وما أنكر وحى السماء ، ولكنى أومن بأن فى السريرة الإنسانية ذخائر من الصدق والروحانية ، وأنت أول نبى أعز السريرة الإنسانية .

أليس دينك هو الدين الذى تفرد بالنص على أن المرء يتصل بربه بلا وسيط ؟

أحبك أيها الرسول وأشتهى أن أتخلق بأخلاقك السامية . أحب أن أكظم غيظى كما كنت تكظم غيظك . أحب أن أسلم بجهادى من شهوات النفس كما سلمت بجهادك من شهوات النفس . أحب أن أفر من الشيطان كما فررت من الشيطان ، على شرط أن أحب الحياة كما أحببت الحياة

أتدرى لماذا أحبك أيها الرسول ؟

لأنك أول من شرع الديمقراطية بين الأنبياء . ألست أنت الرجل الذى كان يتبذل فى أكله ويقول :

« إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد »

أتدرى لماذا أحبك أيها الرسول ؟

أحبك لأنك جعلت الحرب فى سبيل الحق شريعةً من الشرائع وهى مزية إنسانية ، وكان الأنبياء من قبلك يكتفون بالتفكير فى عجائب الملكوت !

أحبك لأنك أعلنت حبك لطيبات الحياة واحتقرت الرهبنة والانزواء فى المعابد والصوامع

أحبك لأنك انتقلت من المعلوم إلى المجهول

أحبك لأنك أعززت الشخصية الإنسانية يوم اعترفت بأنها صالحةٌ للخطأ والصواب

ولكن ما رأيك فيمن يقاومون الحرية الفكرية باسم الغيرة على دينك ؟

ما رأيك فيمن لا يرضيهم أن تكون إنساناً يتذوق أطايب الحياة ويلهو أحياناً بالمزاح المقبول ؟

ما رأيك فيمن يحاربون الفنون والآداب باسم الدين ؟

ما رأيك فيمن يتوهمون أن الشخصية النبوية مجردة من البهجة والأريحية ؟

ما رأيك فيمن يُخرِجون من فردوس العقيدة الصحيحة كل من يتبسم بسمة الحب لأطايب الحياة ؟

أنت حاربت الزهد ، وحاربت العبوس ، وحاربت اليأس ، ولكن بعض الناس يرون الإيمان لا يكمل إلا عند من يغرقون فى لجج المسكنة والكآبة والقنوط

كنت إنساناً أيها الرسول قبل أن تكون نبيًّا ، وتلك الإنسانية هى التى فتحت صدرك للصفح عن هفوات الناس ، وهى التى جعلتك تنظر إلى ضعفهم بعين العطف ، وهى التى قضت بأن تذوق ملوحة الدمع فى بعض الأحيان

أنت نزهت نفسك عن الشعر ، الشعر المحبوس فى قواف وأوزان ، ولكنى لا أنزهك عن الشاعرية العالية التى تواجه الوجود بنظرٍ ثاقب ، وقلب حساس

وكيف تخلو من الشاعرية وقد خلوتَ إلى مناجاة القلب فى غار حِراء ؟

كيف تخلو من الشاعرية وقد كنت رجلاً فحلاً يجيد اقتراع المعانى ؟

أنا أعرف لماذا نزهت نفسك عن الشعر أيها الإنسان الحساس إنما نزهت نفسك عن الشعر لأن الشعراء فى عصرك لم يكونوا عظماء الأرواح

وإلا فأى شعرٍ فاتك وأنت تدعو إلى التفكير فيما خلق الله من غرائب وأعاجيب ؟

أى شعر فاتك وأنت تجعل السير فى الأرض من واجبات الرجال؟

أى شعرٍ فاتك وأنت الذى أشار بالأفضلية فى الإمامة لمن وهبهم الله حسن الوجه وجمال الصوت ؟

أى شعرٍ فاتك وكان شخصك الكريم قيثارة تتغنَّى بمحاسن الوجود ؟

* * *

الآن عرفتُ لماذا يضن عليك بعض أتباعك بصفة الإنسانية، إنما فعلوا ذلك لأنهم فى ذات أنفسهم لا يؤمنون بعظمة

الإنسانية ، أما أنت فقد رميت بالكفر كل من يريد أن يخلع عليك ثوب الألوهية لأن الله خصك بأجل مزية من مزايا الإنسانية وهى الصدق

لقد فكرتُ مرات كثيرة من الاقتراب من روحك فلم يعقنى عائق لأن بينى وبينك وشيجةً من الإنسانية

ودعانى الشوق مرة إلى مسامرة خيالك فرأيتك إنساناً كاملاً لا تقع عينه على غير الجميل من شمائل الأصدقاء

وصحبتك مرةً فى بعض غزواتك فهالنى أن تكون رجلاً نبيلاً يصبر على الظمأ والجوع والأذى فى سبيل الحق

وشهدتك وأنت تعانى الكرب من فضول الناس وتزّيد المنافقين وتقوّل السفهاء فعرفت أنك إنسانٌ ممتاز ، لأن الابتلاء بأذى الناس لا يكون إلا من حظوظ الممتازين بين الرجال

وشهدتك يوم الموت وأنت تواسى ابنتك فتقول: «لا كرب على أبيك بعد اليوم » فعرفت أن الكرب فى الدنيا مقصور على عظماء الرجال

شهدتُ من أخلاقك وشمائلك ما شهدتُ ، أيها الإنسان الكامل ، فزدتُ اقتناعاً بأنك على خلق عظيم

ولكن ما هى العظمة فى خلقك ، أيها الرسول ؟

أنت رويت القرآن عن جبريل فيما يقول المؤمنون ، وأنشأت القرآن فيما يقول الملحدون . وهذا القرآن فيه لوم كثير وجه إليك ، فإن كان وحياً من السماء فأنت غاية الغايات فى أمانة التبليغ ، وإن كنت أنت منشئ ذلك الكتاب كما يتقول الملحدون فأنت غاية الغايات فى أدب النفس ، لأنك سجلت ما آخذت به نفسك فى كتاب مجيد

وأين الرجل الذى يدين نفسه بنفسه كما صنعت أنت حين رويت القرآن أو حين أنشأت القرآن ؟

لقد وضعت أعظم دستور للسريرة الإنسانية ، وهو دستور الصدق ، يا أصدق من عرف التاريخ من الرجال

* * *

أما بعد فقد ارتاض القول بعد جوح ، وصار من السهل أن أحكم بأن النبوة عهد من عهود العظمة فى الطبيعة الإنسانية ، ولولا خوف الفتنة لردت هذا المعنى تفصيلاً إلى تفصيل

محمد إنسان ، ولكنه إنسان مظلوم ، لأن أتباعه جردوه من فضل الاجتهاد فى سبيل الخير والحق والجمال

وهنا تظهر مزية جديدة لذلك الرسول هى نكران الذات ، فلو كان محمد رجلاً من أمثال فلان وفلان وفلان من الذين نقلوا أممهم من حال إلى أحوال لملأ الدنيا بالحديث عما وضع للحياة من أصول وقوانين

ولكن محمدا كان يحبّ أن يعيش مسكيناً وأن يحشر بين المساكين ، وقد جزاه الله خير جزاء ، فخصه بالعظمة فى الحياة وبعد الممات

محمد بشرٌ مثلكم يا بنى آدم ، وقد دعاكم إلى التخلق بأخلاقه ، ولم يكتف بذلك، بل دعاكم إلى التخلّق بأخلاق الله إلا الكبرياء

فهل رأيتم إنسانية مثل هذه الإنسانية ؟

محمد تحدث عن هفواته — إن كان له هفوات — ليدلكم على أن العظمة الحقيقية لا تكون إلا باتهام النفس والحذر من طغيان الأهواء

كان محمد يقول فى صدر خطبته « أيها الناس » أو« يا عباد الله» وأنتم تقولون فى صدور الخطب « أيها السادة » أو « سيداتى ، سادتى » .

فتأملوا الفرق بين العبارتين لتعرفوا أنه كان يبتعد عن تملق الأهواء .

استطاع محمد أن يتحدث عن هفوات الأنبياء ، وعجزتم أنتم عن الحديث عن هفوات الزعماء

فاعرفوا — إن شئتم — أن عظمة محمد من الوجهة الإنسانية هى تمجيد الصدق والخوف من زيغ القلوب

قد تقولون : إن الله أوحى إليه أن يكون كذلك .

وأجيب بأن أكمل خصيصة من خصائص الرجال هى الصلاحيةُ لتقبُّل وحى السماء .

وللسماء وحىٌ فى كل وقت ، ولكن أين القلوب التى تسمع ؟ إن محمداً حدثكم بأن الرجل يستطيع أن يخاطب ربه بلا وسيط .

فأين المسلم الذى فهم أسرار الحروف واتجه بقلبه إلى مناجاة فاطر الأرض والسموات ؟

أين المسلم الذى تأدب بأدب الرسول فعرف أنه مسئول أمام الله لا أمام الناس ؟

* * *

والآن أرجع إلى نفسى فأقول :

في غار حراء

مهبط الرسالة

للأستاذ محمود الخفيف

أينَ من قدرِكَ جهدُ الشعراءْ   يا قرينَ الطُّورِ في نجوى السماءْ؟
أشفقَ الشعرُ ، وكمْ راودتُهُ   تجرِي كالصُّبحِ بسّامَ الرُّؤى
زاهرَ الضفّةِ رفّافَ الرُّواءْ

طابَ السامرُ يا شِعرُ النشيدْ   وهفَا المِزمارُ لِلَّحنِ الجديدْ
هاتِ يا شِعرُ حديثاً طالما   ملأَ الأعصرَ وحياً ومشَى
مِلْءَ سمعِ الدهرِ لحنًا وحُداءْ
هيه... صُغْ لحنكَ في أمِّ القرى   أعبُرِ الأجيالَ واطوِ الأعصُرا
إقطعِ البيدَ إلى مُنعزَلٍ   التقتْ فيهِ السمواتُ العُلى
مرّةً بالأرضِ في غارِ حِراءْ !
غنِّنا عن شاهقٍ عالي الجبينْ   تتملّاهُ عيونُ الناظرينْ
هرَميٍّ نازعٍ مُستشرِفٍ   للسمواتِ ، منيعِ المُرتقى
للعلى رمزٌ وللحقِّ لواءْ
جبَلِ النُّورِ الوضيءِ النسبِ   لقبٌ يا حُسنَهُ من لقبِ !
أين في الأرضِ مكانٌ مثلُهُ   بيّناتُ اللهِ فيهِ والهُدى
لمعَتْ فانجابَ في الكونِ العماءْ ؟
مَهبطُ النورِ على هذا الوجودْ   مُرتقًى أوحى له معنى الصعودْ
شَدَّ ما يملأُ نفسي سِحرُهُ   ولكمْ تلمحُ روحي من رُؤى
ومعانٍ عبقرياتٍ وِضاءْ !
هاتِ ألحانكَ عندَ الجبلِ   غنِّ يا شِعرُ بهِ لا تحفلِ
امتلِئْ ما شئتَ من روعتِهِ   إلتمسْ وحيكَ في هذا السنا
وترنَّمْ ، يحلُ يا شِعرُ الغناءْ
هاتِ حدِّثنا عن الراعي الأمينْ   ذلكَ الأميِّ ، عند الأربعينْ
ذلكَ الأميِّ من علّمهُ ...   غنِّ في بيدائهِ كيفَ اهتدى
واجتلى في الأرضِ آياتِ السماءْ ؟
يا رِمالَ البيدِ هذا جاهدُ   هادئُ النظرةِ ماضٍ صاعدُ
يا رِمالَ البيدِ كمْ شاهدتِهِ   يحملُ الزادَ ويمضِي ؛ هل رأى
حولَهُ غيرَ الرواسي والفضاءْ ؟
يهمسُ الرُّعيانُ ... ما يشغلُهُ   أيُّ أمرٍ حازبٍ أذهلَهُ ؟
شاحبُ الوجنةِ لا من علّةٍ   مُطرِقٌ هامتَهُ ، واني الخُطى
طالَ في اللهِ بهِ عهدُ الرجاءْ

كان محمد إنساناً ، ولكنه كان أعظم من جميع الناس لأنه لم ير الغنيمة فى غير المعنويات .

كان محمدٌ يستطيع أن يبنى لنفسه داراً تشبه إيوان كسرى ؛ وكان يستطيع أن يبنى لنفسه قبراً يشبه هرم فرعون ، ولكنه آثر أن يحيا ويموت وهو فى مَتربة المساكين .

إن محمداً ظلم نفسه لينتصر ويفوز ، وقد انتصر وفاز .

إن محمداً حرم نفسه أبهة الملك ، وباسمه عاش الملوك .

إن محمداً حرم نفسه الشهرة بإجادة البيان ، وبفضل الكتاب الذى بلّغه عاش البيان . فيارسول الله ويا إمام العرب والمسلمين إليك أوجّه أصدق الثناء .

زكى مبارك

(غار حراء)

يا لهذا العربيّ الصائم ... ابنِ عبدِ اللهِ ، أزكى هاشمِ
بلغَ الغارَ فألقى زادَهُ ... يا لهُ من لاغبٍ طاوي الحشا
أكثرُ الزادِ لهُ تمرٌ وماء !

يا نجومَ الليلِ أضناهُ السهرْ ... لم ينلْ من طرفهِ طولُ النظرْ
هلْ أتى مكةَ ما أرّقهُ ؟ ... حسبُها من ليلها طيبُ الكرى
يغرقُ السمّارُ فيه السعداء !

إيهِ شمسَ الصبحِ ، يانورَ الأزلْ ... هلْ جلاكِ اللاتُ يوماً أو هُبلْ ؟
اسألي مكةَ عن أصنامِها ... اسألي السادةَ في أمّ القرى
عن تماثيلَ لها حقُّ الولاء !

حدّثي يا شمسُ عنْ أنصابها ... وأولي الغفلةِ من أصحابها
حدّثي عن ظلمةِ العيشِ بها ... وعن الشحناء فيها والخنا
وذوي الفحشِ بها والخيلاء

تؤثرُ الليلَ على الصبحِ اتجاها ... كلّها يسبقُ في الشرّ فتاها
بلدةٌ كمْ غرّها باطلُها ... ليسَ في شرعتِها إلا الهوى
شرعةِ الجورِ ودينِ السفهاء

لاذَ بالوحدةِ في عزلتِهِ ... ذلك الواحدُ في نشأتِهِ
ذلكَ انفردُ من أيامِهِ ... ما دعا داعي الصبا إلا أبى
وتولّى وهوَ موفورُ الإباء

كمْ يعاني اليومَ مما يحملُ ... لاذَ بالغارِ ففيهِ الموئلُ
هاجسٌ في نفسِهِ يشغلُهُ ... ينسخُ اليأسَ بهِ لمحُ أُني
ساعةً ثم يغشّيه الخفاء

يا لعانٍ يعظمُ الكونُ لهُ ... كمْ يرى الرهبةَ فيما حولَهُ
كمْ لهُ في صبحِهِ إذ ينجلي ... ثمّ في الليلِ إذا الليلُ سجا
من يقينٍ وجلاءٍ واهتداء !

هذهِ الأفلاكُ من يمسكُها ... في الفضاءِ الرحبِ من يسلكُها ؟
والرواسي الشمُّ من شيّدها ... من دحا الأرضَ ومن ساقَ الحيا
فسقى التربَ بهِ حيثُ يشاء ؟

منْ لهذا الساجدِ المقتربِ ... هلْ تلي في أمسِهِ من كتبٍ ؟
هلْ بنتْ أمُّ القرى مدرسةً ؟ ... منتهى ما علمتْ تلكَ الدمى
يتملاها بنوها النجباء !

مَنْ لِهذا الفَرْدِ فى بَيْدائِهِ   يرْوِى العالَمِ أو أنبائِهِ
هَلْ أتاهُ نبأٌ عن فارِس   هَلْ عن الشامِ ومصرٍ من نَبا
وعن الرُّومِ وأرضِ الحُكَماءِ ؟

ضجَّ بالعُدوان ذاك العالَمُ   ما يُرى هادٍ له أو عاصِمُ
الهــداياتُ بهِ حائرةٌ   والضَّلالاتُ به استشرت فما
يَفهَمُ الرَّحمةَ إلا الضعفاءُ !

باتَ ما طافَ بِهِ من قَبَسِ   فى ظَلامِ الأرضِ كالمُختَبِسِ
يا لَها مِن شُعلةٍ خابيةٍ   غَرِقتْ أو أوشكت فيما جرى
من دموعٍ هاطِلاتٍ ودِماءٍ !

لَوَت الشُّعلةَ عن وِجهَتِها   أُمَمٌ ثارتْ على وَمضتِها
ضَرَبَ الغَيُّ على آذانِها   واشترَت بالحقِّ والنُّورِ العمى
فتغَشَّتها دياجيرُ الفناء

طابَ للأُمِّيِّ فى الغارِ المُقامْ   ليس يثنيه مِهادٌ أو صِيامْ
للسَّمٰوات العلى مُستشرِفٌ   فى دُجى الليل وفى نورِ الضُّحى
ضارِعٌ لله موصولُ الدُّعاء

سابحٌ فى الملكوتِ الدائمِ   والجَلالِ المُستفيضِ القائمِ
مُطلَقُ النَّفسِ رَضِيٌّ آمِلٌ   صُوَرُ الحقِّ بهذا المُجتَلى
أمدَّتهُ بِرَوحٍ وانتشاء

رَوعةُ التَّسبيحِ فى نَظرتِهِ   وجَلالُ الحقِّ فى مُهجتِهِ
ساجِدٌ لله يرجو وَجهَهُ   صابرٌ مُرتقِبٌ جَمّ الرِّضا
خاشِعُ المُهجةِ مَصدوقُ الولاء

طاف بالرغبِ على مَضجعِهِ   هامِسٌ يهمِسُ فى مِسمَعِهِ
ياله الله ! أرؤيا نائم   ماله يَسمَعُ لكن لا يرى
حوله إلا هواءٌ أو هباء ؟

إنها الشُّعلةُ جاءت من جديدْ   للوَرى فيها طريفٌ وتليدْ
هبطَ الغارَ بها الرُّوحُ الأمين   ساقَها اللهُ لِطهَ المُصطفى
ابنِ عبدِ اللهِ خيرِ الأنبياء

قَبَسُ اللهِ العلى الأكرمِ   «علَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلَمِ»
قَبَسُ الله الذى أوحى له   ظَلَّ يرجو نورَه حتى انجلى
رائعَ الإشراقِ وهّاجَ الضياء

هلَّ نورُ اللهِ فى أعلى الجبل   أبشِري ياأرضُ قد هَلَّ الأملْ
حَمَلَ ابنُ البيدِ ما أُلهِمَهُ   ومَشى الراعى رسولا للورى
يرفعُ الشُّعلةَ من بعدِ انطفاء

يارِمالَ البيد قد جاء البَشيرْ   نزلَ الدّاعى إلى الحقِّ النَّذيرْ
انظريه ... نوره بين يدَيهِ   أيُّ نورٍ مِثلَ هذا أو مضا
أيُّ قَولٍ حارَ فيه الفصحاء ؟

غمَرَ النُّورُ جباهَ الصّابِرينْ   وتمشّى بين أيدى الفاتِحينْ
مِنْ رُبُوعِ الهِندِ للأندَلُسِ   ألهمَ النّاسَ المُلا أنّى مَضَى
فهُمُو فِى الدِّينِ والدُّنيا سواء

الخفيف

بين مصر وإيران

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

الترابط بين الأمم والشعوب ضرورة اجتماعية، تقتضيها طبيعة الوجود، والرغبة فى التعاون والمنفعة. وإن الأمم لتأخذ لهذا الترابط بأسباب مختلفة، وتقيمه على اعتبارات متباينة؛ فهى مرة تقيمه على الأغراض المشتركة، والآمال المتفقة، والمذاهب المتماثلة؛ ومرة تدعو له باسم الوشائج الجنسية، والروابط العصبية؛ ومرة تشرعه بدعوى العلم والحضارة والصالح العام؛ وفى هذا العصر يتخذه القوم وسيلة لسد المطامع، والجشع الاستعمارى، وفرض السلطان على الشعوب الضعيفة؛ وهم فى كل هذا يوثقون له بالمعاهدات والمحالفات والمشارطات والمؤتمرات تقام ثم تنفض، وقد ملأ القوم الدنيا بالخطب الرنانة، والوعود الخلابة، والرغبات التى ظاهرها الرحمة للانسانية، وباطنها الويل كل الويل للانسانية.

وكل هذا باطل فى منطق الحق، وكذب على طبيعة الوجود، وإن صح فى خسيس من المذاهب رجس كما يقول أمير الشعراء. وإن التاريخ ليخبرنا بوقائعه وتجاريبه بأنه ما وثق بين الأمم والشعوب مثل تبادل العواطف، وما وثق فى تبادل العواطف مثل المصاهرة: تلك الفضيلة الاجتماعية التى جعلها الشرع الإسلامى صلة من صلات المودة والألفة والاتحاد، وأنزلها منزلة القرابة العصبية واللحمة فى النسب، فقد حرم على الشخص أن يتزوج بأم زوجته أو بأنثى من فروعها وأصولها. كما حرم عليه أن يتزوج بأمه أو بأنثى من أصول نفسه وفروعه، وكذلك حرم على زوجته الاقتران بأحد من أصوله أو فروعه، فكأنما أنزل الله كلاً من الزوجين منزلة نفس الآخر حتى أنزل فروع كل منهما وأصوله بالنسبة إلى الآخر منزلة أصول نفسه وفروعه. وهذا برهان يقيمه لنا الشرع الحكيم على أن الاتصال بطريق المصاهرة مساو لنفس القرابة النسبية فى الأحكام والحقوق والألفة والاحترام.

على هذا الاعتبار القويم تتخذ الأمم الرشيدة من المصاهرة رابطة مودة، وواسطة سياسية، وعلاقة تامة يكون بها التعاون والرغبة فى الإفادة والخير؛ بل على هذا الاعتبار جرت عوائد الأمم فى الأزمنة الغابرة، فكانت القبائل والعشائر تتصاهر إذا أرادت أن تدخل فى ميثاق يكون به المعونة على دفع الشر وجلب الخير؛ ولو أن دماء سفكت بين قبيلتين، وعداوة تمكنت بين أمتين، حتى ملوا مقارفة النزال، وكلوا من مقارعة النضال، ورغبوا فى الأمن والطمأنينة والسلام، لم يجدوا وسيلة تقطع دابر العداوة فيهما، وتوثق روابط المحبة بينهما، إلا أن تتصاهر القبيلتان فتصيرا كأسرة واحدة، وتدخلا فى عهد جديد تتوحد فيه المشاعر والعواطف، وتصح به الهمم والعزائم، وتقوى الرغبات والآمال

وعلى هذا الاعتبار الذى تقتضيه الطبيعة، وتشير به الشريعة، وتقره وقائع التاريخ، تقوم اليوم الصلة بين شعبين كريمين: بين مصر ذات المجد الخالد، وإيران صاحبة التاريخ التالد. والصلة بين مصر وإيران صلة قديمة منذ العصور الغابرة، فالتاريخ يحدثنا بأنه لما ظهر «كورش» مؤسس الإمبراطورية الفارسية العظيمة، فاندفع فى الغزو والاستعمار حتى استولى على ليديا وميديا وآسيا الصغرى وتوغل شرقاً إلى شواطئ السند، خشيت الدول بأس الفرس، وعقدت ضدهم تحالفاً ضم بابل وليديا ومصر وبعض ولايات الإغريق، فنهض «كورش» المظيم للانتقام من الدول المتحالفة، فأعاد ليديا لطاعته، وفتح بابل من جديد، ثم مات وفى نفسه الرغبة فى غزو مصر!

فلما تولى من بعده «قمبيز» عمل على تنفيذ الرغبة، فجاء بجيش جرار إلى مصر، وكانت مصر منيعة بالتحصين، ويقول مؤرخو الإغريق أنفسهم: إن أحد الجنود اليونانيين خان المصريين فدل الفرس على أسهل الطرق فى اقتحامها، وبهذا استطاع «قمبيز» أن يفتح مصر بعد مقاومة شديدة، حتى لقد أسر ملكها «ابسماتيك الثالث»، واشتط فى معاملة المصريين، فأذاقهم ألواناً من القسوة والحنق، وهزئ بدياناتهم فهدم المعابد والهيا كل، وقتل بيده العجل أبيس فى أحد الاحتفالات الدينية

فلما تولى «دارا الأول» أراد أن يصلح ما أفسده «قمبيز»، فزار مصر، وأبدى احتراماً عظيماً لديانات المصريين ومعبوداتهم، حتى لقد شيد هيكلاً فخماً بواحة سيوة لمبودهم آمون، وبنى كثيراً من المدارس ودور العلم، وعضد التجارة ففتح الخليج

الموصل بين النيل والبحر الأحمر، وأصلح طريق قفط المار بوادى الحمامات، وعلى الرغم من هـذا كله فقد انتهز المصريون الفرصة فى هزيمة «دارا» مع الإغريق فى موقعة «مرتون»، فخرجوا على طاعته، واستردوا استقلالهم بزعامة أمير من الوطنيين، ولكن الفرس عادوا إلى غزو مصر ثانية فى عهد ملكهم «إجزرسيس»، فقابلهم المصريون بالثورة والتمرد . وهكذا ظل الفرس على الرغبة فى استعمار مصر، وظلت مصر فى الثورة على هذه الرغبة حتى جاء الفاتح العظيم الأسكندر الأكبر فطوى مصر وفارس فيما طوى من الأمم والشعوب

تلك هى صلة مصر بفارس فى التاريخ القديم، وهى كما ترى صلة الفتح والاستعمار، ورغبة السيطرة وبسط النفوذ . فلما كان مطلع التاريخ الحديث اتصل المصريون بالفرس اتصال محبة ووفاء واحترام، فتمكن الود بين السلطان الغوري والشاه اسماعيل الصفوي على دفع الخطر العثمانى الداهم، فسمح الغورى بأن يمر بطريق الشام الوفد الذى أرسله الشاه إلى البندقية لعقد محالفة على محاربة العثمانيين، ولما زحف السلطان سليم الأول على بلاد الشاه وأراد أن يكتسح فارس بأجمعها، وجد الشاه قد أتلف كل ماخلفه فى المدن والقلاع من المئونة والذخائر، فأرسل السلطان سليم فى طلب المدد والزاد من بلاده، ولكن قبائل التركمان وإمارة النادرية التابعة لمصر أغارت على قوافله ومنعت وصولها إليه، فقلت الأقوات فى معسكره، واضطرب الأمر فى جيشه، وحرم لذة انتصاره، فأسرها السلطان فى نفسه، وكانت مما تعلل به فى غزو مصر وضمها إلى خلافة آل عثمان

واليوم ترتبط مصر وفارس برباط المصاهرة الكريمة، أعنى رباط القرابة والنسب، والود والألفة، وإنه لوضع ثابت فى الاختلاط بين الشعبين، وعهد جديد فى التعاون بين الأمتين الخالدتين، وميثاق صريح صحيح يؤكده دعامتان: «دين» يوحدبيننا فى المشاعر والأفكار والعواطف والميول والأخلاق والعادات، «وثقافة» مستمدةمن تعاليم الإسلام، وسياسة القرآن، وكل ماخلف العرب من أفانين العلوم والمعارف . والدين والثقافة عند علماء الاجتماع هما أهم المبادىء التى تحفظ كيان الأمم، وأقوى العناصر فى تكييف حياتها ورقيها . أليس بفكرة الإسلام وحدها استطاع محمد صلوات الله عليه أن يجمع شمل تلك القبائل المتفرقة المتخاذلة، وأن يخلق منهم تلك الدولة العظيمة التى دوخت العالم، وتبوأت أرفع مكان فى التاريخ ؟!

ولا شك أن الشرق اليوم هو اللقمة السائغة التى يتقابل على التهامها أمم الغرب، ولا شك أنه لا طاقة للمسلمين بدفع هذا الخطر ولا قائمة لهم إلا بتبادل الشعور والعواطف، وإحكام الروابط والصلات، والرجوع إلى وحدة إسلامية لا مناص من الرجوع إليها كما يقول أستاذنا المراغى . ولا شك أن هذه الصلة الوثيقة بين مصر وإيران، قد قربت الوصول إلى تحقيق هذه الوحدة، وستكون إن شاء الله طالع سعد للاسلام والمسلمين، وتوثيقاً لعرى القومية بين أمم الشرق التى هدها نفوذ الغرب وجشعه، وأنهكها طول التفرق والانقسام .

أميرة مصر وأمير إيران يقترنان ... ألا إنه لبراعة استهلال للعام الجديد، وطائر يمن للشرق والإسلام، ورغبة أمتين كريمتين فى الخير والمحبة، ثم هو صلة بين قلبين طاهرين، وعاطفتين نبيلتين، نسأل الله أن يحوطه برعايته، وأن يقرنه بالسعادة والبركة، وأن يحقق به الآمال والرغبات، وأن يجعله وسيلة الخير والسلام لغاية الخير والسلام

محمد فهمى عبد اللطيف

رسالة الإسلام الخالدة

للأستاذ محمد فريد وجدى

وقر فى عقول أهل العلم الغربيين، وعقول من نهل من حياضهم من الشرقيين، أن الأديان التى احتضنت الجماعات البشرية منذ نشوئها إلى عهد قريب قد انتهى دورها، وانقضت رسالاتها، لعدم وجود نفع يرجى للجماعات الراهنة منها. وكثيراً ما أُسأل: هل رسالة الإسلام لا تزال قائمة؟ فأجيب: نعم، وأبد الدهر. ولست فى تأكيدى هذا بواقع تحت سلطان العقائد الوراثية، ولا بمخدوع بالأوهام التقليدية، ولكنى مستند فيه إلى علم، وماض فيه على بينة

ذلك أن كل مجموعة من التعاليم يحكم عليها بانقضاء دورها، حين تستنفد الحياة كل ما فيها من غذاء يناسبها، أو تتطور العقول وتظل هى جامدة لا تماشيها، فتترفع عن الأخذ بها؛ ولكن تعاليم الإسلام لا تجرى عليها هذه السنة، فقد جاءت بالمثل العليا فى كل ناحية من نواحى الحركة الروحية والعقلية والاجتماعية، فكيف يعقل أن تنتهى له رسالة، أو تزول له دولة؟

فأما من ناحية الحركة الروحية فإن الإسلام يصرح بأنه دين الفطرة الإنسانية، وهذه الكلمة أسمى ما يعبر به عن دين يخلد خلود البشرية. فإن الفطرة مودع فيها شريعة النوع كله بالقوة، وهى واحدة فى جميع الأفراد لا تتعدد إن لم تفسد بدس تعاليم خارجية إلى النفس تحولها عن سمتها الطبيعى. وقد شدد الإسلام فى النهى عن إفسادها بالتعاليم الضارة بها فى كل مناسبة؛ وقد زاد خاطها بحوافظ قوية من ضروب مختلفة، فنبه النفوس أولاً إلى ضرر التقليد الأعمى للآباء والقادة، وأمر بطلب الدليل المقنع على كل عقيدة يتقدم بها داع لنحلة، وصرح بأن الإيمان التقليدى لا يقبل، وأن الإنسان مسئول عن عمله الشخصى، وأن أحداً لا يغنى عنه شيئاً، وأن أكثر من فى الأرض لا يتبعون إلا الظنون والخزعبلات الموروثة، وأن الدين يهتدى إليه الإنسان على ضوء العقل الناضج والعلم المحص، وأن الإنسان يترقى فى معارج الهداية بقدر ما يخلص فى طلب الحق، ويتجرد من الأهواء والأوهام، ويثابر على النظر والفكر، ويستمع لكل كلام فيتبع أحسنه، ولا يأنف أن يأخذ بحقيقة يأتيه بها من يخالفه فى دينه ولغته، وألا يصر على قول إذا ظهر له وجه الصواب فى تركه، وألا يتعصب لمذهب أو رأى تعصباً يعميه عن نظر ما عسى أن يكون فيه من الثلم أو يرد عليه من الاعتراضات، وأن يكون دائماً حريصاً على استقلاله العقلى وحريته الفكرية، مستعداً لأن يصحح ما يتضح له أنه مخطئ فيه، معتقداً أن ليس بعد الحق إلا الضلال.

وبناء على هذه الكليات يرى الإسلام أن الناس ماداموا كلهم متشابهين فى الخلقة، ومتساوين فى الميول والعواطف، فلا يصح أن تكون لهم أديان متعددة لم يفرق بينها إلا أهواء القادة وأوهام الزعماء، فإنما هو دين واحد، دين الفطرة المؤيد بالعقل والنظر، المنزه عن الظنون والوساوس، الجامع لكل ما حصلته الإنسانية فى أدوار حياتها من مذخورات أدبية، وفتوحات روحية، فقال تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما هم فى شقاق، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» وقال: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء»

وأما من ناحية الحركة العقلية فإن الإسلام قد رفع من شأن العقل ونوه بسلطانه، إلى حد أنه اعتبر الذين لا يقيمون له وزناً فى تقدير قيمة عقائدهم دواب، تحقيراً لهم، فقال تعالى: «إن شر

الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » . وعد الذين لا يستخدمون حواسهم الظاهرة فى النظر والتأمل ، ومشاعرهم الباطنة فى الاستدلال والتعقل ، أنعاماً بل أضل . قال الله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون »

وشفع الإسلام كل هذا بالتحضيض على طلب العلم والتحريض على تصيد المعرفة من كل المظان التى يتخيلها العقل ، من النظر فى الكون والتأمل فى الكائنات ، والتنقيب عن مساتير الخليقة والسريان فى سرائر الوجود ، فى السماء وأجرامها ، فى الأرض وعوالمها ، فى الحيوانات وعجائبها ، فى النباتات وبدائعها ، كل ذلك لبناء الشخصية الإنسانية وإبلاغها إلى ذروة الكمال المقدر لها . ولقد رفع من شأن العلم فى نظر الإنسان إلى حد أنه حصر فهم آيات الله وإدراك مراميها ، وفهم منازيها فى أهل العلم ، فقال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » وقال : « إن فى ذلك لآيات للعالمين » بكسر اللام فيهما . ولا يمكن أن يتخيل أحد أن يتجاوز التنويه بشرف العلم هذا الحد

هذا ولم يغفل الإسلام فى تطلب ترقية الشخصية الإنسانية شيئاً، حتى الضرب فى الأرض، وتعرف أحوال الأمم وطبائعها ، ودراسة ما هى عليه من شرائعها وعاداتها ، وناهيك بأثر ذلك فى ترقية النفسية البشرية ، فقال تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها. أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » . وقد كرر الحض على السياحة مراراً كثيرة

وأما من ناحية الحركة الاجتماعية فإن الإسلام قد بلغ بها الأفق الأعلى ، وأوجد فى رابطة الاجتماع تجديداً لم تحلم به الإنسانية بعد ، ولا مناص فى أنها ستعول عليه فى المستقبل ، فقد جعلها الاسلام مؤلفة من الأصول الأدبية، والقواعد الخلقية، لا كما كانت قائمة عليه من الحاجات الجسدية ، والمقومات القومية . فعل الإسلام ذلك لتشمل تلك الرابطة النوع البشرى كافة ، وتلاشى فى طريقها الفروق الجاهلية القائمة على الجنسية ، والخلافات اللغوية واللونية التى كانت ولا تزال عوامل شقاء فى بنية الإنسانية ، بما تثيره من الحروب والغارات بينها ، وما تمحق من روح التكافل والتعاون فيها . فالإسلام لا يعترف بفرق بين عربى وعجمى وصينى وتركى ، وجاوى وفرنسى الخ ، فالناس كافة فى نظره أولاد آدم وحواء ، وقد خلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا ، لا ليتناكروا ويتناحروا ، فقال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير »

فالإسلام يقرر أنه ما دام النوع البشرى واحداً ، فيجب أن يكون له دين واحد وغرض فى الحياة واحد . وأنت ترى أن العالم كله رغماً عن طغيان العاطفة القومية فى هذا العصر ، وازدياد عوامل الفرقة والخلاف بين الشعوب ، سيضطر إلى التوحد ، وستكون هذه الموجة نفسها من الخلاف والتفرق من أكبر العوامل فى إيجاد تلك الوحدة المرجوة ، لأنها ستثبت بدليل محسوس أن هذه الوحدة هى العامل الوحيد لنجاة المدنية من التلاشى .

إذا اعتبرت كل ما ذكرته هنا رأيت بما لا يدع شكاً أن رسالة الإسلام لا تزال باقية ، وأنها ستبقى ما بقى النوع الإنسانى على الأرض . وإنما تزول التعاليم إذا كانت مقدرة على أحوال معينة ، متى ارتقت أصبحت تلك التعاليم لا تسد حاجة المجتمع فتزول ، أو يثبت فسادها بترقى العقول . فتتلاشى مع كل ما يتلاشى من أمثالها

ولكن ما بيناه من تعاليم الإسلام هنا لا يعقل أن يزول ، لأنها أصول أدبية خالدة ، ومثل عليا لا يمكن التمارى فى سموها ، وفى تأدى العالم فى المستقبل إلى محاولة تحقيقها .

محمد فريد وجدى

مجد المرأة وكرامتها فى كنف الإسلام

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى
مدير المساجد

أقام الشرع الإسلامى قواعد للمجتمع، على أسس اجتماعية أصلها ثابت وفرعها فى السماء. ونظر إلى الدعامة الأولى لبناء الأفراد وهى المرأة، فجعلها قسيمة الرجل فى الحياة، أمًّا أو زوجة، ثم أوضح لها شرعتها حكيمة مسدّدة تمهد لها كل ما هو ميسر لها، متسق مع طبيعتها. وطبيعة المرأة: وجدان متأثر، وعاطفة مشبوبة، وجانب لين، وأجزاء دقيقة، وهيكل متأنق، ورونق متألق، ولطف ساحر فى التأسية، وفيض ضاف من الحنان

ولقد تنطق المرأة بكلمة تواسى بها الرجل إذا تفزع فؤاده من الهول، فتفعل الكلمة فعلها فى قلبه، وتؤثر وتجدى ما لا يؤثره أو يجديه بلاغة الأساة من الرجال. ولعلك على ذُكر من كلمة خديجة أم المؤمنين يوم جاءها زوجها محمد صلى الله عليه وسلم وفؤاده يرجف من لقاء الملك، ومن تلقى الوحى، وهو أمين الله ومختاره جلادة وقوة وصبراً واحتمالاً، فلم يكن منفرجُ الروع، ولا ذهاب الخوف إلا ساعة قالت خديجة كلمتها، كلمة المواساة والترفق والأمل: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتحمل الكل، وتكسب المعدم، وتعين على نوائب الدهر»

***

أعلى الإسلام من قدر المرأة ما وسع العلاء طبيعتها، وعظم من شأنها ما شاءت الخليقة أن تعظم، ثم وفر لها من الحرية ما يناسبها ويُهيِّئ لها فى ميدانها سبيل النفع والخير؛ فلم يردُها قعيدة بيت بل سيدة بيت؛ ولم يجعلها مسلوبة الإرادة، بل شاءها طليقة فى مملكتها الصغيرة الكبيرة، ورجا لها الصيانة فى قدس الخِدْر

خطب صلى الله عليه وسلم بنت عمه أبى طالب واسمها أم هانئ، وكانت قد تزوجت ونسلت ومات عنها زوجها. فما الذى ألهمها الإسلام أن تقوله فى جواب هذا العرض المحمدى الشريف؟ لقد قالت تخاطب صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله، لأنت أحب إلى من سمعى ومن بصرى؛ وإنى امرأة مؤتمة (مات عنى زوجى) وبَنِىَّ صغار، وحق الزوج عظيم، فأخشى إن أقبلت على زوجى أن أضيع بعض شأنى وولدى؛ وإن أقبلت على ولدى أن أضيع حق زوجى»

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش: أحناهن على ولدٍ فى صغره، وأرعاهن على بعل فى ذات يده»

لم تكن تلك الحرية فيمن تختاره المرأة لنفسها قاصرة على كرائم أحرارهن، بل بسطها الإسلام حتى على من كانت أَمَة وخلصت من الرق.

ملك عقبة بن أبى لهب جارية حبشية اسمها بريرة، وزوجها عبداً من العبيد، فكانت تضيق به وتتبرم منه. ولكنها مملوكة، وأمرها ليس بيدها. فلما علمت عائشة أم المؤمنين بما تعانيه «بريرة» فى هذا الزواج اشترتها وأعتقتها. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملكتِ نفسكِ فاختارى» فاختارت أن تنجوَ بنفسها من هذا الزواج الذى لا تطيب به. فكان زوجها بعد هذا الفراق يمشى خلفها ويبكى ويسترضيها، فلا ترضى عنه. وكان يرثى له كل من يراه خلفها باكياً. رآه صلى الله عليه وسلم مرة وتلك حاله فقال لأصحابه: «ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له!» ثم قال لها: «اتقى الله فإنه زوجك وأبو ولدك» فقالت: «أتأمرنى يا رسول الله؟» فقال: «لا. إنما أنا شافع» فقالت: «إذن، فلا حاجة لى إليه...»

هكذا تقررت حرية المرأة فى أمر نفسها ، حرية تكفل للبيت النعيم ، وتوفر لها الهناءة . وبهذا جاء الإسلام موقراً لرأيها ، محافظاً على كيانها ، مظهراً لشخصيتها . فإذا ما أجارت المسلمة لاجئاً ، أو أمَّنت أسيراً ، فقد أجار المسلمون — جميعاً — مَن أجارت ، وفكوا من أطلقت ، وحموا من استعاذ بها ...

ورد فى صحيح البخارى أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة يوم الفتح احتمى رجلان بأم هانئ بنت أبى طالب وهى مسلمة ، فدخل عليهما أخوها على وهمَّ بقتلهما ، فأغلقت دونه الباب ، وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : « مرحباً وأهلاً يا أم هانى ، ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر أخيها على ، فقال عليه السلام : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وأمَّنا من أمنت »

فقد أجاز الشرع لعقيلة مسلمة كريمة أن تفك عانياً أسره المسلمون فى غزوتهم ، وقد كانت بين الأسير وبين الكريمة أسباب وثيقة ، فما هو إلا أن عاذ بها واستجار فى حماها ، فأجارته

***

ولقد كانت كبرى بنات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهى زينب قد تزوجت من ابن خالتها أبى العاص بن الربيع ، وكان أبو العاص يخص زوجته زينب بإكباره وتكرمته ، فلما انصرف عن الإسلام بادئ الأمر وزوجته مسلمة فرق بينهما الإسلام ، وهاجرت زينب ، وبقى هو منصرفاً عن الإسلام ؛ غير أن حنينه لزوجته لم يفتر ، فكان يرسل لوعته الحرَّى فى أبيات من الشعر الرقيق ويقول :

ذكرت زينب لما وركت إرما فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بعل سيثنى بالذى علما

ثم خرج إلى الشام فى تجارة لقريش ، فعرض للقافلة زيد بن حارثة فى جمع أرسله محمد عليه السلام ، فغنموا المال وأسروا الرجال . وكان فى الأسرى أبو العاص ، فاستجار بزينب ، فرجت أن تحقق إجارته وأن تحميه ، وترقبت صلاة الفجر ، وأبوها يؤم المسلمين ، فلما انتهوا وقفت بباب المسجد ونادت بأعلى صوتها : « إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع » . فقال صلى الله عليه وسلم : « هل سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا : نعم . قال : « فوا الذى نفسى بيده ما علمت بشىء مما كان حتى سمعت ما سمعتم . المؤمنون يد على من سواهم ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت » فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه ، ففعل ...

ولقد حسن شأن أبى العاص ، وحلت الهداية قلبه ، فعاد إلى مكة وأدى الحقوق إلى أهلها ، ثم رجع إلى المدينة مسلماً ، فرد رسول الله إليه زوجته زينب الوفية البارة .

***

رأى الشرع الإسلامى أن صيانة الأعراض وحرمة السير وكرامة الأسر من حقوق المجتمع ، بل من أسباب بقائه ونموه ؛ ذلك بأن الخليَّة الأولى من خليات المجتمع هى الأسرة ، والأسرة لا قوام لها إلا بالرجل ، يندفع لحمايتها ، وينبعث لرعايتها ، ويعانى أخطار الحياة ، ويجوب العامر والخراب — كل ذلك ليوفر لأبنائه ولبيته أسباب الحياة وسعادة العيش ؛ وما يدفعه إلى ذلك إلا حنان الأبوة ، ووشائج النسل ، وشعور ملتهب بأن الولد قطعة من أبيه ، وفلذة من كبده ، فمن أين تم للرجل تلك الدوافع وهاتيك الوثبات إذا هو ارتاب أو حاك الشك فى نفسه صحة انتساب ولده إليه ، أو خلوص زوجته له ... !

لهذا أحاط الإسلام المرأة بسياج حصين ، وأمن الرجال على أنسابهم وأعراضهم ، لصلاح مجتمعهم ، ثم توعد — فى أسلوب قوى رائع — كل من يمس قداسة الطهر ، أو يتعرض — على غير علم — لصفة المرأة ، أو جرى على لسانه الهُجْرُ والفحش فى سيرتها ...

يقول تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون »

فانظر كيف حدد الله للتهجم على الأعراض عقوبة جسيمة ثم أردفها بأخرى أنكى وأخزى وأبقى على الأيام ، تَسِمُ القاذف بميسم الخزى وتتهمه — أبد الأيام — بفقدان الثقة وخبث الذمة ومرض الضمير . ثم يختم سبحانه الآية بتسجيل فسق القاذف

وخروجه عن طاعة الله ونبذه من المجتمع الأخلاق ...

ثم شاء — جل وعلا — ألا يدع هؤلاء الوالغين فى الأعراض حتى يجعل الخزى والعار ناطقاً بشناعتهم مشهراً بسوآتهم فقال :

« إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين »

ولقد ثقف الإسلام المرأة ثقافة يتطلبها شأنها ، ثقافة دينية خلقية ، فكان عليه الصلاة والسلام يجعل للمسلمات يوماً كل أسبوع يعلمهن ويثقفهن، وكان كريم الصبر فى إرشادهن، فسيح اللبان فى هدايتهن

أخذ عليهن — عندما كن يبايعنه مرة — ألا ينحن على الموتى . فقالت عجوز ممن حضرن : يا رسول الله ، إن أناساً أسعدونى على مصيبة أصابتنى ، وإنهم أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أسعدهم .. فقال لها عليه السلام : « انطلق فأسعديهم » ثم عادت فبايعته .

تلك بعض نظرات المشرع الإسلامى إلى المرأة ، فأين نحن ؟ وكيف صرنا ؟

لقد روى لنا المؤرخون أن دولة الرومان يوم تألق نجمها ، وعظم سلطانها ، واستبحر عمرانها ، كان الشطر الثانى للمجتمع وهو النساء ، لا يعرفن غير البيت والأسرة ، يقمن للبيت بواجبه ، ويؤدين للأسرة حقها ، وهن من وراء حجبهن . بل لقد غلون فى الحجاب يومذاك غلواً كبيراً ، فلن تخرج واحدتهن إلا وهى ملثمة ، وعليها الأردية السابغة ، ومن فوقها العباءات التى لا تبين تقاسيم الجسم — فى ذلك الحين برع الرومان فى كل شىء ، فى الملك والصناعة والتشريع ، ودانت لسلطانهم الشعوب . فلما بلغت الدولة مداها ولع الناس بالترف ، وغمرهم النعيم ، وأفسد أجسامهم البذخ ، فغدوا يتكرون الملذات من غير تحرج ولا تأثم ، حتى فترت غيرتهم ، وامحت نخوتهم ، فتضعضعت قوة الملك ، ووهى صرح المجتمع ، ولم تلبث دولة الرومان العظيمة أن تساقط ملكها ، وانتزع الفساد شوكتها ، وراحت صريعة الشر الاجتماعى الذى نزل بالمرأة من عليائها إلى الحضيض ، وهوى بالدولة معها إلى الفناء .

***

ولقد نسمع المفكرين وذوى المذاهب الإصلاحية الاجتماعية يتصايحون اليوم : أن ارجعوا بالمرأة إلى ما خلقت له ، وجنبوها مزالق الاجتماع ، واجعلوا تحت نظرها كتب التهذيب الدينى ، والتدبير البيتى ، لتروى أبناءها من منابع الدين وأصول الفضائل ، وتحكم بتدبيرها نظام الأسرة الذى أوشك يتداعى. فهل من سميع؟ وهل من مجيب ؟ لنا فى تراثنا مرجع لصد العابثين ، وإيقاظ السامدين . إن فى تربية الإسلام للمرأة ما يوفر لها حريتها ومجدها وكرامتها .

الجديلى

عياش بن أبي ربيعة

للأستاذ كامل محمود حبيب

«يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمة الله. إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون». (قرآن كريم)

الليل ساج، والحياة نائمة، وعيّاش فى طريقه يتسلل فى رقبة وحذر، وقلبه يضطرب خشية القوم أن يستشعروا فراره فيجلبوا عليه وهو يريد أن يفزع بدينه إلى المدينة.. إلى حيث يجد الحرية والأمان. لقد كان — وهو فى طريقه — ينظر إلى وراء، بين الفينة والفينة، يودع ملاعب الطفولة ومراتع الشباب للمرة الثانية، والعبرات تترقرق فى محجريه، غير أنه ما كان ليأسى على شىء فى مكة وفى قلبه الإيمان والصبر إلاّ على أن حُرِم استجلاء النور الإلهى من طلعة النبى صلى الله عليه وسلم، وإلاّ على فراق أمه وقد تعلق بها قلبه فما ينصرف عنها، وإلا على مال كثير خلّفه هناك كان يطمع أن يشد به عصبه؛ ولكن خياله كان يوحى إليه أن رفيقيه — عمر بن الخطاب وهشام بن العاص — ينتظران عند التَّنَاضُب من أَضَاةِ بنى غِفار فوق سَرِف على أميال من مكة، فهو يهفو إليهما فى غير أناة ولا تردد

وبلغ الفتى المكان فاطمأن قلبه أنْ ألفى عمر بن الخطاب هناك يتشوّف... وتنفّس الصبح ولمّا يبدُ هشام عند الأفق، فانطلقا معاً... ونزلا المدينة ينعمان بالحياة والإيمان لا يجدان من الضيق والعنت بعض ما كانا يجدان فى مكة

وتناهى خبر عيّاش إلى القوم من بنى مخزوم فغَدَوْا إلى أبى جهل والحارث يعيرونهما ويحثونهما: «أفَيَفِرّ الرجل من بينكما ثانية ليكون لكما — على الدهر — عاراً وسُبّة»، وأبو جهل يتلهّب من الغيظ والحقد وقد انطوت نفسه على أمر، والحارث إلى جانبه يقول: «وماذا عسانا أن نفعل فى سفيه فَرّ مع سفهاء مثله؟» وثارت الحميّة حمية الجاهلية فى رأس أبى جهل تستلبه الهدوء والاستقرار، والشيطان من ورائه يدفعه إلى أمر، فراح إلى الحارث يحدثه حديثه وحديث الشيطان فى وقت معاً... ثم انطلقا معاً صوب المدينة...

وجلس أبو جهل والحارث إلى أخيهما عياش يترفقان معه فى الحديث، ويدخلان إلى قلبه بفنون من الكلام، فاستعصى عليهما؛ غير أن أبا جهل لم يكن رجلاً تزَعه الكلمات عن غايته أو تثنيه عن قصده، فيرتد خائباً مخذولاً؛ فراح يقلب الرأى فى خاطره، ويتلمس الحيلة من شيطانه، ثم... ثم قال: «يا أخى، إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك!» ورأى عمر بعض ما بدا على عياش من رقة واستخذاء حين سمع ذكر أمه، وخيل إليه أن الرجل يلقى إلى أخويه السَّلم فيذهب ضحية المكر والخديعة، فقال: «يا عيّاش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك، فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرّ مكة لاستظلت» ولكن الشيطان كان قد عدا على الرجل فاستلبه الثبات، فقال: «أبِرُّ قسم أمى، ولى هنالك مال فآخذه» فقال عمر: «والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما» غير أن الرجل كان قد وقع فى حبالة أخويه حين صوّر له شيطانه أمه فى الهاجرة شعثاء غبراء تندب ولدها وتؤذى نفسها، فأبى إلا أن يصحب أخويه، وعمر به ضنين. وعجز عمر عن أن يدفع الرجل عن الهاوية التى يوشك أن يتردى فيها، فقال له وهو يهم بالرحلة: «يا عياش، أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فإن رابَك من القوم رَيْبٌ فانجُ عليها» ثم... ثم وقف ينظر إلى الإخوة

الثلاثة حتى غيَّبتهم البيداء فى أحشائها فرجع وفى نفسه الأسى والحزن ، وقلبه يحدثه حديثاً ...

وانطلق عياش بين أخويه ، وأبو جهل يختلس النظرات — بين الحين والحين — إلى ناقة عمر وهى تخد بأخيه وخداً سريعاً ، وقد حمل لها كرهاً حين لم يستطع أن يحول بين عياش وبينها ، وحين عجز عن أن ينالها بسوء ، ثم لمت فى رأسه خاطرة ابتسم لها ، وأشار إلى أخيه الحارث ينذره بأمر ، ثم راح إلى عيَّاش يحدثه : « والله يا أخى لقد استغلظتُ بعيرى هـذا ، أفلا تعقبنى على ناقتك هذه ؟ » فقال عيّاش وقد أمن مكر أخيه : « بلى ، يا أخى ! » فأناخ وأناخا ليتحوّل إليها ، فلما استَوَوْا بالأرض عَدَوَا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة نهاراً وعلى وجهيهما سمات الفرح والسرور يباهيان أهل مكة بمـا كان ، ويقولان : « يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا » ثم فتناه فافتتن

أحقاً قد افتتن الرجل وارتد عن دين الله واطمأن إلى الكفر ، وسكن إلى الجاهلية ، واستحب العمى ، بعد إذ ذاق حلاوة الإيمان ، ووجد فى قلبه برد الإسلام ، وعاش زماناً بين إخوة من المؤمنين يستروح منهم نسمات الحب والإخلاص وهو فى الحبشة حيناً وفى المدينة حيناً ، لا يستشعر مرارة الفراق ولا لذع الغربة ؟ إن صُبابة من الإيمان ما تزال تتوثب فى قلبه ، غير أنه خشى أن ينطلق إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستغفره فلا يتقبّل منه ، وهو كان يسمع صحابته يقولون : « ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة . قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر كبلاء أصابهم » فيرتد على عقبيه وفى نفسه الحسرة والشجن ... ثم لبث فى قومه سنين

وترامى إلى الرجل أن النبى صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة فى رفقة صديقه أبى بكر فنازعته نفسه إليه تدفعه أن يلحق به ولكن ...

وتصرمت أعوام وعَيّاش فى حيرة من أمره ، ما يستطيع أن ينزل عنـد رأى أخويه فينغمر فى الكفر فيجحد ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما هو بقادر على أن يطير إلى المدينة ، وحديث رفاقه ما يبرح يدوّى فى أذنيه ، وعمر هناك فى المدينة أسيف على أن يرتد رفيقه عن دينه ، وعلى أن يتلمس إليه الطريق عَلَّه يجد الوسيلة إلى قلبه فلا يستطيعه

وأنزل الله تعالى « ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » ووجد عمر فيما أنزل الله متنفساً فانطلق إلى قرطاس يسطّر عليه الآيات الكريمة ويبعث بها إلى صديقه ...

وأقبلت الرسالة تنفح من عبيرها على قلب الرجل فاضطرب لها ولـمّا يفضّ مغاليقها ؛ وتاقت نفسه إلى أن يطمئن إليها ساعة من زمان يحدثها وتحدثه ، غير أنه لم يكن ليجد الخلوة . . . وعلى حين غفلة من أهله دلف إلى ذى طوًى بأسفل مكة ينشر الرسالة على عينيه وقد أمِن الرقيب ، ثم راح يصعّد بها فيـه ويصوّب فلا يفهم منها حرفاً ، وبدت الكلمات أمامه عُقداً أعيت عليه . ماذا ؟ لقد استغلق عليه الكلام العربى المبين وهو عربى فى الصميم والذروة من العرب ! فأخذ يقلّب الصحيفة بين يديه وقد سيطر عليه الحزن والأسى ، ثم أُلقى فى روعه أن حجاباً كثيفاً أسدل بينه وبين أن يفهم كلام الله لأنه نجس ، فأقبل على الله بقلب سليم يسأله : « اللهم فهّمْنيها » فألقى الله فى قلبه أنها إنما نزلت فيه وفى من هم على شاكلته وفيمن كانوا يقولون لأنفسهم ويقال فيهم ، فرجع إلى بعيره فجلس عليه ولحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو يستبشر بما غفر الله له

وعملت الآيات الكريمة معجزتها فى الرجل لتجذبه من هاوية كاد يتردى فيها ما لها من قرار ، إلا أن يستقر فى الدرك الأسفل من النار

كامل محمود حبيب

كتاب السيرة

للأستاذ أحمد الشايب
المدرس بكلية الآداب

— ١ —

تحتل السيرة النبوية فى تاريخ الأدب العربى مكانة لم يظفر بها موضوع آخر، لهذه المكانة التى يشغلها صاحبها فى تاريخ الأمة الإسلامية أولاً، وفى التاريخ العام ثانياً، فإن الرسول عليه السلام لم يكن أديباً فقط له هذه الآثار القوية الخالدة من الأحاديث والخطب والرسائل، وإنما كان قبل ذلك وبعده، رسولاً صاحب دعوة إصلاحية عامة تناولت الدين والنظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى، وأثرت فى الحضارة العامة لمن اعتنقوها طائعين أو جانبوها كافرين، واستطاعت أن تستوقف التاريخ أو تلوى عنانه لتملى عليه إرادتها، وتلقى إليه وحيها، فأخذ عنها ما أملت، وكتب من فصوله صحفاً ملأى بالجهاد، والفضائل، والأدب، والفن، والسياسة؛ ولا يزال الإسلام إلى اليوم — على الرغم مما أصاب بعض ذويه من هوان — مصدر الخير والسعادة، وموئل البشرية حين تعوزها الهداية، ومعهداً لدراسات خطيرة تلقى أمام رواد الحضارة المثالية ضوءاً يرجى أن يتم به على العالم ما يبغى من رشاد وسلام.

ولم تقف العناية بالسيرة عند العرب وحدهم، أو المسلمين فقط، وإنما تجاوزتهم إلى جماعة من كتاب الفرنجة الأعلام الذين رأوا فى نبى المسلمين رجلاً عظيماً من رجال التاريخ خليقاً بالبحث فى أسباب عظمته، وما أتيح له من هذا الفوز الذى استأثر بالسلطان المدنى والسياسى طوال القرون الوسطى، إذ كان العالم الإسلامى يشغل التاريخ بأحداثه الكبرى، ودوله المتعاقبة، وآدابه الغزيرة حين كان الغرب يضطرب فى ظلمات كثيفة، ويحيا حياة خاملة.

ولسنا هنا بعرض الاستيعاب، واستقصاء هؤلاء الذين كتبوا عن الرسول قديماً وحديثاً من المسلمين وسواهم، وحسبنا أن نلم بشىء من ذلك لنصل منه إلى جماعة من المعاصرين الذين تناولوا السيرة بأساليب مختلفة، لها قيمتها العلمية والفنية جميعاً.

— ٢ —

منذ ألف ابن إسحاق سيرته التى اختصرها ابن هشام فى هذا الكتاب المنسوب إليه، والناس يعدونها المرجع الأول لكل من يحاول تاريخ الرسول. وليس ذلك لأن جميع ما احتوته حق تاريخى خالص، وموضع الثقة التى لا ينالها تجريح، لا، ولكن ذلك لأسبقيتها التاريخية فى التدوين، ولما احتوته من حقائق ثابتة فى كثير من المواقف، ولأنها روت أخبارها بهذه الروح التى كانت مسيطرة على المسلمين فى القرون الأولى، أى بوجهة نظرهم، وطريقة تفسيرهم لحوادثها... فكانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل عند المتقدمين، ونقطة الابتداء لكل من يحاول تاريخ النبى الكريم من المحدثين، يرجع إليها محققاً أو مستلهماً. دع عنك بعد ذلك ما تراه فيها من شعر منحول، وروايات مكذوبة، وأخبار لم تصح، لأن وزر ذلك لا يقع على ابن إسحاق وحده، وإنما لهذه البيئة التى كان يعيش فيها الأثر الأول فيما وقع فيه من قصور، فقد كان يحكى أخباراً جاهلية بعيدة، ويقص أياماً نالها المبالغات والعصبيات، وينقل آثاراً مات أهلها، واعتراها التحريف. على أن ابن هشام لم يقيد جميع ما كان لابن إسحاق من خبر بل حذف منه كثيراً وبخاصة ما كان متصلاً بالجاهلية الأولى، منفصلاً عما يتصل بحياة الرسول اتصالاً مباشراً كما هو مذكور فى المقدمة.

ثم جاء الواقدى وتلميذه ابن سعد فى طبقاته، وحاولا التحقيق والزيادة، فظفرا منهما بنصيب. وأصبح فن السيرة بعد

هؤلاء تقليداً من التقاليد يعمد إليه الكتاب تبدداً أو تأدباً كما فعل كتاب المقامات فى عصور التاريخ الأدبى المتوالية ، فكانت السيرة الحلبية ، والسيرة الشامية . ولم تخل كتب التاريخ العام — كالطبرى وابن الأثير — من تخصيص بعض أجزائها لسيرة الرسول إذ كانت تشغل وحدها فترة واسعة ، خصبة ، بعيدة الأثر فيما أعقبها من دول وأحداث .

وهذه المؤلفات القديمة لم تكن بالطبع خاضعة لهذه المناهج العلمية الحديثة ، فكانت مجموعة من أحاديث الرسول ، وأخبار الجاهلية وأساطير القدماء ، وأسمار الناحلين ومبالغات الراوين ، دون عناية بالنقد والتفسير أو التنسيق وحسن التأليف . ولكنها كانت مؤلفة بروح هذه العصور السابقة ، وبوجهة النظر التى كانت — فى الغالب — مقياس الصحابة والتابعين حين يذكرون الرسول الكريم ويفسرون أعماله وآثاره

أما كتاب الفرنجة فقد رأينا مستشرقيهم يتهافتون على هذا الوضوع ، ويسلكون فيه هذه المناهج العلمية التى قد تفيد من ناحية الشكل والنظام ، ولكنهم بعد ذلك كانوا فريقين : فريقا اتخذ السيرة مجالاً للتعصب على الإسلام فكان من المبشرين الخاطئين ، وفريقا حاول الإنصاف ووقف عند الأصول العلمية الجافة ففقد هذه الروح أو الجو الذى كانت تجرى حوادث السيرة فى ظلاله ، فتعسر عليه تفسير أشياء كثيرة كان من السهل عليه إدراكها لو أنه كسب هذه الروح وعاش بخياله فى عصور النبوة الأولى . نذكر من آثار المستشرقين حياة محمد لإرفنج ، وأخرى لوليام مور ، وثالثة لمرجليوث ، ولا ينسى التاريخ هذا الفصل البديع الذى كتبه كارليل تحت عنوان (البطل فى صورة نبى) إذ دل على تفهم عام لهذه الروح التى كانت تشيع فى بلاد الرسالة قديماً

على أن الهنود لم يقصروا فى هذه الناحية فكتبوا باللغة الإنجليزية فى السيرة رأساً مثل النبى لمولانا محمد على ، وفيما يتصل بها مثل روح الإسلام لسيد أمير على ، ولغير الهنود فى مصر وفى العالم الإسلامى آثار فى السيرة لم تخل من فائدة

— ٣ —

ولكننا نختار من هؤلاء المعاصرين ثلاثة نقف عندهم وقفة قصيرة لا لشىء إلا لأنهم نهجوا فى كتابة السيرة مناهج طريفة من ناحية ، ومتغايرة من ناحية أخرى : محمد حسين هيكل ، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم

يتفقون جميعاً فى العناية المحمودة بسيرة الرسول ، وجعلها فى العصر الحديث موضوعاً خليقاً بالدرس وبذل الجهود فى إذاعته بين الناس بأسلوب جديد يقربه إليهم ويحببه إلى نفوسهم ، وهذا وحده غرض نبيل يستحق التقدير . كذلك سلكوا مسالك واضحة ممتازة وإن كانت متغايرة ، ولكل مذهب محدود ذو معالم التزمها صاحبه ليس فيه هذا الاضطراب القديم الذى كان يجمع أشتاتاً من القصص ، والتقرير والوصف والرواية ونحوها ، وإنما هو مذهب علمى أو فنى متناسق الأجزاء ، منظم العناصر ، فيه فقه للأشياء وفهم لها بروح قديمة أو حديثة أو بهما جميعاً . ومع ذلك فهم مختلفون فى أشياء كثيرة

يمتاز هيكل بالمنهج العلمى الذى ترسمه فيما كتب، فكان مذهبه مذهب العالم المحقق، إذ قسم موضوعه إلى فصول متواصلة متلاحقة كما كانت حياة الرسول عليه السلام منتظمة فى هذه الفصول أو الأقسام التاريخية ، ولا أقول إن هذا المنهج كله من اختراعه فلقد سبق إليه ، ولكنه آثره وهذب منه ، وهذه الخطة نفسها اقتضت مؤلف — حياة محمد — أن يكون مستقصياً استقصاء الباحث فليس له اختيار ما يحب وترك ما لا يهوى ، لأنه يعالج موضوعاً من عمل التاريخ ، عليه أن يعرضه كما حدث دون أن يخلع عليه من نفسه إلا ما شاء الخيال التاريخى الذي يربط المفكك ، ويصل المنقطع ، ثم هذا النقد الذى يظهر فى تفسير كثير من المسائل بمقياس إسلامى علمى بعد ما كانت أشبه بالسمعيات تصدق ولا تعلل... وفى مناقشته آراء المستشرقين الذين تجافوا فيما كتبوا عن روح الدين وطبيعته ، وبعدوا عن عصر الرسالة وبيئتها فلم يوفقوا فيما يتصورون . وصاحب (حياة محمد) بعد ذلك مسلم حدب على الدين غيور ، أشرب روح الإسلام ، وألم بكثير من أسراره فظهرت على كتابه أعراض الحية ، حمية من لا يسمح لأحد بغمز دينه أو النيل منه ، وذلك كله فى أسلوب منطقى واضح هو أسلوب العلماء . ولكن طه حسين سلك سبيلاً أخرى هى سبيل الأديب حقاً ، فلم يشأ فى الظاهر أن يتقيد بمنهج علمى ، وإنما كان قصاصاً ، ترك هذا العصر الذى نعيش فيه ، وانتقل بخياله الخصب إلى الجاهلية وصدر الإسلام وعاش مع ناسهما يفهم بعقولهم ، ويحس إحساسهم ، ويأكل مما يأكلون منه ، ويشرب مما يشربون؛ وبذلك استطاع — ماوسعه الجهد — أن يقص علينا الحوادث بروحها وفى جوهرها ، وأن يفسر المسائل كما كانت

تفسر حينذاك ، فنقل إلينا هذا الماضى أو نقلنا إليه بحيلة لطيفة .
وفن القصص لا يقتضى صاحبه استقصاء ولا نقداً علمياً دائماً ، ولا تحقيقاً وتفنيداً ، فآثر أهم الأمور التى يرى فيها روعة قصصية لأنها كانت رائعة إبان حدوثها أو فيما شعر وتخيل صاحب « على هامش السيرة » ... ثم تناولها واصفاً وحاكياً لم يترك جانباً منها إلا أضاءه وأكمل منه ما فات الرواة . وليس من شك فى أن ذلك قد عرض بأسلوب جميل هو أسلوب القصص الممتاز الجامع بين التحليل النفسى للأشخاص ، والإحاطة التامة بما يعرض له من مواقف

أما توفيق الحكيم ، فقد توسط الاثنين ، وجمع بين ميزتى العالم والأديب الممثل ، فكانت سيرته أخف شيء على النفوس . استشار المراجع القديمة ، ووقف عند ما رسمت دون أن يستعين الخيال إلا قليلاً ؛ وقد ألم بأطراف موضوعه ، وقسمه فأحسن التقسيم ، ثم اختار قضاياه وصفاها وجعلها معالم واضحة خالصة من براهين التحقيق العلمى ، وإسهاب الفن القصصى ، فصارت قضايا موجزة باتة حاسمة ، ثم عرضها بهذا الأسلوب الحوارى أو التمثيلى كما كان يتحدث الرسول وصحابته والمتصلون بسيرته قديماً إلا ما لم يرد فيه نص . وكان توفيق الحكيم بعد ذلك حذراً محتاطاً لم يمس الموضوع إلا بخفة وإن كان الأسلوب من تقسيمه وابتكاره

كان هؤلاء الكتاب ، إذاً ، بين عالم محقق ، وأديب قاص ، وفنى ممثل ، كل أخلص لمنهجه ، ووصل منه إلى غاية بعيدة

وتستطيع أن تتبين هذا الفرق فى أسطر قليلة جداً ، فيما كتب عن أول ما عمل محمد عليه السلام فى تجارة خديجة ؛ فهيكل يقرر المسألة ويقول إن أبا طالب كان السفير بين ابن أخيه وبين خديجة ؛ وطه حسين يقيم ذلك على ميل خديجة إلى محمد وإرسالها دسيساً إلى عمه تعرض عليه أن يكون ابن أخيه فى تجارتها بأجر مضاعف ؛ فيأتى توفيق الحكيم ، فيقتضب المسألة ، ويترك الباب مفتوحاً للخيال .

والمرجو ألا يقف العلماء عند ما كتب هيكل ، وكفى ، وأن يتم طه حسين : « على هامش سيرته » ... وأن يجيبنا العلماء : هل تمثل سيرة الرسول على المسرح ثم ترسم على الشاشة البيضاء ؟

« رمل الاسكندرية » **أحمد الشايب**

حالة العرب الاجتماعية

فى عصر الدولة الأموية

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب

كان لاختلاط العرب والروم وغيرهم من الأمم الأخرى أثر كبير فى تغيير عاداتهم وحياتهم الاجتماعية وبخاصة فى عهد الأمويين فقد تأثر معاوية بن أبى سفيان بنظم الحكم التى أدخلها الروم فى بلاد الشام وابتكر ابتكارات لم يسبقه إليها أحد ، فهو أول من اتخذ الحشم وأقام الحجاب على بابه ووضع المقصورة التى يصلى الخليفة بها فى الجامع منفرداً عن الناس وذلك لخوفه مما جرى لعلى رضى الله عنه

وكان من أقدس واجبات الخليفة أن يؤم الناس فى صلاة الجمعة والصلوات الخمس . وقد سار على ذلك الخلفاء الراشدون وبعض خلفاء بنى أمية. وكان الخليفة فى العهد الأموى يحضر إلى المسجد مرتدياً ثياباً بيضاء وعمامة بيضاء مرصعة بالجواهر ويرقى المنبر لإلقاء خطبة الجمعة وبيده الخاتم والعصا ، وهما شارتا الملك

وقد تشبه خلفاء بنى أمية بالملوك وأبهتهم ، وكان الخليفة يجلس فى صالة الاستقبال الكبرى وعلى يمينه أمراء البيت المالك وعلى يساره كبار رجال الدولة ورجال البلاط ثم يمثل بين يديه رسل الملوك وأعيان البلاد ورؤساء النقابات والشعراء والفقهاء وغيرهم

وكان الخلفاء الأول من بني أمية يستمعون في أوقات فراغهم إلى أخبار الحروب وسير فرسان العرب في الجاهلية ، فكان معاوية يقرأ أخبار العرب وأيامها وسير ملوك العجم وسائر ملوك الأمم وحروبها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ، وكان يقرأ عليه ذلك غلمان مرتبون ، فتمر بسمعه كل ليلة جل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات

وكان الأمويون يستمعون لقصائد الشعراء ويمنحونهم الجوائز ويخلعون عليهم الخلع . ولم يلبث أن حل الغناء محل الشعر ، كما كلف الناس بالموسيقى والغناء ، وتدفقت على دمشق طبقات المغنين المشهورين والموسيقيين الذين كان الخلفاء يدعونهم إلى دمشق من أقاصي البلاد

وكان لعب الشطرنج و « الدومينو » والورق معروفاً عند الأمويين . ومن الألعاب التي شاعت في ذلك العصر قتال الديكة على الرغم من أن الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز حرما هذا النوع من الألعاب

وكان سباق الخيل من أهم تسلية الشعب على اختلاف طبقاته . ويقال إن هشام بن عبد الملك الأموي كان أول من أقام حلبات السباق لتحسين نتاج الخيل حتى أنه اشترك في السباق معه أربعة آلاف من خيله وخيول الأمراء .

وكانت المرأة العربية في ذلك العصر تتمتع بقسط وافر من الحرية ، وكانت المرأة متحجبة على الرغم من أنها كانت تقابل الرجال وتتحدث إليهم وتقود الجيوش .

وقد أوجب الإسلام تعلم العلم على كل مسلم ومسلمة ، كما أوجب على أمهات المؤمنين أي زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلمن الناس ويعلمن أبناءهم وبناتهم ، وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى بذلك فقال في كتابه العزيز (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) ناهيك بعائشة أم المؤمنين فقد اشتهرت بالفقه ورواية الحديث والتاريخ والنسب والطب وعلم النجوم وقادت جند المسلمين يوم الجمل سنة ٣٥ هـ كما اشتهرت أختها أسماء بنت أبي بكر وأم عبد الله بن الزبير برواية الحديث والكرم والشجاعة ، فقد أثر عن عبد الله بن الزبير أنه لما انضم بعض أتباعه إلى الحجاج ابن يوسف الثقفي قائد الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي وبقي هو في عدد قليل من أنصاره وأيقن أنه مقتول لا محالة دخل على أمه فقال يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ، ولم يبق معي إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا — فما رأيك ؟

قالت : أنت أعلم بنفسك . إن كنت تعلم أنك على حق ، وإليه تدعو ، فامض له فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية ، يلعبون بها . وإن أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن قتل معك . وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين . كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن . فقال : يا أماه ، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني . فقالت : يابني إن الشاة لا تتألم بعد ذبحها . فامض على بصيرتك واستعن بالله . فقبل رأسها وقال : هذا رأيي . فطفقت أمه تدعو له وتشجعه . وخرج عبد الله بعد ذلك وقاتل أهل الشام قتالاً شديدا ، وأظهر شجاعة نادرة حتى حمل عليه العدو وقتلوه . ولم يهب القتل بفضل تشجيع أمه التي ضربت المثل الأعلى في الشجاعة والتضحية في سبيل إعلاء شأن الوطن .

وليس أدل على جرأة المرأة وشجاعتها من ذلك الحوار الذي دار بين معاوية وبين الدارمية ، فقد روى القلقشندي (صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥٩ — ٢٦٠) أن معاوية حجّ فسأل عن امرأة من بني كنانة تسمى الدارمية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم فجيْ بها ، فقال لها : ما حالك يا ابنة حام ؟ قالت : لستُ لحامٍ أدعى ، إنْ عِبـْتني أنا امرأة من بني كنانة . قال : صدقتِ أتدرين لمَ أرسلتُ إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله . قال : بعثتُ إليك لأسألك علامَ أحْبَبْتِ عليًّا وأبغضتني ، وواليته وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ أبيت ، فإني أحببت علياً على عَدْله في الرعية وقَسْمِه بالسَّوية ، وأبغضتُك على قتالك مَنْ هو أوْلى بالأمر منك ، وطلبك ما ليس لك بحق . وواليتُ علياً على ما عُقد له من الولاية ، وعلى حبه المساكين وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفك الدماء وجَوْرك في القضاء وحكمك بالهوى . قال : ولذلك انتفخ

بطنك وعظم ثدياك ... قالت: يا هذا، بهند كانت تضرب الأمثال لا بى ! . . قال لها : فهل رأيتِ علياً ؟ قالت : لقد كنت رأيته . قال : كيف كنتِ رأيته؟ قالت : رأيته لم يفتنه الملك الذى فتنك، ولم تشغله النعمة التى شغلتك . قال لها : فهل سمعتِ لكلامه ؟ قالت : نعم ! والله كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطَّست من الصدأ . قال : صدقتِ ، فهل لكِ من حاجة ؟ قالت : وتفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم ! قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فُحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أُغذّى بألبانها الصغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحُلُّ عندك محل علىّ ؟ قالت : ماء ولا كصدّاء ، ومرعى ولا كالسَّعْدان ، وفتى ولا كمالك . يا سبحان الله أو دُونَه . فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم منى إليكم ... فمنْ ذاالذى بعدىَ يُؤَمَّل للحلم؟
خذيهاهنيئاً واذكرى فعل ماجد ... جزاكِ على حرب العداوة بالسِّلْمِ

ثم قال : أما والله لو كان علياً ما أعطاك منها شيئاً . قالت : ولا وبرة واحدة من مال المسلمين

وممن اشتهر من نساء العرب فى ذلك العصر أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك ، وبنت عبد العزيز بن مروان ، وأخت الخليفة عمر بن عبد العزيز . قال المسعودى فى مروج الذهب (ج ٢ ص ١٥٢ — ١٥٣) : وفد الحجاج بن يوسف على الوليد فى بعض نزهه ، فاستقبله. فلما رآه ترجل له وقبّل يده، وجعل يمشى وعليه درع وكنانة وقوس عربية ؛ فقال له الوليد : إركب يا أبا محمد ! فقال : دعنى يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد ، فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلانى عنك ، فعزم عليه الوليد حتى ركب ، ودخل الوليد داره ، وتفضّل فى غلالة ، ثم أذن للحجاج ، فدخل عليه الحجاج فى حاله تلك وأطال الجلوس عنده . فبينما هو يحادثه إذ جاءت جارية فسارّت الوليد ومضت ، ثم عادت فسارّته ثم انصرفت . فقال الوليد للحجاج : أتدرى ما قالت هذه يا أبا محمد ؟ قال : لا والله . قال : بعثتها إلىّ ابنة عمى أم البنين ، بنت عمر ابن عبد العزيز تقول : ما مجالستك لهذا الأعرابى المتسلح فى السلاح وأنت فى غلالة ؟ فأرسلت إليها أنه الحجاج ، فراعها ذلك وقالت : والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق . فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ! دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، فلا تطامهن على سرك ولا مكايدة عدوك ، ولا تطمعهن فى غير نفسك ، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن. وإياك ومشاورتهن فى الأمور ، فإن رأيهن إلى أَفَنْ، وعزمهن إلى وهن ؛ واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ، ولا تُملّك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها ، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ، ولا تُطل الجلوس معهن ، فإن ذلك أوفر لعقلك، وأبْين لفضلك . ثم نهض الحجاج فخرج ، ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! أحب أن تأمره غداً بالتسليم علىّ ، فقال : أفعل . فلما غدا الحجاج على الوليد قال له : يا أبا محمد ! سر إلى أم البنين فسلم عليها . فقال : أعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : لا بد من ذلك . فمضي الحجاج إليها فحجبته طويلاً ، ثم أذنت له فأقرته قائماً ولم تأذن له فى الجلوس؛ ثم قالت: إيه يا حجاج ! أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة ، ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد فى الاسلام (تعنى عبد الله بن الزبير) . وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام، وأنت فى أضيق من القرن ، فأظلتك رماحهم، وأنجاك كفاحهم . ولولا ذلك لكنت أذل من النقد . وأما ما أشرت على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه ، فإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالأخذ عنك والقبول منك ، وإن كنّ ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مصغ إلى نصيحتك . قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول :

أسدٌ علىّ وفى الحروب نعامةٌ ... فتخاء تفزَع من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الوغى ... بل كان قلبك فى جناحى طائر

أخرِجْنَه عنى ! فدخل إلى الوليد من فوره ، فقال : يا أبا محمد ! ما كنت فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما سكَتَتْ حتى كان

بطن الأرض أحبّ إلىّ من ظهرها . فضحك الوليد حتى فحص برجله الأرض ثم قال : يا أبا محمد إنها بنت عبد العزيز

ومن مظاهر الترف فى دمشق حاضرة الأمويين أنه كان لكل دار فناء مستطيل على جوانبه أعمدة من الرخام وممماش مرصوفة بالحجارة أو الحصباء على أشكال هندسية منتظمة . وفى الفناء نافورة يحيط بها حديقة صغيرة بها الأزهار الزكية الرائحة، وتظلها أشجار البرتقال والليمون، وأمام الباب شباك يوضع فوقه الطست والإبريق للوضوء — وكانت قصور الأغنياء مكونة من طابقين أحياناً — وفى الشتاء تكسى الحجرات بالسجاد الثمين وتدفأ بالمنهل (الموقد) . أما فى الصيف فكانت النافورات والنوافذ كفيلة بتلطيف حرارة الجو . وكانت سقوف الدار مزدانة بنقوش على الطراز العربى أو مطلية بالذهب. ولم تكن هناك مقاعد، فإذا كان صاحب الدار من أصحاب اليسار ، وضعت السجاجيد بعضها فوق بعض لتكون بمثابة مقعد له

وكان قصر الخليفة الأموى بدمشق غاية فى الأبهة . وقد ازدانت جدرانه بالفسيفساء، وأعمدته بالرخام والذهب، وسقوفه بالذهب المرصع بالجواهر . وقد لطف جوه النافورات والمياه الجارية والحدائق الغناء بأشجارها الظليلة الوارفة . وقد شيد الحر بن يوسف حفيد مروان بن الحكم الذى ولى بلاد الموصل فى عهد هشام ابن عبد الملك ، داراً منيفة من الرخام الخالص والمرمر ، عرفت بالمنقوشة لما تمتاز به من النقش البديع ، كما بنى خانات (فنادق) فى الموصل . وقد رأى الحر ما يعانيه أهل الموصل من المشاق فى سبيل الحصول على ماء الشرب ، فشق قناة لا تزال باقية إلى اليوم ؛ وغرس الأشجار على ضفتيها حتى أصبحت بمثابة متنزه عام لأهل المدينة

وكانوا يرتدون العباءة فوق القباء ويصنعونها من وبر الجمل . وكانوا يرتدون فى الحرب أردية خاصة فيلبسون السروال عادة ورداء قصيراً بدلاً من الثياب الفضفاضة (الواسعة) المتدلية . أما لباس الرأس فهو العمامة كما كانوا يلقون الطيلسان فوق العمامة . وهو عبارة عن منديل كبير متدل إلى الكتفين ليقى الرقبة حرارة الشمس . وكانت الملابس تختلف تبعا لثروة الناس ومركزهم الاجتماعى ونوع عملهم . فكسوة الفقيه والكاتب تختلف عن ثياب الجند . وكان رؤساء القبائل وغيرهم من علية القوم يرتدون قباء يصل إلى الركبتين يعلوه سروال ثم جلباب فضفاض يتدلى إلى العقبين ويشده من الوسط حزام من الحرير ، ويلبسون فوق كل ذلك الجبة أو القباء .

وكانت ثياب المرأة تتكون من سروال فضفاض وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير ضيق يلبس عادة فى البرد . وكانت إذا خرجت من بيتها ترتدى ملاءة طويلة تغطى جسمها وتقى ملابسها التراب والطين ، كما كانت تلف رأسها بمنديل يربط فوق الجبهة .

وكان العرب يكتفون بالقليل من الطعام ، فلم يتجاوز طعامهم اللون أو اللونين . وكان خير أطعمتهم الثريد وهو الخبز يفت ويبل بالمرق ويوضع فوقه اللحم . وقد تغيرت أطعمتهم وتعددت ألوانها . وفى عهد الأمويين استعمل العرب الفوط والملاعق كما كانوا يجلسون على الكراسى حول مائدة الطعام التى كانت تكسى بمفرش من القماش .

حسن ابراهيم حسن

محمد الأديب الأعظم

للأستاذ دريني خشبة

لا أدرى لماذا يشفق الكتاب أن ينعتوا النبى الكريم بالأديب العظيم ؟! هل فى ذلك سبة أو فيه حط من قدره صلى الله عليه وسلم؟ وإذا لم يكن الرجل الذى أوحى إليه بهذا القرآن أديباً فماذا يكون الأديب ؟

لقد ترك النبى فينا كتاب الله وسنة النبوة ، وفيها جوامع الكلم التى لم يؤتها إلا هو . ولقد علم بهذين ما لم يعلم فيلسوف بفلسفته ، ولا أديب بأدبه ، ولا نبى بما أرسل به . . . أسلوب مُعجز ، ومعنى مُعجز ، واتفاق بين الأسلوب والمعنى معجز ، وغرض يشمل كل الكائنات معجز ، وحياة هى البطولة المعجزة . . . وأمية لا تعرف القراءة والكتابة يسبح القُراء والكُتاب فى بحر لجى من قرآنها وحديثها . . . علماً وأدباً ولغةً وبياناً وهدًى وتشريعاً وأخلاقاً . . . فماذا يصنع الأدب غير ذاك ؟ الأديب يترك أثره فى حيز محدود من بيئته ، لأيام معدودات من زمنه ، ويكون بعد ذلك رجعاً كرجع الصدى فى تضاعيف ذكرياته ، حيث يكون شعراً فى ديوان ، أو قصة يلتذ بقراءتها أفراد ، أو درامة يستمتع بشهودها ملأ من الناس ، ثم ينصرفون فلا تكون لها فى أذهانهم إلا صورة أو فكرة قد تدفعهم إلى فضيلة أو تنهاهم عن رذيلة . . .
فماذا ترك الأديب الأعظم محمد بن عبد الله من هذا وذاك ؟! أستغفر الله بل ترك أدباً حيًّا يتغلغل فى نفوس الملايين من الناس لملايين من الأجيال حتى تقوم الساعة . يحضهم على الخير ، وينهاهم عن المنكر، ويستهويهم بصور رائعة من أدبه الحق الذى نسميه الأدب الواقعى يُشرب قلوبهم المحبة الخيّرة النيّرة ، ويعمرها بالسلام القائم الدائم، ويعلمهم الإنسانية، ويحبب إليهم الإخاء، ويروضهم على المساواة...إلا فيما رفع الله به الناس بعضهم فوق بعض درجات

قد يقول قائل إن هذه الدعوى من باب إقحام الدين فى الأدب والأدب فى الدين .. لأن الدين هو الذى صنع كل هذا .. ونحن نقول إن الدين هو الذى صنع كل هذا حقاً ولكنه صنعه بأسلحة شتى ووسائل متفاوتة ، وقد كان أمضى هذه الأسلحة ، وأشرف تلك الوسائل .. هو الأدب .. فالرسول الكريم كان حلو الكلام أغر البيان طلّ المقاطع ، ذا قدرة عجيبة فى تنسيق حجته ، والتدقيق فى عبارته ، فى غير كلفة ولا صنعة حتى وهو فى مواقف الخطابة .. ولم يحفظ الأثر أنه حصر مرة أو أرتج عليه ، أو التاث عليه القول ، لا على المنبر ، ولا فى حلقة الدرس ، بل كان يتدفق ويشقق الحديث إذا اقتضى الموقف الإطناب ، ويقتصر على العظة الصغيرة بلفظها ، الكبيرة بفحواها إذا لم يقتض الحال غير ذلك

ثم ها هم أولاء الأنبياء جميعاً ... فمن منهم تحدى قومه بقوة البيان وصوغ الكلام وإعجاز الأسلوب ؟! وما ذلك كله إن لم يكن أدباً ؟ وماذا يكون صاحبه إن لم يكن سيد الأدباء ؟! إن الله الذى يَسّر القرآن بلسان محمد قد تحدى الناس أن يأتوا بشىء مثله ، فما استطاعوا ؛ وما يزال التحدى قائماً ، ولسوف يعجز البشر جميعاً عن أن يجيئوا بشىء مثل القرآن ... والقرآن وحى الله ، وقد يسره الله بلسان نبيه، والقرآن تشريع ليس فيه جفاف القانون الوضعى، وقصص من النسق الإلٰهى الذى لا يتملق الغرائز بالفتنة فى الحياة الدنيا بل يسمو بها إلى لذائذ الحياة العليا؛ ثم عظة بالغة ، ودعوة إلى الحق، ودستور للناس لا يعتوره نقص ولا تشوبه شائبة

هل الأدب قصة أو درامة فحسب ؟! إن كان هذا فقد قص النبى أحسن القصص وأقواه وأكثره حلاوة وطلاوة ، وأشده روعة وتأثيراً ... وأى قصص أشهى وأحلى وألذ مما يسر الله بلسان نبيه فى آدم ونوح وإبراهيم وموسى ويعقوب ويوسف ويونس وهود ولوط وعيسى من أنبياء الله ؟!

أم يقولون إنها أخبار مروية فيما يؤمنون أنها الكتب المقدسة التى أنزل الله من قبل ؟! ونقول أجل ... ولكن أين هى هذه

الـكتب التى أنزل الله ؟ أباقية هى على ما أنزل الله لم يمتورها تغيير ولا تبديل ؟ ألم تشخها أقلام الرواة والنُّسَّاخ بما طاب لهم وبما بدّت به أقلامهم ؟ ... أحقـًا قد زنى داود ؟ أحقـًا قد وقع جميع الأنبياء فى الخطيئة ؟ لقد جاء القرآن مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل مما لم تبدله قرائح البشر ، فبرّأ الأنبياء مما أخذوا به باطلاً من الدنس ، ثم روى أخبارهم بلسان صدق عَلِيّ وبأروع بيان وأدق أسلوب ، ثم حدّث النبى بما يشبه أن يكون تعليقاً وشرحاً وتفسيراً لجاء بكل معجب وكل مطرب ... ثم حدّث بالأحاديث القدسية العالية التى مسرحها السماء ومُلهمها الله القدير، فأى درامات الكتاب والشعراء أروع مما تحدث به النبى ؟ وأى حديث زخرفه قلم شاعر أو ناثر أو روائى يسمو إلى الحق الذى تنزل به جبريل على فؤاد محمد وما حدّث به محمد من تخاصم أهل النار وتحدث أهل الجنة ، والواقفين على الأعراف ، والولدان المخلدين ، والكواعب الأتراب ، ومخاطبة العزيز اللطيف لمن فاز من عباده، وغيظ الكافرين وما يقع بينهم وبين إبليس من شحناء وموجدتهم على الشياطين والنار تؤزهم ...؟

هذا هو القصص الحق الذى لم تبهرجه يراعة مؤلف ، ولم يختلقه خيال روائى . وهذا هو قصص الله الذى خلق الإنسان علمه البيان ... الله الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ... الله الذى أرسل للناس نبياً عربياً من الأميين ، فقضى أن تكون أمية عجيبة مُعجزة تفهم كل شىء وتمى كل شىء ، وتبهر المتعلمين والدارسين بما لا يستطيعونه ولا يقدرون على مثله أو بعضه ... أمية أعدها الله لهذا الأمر العظيم إعداداً لا تقوى جامعاتنا الحديثة على شىء مثله ... أمية أبوتها فى بنى هاشم ، وخئولتها فى بنى زهرة ، ورضاعها فى سعد بن بكر ، ونشأتها فى قريش ، وزواجها فى بنى أسد ، وهجرتها إلى الأوس والخزرج . فانظر كيف تقلبت فى القبائل فتمرست بها ، ووعت لغاها ، ووقفت على أسرار بيانها ، فلما بعثها الله لهـذا الأمر لم تضق ذرعاً بأحد ، ولم تضق فهماً بلسان أحد ، بل كانت تكلم كلاً بلسانه ، وترد على كل بلهجته . بل هى قبل أن يبعثها الله لتبليغ رسالته كانت تحب الأدب وتشغف به ، فكانت تتردد على الأسواق تصغى إلى الشعراء والخطباء ، وتحفظ من الخطب ولا ترى حرجاً فى أن تروى منها(١) .

علل أحد البصريين أُمّية الرسول الكريم فقال : « إن الله إنما جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ولا يقرض الشعر ، ولا يتكلف الخطابة ، ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة ، ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب من قيافة الأثر ، وعيافة الطير ، ومن العلم بالأنواء وبالخيل ، وبالأنساب وبالأخبار ، وتكلف قول الأشعار ، ليكون إذا جاء القرآن الحكيم ، وتكلم بالكلام العجيب ، كان ذلك أدل على أنه من الله ... وزعم أن الله لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظاً من الحاسب والكاتب ، ومن الخطيب والناسب ، ولكن ليجعله نبياً ، وليتولى أمر تعليمه بما هو أزكى وأنمى ، فإنما نقصه ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجبه عن القليل ليجلى له الكثير ... »

وقد تولى شيخ أدباء العرب أبو عثمان الجاحظ (البيان ج ١ ص ٢٣٠) نقض هذا الكلام فقال : « وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يرد إلا الخير ، وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه ، ولو زعم أن أداة الحساب والكتابة ، وأداة قريض الشعر وجمع النسب قد كانت فيه تامة وافرة مجتمعة كاملة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة إلى ما هو أزكى بالنبوة وأشبه بمرتبة الرسالة ، وكان إذا احتاج إلى البلاغة كان أبلغ البلغاء ، وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف ، ولو كان فى ظاهره والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب ، وشاعر ناسب ، ومتفرس قائف ، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة ، لما كان ذلك مانعاً من وجوب تصديقه ، ولزوم طاعته ، والانقياد لأمره ، على سخطهم ورضاهم ، ومكروههم ومحبوبهم ؛ ولكنه أراد ألا يكون للشاعر متعلق عما دعا إليه ، حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق ، وليكون ذلك أخف فى المؤنة ، وأسهل فى المحنة ، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التى كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها ، فلما طال هجرانه لقريض الشعر وروايته صار لسانه لا ينطق به ، والعادة توأم الطبيعة ، فأما فى غير ذلك فإنه إذا شاء كان أنطق من كل منطيق ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف ، وكانت آلته أوفر ، وأداته أكمل ... إلا أنها كانت مصروفة إلى ما هو أبعد ... وبين أن يضيف إليه العادة الحسنة ، وامتناع الشىء عليه من طول الهجران له فرق ... ومن العجب أن صاحب هذه المقالة لم يره

---

(١) فى البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٣ أن النبى (ص) سمع قس بن ساعدة وقال فيه « رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمـــر وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا ، فاسمعوا وعــوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . » وجا فى كتب الأدب غير ذلك .

فى حال معجزة قط ، بل لم يره إلا وهو إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل ، وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب ، وما عدم منه إلا الخط وإقامة الشعر ... الخ »

فالجاحظ هنا يحامى عن معرفة النبى لآداب العرب — وهو ما يعنينا — وعن إلمامه بما كان فخر قومه ومحل نبوغهم ... ولما كان أعز ما يفتخر به العرب هو البيان فإنه لم يمنع النبى مانع إذا أراد البلاغة أن يكون أبلغ البلغاء ، وإذا أراد الخطابة أن يكون أخطب الخطباء ، وإنه إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل ، وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب ... »

وهذا دفاع مجيد من شيخ الأدباء العرب عن النبى الأديب الأعظم فى معرض ما فهم أحد علماء البصرة من أمّية محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو دفاع رجل كان يهب حياته للأدب ، وكان يعنى بأدب الرسول خاصة ، وكان يصف كلامه فيقول[1] : « هو الكلام الذى قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونُزّه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد : « وما أنا من المتكلفين » فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقعير ، واستعمل المبسوط فى موضع البسط ، والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السوقى فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة ، وشُيّد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق

« وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه ، وغشّاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يُبطئ ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين فى فحواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً ... »

والذى وصف به الجاحظ كلام الرسول قول حق ، وهو كان يفضل به كلامه صلى الله عليه وسلم على كل كلام العرب ، أما نحن فنجعل حكم الجاحظ أعم وأشمل . فليس فى كلام أحد من الفرنجة قاطبة كلام يشبه كلام الرسول فيما زعمه الجاحظ ... وقد يقول قارىء غير مسلم : « كاتب مسلم متحمس للرسول فهو لا يستطيع أن يقول غير هذا ! » كلا والله ... فلقد قرأت ودرست أدب الأقدمين شعراً ونثراً وخطباً ؛ ولقد قرأت ودرست أدب النهضة فى جميع الممالك الأوربية ؛ ولقد قرأت ودرست ووازنت بين أدباء عصر بركليس وأدباء عصر إليصابات ، وأدباء عصر لويس ، وأدباء القيصرية الروسية ، فلا والله ما وجدت أجدهم يرتفع إلى أدب الرسول ولا يحكيه غزارة ورقة وازدحاما بالمعانى وشمولا للاغراض . وهذه هى خطب ديموستين فى التبغيض فى الارستقراطية والتبشير بالديمقراطية ... أين هى من هذه المساواة العجيبة التى أقامها محمد بين هذه الملايين بقوله : إنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ؟ بل أين هذا الخطيب الوضيع المرتشى الذى يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، والذى فر من مواطنيه اليونانيين حتى إذا لاحقوه وضيقوا عليه عمد إلى السم ليضع حداً لمهزلة حياته الفياضة بالمخازى ؟ أين هذا الخطيب الذى يحفظ الأثر خطبه كأنها المثل الأعلى للخطابة من الرسول الكريم الذى لم يكن ينطق عن الهوى ، والذى ألف بخطبه بين أشد القلوب عنجهية وأفدحها جاهلية وأكثرها عصبية ، فخلق منها أمة تعبد رباً واحداً بعد أرباب ، وتنتشر من الصحراء بمصابيح الهداية فتملأ المشرقين والمغربين نوراً وهداية وحكمة وعرفاناً ؟

ثم خطيب الرومان شيشرون ! هذا الرجل الذى فضح مارك أنطوان بخطبه الرنانة .. ماذا ترك لخير الإنسانية من كل ما كتب وخطب ؟ لقد كان محامياً مدرهاً ، فهل كسب للانسانية قضية كهذه القضية التى كسبها لها محمد بن عبد الله ؟ لقد كتب فى القانون والفلسفة والأخلاق ، فهل حل معضلاتها المعقدة كما حلها محمد بن عبد الله النبى الأمي ؟ ولقد حفظ لنا الأثر كثيراً من خطبه ومقالاته ، فهل فيها ما يرتفع إلى بيان محمد وبلاغة محمد ؟ هل استطاع أن يضع للرومان دستوراً يحمى الجمهورية ويحول دون قيام الامبراطورية كهذا الدستور الذى أوحى به إلى محمد ، والذى يَسّره الله بلسان محمد ؟

ثم هذا دانتى ... هذا الكاثوليكى القح ... الذى يرفعه مؤرخو الأدب إلى ذروة المجد بما بهرج فى الكوميديا الإلهية ؟ ماذا جاء به من السحر فى هذه المنظومة ؟ لقد أثبتنا بما نشرناه

(١) البيان جـ ٢ ص ٢٨

فى « الرسالة » أن كل شىء رائع فى هذه القصيدة ليس من صنع دانتى ، بل هو مما سرق دانتى من أخيلة[1] القرآن وبيان الأحاديث فى وصف الجنة ووصف الجحيم، وذلك بما انتشر من ثقافة القرآن وثقافة الأحاديث بعد الحروب الصليبية وقبلها عن طريق الأندلس وعن طريق صقلية إلى فرنسا ثم إيطاليا

ثم هـذا ملتون ... فأين ما جاء فى فردوسه من الحرب بين الشيطان وبين المسيح وأجناد المسيح مما جاء فى القرآن والحديث من تحاور بين الله العلى وبين إبليس، وبين إبليس وبين ملئه الذين أغواهم فأدخلهم النار ثم تبرأ منهم وهو يرسف معهم فى سواء الجحيم ؟!

ثم هذا جون بَنْيَنْ ! فماذا جاء به فى « رحلة الحاج » مما ليس له مثل بل أمثال تبذه وتزرى به فى أدب محمد النبى الأمى ؟

وهذا بيكون الأديب النائب العام والكاتب الأخلاق الفيلسوف المرتشى الذى لم يرع لذى فضل عليه فضله ولم يكن عنده من الوفاء ما يجزى به ذوى الأيادى الغر عليه[2]، ماذا كتب فى فصوله فى الأخلاق مما لم يسبقه إليه الرسول الأعظم ؟

والأدباء العظام فى عصر لويس الرابع عشر : بيير كورنيل وديكارت وموليير وراسين ولافونتين ، إننا نقولها كلمة حق لا تصدر عن حماسة فحسب، بل عن تروية ويقين: إن المُثل الرائعة التى زاد بها هؤلاء فى تراث الفكر الانسانى والثقافة الانسانية هى قل من كثر مما ضاعف به النبي هذا التراث ، ونحن نقول المثل لأن النبى لم يكن ضحاكاً كموليير ولا فيلسوفاً كديكارت ولا مؤلف درامات كراسين ، بيد أنه مع ذاك أنشأ للانسانية مُثُلاً أسمى مما أنشأ هؤلاء ، وأنشأها كلها عن طريق الأدب

والأدباء الذين مهدوا للثورة الفرنسية . . . ڤولتير وديدرو وبومارشيه ورسو ... هل أنشأوا ثورة كهذه الثورة التى أنشأها محمد بن عبد الله وقام بها وحده ؟! وأين هى الثورة الفرنسية التى انتهكت فيها الجريات باسم الحرية ، وخضعت فيها الكرامات والشرائع لجنون الشعب وعربدة النساء ولوثة الأوشاب من تلك الثورة العظيمة فى سبيل الحق وخير الإنسانية وانتشال العقل من براثن الأغوال الحجرية التى كان يعبدها الناس ... هبل ويغوث ويعوق ونسر واللات والعزى وضمار ؟! أى الثورتين كانت أروع وأيهما كانت أعود بالخير على الناس وعلى الأفهام ؟!

(١) نحن نؤمن أنه ليس بالقرآن خيال إنما به الحق المحض ، إنما نحن هنا بمعرض دراسة أدبية فحسب

(٢) سوف نكتب عن كل هؤلاء إن شاء الله فى فصولنا (أعلام الأدب)

لقد كتب روسو إنجيل الثورة، ، فهل رسم فيه ما رسم القرآن للناس أجمعين فى كل العصور ؟! وهل كاتب إنجيل الثورة كهذا الوحى الذى يسره الله بلسان محرر ؟!

ثم هؤلاء منشئو الأدب الألمانى : جوته صاحب فاوست ، وشيللر صاحب وليم تل ، ولسنج مؤلف لاوكون ، وهم الذين أعدوا الذهن الألمانى إعداده الذى غبر عليه قرن ونصف قرن ، الإعداد الذى لا يعرف شيئاً وهو المثل الأعلى غير القوة والغَلْب، هل جعلوا ألمانيا تقهر العالم فى أقل من عشر سنين كما جعل محمد أمته تصنع ذلك ؟ وإذا قدر لألمانيا أن تصنع ذلك ، فهل كانت تنشر الأمن والطمأنينة والعلم والنور ودين الحق بالسلام كما نشر العرب ذلك جميعاً فى ربوع العالم ؟أم أنها كانت تستعبد الناس وتذلهم وتقول لهم أنتم ساميون وحاميون ... و ... آريون ... أما نحن فآريون نورديّون ؟! فى حين يقول محمد للنـاس : « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى !! »

أم أدباء روسيا: لرمنتوف وجوجول وتولستوى ودستوفسكى وترجنيف وبوشكين وجوركى ؟! ماذا أسلف هؤلاء جميعاً ؟! لقد مهدوا بأدبهم الباكى المتوجع البائس الفقير الغارق فى الدموع لهذه الشيوعية المخربة التى تستبد بالناس وتسومهم الخسف وتهدم مساجدهم وكنائسهم وبيعهم وتبيح نساءهم باسم الدولة ... فكأنهم تخلصوا من راسبوتين ليقعوا فى براثن ستالين !!

وبعد ... فنحن لا نحصى أدباء العالم هنا لنوازن بين ما انتهى إليه أدبهم وبين ما انتهى إليه أدب الرسول الكريم ... ونحن لا نقص من الآداب الرائعة التى لها قيمتها ولها أثرها لنرفع أدب نبينا بغير الحق، بل نحن نقارن بين مُثُل ومُثُل ونوازن بين خير كثير أصاب الإنسانية على يد رجل واحد وخير كثير أصابها على أيدى كثيرين ، وشتان بين الأدبين

أما أن يقول أحد إن الأدب هو القصة ، فلقد قص الرسول أحسن القصص وأروعه ، فى أحسن عبارة وأقوى أسلوب ... وأما أن يقول أحد إن الأدب هو الشعر ، فما كان محمد شاعراً ، ولم ينبغ له أن يكون شاعراً ، ومع ذاك فقد يسر الله بلسانه فى القرآن من المعانى والأوصاف والأمثال والتشريع والحكمة وجمال الأداء ، وإعجاز التراكيب ، ما لم يتيسر لشاعر من شعراء العالمين . وكذلك حديث رسول الله ، فهو ثروة ثانية من أروع صور الآداب ، ومنهل عذب للواردين

وأما أن يقول أحد إن محمداً لم يؤلف دراما ، فحسبه أنه كان

المروءة

مصادر مطوية

للدكتور بشر فارس

المروءة (أو المروّة) من الألفاظ التى يكثر ورودها فى النصوص العربية القديمة ولا سيما فى الكتب التى ألفها أدباء العهد العباسى. وهى، من باب آخر، من الألفاظ المشتبهة فى اللغة العربية لتضارب الأقوال فيها وتدافع التعريفات لها. وقد عظم شأنها على تعاقب الأيام حتى تناولها المتكلمون والمتصوفة فنزلت منزلة الفضيلة بل منزلة مبدإ «أخلاق». وذلك ما دفع بعض المستشرقين والشرقيين أن يعدوها، وهماً، رأس الفضائل الجاهلية

والذى يبدو لى أن المروءة أفادت، أولَ أمرها، الرجولة الحسية أى شدة الأسر، ثم الرجولة المعنوية أى السجايا الرفيعة، سجايا السيد مثلاً. ولذلك قرنها نفر ممن تكلموا عليها بالسيادة أو السؤدد. وهذان المفادان: الحسى والمعنوى، ظلا يتنازعان المروءة، فاتصل الأول بالحياة المادية ولحق الثانى بمكارم الأخلاق. وقد غلب الجانبُ المعنوى الجانبَ الحسى بفضل الإسلام. (وهنالك أحاديث غير صحيحة فى المروءة وعظمة شأنها) وأخذ ذلك الجانب الغالب ينتقل على مدار الأيام من موضع إلى موضع؛ فدلت المروءة على العفاف والأدب والفضل والإنسانية والسرو؛ ثم قامت لفظاً واقعاً على محاسن جمة، على أقلام المحدثين والمتكلمين والأخلاقيين والفقهاء. وأما المتصوفة فأنزلوها منزلة الفتوة، فتجاورت اللفظتان فى ميدان الأخلاقيات المجردة. وقد اتفق لها أن تنحرف إلى هنا وإلى هنا على ألسنة العامة قديماً فى الأندلس وحديثاً فى مصر والشام

كل هذا الحديث مع ما تحته من التفصيل والتبيين تجده فى فصلٍ من فصول كتابٍ من هذا القلم يخرج باللغة العربية بعد أيام، وعنوانه «مباحث عربية» وعنوان الفصل «المروءة فى اللغة والعرف». وقد انسقت إلى النظر فى هذه اللفظة يوم كنت أؤلف «العرض عند عرب الجاهلية» ثم انصرفت إلى استجلاء غوامضها وتمحيص مدلولاتها باستقصاء المصادر والمراجع فنشرت فيها فصلاً فى «تكملة دائرة المعارف الاسلامية» البارزة فى هولندة (الجزء الرابع).

وأما هذه المصادر والمراجع فمتشعبة غزيرة، فيها المطبوع والمخطوط؛ وفى القراء من أصاب فى كتب الأدب أشباه «العقد الفريد» و«عيون الأخبار» و«الموشى» و«أدب الدنيا والدين» أبواباً فى المروءة. بل هنالك كتاب أُفرد لها، عنوانه «مرآة المروءات» لأبى منصور الثعالبى (مصر ١٨٩٨). ومن المصادر المطوية كتاب «مرآة المروّات» لعلى بن الحسن بن جعدويه، كتبه للوزير نظام الملك (٤٥٦ — ٤٨٥هـ) وكتاب ابن جعدويه مُجرًى على أسلوب كتاب الثعالبى مع ميل إلى الناحية الدينية بل الصوفية. وقد اهتدى إلى مخطوط ابن جعدويه المستشرق

يمثل درامات الحق فوق مسرح الواقع، وليس فى الأدب المسرحى جميعاً ما هو أروع من إسلام حمزة أو موت حمزة، وإسلام عمر أو مقتل عمر، وهجرة محمد من وطنه العاق إلى مُهاجَره الصادق، وصبر أصحابه على أذى قريش وكفران قريش، ورمى المنافقين زوج الرسول بالإفك وصبر عائشة لذلك ... وهذه المئات والمئات من مشاهد الدرامة الكبرى التى قام بأدائها الرسول، والتى رواها وقص فصولها فى واقعه، ويسر الله لسانه بذكرها فى قرآنه

صلى الله عليك يا رسول الله إذ يسألك أبو بكر: لقد طُفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدّبك؟ فتقول: أدّبنى ربى فأحسن تأديبى!

دريني خشبة

***

حاشية: الكلام بقية فى رد شبهات الكتاب الأفرنج الذين عابوا أسلوب القرآن بكثرة التشابه فيه، وأخذوا على حديث الرسول كثرة الغريب. فنرجئ ذلك إلى موضعه فى الأعداد الآتية

الأستاذ تيشنر F. Taeschner فوصفها فى المجلة الاستشراقيـة Islamica (الجزء الخامس ١٩٣٢) .

والذى فى نيتى ههنا أن أنشر مصدرين آخرين . أما الأول ففصل فى المروءة والسؤدد من مخطوط عنوانه « كتاب مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وبدايع الأوصاف وغرايب التشبيهات» لمجهول ، وقد أصبته فى المخطوطات المخزونة فى دار الكتب الوطنية فى ليدن ورقمه ٤٠٩ .

وأما الثانى ففصل فى المروّة من مخطوط مخزون فى أياصوفيا تحت رقم ٢٠٤٩ ويقع فى ص ٢٠٦ . وقد أشار الأستاذ تيشنر إليه فى مقاله المنشور فى المجلة المذكورة ، ثم بعث إلى وسمح لى بنشرها، فله الشكر.

وفى المصدر الأول تعريفات وأقوال فى المروءة على أنها لون من ألوان السيادة وشرط من أشراطها وأما الثانى ففيه محاولة لرد معنى المروءة إلى المدلول الأصلى من ناحية الاشتقاق ثم نظرة « أخلاقيـة » فى شأنها ، طرافتها ذلك التفريق الذى بين المرأة والرجل(١).

ا — مخطوط ليدن

(ص ١١) « الفصل السابع فى السودد والمروّة »

« قال النبى صلى الله عليه وسلم : تجافوا عن عقوبة ذوى المروة ما لم يقع حداً . وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . قيل لقيس ابن عاصم : بِمَ سدت ؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصر المولى . وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى: إن للناس وجوهاً يرفعون حاجة الضعيف فأكرمهم . وقال عليـه السلام : أقيلوا الكرامَ عثراتِهم . قال معاوية لابنه يزيد : ما المروة ؟ قال : إذا ابتليت صبرت ، وإذا أنعم عليك شكرت ، وإذا قدرت عفوت . قال : أنت منى ، وأنا منك . وسئل بعض الحكماء عن المروة ، فقال : إسرار ما تحب [تحِب] أن تعلن ، ومواطاة القلب اللسان. وقيل : المروة ألا تعمل شيئاً فى السر تستحى منه فى العلانية . يقال : كان سَلم بن نوفل سيد كنانة فجرح رجل ابنه ، فأتى به ، فقال له : ما أمنك (ص ١١ م) من انتقامى ؟ قال : فلم سوّدناك إلا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجار وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه ؟ فخلّى عنه . دخل جُذيم بن أوس الطائى على معاوية ، فقال : من سيدُكم اليوم ؟ قال: من احتمل شتمنا، وأعطى سايلنا [سائلنا] وأغضى عن جاهلنا، واغتفر ضربَنا [ضَرْبنا] إياه بعصيّينا [بعصيّنا] . وقال عدىّ بن حاتم : السيد، الأحمق فى ماله ، ذليل [الذليل] فى عرضه ، المطرحُ لحقده ، المعنى [المعنىّ] بأمر عامته . يقال الارتقاء إلى السودد صعب ، والانحطاط إلى الدّناة [الدناءة] سهل. قال عمر بن عبد العزيز لرجل: من سيّدقومك؟ قال : أنا ، قال : ولو كنت كذا ما قلته . مال [قال] معاوية لوفد : كيف كان قطبة بن زيد فيكم؟ قالوا: كان إذا حضر أطعمناه، وإذا غاب شتمناه . قال: هذا والله السودد المحض . قال عمرو بن عبيد : لا يكمل مروة الرجل فى دينه حتى يكون فيه ثلاث خلال: يقطع رجاه مما فى أيدى الناس ، ويستمع الأذى فيحتمل ، ويحب للناس ما يحبّ [يحبُّ] لنفسه. قال ابن عمر: إنا معاشر قريش نعد الحلم والجود السودد، ونعد العفاف وإصلاح المال المروة . سأل معاوية (ص١٢) الحسن بن على رضى الله عنه — عن المروّة . فقال : حفظ الرجل دينه وإحرازه نفسَه من الدنَس وقيامه لضيفه وآد [أداء] الحقوق وإفشاء السلام . بعث رسول من خراسان إلى سَوار بن عبد الله القاضى يسأله عن المروة ما هى ، فقال الإنصاف والتفضل . وقال على رضى الله عنه : ثلاث من كن فيه استوجب بهن أربعاً [تلثاً تصويب فى النص] من إذا حدث الناس لم يكذبهم ، وإذا وعدهم لم يخفلهم [يخلفهم]، وإذا خالطهم لم يظلمهم؛ فإذا فعل ذلك فقدوجبت إخوته وكلت مروته وحرمت غيبته . قال ابن عمر : ما رأيت أحداً أسود من معاوية ، قيل : يا أبا عبد الرحمن : أهو خير من أبى بكر وعمر ؟ قال : هما خير منه، وهو أسود منهما . قيل له: هو أسود أم عثمان؟ قال : إن عثمان لسيّد ، ومعاوية أسود منه . »

ب مخطوط ايا صوفيا

وأما المروة فلها اشتقاقان من أحدهما يقتضى أن يكون هى والإنسانية متقاربتين ، وهو أن يجعَل من قولهم : مَرُؤ الطعام وامرأة [وأمرأه] إذا تخصص بالمرى لموافقته الطبعَ ، فكأنهاسم الأخلاق والأفعال التى تقبّلها [تقبلها] النفوس السليمة. فعلى هذا

(١) ما يقع تحت هاتين العلامتين ( ) يفيد نصا مزيداً من عنـدى وما يقع تحت هاتين العلامتين [ ] يفيد تصويبا من عندى لمخطوط ليدن ومن عند الأستاذ تيشنر لمخطوط ايا صوفيا .

روح الإسلام في العبادة

للأستاذ عمر الدسوقي

من ذياك المخلوق المتجبر الذي تعنو له جباه الضواري في أدغالها، وتفرق من طلعته الوعول في معاقلها، ويمعن السمك في مساربه هلعاً لدنوه، وتهابه الطيور في أوكارها، والصلال في أجحارها؟! هو الإنسان! درج على الأرض فكان سيدها المطاع، ولم تعجزه إلا تلك القوى السماوية، من ريح زفوف عاتية، أو رعود قاصفة مدوية، أو زلازل تميد لها الأرض تحت قدميه، أو براكين تثور محنقة غاضبة أمام عينيه. كيف يدرأ شرها، أو يحوز رضاها؟ سجد لها وتضرع، وتزلف بالقربى والابتهال. ولكنه خلق وفي نفسه عنجهية وكبرياء، فأخذ على مر القرون يتنكر لها، ويشمر عن ساعده لتسخيرها وصرعها، وكلما ذاق لذة الظفر مرة، قوى إيمانه بقدرته، وجلال عقله، وكفر بها، ولج في كفرانه؛ بيد أنه أحس من أعماق فؤاده نداء خفياً أن ثمة إله آخر، أنت والدنيا والطبيعة صنع يده القادرة! ما بالك كلما حز بك أمر، أو تكأكأت عليك المصائب، أو خطف الموت فلذة كبدك وأحباءك، تنادي في ذلة وضراعة ذلك الإله الذي لا تراه، أن رفقاً يا رباه، فليس لي حول ولا طول أمام جبروتك وعظم ملكوتك. قرت في جنانه تلك العقيدة فهدأ بلباله، وطفق يلهج بما يكنه فؤاده من حب ومعرفة بالجميل، وندم وتوسل، لذلك الإله الدائم اليقظة، الذي ينشر رحمته على الدنيا جمعاء. وهل الصلاة والعبادة سوى مظهر من مظاهر ذلك الشعور الذي يفيض به قلب الإنسان؟

فكر في كنه ذلك الإله، ثم فكر حتى أجهده الفكر، وكبا عقله في الميدان صريعاً، وزين له الشيطان أن يصور ذلك الإله ويرمز له، ويعبد الرمز تقرباً إلى الله وزلفى؛ ثم أتى عليه حين من الدهر نسي مغزى هذه الرموز والأصنام، فخالها آلهة قادرة، يتحكم كل منها في شأن من شئون العالم؛ وتوهم أن لها ما للإنسان من شهوة ورغبات، وإحساس وشعور؛ وما دام الإنسان لا يقر عيناً ويطيب نفساً إلا إذا عل من معين المادة حتى روى، فكذلك الآلهة لا بد لها من القرابين والضحايا. شاد المعابد والهيا كل وأخذ يتعبد كما زخرف له الشيطان؛ ولهذا كانت العبادة عند قدماء الهند تتألف من الطهارة والقرابين، وظلت هكذا ردحاً من الزمن غير قصير، حتى آب الإنسان لرشده وارتقت الفكرة الدينية عند فلاسفة الهند الأقدمين، ففهموا للطهارة والقربى مغزى غير ما أدرك أسلافهم؛ بيد أن البرهمية لم تحد قيد شعرة عن إيمانها بالقربان، ولا سيما بعد أن قويت عقيدة الدهماء بالكهنة، وما حبتهم الآلهة من فضائل خفية هي حبس عليهم وعلى ذرياتهم من بعدهم

اعتقد طغام الناس أن الآلهة لن تتقبل القربان، إلا إذا باركه الكاهن، وقدمه بيده، وبطريقة معينة لا تغيير فيها ولا تبديل، مرتلاً خلال ذلك أناشيد وأدعية، يرددها لسانه، ولا يحس بها جنانه، بينما يقف المتقرب مكتوف اليدين يسمع ويرى دون أن يضرب بسهم، أو يفوه بكلمة، في هذه العبادة التي أقيمت من أجله. لم تكن العبادة تقدر بسيرة المتقرب الخلقية، وفضائله ومزاياه، أو رذائله ونقائصه، ولكن بحذق الكاهن وبراعته

يكون اسماً للأفعال المستحسنة كالإنسانية. والثاني أن يكون من المرء فيُجعل اسماً للمحاسن التي يختص بها الرجل دون المرأة فيكون كالرجولية؛ وذلك أخص من الإنسانية، إذ الإنسانية يشترك فيها الرجال والنساء، والمروة أخص بكثير مما يكون فضيلة للمرأة يكون ذاية [رذيلة] للرجال كالبله والخفر والبخل والجبن، ولهذا قيل الخلايق الرجال [خلايق الرجال] أرذل أخلاق النساء، فالكيس والشجاعة والجود رذيلة لهن.»

بشر فارس

فى تأدية المراسيم الدينية غير متلعثم اللسان ، أو جامح اليد ، وإلا بطل ثوابها وحبط عملها ؛ وما على المتعبد إلا أن يعتقد بأن الآلهة سوف تسبغ عليه أبراد الرحمة ضافية ، جذلاً بما قدمت يداه

أما الزرادشتيون ، والصابئون من الفرس ، فقد عاشوا فى دنيا من الصلوات والدعاء ؛ فكان الزرادشتى يتمتم بالدعاء ، إذا عطس ، أو قلم أظفاره ، أو قص شعره ، أو حاك ثيابه ، أو طهى طعامه ، أو أشعل مصباحه ، ليلاً ونهاراً ، لا يكل ولا يمل

دانوا بالعبادة بادئ ذى بدء لآلههم « أورمزد » ، ثم ما لبثوا أن قدسوا السماء وبروجها ، والأرض وجبالها ، والوحوش الكاسرة ، والأشجار المتباينة ، وكان لنبات القمر (١) منزلة فى نفوسهم لا تسامى

وما كانت عبادتهم سوى تكرار صيغة من الدعاء ، فقدت بما بها من حرارة ، وذهب مالها من طلاوة وتأثير بكر الزمان ومر العشى . أجل ! إن المثل الخلقية كانت جلية عند بعض مفكريهم ، ولكن الشعب لم يدرك لها رسماً . أضف إلى ذلك أن الكهنة خصوا أنفسهم بالحياة الروحية ، وحرموها على سواهم من الناس ؛ كما شيدوا حصوناً من القداسة كانت لهم معقلاً يباعد بينهم وبين غيرهم ، ويحول بين الناس وبين المتعة الروحية السامية ؛ لأن الكهنة ابتدعوا نوعين من العبادة ، أولهما حكر عليهم وعلى طائفتهم ، وثانيهما مباح للناس أن يساهموا فيه (٢)

أما اليهودية فجاءت خلواً من الأوامر التى تحث على الصلاة ، اللهم إلا صيغة واحدة من الدعاء يلفظ بها رب الأسرة ، حين يدفع جُعل الكاهن ، أو يتقرب بباكورة ماشيته وزرعه ، مثنياً فيها على الله أن مكنه من القيام بامتثال أوامره ، ومتوسلاً إليه أن يسبغ بركاته على بنى إسرائيل

ثم سمت الفكرة الروحية حول الذات العلية ، عند عامة اليهود ، ووعاظهم ، واختفت عقيدة التجسيم من أفئدتهم ، وأدرك الناس أن العبادة شرعة يصل بها العبد إلى مولاه ؛ ومن ثم أصبح لليهود بالعرف والعادة أمة ذات صلاة ، على الرغم من فقدان النص الصريح فى شريعتهم . ولكن الصلاة عادت آلية فى كثير من الأحيان ؛ لأن الشعب لم يجد مناصاً عن طلب الكاهن ليؤمهم ، إذ لم يكن بين أيديهم تشريع خاص من الله يرجعون إليه ؛ ونفقت سوق الكهنة وأخذوا يبيعون كلمات الله بثمن بخس دراهم معدودات . ألم ينعفهم القرآن على ذلك الجرم فى سورة البقرة مخاطباً بنى إسرائيل : « ولا تَشْتَرُوا بآيَاتِى ثمناً قليلاً ، وإيَّاىَ فاتَّقُون » ؟؟

ثم مثلت تعاليم المسيح تطوراً جديداً فى شعور الإنسان الدينى وقدرت الصلاة حق قدرها ، واقتفى الحواريون خطى إمامهم فعكفوا على عبادة الله وحمده ؛ ولكن المسيحية ، جاءت كاليهودية ، خلوا من قواعد معينة ، ونظم محدودة ، يسترشد بها الدهماء فى صلاتهم ، فتركوا على مر الزمن ألعوبة فى يد القسيسين الذين أخذوا على عاتقهم ، تنظيم العبادة ، وبيان أوقاتها ومراسيمها ؛ ومن ثم ألفت كتب الصلاة والأنظمة الدينية ، والمجالس الكنسية ؛ لتبين للناس ما يعتقدون وكيف يتعبدون ؛ ومن ثم برزت للوجود عبادة الرهبان الآلية ، وأناشيدهم وترتيلاتهم التى لا روح فيها ؛ وأخذ الناس يهرعون إلى الكنائس يوماً من كل أسبوع ، ليأخذوا ما فاتهم من الغذاء الروحى خلال الأيام الستة الأخرى .

كانت هـذه حال الديانات فى القرن السابع الميلادى ، حين سطع نور الرسالة المحمدية فى أفق صحراء العرب ، يهدى الناس إلى دين جـديد ، يشبع نهم نفوسهم ، ويسمو بأرواحهم إلى الدرجات العلى . دع جانباً ما كانت تهيم فيه الأمة العربيـة ذاتها ، من ضلال ، وفساد فى العقيدة ، وإسفاف فى الفكرة الدينية ، وعجز عن إدراك عظمة الإله وقدسيته ، وطوافها بأصنام من الحجر الصلد ، لا تحير جواباً إذا نوديت ، أو تنفع إذا دعيت ، أو تشع فى الفؤاد نوراً أو تبعث فى الروح يقظة إذا عبدت وقدست .

نفذ الإسلام إلى قرارة الروح الإنسانية ، ورأى تحرقها للافصاح عن حبها وشكرها لله ، ففرض صلاة ، تسعد بها النفوس ، وتنبل الأخلاق ، وتسمو العقول ؛ وجعلها على أوقات ، حتى لا يسبح الفكر الإنسانى فى عالم الماديات ، وينسى غذاءه الروحى . وقد أوضح صاحب الرسالة عليه السلام كيفية أدائها قولاً وفعلاً ، لئلا يترك الناس فوضى فى عباداتهم .

وغدا المجال فسيح المدى أمام كل فرد ، ليعبد الله بقلب يفيض حباً وضراعة وإخلاصاً .

(١) يسمى بالسنسكريتيه Soma ، وعند الزرادشتيين Homa

(٢) راجع the Gentile and the Jew لمؤلفه Döllinger ص ٣٩٨ الجزء الأول .

ليس الزند أفستا سوى مجموعة من الصلوات والأدعية والتوسلات ، لعدد كبير من الآلهة ، يمثل « أورمزد » بينها المكانة الأولى .

راجع كذلك ten Great Religions لمؤلفه Clarke ص ١٨٧ ، ٢٠٢

إن الصلاة التى تؤدى ، والنفس تعمرها الخشية والخشوع ، لجديرة أن تجعل من الإنسان مَلَكاً يغمر الناس حباً وحناناً وخيراً وإحسانا ، وفى ذلك يقول الله سبحانه : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر »

وهاك ما قاله أحد كتاب الإنجليز مرة : تتجلى عظمة الإسلام فى أن معابده ليست مما تشيدها الأيدى ، وأن المسلم يستطيع تأدية صلاته فى أى مكان شاء ، تحت القبة الزرقاء ، أو على ظهر البسيطة »[1] أى بقعة يصلى فيها المسلم مخلصاً لله حنيفاً فهى له مسجد « جعلت لى الأرض كلها مسجداً ، وتربتها طهوراً »[2]

لم يقدر المسيحيون ما فى صلاتنا من قوة روحية ومعنوية ، ونبى الإسلام يقول : « جعلت قرة عينى فى الصلاة » لأنه يناجى ربه ويجرد روحه أمام بارئه دون وساطة أو شفيع . وقد ثبت عن الثقاة أنه كان يبكى ، وينتحب فى صلاته ، ويتململ تملل السليم تضرعاً إلى الله ، وإنابة له .

لا رهبانية فى الإسلام ؛ لأنه دين سمح ، سهل ، يكفل خيرى الدنيا والآخرة ، ولم يدع أى شىء يحول بين العبد وربه : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريبٌ أجيبُ دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » وهذا ما جعل الإسلام يهزم البوذية والزرادشتية فى عقر دارهما ، ويدخل الناس فيه أفواجاً من كل أمة ونحلة ؛ هرباً من عتو الكهنة واغتصابهم لحريتهم ، وتحكمهم فى أرواحهم[3] .

كل مسلم مكلف بمعرفة دينه ، والتفقه فيه ، فلا طوائف دينية فى الإسلام ، ولا كهنة حباهم الله القداسة والقربى ، بل الناس أمام الله سواسية كأسنان المشط ، أكرمهم عنده أتقاهم . والتشفع بالأولياء ، فى شرعة الدين الحقة ، ضرب من البدع وانحراف عن جادة الصواب ، وروح الإسلام .

ربما توهم بعض الناس أن التقرب إلى الله بإراقة دماء الأضحية من تعاليم الإسلام ، ولكن هذ باطل لأن نحر الأضاحى فى عيدنا الأكبر تذكرة بما قام به سيدنا ابراهيم لا غير ، فضلاً عما فيه من إطعام البائس والفقير ؛ ولذلك يُهدى ثلثها ويُتصدق بثلثها ، ويُؤكل ثلثها الباقى .

جعل الإسلام طهارة البدن شرطاً فى صحة الصلاة ، وفى الوقت ذاته نص على أن مجرد الطهارة البدنية لا يغنى أمام الله فتيلاً ، إذا لم تصحبها طهارة فى الروح ، وإخلاص فى القلب ، وخلوه من الكبر والرياء ، والحسد والبغضاء .

يستقبل المسلمون جميعاً مكة فى صلاتهم ؛ حتى يظل مهد الإسلام الذى انبثق منه هذا النور الفياض ، والذى شاهد أشعته الأولى تبدد دياجير الجهل ، ملء سمع المسلمين وأبصارهم ؛ وحتى يتمثلوا موطن ذياك الصراع العنيف بين الحق وصولته ، والباطل ودولته ، وكيف حطمت الأصنام وطهرت الأرض من أدران البغى والعدوان ، والعشق والدعارة ؛ وحتى يتذكروا أن إخوانهم فى مشارق الأرض ومغاربها يشاطرونهم شعورهم ، ويولون وجوهم صوب هذه البقعة المباركة كما يتوجهون ، وأن المسلم عضو فى جماعة عظيمة تملأ فجاج الأرض ، يربطها دين واحد ، ويحفزها رجاء واحد ، وتؤمن بإله واحد .

تلك هى روح الإسلام فى فرع واحد من فروع العبادة ، ولولا خشية الإطالة لبينت ما فى الصوم والزكاة والحج من فكرة سامية وروح عالية .

محمد الدسوقى

(١) راجع Our Indian Muslamans لمؤلفه Hunter ص ١٧٩

(٢) حديث شريف

(٣) راجع كتاب الدعاية الاسلامية للسير توماس أرنولد « الاسلام فى بلاد فارس »

دار مؤمنة

للأستاذ محمد سعيد العريان

« ضلّت البشريةُ إن كان هذا مَبلغَها من العلم بالله ! »

همس بها « زيدٌ » في أذن صحابته فالتفتوا إليه مذعورين يسألونه الصمت والحذر !

هذه بطون قريش جميعاً في عيد لهم عند صنم من أصنام الجاهلية مُلبّين ضارعين يعظّمونه وينحرون له عاكفين عليه . ذلك شأنهم في كل عيد ..

وأولئك أربعة نفر من قريش قد اجتمعوا لغير ما اجتمع آباؤهم وأبناؤهم وإخوتهم من سائر قريش ، ينظرون إلى القوم في ضجيجهم حافين حول المعبود الأخرس لا يتكلمون ، وعلى شفاههم بسمات ، وفي أعينهم نظرات يخافتون بها ، وفي صدورهم رغبات مكبوتة ، لو تأتّى لهم لأهوَوْا على هذا المعبود فكبّوه على وجهه جُذاذاً محطّما !

وانتبذ الأصدقاء الأربعة ناحيةً يتناجون في همس ، وإن المكان ليضجّ بمن فيه بين داعٍ ومُلبٍّ وسائل ومستغفر .

وعاد الرجل يقول لصحابته :

« أما والله إنكم لتعلمون ما قومكم على شيء ؛ لقد أخطئوا دين أبيهم إبرهيم . ما حَجَرٌ نُطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شيء ! »

ويؤمّن صحابته على ما يقول

ذلك زيد بن عمرو بن نفيل ، من بني عدي بن كعب ؛ وأولئك أصحابه : ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان ابن الحارث .

أربعة نفر أضاء الله لهم على حين غفلة وضلال ، فسبقوا قومهم إلى التوحيد والإيمان بالله ؛ وجلسوا يداولون الرأي بينهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يتفرقوا في البلدان يسألون أهلَ العلم ما يعلمون عن دين إبرهيم . . .

* * *

وأقام زيد بن عمرو بمكة زماناً ، معتزلاً قومَه وما يعبدون من دين الله ؛ لا يؤاكلهم ولا يشاربهم ، ولا يخشى أن يباديهم بالعيب على ما هم فيه ، وحرّم على نفسه ما أحلّوا لأنفسهم من الميتة والدم وما ذُبح على النُّصب .

وعرف القرشيون ما أجمع عليه أمره ، فاعتزلوه وخلّوا بينه وبين نفسه ، لكنه لم يخلّ بينهم وبين أنفسهم ؛ فإنه ليقصد إلى البيت فيسند ظهره إلى الكعبة يقول : « يا معاشر قريش ، والله ما منكم على دين إبرهيم غيري ، وإنكم لتعبدون ما لا يغني عنكم من الله شيئاً . يا معاشر قريش ، إنكم لتأتون المنكر ، وتقارفون الشر ، وتئدون البنت ، وتكفرون النعمة . يا معاشر قريش ، أيّما رجلٍ منكم همّ أن يقتل ابنته خشية إملاق فأنا أكفيه مئونتها . يا معاشر قريش . . . يا معاشر قريش . . . »

فإذا فرغ من دعوته وجّه وجهه لله يقول : « لبّيك حقًّا حقا ، تعبُّداً ورِقًّا ، عُذْتُ بما عاذ به إبرهيم . اللهم لو أني أعلم أيّ الوجوه أحب إليك عبدتُك به ، ولكني لا أعلمه . . . » ثم يسجد على راحته ويقول :

أنفي لك اللهمّ عانٍ راغمُ   مهما تجشّمني فإني جاشمُ

ولم يزل زيد على ذلك : يذكّر قومه ويعيب عليهم ما يعبدون ، حتى ضاقوا به ؛ فأجمعوا على نكايته وتربّصوا به الشر ؛ ثم ما زال به عمه (الخطّاب بن نفيل) يؤذيه وينال منه حتى أجاءه إلى (حراء) لائذاً بالله مستجيراً ؛ فوكل به الخطاب شباباً من سفهاء قريش يأخذون عليه الطريق وينالونه بما يكره إن همّ أن يعود إلى مكة ، خشية أن يُفسد عليهم دينهم ويتأثره بنوهم .

وكانت زوجه فيمن كان من عيون الخطاب عليه ، لا يكاد زيد يهم أن يدخل مكة حتى تُؤذِن به الخطابَ فيقف له ؛ ثم يتناوله

السفهاء من شبابهم بما يقدرون عليه حتى يعود على وجهه !

رجل فرد فى وجه أمة ، قد برئ منه أهله ، وتمردت عليه زوجه ، وتذامر سفهاء الإنس وشياطين الجن على مناهضته والوقوف له ؛ ولكنه من قوة الإيمان بحيث يغالب ما لا غلبة عليه !

وأىّ قوة فى الأرض تنال من الرجل يعمر قلبه الإيمان ؟

... وأرادوه على أن يلزم مكمنه من الجبل لا يبرح ، لا هابطاً إلى الكعبة يسبح الله فى البيت الحرام ، ولا مُصعداً يلتمس أسباب المعرفة فى بلاد الله ؛ ولكن صوتاً من وراء الغيب يهتف به ، ونوراً يتنوّره على بعد يضىء بين يديه ، وإيماناً يعمر قلبه يذلّل ما يتكاءده من عقبات على الطريق .

كان يؤمن إيماناً لا شك فيه أن للكون رباً غير ما يعبد الخطاب وبطون قريش ؛ هو رب إبرهيم وموسى ؛ فمنذا يهديه الطريق إليه ؟

... ووجد زيد غفلة من حراسه فأفلت يقصِدُ قصده، متنقلاً بين الموصل والجزيرة إلى بلاد الشام ، يسأل عن دين إبرهيم ويبتغيه ومضى تتقاذفه البلاد يستطلع أنباءه بين أحبار اليهود ورهبان النصارى ؛ فما منهم إلا من يبشره بنبي قد أظلّ زمانه ، يبعثه الله بدين إبرهيم فى أرض الحجاز !

يا ناقُ سيرى عَنَقاً فَسيحاً إن نبياً قد أظلّ زمانه يبعثه الله بالهدى ودين الحق فى أرض الحجاز . يا ناقُ هذا سبيلك إلى الوطن النائى يجمع شملك بالأحباب من آل عدىّ بن كعب فى أرض الهدى والسلام . يا ناقُ هذا فجر يوشك أن ينبثق بالنور فسيرى بى إليه أقبس من نوره نوراً لقلبى وسلاماً لروحى . يا ناقُ هذا يومُك المأمول تبرق شمسه فى حواشى الأفق فأبلغينى مأملى قبل الغداة .

ذلك زيد بن عمرو بن نفيل فى طريقه إلى مكة يسعى نوره بين يديه إلى أمل يرجوه ، فإنه ليحدو بعيره مغتبطاً جذلان أن يعود إلى وطنه ومرتع صباه فيظفر بالحسنيين من لقاء الأهل والولد وصحبة النبي القرشى الذى أظلّ زمانه ؛ وإنه ليغذّ السير وفى نفسه شوق ولهفة ، وعلى لسانه تسبيح ودعاء !

وانطوى الطريق تحت أخفاف البعير الذى أنضاه السرى وجهد السفر ، فلما صار على قربٍ قريب من أرض الحجاز وأوشك أن ينعم بلقائه الأهل والولد ورؤية النبي الذى قطع مفازة الحياة سعياً إلى لقاه — عَدَا عليه مَن عدا من أهل السبيل فصرعه قبل أن يبلغ حيث يريد ، فإنه ليقول وهو يلفظ أنفاسه : « اللهم إنى أُشهدك أنى على دين إبراهيم ! » يرحمك الله أبا سعيد !

* * *

... وأشرق الصبح على أرض الحجاز ، وفاض النور من غار حراء يغمر بطحاء مكة ويسيل سيل العرم فيمحو الظلمات ويدخل منه فى كل دار قبس يضىء . وداعبتْ أشعةُ الصبح الضاحك نافذةَ الدار التى آوتْ زيد بن عمرو بن نفيل عُمْراً من عمره، ثم هجرها ساعياً إلى الله يبتغى الوسيلة إلى دين الحق ، فكان ولده سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب — من السابقين الأولين فى الإسلام!

وعاد النور والإشراق إلى الدار التى يُعْزَى إليها أولُ مذكر بدين إبرهيم على حين غفلة وضلال . وكان إيمان سعيد واستجابته لدعوة الحق امتداداً لدعوة أبيه فى الجاهلية وصفحةً مشرقة من التاريخ تنضمّ إلى صفحات !

ثم دار الفلك دورة، وإذا فتى عارمٌ من فتيان قريش يدخل دار سعيد متوشحاً سيفه، وفى عينيه شرٌّ وعلى لسانه وعيد، فما إن رآه سعيد وزوجه حتى سكت القرآنُ وخَفَتَ الصوت وانكمش بعضٌ فى بعض؛ وأوشكت أن تنقض صاعقة تزلزل أركان الدار المؤمنة...

يا عجبا ! ما بال هذا الفتى قد نسى ما جاء له وَرَقّ بعد عُرام وعنف ؟ هل كان يقصد إلا هذا الفتى العربىّ وزوجه ، أن ينالهما بأشد الأذى على ما صَبَآ وفارقا دين قومهما ؟

ها هو ذا فى موقفه منهما خاشع الطرف يتلو من صحيفة فى يده : « بسم الله الرحمن الرحيم . طَهَ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأرضَ وَالسَّمٰوٰاتِ الْعُلَى . . . »

فما يكاد يفرغ من تلاوته حتى يلتفت إلى خَتَنِه سعيد وأختِه فاطمة بنت الخطاب يقول :

« دُلاّنى على محمد حتى آتيه فأسلم ! »

ذلك عمر بن الخطاب وتلك دار سعيد بن زيد بن عمرو ؛ دخلها دخول الفاتك المتقحم لا تهدأ نفسه إلا أن يريق دما ؛ فما احتوته الدار حتى كان عمرُ غيرَ عمر !

إن فى بعض الأمكنة لَسِرًّا يهمس ، ونجوى تخافت ؛ وإن فى هذه الدار ...!

* * *

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة

ذات النطاقين

للأستاذ محمود محمد شاكر

(قال عمر بن أبي ربيعة بعَقِب حديثه) :

... فوالله لقد جَهَدنا البلاء — يا أهل مكة — ولقد صبرنا على حصار الحجاج سبعة أشهر أو تزيد في غير حصن ولا منعة ، وإن أحدنا ليُرى وقد لحقت بطنُه بظهره من الجوع والطَّوَى ، ولولا بركة تلك العين (يعني زمزم) لقضينا ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنها مباركة ، إنها طعامُ طُعمٍ » لقد أشبعنا ماؤها كأشد ما نشبع من الطعام ، وما ندرى ما يُفعَلُ بنا مُنذُ اليوم . فلقد خذَل « ابنَ الزُّبير » أصحابه خذلاناً شديداً ، وما من ساعةٍ تمضى حتى يخرج من أهل مكة مَن يخرج إلى الحجاج فى طلب الأمان . ألا شاهتْ وجوه قوم زعموا أنْ سينصرونه ، يحمون « البيت » أن يُلحَد فيه ، ثم يتكشفون عنه انكشافةً كما تَتفرق هذه الحمامُ عن مَجثِمها على الرَّوْع ...

وخرجتُ ، ومكة كأنها تحتَ السَّحَر خليةُ نحل مما يدوِّى فى أرجائها مِنْ صوتِ داعٍ ومكبِّرٍ وقارىء ، وصمدتُ أريد المسجد فأسمع أذان « سعد » مؤذِّنِ ابن الزبير فأصلى ركعتى الفجر ، فيتقدم ابن الزبير فيصلى بنا أتمَّ صلاة ، ثم يستأذن الناس ممن بقى من أصحابه أن يُوَدِّع أمه « أسماء بنت أبى بكر الصديق » فانطلق وراءه وما أكادُ أراهُ مما احتشدَ الناسُ فى المسجد ، وقد ماجوا وماجَ بهم يتدامرون ويحضّضُون ويُحرِّضون ، وزاحمت الناس بالمناكب أرجو ألا يَفوتنى مَشهد أسماء تستقبل ولَدها وتودِّعه ولقد تعلمُ أنه مقتول لا مَحالة ، فما كاد أدركه إلا وقد انصرف من دارها يريد المسجد ، وإذا امرأة ضَخْمة عجوز عمياء طُوالة كأنْ سرْحة فى ثيابها ، قد أمسكت بعُضادتى الباب تصرف وجهها إليه حيثما انتقل ، فوالله لكأنها تثبتُه وتُبصرُه ، وقد برقَت أسرَّةُ وجهها تحت الليل برق العارِض المتهلل ، ثم تنادى بأرفع صوت وأحنّه وألينه ، قد اجتمعت فيه قوة إيمانها وحنينُ قلبِها : « يا عبد الله! يا بُنى، إنى أمك التى حملتك ، وإنى احتسبتك فلا تَهن ولا تجزع . يا بنى ابذل مُهجة نفسك ، ولا تَبعد إلا من النار... يا عبد الله! لا تبعد إلا من النار، أستودعك الله يا بُنى ! » ثم تدور لتلج الدار فكأنها شِراعٌ قد طُوِى

رحمة الله عليكم يا آل أبى بكر ، لأنتم أصلبُ الناس أعوادا وألينهم قلوباً . وأحسن الله عزاءك ياذاتَ النطاقين، فلقد تجملتِ بالصبر حتى لقد أُنسيت أنك أمٌّ يجزع قلبها أن يَهلكَ عليها ولدُها فيتقطع عليه حَشاها

وانصرفتُ عنها بهمِّى أسَى ، فو الله ما رأيت كاليوم أكسبَ لعجب وأجدَ لحزن مِن أمٍّ ثكلى يحيا ظاهرُها كأنه سراجٌ يَزهَرُ ، ويموتُ باطنها كأنه ذُبالةٌ توشكُ أن تنطفئ ، وذهبتُ ألتمسُ الوجوهَ وأحزانها ، فما أرى وُجومَها وقُطوبَها وانكسارَها ورَهقَها وصُفرتَها إلا ذِلةَ النفس وخضوعها واستكانتها وضعفَها وعلَّتها ، وأن المؤمنَ حين يحضُرُه الهمُّ أشعثَ أغبرَ يَردُّه إيمانُه — حين يؤمن — أبلجَ يتوقَّد ، ليكون البُرهانَ على أنَّ الإيمانَ صيقلُ الحياةِ الدُّنيا ، ينفى

وجلس سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل ، وعمر بن الخطاب ابن نفيل ، مجلسهما إلى رسول الله غدوة ، فقالا : « يا رسول الله استغفر لزيد بن عمرو ! »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم ، فإنه يبعث أمة وحده ! »

رحمة الله عليه محمد معيد العبادي

خَبَثَها ويجلو صَدَأها، فإما رَكِبَها من ذلك شيء، عادَ عليها يُحادثها ويصقُلها حتى يتركها بيضاء نقيَّة ...

وما بلغتُ المسجدَ حتى رأيتُ ابنَ ذاتِ النِّطاقين قائماً بين الناس كأنه عمودٌ من طُولِهِ واجتماعه ووثاقة بنائه؛ وحضرتُه وهو يقول: « أيها الناس، عجِّلوا الوِقاع، ولا يَرعكُمْ وَقْعُ السيوف، وصونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، فلينظرْ رجُلٌ كيف يضرب، لا تخطئوا مضاربكم فتكسِروها، فإن الرجُلَ إذا ذهب سلاحُه كان أعزَلَ أعضبَ يؤخَذُ أخذاً كما تُؤخذ المرأة. لِيَشْغَلْ كلَّ امرئٍ قرنه، ولا يُلهينكم السؤالُ عني: أين عبد الله بن الزبير؟ ألا مَنْ كان سائلاً عني فإني في الرَّعيل الأول » ... ثم يدفعُ في صدور أهل الشام دفعة عند باب بني شيبة كأنه صاعقةٌ، وكأنه أسدٌ في أَجَمةٍ، ويحيصُ أصحابُ الحجاج حيصة في منازلهم من الرُّعب، فلقد رأيتُه يقفُ ما يدنو منه أحدٌ حتى ظننتُ أنه لا يُقتَلُ، حتى إذا كان بين الركن والمقام رُمي بحجرٍ فأصاب وجْههُ فبلغ منه حتى دَمِيَ، وسال دَمُه على لحيته، وأرعشَتْ يدُه... وغشيَه أصحابُ الحجّاج من كلِّ ناحية وتعاوَوْا عليه، وهو يقاتلهم جاثِماً أشدَّ قتال حتى قُتِل

وا رحمتا لك يا بنتَ أبي بكر!! أيُّ كبِدٍ هي أشدُّ لوعةً من كبدِكِ! لقد والله رُحمتِ رحمةً إذ كفَّ الله منك البصر، لئن لم تكوني تجزعين لموته، لقد كنتِ جزعتِ لما مثَّلوا به وحزُّوا رأسهُ، ورفعوه على خشبةٍ مُنكَّساً مصلوباً ...

وما كدتُ حتى أقبلتْ أسماء بين يديها كفنٌ قد أعدَّته ودخَّنته، والناسُ ينفرجون عن طريقِها في أعينهم البكاء، وفي قلوبهم الحُزْنُ والرُّعب، قد انتُسفت وجوههم كأنما نُشروا من قبورهم لساعتهم، وسكنت الأوصالُ، وجالت الأحداقُ في محاجرها وكأنها همَّت تخرُج، وتمشي أسماء صامدة إلى الخشبة صمداً وكأنها ترى ابنها المصلوب، وكأنها تستروِح رائحة دَمِه، حتى إذا بلَغَتْه — وقد وجم الناس وتعلقت بها أبصارهُمْ ورجفت بهم قلوبُهم — وقفتْ، وقد وجدت رائحة المسك تحت ظِلاله فقالت: « يا بُنيَّ طبتَ حيًّا وميّتاً، ولا والله ما أجزعُ لِفراقك يا عبد الله، فمن يكُ قُتِلَ على باطل فقد قتلتَ على حق، والله لأثنينَّ عليك بعلمي: لقد قتلوك يا بني مُسلماً محرماً ظمآن الهواجر مصلّياً في ليلك ونهارك »

ثم أقبلتْ وجهها السماء ومدّت بيديها تدعو: « اللهمَّ إني قد سلَّمته لأمرك فيه ورضيتُ بما قضيتَ له، فأثبني في عبد الله ثوابَ الشاكرين الصابرين. اللهمَّ ارحم طولَ ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب، وبرَّهُ بأبيه وبي »

ووجم الناس وجمةً واحدةً، وخشعوا خشعةً لكأن السماء والأرض صارتا رتقاً فما يتنفَّسُ من تنفَّس إلا من تحتِ الهمِّ والجهد والبلاء. وكأنَّ مكة بيتٌ قد غُلِّقتْ عليه أبوابُه لا ينفُذُ إليه أحد ولا يبرحه أحد. وكأن الناس قد نزعت أرواحهم وقامت أبدانهم وشخصت أبصارهم، وبدت أسماء بينهم وكأن وجهها سراج قد نُصَّ على سارية، لا يزال يزهر ويتلألأ، ثم تتلفت كأنما تتطلع في وجوه هذه الأبدان الخوالد، وأضاء ثغرها عن ابتسامة. والله لقد بلغتْ من العمر وما سقطت لها سنٌّ، وما زال ثغرها ترفُّ غروبه ثم قالت: « يا بَني، لشد ما أحببتم الحياة وآثرتم دنيا كم، فخذلتم أخاكم، وفررتم عن مثل مصرعه. يا بني يغفر الله لكم، وجزاكم الله عن صاحبكم خيراً »

وأطرقت أسماء إطراقةً ثم رفعت رأسها تُومِئ إلى الخشبة فوالله لقد رعدت فرائصي حتى تزايلتْ أوصالي، وصرَّ الناسُ كأنما تقصَّفت أصلابُهم، وإذا هي تقول: « ألا مَنْ مُبْلغ الحجّاج أن المُثْلَة سبّة للحيّ وما تضرّ الميّت. ألا مَنْ يُبلِغ الحجَّاجَ عنِّي أن الشَّاةَ إذا ذُبحتْ لم تألم السَّلْخ »

وحامتْ أسماء وطافت بين الناس وبين هذه الخشبة ساكنةً صابرةً، لا يُرَى إلاَّ بريق وجهها يومِضُ كأنه سيف صَقيل، ثم طفقت تردّد « يا بَنِيّ، أما آن لهذا الراكبِ أن ينزل؟ أما آن لهذا الراكب أن ينزل! يا بَنِيَّ ليستأذنْ أحدُكم حجّاجَكمُ هذا أن يَدفَع إليَّ هذه العظام. أدُّوا عني؛ يرحم الله من أدّى عنّي »

فيجيء الرسول من قِبل الحجاج يأبى عليها أن تُدفَعَ إليها عظامُ ابنها المصلوب، ويجيء على أثره موكلون قد وكلهم بجثّته يقومون عليها يحرسونها، كأنما خشي أن يحيا ميت قد حُزَّ

رأسه أن تمسَّه يدُ أمِّه. فوالله لقد سمعتْ أسماء وخُبِّرتْ فما زادت على أن ولّتْ عنهم كما جاءت ما تقطر من عينيها قطرةُ دمع، وما تُجاوز قوماً إلا جاوزتهم كأنهم فُسطاطٌ يتقوّض، حتى ولجتْ بابها وغلّقته عليها

وانطلقتُ أنفضُ الناسَ بعينيَّ، فرأيتُ أخي الحارث (ابن عبدالله بن أبي ربيعة) وابن أبي عتيق (هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق) ما في وجهيهما رائحة دم من الحزن والفرق. فقلت: ما هذا أوان جزع؛ انطلقوا بنا — يرحمكم الله — إلى دارها نواسيها ونترفقُ لها، فوالله لقد تخوّفتُ أن يذهبَ بها الحزن عليه، وإنه لفالقٌ كبدَها ما لقيته. ويطرق الباب ابن أبي عتيق. فيجيبُ الصوتُ من داخل: قد أسمعتَ فهْ. فيقول: أنا ابن أبي عتيق يا أمّاه. ويؤذن لنا فندخل دارها تجفُ قلوبنا من الروع والرّهبة، ونأخذ مجلسنا عند بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله (ص) وزوج حواريّه عليه السلام، وكأن قد تركنا الدُّنيا وراءنا وأقبلنا على الآخرة.

استضحكت أسماء حتى بدت نواجذُها وقالت: « مرحباً بكم يا بَنيّ، جئتم من خلل الناس تعزُّون أمكم في عبدالله. يرحم الله أخاكم لقد كان صوّاماً قوّاماً ما علمتُ. وكان ابن أبيه الزُّبير أوّل رجل سلّ سيفه في الله، وكان أشبه الناس بأبي بكر

يا بَنيّ، والله لقد حملتُه على عُسْرة، والمسلمون يومئذ قليلٌ مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطّفهم الناس، ولقد سعيت به جنيناً بين بيت أبي بكر وغار ثور بأسفل مكة في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه آتيهما تحت الليل بما يصلحهما من الطعام؛ ويسكنُ الطلبُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيتهما بسفرتهما وسقائهما ونسيت أن أتخذَ لهما عِصاماً؛ فلما ارتحلا ذهبتُ أعلِّق السُّفرة فإذا ليس لها عِصامٌ، فوالله ما أجدُ ما أعلقهما به، ووالله ما أجِدُ إلا نطاق وأنا حُبلى مُتِمّ. فيقول أبو بكر: يا أسماء شقّيه باثنين؛ فأشقه فأربط بواحد منهما السقاء وبالآخر السفرة؛ فلذلك ما سمّاني رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذات النِّطاقين » يعني في الجنة. وأعود بعبد الله يرتكض في أحشائي، قد احتسبتُ نِطاقي في سبيل الله؛ فوالله ما أجدني احتسبتُ بنيّ عبدَالله اليوم إلا كما احتسبت نطاق ذاكم. وأعود إلى دار أبي بكر ويأتي نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا ببابها، فأخرج إليهم فيقولون: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فأقول: لا أدري والله أين أبي؛ فيرفع أبو جهل يده — وكان فاحشاً خبيثاً — فيلطم خدّي لطمة يطرح منها قُرطي، فتغُول بي الأرض الفضاء، فوالله لما لقيتُ من حجّاجكم هذا أهون عندي مما لقيتُ من لطمة أبي جهل وأنا بعبد الله حاملٌ مُتِم. يا بَنيّ إني آخرُ المهاجرين والمهاجرات، لم يبقَ على ظهرها بعد عبد الله منهم غيري؛ فلا والله ما حَسَنٌ أن يجزَعَ من هاجر — وإن شأن الهجرة لشديدٌ — وما حَسنٌ أن يجزع من شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه، وكيف وقد أربيت على المائة؟

يا بني جزاكم الله عني وعن أخيكم خيراً، قوموا لشأنكم وذروني وشأني يرحمكم الله »

وودّعنا وانصرفنا، ولا والله ما نجدُ لأسماء في الرجال ضريباً، فأين في النساء؟ ولكنها كانت تصبر صبر المهاجرين الأولين على الجهد والبلاء

وما كان صُبح خامسة من مقتل ولدها حتى استجابت لدعوة ربها رضي الله عنها وأرضاها، وهي أمٌّ حنّت تكتم حنينها، ولكنه عجّل بها موته فقطع نياطها وصدع فؤادها، وفلق كبدها عليه حنينها إليه ....

محمود محمد شاكر

المعاهدة السرية

للأستاذ محمد عرفة

قبل هجرة محمد صلى الله عليه وسلم فى الليلة الثانية عشرة من ليالى ذى الحجة بعد أن قضى الناس حجهم خرج جماعة من رحالهم المضروبة فى وديان منى وضواحيها بعد أن مضى الثلث الأول من الليل ، خرجوا يتسللون تسلل القطا يمشون الهوينا ، فلا يسمع وقع خطاهم على الأرض أحد كأنما يخافون أن يشعر بهم الناس . خرجوا فرادى وجماعات ، وكلهم يقصد جهة معينة هى العقبة ، وكلما وصل إليها فوج منهم نزل بها حتى كملوا سبعين رجلاً

جلسوا يتناجون فى صوت خفى ، لا يسمع إلا همسهم وتتابع أنفاسهم . جلسوا كأنما ينتظرون قادماً يقدم عليهم كانوا معه على ميعاد ...

وبينا هم كذلك إذا برجلين قد أقبلا يؤمانهم ، ويريدان مكانهم ، فلما تبينوهما خفوا إليهما ، ونهضوا فسلموا عليهما . وكانت هذه الجماعة من سكان يثرب من الأوس والخزرج ، وكان هذان القادمان عليهم محمد بن عبد الله وعمه العباس بن عبد المطلب

وكانا معهم على ميعاد

ليت شعرى ما الذى حفز هذه الجماعة على أن تخرج من رحالها وتقصد هذا المكان القصى ؟ وما الذى حفز محمداً وعمه العباس أن يتركا منزليهما بمكة ويتسيرا تحت ستار الليل والناس نيام وبوافياهم عند العقبة ؟ كان محمد يريد الهجرة إلى المدينة وكان يريد أن يعقد مع أهلها معاهدة سرية على أن يحموه ويعززوه وينصروه .

فلما جلسا وجلس الناس حولهما ، تكلم العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فقال : « يامعشر الأوس والخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده »

فلما انتهى العباس من كلامه قالوا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، وخذ لنفسك وربك ما أحببت . فتكلم رسول الله ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فتقدم إليه البراء بن معرور وأخذ بيده وقال : والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أنفسنا ، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب ، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر

فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان وقال : يا رسول الله إن بيننا وبين اليهود حبالاً ، وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنتم منى ، وأنا منكم ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم . فصرخ فيهم العباس ابن عبادة الأنصارى وقال : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال ، إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتل ، أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله خزى الدنيا والآخرة إن فعلتم ؛ وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : أبسط يدك . فبسط يده فبايعوه

وبعد أن تمت المعاهدة قال لهم رسول الله : ارفضوا إلى رحالكم . فقال له العباس بن عبادة : والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا ، فقال رسول الله : لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، فرجعوا إلى مضاجعهم . فلما أصبحوا غدت عليهم أكابر قريش ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا ، تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . وكان مع المسلمين الذين عقدوا المعاهدة قوم مشركون من المدينة لم يعلموا بما كان منها فانبعثوا إلى قريش يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه . ثم تفرق القوم ، ورجع الأنصار إلى المدينة ، وأقام رسول الله بقية شهر ذى الحجة من تلك السنة والمحرم وصفروهاجر إلى المدينة فى ربيع الأول

وكانت هذه المعاهدة السرية التى عقدها رسول الله بينه وبين أهل المدينة هى أول حادث أعز الإسلام وقواه ومكن له فى الأرض وكتب له البقاء والخلود ، فى هذا الوجود

لم يكن أهل المدينة حين عقدوا هذه المعاهدة مع رسول الله يجهلون ما وراءها ، فقد كانوا يعلمون أن وراءها حرب العرب جميعاً لأن العرب جميعاً على خلاف هذا الدين الجديد ، وهم لا محالة معارضوه ومحاربوه ، وقد ذكرهم بذلك العباس بن عبادة فلم يشفقوا من ذلك وأقدموا عليه وهم يعلمون ما يفعلون ، ويعنون ما يقولون

علموا ذلك كله فلم يهلهم ولم يفزعهم ، وأقدموا عليه طيبة به قلوبهم، راضية به نفوسهم . لقد عرض رسول الله (ص) نفسه قبل ذلك على القبائل ، فأشفقوا منه ولم يقو أحد على حمل هذا العبء الثقيل .

لقد ذهب إلى ثقيف بالطائف وعرض عليهم الإسلام ، فامتنعوا وقال له أحدهم : ما وجد الله أحداً يرسله غيرك . وقال آخر منهم : لا أكلمك كلمة أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك . فقام رسول الله من عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، ثم نجاه الله منهم . وكان ينتظر أيام الحج فيذهب إلى الحجاج من العرب فى منازلهم ويعرض عليهم الإسلام فيأبون عليه ، ذهب إلى كندة فى منازلهم فامتنعوا عليه ، وأتى كلباً فامتنعوا عليه ، وأتى بنى حنيفة فردوه أقبح رد .

لم يقدروا على حمل هذه الأمانة ، وادخرها الله لهذا الحى من أهل المدينة فقد جاء نفر منهم إلى موسم الحج ، فلقيهم رسول الله فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج . قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم . قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فآمنوا به وصدقوه وقالوا له : قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين . فإن يجمعهم الله على يديك ، فلا رجل أعز منك . ثم رجعوا إلى المدينة ودعوا قومهم إلى الإسلام فأجاب منهم خلق كثير ، ثم جاء منهم قوم إلى مكة وقابلوا رسول الله ، وكانت المعاهدة التى ذكرناها .

إن هذه المعاهدة لتدل على ما للأنصار من جلد وقوة وشجاعة وبسالة وكرم وتضحية وإيثار

أباحوا أرضهم وديارهم وأرزاقهم لمن هاجر إليهم من المسلمين فقاسموهم ما عندهم ، وآثروهم على أنفسهم

فتحوا بها صدورهم لحراب العرب ورماحهم ، وقطعوا بها حبالهم التى كانت بينهم وبين العرب ، فما أعظم هذه التضحية ، وما أجل هذا الإيثار

وبحسبهم أن الله سجل لهم مفاخرهم ومكارمهم فى قوله : « والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»

محمد عرفة

عبرة الهجرة

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

قُمْ باسم ربّك فى الحياة مُجاهدا   وأعِدْ إلى العرب التُّراثَ الخالدا
مجدٌ بذلنا النفس فى تدعيمه   حتى استقرَّ على الثُّريا قاعدا
أهوى إلى كسرى فدكَّ صروحَه   ورمى هرقلَ فكان نَسْراً صائدا
فتح البلادَ مسالكاً ومعاقلاً   وأدالهن صوامعاً ومعابدا
ومشى إلى الرومان أنبلَ غايةً   وأعفَّ فى يوم القتالِ مقاصدا
يدعو إلي دين النبى مناضلا   ويصد دعوى المشركين مجاهدا
ويكاد يفتتح القلوب بحجةٍ   غراء كالصبح المُبين شواهدا

* * *

هذا النبى من الجزيرة مقبلٌ   يبنى يقيناً أو يُقيم عقائدا
المسلمون ببطن مكة أسّسوا   للمجد ركناً والفخار قواعدا
رفعوا على التقوى قواعد ملكهم   وَرَجَوْا له فوق السماء مقاعدا
عَرَبٌ من الصحراء إلا أنهم   رفعوا لتمثال الحضَارةِ شاهدا
تلك الخيامُ الضاربات بمكةٍ   سخرتْ من (الإيوان) نجماً صاعدا
قد لقّنته من العقيدة صافيا   وسقتْه ماء الحق عذباً باردا
حتى رأينا الفُرْس أصبح دينهم   دينُ الحنيفة مشمخراً صاعدا
دخلوا إلى الإسلام أطوعَ أنفسا   لله وانقادوا أخفَّ مقاودا

* * *

دين من الحقّ الصراح رأيتهُ   يغزو الممالكَ فاتحاً ومجاهدا
لم يعبأ الأوثانَ وهى نواصب   شَرَكاً ولم يخشَ الضلالَ الراقدا
ومضى فما سَدَّ القتالُ سبيله   وسعى فما هاب الفريقَ الحاشدا
يَهْدى ويفتحُ للعيون مسالكا   ويشقُّ فى سبب السماء مَصاعدا
ويكاد يهزأْ بالعناد مكابرا   والكفرِ أحمقَ والضلالِ مُعاندا
نصبوا له الشَّرَكَ اللئيمَ فما ونى   ومضي يَحيك لصائديه مصايدا
ما كان صاحبُه إلى غاياته   نِكْسًا ولا داعيه شيخاً قاعدا
آذَوْهُ فاحتمل الأذاةَ مُصابرا   ورمَوهُ فاحتملَ الرُّماة مُجالدا
والحاسدون تنقصوه فما وهى   عزماً ولا بالى العدوَّ الحاسدا
نفسٌ من الإيمان صيغ كيانها   وغدت على سر البطولة شاهدا
سَخِرَتْ بما صنع الضلالُ وأقبلت   تستلهم اللهَ الطريقَ الراشدا
وإذا النفوسُ تباعدت غاياتَها   زادت عن الغرض اللئيم تباعدا

* * *

يأيها الداعى لكل كريمة   هذا سبيلُك قد أقامَ على هدى
أعليتَ باسم الله كل بنيّة   فيه وصيَّرْتَ الكنيسَ مساجدا
ودعوتَ لاتخشى لدينك هازئاً   وصَدَعت لاتخشى لرأيك ناقدا
وحملت من ظلم القريب مُعاكسا   ولقيتَ من عَنتِ الولىِّ مُطاردا
فهجرتَ أهلك لا قِلًى لودادهم   وتركتَهم لاساخطاً أو واجدا..
لكن كرهتَ على المقام جحودهم   والحر يجتنب المقامَ الجاحدا

محمد عبد الغنى حسن

الحسن بن الهيثم

للأستاذ عبد الحميد حمدى
المدرس الأول للعلوم بوزارة المعارف

للحسن بن الهيثم منزلة رفيعة فى عالم العلوم الفيزيقية لا ينتقص من قدرها أنه غير معروف فى الشرق بقدر ما هو معروف فى الغرب بين علماء الفيزيقا الذين قدروه فكتبوا عنه وترجموا مؤلفاته وعلقوا عليها وشرحوا الغامض منها .

وهو أبو على الحسن بن الهيثم ، ولد بالبصرة عام ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) ومات بالقاهرة عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) وكان قد استقدمه الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى لينظم له مياه النيل لينتفع بها الزرع أوقات الزيادة والنقصان. وأمده الحاكم بالمال والرجال وقصد إلى أسوان وعاين النيل عندها ودرس مشروعاً كان قد أعده هو أثناء إقامته فى العراق ليطبقه على حالة نيل مصر ، فرأى تعذر الأمر ورجع واعتذر إلى الخليفة بما تظاهر بقبوله ثم ولاه بعض الدواوين .

وقد ساهم الحسن بن الهيثم فى الحركة العلمية فى مصر إذ قام بالتدريس فى الجامع الأزهر وتخرج عليه كثيرون من المصريين نذكر منهم أبا الوفاء المبشر بن فاتك من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائهم ، وقد أخذ عنه كثيراً من علوم الهيئة والعلوم الرياضية ، كما كانت لابن الهيثم مساجلات ومحاضرات ومراسلات قامت بينه وبين العلماء فى مصر وفى غير مصر

وقد كان الحسن بن الهيثم أحد الأساتذة الذين تكونت منهم « دار الحكمة » وهى نوع من الأكاديمية العلمية أنشأها الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى وأمدها بآلاف الكتب وأغدق عليها الهبات واختصها بعنايته. وقد كان الحسن بن الهيثم زميلا فى هذه الأكاديمية العلمية لابن يونس وعمار وعلى بن رضوان وما سويه الماردينى، وكلهم من قادة الفكر فى العالم الإسلامى فى ذلك العصر، وكانوا من أصدقاء الحاكم وكانت لهم معه مجالس ومحاضرات

حضر الحسن بن الهيثم إلى القاهرة عام ٣٨٦ هـ (٩٦٦م .) وعاش فيها عيشة النسك والزهد ، فقد كان فى السنين الأخيرة من حياته يكتب فى كل سنة اقليدس والمجسطى ويبيعهما ويقتات من ثمنهما ولم تزل هذه حاله إلى أن توفى عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٨م) . فيكون قد قضى بالقاهرة حتى وفاته أكثر من اثنين وأربعين عاماً؛ فهو مواطن مصرى انقضت على وفاته تسعة قرون كان فيها اسمه مغموراً غير مشهور لا تذكره المحافل العلمية الشرقية ولا تشيد بذكره ؛ فمن الواجب علينا ومن الإنصاف له ونحن نحتفل بالسنة الهجرية الجديدة أن نحيي ذكراه فى وقت نحن أحوج ما نكون إلى الإشادة بذكر السلف الصالح وإلى الكشف عن أعمالهم ومؤلفاتهم لتنشط الهمم ولنصل بين ماض تليد وحاضر مرتقب النتائج معقود عليه الرجاء أن يتفتح عن مستقبل حافل بالعلم والعرفان.

ويمتاز الحسن بن الهيثم فى بحوثه الفيزيقية عن سواه من الفلاسفة الذين عاصروه أو تقدموه ممن كتبوا فى العلوم الفيزيقية، فقد كان له منهج علمى اتبعه فى بحوثه يتلخص فى : المشاهدة والتجربة والاستنباط . وفى ذلك يقول جورج سارتون فى كتابه « مقدمة لتاريخ العلوم » : وهو أعظم عالم فيزيقى مسلم وأحد كبار العلماء الذين بحثوا فى البصريات فى جميع العصور . وقد كان فوق ذلك فلكياً ورياضياً وطبيباً، وله شروح على مؤلفات أرسطو وجالينوس؛ والترجمة اللاتينية لكتابه « المناظر » وهو أهم مؤلفاته ــ كان لها أثر عظيم على العلم فى الغرب وخصوصاً على روجر بيكون وكبلر وفيها يتجلى الرقى العظيم الذى وصلت إليه الطرق التجريبية » ويقول فى ذلك أيضاً إيفور ب هارت فى كتابه « الفيزيقيون العظام » : « وقد أدخل تحسيناً ذا شأن فى جهاز بطليموس لقياس زوايا

٣٥ ١٢

الانكسار فى الأوساط المختلفة ، وقد كانت طرائقه فى الحقيقة تذكارات ماضية لطرائق البحث العلمى فى معاملنا فى الوقت الحاضر .

ونحن نعرض الآن لبعض أجهزة للحسن بن الهيثم استخدمها لإثبات بعض الظواهر الضوئية ، ونذكرها على سبيل المثال لا الحصر ، لأن تجارب ابن الهيثم التى تضمنها كتابه «المناظر» أكثر من أن تحصى . وسيكون بحثنا فى هذه الناحية التجريبية التى بز بها ابن الهيثم غيره من العلماء الفيزيقيين بحثاً مقارناً فنذكر تجاربنا الحديثة وأجهزتها ونقرنها بتجارب ابن الهيثم موضحة بالأجهزة التى استخدمها

أولاً : **الضوء ينتشر على سموت خطوط مستقيمة**

إذا وضعت جسما معتما بين عينيك ومنبع ضوء صغير يبعد بمسافة قصيرة فإنك لا ترى الضوء إذا كان الجسم والنبع والعين على استقامة واحدة ؛ وإذا نظرت إلى شعاع ضوئى نافذ من ثلمة من نافذة حجرة مظلمة تشاهد مسير الشعاع داخل الحجرة فى خطوط مستقيمة. والحقيقة أن الضوء فى ذاته لا يرى ، ولكن الجسيمات الصغيرة المبعثرة فى الهواء هى التى تعكس الضوء إلى العين وتساعدها على تتبع مسيرها . وإذا راقبت مغرب الشمس عند ما تختفى تحت الأفق تشاهد أن الأشعة النبعثة منها تكون فى خطوط مستقيمة ؛ ويمكنك أن تثبت هذه الظاهرة عملياً بعدة تجارب نقتصر منها على ما يأتى :

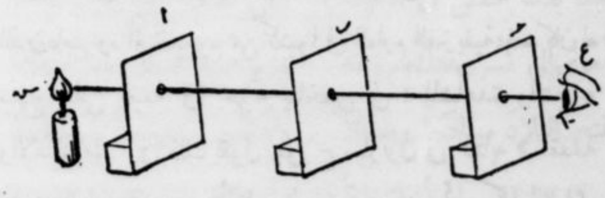

(شكل ١ — ١)

خذ ثلاثة أفرخ من الورق المقوى ا ، ب ، ج (شكل ١ ـ ١) واثقب كلا منها بثقب فى وسطه، ثم ضعها رأسياً على حوامل ثلاثة بحيث تكون الثقوب على استقامة واحدة . أشعل شمعة (ش) وضعها أمام الثقب الأول ثم انظر من خلف الثقب الثالث عند (ع) تر الشمعة . أزح أحد الأفرخ فى أية جهة لا تر الشمعة . وهذا يدل على أن الضوء ينتشر فى خطوط مستقيمة فى الوسط المتجانس (الوسط هنا الهواء طبعاً)

وإليك شرح ابن الهيثم لهذه الظاهرة وتجربته التى أثبت بها صحتها :

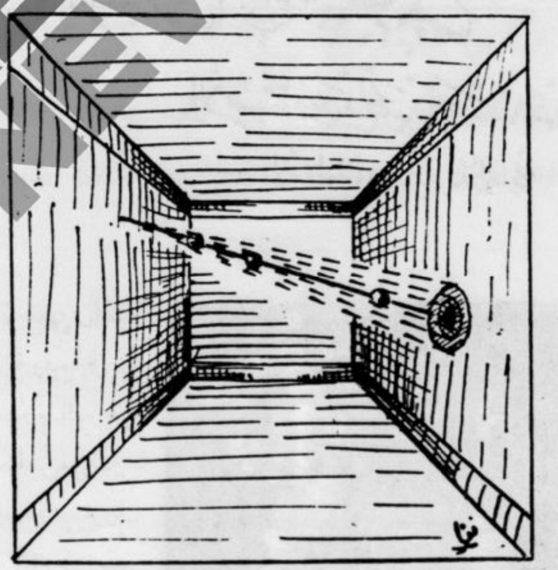

(شكل ١ — ب)

« . . . فأما كيف يكون نفوذ الضوء فى الأجسام المشفة فهو أن الضوء يمتد فى الأجسام المشفة على سموت خطوط مستقيمة ، ولا يمتد إلا على سموت الخطوط المستقيمة ، ويمتد من كل نقطة من الجسم المضىء على كل خط مستقيم يصح أن يمتد من تلك النقطة فى الجسم المشف المجاور للجسم المضىء . وهذا المعنى قد بيناه فى كتابنا « المناظر » بياناً مستقصى ، ولكنا نذكر الآن منه طرفاً يقنع فيما نحن بسبيله ، فنقول : إن امتداد الضوء على سموت خطوط مستقيمة يظهر ظهوراً بيناً من الأضواء التى تدخل من ثقوب إلى البيوت المظلمة ، فإن ضوء الشمس وضوء القمر وضوء النار إذا دخل فى ثقب مقتدر إلى بيت مظلم ، وكان فى البيت غبار أو أثير فى البيت غبار فإن الضوء الداخل من الثقب يظهر فى الغبار المازج للهواء ظهوراً بيناً ، ويظهر على وجه الأرض أو على حائط البيت المقابل للثقب ويوجد الضوء ممتداً من الثقب إلى الأرض أو إلى الحائط المقابل للثقب على سموت مستقيمة » . وبعد هذا الشرح يدلى ابن الهيثم بالتجربة فيقول (شكل ١ ـ ب) :

« وإن اعتبر هذا الضوء الظاهر بعود مستقيم وجد الضوء ممتداً على استقامة العود ، وإن لم يكن فى البيت غبار وظهر الضوء على الأرض أو على الحائط المقابل للثقب ، ثم جعل بين الضوء الظاهر وبين الثقب عود مستقيم، أو مد بينهما خيط مداً شديداً ، ثم جعل

فيما بين الضوء والثقب جسم كثيف ظهر الضوء على ذلك الجسم الكثيف وبطل من الموضع الذى كان يظهر فيه ، ثم إن حرك الجسم الكثيف فى المسافة الممتدة على استقامة العود وجد الضوء أبداً يظهر على الجسم الكثيف ، فيتبين من ذلك أن الضوء يمتد من الثقب إلى الموضع الذى يظهر فيه الضوء على سموت خطوط مستقيمة » .

ثانياً : إن البصر يرى المبصرات على سموت خطوط مستقيمة

فى تجاربنا الحديثة لا توجد تجربة خاصة لإثبات هذه الظاهرة ولكنا نستنتجها من التجربة السابقة . أما الحسن بن الهيثم فيثبتها بتجربة مستقلة وبجهاز خاص ... وإليك شرح تجربته وجهازه (شكل ٢)

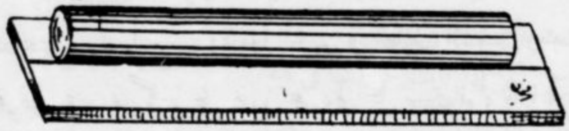

(ش — ٢)

« يتخذ المعتبر مسطرة فى غاية الصحة والاستقامة ويخط فى وسطها خطاً مستقيماً موازياً لخطى نهايتها ، ويتخذ أنبوباً اسطوانياً أجوف طوله فى غاية الاستقامة واستدارته فى غاية الصحة ودائرتا طرفيه متوازيتان ، ونهايته متشابهة ومقتدر السعة وليس بأوسع من محجر العين ، ويكون طوله أكثر من طول المسطرة بقدر يسير ويخط فى سطحه الظاهر خطاً مستقيماً ويقسم الخط الذى على المسطرة ثلاثة أقسام أوسطها مساو لطول الأنبوب ويطبق خط الأنبوب على الأوسط من الأقسام الثلاثة بحيث يتطابق طرفاهما ويلصق الأنبوب بالمسطرة على هذا الوضع إلصاقاً ثابتاً ملتحماً

ثم يعين على مبصر من المبصرات ويلصق طرف المسطرة بالجفن الأسفل من إحدى عينيه والطرف الآخر بسطح المبصر ويغمض العين الأخرى وينظر من ثقب الأنبوب فانه يرى من المبصر الجزء المقابل لثقب الأنبوب الذى يليه

وإذا ستر الثقب بجسم كثيف استتر ذلك الجزء فإذا رفعه عادت الرؤية ، وإن ستر بعض الثقب استتر من ذلك الجزء البعض المقابل لجزء الثقب المستتر الذى هو والبصر والساتر على خط مستقيم ، وإذا ستر الثقب استتر الجزء المقابل له

فمعلوم أن بين البصر وذلك الجزء هواء متصلاً لا يتخلله كثيف ومسافات لا نهاية لها ، كلها غير مستقيمة ؛ فلو كان ممكناً أن يدرك البصر شيئاً على غير استقامة فى الهواء من غير انعكاس لكان يدرك الجزء فى تلك الحال — فتبين أن هذه الرؤية لا تتهيأ إلا من سموت خطوط مستقيمة

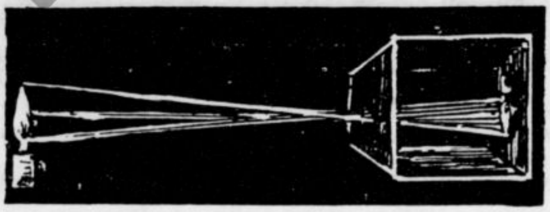

(شكل ٣)

ثالثاً : الحجرة المظلمة Camera Obscura (شكل ٣)

إذا أغلقت جميع نوافذ حجرة وتركت ثلمة صغيرة فيها ووضعت خلفها حاجزاً كلوح من الخشب شاهدت تكون صورة عليه للمرئيات التى خارج الحجرة وهذه تكون مقلوبة ويمكن إثبات ذلك عملياً (شكل ٤) فإنك إذا ثقبت لوحاً رقيقاً من المعدن عند «ث» وثبته على حامل ووضعت شمعة موقدة «ا ب» أمامه

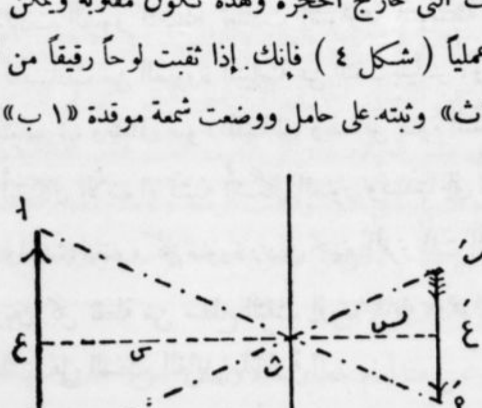

(شكل ٤)

وحائلاً من الورق الأبيض خلفه تتكون على الحائل صورة مقلوبة للهب الشمعة هو (ا ب) ويعلل ذلك بأن الأشعة تتفرق فى جميع الجهات من كل نقطة من نقط الجسم المضئ ، ومن هذه الأشعة تنفذ حزمة صغيرة للغاية من الثقب فيخرج من (ا) شعاع ينفذ من الثقب ويسقط على الحائل فتتكون عليه صورة (ا) لهذه النقطة وكذلك يخرج من (ب) شعاع ينفذ من الثقب ويلاقى الحائل فى (بَ) تكون هى صورة النقطة (ب) وبالمثل تتكون

على الحائل بين (١ ، ب) ، صورة لجميع نقط الهب الأخرى بين (١ ، ب) ، وإذا كان الثقب ضيقاً كانت الصورة واضحة ومحدودة ، وإذا كان الثقب متسعاً كانت الصورة غير واضحة وغير محدودة.

ويرجع انقلاب الصورة إلى انتشار الأشعة الضوئية فى خطوط مستقيمة وتقاطعها عند الثلمة ، فالأشعة الآتية من الأجزاء العليا تقابل الحائل فى أجزائه السفلى، وبالعكس الآتية من الأجزاء السفلى تلاق الحائل فى أجزائه العليا والأشعة الآتية من الأجزاء المتيامنة تقابل الحائل فى أجزائه المتياسرة ، وبالعكس الآتية من الأجزاء المتياسرة تلاق الحائل فى أجزائه المتيامنة فتكون الصورة مقلوبة من عامة الوجوه ، وإليك قول ابن الهيثم فى هذه الظاهرة :

« ... وبعد ذلك نقول : كل صورة مضيئة قابلت ثقباً مستديراً فى غاية الصغر فإن المخروط المتشكل بينها وبين مركز الثقب ينفذ إلى السطح الموازى ويحدث ضوؤها على السطح على شكل شبيه بشكل الصورة، لكنه يكون معكوساً، ولنسمه الضوء المتوسط، فإذا تعددت الصور المضيئة تعددت أضواؤها المتوسطة لكن الضوء الحادث من الصورة المتيامنة عن الثقب يتياسر ، ويتيامن ضوء المتياسرة ، ويتعالى ضوء المتسافلة، ويتسافل ضوء المتعالية

وأشكال الأضواء تشبه أشكال الصور ونسبتها إلى أشكال الصور واحدة، وضوء كل صورة يرد فى جميع المخروطات المتشكلة بينها وبين كل نقطة من سطح الثقب إلى ما يقابله ، وقواعد تلك المخروطات على السطح المقابل متساوية

... فإن كان الثقب فى غاية الصغر فإن شكل الضوء الحادث يكون قريب الشبه بشكل الضوء المتوسط، ويقل الشبه بقدر زيادة فسحة الثقب ... وهكذا إلى أن يخفى الشبه ويبقى الشبه فى مجرد الضوء واللون ... وكلما كان الثقب أضيق والسطح أبعد كان شكل الوسط أشبه بالصورة

وكذلك أيضاً إذا قابلت قطع سحاب بيض ثقباً ضيقاً يفضى إلى موضع نقى اللون لا يصل إليه ضوء آخر فإنه يرى فى ذلك الموضع قطع أضواء إلى البياض بعدد قطع السحاب مخالفة الأوضاع لها، وإن كانت قطع السحاب تتحرك نحو جهة فإن الأضواء أيضاً تتحرك لكن إلى خلاف تلك الجهة

وكذا لو طار بعض الكبار من الطيور قريباً من ثقب كما ذكر فإن صورة لونه تظهر على ما يقابل الثقب متشكلا بشكل يشبه شكله متحركا فى خلاف جهته

رابعاً : دوامة(١) الحسن بن الهيثم وقرص نيوتن

يمكث التأثير الذى يحدثه أحد الألوان على شبكية العين برهة من الزمن صغيرة ١/١٠ ثانية فإذا تتابعت عدة تأثيرات من ألوان مختلفة فى زمن أقل من ١/١٠ ثانية لا يضيع أثر أى لون من هذه الألوان بل تتأثر العين بها جميعاً فى وقت واحد وتحس العين بلون خاص هو نتيجة اندماج تأثيرات الألوان المختلفة . ويمكن إثبات هذه الظاهرة باستخدام قرص نيوتن (شكل ٥ ـ ١) وهو قرص مستدير من الورق المقوى مقسم سطحه إلى قطاعات ملونة تختلف مساحتها وترتيبها حسب وضعها الطبيعى فى الطيف الشمسى ويثبت القرص عند مركزه على محور عمودى على مستواه ، فإذا أدير القرص بسرعة تكفى لسقوط الألوان كلها على العين فى فترة تقل عن ١/١٠ ثانية اندمجت التأثيرات من الألوان المختلفة على العين وظهر القرص أبيض قليلاً . وإذا كانت ألوان الأقسام ليست فى ترتيب وضعها فى الطيف الشمسى ولم يراع مساحتها فيه أحست العين بلون مركب من ألوان القرص كلها

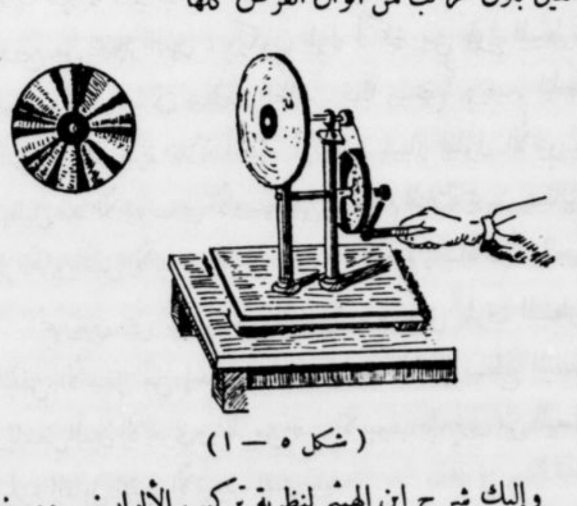

(شكل ٥ — ١)

وإليك شرح ابن الهيثم لنظرية تركيب الألوان ووصف دوامته (شكل ٥ ـ ب)

نقول إن إدراك ماهية اللون ليس يكون إلا فى زمان وذلك

(١) الدوامة هي لعبة للأطفال يلفون عليها سيراً أو خيطا ويلقونها على الأرض فتدور ، وهى باللغة العامية النحلة

لأن إدراكها ليس إلا بالتمييز والتشبيه وذلك لا يتأتى إلا فى زمان والذى يدل على ذلك ما يظهر من الدوامة عند حركتها فإن الدوامة إذا كانت فيها أصباغ مختلفة وكانت الأصباغ خطوطاً ممتدة من وسط سطحها الظاهر وما يلى عنقها إلى نهاية محيطها ثم أديرت الدوامة بحركة شديدة فإنها تتحرك على الاستدارة فى غاية السرعة

« وإذا تأملها الناظر فى حال حركتها فإنه يدرك لوناً واحداً مخالفاً لجميع الألوان التى فيها كأنه لون مركب من جميع ألوان تلك الخطوط ولا يدرك تخطيطها ولا اختلاف ألوانها

شكل (٥ ب)

ويدركها مع ذلك كأنها ساكنة إذا كانت حركتها فى غاية السرعة ، وإذا كانت فى حركتها فلا تثبت نقطة منها فى موضع واحد زماناً محسوساً وهى تقطع فى أقل القليل من الزمان جميع الدائرة التى تدور عليها فتحصل صورة النقطة فى ذلك الزمان اليسير على محيط دائرة من جميع محيطها الذى يحصل فى البصر فيدرك لون تلك النقطة فى الزمان القليل مستديراً

« وكذلك حكم جميع النقاط التى فى سطح الدوامة وجميع النقاط المتساوية الأبعاد عن المركز تتحرك حينئذ على محيط دائرة واحدة فيعرض لذلك أن يظهر لون كل نقطة من النقاط المتساوية الأبعاد عن المركز على محيط دائرة فتظهر ألوان جميع تلك النقاط فى جميع محيط الدائرة ممتزجة ولا تتميز للبصر فلذلك يدرك سطح الدوامة لوناً واحداً ممتزجاً من جميع الألوان التى فى سطحها »

وبعد فهذه تجارب وأجهزة نسوقها على سبيل التمثيل لا الحصر فهى قليل من كثير؛ ولعلنا نكون قد وفقنا إلى الكشف عن ناحية عظيمة — هى البحث العلمى التجريبى — امتاز بها الحسن بن الهيثم فى بحوثه فكان لها أكبر الأثر فى قادة البحث العلمى فى أوربا فى العصور القديمة ولا يزال أثرها محسوساً فى عصرنا الحالى .

عبد الحميد حمدى مرسى

صفحة مطوية من تراث العرب العلمى

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لا أظن أن عالماً أصابه الإهمال كالخازن . ولا أظن أن الإجحاف الذى لحق بمآثره لحق بغيره من نوابغ العرب وعباقرتهم؛ فلقد أدى ذلك الإهمال وهذا الإجحاف إلى الخلط بينه وبين علماء آخرين فنسبت آثاره لغيره كما نسبت آثار غيره له . وقد وقع فى هذا الخلط بعض علماء الغرب وكثير من علمائنا ومؤرخينا . قال (درابر) الأميركى إن الخازن هو الحسن بن الهيثم وإن ما ينسب إلى ما يُسمى (بالخازن) هو على الأرجح من نتاج ابن الهيثم . وخلط الأستاذ منصور حنا جرداق أستاذ الرياضيات العالية بجامعة بيروت الأميركية فى محاضرته عن مآثر العرب فى الرياضيات والفلك بين الخازن وابن الهيثم، يتجلى ذلك فى قوله : « ومن أشهر المشتغلين بالفلك والطبيعيات فى الأندلس أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازنى الأندلسى الذى عاش فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد وأوائل القرن الثانى عشر للميلاد ، وألف مؤلفاته الشهيرة فى النور وآلات الرصد وأوضح مقدار الانكسار . وألف فى الفجر والشفق وعين ابتداء كل منها وقت بلوغ الشمس ١٩ درجة تحت الأفق ... الخ » .

ونحن هنا أمام خطأين : الأول فى اعتبار الخازن من الأندلس وهو فى الحقيقة من مرو من أعمال خراسان .

والثانى فى أن المآثر التى أوردها الأستاذ ليست للخازن بل هى من نتاج ابن الهيثم . وأكبر الظن أن ما وقع فيه الأساتذة والعلماء من أخطاء يعود إلى الوضع الإفرنجى للاسمين فأكثر الكتب الإفرنجية حين تكتب الحسن بن الهيثم تكتبه (Al-Hazin) وحين تكتب الخازن تكتبه (Al-Khazin) فظن كثيرون أن هذين الاسمين هما لشخص واحد ولم يدققوا فى حروفهما مما أدى إلى التباس الأمر عليهم ووقوعهم فى الخلط والخطأ .

وسنحاول فى هذا المقال أن نبين مآثر الخازن فى علم الطبيعة (Physics) وأثره فى بعض بحوثها جاعلين نصب أعيننا إنصاف

عالم هو من مفاخر الأمة العربية ومن كبار عباقرتها من الذين عملوا على إنماء شجرة المعرفة وساهموا فى خدمتها ورعايتها

والخازن من علماء النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد وهو أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازنى المعروف بالخازن نشأ فى (مرو) أشهر مدن خراسان، وقد درس فيها وعلى علمائها نبغ ولمع فى سماء البحث والابتكار. اشتغل فى الطبيعة ولا سيما فى بحوث الميكانيكا فبلغ الذروة وأتى بما لم يأت به غيره من الذين سبقوه من علماء اليونان والعرب، كما وفق فى عمل زيج فلكى سماه (الزيج المعتبر السنجارى) وفيه حسب مواقع النجوم لعام ١١١٥ — ١١١٦م، وجمع أرصاداً أخرى هى فى غاية الدقة بقيت مرجعاً للفلكيين مدة طويلة.

ومن الغريب أن قنصل روسيا فى تبريز فى منتصف القرن الماضى عثر صدفة على كتاب ميزان الحكمة، وقد كتب عنه عدة مقالات فى إحدى المجلات الأميركية. ولعل العلماء الألمان أكثر العلماء اعتناء بآثار الخازن. فنجد فى رسائل للأستاذ ويدمان Wiedman فصولاً مترجمة عن (ميزان الحكمة) وقد استوفت بعض حقها من البحث والتعليق كما نجد فى رسائل غيره مقتطفات من محتويات الكتاب المذكور دللوا فيها على فضل الخازن فى علم الطبيعة.

ولا بد لى فى هذا المجال من إبداء دهشتى لعدم نشر فصول هذا الكتاب النفيس فى كتاب خاص، ولا أدرى سبباً لهذا...

ولعل السؤال الآتى يتبادر إلى غيرى أيضاً: لماذا نُشرت بعض محتويات الكتاب وأهملت الأخرى؟ ليس لى أن ألوم علماء الألمان أو غيرهم فى ذلك، فلقد قاموا بواجبهم نحو الخازن أكثر منا وعرفوا فضله قبلنا، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنه لولا قنصل روسيا N. Khanikoff وبعض المنصفين من مستشرقى الألمان وعلمائهم لما عرفنا شيئاً عن الخازن، ولما كان بالإمكان نشر هذا المقال. وقد يكون الأستاذ مصطفى نظيف بك أول عربى أشار إلى بعض محتويات كتاب ميزان الحكمة فى كتابه: (علم الطبيعة تقدمه ورقيه ...)، ولكنه لا يذكر شيئاً عن المؤلف بل ولا يذكر أنه الخازن، ويقول: « ... والكتاب لا يعلم مؤلفه ... » ثم يردف هذا القول: إن (درابر) يرجح أنه من تأليف الحسن ابن الهيثم. وأظن أن مقالنا هذا أول مقال يظهر فى مجلة عربية يبحث عن الخازن ويزيح الستار عن آثاره ويفيه بعض حقه.

والذى أرجوه أن يثير هذا المقال أساتذة كلية العلوم فى جامعة فؤاد الأول بمصر وعلى رأسهم حضرة صاحب العزة الدكتور على مصطفى مشرفة بك فيعملون على إنصاف الخازن وعلى نشر مآثره بين المتعلمين والمثقفين، فهم أولى الناس بذلك، وأحق من غيرهم بالقيام بهذا العمل الجليل. ولنا من حماستهم للتراث العربى والإسلامى ما يدفعنا إلى لفت أنظارهم إلى حياة الخازن الحافلة المليئة بالإنتاج التى أحاطها الإهمال من كل جانب.

وضع الخازن كتاباً فى الميكانيكا سماه (كتاب ميزان الحكمة) هو الأول من نوعه بين الكتب القديمة العلمية القيمة، وقد يكون هو الكتاب الوحيد المعروف الذى يحتوى على بحوث مبتكرة جليلة لها أعظم الأثر فى تقدم الأيدروستاتيكا، وقد قال عنه الدكتور سارطون Sarton إنه من أجل الكتب التى تبحث فى هذه الموضوعات وأروع ما أنتجته القريحة فى القرون الوسطى. والذى يطلع على بعض مواد هذا الكتاب تتجلى له عبقرية الخازن وبدائع ثمرات التفكير الإسلامى والعربى. واعترف (بلتن) فى أكاديمية العلوم الأميركية بما لهذا الكتاب من الشأن فى تاريخ الطبيعة وتقدم الفكر عند العرب

لا يجهل طلاب الطبيعة أن (توريشيللى) بحث فى وزن الهواء وكثافته والضغط الذى يحدثه. وقد مر على بعضهم فى تاريخ الطبيعة أن (توريشيللى) المذكور لم يسبق فى ذلك وأنه أول من لفت النظر إلى مثل هذه الموضوعات وبحث فيها وأشار إلى أهميتها

والواقع غير هذا، فلقد ثبت من كتاب (ميزان الحكمة) أن من بين المواد التى تناولها البحث مادة الهواء ووزنه. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أشار إلى أن للهواء قوة رافعة كالسوائل وأن وزن الجسم المغمور فى الهواء ينقص عن وزنه الحقيقى وأن مقدار ما ينقصه من الوزن يتبع كثافة الهواء.

وبيّن الخازن أيضاً أن قاعدة (أرشميدس) لا تسرى فقط على السوائل بل تسرى على الغازات، وأبدع فى البحث فى مقدار ما يُغمر من الأجسام الطافية فى السوائل. ولا شك أن هذه البحوث هى من الأسس الذى عليها بنى علماء أوربا فيما بعد بعض

الاختراعات الهامة كالبارومتر ومفرغات الهواء والمضخات المستعملة لرفع المياه

ولسنا هنا ننتقص من قدر توريشيللى وباسكال وبويل وغيرهم من العلماء الذين تقدموا بعلم « الإيدروستاتيكا » خطى واسعة ، ولكن ما نريد إقراره هو أن الخازن قد ساهم فى وضع بعض مباحث علم الطبيعة وأن له فضلاً فى هذا كما لغيره من الذين أتوا بعده، وقد توسعوا فى هذه الأسس ووضعوها فى شكل يمكن معه استغلالها والاستفادة منها

وبحث الخازن فى الكثافة وكيفية إيجادها للأجسام الصلبة والسائلة واعتمد فى ذلك على كتابات البيرونى وتجاربه فيها وعلى آلات متعددة وموازين مختلفة استعملها لهذا الغرض . واخترع الخازن ميزاناً لوزن الأجسام فى الهواء والماء وكان لهذا الميزان خمس كفات تتحرك إحداها على ذراع مدرّج . ويقول بلتن إن الخازن استعمل الأريومتر (Areometer) لقياس الكثافات وتقدير حرارة السوائل . ومن الغريب أن تجد أن الكثافات لكثير من العناصر والمركبات التى أوردها فى كتابه بلغت درجة عظيمة من الدقة لم يصلها علماء القرن الثامن عشر للميلاد . وفى الكتاب أيضاً شئ عن الجاذبية ، وأن الأجسام تتجه فى سقوطها إلى الأرض ، وقال إن ذلك ناتج عن قوة تجذب هذه الأجسام فى اتجاه مركز الأرض . ويرى أن اختلاف قوة الجذب يتبع المسافة بين الجسم الساقط وهذا المركز . وجاء فى كتاب (علم الطبيعة — تقدمه ورقيه ...) للأستاذ نظيف : « ... ومما يثير الدهشة أن مؤلف كتاب ميزان الحكمة كان يعلم العلاقة الصحيحة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو سطح الأرض والبعد الذى يقطعه والزمن الذى يستغرقه — وهى العلاقة التى تنص عليها القوانين والمعادلات التى ينسب الكشف عنها إلى غاليلى فى القرن السابع عشر للميلاد .. » . وعلى الرغم من التحريات العديدة لم أتمكن من العثور على المقتطفات التى تنص على العلاقة بين السرعة والبعد والزمن فى المصادر التى بين يدى سواء العربية منها أو الإفرنجية . ولهذا فمن الصعب جداً أن أحكم فى صحة ما جاء عن الخازن بشأن هذه العلاقة . وأظن أن العلاقة التى عرفها الخازن والتى وردت فى كتابه — وهى العلاقة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو الأرض والبعد الذى يقطعه والزمن الذى يستغرقه لم تكن صحيحة ودقيقة بالدرجة التى تنص عليها معادلات غاليلى ، ولكنها قد تكون صحيحة إلى درجة ودقيقة إلى حدّ . وآمل فى أول فرصة أزور فيها مصر أن أبحث عن هذه النقطة فى مكتبات القاهرة فقد أجد فيها ما يلقى ضوءاً على المدى الذى توصل إليه الخازن فى الجاذبية

وأجاد فى بحوث مراكز الأثقال وفى شرح بعض الآلات البسيطة وكيفية الانتفاع منها، وقد أحاط بدقائق المبادئ التى عليها يقوم اتزان الميزان والقبان واستقرار الاتزان إحاطة مكنته من اختراع ميزان من نوع غريب لوزن الأجسام فى الهواء والماء، كما مرّ بنا

هذا ما استطعنا الوقوف عليه من مآثر الخازن بعد الرجوع إلى مصادر عديدة ، ونرجو أن يكون هذا المقال حافزاً لغيرنا للاعتناء بتراث هذا العالم العربى الذى ترك ثروة علمية ثمينة للأجيال ، كما نأمل أن يدفع بعض المنصفين من الباحثين والمؤرخين إلى الاهتمام برفع الإجحاف الذى أصابه ، والعمل على إزالة الغيوم المحيطة بنواح أخرى من ثمرات قريحته الخصبة المنتجة

« نابلس » قدرى حافظ طوقان

درس للزعماء في سيرة زعيم

للأستاذ سعيد الأفغاني

في حياة خالد بن الوليد الحافلة بالبطولة والرجولة ، درس للصغير والكبير ؛ غير أن ما يحيط بنهضة العرب اليوم من تناحر على الغنائم ، والمعركة لما تنته بعد ، يحتم أن نعرض لعبرتين في سيرة الفاتح العظيم ، فهما درس بليغ ، ينتفع به من في قلبه حبة خردل من إخلاص . وكذلك التاريخ أيها القارئ يسعفك كلما كلب الزمان وحرب العدو ، ولن تعدم منه أبداً سراجاً يضيء حاضرك ويبصرك بالسبل وينجح لك المساعي ، ويريك بم كان تقدم المتقدمين وفوز الفائزين ، وبم كان التأخر والذلة والخسران

***

أما الأولى من العبرتين ، فهي أن خالداً من أبطال قريش وصناديدهم ، بل هو البطل فيهم لا يعدله غيره . أظفر الله المسلمين بالمشركين يوم بدر ، فكان عليهم عار الأبد ، وأصبحوا بهزيمتهم سبة بين العرب ؛ فما قر لهم قرار ، حتى تألبت جموعهم في أحد ، متعطشة إلى الثأر ، ثم تقع الواقعة فينهزمون أيضاً . ويريد ربك أن يصاب المسلمون بعد نصرهم ، لتكون لهم الهزيمة بعد الظفر درس الأبد ، فلا يخالفون رئيساً بعدها أبداً. ثم لا يفطن إلى خلو الجبل من الرماة إلا خالد اليقظ ، فيحيط بالمسلمين – وهم لاهون بالغنائم – من خلفهم ، وينتعش المشركون حينئذ ، وتكون المصيبة في المسلمين بالغة ؛ فكانت هزيمتهم ، وكانت الفرحة الكبرى لقريش أن ثأروا لقتلاهم يوم بدر ، ورفعوا عن أنفسهم العار ، وكان أن ذهب بفخر هذا اليوم كله خالد .

هذا القائد الباسل الذي طارت شهرته في أهل الشرك والتوحيد على السواء ، وقع في قلبه أن الإسلام حق ، فرمى بالقيادة والشهرة جانباً ، ووطن نفسه على الأذى يناله من قريش ، الذين سيحنقون أشد الحنق ، وقصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقبله مسلماً في المسلمين ، وقد سأله في طريقه عمرو بن العاص : « إلى أين يا أبا سليمان ؟ » فقال : « والله قد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ؛ فحتى متى ؟! »

ألا يجد رؤساء الناس وزعماؤهم في هذه عبرة ودرساً ، ألا يدعون نصرة أهوائهم وإرضاء نفوسهم ، ليقبلوا على أمر تبين رشده فيتبعونه؟ إن الناس لينظرون إليهم ، وإن الله لسائلهم عن الوطن والدين يتجرون بهما ، وعن العامة يلعبون بعقولهم ، وقد أعطوا الله موثقاً : ليكونن مع الحق حيث كان ، وليقومن بنصرته وحده لا نصرة نفوسهم ونزغاتهم . جمعهم وطن واحد فراموه أجزاء وأشلاء ، واستعدوا الأجنبي المتربص بهم ليحفظ عليهم رياساتهم الواهية ، فنال هذا فريسته بسلاحها ، وكانت هذه الأثرة الدنيئة أفتك بالبلد من كل غارة . ثم انتظم أمورهم دين واحد فأبوه إلا شيعاً وفرقاً وطرقاً ، فبادر الأجنبي يعلن حمايته لكل فرقة على حدة ويعترف باستقلالها عن أختها ، ويبالغ في تشجيعه على التفرق ، وفي تفكيكه عرى الطائفة الواحدة حتى عم البلاء وطم . وها نحن أولاء نرى في قطر عربي صغير كسورية ، ثبتاً حافلاً بأسماء طوائف لو وزعت على أهل الأرض ما نجت من شر فتنتها بقعة ، وفي كل يوم فرقة جديدة وحماية سريعة[1]

إن خالد بن الوليد طوح بالقيادة والفخر والظفر والمجد وأقبل على النبي واحداً من المسلمين ، ونحن لا نكلف هؤلاء السادة طرح شيء فستبقى عليهم زعاماتهم ، وسيرجعون أعز ما كانوا إن جندوا أنفسهم في خدمة الحق والخير

---

(١) لم يكن يوم الاحتلال الفرنسي للشام من الطوائف غير المسلمين والمسيحيين واليهود ، فما زالوا ينبشون من الفروق الضئيلة وينفخون فيها حتى صار المسلمون بفضلهم طرائق قدداً ، فهم اليوم سنية وشيعة وعلوية وجعفرية وإسماعيلية و ... وجعلوا لكل مفتياً وقاضياً ومحكمة ونواباً وعدداً من الوظائف ... وحتى مدوا أيديهم إلى ما يسمى بالطرق فربطوها بشخص المفوض السامي بقرارات صدرت بما يشبه السر ، وما راع الناس إلا محام في محكمة منذ شهور يستند إلى قرار المفوض السامي بقوله في دعوى للأوقاف الاسلامية على شيخ مولوية : « إن الطائفة المولوية لا علاقة لها بالأوقاف الاسلامية ولا بالمسلمين وإن ... » فعرفنا ما حيك لنا بعد أن أطبق الفخ علينا . ومنذ عهد قريب صدر قرار للمفوض الفرنسي زعم أنه ينظم الأحوال الشخصية ، فلم يبق حرمة للشريعة الاسلاميه إلا أباح انتهاكها ولا صاحب نزوة أو إباحية أو إلحاد إلا شجعه ليجهر بنزوته ويدعو إليها وينفصل بها طائفة محترمة معترفاً بها محمية بجيش الاحتلال . وفي القانون هذا عند الايجاب ما يجعل في الغد كلا من الشافعية والمالكية والحنفية طائفة مستقلة . ولا ندرى أين يستقر نبأ تلك الهاوية ... هذا إلى طغيان من المبشرين بثها بكثرة في هذه الأيام في أصقاع يسودها الجهل المطبق ، ويعم أهلها فقر مدقع آلوا إليه بعد غنى وافرابتز منهم في سنوات خلت ، ومنح هؤلاء المبشرون سلطة لا حد لها ، وما ندرى كم يصمد الجهل والفقر والهوان أمام العلم والسلطان والمسلمون في نومهم يغطون ...

وأما العبرة الثانية التي يجدها الزعماء في سيرة خالد ، فغاية في إنكار النفس وبذل الروح وإماتة الهوى

أسلم خالد وأبلى البلاء الحسن في كل غزواته مع النبي ، ثم في حربه المرتدين ، وتوطيده دعائم الوحدة في الجزيرة ، ثم في سيره إلى العراق ، وانتصاره على الفرس الانتصارات الآخذ بعضها بحجز بعض ؛ فمن قهر جيوش ، إلى دك عروش ، إلى فتح حصون ، إلى خطف قواد ، إلى قتل أبطال ... مآثر لو طلب بهن الخلافة لما ساغ في العقل أن يختلف عليه فيها اثنان . ثم يبعثه أبو بكر مدداً إلى الشام ثم يكون يوم اليرموك ، وقد بلغ الروم في التعبئة غاية كيدهم وفنهم : عـدد كثير ، وشجاعة فائقة ، واستبسال واستماتة ، حتى لقد سلسل رجال منهم أنفسهم للموت بسلاسل من حديد ، وقيد آخرون أنفسهم لئلا يفروا ، ثم يكون رأي خالد توحيد العمل معلناً في خطبته البليغة المشهورة ، ثم جولات منه صادقات ، فإذا بالعدد الضخم من الروم يهوى إلى الواقوصة كالبناء المتداعي ، ثم يتصل الظفر حتى يكون يوم دمشق ، وقد ولي الخلافة عمر ، ووصل بريده يعهد إلى أبي عبيدة بالقيادة ، ويجعل خالداً جندياً من الجنود ؛ وهنا العبرة ، وهنا يبدأ الدرس :

في هذا الموقف يختلف خالد وزعماء اليوم ، أما زعماء اليوم — من أمتنا طبعاً — فدستورهم الكلمة المشهورة التي نجمت في مصر على ألسنة بعض الناس : « الحماية على يد فلان ، ولا الاستقلال على يد فلان » ، فلو كانوا مكان خالد لانشقوا بجند عظيم وحاربوا أبا عبيدة ومن معه ، ثم ظفر الروم بالفريقين معاً وارتدت الدعوة العربيـة إلى الحجاز ، ثم لا يُدرى أيكتفون أم ينبتون الجزيرة كلها خلافاً وتناحراً . وأما خالد داء الجيوش وقاهر الروم والفرس معاً ، فقد كان رجلاً فوق هذا : انضوى إلى لواء أبي عبيدة وأخلص النصح والعمل ، ولم يُر أحد أكثر جهداً وانكماشاً وبلاء منه يومئذ أمام أسوار دمشق . لم ينم عن العدو ساعة قط ، ولا فاته من حركاته صغيرة ولا كبيرة ، فهو أبداً مقدم منطلق ، وهو إلى ذلك يقلب وجوه الحيلة ، ويعمل الفكرة كأنه لم يزل هو القائد ، حتى هداه النظر إلى نصب السلالم على السور ، فالتمس غفلة الحامية في يوم عيد فصعد عليها وطائفة من خيرة الشجعان فواثبوا الحراس ونزلوا إلى الباب فقطعوا أغلاقه بسيوفهم . وقد فتح المسلمون دمشق بحنكته ويقظته واقتحامه وحده لا شريك له في ذلك ، ولم يبال أن يكون فخر هذا الفتح لأبي عبيدة أو لغيره ، فما عمل خالد لزعامة ولا شهرة ، عمل لله وحده وقد رضي الله عنه وأرضى الناس . وأولئك قوم نزع الله ما في صدورهم من غل إخواناً

هذا بدء تاريخنا ، أما النهاية التي ختمناه بها نحن : فسلسلة من التفريط وتضييع الفرص ، وعبادة النفس والاندفاع مع الأهواء . في سبيل ذلك ضحى المتزعمون بخير البلاد خيراً بعد خير . لنرجع عشرين عاماً إلى الوراء فلننظر : كم مرة خسرنا مراحل في تقدم القضية لأن الحلول لم تكن على يدنا ولا باسمنا ؟ وكم مرة غششنا الناس وجهدنا أن نريهم كل حسنة ظفر بها غيرنا سيئة شنعاء ؛ وكل شر لبسناه عليهم سعادة الأبد ؟

فنجحنا — لأمر يريده الله — وقال الناس لصاحب الخير : « أنت شرير لا يصدر عنك خير ، الخير كله في حزب كذا ، وقف عليهم دون خلق الله أجمعين ... »

كان هـذا في الشام وكان مثـله في كل قطر عربي ، وهو ما نرى أشباهه في جميع مرافقنا ، حيث كان تناحرنا ، وتكالبنا وبالآعلينا جميعاً . نعم ، هذا ما بلينا به في كل النواحي ، في السياسة والإدارة ، والحكم والدين و...الخ

حصرنا في أنفسنا الإخلاص وخدمة البلاد ، لنتمتع بعرض زائل ، وكتب الله علينا إثم كل مصيبة نزلت بالأمة من جراء أثرتنا وتدجيلنا ، ونحن وأولئك جميعاً ، لا نبلغ بعـد ذلك كله ، أن نكون غباراً على قدم أصغر جندي من جنود خالد .

* * *

« طلبت القتل في مظانه ، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله ، من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين ، بتها وأنا متترس ، والسماء تنهل عليّ ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار ، فعليكم بالجهاد ...

لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، أو طعنة برمح ، وهأنذا أموت على فراشي

حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء ...

إذا أنا مت فانظروا فى سلاحى وفرسى ، فاجعلوه فى سبيل الله »

هذه حسرة الفاتح الكبير ، الذى لم يفارق النصر موكبه ساعة قط . هذه كلمات الذى ساق السعادة إلى بلدين كبيرين : العراق والشام ، تفيض باللوعة والأسى ، فتثير الإجلال والحزن من أقصى مكامنهما فى النفوس .

يتلهف أبو سليمان وهو يحتضر — وكل جسده إما مطعون أو مضروب أو مرمى — على أن لم يقض بين الصفين ، أو أمام الحصون ، أو فى الثغور ، جندياً يتخبط بدمه الشاخب ، فى سبيل إعلاء كلمة الله ، ظامئاً مُجهداً مُشعثاً ، يرسل من فيه شهادة الحق مع آخر نفس يخرج من صدره الحنون :

رحمك الله يا أبا سليمان ! وليس بيدك ما تمنيت ، فالله وحده يتوفى ويختار ، وما عليك ألا تموت فى الساحة بين الصفين ، فما كنت لحظة من اللحاظ لتفتر عن جهاد ، أو تعبئة لجهاد ، أو حديث نفسى بجهاد . ما كنت يا ابن الوليد إلا جهاداً متلاحقاً فى سبيل الواجب . لقد أرضيت ربك فجعلك سيفه فى الأرض ، وأرضيت رسوله محمد أمرك ورضى عنك ، وأرضيت خليفته حتى قال : « ما على نساء قريش أن ينشئن مثل خالد » ! وعمر نفسه حين لامك لم يترك إكبارك ، ولما نزل الشام ورأى معجزاتك فى الفتوح لم يملك أن قال : « أمّر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم منى بالرجال » .

لقد كنت أمة فى رجل ، فعليك الرحمة من هؤلاء جميعاً ، من كل من حارب تحت لوائك . وعليك الرحمة من النساء والصبيان والرهبان والفلاحين والمستضعفين الذين لم تكن تفتأ توصى جندك المنصور برعايتهم ، والكف عنهم ، والرأفة بهم . وعليك الرحمة من كل نسمة خلصتها من قسوة الفرس ، أو ظلم الرومان .

وليس لنا أن نقول بعد تزكية الله ورسوله وخليفته ، فما رأت جيوش الرحمة والهداية قائداً أيمن نقيبة منك . ولئن تصرمت حياتك التى كانت نفعاً كلها ، وعوضت حياة خيراً منها ، فإن خير أعمالك متصل عميم إلى الأبد . ولا يعلم إلا الله كم نفعت سيرتك بعد مماتك ، وكم حفزت همماً خامدة وعزائم خائرة

ولقد جاء بعدك أناس كثيرون فبذلوا أرواحهم ودماءهم محامين عن الحق ، فخلفوك فى إرخاص الروح . ولا تزال تتلو متمثلين ولله الحمد : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » ولا تزال الأرض من المغرب الأقصى إلى طرابلس إلى فلسطين إلى الهند ، تنبت الشهداء ، ولا يفتأ الدم الطاهر يجرى أنهاراً فى سبيل الحق ..

ولكن أحداً من الزعماء لم يخلفك فى إنكار الذات وإهانة الهوى وقهر النفس ، ولم يذكر التاريخ بعدك قائداً فعل فعلك يوم اليرموك أو يوم دمشق .

« دمشق » معبد الأفغانى

حمامة الغار ..

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

حمامةَ الغارِ ... أيُّ لحنٍ — من جانبِ اللهِ عبقريّ !
ألهمتِ دنياه من صباحٍ — في سِدرةِ المنتهى وضِيّ
ومن عِطارِ الجِنانِ بل من — سُكونِهِ الطاهرِ الشذيّ
ومن نشيدٍ على رُباهُ — مُعطّرِ اللحنِ سرمديّ
يفوحُ من زهرةٍ ، ويزكو — من جدولٍ تحتها سريّ
رنّت بأصدائه ، وغنّت — ملاحمُ المُلهَمِ الشجيّ
ورفرفت فوقه صلاةٌ — عزّت هدى العابدِ التقيّ ...
قبستِ أنغامَكِ الشوادي — من فجره الرائعِ السنيّ
ومن مجاليه في الروابي — ونشوةِ الماءِ في النُّقيّ
وسكرةِ الجداولِ المُغنّي — وخشعةِ السوسنِ النديّ
ومن دواليه حين تُغفي — والطيرُ نعسانُ في العشيّ
كأنّها وهو في ذُراها — بالخُلدِ تهويمةُ الخليّ ...
وجئتِ من جنّةِ الأعالي — لشاطئٍ أقدسٍ عليّ
على جناحيكِ للبرايا — في الأرضِ آمالُ كلِّ حيّ
أقمتِ بالغارِ أيَّ عُشٍّ — مُشعشعِ النورِ كوكبيّ
غصونُه البيضُ من شعاعٍ — بمعجزاتِ السنا جنيّ
يدورُ بالحقّ أين دارت — محاجرُ الباطلِ العتيّ
وينفثُ السحرَ أين لفّت — للكفرِ عينانِ من غويّ
ظلّلتِ والوحيُ مستكنٌّ — من صولةِ الفاجرِ القويّ
تُلقينَ من وكرِكِ المُعلّى — ترنيمةَ الوادعِ الرضيّ
كأنّما عشتِ من زمانٍ — في ذلك المسبحِ الهنيّ
خبأتِ والعنكبوتَ دنيا — للحقّ في عالمٍ خفيّ
خيوطُه الواهياتُ أضحت — حصونَ مستعصمٍ قويّ
فزلزلت دونها قلوبٌ — بالشركِ صخّابةُ الدويّ
وذلّ من رامها ، وألوى — في حسرةِ الخائبِ الشقيّ !

***

وزفاه ! يا ليتني سكونٌ — في ظلّكِ الناغمِ الشجيّ !
صمدتِ للكفرِ ذاتَ بأسٍ — يؤجّ من عشّكِ النقيّ
صبا لكِ « المصطفى » وقرّت — عيونُ صدّيقه الوفيّ
فرجّعَ الكونُ في هتافٍ — لباعثِ النورِ ... عبقريّ
نبيّةُ الطيرِ ألهمتها — إعجازَها جيرةُ النبيّ
مهاجرٌ ... تهجرُ الأماني — والعمرُ في ظلّه الوضيّ !!.

« وزارة المعارف » — محمود حسن اسماعيل

الموسيقى في الإسلام

بقلم محمد السيد المويلحي

يزعم بعض الناس أن الموسيقى محرّمة، لأنها تلهى الإنسان عن ربه، وتشغله عن دينه وعبادته، وتدفعه دفعاً لارتكاب ما نهى الله عنه. فإذا سألتهم آية أو حديثاً قالوا: هذا شيء معروف منقول سمعناه من آبائنا وأجدادنا والسلف الصالح ...!

هذا زعم لم ينشأ أيام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أيام الخلفاء الراشدين، وإنما نشأ أيام الدولة الأموية حينما سما مركز المغنين والقيان سمواً عظيماً حتى حجب مراكز العلماء والفقهاء الذين حقدوا على الموسيقى والموسيقيين حقداً كبيراً، واستسلموا لحوالجهم (وهم بشر!) فراحوا يذيعون بين الناس أن الموسيقى حرام، وأن الخلفاء قد نسوا دينهم وربهم، واتبعوا خطوات الشيطان ... !

ومن هنا نشأت هذه الشائعات وتطورت حتى غدت على ممر الأيام والأعوام قريبة من الاعتقاد والإيمان ...

وللإنصاف بعض رجال الدين فى هذا الوقت نقول: إنهم أبوا أن يتخذ بعض إخوانهم — فى العلم — الدين سلاحاً للتشفى والانتقام من فن رفيع سام يخفف عن الناس آلامهم وشقاءهم فأصدروا الكتب الكثيرة فى الرد على مبتدعى التحريم. ولعل أشهر هذه الرسائل وأقواها وأدعمها حجة تلك الرسالة (المخطية) الوحيدة الموجودة الآن (ببرلين) ... (الاستمتاع فى الرد على من يحرم السماع ... !)

قبل أن أذكر شيئاً عن الموسيقى فى صدر الإسلام وفى أيام النبى (ص) أحب أن أذكر شيئاً عن حياة العربى وطبيعة بلاده، وتأثير مناخه فى نفسه ليرى القارىء متى أن العربى موسيقى بطبعه وفطرته

البيئة العربية خالية مما يسر العين ويرضى القلب، فالصحراء شاسعة مترامية موحشة مقفرة لا حياة فيها، ولا أنس يُحييها. والسماء بنجومها وقمرها ... هى السماء بنجومها وقمرها (دائماً) لا تتغير ولا تتبدل .. !

فأى شىء يسد هذا الفراغ ... ويشغل نفس العربى ويملأ حسه غير (الغناء) الذى يساعد عليه رقة الشعر وسلامة قوافيه واختلاف بحوره؟ أى شىء يساعد الإبل والحداة على السير تحت الشمس المحرقة، وفوق الرمال الملتهبة المتقدة أياماً وأياماً بالعطش والجوع غير الغناء الذى ينسى الإنسان همومه، ويمسح دموعه؟

عرف العربى الترنم بالشعر ولم يكن يدرى أن هذا اللون من ألوان الموسيقى صناعة تخضع لقانون معين فاستمر هكذا يغنى ويشرب الخمر، ويتعلق بالحب، ويكلف بالصيد والميسر حتى استطاعت القيان التى استقدمت من بلاد العجم والروم بآلاتهن الموسيقية الفارسية والرومية أن يؤثرن فى الموسيقى العربية تأثيراً كبيراً.

فنشط العرب فى هذا المضمار نشاطاً عظيماً، وإن كان هذا النشاط قد حجبه الكبرياء والتعالى، إلا أن حب الفن تغلب على غطرسة العربى فنهض واستحدث حتى احتفظ لموسيقاه بطابعها العربى الذى ميزها عن غيرها ولا يزال ...!!

وقد عرف العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام من الآلات الوترية (المزهر) وهو عود ذو وجه من الرق (والعود) ذا الوجه الخشبى (والجنك) أو الصنج (الهارب) (والمعزف) (والموتر)

ومن آلات النفخ المزمار، والقصبة أو القُصّابة، والشبّابة، والصُّور، والناى. ومن آلات النقر: الطبل، والدف، والقضيب — لبيان الميزان أو الإيقاع — والصنوج والجلاجل، والمربع والمجنب !!

انحصر جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى الذود عن دينه وتبليغ رسالته، ونشر دعوته، وقتال المشركين ممن آذوه

وأصحابه فى أرواحهم وأموالهم ونسائهم ، ولكن هذا لا يمنع أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الموسيقى . فقد كان كلما (هادن) سمع من بلال ابن رباح الحبشى ، أول موسيقى مسلم ، وأول مؤذن فى الإسلام ، ترتيله وأذانه بصوت جميل ، وبتوقيع وترتيل فنى .

ولقد جاءته مرة عائشة رضى الله عنها وقالت: يارسول الله، لقد أقسمت شيرين مولاة حسان بن ثابت إن رجعت منصوراً من غزوتك أن تغنى وتضرب بالرق فى بيتنا ، فماذا ترى . ؟

فابتسم المصطفى وأذن لها وجلس مع حشد من صحابته وفيهم صديقه أبو بكر يسمع شيرين وهى تغنى وتضرب بالرق، واستمروا كذلك حتى قدم عمر بن الخطاب فانكمشت شيرين وجلست فوق (رقها) فضحك الرسول وقال :

لقد ذهب شيطانها لما رأى عمر .

فأجابت شيرين : كلا يارسول الله ولكنه قاس لا يرحم وأنت كريم رحيم !

فضحكوا جميعاً حتى عمر .

ولقد اتسعت فتوح العرب أيام عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وانتفع العرب بمدنيات البلاد المغلوبة وحضاراتهم ولا سيما الحضارتين الفارسية واليونانية، فتأثر العرب من اختلاطهم بهؤلاء الأسرى واهتموا بأمور دنياهم ، وأصبحوا ينظرون إلى الموسيقى نظرة جديدة خالية من الغلو والشطط حتى ارتفعوا بها على الشعر والأدب ، وحتى غدوا لا يرون بأساً ولا ملامة فى أن يحضروا مجالسها. وقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه يسمع من مولاته شيرين ومن رائقة سيدة المغنيات وقتئذ وتلميذتها عزة الميلاء وكذلك كان حال أشراف العرب وساداتهم ... !

وأحسب أن عصر ابتداء النهضة الحق ابتدأ فى خلافة على كرم الله وجهه . ولعل حبه للشعر وهو لون من ألوان (الفن) أكبر حافز. على أن هذه النهضة لم تؤت ثمرها اليانع إلا فى الدولة الأموية عند ما اتسعت الفتوحات شرقاً وغرباً . وقد ابتدئ فى وضع الألحان العربية فى هذا العصر على إيقاعات متعددة، وورد فى غنائه ذكر إيقاعات (الثقيل) الأول و (الثقيل) الثانى ، وخفيف الثقيل ، والهزج ، والرمل

وأشهر الموسيقيين فى هذا العصر هو (سائب خاثر) ، وهو أول من غنى فى المدينة بالعربية مستعملاً العود . وقد أخذ عنه ابن سريج ، ومعبد ، وعزة الميلاء ، وجميلة !

ومن المشهورين أيضاً ابن مسجح أول من نقل غناء الفرس إلى غناء العرب بمكة . وقد ابتدع مذهباً خاصاً وطريقة جديدة تأثر بها وأخذ عنها ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريض

وقد بلغ من اهتمام الأمراء والحكام بالموسيقى أن الخليفة عبد الملك بن مروان نفسه كان موسيقياً وملحناً . وقد اشترى يزيد بن عبد الملك (حبابة) المغنية بأربعة آلاف دينار مع أنها كانت دميمة متهدمة ...

ولعل فى رعاية الوليد بن يزيد لمعبد وتمريضه إياه وإخلاء جناح خاص له فى قصره ، ثم تشييعه لجنازته بنفسه أكبر برهان على مكانة الموسيقى وقتئذ . وقد كان الوليد عالماً بصناعة الألحان عازفاً بالعود موقعاً بالطبل والدف

وقد سرى تيار هذا الاهتمام إلى الأشراف والنبلاء حتى أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان لا يستريح إلا إذا سمع (سائب خاثر) فينشط . وسكينة بنت الحسين رضى الله عنها وعن أبيها ، كانت مشغوفة بالغناء والموسيقى ، وكانت تكرم الغريض ، وكان بيتها منتدى لسماع الموسيقى والغناء ، وقد طُلِب منها مرة أن تستدعى (حنين الحيرى) مُغَنِّى (الحيرة) ، فاستدعته مع أشهر المغنين فى الحجاز ابن سريج ، ومعبد ، والغريض . وقصد الأربعة بيتها فحفلت الدار بالناس حتى ضاقت بهم ، فصعدت شراذم منهم فوق (السطح) وأخذ حنين يغنى ويغنى والناس تموج وتهتف ، وإذا (بالسقف) يهوى بمن فوقه على رأسه فمات مخنوقاً . فقالت السيدة سكينة : « لقد كدر علينا حنين سرورنا . انتظرناه مدة طويلة كأننا والله كنا نسوقه إلى منيته »

وفى العصر الأموى ابتدأت حركة التأليف الموسيقى فوضع يونس الكاتب (كتاب النغم) و (كيان القيان)

أما فى العصر العباسى ذلك العصر الذهبى للموسيقى والأدب والشعر فقد سمت فيه الموسيقى سمواً عظيما وارتفعت إلى ذروة المجد ، وزادت مقاماتها وطرائق إيقاعها حتى تعددت فى اللحن الواحد وكثرت الآلات وتنوعت وكثر استعمالها

وأصبح العربى يفخر بأنه موسيقى حتى أنف أبناء النبلاء

انخرطوا فى سلكها ، فكان منهم ابن جامع القرشى . بل زاد اهتمامهم إلى حد الاحتراف كإبراهيم بن المهدى . . !

والخليفة الواثق كان من أحذق الخلفاء بل من الموسيقيين المحترفين أنفسهم بالغناء والعزف على العود، وقد قال فى إسحاق الموصلى :

(ما غنانى إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زيد لى فى ملكى .. وإن إسحاق لنعمته من نعم الملك التى لم يحظ بمثلها، ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشترى لاشتريتهن له بشطر ملكى) (الأغانى) وإسحاق هذا هو أول من عنى بإثبات قواعد الموسيقى العربية ونظرياتها بعد يونس الأكوى وجاء بعده الخليل بن احمد فصنف كتاب (النغم والإيقاع) ولكن الذى بزهما هو إسحاق ابن يعقوب الكندى الذى ألف عدة كتب فى الموسيقى ونظرياتها؛ وهو أول من دون الموسيقى بالحروف بشكل مرتب، وهذا أكبر رد على من يتهمون العرب بإهمال تدوين تلاحينهم . ثم جاء بعده أيضاً أبو نصر محمد الفارابى فوضع (كتاب الموسيقى الكبير) الذى تدين له الموسيقى بالشىء الكثير . وفى العصر العباسى أمر هارون الرشيد اسحق الموصلى، واسماعيل ابن جامع ، وفليح ابن أبى العوراء، أن يختاروا له من الألحان العربية مائة صوت فصنعوا .

ومن أشهر الموسيقين فى هذا العصر إبراهيم الموصلى ، وإسحاق الموصلى ، وفليح بن أبى العوراء ، ويحيى المكى ، وحكم الوادى ، وزلزل ، ومخارق ، وبذل المغنية ، وابن جامع

وقبل أن نختم هذه اللمحة العابرة نحب أن نقول لهؤلاء الذين يعتقدون أن الموسيقى محرمة: هذا هو شأن الموسيقى فى صدر الإسلام

إن الموسيقى فى ذاتها نبيلة رفيعة ، ولكن المحرم فيها هو التخنث والبكاء والاسترضاء واستغلال الغرائز البهيمية ، وهذا ليس بمحرم شرعاً فحسب ، بل هو محرم شرعاً وذوقاً ورجولة أيضاً

محمد السيد المويلحى

المراجع : مقدمة الدكتور محمود احمد الحفنى .. الأغانى للأصفهانى

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

7me Année No. 298

Lundi - 20 - 3 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ ص ـــ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهــــــرس

الأدب والفن فى القران الملكى السعيد

قلتُ لنفسى ...

أستطيع أن أتحدث إليك يا نفس ، وأنا آمنٌ أن يتسمع إلى حديثنا ناقد أو حاقد فينشره ؛ فما كل ما يُعلم يُذكر ، وما كل ما يذكر ينشر

كان الشعب والجيش فى أسبوع القران المصرى الإيرانى السعيد قصيدة شاعرة الأبيات بالجمال والحب ، وملحمة عامرة الأناشيد بالفخار والمجد ، تجلت فيهما عبقرية الجنس ونبالة التاريخ وأريحية النيل ، ودلتا على أن الشعب يتقدم بصيراً بالفطرة ككرام الطير ، وأن الجيش يولد جباراً بالروح كآلهة الإغريق . والفطرة والروح من عمل الله الذى أحسن كل شيء خَلْقه ، وهدى كل حى طريقه

أما الأدب والفن وهما من خلق الناس فكانا — على حسب ما بلغته عيناى وأذناى — موضع النقص وموضوع النقد . ومن الظلم لمواهب هذا البلد الكريم أن يكون ماذاع منهما فى هذا الأسبوع التاريخى مقياساً لقرائحه وترجاناً لعواطفه . وأسارع إلى استثناء النثر من أنواع الأدب ؛ فقد كان أجمل الزهر الذى نثر على العروسين، وأنفس الدر الذى قدم إلى التاجين، وأصدق الدلائل على مكانة مصر فى المدنية والعقلية والثقافة . . .

ولكن الشعر كانت كثرته الكاثرة كزقزقة الأفراخ النواهض فى صبح من أصباح مارس : هى إلى الصِّيِّيّ أقرب منها إلى التغريد، وعلى المحاكاة أدل منها على التجديد، وفى التشابه أدخل منها فى التنوع . والله وحده يعلم الآن موقف امرئ القيس من الجاحظ فى الجنة أو فى النار ، وأحدهما يرى فنه يذوى ويهوى وينطوى، والآخر يرى فنه ينمو ويسمو وينتشر !

ومهما يكن من قصور الشعر فإن فن الكلام فى مصر أنبض الفنون الرفيعة بالحياة وأسبقها إلى النهوض وأدناها من الغاية. فإنك إذا وازنت بينه وبين التمثيل والموسيقى فى هذا الأسبوع على الأقل والأخص عجبت كيف يتقدم فن الأمة الفكر هذا التقدم، ويتأخر فنها المصور هذا التأخر ، حتى يكون ما فى ذلك من الخلق والجدة والتطور والشعور ، معادلا لما فى هذا من النقل والركود والجمود والبلادة

فالتمثيل — ومظهر النبوغ المصرى فيه (الفرقة القومية) — كان خذلاناً من الله لإدارة هذه الفرقة، وبرهاناً من نفسها للناس على أنها لا تعلم ولا تعمل ولا تدبر

أرادت هذه الفرقة أن تساهم فى الحفلة الموسيقية التى أقامتها وزارة المعارف فى دار الأوبرا الملكية احتفاء بصاحب السمو الإمبراطورى ولى عهد إيران ، لأنها تعيش على أموالها ، وتعتمد على مشورة رجالها ، فاختارت أن تمثل لهذه المناسبة فى حضرة المليك العظيم وأمام الخاطب الكريم ملهاة (المتحذلقات) لموليير، وموضوعها كما تعلمين خطبة عابثة هازلة ، يلبس لها خادمان لباس النبلاء ، ويخدعان بالحذلقة الغبية امرأتين من أغنى النساء !

كان من السهل لو كان للوزارة (فرقة) ، وللفرقة إدارة ، وللادارة دراية، أن تطلب إلى كاتب من كتاب المسرح أن يقتبس لها فى هذه المناسبة السعيدة موضوع مسرحية ذات فصل واحد من شاهنامة الفردوسى، كحكاية شيرين، أو قصة زهراب ورستم، فيكون تمثيلها أمام الأمير وحاشيته أبلغ فى معنى الحفاوة، وأبين عن سمو الذوق، وأدل على أن فى مصر تمثيلاً له أدبه المحلى وطابعه الخاص وروحه المميزة . أما متحذلقات موليير فقد مضى على تأليفها مائتان وثمانون سنة ، قرأها فيها كل بلد ومثلها كل مسرح ؛ فلو لم يدل اختيارها على سقم الذوق لسوء المناسبة ، لدل على عقم الأدب لضرورة الاقتباس . ورحم الله من طلب إلى (غزلانزونى) فى سنة ١٨٧١ أن يؤلف له (عايدة) لتمثل فى هذه (الأوبرا) أمام الأضياف الأوربيين فى مهرجان قناة السويس، فقد كان أسهل عليه وأسرع له أن يأمر الممثلين أن يمثلوا له ما شاء من الأوبرات الإيطالية والروايات الفرنسية ؛ ولكنه لسمو نفسه وصفاء حسه أراد أن يكون الموضوع مصريًا واللون محليًا والتمثيل جديداً فكان له ما أراد !

***

والموسيقى — ومظهر الفن المصرى فيها « معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية » — كانت ضرباً من السأم والنشاز لا نعرف له ضريباً فى موسيقى الأمم. فقد أقام هذا المعهد كذلك فى داره حفلة ترحيب وتسلية للأمير الخاطب، فكانت ألحاناً مكررة، وأصواتاً منكرة، وبشارف وتقاسيم وأدواراً يعزفها لقلتها البادئ والمنتهى ، ويعرفها لشيوعها الموسيقار والسامع ، ولا تكاد الأذن الفنانة المرهفة تنفتح لنغماتها التقليدية المكرورة أكثر من دقائق! وما دامت موسيقانا تسير على نهج (التخت) فى وضعه التمثالى الجامد ، فهيهات أن تشيع فيها الروح ، وتظهر عليها الجدة، ويرتاح إليها الشعور . وأعجب العجب أن هذه الموسيقى الواحدة، يجعلون لها أسماء متعددة ؛ فهذه « تحية العروس » وهذه « رقصة الأمل » وهذه « سكرة الموت » ولو وضعت على كل واحدة منها اسم الأخرى لما أنكر ذلك سامع ولا اعترض عليه معترض !

***

أما إذاعتنا اللاسلكية فكانت على عادتها إهانة عالية لمصر ! فبينما تجدين محطات الإذاعة العربية فى العالم تتغذى على الهنىء السائغ من فن عبدالوهاب وأم كلثوم، تجدينها هى تتغذى على الغث البارد من أنامل وحناجر لا هى معجبة ببراعة الفن ، ولا هى مطربة بحلاوة الصوت !

أقول لك ذلك يا نفس ، وأنا أعلم أن فى قوله تفريجاً عنك ، وليس فيه إن سمعه سامع ما يغضب الحق ويؤذى الناس !

ابه عبد الملك

بلادة أم اتزان ؟

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

يجئ يوم فى حياة الإنسان يُرزق فيه البلادة المريحة ، وأعنى بالبلادة انتفاء الحدة والعنف فيما يساور النفس من شعور ، ويدور بها من خوالج . فَـقَـطَّةُ بوزٍ هى كل ما يديه من أسف على فائت ، وهزة كتف خفيفة لاتكاد تلمح هى ما يقابل به الحوادث الجسام، والبرود أو الجمود هو ما يتلقى به الغمز والطعن والتشهير ، والابتسام هو كل ما يبدو من سروره

زارنى مرة صديق لا يزال على ارتفاع سنه فتىّ الروح يغلى فى عروقه دم الشباب ، ودفع إلىّ بصحيفة وقال وهو يشير بأصبعه إلى موضع فيها ، وكأنه يشكه برمح : « ألا ترد على هذا ؟ » فرفعت رأسى إليه — فإن قامته مديدة ، وأنا كما يعلم القراء ، أو كما لا يعلمون ، قمئٌ صغير — وسألته : « ماذا ؟ » قال وهو ينتفض كأن به حمى : « هذا الشتم ! هذه القباحة ! هذه السفالة ! هذه . . . »

فاستوقفته بإشارة وقلت : « حلمك ! لقد شتمنى بعضهم مرة فى صحيفة كبيرة فقال عنى إنى (من فراش العار) وأضاف إلىّ زملائى جميعاً فقال عنا إننا (أبناء الزوانى) فهل قال هذا — وأشرت إلى الصحيفة التى ألقاها على مكتبى — شراً من ذاك ؟ »

فترك هذا وسألنى : « ألم تقتله ؟ »

قلت : « يا سيدى لو كنت أعلم أنه خالد لحاولت قتله ، ولكنه فانٍ مثلى ، فلماذا أجشم نفسى عناء باطلاً ، وأتكلف تحصيل الحاصل ، وأتعاطى العبث والسخافة ؟ »

قال باشمئزاز : « هذه فلسفة لا أفهمها ... هه ... من ضربك على خدك ... »

قلت : « لا ، ليست هذه فلسفة ، وإنما هى بلادة ، ثم إنى لا أدير للضارب خدى الآخر ، وكل ما فى الأمر أنى لا أحس ما ظنه الضارب لطمة لى على خدى ... »

فصاح بى : « كيف لا تحس ؟ أيقول عنك إنك من فراش العار ، وإنك ابن زانية وتجئ وتزعم أنك لا تحس ولا تبالى ؟ »

قلت : « حلمك مرة أخرى . إنى أعرف أنى لست من فراش العار ، وأنى لست ابن زانية ، فما يشتمنى به لا يغير ما أعرفه . ثم إنك تتوهم أن الناس يصدقون كل ما يذم به بعضهم بعضا . وهذا غير صحيح . ولو أن الذى شتمنى التزم القصد ، وآثر الاعتدال فيما يرمينى به لكان أخلق بأن يصدقه الناس ويقتنعوا ، ولكنه أسرف واشتط فأفسد على نفسه مرامه ، فكلامه فىّ ينال منه ولا ينال منى . وقد أخجله ضنى بنفسى على هذه الأوحال فاعتذر ، فهل تدرى ماذا قلت له ؟ »

قال : « لا أريد أن أسمع . يظهر أنك تحاول أن تقلد غاندى... المهاتما غاندى ! » قالها بلهجة المتهكم الزارى

قلت : « ولا هذا أيضاً . إن غاندى حى — مثلك — ولكن أساليبكما مختلفة . أما أنا فأهون ما أقوله فى نفسى أنى أصبحت لا أطيق بعثرة القوة وتبديد الجهود فى العبث الذى لا طائل تحته . أصبحت بخيلاً مقتراً ، أنفق حياتى بحساب دقيق ، وأدخر كل ما يسعنى ادخاره من القوة ؛ وما زلت مسرفاً فى إنفاق حياتى ، ولكن فيما أحب أنا ، وبإرادتى ، لا بالشعور الدافع . وإنه ليحلو لى أن أسمى هذا بلادة ، ولكنه قد يكون اتزاناً ، وصحةَ إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء . ولا تخف . ستراني يوماً أنقض على خصم فأمزقه إرباً إرباً ، فما نفدت قوتى ، ولا فقدت القدرة على استطابة أكل اللحم البشرى ، وما زلت ذلك الوحش القديم الذى يلذه أن يمزق لحم الفريسة ، وأن يلغ فى دمها . وإذا رأيتنى أسطو على أحد ، وأكر عليه وأصميه ، أو أعذبه تعذيب القط للفأرة ، فاعلم أنى أفعل ذلك بإرادتى ، لأن شعورى غلبنى ، فما يغلبنى شعورى فى هذه الأيام . وعلمى بما أقدر عليه هو الذي يصدنى عن هذه المهاترات الفارغة »

فقال : « لقد تغيرتَ جداً »

قلت : « إنك تذكرنى بقول القائل :

وقد زعمت أنى تغيّرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لا يتغير ؟
نعم من ذا الذى لا يتغير؟ حتى الحجر! ومع ذلك من يدرى؟

لقد كنت فى صدر حياتى مدرساً، وكان بعض التلاميذ يحاولون أن يعابثونى، فكنت آخذ عليهم طريق العبث وأكتفى بذلك، وأستغنى عن الاحتياج إلى عقابهم، وكنت أزعم أن هذه حكمة، والواقع أنى ما عاقبت تلميذاً قط، فى عشر سنين زاولت فيها التعليم، وكان الذى بينى وبين تلاميذى عامراً كل هذا الزمن، ولكنى كنت أدير عينى فى نفسى وأفحصها، وأغوص فى أعماقها، أتبين أنى أكره العقاب الخفيف، وأنه لا يرضينى إلا أن تكون الضربة قاصمة للظهر، لأنى بطبعى عنيف، ولما كان لا محل لضربة قاضية من أجل أن تلميذاً لاعبنى أو مازحنى، وهو لا يريد شراً، وإنما تغريه بذلك طبيعة الصبى، فقد كنت أكبح نفسى وأردها عن الأذى، وأعمل بقول الشاعر:

توقّ الداء خير من تصدٍّ ... لأيسره وإن قرب الطبيب

نعم تغيرت، بمعنى أن بعض الطباع التى كانت تظهر وتخفى فيما مضى، صارت أبرز وأقوى، فهى الآن السمة الغالبة والطابع الملحوظ

هذه خلاصة ما حدثت به صديقى، وقد قلت له كلاماً آخر كثيراً، نسيته، فقد طال بيننا الحوار، وتركنى وهو غير مقتنع بصوابى، فلم أحفل بذلك. وماذا يضيرنى ألا يقتنع؟ ولماذا أكلف نفسى تعب إقناعه؟ أنا الذى جربت مراراً كيف يخيب الأمل، ويذهب المسعى سدى؟

وأويت إلى مكتبى فى الليل، بعد أن نام البيت، وأعفيت من ضجة الأطفال، وأخرست لسان الراديو الصاخب ... وعلى ذكر الراديو أقول إن بنىّ مثلى، يأكلون على ضوضاء الراديو، ويراجعون دروسهم على ضجات الراديو، ولا يبدو عليهم أنهم يسمعون ما يصيح به، أو يبالونه، ومن شابه أباه فما ظلم، وإنى لأرجو أن يظلوا مثلى، وألا يكترثوا لمن عسى أن يسبهم ويزعمهم «من فراش العار» — فى حوار أدبى أو جدل سياسى — ما علينا.

سألت نفسى لما خلوت بها: «أهذا الذى صرت إليه اتزان أم بلادة؟ وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء، أم فتور حتى عن محاولة الادراك؟ وهل النار كامنة تحت هذا الرماد، أم هى خمدت وأنت تحسبها لا تحتاج إلى أكثر من التقليب؟ وهل يشى هذا بالقوة، أو يشى بالضعف؟ ومن اليأس هذا، أم من العلم والفهم الصحيح؟ وحال تدوم، أم عارض يزول؟

وطال تفكيرى فى جواب هذه المسائل، ولم أنته إلى شىء تسكن إليه النفس، فنهضت وأنا أقول: «ولماذا أعنّى نفسى بهذه التعبات؟ وماذا أبالى على كل حال سواء أكان الأمر هكذا أم كذلك؟»

وأعجبتنى «لا أبالى» هذه، فقد صارت عندى مخرجاً من كل ورطة، وباباً لتفريج كل أزمة فى النفس. ومن كان يسعه أن يقول — ويكون على نحو ما يقول — «لا أبالى» فقد أوتى الراحة، ولا أقول السعادة فإنها خرافة.

ابرهيم عبد القادر المازنى

انجليزى يتحدث فى السياسة

لأستاذ كبير

أعرف إنجليزيًا داهية فى السياسة وإن لم يكن له مركز سياسى ، ولكنه يميل إلى المبادئ الحرة . قابلته مرة وتحدثنا وجرنا الحديث إلى السياسة فقال : إنه يدهشنى أن يكون بين المصريين من يسىء الظن بالسياسة الإنجليزية . قلت : إن كنت قد رأيت من يسىء الظن بها من المصريين فلا يدهشك أن يكون بين الملايين من الناس آحاد يفعلون ذلك إذا كنت حقيقة قد رأيت منهم سوء الظن ولم تتوهمه . قال : ومع ذلك فإن أعظم الناس سذاجة يستطيع أن يفهم أننا لو شئنا نقض سياستنا الموالية لحليفتنا لكان ذلك من أيسر الأمور . قلت : ماذا تعنى ؟ قال : أعنى أننا لا نريد الغدر بصديق ولسنا معروفين بذلك ، فهذا تاريخنا يدل على أننا لم نغدر بأحد ائتمننا ، فقد كنا دائماً أمناء ، وكانت استقامتنا مضرب الأمثال ، وليس لنا نفع نرجوه من وراء الغدر لأننا لا نريد أن نتحمل مسؤولية الحكم فنزيد أتعابنا العالية

ثم سكت قليلاً وعاد إلى الكلام فقال : على أننا لو أردنا لاستطعنا أن نتبع خطة تطلق يدنا من غير أن نتحمل مسؤولية الحكم وأتعابه فى الظاهر . ثم التفت إلى وابتسم ثم قال : ولكنا لا نريد . قلت : إنى لم أفهم كلمتك الأخيرة . فسكت كأنما يشاور نفسه ويسألها : هل يبوح بما فى نفسه أم لا يبوح ؟ وبعد ذلك لوّح بيده إشارة عدم الاكتراث لما قد يكون من نتائج ما أزمع أن يفسره وقال :

هناك أمور ثلاثة يمكن استثمارها وهى الأمور الدينية والأمور المالية والأمور الدستورية . ولا أعنى استثمارها مباشرة أو الظهور بمظهر المستثمر لها ؛ بل لا بد إذا اتبعنا هـذه الخطة ألا يفهم أحد أننا نستثمرها. ولنجاح هذه الخطة ينبغى ألا يفطن إليها أحد ، ومن أجل ذلك يمكنك أن تثق بسبب شرحها لك أننا لا نريدها لأننا لو كنا نريدها لكتمناها ولأنكرناها إذا فكر فيها أو فطن إليها غريب عنا ، ولحاولنا أن نقنعه بكل الوسائل أننا لا نريدها وأننا لم نفكر فيها

قلت : وما هى هذه الخطة ؟

قال : إنك تعلم أن خطتنا التقليدية كانت عدم المساس بالشعور الدينى فى صدر المحافظين عليه ؛ ومع ذلك كنا نستعمل وسائل كثيرة للتوفيق بين احترام الشعور الدينى واحترام العرف والتقاليد، وبين مراعاة حالة مصر الدولية ووجود الأجانب بها ومراعاة ما تقتضيه التغيرات الاجتماعية والقانونية والفكرية الحديثة . وقد كان التوفيق بينهما يقتضى مرونة ولباقة إلى حد يجعل ذلك التوفيق غير مُحَسّ به ولا مفطون له ، وعلى ذلك كان يتوقف نجاحنا . ولا أقول إننا نجحنا كل النجاح ، ولكنى أقول إننا نجحنا نجاحاً يسهل إدارة الأمور فاكتسبنا مؤازرة العلماء والقائمين بأمر الدين فيما يهمنا من تصريف الأمور ، كما تمكنا أن نمنع من حدوث ارتباك بسبب اصطدام الشعور الدينى وشعور المحافظة على العرف والتقاليد بمنزلة مصر الدولية وبما تقتضيه التغيرات الاجتماعية والقانونية والفكرية الحديثة ... وهنا ابتسم ابتسامة مكر ودهاء وقال : فلو كنا نريد بسط يدنا فى إدارة شؤون البلاد مباشرة ، لاستطعنا أن نمتنع عن هذا التوفيق بطريق مباشر وبطريق غير مباشر ، واستطعنا أن نشجع المحافظة على التقاليد حتى يستولى على زعامتها أشد الناس تطرفاً ، وأظهرنا فى أول الأمر عدم ميلنا إلى التدخل . وهذه الخطة تؤدى حتما إلى تدخلنا فى النهاية وإلى كسب الأنصار أولاً وأخيراً وإلى وجود الأعذار والفرص التى تبرر وتسهل ذلك التدخل وتجعله أمراً لا مناص منه حتى لدى كثيرين ممن يكرهونه

قال ذلك وسكت قليلاً وجعل يضرب ركبته بأطراف أصابعه وكأنه مشغول بالتفكير فى أمر ... ثم التفت إلىّ كأنما قد أفاق من انشغاله بالفكر وقال :

أما المسائل المالية فإنكم تعلمون أنها هى التى أطلقت يدنا فى مصر منذ ارتبكت المالية المصرية فى عهد الخديو اسماعيل باشا وما كنا نستطيع أن نجيب طلبات المصريين الوطنية وأن نقيد يدنا فى مسائل إدارة شؤون البلاد لولا أننا أصلحنا المالية؛ فلو كانت المالية لم تصلح لاضطررنا أن نضرب بمطالب المصريين عرض الحائط بحكم الضرورة ولو جدنا أنصاراً كثيرين من المصريين والأجانب يشدأزرنا فى خطة التمسك بادارة شؤون البلاد، بل لوجدنا

من المصريين والأجانب ومن الدول أيضاً من يطالبنا بالتمسك بإدارة شؤون البلاد ويصر على ذلك خوفا من كل على أمواله . لكننا لا نرى من يطالب أو يصر على ذلك لأن مالية الشعب والحكومة تحسنت كثيراً ...

وهنا عاد إلى سكوته كأنما يريد منى أن أهضم ما قاله وأن أفكر فيه ، وأقتنع بصدقه قبل استئناف الحديث ، ثم عاد إلى الكلام فقال : لو كنا نريد أن نطلق يدنا فى إدارة شؤون البلاد لاستطعنا أن نشجع الإسراف أو على الأقل نشجع الصرف صرفاً كثيراً على أمور لا تأتى بثمرة اقتصادية ولا بربح اقتصادى مباشر ، وهذا أمر ميسور لنا (أولاً) بسبب شعور مصر بمقام استقلالها بين الدول وما يقتضيه من المصروفات فى الأمور السياسية ، و (ثانياً) بسبب خطر الحرب وما يقتضيه من المصروفات فى الأمور الحربية . وهذا الصرف تطالب به العزة القومية ولا يشك أحد فى مطالبتها به . على أنه مهما حسنت مالية الدولة والشعب فإن مالية الدولة لا تتوقف على موازنة الدخل والمنصرف فى الميزانية وحدها ولا على الاحتياطى من المال لديها وحده ، وإنما تتوقف أيضاً (أولاً) على موارد الدولة ، وتنوعها ضرورى لأنها إذا لم تكن متنوعة وأصيب المحصول الرئيسى بفشل أو تدهور مستمر فى الأسعار ربما ذهب حسن المالية الذى برر كف يدنا عن التدخل فى إدارة الشؤون . و (ثانياً) تتوقف مالية الدولة أيضاً على دخل الأهالى ، فإذا فرضنا أن ثروة قطر من الأقطار زادت لتحسن طرق الإنتاج ومقداره ولكن زاد عدد السكان زيادة كبيرة وارتفع مستوى المعيشة وزادت الديون التى على الأهالى[1] وكثر المتعطلون عن العمل وكان أكثر أفراد الشعب لا يملكون إلا القليل وبدأ يقل محصول الفدان الواحد فى مقداره إذ كان القطر زراعياً ... أقول إذا اجتمعت كل هذه الأمور وأشباهها لا يختزن أفراد الشعب كثيراً مما كان من ازدياد مجموع ثروة الشعب ، ولا يكون عند الشعب من المتانة المالية ما يسند متانة الحكومة المالية وما يشجعها فى المضى فى الصرف بسخاء على أشياء قد تكون شبه ضرورية . فإذا

(١) هذه غير الديون التى على الدولة .

من برجنا العاجي

حدث فى الأسبوع الماضى أمر أحب أن أسجله هنا : هو قيام القيامة فى الجامعة ضد كتابين قيمين ، لأنه قد ورد فيهما طعن فى الإسلام .

لا أريد أن أنظر إلى الأمر من ناحية التفكير الحر ، ولا من حيث تأثير هذا الموقف فى الحياة العقلية لبلد متحضر ولكنى أريد أن أبحث المسألة من جهة الدين نفسه . وهنا يبدو لى العجب : لماذا كل هذا الفزع كلما وقع بصرنا على عبارة تمس الإسلام ؟ إن الكتب التى عالجت المسيحية وتعرضت للمسيح بالطعن والتجريح تطبع وتنشر فى أوروبا المسيحية دون أن يخشى أحد على كيان المسيحية . ذلك أن الجميع يعلمون أن الأوان قد فات للخوف من مثل هذه الصيحات ، وأن المسيحية التى عاشت عشرين قرناً لا يهدمها عشرون كتاباً . كذلك نستطيع أن نقول فى الإسلام أن هذا الدين المتين الذى عمر نحو أربعة عشر قرناً وثبت لأحداث الزمان وشاهد دولاً تدول وعروشاً تزول وشعوباً تولد وامبراطوريات تقام ، لا يمكن أن يتعرض للخطر أمام كتاب يؤلف أو عبارات تقال . إن هذا الفزع منا لأكبر مسبة لدين عريق عميق . كذلك يدهشنى أن ينشأ هذا الفزع فى جامعة عصرية ، يؤمها شباب قد قطع مراحل الطفولة والصبا الأول وانغرست فى قلبه العقيدة الحارة ، فلا خوف الآن عليه من مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية إنى أعتقد دائماً أن صحة العقل وصحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق حتى تكتسب المناعة . وأن حبس العقيدة والعقل فى قفص من الزجاج خوفاً عليهما من خطرات النسيم معناه إنشاؤهما على بنية عليلة وكيان سقيم .

توفيق الحكيم

اعتمدت الحكومة على متانة ماليتها الحاضرة وحدها من غير نظر إلى ما قد تؤدى إليه هذه العوامل الاقتصادية فى النهاية. وإذا أردنا أن نطلق يدنا فى إدارة الشؤون ونجعله أمراً محتوماً يطالب به كما كان فى الماضى أمكننا أن نقلل من أثر هذه العوامل وأن نهوّن أمرها لدى الحكومة . . . قال ذلك ثم التفت إلىّ وقال : ولكن الحكومة المصرية متيقظة تمام التيقظ ... وقال : ومع ذلك يمكننا — إذا شئنا — أن نتغلب على هذه اليقظة . ولكننا كما أوضحت لك لانشاء تحمل مسؤولية وأعباء الحكم حتى ولو أنه من المستطاع تحميل الحكومة الوطنية التى تطلق يدنا كل الإطلاق مسؤولية وأعباء الحكم . ثم رجع إلى سكوته الطويل كى أتدبر ما قاله عن المسائل المالية والاقتصادية كما سكت طويلاً بعد كلامه عن المسائل الدينية

وبعد ذلك التفت إلىّ مرة أخرى وقال :

بقيت مسألة نظام الحكم ، ونحن بطبيعتنا نميل إلى الحكم الدستورى الذى كنا أول من شاده بين الأمم ، ونفضل الاتزان والاعتدال فى الحكم الدستورى. وكثيراً ما تحول الدستور فى بعض الدول الأوربية إما إلى حكومة نفعية غير ديمقراطية من طبقة المغامرين، وإما إلى حكومة رعاع مؤقتة. ولكننا فى انجلترة قد صنا الديمقراطية عن الحالتين؛ وهذا هو سبب ثبات الديمقراطية عندنا . ومن أسباب ثباتها أيضاً قدم عهدنا بالنظام البرلمانى الدستورى ومحافظتنا على القديم من تقاليدنا الدستورية ، أما عندكم فلا يوجد تقاليد كما عندنا تتغلب على النزعة التى ذاعت فى كثير من الأمم للتخلص من النظام البرلمانى أملاً فى إصلاح أو رقى أو تحسن سريع يأتى على يد حكومة قادرة من الأكفاء يمكن انحصار السلطة فيها فى أيد قليلة ويمكن عدم تقيدها بدورات المشاريع وعدم تأخرها؛ بسبب الشورى وبسبب قيود نظم الحكومات الدستورية . وقد بدأ الكتّاب يكتبون فى هذه النزعة فى مصر وبدأ بعضهم يحبذها . فلو أننا كنا نريد إطلاق يدنا كل الإطلاق فى إدارة شؤون البلاد لاستطعنا أن نشجع هذه النزعة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر وكان يمكننا أن نتخذها وسيلة لخلق حالة فى البلاد تتطلب أن نتدخل بسبب نزاع أنصار الديمقراطية وأنصار الدكتاتورية وما يؤدى إليه . بل يمكننا أن نخلق حالة تدعو كثيرين إلى مطالبتنا بالتدخل سواء أكان ذلك بسبب هذه الحالة التى يخلقها النزاع بين الدكتاتورية والديموقراطية أو بسبب المسائل المالية أو بسبب المسائل الدينية لو شئنا أن نتبع الخطة التى أوضحت لك أننا يمكننا أن نتبعها فى المسائل الدينية أو المالية أو الدستورية؛ ولكنا كما قلت لانشاء اتباع هذه الخطة حتى ولو أدت إلى إطلاق يدنا إطلاقاً تاماً فى إدارة شؤون البلاد من غير تحمل مسؤولية وأعباء الحكم، إذ نستطيع أن نجعل من نشاء يتحملها عنا إذا جاءت نتائجها أحياناً عكس ما توقعنا . ولو أننا كنا نشاء اتباع هذه الخطة لما كنا نتحدث فيها بصراحة إلى كل من نقابل من الناس

وهنا غلبه الضحك فضحك ثم قال : والمأمول ألا يفعل المصريون من تلقاء أنفسهم بدون دافع منا ما يؤدى إلى إحدى الحالات الثلاث التى تحتم تدخلنا ونحن آسفون على التدخل .

قارئ

الأثر العــــربى

فى الثقافة الانجليزية فى القرون الوسطى

للأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد

ليس من الممكن معالجة موضوع الأثر العربى فى الثقافة الانجليزية بتفصيل واستيعاب فى مقالة واحدة أو بضع مقالات . ولا من الممكن أيضاً ذكر الكثير من أسماء العلماء والمؤلفين والمترجمين الذين ساهموا بنصيب وافر فى نقل الثقافة العربية إلى دائرة الفكر الانجليزى أو الأدب الإنجليزى . ولذلك سأحاول معالجة هذا الموضوع فى ثلاث مقالات فقط : هـذه المقالة وموضوعها « فى القرون الوسطى » . والمقالة الثانية وموضوعها « فى عصر النهضة » . والمقالة الأخيرة وموضوعها « فى القرنين الماضيين » . وستكون معالجتى إجمالية عامة

إن ما أعنيه بالأثر العربى هنا هو كل ما وصل إلى الثقافة الإنجليزية عن طريق اللغة العربية ، سواء أكان ذلك من إنتاج العرب أنفسهم أم من إنتاج غيرهم من الأمم التى ترجمت فلسفتها وعلومها وآدابها إلى اللغة العربيـة . وأعنى بالثقافة الإنجليزية ما أنتجته القريحة الإنجليزية من أدب وفلسفة وعلم وكتب حينئذ باللغة اللاتينية التى كانت لغة التأليف والآدب فى انجلترا وغيرها من ممالك أوربا فى القرون الوسطى

لعلنا نذكر أن بغـداد كانت مقر الخلافة العباسية ، وأن خلفاء هذه الدولة قد انصرفوا بعد أن استتب لهم الحكم إلى تشجيع العلم والعلماء ، فازدهرت العلوم على اختلاف أنواعها ، وبدأ عصر جديد هو عصر الترجمة من اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية والهندية . وبلغ ذلك العصر أوجه فى أيام الرشيد والمأمون . ووجد فى اللغة العربية ما يسمى « بالعلوم الدخيلة » أى التى دخلت فى اللغة العربية من لغات أخرى ، كالطب والفلسفة والمنطق والفلك والرياضة . ويعزى أكثر الكتب التى ترجمت حينئذ إلى أرسطوطاليس وأفلاطون وبطليموس وأبقراط وأقليدس من علماء اليونان وفلاسفتهم . وكان أكثر المترجمين من غير العرب — كما نعلم — لأن العرب أصحاب السيادة كانوا منصرفين إذ ذاك إلى العناية بنظام الحكم والسياسة . ولأن من قاموا بالترجمة من السريان والنصارى واليهود كانوا على علم كاف بالعربية واللغات الأخرى المترجم عنها . نمت هذه العلوم الدخيلة وعكف على دراستها وترقيتها كثير من العلماء حتى أصبحت بغداد مركزاً للثقافة العربية فى الشرق

امتدت فتوح الإسلام إلى شمال أفريقيا وجزيرة صقلية وبلاد الأندلس ، ووطد العرب سلطانهم هناك ، وهاجر إلى تلك الممالك كثير من العلماء الذين تفقهوا فى العلوم الإسلامية والدخيلة ، ووجدوا من إكرام الخلفاء والأمراء لهم ما شجعهم على تنمية هذه العلوم ونشرها ، وأقبـل العلماء والطلبة من المسلمين واليهود والمسيحيين على دراسة الفلسفة وعلوم الطب والرياضة والفلك وغيرها فى المعاهد الإسـلامية والمكاتب العامة التى أسست فى طليطلة وقرطبة وغرناطة وأشبيلية حتى أصبحت هذه المدن الأندلسية مراكز للثقافة العربية فى الغرب كما كانت بغـداد فى الشرق

وإذا عرفنا أن أثر أية لغة فى لغة أخرى إنما ينشأ عن الاتصال المباشر أو غير المباشر بين متكلمى هاتين اللغتين وجب أن نبحث عن : « متى وكيف وجد الاتصال بين العرب والانجليز فى القرون الوسطى » وهنا نجد أمامنا ميدانين اتصل فيهما العرب بالأوربيين عامة ومن بينهم الإنجليز . الميدان الأول هو الميدان الشرقى فى مصر وفلسطين والشام وآسيا الصغرى أيام الحروب الصليبية ، والميدان الثانى هو الميدان الغربى فى جزيرة صقلية وفى الأندلس. وفى كلا الميدانين كان تأثير العربية فى كافة الثقافات الأوربية ومن بينها الإنجليزية . وربمـا كانت انجلترا أقل الممالك تأثراً بالنفوذ العربى

بدأت الحروب الصليبية فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى وتوالت ست مرات حتى أوائل القرن الثالث عشر . واشتركت فى هذه الحروب الصليبية كل ممالك أوربا ، كما قاد هنرى الثانى ملك الإنجليز جنوده فى الحرب الصليبية الثالثة ضد العرب . وكانت هذه أول مرة فى التاريخ يلتقى فيها العرب والإنجليز وجهاً لوجه ، ويرى الإنجليز ما كان عليه العرب من حضارة وتفوق فى فن الحرب وتعبئة الجيوش وطرق الهجوم والدفاع . وكان لهذا الاتصال أثره المباشر فى أن نقل الإنجليز عن العرب نظم الحرب والتحصين ، ووسائل النقل ، واستعمال النقود وتوزيع الضرائب وصنع الزجاج . ويرجح علماء اللغة أن بعض الكلمات قد تسرب من العربية إلى لغة الإنجليز (أعنى اللاتينية) فى ذلك العصر . وذلك مثل كلمة Cotton القطن ، Sugar السكر ، Zarget الدرقة

Guide القائد ، وغير هذه الكلمات مما لا مجال لذكره الآن . ولم يترك هذا الاتصال أثراً قوياً فى الأدب الإنجليزى لأنه كان اتصالاً حربياً ولم يكن اتصالاً علمياً

أما فى الميدان الغربى فإن جزيرة صقلية كانت تحت حكم الأغالبة من العرب من أوائل القرن العاشر إلى أواخر القرن الحادى عشر . وبعد سقوط هذه الجزيرة فى أيدى النرمانديين ظلت اللغة العربية لغة الكتابة والتأليف بجانب اللاتينية والإغريقية ، ولقى العلماء من المسلمين واليهود كل تشجيع وعطف من الملوك المسيحيين ، وبخاصة فردريك الثانى ملك صقلية الذى جمع ببلاطه كثيراً من نخبة الفلاسفة والأطباء والمنجمين وعلماء الرياضة . وكذلك شجع الملك روجر الصقلى العلماء على التأليف والترجمة إلى اللغة اللاتينية ، إما من العربية ، وإما من الإغريقية . وكانت هناك علاقات صداقة قوية بين البلاط الانجليزى ، وبين بلاط الملك روجر الصقلى الذى عهد بمنصب ديوان الإنشاء فى بلاطه إلى انجليزى يسمى Robert of Selby وقد مهد هذا الانجليزى لكثير من العلماء الانجليز الإقامة فى بلاط الملك روجر والاتصال بعلماء العرب ، وترجمة بعض مؤلفاتهم ، ونقل بعض الثقافة العربية إلى ثقافتهم . وكذلك نجد انجليزياً آخر تشير إليه السجلات الصقلية العربية باسم « القائد برون » ، واسمه بالانجليزية Thomas Brown وقد شغل وظيفة القضاء فى البلاط الصقلى ، وعرف اللغة العربية ، ثم عاد بعد ذلك إلى انجلترا حيث اختاره الملك هنرى الثانى وزيراً للمالية سنة ١١٥٨م . وقد كان من نتيجة هذا الاتصال بين علماء الانجليز وعلماء العرب فى البلاط الصقلى أن أخذ الانجليز عن العرب طرق البحث الفلسفية ، وترجموا بعض الرسائل فى الفلك والرياضة.

أما فى الأندلس فإن تعاون المسلمين واليهود والمسيحيين فى البحث والتأليف ، وتسامح الولاة من المسلمين ، وازدهار الحركة العلمية والأدبية قد فتح الطريق أمام طلاب العلم من ممالك أوربا المختلفة فوفدوا إلى المعاهد الإسلامية الأندلسية للدراسة والترجمة إلى لغاتهم . ونذكر من بين هؤلاء ادلار الباجى الإنجليزى (Adlar of Bath) الذى سافر كثيراً فى الشام وفلسطين وصقلية ثم درس فى طليطلة ، وحين عاد إلى انجلترا أدهشه ما وجد عليه القوم من جهل بعلوم العرب وفلسفتهم (كما يقول هو) فأدخل فى الثقافة الإنجليزية والفلسفة طريقة التفكير الحر فى البحث . وكذلك ترجم من العربية رسالة فى الفلك اسمها «الأزياج» واستبقى كثيراً من الكلمات العربية فى ترجمته ، وألف كتاباً سماه « المعضلات الطبيعية » اعترف فيه بفضل الدراسة العربية ، وذكر فيه كروية الأرض ، وأن المادة لا تفنى ، وشرح أسباب الزلازل ، وكان يعتمد فى كل ما كتب على الأدلة العقلية أو التجربة .

وممن تلمذ من الإنجليز على العرب Robert of Chester فقد درس فى الأندلس وهو أول من ترجم القرآن من العربية إلى اللاتينية ، كما ترجم كثيراً من الكتب فى علم الجبر والكيمياء . ولا تزال هاتان الكلمتان فى الإنجليزية حتى الآن : Algebra و Chemistry وهناك أيضاً تلميذ آخر يسمى ألفرد الإنجليزى Alfred the Englishman درس فى الأندلس وترجم من العربية كتاب النباتات لارسطوطاليس .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ميخائيل الاسكتلندى Michael de Scott فقد زار صقلية ودرس فى طليطلة ثم ترجم من العربية رسالة فى علم الفلك لمؤلفها نور الدين أبى إسحاق البتروجى ، ونقل فلسفة ابن رشد ، وعلق على كتب ابن سينا وترجم من العربية كتاب الحيوان لأرسطوطاليس

وكذلك عرف الإنجليز طب العرب ، وكيفية استعمال الاسطرلاب ، واستبقوا فيه بعض الكلمات العربية كالمغرب ، والمرى ، والقنطرة ، كما اقتبسوا الطرق العربية فى الحساب

ولما كانت الفلسفة والعلوم والآداب فى القرون الوسطى قوية الارتباط بعضها ببعض تأثر الأدب الانجليزى مباشرة بكل ما ترجم من العربية إلى اللاتينية من فلسفة أو علم أو أدب . ويذكر علماء الأدب أن تشوسر الشاعر الانجليزى القديم اقتبس فى أشعاره بعض المعانى من كتاب اسمه (أمثال الفلاسفة) ، وكان قد ترجم هذا الكتاب أولاً من العربية إلى اللاتينية ثم ترجم بعد ذلك من اللاتينية إلى الإنجليزية ، وهو أول كتاب انجليزى طبع بمطبعة كاكستون . وكذلك كتب تشوسر رسالة فى الاسطرلاب اعتمد فيها على كتاب « الاسطرلاب » المؤلف العربى « ما شاء الله » وعلى كتاب للقبيسى اسمه « مقدمة فى علم الفلك » . وكتب أيضاً رسالة سماها « الخبز واللبن للأطفال » تجلت فيها الروح العربية

وقد ترجمت مجموعة من القصص العربية إلى اللاتينية ومن بين هذه القصص بعض حكايات من كتاب كليلة ودمنة ، وظهرت هذه القصص فى الآداب الأوربية عامة كما ظهرت فى الأدب

أعلام الأدب

إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

ولد إسخيلوس عام ٥٢٥ ق . م فى قرية[١] كان يعكف أهلها على عبادة دمتير ربة الزراعة ، وديونيزوس[٢] إله الخمر ، وهى قرية صغيرة متاخمة لقرية إيكاريا التى نشأ فيها الشاعر تسبيز الذى يعزون إليه نشأة الدرام

وقد ذكر لنا اسم أبيه فى الأبيات التى أوصى أن تنقش على قبره حيث يقول :

هنا فى سهل جيلا المثمر الخصيب
يضم هذا اللحد رفات إسخيلوس بن يوفوريون
فتى أثينا ، الذى شهد له الميديون
وعرفت بأسه مرثون

ولقد برع إسخيلوس فى الشعر منذ حداثته وكان يغشى حلقات الشعراء ويدرس طرائقهم ويحفظ أناشيدهم فإذا خلا إلى نفسه رددها وراح يهتف بها وقد راقته أغانى تسبيز فكان يقلدها وينظم المقامات على نسقها ، ثم فرغ لنظم الدرامة الطويلة التى ثار فيها على العرف فكتب له التوفيق حتى إذا انبثق فجر القرن الخامس قبل الميلاد ، وبلغ الفتى السادسة والعشرين من عمره استطاع أن يشهد الناس فنه فى أكبر مسارح أثينا حيث مثلت أولى رواياته فبهرت الأثينيين وعرضت عليهم لوناً جديداً من أدب الدرام كان ثورة عنيفة على الماضى ودعامة وطيدة لمسرح المستقبل

ولما نشبت الحرب بين فارس واليونان ألقى الشاعر يراعه وامتشق سيفه وأسرع إلى مرثون الخالدة هو وأخوه فأبليا بلاء حسناً ترك فى نفس إسخيلوس أثراً عظيماً من الزهو والاعتداد لم يمحه نصف قرن عاشه بعد ذاك

ثم تلت موقعة مرثون التى استشهد فيها أخوه (٤٩٠ ق . م) فترة من السلام فرغ فيها إسخيلوس إلى أدبه واستطاع خلالها أن يحرز النصر على جميع منافسيه فى حلبة الشعر للمرة الأولى فى المسابقة العامة عام ٤٨٤ ق . م

ثم دعا داعى الوطن بعد ذلك بأربعة أعوام فترك أثينا مع جميع أهلها ليشترك فى موقعة سلاميس ، وليناضل فوق صفحة البحر فى تلك المجزرة المروعة التى ذابت فيها جيوش كسرى وحطمت أساطيله وفر أبناؤها إلى بلاده بعد أن شهد الهزيمة بعينيه ، فسلمت اليونان وسلمت أوربا إلى الأبد من التبربر

وقد اشترك بعد ذلك فى حروب تراقيه عام ٤٧٦ كما تدل عليه جذاذات من ثلاثيته المفقودة المسماة (ليكورجوس)

وفى سنة ٤٧٥ نظم مأساته (نساء إطنة) وكان إذ ذاك فى سفارة سياسية إلى سيرا كوزا

وقد رحل إلى سيرا كوزا مرة أخرى ، ونظم فيها درامته (الفرس) التى حازت الجائزة الأولى عام ٤٧٢

وفى سنة ٤٦٨ ظهر منافسه العظيم سوفوكليس فى ميدان المسرح فجأة ففاز على إسخيلوس بالجائزة الأولى ، وكان لفوزه أثر بليغ فى نفس إسخيلوس لم يمحه أن فاز (إسخيلوس) بعد ذلك بجوائز عدة كان يسيل لها لعاب الشاعر الشاب

وقد عاش إسخيلوس عشر سنوات لا ينسى هزيمة سنة ٤٦٨ حتى أن بعض المؤرخين يظن أنه هاجر إلى صقلية بسبب ذلك ، ويقول بعضهم إنه كان كلما ذكر تلك الهزيمة الأدبية دمعت عيناه ونقم على الشاعر الشاب

(١) إسمها إيليوزيس

(٢) إسمه الكامل ديونيزوس زجريوس

الإنجليزى . وقد ضمن الشاعر الإنجليزى Vohn Lydgate بعض أشعاره كثيراً من هذه القصص والحكايات العربية

ويعزو بعض علماء الأدب انتشار الأشعار الغرامية الشعبية التى كان ينشدها الموسيقيون المتجولون فى القرى الإنجليزية فى القرون الوسطى إلى نفوذ عربى لمشابهتها كثيراً للأشعار الغرامية الأندلسية ، وبخاصة الزجل ، ويذكرون أيضاً كتابين كان لهما الأثر فى انتشار هذا النوع من الشعر الغرامى وهى كتاب « الزهرة » لابن داود وكتاب « طوق الحمام » لابن حزم وموضوعهما الحب العذرى ، وقد ترجما إلى اللاتينية[١]

هذه فكرة إجمالية عن « أثر اللغة العربية فى الثقافة الإنجليزية فى القرون الوسطى » وسأعالج ذلك الأمر « فى عصر النهضة » فى العدد القادم إن شاء الله .

عبد العزيز أمين عبد المجيد

(١) أنظر مقال الأستاذ جب عن الأدب العربى فى كتاب تراث الاسلام

وفى عام ٤٥٦ توفى فجأة فى مهاجره ودفنت رفاته فى جيلا .

هذه هى أهم الوقائع فى تاريخ حياة إسخيلوس . ولا نستطيع أن نتناول أدبه بالنقد أو التحليل قبل أن نقف قليلاً عند هذه الوقائع نستخلص منها ما ينفعنا فى دراسته وما يكشف لنا عن نواحى نبوغه

وليس من شك فى أن نشأة إسخيلوس الأولى وبيئته كان لهما أثر بعيد فى أدبه . بيد أن هذه النشأة وتلك البيئة ليسا شيئاً إذا قيسا إلى الأثر الكبير الصارم الحاسم الذى تركه فى نفسه خوض غمار تلك الحروب الدامية العنيفة التى شنتها على بلاده فارس ، والتى كانت حرباً بين جيش جرار كثيف يقدرون عدده بألف ألف أو يزيد ، وبين أمة بأكملها قليلة العدد شديدة البأس ساهمت جميعاً ، رجالا ونساء وأطفالاً ، فى آلام الحرب ، حتى لقد هجرت أثينا إلى إحدى جزائر البحر ، وقام رجالها فى السفائن يصارعون المنون ويغالبون الموت . ويهزأون بجبروت إجزرسيس ، حتى كسروا شوكته وظهروا على أساطيله وأطعموا السمك ووحوش الماء لحوم أبطاله

لقد تركت مرتون فى نفس إسخيلوس أثراً لا يعد له إلا أثر سلاميس ، وليس يعدل هذين الأثرين شىء آخر فى نفس الشاعر الجندى الذى أخذ يبنى مجده الأدبى على أكوام من أشلاء القتلى الذين أكلتهم هذه المجزرة الهائلة بين عدو قوى كثير العدد وبين أمة ضعيفة بعددها كثيرة بوطنيتها استطاعت ببضعة آلاف أن تقهر أكثف جند عرفه التاريخ

خرج إسخيلوس من هاتين المركتين شخصاً آخر شديد الايمان بقوة السماء مكبراً لسلطان الآلهة أيما إكبار ، مقتنعاً باليد العليا التى تسهر على الكون وتدبر أموره ، وترد الحق إلى المظلوم وتكبح جماح الظالم مهما كان ذا حول وطول وقوة . . وقد ظهرت هذه الروح فى أكثر دراماته التى نظمها بعد هذه الحرب ، وهى أروع ما نظم

أما سنة ٥٠١ فهى مفتتح القرن العظيم الباهر ، القرن الخامس قبل الميلاد الذى يزهى على الزمان بما أفاء على الانسانية من علم وأدب ومن نور وعرفان ... وقد كان مطلعه مطلع سعد لعبقرية إسخيلوس ، فقد مثلت أولى دراماته فى أولى سنى هذا القرن ، وسنه حينذاك لم تتجاوز السادسة والعشرين

ولعل عام ٤٨٤ ق . م هو أهم الأعوام فى تاريخ الأدب اليونانى جميعاً ... وذلك أن مؤرخى هذا الأدب يجعلونه بداءة الفترة الذهبية المجيدة ليس فى تاريخ الأدب اليونانى فحسب ، بل فى تاريخ الأدب الصرف قاطبة ، وهم يبدأونها بهذا العام الذى أحرز فيه إسخيلوس أولى جوائزه الأدبية فى المسابقة العامة بدرامة مفقودة قلب بها الأوضاع القديمة رأسا على عقب ، ووضع الدعامة القوية القويمة للمسرح الحديث ، حتى ليصح أن يطلق على هذه السنة : السنة الأولى تاريخ الأدب المسرحى

وهم يجعلون هذه الفترة بين عامى ٤٨٤ و٤٣١[1] حينما أحرز يوريبيدز أخرى جوائزه بدرامته الخالدة ميديا ... وعلى ذلك تمتد الفترة إلى ثلاث وخمسين سنة مثل فيها على مسرحى أثينا أكثر من ألف درامة منها تسعون لأسخيلوس ومائة وثلاث وعشرون لسوفوكليس وثمانون ليوريبيدز وأكثر من مائتين لشاعر عظيم لم يحفظ لنا الأثر اسمه ومئات أخرى لشعراء نعرف بعضهم ونجهل بعضهم الآخر ... وليس الكم فقط هو العجيب فى هذا الإنتاج الباهر ، بل الكَيْف أيضاً هو الذى يسحر ويبعث على الدهش ، فهذه الدرامات السبع الباقية فقط من إسخيلوس ، والسبع الباقية من سوفوكليس ، والثمانى عشرة الباقية من يوريبيدز هى ثروة فائقة من تراث هذه الفترة ، والقارىء يقف حيالها ذاهلاً لعمق التفكير وجمال الأداء ؛ وقوة السبك ، وسمو الغاية والخلو من الزيف والبهرج ... وهى مع ذلك ليست أجمل ما أبقت عليه يد العفاء من الثروة الضائعة ، إذ أن أكثر الدرامات التى فاز فيها الشعراء بالجوائز الأولى ما تزال مفقودة ، والأمل معقود على نجاح الكشف فى أسكندريتنا للحصول على الغُرَر والدُّرَر من نتاج الذهن اليونانى العظيم .

وقد لا نجد فى تاريخ الأدب المسرحى فترة تشبه هذه الفترة اليونانية إلا فترة الأربعين[2] الذهبية فى تاريخ الأدب الإنجليزى فى عصر اليصابات ، فقد كتبت ومثلت فى هذه الفترة جميع درامات شكسبير ومارلاو وبن جونسون وبومون وفلتشر وماسنجر وويستر وهايود ... الخ ... غير أن الشعراء الإنجليز فى هذه الفترة كانوا على كل حال تلاميذ هذا السلف الصالح من شعراء أثينا ،

(١) يمدها لويس كامبل مترجم اسخيلوس وسوفوكليس الى ٤٢٠ ق . م

(٢) يجعلها بعض مؤرخى الأدب الانجليزى ثمانى وثلاثين سنة

وكثيراً ما سطوا على آثارهم واستباحوا أخيلتهم واستعملوا طرائقهم التى أوفوا بها على الغاية

وكما تتشابه الفترتان فى الإنتاج الأدبى للمسرح فكذلك تتشابهان فى الباعث على النهضة الأدبية فى كل منهما . فلقد كان الباعث فى الفترة اليونانية هو هذه الحرب الضروس التى شنتها فارس على اليونان والتى كانت مرحلتها الأولى فى مراثون ، ومرحلتها الثانية فى سلاميس حيث حطم أسطول إجزرسيس ، مما أيقظ الروح القوى فى هيلاس وأجج نيران الوطنية فى قلوب الأثينيين خاصة ، فجاءت النهضة الأدبية المسرحية وليدة هذا الروح

أما الفترة الإنجليزية فقد جاءت عقب تحطيم الأرمادا الأسبانى اللجب الذى أعده فيليب الثانى لغزو انجلترا . . . وهذا التشابه فى الباعث بين الفترتين يدل على ما بين الوطنية والأدب من وشائج قوية يزيدها النصر قوة ويمهد لها بمزيج عجيب من الحماسة والكبرياء يقابله مزيج آخر من المآسى والآلام

* * *

وبعد ، فماذا صنع إسخيلوس من هذا كله ؟ وكيف ثار ثورته على الماضى العتيق وشاد هذا البنيان الشامخ ؟ وما هى هذه المثل التى كان ينشدها ويعمل على إقامتها لتكون نبراساً للذهن اليونانى ؟ وإلى أى حد نجح فى جهاده الشاق الجليل الطويل ؟ ومن يا ترى كان عونه فى هذا الجهاد المشكور المبرور ؟ وكيف يستطيع كاتب أن يستعرض كل هذا التاريخ ، وأن يلخص درامات إسخيلوس السبع أسرع تلخيص وأقصره فى مثل هذه الفصول المقتضبة الضيقة ؟

روى المؤرخون أن إسخيلوس كان لا يأنف أن يرى النقص فى إحدى دراماته فيعترف به قبل أن يأخذه عليه أحد من النقاد ثم يعمل على إصلاحه فى الدرامة التى تليها ، وقد يحدث أنه يفوز بالجائزة الأولى فى إحدى المسابقات بدرامة كان يشك أكبر الشك فى نجاحها ، فإذا تناول الجائزة لم يأبه أن يلفت الناس حوله إلى نواحى النقص فى تلك الدرامة التى حازت إعجابهم واستولت على شعورهم . . . وفى هذا دليل على أن إسخيلوس كان ينشد المثل الأعلى لفن الدرامة ، وكان لذلك يدأب على عمل التجارب ليأخذ بالأصلح وليتوقى ما لا غناء فيه ، وكان لا يأنف من الانتفاع بجهود الآخرين وتجاربهم ، وكان يعنى عناية خاصة (بتكنيك) المسرح فكان بذلك أول المخرجين الأكفاء وأعظمهم ... وهو أول من خفض عدد أفراد الخورس وزاد عدد الممثلين ، وجعل الغناء والإنشاد فى المرتبة الثانية بعد الكلام والحوار . وهو أول من ابتكر الثلاثية ، أى المأساة الكبيرة التى تتكون من ثلاث مآس تربطها عقدة واحدة ويجمع بينها موضوع واحد . وقد كان يعتبر هوميروس معينه الأول ، فكان يقول إن مآسيه فتات من مائدة هومر ، لكنه مع ذلك ابتكر الدرامة السياسية وانتزعها من الأحداث الجلائل التى كانت تحدق بوطنه فى ذلك العصر ... وكان يعنى عناية فائقة (بالحبكة) الدرامية فى مآسيه ويجرى فى خلالها تجاريب الحياة التى تمرس بها فكانت دراماته تشبه التماثيل الفنية الرائعة التى يعنى فيها الفنان بإبراز معنى خاص يجتهد فى أن يبرز لأول وهلة للرائى فيملك عليه لبه ويستحوذ على إعجابه

وكان السراة من أهل أثينا وأغنياؤها يتسابقون إلى الإنفاق على درامات إسخيلوس ، وقد ثبت أن بركليس نفسه ، وهو سيد هذا العصر قد كان ال : (خوريجس Chorêgus)(1) لأكثر من درامة من درامات إسخيلوس

وأبرز ما يلفت الإنسان من دراماته هو هذا الروح السفسطائى الذى يشيع فيها جميعاً ، حتى لقد دعاه المؤرخون أول مبشر بمذهب السفسطائيين قبل أن يوجد السفسطائيون ، فهو الذى لم يبال أن يتناول فى دراماته ذوات الآلهة بالنقد والتجريح ، ومهد بذلك لموجة الشك التى طغت على اليونان بعد ذلك ... حقيقة لقد سبقه كثير من الفلاسفة إلى ذلك ، لكن أحداً منهم لم يجرؤ أن يصنع كما صنع هو حين قدم للمسرح درامته الخالدة العظيمة (بروميثيوث) والتى كانت ثورة على سيد الأولمب فتحت الطريق على مصراعيه للملحد الأكبر وأعظم أدباء اليونانيين (يوريبيدز)

وكان إسخيلوس يؤمن إيماناً تاماً بالقضاء والقدر ، وأنه لا حيلة للانسان فى دفع ما يحل به من أذى ولا سيما إذا تمت النكبة وكان يعتقد أن كل المصائب هى نتائج لمقدمات تنتهى إليها حتما ، وأن كل الأمور العظام هى كذلك نتائج لأمور أقل منها شأناً ، ومقدمات لأمور أخرى أجل منها وأعظم ... وهذه هى وحدة الكون ...

(1) هو الرجل الغنى الذى كان يلجأ إليه الشاعر ليؤجر له فرقة من المنشدين وليتولى الانفاق على الدرامة حتى تمثل

في ذكرى يوم الاستقلال

إلى بلدى الحبيب

للأستاذ على الطنطاوى

« فى مثل هـذا اليوم (٨ مارس) ولد الاستقلال السورى . الذى عاش عامين ثم مات في (ميسلون) »

متى يا زمان الشؤم يعود بلدى كما برأه الله دار السلام ومعرض الجمال ، ومثابة المجد والغنى والجلال ؟ متى يرجع بَرَدَى يصفق بالرحيق السلسل ؟ متى تثوب الأطيار المروعة إلى أعشاشها التى هجرتها ، ورغبت عنها حين سمعت المدافع ترميها بشواظها الحامى ؟ متى تؤوب تلك الحمائم فتشدو على أفنان الغوطة تنشد أغنية السلام؟

متى ؟ متى يا زمان الشؤم ؟

أتظل الأشجار عارية فى جنات الغوطة . لا تعلو هاماتها تيجان الزهر ، ولا تتدلى أغصانها بعناقيد الثمر ، لأن الزراع قد أغفلوها فلم يتعهدوها بالسقيا ، ولم يجروا إليها المـاء ؟ أتبقى هذه الحقول والجنائن جرداء قاحلة لأن الفلاحين انصرفوا عنها مستجيبين لنداء الوطن الجريح . الممزق الأوصال ، مهطعين إلى داعى الجهاد حين أذن بهم : حى على خير العمل ؟

متى ؟ متى يا زمان الشؤم يستريح الشام (بلدى الحبيب) ؟

***

ما رأيتك استرحت يا (بلدى الحبيب) ساعة واحدة ، فهل كتب عليك أن تظل أبداً فى تعب وعناء ؟ إنى لم أكد أتبين نور الحياة وأرى وجه الدنيا ، حتى رأيت المدرس يدخل علينا (معشر الأطفال) مربد الوجه فزعاً مذعوراً . فسألنا: ماله ... فقالوا لنـا كلاماً لم نفهم له معنى ، قالوا : إنها الحرب ! ولكن أى حرب ... إن المدرسة مفتوحة ، والأسواق قائمة ، والمدينة هادئة مطمئنة فأين هى هذه الحرب ؟

قالوا : هى هناك فى مكان بعيد . فضحكنا وقلنا : هل هناك أبعد من (الصالحية) أو (المزة) إننا لا نبلغها حتى نمشى ساعة على الأقدام ، وليس فيها حرب ، فأين هى هذه الحرب ؟

وهزئنا ولبثنا نلعب، ولكن الأيام أرتنا وا أسفاه هذه الحرب: رأيناها فى أسواق دمشق ، عند ما شاهدنا القتال يدور فيها كل صباح من أجل رغيف من الخبز ، والفرن مغلق ما فيه إلا كوة واحدة مفتوحة ، يقوم عليها الخباز والجندى إلى جانبه ، يدعو واحداً بعد واحد من هؤلاء الناس الذين سدوا الشارع بكثرتهم لا يطلبون صدقة ولا إحساناً ، وإنمـا يطلبون الخبز بالذهب فلا يجدونه ، وما شحت السماء بالقطر وما أجدبت الأرض ، ولكن (حلفاءنا ...) الألمان . استأثروا بأطايب القمح وتركوا لنا شر الحنطة وأخبث الشعير ثم يا ليت أنا وجدناه

نعم ، لقد رأينا (نحن الأطفال) الحرب فى شوارع دمشق حين أبصرنا الرجال يأكلون قشور البطيخ ، وينبشون المزابل من الجوع ؛ ثم رأيناها أوضح وأظهر ، حين لم نعد نبصر فى الشام رجالاً لأن الرجال أكلتهم الحرب ... ثم رأيناها أشد ظهوراً بطلعتها الـكالحة القبيحة حين تعودنا مرأى جثث النساء والأطفال الذين ماتوا من الجوع ، نراها كل صباح ومساء ، فى غدونا إلى المدرسة ورواحنا منها ...

فى وسط هذه الذبحة المرعبة ، وخلال رائحة البارود ، وعزيف المدافع ، وإعوال اليتامى والثاكلات ... نشأت وعرفت الحياة فرأيت (البلد الحبيب) نصفه مقبرة للأموات ، ونصفه مستشفى لمن ينتظر الموت

***

وفى ذات صباح أفقنا على قصف زلزل البلد ، وهزّ الدنيا ، فسألنا : ما الخبر ؟ قالوا : البشارة . هذا مستودع الذخائر يتفجر ويحترق ، لقد أباده الألمان قبل هزيمتهم ، لقد انتهت الحرب ، وانتهى حكم الظالمين من أحفاد جنكيز خان ! ... وبعد ساعة واحدة يصل الشريف

وكان إسخيلوس يعلى من شأن الديمقراطية ويجعلها الهواء الذى ينبغى أن تستنشقه الإنسانية لتنمو وتترعرع ويطيب غرامها وستمر بنا الأمثال الـكثيرة التى يُكبر بها شأن الحرية حين نعرض لدراماته . ولا غرو فقد كان جندياً وكان أديباً ، وكان يحض قومه على التفكير الحر بل التفكير المطلق . فهو من غير شك أول من مهد بأدبه لسيادة أثينا ، وسيطرتها على جميع هيلاس بعد أن كانت ولاية أيونيوية لا شأن لها . وبالتالى فهو صاحب الفضل على الأدب وعلى المدنية مثل انبثاقهما فى القرن الخامس قبل الميلاد .

دريني خشبة

قلنا : من الشريف ؟ قالوا : فيصل بن الحسين ، هيا هبّوا لاستقباله ، فنهضنا ولكنا لم نبادر إلى استقباله ، وإنما بادرنا إلى الجيش المنهزم نذبحه ! فلما فرغنا منه مسحنا أيدينا من دمه وعدنا نستقبل الشريف ...

نسيت دمشق جوعها وتعبها ، ونسيت نصف رجالها الذين ماتوا على شاطئ غاليبولى وعلى ضفاف الترعة فى سبيل مصالح الألمان ، ونسيت أحزانها على من عانقتهم حبال المشانق فى ساحة المرجة فى دمشق والبرج فى بيروت ، وتكلفت دمشق الابتسام بل لقد ابتسمت حقيقة لما رأت وجه فيصل ، وذهبت تبتغى أن تنثر على موكبه من أزهار الغوطة جنة الدنيا ، فلم تجد فى الغوطة زهرة واحدة ، لقد صيرتها الحرب قاعاً صفصفاً ، فنثرت على موكبه أزهار القلوب : دموع الفرح ، وهتاف المحبة وتصفيق الإعجاب وحيّت لأول مرة العلم العربى الذى يرفرف اليوم فوق بغداد

وأحبت دمشق فيصلاً أصدق الحب ، كما أحبها فيصل ، ووثبت ترقص من الطرب وتغنى حتى كأن كل يوم من حكمه عيد وفى كل بقعة من الشام عرس ، وفاض الخير وابتسم الزمان ، وطغت الحماسة على الأفئدة ، وعمّ البشر الوجوه ، وولدت دمشق الأموية عاصمة الأرض مرة ثانية ... وظننت أنك استرحت يا بلدى الحبيب !

***

ولكنا لم نلبث إلا قليلاً حتى سمعنا صوت النذير ... ماذا ؟ ماذا هناك ؟ فقال : انهضوا دافعوا عن استقلالكم الوليد ، لقد جاءت القوة العاتية تخنقه فى مهده . . فجن جنون دمشق ، وعصفت النخوة فى رؤوس بنيها ، فلم يسمعوا قول فيصل الحكيم ولا أقوال العقلاء من صحابته ، ولم تمض العشية وينبثق الفجر حتى كانت دمشق كلها فى بقعة الشرف فى (ميسلون) ولم يؤذن الظهر حتى رجعت دمشق من ميسلون وقد تركت فيها استقلالها الوليد وقائدها الشاب صريعين مجندلين على وجه الثرى ، هذا قتيل شهيد ، وذاك جريح مريض ، وفقدت دمشق كل شىء ، ولكنها لم تفقد الشرف ، كما قال من قبل فرانسوا الأول ملك الأقوياء ... الذين دخلوا دمشق دخول المتنصرين الفاتحين ...

وعاد (بلدى الحبيب) إلى حياة الرعب والأسى والنضال ...

***

ولكنه لم يخف ولم يجبن . لقد خسر فى (ميسلون) ولكنه حفظ الدرس الذى ألقته عليه الحياة فى ذلك اليوم ، واستراحت دمشق حيناً ، ثم قفزت قفزة اللبؤة الغضبى ، فإذا هى فى العرين (فى الغوطة الخضراء) ، وإذا الأقوياء بجيشهم كله وعتادهم يقفون أمام الثائرين ، وهم بضع مئات يقودهم رجل أمى من دمشق كان خفيراً من خفراء الأحياء ، فلا يستطيع الأقوياء الظفر بهم ، فيعودون حنقين ، فيسلطون نيران مدافعهم على المدينة الآمنة المطمئنة ، فلا يروعها إلا جهنم قد فتحت أبوابها من فوقها ، فيخرج أهلها من منازلهم تاركين كل ما فيها للنار ، ويمسى المساء على دمشق وثلثها خرائب كخرائب بابل ، وقد كانت فى الصباح أجمل وأبهى وأغنى قصور دمشق ...

وتعيش دمشق سنتين وسط الرعب والنار والحديد ، ثم يحل السلام ، وتخرج دمشق من المعركة وقد نجحت فى الامتحان الثانوى فى الغوطة ، كما نجحت من قبل فى الامتحان الابتدائى فى ميسلون . .

وأحسب أنك استرحت يا (بلدى الحبيب) !

***

أحسب أنك استرحت ، فإذا النار تسرى فى أحشائك ، وإذا المعارك فى أسواق دمشق ... حول صناديق الانتخاب ، الذى أراده الأقوياء صورياً شكلياً ، وأباه الشعب إلا انتخاباً حقيقياً ، فلما لم يكن ما يريد الشعب حطم الصناديق ، وهدم قاعات الانتخاب وانطلق ثائراً مرعداً مبرقاً ، يهزأ بالحديد ويفتح صدره للبارود .. وظفر الشعب ، وكيف لا يظفر وقد امتحن مرتين ...

فقلنا : قد استراح ولكنه لم يسترح وإنما دعى إلى الامتحان العالى ، إلى النضال الصامت المرعب ، فثبت وناضل ، ولبثت دمشق خمسين يوماً كاملة ، وهى مضربة ليس فيها حانوت خباز أو بقال ، وليس فيها قهوة مفتوحة ، ووقعت المعارك فى الأسواق وعلى أبواب المسجد الأموى ، فأقبل النساء بصدورهن على الرصاص ، وهجم الأطفال على الدبابات ، وعزمت دمشق عزماً ثابتاً على الموت أو الظفر ، وعرف العدو أنها لن تُفل عزيمتها أبداً ، ولن تلين قناتها ، فلانت قناته ، ودعاها إلى الصلح أو التحالف ...

وهتفنا هذه المرة من أعماق القلوب : لقد استراحت (بلادنا العزيزة) . وعادت أيام فيصل مرة ثانية ، ودقت طبول البشائر

باقة من الفلسفة الإسلامية

لماذا يجب ألا نخشى الموت؟

« مهداة إلى معالى الأستاذ الجليل وزير الأوقاف »

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« ما الموت إلا تمام حد الانسان لأنه حي ناطق ميت ،
فالموت تمامه وكماله ، وبه يصير إلى أفقه الأعلى »
« عن الفيلسوف مسكويه »

كثيراً ما ادعى المتعصبون للفكر اليوناني أن الشرقيين لم يحذقوا التدليل النظرى المحكم كما حذقه اليونان ، وأن الفلسفة الإسلامية لا تكاد تخرج فى مجموعها عن آراء أفلاطون وأرسطو بحيث أن كل ما هناك من فرق بينهما لا يستطيع أن يشهد للاسلاميين بالخلق المجيد والإبداع الطريف ! ومهما تكن أسباب هذا الادعاء من جهل وتعصب ، فأظن أنه ليس أنجح فى دحضه من نشر آيات الفلسفة الإسلامية والتعليق على ما فيها من أوجه الطرافة والإبداع

لذلك أقدم للقراء اليوم باقة من باقات الفيلسوف « مسكويه » الذى حدثتهم عنه فى العام الماضى (١) . وأزعم أن هذه الباقة من أقوى وأجمل وأدق آيات الفلسفة الإسلامية تدليلاً وإبداعاً ؛ وأنها لا تقل فى موضوعها عن كتابات الفلاسفة اليونانيين شمولاً واتساقاً وجمالاً وتحليلاً !

وموضوع هذه الباقة هو : « دفع الغم من الموت ! » أو لماذا يجب ألا نخشى الموت . وأحسب أنك تقدر تماماً خطورة هذا الموضوع ! بل أحسب أنك لا ترى فى الحياة ما هو جدير حقاً بالخوف منه ، والرعب غير الموت : ذلك البلاء الدائم الذى يلبسنا ثوب الحداد ويمزق منا الصدور ويقطع نياط القلوب ! ذلك الذى يصبغ الكثير من أيامنا بالسواد ويطلق أصوات الأمهات والزوجات والأطفال بالصياح والعويل والشكوى المريرة والأنين المبحوح ! أجل أحسب أنك تقدر ذلك كله ! وتعرف أن اطمئنان القلب للعقائد الدينية يحتاج فى الكثير من الأحيان إلى برهان العقل كيما تزداد ثباتاً ورسوخاً ؛ ولذلك كان من أهم الأبواب فى الفلسفة الإسلامية باب التدليل على صحة ما فى الدين من أقوال وقضايا ووعود؛ وكان موضوع « الموت » من أهم القضايا التى تناولها ذلك الباب.

ويعرض مسكويه لهذه المسألة فى المقالة السابعة من كتابه الخالد « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » . وهى مقالة « رد الصحة على النفس ومعالجة أمراضها » وكان قد وضع فى المقالات السابقة دستوره الخلقى الإيجابى الذى أثبت فيه روحانية النفس البشرية وخلودها ، وحدد الفضائل وأضدادها ، وبين السعادة ودرجاتها وكيفية الحصول عليها ووسائل حفظ الصحة على النفس السليمة : فرأى أن يختم الموضوع بمعالجة النفس المريضة ودفع أهم ما تتعرض له فى حياتها من مخاوف وأحزان

لذلك نراه يقول بعد فراغه من معالجة « الخوف » وأسبابه :

« فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ، ولما كان أعظم ما يلحق الإنسان منه هو خوف الموت ، وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف ، وجب أن نبدأ بالكلام فيه فنقول :

« إن الخوف من الموت ليس يعرض إلا لمن يدرى ما الموت على الحقيقة ، أولا يعرف إلى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور ، وأن العالم سيبقى موجوداً وليس هو بموجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد ، أو لأنه يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض التى ربما تقدمته وأدت إليه وكانت سبب حلوله ، أو لأنه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت ،

(١) وهو فارسى الأصل ، خدم الدولة البويهية ومات عام ٤٢٠ هـ

وأديرت كؤوس الفرح ، ورجعت الأعراس ...

ولكن الأعراس لم تتم ... لم تتم يازمان الشؤم

هذا صوت النذير العريان ، وهذه ألسن النيران ، وهذا صوت البركان ، فماذا يحمل إلينا الغد يا زمان ، أى مصيبة جديدة يأتينا بها ؟ أكتب علينا ألا نستريح ولا نهدأ أبداً ؟

لا بأس يازمن الشؤم ، إننا نرحب بالمصائب فسقها إلينا ، إننا بنو المجد والحرية والحياة ، فلاأمتعنا الله بالحياة إن لم ننتزعها من بين فكى الموت انتزاعاً ...

وستحيا أنت يا (بلدى الحبيب) ماجداً حراً ولو متنا نحن ماجدين أحرارا !

« بغداد » على الطنطاوى

أو لأنه متحير لا يدرى على أى شىء يقدم بعـد الموت ، أو لأنه يأسف على ما يخلفه من المال والقنيات[1] ؛ وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها .

« أما من جهل الموت ولم يدر ما هو على الحقيقة فإنا نبين له أن الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهى الأعضاء التى يسمى مجموعها بدناً كما يترك الصانع استعمال آلاته[2] وأن النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضاً ، وأنهـا غير قابلة للفساد[3] ، ... فإذا فارق — (هذا الجوهر) — البدن كما قلنا ، وعلى الشريطة التى شرطنا[4] ، بقى البقاء الذى يخصه ، ونقى من كدر الطبيعة ، وسعد السعادة التامة ، ولا سبيل إلى فنائه وعدمه ، فإن الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ، ولا تبطل ذاته ، وإنما تبطل الأعراض والنسب والإضافات التى بينـه وبين الأجسام بأضدادها . فأما الجوهر فلا ضد له . وكل شىء يفسد فإنما فساده من ضده . . . وإن أنت تأملت الجوهر الجسمانى الذى هو أحسن من ذلك الجوهر الكريم ، واستقريت حاله ، وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر ، وإنما يستحيل بعضه إلى بعض[5] ، ... هـنا فى الجوهر الجسمانى القابل للاستحالة والتغيير ، فأما الجوهر الروحانى الذى لا يقبل الاستحالة ولا التغير فى ذاته ... فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى ؟؟.

« وأما من يخاف الموت لأنه لا يعلم إلى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه ، وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد ، فليس يخاف الموت على الحقيقة وإنما يجهل ما ينبغى أن يعلمه ، فالجهل إذاً هو المخوف ، إذ هو سبب الخوف ، وهذا الجهل هو الذى حمل الحكماء على طلب العلم والتعب به ... فاستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية ... واقتصروا منها على المقدار الضرورى

(١) نحسب هذا الاحصاء لأسباب الخوف من الموت شبه جامع .

(٢) هذا الرأى في أن أعضاء الجسد ليست غير آلات النفس من أقوى الآراء فى مذهب الروحانية .

(٣) برهن مسكويه على روحانية النفس فى المقالة الأولى من كتابه وفى كتابه الآخر « الفوز الأصغر » . ومن أهم براهينه على ذلك أن النفس تقبل صوراً كثيرة فى وقت واحد بينما الجسد لايقبل فى المكان الواحد إلا صورة واحدة فاذا أردنا إحلال صورة أخرى محلها محونا الأولى تماما بعكس الحال فى صورة النفس .

(٤) يقصد شريطة الفضيلة والعلم لأن السعادة عنـده لاتنال فى الدنيا والآخرة إلا بهما .

(٥) وهذا أحدث آراء الكيمياء فى أن المادة لا تفنى .

فى الحياة وتسلوا عن فضول العيش[1] ... » ... على أن من خاف الموت الطبيعى للانسان فقد خاف ما ينبغى أن يرجوه ، وذلك أن هذا الموت هو تمام حـد الإنسان لأنه حى ناطق ميت ، فالموت تمامه وكماله ، وبه يصير إلى أفقه الأعلى ، ومن علم أن كل شىء هو مركب من حده ، وحده مركب من جنسه وفصوله ، وأن جنس الإنسان هو الحى ، وفصلاه الناطق والمائت ، علم أنه سينحل إلى جنسه وفصوله لأن كل مركب لا محالة منحل إلى ما تركب منـه ، فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته ، ومن أسوأ حالاً ممن يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه ؟ . وذلك أن الناقص إذا خاف أن يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل ، فإذاً الواجب على العاقل أن يستوحش من النقصان ، ويأنس بالتمام ، ويطلب كل ما يتممه ويكمله ، ويشرفه ، ويعلى منزلته ، ويخلى رباطه من الوجه الذى يأمن به الوقوع فى الأسر ، لا من الوجه الذى يشد وثاقه ويزيده تركيباً وتعقيداً[2] . . .

« وأما من ظن أن للموت ألماً عظيماً غير ألم الأمراض التى ربما اتفق أن تتقدم الموت وتؤدى إليه ، فعلاجه أن نبين له أن هذا ظن كاذب لأن الألم إنما يكون للحى والحى هو القابل لأثر النفس ، وأما الجسم الذي ليس فيه أثر النفس فإنه لا يألم ولا يحس ...

وأما من خاف الموت لأجل العقاب الذى يوعد به فينبغى أن نبين له أنه ليس يخاف الموت بل يخاف العقاب ، والعقاب إنما يكون على شىء باق بعد البدن الداثر . . . فهو إذاً خائف من ذنوبه لا من الموت ، ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه أن يحذر ذلك الذنب ...

وأما من زعم أنه ليس يخاف الموت وإنما يحزن على ما يخلف من أهله وولده وماله ونشبه ، ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها ، فينبغى أن نبين له أن الحزن تعجل ألم ومكروه على مالا يجدى الحزن إليه بطائل ، وسنذكر علاج الحزن فى باب

(١) الجهل إذا هو سبب الخوف فيجب أن نتخلص منه بالعلم . وقد بين مسكويه فى كتبه روحانية النفس وعدم خضوعها لما يصاب به الجسم بعد الموت . وهاهم أولاء علماء الروحانية فى العصر الحاضر يحاولون جادين أن يصلوا إلى حقيقة الروح .

(٢) يقصد أن الحياة أسر وتعقيد لاتصال الروح فيها بأوضار الجسد وكان يرى أن السعيد بعد الموت هو من يعود إلى جوار الله تعالى ويخالط الأرواح الطيبة من أشكاله وأشباهه بينما الشقى هو من تكون نفسه مشتاقة أبدا إلى جسده فلا تستطيع بعد الموت أن تسمو في صعودها وتجردها إلى مقام النفوس السعيدة وتبقى أبدا شقية على حافة العالم المادى (أنظر الفوز الأصغر)

مفرد له خاص[١] لأنا فى هذا الباب إنما نذكر علاج الخوف ، وقد أتينا منه على ما فيه مقنع وكفاية ، إلا أننا نزيده بيانا ووضوحا فنقول :

«إن الإنسان من جملة الأمور الكائنة ، وقد تبين فى الآراء الفلسفية أن كل كائن فاسد لا محالة، فمن أحب ألا يفسد فقد أحب ألا يكون ، ومن أحب ألا يكون فقد أحب فساد ذاته ، فكأنه يحب أن يفسد ، ويحب ألا يفسد ، ويحب أن يكون ، ويحب ألا يكون ، وهذا محال لا يخطر ببال عاقل ، وأيضاً فإنه لو لم يمت أسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود إلينا ، ولو جاز أن يبقى الإنسان لبقى من تقدمنا ، ولو بقى من تقدمنا من الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الأرض ... قياما فكيف قعودا أو متصرفين ؟ ...

«فقد ظهر ظهورا حسيا أن الموت ليس برديء كما يظنه جمهور الناس وإنما الرديء هو الخوف منه ، وأن الذى يخاف منه هو الجاهل به وبذاته ... وأما جوهر النفس الذى هو ذات الإنسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم ... وإنما (يستفيد) بالحواس والأجسام كمالا[٢] فإذا كمل بها ثم خلص منها صار إلى عالمه الشريف القريب إلى بارئه »[٣]

* * *

وبعد فهذا تدليل مسكويه على وجود عدم الخوف من الموت بناه فى مجموعه على روحانيــة النفس وأقامه على المنطق المستقيم والذوق السليم ، فهلا ترى معى أنه أبدع فى الكثير من حججه إبداعاً جديراً بالتقدير ؟ الحق أننا ندعو ملحين إلى قراءة كتابه « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » ، وإلى المقارنة بينه وبين كتب أرسطو وأفلاطون فى الأخلاق لأنا نعتقد أنه يفوقهم فى الكثير من فصوله قوة ومنطقاً واتساقاً وانسجاماً . وأنه يقترب فى بعض أفكاره من الآراء الفرنسية التى ظهرت أخيراً وعالجت نواحى علم الأخلاق .

محمد حسن ظاظا

(١) ونرجو أن نعود إلى تحليل طرافة هذا الباب فى فرصة أخرى .

(٢) ويتأتى ذلك من « الجهاد الأكبر » جهاد الجسد وشهواته .

(٣) وقد نسب البعض هــذه المقالة إلى ابن سينا . ولــكنا نرجح أنها لمسكويه ولدينا أسباب ذلك الترجيح

مصرع خبيب

للأستاذ ناجى الطنطاوى

سار الرجال صامتين ، يخبون بأقدامهم على رمال الصحراء الملتهبة ، لا يثنيهم عن غايتهم شىء ، ولا يشغلهم عن مرماهم أمر ، وكان عددهم عشرة يرأسهم فتى غض الإهاب ، ذو عزم ومُنة ، هو عاصم ابن ثابت ، أرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم عيناً على الأعداء فى بعث الرجيع[١] ، يستطلعون أخبار العدوّ ويتعرفون إلى عدده وعدّته ... كانوا يسيرون مطمئنين آمنين لا يداخل نفوسهم حذر ولا ريب ، وماذا يحذرون وهم فى هــذه الصحراء المترامية الأطراف ، نفر قليل لا يتميزون عن سواهم من العرب وليست تبدو عليهم أيه شارة تبعث الشك فى نفوس من يراهم ؛ كانت نفوسهم تفيض ثقة بالله وكانت قلوبهم عامرة بالإيمان الثابت الذى لا تزعزعه العواصف ولا توهنه النكبات ، وكانوا قد وطّدوا العزم على القيام بما عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما لاقوا فى طريقهم من المصاعب والأخطار ، لا يثنيهم عنه إلا الموت

ولما مرّوا فى طريقهم بمكان يقال له الهداة[٢] جاء رجل من

(١) فى أواخر السنة الثالثة للهجرة . والرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان

(٢) موضع بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان ، قريب من الرجيع مكان الموقعة

قريش إلى بنى لحيان (١) وأخبرهم أنه رأى نفراً من المسلمين يجتازون بهم ولا يدرى أين يريدون ، فلم يكد القوم يسمعون كلامه حتى داخلهم الشك فى أمر هؤلاء ، وتبادلوا النظرات ، وصمتوا يفكرون ، ثم ثاروا إلى نبالهم فاحتملوها وساروا يقتفون آثار المسلمين ويجدّون فى طلبهم . وكانوا مائة رجل نصفهم رماة

أحس أصحاب عاصم بالخطر الداهم الذى تهددهم ، ورأوا أنهم قد أخذوا على غرة ، فاضطربوا ووجموا وعراهم الذهول ، ولكن عاصماً صاح بهم قائلاً :

— لا تقفوا هكذا ، أسرعوا إلى هذا الفدفد (٢) الذى أمامكم نمتنع به قبل أن نصبح فريسة فى أيدى الأعداء ...

فأسرعوا إليه كما أمرهم ، وتحصنوا فيه ، ولبثوا ينتظرون قضاء الله فيهم ...

وبأسرع من لمح البصر ، كان الرماة ومن معهم محيطين بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم ينظرون إليهم نظر الذئب إلى فريسته التى يخاف أن تفر من بين يديه ، ووطد المسلمون العزم على استقبال الموت بثغور باسمة وقلوب مطمئنة وهم يتحرقون شوقاً إلى رؤية الجنة وما أعد الله لهم فيها من نعيم مقيم وسعادة خالدة

— إنزلوا واعطوا بأيديكم ، ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحداً ...

سمع المسلمون هذا البلاغ ، فوقفوا واجمين للمرة الثانية ، وفكروا فى هذا الذى قاله المشركون ، أهو قول صدق وشرف ، أم هو مَيْن وخديعة ؟ ومتى كان المشركون يصدقون فى أقوالهم ويوفون بعهودهم ؟ وهل يجدر بالمسلم أن يركن إلى مثل هذا الوعد ؟

أسئلة متوالية ، جالت فى خواطر المسلمين فى تلك اللحظة الرهيبة الحاسمة ، ولبثت تطلب جواباً ، وفكروا قليلاً ثم اتجهوا بأبصارهم إلى رئيسهم ليسمعوا جوابه ، وليعرفوا موقفه ، فما لبث أن خاطبهم بقوله :

— أما أنا ، والله لا أنزل فى ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك

وانتظر المشركون قليلاً ، ليعلموا أثر كلامهم فى نفوس المسلمين وليسمعوا جوابهم ، ولم يطل بهم الانتظار ، إذ وجهوا نبالهم إلى صدور المسلمين وأطلقوها فأصابت عاصماً وسبعة من أصحابه سقطوا شهداء فى سبيل الله ، وطارت أرواحهم الطاهرة لترفرف فى سماء الخلود ، وتحظى بنعيم الله الأبدى ، وبقى منهم ثلاثة لم يكتب لهم أن ينالوا ما نال إخوانهم من شرف الشهادة ، فأرادوا أن يضحوا بأنفسهم فى سبيل تجربة أحبوا أن يقوموا بها ، وفى سبيل درس رغبوا أن يستفيد منه المسلمون بعدهم ؟ تُرى هل يفى المشركون بتعهدهم ويصدقون وعدهم ؟ ما دمنا على أبواب الآخرة فلنقم بهذه التجربة ، ونزلوا فسلموا أنفسهم على العهد والميثاق ، ولم يكد المشركون يستمكنون منهم ويعلمون أنهم صاروا فى قبضتهم حتى أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فصاح أحد المسلمين :

— هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لى أسوة بأصحابى الذين قتلوا

وأبى أن يسير معهم فقتلوه ، وساقوا الاثنين الباقيين ، وكان أحدهما يدعى خبيب بن عدى ، صمم على أن يتم التجربة التى بدأ بها مهما كلفه ذلك من المتاعب ليرى نتيجتها ، وليختم الدرس الذى أحب أن يستفيد منه المسلمون

***

— من هذا الذى أراه عندك يا ماوية (١)

— هذا أسير لدىّ . ألا ترين القيد فى رجليه ؟

— ما اسمه ؟

— إنه يدعى خبيب بن عدى الأنصارى

— وماذا جاء به إلى دارك ؟

— أغار قومى على نفر من المسلمين فقتلوهم وأسروه وابتاعه بنو الحارث بن عامر (٢) ، إذ يقال إنه هو الذى قتل الحارث يوم

(١) حى من هذيل

(٢) الفدفد هو الرابية المشرفة

(١) هى ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب ، أسلمت فيما بعد

(٣) وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير بن أبى إهاب

بدر ، وأبقوه عندى حتى تنقضى الأشهر الحرم ليقتلوه

— وكيف رأيت سيرته ومعاملته ؟

— أشهد أنه لمن أفضل الناس وأشرفهم ما عهدت فيه الكذب ولا الفحش فى القول، وما رأيت منه إلا اللطف والدعة والمعاملة الحسنة ، ما دخلت عليه فى ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته يقوم ويقعد ويخر ساجداً ، فسألته عن ذلك فأجابنى : أنه يعبد الله ويصلى له ، وهو يرتل كل ليلة كلاماً جميلاً يسميه القرآن بصوت عذب فتننى وفتن كل النساء اللائى سمعنه وإنهن ليجتمعن عندى فى كثير من الأحيان فيسمعن صوته فيبكين وترق له قلوبهن ، وإنى لأقول له : هل لك من حاجة ؟ فيجيبنى قائلاً : لا ، إلا أن تسقينى الماء العذب ، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب وتخبرينى إذا أرادوا قتلى

— أهو كثير الجزع من الموت يا ماوية ؟

— كثير الجزع ؟ إنى لم أره ذكر الموت إلا ابتسم وطرب ، ولقد عجبت من حاله هذه فسألته عنها فقال : أو لا يسر ويطفر طرباً وسروراً من ينتقل من دار شقاء إلى دار نعيم وهناء ؟ إنى إذا مت انتقلت إلى جنة عرضها السموات والأرض فلم لا أبتسم وأسر

فحدقت المرأة فى وجه مضيفتها وقالت متعجبة :

— عجيب أمر هذا الرجل ، إننى لا أعرف رجلاً آخر بهذه الشمائل والصفات إلا أن يكون من أصحاب محمد

فاقتربت ماوية منها وسارتها قائلة :

— إننى أقسم لك أننى رأيته أمس بعينىّ هاتين يأكل قطفاً من عنب وهو موثق فى الحديد ولا يدخل عليه أحد غيرى وما أراك مصدقتى فيما أقول

فضحكت المرأة وقالت :

كيف تريدين منى أن أصدقك يا ماوية وليس هذا أوان العنب وما فى مكة كلها من ثمره شىء ؟

— هذا ما أعجب له ، وأقسم أننى غير واهمة ولا متخيلة ، وما أدرى تفسير ذلك

ونهضت ماوية فحملت ما عندها من طعام ، ودخلت به على السجين ، ووضعته بين يديه ، وانتظرت حتى أتمّ صلاته ، فالتفت إليها وابتسم ، وتناول الطعام من يدها دون أن يفوه بكلمة

ولم يرق لماوية صمته فقالت له :

— هل لك من حاجة ؟

فقال : لا ، إلا أن تسقينى الماء العذب ، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب ، وتخبرينى إذا أرادوا قتلى

ولما علمت أن جوابه لن يتبدل ، طامنته وتركته

* * *

— يا للهول ! ماذا ترى عيناى ؟ أهـذا جزاء إكرامى لك وثقتى بك ؟

— خفضى عليك يا ماوية ، إننى لا أزال عند حسن ظنك بى

— أتقول هذا ، وابنى فى حضنك والموسى فى يدك ؟ ليتنى لم أعرك هذا الموسى

فابتسم الأسير وأجابها قائلاً :

— لا تغضبى هكذا يا ماوية ، إننى لم أطلب منك إعارتى هذا الموسى لأقتل به ابنك ، معاذ الله أن أفكر فى هذا العمل الشائن، إن دينى يمنعنى من ذلك يا ماوية ، وما كنت لأفعل ذلك ما حييت؛ ولـكن ابنك حبا حتى وصل إلىّ ، وجلس على ركبتى ، وكان الموسى فى يدى ، فلاطفته وداعبته ، ولم يخطر لى أن أمسه بأذى ، ولعلك ذكرت واقعة الأمس فجزعت ...

— أجل يا خبيب ، ذكرت مزاحك بالأمس عندما طلبتَ منى أن أعيرك الموسى ، وقلت لى عندما صار فى قبضة يدك : قد أمكن الله منك ... أتدرى أنك أخفتنى بهذا المزاح ؟

— إنك لم تعرفينى بعد، ولا أراك تعرفيننى إلا يوم تسلمين ، فتنجلى لك إذ ذاك حقيقة المسلم . والآن دعينى وشأنى ، إننى أريد أن أستعدّ للموت ، ألم تقولى لى إنهم أزمعوا قتلى اليوم ؟

— بلى

ولم تمض ساعة حتى أقبل القوم يهرولون ، حاملين حرابهم ونبالهم ، وهم مستبشرون فرحون ، ولما دخلوا على خبيب فكوا القيد من رجليه وقالوا له :

— هلم يا خبيب ، استعد للموت ، إنه ليزعجنا أن تبقى حياً إلى اليوم ، ولولا الأشهر الحُرُم لقتلناك يوم أسرك

فرفع خبيب رأسه ، ونظر إليهم طويلاً ، وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه ، ثم أطرق ولم يُجب

ولما خرجوا به إلى ساحة الاعدام وأجمعوا على قتله التفت إليهم قائلاً :

— هل تأذنون لى أن أركع ركعتين قبل أن أموت ؟

فنظر بعضهم إلى بعض فى دهشة وعجب وقالوا : أتصلى وأنت على هذه الحال ؟ ألا ترى الخشبة التى سنصلبك عليها ؟ ألا ترى رماحنا ونبالنا مصلتة عليك ؟ ألا تبكى وتطلب الصفح والعفو ؟ إفعل ما شئت .

فقام خبيب بين يدى الله ، متوجهاً بقلبه وجوارحه إليه وصلى صلاة كلها اطمئنان وكلها خشوع ، لم يضطرب قلبه ، ولم يتلجلج لسانه ، ولم يتبدل لون وجهه ، وكان فى صلاته هادئاً ساكناً آمناً ولما انتهى التفت إليهم وقال بصوت هادئ عذب :

— والله لولا أن تحسبوا أن مابى جزع لزدت . اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول :

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو كربتى بعد غربتى وما جمع الأحزاب لى حول مصرعى
وقد خيرونى الكفر والموت دونه وقد ذرفت عيناى من غير مجزع
وما بى حذار الموت إنى لميت ولكن حذارى جحم نار ملفع
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
فلست بمبدٍ للعدو تخشعاً ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى
ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى

ولم يكد يتم الأبيات ويستغفر الله ويذكره حتى رفعوه على الخشبة وأوثقوه بها فقال :

— اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يُفعل بنا

وبدأ المشركون يرمونه بنبالهم ويطعنونه برماحهم ، فلما بضع لحمه وسال دمه قالوا له :

— أتحب أن محمداً مكانك ؟

فأجابهم وهو يغالب نفسه من الألم :

— والله ما أحب أنى فى أهلى وولدي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة .

الله أكبر ، هكذا فليكن الإيمان ، وهكذا فليكن حب محمد صلى الله عليه وسلم ، أما والله لو لم يكن لخبيب إلا هذا الموقف لكفاه شرفاً وفخراً وخلوداً ، وإن رجلاً فى مثل هذا الموقف وعلى مثل هذه الحال ، بين الحياة والموت ، يجيب بمثل هذا الجواب لهو مسلم بكل ما فى كلمة الإسلام من معنى ، وبأمثال خبيب هزم المسلمون — على قلتهم — جيوش الشرك والطغيان والظلم وفتحوا ثلاثة أرباع العالم ، وبنوا حضارة ونشروا ديناً سيبقى لواؤه مرفوعا فى مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة

« دمشق » **ناجى الطنطاوى**

على قبر زوجها

للأستاذ محمود الخفيف

صلّتْ لدى أحجاره خاشعهْ ... يا قُدْسَ هذي الصلاهْ
اللهُ للزائرةِ الجازعهْ ... كمْ هدهدتْها يداهْ
تطوفُ في نظرتِها الضارعهْ ... بنفسِها كلُّ طيوفِ الحياهْ
والصمتُ في وقفتِها الرائعهْ ... يا عينُ لا يبلغُ نطقٌ مداهْ!

كمْ يسحرُ الأنفسَ هذا الجمالْ ... بين الضنى والحزنْ
كأنما تبرزُ تلكَ الظلالْ ... من سرِّهِ ما كمنْ!
والموتُ يُلقي من سماتِ الجلالْ ... ما علقَ القلبُ بهِ وافتتنْ
ما كانَ إلا للصبي والدلالْ ... والحبِّ والزينةِ هذا البدنْ

واهاً لهذا الملهمِ القادرِ ... السحرُ في ريشتهْ!
لو طفتُ بالواقعِ لا الخاطرِ ... ما زاد عن صورتهْ
لا ينثني عن سحرِها ناظري ... إلا هفا قلبي إلى رؤيتهْ!
كمْ تلدُ الأوهامُ للشاعرِ ... في مسحةِ الفنِّ وفي لمحتهْ

وجومُ هذي الغادةِ المطرقهْ ... كمْ رفَّ قلبي لهُ
ألمحُ فيهِ لهفةً موبقهْ ... ترسمُ لي هولهُ
في شفتيها لوعةٌ محرقهْ ... من قادحٍ ما جزعتْ قبلهُ
ممسكةٌ إياهما مطبقهْ ... في موقفٍ ما إنْ رأتْ مثلهُ

يا رحمتا للزوجةِ الثاكلِ ... تأسى على إلفِها
ذكراها عيشُ الهوى الزائلِ ... يزيدُ في لهفِها
والوجدُ في هيكلِها الناحلِ ... تحملهُ ضعفاً على ضعفِها
كمْ عندَ هذا الأثرِ الماثلِ ... تنبعثُ الوحشةُ من خوفِها

إلا ترقْ دمعاً على قبرهِ ... فقلبُها دامعُ
كمْ حاولَ الدمعَ فلمْ يجرهِ ... من فرطِهِ جازعُ
ما يشبهُ الصبرَ على ثغرهِ ... والهمُّ في أحشائهِ لاذعُ!
لو باحَ بالمكنونِ من سرِّهِ ... ما ملكَ الدمعَ لهُ سامعُ

قدْ ختمَ الموتُ على حبِّهِ ... فما لهُ منْ فناءْ
يا وجهَها ما إنْ تبدّتْ بهِ ... إلا معاني الوفاءْ
يا صدقَ هذا الحبِّ في هدْبِهِ ... يا روعةَ الوجدِ بهِ والولاءْ!
أحسبُ هذا القلبَ في وثبِهِ ... يخفقُ لا في الأرضِ بلْ في السماءْ

عزاؤها في الأرضِ هذا الأثرْ ... تسعى لهُ زائرهْ
يا حفرةً منْ تحتِ هذا الحجرْ ... طافتْ بها ناظرهْ
يا وطراً ما مثلهُ منْ وطرْ ... تحيا عليهِ الزوجةُ الذاكرهْ
أنّى لها منْ دونهِ مصطبرْ ... في عيشةٍ باتتْ بها سادرهْ؟

ذِكراها أنّ بهذا التراب — حُطامَ أوصالِهِ
كم تصِلُ القلبَ بهذا اليباب — وَهْمُ أطلالِهِ
يُطفئُ هذا الذكرُ برْحَ العذابْ — في قلبِها المُستسلِمِ الوالِهِ
مَنْ فاتَه في العيشِ عذبُ الشراب — يعيشُ بالوَهْمِ على آلِهِ

أنّى لها مِنْ دونهِ موئلُ — يوماً بهذي الدُّنى
ما إن لها سُؤلٌ ولا مأمَلُ — بعدَ ذُبولِ المُنى
هيهاتَ يفنى حُبُّها الأوّلُ — أيُّ هوًى ينسخُ هذا السَّنا؟
ما حمَلَ القلبُ وما يحمِلُ — يرسِمُهُ للعينِ هذا الضَّنى

يا قطعةً منهُ بهذا الوجودْ — هل دونَهُ مِنْ أملْ؟
ترِفُّ في مرآهُ بيضُ العهودْ — وما انطوى مِنْ جذَلْ
يا لمحةَ الماضي ورمزَ الخلودْ — والمُرتجى في عيشِهِ المُقتبَلْ
بأيِّ سُؤلٍ أمُّهُ لا تجودْ — أيُّ عناءٍ فيهِ لا يُحتمَلْ؟

يا لاعباً بالزَّهرِ في يومِهِ — لم يدرِ غيرَ الزَّهَرْ
لم يدرِ بعدُ الشوكَ مِنْ يُتمِهِ — أو يلقَ وخزَ الإبَرْ
في شُغُلٍ بالزَّهرِ عن أمِّهِ — وعن دواعي وَجْدِها بالصِّغَرْ
وُقيتَ ما يخبأُ مِنْ لؤمِهِ — دهرٌ كفى مِنْ لؤمِهِ ما ظهَرْ

يا حالماً ما أيقظتْهُ الحياةْ — يا لاهياً لا يعي
يزيدُ معنى يُتمِهِ أن أراهْ — في ذلكَ الموضعِ!
غداً بهذا القفرِ يبكي أباهْ — يسقي ترابَ القبرِ بالأدمُعِ
ويوجِعُ القلبَ حديثُ الرُّواهْ — عن ذاهبٍ ولّى ولم يرجِعِ

لا تحبِسي الدمعَ على قبرِهِ — أيتها الجازعهْ
عظامُهُ تهفو إلى قطرِهِ — طوبى بها دامعهْ
تودُّ لو تمضي لدي ذكرِهِ — جفونُها طائعةً هامعهْ
فيغلبُ الدمعُ على أمرِهِ — والنارُ في مهجتِها لاذعهْ

الخفيف

من برج بابل

قرأت فى إحدى رسائل الأدب هذه النادرة اللطيفة:

« أهدى إلى ملك الهند ثياب وحلى، فدعا بامرأتين له وخيّر أحظاهما عنده بين اللباس والحلية. وكان وزيره حاضراً، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة له، فغمزها باللباس تغضيناً بعينه، فلحظه الملك. فاختارت المحظية الحلية لئلا يفطن للغمزة. ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه، لكى تقر تلك فى نفس الملك، وليظن أنها عادة أو خلقة لازمة. وصارت الثياب للأخرى ». قد يلتمس العذر لذلك الوزير المسكين بخوفه من غضب الملك وبطشه وحرصه على منصبه. ولكن ما عذر من يلزم النفس طائعاً مختاراً حركات وإشارات ونبرات وانتحال صفات دخيلة على الطبع الأصيل، فتنقلب الفتاة أو الشاب إلى قرد يقلد أو غراب يحاكى الطاووس! إن أشد ما يخدع المرء نفسه أن يتكلف ما يشذ عن طبعه، ويجرده من شخصيته التى تميزه من غيره. إنما يدل ذلك على احتقار المرء نفسه واعتبارها من التفاهة بحيث تلغى وجودها وتستعير غيرها. وما عرف زمن كهذا العصر الميكانيكى الذى كثر من يخرجون فيه على غرار واحد كما تخرج الآلة صنوف الألوان والأنماط من متشابه المنتجات. ولعل مرجع هذه الظاهرة « الآلة السينمائية » أيضاً! فإن ما زينه المرحون والدعاة للمتهافتات والمتهافتين أغرى فتياتنا وشبابنا بمحاكاة ما يصدر عن هذه الشخوص من حركة ترى أو لهجة تسمع. ولقد أصبح المثل الأعلى اليوم للفتاة والفتى بطلاً موهوماً أو نجمة لا سماء لها. وأضحى الجميع على إلمام دقيق بحياة الممثلات والممثلين مما لم يظفر به درس بطل من أبطال التاريخ ورجال الإنسانية. إن هذه الفطرة السليمة البسيطة التى تتجلى فى حركات أخواتنا الريفيات لما يحملنا على الميل إليهن والإعجاب بخلالهن الكريمة النقية. فكما تزهو فى ربوعهن الناضرة الوردة والوردة، وشتان ما بينهما من نسق ورواء وشذا، أو الشجرة والشجرة، وشتان ما بينهما من ثمر وجنى؛ كذلك ترى الفتاة والفتاة، وشتان ما بينهما من سناء وسنا

ماري نسيم

إيــــران
فى القديم والحديث
للأستاذ مصطفى كامل

تتمتع إيران بفضل ارتفاعها عن سطح البحر كثيراً واتساع رقعتها بمناخين متمايزين ، أحدهما المناخ المعتدل ، وثانيهما المناخ الاستوائى . وقليل من بلاد العالم فى مثل اتساع رقعتها يستطيع أن يزهى بمثل هذا التباين فى المناخ، فبينما تكثر الأمطار فى الولايات الشمالية الثلاث التى تحد بحر الخزر ، فإنها لا تسقط فى الجنوب إلا فى فصل الربيع . أما هضبة إيران نفسها فإنها منطقة المناخ المعتدل .

وإيران من البلاد ذوات المدنيات القديمة ، فالاكتشافات التى تمت حديثاً فى السوس تدل بجلاء على أن العلاميين وهم من الجنس الآرى قد بلغوا مدنية مزدهرة فى عهد يمكن تحديده بأربعة آلاف سنة قبل المسيح .

وقد حل الفرس أول ما حلوا بالقرب من إيلان على هضبة إيران ، ثم قام واحد منهم فنال السلطان ، ثم جاء بعده شيروس فتوج ملكاً عام ٥٥٨ قبل الميلاد ، وقوض امبراطورية ميديا بعد عام ، وبعد أن تحالف مع الكلدانيين والمصريين دمر سطوة كرزوس ملك ليديا الذى كان يقلقه ، ثم فتح آسيا الصغرى ولم يلبث أن صار سيد كل آسيا الشرقية بلا منازع و كوّن امبراطورية لم يسبق أن كان لها مثيل .

على أن امبراطورية إيران بلغت ذروة المجد تحت حكم داريوس الأول ، ونالت التنظيم الإدارى الكامل واتسعت آماد حدودها اتساعاً كبيراً .

ولم يعرف العالم ملوك إيران بالفتوحات فحسب ، بل عرفهم كذلك بما بذلوه من الجهود لرخاء أممهم .

واحتفظت إيران فى جميع العهود ، حتى فى العهد الإسلامى ، بطابعها واستقلالها الوطنى ، فقامت تحت حكم الصفويين وخاصة عباس العظيم بتقدم باهر ، وبلغت الهندسة والفن أوجهما فى عهده لكن إيران أخذت تنزوى بعد ملوك الصفويين شيئاً فشيئاً عن العالم ، وبدأت طرق القوافل القوية الجليلة تعبث بها أيدى الإهمال ، وتناسى آخر الملوك القاجاريين الفوائد التى كانت تعود على البلاد من موقعها الطبيعى فى طريق مرور التجارة ، ودفعوا أمتهم بسبب عدم قدرتهم إلى الانحطاط ، لأن الرجل القوى الممتاز كان ينقصهم . . . إلى أن وجد العاهل الحالى ، فكون رضا شاه ، تحت اسم بهلوى الأول ، الأسرة الحاكمة الجديدة . وسيسجل التاريخ بحروف كبيرة اسم هذا الشاه العظيم الذى جمع فى شخصه رئيس الجيش والمشرع والمنظم والمصلح

ينحدر جلالة الأمبراطور من أقدم وأنبل أسر إيران التى قطنت البلاد منذ أبعد العصور، وجلالته من مقاطعة سافاد كوه التى يمثل أفرادها أنقى العناصر الإيرانية التى عرفت على مدى عصور التاريخ وفى مختلف الحوادث بالبطولة تارة وبالوطنية أخرى

وانتظم فى السلك العسكرى طبقاً لتقاليد أسرته، فتقلد المناصب المختلفة فيها ودرج فى مراتبها حتى ولى قيادة الجيش العامة ، ثم لم يلبث أن قلد منصب وزارة الحربية إلى أن تولى العرش فى نهاية عام ١٩٢٥ .

ومنذ ولى الملك أيقظ روح النشاط الكامنة فى شعبه بعد أن أشفى على الهوة وأحيا أملها وقوى يقينها ، وبدأت الإصلاحات تتوالى فى جميع نواحى النشاط الوطنى .

لكن عمله لم يقتصر على إمداد شعبه بالأمل وتأييده بنفسه فى تحقيق الإصلاحات فإن أكثر أثره فى وضعه الأسس القوية لقيادة شعبه نحو مستقبل رخى عظيم جدير بماضيه المجيد.

وكانت أولى جهوده العناية بالجيش، فأصدر قانون التجنيد الذى يلزم كل إيرانى بالخدمة فى الجيش، وأنشأ المدارس العسكرية وأرسل البعثات إلى أوربا لاستكمال التعليم العسكرى؛ ثم وجه التفاته نحو تكوين قوة الطيران العسكرى؛ وفى طهران مدرسة يذهب عدد وافر منها كل عام إلى أوربا. ثم أنشأ القوة البحرية لتأمين الشواطئ الإيرانية فاستطاع أن يحقق طمأنينة البلاد منذ سنين.

صاحب السمو الامبراطورى ولى العهد فى سنة ١٩٣٤

وأما عمله فى ميدان السياسة فإنه استطاع أن يعقد اتفاقات عادلة على أساس من المساواة بدل تلك الاتفاقات الجائرة التى فرضتها الدول الأجنبية على بلاده فى عهد تدهورها.

وأولى أمور العدل عنايته كذلك، فقام فيها بإصلاح كبير وسن القوانين فى زمن وجيز، كان منها القانون المدنى والتجارى والتحكيم الإجبارى كما وضع المحاكم الدينية تحت رقابة الحكومة الرسمية وحدد لها اختصاصاً ضيقاً؛ ثم استطاع أن يلغى فى عام ١٩٢٧ القضاء القنصلى والامتيازات الأجنبية.

ونالت مالية البلاد إصلاحات هامة فتعادلت الميزانية بعد استتباب الأمن وانتظام الحكم، وبعد أن كانت الضرائب لا تجبى أو سيئة الجباية لضعف الحكومة واختلال الأمن.

وتعد مالية إيران من أسلم ميزانيات العالم، والدولة لا تشعر برهق فى مواجهة أعبائها، فماليتها تسمح لها بتحقيق مشروعاتها فى الإصلاح والمدنية

أما مسائل التعليم فتلفت النظر حقاً، فقد شمل التعديل والتنظيم أموره وأصبح يجارى العصر الحديث كما تضاعفت ميزانيته وازداد عدد التلاميذ زيادة ضخمة

والتعليم إجبارى للأطفال من سن ٦ — ١٣ ذكوراً وإناثاً، ومدة التعليم فيها ست سنوات فى المدن وأربع فى القرى، بغير أجور فى المدارس العامة أو بأجر طفيف فى المدارس الخصوصية

أما مدة التعليم فى المدارس الثانوية فست للذكور وخمس للبنات، والتدريس فيها على غرار المدارس الفرنسية خاصة

ومعاهد التعليم العالى الآن هى كلية الطب وطب الأسنان والصيدلة، وكلية الحقوق والعلوم السياسية، وكلية التعليم والزراعة ثم معاهد الفنون والصنائع والتعدين، والتجارة والدباغة والفنون للبنات وغيرها من المعاهد

وأنشأ نظام البلديات، فاستطاعت مدينة طهران بفضل بلديتها الحديثة أن تقوم بإنشاء المستشفيات والملاجئ ودور الإسعاف ودور الأمومة على منوال يضارع العواصم الأجنبية، وخطت الحدائق والميادين على أجمل نظام، وشقت الطرقات فى أنحاء المدينة فسهلت ميادين العمل، وشيدت بنايات على أحدث طراز

ولا تقل باقى المدن الأخرى فى إيران شأناً عن العاصمة فى نواحى الاصلاح فعاد الجمال والسحر إلى البلاد التى اشتهرت بهما بفضل هذه الجهود المتضافرة

واهتم جلالته كذلك بالأمور الزراعية، فتربة إيران غنية ومحصولاتها متنوعة، وعنى خاصة بزراعة القطن أخيراً وزراعة الشاى وقام بإجراءات هامة لزيادة إنتاج البلاد من بينها إنشاء مدرسة الزراعة كما أنشأ مدارس نموذجية لتعليم الناس استخدام الوسائل العصرية

ولا يقل نشاط الحكومة فى ميادين الصناعة عما ذكر فأولت عنايتها خاصة لإنمائها فقامت معامل الصناعة فى مختلف البلاد منها

معامل السكر التي تكفي حاجة البلاد، ومعمل الأسمنت، ومصانع النسج والدبغ والصابون والكبريت، ومصانع السجاد التي اشتهرت بها إيران في العالم

وأرض إيران غنية بالمناجم، فبها الحديد والرصاص والنيكل والنحاس والزنك والزئبق والمنغانيز. كما دلت الأبحاث على أن بها الذهب والفضة والبلاتين. كما يوجد بها البوتاس والفحم الذي يستخرج بانتظام وبطريقة علمية

على أن أوفر منتجات مناجمها البترول مما يضعها بين أغنى بلاد العالم

ولم يفت جلالة الأمبراطور أن يهتم بطرق المواصلات. ولو عرفنا أنه شق أكثر من ٢٧ ألف كيلو متر من الطرق المنتظمة الواسعة رغم وعورة البلاد وطبيعتها الجبلية لأدركنا عظم الجهود التي بذلها

وامتدت كذلك أسلاك التلغراف كما أنشأ محطة لاسلكية قوية تتصل بأكبر محطات العالم، كما أن بها الآن خطي الطيران، بين باريز والهند الصينية، وبين أمستردام وبتافيا

هذه هي لمحة عاجلة عن أعمال الامبراطور. كان عمله في كل ناحية خلقاً. كانت إيران ميتة، أما الآن فقد دبت فيها الحياة

الفن الإيراني

تعتبر أصفهان — مدينة الملوك الصفويين وعاصمة فارس مدى أحقاب طويلة — من ألطف بلاد إيران بفضل قصريها العجيبين، وجسورها الرائعة، وهيا كلها الفخمة الفنية؛ فإن النقوش والتصاوير التي على جدرانها أعجب ما عمل من نوعها، والسياح الذين يسافرون بين أصفهان وشيراز يعجبون بمجموعتين فخمتين من الهيا كل

والبحوث التي تمت في السنين الأخيرة كشفت عن نقوش عجيبة دلت على ثروة هائلة من المعلومات التاريخية، ورفعت النقاب عن آثار جميع المدنيات التي تعاقبت على أرض الفرس

وعلى مقربة من هذه المنطقة تقع مدينة شيراز حيث يوجد قبرا الشاعرين الكبيرين: السعدي وحافظ، كما يوجد غيرهما هيا كل أثرية وأعمال فنية على جانب كبير من الأهمية

وهذه الولاية وولاية فارس كانتا مهد المظمة الفارسية قبل الإسلام، وتوجد في أزربيجان جوامع جميلة جداً، كما توجد قبور الملوك الصفويين العظيمة

صاحب السمو الامبراطوري ولي العهد في سن السابعة

وعلى شاطئ أراكس في الجنوب الشرقي من أصفهان في سهل مردخب الحالي الفسيح، حيث ترى إلى الآن خرائبها، كانت تقوم برسيبوليس التي كانت عاصمة الإمبراطورية الفارسية العظيمة منذ ألفين وخمسمائة عام، وكان ينضوي تحت لوائها عشرون ولاية، تمتد حدودها من فارجيانا Farg Kiana في الشمال الشرقي إلى الحبشة في الجنوب الغربي، والبلقان في الشمال الغربي إلى السند في الجنوب الشرقي

الأدب الفارسي

كان الأدب الفارسي زاخراً في كل وقت، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة عهود، العهد الديني، وعهد الملاحم، وعهد الشعر الغنائي، ويكمل هذه الأنواع الثلاثة أدب المسرح والقصة

وقد خضعت اللغة الفارسية لعدة تعديلات، فقد ظلت

الإيرانية القديمة اللغة الرسمية إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وهى لغة ساذجة فقيرة

ثم تطورت بعد ذلك إلى اللغة البهلوية ، وهى مزيج من الإيرانية القديمة والعناصر السامية ، وبقيت هى اللغة الوطنية إلى الفتح الإسلامى

على أن اللغة الفارسية الأخيرة لم تولد إلا فى القرن العاشر ، حين دخل على الروح الفارسية تطور أساسى ، فبعد أن كانت محض لغة دينية أصبحت لغة أدب ، وصار الشعراء محل إكرام وتبجيل فى بلاط الملوك وشغلوا مناصب رفيعة

وكان الفردوسى أكبرهم وأثراهم ، تجسدت فيه الروح الشرقية بشكل عجيب ، وخاصة فى الناحية الشعرية والغرامية ، وكان شعره يزدان بالفخامة والروعة اللتين كانتا تسودان فى بلاط الملوك

ويجب أن نذكر بين الشعراء الغنائيين السعدى الذى اشتهر بكتابيه كولستان والبستان اللذين يعتبران قانون الأخلاق الفارسية حتى لقد اشتهرا فى العالم أجمع كما أن العالم كله يعرف البديعيات الساحرة التى ينشر بها هـذا الشاعر الكبير تعاليمه فى الأخلاق الدينية والإنسانية ، وإننا لنلمس تحت ستار الأمثال البديعة الدليل على إخلاصه فى إصلاح النفس والقلب الانسانى ؛ وقد يبدو أن الشاعر يعرفهما أتم معرفة لطول ما قاسى فى كثير من الملاحظة والتأمل

ويعجبنا فى السعدى حب الجمال والملاحة على الخصوص ؛ وهو على وجه خاص فنان لأنه شديد الحس ، يحيا بين الزهور ، ويحب الملابس المتألقة ، ويجمل أشخاصه بجواهر متناهية الدقة فى النقش ، ويعطرهم بالمسك والعنبر ؛ وإن يكن فنه غير فخم لكنه شديد الأناقة والرقة

وحافظ هو أحد شعراء الفرس الوطنيين الرشيقين ، وأحد الذين يفهم الغرب عنهم روح الشرقيين أحسن فهم بفلسفته الضاحكة وحزنه الساخر

ثم عمر الخيام الذى يدين بشهرته لكتابه المعروف بالرباعيات الذى يزخر بالسخرية والشك . وقد سببت ترجمة كتابه إلى الإنجليزية ضجة فى أوربا وأميركا حتى غدت شهرته الآن تملأ الآفاق

مصطفى كامل
المحامى

نظام العالم ونظام الدول

للأستاذ طنطاوى جوهرى

الحقل والجامع الأزهر

نشأت فى قريتنا كفر عوض الله حجازى من أعمال مديرية الشرقية — شاركت أسرتنا فى أعمالها الزراعية — كان لهذه الأسرة الكبيرة اتصال حميد بعلماء الجامع الأزهر يغدون ويروحون كل عام على سراة الأسرة وأكابر القرية ، وأكابر بلدة « الغار » التى فيها أسرة أخوال والدتى ، فأثر ذلك كله فى المرحوم والدى ، فأرسلنى إلى كتّاب فى بلدة الغار وفيها جدتى لأمى، فحفظته بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثم أرسلنى مع أقاربى إلى الجامع الأزهر لأكون كهؤلاء العلماء ، ويكون لى عمود بالجامع الأزهر مثلهم . درست علومه . هنالك أصبحت السنة مقسمة بين دراستين : دراسة أزهرية ، ودراسة حقلية . ذلك أنى سمعت فى علم التوحيد أن العالم منظم — يا سبحان الله ، لا علم عندى ، لا كتاب يهدينى ، لا مرشد يرشدنى ؛ للقوة السلطان الأعظم ، ظلم مخيم ، جهل فاضح ، فأين نظام العالم ؟ أخذت أصوم النهار ، وأقوم بالليل ، وأسأل صانع العالم أن يهدينى . أخذت أدرس الشمس والسحاب والحجر والشجر والزهر والزرع نهاراً ، وأدرس النجوم والقمر وأتأمل ذلك الجمال البديع فى ظلمات الليل المدلهمات . وأخذت أقول : لعل وراء هذا الجمال حكما وعلوماً ، فنى النهار جمال ، وفى الليل جمال . فما أسبابه وما نظامه ؟ حائر ، حائر !

دار العلوم بعد الأزهر والحقل

لم يكن ليخطر لى أن فى العالم حكمة وفلسفة تكشف اللثام عن هذا الوجود، كلا ولكن بعد اللتيا والتى أخذت أدرس الفلسفة القديمة بحذافيرها ولكنى بعد ذلك لم أزل فى موقفى الأول . أريد أن أفهم حقلنا الذى نزرع فيه القطن والقمح والذرة والبرسيم . هل هذه الأرض وما فوقها هى التى تحوى المواد الصالحة للبسنا وأغذيتنا وأغذية الحيوان ؟ وأخيراً ما هذه الطيور الجميلة المغردة المنعشة للفلاح فى حقله ؟ وأخيراً ما هذا الجمال ؟ الجمال هو الذى أخذ بلبى وأرّقنى ليلاً بنظراتى فى النجوم، وأبهج قلبى نهاراً بنظراتى فى الأشجار والزروع والأزهار

اتصلت بدار العلوم فدرست فيها علم الفلك الحديث بعد ما درست القديم فى الفلسفة . هنالك دهشت أعظم الدهش وقلت فى نفسى: هذه فرصة سانحة، فهاهم أولاء علماء الأمم قديماً وحديثاً نظروا فيما كنت حائراً فيه فى حقلنا « ا » نظروا فى مقادير المادة السماء عندهم (بالكم) المتصل والمنفصل من الهندسة وعلم الفلك ومن الحساب والموسيقى فقاسوا هذا العالم وحسبوا الكواكب أبعاداً وأحجاماً وحركات فأرونا السنين والشهور والفصول وأوقات الخسوف والكسوف — الله أكبر . نظام بديع . حركات منظمة هذه أعز مطالبى وأجل ما أتمناه . إنى لسعيد جد سعيد . كيف لا أكون سعيداً ؟ ألم يظهر العلم أن أبعاد السيارات نفسها عن الشمس جاريات على سنن التوالية الهندسية كما كشفه العلامة (بود) :

٣ — ٦ — ١٢ — ٢٤ — ٤٨ الخ

« ب » ثم إن العلماء لم يقفوا عند هذا الحد من البحث فإنهم نظروا فى أشكال المادة وتنوعها فكانت العلوم الطبيعية وقد أحاطت بها العلوم الرياضية حتى إنهم رأوا فى نحو الأحجار[1] الساقطة نظاماً حسابياً يرجع إلى الجذر والتربيع والمتواليات العددية ، ويدهش الحكيم حينما يرى[2] الجذر والتربيع مسيطرين على حساب البنادل المختلفة الأطوال وحركات الضوء والصوت والحرارة والكهرباء .

(١) ص ١٧ من أحلام فى السياسة

(٢) ص ١٥ وما يليها من كتاب أحلام فى السياسة

نظام العناصر ونظام أوراق النبات

وقد أدهشني أن للعناصر المشهورة اليوم [المبدوءة بالأيدروجين المختومة بعنصر (أورانيوم [1])] جدولا يضم متفرقها ويجعل بينها نسبا أفقية وأخرى رأسية بحيث ترى أن كل عنصر لو وضع فى غير موضعه لاختل جميع النظام — ياعجبا ! أيصل النظام إلى هذا الحد؟ أكسجين فى الماء وفى الهواء ، وحديد ونحاس فى الجبال ، وصوديوم وكلور كامنان فى الملح المغمور بالماء فى البحار ، كيف يكون لها هذا الجدول المنظم وتكون بينها هذه النسب البديعة ؟ فأما هذا الإنسان الذى له السلطان الأعظم وهو الغاية القصوى من هذه العوالم فلا يكون له نظام؟ كلا. العقل ينكر هذا — ها هنا تحل مشكلة العالم — ها هنا مركز الدائرة — ها هنا عرفنا سبب النزاع القائم بين الأسرات والممالك — هأنذا عرفت سبب الجمال فى الحقول وفى السموات نهاراً وليلاً ، فأما أسباب الشقاق والنزاع بين الناس فالبحث جار فيه الآن كما ستراه .

وكما رأينا نظام العناصر المختلفة فى جدولها تاما رأينا لأوراق النبات على الأشجار المختلفة جداول منظمة ذوات نسب فى الصفوف الرأسية والصفوف الأفقية ، ولا مناص لى من الاكتفاء بالإشارة إليها فى هذا المقال حرصاً على وقت القارئ الكريم ، وتفصيل هذا وما قبله فى كتاب أحلام فى السياسة موضحاً مصوراً تصويراً شمسياً . وهل فى شرعة الإنصاف أن تعتبر أفراد الإنسان فى هذا العالم كمية مهملة لا نظام يجمعهم ، ولا قانون يكبحهم ؟ وقد رأينا النسب والقوانين لم تذر ذرات الأيدروجين مع ذرات الصوديوم ، ولا ورقات التفاح مع ورقات الأعشاب ، ولا حركات سقوط الأحجار ، إلى آخر ماقدمنا، كلا كلا . إن قوى نوع الإنسان وعقوله لها نسب خفية ، وكل امرئ فى الأرض له نسبة إلى غيره فى أمته وفى غيرها ، ولما خفى ذلك على الناس حاروا فى أمرهم فلم يجدوا مناصاً من الحرب لأنهم لم يهتدوا إلى نظامهم ، فكل يزعم أن له عند الآخر حقاً يريد أخذه بالقوة

منفعة جوارح الطير والحيوانات المفترسة لهذا العالم الأرضى [2]

وساعد الناس على ذلك أنهم رأوا جوارح الطير تأكل بغاثها والأسود والنمور تأكل الأرانب والحملان ، فأخذ القوى يسطو على الضعيف . أوما علموا أن ههنا نظاماً درسه علماء الأمم قديماً وحديثاً ، فعلموا أن الحشرات تمتص العفونة والرطوبة اللتين لو بقيتا لأحدثتا فى الجو فساداً فهلك الحيوان والإنسان ، وهذه الحشرات بعد تأدية وظيفتها تصبح طعاماً سائغاً للطيور ونحوها ولو بقيت لكانت ضرراً ووبيلاً . وهذه الطيور الكثيرة فى الجو والحيوانات التى تأكل النبات تهاجمها فى الحياة كواسر الطير وسباع الفلوات وتأكل رممها بعد الموت حفظاً للجو من مكروباتها وإلا يفسد الهواء وكان الوباء العام ، وروعيت الحكمة فى قلة توالد نحو الأسود وكثرة توالد نحو الأرانب والجرذان . ثم روعيت الحكمة فى الرحمة الملحوظة فى المواد المخدرة التى تفرغها العنكبوت مثلاً فى الذبابة عند اقتناصها فتكون مخدرة لا تحس بآلام لم يفكر العامة والجهلاء فى ذلك وتبعهم رجال السياسة فى سائر أقطار الأمم الأرضية . إن هذه النظرة السطحية فى العلم قد آن أن يسقطها البرهان ويدحضها نوع الإنسان لأنهم درسوا

جمهورية الحيوان

لقد استبان للناس فى عصرنا أن للنحل وللنمل ولكلاب البحر وللغربان نظاماً عجيباً . وإن أبدع ما أدهشنى مما اطلعت عليه نظام النمل الأبيض ذلك الذى ألف فيه العلامة (أوزوريك) الألمانى فى عصرنا الحاضر كتاباً خاصاً عنوانه النمل الأبيض وانتشر بجميع اللغات فترى فيه صورة الملكة وبجانبها الملك وهو أصغر منها جثة وقد رأيتها تحكم مملكة متسعة الأرجاء وهى عمياء وتحت إشرافها عمال وجنود يحفظون الأمن ، ويشيد عمالها ممالك فى الصحارى لم يقطعها الفرنسيون بمد السكة الحديدية إلا بالديناميت وهؤلاء العمال لهم نظام فوق كل نظام وعدل، ومنهم حراس فى غاية الانتظام يقظون بل وصلوا على ما يقال إلى استنباط الماء من أوكسجين المادة وأيدروجينها ، هذا هو النظام الذى يعيش على مقتضاه النمل الأبيض الذى تدير سلطانه ملكة واحدة تحت إمرتها عدد يبلغ أضعافاً مضاعفة لعدد الإنسان على وجه الأرض . يظن علماء العصر أن أمثال هذه الحشرات عاشت قبل الإنسان بما يزيد على ثلثمائة مليون سنة وأن الإنسان لم يعش عليها أكثر من ثلثمائة ألف سنة فتم نظام الأول ونقص نظام الثانى

(١) ص ٢٢ من كتاب أحلام فى السياسة وتقيد سورة العنكبوت فى تفسير الجواهر (٢) كتاب أين الانسان .

كافح الإنسان الأول أشد الكفاح ليصل إلى الحقيقة عن طريق القتال وساعده على ذلك تباعد الديار وحيلولة البحار والجبال بين الأمم — وها هو ذا اليوم أزال الحواجز بالطيارات الطائرات والتلغراف بقسميه والراديو فاتصلت الأمم فآن لهم أن يفكروا — وها هنا خاطبنا علماء الأمم وذكرناهم بأن نوع الإنسان لن يشذ عن قاعدة هذه المخلوقات — إننا نرى الحكماء والأذكياء فى نوع الإنسان أقل عدداً من غيرهم كما قل البارعون فى الجمال ، ويقول أفلاطون قديماً : الناس ذهب وفضة ونحاس يريد بذلك الحكماء ورجال الجيش ثم الزراع والعمال وأضرابهم من سائر الناس . إذاً لم يتجاوز الإنسان نظام المعادن ونظام الهواء والماء، فقد قل الذهب ليصلح لتقويم الأشياء وكثر الحديد لكثرة الحاجة إليه، كما كثر الهواء وقل عنه الماء ، فإن حاجة الحيوان إلى التنفس أكثر منها إلى شرب الماء

النظام التام فى المستقبل لنوع الإنسان

إن هنا لمنافع مادية وخواص طبيعية موزعة على الأرض ، وما حولها من المخلوقات ، وها هنا قوى وأقدار موزعات على أفراد نوع الإنسان . إن هذه المواهب الإنسانية تقابل هذه الخواص والنافع المادية ، ولم يتسن للناس الانتفاع بهذه الخواص المادية إلا باستفراغ الجهد فى استخراج[1] تلك القوى الكامنة فى أفراد نوع الإنسان . هذه هى التى تحل مسألة السلام

فلتشكل لجنة من جميع الأمم تقوم بدراسة العامر والغامر فى جميع القارات وتجد فى أن تدرس أحوال الأمم كلها، وتحفى كل أمة على استخراج ما كمن فى عقول أبنائها من القوى والملكات وما فى أرضها من الكنوز المعدنية والزراعية وغيرها من الفوائد والثمرات ، وكل أمة قصرت فيهما أو كليهما فلترسل هذه الجمعية العامة من أبناء الأمم الأخرى الذين هم أقرب إلى هؤلاء الجاهلين من يكمل نقصهم ويرفع شأنهم فى القسمين معاً، ولهم فى نظير ذلك فوائد وثمرات، فإن كل قوة كامنة فى فرد لم تستخرج فى أى مملكة من الممالك الأرضية ، وكل منفعة كامنة فى أى بقعة من بقاع أى مملكة أرضية لم تظهر فى الوجود تكون خسارة وحرماناً لجميع نوع الإنسان فربما كان من هؤلاء المهملين فى بلاد الصين مثلاً من إذا علِّم أصبح مفكراً كبيراً أو طبيباً عظيماً يتعدى أثره إلى سائر الأقطار وهكذا فى البقاع المهجورة فى ممالك المعمورة

دفع وهم

ربما يقول بعض الناس : إن قياس عقول الناس ومواهبهم على نظام السيارات حول الشمس وغيرها مبحث علمى ليس إلى تحقيقه من سبيل . وللاجابة على هذا الاعتراض أوجه نظر القادة والزعماء إلى فرع من فروع علم النفس فى التربية وهو علم مقياس الذكاء فليسألوا مديرى المدارس فى الولايات المتحدة وفى انجلترا وغيرها: أليس مقياس الذكاء له اليوم السلطان الأعظم على وضع الشبان والشابات فى الأعمال اللائقة لهم بعد نيل الشهادات العالية ، كما له ذلك السلطان أيام دخولهم المدارس ؟ إن الناس صائرون إلى ما قلناه شاءوا أم أبوا فليدرس نظام العقول ونظام الممالك، وليعلم جميع نوع الإنسان طوعاً أو كرهاً. إن من مبادئ ذلك أنهم أخذوا يصطفون من الشبان فى جميع أهل الأرض أقدرهم على المصارعة أو المسابقة فيعدونه بطلاً فى تلك المصارعة أو المسابقة ، وهكذا يفعلون مع الفتيات فيصطفون منهن ملكة الجمال وذلك بمجرد الاختيار لا بالقنابل والخناجر والرماح ، فهكذا سيكونون فى نظام السياسة وإدارة الأمم وحفظ المجموع، سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

طنطاوى جوهرى

(١) اقرأ كتاب أين الانسان

نعي الشتـــاء

للأستاذ محمود غنيم

تعادلَ الليــلُ والنهارُ وأدرك القُرَّ الاحتضارُ
وراح فصلُ الشتاء يهوى في هُـوَّةٍ مالها قرارُ
ياصفرة الموت أدركيه ليكسُوَ الأرضَ الاخضرارُ
كم ارتدينا فما وقانا منه شعارٌ ولا دثارُ
لا كان. هل فيه غيرُ برق من عينه يَقدحُ الشرارُ
وغيرُ رعـدٍ يصكُّ سمعى كأنما صـوتُه خُوارُ؟
يا من رأى قبله صريعاً غنّى على رأسه الهزارُ؟
أما ترى السُّحْبَ يوم ولّى حفَّتْ لها أدمعٌ غِزارُ؟
لا يُثلجُ الغيثُ حين يَهمى صدرى ولو جفَّتْ الثمارُ
وإن تغنَّت به تميمٌ وسبَّحت باسمه نزارُ
الدفء والضوء أين راحا؟ لينكشِفْ عنهما الستارُ
والطيرُ والأيكُ أين غابا؟ لينتفضْ عنهما الغبارُ
كم من نهار — مضى — عليه ثوبٌ من الليل مستعارُ
رياحه آذنت بحرب فالنَّقعُ فى جوِّه مُثارُ
كأن شمس الشتاء ظبىٌ من طبعه الدلُّ والنِّفارُ
أو وجهُ عذراء ذاتِ خدر تظنُّ أن السفورَ عارُ
لا بدره إن بدا لُجَيْنٌ كلا ولا شمسهُ نُضارُ
كم أصبح الفحمُ — وهو فحمٌ — كالزاد لم تخلُ منــه دارُ
كلُّ امرئٍ كالمجوس فيه أمامه موقــدٌ ونارُ
نجومُــهُ قد مشين حبواً وشمسُه جرَّها البخارُ
إن جَنَّ فيه الدجى انصرفنا فالأرضُ من أهلها قِفارُ
وبات كل امرئٍ سجيناً فى داره حــوله حِصارُ
يا ليت أعمارَنا ربيــعٌ صِرْفٌ ولو أنها قِصارُ
لهــفى على معشَر إذاما دارت عروسُ السماءِ داروا
مَشَوْا معَ الشمس، كلُّ فصل لهم به كعبةٌ تُزارُ
كم ضاق مشتى بهم وجادت لهم بشطآنها البحارُ
قد لطفَ المالُ كل جوٍّ فــلا صقيعٌ ولا أوارُ
وبات فى الحالتين يشقى من خانه مثلِىَ اليسارُ

محمود غنيم

وحى الربيع

أنفـــاس مرتعشة!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

إنْ رأيتِ الكَرْمَ تستَيْقِظُ فى الوادِى حياتُهْ
وحديثَ الحُبِّ فى الأعْشاشِ ذاعتْ همَساتُهْ
ورَنِينَ البـاغِمِ المَسْحورِ نشْوى نغَماتُهْ
وحَنِينَ الجوِّ فى الشُّطآنِ رفَّتْ سبَحاتُهْ
والهوى فى معْبَدِ العُشّاقِ عادتْ صلواتُهْ ...
... مِثْلَها عُودِى إليَّا
واسْكُبِى النُّورَ لديَّا
والرَّحيقَ العبْقَرِيَّا
عَــلَّ أقداحَ الأمانِى تُسْعِـدُ القلْبَ الشَّقِيَّا

***

وإذا بُسْتانُكِ الهاجِرُ غنَّـاهُ الخَيالُ
وجَنَــا السِّحْرُ بِدُنْياهُ وناغاهُ الدَّلالُ
وانْتَشَتْ مِنْ طُهْرِكِ العالِى بِشَطَّيْهِ الظِّلالُ
وأتاكِ الشِّعْرُ يُذْكِيهِ حنِينٌ وابْتِهالُ
كنَبِىٍّ تحتَ أنوارِكِ غشَّاهُ الجَلالُ ...
فاذْكُرِينِى فِى جِنانِكْ
علَّ فيْضًا مِنْ جَنانِكْ
أوْ صَباحًا مِنْ زَمانِكْ
يَسْكُبُ النُّورَ لِفانٍ لمْ يعُدْ فى الأرضِ حيًّا!..

محمود حسن اسماعيل

« وزارة المعارف »

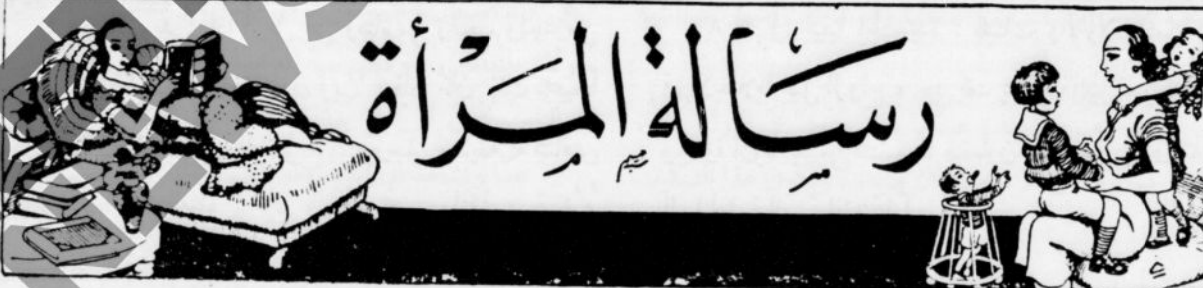

غرائب العادات في الزواج

للآنسة زينب الحكيم

بمناسبة الزفاف الملكى السعيد، الذى تشرح معالمه الصدور، وتبهج زخارفه الأبصار بحيث لا نرى داعياً لوصف الواقع، ولا ضرورة للتنبيه إلى روعته وفخامته، كما أننا لسنا فى حاجة لأن نسجل عنه شيئاً اليوم ليبقى مسطوراً على القرطاس للمستقبل، لأنه حادث ستظل ذكراه باقية فى حافظة الشعوب عامة، وفى حافظة الشعبين المصرى والإيرانى خاصة. لهذا أذكر فيما يلى بعض غرائب العادات فى الزواج فى مختلف البلاد:

١ — شيكوسلوفاكيا: توجد عادة غريبة فى بعض جهات شيكوسلوفاكيا، وهى أن كل شاب يتقدم إلى فتاة كخطيب ثم يخفق فى مسعاه يقدم إليها شريطاً تضمه إلى غطاء رأسها كالموضح بالصورة (ش ١)

وكلما كثر عدد الأشرطة المقدمة للفتاة كان ذلك دليلاً على شهرتها وارتفاع قيمتها فى أعين الخطاب الذين يتقدمون إليها. وعندما لا يبقى مكان لأشرطة أخرى تضاف إلى ما سبق أن علقته الفتاة على غطاء رأسها يتحتم على الفتاة أن تعزم أكيداً على اتخاذ أمر تنفذه بالنسبة لزواجها. فتصمم على اختيار واحد ممن تقدموا إليها وتكون أسرة

٢ — انجلترا: فى انجلترا يتمتع العازمون على الزواج بحرية عظيمة فى اختيار الشريك أو الشريكة، ولهم ملء الحرية فى المخالطة والتعارف قبل الزواج. ومما يذكر عنهم بالاعجاب والفخر أن الخطيب أيّاً كان مركزه ومرتبه يترفع عن أن يشاكى خطيبته عند ما ترفض الزواج منه مهما يكن مقدار حبه لها

ويرجع الإنجليز ارتفاع نسبة الزواج الناجح عندهم إلى الأسباب المتقدمة وهى نسبة تفوق جميع النسب فى العالم

(ش ١)

٣ — فنلاندا فى شمال غربى روسيا: لنساء فنلاندا طريقة مختصرة فى معاملة خطابهن، وهى أن يوقد والد الفتاة شمعة أمام الهيكل فى الكنيسة أثناء إحدى مقابلات أسرتى الخطيبين. فإذا تركتها ابنته تحترق كان ذلك دليلاً على أنها قبلت الزواج من خطيبها. أما إذا أطفأت الشمعة فذلك دلالة على أنها ترفضه إذ لا توجد بينهما جاذبية

٤ — السويد : إذا أكل فتى وفتاة من رغيف واحد من الخبز ، يقال إنهما متحابان دون ريب . فإذا كان ذلك صحيحاً يبدأ الخطيب التكلم فى الموضوع ، فيرسل صديقة له لتناقش الأمر مع أسرة الفتاة . فإذا نال العرض موافقة ، يقدِّمُ الخطيبُ للتعارف إلى أسرة الفتاة فى يوم الأحد القبل بعد الحديث التمهيدى . وفى هذا الوقت لا يسمح للخطيبين بتجاذب أطراف الحديث أو بالمقابلة

وفى صالة إعلان الخطبة يقام مهرجان يقدم فيه الخطيب للخطيبة إناء فضياً يشبه فنجان الشاى الكبير بدون يد وبه قطع من النقود الفضية ملفوفة فى أوراق. ويتبع ذلك الزفاف، وهما يتبادلان الهدايا وقت حضور القسيس

٥ — لابلاند وإيسلندا : عادة تكون السيدة أكبر سنا من الوجل ، وتطول فترة الخطبة ، ويرجع هـذا غالباً إلى المصاريف الباهظة التى تسببها المجاملات وما يظهر به الخطيب من احترام لأسرة خطيبته كواجب حتمى عليه . ويكلف أيضاً بتقديم هدايا متوالية لها ولأقاربها .

٦ — اليونان : لا يسمح للخطيبين بالتقابل قبل يوم الزفاف إلا فى مناسبات رسمية دقيقة . وفى إيبرص Eyirus عند ما تكون الخطيبة قد تعرفت إلى زوجها فى دار القسيس بعد أن باركهما ، يطلب إليهما القسيس فى رجاء شديد ألا يتقابلا ثانية حتى يوم زفافهما ...

٧ — رومانيا : فيها عادة مشهورة جدًّا ، ولو أنها انقرضت الآن تقريباً ، وهى ما يعرف « بسوق الصبايا » فى يوم عيد سنت بول (فى ٢٩ يونيو) يجتمع البنات على قمة جبل عال اسمه Gaina وتكون كل واحدة منهن مزوّدة بجهازها ، ويحضر الخطاب مع آبائهم ويختارون خطيباتهم

وتوجد فى جهات أخرى من رومانيا عادات مشابهة كل الشبه لما يوجد فى ألبانيا ، إلا أنهم يؤجلون مهرجان العرس عند الطوائف المسيحية حتى تلد المرأة ولداً ، لأنهم يعتبرون أن الغرض الأول من الزواج هو خلف الأطفال الذين يضمون إلى القبيلة فيزيدون عددها وقوتها

٨ — فى غينيا الجديدة : للبنات والأولاد كامل الحرية فى الاختلاط قبل الزواج ، حتى لقد يمضون الليل سويًّا ، وإذا وجدوا أن لا بد من التغيير ، فيفعلون ذلك حتى يتوق الخاطب إلى الخطيبة التى توافقه تماماً

(ش ٢) خطيب وخطيبته يتبادلان التحية

إذا قارنا ذلك بما يحدث فى اليابان ، وجدنا تبايناً كبيراً ، لأن مسألة الزواج عندهم من غير الأفراد المحدثين ، تترك كلها لتصرف الخاطب الذى يوفق بين الخطيبين ، ويرتب تقابلهما وتعارفهما ، ويكون ذلك فى مقهى يتناولون فيه الشاى ، ويكون على الفتاة تقديم شاى المهرجان لزوجها المنتظر

٩ — فى جزائر سليمان : الفتاة التى تخطب لرجل عظيم تعتكف قسراً فى خص بقرب خيام الحريم ، ويقدم لها غذاء دسم ؛ ولا يسمح لها بالخروج من ذلك الخص إلا مرة واحدة فى اليوم لتغسل آنية نحاسية كبيرة . وتبقى على تلك الحال ثلاث سنوات

متوالية تخرج فى نهايتها من سجنها وقد نما على رأسها شعر أشبه بالفرجون الغزير جداً

١٠ — هنود كندا : عند ما يصمم رجل على الزواج يطلب إلى من اختارها أن تحزم له شراك صيده ، ويكون هذا التكليف منه لها بمثابة مفاتحتها بالخطبة، فإذا قبلته كخطيب تطلب منه دون خجل أن يكلم أمها فى الموضوع . وعادة تخبر البنت أمها بنفسها ، وعلى ذلك ترشدها إلى بناء مسكن لهما بجوار مسكنها ، وعند ما يقام مهرجان الزفاف يصبحان زوجين

١١ — فى غينيا الجديدة : يتعارف المحبون فى حلقات الرقص المشترك ، فإذا أحب رجل امرأة لأول نظرة ، وتبع ذلك عزم على الزواج منها ، يفعلان ذلك دون جلبة أو إجراءات زواج من أى نوع ؛ إلا إذا كان له منافسون فعندئذ يتقدم إلى والد الفتاة بثمن يدفعه له عنها ، وأيضاً لا يتبع ذلك مهرجان زواج .

عادة التقبيل

إن التقبيل بالفم عادة أوربية على ما يعلم . أما التقبيل عند الصين مثلاً فيكون بواسطة فرك الأنف والفم على الوجه .

أما فى أفريقيا وغيرها من البقاع غير المتمدنة فلم يلحظ أن المحبين فيها يقبل بعضهم بعضاً . والرومانيون كان لهم عدة طرق للتقبيل ، كتقبيل الوجنتين ويدل هذا على الصداقة . ويدل تقبيل الشفتين على العشق ، ولا تزال هذه الاصطلاحات معمولا بها فى فرنسا وممالك أوربا .

والرقص والألعاب المختلفة كانت كلها من مميزات الحياة الغابرة ، (كما أنها اليوم ميزة الحفلات الساهرة فى حياة المتمدنين) وكما أنها وما تزال الأسباب المباشرة للتعارف واختيار الحبيبات .

أما الغناء والرواية فأمرهما مشهور معروف ، لا سيما فى أيام البطولة والفروسية وعند كثير من القبائل . فالمحب قد يروى قصة غرامه غناء أو إنشاداً حال يمثل أصدقاؤه الرواية عملياً ، ولا يسع الفتاة المقصودة فى كثير من الأحيان إلا أن تفتح ذراعيها فى النهاية وتراقص خطيبها دليلاً على إتمام الزواج

القبلة فى بلاد الحبشة

تعتبر القبلة فى بلاد الحبشة روح الحياة الاجتماعية فيها ، وهى على عدة أشكال ، فتستعمل لكل تهنئة ، وكدليل على الاحترام ، وتميز المقامات ، وتمضى بها المعاهدات السياسية أو التجارية ، والناس الذين لا يقبل بعضهم بعضاً علناً هم الأزواج والزوجات

هذا ويشاهد أن الحب يظهر بين المتمدنين فى سن البلوغ ، ولكنه يظهر بين الهمج فى الطفولة ، حتى لقد ترى الأطفال الصغار يمثلون أدواره فى ألعابهم . كما يعد عند قبائل أفريقيا من العار ألا يكون للبنت أحباء ويسخرون منها إذا كانت ذلك. أما الولد الذى ليس له حبيبات ، فيعمل له سحر يجلب الحظ والتوفيق لإيجاد الحبيبات

هذا قليل من كثير مما يمكن أن يذكر من غرائب عادات الزواج وفلسفات العواطف الإنسانية

زينب الحكيم

الكون يكبر

العوالم منتشرة على حيز كروى محدود ولكنه يتسع

للدكتور محمد محمود غالى

العوالم كالأسماك على شبك الصيد — أو كجسيمات على سطح كرة تنتفخ — أثر تعديل اينشتاين لمعادلاته — الحيز الكروى والعوالم يكون محدود — في دراسة صورة الكون تجري المعارف أوسع الخطوات

لو أن صياداً ألقى شبكته فى الماء، فتعلق بها عدد من السمك، فما لا شك فيه، تتوقف المسافة بين سمكة وأخرى على حالة الشبكة. قد يكون الصياد حسن الحظ، بحيث تتعلق سمكة على رأس كل معين فى الصف المشار إليه بالسهمين: شكل ١ الذى يمثّل هذه الشبكة، عندئذ يتحقق القارئ بنفسه أن الصياد قد وُفّق إلى اصطياد ١٦ سمكة. ولو أن السمك فى عداد الكائنات، يرى ويفهم ويتصور، فإنه لا يعدم وسيلة، يتحقق بها من المسافة الواقعة بينه وبين كل سمكة.

لنفرض بعد ذلك، لسبب خاص بمهنة الصياد كسهولة إخراج هذه الأسماك، أن الصياد شد شبكته من الجهتين: اليمنى واليسرى فى اتجاه السهمين بحيث اتخذت هذه الحبائل الشكل الثانى، الذى لا يختلف عن الشكل الأول إلا فى أنه ممدود، فإن أى سمكة ترى جارتها الأولى ابتعدت عنها بمسافة معينة؛ ولكنها ترى الجارة التى تليها ابتعدت بضعف هذه المسافة، بحيث أن السمكة العاشرة مثلاً تُرى كأنها قطعت عشرة أمثال ماقطعته السمكة الأولى، وعندئذ تعتقد هذه السمكة التى افترضنا أنها متأملة أن الأسماك كلها تبتعد عنها بالذات، أو أنها تهرب منها؛ وأنه كلما كانت الأسماك بعيدة عنها كانت سرعة ابتعادها كبيرة.

يتأتى هذا الإحساس للسمكة، لو أننا فرضنا أن الصياد قام بعملية شد الشبكة داخل الماء، وأن السمكة المتأملة لا ترى حبائل الشبكة أو قاع البحر أو أى شيء غير جيرانها من السمك الذى وقع مثلها فى الحبائل. ولو أن السمكة المتأملة رأت كائناً آخر كالصياد أو شجرة أو شيء ثابت، أو لو أنها رأت الحبال نفسها لأدركت أنها هى أيضاً تناولتها الحركة بقدر ما تناولت السمك جميعه، وأن الأقدار شاءت لها هى أن تبتعد عن جاراتها بقدر ابتعادها عنها، وأنه ليس هناك مركز خاص للابتعاد، بل إنها وإخوتها جميعاً قد وقع لها نفس الحوادث

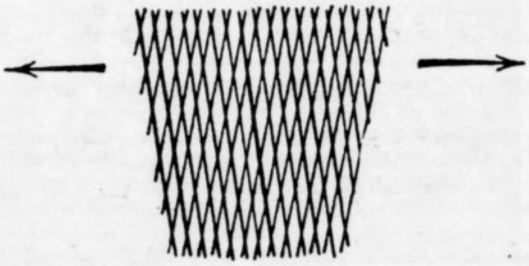

(شكل ١) حبائل الصياد قبل شد الشبكة

أمران أود أن يعلقا بذهن القارئ:

الأمر الأول: هو أن السمكة المتأملة إن لم تر من الكون إلا الأسماك الست عشرة التى تحدّد عوالمها، فلا أرضاً ترى ولا ماء ولا صياداً ولا شجرة، تصل إلى نتيجة تتلخص فى ابتعاد كل الأسماك عنها بسرعة تتزايد كلما كانت المسافة بعيدة

الأمر الثانى: هو أن السمكة العاقلة ترى من العوالم المحيطة بها حبائل الشبك ورمال الشاطئ، بل ترى الصياد والشجرة، وكل هذه أشياء ثابتة بالنسبة لها فتدرك أن أمراً آخر قد حدث: ذلك أن الحبائل كلها قد امتدت، وأن الحركة تناولتها والأسماك بدرجة واحدة فليس هناك فرار بالمعنى الأول، بل شاءت الأقدار

أن تقع على كون هو حبائل الشبك ، وأن هذا الكون يمتد

قد نستطيع الآن أن ننتقل من حبائل الصيد إلى الكون ، فكما أنه ليس هناك فى الحبائل المتقدمة مركز ثابت بل إن كل جزء منها امتد فابتعدت كل سمكة عن الأخرى ، وكما أنه يتراءى أن السمكة البعيدة تزيد سرعة ابتعادها عن سمكة معينة رغم أن جميع الأسماك تتناثر بقدر واحد ، كذلك الكون لسنا فيه مركزاً لابتعاد العوالم ، وهناك حيز يحملنا جميعاً هو الذى يمتد ، ولا يمنع امتداده أن نلاحظ ازدياداً فى سرعة العوالم كلما كانت بعيدة عنا

هذه السمكة العاقلة اتخذتها مثالاً للكون الذى نعيش فيه، نحن كسمكة من ملايين ملايين الأسماك ، ممتدة على حبائل أوسع من هذه ، وهناك صياد ماهر لا نراه ، يتصرف بالعوالم كما يتصرف صياد السمك بالست عشرة سمكة التى كانت من نصيبه ، ويبحث العلماء فعل الصياد وأثر القوة الخفية التى تقوم بهذه العملية

التى نعرفها حتى الآن ، ثم ننتقل إلى تعرف الحيز الحامل لنا ، هذا الحيز الموجود فى إطاره كل العوالم الطبيعية ، والذى سنرى أنه يختلف عن حيز أقليدس اللانهائى .

***

أوضحنا أننا كما نستطيع أن نعرف اقتراب أو ابتعاد قاطرة عنا من سماع صفيرها ، كذلك يمكن معرفة اقتراب أو ابتعاد مجموعة من النجوم عنا من موضع خطوطها الطيفية على الطيف العادى ، ففى حالة ابتعاد هذه النجوم تقترب خطوط طيفها من الجهة الحمراء ، وفى حالة اقترابها تقترب من الجهة الأخرى ، وتتعين سرعة ابتعاد النجم أو اقترابه من درجة اقتراب خطوطه الطيفية من أحد الطرفين .

وذكرنا أن العلوم النظرية والتجريبية قد برهنت على ابتعاد جميع العوالم عنا ، كما برهنت على زيادة سرعة ابتعادها مع بعدها ،

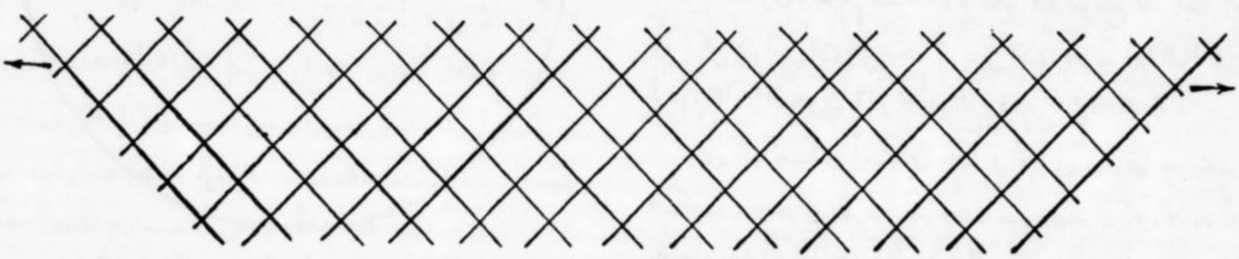

(شكل ٢) حبائل الصيد بعد شدها

قد يعترض القارئ أن أسماكاً ، فى صفوف أخرى ، تقترب فى الوقت الذى تتناثر فيه الست عشرة سمكة المتقدمة، ولكن عليه أن يتصور أن حبائل الشبكة من مادة تجيز التمدد فى جميع الجهات

***

مثال آخر يُقَرِّبُ للقارئ الصورة التى يعتقدها العلماء فى الكون ، ذلك أن تتصور كُرةً من المطاط ، انتشرت على سطحها وفى داخل قشرتها جسيمات صغيرة جداً شكل (٣) ، فإنه عندما تَنْتَفِخُ هذه الكرة ، تبتعد هذه الجسيمات الواحدة عن الأخرى وفق القانون المتقدم ، بحيث يبدو ونحن عند جسيم معين ازدياد ابتعاد الجسيمات الأخرى كلما كانت بعيدة عنه

هذه صورة الكون الذى يُفسر مشاهداتنا إلى حد، ولا يزال علينا أن نعرف مدى ما يساعد عليه العلم النظرى من التثبت من هذه الصورة ، ويلزمنا قبل أن نبدأ هذا الشرح أن نلخص الوقائع

فالعوالم ، التى تفصلنا عنها مسافة يقطعها الضوء فى ٣ ملايين سنة ، تبعد عنا بسرعة ٥٠٠ كيلو متر فى الثانية تقريباً ، أما العوالم المفصولة عنا بمسافة ١٥٠ مليون سنة ضوئية فتبتعد عنا بسرعة ٢٥ ألف كيلو متر فى الثانية .

وتساءلنا لماذا تبتعد كل العوالم عنا ، وأعطينا الآن صورة للكون الذى نعلم عنه أن كل عالم فيه يبتعد عنا ، وأن سرعة الابتعاد تتزايد كلما كان بعيداً . هذه خلاصة ما وصلنا إليه ، على أننا نخطو بالقارئ خطوة أخرى إلى الأمام .

***

مهما يكن من الأمر فإنه لم يكن هناك غير طريقين لنجد تعليلاً لهذه السرعة الكبيرة للسدم التى تبتعد كلها عنا .

(١) إما أن هناك قوة للخارج (Force Repulsive) تدفع هذه الكائنات إلى السباق والتنافر .

(٢) أو أن تكون هذه السرعة موجودة ولازمة لهذه العوالم منذ التطور الأول للخليقة ، ومن يدرى ماضيها ؟ فقد تكون أكبر من ذلك بكثير .

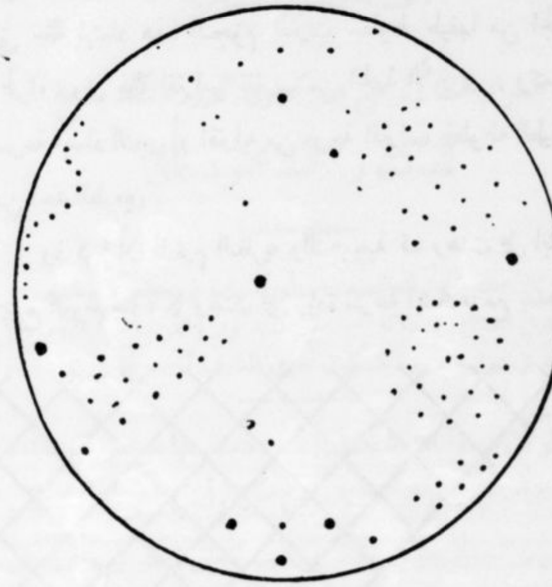

(شــكل ٣) كرة من المطاط أو الـكون بعــد أن ازداد حجمه بقدر خمسة أضعاف حجم الأول

على أنى لا أريد أن يفوت القارئ ، أن هذه السرعات الـكبيرة ، قد لفت النظر إليها البحث النظرى قبل البحث التجريبى هذا البحث النظرى الذى بدأ بمعادلات « إينشتاين » عن النسبية فى وضعها العام ، والذى تتبعه دراسة « دى سيتير » الذى توقع هذا التنافر للعوالم البعيدة. ولنعد بكلمة أخرى إلى عمل «أنيشتاين» لنرى العلاقة بين عمله وبين صورة الـكون

عندما نشر أينشتاين نظرية النسبية فى وضعها العام سنة ١٩١٥ التى تناول فيها فيزيقة المجال[١] ، والتى درس فيها المادة والـكهرباء والإشعاع والجهد ، كان أهم جزء فى نظريته قانون الجاذبية ، الذى يتفق فى الحدود العادية مع نظريات نيوتن القديمة[١] ، على أن أنيشتاين قد واجه فى ذلك الوقت بعض الصعوبات التى لـكى يُذَلِّلَها ، عدّل معادلاته بحيث أصبحت تسمح بتقوس الحيز للمسافات البعيدة ، فحذف بعبقريته فكرة اللانهائية التى كانت تشغل دوراً فى العلوم ، بحيث إذا سرنا فى حيز أو كون أينشتاين الجديد دائماً للأمام ، رجعنا للنقطة التى بدأنا منها المسير

هذه المعادلات الجديدة الخاصة بالجاذبية ، نرى فيها ثابتاً جديداً يطلقون عليه الثابت الـكونى La Constante Cosmique

على أن الذى يهمنا أن هذا الطرف الجديد فى معادلات أينشتاين خاص بوجود تنافر بين مجموعات الأجرام السماوية ، يتناسب مع المسافة ، تنافر كونى (Repulsion Cosmique) ، ليس له مركز خاص ، أى أنه قوة متعلقة بالثابت الـكونى وتتناسب معه

ومما هو جدير بالذكر أن المسألة التى نحن بصددها الخاصة باتساع الـكون وتعاظم مسافاته ، لم تكن قط موضع نظر أينشتاين ولم تكن بين المبررات التى دعته للتعديل الذى قام به هذا العالم الذى لم يهتم للثابت الـكونى بقدر اهتمام البروفسير فايل Weil له فيما بعد.

على أن تفكير أينشتاين هذا ، أفاد فى معارفنا فيما يخص الـكون ، وخرج بنا من غير قصد من مصاعب كان لا بد أن نلقاها، ذلك أنه إذا اعتبرنا المسافات البعيدة عن الـ١٥٠ سنة الضوئية التى كانت آخر حدود رؤيتنا[٢] نصل إلى أجرام تقرب سرعتها من سرعة الضوء ، وليس هنا المجال لنذكر ما فى ذلك من تناقض للنظريات الحديثة ؛ ولعل القارئ يدرك الآن كيف يمنعنا أينشتاين الذى كان لا يعرف هذه الصعوبة القائمة أمامنا ، من التوغل فى الـكون بشكله الذى نستوعبه ، لأن الـكون مغلق على نفسه ولأننا لا نلبث أن نعود من حيث نظن أننا لا زلنا نتوغل فيه

لست الآن بصدد أن أذكر القارئ أن الرياضيين توصلوا منذ أكثر من مائة عام إلى فرض حيز مُقوَّس يختلف عن حيز أقليدس ، وليس فى نيتى فى هذه الأسطر أن أستعرض علماً من أهم العلوم المعروفة اليوم ،هو هندسة ريمان (Reimann) وهندسة لوباتشيفيسكى

---

(١) اهتم العالم فى ذلك الوقت بنظرية الـكم Quanta الخاصة بالجسيمات المتناهية فى الصغر ، وسنتكلم عنها فيما بعــد ، ولقد كان للأستاذ ديراك P. A. M. Dirac سنة ١٩٢٨ الفضل الأكبر فى وضع العلائق بين نظريات أنيشتاين فى النسبية ونظرية الـكم ، وذلك بمعادلته الموجية النسبية الخاصة بالألـكترون Iquation ondulatoire rèlativiste de l'electron

(١) لقد أعلن أنيشتاين منذ أربعة أيام ، أى ساعة كتابة هذا المقال ، تفسيراً جديداً للجاذبية وعلاقتها بالمادة والمغناطيسية، ويعتقد العالم الـكبير أنه فى طريق اكتشاف قانون عام يفسر التركيب الـكونى ، وما خفى فى المادة والاشعاع ، ولعل إعلانه هذا لمناسبة بلوغه الستين

(٢) هذه الحدود الـ ١٥٠ مليون كانت حدود رؤيتنا فى سنة ١٩٣٤ والظاهر أنها بلغت هذا العام ٥٠٠ مليون (راجع مجلة الاكتشاف — كمبردج — يناير سنة ١٩٣٩ ص ٣٦)

Lobatcheveski التى تعتمد كلاهما على تقوس الحيز ، وتختلف عن الهندسة التى اعتدنا حل مسائلها فى المدارس ، والتى لا وجود فيها للخطين المتوازيين ، إنما أريد أن ألفت نظر القارئ إلى أن دراسة دقيقة للحيز الطبيعى أوصلت العلماء لخاصية تقوسه ، كما أوصلت ريمان لنفس النتيجة . أما ريمان فوصل لهذا التقوس لعدم إمكان إثبات نظرية واحدة، من بين الأربع والعشرين نظرية لأقليدس التى تعلمناها فى المدارس ، وهى نظرية خاصة بالمتوازيات . أما الطبيعيون فقدوصلوا لهذا التقوس بتجارب سنأتى عليها عندما نتكلم عن النسبية

وهكذا ظهر لنا حيز أقليدس المستقيم مقوساً ، وظهر لنا أن هذا التقوس صفة طبيعية تسمح التجارب اليوم بالتحقق منها ، كما نتحقق من وجود المجال المغناطيسى دون أن نراه

وهكذا كما نصادف فى الطبيعة سطوحاً منحنية ، نصادف فيها حيزاً منحنياً ، أى أن له هذه الخاصية من التقوس الممكن قياسه ولكن يوجد فرق جوهرى بين التقوسين ، ذلك أنه يجوز لنا فى السطوح أن نعدّلها أى نحذف خاصية الانحناء منها ، وذلك بالقيام بعملية معاكسة للانحناء ، ولكن لا نستطيع فى الحيز أن نجعله يتخلص من هذه الخاصية ، أى أنه لا يمكن تعديل صفته الطبيعية كما هو الحال فى السطوح

هذا الحيز أو الفراغ فى حالته البسيطة حيز ذو أربعة أبعاد ، وهذا البعد الرابع هو الذى ينحنى الحيز فى اتجاهه — هذا التمثيل الرباعى الأبعاد ، فى الحالة البسيطة المتناسقة ، يصبح سداسياً أو ذا عشرة أبعاد عندما ننتقل من الحيز العادى إلى الحيز فى الزمن، وليس للقارئ أن يرتبك بهذا الحيز الأخير وعلى حد قولهم — إن ما يميز العالم الرياضى من غيره أن الأول يرى الأشياء فى أربعة حدود ، إنه لاشك أن ثمة صعوبة فى تخيل الحيز ذى أربعة الأبعاد ، ويتصور أدنجتون (Edington) لذلك فقاعة كبيرة ، هذه الفقاعة ذات أربعة حدود ، حيث الطول والعرض والارتفاع ، موجود كله فى القشرة المكونة لها (١)

هذا الحيز ذو الثلاثة الأبعاد المموج فى حيز ذى أربعة أبعاد ، يعطينا الرياضيون عنه خواص تتصل بفهمنا للكون ، منها أن التقوس كاف ليعطينا حيزا مغلقاً يختلف عن الحيز المفتوح اللانهائى بالطريقة التى يختلف فيها سطح الكرة عن سطح مستو غير محدود

كل ما أريد أن يعلق بذهن القارىء ، هو أن يعتقد أن الحيز التقوس نتيجة رياضية ، ونتيجة عملية فى آن واحد ، ونكرر القول أن الحيز الطبيعى الذى نحن فيه ، حيز من شأنه أن خطاً ما ، أو موجة ضوئية أو كهربائية ، تعود إلى النقطة التى بدأت منها ، بعد أن يكون كل منها قد دار حول الكون .

صحيح قد دلتنا التجارب حتى اليوم على أن التقوس صفة ضرورية ولازمة فى جزء من هذا الحيز ، هو جزء محدود بحدود رؤيتنا فهل يتقدم العلم التجريبى تقدماً يثبت فيه أن هذا الحيز محدود وأنه مغلق ؟ هذ ما يعتقده العلماء .

هذا الحيز المتقوس والمقفل على نفسه ، يعتقدون أنه كروى ، وأن وجود المادة فيه من آن لآخر يحدث اختلافات فيه عندها ، كما تحدث الجبال اختلافات فى كروية الأرض ، وكما أن المساحة الجانبية للكرة الأرضية محدودة ، كذلك حجم الحيز الكروى للكون محدود ، ولكنه يكبر

قد يتساءل القارئ : مالى ولكل هذا ؟ لماذا هذه الصورة من الكون التى تمنعنى تصوراتى من استيعابها ؟ أو نحن فى حاجة لهذه الصورة المعقدة ، لنفهم تمدد العوالم وابتعادها الواحد عن الآخر ؟ ألا يكفينا الفراغ الأقليدسى القديم الذى اعتدناه فى المدارس ، والذى فهمناه على أيدى مدرسين قديرين ، قطعوا السنين الطويلة فى تلقيننا صورته ، والذى دخلنا من أجله عشرات الامتحانات ؟ ألا يكفينى حيز أقليدس الذى أتصور فيه الطول والعرض والارتفاع لأى كائن كما أتصور فيه المسافات مهما بعدت؟

وجوابنا أن عالمنا الأقليدسى لا يكفى لفهم الظواهر الجديدة فى تمدد العالم ، ويتناقض مع معارفنا الحالية ، وإننى إذا كنت أجهدت نفسى فى أن نفهم معاً كوناً كروياً ، كروياً ليس كالكرة المتادة ، فلأن لذلك صلة كبرى ، إن لم تكن بتمدد الكون فى ذاته ، فعلى الأقل بالنتائج التى تترتب على هذا التمدد ... نتائج سيدهش لها القارئ عند ما أدله عليها فى المقال القادم

ومع كل ذلك فليس ثمة سبب جدّى لهجر كون محدود وحيز متكوّر ، للرجوع إلى حيز أقليدسى غير محدود وهو بهذا غير معقول ، مادام العلم النظرى يجيز الحيز الجديد والعلم التجريبى يحتمه

هب أن أحد المؤرخين ، مهما علت مكانته ، وصف لنا مقبرة خوفو بالجيزة مخروطاً قائماً فى الصحراء ، وهب أننا رأينا رأى

---

(١) ليس لنا أن نتصور إمكان دوران هذه الفقاعة حول أحد المحاور المعروفة إذ لا يمكن أن نستوعب دوران أبعاد حول محور واحد ، ويدل التحليل الرياضى أن فقاعة فى أربعة أبعاد كهذه لا يمكن أن تدور حول أحد أبعادها وإنما حول اثنين من هذه الأبعاد أي ثلاثة حول مستو ـ هذه نتيجة إن عرفناها لا نستطيع أن نتخيلها

الأغانى المصرية

للفنان محمد السيد المويلحى

أعتقد أن أسمى اللغات قاطبة وأقربها إلى العقـل والقلب ، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً فى مسالك الأرض : هى الموسيقى وحدها لأنها لغة الطبيعة السهلة التى تجرى على كل لسان لتعبر عن خوالجه ، وتترجم إحساسه وتصور أمله وعقله ، بل وتسجل مقدار ما يتمتع به من حضارة وسمو ، أو ما هو عليه من انحطاط وخمول !

ولا أحب فى هذا المقام أن أستشهد بأقوال حكماء العـالم فإنها معروفة ، وإنما أحب أن أركز هذه الأقوال جميعاً فى جملة واحدة للحكيم الصينى (كونفوشيوس) الذى قال : « أرونى أغانى أمة من الأمم أركم مدى ما وصلت إليه من حضارة ورقى ... ! »

وقبل أن أعرض مع القارئ مبلغ ما وصلت إليه (أغانينا) من حضارة ورقى أو انحطاط وهبوط ، سأحاول — ما استطعت — أن أعطيه فكرة عن الأغانى فى شىء من الإيجاز ، فإن للاسهاب وقتاً آخر .

١ — الأغانى الوصفية : وتشمل الموسيقى المسرحية ومحاكاة ما تسمعه الأذن من التفاعيل الطبيعية .

٢ — الأغانى الحماسية : وتستعمل فى إشعال النفوس وتهيئتها لجو الحروب ، والتضحية ، والفداء ...

٣ — الأغانى الشعبية : وتمتاز بلونها السهل الذى لا تركيب فيه ولا تعقيد .

٤ — الأغانى الغزلية : وهى التى تترجم خلجات النفس وأمانى الفؤاد ، وتصور ما يلاقى الإنسان فى حبه من توفيق أو فشل ، وأثر هذا التوفيق أو هذا الفشل فى حياته وتفكيره ...

٥ — الأغانى الصوفية : وهى التى يتداولها رجال (الذكر)

العين أن هذه المقبرة تمثل شكلا هرمياً ، له قاعدة وأربعة أوجه ، فليس لنا أن نواصل وصف الأهرام كمخروط وهو ليس بمخروط

ومهما يكن من عدد ملايين النجوم والسدم ، أليس أقرب للذهن تصورها على كرة محدودة عن تصورها منتشرة فى فضاء لا نهائى ؟ هذه اللانهائية تتضاءل يوماً بعد يوم ، وإذا كانت هذه المجموعة يبتعد بعضها عن بعض ، فبدهى أنه يلزم لها حيز يكبر بحيث يقبل هذا التباعد ، ومن السهل أن نفهم ذلك لو تصورنا مخلوقات عديدة موزعة على الأرض. إن هذه المخلوقات لا يمكنها أن يبتعد كل واحد منها عن الآخر، دون أن تقترب فى نفس الوقت من أى كائن على الأرض ، إلا إذا تصورنا أن الأرض نفسها تكبر

هذا هو الكون يدلنا العلم أنه محدود وأنه يمتد فى جميع أنحائه، على نحو كرة المطاط السابقة ، أو حبائل الصيد المتقدمة، قد تدل الأيام على خطأ فى هذا التقدير، وقد تظهر هذه المسائل فى يوم آخر بلون جديد، ولكن إذا أردت أن تعرف شكل الكون من هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم بدراسته، فقد دللتك على آرائهم ، وليس أمثال دى سيتير واينشتاين وأدنجتون وغيرهم ممن لا يقام لرأيهم وزن ، وغايتى بعد الذى وصلنا إليه أن أشرح للقارئ النتائج التى ترتبت على هـذه الظاهرة الجديدة — ظاهرة تمدد الكون — نتائج أهم ما فيها الوصول لعلاقة بين الكون فى مجموعه ، وبين الذرة والالكترون ، أى بين الكون وأصغر ما فيه، بل الوصول إلى معرفة عدد ذرات وألكترونات الكون مهما كان هذا الكون عظيماً .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

ببراعة بارعة وقدرة قادرة على التصرف والخروج من نغم إلى نغم ومن مقام إلى مقام؛ ثم الرجوع إلى النغمة الأصلية والمقام الأول بسلامة ودقة.

٦ — أغانى العمال: ويستعملونها لمساعدتهم على أعمالهم الشاقة واحتمال ما هم فيه من حاجة وضنى.

٧ — أغانى الفرح: ويعبر بها الإنسان عن هناءته وسعادته وحبه لكل شيء جميل فى الحياة ...

٨ — أغانى الأطفال: وتستعملها الأمهات للتنبيه وللمناجاة، ولجلب النوم، ولإطفاء الغضب.

٩ — أغانى الحيوانات: ويستعين بها الرعاة والحداة على السيطرة على الحيوانات لتنتج أعظم إنتاج وأوفره ...

١٠ — أغانى النواح: وهى التى تجرى لحناً حزيناً مؤثراً فتلهب العواطف، وتحرك القلوب، وتثير الدموع.

١١ — أغانى المناسبات: وهى التى تغنى فى أوقات خاصة لمناسبات خاصة كأغانى رمضان، وأغانى الحج، وأغانى المواليد، وأغانى الزار ... الخ.

١٢ — أغانى الكنيسة: وهى من أروع الموسيقى القديمة ولها لون يضفى على النفس إهاباً من السعادة والنور.

هذه بعض الأغانى التى تستعمل بعضها أكثر الشعوب استعمالاً يتفق وحضارتها أو تأخرها. فالشعوب الحية الناهضة تستعمل الأغانى الوصفية، والحماسية، والشعبية الخ، وقلما تلجأ للأغانى الغزلية إلا فى القليل النادر، وفى البيئات المحدودة، ثم هى لا تعرف أغانى الحزن أو تعرفها ولكن لا تعزفها ..!

والشعوب (الرخوة) المتأخرة هى التى تغنى نفسها فى أغانى الحب وأغانى الحزن، وذلك لانعدام قدرتها على السيطرة على عواطفها، والتحكم فى خوالجها فهى خاضعة لشهواتها، أسيرة لغرامها، لا تعرف من الحب إلا (آهاته وأناته ...)!

ولننظر الآن فى أغانينا لنحكم بأنفسنا على مبلغ ما وصلنا إليه فيها ...

إنها بلغت درجة الإسفاف والانحدار تأليفاً وتلحيناً وبخاصة فى السنوات الأخيرة، حتى أن الشعب أصبح على رغم صيحات الإنكار وصرخات الاحتجاج التى يرسلها المصلحون الناقمون على هذا التبذل الرخيص والمشفقون على الوطن، وشباب الوطن من هذا (اللون) المسترخى البغيض الذى يشيع فى كل كلمة وكل لحن والذى تتناقله الألسن إما إعجاباً، أو محاكاة، أو ترديداً لا أكثر ولا أقل ..!

أقول إن الشعب برغم كل هذا لا يحرك ساكناً، ولا يرسل صيحاته وإعجابه إلا للمغنى الذى يبكى أمامه ويندب حظه وحبه ويبدى ذله ودموعه بشكل ضعيف سخيف، وإلا للمغنية التى تتأوه، وترثى حبها وحبيبها فتصف قلبها الذى أضناه البعاد، وحسنها الذى أذواه السهاد ...

فإذا حاول مطرب بعد هذا أن يساهم فى حركة الإصلاح فغنى مشيداً بتاريخ بلده العظيم، أو حاضا على النهوض والوثوب أو مصوراً جلال الحاضر ورفعة المستقبل، لا يقابل إلا بالفتور

فمن ذا الذى خدر أعصاب هذا الشعب، حتى غدا لا يستسيغ إلا الساقط المسترخى الذى لا يقوم على أساس ولا ينهض إلا على الأنين المدَّعى، والحنين المصطنع؟

من ذا الذى فرض تلك الأغانى التى لا فكرة فيها، ولا غرض منها إلا ابتذالها وانحلالها؟

للشهرة نصيب، وللجهل نصيب!

فقد انتهز بعض المشهورين بالنواح وبالبكاء فرصة هجعة الحياة المصرية ففرضوا (لونهم) على الشعب فرضاً، وحمموا حواسه وخدروها بالآهات المصطنعة، وبالأنات المفتعلة؛ ودأبوا طول هذه السنوات لا يغذونه إلا بهذا الغناء المسموم، ولا يسمعونه إلا موسيقى جافة ميتة، وإلا ألفاظاً ساقطة لا حياة فيها ولا فكرة تحييها، ولا غرض يسمو بها إلى آفاق المجد الذى تفيض به الأغانى الأجنبية حتى أصبحوا — الآن — حجاباً صفيقاً بين الشعب وبين نوابغه من الموسيقيين العباقرة الذين ظلمتهم الشهرة الطاغية، فوقفوا صامتين مقيدين لا تسمح لهم ضمائرهم بالهبوط إلى هذا الدرك، ولا ترحمهم الحاجة الملحة إلى طلب القوت فترفع إليهم هذا الشعب الظالم نفسه وأهله

لا أريد هنا أن أسمى بعض المطربين والمطربات، ولكننى أقول: إن بعضهم — وهم الذين يتحكمون فى سوق الأغانى

وفى سوق الإذاعة ، وفى سوق التمثيل السينمى فى هذا الوقت على الأقل — أقول إنهم قد اغتنوا واقتنوا ما يغنيهم عن استغلال أحط الغرائز الإنسانية التى لا تزال تتغذى منهم هذا الغذاء المجرم ! ما الذى يمنعهم من أن يساهموا فى هذه الطفرة المباركة التى ستنهض بالشعب عن طريق أغانيه ؟ ما الذى يمنعهم من أن يتركوا البكاء والعويل ويساهموا فى رفعة الشعب فيعرضوا عليه ألواناً من الحماسة والشجاعة والوصف الطبيعى الجميل ؟ إن تاريخنا مجيد سجدت له الدنيا ، وإن حاضرنا عظيم بنفوس أبنائه وهمة مليكه الشاب المفدى ، فلم لا نخرج للدنيا ألحاناً خالدة خالية من الحب ، والغدر ، والهيام السقيم واللون الإفرنجى الذى يخالف ذوقنا وفننا كما أشار بذلك سيد الشباب وحفيد إسماعيل ... ؟

إن بلادنا غنية بجمالها وجلالها ، وإن شمسها وقمرها وسهولها وزروعها ونخيلها ونيلها ، لو اتخذت موضوعاً للوصف والغناء لكانت فتنة للقلب ، وسحراً للسمع ، وإشادة صادقة بجمال صادق فذ فريد !

إن الشعب كالعجين فى أيدى الشعراء ، والزجالين ، والمطربين والمطربات ... يتشكل بالشكل الذى يريده هؤلاء جميعاً فلم لا نهيئه للجو الذى نريده ويريده مثقفوه ؟ ولم لا نضطره إلى قبول هذا اللون الجميل الجليل بل إلى حبه وهو الذى يقبل منهم التافه المنحل ... ؟

إن الذين طبعوه على البكاء يستطيعون — لو أخلصوا — أن يطبعوه على حب المجد والتضحيه ومسايرة الشعوب الحية الناهضة القوية ، وإن الذين صوروه فى هيئة الرجل الذى لا يعرف إلا قلبه وحبه ، يستطيعون أن يصوروه فى هيئة الرجل الذى لا يعرف إلا مجد وطنه وفخر أمته

إن محطة الإذاعة يقع عليها جزء كبير من هذه التبعة فلن نكتفى منها بمحو كلمات (الذل ، والهجر ، والغدر) من الأغانى ، بل نطمع فى مساعدتها ومساهمتها فى هذا المشروع العظيم بكل ما تملك من سلطة وقوة ... نطمع منها أن تمنع بتاتاً (أهازيج الغرام ، وأدوار الهيام) وأن تشجع هؤلاء الذين يتقدمون إليها بأغانيهم القوية تشجيعاً يحفزهم على مواصلة عملهم والتقدم بفنهم إلى الأمام أبداً ...

عليها أن تضرب (بالشهرة) عرض الحائط ، وستجد من الشعب المثقف ومن الصحافة خير مشجع لها ومشيد بفضلها

إن الأمر لن يكلفها إلا القليل من الجرأة والإيمان بعدالة هذه القضية فهى متعاقدة مع بعض كبار الملحنين فلتكلفهم بتلحين جديد لكلام جديد ... فإن عجزوا فالمباريات لن تعجز والجيل الجديد من الموسيقيين الناشئين المثقفين لن يعجز !

أعتقد أن وزارة المعارف وهى التى تشجع الفنون على اختلاف أنواعها لن تضن على الموسيقى بتشجيعها ، وعلى رأسها وزيرها الأديب ، ووكيلها الموسيقى بفطرته ، والذى يتمنى أن يرى الموسيقى قد أخذت مكانها الرفيع فى التثقيف والتهذيب والتطريب القوى الذى لا انحدار فيه ولا استرخاء

إن الوزارة لو اشتركت مع محطة الإذاعة فى عمل مباريات تنظر فيها لجنة فنية من كبار الموسيقيين تكافأ بما يتناسب وجلال هذه المهمة لكانت خطوة موفقة ، ولو كلفتهم الوزارة والمحطة بعمل قطع جديدة وكافأتهم مكافأة حسنة لكانت خطوة أكثر توفيقاً ، وأكبر نجاحاً

أيها الناس ... لقد سئمنا الشهرة ، وسئمنا هذا الاستغلال الذى يتنافر وشرف الفن ، ومللنا هذا البكاء المريض الذى لا يتفق وحضارتنا ، وكبرياءنا

نريد أن نحيا كما يحيا غيرنا . نريد أن نفخر بعزتنا ، وبوطننا ، وبمليكنا الذى يود أن يسمو بالأغانى عن منطقة الدموع والشهوات والقلب والحب ، والحسرات والزفرات . حتى لا يقال عنا إننا لا نعيش إلا لشهواتنا وقلبنا ..!!

محمد السيد المويلحى

النواحي الإنسانية في الرسول

قرأت كلمة للأستاذ زكي مبارك في العدد (٢٩٧) من مجلة الرسالة الغراء تحت هذا العنوان، وقد بنى هذه الكلمة على أساس أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم لم تدرس حق الدرس إلى اليوم في البيئات الإسلامية، لأن المسلمين يجعلونه رسولاً في جميع الأحوال، فهو لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحي من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل

ولو أن الأستاذ زكي مبارك رجع إلى ماضيه في الأزهر فقرأ شيئاً من كتب الأصول، لعرف أن المسلمين لم يكونوا بهذا الشكل الذي يصورهم به. وقد نعذر بعض المستشرقين إذا قال مثل هذا القول، ولكنا لا نعذر الأستاذ زكي مبارك، وقد تربى بين شيوخ الأزهر، ودرس الكتب الأزهرية، ووصل فيها إلى الحد الذي جعله يقدم نفسه من عامين لامتحان شهادة العالمية

فليس بصحيح أن المسلمين يعتقدون أن النبي لا يتقدم ولا يتأخر في جميع أحواله إلا بوحي من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل، والذي يعرفه المسلمون جميعاً أن الوحي لم يكن له مع النبي صلى الله عليه وسلم شأن في أمور الدنيا، حتى ورد عنه هذا القول المشهور: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» وقد قال هذا حينما رأى قوماً يؤبرون النخل، فقال لهم: لو تركتموه لصلح، فتركوه اتباعاً لقوله ففسد، فلما رجعوا إليه قال لهم: أنتم أعلم بأمور دنياكم

أما أمور الدين فقد جوز أكثر العلماء له الاجتهاد فيها بدون الوحي، وجوزوا عليه الخطأ فيها أيضاً، ولهذا عوتب في القرآن الكريم بقوله تعالى: «عفا الله عنك لم أذنت لهم» وبقوله: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» وقال صلى الله عليه وسلم: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي»

وقد منع بعض العلماء أن يجتهد النبي في الأحكام من نفسه واستدلوا بقوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى» وأجاب الذين ذهبوا إلى جواز ذلك له بأن هذا مختص بالقرآن الكريم، وقد جاء رداً لما زعمه المشركون من افترائه له

فهل بعد هذا كله يصح أن يقول الأستاذ زكي مبارك: إن شخصية الرسول لم تدرس عند المسلمين حق الدرس إلى اليوم؟ وهل من اللائق أن نتنكر لماضينا هذا التنكر؟

عبد المتعال الصعيدي

من ملك مصر والشام الى ملك بيت المقدس

قاتلهم فكان خيرَ مقاتل، وهادنهم فكان أفضل مهادن، وغلبهم فكان أكرم غالب، وتكلم في الحرب فكان القول زجرة ونهيا، ونطق في السلم فكان الكلام عَنْدَلة[1] وهديلاً، وللهيجاء لسان، وللموادعة لغة. وكانت لهم في (بيت المقدس) مملكة استمرت مائة عام إلا قليلاً، ومات ملكها وبين (المغيروالذائد) هدنة، فأرسل بهذا الكتاب معزياً، ونحن ننشره في (رسالة العرب والعربية) نموذجاً من أدب النفس والخلق العالي والسياسة الحكيمة

إنه (صلاح الدين) تلميذ (محمد) خادم محمد، صلى الإله على محمد!

* * *

«كتب القاضي الفاضل عن السلطان (صلاح الدين يوسف ابن أيوب) إلى بردويل أحد ملوك الفرنج، وهو يومئذ مستول على بيت المقدس وما معه، معزياً له في أبيه، ومهنئاً له بجلوسه في الملك بعده، ما صورته:

أما بعد: خصَّ الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجَدّ الصاعد، والسَّعد الساعد، والحظ الزائد، والتوفيق الوارد؛ وهنأه من ملك قومه ما وُرِّثه، وأحسن من هداه فيما أتى به الدهر وأحدثه، فإن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوبَ الأصادق، والنَّعي الذي وَدِدْنا أنَّ قائله غير صادق؛ بالملِك العادل الأعزِّ الذي لقَّاه الله خير ما لَقَّى مثله، وبلَّغ الأرضَ سعادته

(١) البلبل يعندل

كما بلَّغه محلَّه؛ مُعزٍّ بما يجب فيه العزاء، ومتأسفٌ لفقده الذى عظمت به الأرزاء؛ إلا أن الله سبحانه قد هون الحادث، بأن جعل ولَدَهُ الوارث؛ وأنسى المصاب، بأن حفِظ به النِّصاب، ووهبه نعمتين: المُلكَ والشباب. فهنيئاً له ما حاز، وسقياً لقبر والده الذى حقٌّ له الفداء لو جاز. ورسولنا الرئيسُ العميدُ مختار الدين أدام الله سلامته قائمٌ عنا بإقامة العزاء من لسانه، ووصْف ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخُلوِّ مكانه، وودُّنا الذى هو ميراثُهُ عن والده من ودادنا، فليلقَ التحيَّة بمثلها، وليأت الحسنة ليكون من أهلها؛ وليعلم أنَّا له كما كنا لأبيه: مودةٌ صافية، وعقيدة وافية؛ ومحبة ثبت عقدُها فى الحياة والوفاه، وسريرة حكمت فى الدنيا بالموافاه؛ مع ما فى الدين من المخالفات. فليسترسل إلينا استرسال الواثق الذى لا يخجل، وليعتمد علينا اعتماد الولد الذى لا يحمل عن والده ما تحمل؛ والله يديم تعميره، ويحرس تأميره، ويقضى له بموافقة التوفيق، ويلهمه تصديق ظنِّ الصديق »

***

ذلكم كتاب بطل المسلمين وقاهر الصليبيين (صلاح الدين) وإن (معزّى) ملك بيت المقدس هو (منقذ) بيت المقدس

« الاسكندرية »

***

التصوف الإسلامى

أخى الأستاذ الزيات

يسرنى أن أقدم إليك القصة الآتية:

لما ظهر كتاب التصوف الإسلامى كنت أنتظر أن يقع من جميع الباحثين موقع القبول، ثم أزعجنى أن يتلقاه بعض الناس بالكدر والامتعاض. وقد دلنى ذلك على أن التضامن منعدم بين أدباء هذا الجيل

وأعيذك أن تظن أنى خائفٌ على نفسى من لجاجة بعض الحاقدين. وكيف أخاف وذلك « البعض » واحدٌ من جملة الذين عادَونى وخاصمونى ثم ارتدوا على أعقابهم خاسرين؟

أما الخوف على كتاب التصوف الإسلامى فهو لا يخطر فى البال، لأن الكتاب سيشقّ طريقه إلى القلوب والعقول، ولو تظاهر الناس كلهم على دفع أمواجه الأدبية والفلسفية

وإنما أشغل نفسى بهذه القضية لسببين: الأول حق التاريخ، والثانى حق الواجب

أما حق التاريخ فهو تسجيل ظاهرة من ظواهر الأخلاق، لأن ذلك الأستاذ الذى يحارب كتاب التصوف الإسلامى هو رجلٌ دفعتُ عنه كيد خصومه بكلمة قوية نشرتها فى مجلة الرسالة، وما أمنّ عليه بما صنعت من جميل، وإنما أسجل أننا قد نخطئ مواطن الجميل فى بعض الأحيان

أما حق الواجب فهو دفع الأذى عن المقول التى تُقبِل على مؤلفاتى، فما يجوز أن أترك أنصارى عرضةً لأراجيف المتقولين والحاقدين.

فما الذى عابه ذلك الأستاذ المفضال؟

١ — قال: إنى كتبت فى التصوف ولست صوفيًّا، ولا يجوز عنده أن يكتب فى التصوف غير الصوفية!

وأجيب بأنى درست التصوف من الوجهة الأدبية والفلسفية وقد وصلتُ من ذلك إلى ما أريد. أما القول بأنى لست صوفيًّا فهو قولٌ مردود، فتلك أسرارٌ يعلمها الله ويجهلها الناس. وأنا أكره أن أصف نفسى بالتقوى والزهد والتنسك لئلا أقع فى بلية الرياء؛ وقد قلت ألف مرة إنى أحب أن ألقى الناس بالفجور وألقى الله بالعفاف، وأنا راضٍ عن نصيبى عند علاّم الغيوب

٢ — وقال: إنى لوثت كتاب التصوف الإسلامى بالحديث عن أبى العتاهية، وساق كلمة سفيهة وُصِف بها أبو العتاهية فى كتاب الأغانى

ولو أن هذا الناقد كان اطلع على كتاب (النثر الفنى) لعرف قيمة الأخبار الواردة فى كتاب الأغانى

وهل يصحّ فى حكم العقل أن نمحو اسم أبى العتاهية من سجلات الأدب بسبب كلمة سخيفة كتبها صاحب الأغانى؟

أنا لا أنظر إلى أبى العتاهية إلا من جهة واحدة: هى أنه أنشأ فى الأدب العربى فنًّا جديداً حين نظم قصائده الزهديات. ولن نستطيع أن نقاوم أبا العتاهية بعد أن أمدّ اللغة العربية بهذه الثروة الشعرية. وكيف نستطيع ذلك وفى المؤلفين من عدّ أبا العتاهية من أمراء الشعر فى العصر العباسى؟

٣ — وعاب علىّ أن أتحدث عن زهديات أبى نواس فى كتاب التصوف الإسلامى.

وما العيب فى ذلك؟

أنا تحدثت عن الندم الذى عاناه أبو نواس يوم هداه الله إلى المتاب، فهل يغضّ ذلك من كتابى؟

وهل هناك فرصة روحية أعظم من فرصة الفاجر حين يتوب ؟

وهل كان أبو نواس أسوأ خُلُقاً من بعض شعراء اليونان الذين بقيت آثارهم على وجه الزمان ؟

إن الذين يعيبون علىّ أن أتحدث عن زهديات أبى نواس فى كتاب التصوف ينظرون إلى الأخلاق نظرة سوقية لا فلسفية، وأمثال هؤلاء لا يقام لآرائهم وزن وإن لبسوا مُسوح الرهبان

٤ — وعجب حضرة الناقد من ألا أكتب عن الحلاج غير إحدى عشرة صفحة ، ولو أنه كان تأمل لعرف كيف اختصرت القول فى الحلاج ، لأن الحلاج درسه المستشرقون من قبل ، وأنا أبغض الحديث المعاد .

وأنا مع ذلك أقول إن الصفات التى كتبتها عن الحلاج ستكون نبراساً لكل من يكتب عن الحلاج ، ولن يستطيع باحث مهما اعتسف أن يجهل أنى هديته إلى معالم الصواب .

٥ — وهناك مسألة سكت عنها هذا الناقد وتعرض لها بعض الأزهريين فى كلمة نشرها بجريدة الدستور ، وهى أننى قلت : إن الحلاج صُلب كما صُلب المسيح .

وأنا قلت ذلك فى كتاب التصوف الإسلامى ، ولكن له تأويل سجلته فى الجزء الثانى من كتاب : « ليلى المريضة فى العراق » . وقد فرغت من طبع هذا الجزء قبل أن يُنشر ذلك النقد بجريدة الدستور بأسابيع طوال .

وهل يفطن ذلك الناقد إلى السر فى أن ينفى القرآن صلب المسيح ؟

إن لذلك سرًّا سنذيعه يوم نأمن كيد الذين لا يهمهم غير مضغ الأحاديث ، فقد شقينا بأراجيف الناس أعنف شقاء ، ومن الله وحده ننتظر حسن الجزاء .

زكى مبارك

الفائزون فى المباراة الأدبية بين المدرسين

اعتمد معالى وزير المعارف النتيجة النهائية للمباراة الأدبية لتشجيع النتاج الفكرى بين المدرسين

وننشر فيما يلى أسماء الفائزين ومقدار المكافأة التى تقرر منحها لكل منهم

فى الأدب : الأستاذ فخرى أبو السعود المدرس بمدرسة الرمل الثانوية وموضوع الرسالة « البارودى الشاعر » وقيمة الجائزة أربعون جنيهاً

فى التاريخ : الأستاذ عباس الخرادلى مدرس أول بمدرسة الأمير فاروق الثانوية وموضوع الرسالة « تاريخ الثورة الفرنسية » وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً ...

« الخلافة والسياسة » للأستاذ فخرى أبو السعود وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

فى الكيمياء : « الكيمياء ومسائل الحياة اليومية » للأستاذ حسن عبد السلام مدرس أول بمدرسة بنباقادن الثانوية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

فى الطبيعة : « الحسن بن الهيثم وجهوده فى علم القوة » للأستاذ عبد الحميد حمدى مرسى المدرس بالأميرة فوزية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

فى النبات : « حياة النبات ومبدأ السنابل » للدكتور عبد الحليم منتصر المدرس بكلية العلوم وقيمة الجائزة سبعون جنيهاً

فى الرياضة : « التحويلات الهندسية » للأستاذ حسن رضوان المدرس بالهندسة التطبيقية وقيمة الجائزة أربعون جنيهاً

فى الفلسفة والاجتماع : « أحلام الفلاسفة فى المدينة الفاضلة » للأستاذ زكى نجيب محمود المدرس بالمدارس الثانوية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

« روح القومية مقدمة الإصلاح الاجتماعى » للأستاذ أحمد خاكى المدرس بدار العلوم وقيمة الجائزة سبعون جنيهاً

ولما كان من أغراض المسابقة إيجاد ذخيرة علمية وأدبية للطلاب وللجمهور فى مصر باللغة العربية وخاصة فى الموضوعات التى تنشر فيها مؤلفات عربية للآن فقد قررت الوزارة أن تقوم بطبع جميع الرسائل التى منحت جوائز ، على ألا تطبع الرسالة إلا بعد إجراء التعديلات التى اقترحتها اللجان العامة واللجان الفرعية وإقرار اللجان الفرعية للرسائل بعد تعديلها

وستحتفل الوزارة فى اليوم الثلاثين من هذا الشهر بقاعة المحاضرات بجامعة فؤاد الأول بتوزيع الجوائز عليهم ، فيلقى معالى الوزير خطاباً ، ثم يرد عليه أحد الأساتذة الفائزين بكلمة

نشر الأدب العربى باللغة الفرنسية

نشرنا من قبل نبأ عن تأليف شعبة محلية لجمعية « جيوم بديه » تكون مهمتها نشر كتب الأدب العربى القديم باللغة الفرنسية ، رغبة فى إيجاد صلة بين التفكير المصرى وتفكير القدماء من أبناء لغة العرب

ونذكر لهذه المناسبة أن جمعية « جيوم بديه » قد درجت

فى فرنسا على ترجمة المؤلفات التى صدرت باللغة اللاتينية ترجمة صحيحة باللغة الفرنسية

وستبدأ الشعبة المحلية بترجمة كتاب عربى يقدمه معالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف وتتوخى الجمعية فى ترجمتها الحرص على إثبات النص العربى فى أحد وجهى الكتاب وفى الوجه المقابل الترجمة الفرنسية

وستطبع كتبها فى مصر ، ثم توزع فى الخارج

هافاس والرسالة

روت وكالة هافاس أن الحملة التى قامت بها مجلة «الرسالة» على الطرق بصفة عامة والتجانية بصفة خاصة قد أحدثت تأثيراً كبيراً بالمغرب، وأن قاضى سطات من كبار حملة الأقلام فى المغرب الأقصى وهو من رؤساء هذه الطريقة قد ألف كتاباً صغيراً فى الرد على مجلة الرسالة وسيطبع عما قريب بعاصمة تونس. وقالت الوكالة المذكورة إن لهجة هذا الكتاب على غاية من الحدة ضد الهادم للطريقة التجانية وخصوصاً ضد الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء بالجزائر

هذا النبأ المفترى لا يوجد إلا فى رأس مختلقه من أصحاب هذه الوكالة . وقد كذبت هافاس فى هذا الخبر مرتين ، فالرسالة لم تقم بحملة ما ضد الطرقيين، وهى أرفع من أن تقوم بحملة من هذا النوع ، وكل ما كتبته فى هذا الموضوع لا يتجاوز كلمة صغيرة للأستاذ على الطنطاوى ، كتبها تعقيباً على مقال للعلامة الحجوى مندوب المعارف بالمغرب أبان فيها أن الطرق — بصفة عامة — عديمة الجدوى ، هذا إن لم تكن سبباً للتفريق بين جماعة المسلمين. والكلمة حق فى حق لا تصل أن تكون حملة فى الواقع ؛ على أن الرسالة أفسحت المجال للشيخ محمد الحافظ التجانى للدفاع عن الطريقة التجانية بما لا تعد بعده أنها حملت على هذه الطريقة

أما الكذبة الثانية فهى أن هذه الحملة الموهومة قد أحدثت تأثيراً كبيراً فى المغرب ، والقاضى الذي أشارت إليه الوكالة أكبر شأنه أنه مجانى متطرف من غُلاةِ التجانيين ليس أكثر. هذا علاوة عن أن الطرقية بالمغرب خفت صوتها منذ أصبحت أداة مسيرة بيد رجال القبعات مختفية تحت أصحاب العمائم

أما مجلة الرسالة الزاهرة ، والأستاذ على الطنطاوى المسلم المؤمن ، والشيخ عبد الحميد بن باديس المصلح الكبير ، فهؤلاء جميعاً أكبر من أن يتقدم طرقى مذبذب فى كتيب خرافى

(ا . م)

فاس — المغرب الأقصى

بكلية القرويين

فى الفقه المقارن

أخرج الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى الطبعة الثالثة من كتابه (الميراث فى الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية) وهو بحوث فى الفقه المقارن عنى فيها المؤلف ببيان فضل الميراث فى الشريعة الإسلامية على غيرها بعد أن بين أحكام الميراث فى الإسلام، وأحكامه فى غيره من الشرائع السماوية والوضعية

ويتناول المؤلف بعد بيان أحكام الميراث فى الشريعة الإسلامية، والمواريث فى الشرائع القديمة : عند قدماء المصريين ، وعند الأمم الشرقية القديمة ، وعند العرب فى الجاهلية ، وفى الشريعة اليهودية، وعند قدماء اليونان ، وعند قدماء الرومان ؛ ثم المواريث فى الشرائع الحديثة : فى القانون الفرنسى ، وعند الاشتراكيين

وبعد ذلك يجرى الموازنة فى الميراث بين الإسلام والشرائع القديمة والحديثة . ومن مواضع الموازنة : التسوية بين الذكور والنساء ، التسوية بين الأخوة ، إيثار أرشد الذكور ، إعطاء البكر نصيبين ... الخ

وقد سار فى كل ذلك على نهج قويم من حيث بيان الأسباب المعقولة للمسائل والأحكام ، وقرع الحجة بالحجة ؛ والكلام يتسلسل فى أسلوب بين ، سهل الورود ، مسعف بالإفادة ، إلى حسن تبويب ودقة ترتيب

وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها بكثير من الزيادات والتنقيحات. ويقع الكتاب فى ١٣٦ صفحة من القطع المتوسط . ويطلب من مكتبة الشرق الإسلامية بشارع محمد على أمام دار الكتب الملكية

الأسماء العربية لجبال القمر

قرأت مقالة الأستاذ قدرى حافظ طوقان ، المنشورة فى العدد ٢٩٤ من « الرسالة » ، بعنوان « القمر بين الحقيقة والخيال » فأعجبنى ما جاء فيها من الحقائق العلمية الموضوعة بقالب يغرى القارئ بمطالعتها . ولما كان حضرة الكاتب قد تطرق فيها إلى الكلام على جبال القمر ، كما أنه ذكر أسماء بعضها ، أحببتُ أن أؤيد كلامه بأمثلة أخرى من هذه الأسماء ، تهمنا بنوعٍ خاص نحن الشرقيين ، فأقول : كنتُ قد وقفتُ على كتابين بالفرنسية للعلامة الفلكى مورو (Th. Moreux) أحدهما بعنوان « يوم فى القمر »(١) وثانيهما بعنوان « بحث فى القمر »(٢) . إن المؤلف يذكر فى كليهما الأسماء

(١) Un Jour dans la Lune (Paris 1926)

(٢) L'Etude de la Lune (Paris 1937)

في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

— ٢ —

ذكرنا في المقال السابق مظهرين من مظاهر عمل الأستاذين الفاضلين العوامري بك والجارم بك في شرحهما لهذا الكتاب، وهي العناية بالإعراب، والتطبيق على علوم البلاغة.

واليوم نذكر مظهراً ثالثاً هو الإكثار من ذكر أسماء المراجع اللغوية، فما نفتأ نرى اسم اللسان والقاموس والصحاح وشرح القاموس والنهاية و . . . و . . . من غير حاجة إلى ذكر شيء من ذلك؛ لأن العادة جرت ألا يخص اسم مرجع بالذكر إلا إذا كان قد انفرد من بين بقية المراجع بإيراد ما نستدل عليه أو نحتج به، فأما الأمور التي اشتركت فيها كل المراجع أو أغلبها فلا نرى داعياً للنص على المرجع إلا أن يكون ذلك إدلالاً بمعرفة اسم الكتاب أو حيازته. ونكتفي من الدلالة على هذا المظهر في عملهما بذكر مثلين وقعا في صفحة واحدة هي ص ٣٩، قالا حفظهما الله:

(٨) الكلوح (بضم الكاف) تكشر في عبوس. وقد كلح يكلح كمنع يمنع اهـ. من اللسان

(٩) قال في القاموس: قطب يقطب قطبا من باب ضرب، وقطوباً بضم القاف فهو قاطب وقطوب: زوى ما بين عينيه. اهـ

والذي ذكرا أنه من اللسان تراه في القاموس. قال: «كلح كمنع كلوحا وكلاحا بضمهما تكشر في عبوس. والذي ذكرا أنه من القاموس تراه في كل كتاب غيره. قال في المصباح: «قطب بين عينيه قطبا من باب ضرب جمع . . .» ويتصل بأمر المراجع اللغوية مسألة أخرى وهي الوقوف عند عبارات هذه المعاجم لا تزحزح معه ولا ريم منه مهما أدى ذلك إلى الإبهام أو الاشتباه بألفاظ لا يليق في ذوق الشارحين أن تقع عليها أعين الطلاب والطالبات. وذلك كقولهما في حاشية ص ٦٤: الختن من كان من قبل (بكسر ففتح) المرأة كالأب والأخ والعم والخال.

الجغرافية التي أطلقها علماء الفلك من أبناء الغرب على جبال القمر، كما أطلقوا غيرها على سائر عوارضه السطحية. ومما يلفت الأنظار في هذه التسميات التي تُعَدُّ بالمئات، تلك الطائفةُ التي اتخذت لها أسماء تعود إلى مشاهير التاريخ الشرقي، بل العربي على الأخص. وهأنذا ذاكرها فيما يلي، مع ما يقابلها بالأفرنجية نقلاً عن الكتابين المشار إليهما:

أبو الفدا	Abulféda
ألغ بك	Ulugh Beigh
البتاني	Albatagne
ثابت (بني قرة)	Thébit
الحسن (بن الهيثم)	Alhazen
الزرقالي (ابراهيم بن النقاش الطليطلي)	Arzachel
المأمون	Almamon
نصير الدين (الطوسي)	Nasireddin

ولا يخفى أن أغلبية هذه الشخصيات كانت ذات يد طولى في علم الفلك وما يتصل به من العلوم الأخرى. فلا غرو أن يُخلَّد ذكرهم بهذه الطريقة العلمية الصامتة التي قلما يعلم بها أخلافهم اليوم. وهلاّ تذكَّرنا هذه التسميات العربية بما يماثلها في كوكبنا الأرضي، حيث نجد مواقع عديدة سميت بأسماء مشاهير رجال العرب كجبل طارق وبلد الوليد والقاهرة والمدرسة المستنصرية وغيرها مما يطول سردها ويخرج بنا عما أردناه من هذه الكلمة..

«بغداد» كوركيس حنا عواد

أيدى القارئ لم اضطر الشارحان إلى تقييد كلة قبل بكسر ففتح؟ ذلك لأنهما أرادا أن ينفيا شبهة قراءتها بضمتين فيقع المحظور الذى تتوقاه وزارة المعارف . ولكننى أقول إن هذا الضبط الذى قصد به لفت النظر والفكر عن شىء غير لائق كان أدل شىء على ذلك الشىء . فأى داع إلى التزام هذا اللفظ خصوصاً بعد أن تنبه الشارحان إلى ما فيه من خطر على الطلاب والطالبات ؟ لا نرى ذلك الداعى إلا وقوفهما عند ألفاظ المعاجم لا يريمان منها ولو قيد أنملة . وفى ألفاظ : جهة المرأة أو ناحية المرأة أو جانب المرأة ما يغنينا عن قولهما بكسر ففتح بين قوسين

ومن ذلك أيضاً قولهما فى حاشية ص ١٧٦ : (٦) المذاكرة مفاعلة من الذكر (بكسر فسكون) وهما لم يقيدا المفاعلة بأنها من الذكر (بكسر فسكون) إلا احترازاً من مفاعلة أخرى يكون الذكر فيها بضبط آخر غير ما ذكرا ، وقد كان نفى هذه الشبهة أدعى إلى الوقوع فيها . فلا حول ولا قوة إلا بالله

ولا نترك هـذا المقام حتى نأتى فيه على أكثر ما لا حظنا من الجمود اللغوى لتكون تلك الملاحظات مجتمعة ، وبذلك نكون قد عدنا إلى التبويب الذى رأينا ألا نتبعه فى نقدنا هذا

من الوقوف عند ألفاظ المعاجم أن نرى الشارحين قد ألغيا عقلهما الحصيف ففرقا بين ما لا فرق فيه وعرفا بما لا تعريف به ، وظنا بعد ذلك أنهما قد أبليا عذراً فى الشرح وحققا ودققا إلى أبعد غايات التحقيق والتدقيق

وهاك فاسمع أيها القارئ أولها فى ص ١٧٦ أيضاً :

(١١) قعر فى كلامه تشدق وتكلم بأقصى قعر فمه وقيل تكلم بأقصى حلقه . لسان

وقبل أن نحتكم إلى الطبيب الشرعى أو الجراح العالم بتشريح الفم أؤكد وأشدد أنه لا فرق بين العبارتين وأنا أخالف مقدماً كل من يحاول إثبات فرق بين أقصى قعر الفم وأقصى الحلق .!!

كذلك تسمع قولهما فى ص ١٦١ عنـد قول الجاحظ فيمن لم يتخذ بناء البيوت للاستغلال وآثر دفع السكنى بأجر « وأنه قد أمن من الحرق والغرق وميل أسطوان وانقصاف سهم واسترخاء أساس » فهما يقولان : (٦) السهم جائز السقف أو جائزته فماذا استفدنا نحن من تذكير لفظ جائز مرة وتأنيثه أخرى ، مادام المعنى قد صار أغمض مما كان ؟ فهل يعقل وقوع مثل هذا من عالمين فاضلين كالشارحين؟ إنى أترك للقارئ الحكم على هذا العمل فالقول لا يتسع له

وأعجب ما فى عناية الشارحين باللغة أنهما حاولا أن يشرحا كل شىء حتى شرحا البدهى أو ما هو أوضح من البدهى . وقد تعجب من قولى أوضح من البدهى ! ولكن اسمع ، فهما فى ص ٧٣ يعلقان على كلمة أصبح بقولهما :

(١) أصبح : دخل فى الصباح .!! وهـذه مسألة أخرى أثارها تفسير الشارحين لكلمة أصبح . هل نحن الذين ندخل فى الصباح أم الصباح هو الذى يدخل علينا ؟ وهل الصباح هو الواقف ونحن المتحركون ، أم هو المتحرك ونحن الجامدون !!!

ماذا يسمى القارئ هذه العناية بالصغائر ، وتفسير ما لا يحتاج إلى تفسير ، والإغضاء عما فى كتب السابقين من اضطراب ، من رجلين وكل إليهما أمر إصلاح العربية فى وزارة المعارف وفى مجمع اللغة ؟!

نعود بعد ذلك إلى تتبع سقطات الشرح بحسب ترتيب الكتاب فنقول :

فى ص ٢٧ يقول الجاحظ : « ولك فى هذا الكتاب ثلاثة أشياء : تبين حجة طريفة ، أو تعرف حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة عجيبة » فيضبط الشارحان كلمات : تبين وتعرف واستفادة بالكسر ، ولا يتركان هذا الضبط دون تنبيه على سببه حتى كان يصح أن نحمل الخطأ فيـه على الطابع الذى نحمله فى كثير من الأحيان ما لا جناية له فيه ، حتى لقد اسودت أعضاؤه وثيابه من تحمل غلطاتنا كما اسود الحجر الأسود من مسح الناس ذنوبهم فيه

لم يترك الشارحان هذا الضبط الخاطئ من غير تعليق بل لقد علقا عليه بقولهما : (٣) تبين بدل من أشياء . وأنا أربأ بكل قارئ عن أن أوجه إليه بيان الخطأ فى ذلك فهو أمر ظاهر لكل من به مسكة من نحوية ، ولكنى أوجه قولى فى ذلك إلى طلاب السنة الثالثة أو الرابعة من المدارس الابتدائية فأقول لهما إذا قلنا حضرنى ثلاثة رجال محمد وعلى ومحمود ، أليس محمد بدل بعض من لفظ ثلاثة لأنه بعضها ، وإذا ضممناه إلى أخويه كان المجموع هو مدلول «ثلاثة» فكيف يجوز الإبدال من لفظ أشياء فى جملة الجاحظ وهى بمثابة كلمة رجال فى جملتنا هذه الصغيرة ؟ ألم يقل النحاة إن البدل على نية تكرار العامل ، فإذا أبدلت من كلمة رجال كان تقدير الكلام حضرنى ثلاثةُ محمدٍ وعلى ومحمود (بالإضافة) . فهل يسوغ هذا القول فى ذوق أو فهم ؟

هذه غلطة إذا ضبطها أحد المفتشين لملم صب عليه غضبه وأعاده من الثانوى إلى الابتدائى وحرمه من العلاوة حين يجئ دوره فيها ، بل إذا وقع فيها تلميذ فى امتحان الابتدائية وكان نجاحه يتوقف على التسامح فيها لم ترض المفتش غيرته على العربية أن يتسامح فيها ورسب التلميذ من أجل ذلك فى الامتحان ، وربما كان رسوبه قضاء

حديث الأسبوع

و... غلطة فنية أخرى

فى نص القرار الذى صدر بتكوين « الفرقة القومية المصرية » ما معناه أنها أنشئت لتحمل رسالة ثقافية عن المسرح النموذجى ولتبذر فى نفوس الشعب حب هذا المسرح وموالاة تشجيعه ... على هذا الأساس تكونت الفرقة وضمت إليها أقوى العناصر الفنية فى الشرق وأقواها وأثبتها قدماً ، وعلى أكتاف هؤلاء استقام البناء وطرق الشعب بابه ، ثم عادوا بين مادح وقادح ومتفائل ومتشائم ، حتى سلخت الفرقة من عمرها عاماً تركها بعده المخرج المعروف ومبعوث الحكومة فى مسرح الأوديون (زكى طليمات) ليخدم المسرح عن طريق آخر ما دامت قد أوقفت فى وجهه أشباح المطامع والأغراض

وظلت الفرقة فى سيرها تتخبط ، فاستدعت إدارتها خبيراً فرنسيًا ، ثم انتدبت بعد ذلك مخرجاً فرنسيًا أيضاً ليعلم الممثلين المصريين التمثيل بلغتهم وليتولى إخراج مسرحيات لفظتها بلادها ورآها هو عند ما كان يعمل مساعداً لأحد مديرى المسارح المتنقلة فى الريف الفرنسى « ريجسير » فنقلها كما هى فعدنا إلى الوراء سنين عديدة لنقلد ببغاء لولا أنه أجنبى ماوصل إلى مركزه

على آماله فانتحر ولكننا نرى الشارحين قد وقعا فيها وأكداها بالتفسير والتعليق ومع ذلك لم ينقلا من عملهما ولم يحرما علاوة لهما ، ولم...الخ

وفى الصفحة عينها ينقل الجاحظ قول بعض الحكماء لرجل اشتد جزعه من بكاء صبى له : « لا تجزع فإنه أفتح لجرمه وأصح لبصره » فيعلق الشارحان على ذلك بقولهما .

(١٣) أفتح لجرمه ، الجرم الجسم وأفتح له : أعظم إنماء له . والمعجم الذى نقلا منه أن معنى الجرم الجسم ، هو نفسه المعجم الذى يفسر الجرم بالحلق . فانظر إلى أى حد يتخطى الصواب مع وضوحه ، ويجنح للخطأ مع شناعته وبعد تصوره ؟!!

وقبل أن نختم مقالنا هذا نرجو من حضرة صاحب المعالى وزير المعارف أن يلقى باله إلى كلامنا ويقيسه بمقياس العلم الذى ينشره أو الجهل الذى يحاربه. فوزير المعارف حريص على الحقائق خصوصاً إذا كان قد دفع من خزانة الدولة ثمناً باهظاً لها .

(للكلام بقايا)

محمود مصطفى
المدرس بكلية اللغة العربية

حياة الظلام

اشترى ستديو مصر من الأستاذ محمود كامل المحامى حق إخراج قصته الطويلة « حياة الظلام » وعهد بإخراجها إلى المخرج الشاب احمد بدرخان الذى بدأ العمل منذ أسبوع بعد أن اختار مجموعة فنية كبيرة لمعاونته

و « حياة الظلام » قصة عاطفية تعبر عن نوع غريب من الحب العاصف الذى ربط بين قلب ساذج بكر وقلب أثملته تجاريب الحياة الغرامية فامتلأ بالحب على أنواعه ومناحيه واستطاع أن يتفنن فى الخديعة ويحسن الزيف ولكنه خضع أخيراً واستسلم .. وهى أيضاً من نوع لم تألفه السينما المصرية إذ لم يستطع مخرج مصرى أن يقدم على طرق مثل هذا الموضوع والتفكير فى إخراجه خشية الرقيب والتقاليد فى الوقت الذى نرى فيه الشركات الأجنبية تفضل هذا الصنف من القصة العاطفية التى تتحدث عن « حياة الليل » وما نجاح « نانا » لأميل زولا ببعيد ...

وعهدت إدارة ستديو مصر إلى الهر شارفنبرج بعمل « الديكوراسه » كما سيسجل الصوت فيه مصطفى والى وعزيز فاضل ويقوم بعمل « المونتاج » جمال الدين مدكور . أما من اختيروا للتمثيل فهم مجموعة فنية على رأسها الممثل الكبير زكى رستم ومنسى فهمى . أولهما فى دور عبد الستار الشرقاوى ، والثانى فى دور الأب ، ثم عبد الفتاح القصرى ، وأنور وجدى الذى سيمثل دور

محمود الشيمى . ويأتى بعد ذلك دور احمد علوى بطل القصة وقد وقع الاختيار على وجه جديد ليقوم به ... أما الأدوار النسائية فقد أسندت إلى السيدة أمينة شكيب وفردوس محمد وروحية خالد. ولعله مما يهم بعض متتبعى قصص الأستاذ كامل أن يعرفوا أن « للمواويل » نصيباً فى فلمه ، وسيغنيها عبده السروجى ومحمد الكحلاوى ومطربة ناشئة اسمها آمال

رحلة الفرقة القومية

منذ زمن يرجع عهده إلى ما قبل انتهاء الدورة الأولى لهذا الموسم وإدارة الفرقة القومية تشيع أنها قد نظمت رحلة إلى الوجهين البحرى والقبلى والمحافظات « لإعطاء الشعب الفكرة المثلى عن المسرحية العالية النموذجية وللارتقاء بأفهام الجمهور » . ولكن الرحلة لم تتم وموعدها لم يحدد . وتساءل الناس هل عدلت الفرقة عن الرحلة أم أجلتها أم تراها فى هذه الأيام تستعد للدورة الثانية التى تبدأها فى الوقت الذى تقفر فيه القاهرة من مسارحها ؟

والواقع أن الإدارة غير المستقرة هى السبب فى كل هذا الارتباك وهى المسئولة عن تأجيل الرحلة وتعطيل العمل، وهى المسئولة أيضاً عن قرارها الذى صدر بتعيين موعد الرحلة وهو يوم ٢٠ الجارى إلى الوجهين حيث تمثل بعض المسرحيات المصرية الناجحة ... وبتأجيل هذا الموعد لسبب من الأسباب التى تراها بعينيها الناقدتين. وعلى أية حال سواء قامت الفرقة بالرحلة أم لم تقم فقد أعدت للدورة القادمة مسرحياتها وهى « عطيل » و « تلميذ الشيطان » و « المال والبنون » و « رسالة المرأة » ؛ وجميعها من إخراج فلاندر إلا « المال والبنون » فهى من إخراج جميعى

الى باريس

يعمل القسم الفنى فى شركة فنار فيلم تحت إشراف السيدة بهيجة حافظ للانتهاء من « مونتاج » النسخة الناطقة بالفرنسية من فيلم ليلى بنت الصحراء ، وقد يتم ذلك فى حوالى منتصف الشهر القادم إذ تكون النسخة قد أعدت « سالبة » وموجبة فتحملها بهيجة معها إلى باريس ليتم طبعها هناك

ولرب سائل يسأل عن السر فى اختيار باريس لطبع النسخة النهائية « ستاندرد » وبدورنا نقول له : إن هناك معامل تخصصت فى إجراء بعض عمليات تكميلية فنية لا توجد فى مصر؛ ثم إن شركة فنار فيلم ترى أن تقدم فلمها بعد إصلاحه على صورة جديدة تغاير الأولى بعض الشىء ، فمن ذلك أنها اعتزمت أن تقدمه ملوناً بالألوان الطبيعية وفضلت لذلك لونين هما Sepia et Rose Caprise وأضافت إليهما فى ذات الوقت اللون الأزرق الهادى

وستعرض النسخة الفرنسية أولاً فى باريس والبندقية ثم تسافر إلى أمريكا ، وفى هذا الوقت يكون الموسم السينمى الجديد القادم قد حل فتعرض فى مصر والأقطار الشقيقة والبرازيل وغيرها

مجنون ليلى

الحقيقة التى يجب أن أعترف بها أن الشقيقين بدر وابراهيم لاما من أنشط الشباب الذى يعمل فى السينما وأسرعهم إنتاجاً ، ولكن ... نتيجة ذلك الحتمية هى ضعف الإنتاج وعدم الإقبال عليه لأسباب عديدة يرجع أهمها إلى عدم وجود الدراية الكافية والاعتماد على شخصيات هزيلة ترضى بالتافه من النقود و ... قلة توفر المال اللازم لمثل هذه المشروعات

والحديث عن السقوط الشنيع الذى لقيه فلم إخوان لاما الأخير « ليالى القاهرة » يطول ويتفرع ... أجل يتفرع من مآس كتلك التى تمخض عنها خيال الأخوين وأحد المخرفين من أتباعهما إذ زين لهما ضرورة إخراج قصة « مجنون ليلى » على الستار وهى لعمرى جريمة فنية مزدوجة فيها جناية على اللغة العربية التى لا يعرفها أحد الأخوين ، وجناية على الفكرة السامية التى أخذها الناس عن القصة ، وجناية على الشعر الذى وكل أمر نظمه إلى أحد الذين يؤلفون لصالات الدرجة الثالثة فى شارع عماد الدين

وقدم الشقيقان لاما « سيناريو » مجنون ليلى إلى قلم المراقبة بوزارة الداخلية فأحسنت صنعاً بعدم الموافقة عليه (لضعفه و « سخافته » ! ومنعاً لإساءة تنسب إلى الخالد الذكر المرحوم شوقى بك) وكان طبيعياً أن يثور ابراهيم لاما محاولاً فى لهجته الغريبة أن يقنع القائمين بالأمر بأنه جدير بالقيام بأعباء هذا العمل وأنه على استعداد لتغيير اسم القصة وجعله « قيس ليلى »

والعقبات التى ذكرت يمكن تذليلها ، ولكن الشىء الوحيد الذى يجب أن يذكره الجميع هو أن يطالبوا بإيقاف هذين الأخوين عند حدهما ونصحهما بأن ما لديهما من ملابس بدوية سابقة لا يكفى لنجاح قصة شعرية لها مكانتها فى العالم العربى ، وأنهما إذ يحاولان إخراجها يسيئان إلى نفسيهما وإلى اللغة وإلى أفكار الناشئة

مورد يس

7me Année No. 299

Lundi - 27 - 3 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر المالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ٦ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

صفحة

المسلمون والإسلام

رســــالة الأزهر ...

دار الرسالة — والفضل لله — ملتقى مفكرى الإسلام العرب وغير العرب ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، يزورونها أول ما يزورون من معاهد الثقافة بالقاهرة ، فنتناقل الحديث ونتذاكر الرأى فى موقف المسلمين اليوم من قراع المذاهب ، وصراع القُوى، واهتلاك الدول فى التسلح بالعلم والدعاية والعدة، واحتفاز الأمم فى التقوّى بالتعلم والعمل والانتاج ، فنتبين من وراء الحديث أن الإسلام فى غير بلاد العرب خِلْط عجيب من العقيدة السالفة، والصوفية الزائفة، والأساطير الموزونة، والتفاسير الخاطئة؛ ثم استحال هذا الخلط على تراخى الزمن وانقطاع الصلة واستعجام اللسان إلى مُرْقد يعوق عن السعى ، ويمنع من النظر ، ويصد عن الفكر ، ويذهل شاربيه عن حركة الوجود وسير الفلك. فالمسلمون فى ألبانيا ويوغوسلافيا من بلاد المغرب ، وفى الصين وجزائر الهند من بلاد المشرق، يتميزون عن مواطنيهم بزهادة كالبلادة ، وجهالة كالموت ، وتوكل كالتواكل ؛ ويتوهمون أن الإسلام ليس من شأنه الدنيا ، وأن المسلم ليس من همه المادة ، وأن ما هم فيه من رَنَق العقيدة وظلام الفكر وخَدر الشعور إنما هو روح الدين ورضا الله وطريق الجنة . ثم لا يعدمون أن يجدوا مصدقاً لما يزعمون

فيما يقرأون من الأحاديث الموضوعة والأخبار المصنوعة والأقوال الملفّقة. فإن من محن الإسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه، أن امتزجت به كل نحلة، وسرت إليه كل علة، وترامت فيه كل حالة؛ فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعداده ويناسب فهمه. وإذا كان ذلك حاصلاً بين العرب وهم أصحاب الدين وأهل اللغة، فما ظنك بغيرهم ممن بلغتهم الدعوة مترجمة عن طريق الفرس أو عن طريق الترك بالتجارة أو بالفتح؟

لقد عصفت بالعالم كله عواصف هوجٌ من السياسة والاقتصاد فلم تدع فيه ساكناً إلا حركته، ولا بالياً إلا جرفته؛ وكان لا بد للعالم الإسلامي أن يهب على دوى هذه الزعازع، فنهض شبابه يستعدون بعدة الناس، ويتجهزون بجهاز العصر؛ ولكن شيوخه الوانين أخذوا يعوّقونهم عن الأهبة والسعي بكلام ينسبونه إلى الله والله منه برىء. ثم كان من أثر تلك الهبّة العامة وهذه الحالة الخاصة أن نفر من كل قطر من أقطار الأرض طائفةٌ من شباب الإسلام إلى مصر ليتفقهوا في الدين ويتضلعوا من اللغة وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، فيكونوا شهادة صادقة لحقيقة الإسلام، وقدوة صالحة لنهضة أهله

* * *

ومصر اليوم وقبل اليوم هي بفضل الأزهر موئل اللغة ومعقل الدين ومشرق الهداية. والأزهر على الرغم مما يؤخذ عليه هو بفضل ما مكن الله له في التاريخ، وهيأ له من الموضع، وأتاح له من المال، أقدر على تبليغ الرسالة العظمى، وتوجيه الأمة الكبرى، وتصحيح العقيدة العليا، إذا صدق رجاله الجهاد، وأخلصوا النية، وأحسنوا العمل، وذكروا أنهم جنود الله يرمى بهم العدو في كل وقت وفي كل أرض وفي أي صورة، فيعيشون للموت كالجند، ويعملون للحياة كالقادة، ويعزفون عن الدنيا كالرسل. والإمام المراغي هو في رأينا خير من يضطلع بما يفهم المثقفون من رسالة الأزهر إذا لم ينله ما نال الأستاذ محمد عبده من اضطراب الريح حول مصباحه، وانبثاث العوائق الحازلة أمام إصلاحه؛ فإنه من أفهم الناس لمعنى الدين وروح العصر ومقتضى الحال.

ورسالة الأزهر التي يريدها الله ويرجوها الناس هي:

١ — تنقية الإسلام من العقائد الواغلة والمذاهب الباطلة والعادات الدخيلة. وسبيل ذلك أن يفسَّر القرآن على هدى الرواية الصحيحة، وفي ضوء العلم الحديث، تفسيراً يجمع بين ما صح من أقوال السلف، وما صلح من آراء الخلف؛ ثم يؤلف في الحديث كتاب جامع لما لا ريب فيه من الكتب الصحاح، ويستعان على شرحه وتبويبه بعلوم التاريخ والاجتماع والأخلاق والفلسفة؛ ثم يصنف في الفقه كتاب شامل على المذاهب الصحيحة يوضع متنه موادَّ كالقانون، ثم يشرح شرحاً فنيًّا يستوعب أصوله، ويستقصي فروعه، في غير حشو ولا استطراد ولا تعمية. ثم تكون هذه الكتب الثلاثة المطولة مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى؛ فتقرر في الأزهر، وتنشر في الجمهور، وتترجم إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب؛ ثم ترسل إلى كل بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه. أما ما عدا ذلك من الكتب، فما كان صحيحاً بقي في المكاتب بقاء الآثار في المتاحف، يرجع إليه الإخصائي والمؤرخ؛ وما كان زائفاً صنع به ما صنع عثمان بكل مصحف غير مصحفه

٢ — إعداد الوعاظ والدعاة من أهل اللسَن والخلق والورع، وإمدادهم بالثقافة الحديثة واللغات الحية، وإيفادهم إلى الأمم الإسلامية البعيدة عن مهبط الوحي وموطن العروبة. ويدخل في ذلك العناية اليقظة بالبعثات الإسلامية في الأزهر، فإنهم أقدر من غيرهم على إرشاد قومهم باللغة والقدوة والنفوذ

٣ — جعل اللغة العربية لغة المسلمين كافة، فيكون لكل مسلم في الأرض لغتان: لغة لوطنه الأصغر، ولغة لوطنه الأكبر. والوسيلة أن تحمل المشيخة أقطاب الرأي في البلاد الإسلامية، بالمفاوضة أو بالائتمار، على أن يجعلوا تعلم اللغة العربية والتكلم بها إجبارياً في مراحل التعليم المختلفة، وأن تتكفل بإرسال المعلمين من المتخصصين في الأزهر، فإن في شيوع العربية بين المسلمين تمكيناً لفهم الدين وتثبيتاً لمعنى الأخوة

* * *

ذلك ما يجب أن يقوم به الأزهر؛ وذلك ما يضمن للاسلام الجِدَّة، ويكفل للمسلمين الوحدة، ويجعل للرأي المحمدي سلطاناً يُخشى في الحرب ويُرجى في السلام

احمد حسن الزيات

رقص ورقص

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان شتاء هذا العام فى القاهرة موسماً عامراً بالمتعة الفنية التى تنتقل إليها .

شوهد فيه معرض التماثيل الفرنسية ، وشوهد فيه معرض بل معارض شتى للصور المصرية ، وشوهد فيه تمثيل فرقة من أحسن الفرق الانجليزية لروايات من أحسن الروايات القديمة والحديثة ، وشوهد فيه أو سمع فيه شريط شامل لأغانى الموسيقار العظيم جوهان شتراوس ، الذى يقال بحق إنه أرقص الكرة الأرضية فى مدارها ؛ إذ لم يبق فى المغرب ولا فى المشرق إنسان يرقص على الأنغام الفنية المهذبة إلا وقد رقص على أنغام جوهان شتراوس .

عازف عظيم تفيض ألحانه بالمرح والطرب والشباب والحياة . بلغ مبلغ القادة أصحاب الفرق وهو فى الحادية والعشرين ، وعزف للملوك والملكات فغلبهم على وقار العرف ، ووقار العرش ، ووقار السن ، فى كثير من الأحيان . ومات فى التاسعة والأربعين عن مئات من أدوار الرقص على اختلافه ، وخرج من العاصمة الانجليزية قبيل موته فى أسطول من الزوارق التى تحييه بالغناء والهتاف ... وأوصى بعد كل هذا النجاح وكل هذا الطرب وكل هذا السرور الذى أمتع به الناس . فبماذا أوصى ؟

بأعجب ما يخطر على بال ... أوصى ألا يتعلم أبناؤه الصناعة الموسيقية أبداً ، وأن يختاروا ما شاءوا من الصناعات إلا صناعة أبيهم ... فأنبأنا بذلك نبأ ليس بالجديد ، وإن كان لنسيان الناس إياه قد يحسب من الجديد الغريب : ذلك أن حياة الفن حياة فداء لأنها حياة فتوح . فما من فنان عبقرى إلا وهو فاتح بمعنى من معانى الفتح والجهاد ؛ وكل جهاد فداء ، وكل فداء فيه ألم محقق ، وللنصر بعده سرور مشكوك فيه ، لأنه سرور يتمناه من قد حرمه من النظارة المتفرجين ... أما صاحبه فقلما يحسه من قريب .

على أن أبناءه قد خيبوا حنانه وإن لم يخيبوا ظنه ، فقد نشأوا جميعاً موسيقيين ناجحين مشهورين ، وأوشكت أعمالهم أن تلتبس بأعمال أبيهم ، ولم نسمع أن أحداً منهم أوصى بمثل وصيته فى ساعة الوفاة ، ولم نسمع بأعقاب لهم فى عالم العزف والغناء !

***

كانت الليلة التى قضيناها فى سماع « شتراوس » من ليالى الفن النادرة ؛ وكانت دار الصور المتحركة مكتظة بالسامعين ؛ وكان تسعة أعشارهم من الأوربيين ، والعشر الباقى من المصريين الذين لا يسيغون ما يساغ من ذلك الغناء الشائع فى بلادنا ، إن صحت تسميته بالغناء .

وسألنا أنفسنا : أين يختلف الفنان وهما على حسب الفروض أو المظنون من معدن واحد ؟

إن موسيقى شتراوس إحدى الموسيقات التى يصح أن تسمى غنائية بسيطة تمييزاً لها من الموسيقى العويصة المركبة التى يريدها عشاق فاجنر ، أو الموسيقى العقلية الصافية التى يذيعها فى هذا العصر ستافنسكى الروسى Stavinsky ؛ فإذا كانت هذه الموسيقى الغنائية لا تساغ فى مصر فما الفارق بينها وبين موسيقى الغناء الشائع بين الجمهرة « السامعة » من سواد المصريين ؟

الفارق أنك لا تستطيع أن تضع موسيقى شتراوس على لسان حيوان .

فهى تمثل المرح ، ولكنه مرح الفكر الإنسانى حين ينشط فيملى نشاطه على الحواس والأعضاء .

فالراقص على أنغام شتراوس إنما يرقص لأن له نفساً إنسانية قد شاع فيها السرور فنهضت بالجسم الذى هى فيه إلى الحركة الموزونة والنشاط المنسوق .

أما المرح الذى تمليه الأغانى السقيمة عندنا فهى تمثل الحيوانية كما مسخها الإنسان حين استغرقها كلها فى الشهوة والخلاعة ، والحيوان لا يعرف الخلاعة فى الشهوات كما يعرفها الإنسان الممسوخ

ومرقصات شتراوس لا تخلو من بعض الشجا وبعض الأنين ولكن أى شجا ؟ وأى أنين ؟

شجا إنسان وأنين إنسان .

أما هذه الشكايات التى نسمعها فى الأغانى السقيمة فليس فيها قط ما يستكثر على حيوان .

فإن الحيوان ليحس الانقباض ويحس الألم ، وإذا ضرب أو سقم فترجمت شكايته كلاماً عربياً فليس بالكثير عليه أن يقول « آه » وأن يذكر اللوعة والسهر والصيام عن النوم والطعام

أما الأنين الذى يريك فكراً يتألم ، أو يريك معنى إنسانياً فى حالة الشكاية والقنوط ، فذلك شىء مختلف جد الاختلاف عن هذه الكلمات التى لا تعدو أن تكون صرخات حيوان ، مترجمة إلى عبارات الإنسان

***

ومن الظلم للفن أن نطلق اسم الفنون على هذه الأغانى المرقصة التى تهتز لها أعطاف بعض السامعين فى الأقطاب الشرقية

فالحق أنها نقيض الفنون فى جوهرها المشترك بين جميع المعانى الفنية

لأن الجوهر المشترك بين جميع المعانى الفنية هو تغليب الفكرة على المادة ، أو سيطرة المعانى على الأشكال

فالرخام مادة تتغلب عليه فكرة الفنان فإذا هو مثال لمعنى من معانى الجمال

والكلمات مادة مبعثرة تتغلب عليها فكرة الشاعر أو الكاتب فإذا هى وحى ناطق بأحاسيسه ومعانيه

والجسم مادة تتغلب عليه الحركة الموزونة فإذا هو رقص يريك كيف تساق الأعضاء فى مطاوعة الألحان والأصداء ، وكيف تخضع الأجسام لإملاء النظام والرواء

كل فن فهو فكرة غالبة على مادة ، أو معنى غالب على شكل ، أو فوضى ممثلة فى صورة جميلة

فما هى المرقصات التى تهز الأعطاف بين جمهرة السامعين من سواد الشرقيين

هى نقيض ذلك

هى غلبة الجسدى على المعنوى ، وهى طغيان المادية على المطامح الإنسانية ، وهى انقياد وليست هى بإخضاع وترويض وتنظيم

هى الشىء الذى يذهب سفلاً حين يذهب الفن صعداً ، وهى الفتور الذى يهبط بالأجسام إلى مهاوى الشهوات ، وليست هى بالنشاط الذى يطير بالأجسام فى فضاء المرح والطلاقة

وقد تسف وتنحدر من سماء شتراوس إلى حضيض «الجازبند» الذى لا شك فى غلبة الشهوات عليه ، فهل من عين بصيرة يغم عليها الأمر فلا تبصر الفارق بين شهوات الجازبند وشهوات المرقصات المعهودة فى هز الأعطاف وتحريض النزعات ؟

الجازبند مرح جسدى ، ولكنه مرح حيوان صحيح ممتلىء برغبات الحياة يصول فى حركة حية لا تعرف الإعياء

أما « هز الأعطاف » المعهود فهو مرح جسدى أيضاً ولكنه يذهب بصاحبه إلى السرير ولا يندفع به اندفاع الحيوان القوى السليم

وفرق بين حيوان فى سلامة الحيوانية ، وحيوان يضاف إليه مسخ الإنسانية، ولا يظفر من الحيوانية بالصحة واستقامة الفطرة

فرق بين رقص شتراوس ورقصنا ، بل فرق بين رقص الجازبند ورقصنا ، لأن رقص شتراوس معنى إنسانى ، ورقص الجازبند فطرة حيوانية ، ورقص الأغانى المبتذلة عندنا قد خلا من أجمل ما فى الإنسان ، وأجمل ما فى الحيوان ، وجمع المسخ والتشويه فى هذا وذاك

***

لم يكن شأننا كذلك فى الزمن القديم ، لأننا نرى على المعابد الفرعونية صور الراقصات والراقصين ، ونرى فى الريف المصرى مثالاً متخلفاً من رقص الرجال والنساء ، فلا نجد فى هذه المناظر المرسومة أو المشهودة خلاعة ولا شهوة ممسوخة ، بل نجد فيها جميعاً ما أسلفناه من غلبة المعانى وانقياد الأجساد ، أو نجد فيها صحة الفطرة واستقامة البنية الحيوانية . ولا ندرى متى نعود إلى ما كنا عليه ، أو متى ندين بدين الفن الجميل فى تغليب النظام على الفوضى، والفكرة على المادة، والمعانى الإنسانية على الدوافع الجثمانية. ولكننا ندرى أننا عجزنا زمنا طويلاً عن إخضاع أجسادنا لأفكارنا أيام كنا بأجسادنا وأفكارنا خاضعين لغيرنا ... فقد حان إذن موعد الخلاص من قيودنا ، ولن تزال فينا بقية من قيود الأسر والاستعباد، ما بقيت الفنون عندنا فنون أجساد أو فنون استسلام وانقياد .

عباس محمود العقاد

أما لهذا الليل من آخر؟

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

إن المسلمين اليوم فى ليل أليل لم يبق بأيديهم من مجد آبائهم إلا الذكرى، ولا يكاد يبقى فى قلوبهم من عزة دينهم إلا القليل. لكن العجيب أن هذا القليل كلما بدأ ينمو ويشتد كما تنمو الحبة فى الأرض الطيبة إذا أصابها غيث، نجم للدين من بين من أنعم الله عليهم من أهله بنعمة البيان من يصرف بيانه فى ما من شأنه أن يعوق ذلك النمو. وليس يهم أكان ذلك عن قصد أم عن غير قصد فإن النتيجة للمسلمين واحدة فى الحالتين

ومن أقرب الأمثلة لهذا وأغربها الكلمة التى أرسلها على الناس الكاتب المعروف الأستاذ توفيق الحكيم من برجه العاجى فى رسالة هذا الأسبوع. فقد كتب يعجب مما سماه قيام القيامة فى الجامعة «ضد كتابين قيمين» لاشتمالها على طعن فى الإسلام، ويزعم أن هذا الذى سماه فزعاً من كل كلمة تمس الإسلام أكبر مسبة لهذا الدين العريق العميق، لأنه يوهم أنه دين ضعيف يخشى عليه من طعن الطاعنين مع أنه دين متين ثبت على الأحداث فلا خطر عليه من كتاب يؤلف أو عبارة تقال طعناً فيه. ثم يمضى فيعرب عن دهشته أن يكون مظهر هذا الفزع فى الجامعة التى فيها شباب «انغرست فى قلبه العقيدة الحارة فلا خوف الآن عليه من مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية» ويختم بقوله إن صحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق لتكتسب المناعة، ولا خير لها فى أن تحاط ببيت من زجاج

هذا ما قاله الأستاذ توفيق الحكيم كأحسن ما نستطيع أن ننصفه به فى التلخيص.

أنه أولاً يكتب من غير أن يعرف فيما يبدو حقيقة المسألة التى يكتب فيها. لأن المسألة فى أحد شقيها على الأقل ليس فيها شىء يتعلق بمناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية، لأن أحد الكتابين المشكو منهما على الأقل ليس بكتاب مسائل عقلية تدرس وتناقش فى جو من الحرية أو من غير الحرية ولكنه قصة كبعض قصصه هو ورد فيها ذلك الطعن المجوج على لسان بعض أشخاصها. فليت شعرى كيف فات الأستاذ توفيق الحكيم معرفة ذلك حين كتب عن «مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية»؟ أم كيف، وقد عرفه، فاته أن ينصف الطلبة حين شكوا من ذلك الكتاب؟

ثم هو فيما يظهر لا يحمل الناس سواسية فى حرية القول والتفكير التى يدعو إليها، وإلا فلماذا لا يترك للطلبة الحرية فى أن يشكوا من الشكوى أو حلوها ويقيموا القيامة إذا شاءوا على كتابين يطعنانهم فى شىء يعزونه ويقدسونه ولا يريدون أن يسمعوا فيه طعناً ولا تجريحاً؟ أفمن الحرية أن يقرر فى الجامعة من قرر دراسة ذينك الكتابين، ولا يكون من الحرية أن يشكو الطلبة منهما كى يستبدل بهما غيرهما من الكتب الأدبية الراقية الكثيرة الخالية من الطعن فى الإسلام؟ أفيعاب الطلبة أو الشباب ذوو «العقيدة الحارة» أن يغضبوا لدينهم فيأبوا أن يقرأوا طعناً فيه، ويطالبوا بتحقيق المصلحة لهم من غير إلحاق مضرة بهم فى الدين، ولا يعاب من اختار ذينك الكتابين للدراسة عن جهل بما فيهما أو عن استهانة بالشعور الدينى فى المسلمين؟

إن الذى يقرأ كلام توفيق الحكيم يظن أن الطلبة أكرهوا على ترك كتابين حبيبين إليهم خوفاً على الدين فى نفوسهم من طعن ورد فيهما، ويفهم أن الكاتب يشير إلى أن هناك تعدياً على حرية التفكير والدرس باسم الدين. والأمر بالعكس، فحرية التفكير والدرس تقضى بألا يدرس ذانك الكتابان فى الجامعة لأن الذى سخطهما هم الطلبة الذين يريد توفيق الحكيم لهم حرية الدرس والتفكير. فهل حرية التفكير والدرس عند توفيق الحكيم ليس معناها حرية الدرس والتفكير؟ إن الطلبة هم الذين شكوا أولاً إلى الأستاذ وأبلغ الأستاذ شكواهم إلى العميد، فلما لم يشكهم العميد اعتماداً على ما يعتمد عليه توفيق الحكيم من أن الدين لا خطر عليه جهروا بشكواهم للجرائد، فاهتم بالأمر شيخ الأزهر ووزير المعارف وكان أن سحب الكتابان. فإذا كانت هذه قيامة فمن الذى أقامها؟ مَن طلب تغيير الكتابين فى هدوء بالطريق

القانونى أم من أبى عليهم ذلك التغير برغم كثرة الكتب الأدبية القيمة البريئة من الطعن فى الدين ؟

إن المناعة فى العقيدة التى يطلبها الأستاذ الحكيم للطلبة وللناس هى بالفعل عند هؤلاء الطلبة الذين أبوا ذينك الكتابين. وما هى المناعة فى العقيدة إن لم تكن هذا الإباء إباء الإصغاء للطعن فى الدين من غير موجب ولا داع ؟ وما هى إن لم تكن إقامة القيامة على كل ما يسئ إلى الدين فى النفوس ؟ إن أول ما يفعله الجسم امتناعاً على الأمراض هو ألا يسمح لجراثيمها بدخول الجسم إن أمكن . ومن هنا تجمد الدم أو محاولته أن يتجمد على الجرح ليسده دون الجراثيم . ومن هنا المصفِّيات والمطهرات المختلفة فى مداخل الهواء والغذاء إلى الأجسام . أما إذا دخلت الجراثيم فليس للجسم وسيلة إلى الامتناع منها إلا شن الغارة عليها وإقامة القيامة ضدها على حد تعبير الأستاذ توفيق الحكيم . وهذا بالضبط هو ما فعله الطلبة حين أحسوا من ذينك الكتابين بالجراثيم التى تهدد صحة العقيدة والدين فيهم . وقد كتب الله لهم النصر فى الدور الأول من أدوار الامتناع والكفاح فسدوا الجرح الذى يمكن أن تدخل منه تلك الجراثيم ، وكفاهم بذلك الحاجة إلى كفاح تلك المطاعن بعد دخولها فى النفوس

ومن العجيب أن يشبه الأستاذ الحكيم قراءة المطاعن الدينية وعلاقتها بصحة العقيدة بالمعيشة فى الهواء الطلق وعلاقتها بصحة الجسم . إنه تشبيه مقلوب على أقل تقدير . ولا ندرى كيف أمكن أن يغيب خطؤه وخطله عن مثل الأستاذ ! إنه لا يستقيم إلا إذا كان تعريف الهواء الطلق عنده أنه الذى تكثر فيه الغازات الفاسدة والجراثيم . فإذا لم يكن هذا تعريف الهواء الطلق عنده فإنا نرجو أن يرى بُعد ما بين تنفس الهواء الطلق وقراءة المطاعن الدينية ، كما نرجو أن يرى فى ضيق صدور الطلبة بما فى الكتابين من مطاعن دليلاً على فساد جوهما الروحى ، كما يدل على فساد الهواء ضيق الصدور به عند المتنفسين

لكن لعل أعجب ما فى مقال الأستاذ الحكيم جعله متانة الإسلام وثبوته على أحداث الزمان وسيلة إلى استئناس الناس لاستماع الطعن فيه بحجة أنه لا خطر على الإسلام من طعن الطاعنين؛ فإذا أبى الناس أن يستمعوا الطعن طاعن وغضبوا لدينهم عدّ ذلك

من برجنا العاجى

القوة الحقيقية للرجل هى أن يستطيع أن : « يقول ما يريد وقتما يريد أن يقول » . والرجولة الحقيقية هى أن يبذل المرء دمه وماله وراحته وهناءه ودعته وطمأنينته وأهله وعياله وكل أثير عنده وعزيز عليه فى سبيل شىء واحد : « الكرامة » . والكرامة الحقيقية هى أن يضع الإنسان نفسه الأخير فى كفة وفكرته ورأيه فى كفة ، حتى إذا ما أرادت الظروف وزن ما فى الكفتين رجحت فى الحال كفة رأيه وفكره . كل عظماء التاريخ كانوا كذلك . بل إن مصر الفقيرة اليوم فى العظماء قد عرفت ذات يوم رجالاً من هذا الطراز. رجال لم يترددوا فى تضحية كل شىء من أجل فكرة ، والنزول عن كل متاع من أجل رأى . بمثل هؤلاء الرجال ربحت مصر كثيراً فى حياتها المعنوية والفكرية . بل إنى لا أبالغ إذا قلت إن الأمم لا تبنى ولا تقوم إلا على أكتاف هؤلاء . وإن الخطر المخيف هو يوم تخلو أمة من أمثال هؤلاء . نعم . وإنه ليخالجنى الآن شىء من القلق إذ أنظر حولى فلا أكاد أرى فى مصر أثراً لهذه الفئة العظيمة . فناموس اليوم هو وطء الفكرة بالأقدام ركضاً خلف الجاه الزائف والمال الزائل ، وإنكار الرأى والجبن عن إعلانه حرصاً على الراحة وإيثاراً للطمأنينة . وهكذا قد خلت صفحة تاريخنا من أسماء العظماء هذه السنوات ، وعجت بلادنا بأصحاب الألقاب وحملة الشارات وراكبى السيارات ! وحق لنا جميعاً أن نسأل هذا السؤال : ما هى المعجزة التى تنهض هذا البلد وهو على هذا الخلق ؟ ! وهل يطول غضب الله علينا فلا يظفرنا بعظيم من هؤلاء العظماء الذين يستطيعون أن يردوا الاعتبار إلى قيمة الرأى ، ويطهروا النفوس من درن المادة ، ويعيدوا المثل العليا النبيلة إلى مجدها القديم ، ويرتفعوا بالأمة كلها فى لحظة إلى سماء الخلق العظيم ! إذا حدث ذلك فقد نجونا . وإذا لم يحدث ذلك فلا شىء ينتظرنا غير انحلال أكيد ، وهبوط إلى مرتبة العبيد .

توفيق الحكيم

الغضب منهم فزعاً ، وقال : إن هذا الفزع أكبر سبة لديننا العريق العميق . هذا غريب من القول وعجيب من الاستدلال . إن الإسلام متين ثابت حقاً ، لكن متانته وثبوته لا يمكن عند المنطق السليم أن يكونا مبرراً لترك خصومه يعملون المعاول فيه اتكالاً على أنها لا تضره . إنها لا تضر مبادئه وأصوله فى ذاتها ولكنها تضره فى نفوس أهله الذين لا يهبُّون لدرء الأذى عنه حين يرون خصومه جادين فى الاستهزاء به والطعن عليه. إن الذى يصيبه الأذى بالسكوت على الطعن فى الدين هو التدين فى نفس المتدين الساكت . وإذا استمر على السكوت فسيسلمه من غير شك إلى الهلاك

ولست أدرى كيف غاب عن الأستاذ الحكيم أن المسلمين لو كانوا راضوا أنفسهم منذ بدء الإسلام على ما يريد الآن أن يروضهم عليه من السكوت على الطعن فى الدين ما ثبت الإسلام للأحداث ذلك الثبوت الذى يتخذه الآن حجة يخطئ بها الناس فى غضبهم للدين . ولماذا نذهب به بعيداً ؟ لنفرض أن المطعون فيه من غير عقل ولا روية هو توفيق الحكيم وفنه ومقدرته . ولنفرض أننا خاطبناه بما يخاطب به الناس فطلبنا إليه ألا يغضب ولا يدفع عن نفسه ولا يدع أحداً من أنصاره يغضب له أو يدفع عنه ، لأن فنه ظاهر العبقرية فلا خطر عليه من طعن طاعن مبطل ، ولأن الغضب والدفاع يوقعان فى الوهم أن فن توفيق الحكيم ضعيف لا يثبت على الطعن والتجريح ؛ ولنفرض أنه وأنصاره عملوا برأيه هذا فلم يغضبوا له ولم يدفعوا عنه ، ماذا يبقى على هذا من فن توفيق الحكيم أو صيته بعد قليل ؟ لا شيء . فسيألف الناس حتى أشدهم تعصباً له سماع القالة فيه ، وسيهون أمره عليهم بالتدريج حتى يدخل عليهم الريب فى أمره ويسلمهم الريب إلى تصديق كل ما قيل فيه

على أن الناس ، مهما فاتهم بتغيير رأيهم فى توفيق الحكيم من نعمة التسلى بفنه وقصصه ، سيظلون هم الناس لم يمسس أرواحهم خطر ولا سوء . لكن ليس الأمر كذلك إن هم ألفوا الطعن فى الدين وصاروا إلى الرضا به والسكوت عليه . إنهم سيهلكون حتماً فى الآخرة إن لم يهلكوا فى الدنيا ، أو على الأقل هكذا يعتقد الناس . وسيعتقد ذلك معهم توفيق الحكيم حين يقرأ ما قرأوا من قوله تعالى : (وقد نزّل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . إنكم إذن مثلهم . إن الله جامع الكافرين والمنافقين فى جهنم جميعاً .)

والقيامة التى قال توفيق الحكيم إنها قامت ضد الكتابين فى الجامعة ليست بأكثر ولا أقل من إصرار الطلبة على تغيير الكتابين المستهزأ فيهما بدين الله بآخرين ليس فيهما استهزاء . فماذا فى طلبهم هذا يا ترى مما يجعل مثل الأستاذ الحكيم يسميه قيامة ويرسل من أجله سهامه على الناس من برجه العاجى؟

على أنه سواء أقامت القيامة بعملهم ذلك أم لم تقم فإن الطلبة الذين استجابوا لصوت ضميرهم فى ذلك إنما كانوا عاملين بتلك الآية الكريمة من حيث علموها أو من حيث لم يعلموها ، فهم فيما عملوا كانوا من غير شك على صواب . وسيجزيهم الله خير الجزاء من فضله على ما جاهدوا فى سبيل الإسلام .

محمد احمد الغمراوى

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

أمثلة من النقد فى الأدب العربى [1]

١ — نقد الجزئيات :

قال امرؤ القيس فى فرس :

وأركب فى الروع خيفانة كسا وجهها شعر منتشر

فقال النقاد: هذا غلط فى مدح الخيل لأن انتشار الشعر على الوجه عيب فيهن

وقال زهير فى الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل
على الجذوع يخفن الغم والغرقا

فقالوا : هذا جهل بطبيعة الضفادع فإنها لا تخاف الغرق

وقال أبو ذؤيب الهذلى يصف فرساً :

قصر الصبوح لها فقصر لحمها بالنى فهى تثوخ فيها الأصبع

قال الأصمعى : حمار القصار خير من هذا . وإنما يوصف الفرس بصلابة اللحم

وقال أبو تمام :

ألذ من الماء الزلال على الظما وأطرف من مر الشمال ببغداد

أخذ عليه القاضى الجرجانى أنه جعل الشمال طرفة فى بغداد ، وهى أكثر الرياح هبوباً بها ... الخ

فهذه أمثلة من الغلط فى طبائع الأشياء

وقال أبو تمام :

اسق الرعية من بشاشتك التى لو أنها ماء لكان مسوسا
إن البشاشة والندى خير لهم من عفة جست عليك جوسا
لو أن أسباب العفاف بلا تقى نفعت لقد نفعت إذاً إبليسا

قال القاضى الجرجانى : فليت شعرى لو أراد هجوه ، وقصد الغض منه هل كان يزيد على أن يذم عفته ويصفها بالجوس والجمود وهما من صفات البرود والثقل ثم يختم الأمر بأن يضرب له إبليس مثلاً ويقيمه بإزائه كفواً ؟

(١) جمعنا هذه الأمثلة تيسيراً على الباحث ويحسن الرجوع إلى الكتب المبينة فى هذا الفصل

وقال أبو الطيب فى مطلع قصيدة :

وفاؤكما كالربع : أشجاه طاسمه
بأن تسعدا ، والدمع ، أشفاه ساجمه

وقال القاضى الجرجانى : ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة والتعقيد المفرط فيشك أن وراءها كنزاً من الحكمة ، وأن فى طيها الغنيمة الباردة ؟ حتى إذا فتشها وكشف عن سرها وسهر ليالى متوالية فيها حصل على « أن وفاءكما يا عاذلىّ بأن تسعدانى إذا درس شجانى ، وكلما ازداد تدارساً ازددت له شجواً كما أن الربع أشجاه دارسه » . فما هذا من المعانى التى يضيّع لها حلاوة اللفظ ، وبهاء الطبع ، ورونق الاستهلال ، ويشحّ عليها حتى يهاهل لها النسج ويفسد النظم ، ويفصل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه ، ويقدم ويؤخر ، ويعمى ويُعوص . ولو احتمل الوزن تركيب الكلام على صحته فقيل : وفاؤكما بأن تسعدا أشجاه طاسمه كالربع . أو وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه . لظهر هذا المعنى المضنون به المتنافس عليه ... الخ

وقال المتنبى فى مدح سيف الدولة :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة وثغرك وضاح ووجهك باسم

فقال سيف الدولة : ينبغى أن تطبّق عجز (البيت) الأول على الثانى وعجز الثانى على الأول وأنت فى هذا مثل امرىء القيس فى قوله :

كأنى لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروىّ ولم أقل لخيلى كرّى كرّة بعد إجفال

قال المتنبى : أدام الله عز مولانا ؛ إن صح أن الذى استدرك هذا على امرىء القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا . ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفصيله ؛ لأنه أخرجه من الغزليّة إلى الثوبيّة؛ وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر بالشجاعة فى منازلة الأعداء .

وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ؛ ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد فى المعنى .

٢ — ومن قولهم فى نقد الشعراء :

كان النابغة أحسن الناس ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأذهبهم فى فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة ، ومدحا وهجاء وفخرا وصفة .

وروى أن عمر بن الخطاب قال: أنشدونى لأشعر شعرائكم. قيل: ومن هو ؟ قال: زهير. قيل: وبم صار كذلك ؟ قال: كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه .

وفى الشعر والشعراء : كان أوس بن حجر عاقلاً فى شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق وهو من أوصفهم فى الخمر والسلاح ولا سيما القوس . وسبق إلى دقيق المعانى وإلى أمثال كثيرة .

وقال الجرجانى :

« ولو تأملت شعر أبى نواس حق التأمل ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه وعددت منفيه ومختاره لعظمت من قدر صاحبنا (يعنى المتنبى) ما صغرت ، ولأكبرت من شأنه ما استحقرت ، ولعلمت أنك لا ترى لقديم ولا لمحدث شعرا أعم اختلافا وأقبح تفاوتا ، وأبين اضطرابا ، وأكثر سفسفة ، وأشد سقوطا من شعره » يعنى أبا نواس .

وفى العمدة :

« وقال بعض من نظر بين أبى تمام وأبى الطيب : إنما حبيب كالقاضى العدل ، يضع اللفظة موضعها ، ويعطى المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع يتحرى فى كلامه ويتحرج خوفا على دينه .

وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، أو كالشجاع الجرىء يهجم على ما يريد. لا يبالى مالقى ولا حيث وقع »

٣ — ومن قولهم فى تأثير البيئة فى الأدب قول الجرجانىّ :

« ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك (الخشونة والجفاء) ولأجله قال النبى صلى الله عليه وسلم : من بدا جفا . ولذلك تجد شعر عدىّ وهو جاهلى ، أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة وهما إسلاميان لملازمة عدىّ الحاضرة ، وإيطانه الريف ، وبعده عن جلافة البدو ، وجفاء الأعراب .

وقال ابن رشيق :

« قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن فى وقت ما لا يحسن فى آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند غيره؛ ونجد الشعراء الحذّاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد ألاّ تخرج من حسن الاستواء وحدّ الاعتدال وجودة الصنعة »

« فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادى إلى القرى؛ وفشا التأدب والتظرف ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله وعمدوا إلى كل شىء ذى أسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمعاً وألطفها من القلب موقعاً .. وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة الطباع والأخلاق ، فانتقلت العادة وتغيّر الرسم وانتسخت هذه السنة الخ »

٤ — ومن قولهم فى الطبع والخلق وأثرهما فى الأدب قول الجرجانىّ :

« ثم قد تجد الرجل شاعراً مفلقاً ، وابن عمه وجار جنابه ، ولصيق طُنبه بكيا مُفحَما ، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر ، والخطيب أبلغ من الخطيب . فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة ؟ وهذه أمور عامة فى جنس البشر ، لا تخصيص لها بالأعصار ، ولا يتصف بها دهر دون دهر

«وقد كان القوم يختلفون فى ذلك فتتباين أحوالهم ، فيرق شعر أحدهم ، ويصلب شعر الآخر ؛ ويسهل لفظ أحدهم ، ويتوعر منطق غيره . وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامَة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة

وأنت تجد ذلك ظاهراً فى أهل عصرك وأبناء زمانك . وترى الجافى الجلف منهم كزّ الألفاظ، معقّد الكلام، وعر الخطاب، حتى أنك ربما وجدت ألفاظه فى صورته ونغمته، وفى جرسه ولهجته»

٥ — ومن قولهم فى طرائق البيان :

قال القاضى الجرجانى : « ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحد ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ؛ وأرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعانى فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ؛ بل ترتّب كلاّ مرتبته ، وتوفيه حقه ؛ فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام . فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه . وليس ما رسمته لك فى هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة ، ولا بمختص بالنظم دون النثر .

بل يجب أن يكون كتابك فى الفتح والوعيد خلاف كتابك فى التشوّق والتهنئه واقتضاء المواصلة ، وخطابُك إذا حذّرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت .

فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس . فأما القذف والإفحاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم »

وقال ابن رشيق فى العمدة :

«يجب للشاعر أن يكون متصرفاً فى أنواع الشعر من جد وهزل وحلو وجزل ، وألا يكون فى النسيب أبرع منه فى الرثاء ، ولا فى المديح أنفذ منه فى الهجاء ، ولا فى الافتخار أبلغ منه فى الاعتذار ، ولا فى واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً فى سائرها؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم وحاز قصب السبق كما حازها بشار وأبو نواس بعده » ... الخ .

٦ — ومن قولهم فى حرية الأدب قول صاحب الوساطة :

« فلو كانت الديانة عاراً على الشعراء ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزّبَعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، وعاب من أصحابه ، بُكماً خرساً وبكاء مفحمين ؛ ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر » .

٧ — ومن قولهم فى صفات الناقد :

قال ابن قتيبة فى مقدمة الشعر والشعراء : « ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حظه . فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه ورأى قائله . ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده وجعل كل قديم ، منهم حديثاً فى عصره»

وقال صاحب الوساطة :

« وملاك الأمر فى هذا الباب خاصة (النقد) ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه ، والعنف به . ولست أعنى بهذا كل طبع ، بل المهذب الذى قد صقله الأدب وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة وألهم الفصل بين الردىء والجيد ، وتصور أمثلة الحسن والقبيح »

هذه أمثلة من ضروب النقد المختلفة سردتها ليلتفت طلاب الأدب إليها ، ويستزيدوا منها ، ويتبينوا ما وراءها من طرائق النقد ومذاهب النقاد . وفى كتب الأدب كثير منها ومن شاء فليرجع إلى الجزء الأول من البيان والتبيين ، ومقدمة كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى وكتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى

تاريخ الأدب

— ١ —

إذا نُقد شعراء أمة وكتّابها المتعاصرون ، وقُرن هذا النقد بعضه إلى بعض وتألفت مما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه صورة لعصرهم ، وبُينت الأسباب التى اجتمعت على تأليف هذه الصورة ، ألوانها وهيئتها ، فهذا تأريخ عصر من عصور الآداب

وإذا شمل النظر عصوراً متتابعة فاستبانت صور الآداب فيها ، وعُرف تطوّر هذه الصور وانتهاء كل واحدة إلى التى تليها ، ورُدّ هذا التطور إلى أسبابه فهذا تأريخ الأدب فى هذه العصور

فتأريخ الأدب وصف آداب العصور وترتيبها وتعليلها

— ٢ —

وهو كالنقد يستمد من ذوق الناقد وتقديره مزايا الكلام وعيوبه وأطواره ، ومما أحاط بالأدباء من حقائق التاريخ والجغرافيا ، والاجتماع وغيرها . وعلى مؤرخ الأدب أن يلائم بين ذوقه وعلمه بهذه الحقائق فلا يحكم الذوق على غير بينة ، ولا يغفله ويعتمد فى تأريخه على الحقائق العلمية الجافة ؛ بل يجعل حكمه نتاج الذوق المهيأ للحكم بمعرفة واسعة ، وتأمل دقيق ، وتقدير لأحوال الأدب بليغ ، فيكون حكمه خلاصة العلم ، ونتيجة الذوق الذى لا بد منه فى تقويم الأدب

— ٣ —

لم يكن تاريخ الأدب على هذه الشاكلة معروفاً لدى القدماء ؛ وإنما كان سبيلهم جمع تراجم الشعراء والكتاب ، وتبيين محاسنهم ومساوئهم ، والاستشهاد ببعض أقوالهم ، ولم يكن قولهم موصلاً مستوعباً يؤلف صورة عامة للأدب فى عصر أو عصور ولا كان التعليل فيها مطرّداً . فكان عمل المؤرخين تراجم متفرقة ينقصها

أبو تمام شيخ البيان

للأستاذ عبد الرحمن شكري

هو حبيب بن أوس الطائي، وقد سبقه إلى صناعة البيان بشار ومسلم والحسن بن هاني، ولكنه ظهر بها ظهوراً كبيراً وحاكاه البحتري وغيره، وكان حقيقاً بسبب كثرة إجادته في تلك الصناعة أن يسمى شيخ البيان. وكان أبو تمام يقدم الحسن بن هاني ويلقبه بالأستاذ وبالحاذق ويجاريه في طريقته، ولكن أبا تمام قد بز ابن هاني أبا نواس في المدح ووصف الطبيعة، وإن لم يكثر منها وفي الرثاء والأمثال والحكم، وجاراه في وصف الخمر والغزل المذكر. وقد سُئل البحتري عن أبي تمام وعن نفسه فقال: جيده خير من جيدي وردئي خير من رديئه. وهي قولة حق، فقد كان عند البحتري من حذر ذوي الصناعة وإحجامهم ما لم يكن عند أبي تمام الذي كان أكثر جرأة في صناعته. ولم يكن رديئه القليل عن جهل، فقد سئل فيه فقال: إن أبيات الشاعر كأبنائه فيهم الجميل وفيهم القبيح وكل منهم حبيب لدى أبيه الذي يعرف أيهم القبيح وأيهم الجميل. ولقد قال في إساءة ظن الشاعر بشعره ويعني نفسه:

ويسيء بالإحسان ظناً لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتون

ولكنه يقول أيضاً:

من كل بيت يكاد المَيْتُ يفهمه ... حسناً ويعبده القرطاس والقلم

ولا غرابة في أن يكون قائل البيت الأول هو قائل البيت الثاني، فإن نفس الشاعر قد تتردد بين الثقة بقوله ثقة ليس بعدها ثقة، وبين الشك كل الشك في مرتبته. ولعل هذا الشك وإساءة الظن مما يحفزه على استئناف الإجادة وإلى الاستزادة من الإبداع كيلا يستنيم إلى ما أجاده من سابق قوله. والشاعر الجريء في صنعته البيانية يكون نصب نقد الناقدين، وعند ما مدح أبو تمام أحمد بن المعتصم بقصيدته التي مطلعها: (ما في وقوفك ساعة من باس) أنكر بعض النقاد أن يشبهه بمن هم أقل منه منزلة في قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس

ومثل هذا النقد يهدم صناعة التشبيه من أساسها لأنه لم يشبه الممدوح بهم في المنزلة، وإنما يكون للتشبيه وجه شبه خاص لا يتعداه اتفاق المشبه والمشبه به، وهذا النقد يدل إما على الإفراط في تملق الممدوح والمغالطة مع علم، وإما على جهل بالصناعة البيانية. وقد دفع أبو تمام حجتهم بأن زاد في المديح قوله:

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه ... مَثلاً شرُوداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

وأمثال هذا النقد اللفظي كثير فقد انتقدوا أيضاً قول أبي تمام:

دنيا ولكنها دنيا ستنصرم ... وآخر الحيوان الموت والهرم

وقالوا: إن الهرم يأتي قبل الموت ولكنه أخره وقدّم الموت. وهذا اهتمام بالصغائر، فقد كان في استطاعة الشاعر أن يقول: (وآخر الحيوان الشَّيْبُ والعَدَم) وقد فعل المتنبي ما هو أشد من ذلك وكانت له عنه مندوحة عند ما قال:

جفخت وهم لا يجفخون بِهَا بهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل

يعني جفخت أي فخرت بهم وهم لا يجفخون بها، وكان يستطيع أن يقول: (فخرتْ بهم وهُمُ بها لم يفخروا) فيستقيم

الجمع والمزج والترتيب والتعليل. فهي مصادر لتاريخ الأدب لا تاريخ ومن الكتب التي ألفت على هذا النمط:

١ — طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجُمحي المتوفى سنة ٢٣١

٢ — الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦

٣ — معجم الشعراء للمرزباني المتوفى سنة ٣٨٤

٤ — يتيمة الدهر في شعراء العصر لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩

٥ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الأندلسي المتوفى سنة ٤٢٩

٦ — دُمية القصر لأبي الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧

٧ — قلائد العقيان } للفتح بن خاقان الأندلسي المتوفى

٨ — مطمح الأنفس } سنة ٣٣٥

٩ — سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر لصدر الدين المديني من رجال القرن الحادي عشر

١٠ — ريحانة الألباء لشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩

— ٤ —

وتاريخ الأدب كما نعرفه اليوم عرفه الأوربيون في عصر نهوضهم؛ سبق إليه الإيطاليون وسار على أثرهم الأمم الأخرى ولا سيما الفرنسيون. ولهم فيه طرائق مختلفة مبنية على مذاهبهم في النقد وقد قدمنا إشارة إليها

عبد الوهاب عزام

الوزن والأسلوب ولكن هذا لا يؤخر الشاعر الكبير ولا يقدمه. ومثل هذا النقد يغرى به الشعراء أنفسهم عند الملاحاة فقد ورد فى كتاب العمدة لابن رشيق أن مسلم بن الوليد انتقد قول أبى نواس ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا وقال: كيف يجتمع الارتياح والملل؟ كما انتقد أبو نواس قول مسلم عاصى الشباب فراح غير مُفنَّدِ وأقام بين عزيمة وتجلد وقال كيف يجتمع الرواح والإقامة؟ وفى كل من البيتين يريد الشاعر اجتماع حالات نفسية مختلفة الأسباب. على أن أبا تمام قد يأتى فى الفلتات بما لا يستجاد مثل قوله:

بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَلٌ أعنى الحطيئة لاغتدى حَرَّاثا

و (أعنى) هنا أثقل من الرصاص

وقد عد بعض أدباء العصر أبا تمام من شعراء الرمزية، وهذا فى رأيى غير صواب، لأن كل شاعر يستخدم الرموز، ولكن ليس كل شاعر من أدباء الرمزية. وأستطيع أن أفهم سبب عد أبى تمام من شعراء الرمزية، وإن لم يكن كذلك، فإنه يكثر من استخدام التشبيه والاستعارة والمجاز، فالاستعارة رمز والكناية رمز. ولكن شعراء الرمزية فى أوربا تخطوا منزلة الاستعارات والكنايات وصاروا يرمزون إلى حالات نفسية بأشياء مادية وبألفاظ أو جمل، ويقطعون الصلة بين الرموز وما يرمز لها بها اعتماداً على خيال القارئ وإحساسه وأحلامه وهواجس نفسه الغامضة، وأحياناً يستخدمون رموزاً مدلولها أشياء مادية ويرمزون بها إلى تلك الهواجس الغامضة فى الوحى الباطن، وهى لغموضها لا تستطيع عقولهم الظاهرة تفسيرها إلا بتلك الرموز. وهذه طريقة لم يكتب فيها شاعر عربى. أما طريقة أبى تمام فهى طريقة الصناعة البيانية المألوفة وإن كان قد أبدع وأغرب فيها، وشعره شعر الخيال المشبوب بنار الشاعرية، والجيد من شعره يجمع بين القوة والحلاوة وإقناع الصنعة الفنية، وهى ليست صنعة ألفاظ فحسب بل صنعة ألفاظ وخيال وإحساس وذكاء وعقل وبصيرة. وترى فى قوة الجيد من شعره قوة الخطيب، ولا أعنى أن الشاعر خطيب فللخطيب صفات قد تدابر صفات الشعراء، وإنما أعنى أن لشعره قوة تشبه وقع خطاب الخطيب فى الأذن فكأن له صوتاً يسمع. وإذا كان للشاعر نفسه من صفات الخطيب فهى الصفات التى يقترب الخطيب فيها من عبقرية الشاعر ومن بصيرته النافذة وخياله المشبوب، وليست الصفات التى يقترب فيها الخطيب من فن الممثل وهى صفات عالية فى فنها وفى الخطابة. ولا نأسف لإضاعة شاعر من شعراء العرب فى التكسب بالمدح شعراً كان يكون أعظم شأناً فى وصف الحياة والنفس قدر ما نأسف لإضاعة أبى تمام، فإن الرجل كان قادراً على أن يبلغ ما بلغه شعراء أوربا من وصف الحياة والنفوس ومظاهر الكون؛ على أن فى شعره فى المدح أشياء من هذه الأشياء. ولعل القارئ يقول: ولماذا لا نأسف على المتنبى قدر أسفنا على أبى تمام أو أكثر، وليس المتنبى بأقل منزلة وهو ذو بصيرة وخيال. ولكن أبا تمام كان عنده من نشوة الصناعة البيانية أكثر مما كان للمتنبى؛ وكان للمتنبى من قوة الشخصية وإثرتها أكثر مما كان لأبى تمام؛ وقوة الشخصية هذه لها أثر فى الشعر يظهر فى كل أبوابه وتجعل الشاعر يترك بعده دوياً كما قال المتنبى:

وتركك فى الدنيا دوياً كأنما تداول سمعَ المرء أَنمُلُه العَشْرُ

أما أبو تمام فإننا نقرأ أنه كان مولعاً بالخمر إلى حد الإفراط أحياناً، ونقرأ أنه سكر مرة فى مجلس عظيم وعربد وحُمِلَ من المجلس بين أربعة، وأنه كان إذا أخذ صلة أمير أفناها بين الغناء والموسيقى والرياض والخمر والأوجه الوسيمة. وهذه الأمور ربما كانت تقلل نتاجه وتلهيه عن الشعر لو أنه لم يكن مضطراً إلى قرض الشعر فى المديح أو الرثاء لكسب المال، فإننا عند ما نقرأ سيرة الرجل وشعره نميل إلى الاعتقاد أن الحياة عنده كانت شعراً يُعاشُ وأن الشعر عنده كان حياة تكتب أو شعراً يكتب، وأنه ما كان يلجأ إلى الشعر الذى يكتب إلا إذا سمح له أو اضطره شعر الحياة الذى يُعَاشُ. ولعل هذا هو سبب إقلاله وسبب موته وقد تخطى الأربعين قليلاً. وإننا نتساءل ماذا كان يكون نتاجه لو كان من المعمرين من غير أن يفنى قدرته الحيوية بالحياة؛ ولكن من العبث التأسف، فلعل إفناءه قدرته الحيوية بالحياة كان من لوازم نشوته الشعرية، وإن قدرته فى صناعة البيان كانت من مظاهر انتشائه بالحياة، وانتشاؤه بالحياة ميز شعر التكسب فى قوله عن شعر التكسب فى أقوال الشعراء الكثيرين، فشعر التكسب فى قولهم ألفاظ ميتة مهما حاولوا إحياءها بصناعة البيان أو بالأناقة، وكانت قوة شعره مستمدة من انتشائه بالحياة، فلم تكن قوة كتلك القوة فى شعر بعض الشبان المبتدئين الذين يفتعلون القوة فيخيل للقارئ أنهم يخنقون ألفاظهم ومعانيهم كى تصيح كما تصيح الدجاجة إذا حاول الطفل الصغير أن يخنقها، وكانت ألوان

أعلام الأدب

درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

أقدم ما وصلنا سليما من مآسي إسخيلوس هي درامته البارعة (نسوة متضرعات) وهي درامة شائقة لا يعرف في أي سنة نظمها الشاعر بالضبط ، وتليها في القدم درامة (الفُرس) فقد نظمها سنة ٤٧٢ ق . م وفي سنة ٤٥٨ تقدم إلى المباراة التمثيلية بدرامة مفقودة ففاز عليه الشاعر الشاب سوفوكليس للمرة الأولى وكان لهذا الحادث أثره الذي لم يمح من نفس إسخيلوس والذي قيل إنه هاجر بسببه إلى جيلا بعد ذلك بعشر سنين

وفي السنة التالية (٤٦٧) فاز على جميع منافسيه بدرامته (سبعة ضد طيبة) ، ولا يعرف المؤرخون على وجه التحقيق متى نظم رائعته العصماء (بروميثيوث) ويظن الأستاذ جلبرت موراي أنها نظمت هي وأختها المفقودة (ليكورجيا) بعد (سبعة ضد طيبة)

وقبل أن يموت في جيلا بعامين نظم أقوى دراماته وأعنفها (الأورستية) (٤٥٨ ق . م) وهي الثلاثية الوحيدة الكاملة التي وصلتنا سليمة من هذا التراث الأدبي الحافل المفقود

١ — نسوة متضرعات

نسوة متضرعات هي الحلقة الأولى من ثلاثية كاملة ما تزال حلقتاها الثانية والثالثة مفقودتين وإن يكن موضوعهما معروفاً .. والثلاثية كلها تتلخص في أن إيجبتوس أحد أمراء مصر الشمالية كان له خمسون ولداً ؛ وكان له أخ يدعى دانوس رزقه الله بخمسين ابنة ذوات جمال بارع ، فحدث أن هام كل من أبناء إيجبتوس بواحدة من بنات دانوس ... وتقدم إيجبتوس إلى أخيه يخطب بناته على أبنائه ... وهنا تقوم عقبتان أولاهما تلك النبوءة التي تنبأ بها بعضهم لدانوس وهي أن أحد أزواج بناته سيقتله، وثانيتهما أن شريعة القوم في هذا العصر كانت تحرم زواج الرجل من ابنة عمه وتعتبره زناً ... فماذا يصنع دانوس ؟ فكر الرجل ثم فكر ، ثم رأى أن يفر ببناته إلى بلاسجوس ملك آرجوس إحدى ممالك اليونان ... ورست الفلك على الشاطئ ونزل الركب ، ولمحت إحدى البنات رجلاً عظيما بادي الوقار يتنزه هناك ، فلما سألت عنه قيل لها إنه الملك . فاستأذنت أباها وذهبت إليه تدعوه إلى والدها ورحب الملك بهؤلاء المحتمين به اللائذين بظله وخصص لهم منزلاً رحباً وعيشة رغداً ... وأقبل قائد مصري بعد أيام يطلب تسليم دانوس وبناته الخمسين . فجمع الملك وزراءه ومجلس شوراه ، وجميع مواطني آرجوس يعرض عليهم الأمر فأبوا جميعاً أن يسلموا اللاجئين لما في صنع ذلك من منافاة النخوة وعدم الوفاء ... فيرتد القائد المصري ، ويعود بعد أيام بجند كثيف فيغزو آرجوس ويقبض على دانوس وبناته ويعود بهن معززات مكرمات إلى مصر

إلى هنا تنتهي الحلقة الأولى ... وقد سمي إسخيلوس درامته الثانية من هذه الثلاثية (فِراش العرائس) أو (ماهدات فراش العرس) وفيها يتآمر دانوس وبناته على أن يقتلن أزواجهن ليلة العرس بعد أن يناموا على ألا يمكنهم منهن من شيء . وتنفذ البنات ما عاهدن عليه أباهن من هذا الإثم الإلهيِّ مسترا[1] التي استفظعت أن تريق دم هذا الجمال الشاب النائم المستسلم لها ، فوقفت تنظر إلى الخنجر المشحوذ مرة، وإلى ابن عمها الذي أحبته وهويته وأغرمت به مرة أخرى فلم تر بدا من أن توقظه، وتبوح له بالسر الهائل ... وهنا يستيقظ القصر كله ، ويكون دانوس مرتقبا

(١) هكذا أثبتها موراي ويضيف كامبل (نونا) بعد الميم

البيان في شعر أبي تمام طبيعية كألوان الحياة بالرغم من إغرابه ، ولم تكن كتلك الألوان التي وضعها القرد على ما لونه المصور في نقشه ورسمه ، وقد انتهز القرد فرصة انشغال سيده المصور بأمر من أمور الحياة . وقد أسف المغاربة أيضاً لموت محمد بن هانئ الأندلسي في سن مبكرة وكانوا يأملون أن يعمر حتى يفاخروا به أكثر شعراء المشرق ، وكان لابن هانئ بعض مقدرة أبي تمام ولكنه لم تكن له — ثروته الشعرية في نفسه وكان كل منهما مولعا بشعر الحياة الذي يماش . وجرأة أبي تمام في التشبيه والاستعارة والمجاز هي مايصح أن يسمى بالجرأة الموفقة إلا في القليل من شعره، وهي تشبه في المبارزة بالسيف نوعا من الهجوم إذا أجاده المبارز تتر سلاح خصمه وأصابه في الصميم وإذا أخطأ المبارز في هجومه سقط وسلاح خصمه في قلبه ..

« البقية في العدد القادم » عبد الرحمن شكري

الإشارة التي اتفق مع بناته عليها ليعلم أنهن قد قمن بواجبهن وأنفذن ميثاقهن ، لكنه لا يرى العلامة تنبثق بالضوء من شباك هيبر مسترا فيرتجف ، ويسمع إلى الضجة فيحاول الهرب ، ولكن ابن أخيه[1] ، وزوج ابنته الذي لم يقتل ، يفاجئه ثم يعالجه بضربة تقضي عليه فيثأر لإخوته وتنفذ على يديه النبوءة .

ثم تبدأ الحلقة الثالثة التي سماها إسخيلوس اا (دانايدز Danaides) أي بنات دانوس اللائي يلقين جزاءهن في هيدز ويكلفن بملء وعاء كبير مثقوب من ماء نهر بعيد الغور وعر المنحدر فكلما جئن بجرارهن وصببنها فيه ذهب الماء ولم يبق منه شيء ، فإذا جلسن يستجممن صُب عليهن وابل بارد فيهرعن إلى عملهن وهن ناصبات لاغبات . أما هيبر مسترا فتتقدم للمحاكمة بتهمتين ، أما الاولى فعصيانها أباها فيما أعطته عليه مواثقها ، وأما الثانية ، فزواجها من ابن عمها وهو زنا في نظر الشريعة المعمول بها حينذاك .

كيف حلّ إسخيلوس هذه العقدة ؟ وفي أي الجانبين يقف ؟ في جانب القاتلات ، أم في جانب الزوجة الوفية التي استنكرت القتل ؟ يبدو لنا أنه آثر أن يقف إلى جانب هيبر مسترا ، لأنه أتى لها بربة الحب فينوس (أفروديت) فشفعت له وبرأت ساحتها . ولا ندري هل عادت إلى زوجها أم حيل بينهما ... لم يذكر لنا التاريخ شيئاً من ذلك !

وتمتاز هذه الدرامة بالإكبار من شأن الديمقراطية التي أبداها الملك بلاسجوس عند ما جمع كل المسئولين من رعاياه ليشاورهم فيما طلب قائد أبناء إيجبتوس ، كما تمتاز بهذه السخرية اللاذعة من تلك الشريعة الفاسدة التي كانت تحرم زواج البنت من ابن عمها وتعتبره زنا إذا تم .

٢ — الفرس

ودرامة الفرس هي الحلقة الثانية من ثلاثية ماتزال أولاها وثالثها مفقودتين ... والأولى عن البطل فنيوس Phîneus كاهن أسطول الأرجنوت الأعمى وباسمه تدعى . والحلقة الثالثة تدعى جلو كوزوهو الصياد الذي تحول إلى إله من آلهة البحار وأغرم بالهولة سكيلا .

وقد جعل إسخيلوس مسرح هذه الدرامة في سوسا وجعل جميع أبطالها من الفرس ، وفيها تبدو أتوسه أم أجزرسيس وزوجة دارا ، وهي تقص رؤيا مزعجة على بطانة من حاشيتها ، فما يكادون يطمئنونها حتى يدخل رسول فيقص نبأ الهزيمة المنكرة التي مني بها إجزرسيس وأجناده في سلاميس ، وبذا تتحقق رؤيا أتوسه ، وتأمر حاشيتها بتقديم القرابين لاستحضار روح دارا ... وتبدو روح الإمبراطور الراحل فتأخذ في سب إجزرسيس ، وتنعى عليه طيشه وقلة بصره بمزالق السياسة ، وإقدامه على محاربة اليونان دون رجوع إلى أهل الرأي . ثم يدخل إجزرسيس فيأخذ هو الآخر في حزن طويل يشاطره إياه وزراؤه ومشيرو السوء الذين لم ينصحوا له بما كان يحول بينه وبين تلك الكارثة .

والدرامة قطعة فنية رائعة ، وقد خدمت التاريخ ووصفت سلاميس وصفاً عجز عن الاتيان بمثله أبو التاريخ هيرودوتس . ولا غرو ، فقد حضر إسخيلوس سلاميس وجاهد فيها جهاد الأبطال ... غير أن قيمة الدرامة في ناحيتها الدستورية التي نعى فيها إسخيلوس على الاستبداد والمستبدين بقدر ما أكبر من شأن الحرية والشورى ... ومع أن الشاعر يرفع في درامته هذه من شأن أثينا فإنه لم يقلل من قدر المنهزمين . بل هو قد أضفى على الفرس وقار العدو العظيم فلم ينتقص من شأنهم ولم يقدح فيهم ، وبذا كان درامياً عادلاً

٣ — سبعة ضد طيبة

هذه الدرامة هي الحلقة الثالثة من ثلاثية ما تزال حلقتاها الأولى (لايوس) والثانية (أوديبوس) مفقودتين . وتتلخص لايوس وأوديبوس في هذه الأحداث المؤلمة التي حاقت ببيت لايوس ملك طيبة وزوجته جوكاستا . فقد رُويت لهما نبوءة تقول إنه سيولد لهما طفل يقتل أباه ويتزوج أمه ويقضي بالشقاء على ذريتهما . فلما ولد لهما طفلهما الوحيد بعثا به إلى الجبل ليقتله أحد رعاياهما ، لكن الرجل أشفق على الطفل فتركه ثمة وعاد بدم كذب على قميصه وادعى أنه قتله . وعثر أحد القضاة على الطفل ملقى في شجرة وقد ورمت قدماه ؛ فأخذه وسماه أوديبوس : (أي ذا القدمين المتورمتين) . وشب أوديب وتعلم الفروسية في بلاط ملك كورنثه . ثم حدث أن هجر البلاط لخلاف بينه وبين أحد الأمراء الذي غمزه في نسبه وهاجر إلى دلفي يستوحي الكهنة فيما غمزه به هذا الأمير . وقيل له

(١) واسمه لينسيوس

إنه سيقتل أباه ويتزوج أمه ، ويجر الشقاء على أبنائه ... فانطلق والهم والحيرة يمزقان قلبه ... فبينما هو فى طريقه إذا قائد عظيم يأمره أن يتنحى عن الطريق حتى يمر مولاه أولاً . فلم يمتثل أوديب وانقض على القائد فقتله . ثم جاءت عربة فنزل منها الحرس فنازلهم وقتلهم . ثم نزل منها رجل عجوز شيخ فنازله وقتله ، ولم يكن هذا الرجل سوى لايوس الملك والد أوديب الذى كان ذاهباً إلى دلفى يستوحى كهنتها فى أمر مما نزل بطيبة، ويمم أوديب شطر طيبة فوجد الناس فى فزع من أمر تنين (سفنكس) يقف عند باب المدينة من جهة البحر بالمرصاد لكل داخل أو خارج : يقول التنين « ما حيوان تكون له أرجل أربع فى الصبح ، واثنتان فى الظهر وثلاث فى المساء ؟ » فإذا لم يجب الشخص افترسه التنين فى الحال .. وقد حار الناس فى تأويل هذه الأحجيّة ، ونذروا لمن يخلصهم من التنين أن يتزوج ملكتهم الأرمل زوجة لايوس وأن يتربع على عرش مملكتهم ... سمع أوديب أهل طيبة يهمسون بذلك ، وكان قد برم بحياته فاعتزم أن يلقى التنين فإما أن يقتله وينقذ طيبة من شره وإما أن يريحه التنين من الحياة ... وأول أوديب الأحجية بأن الحيوان المقصود هو الإنسان بعينه، فهو يحبو صغيراً على أربع، ويدب شاباً على رجلين، ويتوكأ على عصا إذا بلغ به الكبر عتياً .. ثم انقض على التنين فقتله ، وبذا تربع على عرش طيبة وتزوج الملكة التى هى أمه وهو لا يدرى ...

بذلك تحقق شطر النبوءة الأول ثم شطرها الثانى ... ثم يجتاح طيبة طاعون هائل ويذهب الناس إلى دلفى يستوحون كهنتها فيقال لهم إنه لا بد من القصاص من قاتل الملك لايوس ليرتفع أذى الطاعون عن طيبة ... وهنا ينتشر الجواسيس والرقباء فى كل فج يجمعون الأخبار ويتجسسون أنباء القاتل فيتبين أنه أوديبوس الجالس على عرش طيبة وأنه هو نفسه ابن لايوس وابن الملكة جوكاستا ... ويعترف الخادم الذى عهد إليه بقتل الطفل بأنه لم ينفذ ما أمر به ، فيذهل أوديب وينطلق إلى الغابة فيسمل عينيه ويهيم على وجهه حتى يموت

ثم تبدأ حوادث الدرامة الثالثة (سبعة ضد طيبة) ... فقد ترك أوديب ولديه إتيوكليز وبولينيسز[1] يتنازعان العرش كما ترك ابنتين[1] أخريين نظمت فيهم جميعاً درامات كثيرة ... ويتفق الشقيقان على أن يتبادلا الحكم عاماً لكل منهما ، ولما ينتهى عام إتيوكليز ويقدم أخوه ليتسلم مقاليد الحكم يرفض شقيقه أن يسلمه إياه فيلجأ الآخر إلى أدراستوس ملك آرجوس يستنصره ويعرض أن يتزوج من ابنته، فيقبل الملك ويرسل مع صهره سبعة من قادته يقودون سبعة جيوش إلى طيبة ... ويستمر الحصار سبعة أعوام طوال دون أن ينالوا من طيبة قليلاً أو كثيراً وإن يكن الحصار قد أجهدها فيعرض القادة أن يطلب بولينيسز مبارزة أخيه على أن يكون الفائز صاحب الحق فى العرش ، ويجيز إتيوكليز هذا الحل فيمضى إليه بقلب ثابت وجنان رابط وهو يعرف النتيجة ، لكنه يذهب فى غير خوف لكى يريح طيبة من ويلات القتال ... ويلتقى الشقيقان ، ويستمر النزال ساعة ثم يضرب كل منهما أخاه فيسقطان معاً ويضرجان الأرض بدمائهما ... وبذلك تتخلص طيبة من كليهما كما تتخلص من نسل لايوس وتتحقق النبوءة كلها

« للمقال بقية »

دريني خشبة

(١) تستبدل السين كافا أحيانا كما أثبتها موراى وخالفه كامبل وجرير وبورا وجودوين

(١) سوف نعود إلى كل ذلك فى سوفوكليس

بين مصر ولبنان

الى الدكتور زكى مبارك

للأستاذ محمد رشدى الخياط

سيدى الدكتور

تستطيع الأمم أن تحتجز كل شئ دون الخروج من أراضيها إلا الثقافة فلا تستطيع قصرها عليها دون غيرها، فهى قسم مشترك بين العالم يدلف إليها كل فرد وتطلع عليها كل أمة، وتؤثر فى كل من يصل إليها كما أنها تتأثر بما يصلها، وذلك أمر بدهى لا مندوحة لنا من الإقرار به . وثقافة الأمم منها ما تشارك فيه دون أن تكسوه لوناً خاصاً وهو ما يكون علماً خالصاً، ومنها ما تلبسه ثوباً إقليمياً حسب المؤثرات الخاصة التى توجد لديها ويبقى بعد ذلك عالياً فى نزعته وأثره . هذا إلى أن ثقافة الأمم لم تكن فى يوم من الأيام أثراً خاصاً من آثار أمة دون أخرى، فهى مزاج من ثقافات العالم القديم والحديث ترتكز كل أمة فى ثقافتها عليه فلا يحق لنا إذا ما ذكرنا الثقافة اللاتينية مثلاً أن نقصرها على نتاج عقليات هذه الأمم بل يجب أن نقر أثر الأمم الإغريقية والعربية ونتيجة الثقافات الفرعونية والهندية وسائر الأمم القديمة التى حملت الثقافة الأولى إلى العالم، ونستطيع بعد ذلك أن نزيد عليها أثر الأمم الحاضرة فى تغذية هذه الثقافات وتقدمها . والأمة العربية ليست بدعاً من هذه الأمم، فهى إنما تخضع لقوانين العالم ، فالثقافة المصرية لم تكن فى يوم من الأيام مقصورة فى نهضتها على العقول المصرية كما أنها لا يمكن أن تبقى محصورة فى دائرتها الخاصة ، بل من الواجب الحتم أن تتعداها إلى غيرها من البلدان كى يظهر أثرها فى التأثير فى العالم ، وقيمتها فى المساعدة على تقدم الثقافة العربية . ومصر بما لها من الموقع الجغرافى ، والبسطة فى المال ، والكثرة فى السكان ، تستطيع أن تباهى شقيقاتها الدول العربية فى قطعها دونها شوطاً بعيداً فى بناء النهضة الأدبية الحديثة ؛ ويجب فى الوقت نفسه ألا ننكر جهود سائر البلدان العربية على اختلاف هذه الجهود فى القوة والضعف ، إذ قام كل بلد بما يستطيعه من المشاركة فى هذا الأمر . ولا يعزب عن بالنا أثر لبنان خاصة والبلاد السورية عامة فى هذه المشاركة الفعالة ؛ فنحن نعلم أن طلائع النهضة بدت فى سوريا مسايرة لطلائعها فى مصر أو متقدمة عليها بعض التقدم . ولئن استطاعت مصر أن تتقدم شقيقاتها فى هذا المضمار فإن مرجع ذلك إلى أمور لا تتعلق بخصب العقلية المصرية ، وضعف غيرها كما يفهم من كلمة الدكتور زكى مبارك فى (العدد : ٢٩٥) من الرسالة . إذ يقول : « ولكنى أتحدا كم أن تثبتوا أن لبنان نبغ فيه أديب واحد ، ولم يكن مصدر نبوغه الاتصال بالثقافة المصرية » . ثم يقول فى موضع آخر : « إن الأدباء السوريين لم يذوقوا طعم المجد الأدبى إلا بعد أن شربوا من ماء النيل » . وإنما يعود ذلك إلى مؤثرات خاصة نستطيع أن نجملها فى أربع نقط .

ترجع أولى هذه النقاط إلى ما وهبته مصر من خصب فى التربة در عليها أخلاف الرزق فى سهلها المخصوضر المعشب فهيأ لها بذلك الأساس الذى تقوم عليه النهضات ، وهو المادة التى استطاعت بها أن تبث البعوث فى مختلف أشتات أوربا لتعود إليها بالغذاء العقلى ؛ والبلاد السورية خاصة والعربية عامة صفر من المادة ، فهى فى لبنان جبل أجرد ضيق أكثر بقاعه لا يمكن سكانه من استغلاله إلا فى أشهر معدودات من الصيف، ثم ينقلب بعد ذلك غطاء أبيض ناصعاً من الثلج يحول دون زرعه أو الاتكال عليه فى كفايته حاجات السكان . هذا إلى أن المدن المنتشرة فى منبطحه ليس لها من الموارد ما يهيئ لها أسباب الراحة وبلهنية العيش كما هيأتها طبيعة مصر لمصر . وسائر البلاد العربية يتكون أكثرها من صحارى محيطة بأطرافها وسهول ضيقة الأركان تنبث خلالها . كان من أثر هذه البيئة أن ضاق النبوغ العربى ذرعاً بهذه الحياة فكبت فى مهده ، ولم تتجمع له المادة التى تمكنه من استغلال هذا النبوغ فوجد فى بقاع الأرض متسعاً لإظهاره ، فاحتمل نفسه إلى مصر وما وراء البحار حيث استطاع أن يثبت هذا النبوغ ويؤكده، فكان أثره فى مصر بارزاً فى نهضتها وفى غيرها من بلدان العالم وبخاصة فى أمريكا مركزاً كل التركيز . ولا يفهم من هذا أن مصر أو غيرها من البلدان هى التى أوجدت هذا النبوغ وإنما يعود ذلك إلى البيئة الأصلية ولم يكن من أثر البيئات الجديدة إلا أن ساعدت البيئة الأصلية

على استغلال هذه الثروات العقلية الكامنة فى زوايا الفقر والفاقة . ومن هنا لا نستطيع أن نوافق الدكتور فيما ذهب إليه من حملة كنا نرجو ألا تثور به حتى يقعد على مثل الألفاظ التى استقر عليها . ومع ذلك فإن الشعب العربى مع فقره وشدة حاجته إلى المادة استطاع أن يشارك فى النهضة العربية بقدر ليس بالقليل ، وبخاصة لبنان حيث الثقافة العامة فى الشعب أكثر منها فى مصر حتى الآن ، وكل ما فى الأمر أن مصر أنجبت طبقة من المثقفين عالية لا تستطيع أن تجارى الشعب فى تفكيره ، إذ أن التوازن مفقود بين هذه الطبقة العالية فى ثقافتها وبين الشعب الذى لا يزال أكثره أمياً أو ضئيل التعلم . وعكس ذلك لبنان وسائر البلاد العربية ، إذ نجد الطبقة المثقفة هناك لم توجد بينها وبين الطبقة العامة مثل الهُوَى التى توجد فى مصر . هذا السبب المادى الذى آل إلى تخلف بعض البلدان العربية عن مسايرة مصر يتبعه سبب آخر هو قلة السكان فى أى قطر من الأقطار بالنسبة لمصر، فأكبر بلد عربى لا يتجاوز سكانه خمسة ملايين، بينما مصر تعد بفضل الله ستة عشر مليوناً أو تزيد ، وهذا له أثره فى قيمة انتشار الثقافة العامة ، إذ لا تستطيع الطبقة المثقفة أن تسير فى واجبها بوساطة التأليف ونشر المجلات العلمية والأدبية لقلة عدد المستهلكين حيث لا يجد القائمون عليها وسيلة من وسائل الاستغلال والإفادة، بينما مصر تساعدها كثرة سكانها على نشر مختلف المجلات وطبع متباين المؤلفات ، ومع ذلك نستطيع أن نسأل الدكتور نفسه عن عدد الكتب التى طبعها وعدد نسخها وما هى الكمية من هذه الكتب التى استطاعت مصر أن تهضمها بالنسبة إلى الكمية التى أقبلت عليها البلاد العربية ؟ أكبر الظن أنا سنرى البون شاسعاً بين ما تناولته مصر من مؤلفات الدكتور وبين ما التهمته المقول العربية . ولنا فى شهادة أستاذنا الزيات أكبر دليل، فالرسالة أثيرة لدى الشعب العربى حبيبة إليه يقبل لذلك عليها أكثر من إقبال إخواننا المصريين . أليس فى هذا دليل على رقى الشعب وكثرة المفكرين فيه ؟ ولكن ما الحيلة فى أن الله قد ابتلانا بضعف المادة وقلة السكان مع ما سيأتى من الأسباب فحرمنا ذلك من كثير من وسائل الإعلان والدعاية ؟

وبعد ذلك يا سيدى يحضرنا السبب الثالث الذى يقوم على السببين الأولين — ضعف المادة وقلة السكان — وهو انعدام وسائل النشر والدعاية أو ضعفها، إذ أن المادة التى يقوم عليها النشر لا تواتى المؤلفين والناشرين على الإكثار منهما لقلة ما بأيديهم منها ؛ هذا إلى أن ضآلة الاستهلاك من هذه المطبوعات والمنشورات لقلة عدد السكان قعد بالبلاد عن الإعلان والدعاية اللذين اتخذتهما مصر سبباً من أسباب نهضتها بصحفها ومجلاتها وكثرة مطبوعاتها لاعتمادها على ما لديها من المادة وكثرة الاستهلاك المحلى . فالصحف المصرية مثلاً تستطيع أن تنفق عن سعة لأنها ترتقب انتشاراً سريعاً بين السكان وقل مثل ذلك فى المجلات . ومن هنا نرى أصحاب الصحف فى مصر قد أثروا من عملهم هذا، وكان فى ذلك دعاية أى دعاية لمصر فى البلدان العربية، ويتبع ذلك المجلات. وهنا نستطيع أن نميز فيما بينها، فهناك المجلات الأدبية والعلمية وهذه يستهلك منها فى خارج مصر أكثر مما يستهلك فى مصر، أما المجلات الإخبارية أو الروائية أو المصورة فلها عناية خاصة لدى إخواننا المصريين . ولا أبالغ إذا قلت إن أثر بعض المجلات فى الدعاية لمصر كان معكوساً، وبخاصة ونحن فى بلد لا يزال يحرص على كثير من تقاليده، فهو لا يقبل أن يرى المرأة كاشفة عن ساقيها معلنة عن نهديها ملوحة بذراعيها العاريتين أو نصف العاريتين، هذا إلى ما تحويه بعض هذه المجلات من أخبار نسائية ومشاكل اجتماعية ليس من الخير أن تنشر بمثل هذه الإبانة لما توقره فى نفوس بعض القراء من آثار سيئة ، وبخاصة أولئكم الشبان الذين لم يتجاوزوا طور المراهقة إذ يقبلون عليها بلهفة وشوق ينتهيان إلى انحراف فى الأخلاق أو ميل إلى التهتك دون أن يعرفوا الأثر السيء الذى سيعود عليهم . ما كنت لأرغب فى أن أعرض لهذا الآن ولكن المناسبة قادتنى إليه .

من هنا يا سيدى الدكتور نستطيع أن نلم ببعض الأسباب التى دفعت مصر إلى أن تخطو خطوات واسعة فى طريق النهضة العربية دون أن تستطيع الوقوف على ما يجرى لدى شقيقاتها من هذه النهضة . وأنت أدرى يا سيدى بما تلقاه المؤلفات والنشرات التى تصدر فى البلدان العربية من إقبال لدى إخواننا المصريين ! لو ذهبت تعدد قراء البلاد العربيـة للمنشورات المصرية لألفيتهم عدداً جماً، ولكنك هل تستطيع أن تدلنى على أناس لا يتجاوزون عدد الأصابع قرأوا أو اقتنوا كتاباً واحداً ألفه أديب غير مصرى

ولكن ما العمل وإخواننا المصريون قد تضخم لديهم حب الذات حتى غدوا لا يبصرون فى هذا العالم أحداً غيرهم ولا يقبلون فى الثقافة العربية على غير مؤلفيهم — مع قلة هذا الإقبال — وأنت تقر معى ياسيدى الدكتور أن هذه ناحية من نواحى الضعف فى جمهور القراء من المصريين . وأنتم فى مصر مع ذلك تشكون قلة القراء على ما لديكم من كثرة السكان وتوفر المادة فكيف بنا نحن العرب الفقراء فى كلتا الناحيتين ؟

ونستطيع أخيراً أن نبرز الناحية الرابعة التى دفعت بالبلدان العربية إلى عدم استطاعتها المضى مع مصر فى طريق النهضة، وهى ناحية سياسية خاصة تختلف كل الاختلاف عن الناحية السياسية فى مصر. وذلك أن مصر قد كفل لها استقلالها بشئونها الداخلية منذ أيام محمد على باشا حيث تمكن من بعث البعوث والنهوض بمصر فى مضمار الثقافة ، ثم مضت البلاد فى ذلك فى ظل خلفائه إلى أن أظلها القرن العشرون فأتت النهضة أكلها. أما البلاد العربية فكانت تحت الحكم التركى المباشر حيث كانت الأمية ضاربة أطنابها فى مختلف البلاد، وحيث كنت تبحث عن المثقف بمصباح ديوجين، ومع ذلك كان لبنان فى مقدمة العاملين فى سبيل النهضة الحديثة تحت لواء آل البستانى وآل اليازجى وآل المعلوف وغيرهم ، هذا إلى ما قامت به الإرساليات الأجنبية من جهود لا تنكر، ثم تقلبت الظروف وإذا بنا فى معركة حامية الوطيس بين الحلفاء وتركيا، تبع ذلك تمزيق أوصالنا إلى دويلات تحت دول متباينة فى ثقافاتها. وكان من أثر هذا الصراع أن اتجهنا فى حياتنا وفى تفكيرنا إلى حفظ كياننا السياسى — وهو أمر طبعى — قبل التوغل فى العمل فى الحقل الثقافى . ورغم هذه الظروف استطعنا أن نقطع فى طور الثقافة شوطاً غير قليل

قد يقول قائل إن ما لقيته مصر لا يقل عما لقيته شقيقاتها، وفى هذا ما فيه من المغالاة إذ أننا إذا استثنينا الثورة العرابية والثورة المصرية الأخيرة لا نجد صراعاً مسلحاً أخذ بمجامع القلوب المصرية وشغلها عن كل ما عدا ذلك من شئون الثقافة

هذه يا سيدى الدكتور الأسباب التى دعت مصر إلى أن تتقدمنا فى طريق النهضة الحديثة، وهو فى الوقت نفسه لا يدل على ضعف فى عقليتنا أو خصب فى غيرها ، وإنما يعود إلى عوامل لا بد من مراعاتها قبل الحكم فى هذه القضية . أما الإبقاء على تراث الجدود والمحافظة عليه فما من أحد ينكر على مصر قيامها به بل نرى من الواجب المحض عليه بالنواجذ

وأخيراً يا سيدى الدكتور أستطيع أن أختم كلمتى حول هذا الموضوع بعتب إخوانك وقرائك عليك لحملتك التى خرجت فى بعض مواطنها عن حد الاعتدال . وليتك وقفت من مثل هذه الدعوة التى وصلت إليك موقف الأستاذ « ابن عبد الملك » فى تهجينها دون تجريح، وفى إنكارها دون جنف أوميل لك أو عليك، فتكون بذلك قد تجنبت بعض الآثار التى ليس من الخير إثارتها الآن وأنت تعلم أننا أتوق إلى مطالعة آرائك ومنتوجاتك الأدبية من توقنا إلى مثل هذه المنازعات

« فلسطين » محمد رشدى الخياط

ابنـــتى ...!

للأستاذ محمد سعيد العريان

مرحباً يا عزيزتى الصغيرة !

ها أنتِ ذى يا ابنتى أمام عينىّ حقيقةً أراها وكنتِ حلماً من أحلامى !

وهأنذا ألقاكِ بعد صبرٍ صابر وجهدٍ جاهد وطول تشوُّف وارتقاب ؟

مالك مغمضةَ العينين أكثر ما تكونين يا ابنتى كأنما لا تجدين فى دنياك الجديدة ما يغرى على اليقظة والنظر ؟

ومالك صامتةً أبداً فما تفتحين فمك إلا للبكاء كأنما تشعرين بالغربة فى هذا العالم الجديد ؟

وما لهذه اليدين والرجلين دائبات على الحركة أبداً كأنما تحاولين الفكاك من قيد غير منظور ؟

أين كنتِ يا ابنتى ؟ ومن أين جئتِ ؟ وإلى أين المسير ؟

أهذا يوم ميلادك يا ابنتى أم هو أول الطريق فى مرحلةٍ بين مرحلتين من عالم مجهول إلى عالم مجهول ؟

حدّثينى حديثك عن دنياك التى كانت ، ودنياك التى تكون ؛ فأنت أقرب عهداً يا بنية إلى ما كان، وأصفى نفساً إلى تصوُّر ما يكون!

هأنذا أرى شفتيك تختلجان وأنت نائمة كأنما تهمسين بسرٍّ فى أذُن !

وتبسمين أحياناً بسمات غامضة كأنما تستمعين إلى نجوى صامتة فى دنيا الأحلام التى تصل جديدَك فى هذا العالم بماضيك القريب فى العالم المجهول !

وتعبسين أحياناً باكيةً بلا صوتٍ ولا دموع كأنما لا يعنيك أن يسمع أحد أو يرى ؛ لأن الذى تعنين أن يعلم بشكواك ليس خَلْقاً من الخلق ولكنه روح من روح الله ؟

حدّثينى ماذا ترين يا بُنيَّةُ فى منامك وماذا تسمعين ؟

مَنْ ذا يسامرك يا ابنتى فى أحلامك وما عرفتِ شيئاً بعدُ فى دنيانا تؤلِّفين من أشتاته أقاصيصَ فى أحلام !

ليتنى أعرف ماذا كنتِ أمس ؟ وماذا أنت اليوم ؟ وماذا تكونين ونكونُ فى غد !

أطوار ثلاثة فى تاريخ البشرية ليس فى أيدينا من العلم بها إلا اليوم الذى نعيش فيه ؛ أما أمس قبل أن نكون ، وأما غدٌ بعد أن نصير ... !

من يدرى ، من يدرى ؟ إن هنا سرّ الأزل ، وسرّ الأبد ، وبرهان الخلود !

حياة بين حياتين ، ليس لنا من العلم بأولاها إلا بطن الأم ، وليس لنا من العلم بالأخرى إلا بطن الأرض ، ونحن بين الحياتين فى مضطرب مائج لا نكاد نحس إلا ما تقع عليه أعيننا وما تلمس أيدينا ، وإننا على ذلك لنزعم أن لنا الحق فى أن نتحدث عما قبل الحياة ، وما وراء المادة فى جدال السفيه ودعوى المغرور !

***

ابنتى طفلة فى المهد لم تتجاوز من العمر فى تاريخ البشرية إلا أياماً معـدودة ، ولـكنها إلى ذلك كبيرة كبيرة فى نفسى وفى أوهامى ، إنها لم تُولدْ أمس، ولـكنها كانت فى رحلة ثم آبت. إنها كبيرة كبيرة لأنها كانت تعيش فى أحلامى منذ سنوات وسنوات . منذ أيقنت أننى يجب أن أكون أباً !

هل كنتِ تسمعين نجواى يا بُنيتى من وراء حدود المجهول وقد جلست ذات مساء أهتف باسمك فى دنيا الأمانى متسائلا : أين أنت يا ابنتى ؟ أين أنتَ ياولدى ؟ أين أنتِ يازوجى التى لم أرها ولم أعرفها بعد ؟ أين أنتم يا أحبابى ؟

... طفلةٌ هى على حساب الزمن إن كانت سن الحى تُعَدُّ بالسنين والأيام ؛ فكم تكون سنها على الحقيقة منذ كانت أمنيةً تتراءى لى فى اليقظة وطيفاً يُلِمُّ بى فى الأحلام ؟

صورةُ إنسانٍ فى بضعة أرطال من لحمٍ ملفّفة فى طيات الفراش ، ولـكنها معى أينما كنتُ ، أُطوِّف بها ما أُطوِّف فى دنيا عريضة من الأمانى والأوهام !

خرساء مالها بيانٌ بعد ، فإذا التقت عينان بعينين فإن بينها وبين نفسى حديثاً أفصحَ من حديث كل ذى شفةٍ ولسان !

طفلةٌ هى إذا نظرتُ إليها فى فراشها هادئةً مستسلمة لا تقدر على الحركة ؛ فإذا أغمضتُ عينىّ وسبحتُ فيما أسبح من آمالى فهى غير مَنْ هى : صبيّة تدرج ، أو فتاة تخطر ، أو عروس فى جلوة العرس إلى ذراع عروس ... !

***

تعالى إلىّ يا بُنيتى أضمُّك إلى صدرى ؛ إننى أنا أبوك ؛ أتراك تعرفين ؟

هاتان عيناك الساجيتان تنظران إليّ نظرات ليستْ من مثل ما تنظرين إلى أخى وابن عمى ؛ بربِّك مَن علّمك ؟

انظرى إليّ يا ابنتى وأطيلى النظر ، إن فى عينيك سرًّا يلهمنى ما لم تلهمنى مشاهدُ الدنيا جميعاً منذ كنتُ إلى يومَ عرفتُك !

حدثينى حديثك الصامت يا عزيزتى لعلى أستشفّ من وراء حديثك سرَّ المجهول ؛ ما أنتِ ؟ وأين أنت ؟ وما كان ماضيكِ ؟ وكيف تأملين أن يكون غدك .. أأنتِ هنا أم أنت هناك ؟

... شمس تشرق وتغيب ، وليـل يطبق وينجلى ، ورياح تعصف وتهدأ ؛ وإنسانٌ يعبس ويضحك ، ومعدة تمتلئْ وتفرغ ، وقلب صافٍ صفاء الحق أو عابس عبوس الضلال ، وعيون فيها بريق الشهوات أو فيها دموع الألم ، ووجوه سافرة ووجوه عليها نقاب ... هذه هى دنيانا أيتها الصغيرة ، فما هى دنياك ؟

أتراك تعرفين يا عزيزتى الصغيرة ؟ ... ما أرى صمتك الطويل يا بنيتى إلا حذراً ورقبة حتى تعرفى ما أنتِ فى دنياك الجديدة ... ! تُرى من أدبك هذا الأدب يا بنيتى ؟

سائح جوّال رمتْ به الأقدار إلى وادٍ غير واديه ، ودنيا غير دنياه ، وعيش لم يعش مثله فيما استدبر من حياة ؛ ماذا يقول وكيف يتحدث ... أهكذا أنتِ فى صمتك يا عزيزتى ؟

* * *

هذه أمك يا صغيرتى ؛ لم تحمل ولم تلد قبلُ ؛ علِّميها الأمومة يا صغيرتى ، إنها لم تكن تعرف ...!

ها هى ذى حانيةٌ عليك صابرة على ما تعانى من أوجاع الأمومة الأولى وإن فى عينيها لبريقاً لم أر مثله فيما رأيتُ من عينيها قبْل !

مغتبطة سعيدة أن تضمك إلى صدرها فى حنان ورقة وإن بها من الآلام ما يذهل كل ذات ولد !

وهاتان شفتاك الصغيرتان تبحثان عن شىء هنا ... مَنْ علّمك أيتها الصغيرة أن هنا أودع الله ما أودع ليكون لك شبعاً وريًّا ؟

ورأيتك تلقمين ثديها مغمضة العينين ، تناولَ الخبير الفطن ، فأحسنتِ الرضاعة ، وما تُحسن أمُك أن تُرضع !

يا عجبا ! الطفل الصغير يعلّم أمه الأمومةَ قبل أن تتعلم هى أن تكون أمًّا !

فى كل مَرأى عينٍ منك يا صغيرتى درسٌ يهدينى ويلهمنى !

* * *

هل أنتِ سعيدة بدنياك أيتها الصغيرة ؟ هل تتألين لشىء ؟ هل تؤملين فى شىء ؟ هل وجدتِ الحياة كما علّمك باريكِ الأعظم ؟

مَن لى بأن أسمع جوابَ ما سألت ! ولكن ، لا ، لا ، حسبى الذى أرى ؛ إنك أنتِ أنتِ لأنك لا تجيبين ؛ إنك أنتِ أنتِ لأنى لا أعرف من أنتِ ؛ حسبى من العلم ما تلهمنى نفسى ؛ إن ذلك أعمق أثراً فى جنانى من كل بيان !

هذا جسمك ينمو كل يوم شيئاً شيئاً ، وهذه حركاتك تقوى وتشتد ، وهذا صراخك يتنوّع نَبْرُه وتختلف أنغامه ؛ وغداً — إن شاء اللهُ سيكون لك غد — ستكبرين يا صغيرةُ حتى تبلغى ما تبلغين ؛ وكم يلذّنى أن أتمثلك فى خاطرى صبيةً وفتاةً وسيدة كما آمل أن تكونى ؛ ولكن شيئاً واحداً هو أغلى من كل ذلك آمل أن يظل معك صبية وفتاة وسيدة ؛ هو قلب الطفلة ، وابتسامة الطفلة ، ونظرة الطفلة ، و ... ، و ... ، وصمتُ الطفلة حين تضجّ الحياة من حولك وتصطخب ، ويلتمس كلُّ سؤال جوابه ... !

ولكن ، آه ... إن حكمة القادير لتأبى ... !

هكذا كنا جميعاً ، وهكذا صرنا ؛ وكانت لنا حياة أين منها الحياة التى نعيش اليوم !

عيشى لى يا ابنتى واسلمى ، وكونى ما تكونين ؛ فأنت أول مَن أبوّت ، وأنت أول من علمنى معنى الحياة ... !

* * *

... لماذا تبكين يا بنية ؟ هأنذا على مقربةٍ منك ، تُملين علىّ وأكتب ؛ تعالى بين ذراعىّ ، إنهما على ما إنهما ، لألين مسًّا على جنبيك من هذا الفراش الوثير !

... تبكين لأنى منصرف عنك منذ ساعات إلى أوراقى أكتب ؟ من علّمك هذه الغيرة يابنية ؟ إن فيك لَطباعَ الأنثى وإن لم تكونيها بعد !

ابتسمى لأبيك أيتها الصغيرة ؛ لا تبكى ؛ إننى أنا أبوك ؛ لقد تعلّمتُ منذ الساعة ما أنا ، وعرفتُ ما علىّ من واجب ؛ إننى لَكِ منذ الآن ، لا يصرفنى شأنٌ من شئون الحياة عن هذا الواجب إلا أن يكون سعياً إلى ما يصلح من شأنك ...

تعالى تعالى علّمينى ! إننى أنا والدك ولكنك أنتِ ولدتِنى يوم وُلدتِ لأنك أنشأتِنى خلقاً آخر من يومئذ ...

تعالى ، قبِّلى أباك ! .. لا تعرفين ؟.. هذه قبلتى على جبينك يا صغيرةُ تذكرينى بها إلى معاد ؛ وإنها لدين إلى أجل لا بد أن أقتضيه يوماً من شفتيك !

محمد سعيد العريان

استطلاع صحفى

جولة فى مزرعة الجبل الأصفر

لمندوب الرسالة

فى دار النيابة زوبعة نائمة ينتظر نواب الأمة أن يثيروها عند ما يعرض الاستجواب الخاص بالتحقيق فى مزرعة الجبل الأصفر . وبذلك سجلت هذه المزرعة لنفسها تاريخاً خاصاً وأثارت فى نفوس القراء فضولا رأينا أن نشبعه بأن نقدم للقراء وصفاً شاملا لما يحدث فى تلك المزرعة متوخين فى بحثنا أن نكون بعيدين كل البعد عن السياسة ومراميها

الأرض المتمردة

على مسير ٢٠ دقيقة من المرج معهدان أولهما مستشفى المجانين، والثانى مزرعة الجبل الأصفر . وكلاهما يقع فى الصحراء بعيداً عن الناس . ففى الأول أناس اقتضت التقاليد عزلهم لما أصاب مراكز التفكير فيهم من خلل ؛ وأما الثانى فبرغم بهائه ونضرته ، وعلى رغم زرعه وضرعه، لم يجد الناس مندوحة من إقامته بعيداً عن عيونهم وأنوفهم ، فمواد سماده من فضلات المجارى ، فهى خطر على الصحة العامة لما تنقله من الجراثيم ، وهى خطر على حاسة الشم لأن رائحتها كريهة ، وهى خطر على المزاج لأنها تعكر صفوه وتشيع فى الإنسان الكآبة : ولذلك اقتضت ضرورة الذوق السليم أن تخط مزرعة الجبل الأصفر فى بقعة نائية من الصحراء

إحدى طرق النقل فى المزرعة بواسطة عربات « ترلى » يجرها حمار

ولا يربط هذين المعهدين بالمرج إلا خط حديدى مفرد تسير عليه مركبة الترولى مرات معدودات أثناء النهار عند ما ينتقل إلى سكان المزرعة البريد اليومى أو يحاول أهلها الاتصال بسكان العالم عن طريق الرسائل . ولو استطاعت الصحراء أن تتحدث لاتهمت المزرعة بالجنون كما اتهم به الناس سكان المعهد المجاور ، فكلاهما خارج بل متطرف فى الخروج على مألوف بيئته ، فأينما وقفت من أطراف المعهدين تجد الأفق ينطبق على رمال الصحراء سوي هذه البقعة ، فقد تمردت بفعل الإنسان فأرسلت من جوفها إلى العالم حياة طافحة بالخير والشر ، وأشجاراً باسقة تعطى الظل والخشب ، وأثماراً تدر على الإنسان الربح الوافر والغذاء الدسم

بعض العمال يفرزون البرتقال استعدادا لارساله إلى القاهرة والمدن الأخرى

تلك الأرض التى كانت منذ سنوات صحراء جرداء تستوى مع جيرانها فى أديمها الأصفر وهجيرها اللافح وشمسها المحرقة، أصبحت الآن بستاناً تهوى العين رؤيته وتتوق النفس إلى سكناه . وليس غرام البقعة قاصراً على عشاق الطبيعة الذين يحبون جمعها بين الصحراء وتلالها الرملية وبين الماء والخضرة ، بل إن هذا الغرام يمتد إلى التجار . ألم تسمع عن الثورة القائمة فى دار النيابة ؟ وهل سمعت أيضاً بحديث القتيل الذى راح ضحية المنافسة عليها عند البيع والشراء ؟ فإذا لم تكن تعرف هـذا فتيقن أن المزرعة مصدر ربح وفير ، فإنتاجها حسب تقدير قسم البساتين بوزارة الزراعة يزيد على اثنين وعشرين ألفاً من الجنيهات .

صيد طائرين بحجر واحد

أمام مساحة المزرعة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون فداناً حولتها فضلات المجارى إلى حالتها الراهنة، إذ استعملت سماداً عضوياً جيداً لتغذية الأرض حتى أنتجت الأشجار والأثمار المختلفة . ولكن المشرفين رأوا أن يستفيدوا من الأرض فى التجارة بزراعة الموالح من برتقال ويوسفى بأنواعهما . أما البقول والفول والشعير

فاقتصر زرعهما على الاستهلاك المحلى لسكان المزرعة الذين يزيدون على ألف نسمة

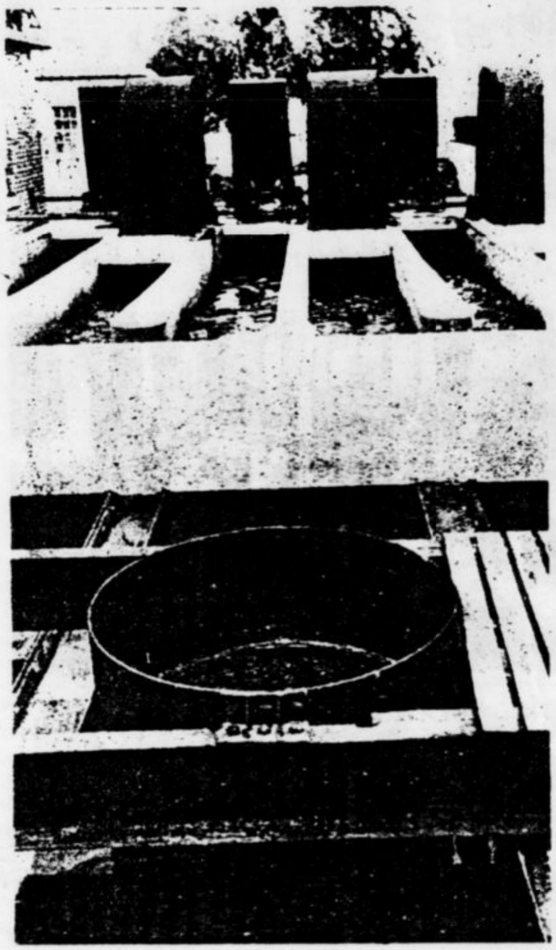

صورة إحدى النماذج التى استعملت لتجربة تنقية الماء بواسطة السواقى الدائرة

ويزرع من هذه المساحة ألف فدان موالح، وهى الأرض التى يسمح باستغلالها فى التجارة، وبذلك تكون هى منشأ النزاع وإن شئت الدقة قلنا الاستجوابات المطروحة فى دار البرلمان. ويزرع من المساحة الباقية ١٥٠ فداناً شعيراً ومثلها فولاً و ٣٠ فداناً غابات، ومثلها للنخيل وعشرة أفدنة للخضروات؛ أما الباقى فأراض بور لم يتم إصلاحها بعد، ولو توفر الماء لريها لأصبحت كمثيلاتها؛ فالسماد العضوى الذى تجلبه إليها المجارى غذاء غنى للنبات

وليست الناحية التجارية هى الأصل فى إنشاء هذه المزرعة بل الغرض أسمى من ذلك، ففى مدينة القاهرة مجار تجمع الفضلات من المنازل لتلقيها بعيداً عن الناس دون أن تكلفهم مشقة التعب فى النقل وإيجاد السكان . وهذه المواد يجب أن يقتل ما فيها من جراثيم كما يجب أن تستهلك لتنعدم رائحتها وحتى لا تزيد وتتكاثر بمرور الزمن . ولذلك فكر ولاة الأمور فى إنشاء مزرعة يتغذى نباتها بتلك الفضلات ، وبذلك يضربون طائرين بحجر واحد كما تقول الأمثال؛ فمن الناحية الأولى نجد مصرفاً دائماً للفضلات، ومن جهة ثانية نزرع الأرض ونجنى الثمار .

ولذلك لم تكتف المزرعة بالناحية المادية والتجارية، بل أرادت أن تضيف إلى الثروة الزراعية المصرية نباتات جديدة لم نعرف أثمارها من قبل فأدخلت زراعة بعض الفواكه « كالكوم كوات » كما استطاع الإخصائيون الزراعيون إنتاج فواكه فى غير أوانها، فاستطاعت المزرعة أن تمد السوق بالفواكه فى أكثر أوقات السنة . ولم تقتصر الفائدة على الحكومة بل عمت فاستفاد منها

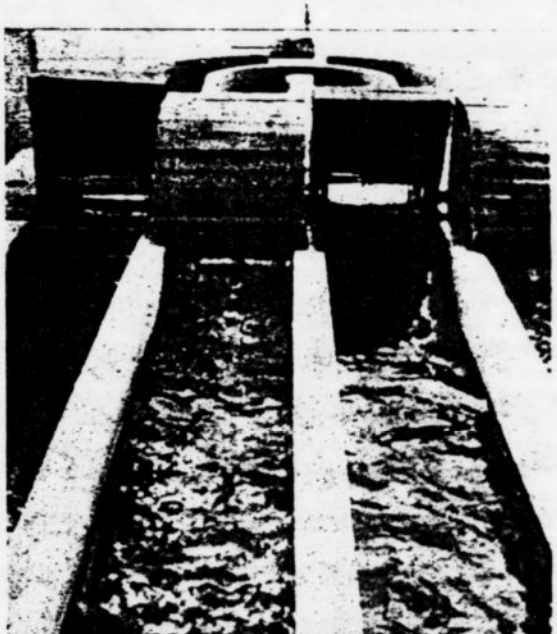

نموذج آخر لتجربة نوع آخر من السواقى لعزل الماء عن فضلات المجارى

الشعب فقد اشترى بعض المزارعين بذور تلك الفواكه فشاركوا المزرعة فى إنتاج الفواكه على غير ميعاد .

بر الشيطان

وتأبى أرض المزرعة إلا أن تضع أمام إخصائيها معضلة حاروا فى كشف سرها إذ يظهر نبات شيطانى اسمه « النتنة » لم تبذر له بذور ولم يعتنَ به فى سقى ولا حرث، ومع ذلك فإنه ينمو ويكبر؛ وهو غنى بالزيت، ولذلك أريد استغلاله باستخراجه منه فجربت زراعته ففشلت. «فالنتنة» نبات ينمو إذا تركته للطبيعة، فإذا أخذت بذوره وأعطيتها العناية والوقاية فإنها لاتنبت؛ أما إذا تركت على الأرض فإن نبات النتنة يكثر فيها. أما كيف ينبت فهذا سر الطبيعة؛ وأما لماذا لاينبت إذا قدمت له العناية فأمر علمه عند الله، وكل ما نعرف عنه أنه نبات شيطانى يحتفظ بسر نفسه، وما زالت التجارب تعمل.

وما يظن أنها بذوره تدفن فى الأرض أو تبذر على سطحها لتنبت، ولكنها تختفى فى الجهات التى تزرع فيها لتظهر فى جهات ثانية. والغريب فى أمرها أنها تنبت بإذن الله وحده فى عدة جهات وبكميات كبيرة، فأمكن استخراج كميات من الزيوت منها

وتحاول المزرعة أن تحتفظ فى حقول تجاربها بكثير من النباتات ولكن بعضها قد لايحتمل حرارة الشمس لأنه نبات إحدى المناطق الباردة، أو أن حرارة شمس مصر لا تكفيه لأنه نبات إحدى المناطق الحارة، ولذلك فإن المزرعة مجهزة ببيوت من الزجاج، وأخرى من الخشب

فأما بيوت الزجاج فتوضع فيها نباتات المنطقة الحارة حتى إذا انكسرت أشعة الشمس داخلها كانت حرارتها أقوى مما هى فى العادة، وهذه البيوت حوائطها من الزجاج الذى يسمح لأشعة الشمس بالنفاذ. أما بيوت الخشب فإنها تصنع لتعطى النبات كثيراً من الظل، وبذلك تقل الحرارة داخل البيت فيستطيع النبات البارد أن يعيش. وبعض النباتات يمكث فى هذه البيوت مدة حتى يمكنه أن يتحمل الحرارة والبرودة وعندئذ يمكن غرسه فى أرض المزرعة فى العراء

سماد عضوى

تروى أرض المزرعة وتسمد من فضلات المجارى التى تصل من القاهرة بواسطة أنابيب تقذفها فى أحواض واسعة حيث ترسب الفضلات الثقيلة فى قاعها وتمر فى عدة أحواض أخرى إلى أن تصبح ماء صافياً يستعمل فى رى المزرعة. أما المواد النليفظة فإنها تنشر فى أحواض رملية وتعرض لأشعة الشمس حتى تجف وتباع للزراع كسماد عضوى جيد، ويختلف ثمن المتر المكعب منه تبعاً للمكان الذى يسلم فيه

صورة أحد العمال وهو ينظف إحدى فتحات الأحواض

وتنحل المواد البرازية أثناء انتقالها داخل الأنابيب من القاهرة إلى تلك الأحواض فإنها تبقى عدة ساعات كافية لقتل أى مكروب، ولذلك فإن المواد تصل إلى تلك المنطقة سوداء مما يدل على انحلال موادها. أضف إلى ذلك أنها فى ماء جار لا يسمح للميكروبات بالحياة. بل إن بعض الأطباء يؤكدون خلو تلك المواد من أى ميكروب؛ ولذلك يأخذون على وزارة الصحة اعتبارها للمواد التى تسقط على أرض ملوثة؛ ويقول آخرون إن هذا احتياط واجب وهو أدعى لطمأنينة الناس وثقتهم بنباتات المزرعة

ولأول مرة شاهدت أرض المزرعة عجبت لكثافة الحشائش فى أرضها مبيناً ضرر ذلك على النبات. ولكن محدثى وهو ممن عاشوا فى المزرعة مدة طويلة قال: إن هذه الحشائش الطفيلية تنبت بغزارة وقد تعبنا فى التخلص منها بدون جدوى. وثلاثة أرباع

العمل الذي نبذله هنا يقتصر على حشها ولكنه لا تمر ٢٤ ساعة حتى تنبت بهذه الكثافة من جديد. ولما سألته عن السبب قال: إن الماء الذى تزرع به الأرض يحتوى على كميات كبيرة من السماد فتشبعت به الأرض أكثر من الحد الطبيعى حتى أصبحت أرضها صلبة مما يضر بالمزروعات أحياناً، وإذا أردنا أن نرجع بالأرض إلى الحالة الطبيعية وجب أن نزرعها مدة عشر سنوات بدون سماد

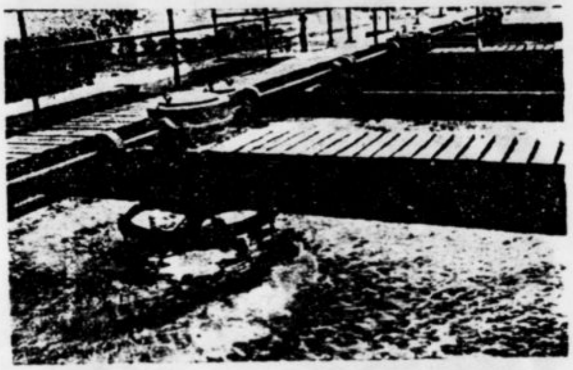

ساقية تدور فى وسط الماء لتفصل الماء رائقا عن الفضلات وترى زبد الماء ظاهراً

تجارب لعزل الفضلات

ومن المشاكل التى يحاولون التغلب عليها الحصول على ماء خال من السماد الذائب فيه ، ولذلك عملت تجارب لتصفية ماء المجارى والحصول على ماء نقى . فليس هذا سهلاً باستيراده من النيل أضف إلى ذلك أن مشكلة ماء المجارى ستظل بدون مصرف لها .

صنعت هذه الأحواض لتنقية الماء حسب الطريقة المتبعة فى ريف مصر بواسطة الحصى والرمل والزلط

واتبعت عدة طرق ما زالت تحت التجربة لتنقية الماء بطريقة السواقى أو الرشح بين الزلط والرمل ، وينتظر أن تصل هذه التجارب إلى نتائج حاسمة قريباً فقد شاهدت إحدى التجارب وقد أصبح الماء المتخلف منها شفافاً ولكن تكاليفه غالية . ويراد استنباط طريقة رخيصة التكاليف . وقد بنيت لتنفيذ تلك التجارب عدة نماذج مساحة الواحدة منها خمسون متراً تقريباً

وهناك مشروع لتحضير غاز الاستصباح من فضلات تلك المواد، فإذا نجح هذا المشروع فإنه يكفى لإضاءة شوارع القاهرة جميعها. وقد بدأ القائمون بالأمر بعمل التجارب اللازمة ، فأنشأوا لذلك بئراً عمقها ١١ متراً كما شيدوا خزاناً من الحديد لاستقبال الغاز وتوزيعه

محافظة على الصحة

وتحرص وزارة الصحة كما قلنا على منع الثمار الملوث من الوصول إلى أيدى الناس، ولذلك إذا أراد مستغل الزرعة أن يجمع ثمار قطعة من الأرض فعليه أن يخطر رجال للصحة ليمروا فى تلك المنطقة وليجمعوا منها الثمر الذى يلمس الأرض سواء كان ساقطاً أو فى فروع قريبة من الأرض فلامستها . ويدفع للمستغل ثمن ما يتلف لأنه ملوث وقد قدر بخمسة آلاف جنيه فى العام الماضى

ويعدم الثمر الملوث بوضعه فى حفر عميقة وصب « حامض الفنيك » عليه ثم ردم الحفر

فوزى جبر الشترى

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

للأستاذ محمود الخفيف

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح ،
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

يذكر المصريون اسم عرابي فلا يبتعث هذا الاسم وا أسفاه في أذهانهم إلا صور العنف والنزق والحمق ، وتراهم — وإن لم يقصدوا — يقرنون اسم عرابي بمعاني الهزيمة والاحتلال والمذلة كأن هذه المعاني من مرادفاته

وما أذكر مجلساً تطرق الحديث فيه إلى عرابي إلا وسرت في الوجوه كآبة ، وتسابقت الألسن للهزء به وتعديد مساوئه وإبراز مثالبه ...

والحق أنه قل أن نجد في رجالنا رجلاً ضاعت حسناته في سيئاته كما ضاعت حسنات عرابي المسكين فيما ارتكب وفيما افترى عليه من سيئات ؛ وكذلك قل أن نجد في رجالنا رجلاً كرهه بنو قومه واستنكروا أعماله بقدر ما كره هؤلاء عرابياً واستنكروا ما فعل وما أسند إليه من الأعمال زوراً وإفكاً . وفي ذلك دليل قوي على أن التاريخ قد يظلم عامداً كما قد يخطئ غير عامد ؛ وفيه كذلك دليل على أن الأمور كثيراً ما تجري فيه كما يرسم الحظ لا كما يضع العدل من قسطاس ؛ فيكون نصيب بعض الرجال من التعظيم بقدر ما يتوافق لهم من حظ لا ندري كيف اتفق لهم دون غيرهم ، بينما يجني على كثير من ذوي النفوس الصحيحة والعظمة الصادقة ما يلحق بهم من سوء الطالع وما يحيط بهم من نحس الأيام

وما كان عرابي فيما أعتقد أثقل الرجال وزراً وإن لم يكن أقلهم أخطاء . ولعلي أستطيع أن أجلو ذلك في سيرته بقدر ما أصل إليه من وجوه الصواب في تلك السيرة التي بالغ كثير من ذوي الأغراض في تشويهها والحط من قدر صاحبها

ومهما يكن من الأمر فما أحسب من الناقمين على عرابي من يستطيع أن يماري في أنه كان زعيم حركة وداعية فكرة ، وأنه — أخطأ أو أصاب — كان مخلصاً فيما يفعل وفيما يقول، وأنه قبل ذلك كله وفوق ذلك كله كان أول مصري فلاح في مصر الحديثة خرج من بين عامة الفلاحين في قرية من قرى مصر فاضطلع بقضية، ونادى على رأس المنادين بمطالب مصر ، وصار اسمه في موقف هام من مواقف نهوضها علماً على الجهاد ورمزاً للمقاومة حتى شاءت الظروف فامتشق الحسام وسار على رأس جيش من بنيها يذود عن أراضيها ويقف غير هازل ولا طامع في وجه الغادرين الباطشين من أعدائها ...

بهذه الروح أكتب عن عرابي ، وعلى هذا الأساس أبين سيرته ، فالإخلاص في الرجال هو عندي مقياس بطولتهم الأول ، بل هو فيما أرى أصح المقاييس وأهمها ؛ أما الصواب والخطأ وما إليهما ، فأمور توجد في الأبطال وغير الأبطال ، ولا فرق فيها في كثير ولا قليل بين هؤلاء وهؤلاء !

ولد أحمد عرابي في عام ١٨٤٠ م في قرية تدعى هرية رزنة بمديرية الشرقية ، ونشأ الصبي القروي كما ينشأ الآلاف مثله في قرى مصر على نمط من العيش لا نحسبه يختلف كثيراً باختلاف العصور في هذه القرى التي نبتت على ماء النيل منذ الأزل ...

نشأ في هذه القرية الصغيرة ذلك الصبي الذي قدر له أن يجري اسمه يوماً ما على كل لسان في مصر ودرج بين لداته عرضة

للأمراض المختلفة ، يحيط به فى قريته الجهل والفقر أينما اتجه ، ولا يجد حوله من مظاهر الحياة والعمران مثل ما يجده صبى مثله ينشأ فى مدينة كبيرة أو يتلقى العلم المنظم فى مدرسة منظمة

على أنه يذكر عن أبيه فى مذكراته(١) أنه كان « شيخاً جليلاً رئيساً على عشيرته عالماً ورعاً تقياً نقياً موصوفاً بالعفة والأمانة » ؛ ومهما يكن من أمر أبيه فليس يعنينا فى هذا المقام سوى أنه أرسل ابنه إلى مكتب القرية وهو كما يقول ابنه من منشا ٓنه فيها ، وفى هذا المكتب فتحت عينا الصبى على نور العلم فحفظ شيئاً من القرآن وتعلم القراءة والكتابة ؛ وتعهده صراف القرية زمناً فعلمه مبادئ الحساب

ومات أبوه وهو فى الثامنة من عمره ، ولكن يتمه لم يحل بينه وبين أن ينال قسطاً من العلم فى الأزهر فلقد أرسله أخوه الأكبر إلى هناك عسى أن يكون عالماً من علمائه ، ولكن الصبى لم يلبث بالأزهر كثيراً فعاد إلى قريته ، وكان من الممكن أن يعيش فى تلك القرية ثم يموت فيها كما يعيش ويموت سواه من الفلاحين من أهلها . . .

ولكن الأقدار تخرجه من هذه القرية ليغدو فيما بعد رجلاً من رجال مصر ، وليثبته التاريخ فى سجله ، بعد أن يصل اسمه إلى مسامع جميع الساسة فى ذلك العصر ؛ وتنطوى السنون وتبقى ثورته صفحة من أهم الصفحات فى تاريخ هذا البلد

أراد سعيد أن ينهض بالجيش، لا لأنه كان رجل حرب وأطماع، ولكن لأن الجيش كان ملهاته ، فأمر بتجنيد أبناء المشايخ والأعيان ، وكان من بين من جندوا ذلك الفتى الأزهرى القروى الذى لم يكن له من عمل فى قريته ، وكان يومئذ فى الرابعة عشرة

وبالتحاق عرابى بالجيش تبدأ مرحلة جديدة فى حياته ، ثم تنتهى من ناحية أخرى مرحلة تعليمه . ومن ذلك نرى أن كل ما ناله عرابى من المعرفة لم يعد ما تلقاه فى المكتب ثم فى الأزهر قبل سن اليفاعة ، اللهم إلا ما كان من مطالعاته الخاصة فيما بعد وهى أمر لا يمكن تحديده . . .

ولطالما رمى عرابى بالجهل ثم عد هذا الجهل من أهم نواحى ضعفه ، بل لقد كانت تلك الناحية فى مقدمة ما يهزأ به منه خصومه ، وبخاصة أولئك المؤرخون الأجانب الذين ينتابهم أبداً لذكر عرابى ما يشبه الحمى فيطلقون ألسنتهم فيه بلا حساب

ولست أحاول هنا أن أنسب العلم إلى عرابى فما أبعده عن أن يوصف بالعلم ، ولو كما كان يفهم أهل عصره من مدلوله ؛ ولكنى من ناحية أخرى لا أراه من الجهل كما يصفون أو كما يسخرون ، ذلك أنى أقيسه إلى جمهرة المتعلمين فى عصره من أهل مصر ، وما كان لى أن أعدو ذلك فأقيسه إلى رجال جيله فى أوربا إلا أن أعتبر مصر يومئذ فى مصاف تلك الدول علماً وثقافة وحضارة . ولن توصف الشمعة لعمرى مهما كانت ضئيلة النور بأنها مظلمة، ولا سيما إذا قيست إلى غيرها من الشموع وما على شاكلتها من المصابيح؛ أما أن تقاس إلى المشاعل القوية أو أن تنقل من ظلمة الليل إلى وضح النهار ثم يتحدث بعد ذلك عن مقدار نورها ، فهذا ما لا يجوز إلا فى حساب المغرضين والمبطلين

ومتى كان العلم الغزير من مستلزمات البطولة ؟ ألا كم شهد التاريخ من أناس لم يكن لهم من العلم إلا مثل حظ الرجل العادى منه بحيث لو أنهم قيسوا من هذه الناحية إلى معاصريهم من العلماء والفلاسفة لكانوا فى حكم العدم ، ومع ذلك فلم ينل نقصهم هذا من بطولتهم أو يقعد بهم عن مواصلة السير إلى مثلهم التى رسموها ؛ وذلك أن قلوبهم كانت عامرة بما هو أغلى وأعظم من نظريات العلماء وأحلام الفلاسفة ... كانت قلوبهم عامرة بالإخلاص والحماسة والعزم وهى خلال لن تقوم عظمة حقيقية بدونها ولن تغنى عنها سواها من الخلال مهما كان من قيمتها فى مجال آخر ؛ ولرجل واحد وثيق العزيمة صادق الإخلاص متوقد الحماسة خير فى قيادة الناس وتحريرهم من عشرات الفلاسفة النارقين فى أوراقهم وكتبهم

وما كان عرابى فيما استخلص من سيرته خلواً من هذه الخلال ، بل لقد كان ما توافى له منها لا ينزل به فى البطولة عن مرتبة شريف والمويلحى واللقانى ومحمد عبده وجمال الدين والبارودى وغيرهم من مثقفى عصره ، إن لم يكن يرتفع به عليهم على ضآلة علمه بالنسبة إليهم . ولست أغلو فى ذلك أو أتحيز ، وإلا فكيف انتهت إليه فى وقت ما زعامة الحركتين الوطنية والعسكرية معاً ؟ ولقد كان فى الأولى كما ذكرت من الرجال من هم أعلى كعباً منه فى المعرفة، وفى الثانية من هم أرسخ قدماً فى الجندية ؟ وهل يعزى ذلك إلى الحظ وقد كان عرابى من أكثر الناس شغباً على رؤسائه فى الجيش ، أم يعزى إلى الجاه والثروة وقد كان فلاحاً ابن فلاح من بيت عادى لا ثروة له ولا جاه ؟

ألا إنه لا مناص لنا إذا أردنا الإنصاف من أن نعزو ذلك

(١) كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية

إلى أنه كان أكثر ممن حوله إيماناً وأقوى منهم جناناً وأشد منهم توثباً وتطلعاً ، وإن كان من أقلهم معرفة واطلاعاً ؟ وهنا لا أتردد أن أثبت رأياً آخر وهو أنه لا يجوز عندى أن يُعدّ عليه ما يعزى إليه من جهل أو أن يؤخذ به ، وإنما ينبغى أن يعد له وأن يعتبر داعياً من دواعى فخره !

انتظم عرابى فى سلك الجندية (نفراً) عادياً فما لبث أن ترق بعد سنتين إلى رتبة (ملازم ثان) وكان ذلك حوالى عام ١٨٦٠ ثم إلى رتبة ملازم أول فيوزباشى فى نفس العام ، ولم يمر عامان بعد ذلك حتى وصل إلى رتبة قائمقام (بك) وكان عرابى أول مصرى وصل إلى هذه الرتبة كما يقول فى مذكراته

وصل هذا الجندى من رتبة الجاويش إلى رتبة قائمقام فى نحو أربع سنوات وما كان ذلك عن حظوة له عند أحد ، وإنما كان سلاحه ذلك القدر من العلم الذى أشرنا إليه، فبه تمكن عرابى أن يدرس القوانين العسكرية ويجتاز الامتحانات متفوقاً ، ويدلنا ذلك على ندرة المتعلمين فى ذلك الجيش ، ولا شك أن هذا الترقى السريع قد بث فى نفس الفتى القروى كثيراً من الطموح والإقدام ...

على أنه كان شجاعاً بطبعه فى عصر كثيراً ما كانت تعد الشجاعة فيه ضرباً من العصيان والتمرد كما سيأتى بيانه ؛ ولسوف نرى من مواقفه فى هذا العصر ما يزيد معنى بسالته ويظهرها مضاعفة ...

وأول ما عرف عنه فى الجندية كراهته للعنصر الجركسى ، فكان لا يفتأ يقارن بين نصيب هذا العنصر ونصيب المصريين من المناصب ، فلاتزيده المقارنة إلا غضباً وكراهية لهؤلاء الأجانب . أليست هـذه النزعة من جانبه هى نزعة الوطنيين فى الجيش حينما تبدأ الحركة العسكرية ؟ ثم ألسنا نجد فيها جانباً من الوطنية ومعنى من معانيها ؟

ولكن بعض المؤرخين لا يفهم هذا من جانب عرابى إلا على أنه ضرب من الأنانية والجشع ، بل ليسرف بعضهم فيرميه بالتبجح قائلين: ما لهذا الفلاح وعليا المراتب فى غير جدارة؟ وإنهم فى ذلك ليمتدحونه من حيث لا يشعرون ! ولئن كان الطموح بالنفس والشعور بالقومية تبجحاً ، فماذا نسمى التقاعد والتخاذل والاستخذاء أمام الأجنبى ؟ ألا ليت كل تبجح يكون كتبجح عرابى هذا فما أعظمه وما أجله ، وما أجدره بالتقدير والإعجاب ! وليت شعرى كيف يستطيع رجل فى مثل موقفه أن يقنع المكابرين أن نزعته كانت قومية يقصد بها بنى قومه جميعاً ؟ وأى عيب فى أن يبدأ بنفسه فيرقى بها ؟ أليس مصرياً ؟ وهل كان يعتز بغير مصريته إذا اعتز بنفسه ؟ على أنه لو أراد بالرقى نفسه فحسب دون أى اعتبار قومى ، فما وجه العيب فى ذلك ؟ أيكون من العيب أن يتطلع الرجل إلى المعالى ، ولا يكون من العيب أن يرضى بتقدم غيره عليه حتى ولو كان ذلك الغير أجنبياً ؟

إن الرجل المخلص لا يقف ليقول للناس إنه مخلص وفى ذلك شك منه فى نفسه ، ولا يكون هناك دليل على إخلاصه إلا ما يعمل فى سبيل تحقيق مبدئه، أما الكلام فسبيله ميسور ؛ وفى استطاعة كل مبطل أن يملأ أسماع الناس بدعوى إخلاصه فى غير مشقة .

« يتبع » الخفيف

مقدمة « ليلى المريضة بالعراق »

تقرير طبي

[مرفوع إلى حضرة صاحب المعالي وزير المعارف]

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل

كنتم سألتمونى منذ شهرين أن أقدم إليكم تقريراً عما صنعت فى مداواة ليلى المريضة فى العراق ، فأنا اليوم أجيبكم عما سألتم ، راجياً أن تغضوا النظر عما وقع من إمهال وتسويف

وأسارع فأعتذر عن تقديم هذا التقرير مطبوعاً إلى الجمهور فى الوقت الذى أقدمه إليكم ، لأن لى فى ذلك غاية نبيلة : هى تذكير زملائى من الأطباء بواجبهم فى التعرف إلى الدراسات الأدبية والفلسفية ، على نحو ما كان يصنع الأطباء العظام فى الأمم العربية والإسلامية ، وقد أعلنت هذا المعنى منذ شهور طوال فى مجلة « المعلم الجديد » التى تنشرها وزارة المعارف العراقية ، فاستقبله الأطباء هناك بالترحيب

ومعاذ الأدب أن يكون فى نشر هذا التقرير بطريقة علنية دعاية لنفسى ، فما أطمع فى أن أكون أستاذاً للحكمة الوجدانية بكلية الطب بعد أن صنع الأدب بحياتى ما صنع : فقوض عيادتى بشارع الدابغ ، وأغلق عيادتى بشارع فؤاد ، وأصارنى إلى احتراف الصحافة والتدريس

وقد كنت نشرت بعض فصول هذا التقرير بمجلة (الرسالة) فى السنة الماضية فارتاع زملائى من أطباء بغداد وشكونى إلى الجمعية الطبية المصرية ، وكانت حجتهم أنه لا يليق بالطبيب أن يفشيَ سرَّ المريض

وما أجهل أنى أخطأت ، ولكن متى سلمت أعمال الرجال من الأخطاء ؟ وهل يدَّعى العصمة إلا أهل الغفلة والُحمق والخبال؟

إن أعظم مزية يتحلى بها كاتب هذا التقرير هى أنه يعترف سرًّا وعلانية بأنه إنسانٌ يخطئُ ويصيب ، وقد يشطح وينطح فى كثير من الأحايين !

وما أتخوفه اليوم وأنا أقدم إليكم هذا التقرير قد تخوَّفته من قبل : فقد كاد ما نُشِرَ من هذا التقرير يزلزل الأرض تحت قدمىّ فى بغداد ، واضطرنى ذلك إلى الدفاع عن نفسى أمام « نادى القلم العراقى » وفيه كثير من الأطباء ، فتقبل الزملاء دفاعى بأحسن القبول . ومن ذلك عرفت أن الأطباء قد يحسون معانىَ الإنسانية حين يتصلون برجال الأدب والبيان

وما أُخفى عليكم أنى كنت أعرف أن اهتمامى بمداواة ليلى سيعرضنى لكثير من المكاره ، فهدتنى الفطرة إلى أن أحتاط لنفسى فأوهمت أهل العراق أنى أديب عظيم ، واستطعت بذلك أن أتصدر لتدريس الأدب العربى بدار المعلمين العالية ، على قلة ما أملك من الذخائر الأدبية ، وقد أعاننى الله تباركت أسماؤه على تحقيق ما ادعيت ، فألقيت على تلاميذى وعلى جمهور أهل العراق محاضرات أسبوعية بكلية الحقوق كان لها فى آذان أدباء بغداد رنين أى رنين

ولم أكتف بذلك ، بل بالغتُ فى سَتر الموقف فأنشأت الفصول التى رأيتموها فى كتاب : « وحى بغداد » .

فإن عجبتم من أن أُوفَّق إلى ما وفِّقتُ إليه فى زمن لا يزيد عن تسعة أشهر فتذكروا أن الإخلاص قد يزعزع رواسى الجبال

أليس من العجيب أن أُهاجر إلى بغداد وأنا طبيب فأرجع وأنا أديب ؟ !

* * *

ولكن ما الذى ستقرأونه فى هذا التقرير الذى تعدُّ صفحاته بالمئات ويقع فى ثلاثة أجزاء ؟

من المؤكد أنه يغاير التقارير التى أقدِّمها إلى مكتب تفتيش اللغة العربية من أسبوع إلى أسبوع

ستجدون فى هذا التقرير صِراعاً مروِّعاً بين الحلم والجهل ، والرشد والغىّ ، والهدى والضلال . وستجدون فيه ما هو أخطر من ذلك : ستجدون فيه صِراعاً بينى وبين نفسى ، والجهاد الأكبر جهاد النفس ، كما قال الرسول

سترونى هززت شجرة النفس الإنسانية هزة عنيفة لأعرف

ما تحمل من الثمار المطوبة والثمار الصحاح

ستروننى صنعت بالقلوب والنفوس ما تصنع الأعاصير بالشجر والنبات لا ينجو من عنفها إلا القوىُّ المتين

فإن رأيتمونى قدّمت إلى أصْونة وزارة المعارف تقريراً لم تعرف مثلَه قبل اليوم فاجزُونى بكلمة ثناء تخفِّف ما أصارتنى ليلى إليه : فقد رجعتُ من دارها مفطور القلب مصهور الروح .

وإن رأيتمونى أحدثت فى عالَم الطب بدعةً سيئةً فاغفروا ذنبى ، فحسبي من المحنة أن أسكب الدمع كل يوم على ما أسرفتُ على نفسى من الهُيام بأودية المعانى ، والضلال فى هَوَى الملاح . أعاذك الله من بلاء الحب ، ونجّاك من فَتْك العيون السُّود !

أتذكر أيها الوزير الجليل كلمة جاءت فى كتاب « ثورة الأدب » الذى ألفه كاتب من أقطاب الكُتّاب فى هذا الجليل ؟

أتذكر أن ذلك المؤلف قال: إن هناك آفاقاً من المعانى يتحاماها كتّاب العصر الحديث ؟

فما رأيك فيمن يكفّر عن سيئات أولئك الكتاب فيتحمل المشاق فى ارتياد تلك المجاهيل ؟

لقد اقتحمتُ تلك الآفاق بلا زاد ولا ماء ، وأنا أعرف أنى أعرّض سمعتى للأقاويل والأراجيف ، لأن الناس عندنا لا يفهمون كيف يدخل الطبيب على نفسه ليُشرّح على حسابها أهواء النفوس والقلوب والعقول ؟

اقتحمتُ تلك المهالك وليس لى إلا سنادٌ واحد هو الشعور بأنى أؤدّى خدمة للأدب والطب . وهل يُخدَم الأدب والطب بأفضل من التغلغل فى تشريح النزعات والأهواء ؟

وهل كنتُ أملك الفرار من الصُّنع الذى صنعتُ ؟

لقد قضيت نحو تسعة أشهر فى بغداد وأنا فى حِوار موصول مع ليلى وظمياء ، وأنت تعرف كيف يتعرض القلب — حين يألف مثل هاتين الشيطانتين — للطواف بأركان الحقائق والأباطيل

أقول هذا وأنا أشعر بأنى لم أوفَّق كل التوفيق فى تدبيج هذا التقرير لأنه خلا خلوًّا تامًّا من شوائب الرياء ، فى وقت صار فيه الرياء سيد الأخلاق ، وإلا فما الذى كان يمنع من أن أضيف إلى نفسى وإلى ليلى محامد ومناقب يسير بها الركبان ؟ ما الذى كان يمنع من أن أقول إن ليلى لم تَغْتِبْ عنّى مرةً واحدة وإنى كنت فى هواها أعقل الناس ؟

منع من ذلك التعقل مانعٌ واحد هو الغرام بالصدق . منع من ذلك أنى أشعر بأن الأدب العربى أصبح على شفا الهاوية بفضل شيوع التدليس فى تصوير العواطف والغرائز والطباع

منع من ذلك أنى أبغض أشد البغض أن تشعر وأنت تقرأ هذا التقرير بأن فيه شيئاً من الزور والبهتان

وهل من القليل أن ترانى وصلت إلى ضمير الحياة العراقية ثم وصفته بأسلوب يخفى سِحْرُهُ الدقيق على هاروت وماروت ؟

* * *

فى هذا التقرير ، أيها الوزير ، ما يشبه التحامل على الأطباء ولى فى ذلك عذر مقبول .

فأنت تعرف أن الحكومة كانت أوعزت إلى الجمعية الطبية المصرية أن تقيم مؤتمرها العاشر فى بغداد لتعيننى على مداواة ليلى المريضة فى العراق .

ولكن أولئك الأطباء حاربونى وقاتلونى بلا ترفق ، وقد جزيتهم بما يستحقون ، وأنا مع ذلك أشعر بأنى أحسنت إليهم كل الإحسان .

أما يكفى أن أصوِّر بقلمى فِلْماً للمؤتمر الطبى العاشر ، فلماً رائعاً لم يشهد مثله الناظرون ؟

سترى فى هذا التقرير أن ليلى — وإن بالغتْ فى الدلال — لم تُضمر غير الحب ولم تمنح الواشين الآثمين غير الصد والإعراض

سترى أن ليلى عرفت أنى لم أكن إلا طيفاً زار فى السَّحر بساتين الكرخ وبغداد .

ويؤذينى أن أعرف أنه قد يصعُب أن أرى ليلى بعد اليوم فقد قيدنى أهلى وأبنائى بقيود من حديد ، وقهرونى على أن أعترف بأنى من مصر لا من العراق

وإن رأيتم فى هذا التقرير حبًّا شديداً للأمة العراقية فلا تعجبوا ، فما ذقتُ طعم الحياة إلا فى العراق ، ولا رأيت صدق

القلوب إلا فى العراق ، ولا عرفت جمال النيل إلا بعد أن رأيت لون مائه فى دجلة والفرات

وما أسفتُ على شىء كما أسفت على أن لم يُقدَّر لشاعرنا شوقى أن يزور العراق .

وقد دعوتكم إلى زيارة العراق ، فمتى تجيبون ؟

أحب أن أعرف متى أراكم فى العراق بين قومى وأهلى ؟

أحب أن تسمعوا سجع الحمائم فى الموصل ، وأن تروا غابات النخيل فى البصرة ، وأن تعانوا بقايا السحر فى بابل ، وأن تكحلوا أعينكم بغبار الصحراء فى النجف ، وأن تستصبحوا بظلام الليل فى بغداد

أدعوكم أيها الوزير إلى زيارة الأماكن التى قضت بأن يتموج هذا التقرير بعُباب الهدى والضلال .

أدعوكم إلى زيارة العراق لتواجهونى بما فى هذا التقرير من الزائف والصحيح ، إن ارتبتم فى بعض ما ستقرأون .

سترون فى هذا التقرير رموزاً كثيرة ، وقد تجزون من يحدثكم بأنى سلكت فيه مسلك الغمز والتجريح ، فإن سمعتم شيئاً من ذلك فاختبروه بأنفسكم على ضوء الحق لتعرفوا أنى أخلصت النصح للأمتين العظيمتين : (مصر ، والعراق) .

وما الذى يوجب التصريح فى مواطن يكفى فيها التلميح ؟

إن البلاغة تجعل اللَّبس والغُموض من أغراض الكتاب فى بعض الأحيان فكيف تحرِّمون علىّ ما استباحه المفكرون فى مختلف العصور والأجيال ؟

إن هذا التقرير يحدد صلات مصر بالأمم العربية والإسلامية ويدلُّها على مذاهب الخلاص من الشُّبهات والأراجيف . وهو كذلك يشرح المعضلات التى يتعرض لها الجيل الحديث فى مصر والشرق ، وما كان يتيسر ذلك إلا إذا اعتمد الكاتب على رموز وإشارات يفهمها أولو الألباب .

وإنى لواثق بأنكم ستعجبون حين ترونني وصلت إلى دقائق لم يفطن إليها أحدٌ قبل اليوم وأنا أتلقى الوحى من ليلى ومن ظمياء

وهل كان ينتظَر من رجل يلهو ويلعب أن يصل إلى ما وصلتُ إليه فى تشريح السياسة الدولية فى الشرق العربى والإسلامى ؟

ذلك شىء غريب ، ولكن الأغرب أن تتلقوا الحكمة عن أفواه المجانين !

وأعيذكم أن تظنوا أنى آذيت بهذا التقرير أحداً من الناس ، فقد عرَضت بعض فصوله على ليلاى بالعراق قبل أن أعرضه عليكم فتلقته بالقبول ، وهى التى علمتنى مذاهب الرمز والإيماء ، وسيُرمى النقاد منى بداهية إن بدا لهم أن يعترضوا على ما فى هذا التقرير من رموز لا يدرك مغازيها إلا الراسخون فى الحب والطب

ولك يا معالى الوزير أن تَبلوَ سرائر هذا التقرير إن أردت

لك أن تسأل — بينى وبينك — عما فى هذا التقرير من غرائب وأعاجيب ...

وليس لك أن تطالبنى بأن أفسر للجمهور ما يقصد إلى طيِّه الحكماء ، وأنا من الحكماء لأنى بحمد الله مجنون !

* * *

فى هذا التقرير خطاباتٌ شخصية ، فلا يرُعْك ذلك : فقد كان أدبى من مواسم الأفراح الروحية فى بغداد ، وفيه صور كثيرة لمعالم العراق وبعض أهل العراق ، وكان فى نيتى أن أحلِّى هذا التقرير بصورة ليلى — أعزها الحب — ولكنى خشيتُ أن أخرج على أمرها العالى ، وهى قد أشارت بأن يصان وجهها الجميل عن شَرَه العيون .

لا تعجب من أن أفْتَن بما وُفِّقت إليه فى هذا التقرير ، فسترى أنى لم أفرِّط فيه من شىء ، وسيدعوك إلى أن تستوحىَ ليلى المريضة فى أسوان كما استوحيتُ ليلى المريضة فى العراق !

* * *

أيها الأستاذ الجليل

سترى فى هذا التقرير صفحات تشرح الحوادث التى كانت سبباً فى وقوع فاجعة بغداد ، فاقرأ تلك الصفحات — غير مأمور — لترى أن ما وقع لم يكن أثراً لعداوة موجَّهة إلى الأمة المصرية ، وإنما هو نتيجة لتصرفات أوقعت فيها المقادير بعض الناس

لتعرف ما فى أنفسنا من الصلاحية للاستبسال فى خدمة المقاصد العالية بمعاهد الشرق

وكان فى نيتى أن أطوى تلك الصفحات من هذا التقرير ، ولـكن دعانى إلى إثباتها ما عرفتُ من أن بعض المفسدين يريدون أن يجعلوا تلك الفاجعة نهاية الصلات الودية بين مصر والعراق

وأرجو أن تعرفوا أنى لم أتلطف فى سرد تلك الأسباب ، ولم أضف إليها شيئاً يمليه الغرض فى مراعاة مصر أو التحامل على العراق ، وإنما وقفت موقف الرجل الأمين الذى يقدر المسئولية أمام الله وأمام التاريخ

وعند قراءة الفصول الخاصة بتلك الفاجعة سترون أن الله قدر ولطف : فلم تـكن تلك الحوادث إلا سحابة صيف، وقد تقشعت بفضل الله الـكبير المتعال

لقد قلتُ ما قلتُ ، وكتبتُ ما كتبتُ فى الدفاع عن العراق ، ومن الله وحدَه أنتظر حسنَ الجزاء . فمن كان له هوًى فى أن يصدّنى عن قول الحق فليمض فى ضلاله كيف شاء ، فما أنتظر العطف من أحد ، وقد أقمت حياتى الأدبية على قواعد من الحديد

وما هـذه الدنيا الصغيرة التى يتعادى فيهـا النـاس بلا بينـة ولا برهان ؟

وما بالُ قوم يؤذوننى وما قدمت إليهم غير الجميل ؟

اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون

« مصر الجديدة » زكى مبارك

أبى ...

للآنسة الفاضلة فدوى ط .

« إلى النبراس الذى يضئ أفق
حياتى ، إلى ذلك العزيز الذى
يتململ الآن على فراش المرض
فى ظلمات السجن ، إلى أبى »

يا أبى ضاق بى الفضاء على رحب مداه إذ ضاق صدرى الـكظيمُ
وعرانى مما أصابك من نفـ ـى ٍ وسجن ٍ كآبةٌ وهمومُ
وحشةٌ تملأُ الفؤاد وغمٌ راسخٌ فى جوانحى لا يريمُ
لا الأخ البرُّ يا أبى فيه للنفـ ـس سلوٌ ولا القريب الحميم
أنت ظلِّى الظليلُ فى العيش إمَّا لفحتنى أو لوَّحتنى السَّموم
أنت ركني، لا قوَّض الله ركنى وملاذى البرُّ الحفيُّ الرحيم
يا أبى حال بعدك الأنس فى الد ار فأضحى وهو الأسى والوجوم
كيف تمسى، تُرى وكيف تصبح فالسـ
جن ثقيـل على النفوس أليم
ليت شعرى هل كفَّ عنك مضيض الـ
ـهم أم أنت موجع مكظوم
يا لقلبى ، وكيف جسمك فى القُرِّ فعهدى به معـنًّى سقيم
أنا دفء المهاد يجفوه جنبي ويح لى، كيف يزدهينى نعيم؟
ويح لى ، كيف أنشد الخفض واللين وأنت المقيد المحروم

***

يا أبى كلما تدلت سجوفُ الليل فالليـل مدلهمٌ بهيمُ
وغفتْ أعين ، وقرتْ نفوس حشوها خِسةٌ وطبع لئيمُ
زيَّن اللؤمُ قبحَ ما أبرمته من أمورٍ ، واللؤم خلق ذميم
فاستراحت لمخزيات فِعال هى عند الأحرار إثم عظيم
تشترى الذلَّ بالكرامةِ فاعجب كيف يرضى ذلَّ العبيد (زعيم)
راح يُزهى تيهاً بعارية المنصب يغريه صـدره الموسوم
كل شؤم كانت بلادى بمنجًى منـه لولا وسامه المشؤوم
أرَّقتنى ذكراك ، والليل للذكرى كتاب مفسَّرٌ مرقوم
فأرى فى السطور أخلاقك الزُّهْر يزين الأخلاق قلب سليم
وأرى نفسك الأبية لا تعـ ـنو لضيم يبغيه باغ ظلوم
راعها أن يميـل بالوطن الأقدس ـ لا مال ـ مستبدٌ غشوم
فسعتْ سعيها النبيل تردُّ الـكيد عنه إذ أزمعته الخصوم
وأرى صحبك الكرام وكلٌ نهجه نهجك السَّويُّ القويم
لم يَضِرْكم أن قيد القيد أيديكم ولاقت مرَّ العذاب الجسوم
همم ، لو هوت نجـوم لإعظامٍ لأهوت تجلهنَّ النجوم
كلما همَّ أن ينهنه منها بضروب النكال جان أثيم
قام روحٌ من الإله يقويها فيشتد أزرها فتقوم

***

وطنى ، بى مما عراك شجون وبقلبى ممـا دهاك كلوم
الرزايا حلت بساحك والأيام جارت والبؤس فيك عميم
الأيامى ، ويا لبؤس الأيامى خضب الأرض دمعها المسجوم
رفرفت حولهـا فراخ مهازيل براها الشقاء فهى رسوم
أجنحٌ ما نمت قوادمهـا الزغبُ وقد هاضها المصاب الجسيم
هاضها اليتم وهى فى جدة الريش ويا شـدَّ ما يلاقى اليتيم
والنسور الأباة لما استضيمت ضاق عنها فى الأرض هذا الأديم
أَنِفَتْ عيشة الهوان وراحت فى سما المجـد والعلاء تهيم
أعنقتْ تستجيب للواجب الأسمى دعاها إليـه حقٌ هضيم
لم تبـال الهول المبيد ولم تفلل شبـاها صواعق ورجوم
ترسل الموت فاغراً فاه عن زر ق حداد وهو الأكيل النهيم
يا ضحايا الجهاد فى ذمة الله لأنتم مجدُ البلاد المروم
أىّ نار كنتم وقودَ لظاها لو وعاها لريع منها الجحيم
قد تركتم فى مصحف المجد ذكراً هو باق على الزمان مقيم
سطرته لكم مواقعُ حُمرٌ صبغتها جراحكم والكلوم

(جبل النار)

فدوى

من الشعر المنسى لحافظ

إلى محرر المرأة

أرسل إلينا كثير من الأدباء جملة طيبة من شعر حافظ المنسى سنوالى نشره شاكرين لهم فضلهم وعنايتهم ، وهذه القصيدة أرسلها إلينا الأديب حسنين محمود حسنين بالاسكندرية وهى مما تجاوزه الديوان الذى طبعته الوزارة على أنها من أروع ما قال شاعر النيل :

لحاظك والأيام جيش أحار به ... فهذي مواضيه وهذى كتائبه
وهمين ضاق القلب والصدر عنهما : ... غرام أعانيــــه وشوق أغالبه
وليل كمطل القوم كابدت طوله ... وأيقنت أنى لا محالة صاحبه
كأن دياجيه صحيفة ملحد ... تخط بها أعماله ومثالبه
قريت به جيش الصبابة والأسى ... وأنزلته صدراً تداعت جوانبه
وعلمت نفسى كظم غيظى ولم أبح . ... بما فعلت بين الضلوع قواضبه
تماسكت حتى لو رأى القوم حالتى ... رأوا رجلاً هانت عليه مصائبه
رجائى فى قومى ضعيف كأنه ... جنان وزير سودته مناصبه
ودائى كداء الدين عز دواؤه ... وحظى كحظ الشرق نحس كواكبه
فيا ليت لى وجدان قومى فأرتضى ... حياتى ولا أشــقى بما أنا طالبه
ينامون تحت الضيم والأرض رحبة ... لمن بات يأبى جانب الذل جانبه
يضيق على السورى رحب بلاده ... فيركب للأهوال ما هو راكبه
فما هى إلا أن تجشمه النوى ... وما هو إلا أن تشد ركائبه
ويحرج بالرومى مذهب رزقه ... فتفرج فى عرض البلاد مذاهبه
أقاسم إن القوم ماتت قلوبهم ... ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبه
إلى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم ... فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو أن شخصاً قام يدعو رجالهم ... لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
ولو خطرت فى مصر حواء أمنا ... يلوح محياها لنا ونراقبه
وفى يدها العذراء يسفر وجهها ... تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفهما موسى وعيسى وأحمد ... وجيش من الأملاك ماجت كواكبه
وقالوا لنا رفع النقاب محلل ... لقلنا نعم حق ولكن نجانبه

فى أفق البساتين ...

وهى بساتين بركات بالشرقية ، انتقل إليها سعد باشا رحمه الله فى الفترة الأخيرة من حياته انتجاعا للراحة ، وكان بصحبته نفر من الميامين من أبنائه وفيهم مكرم وحافظ والدكتور محجوب ثابت ، وكان لهم مجلس حافل بالأنس والسمر قال حافظ فى وصفه :

لمّا مددْنا بِساط اللهو وانبعثت ... روائح الأنس تزرى بالرياحين
أغنت شمائلُ سعدٍ عن معتّقة ... من العناقيد تسرى فى الشرايين
وأرشفتنا سجَاياهُ على ظمأٍ ... ألذّ من رشفات الخرّد العين
فى أنس سعدٍ وفى أوْفَى صراحته ... ترى جلالاً ورأيًا غيرَ مأفون
لما مثلت على أنس بحضرته ... رأيتُ بين الندامى وجه هارونَ
رأيتُ وجهًا صبوحًا حوله نفرٌ ... من الميامين من شمّ العرانين
إذا دعاهم إلى الجلىّ حسبتهمُ ... على أعاديهمو مثل الشواهين
وإنْ دعَاهمْ إلى أنسٍ رأيتهمُ ... مثل الحمائم فى خَفْضٍ وفى لين
وجالَ محجوبُ جولاتٍ موفقةٍ ... فأحرز النصر فى كل الميادين
عصى نَذِيرَ الحجا عمداً وصاح به : ... « ما لذة العيش إلا للمجانين »
وحـــلم سعد وسعد يعجبان معاً ... من لونة الشيخ — شيخ الأقرباذين
يرغى ويزبد بالقافات تحسبها ... قَصْفَ المدافع فى أفق البساتين

وتجد بقية القصيدة فى الديوان من باب الإخوانيات بعنوان الدكتور محجوب !

(م . ف . ع)

وزن الكون

وعدد ما به من الكترونات

للدكتور محمد محمود غالى

لم يكن الموضوعان الأخيران اللذان تعرضنا لهما على صفحات الرسالة: « الكون ينتشر » و « الكون يكبر » من الموضوعات السهلة التي يمكن للقارئ أن يتصورها كثيرها، ولعله اقتنع إلى حد أنه موجود في كون محدود، وأنه محمول على حيز متقوس، وأن عالمه أحد ملايين العوالم التي تبتعد كلها الواحد عن الآخر، والتي تقع كلها في قشرة كرة كبيرة لكنها جوفاء، شاء لها القدر أن تتسع وتمتد على نحو كرة من المطاط، وهي بهذا تكوّن كوناً واحداً محدوداً منتهياً يختلف عن الكون اللانهائي الذي تصوره أقليدس والذي اعتقده العلماء منذ الاغريق حتى عهدنا القريب

ولم يكن في وسعي أن أواصل اليوم موضوعاً دقيقاً كهذا، وأخطو بالقارئ خطوة أخرى، أدله فيها على الطريقة التي توصل بها العلماء إلى معرفة عدد الجسيمات أو الألكترونات المكونة للكون، كنتيجة للدراسة المتقدمة، دون أن يتخلل أحاديثنا فترة من الراحة ودون أن نهيئ للذهن فرصة للتأمل، هذا الشعور من التأمل والراحة نود أن يشعر به القارئ في هذه الأسطر من هذا المقال

***

لم تصبح دراسة هذه الظواهر الحديثة من تمدد الكون وابتعاد جميع العوالم بعضها عن بعض وما يترتب على ذلك من معرفة وتحديد عدد جسيمات هذا الكون، من المسائل التي تدخل في حدود الهندسة والميكانيكا المرونة، ولا في حدود تصوراتنا المعتادة، مع أن التجارب الطبيعية التي ثبت لنا منها فرار جميع العوالم بعضها عن بعض، وبالتبع فرارنا عنها، بسيطة جداً لا تدعو لكثير من التأمل، وأبسط ما فيها أنها وقعت كلها داخل المجموعة الشمسية التي نحن فيها، بل وقعت جميعها فوق سطح الأرض، بل في حجرة في أحد المراصد الأرضية المتعددة

عجيب ألا يعرف العالم الطبيعي من هذه الحجرة المتواضعة أن الكون محدود فحسب بل يحاول أن يعرف من رسائل الطيف العديدة التي تصل إليه، والمنبعثة من العوالم البعيدة، عدد الألكترونات المكونة للخليقة، وهي التي لا يتغير عددها في نظر العالم الطبيعي ما دامت مكوّنة لكون محدود .

إن النتائج التي ترتبت على معرفة تمدُّد الكون وقياس الدرجة التي يكبر بها في خلال الزمن، والتي تتلخص في معرفة عدد الألكترونات المكونة لهذا الكون، مهما كان جسيم الألكترون متناهياً في الصغر، ومهما كان الكون متناهياً في الكبر، قد تبدو للقارئ غريبة، لذلك رأيت لزاماً أن أحاول رفع هذا النوع من الدهشة لديه قبل شرح الأسباب التي أدت إلى مثل هذه النتائج

لو سألنا عالماً طبيعياً أن يحصي لنا عدد الذرات ونوعها وبالتبع عدد الألكترونات(1) والبروتونات(2) التي تتكون منها مدينة القاهرة، فإن من المستحيل أن يعطينا هذا العالم أي فكرة عن هذا العدد مهما استعان ببعثات الإخصائيين والعلماء. إن محاولة إحصاء المنازل وما بها من أثاث ومعرفة نسبة أوزان جميع العناصر التي تدخل في تكوينها، بل إن إحصاء الأحياء، الإنسان منها والحيوان والنبات، ومحاولة الوصول من ذلك إلى عدد ما تحويه

(1) ذكرنا أن الذرة مركبة من نواة وسطى يدور حولها الكترونات وهذه الألكترونات جسيمات كهربائية دائمة الدوران حول مركز الذرة أي حول النواة كما تدور الأرض حول الشمس

(2) جسيمات داخل النواة مركز الذرة وسنأتي على شرحها في مقال قادم

المدينة المائجة من الـكترونات ضرب من العبث

ولو أننا بعد ذلك حاولنا أن يعطينا عالمنا الطبيعي فكرة عن عدد الألـكترونات الموجودة في مياه النيل مدة فيضانه ، وهي كية أكبر بكثير من الموجودة في القاهرة لأجابنا أنه قد يستطيع بعد البحث والتحرى أن يدلنا على فكرة ولو تقريبية عن هذا العدد . صحيح أن هناك صعوبة كبرى في تقدير تصرُّف المياه المتدفقة في النهر في مثل هذه المدة من السنة ، كما أن ثمة صعوبة في تقدير أطوال النهر وأحجامه في المناطق المختلفة وفروعه المتعددة ، بل إذا أردنا أن نُدخل في حسابنا ما تحمله المياه من طمي تعترضنا صعوبات أخرى ، ذلك أن الطمي يختلف مقداره في الزمان والمكان ويتركب من أكثر من عشرين عنصراً ، لـكل عنصر ذرات تختلف في عدد الـكتروناتها عن الأخرى ، ولـكن مهما يكن من الأمر ، فإن عالمنا الطبيعي قد يستطيع بعد مجهود مضن أن يعطى فكرة عن هذا العدد من الجسيمات ، وأن يحدِّده بين رقمين يتعلقان على دراسة هيدرولوجيه طبيعية معقولة .

ولو أردنا أن نعرف عدد الذرات المكونة للكرة الأرضية الحاملة لنهر النيل وغيره لهان الأمر قليلاً ، ذلك أن وزن الارض معروف بينما وزن مدينة القاهرة أو لندرة غير معروف ، بل إن الـكثافة المتوسطة للكرة الأرضية معروفة أيضاً وهي تساوى ٥ر٢٥ . وليس المجال هنا لإثبات ذلك . وهكذا يحاول العالم أن يعطينا فكرة تقريبية رغم ما يتخلل الموضوع الأخير من مصاعب، منها عدم معرفتنا مقدار النسب الموزعة بها العناصر المختلفة في باطن الأرض . ومهما يكن من الأمر فإنه يبدو أن الخطأ النسبي في معرفة العدد التقريبي لذرات الأرض بالنسبة للعدد الحقيقي لها أقل بكثير من الخطأ النسبي عندما نحاول عد هذه الجسيمات لمدينة القاهرة .

ولو أننا سألنا العلماء اليوم عن عدد الذرات ونوعها وبالتتبع عدد الألـكترونات والبروتونات المكونة للكون ، وعن بعض البيانات الأخرى الخاصة به مثل نصف قطرة قبل تمدده ودرجة تقوسه وكتلته وكثافته وغير ذلك لأعطونا الإجابة التي نراها في هذا المقال — أجابة يظهر أنها عند هؤلاء العلماء أقرب للحقيقة من كل تقدير سابق

وليس السبب في ذلك أننا نرى الكون وحدوده ، ولا أننا نعرف أجزاءه جزءاً جزءاً ، ولا أننا نحيط بمقدار كل عنصر من العناصر المكونة له ، ولـكن لأن ثمة معارف في مسائل أخرى مثل تمدده تجعل بين هذه المعارف وبين الـكترونات الـكون رابطة تسمح بالوقوف على هذا العدد ، بحيث إذا كانت معارفنا في هذه المسائل صحيحة كان عدد الألـكترونات المكونة للكون صحيحاً . ولعل القارئ قد أدرك أن هذه المعارف لا بد وأنها تتصل مباشرة بعلاقة بين الكون في مجموعه وبين الألـكترون المتناهي في الصغر والذي قلنا إنه يدور في المادة حول النواة كما يدور القمر حول الأرض

قد يتراءى للقارىء أن هذا الترتيب غريب لا يتفق مع المنطق في شيء . كيف أستطيع أن أعرف عدد الـكترونات الكون أكثر مما أعرف عدد الـكترونات الكرة الأرضية ؟ ، بل كيف أعرف عدد جسيمات هذه أكثر مما أعرف جسيمات مدينة القاهرة ؟ هذه المدينة التي أعرف حدودها أكثر مما أعرف الأرض ، وهذه الكرة الأرضية محدودة أمامنا أكثر من الكون . إن طيارا مثل كامبل الإنجليزي قطع دون توقف المسافة بين لندرة ومدينة سدني من أعمال استراليا في ثلاثة أيام وثلاث ساعات ، أي أن الطيار يدور في عهدنا حول الأرض في أسبوع واحد . كيف تصعب معرفة عدد جسيمات الأرض عن الكون ؟ وهذا الأخير مكون من ملايين اللايين العوالم — كل عالم مكون من ملايين اللايين الاجرام والشموس .

ولـكن لا أريد أن يعجب القارىء لذلك فإنه على قدر المستندات العلمية التي أمامنا تكون درجة معرفتنا للأشياء صحيحة .

هب جدلاً أن صديقاً لك شيد مسكناً خاصاً في إحدى ضواحي القاهرة ، وأنك عثرت في أوراق صديقك على مستندين : أحدهما يدلك على أن الأرض والمباني قد كلفته ثلاثة آلاف جنيه، والثاني يدل على أن الأثاث قد كلفه ألف جنيه أخرى ، عندئذ تستطيع أن تؤكد أن هذه الدار كلفت صاحبها ٤٠٠٠ جنيه

وهب أن صديقاً آخر سألك عن تكاليف حجرة المكتب بمفردها أو عن القيمة التي دفعها ثمناً لأشجار الحديقة أو لسجادة موجودة في غرفة الاستقبال ، فإنه يتعذر عليك عندئذ أن تعرف أيا من هذه . قد تحاول أن ترجع إلى أسعار السوق لتعرف كم كلفته هذه السجادة الفاخرة، ولـكن يعوزك مثلاً معرفة التاريخ الذي اشتراها فيه ، وقد يعوزك إن عرفته تعين الظروف التي

اقتناها فيها ، فقد يكون ابتاعها فى مزاد تصادف وقوعه فى ذلك التاريخ ، وقد يكون المزاد خاصا بصديق له فلا تعرف أن كان تساهل معه فى تقدير الثمن : ثمة عوامل عديدة تجعل تقدير ثمن أثاث كل حجرة ضرباً من المحال . ولكن ليس لصديقك أن يدهش إذا علم أنه إن فاتك معرفة ثمن جزئيات الدار، فلا يفوتك معرفة الثمن الكلى لهذه الدار ؛ إذ أن من حقك دائماً إن تقول لحدثك : لا تسائلني عن أجزاء الدار ولا عما تكلف صاحبها لشراء هذه السجادة أو المكتبة ، كل هذا لا أستطيع أن أعطيك فكرة عنه ، ولكن سلنى عن الدار بأ كلها أجيك أننى أعرف

هذا ما أود أن يعلق بذهن القارئ ، فلسنا فى حاجة لأن نتجول فى الكون لنعرفه فقد يكون لدى العلماء مستندات جديدة تدل على عدد ما به من الكترونات أو على طول نصف قطره قبل ابتداء تمدده أو درجة تقوس الحيز فيه فى الوقت الذى يتعذر علينا أن نعرف فيه عدد الألكترونات المكونة للأرض أو لمياه النيل أو لمدينة القاهرة

على أنني إن تحاشيت فيما تقدم من مقالاتى أن أشغل ذهن القارئ بالأرقام ، أرى لزاماً على هذه المرة أن أدله على وصف الدار التى يسكنها وعلى حدود المملكة التى هو فرد فيها هذا الكون الذى ذكرنا أنه كروى وأنه يكبر بات أرضاً خصبة للتفكير العلمي . وللقارئ فيما يلى النتائج الكمية الخاصة بالكون وفق آراء أدنجتون Eddington العالم الانجليزى المعروف

(١) سرعة ابتعاد العوالم	٥٢٨ كيلو متر فى الثانية لكل ٢٦ر٣ مليون سنة ضوئية
(٢) نصف قطر الكون قبل ابتداء التمدد	١٠٦٨ مليون سنة ضوئية
(٣) كتلة الكون	١٤ر٢ × ١٠^{٥٥} جرام أى ٠٨ر١ × ١٠^{٢٢} قدر كتلة الشمس
(٤) عدد الألكترونات المكونة للكون تساوى عدد البروتونات	٢٩ر١ × ١٠^{٧٩}
(٥) كثافة الكون الأولى	٠٥ر١ × ١٠$^{-٢٧}$ جرام س م^{٣} أى بمعدل ذرة واحدة من الهيدروجين لكل ٥٨ر١ س م^{٣}
(٦) الثابت الكونى	٨ر٩ × ١٠$^{-٥٥}$ س م$^{-٢}$

ومما يجدر بالذكر أن هذه النتائج التى هى آخر حدود معارفنا حتى سنة ١٩٣٤ مرتبطة الواحدة منها بالأخرى ، بحيث إذا عرفنا إحداها عرفنا البقية منها ، وتتعلق كلها بالسرعة التى تبتعد بها العوالم أى بالرقم ٥٢٨ الموجود بالصف الأول من الجدول

على أن درجة معرفتنا لسرعة السدم والعوالم البعيدة وعلاقة ذلك بتمدد الكون تزيد سنة عن أخرى، ففى سنة ١٩٣١ لم يكن يعرف العلماء سوى ٩٠ سديماً وكانت أكبر سرعة يعرفونها هى سرعة سديم الأسد وهى ١٩٦٠٠ كيلو متر فى الثانية ، ويبعد عنا هذا السديم بمسافة يقطعها الضوء فى ١٠٤ مليون سنة

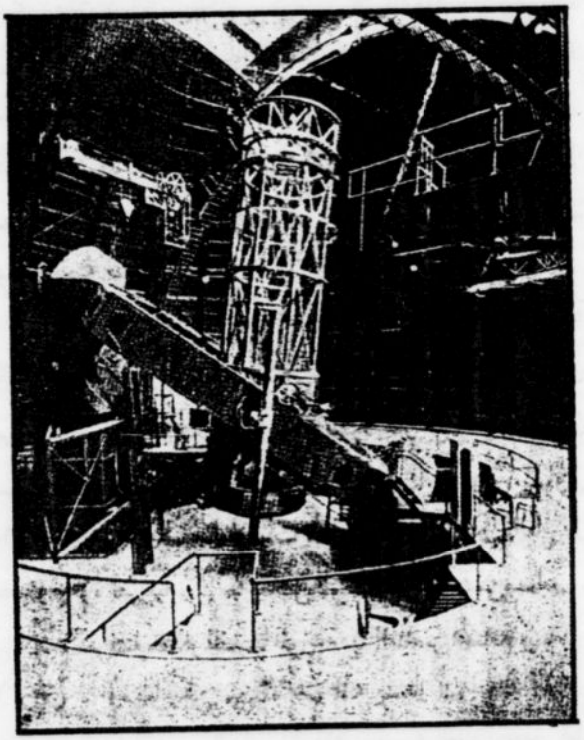

المنظار الفلكى لمرصد مونت ولسون الذى تم صنعه حديثا وتبلغ فتحة منظاره ٥ر٢ متر

أما فى سنة ١٩٣٦ فقد وصلت معارفنا إلى قياس سرعة ١٧٩ عالماً وسديماً من العوالم البعيدة عنا وكان أكبر هذه السرعات لسديم موجود فى اتجاه الدب الأكبر وهو يبتعد عنا بمسافة ٢٤١ مليون سنة ضوئية ويبتعد بسرعة ٤٢ ألف كيلو متر فى الثانية ، وهذه المعلومات الأخيرة عرفناها من كتاب (١) الأستاذ الكبير بريا Bruhat أستاذ السوربون الذى يشغل الآن كرسى الطبيعة

(١) هذا الكتاب القيم من مجموعة الكتب المسماة باسم العالم أميل (Emile Borel) وقد صدر فى سنة ١٩٣٩ الطابع الكان

الفلكية، هذا الكرسى الذى أوجدته جامعة باريز منذ سنة ١٩٣٧ وقد طالعنا فى الأسبوع الماضى أن منظار مرصد مونت ولسون بأمريكا الذى يبلغ قطره مترين ونصف المتر والذى ترى صورته الفوتغرافية هنا يكشف العوالم المفصولة عنا بمسافة ٥٠٠ مليون سنة ضوئية

ذلك ما بلغناه من المعرفة، وللقارئ أن يتصور مبلغ خطورة هذه المعرفة منذ أن ذكر وليم هرشل (William Hershel) فى أواخر القرن الثامن عشر أن للسدم اللولبية جزرا كونية شبيها كل منها بعالمنا المجرة . ومنذ أن نشر أينشتاين فى سنة ١٩١٥ النسبية فى وضعها العام وتنبأ «دى ستير» فى سنة ١٩١٧ بابتعاد العوالم عنا، ووضع شابلى Shapley فى سنة ١٩١٨ القانون الذى يربط القدر المطلق (Magnitude Absolu) للنجوم المتغيرة (Cepheides Variables) بفترة تغيرها، ومنذ أن اكتشف هبل (Hubble) فى سنة ١٩٢٤ نجوماً فى السدم القريبة من هذا النوع الأخير، ناهيك بما بلغته الأجهزة الفلكية من الكمال

* * *

عجيب هذا الإنسان! كل يوم يزداد معرفة عن يوم، حتى أصبح الكثير من الأمور لا يخفى على ذكائه .

أنستطيع أن نحصى ألكترونات الكون ؟ نعم . وأى عجب فى ذلك ما دمنا نتبع طريقاً علمياً سليماً يعطينا هذا القدر .

عندما نريد أن نعرف وزن كرة صغيرة من مادة معينة نفكر عادة أن نضع هذه الكرة على كفة ميزان، ولكن إذا استحال وزنها لتناهى صغرها بدا للشخص أن القيام بهذه العملية مستحيلاً، ولكن العالم الطبيعى يعرف مثلاً علاقة بين وزن الكرة، وبين سرعتها فى الماء أو الهواء، وحيث أنه يتيسر له قياس هذه السرعة فانه يصل لمعرفة وزن هذه الكرة، وهو لذلك غير محتاج إلى الاستعانة بالميزان للوقوف على حقيقة ثقلها .

وإنما أردت بالكرة المتقدمة أن أقدم للقارىء مثلاً كيف يصل العلم بطريق غير مباشر لاختراق طريق المعرفة، وليس هناك أى علاقة بين سرعة الكرة المتقدمة وموضوع تمدد الكون أو معرفة وزنه .

ولو أن السحب المحيطة بالكرة الأرضية كثيفة بحيث لا نرى الشمس بل تكتنفنا ظلمة حالكة، لما استحال علينا أن نعرف دورة الأرض حول نفسها . فللوصول إلى ذلك نرقب كرة معلقة بخيط طويل بعد هزها فنلاحظ أنها لا تهتز فقط بل نلاحظ دوران المستوى الذى تهتز فيه .

وهكذا لم يكن العالم الكبير (فوكوه) بحاجة ليرى الليل والنهار ليعرف من تعاقبهما دورة الأرض، بل استدل على ذلك من بندوله المعروف الذى علقه من قبة « البانتيون » . مدفن العظماء فى باريس، هذه القبة التى ترتفع عن سطح الأرض ٧٨ متراً . ذلك البندول نرى شبيهاً له فى متحف فينا الحالى .

وهكذا يزداد قاموس المعرفة وتتقدم العلوم بين البشر، ولعل فى وزن الكرة الصغيرة المتقدم ذكرها وفى بندول فوكوه الذى عرف منه دوران الأرض سبباً عند القارئ ليعرف أن قطر الكون ووزنه وعدد ألكتروناته مسائل يجيز معرفتها العلم

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

أقصوصة من الكاتب الانكليزى ينز

الشـــــاعر

[جائزة نوبل]

للأستاذ صلاح الدين المنجد

مشى يتخلّع ثَمِلاً فى حنايا المدينة ، وقد أغفى الليل وسجا الكون ، فطرَق سمَعه نغمٌ حلوٌ يصعّده ناى حزين . فسمى إليه، جذلان طرباً . فقد كان للأنغام أثر فى نفسه، وسلطان على حسه، وسيطرة على هواه ...

فلما جاز بالدار التى ترسل النغمات ... نادى صاحبها ، فقام إليه يندى وجهه فرحاً ، فرحب به وقال له :

— ما هذا الهجران الطويل يا هانرِهان ... فلقد صرمْتَ حبالنا منذ بعيد ، فنحن بعدك فى شوق يلح ، وكآبة تضنى ... أهلاً ... أهلاً حللت يا هانرهان ... !

فلكزته زوجه بجمع كفها ، وهمست فى أذنه : أن اطرده ، فإن الناس يتقولون الأقاويل عليه ، وإن الكهنة يقصونه عن المعبد كلما أتى إليه ... ثم إنه ثمل ... دعه ... دعه يمض وحيداً

فصاح بها زوجها قائلاً : « أأطرده أن جاء إلىَّ بعد سنين طويلة ... ؟ إنه شاعر رقيق القلب ، طيب النفس

ودخل الشاعر الدار يتبع ربها ... فقاده إلى غرفة تكدّس الناس فيها من الجيران ... فغشيها وقد شخصت الأبصار إليه . وقال فتى كان هناك :

— أليس هذا هانرهان الذى ذاع صيته ... وكان معلماً فطردوه ... ؟

فأخرسته أمه وقالت له :

— لو أنه سمع مقالتك لاندرأ عليك سبـًّا وشتماً ... أنصت !

وساد السكون ... ولكن أحد الفتيان نادى الشاعر لينشد القوم شعراً . فأبى رب الدار ذلك عليه ... لأنه لم يصب بعد من الراح شيئاً ، ولم ينل من الراحة قسطاً . فأخذ الشاعر يعب الخمر وقد جاشت فى كأسها ... ثم يحول بصره نحو الباب لينظر إلى (وانا) فتاة الدار ، وقد أتت تعانق حزمة من الحطب الجزل ، لتؤرث بها النار ، وشعرها الأشقر الجعد متهدل على وجهها وعينيها

وقام إليها الفتيان مسرعين ليأخذوا منها الأعواد . ولكنها رمت بها إلى الموقد ... وانثنت وثغرها الرفاف يضحك لترقص مع فتى لها ، فغضب الشاعر ... وضرب الأرض ، ثم دفع بالفتى وهو يزبد صائحاً :

— لقد قطعت طريقاً طويلة ، وأتيت لأراها ... فأنا الليلة فتاها ...

وأسرعت (وانا) إلى الشاعر فمدت إليه يديها والخجل يعلو خدها ... وعزفت الموسيقى ، وقام الناس ليرقصوا ... ولكن وا أسفاه ... لقد انحنى الشاعر فرأى حذاءه الذى حال لونه وبلى فبدت من خلاله أصابع رجليه التى نفذ إليها الطين ، وأبصر سرواله الممزق ، وساقه العارية الملوثة بالشعر الأسود الغليظ ... فارتد إلى مكانه وهو يقول :

— لا أستطيع الرقص والموسيقى تسرع

ولها الناس ، وجنّت الموسيقى ، وعربدت الأنغام ... والشاعر جالس مع (وانا) يقص عليها أحلى الأقاصيص

* * *

وأدركت الأم خطر الشاعر الذى يريد أن يسحر الفتاة ... فنادتها ولكنها أعرضت عنها ... فأقبلت الأم على الموقد تتظاهر بتأريث النار ، وتصغى إلى حديث هانرهان . لقد سمعته يحدثها عن « دردر » ذات الأيادى البيض ... التى قادت الأمراء إلى الموت فماتوا وجداً بها وهياماً . وأحزنها فقدهم ... فطفقت تبكى ... آه يا (وانا) ... إن الأزهار تذرف الدمع فى السحر حزينات رحمة بها،

وإن الشعراء يتغزلون ويبكون لها... ما كان أجلها وأعذب صوتها يا (وانا)!

واضطربت الأم، وأرهفت أذنها. إنه يقول لها: «مَثَلُ الشمس والقمر يا (وانا) كمثل المرأة والرجل، خلقا ليتحابا... ألا تنظرين إليهما يتنقلان فى السماء؟ لقد خلقت يا(وانا) منى قبل أن يخلق الله الناس لكى نرقص بين طيّات السحاب الرقيق... نرتفع مع النغم الهادئ، ونهبط مع النشيد الجميل بخفة وسرور، على حين يسقط الناس صرعى لاغبين!»

وانتصبت المرأة مضطربة الشعور، ومشت إلى زوجها وهو يلعب الورق، فحدثته حديث الشاعر والفتاة.. ولكنه ازورّ عنها يضحك منها. فأحزنها الأمر، وقامت إلى عجوز فقصت عليها نبأ (وانا) مع الشاعر المخيف: «ويلى كيف السبيل إلى طرده... إنه ساحر ملعون... فلأحرضنّ الفتيان عليه!»

وجاءت إلى الفتيان وقالت لهم: «ويحكم... ألا تستطيعون نزع ابنتى من هذا الشاعر فترقصوا معها... هيا... هيا!»

وقام الفتيان.. ولكنها ردّتهم خائبين.. فمالوا إلى الشاعر يلحون عليه فى الرقص.. فأذعن بعد لأى.. وانتصب يرقص مع الفتاة..

وبينا هو كذلك... إذ طرب... فاندفع لينشد الشعر... فخرست القيثارة... وأنصت القوم وقال هازرهان:

«يا أصابع المــوت المخيفة...!»

«لن تمسّى روحينا فى هذا المكان...»

«ولكن فى ذلك الوطن الغالى الحبيب...!»

«حيث تبسم الزهور وترفّ الثغور...»

«من رأد الضحى... حتى جنوح الأصيل.»

«حيث تدب الجداول... الجذلى...!»

«تحمل موجات الجمة العذبة الشقراء...»

«وحيث يلعب الشيخ الهِمّ على الأوتار...»

«فى الغابة المليئة بالذهب والفضة...!»

«وحيث الأميرات ذوات العيون الزرق الصافية»

«يرقصن على الحشيش الغض بفرح وكبرياء...!»

كان يغنى بحماسة وشوق و (وانا) تتقرب منه، وقد حرك إنشاده شجونها وملك عليها أمرها... فلما فرغ من إنشاده... أطرقت (وانا) وسقط الدمع من عينيها ندى. فقال أحد الفتيان:

— أيها الشاعر... أين هذه البلاد التى تصفها فى شعرك؟

(وانا) إنه يخدعك... إن الطريق طويلة... والوطن بعيد!

وقال فتى آخر:

— ليست بلاد الصِّبا هذه يا (وانا) إنك لم تخلقى لتصاحبى هذا المجنون!

عندئذ شخصت (وانا) ببصرها إلى الشاعر الحزين... كأنها تريد أن تسأله شيئاً... ولكنها وضعت كفها بين كفيه ورفعتهما إلى أعلى... وقالت بصوت رخيم:

— إن الوطن لقريب منا... يا شاعرى... إننا نستطيع إدراكه الآن... إنه هناك.. على ذرى الهضاب ذات الرفيف.. بالقرب من الغاب التى تأويها الريح ذات الزفيف...

فصاح الشاعر:

— نعم فى ذرى الهضاب... يا فتاتى... ياذات العيون الزرق... ولكن الموت لن يجدنا... هناك... لأننا نختفى بين السحاب الأبيض الجميل..!

وانا..! يا ذات العيون الزرق... هل تريدين المجئ معى..؟

وذعرت الأم وقالت لعجوز كانت إلى جانبها:

— كيف السبيل يا جارتى إلى طرده؟

— ولكننا لا نستطيع... إنه شاعر الآلهة، ومن يطرده تنصب عليه اللعنات تترى فى الغدوات والعشيات! ثم يجف الضرع ويموت الزرع، وتهلك النفوس..!

— ربّاه عونك! إن فى لسانه السحر..

— كان عليك طرده.. ولكن.. اسمى.. تعالى.. سنخرجه وهو راض عنا، تعالى..

وخرجت العجوزان ثم عادتا تحملان حزماً من الفِصْفِصة الخضراء، وكان الشاعر يكلم (وانا) ويقول:

— «إن الديار يا وانا ضيّقة والعالم فسيح، ولن تجدى يا فتاتى مخلوقاً تيّمه الحب، يخاف الليل أو الفجر، والشمس أو النجوم، وأشباح الأماسى وأطياف الأسحار، هيّا يافتاتى.»

واقتربت الأم من الشاعر فربتت على كتفه وقالت له:

— هات يدك يا هازرهان..

وقالت العجوز:

— أنت قوىّ يا هازرهان... ساعدنا على ربط هذه الحزم الخضر...

وتقدّم الشاعر يربط الحزم بحبل والعجوزان تفكان العقد

الفرقة الإيطالية للغناء في دار الأوبرا الملكية

الثقافة غير محصورة في القراءة والكتابة . الثقافة تجمع بين الفن والغناء والأدب والعلم والمسرح ؛ على وجه التخصيص . فقد ولّى الزمان الذي فيه كان يقال : تأدب فلان إذا قرأ كذا وكذا . ومعنى ذلك أن متأدب هذا الوقت يحق عليه أن يرهف الحس لألوان الفن ؛ ويميل الأذن لضروب الغناء والعزف ، ويقلب النظر فيما يجرى على خُشب المسرح ، إلى جانب المطالعة والتلقى

والكلام هنا على الغناء والعزف . فمن يخبرنى على أى وجه تقوم الموسيقى السائرة فى مصر مقام مصدر من مصادر الثقافة ؟ أما الغناء الدوّار على ألسنة أهل الصناعة فرذول ، لما فيه من الإسفاف والابتذال وضيق المجرى ، فضلاً عن مسخ طائفة من الأغانى الأفرنجية . وأما العزف فقد جد وجفّ بفضل جماعة قصروا هممهم على التقليد ، وفى ظنهم أنهم حَضَنة الموسيقى ؛ عفا الله عن المعهد الملكى للموسيقى العربية ، وأصلح من يمده بمال الأمة !

الموسيقى عندنا غير صالحة ، وليس فى وسعها أن تساير النحت والتصوير والرسم — وقد جل شأنها جميعاً على أيدى الفنانين المصريين — فى تهذيب الجانب الفنى من طبائعنا ، ولا فى إسعاف من يهوى الموسيقى الجيّدة ببغيته . ولذلك لا بدّ لمن ينشط لما وراء « البشرف والسماعى والموّال والطقطوقة » أن ينصرف إلى سماع الموسيقى الغربية . وهذه وزارة المعارف تجلب فى فصل الشتاء من كل سنة فرقة أفرنجية تعمل فى دار الأوبرا الملكية .

ومما يورث الأسف بل الحزن أن الفرقة التى هبطت دار الأوبرا لهذه السنة (وهى إيطالية) لم تصنع شيئاً فى سبيل الثقافة . وذلك لأن الموسيقى الغربية فيها الحسن والقبيح ، والرفيع والساقط ، والطريف والمبتذل . فكأنّ من وكل إليه لمّ أفراد هذه الفرقة (وهو إيطالى) قال فى نفسه : « ليس فى مصر من يحسن السماع ،

التى يعقدها ويجرّان الحبل نحو الباب ، والشاعر منهمك فى الربط . . والفتاة تنتظر . . حتى إذا كان عند الباب دفعت الأم به ، فهوى إلى الشارع لا يعى . .

واستفاق الشاعر يبكى ... فضرب الباب ... وصعد الزفرات وأرسل اللعنات ... ولكن لم يجبه أحد ...

وساد السكون ... وتلاشت الأنغام . فقد مضى الشاعر فى طريقه يذرف الدمع ... وارحمتا له ! ... لا رفيق ولا حبيب ، لا كأساً يجيش فيها الخمر ، ولا فتاة ترهف لأناشيده وأنغامه الأذن

وقالت له نفسه : هيا إلى البحر . فلن يسعك شىء سواه !

وجلس فوق الصخور الشم يستمع إلى تصفيق الموج ، ويصغى إلى همس الريح السجواء . . فطرب واندفع يغنى ، وكان الضباب الهف يغمر الفضاء ويحف بالشطئان ، وكانت أشباح الليل ترقص حوله . . هنا وهناك تصعد من البحر وتهبط من السماء !

لقد خيل إليه فجاءة أن طيف الأميرة التى حدث (واننا) عنها يناجيه ...

ولكن ... آه ! إنه يتذكر الحبل والعقَد . . . أهو حبل ؟ لا ... تلك أفعى خرجت الآن من البحر ... ها هى ذى تحيط به يالله ! لشد ما تخيف . لقد وسعت كل شىء : الأرض ، السماء حتى النجوم الخافقات ... !

ولكن . . لا . . ها هو ذا طليق ، فمشى يتماوح ويعربد ويغنى لقد اختطفته الأمواج ، وحفت به الأطياف ، وحملته الأشباح على الزبد الجياش ، وهى تغنى . . وتقول :

« هيا لنحمله إلى بنات الهضاب ... إلى الحسان الراقصات هناك ... فهو لن يذوق الحب فى الأرض ... لقد دب الفناء فى نفسه . . وجثم الظلام فوق قلبه ، دعوه ينم . . دعوه يمت . . . دعوه يحلم ببنات الهضاب »

صلاح الدين المنجد

وليس فيها من يميز اللحن الجيد من اللحن الردئ » . قال هذا أو نحوه ثم جاء بفرقة لا تتجاوب أطرافها ، إذ فيها نفر من المغنين الحذاق ، وكثير من المغنين الضعفاء . وأحسن ما فيها القائد الأول للعزف واسمه فتّو .

وأما القطع التي أدتها تلك الفرقة فبينها وبين الفن الخالص مسافة . ذلك أن طائفة منها بالية والأخرى مبتذلة ؛ وهذه القطع تكاد تؤدى كل سنة في مصر، وأساميها لا كتها الألسنة : مثلاً Tosca, Thaïs, Trairata, la Bohême, Rigoletto, Aïda وهذه القطع تلحق اليوم ، في أوربة ، بنوع الأوبرة الشعبية ، لأن الألحان فيها لا تعدو ، في غالب الأمر ، النغم القريب المنال . ودليل هذا أن أكثر القطع التي أديت من تلحين فردى Verdi وهذا الملحن الإيطالي (١٨١٣ — ١٩٠١) عمد ، إلا في قطعته الأخيرة : Falstaff ، إلى اللحن الوجداني تساوقه الآلات في استرخاء . وهذا اللون من التلحين عقبه ما يقال له : الموسيقى الفيرية : Vérisme ، وخصائص هذه الموسيقى المأساة المفرطة ، والخطابة في الغناء ، وهز الأعصاب ، والمبالغة في التعبير . ومن أصحاب هذا اللون من الموسيقى Puccini ملحن La Bohême و Tosca المذكورتين قبل . هذا وفيما أدته تلك الفرقة قطعة للملحن الفرنسي Massenet ، واسمها Thaïs ، وليس ذلك الملحن في المرتبة الأولى ولا الثانية — عند أهل الدراية — لما في صناعته من التكلف وقرب الإحساس والرخاوة .

فإذا أنت استثنيت هذه القطعة الأخيرة (وقطعة نججز الآتي ذكرها) تبين لك أن تلك الفرقة عُنيت بتأدية قطع إيطالية . ومما لا يخفى على البصير بالموسيقى أن فن الأوبرة إنما بلغ الغاية أو قاربها على يد نججز Wagner الذي حطم القيود اللاتينية ، ثم على أيدي فئة من الفرنسيين (Debussy مثلاً) والروس (R. Korsakow مثلاً) . والفرق الذي بين الأوبرة الإيطالية والأوبرة النجزية ، على سبيل التمثيل ، كالذي بين ديوان ينظمه شاعر رقيق كما يقال اليوم ، وشاعر فحل كما كانت العرب تقول .

ومن الغريب أن الفرقة أغفلت الأوبرة الحديثة من ألمانية وفرنسية وروسية وغير ذلك . وقد بدا لها أن تعلن أنها تؤدى قطعتين لنجزها : Tristan et Yseult و Lohengrin ؛ فأهملت الأولى ، وأما الثانية فقد أدتها على شكل كان الأجمل عنده أفضل بق أن الفرقة أعلنت أنها تؤدى قطعة طريفة Nouveauté اسمها La Baronne de Carini للحن إيطالي مجهول : Mulé فما بلغني هذا حتى أسرعت إلى دار الأوبرة ، مهتزاً . فإذا القطعة شرّ ما مذّق أذني من التلحين (الرومنتيكي) المفرط في (الميلودرام)

***

إن ظن بعضهم أنْ لا رغبة في الموسيقى الحقة بمصر، وأن الحظ الأعلى فيها لألوان الأوبرة البالية والمبتذلة ، فليقصروا ظنهم على أنفسهم أو على الفئة الكبرى من الإفرنج المقيمين بهذا القطر . فإنما في المصريين من يرغب في الموسيقى الجيدة، الطريفة، الموسيقى التي تقوم مقام مصدر من مصادر الثقافة

عفا الله عن وزارة المعارف ، فهذه خمسة آلاف جنيه أنفقت لإعانة فرقة لم تصنع لمصر شيئاً .

بشر فارس

كشف أثري عظيم

وفق المسيو مونتيه رئيس بعثة الحفريات الفرنسية للعثور على مقبرة ملوكية لقدماء المصريين بالقرب من صان الحجر

والمقبرة لملك اسمه شو شنك ، والمعروف أن خمسة ملوك بهذا الاسم قد حكموا مصر ما بين عامى ٨٥٠ و ٧٠٠ قبل الميلاد ، وأولهم هو الملك شو شنك الذي استولى على القدس وغنم هيكل سليمان بن داود (ع)، ولا شك أن هذه المقبرة لواحد من هؤلاء الملوك الخمسة سيصل إلى حقيقته البحث العلمي فيما بعد

وقد عثر المسيو مونتيه في الحجرات التي تم فتحها على تابوت من الفضة يمثل شكل آدمي له رأس الصقر ، وبداخل هذا التابوت مومياء محنطة سليمة مغطاة برداء من الذهب . وقد تبين من قراءة النقوش أن المومياء للملك شو شنك نفسه ، وبجوار التابوت جثتان باليتان ، وعلى الجثة الموجودة إلى اليسار عقد من الحجر الأحمر مصنوع على شكل سلسلة من الذهب ، وفي الحجرة جملة من التماثيل الجنائزية الصغيرة التي يعثر عليها عادة في مقابر الموتى من قدماء المصريين، وفيها أيضاً جملة من الأواني الجنائزية المقفلة بالطين، وقد فتح مسيو مونتيه ثلاثاً منها — بحضرة صاحب الجلالة الملك — فوجد بداخلها ثلاثة تماثيل من الفضة للملك شو شنك . وهي عبارة عن أوان على هيئة تماثيل ، وفي داخل كل منها بعض أحشاء الميت

وفى جانب من الغرفة آنية كبيرة من الفخار مسدودة بالطين ، يبلغ ارتفاعها ١٣٠ سم ، وقطرها ٣٠ سم ولم تعرف محتوياتها بعد

ويحيط بهذه الغرفة عدة غرف لم يفتحها مسيو مونتيه ، ولكنه أحدث فى إحداها ثغرة تيمناً بزيارة صاحب الجلالة الملك ، فظهر من خلالها غرفة متوسطة الحجم بها « ناووس » كبير من حجر الجرانيت الأحمر يعلوه غطاء من حجر البازلت الأسود ، وقد دلت القرائن على أن صاحب هذا الناووس من الشخصيات الملكية ، وأن اللصوص لم تصل أيديهم إلى مقبرته

ولهذا الكشف قيمة كبيرة من الناحية التاريخية ، لأن مقابر ملوك الأسرات : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ لم يسبق اكتشافها من قبل ذلك ، وإنما عثر على بعض تماثيل لهم فى مدينة طيبة ، ولا شك أن هذا الكشف سيجلو تاريخ هذه الأسرات الثلاث ، وقد كانت فترة غامضة فى تاريخ قدماء المصريين

وقد قرر الدكتور دريوتون مدير مصلحة الآثار نقل محتويات غرفة الملك (بسوسنس الثانى) التى تحتوى على تابوت الملك شوشنك إلى دار التحف المصرى لتعرض على الجمهور

كشف أثرى آخر

علمنا أن بعثة كلية الآداب التى تشتغل فى الحفر بمنطقة (تونة الجبل) تحت رياسة الأستاذ سامى جبره عثرت فى هذا الأسبوع على أشياء هامة من الوجهة التاريخية

وكانت البعثة قد عثرت على غرف المحفوظات الخاصة بكهنة هرمو بوليس فى جنوبى المنطقة وعثرت فيها على ملف كبير من البردى يتضمن نصوص القانون المدنى المصرى

وقد وجدت البعثة أخيراً ملفاً آخر يبلغ طوله مترين ونصف متر موضوعاً فى قادوس مقفل ومختوم بالطين . وقد فض هذا القادوس فوجدوا فيه ملف البردى الذى دلت القراءة الأولى لما ورد فيه من النصوص على أنه يتضمن نص أسطورة طويلة من الأساطير الشعبية

وقد أرسل الملف إلى معهد الآثار ليتولى الإخصائيون قراءته وترجمته .

وعثرت البعثة أيضاً على تمثال صغير للإله (مين) إله التناسل عند قدماء المصريين يبلغ طوله نحو ٦٠ سنتيمتراً ، وقد صنع من الخشب ، وغطى بطبقة من الصفائح الذهبية اللامعة

ويعد وجود هذا التمثال غريباً فى تلك المنطقة لأنه لم يكن بين معبوداتها الرسمية التى هى طائر الإيبيس والقرد . ويمثل كل منهما إله الحكمة « تحوث » معبود تلك المنطقة وقد سماه الإغريق « هرمز » وسموا المدينة على اسمه « هرمو بوليس »

والبعثة مستمرة فى الكشف عن السراديب الأرضية الطويلة الممتدة تحت الأرض إلى مسافات بعيدة وتحتوى على مئات الآلاف من جثث الطيور والقرود المحنطة .

فلم التشريفات الملكية

عنيت شركة مصر للتمثيل والسينما بتصوير غدوات صاحب الجلالة الملك وروحاته مع ضيفه الكريم صاحب السمو الأمبراطورى محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران ، وجاء التقاط المشاهد المختلفة على أجمل شكل سواء فى النهار أو فى الليل ، وكان اختيار المشاهد حسناً ، ويساوق المشاهدَ عزف رقيق يناسب مقتضى الحال . إلا أن صوت المتكلم كان رفيعاً من غير داع إلى ذلك

الى الأستاذ توفيق الحكيم

هل لك أن تنضو مُسوح ذلك الجاه فتشرف من برجك المنيف على مستوضح منك الرأى فيما كتبت بالرسالة عن « كتابين قيمين ، قد ورد فيهما طعن على الإسلام » قلت إنك بحثت المسألة من جهة الدين فبدا لك العجب لأن الكتب التى تعرضت للمسيح بالطعن والتجريح تطبع وتنشر فى أوربا ولا يفزعون . وهنا أسألك متحدياً : أى برنامج من برامج التعليم فى أوربا قررت فيه تلك الكتب فى قاعات الدرس والامتحان وفرضت فرضاً على الطالب أن تكون من أسس ثقافته الرسمية التى تحدث عنده عقداً نفسية تتولى تنميتها تأثيرات الأستاذية القوية . لا مانع من البحث والتحليل والتمحيص وإلا لما تكونت سبيكة الذهب من العروق الملقاة فى التراب، ولكن للبحث أزمنة وأمكنة قد مضت منذ أزمان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا طعن صريح، باعترافك أنت، لا شبه علمية تستحق جلال الدرس وعظمة العلم، وفوق ذلك كله أنها موجهة لشخصية الرسول أكثر منها لدينه ، فكيف يستسيغها شعور الجماهير من المسلمين . ألا ترى أن انجلترا حرمت

دراسة نظرية دارون (النشوء والارتقاء) فى مدارسها احتراماً لشعور الجماهير، بيد أنها لم تحرم دراستها خارج دور التعليم؟ وأما قولك (إنى أعتقد دائماً أن صحة العقل وصحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق حتى تكتسب المناعة) فذلك حق لا مرية فيه، كما أن حصوله وثبوته الآن واقع بين المسلمين لا مرية فيه. ألا تعلم أن فى الأزهر والمعاهد الدينية تدرس شبه الجبرية والمعتزلة والرافضية والمجسمة والشيعة وسواهم ويرد عليها فى جو علمى محترم لأنها شبه لا طمن تدسه العصبية المقوتة. ألا تدرى أن المذهب الأبيقورى مذهب اللذة والإباحية يدرس فى الأزهر ويرد عليه فى جلال من العلم وحرية من الفكر، ومثله مذاهب الشيوعية والشعوبية، وسواهم. فليس إذاً «حبس العقيدة والعقل فى قفص من الزجاج خوفاً عليهما من خطرات النسيم» كائناً بين المسلمين. وما على الشاك إلا أن يغشى بيئات الدراسات الإسلامية فيعود منها متغير الرأى هادئ البال وإن فى هذا لبلاغاً

«كلية اللغة» **أحمد عبد الرحمن عيسى**

فتش عن المرأة

فتشنا عن أول من قال: (فتش عن المرأة) فى العربية وعن قوله فوجدنا هذين البيتين فى كتاب (الكشكول) لبهاء الدين العاملى غير معزوين، وهما فى معنى القول الفرنجى Cherchez la femme:

إذا رأيتَ أموراً منها الفؤاد تفتتْ
فتشْ عليها تجدها من النساء تأتتْ

***

جمعية أنصار التمثيل والسينما

انتهى الأساتذة سليمان نجيب، وعلى شوقى، وعبد الوارث عسر من تأليف رواية الحجاج بن يوسف، وقد رأت الجمعية رأياً جديداً يتعلق بتمثيل الشخصيات فى العصور العربية، ولهذا سنبدأ فى دراسة هذه الرواية بمحاضرة يلقيها الأستاذ على شوقى عن «عصر الحجاج بن يوسف» ثم يعقب عليها الزميل عبد الوارث عسر بكلمة تعد تمهيداً لدراسة الشخصيات العربية فى ذلك العصر ووضعها على الأشخاص الذين سيقومون بتمثيلها من أعضاء الجمعية. ورغبة من الجمعية فى فائدة الجمهور من هذا الموضوع الطريف، رأت أن تكون هذه المحاضرة عامة يحضرها من يشاء

وتبدأ المحاضرة بدار الجمعية ٨ شارع البورصة الجديدة بحضور جميع الأعضاء فى تمام الساعة السابعة من مساء الخميس ٣٠ مارس ١٩٣٩

رسالة شكر وتقدير

تلقينا من الأستاذ شاهين ابراهيم شاهين كلمة مسهبة ينوه فيها بالقدرة البارعة التى يعالج بها شيخ الصحافيين الأستاذ خليل ثابت بك الموضوعات الاجتماعية فى المقطم وبخاصة موضوع (أى السياسات الإيجابية تختار مصر) ونحن نشاطر الكاتب الفاضل إعجابه بالأستاذ خليل بك وثناءه عليه، ونكتفى لفوات المناسبة بهذه الإشارة الموجزة لهذه الرسالة الطيبة.

حياة الرافعى فى العراق

قرأنا فى جريدة (البلاد) العراقية ما يأتى:

اقتراح على وزارة المعارف — حول كتاب حياة الرافعى

سيظهر قريباً كتاب «حياة الرافعى» للأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان، وهو كتاب أدبى فذ، يبحث عن جميع الخصومات التى حدثت بين الرافعى وأدباء عصره، فحبذا لو أن وزارة المعارف تشترى منه كميات كبيرة لتوزعها على طلابها، وعلى مكتباتها؛ وبذلك تسدى أكبر خدمة أدبية نحو فقيد البيان الرحوم مصطفى صادق الرافعى

«بغداد» **مقترح**

(الرسالة): ظهر كتاب حياة الرافعى منذ قريب.

إعلان مهم

ليس للمشترك بالتقسيط أن يطلب الهدية قبل سداد الأقساط. وليس للمشترك الحق إلا فى كتاب واحد من الكتب التى نشرناها إما بالتخفيض وإما بالمجان

من وحي السيرة

١ — بطل الأبطال: للأستاذ عبد الرحمن بك عزام

٢ — صور إسلامية: للأديب عبد الحميد المشهدي

— ١ —

لا شك أن الإنسانية لم تعرف فى تاريخها من عظمة النفس، وسمو الروح، ونبل الغرض، وقوة العزيمة، وصفاء النفس، وحسن السيرة، مثل ما عرفت فى شخصية محمد صلوات الله عليه، ذلك النبى الكريم، والرسول العظيم، والمثل الأعلى للبطولة والجهاد فى سبيل العقيدة والإخلاص لله!

هذه العظمة الإنسانية التى تمثلت فى شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وفى سيرته، كانت وما تزال وستظل على مدى الدهر روعة تملأ القلوب وتهز مشاعر الناس فى جميع العصور والأجيال سواء آمنوا أم كفروا، وتفتح لأهل الفكر والأدب والتاريخ آفاقاً مشرقة يقبسون من نورها، ويهتدون بهديها، ويجدون فى كل جانب من جوانبها مادة مواتية، وثروة باقية للفكر والأدب والتاريخ ...

والذين كتبوا فى سيرة النبى وشخصيته كثيرون حتى ليخطئهم العد، وما أحسب سيرة ولا شخصية قد أخذت من عناية الكتاب والأدباء والمؤرخين فى الشرق والغرب مثل ما أخذت تلك السيرة الحميدة، وهذه الشخصية العظيمة. وعلى الرغم من ذلك فما زال القول فيها جديداً، والبحث عنها طريفاً، والحديث فى أسرارها مهما طال وتكرر حلو سائغ كله الروعة والجلال، يهش له القلب، وتهفو نحوه الروح، وترتاح له النفس ...

وهذان كتابان من وحى الشخصية العظيمة، والسيرة الخالدة أسعدنى بهما الحظ ونحن فى مطلع الهجرة حيث يحلو الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجب التأسى بسيرته.

أما الأول فكتاب «بطل الأبطال» للأستاذ عبد الرحمن بك عزام، وهو جملة أحاديث تناول فيها المؤلف الفاضل أبرز صفات النبى صلى الله عليه وسلم فتكلم عن شجاعته، ووفائه، وزهده، وقناعته، وتواضعه، وتعبده، وعفوه، وصفحه، وبره، ورحمته، وفصاحته، وبلاغته، وحسن سياسته، وحكمته فى تصريف الأمور، ونظام الحرب، ووضع الأساس لحرية الدعوة وحرية العقيدة للأديان السماوية جميعاً، ثم تكلم عن أثر الدعوة المحمدية فى النفوس، وصلتها بالقلوب، وكيف فعلت فعلها فى الفرد، وشمل سحرها الجماعة، فبدلت الناس غير الناس، والأرض غير الأرض، ومازلنا ومازال العالم فى آثار ذلك حتى آخر الدهر.

ولقد أحسن الأستاذ المؤلف كما يقول أستاذنا المراغى إذ تناول السيرة الكريمة من الناحية الخلقية، فإن الناس أحوج ما كانوا فى أى عصر من العصور إلى أن يهتدوا بأخلاق محمد، ويقبسوا من نوره. وزاد الأستاذ إحساناً إذ استخلص هذه السيرة الكريمة من الحادثات والوقائع الصحيحة فى التاريخ، فلم يرسل القول دعاوى يعوزها البرهان، ويلتمس لها الدليل، بل قرن الرأى بالحجة، وثبت القول بالواقعة، واستدل للحديث بالرواية الصادقة

وإذا كان الشاعر لا يفهمه إلا شاعر كما يقولون، فالرجل لا يقدره إلا رجل كذلك، والأستاذ عزام بك رجل من أهل الجلاد والجهاد، والرأى والعزيمة، وإنه ليكبر ذلك فى شخصية محمد صلوات الله عليه، ويتخذه مثلاً أعلى للبطولة والرجولة، فلما وقف بقبره أخذ مأسوراً — كما يقول — بهذه البطولة، وتملكه روح لا يزال يشرق من غيابة الماضى، هو روح سيد الرجال، وبطل الأبطال، وبهذه العقيدة تحدث الأستاذ الفاضل عن النبى الكريم، فجاء كتابه صفحة مشرقة بالإعجاب والإشادة ببطولة محمد ورجولته، وما ينقصها إلا الإفاضة والاستيعاب بما يكافئ عظمة السيرة الخالدة، والأستاذ يعترف بذلك ويرجو أن تسعفه الفرصة فيفيض ويستوعب وإنا لمنتظرون.

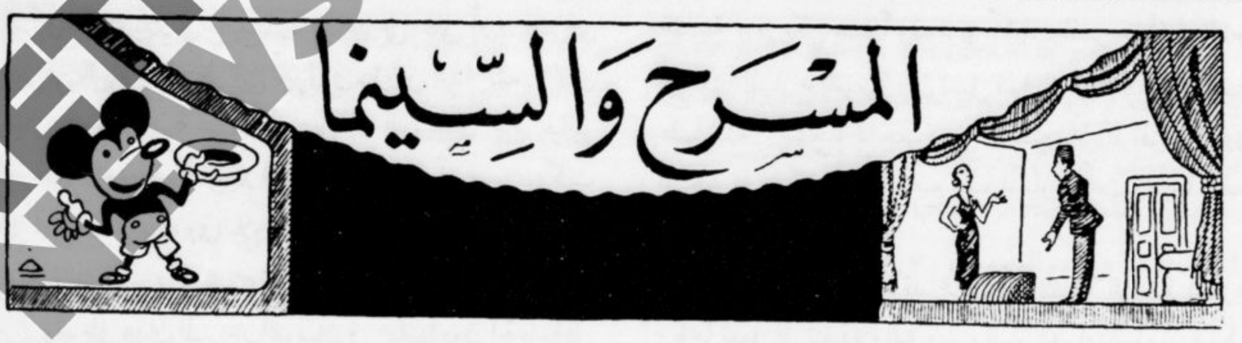

على هامش الفنون

المسارح القومية فى النرويج

نقرأ فى الصحف التى تعنى بالدراسات المسرحية العالية أنباء شتى عن المسارح المعروفة كما نقبل مشغوفين على دراسة آدابها ؛ ولذلك ليس بالعجيب أن نسمع أن جمهرة قراء الصحف المصرية ونقاد المسرح ودعاة هذا الفن وهم كثيرون يعرفون - إن لم يكن عن دراسة - حركات التطور الفكرى فى المسرح الانجليزى وحب الفرنسيين للمسرحيات الاستعراضية الراقصة فى الوقت الذى يفضل فيه الألمان « الأوبرات الكلاسيكية » وهكذا

ولكن هؤلاء جميعاً لا يعرفون - وقد زحمتهم الصحف بعدد محصور من الأنباء عن مسارح خاصة - أن فى العالم مسارح أخرى وآداباً مسرحية عريقة غير تلك التى يعلمون . بل مَنْ من هؤلاء جميعاً يفكر فى ترك دراسة المسرحين الانجليزى والفرنسى - ولو إلى حين - ويعرج على دراسات أخرى أكثر تعمقاً وأنق فكرة وأرقى فلسفة ثم يأتى بعد ذلك ليطالعنا بدراسة مقارنة ؟!

إن الفكرة التى قدمت من أجلها العجالة السابقة لن تجد الأذن السميعة، ولذا أجد نفسى مضطراً لطرق الباب وفق طريقة سبقنى إليها غيرى فى تقدمة المسارح المعروفة إلى جمهرة القراء وجموع المتأدبين آملاً أن يجد دعاة النقد المسرحى فى مصر مادة جديدة لهم عند ما يتحدثون عن مسرح جديد بالنسبة إليهم وهو المسرح النرويجى

— ٢ —

أما الكتاب الثانى فكتاب : « صور إسلامية » للأديب عبد الحميد المشهدى ، وهو - كما يقول المؤلف الفاضل - أفق من آفاق الحياة المحمدية ، وصورها الكثيرة ، مازج الحقيقة فيها الخيال ، وخالط فيها الفن التاريخ ، دون أن يعدو على حقائقه ، أو يستر الخيال جمال الحقيقة الرائع ، وجلالها الواقع .

قال المؤلف : فما أجريت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، ولا أخضعت اتجاه التاريخ من أجل طبيعة الأسلوب، وإنما حاولت بقدر المستطاع أن أخضع الفن ليكون فى خدمة الحق والتاريخ، لتبدو السيرة المحمدية فى جمالها الشفاف ، وفتنتها الأخاذة وأسرارها الاجتماعية ، وسياستها الخالدة . وليس القصد من هذا كله إلا أن أستخرج معين السيرة من تحت جلامد التعابير الخشنة والمنعنات المملة ، وكثرة الروايات الطامرة للحقائق ، وأن أنظمها أسلوباً قصصياً سهلاً ليستطيع الناس أن يستوعبوا نواحى الصورة التطبيقية للشريعة الإسلامية التى جاء بها القرآن، وفصلتها سيرة سيد الأنام!

والواقع أن المؤلف الفاضل قد وفق فى غرضه ، واستطاع أن يصل إلى غايته فى تجلية السيرة على هذا النمط الذى شرحه ، وإنه لنمط قويم ، ونهج قريب إلى النفوس والأرواح . وما أستطيع أن آخذ عليه فى ذلك إلا بعض هنوات فى الأسلوب ، والتهويل فى التصوير ، والخروج فى بعض المواقف عن حدود الحياة الإسلامية كما وصفها التاريخ . وإنك لتقرأ فى صدر الجزء الثانى من كتابه حديثه عن تحرش قريش بالنبى وأصحابه ، فكأنك تقرأ وصفاً لمظاهرة تسير فى شوارع القاهرة هاتفة صاخبة . ولعل مرد هذا إلى ما عرف عن المؤلف الفاضل من ثورة الشباب ، وإنها لثورة جامحة تتمثل لك فى كتابه ، بقدر ما تتمثل لك رزانة الأستاذ عزام فى كتابه

وكتاب « صور إسلامية » يقع فى جزئين ، انتهى بهما المؤلف فى الحديث عن السيرة إلى بيعة العقبة وإسلام عمرو بن الجموح من سادات يثرب، وقد وعد بالجزء الثالث عن قريب، وإنا لنرجو له التوفيق حتى يصل إلى الغاية ، وينتهى إلى النهاية .

محمد فهمى عبد اللطيف

والنرويج بلاد فى طبيعتها ما يساعد على خلق أدب مسرحى يعبر عن البيئة والأفكار التى تجول فى رؤوس هذا الشعب الذى يعيش فى شبه عزلة عن العالم . بل إن النرويجيين قوم خياليو النزعات ميالون إلى الابتكار الخراف، ولذا كان لهم مسرح وكانت لهم آداب مسرحية، وفى بلادهم مسرحان قوميان أسسا فى أواخر القرن الماضى أحدهما فى العاصمة «أوسلو» والثانى فى مدينة «برجن»

وقد ظل هذان المسرحان القوميان فى عملهما دون أية حاجة إلى مساعدة الحكومة حتى عام ١٩٢٧ عند ما فكر أولو الأمر فى مساعدتهما مادياً فأجدت المساعدة وشجعت على إيجاد مؤسسة فنية أخرى هى « المسرح النرويجى» Det Noroshe Teatre

وقبل ظهور الكاتبين النرويجيين هنريك أبسن وبيورنسون لم تكن للمسرح النرويجى أهمية تذكر، وكان محصوراً داخل دائرة خاصة لا صلة تربطها بالحياة الأدبية ؛ ولكن ما حل عام ١٨٥١ وعين الشاب هنريك أبسن فى وظيفة فنية Scenic director بمسرح «برجن» حتى بدأ المسرح النرويجى عهداً جديداً . فهناك كتب المؤلف الشاب مسرحيته الأولى وما بعدها مفرغا فى كل ما كتب تجاريبه الفنية ومعلوماته التى استفادها من عمله، والتى صارت دستوراً لمن أتى بعده لا من كتاب النرويج بل لجميع الكتاب فى كل أصقاع العالم

ولعل الظروف التى قيضت هنريك إبسن لخلق مسرح نرويجى جديد لم ترد أن تتركه يناضل وحده فشدت أزره بمؤلف مسرحى آخر ظهر فى نفس الوقت هو بيورنسترن بيورنسون . وكان أن ظهر على خشبة المسرح عدد كبير من نوابغ الممثلين والممثلات الذين ساروا جميعاً وفق طريقة تقليدية ظلوا يتوارثونها حتى شهدها الجميع أخيراً عند ما احتفلت كبيرة ممثلات النرويج جوهان دايبواد البالغة من العمر سبعين عاماً بيوبيلها الذهبى ونجحت هذه الطريقة نجاحاً كان مثار حسد الشباب الذى قام ينادى مطالباً بالتجديد

ولقد اقترن ظهور ابسن وبيورنسون بنهضة فكرية كانت مؤلفاتهما المسرحية مثارها . وبدأ الشعب يقبل على التمثيل وآدابه كفن ضرورى جميل مثل الموسيقى والنحت والتصوير والدراسات الأدبية ... كما أثبت ظهور هذين الكاتبين أيضاً أن « الدراما » تستطيع أن تحتل مكانة أرفع وتصل إلى مستوى عظيم ، ومن هنا نشأت النهضة المسرحية Renaissance وأقبل الناس على المسرح فظهر نوابغ الممثلين وعظيمات الممثلات ، واستحالت بلاد النرويج فى العصر الحديث إلى ما يمكننا أن نشبهه بأثينا فى عصورها الذهبية القديمة ، فلم يكن عسيراً وقد ارتقى كتاب المسرح بأفهام الناس أن تنشأ المسارح القومية وأن تعمل فيها الفرق الأهلية وأن يقبل عليها الشعب مشجعاً مما حفز بعض المهيمنين على المرافق من ذوى المكانة على إغراء الدولة لتضع هذه المسارح تحت رعايتها وتقدم لها المساعدات اللازمة

ولرب سائل يسأل وقد عرف أن للفرقة القومية المصرية برنامجاً تعمل على تنفيذه وإليه يرجع السبب فى إنشائها وإن لم تكن قد حققت منه أى شىء ... وبدورى أسارع فأقول إن للمسارح القوميـة فى بلاد النرويج أغراضاً ترمى إليها ، وبرامج من اللازم أن تنفذ ما جاء فيها، وإلا تعرض القائمون بالأمر فيها للمسئوليات الجسام من مادية وأدبية . ولعل أهم ما أنشئت من أجله هذه المسارح هو تمهيد الحقل الفكرى لإنتاج أدب الدراما المحلية . ولا بأس فى نفس الوقت من إعطاء فكرة عن تطور الأدبيات المسرحية فى أمم العالم وعرض صور منها بين قديم وحديث ، إلا أن التجاريب دلت على أن البرامج ذات المسرحيات « الكلاسيكية » التى يتكلف إخراجها الشىء الكثير من المال لا تحدث تغييراً محسوساً فى الإيرادات ولا ترتفع بالميزانية إلى درجات خطيرة ، ومن هنا ظهرت قيمة الشعب الروحية وبرهن جمهور النظارة على أن له رغبة يجب أن تطاع، وأثبت للقائمين بالأمر المسرحى أن بيده توجيه الحركة الفكرية والإنتاج الفنى إذ أقبل بكثرة على المسرحية العصرية « والأوبريت » وفضل الـ Varces على الـ « كلاسيك »

وقد أثرت السينما فى المسرح النرويجى كما أثرت فى نفس الوقت على جميع مسارح العالم؛ وهذا شىء ملموس بطبيعته . ولعل أهم ما فيه هو رخص أسعار دور السينما وتكرار المشاهد فيها وسرعة تغيرها . . . ولكن الأثر الذى أحدثته السينما فى العالم المسرحى شىء وما أحدثته فى بلاد النرويج شىء آخر ، أحدثت ما يمكن أن نسميه بالموقف الغريب إذ لم يسبق أن وقفت الحكومة فى أى دولة من دول العالم مثل الموقف الذى وقفته حكومة النرويج من أزمة المسارح وكسادها بسبب منافسة السينما لها ، إذ راحت البلديات النرويجية تساعد بالمال كل مسرح قوى، ولكن هذه المساعدات المتكررة لم تستطع موازنة المالية كما أنها لم تؤثر فى الإيراد ولم تصلح الميزانية العامة، الأمر الذى أجبر الحكومة على التنازل للمسارح هناك عن جزء كبير من إيرادات اليانصيب الحكومى، وقد حدث هذا فى مستهل عام ١٩٢٧

والأدب المسرحى النرويجى يكاد يكون الأدب الوحيد الذى يقوم على دعائم قوية معززة ، فنراه يطرق السياسة ويحلل أساليبها، ويتحدث عن الاجتماع والإصلاح وينقده، ويطلع الشعب على آراء جديدة فى الفلسفة واللاهوت دون أن ينسى السخرية من بعض النظم والرغبة فى هدم القديم ليقوم على أنقاضه جديد مدعم البنيان.

والنهضة الأدبية المسرحية هناك تقوم على أكتاف الشباب الذين أذكر منهم الكاتب المسرحى الراديكالى : « نورداهل جريج » Nordahl Grieg الذى يحبه الشعب ويعرف فيه ميله إلى السلم وكثرة دعوته إليه فى كل كتاباته،وزميله هلج كروج Helge Kaog الذى تشبع بروح الكاتب الإيرلندى الساخر برناردشو وحاكاه فى كتاباته ونقده اللاذع فى الوقت الذى لم يفتـه فيه أن يخرج للناس مسرحيات قوامها علم النفس الحديث وبعض مشاكل المجتمع

وحدث فى عام ١٩٣٥ أن أرادت الحكومة دراسة حالة المسرح فى النرويج فصدر أمر إدارى بتعيين لجنة فنية لكتابة تقرير واف عن المسرح ومدى تقدمه وما ينتظر له فى مستقبله وأوجه النقص فيه وكيفية إصلاحها ... وباشرت اللجنة عملها ودرست المسرح النرويجى دراسـة وافية ، ثم وضعت تقريراً لست فى حاجة إلى نقله، بل أفضل تلخيصه ليستوعبه أفراد الهيئات الفنية فى مصر :

« يجب على الحكومة والمجالس البلدية أن تضاعف قيمة الإعانات التى تقدمها للمسرح القومى كى يستطيع أن ينهض بأعباء الرسالة المقدسة التى اضطلع بها، وكى يشرف الإسم الذى يحمله كما يجب على الحكومة أن تسرع فى سن قانون يحدد مركز المسارح ويضمن تغطية نفقاتها ... »

ورأى هؤلاء الخبراء أن يعمدوا إلى طرق منطقية لترقية المسرح وكان أن اقترحوا ضرورة تعميم الإذاعات الأثيرية من مسرح المملكة « Rihsteater » كى يسمعها سكان القرى البعيدة فيأخذوا من المسرح فكرة أولية تنمو مع الأيام فتستحيل حباً وإعجاباً .

وبلاد النرويج تكاد تكون الوحيدة بين بلدان العالم التى تعنى بتربية الناشئة تربية ثقافية فنية، فتراهم يلقنون الطفل فى المدرسة حب المسرح وذلك لخلق جيل جديد يتفهم الرسالة المسرحيـة ، ويعمل مخلصاً على رفعة المسرح القومى فأنشأوا للأطفال « الجماعات التمثيلية المدرسية » وشجعوا الطفل على ارتياد المسارح بأجور زهيدة حتى إذا شب علق بهذا الفن وأصبح يرى فيه إحدى ضروريات الحياة .

والممثل فى النرويج يعيش فى بحبوحة من الرزق لأنه يتبع النظم ويسير وفق القانون وينفذ بنود العقد المرتبط به ، ولا يخل بشرط منها مهما كانت الأسباب قوية واضحة . إنهم هناك يحترمون العقود ويقدسون إمضاءاتهم على العكس من السادة ممثلينا من فطاحل المسرح المصرى الذى نسمع بالواحد منهم وقد وضع إمضاءه على أكثر من عقد وفى أكثر من فرقة

أما أصحاب المسارح هناك فيحبون ممثليهم ويعملون على نصرتهم وجمع شملهم ، وتوحيد صفوفهم ، وذلك بمساعدتهم على إنشاء النقابات الفنية وإعطائهم المعاش عند بلوغهم سنا معينة

هذا هو نموذج من المسرح القومى ، وتلك نحمرى الطرق الفعالة لرفعة هذا الفن الجميل الذى بحت أصوات الكثيرين فى مصر من جراء تكرار المناداة بإصلاحه حتى هبت الحكومة من غفوتها ولبت النداء بأن وكلت أمر أهل الفن إلى من لا علاقة لهم بالفن فمات التمثيل ، واللجنة العليا لترقيته تعقد الاجتماعات للنهضة به ورفع مستواه !

ابراهيم حسين العقاد

حول مجنون ليلى

كتب محرر الصفحة السينمائية عن مجنون ليلى ما كتب بأسلوب كالسب موجهاً إلىّ وإلى الأخوين ابراهيم وبدر لاما قائلاً فيما يخصنى من هجومة أننى أحد الذين يؤلفون لصالات الدرجة الثالثة فى شارع عماد الدين

وأى ضرر على الكاتب أن يكتب للصحافة أو للمسارح بالأسلوب التجارى الذى يقوم بأود حياته ما دامت كتابته لا تمس جوهر الفن فى نفسه .

إنى لم أكتب كلمتى هذه متبرماً بنقد ناقد فإنى ممن يؤمنون بفائدة النقد وجدواه ولكن على أن يكون نقداً لمجرد النقد لا أن يكون هجوماً لمجرد الهجوم ، فحضرة الكاتب لم ير شيئاً حتى يحكم عليه؛ وما يدريه لعلنى وأنا لست بذى الإسم الرنان أن أكون قد وفقت فى كتابة حوار القصة وأشعارها توفيقاً قد يعجب ويرضى، وكان عليه أن ينتظر حتى يرى الثمرة بعد أن تخرج للناس ثم يحكم عليها بعد ذلك حكمه

السيد زيادة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)

7me Année No. 300

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 3 - 4 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٠ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣ ابريل سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

كذبة إبريـــل

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

فى أول إبريل يحلو لبعض الناس أن يكذبوا ، ويطيب لهم أن يزعجوا بهذا الكذب إخواناً لهم ، أعزاء عليهم ، أثراء عندهم . ولو اختصوا بالكذب المثير أو المزعج ، أو الذى يورث المتاعب ، غير الأوداء والأصدقاء ، أى الخصوم والأعداء ، لكان هذا أقرب إلى العقل وأشبه بما ينبغى أن يكون ، فما يبالى المرء على أى حال من السوء يكون عدوه ، وكلما زاد الشر الذى يقع فيه أو يُمنى به العدو كان ذلك أشرح لصدر عدوه وأثلج لقلبه . ولكن الصديق شىء آخر ، والإنسان جدير أن يخجله أن يركب صاحباً له بدعابة مؤذية ، وأن يضحك ويفرح بما ينزله بهذا الصاحب من السوء

وقد لقيت فى أول إبريل هذا من المتاعب ما بغضه إلى ، حتى لتمنيت على الله أن يلهم الناس حذف هذا الشهر كله ، وإسقاطه أجمه من تقويم العام

صبّحنى واحد ، وأنا أجلس إلى مكتبي ، بأن برقية وردت بأن ألمانيا قذفت بجيشها على أرض بولندا ، وأن القتال يدور بين الطلائع النازية وقوات الدفاع ، فسألته : « أتتكلم جادًّا ؟ »

قال وهو يشير إلى ورقة فى يده « هذه هى البرقية . اسمع ترجمتها »

فتفرست فى وجهه وحدجته بنظرة فاحصة ، فلم أر ابتساماً ، ولا ما يشى بأنه يهم بالابتسام . فقلت : « إنى كنت ، وأنا آت

الفهـــــرس

إلى هنا ، أحدث نفسى بأن أكتب فى التصريح الذى ألقاه المستر تشمبرلن أمس فى مجلس العموم البريطانى ، وكنت أريد أن أقول إنه من العوامل المرجحة لكفة السلم ؛ ولكنك تروى لى نبأ غريباً ، لا يكاد يقبله عقلى ، فهات لى هذه البرقية لأقرأها فإنى لا أكاد أفهم ، وأحسبنى سأجن ، فما أعرف لماذا تجازف ألمانيا هذه المجازفة التى ليس لها أى موجب ، ولا من ورائها أى خير لها أو لسواها »

وانتزعت منه الرقعة فإذا هى قديمة وتاريخها أول مارس ، وليس فيها أى ذكر لألمانيا أو بولندا ! وماذا يبالى صاحبنا هذا أن يهدم لى الدنيا ، وأن يحيلها حولى أنقاضاً ، وأن يدير لى رأسى حتى ما أعود أعى شيئاً ؟!

وبعد نحو ساعة ، طُلبت إلى التليفون ، فقمت إليه ، فإنى أكره أن تكون آلته على مكتبى ، أو فى الغرفة التى أنا فيها ، ولا أعرف ما هو أشد إزعاجاً لى من صوت جرسه حين يدق فجأة ، وقلت وأنا أضع السماعة على أذنى « نعم »

فسمعت صوت زوجتى يقول لى : « أبو خليل ... مبروك ! »

فسألتها مستغرباً : « ماذا ؟ مبروك إيه ؟ »

قالت : « بالهناء والرفاء والبنين ! لماذا لم تخبرنا لنفرح لك معك ؟ »

قلت : « عن أى شىء تتحدثين ؟ رفاء ، وبنين ... ؟ ! ما هى الحكاية ؟ »

قالت : « برقية وردت بتهنئتك بعروس جديدة ... هل أقرأها لك فى التليفون ؟ أو يكفى أن أذكر لك اسم مرسلها ؟ ! وقبل البرقية دق الباب رجل وسأل عنك ، فعرف أنك خرجت فكلفنا أن نبلغك تهنئاته القلبية . فلم نفهم ، ولكنه انصرف قبل أن نتمكن من سؤاله . على أن البرقية ما لبثت أن جاءت ففهمنا كل شىء ! مبروك ، على كل حال »

فأيقنت أن أكاذيب إبريل كلها ستقذف علىّ فى هذا اليوم السعيد . وقلت لها : « آه ، كذبة إبريل ... اشكرى عنى المهنئين والمهنئات . فإنى الآن مشغول بالعروس ، أبهاجى ، وأناجيها بما يجن قلبى لها ! ألا تسمعين ؟ »

فألقت السماعة ، ولم تجب ! والمصيبة أن النساء أميل إلى تصديق كل ما يثير غيرتهن ، ولو كان كل شىء يدعو إلى نقيض ذلك ويغرى بالاطمئنان .

وخرجت ، فمررت بصاحب لى ، فقدم لى شوكولاته ، فاعتذرت فإنى لا آكل شيئاً بين طعامين ، فألح ، فأصررت على التأبى ، فاقترح أن أنتقى بضع قطع أدسها فى جيبى ، وآكلها حين أشاء فلم أر فى هذا بأساً فأجبته إليه . وعدت إلى البيت ، وخلعت ثيابى لأستريح ، فسألتنى امرأتى : « معك سجاير » ؟ !

قلت . « فى جيبى ... خذى ما تريدين »

فدفعت يدها فى جيبى وقالت ، وهى تخرجها وتتأمل ما عثرت عليه : « آه ... شوكولاته العروس » ! !

قلت : « لا تكونى سخيفة ... هذه أعطانيها فلان » .

فألقت فى فمها واحدة ، وهى تضحك ، وإذا بها تلفظها فجأة وتصيح وقد عبست جداً : « ما هذا القرف ؟ »

فسألتها : « قرف ؟ أى قرف يا شيخة ؟ مالك فى هذا النهار ؟ »

قالت : « تضحك علىّ ، وتغرينى بأكل شوكولاته حشوها ثوم وفلفل ، وتزعم أن فلاناً أعطاكها ؟ ! أى مزاح هذا ؟ هل ارتددت طفلاً ؟ ألا تجد أحداً غيرى تمازحه هذا المزاح البارد ؟ »

فقلت ـ وأنا أحدث نفسى ـ : « شوكولاته بثوم وفلفل ! يا امرأة ، هل سمعت بالمثل العامى : تكون فى فمك فتقسم لغيرك ؟ أنا كنت المقصود بهذ المزاح البايخ ، ولكنى نجوت ووقعت أنت ؛ وما يخالجنى شك فى أن هذا أبعث على سرور صاحبى الذى أهدى إلىّ هذه الشوكولاته ! ولكننا لن نخبره بشىء ، وسندعه بضعة أيام يتقلى وبوده لو عرف ماذا كان من أمرنا ... لا بأس ! سأجزيه سوءاً بسوء ! فانتظرى ! »

فظلت تصيح وتسأل عما عسى أن تصنع الآن ، فقد فسد طعم فمها ، وأكبر ظنها أن رائحة الثوم ستظل بأنفاسها ، فاقترحت عليها أن تشرب قليلاً من الكولونيا !

فهزت رأسها وقالت : « تريد أن تقتلنى لتخلص لك عروسك الجديدة ، ويصفو لك الجو معها ! »

فسكت ووضعت إصبعى فى الشق ، بل وضعت أصابعى العشر كلها فى الشقوق فما من سبيل إلى إقناع المرأة بسخافة الغيرة

وأحسب أن الكذب يطيب فى أحيان كثيرة ، بل أحسبه لازماً للانسان . وعسى أن يكون الصدق متعبة شديدة ، ولعل التزامه فى كل حال مما لا يطاق

ولكن من الكذب ما هو برىء ، وما هو سوء يحسن اتقاؤه وأنا مستعد أن أضحك ، وأن أستظرف نكات الإخوان وأستملح

(البقية على صفحة ٧٠١)

كتاب السياسة

للوزير نظام الملك

للدكتور عبد الوهاب عزام

نظام الملك أبو على الحسن بن اسحاق : وزير السلاجقة من أعظم الوزراء الذين عرفهم تاريخ الإسلام . وزر للسلطان محمد ألب أرسلان ، ثم لابنه ملكشاه ثلاثين سنة (٤٥٥ — ٤٨٥) هـ .

كان أبوه أحد دهاقن طوس ، وذهبت بماله الحادثات فوُلد نظام الملك فى بيت فقير سنة ٤٠٨ . وماتت أمه وهو رضيع . ونشأ نجيباً زكياً فتعلم العربية والفقه وسمع الحديث . وتقلبت به صروف الزمان فى أرجاء الأرض ، حتى استقر فى بلخ عند أحد عمّال داود والد السلطان ألب أرسلان . ثم تولى أعمال ألب أرسلان ووزر له قبل السلطنة . فلما خلف ألب أرسلان عمّه طغرل بك دبّر نظام الملك أمور الدولة ، وظهرت كفايته ، وشاع ذكره ؛ فاستقل بسياسة الملك طوال عهد ألب أرسلان وعهد ابنه ملكشاه. وتولى أبناؤه ، وكانوا اثنى عشر ، المناصب الرفيعة فى الدولة . فتمكن سلطانهم ، وعظم جاههم ، وانقادت لهم الأمور حتى فاقوا البرامكة فى أيامهم .

يقول ابن الأثير :

« كان عالماً جواداً عادلاً حليماً كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت . كان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء ، وأئمة المسلمين ، وأهل الخير والصلاح . أمر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد ، وأجرى لها الجرايات العظيمة ، وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وغيرها . وكان يقول : إنى لست من أهل هذا الشان ، ولكنى أحب أن أجعل نفسى على قطا نقَلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وما زالت الأمور فى تصريفه ، والأحوال موانية له، إلى أن قتل سنة ٤٨٥ .

وذلك أنه كان مسافراً مع السلطان ملكشاه من أصفهان إلى بغداد ، فنزلا على مقربة من نهاوند . قال ابن الأثير :

« فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من إفطاره ، وخرج فى محفة إلى خيمة حرمه أتاه صبى ديلمى فى صورة مستميح أو مستغيث ، فضربه بسكين كانت معه ، فقضى عليه وهرب ، فعثر بطنب خيمة فأدركوه فقتلوه » .

وقد شاع بين الناس أن اللاحدة دبروا لقتله إذ كان يبغضهم وكتب فى كتابه سياستنامه فصلاً فى بيان مفاسدهم . ويقال إن ملكشاه هو الذى أوحى بقتله وكان قد نقم منه ومن أولاده تمكنهم فى عظم المناصب ، و جاههم ، وأوغرت صدره عليهم امرأته تُركان خاتون ، وكانت تسعى ليخلف ابنها الطفل محمود أباه على الملك ، وكان نظام الملك يؤثر بركيا روق أخا محمود الأكبر . إذ يقال إن جمال الملك بن نظام الملك قتل مسخرة للسلطان كان يحاكى نظام الملك فى المجلس السلطانى ، فنقم عليه السلطان وأمر من دس له السم فى شربة فقاع

ويروى ابن الأثير أن السلطان أرسل أحد قواده شحنة إلى مرو وكان يتولى أمورها حينئذ عثمان بن جمال الملك ومفيد نظام الملك . فوقع نزاع بين الشحنة وعثمان فحبسه عثمان ثم أطلقه فذهب إلى السلطان شاكياً ؛ فأرسل السلطان إلى نظام الملك يسأله أأنت شريكى أو وزيرى ويذكر استيلاء أبنائه على المناصب وتجاوزهم الحد

فلما بلغت الرسالة الوزير الكبير غضب وقال للرسول « قولوا للسلطان إن كنت ما علمت أنى شريكك فى الملك فاعلم ، فانك ما نلت هذا الأمر إلا بتدبيرى ورأيى . أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه ... فلما قدت الأمور إليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة ، وأطاعه القاصى والدانى ، أقبل يتجنى لى الذنوب ويسمع فىّ السعايات ! قولوا له عنى إن ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة[1] وأن اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة، ومتى أطبقت هذه زالت تلك[2] . »

ومن عجائب الاتفاق أن السلطان مات بعد شهر من قتل الوزير واضطربت الدولة اضطراباً شديداً

ومهما يقل من أسباب النفور التى وقعت بين السلطان والوزير فأنا أبعد أن يدبر الملك لقتل وزيره الشيخ الذى كان يثق به ويعتمد عليه ويستصحبه فى حضره وسفره .

(١) يعنى أن تاج السلطان مدعوم بدواة الوزير فاذا زالت وزارته زالت السلطنة .

(٢) ابن الأثير حوادث سنة ٤٨٥

كتب نظام الملك كتاب السياسة (سياستنامه) قبل موته بسنة واحدة ، وضمنه علمه وتجاربه وآراءه فى سياسة الملك وترتيب الدولة ، وإنصاف الرعية ، وقسمه إلى خمسين فصلاً .

وللكتاب مقدمة كتبها ناسخ الخزانة السلطانية يبين فيها سبب تأليف الكتاب فيما يأتى :

« أمر السلطان السعيد أبو الفتح ملكشاه ابن محمد أمين أمير المؤمنين أنار الله برهانه ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة بعض الكبراء والشيوخ والعلماء أن تفكَّروا فى أحوال المملكة وانظروا ماذا من السيئات فى عهدنا ، وماذا خفى علينا ، وماذا فعله السلاطين السابقون ولم نفعله ، وأعلمونا به . وكذلك اكتبوا ما تعرفون من سنن الملوك السالفين مما يتعلق بدولة السلاجقة وملكهم ، وأعرضوه علينا لنتأمّله ونأمر بعدُ أن يسير كل عمل دينى ودنيوى على قاعدته ، ويوضع كل شيء فى موضعه ، وننهى عما لا يُستحسن . فإن الله وهبنا الدنيا وأتم نعمته علينا وقهر أعداءنا فلا ينبغى أن يكون أمر فى مملكتنا ناقصاً أو يذهب عمل على غير وجهه أو يخفى علينا شيء .

« أمر بهذا نظام الملك ، وتاج الملك ، ومجد الملك وطائفة أمثالهم ، فكتب كلٌّ ما تيسر له فى هذا الشأن وعرضه على السلطان فلم يعجبه إلا ما كتب نظام الملك فقال : كُتبت هذه الفصول كما أردت فليس فى نفسى عليها مزيد . وقد اتخذت هذا الكتاب إمامى وسأعمل به . »

ويقول نظام الملك فى خاتمة الكتاب : « هذا كتاب السياسة . أمر سلطان العالم خادمه أن يكتب فى هذا الموضوع فامتثل أمره . كتب تسعة وثلاثين فصلاً على عجل ورفعها إلى السدة العالية فلقيت قبولاً . وكانت مختصرة فزدت عليها ، وأضفت إلى كل فصل ما يناسبه ، وبينتها بلغة واضحة . وقد سلمته إلى ناسخ الخزانة السلطانية محمد المغربى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ونحن على عزيمة السفر إلى بغداد ، وأمرته أن ينسخه بخط جميل ، فإذا لم يتح لى الرجوع من هذه السفرة قدمه إلى السلطان . »

وسأتكلم على الكتاب وأترجم فصوله فى المقالات الآتية إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

الجامعيون يحتربون

للدكتور زكى مبارك

كان الأسبوع الماضى من الأسابيع الدامية فى حياة الجامعة المصرية ، وكان رجعة إلى معارك الصمايدة والبحاروة فى الأزهر الشريف ، فما هى الصلات بين القديم والجديد من هذه المناوشات التى تقع فى المعاهد العلمية ؟

إن النضال بين الصمايدة والبحاروة من الأزهريين كان رجعة لأحقاد عرفتها مصر منذ عهد الفراعين بين سكان الشمال وسكان الجنوب ، وكان لهذا النضال مواسم يذكرها من شهد الحياة الأزهرية قبل أن تخضع للنظام الحديث

فما هو سبب النضال بين كلية الآداب وسائر الكليات ؟ وما الذى قضى بأن يكون للجامعيين تاريخ فى العداوة والبغضاء ؟

لقد كانت كلية الآداب منذ نشأتها محفوفة بالرعاية والعطف من جميع المعاهد العالية ، فما الذي جد من الشؤون حتى تصبح هذه الكلية المحبوبة هدفاً للعداوات ، وحتى تشن عليها الغارة بلا ترفق ولا استبقاء ؟

ما الذى جد فى دنيا القلوب حتى تثور الحرب الدموية بين طلبة الآداب وطلبة الحقوق ؟

وكيف جاز أن يصبح الحرم الجامعى مجروح الهيبة والجلال وفيه تمثال الشهداء فى سبيل الوطنية لا فى سبيل المنافع الشخصية ؟

كيف جاز أن يحترب الرفاق فى بقعة مسوَّرة بالأزهار والرياحين فى مطلع الربيع ؟

وكيف نسى أولئك الشبان أن من الجريمة أن يدنسوا الحرم الجامعى بالأحقاد الشخصية ، وهو بفضل العلم لا يقل قدسية عن المحاريب ؟.

كيف نسى أولئك الشبان نعمة الله عليهم وهم يغدون ويروحون فى رياض تذكّر بأرواح الفراديس ؟

إن الجامعة لها موقع قليل الأمثال فى الشرق ، وهى تنتظر من أبنائها أن يكونوا جذوة روحية تضيء أقطار الشرق ، فبأى

وجه تلق الناس إذا صح لأبنائها أن يحتربوا ويقتتلوا بأسلحة ينكرها العلماء ؟

إن أولئك الشبان لا يعرفون أن هناك مسامع تستريح لأن تسمع فيهم قالة السوء ، ولا يدركون أن هـذا النوع من الناوشات يغض من هيبتهم العلميـة ، ولا يذكرون أن سيرتهم قد تصبح قدوة لطلبة المعاهد العالية فى الشرق

ولـكن ما هى أسـباب المعركة بين كلية الآداب وكلية الحقوق ؟

السبب فى جملته يرجع إلى كتابين يدرسان فى كلية الآداب وفيهما فقرات تمس العقيدة الإسلامية

ولـكن فات خصوم كلية الآداب أن من المستحيل أن يقع ذلك عن عمـد : فعميد الـكلية يعرف أن فى مصر تيارات دينية وسياسـية ؛ وليس من مصلحته أن يتعرض لمكاره من جانب رجال السياسة أو رجال الدين .

ومتى صح أن سوء النية غير موجود فمن التعسف أن يقال إن كلية الآداب تحارب العقيدة الاسلامية

من برجنا العاجي

إنى من الذين يعتقدون أن فى مصر اليوم نهضة ملحوظة فى الأدب والفن ، وأن الأدباء والقراء يزدادون يوماً بعد يوم. على أن الذى يسترعى الالتفات ويدعو إلى القلق هو أن نتاج الذهن لم يبلغ بعد فى قيمته المادية وأثره الاجتماعى المستوى المطلوب . لماذا ؟ لأن هنالك عنصراً آخر فى هذا الشأن مازال مفقوداً . إن قوة الأدب والفن فى أمة لا ترتكز فقط على طائفتى الأدباء والقراء . هنالك طائفة ثالثة عليها يقع قسط كبير من عبء العمل ولها ينسب بعض الفضل فى إذاعة نتاج الذهن وإيصاله إلى متناول كل يد ، وإحداث الضجيج حوله ، والإعلان عن خطره . أولئك هم الوسطاء والتجار والناشرون . ففى فرنسا مثلاً ما يكاد يظهر كتاب جديد فى باريس اليوم حتى تجده فى صباح الغد معروضاً فى أصغر قرية من قرى الريف الفرنسى . ووسائلهم فى ذلك بسيطة أوجه إليها نظر تجار كتبنا الكسالى المتواكلين . إنهم يعلمون أن الكتاب لا يطلب عادة إلا فى المحطة عند السفر ، إذ هو خير أنيس فى وحدة القطار . فتراهم قد جعلوا فى كل محطة صغيرة أو كبيرة عربة يد صغيرة كتلك التى توضع عليها عندنا « البسطة » والفطائر والمأكولات . يعرضون عليها كل مستحدث من الكتب ، ويعهدون بها إلى صبى يمر بها على الرصيف أمام كل قطار مار . هنا فى مصر توجد فكرة عرض الكتب والمجلات فى المحطات ، ولكن الذى يؤسف له حقاً هو أن مصلحة السكة الحديدية المصرية قد منحت هذا الامتياز لرجل رومى لا يعرض غير الكتب والصحف الافرنجية ؛ لأن هذه المصلحة لا تنظر إلا إلى راحة المسافر الأجنبى والسائح الافرنجى ؛ أما نشر ثقافتنا فى أنحاء بلادنا على يدها فهو مشروع لم تفكر بعد فيه .

لذلك سيظل الأدب والفكر وكل ما يتعلق بالتثقيف الذهنى والروحى فى بلادنا محصورا فى محيط محدود .

توفيق الحكيم

أتريدون الحق أيها الجامعيون؟ لقد ضيعتم على أنفسكم فرصة عقلية لا تتاح فى كل يوم ، وهـذه الفرصة بدت طلائعها بحديث عميـد كلية الآداب وحديث شيخ الأزهر وشيخ كلية أصول الدين

وكان يجب اغتنام هـذه الفرصة : كان يجب أن نرى المصاولات العقلية بين الأزهر والجامعة المصرية . كان يجب على الأقل أن يكون الحكم فى هذه القضية إلى مناظرة علنية تقوم فى قاعة الحفلات تحت رياسة مدير الجامعة المصرية

ولـكنكم أسرعتم ففصلتم فى القضية بالأيدى لا بالعقول .

ثقوا أيها الجامعيون بأن الحركة الفكرية فى حاجة إلى وقود ، وهذه المحرجات التى تثور من حين إلى حين هى أعظم باعث ليقظة العقول ، وأعداء هذه البدوات الفكرية هم من جيش الموت ، لو تعلمون .

أقول هذا وأنا أعرف أن المشكلة فُضَّت ولم يبقَ إلا حكم التاريخ .

ولـكن يؤذينى أن يكون للجامعة فى حياة العقل تاريخ يشبه تاريخ العنف فى أيام الظلمات .

أبو تمام شيخ البيان

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

والسائر من شعر أبى تمام لا يقل فى الصفات التى تؤهله لأن يسير عن شعر المتنبى السائر. وترى كثيراً من هذا الشعر السائر فى جميع أبواب شعر أبى تمام من مدح أو رثاء أو وصف أو هجاء، وله أبيات كثيرة تدل على بصيرة وفهم وذكاء، وأسباب السيرورة هى التوفيق فى الصناعة والإيجاز والبيان والوضوح وسهولة اللفظ وقوة السيل الشعرى المنبعث من النفس وسلامة الفطرة والذوق. ولأبى تمام أبيات صارت ملكا مشاعاً مثل قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

ومثل قوله :

فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها ... سجية نفس، كل غانية هند

وقوله :

ومن لم يُسَلِّم للنوائب أصبحت ... خلائقه طرا عليه نوائبا

وقوله :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

وقوله :

وقد يستر الإنسان باللفظ خُلقَه ... فيظهر عنه الطرف ما كان يستر

وفى رواية فعله (أى سبب فعله) بدل خلقه ؛ وقوله أيضاً :

يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العُود ما بقى اللحاء

وقوله :

وإنى رأيت الوشم فى خُلُق الفتى ... هو الوشم لا ما كان فى الشعر والجلد

وقوله فى تعزية الرثاء من قصيدة جليلة مشهورة :

أتصبر للبلوى عزاء وحِسْبَةً ... فتؤجر أم تسلو سلوّ البهائم

وقوله :

لذلك قيل بعض المنع أدنى ... إلى مجد، وبعض الجود عار

وقوله :

ليس الغبيُّ بسيد فى قومه ... لكنّ سيد قومه المتغابى

وقوله :

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة ... من جاهه فكأنها من ماله

وقوله وفيه روايتان فى اللفظ :

ومن الحزامة لو تكون حزامة ... ألا تؤخر من به تتقدم

وقوله :

إنْ شئتَ أن يَسْوَدَّ ظنك كله ... فأَجِلْهُ فى هذا السواد الأعظم

يعنى جمهور الناس . وقوله :

فصرت أذَلَّ من معنى دقيق ... به فقر إلى فهم جليل

وقوله :

قد يُنعِم الله بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقوله :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها ... تنال إلا على جسر من التعب

وقوله :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وقوله :

سكن الكيد فيهم إنَّ من أعـ ... ـظم إرب ألا تُسَمَّى أريبا

وقوله :

فقد تألف العين الدجا وهو قيدها ... ويُرْجى شفاء السم والسم قاتل

وقوله :

أنكرتهم نفسى وما ذلك الإنـ ... ـكار إلا من شدة العرفان

إن كلية الآداب لها مهمة أعظم مما تظنون .

لا يراد من كلية الآداب أن تقف عند المحكيّات فى الشئون الأدبية والفلسفية، وإنما يراد من كلية الآداب أن توقظ غافيات العقول، وأن تخلق الفرص لوثبات الأخيلة والأحاسيس. فمن كان يظن أنه انتصر على كلية الآداب حين رجمها بالحجارة والطوب فلينم قرير العين .

أما كلية الآداب فمن حقها أن تعتز وتستطيل بأن يكون لها فى حياة العقل تاريخ .

« مصر الجديدة » زكى مبارك

(تنبيه) : فى مقالة (مهيار) صحة اسم الشاعر الفارسى الفردوسى لا الفيروزى

وإساءات ذى الإساءة يُذْ كِرْ نَكَ يوماً إحسان ذى الإحسان

وقوله :

وقديماً ما اسْتُنْبِطَت طاعة الخا لق إلاّ من طاعة المخلوق

وهذا البيت الأخير فيه إلمام بمذهب الملاحدة الذين يقولون إن الاعتقاد بالخالق فكرة إنسانية ولها نشأة بشرية فى قديم الزمن بسبب تأليه رب الأسرة ورئيس القبيلة فى العصور التى قبل التاريخ. على أن البيت يصح تأويله بما لا يخالف الدين. وقد طعنوا فى عقيدة أبى تمام بسبب تركه للصلاة والصوم وقوله فى المشاعر والفروض الدينية كلاما، كما جاء فى كتاب مروج الذهب للمسعودى وفى غيره من الكتب . وقد طعنوا أيضاً فى نسبته إلى طى، وبعضهم صحح نسبته إلى طى وقال إنه نشأ فى فرع مسيحى منها ثم تظاهر باعتناق الإسلام؛ وقد مدح الإسلام فى مدحه للخلفاء والوجهاء ووصف المسيحيين بالشرك والكفر وعبادة الأصنام كما قال فى مدحه المعتصم ووصف فتحه مدينة (عمورية) وإذا أردنا أن نحصى خلاصة الخلاصة من شعر أبى تمام لم نستطع أن نستغنى عن المدح، وإن استطعنا الاستغناء عن المدح عند إحصاء خلاصة الخلاصة من شاعر كالشريف الرضى فإن شعر المدح فى صنعة أبى تمام يحبب إلى القارئ قراءة المدح حتى ولو كان ممن لا يميل إليه . انظر إلى قوله :

نَسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً

أو قوله :

خدم العلى فخدمنه وهى التى لا تَخدم الأقوام ما لم تُخدَم

أو قوله :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله[1]

أو قوله :

فلو صورتَ نفسك لم تَزدها على ما فيك من كرم الطباع

أو قوله :

غَرَّبته العلى على كثرة الأه ل فأضحى فى الأقربين جنيبا

وله قصائد كثيرة نخمة حلوة فى المدح مثل قصيدته فى محمد ابن عبد الملك الزيات التى يقول فى مطلعها :

لهان علينا أن نقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

أو الأبيات التى يقول فيها :

ليس الحجاب بِمُقْصٍ عنك لى أملا

إن السماء تُرَجّى حين تحتجب

وإجادته فى المدح إجادة يطول حصرها، وهى ليست فى مدح الأحياء فحسب بل هى أيضاً فى مدح الموتى فى الرثاء مثل قوله :

هيهات أن يأتى الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

أو قوله فى رثاء بنى حميد :

وانفس تَسعُ الأرض الفضاء فلا

يرضون أو يجشموها فوق ما تَسعُ

يود أعداؤهم لو أنهم قُتِلوا وأنهم صنعوا بعض الذى صنعوا

عهدى بهم تستنير الأرض إنْ نزلوا

بها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا

أو قوله من رثاء ابنى عبد الله بن طاهر : « مجدٌ شاء الله ألا يطلعا » إلى آخر القصيدة وهى من مأثور قوله وبها بيت يتمثل به كثيراً وهو قوله :

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

وقوله أيضاً فى مدح الرثاء :

فالماء ليس عجيباً أنَّ أعذبه يفنى ويمتد عمر الآجن الأسِنِ

وأكثر رثائه على هذا النمط : رثاء صنعة نخمة رائعة لا رثاء حرقة ولوعة، ولا رثاء وجدان؛ ومن أجلِّ رثاء الصنعة قصيدته المشهورة التى يقول فى مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر

فليس لعين لم يَفِضْ ماؤها عذر

ولا ينقص من قدرها أنها من رثاء الصنعة فإن الشعر كالفاكهة أنواع ولكل نوع طعم ولذة. وله مع ذلك قصائد من شعر رثاء العاطفة والوجدان مثل رثائه لأخيه الذى أوله :

إنى أظن البلى لو كان يفهمه صد البلى عن بقايا وجهه الحسن

والقصيدة التى يقول فيها : « بأرّان لى خل مقيم وصاحب » ولكنه أحياناً تفيض العاطفة من رثائه كما قال فى رثاء جارية له :

---

(١) هذا البيت ينسب أيضا إلى مسلم بن الوليد

يقولون لا يبكى الفتى لخريدة   إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانها

وهل يستعيض المرء عن عُشرِ كفه

ولو صاغ من حُرِّ اللجين بنانها

فالتعليل يدل على الذكاء، ولكن ليس هذا رثاء العاطفة؛ وكان ينبغى أن تكون حجته منزلة الجارية من نفسه لا أن يضعها بمنزلة عشر الكف. ومثل هذا رثاؤه محمد بن حميد إذ يقول إنه رآه فى الحلم فسأله: ألم تمت؟ قال: لا... كيف يموت من كان كريماً مثلى كرمه خالد. وكان ينبغى أن يجمل المرثى أرفع من أن يقول هذا القول الذى كان يستطيع الشاعر نفسه أن يقوله فيه بدل أن يضع المرثى موضع المفاخر بكرمه وإنه لو كان حياً لكان حرياً به أن يرى من الكرم ألا يفتخر بالكرم والبيت هو :

ألم تمت يا شقيق الجود من زمن   فقال لى لم يمت من لم يمت كرمُهْ

ومن رثاء العاطفة قوله فى رثاء ابنه وكان وحيداً بدليل قوله (بُنَىَّ يا أوحد البنينا) وهذه القصيدة هى التى مطلعها : (قد كان ما خفت أن يكونا) ولكنها ليست شيئاً إذا وضعت بجانب قصيدة ابن الرومى الدالية فى رثاء ابنه وهى التى مطلعها : (بكاؤكما يشفى وإنْ كان لا يُجْدى) . وإذا قارنا بين غزل أبى تمام وبين أقواله فى المودة والإخوان وجدنا شعره فى الإخوانيات أكثر عاطفة ووجداناً وأعلى مرتبة فى الشعر مثل قوله :

من لى بإنسان إذا أغضبته   وجهلت كان الحلم رد جوابهِ

وإذا طربت إلى المدام شربتُ مِنْ   أخلاقه وسكرت من آدابهِ

وتراه يصغى للحديث بقلبه   وبسمعه ولعله أدرى بهِ

أو قوله :

عصابة جاورت آدابهم أدبى

فهم وإن فُرِّقوا فى الأرض جيرانى

أرواحنا من مكان واحد وغدت   أبداننا بشآم أو خراسانِ

ورب نائى المغانى روحه أبداً   لصيق روحى ودان ليس بالدانى

أو قوله :

جليد على ريب الخطوب وعتبها   وليس على عتب الأخلاء بالجلد

أو قوله :

وقلت أخٌ قالوا أخ من قرابة   فقلت لهم إن الشكول أقارب

نسيبِى فى عزمى ورأيى ومذهبى   وإن باعدتنا فى الأصول المناسب

أو قوله :

خليلىّ ما ارْتَعَتْ طرفى ببهجة   ولا انبسطتْ منى إلى لذةٍ يد

ولا استحدثت نفسى خليلاً مُجَدَّداً

فيذهلنى عنه الخليل المجدد

أو قصيدته فى على بن الجهم التى يقول فيها إن ودهما (عذب تحدّر من غمام واحد) أو قوله :

وتكشُّفُ الإخوان إن كشّفْتَهُمْ

ينسيك طول تصرف الأيام

أما غزله فكثير منه من قبيل التغزل بالغلمان وأكثره غزل حواس وليس به عاطفة عميقة أو وجدان. وأكثره مقطوعات صغيرة فى أغراض أكثرها بنت ساعتها ولعلها من عفو القريحة. هكذا أكثر غزله ولو أن به ذكر الدموع التى تحولت إلى دماء (إفْنَ صبرى واجمل الدمع دما) ، وذكر آلام الحب وحرقاته ولكنه ذكر لا يدل على شعور عميق كما يدل غزل المنربين ، ولا على وجدان كوجدان العباس بن الأحنف أو كوجدان الشريف الرضى . وله فى أول قصائد المدح بعض الغزل الرقيق ، وهو مولع بذكر محاسن أعضاء الجسم كالعيون والخدود ... الخ . أنظر قوله :

صبَّ الشبابُ عليها وهو مُقتبَلٌ

ماء من الحسن ما فى صفوه كدر

لولا العيون وتفاح الخدود إذاً   ما كان يحسد أعمى من له بَصرُ

وكثير من غزله يشبه غزل أبى نواس ، ولعل هذا هو سبب ورود قصائد فى الغزل فى ديوانه وفى ديوان أبى نواس مثل التى أولها (قال الوشاة بدا فى الخد الخ) والتى أولها (أفنيت فيك معانى الشكوى) والتى أولها (وفاتن الألحاظ والخد) . ومما هو شبيه بالغزل فى قصائد المديح مما يستحسن الأبيات التى يقول فيها :

أدار البؤس حسَّنكِ التصابى   إلىَّ فصرت جنات النعيم

والتى يقول فيها :

يا موسم اللذات غالتك النوى   بعدى فربعك للصبابة موسم

والتي يقول فيها :

أصبحت روضة الشباب هشيما   وغدت ريحه البليل سموما

والتي يقول فيها :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنها وكأنهم أحلام

وله في الغزل والوصف :

باشر الماء وهو في رقة الصنعة كالماء غير أنْ ليس يجرى

خدش الماء جلدَهُ الرطب حتى   خلته لابساً غلالة خمر

أما قوله في المغنية الفارسية فمن عذب القول وهي قصيدة مطربة وهي التي يقول فيها :

ولم أفهم معانيها ولكن   وَرَت كبدي فلم أجهل شجاها

وفي باب الوصف من شعره أشياء بلغت منزلة عالية من الجودة تجعلنا نأسف لقلتها ونود منها المزيد . ومن هذه القصائد وصفه لفتح عمورية ، ووصف السحابة في أرجوزتها المشهورة ، ووصف القلم في قصيدة يقول فيها : (لك القلم الأعلى الذي بشباته) وهو وصف مشهور أيضاً وهو من قصيدة مدح كوصف فتح عمورية . ومن وصفه أيضاً أرجوزة (إن الربيع أثر الزمان) ، ومنها أخذ البحتري قوله : (وجاء الربيع الطلق يختال ضاحكا[1]) . وأحسن قصائده في وصف الطبيعة قصيدته التي يقول في أولها : (رقت حواشي الدهر فهي تمرمر) وفيها يقول البيت المشهور :

تريا نهاراً مشمساً قد شابه   نَوْرُ الرُّبى فكأنما هو مقمر

(١) في مقال عن البحتري سيشار إلى صلته الأدبية بأبي تمام . وقد أطال الآمدي في المقارنة بينهما في كتاب (الموازنة)

والنَّوْرُ الذي يحدث هذا الأثر هو النور الذي له لون يغض من اصفرار أشعة الشمس كأن يكون لونه أبيض ، ولا يحس القارئ مقدار صدق هذا الوصف إلا عند المشاهدة . وله في وصف الخمر قصيدته التي مطلعها : (قدْكَ اتَّئِبْ أربيتَ في الغلواء) وفيها يقول :

صعبت وراض المزج سيء خلقها   فتعلمت من حسن خلق الماء

وضعيفة فإذا أصابت فرصة   قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء

وكأن بهجتها وبهجة كأسها   نارٌ ونورٌ قُيِّدا بوعاء

أو درة بيضاء بِكْرٌ أطبقت   حملاً على ياقوتة حمراء

يخفى الزجاجة لونها فكأنها   في الكف قائمة بغير إناء

ولها نسيم كالرياض تنفست   في أوجه الأرواح بالأنداء

وقد أسقطت بعض الأبيات للاقتصار ، والبيتان الأخيران ينسبان إلى البحتري أيضاً في قصيدة له . ولأبي تمام إجادة في الهجاء وله فيه قصائد سائرة مثل قوله :

كم نعمة لله كانت عنده   فكأنها في غربة وإسار

كُسِيَت سبائب لؤمه فتضاءلت   كتضاؤل الحسناء في الأطمار

وقوله :

مساوٍ لو قُسِمْنَ على الغواني   لما جُهِّزْنَ إلا بالطلاق

فخلاصة الخلاصة من شعره لا بد أن تشمل شيئاً من كل باب وهذا يدل على علو منزلته ومقدرته .

عبد الرحمن شكري

الأم فنانة عظيمة

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

تقولين إن حياتك الزوجية مقرونة بالسعادة ، إلا أنك كثيراً ما تعقّبين على ذلك بقولك إن الهموم والمشاغل تعمل على إقصاء أسباب هذه السعادة حيناً ، وتفلح فى القضاء عليها حيناً آخر ، وإن جلبة الأطفال وضوضاء ثرثرتهم وهذرهم وطياشتهم الصبيانية تجهد هذه الأعصاب التى أرهقتها من قبل واجبات واهتمامات عديدة تبهظ الذرع ، وتعيي الطوق ، وتزحم سوانح الفراغ النادرة ، وتجتاح نطاق الوقت الضيق . وكأنك تنسين أيتها الأم الفنية ، أن رجال الفنون الكبرى ، وهى الرسم والنحت وهندسة البناء والموسيقى والشعر ، كذلك كانوا يشتغلون ، وفى مثل هذه الحالات كانوا يجدّون ويعملون ، بل كأنك تجهلين أنك تفوقين هؤلاء الفنانين جميعاً ، لأن أعمالهم الفنية مجالها العالم المادى ، أما عملك أنت فمجاله رحاب الحياة البشرية بأسرها

ولعمرى كيف لا يعرف العالم أن التحيب على الأمومة والتفطر لها ، يحقران شأنها ويقوضان سرادق مجدها ! وهل كان بركليس يطلب من الملأ الرحمة والرثاء لأنه بفضل جهاده ومصارعته الصعاب جعل لأثينا السيادة العليا فى البر والبحر ، وصيّرها مجد العالم ؟ وهل كان ميكال انجلو يصيح طالباً الغياث والنجدة مما عاناه مدة سنتين قضاهما مضطجعاً فوق ألواح خشبية مشدودة إلى السقف ليتمكن من رسم قبة معبد « السيستين » فى الفاتيكان ؟ وهل كان رفائيل يسأل الناس الرأفة ، ويجعل من ينظرون إليه يستشعرون مسًّا من الشفقة عليه ، والتفجع لكفاحه الطويل المضنى الذى جاءه أخيراً بصورة السيدة مريم العذراء وابنها الطفل ؟ !

إن كتب السّيَر لا تتوجع لجهاد أولئك الأقطاب ، ولا تتبعهم بإحساس جارّ من العطف الباكى المحزون ، والحنو الدامى المستحرق ، بل إنها تتبين فى صبرهم على المشاق عناصر رجولة نبيلة أبيّة أوغلت فى ميادين العزم والشجاعة وعلوّ الهمة ، وغذّت مواهبهم بقوة الإرادة ، والقدرة على تذليل الصعاب ، فزادتهم بذلك فضلاً على فضل ، وأضافت إلى ظفرهم فلاحاً وعزًّا

ولكن هل تمكن المقارنة بين الموادّ التى يستخدمها الفنان لتدوين تعبيراته الفنية ، ورسم كل ما يقع تحت حسه من ألوان وظلال وأوضاع وانفعالات ، وبين ما تتناوله الأم من المعنويات السامية الزاخرة بالممكنات التى تستطيع هى وحدها أن تستشفها وتفسرها ، وتبحث فى ثناياها عن أحب الأشياء وأنقاها ، وتحضها على استغلال أشرف ما أودع فى القوى البشرية وتروضها على التحلى بأكرم الأخلاق الإنسانية ، والتمسك بخير ما فيها من سجايا الطهر ، التى تنيل الحياة عمقاً واتساعاً ، وتكسبها نبلاً ومجداً وكرامة وسعادة

أجل . إنى أراك فى أحايين ، توسعين لنفسك مجال التفجع ، حين تجمحين فى الإشارة إلى المتاعب التى تلقينها فى العناية بأسرتك الصغيرة ، والاهتمام بمطالبها التى تستنفد وسعك كله ، وتهدّك وتطيّر النوم من عينيك . ولست أنكر أن هذا الاهتمام يستنفد الجهد حقاً ، ولكن أليس محبباً إلى النفس ؟ وأى شىء يفيض على حياة الفرد جمالاً أعظم من جمال العمل الحيوى الذى يقتضى الاهتمام المستفيض ويستغرق الجهد المستطيل اللهوف على مساكه وقوامه ؟ وعملك من أعظم الأعمال فى الحياة ، وما الذى يجعل للحياة قيمتها ؟ أليس هو شعور الفرد فى كل صباح بأن مهمة خطيرة موكولة إليه ، وأمراً جليلاً موقوف عليه دون سواه ؟ وهذا الشعور يا سيدتى هو الذى ينبض بالاهتمام — الاهتمام الخالى من الهاجس والبلبال والتأرق، والمفعم بإدراك أهمية الواجب والمسؤولية . وإنها لحياة حقيرة تلك الحياة التى لا نعرف فيها قداسة الواجب والجد لتحقيق غاية مجيدة ! بل إنه لوجود وضيع خسيس ، ذلك الوجود الذى يكون فيه الفرد منفعلاً بكل شىء فيه ، دون أن يكون لبعض شؤون الحياة الحق فاعلاً . أو ليس من دواعى الغبطة إذاً أن تعرفى قيمتك من هذا العالم الوسيع الرحيب ، ونصيبك من واجب الخدمة فيه ؟ بل أليس من دواعى الفخر أن توقنى من أن لك أنت فيه حياة أعلى من هذه وواجباً أجل وأكرم ، وقد ائتمنتك الروح الكلية على أدائه .. فهل تبغين سواه ؟ أتريدين أن تقومى بإلقاء الخطب والمحاضرات ؟ أو أن تشغلى وظيفة فى بعض المصالح والمؤسسات ؟ أو تكونى رسامة مجيدة تحبو الناس بقبسات باهرة من تخيلها البدعة ، وريشتها المبتكرة ، وروحها المقتبسة ، ونفسها الحساسة ؟ ومع ذلك فهل تخلو هذه الصناعات والوظائف مما يفرض العناية ويستلزم الاهتمام ، لو راعيت الأمانة والدقة فى أدائها ؟ ولست أريد أن أنتقص من قدرها بما أذكره فى صددها الآن وكلها جليلة

نبيلة تليق بأن تستغرق حياة مَنْ لم تنتدبهن السماء لذلك الواجب الأقدس ، أو مَنْ أ كلن سى الأمومة المبرور ، وأحسنَّ البلاء فى تعهد الأولاد بالعناية اللازمة ، وهيأنَ من ريعان اقتبالهم ، وعنفوان شبابهم خير عدة للمجتمع !

هذا ولا تنسى أن رجال الفن يتخذون أداة عملهم الفنى من الجماد ، والجماد لا روح فيه ، ولا يملك من الاستجابات غير ما يشعر الفنانون أنه صوت العواطف والأفكار التى تدوى فى نفوسهم . أما أنت فإن مادة تعبيراتك الفنية معنوية حية ، تجيش فى خلاياها الكائنات الحية ، ويترقرق فى أغوارها ماء الحياة الناشطة ، ويقظة الفؤاد ، ودقة الفهم ، ولطافة الحسّ ، وقوة العقل . وفى كل يوم ترين استفاضتها ؛ فى كل يوم ترين الأغصان النامية التى تساعدينها على اتخاذ سمتها إلى النور والسماء ، وتستجيب لهاتف رعايتك وتثقيفك ، وفى كل يوم تتكرر مظاهر اتصالها بك ، إذ تلتفّ تلك السواعد البضّة حول عنقك لتحدثك عن حبها الساذج النقى ، وفى كل يوم تشنف أذنيك مراراً تلك النغمات الملائكية كلما نادتك قائلة : « ماما ! ماما » ! وفى كل يوم ينفخ إيمانُ تلك القلوب الغضة ، وثقتهم بما أوتيت من حكمة وخبرة ، روحَ الحياة فى قلبك . . إن الفنان يحكى الطبيعة ، وينقل ما يقع تحت حسه من صورها ، ويتخذ من مخلفات حياته الفنية صلة الحياة بما بعد وجوده الفانى فى عالم الزوال . أما أنت فتسلمين وديعة السماء السرمدية إلى الأرض ، وتخلدين نبتة الحياة التى تنتقل ثمارها من جيل إلى جيل ، وتتفتح أزهارها فى متلاحق الحقب ، ويدخر حصيدها الذهبى إلى ما وراء الأبد والبعث ... وتقدمين للوجود على يديك إثباتاً أ كيداً لذاتٍ أوسع وأ كبر ، وبقاء أشمل وأ كمل ، وتمنحين الإنسانيه فوزاً متكرراً ، وذخراً يجدده بروز مواهبك فى الأمومة الرشيدة الحكيمة . وما جمال الفن ، وما مجد الفنان إلا بعض فضل الأم على كل متبكراتهما وروائعهما ! فهل تشتكين بعدُ من العناية بالبيت ؟ وهل تقولين إن الأطفال أيضاً يضايقون ويزعجون ! و ... و ... الخ . وزوجك العطوف ؟ إنه يحبوك بالنصح والتدبير والمشورة فى حيرتك وارتباكك ، ويسرّى عنك آلامك ، ويمحضك إعجابه ، ويخصّك بحبه الذى تستمدين منه سنداً لضعفك .. وأمومتك نفسها توقظ فيه حنو الرجولة وتنبّه حنانها الشهم القوىّ ... فهل تحرصين على هذه العطايا أن تذهب بلا طائل ؟ أم هل تعدّينها من الالتزامات والضرائب المفروضة على الزوج ؟ أو لا تعرفين أيتها الحليلة الفتية الرائعة فى بحبوحة الدعة أن هذه الدعة هى خير ما تستطيع أن تتدفق عليك عناية الزوج المحبّ ؟ ألا تعرفين أيتها الأم الشابة المنعمة بالطمأنينة التى يبعثها فى نفسك شعورك بأنك توفرين أسباب الصحة والحياة لأولادك ، وتظللينهم بستر جناحيك ، وتجعلينهم فى حرز حريز يصونهم من أحداث الزمن وسموم القدر التى تعصف بمن أذلهم اليتم ، وأخنى عليهم الحرمان والفقر ...

ألا خذى هذه العطايا البنوية الشاكرة والزوجية الواقية ولا تجحديها ... لأنك بهذا الجحود تحطمين أشرف عاطفة ، وتلغين أنقى رابطة قائمة على التفاهم والإخلاص ، وإدراك الحياة الكاملة ، والتوجه إلى ما فيها من حب وتعاون وشكران ... فتقبليها من يد الزوج الأبرّ القوىّ ، آية وفاء لحقوق تلك الشركة المقدسة التى ربطت بينكما ، وتعاهدتما على أن تلتمسا بها لحياتيكما أمناً بل زينة تنسيك أنت متاعب الفروض البيتية والعناية بالأطفال وتحيلها لذة ونعيما مقيما ...

هذه أمانىّ الراجية المؤملة أزجيها غير متجافية ولا متبججة . وهأنذى أتطلع إلى ما توحيه إليك نفسك السمحة ، وينتهى إليه جهدك الجبار ، فإنها لعمر الحق برهانك الذى يباهى به جنسك هذا المجتمع بل الإنسانية قاطبة ، فاحرصى على أن تكونى فَلَق الصبح المبين لمصرنا العظيمة . والسلام عليك ورحمة الله

الزهرة

أعلام الأدب

درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

٤، ٥، ٦ – الأورستية

هذه هى الثلاثية الواحدة التى وصلتنا سليمة من إسخيلوس وقد أخذ كل مادتها من هومر ، وأجاممنون هو بطل حلقتها الأولى وباسمه تدعى ... والمأساة تبدأ من ذلك اليوم المشئوم الذى ضحى فيه أجاممنون بابنته إفجنيا حيث ذبحها لتتحرك الريح وتحمل الأسطول إلى طروادة كما مر بك فى هوميروس ... فلما علمت زوجته كليتمنسترا – أم الفتاة – بما وقع لابنتها من الغدر ، ولم تكن تعلم بهذا التدبير من قبل ، بل قيل لها إنها ذاهبة لعقد قرانها على أخيل بطل أبطال اليونان ، ثارت ثائرتها ، واعتراها حال من الهم والحزن أخرجها عن إنسانيتها فأبعدت عنها كل معالم الحياة ... حتى ابنها الأوحد أورست لقد نفته بعيداً عنها ، وعاشت وحدها فى قصر البيلوبيد الرهيب ، واضطرمت فى قلبها نار الحقد على زوجها القاسى ... ثم وصلت أسبابها بأسباب إيجستوس أحد ذوى الثارات على بيت أجاممنون ، فوافق شنٌّ طبقة كما يقولون، وألفت الترات بين قلبيهما فشاعت عن علائقهما الشائعات .. ولما وضعت حرب طروادة أوزارها وعاد أجاممنون مع تلك الفتاة النَّبيّة ابنة [١] بريام ، دبرت له زوجته تلك القتلة المشئومة التى ذهبت بروحه وروح فتاته إلى هيدز

أما الحلقة الثانية الـ (خُوَاُفُرُوَا) أو حاملات الخمر المقدسة فتقع حوادثها بعد ذلك بسنين عدة كانت الملكة وعشيقها يحكمان آرجوس طوالها ... فلما شب أورست استأذن ملك فوسيز فى العودة فأذن له وصحبه صديقه بيليدز ... ووصل إلى مقابر آرجوس حيث وجد أخته إلكترا تصب الخمر على جدث أبيه لأن أمها رأت فى المنام أنها تلد ثعباناً ثم تأخذه فى حضنها ، فأرسلت بنتها لتصب الخمر قرباناً إلى روح أجاممنون ... ويعرب الشاب أخته فيعرفها بنفسه وتكون قد صلت للآلهة على ثرى أبيها أن ترسل إليها أخاها ، فتكون مفاجأة جميلة ، ثم يوصيها أورست بكتمان الأمر حتى ينتقم لأبيه ... ويدخل القصر فى هيئة تنكرية فلا تعرفه أمه ، ثم يأخذ فى سرد قصة فحواها أن أورست قد مات فتتظاهر الأم بالحزن ثم تدخل مخدعها ، ويدخل أورست وصديقه حجرة الأضياف ... وتذهب مرضعة لتدعو إيجستوس ليعلم ما قال الرسول عن وفاة أورست فما يكاد يصل إلى القصر حتى يسمع من الداخل وهو يصرخ ويجود بنفسه ... لقد قتله أورست !! ... وتهرع كليتمنسترا لترى ماذا حدث ، لكنها تعاجل بضربة شاطور (بلطة) فتتلفت فترى أورست عند جثة عشيقها ، وهى مع ذلك تنسى آلامها وتنحنى فتبكى فوق جثة إيجستوس ... ثم يأتى أروع مشاهد إسخيلوس الدرامية ... فالأم حينما تعرف أورست لا تبالى الدم المتدفق من جرحها ، بل تكشف عن ثدييها وتعيّر الابن بكفرانه هذا اللبن الذى غذاه صغيراً ، ثم تنذره بملاحقة ربات العذاب إياه حتى ينتقمن منه على جريمة قتل الأم وهى أشنع الجرائم فى الشرع اليونانى ، ويهتز أورست ، ثم تعروه نوبة من الجنون ، وتتراءى له ربات العذاب فيذعر ، ويفر من وجوههن ليحتمى بهيكل الإله أبوللو فى دلفى .

وفى الحلقة الثالثة (يومنيدز) أو ربات العذاب ، يتعلق أورست بأستار هيكل أبوللو ضارعاً إلى إله الشمس أن يحميه، وتكون الكاهنة وسنانة فتستيقظ مفزّعة مروّعة ثم يظهر الآله أبوللو نفسه فيطمئن أورست ويشمله بحمايته ويأمره أن ينطلق إلى أثينا حيث يعرض قضيته على ربّتها مينرفا (بالّلا أثينا) فيصلى أورست وينطلق إلى حيث أمره أبوللو وتبقى ربات العذاب فيدخل شبح كليتمنسترا وتأخذ فى تحريض الربات فيتغنّين قليلاً ثم يطردهن أبوللو . . . ويتغير المنظر فنكون فى أثينا فى هيكل مينرفا وقد تعلق أورست بأستار المذبح وقد أخذت تنوشه ربات العذاب فتبدو مينرفا وتذودهن عنه ، ثم تستمع إلى شكواه . ويكون فى المعبد جماعة من المحلفين وينهض الآله أبوللو ليؤدى شهادته ويدلى برأيه فيقرر أن الإنسان ينتسب إلى أبيه لا إلى أمه ؛ ولذا فهو مرتبط بوالده قبل أن يرتبط بوالدته . . . وبعد أن تسمع مينرفا إلى آراء الآخرين تنهض هى فتعلن رأيها ثم تجلس ويأخذ المكلفون فى (فرز) الأصوات وتكون النتيجة متساوية بغير ترجيح فيحدث شىء من الهرج فى قاعة العدالة وتتبرم ربات

(١) إسمها كاسندرا

العذاب لتدخل أرباب أقل منهن مرتبة فى أخص أمورهن، فتنهض مينرفا وتأخذ فى تلطيف سورتهن بفصاحتها المعهودة وتهتف بهن « أن أسمى واجب الآلهة هو نشر السلام بين بنى الإنسان ! » وتعدهن بإقامة مأوى عظيم لهن فى هضبة إرس فيهدأن ويحتفى الجميع بذهابهن إلى مأواهن فى حفل رهيب

هذه هى أرفع درامات إسخيلوس بل أرفع درامات الأدب اليونانى إذا استثنينا دراما پروميثيوث للشاعر نفسه ... وقد سخر فيها الشاعر بهذه الشريعة العجيبة التى تنافى العدالة المطلقة التى جعل لها الفوز والغلبة فى النهاية ... وكان إسخيلوس ماهراً فى تلك الدرامة إلى آخر حدود المهارة فقد استدرج اليونانيين حينما أراد إصلاح وجهة نظرهم إلى تلك الأغوال التى يدعونها ربات العذاب حتى جعلهم يؤمنون أنها ينبغى أن تكون لخير الإنسانية لا لذعرها، ولنشر السلام لا لتعميم الذعر والأذى. وهكذا استطاع إسخيلوس أن يبشر بدين جديد من دون أن يحدث ثورة ، وكان جل إيمانه بسيادة عليا تهيمن على الكون وتسير به إلى الكمال كما سنرى فى پروميثيوث

٧ — **پروميثيوث :**

أخذ إسخيلوس موضوع ثلاثيته من أسطورة پروميثيوث الخالدة وتتلخص فيما يلى :

بعد أن فرغ إيروس (كيوپيد) من توشية الأرض وزخرفتها بالنبات ، عمرها بالحيوان ، ثم دعا إليه الإلهين پروميثيوث وإپيمتوث ليخلقا فيها حيواناً راقياً تكون له السيطرة على سائر صنوف الحيوان ويسمياه (الإنسان) . فلما صنعاه سألا إيروس أن ينفخ فيه أنفاس الحب (روح الحياة) كما سألا مينرفا أن تنفخ فيه من روحها (روح الحكمة). فلما دبت الحياة فى هذا المخلوق العجيب زُهى پروميثيوث وشاعت فيه الكبرياء واعتزم أن يهدى إلى الإنسان منحة جزيلة تفتح له أبواب المدنية وترقى به فى مدارج الحضارة ... وكانت النار إلى ذلك الحين حقاً خالصاً للآلهة وكان لهم دون غيرهم (امتياز) استمالها، فاعتزم پروميثيوث أن ينسرق إلى الأولمب ليحضر للانسان جذوة من النار المقدسة فأحكم تدبيره وتغفل سيد الأولمب (زيوس) وسرق الجذوة ثم آب إلى الأرض دون أن يشعر به أحد ... ومضى حين من الدهر ، وتلفت زيوس من عليا سمواته فشهد النار تتأجج فى أطراف الأرض فهاج هائجه ، وأقسم ليعذبن السارق عذاباً شديداً . ويعرف أن السارق هو پروميثيوث فيأمر ثم يذهب به فى أقل من لمح البصر إلى جبال القوقاز حيث يقيده ويربطه بسلاسل وأصفاد فى قمة جبل هناك ويسلط عليه باشقاً من جوارح الطير فيظل ينهش كبده نهشاً شديداً ... وهنا يبدأ إسخيلوس الحلقة الأولى من درامته .. فهذا پروميثيوث مصفداً بالأغلال صابراً لأنكى ألوان العذاب ، ينهش الباشق كبده نهاراً ثم ترقأ جراحه ليلاً وتنمو الكبد، فإذا أصبح عاد الباشق إلى نهشه وتعذيبه وهكذا دواليك .. لكن پروميثيوث إله فهو لا يموت ، ثم هو لا يقهره هذا العذاب بل هو يصبر له فى سبيل سعادة الإنسان الذى خلقه وحضره وجلب له النار وعلمه الفنون ، والإنسان مع ذاك شاكر له ذاكر أياديه فهو يصلى له ويقنت ، والفتاة يو البائسة المعذبة التى سلطت عليها حيرا زوجة سيد الأولمب هذا الوحش الفظيع آرجوس والذبابة المؤلمة تلدغها وتسومها من العذاب ألواناً ... ها هى ذى واقفة بجانب پروميثيوث تواسيه وتتوسط له عند التيتان ليستغفروا له سيد الأولمب فلا يغفر له ، لأنه قوى مجنون ليس فى قلبه شفقة ولا يعرف فؤاده العدالة ... ويصبر پروميثيوث ثم يصبر ، ولا يرضى أن يخذل الإنسان لأن الإنسان يصلى له ولا ينى عن عبادته ... وفى الحلقة الثانية يذهب هرقل بن سيد الأولمب فى إحدى مجازفاته فيشهد پروميثيوث مصفداً فى قُنة الجبل والطير تنهش كبده ، فينقض على الباشق الجارح ويقتله ، ويرد إلى پروميثيوث حريته . فينطلق هذا الإله الطيب ويلقاه الناس مسبحين بحمده فرحين مستبشرين ... وفى الحلقة الثالثة (پروميثيوث حامل النار) يصف إسخيلوس احتفاء الأثينيين بالإله الذى ضحى نفسه واحتمل الآلام فى سبيل الإنسان

هذه خلاصة سريعة لأعظم درامات إسخيلوس ، وپروميثيوث هى درة فلسفية أعجب بها الشعراء فى كل العصور ، وقد عارضها شللى الشاعر الانجليزى بمنظومة رائعة جرى بها فى أذيال إسخيلوس ... وقد كان إسخيلوس لاذعاً فى هذه الدرامة ، فقد سخر بهذا الإله المتغطرس زيوس الذى كان يكره الإنسان ويناوئه ولا يريد له الخير الذى أراده له پروميثيوث . وجماع فلسفة إسخيلوس فى هذه الدرامة أن القوة التى تهيمن على هذا العالم يجب ألا تكون قوة مجردة لا عقل لها ، بل يجب أن تتضافر القوة والحكمة بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى لخير الإنسانية وعمار الكون ،

فإذا اختل التوازن بينهما لم يصح أن تكون هناك آلهة .. إذ كيف يكون إلهاً ذلك الذى يعذب إلهاً آخر (برومثيوث) ثلاثين ألف سنة ؟ بل كيف يكون هذا الإله عاقلاً ؟

وبعد ، فلقد كان إسخيلوس يحتقر الديانة اليونانية ويعرف أنها أضغاث، وقد احتقرها من يوم نبوءة دلفى التى أمرت اليونانيين بأن يستسلموا للفرس لأنهم لا يغنون عن أنفسهم من شرهم شيئاً. فلما انتصر اليونانيون آمن إسخيلوس بإله عادل يسيطر على الكون ويقهر الظالمين ، ويرعى الضعفاء ، فلم يأل جهداً بعد هذا فى هدم هذه الآلهة الكثيرة التى خلقها السلف ووقع فى عبادتها الخلف عن جهالة وغباء

هذا هو إسخيلوس الدرامى الأول ، فلعل دراسته تمنعنا من الإسهاب فى تاريخ من يليه من أدباء اليونان

دريني خشبة

من ذكريات لندن

حـــرية ...!

للأستاذ عمر الدسوقى

مضى الشتاء متثاقلاً متلكئاً بعد أن أطلق لشياطينه العنان ، تعبث بالأرض عبث الوليد بخذروفه ، وتجوس خلال الديار بوجوه مقطبة مكفهرة ، تتوارى منها ينابيع الجمال والرحمة هلعاً وفرقاً ؛ وتلفح أنفاسها الأوراق النضرة فتذوى ، وأوراق الدوح فتساقط عصفاً مأكولاً ؛ وتزفر زفرات مرّت على زمهرير سقر ، حتى تنتفض لها الدنيا ، وتنكمش فى أبرادها وتسرى فى أوصالها رعدة القر ، وقشعريرة الحمى البرود ؛ أو ترسلها ضباباً أسود بشعاً ، يملأ فجاج الأرض ، تطرف منه العيون وتدمع ، وتغص به الحلوق وتشرق ، وتسيل الأنوف وتنتفخ ، وتسعل الصدور وتنقبض ؛ يحجب الشمس ، ويعطل الحياة ، ويحيل السبل سراديب مدجنة يرتطم فيها الأحياء بالجمادات وهم يتحسسون طريقهم ، وتتراءى فيها الجمادات مرتدة طليت بالقار ، أو اشتملت بمسوح نسجت من أديم الليل البهيم ؛ أو ترسلها ريحاً زفوفاً مزمجرة ، تهز الأرض هزاً عنيفاً ، وتزأر زئيراً منكراً كئيباً ، يصم الآذان ، ويرجف الأفئدة ...

حتى إذا خالت الشياطين أن الدنيا قد هلكت رعباً ، وحالت جثة هامدة باردة ، وأشلاء ممزقة مبعثرة ؛ دفعت بالثلج كفناً أبيض يتراكم كسفاً ، ويجلل الأرض بقطع بيضاء هشة ، كأنها زبد الموج الصاخب ، أو شعر عجوز شمطاء اجتثته وهى منيظة محنقة ، أو العهن المنفوش ، أو القطن المندوف

ثم حشدت فيلق المزن فى عنان الجو ، تتردى حبر الحداد ، وتبكى وتنتحب ، وتجهش بالعويل ، فتسمع لها شهيقاً وزفيراً ؛ وتسكب الدمع مطراً هتوناً تسقط حباته على الأرض كأنها نقرات الدفوف ، أو عصا جبار ينكث الأرض موجدة وغيظاً ، أو حجرات مسلم متعبد يرجم الشيطان بمنى ؛ ثم تزدحم به الأودية فيطغى ويكتسح كل ما يعترض موكبه الهائج وتياره المائج

وها قد نفخ الشتاء فى بوقه ، فحشرت إليه شياطينه من كل فج ، وولى مشيعاً باللعنات ، وطفقت حرارة الحياة تتمشى فى أطراف الدنيا ، فتنهض الطيور الهاجعة ، وتتثاءب البراعم الوسنانة ، وترقع الرياض ما بلى من كسائها بالحشائش الحواء ، وتوشيه بالأزهار اليانعة العبقة الشذى

وها هى ذكاء تبرز صفراء عليلة، غب احتجابها الطويل، ثم تتوارى فى خدرها بعد هنيهة ، ثم تبدو أثبت قدماً وأربط جأشاً . وتحاول السماء أن تتجرد من ثياب الشتاء القاتمة الغليظة ، فتمزقها إرباً إرباً ، فتظهر أجزاء من أديمها الأزرق الصافى خلال بردها المهلهل الخلق

وهرع أهالى لندن إلى العراء ليشهدوا آخر معركة بين التوأمين الربيع والشتاء

وجاءتنى ربة الدار فرحة متهللة ، مشرقة الطلعة ، كأنما نفث الربيع فيها من سحره ، فغدا وجومُها بسمات ، وحديثها ضحكات تحيت تحية كأفواف الزهر ، ثم تغنَّت بفتنة الطبيعة فى ديارها إبان الربيع ، فحسبتها قمراً يُرَجِّع على فنن دوحة تميس فى الحبر السندسية البديعة ، أو مِزْهر عازف يوقع أنشودة الجمال الرائع ؛ ثم قالت :

— حذار أن تظل حلس بيتك فى مثل هذا اليوم النادر ،

فسرح الطبيعة عندنا جم المناظر ، تارة يلفظ شُواظاً من نار فتقبع المخلوقات فى دورها ، وتارة يبتسم ابتسامة الرضا فينسى الناس فترات تجهمه ، فيعدون إليه بقلوب يستخفها الطرب ، ويتملكها العجب . إن أشعة الشمس فى بلادنا نفيسة كالذهب الوهاج ، يتهافت عليها الناس ويدخرونها لأوقات يربدُّ فيها وجه السماء ، وما أكثرها حتى فى هـذا الفصل الذى تخطر فيه الدنيا فى حلة قشيبة من النَّوْر ، وتتنفس فيه الرياض عبيرَ الأقحوان النَّدِّ ، والياسمين والورد

— لقد حدثتِ فأطربت ، ووصفت فأطنبتِ ، فهل لكِ أن تهدينى إلى أى الحدائق أبهج للفؤاد ، وأجلى لصدى النفس ، وأمتع للنظر ؟

— إن لندن يا سيدى مدينة تزخر بألوف الألوف من البشر ، مترامية الأطراف ، واسعة الجنات ، فسيحة الرقعة تتمثل فيها الحياة العاملة المجدة ، والحركة الدائبة النشطة فى أوجها ؛ ترى قُطُر الكهرباء تجرى فيهـا رائحة غادية ، فى سراديب تحت الأرض ، وعلى قضب فوقها ؛ وترى أسراب السيارات تجوب أرجاءها ألوفاً ألوفاً ، فمنها ذوات الطبقتين كأنها بواخر تمخر عباب اليم ، ومنها القميئة التى تنساب فى الطرقات انسياب الصِّلال وسط الأحراج والأدغال ؛ والناس فيما بين ذلك يهرولون زرافات ووحداناً ، كأنما الحياة الدنيا قد أفلست وعرضت ذخائرها ، وهم إلى الغنيمة يهطعون ولهم ضجيج يفزع الكواكب فى مسابحها ، والشياطين فى معاقلها

وحرى بنا ونحن نتنفس هواء قد أفسدته الصناعة ، وأنفاس الخلق ، أن ننشىء الرياض العريضة الرحبة ، تخُطُّها البحيرات الجميلة الجذابة ، ففيها نستجم من نصب العمل والحياة المضنية ، وإليها نهرع إذا ضاقت صدورنا ، وكادت أرواحنا تزهق من حر أنفاسنا . ولكل روض خاصة : فإذا نشدت الهدوء والعزلة ، والمنظر الخلاب البهيج ، فدونك « الريجنت » ؛ وإذا شئت أن تدرس طباع الشعب عن كثب ، وتشهد صراع الفكر ، وخطباء النَّدى ، والجموع الغفيرة ، والحرية المطلقة ، فدونك « هايدبارك » ؛ وإن كنت مولعاً بالتلال المعشبة ، والرُّبى الخضراء ، والوهاد الفسيحة ، والطبيعة الساذَجة الغفل التى لم تصقلها يد البشر ، فاعمد إلى « هامستدهيث » ؛ وإن كنت مغرماً بدرس النباتات وأنواعها المختلفة وأشكالها المتباينة ، فعليك بحدائق « كيو » حيث يمثل فيها نبات الدنيا جمعاء . وهناك رياض أخرى لا تقل رونقاً وبهاء وحسناً ورُواء عما ذكرت

— لقد شِدت — يا سيدتى — بمدينتك فخورةً مُدِلة ، ولا عزو ، فأنتم أمة لم تنس نصيبها من متع الدنيـا وزخرفها . فها هى ذى لندن ، قد تجلت فى مبانيها سلامة الذوق والانسجام البديع ، وحفت طرقها بالأشجار ، وزينت منازلها بالحدائق الصغيرة سيان فى ذلك بيت الأمير وبيت الحقير . وإنى لنصيحتك جِدُّ مطيع ، ولك منى ثناء عطر جزاء وفاقاً على ما أتحفتنى به من حديث ممتع طريف ؛ فعمى صباحاً ، وإلى اللقاء ...!

ذهبت إلى « هايدبارك » وها أنذا ألج ساحتها المزدحمة

يا عجباً ! هنا منابر وخطباء ، وهنا جموع محتشدة تنصت وتنتقد وتجادل وتسخر وتحتد ؛ وعلى كل منبر رَق مرقوم ، يفصح عن الفكرة التى يدعو إليها الخطيب أو ينافح عنها . والناس ينتقلون من حلقة إلى أخرى كأنهم زُمَر النحل ، تقتطف من كل زهرة قطرة ؛ حتى يقعوا على ما يَلَذ لهم حديثه ، فيرهفون السمع ويعملون الفكر ويجادلون المتكلم أحرَّ جدال

هاك شيوعياً يبسط للناس مبادئ عقيدته ، ويلوم فى حدة وسلاطة وعنف ، هؤلاء الذين اكتنزوا الذهب والفضة واستعبدوا بهما الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؛ وأخذوا ينعمون بأطايب الحيـاة ، ويبعثرون النضار فى سبل الفسق ، بينما يَغَص المجتمع بقوم يبيتون على الطوى ويندبون جَدَّهم العاثر ، وزمنهم الغادر . ويدعو بكل ما أوتى من ذرابة لسان ، وشجاعة جَنان ، إلى تقسيم الثروات حتى يتساوى الناس فى الشقاوة والسعادة ، والغنى والفقر

وهاك اشتراكياً لا يشتط كتربه وإنما يطلب — كما يقول — العدل والرحمة ، والرفق بمن يكد ويكدح لينعم سيده ويقوى بمن يذوى شبابُه ، ويراق دمُه ، ويَبلى جسمه فى المصنع والحقل ؛ ليقدم للإنسانية عُدة الترف والبـذخ ؛ مفنداً فى لباقة وطلاوة حديث ما يتصدى له الشيوعى من دعوة ترمى بالعالم فى أحضان التهلكة والدمار ؛ وكيف يُسَوَّى بين الذكى والغبى ، والشجاع

والرعديد ، والقوى والضعيف ، والجاد والخامل ... ؟ وهل الحياة الدنيا سوى كفاح وجهاد ، وصراع وجلاد ، يفوز فيه من قويت مُنَّته ، وحسنت عدته ، ودأب على العمل لا يَكل ولا يمل .. ؟

ثم يعرج على أزمات الأمم فى عصرنا هذا ، وأنها نِتاج استبداد الأغنياء بالفقراء ، ولو رعى الأول حقوق الثانى لأخلص الثانى فى خدمة الأول ولاستقام العالم وعاش فى بُلَهنية ووفاق . ولم ينس أن يَصُبَّ ذَنُوباً من ألفاظ السباب على الحكام المستبدين وقتلهم لحرية الأفراد ، وتسخيرهم الأمم لإشباع مطامعهم

وهاك يهودياً يبكى ويستبكى ، ويناشد القلوب الرحيمة والعقول السليمة ، أن تنصف شعب الله المختار ، الذى كتبت عليه الذلة والسكنة ، والذى طارده الحكام المستبدون فى كل بقعة عقد لهم فيها اللواء ، وكتب الظفر ، فبات شريداً طريداً ، خالى الوفاض ، كسير القلب ، مهيض الجناح . ويقول : إننا قطعة من الإنسانية المعذبة ، وأنتم يا أبناء التاميز قد رُبيتم على البر بالمحروم ، والنصفة للمظلوم ، ولا نطلب منكم سوى ديارنا التى كنا نقطنها منذ ألفى سنة ، وما تركناها إلا قسراً وقهراً ؛ جودوا لنا بفلسطين ، نُحيلها جنَّة من جنان الخلد ، ومعقلاً أميناً يصد كل من تحدثه نفسه بالتعدى على طرق الامبراطورية العتيدة . ينفذ بمثل هذه العبارات إلى أفئدة الناس فيأسرها ، ويستدر دمعهم ، ويكسب عطفهم .

وهاك قسيساً ، قد ارتدى مسوحه ، ووقف فى وقار وتزمت ينادى القطعان النافرة من حظيرة الكنيسة : أن ارجعوا إلى بارئكم ، فالباطل لا يغنى من الحق فتيلا ، وأن لكم فى طمأنينة الروح عوضاً عن فقدان المادة ، وأن الحياة الدنيا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ؛ يدعها الإنسان وحيداً إلا مما قدمت يداه ، فلا مال ولا عتاد ، ولا جاه ولا سلطان والآخرة خير لكم وأبقى

وهاك امرأة ، قد تملكتها نزعة صوفية ، فبرزت فى أسمال ، وأطمار وطفقت ترفع عقيرتها منشدة الأغنيات الدينية فتجذب إليها جموع الناس ، ثم توسعهم لوماً وتأنيبا على تقصيرهم فى حق المسيح ، حتى إذا انفضوا عنها ضاحكين هازئين عادت تغنى مرة أخرى .

وهاك ملحداً يسفه الشرائع والأديان ؛ وهاك عالماً يشرح للدهماء أصول علم النفس وقوانين الاجتماع .

وهاك حبشياً يثير حماس القوم ضد القوة الغاشمة ، والأمة الظالمة ، ويلجأ إلى سجايا الانجليز الكريمة ، وأريحيتهم ومروءتهم وتقديسهم للحرية ألا يدعوا وطنه يذهب نهبة لأطماع الاستعمار ، وقربانا على مذبح الغدر بالعهود والحنث بالذمم .

وهاك سفسطائياً يبرهن على أن الانجليز هم « شعب الله المختار » لا بنى إسرائيل ، وأنهم أولى الناس بحكم العالم .

وهاك نازيا ، يبرق ويرعد ، ويتهدد ويتوعد ، ويهدر كالسيل الجارف ، ويغزو الديمقراطية فى عقر دارها ، ويرميها بالتفكك والانحلال ، والضعف والفساد ؛ لاتباعها أوهاما وخزعبلات ، وتعلقها بمثل لا تغنى أمام جبروت المدفع شيئاً ؛ ولما لأوشاب الناس فيها من أيد وقوة ، فيتخلف عن دست الحكم ذو الرأى الرشيد ، ويطفر إليه من لا يقيم للأمور وزنا ؛ ويرمى المجالس النيابية بأنها ميدان للثرثرة وقتل الوقت ، ويقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا

يا قوم ، ألقوا أعنة أموركم ليد مصلحة سديدة ، ففى ذلك العزة والمنعة ، والعدل والمساواة ، طهروا دياركم من اليهود الذين امتصوا دماءكم وأنتم فى غفلة ساهون . ألم يسيطروا على صحفكم ويوحوا إليكم بما تعتقدون ؟ ألم يخضعوا المسرح والخيالة لسلطانهم المالى ، ويعرضوا عليكم ما يشاءون لا ما تريدون ؟ ألم يغتصبوا ينابيع الثروة منكم ، ويصيروكم فعلة مأجورين ؟

إن آفات المجتمع — يا قوم — تجد المرعى خصباً ممرعاً ، فى ظل الديمقراطيات ؛ حيث يتغنى الناس باسم الحرية فتوزع جهود الأمة ، ويتفرق الناس شيعاً ، ويُشغَلون بالحزازات الحزبية عن السير فى طريق الإصلاح والفلاح

راعنى ، وأيم الحق ، تلك الحرية العجيبة ، وكيف أن عقول الناس فى هذا البلد ، تصغى إلى كل هذه المبادئ المتباينة ولا تتأثر بها ، وكيف أن حلمهم يسع كل هذه الطعنات فى أنظمتهم وعقائدهم وآرائهم . ولو كان هؤلاء الدعاة فى أمة أخرى غير انجلترا

زجوا فى غيابات السجون ، أو حزت ألسنتهم أو قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف لما ينفثونه بين الناس من سموم ، وما يريدونه من شر بالحكم ونظامه والمجتمع واستقراره

تركت تلك الجلبة الصاخبة ، وأخذت أجوب الحديقة ، فشاهدت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ رأيت الفضيلة تذبح فى معبد الشهوات ، والناس لا يتورعون عن الفاحشة تحت شمس الضحى ، وقد عادوا أشبه بالضوارى فى أدغالها ، لا قانون ولا نظام ولا حرمة ولا حياء . انتهكت الأعراض علانية، ووطئت المكارم طواعية ؛ ولم يرتفع صوت يهيب بهم : أن رفقاً بمبادئ الإنسانية والشرائع الدينية ، والمثل الخلقية

بل سمعت أدهى من ذلك وأمر ، أعنى حماية رجال الشرطة لكل من فى الحديقة ، والضرب على يد كل من يتصدى لهم واعظاً أو مبكتاً ، وأن الحديقة حرم يأوى إليه كل من يريد أن يفرج عن نفسه أو يطفئ نار شهوته ، أو يفوه بما يعد جريمة فى مكان غير هذا ؛ وأن الشعب هنا يسير على سجيته وفطرته ، فلا يتقيد بعرف أو نظام ، بل يتمتع بالحرية المطلقة

فقلت : رحماك ربى ، إن هذه أعجوبة العصر ... !

ثم سألت شرطيًّا : أيتاح لى أن أعتلى منبراً كهؤلاء الخطباء؟

— ولم لا ؟ ما عليك إلا أن تستأجر منبراً وتقول ما شئت ، وإن استجاد الناس حديثك استمعوا لك ، وإن لم يلذ لهم انفضوا من حولك

تركته شاكراً متعجباً ، وقد عقدت العزم على أن أدحض باطل هذا الدجال الصهيونى الذى يفترى على الحق ، ويعلى كلمة الزور والبهتان ، ويدعى وطناً ليس له بحق عربى مبين ؛ وقلت لنفسى : ما دام للدهماء فى هذه البلاد كلمة وسلطان لجدير بى أن أسمعهم صوت فلسطين العربية

ثم عدت وزمرة من لداتى أبناء العروبة ، نتبارى فى تبيان قضية العرب العادلة ؛ وكانت ملحمة حامية الوطيس بيننا وبين الصهيونيين ، سأرجئ وصفها إلى حديث آخر إن شاء الله

عمر السرقى

وليم بتلر يايتس

WILLIAM BUTLER YEATS

الفنان الذى أوجد لأمة أدباً

١٨٦٥ — ١٩٣٩

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

— ١ —

فى الثامن والعشرين من شهر فبراير ، وفى روكبرون من كاپ مارتن من أعمال فرنسا ، فقدت أرلندا وفقد معها العالمَ عبقرياً من النسق الأعلى : وليم بتلر يايتس ، زعيم حركة « الإحياء السلتىّ » وعميد الأدب الأرلندى ، وشاعر أرلندا الأكبر ، ومؤسس مسرحها الأول ، وخالق نهضتها الأدبية والفنية ، وعميد المذهب الرمزى فى الأدب الإنجليزى الحديث ..

كتب النقادة « روبرت لِنْد » بعد وفاة يايتس يقول : « ما كان الفقيد فناناً عظيماً فحسبُ ، وإنما كان إلى ذلك رسولاً عظيماً من رسل الفن ؛ جعل حياته فى سبيل خلق حركة أدبية ومسرحية أنزلت أمته أكرم المنازل بين الأمم »

ولعلّ أغلب الذين رأوه فى صدر شبابه ورأوا ذلك الشعر

الأسود الفاحم وتلك « الربطة » المضطربة وتلك اليد الشاحبة ، لم يكونوا ليروا فيه إلاّ أخا خيالات وأحلام لا قدرة له على عمل ولا صلاح فيه لتنظيم

بَيْدَ أن « بايتس » كان يشتمل على طاقة روحية وقوة حماسية لا حدَّ لها ، وكان فى الوقت نفسه « عملياً » لا يقل عن غيره من أهل التنظيم والإنشاء ، والمعنيّين بمسائل الجميات وإدارتها ، حدّة ذهن وسرعة خاطر » — « وإذا كان (البعث الأرلنـدى الأدبى) حدثاً من أشهر أحداث زماننا هذا فإنه إلى حماسة بايتس ودعايته ينبغى أن يُوجّه أكثر المدح والثناء[1] »

— ٢ —

ولد المستر « وليم بتلر بايتس » فى « سانديماونت » من « دبلن » فى ١٣ يونية سنة ١٨٦٥ ، وكان أبوه مصوّراً معروفاً وكان جدّه لأمّـه تاجراً قديراً . أُدخل وهو ابن تسع « مدرسة غودلفِـنْ » بلندن ، وحين بلغ الخامسة عشرة دَخل « مدرسة إراسموس سميث » . ثم دخل الجـامعة وتخصّص فى التصوير ، ثم انصرف إلى الشعر . وكان فى العشرين حين نشر فى « مجلة جامعة دبلن » أولى قصائده وهى « جزيرة التماثيل »

* * *

وبايتس نفسه يصف انصرافه إلى الشعر بأنه أكثر من استجابة لدافع من الطموح الشخصىّ « فما كان موضوع أحلامه يومئذ » كما يقول النقّـادة فورست ريد « بأقلّ من خلق أدب لارلندة كامل . فى تلك الأحلام تستقرُّ بذور (الحركة الأرلندية) الحديثة؛ ومع أن فكرة إنشاء مسرح قومىّ كانت لا تزال بعيدة ، فإنها هى أيضاً لم تك إلا تطوّراً لطموح غلام لا يتجاوز العشرين »

كيف استطاع ذلك الفتى الصوفىّ الحالم ، الذى كان فيما روت أديبة ناقدة فى كتاب لها عنه عنوانه : « ذكريات خمس سنين » يظلّ ساعات من النهار يقرأ الشعر ، ويترنم به فى زاوية من الدار وهو فى شبه غيبوبة ، ولا يتذكر الجوع أبداً إن لم يذكَّر به ؛ أو ينهضُ فى الهزيع الأخير من الليل ليقضى ما تبقى منه فى الغناء والإنشاد ، والذى كانت الراوية المذكورة تسلمه الرسالة ليُلقيها ، وهو المطيع أبداً فى صندوق البريد ، فيتناول الرسالة ويضعها فى سلة عظيمة ، ويحمل السلة إلى دار البريد ، والرسالة المسكينة تعلو وتنخفض، وتقوم وتقعد هنالك! والذى اتفق له مرّة أن كان واقفاً وهى إلى جانبه على الرصيف فى الليل ، ينتظران عربة ، والمطر ينهمر مدراراً ، والطريق موحل ، والماء إلى الركب ، فتذكر قصيدة شلى الطويلة : « النَّـبتة الحساسة » . فاندفع يصب الشعر فى أذنيها وقد مالت المظلة التى كانت بيده بحيث لا تقى أيًّـا منهما ! والذى شاهده أحد أصدقائه الشعراء مرّة يرسم صورة لغابة أمامه ، فى وهج الظهيرة ، والشمس تذيب الصخور ؛ فلما دنا من الصورة ، وجد المشهد هو مشهد الغابة ولـكن الألوان ... هى أشعة القمر !

أقول كيف استطاع هـذا الشاعر الصوفىّ الحالم الذى ما سقنا الأمثلة السابقة من حياة صباه إلاّ لنبيّن أنه ذاتىٌّ منطو على نفسه ، أن يتزعم الجميات الـكبرى ، ويترأس حركة قومية وأدبية فنية تعدُّ « من أشهر أحداث زماننا هذا ؟» لست أدرى؛ فذلك سر من أسرار العبقرية والوراثة

ولـكن الذى أدريه أن حياته كانت سلسلة باهرة من الفتوح « يتضح مَداها » كما يقول المستر روبرت لند ، « لـكلّ مَنْ يقارن بين مركز الأدب الأرلندىّ فى اللسان الانجليزى قبل أن يبدأ بايتس فى الـكتابة والنظم ، وبين مركزه عند وفاته . لقد كانت ارلندا قبل بايتس لا وجود لها على خريطة العالم الأدبية ، ولـكنها بقيادته أضحت مثوى للعبقرية . فليس لأديب من أدباء هذا العصر أن يفخر بعمل أجلّ من عمله وأبرز »[1]

— ٣ —

لقد التقت فى « يتس » تأثيرات أرلندية وانجليزية وأوربية ، فهو فنان رمزى ، أو لعله شبه رمزى ، يستمد الوحى والمادة من تقاليد أرلندا القديمة ، ومن أساطيرها البعيدة ، ومن مشاهد أريافها وأرضها وسمائها ، وقلما التفت إلى أهل البلاد أنفسهم ، (ولـكن أليست عبقرية البلاد هى عبقرية ساكنيها ؟) ويقوم شعره وخصوصاً فى شبابه — وشعر شبابه قد يكون أروعَ من شعره فيما بعد ، وأصدقَ عبارة عن طبيعة عبقريته — على صوفية رقيقة تذكر فى غرابة أحلامها وشدة أسرها بصوفية « بلايك » وقد تميل إلى الرمزية وخصوصاً فى مجموعته الموسومة « بالريح بين القصب » وقد ظهرت قبل بدء هذا القرن وبعد اتصال الشاعر

(1) Lynd, «John O'London», Feb., 10, 1939.

(١) ومع ذلك فقد بقى حتى كهولته فقيراً لا يملك شروى نقير . على أنه قدر فى شيخوخته ، فنح جائزة نوبل سنة ١٩٢٣ . وكان عند وفاته عضواً فى مجلس الأعيان (أو الشيوخ) الارلندى

« بملارميه »[1] كما يقوم شعره على الألوان الفاسقة والأضواء الخافتة بوجه عام

ولفظه صقيلٌ نقيٌ بسيط . وهذه الصفة وإن غلبت على الشعر الرمزيّ والصوفيّ على العموم ، لكنها في شعر يتس ترجع أيضاً إلى تأثره « بمدرسة ما قبل رفائيل » . وهي مذهب في الشعر يتعلق بمذهب في التصوير تقدَّم عليه ، وأساسه الرجوع بالأسلوب إلى أبسط الصور الممكنة مع العناية البالغة بجماله وروعة إيقاعه ، ثم قَصْرُه على التعبير عن معانٍ عاطفيّةٍ أو خياليّةٍ خالية من تعقيد الفكر والفلسفة . « فالفن » فوق كل اعتبار ، والفنّ هو دينُ هذه المدرسة التي لا تدين بغيره . ومما يلاحظ ههنا أن أساطين هذه ، ومنهم يتس ، جمعوا بين فن التصوير وفن الشعر .

ولعلنا لا نغلو إذا نحن قررنا أن هذا الحس بجمال الشكل بلغ في يتس حداً هو إلى الإعجاز أدنى .

وليس فهم ياتس بالمطلب الهين الداني ؛ ولكنك إن فهمت معنًى من تلك المعاني « الضبابية » القصية الحاملة لجو (اللاشعور) السحريّ الفاسق ، ارتد جزءاً من أجزاء نفسك لا يتجزأ ، وعنصراً من عناصر حياتك لا ينفكّ يعمل فيك عمله .

وليس ياتس بشاعر من « شعراء الطبيعة » — إن قصدنا بالطبيعة الطبيعة الخارجية — وإنما هو كما سبق القول وبينت الأمثلة صوفي ذاتي «وما العالم الذى نجده فى شعره إلا عالم مرَّ فى دنيا خياله فتلفع بالغسق المخيم هناك » . وما الطبيعة عنده إلا مخزن للرموز والحالات النفسية. فصيحة الطير رمزٌ لحبٍّ مفقود، أو لقب هام على وجهه فى طلاب حُبّ . وعويل الريح رمزٌ للأسى وشهادة بالألم ، وجَرَيان الماء مثلٌ لذوىّ الحسرة ومضىّ الزمن :

« لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :
كل شيء يحول ،
ولسوف نقضى واحداً إثر واحد ، ونمضى
... وكانت لهم أيد كالمخالب ، وكانت سوقهم ملتوية كأشجار الحسك القديمة ، القائمة بجانب الجدول
لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :
كل جميل يمضى ،
كما يمضى الجدول ... »

وخيال «ياتس» يبدو على الدوام كأنه خيالُ إنسانٍ «متعبٍ» وما هو على ذلك بمتعب . أو خيال إنسان يعيش فى « التخوم » بين عالم الإنس وعالم الجن (على أنى فى الواقع لا أستطيع أن أعبر عن مقصدى بعبارةٍ أبين)

خيال ياتس يتجه إلى « حيث تخوضُ النجاد الصخرية فى البحيرة ، فهنالك جزيرة وريقة ، فيها الأطيار ترفرف وتصدح ، فتوقظ فيران المـاء الناعسة ... » وهنالك تخفى الجنيات سلالهن المليئة بالتوت ، وبالكرز الأحمر المسروق ... هنالك :

« حيث الرسالة المعتمة الشهب
تلتمع تحت نور القمر ،
وبعيداً غاية البعد عن أرض (روسز) ،
سربنا ، نحن معشر الجنيات ،
راجلات ،
نرقص قديم الرقصات ،
فتختلط منا الأيدى وتختلط النظرات
حتى اختفى القمر ...
فانثنينا نثب هنا وهناك
ونطارد الفقاقيع الراغية ،
بينما الدنيا مترعة بالآلام
والإنس قلقون حتى فى النام » .

« البقية فى العدد القادم » عبد الكريم الناصرى

بين طبيب وزوجته

قالت الزوجة وقد جلسا إلى مائدة الطعام : إنى أحب رائحة هـذا الصابون الذى استعمله . نعم إن رائحته قوية ولكن أنا أحب الرائحة فى الصابون

وصاح زوجها الطبيب مندهشاً : احترسى يا عزيزتى من استعمال أى صابون له رائحة — إنك تعلمين أن الرائحة معناها وجود الكحول فى الصابون والكحول يضر الوجه ضرراً عظيما ويجعله ناشفاً تماماً ويمتص الزيت الموجود فى البشرة. لذلك أنصحك أن لا تستعملى صابوناً فيه رائحة وأفضل صابون للاستعمال هو صابون بالموليف لأنه يغذى الجلد وينعش الوجه ويجعله رائقاً جميلاً جذاباً .

(١) الرمزى الفرنسى ومترجم « بو » إلى الفرنسية

العاقل

للشاعر الألمانى باول ارنست Paul Ernst

للأستاذ بديع شريف

الأشخاص : (سقراط ، ألسيبياد Sokrates, Alcibiades)

المكان : (شارع فى أثينا أمام بيت سقراط ، السوق فى المساء)

(الاثنان يبتعدان من بيت سقراط ، بينما اكسانتيب تشتمهما من النافذة ، ويذهبان إلى سوق المساء)

* * *

ألسيبياد — حدثتنى نفسى كثيراً بأن أسألك يا سقراط عن عيشتك مع المرأة التى تزوجتها لأنى أعلم أنك رجل ذكى الفؤاد ، وأنك ما أقدمت على الزواج فى صغرك إلا لأمر ، ولا اخترت هذه المرأة إلا بعد تفكير

سقراط — إنك على حق يا ألسيبياد ! فإنى ما تزوجت إلا بعد أن علمت أن الآلهة ألقت فى نفسى شيئاً وأنى أريد أن أقوم به على أتمه ، ولكنى وجدت نفسى محتاجة إلى زوج أسكن إليها ، فإننا معشر الرجال لا نستغنى عن المرأة ، ولكنى ما فكرت قط فى مالها وجمالها وحسبها ، بل فكرت دائماً أن تكون لى زوج هادئة قنوع مرحة أستطيع أن أسكن إليها وأفكر فى جنبها

ألسيبياد — أتقول إن كسانتيب كائن هادئ مرح ، قنوع ؟

سقراط — أتعتقد أن سقراط تزوج كسانتيب ولم تتزوج كسانتيب سقراط ؟!

ألسيبياد — نعم ، إن كسانتيب أيضاً تزوجت سقراط

سقراط — وماذا تظن فى كسانتيب ، هل فكرت فى شىء حين تزوجتنى ؟

ألسيبياد (ضاحكا) — ظنت أنها تزوجت رجلاً مجتهداً عاملاً يكسب الدرهم ، لتعيش هى مع أولادها على حسب منزلتها فى المجتمع

سقراط — يظهر لى أن قولك الحق ، ولكن يا ألسيبياد ! ماذا عساها تقول عنى اليوم ؟

ألسيبياد — إنها ملأت الشارع سباً ، وعرفت جميع المارين أنك رجل باهل[1] وأنك تقضى طوال النهار تهذى مع الشباب بدلاً من أن يكون لك محل تعمل فيه .

سقراط — أتظن أنها على حق ؟

ألسيبياد — ليس لها حق ! ولكن لها أن تقول : إننى امرأة فقيرة، أريد رجلاً غير هذا . أريد زوجاً يكتسب ، لا زوجاً يتفلسف

سقراط — ربما تريد قصاباً ، أو خبازاً

ألسيبياد — نعم ! تريد مثل هذين ، فتكون له زوجاً مدبرة نظيفة مجتهدة مقتصدة يخشى بأسها الخدم

سقراط — ألست على الحق حين أقول : إنها امرأة أثرة ، معتدة بنفسها ، غضوب ، سيئة غبية ، حمقاء ؟

ألسيبياد — لا ! لست على حق ، لكن لك أن تقول : إننى رجل تأمل فرأى نفسه محتاجة إلى زوج هادئة ، مرحة قنوع ، يستطيع أن يفكر فى جنبها .

سقراط — لقد وصلنا إلى السوق ، وها هى ذى امرأة الفلاح جالسة، تلك التى ضحكنا منها كثيراً عند ما كانت تحدثنا عن دجاجها وتثنى على بيضها . أتعرف ماذا كانت تقص علينا ؟ كانت تقول: عندى عشرون دجاجة وديك واحد، فى كل يوم يبضن عشرين بيضة ، آتى بها إلى سوق أثينا فأبيعها ، وإن دجاجى لا مثيل لها فى القرية ، وقد يكون فى البيضة محان ، لذا لا ينثنى عنى من اشترى منى أول مرة . ولا أكذبكم فقد تكون بيضة فى هذا البيض ذات محين . إننى محسودة من جميع الجيران ، ومن له مثل هـذا الدجاج لا يعدم الحساد . إن لى مشترين كراماً يعرفون أن دجاجى من الطراز الأول . وكيف أقتنى الردئ وقد ورثت تربية الدجاج أباً عن جد ؟ أتدرى يا ألسيبياد ماذا أوحت هذه المرأة إلى « أرسطوفان » فطفق يتحدث عن دجاجها ؟ لقد أطرق أرسطوفان ملياً ثم وضع أصبعه على أنفه وقال: دعونا نذهب إلى دار هذه المرأة ونسأل دجاجها ثم نرى ماذا تقول ؟ إنى لا أشك فى أنها ستقول : إننا بين يدى امرأة صالحة تنثر لنا الحب الملتوت بكثير من المشهيات فى الصباح وعند الظهيرة وفى المساء بنظام لا يتغير . على أننا لا ننسى ذلك الصوت الحنون الذى نسمعه عند كل وجبة ، وإذا قدمت لنا الماء قدمته عذباً صافياً ، وفى كل عام

(١) الرجل الباهل : الذى لا عمل له

تطلى قننا بالكلس مرة أو مرتين ، وبالإيجاز إننا راضيات عن هذه المرأة ولا نريد امرأة كسلى لا نظام عندها لأننا ما تعودنا الإهمال وعدم النظام. هكذا كان ينشد أرسطوفان فى شعره فكلكم ضحك عليه وسخر منه ، لأنه استطاع أن يعبر عن نفسية الدجاج لكن ماذا ترى ؟ إنى أرى بين يديها دجاجاً مذبوحاً !

الفلاحة : أتريدون مرق دجاج سمين ؟ هلما ! إنه دجاج حديث الذبح . المساه ، إنه سمين . أنظرا هذه القطعة الصفراء ، إن أجوافهن مبطنة بالشحم ، كل دجاجة تزن أكثر من ثلاثة أرطال

سقراط (إلى المرأة) : يسرنى أن أعرف شيئاً عن تربية الدجاج أيتها الفلاحة ! فهل تستطيعين أن تعلميني : أيهما أنفع لك ، ذبح الدجاج وبيعه فى السوق ليطبخ ويؤكل أو تمنين به كل يوم فينتج لك البيض وتبيعينه فى السوق ؟

المرأة — واحسرتاه ! إن هذا الدجاج الخائن كاد يقضى علىَّ من الحقد والحزن عليه ؛ فإن واحدة منهن باضت بيضة لم يتكامل قشرها ، فأكلنها حالاً فاستذوقنها ، وجعلن ينقرن البيض كلما بضن ثم يأكلنه ، فما حصلت بعد هذا على واحدة . لهذا ذبحتهن . الساهن ، إنهن سمينات . لقد كان لهن بيض نقى يندر وجوده فى القرية . ويلهن ! إنهن خائنات

سقراط — شكراً أيتها المرأة الصالحة ، إنى لا أريد شراء

الفلاحة — كل واحدة بدرهمين ، منتوفة ، منظفة . أنظرا ، هاهما تان الرئتان ، هاهى ذه القانصة ، هاهوذى الكبد ، والقلب ، كلها موضوعة فى الجوف ، إن امرأتيكما تستطيعان أن تضعاها فى القدر حالاً

السيبياد (إلى سقراط) — يجب أن نذهب بسرعة

الفلاحة — أما رأيتما غير هذه المرأة المسكينة موضوعاً للهذر والتسلية أيها النكدان ! إن رجلاً مثلك كسلان ، لا يمتلك حذاء يستطيع أن يأكل دجاجاً ؟ (المرأة تستمر فى السب بحيث لا يتميز كلامها وهما يسرعان الخطا)

سقراط — ماذا تعتقد يا ألسيبياد فى الدجاج ؟ لو استطاع أن يتكلم حين ذبحته المرأة فماذا يقول ؟ ؟

السيبياد (واضعا أصبعه على أنفه) — إنه يقول إن هذه المرأة لخائنة لقد ذبحتنا ، إنها سفاكة ، لقد كان علينا أن نعرف نياتها من قبل !

سقراط — ماذا تظن يا السيبياد ؟ هل تغير الدجاج ، فكان قبلاً صالحاً ثم صار خائناً ؟ وهل تغيرت المرأة حيث كانت ودوداً ثم عادت خائنة سفاكة ؟ ؟

السيبياد (ضاحكا) — إن الدجاج هو الدجاج ، وإن المرأة هى هى . لكن كلٌ فى هذه الحياة يعتقد أنه هو الوجود الأهم . وليس هذا فحسب ، بل على الغير أن يشاركه فى هذا الاعتقاد . على أن هذا الغير يعتقد كما يعتقد الأول ؛ لذلك كان الدجاج صالحاً عند المرأة ؛ لأنه كان يقدم لها البيض ، فلما احتفظ الدجاج ببيضه لنفسه أصبح خائناً . وكانت المرأة صالحة عند ما كانت تقدم للدجاج الطعام ، فلما ذبحته عادت سفاكة خائنة

سقراط — وحق الكلب [1] ! إن الأمر يجرى هنا كما يجرى هناك ، أى كما يجرى بينى وبين زوجى كسانتيب

السيبياد — إسمع يا سقراط : إنك تعرف أننى وقفت حياتى فى خدمة الدولة وعالجت شئونها ، ألا يحتمل أن تنشأ العداوة والبغضاء بين الناس كما نشأت بين الدجاج والمرأة ؟ ؟

سقراط — يظهر لى أن هذه الفكرة لم تكن خطأ

السيبياد — وأيضاً ليس كالعداوة بين المرأة والدجاج فحسب بل مثلما بين سقراط واكسانتيب ؟

سقراط — ربما يكون الأمر كذلك

السيبياد — لكن أيترك الرجل العاقل الناس يشتمون ثم يعمل هو ماهو الواجب

سقراط — هذا ما أعتقد .

بديع شريف

(١) يقسم بالكلب

الغدد والحياة

على هامش الفلسفة

طريقـــة الأخلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

قلنا فى الكلمة الأخيرة : ما هى الطريقة التى تتبع لمعرفة الخير من الشر ، ولتحديد المثل الأعلى الأخلاق تحديداً صالحاً مرضياً من الجميع ؟ تساءلنا كذلك بعد أن أثبتنا أن الأخلاق علم من العلوم [(١)] فيجب أن نسير فى دراسته على الطرائق العلمية التى تصل بنا إلى الغرض فى غير عوج ولا التواء

على أن الفصل فى هذا ليس سهلاً ميسوراً ؛ فهى مسألة ولا أبا حسن لها ! مسألة اشتجر فيها الخلاف بين المفكرين والفلاسفة ، بل لعل الخلاف لا يزال قائماً فيها حتى اليوم . يرى البعض أخذ الأخلاق من الدين — فهو المعين الذى ينقع الغلة ولا يكذب قاصده — أو مما وراء الطبيعة أو من علم الاجتماع ؛ ويرى آخرون أنه من الخير أن نتعرف المبادئ الخلقية بأداة المعرفة المباشرة أى بالحاسة الخلقية التى تدرك الخير والشر من نفسها بدون نظر واستدلال : « استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك » ؛ بينما يذهب غير هؤلاء وأولئك إلى أن الواجب أن يطبق فى الدراسات الأخلاقية الطريقة التجريبية الاستقرائية

الأخلاق الاستنتاجية

من الممكن كما يرى فريق من الباحثين أن نستنتج الأخلاق إما من الدين أو مما وراء الطبيعة أو من العلم الذى تنتمى إليه العلوم وهو علم الاجتماع

بالبحث نعرف أن الأخلاق ، أو المبادئ الخلقية العامة ، فى كل الأديان التاريخية مستقاة من الإلهيات . نرى رجال الدين يقررون أولاً المسائل الخاصة بالله وصفاته وكمالاته ، وبالحياة الأخرى ونعيمها وعقابها ، ثم يربطون بذلك نتائج خلقية مردها للكتب المقدسة . يقررون أن الله لم يخلقنا عبثاً : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » وأنه لا بد محاسب كلا على ما جنت يداه : « لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وأنه لا بد من دار أخرى يكون فيها ذلك الحساب على ما أسلف المرء من خير أو شر : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا » . كما يقررون أن الجنة التى عرضها السموات والأرض « أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس » وأن النار عقبى الظالمين . ويستنتجون من هذه الحقائق الدينية وأمثالها أن المرء يجب أن يكون خيّراً فى كل أعماله ، وأن ينأى دائماً عن الشر وبذلك يصل للكمال الأخلاقى . والخير والشر هنا ما جاءت به الكتب السماوية

استنتاج منطقى حسن من الناحية العملية ؛ إلا أنه ليس له القيمة التى تؤتى ثمرها الخلق إلا لدى المؤمنين بالله والدار الأخرى والثواب والعقاب وبهذا أو ذاك من الكتب المقدسة . فكيف العمل بمن لا يؤمن بإله أو رسول ، أو بمن يؤمن بالإنجيل دون التوراة ، أو بالعكس ، أو بهذين دون القرآن الكريم ؟ إذن ليس من الممكن بهذا الطريق أن نصل لتحديد قانون أخلاق يرضاه الناس جميعاً على ما بينهم من خلف فى الأديان والمعتقدات « فضلاً عن هذا فالرباط الذى يكون بين هذه العقائد الدينية والأفكار والآراء والمبادئ الخلقية التى يربطونها بها يكون غالباً واهياً متداعياً، فلا يكون الاستنتاج قوياً له قيمته وخطره [(١)] »

وها هو ذا العلامة « جوستاف بيلو Gustave Belot » يقول عن هذه المسألة (من الناحية المسيحية طبعاً) : « ليفتح من يشاء أى كتاب من كتب العقائد الدينية : وحينئذ ماذا يجد ؟ يجد أن الجانب الأكبر منه مشحون بالنظريات الخاصة بالله وقدرته وصفاته وأن الأخلاق تجيء فى المركز الثانوى منه ، وأنه من الواجب أن نكره الطفل على أن يفهم ويقبل نظاماً من الاعتقادات الدينية دون أن نعنى بالتساؤل عما إذا كان فى مقدوره فهمها ! إن رجال الدين يجأرون بالشكوى من تزعزع الأخلاق وتدهورها من يوم لآخر لأن الإيمان يتزلزل من آونة لأخرى . لو أن هذا كان صحيحاً فعلى من تقع التبعة والمسئولية؟ أليس على هؤلاء الذين يعملون دائماً على تفهيم الأطفال أن الأخلاق تتعلق دائماً بالدين والعقائد الدينية ؟ مع أنه ليس فى مقدورهم حماية هذه الاعتقادات من حملات الشك ومعاركه التى تنشب من حين لآخر . إنه مما يتفق مع حقائق الأشياء كما يتفق مع الحقائق العملية أن يرد للأخلاق استقلالها » [(٢)]

(١) فى الأعداد رقم : ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ من الرسالة

(١) شالى : الفلسفة العلمية والفلسفة الأخلاقية
Challay: Philosophie scientifique et philosophie morale.

(٢) دراسة الأخلاق الأيجابية Etude de morale positive.

ينقد هذان الأستاذان الباحثين فى الأخلاق من المسيحيين ، وقد أصابا فى كثير مما نقداه . إن الديانة المسيحية أعلنت فى مبدأ أمدها الحرب الضروس على الفلسفة الاغريقية معلنة أن الأخلاق ليس لها أن ترجع فى معينها للعقل والنظر ، ولا أن تُترك للفلاسفة الذين هم بشر يخطئون ويصيبون ؛ وإنما الدين وحده هو الحرى بنشر التعاليم الصحيحة والأخلاق الفاضلة التى يوحى بها العليم الحكيم ؛ ومن ثم أصبحت الأخلاق لا ترتكز على النظر المنطقى السليم ، بل على الوحى المسيحى وحده ، وصار أجل الفضائل فى نظر المسيحية هو حب الله والإيمان به اللذان يوصلان إلى الخير الأسمى والسعادة الكاملة فى الدار الأخرى بدل أن كان أرقى الفضائل وأسماها هى الحكمة فى رأى الفلسفة اليونانية

أما الإسلام فلم يبخس العقل حقه ولم يحجر عليه فى التفكير . أمرنا أن نعمل عقولنا فيما خلقت له ، وأن نفكر فى خلق السموات والأرض : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . إن فى ذلك لآيات لأولى الألباب » . كذلك لم يلجأ الإسلام فى تحديد قيم الأعمال الأخلاقية ، وبيان خيرها من شرها إلى ما فيها من منافع وملاذ فى العاجل أو فى الآجل كما يتوهم واهم إذا قرأ وصف الجنة ، والترغيب فيها ، والنار والترهيب منها ؛ بل هو يخاطب كلاً حسب ما يسعه فهمه تمشياً مع الغرائز الإنسانية . حتى إذا فعل المرء الخير رجاء الصواب مرات عديدة أصبح له عادة ، ويتشرب به قلبه ويفهم ما فيه من جمال وسمو ذاتيين ، فينتهى به الأمر إلى أن يفعله لذاته وحده. وهذا عين ما أراده الرسول إذ قال: « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » . أى أن المثل الخلقى الكامل هو ما وصل إليه صهيب وأمثاله من فعل الخير، وترك الشر لذاتهما لا رغباً ولا رهباً.

على أننا نجد فى تاريخ التفكير الإسلامى أن فريقاً كبيراً من المسلمين وهم المعتزلة يقررون أن الأعمال توصف بالحسن والقبح لذاتها لا لأن الشرع أمر بها أو نهى عنها ، فيكون الشرع مبينا لصفاتها لا مثبتا لما ليس فيها . ويدللون لذلك باتفاق الناس على كثير من الفضائل والرذائل قبل مجىء الشرائع السماوية ، إلى غير ذلك من الأدلة التى ليس هذا موضعها[1] وليس هذا رأى المعتزلة وحدهم بل كان رأى غيرهم من مفكرى المسلمين وحكمائهم

(١) يرجع فى هذا إلى كتاب المواقف وغيره من كتب الكلام والفرق الاسلامية .

أمثال الفارابى الذى يؤكد أن العقل يستطيع أن يحكم على العمل بأنه خير أو شر بنفسه بدون رجوع للوحى ؛ لأن العقل عنده ليس إلا قبسا من النور الإلهى . وابن طفيل فى رسالة « حى ابن يقظان » يجعل العقل قادراً على إدراك الحقائق كلها [ومنها طبعاً الخير والشر] وعلى العروج فى المعارف العُلى حتى يصل للحقيقة المطلقة ، لمعرفة الله تعالى . وابن رشد فيلسوف الأندلس بل الإسلام يقرر أن العمل يكون خيراً أو شراً لذاته لمعان يكشفها العقل ، وليس ذلك لأن الله أمر أو نهى[1]

والخلاف فى هذه المسألة يذكرنا بالخلاف بين الفلاسفة المحدثين فيما سمَّوه « نظرية القيم » . فإنا نراهم مختلفين فى أن القيم التى تقدر بها الأشياء من جمال وقبح وخير وشر وحق وباطل صفات عينية فى الأشياء ؛ كالألوان والطعوم والروائح ، وبذلك يكون لها وجود مستقل عن العقل الذى وظيفته حينئذ إدراكها لا إثباتها ؟ أم هى من صنع العقل « يصف بها بعض الناس الأشياء إذا كانت لها فى نظرهم قيمة ، ولهم فيها غرض أو غاية ، ولا توجد إلا حيث توجد هـذه الغاية » . ذهبت طائفة إلى الرأى الأول ، وأخرى إلى الرأى الثانى[2] . ولـكل وجهة هو موليها .

وأخيراً ؛ إذا كان أخذ الأخلاق من الدين وربطها به منقوداً من بعض نواحيه كما رأينا، فهل من الممكن استنتاجها من معين آخر؟ ذلك ما حاوله كبار علماء ما وراء الطبيعة . وموعدنا ببسط آرائهم الـكلمة الآتية إن شاء الله تعالى .

محمد يوسف موسى

(١) ابن رشد ومذهبه لأرنست رينان . وغيره من المؤلفات العربية .
(٢) كتاب فلسفة المحدثين والمعاصرين للأستاذ ا . وولف وترجمة الدكتور أبى العلا عفيفى .

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

للأستاذ محمود الخفيف

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح ، وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

ظل عرابى فى مرحلته الأولى فى الجندية ساخطاً على الأتراك فى الجيش والجركس لا يفتر سخطه ولا ينقطع عليهم شغبه ، يكيدون له ويكيد لهم . وإنا لنلمس فى هذا سبباً قويًّا من أسباب زعامته للحركة العسكرية فيما بعد ، فلسوف يلتقى فى دار هذا المتبرم الساخط رؤوس الساخطين الحانقين من رجال الجندية يوم يزمعون أن يشتكوا إلى الحكومة فى أوائل عهد توفيق مما يلحق بهم من سياسة وزير الجهادية الجركسى عثمان رفقى

ويشير عرابى فى مذكراته إلى حسن صلته بسعيد باشا حتى لقد أهدى إليه هذا الوالى كما يذكر تاريخ نابليون ؛ ولقد قرأ عرابى هذا التاريخ ، ولست أستطيع أن أتبين على وجه التحقيق ما تركه مثل هذا الموضوع من أثر فى نفسه ، فلم يعلق هو على ذلك إلا بقوله : « ولما طالعت ذلك الكتاب شعرت بحاجة بلادنا إلى حكومة شورية دستورية ، فكان ذلك سبباً لمطالعتى كثيراً من التواريخ العربية » . ولست أدرى كيف توحى قراءة تاريخ نابليون بحاجة مصر إلى حكومة شورية دستورية ؟ على أن قراءة سيرة هذا الجندى المغامر الفذ الذى وصل بجده إلى قمة المجد الحربى وبلغ أوج الشهرة والجاه توحى إلى كل من يقرؤها معانى الإقدام والبطولة ، وتملأ النفوس تطلعاً وحماسة . وعلى هذا فلا يصعب أن نتصور ما عسى أن تلقيه تلك السيرة من المعانى فى نفس كنفس عرابى الجندى المتطلع المتوثب

ويشير عرابى فى كتابه إلى أن سعيداً كان يميل إلى المصريين فى الجيش وإلى رفع ما يلحق بهم من غبن أمام الجركس ، كما يشير إلى أنه كانت لسعيد نزعة وطنية تجلت فى خطبة أثبتها عرابى فى كتابه وكان قد سمعها فى الحفلة التى ألقيت فيها ، يقول عرابى : « فلما انتهت الخطبة خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حانقين مدهوشين مما سمعوا ؛ وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تتهلل فرحاً واستبشاراً . وأما أنا فاعتبرت هذه الخطبة أول حجر فى أساس نظام مصر للمصريين . وعلى هذا يكون المرحوم سعيد باشا هو واضع أساس هذه النهضة الوطنية الشريفة فى قلوب الأمة المصرية الكريمة »

ولقد كتب عرابى هذه الآراء بعد الثورة ، ولعل فى ذلك ما يدعو إلى ضعف الثقة فى قيمتها عند بعض المؤرخين ، كما هو الحال فى مذكرات نابليون التى كتبها فى منفاه فى سنت هيلانة ، فلقد أخذها بعض المؤرخين على أنها دفاع من جانب نابليون عن أعماله بعد أن خلا إلى نفسه فنظر وتدبر

ولكن أعمال عرابى التى لا ينكرها المؤرخون حتى المغرضون منهم لا تتناقض مع كثير مما جاء فى مذكراته ، وعلى الأقل فى هذا الجانب الذى نتلمس فيه الدليل على ما نحسبه من أن عرابياً قد اتجه منذ نشأته اتجاهاً وطنياً قومياً ، وهذا أمر نراه على جانب عظيم من الأهمية . ففى هذه النزعة القومية نرى عرابياً الحقيقى . أما عرابى الذى صوره خيال المغرضين من المؤرخين فما أبعده عن هذا . وهل كان يحلو لهؤلاء الذين استغلوا حركة عرابى أقبح استغلال ، إلا أن يصوروه أقبح صورة ؟ فلا يكون عندهم إلا جندياً جاهلاً

مغروراً وانته الظروف فراح يخبط فى حماقته لا يلوى على شىء ، وما زال فى جنونه يلوح بسيفه حتى اضطر آخر الأمر أن يسلمه صاغراً إلى قائد جيش الاحتلال الإنجليزى !

ما كانت حركة عرابى عسكرية بحتة ، وما كان هو بالأحمق ولا بالمجنون ، وإنما كان لا بد أن تلتقى الحركة العسكرية وهى لا تخلو من الصفة الوطنية بالحركة الوطنية العامة ؛ ثم لقد تم هذا الالتقاء فى شخص عرابى، وكان النجاح حليفه فيما طلب باسم الأمة يوم عابدين ، ولا لوم عليه بعد ذلك ولا جناح أن تحاك الدسائس وتوقد نار الفتنة تنفيذاً لسياسة مرسومة سوف نميط عنها بكل ما وسعنا من حجة ...

هذه النزعة الوطنية القومية فى نفس هذا المصرى الفلاح مع ما توافر له من صفات الغيرة والبسالة ، هى التى جعلت إليه قيادة الحركتين يوم التقتا . ولقد كانت هذه النزعة كما ذكرت بجيش بها نفسه منذ شب . كتب فى ذلك مستر بلنت وكان من أصدقاء عرابى يقول فى علاقة عرابى بسعيد[1] : « وقد حظى عرابى الذى كان وسيما ووجيهاً برضائه حتى سمى أركان حرب له ورافق سعيداً إلى المدينة فى السنة التى سبقت وفاته . وعندى أن عرابى كون آراءه السياسية الأولى أثناء حديثه مع سيده فى هذه السفرة التى كانا فيها متلازمين ، وتنحصر هذه الآراء فى المساواة بين الطبقات ، وفى الاحترام الواجب للفلاح باعتباره العنصر الأساسي المجد فى الجيش المصرى ؛ وهذا الدفاع عن حقوق الفلاح هو الذى ميز عرابيا عن مصلحى ذلك العصر . وغنى عن البيان أن حركة الإصلاح الأزهرية كانت تشمل المسلمين ولا تميز بين الأجناس ؛ أما حركة عرابى فكانت قومية ولذلك كانت الوطنية فيها أظهر ، وإقبال الناس عليها أقوى وأكثر » .

***

وفى عهد اسماعيل تزداد نفور عرابى من الجركس وتزداد ميوله الوطنية وضوحاً باتصاله بالحركة الوطنية التى أخذت تدب فى جسد الأمة المنحل الذى أثقلته سياسة اسماعيل وديون اسماعيل

وكذلك تزداد فى هذا العصر نزعة تمرده وسخطه وتتجلى فى كثير من مواقفه ؛ ومن أهم تلك المواقف ما كان بينه وبين خسرو باشا الذى ما زال يكيد له حتى رفت من الجندية ، وكان خسرو هذا جركسياً ويعزو عرابى سبب رفته إلى أن خسرو قد سار بالوقيعة بينه وبين وزير الجهادية متهماً إياه بأنه : « صلب الرأى شرس الأخلاق لا ينقاد لأوامره ولا يحفل بما يصدر منها عن ديوان الجهادية » . وأما سبب الخلاف بينه وبين خسرو فيذكر عرابى أنه كان فى لجنة لامتحان الضباط وكان على رأسها خسرو ، فأراد أن يتحيز إلى أحد الجراكسة فيعطيه مالا يستحق ولم يرض عرابى على رغم إلحاحه عليه أن يشايعه فى ذلك فعول على الانتقام منه

والذى يعنينا من هذه الرواية أنها تصور لنا شدة الخلاف بين عرابى ورؤسائه فى الجيش مهما كانت أسباب ذلك الخلاف ، كذلك يكشف لنا ما علق به عليها عرابى عن ناحية من عقليته ، فلقد راح يذكر ما حل بمن آذوه من المصائب معدداً أسماءهم مبيناً ما لحق بكل منهم مورداً ذلك على أنه انتقام له من الله . . . وفى هذا نوع من السذاجة لا شك كما أن فيه دليلاً على ما كان للدين من سلطان على عقل عرابى وقلبه

على أن هذه الناحية الدينية فى حياته قد استغلها ضده خصومه كذلك محاولين أن يسوقوها دليلاً على أنه كان رجلاً لا يفترق كثيراً عن عامة الناس فى جميع أفكاره ونزعاته ، دون أن يشعروا أنهم بهذا التعميم الذى لا مبرر له إنما ينالون من عقولهم هم ، أو على الأقل أنهم إذا كانوا يدركون خطأ هذا التعميم ثم يتمسكون به فإنما ينالون من أنفسهم لا من نفسه

كان للدين سلطانه على عقل عرابى ما فى ذلك شك ، ولكن تلك كانت نزعة العصر . على أننا نسأل ماذا يضيره من ذلك ؟ وكيف يساق هذا على أنه من مساوئه وحقيق به أن يكون من حسناته ؟ وهل عاب أحد على كرمويل وهو جندى مثله نزمته وتقشفه وصرامته فى دينه ؟ وهب أنه كان يغلو أحياناً فيخلط بين ما يتصل بالدين وما يتصل بالسياسة فهل مال به ذلك عن منهاجه السياسى أو صرفه عن وجهته التى عمل على بلوغها ؟ وهل يستطيع أحد من خصومه أن يقيم الدليل على أنه اتخذ يوماً من الدين سلاحاً فى غير محله ؟ أو على أنه استغنى بالدعوة الدينية عن الجهاد والقتال حتى النهاية حين عملت خيانة بنى قومه ودسائس أعدائه على انتزاع النصر من بين فكيه ؟

ظل عرابى ثلاث سنوات مبعداً عن وظيفته إلى أن عفا عنه الخديو فعاد، ولكنه طلب أن يحال على الأعمال المدنية كمكافحة الفيضان والإشراف على بناء الجسور من ناحية نقل ما يلزم من

(١) التاريخ السرى ص ٩٩ ترجمة البلاغ

الأدوات ؛ وإنه ليذكر أنه بذل فى تلك الأعمال جهداً كبيراً ، ولكنه رأى غيره يكافأ مكافآت مالية أما هو فكان جزاؤه كما يقول: « وكوفئت أنا على تلك الأعمال الشاقة الجليلة بالتقاعد والراحة من غير معاش لحين ظهور خدمة أخرى ، فيالله ما أمر وأصعب تلك المكافآت المقلوبة على النفوس الحساسة الشريفة ! وما أكثر العجائب فى الحكومات المطلقة المستبدة الظالمة »

على أن مستر بلنت يذكر أن تكليف عرابى بتلك الأعمال كان على غير رغبته ، وأن ذلك كان سبباً من أسباب نقمته على العهد القائم يومئذ ومن دوافع انضمامه إلى الساخطين والمتذمرين

وأعيد عرابى بعد ذلك إلى الجندية وألحق بالحملة الحبشية ، ولكن عمله فى هذه الحملة لم يكن عمل الجندى المحارب فقد كان يعمل فى منصب مأمور مهمات بمصوع . ولقد عظم حنق عرابى على تلك الحملة فهو ما يفتأ يندد بها فى مذكراته ويصف ما حل بالجيش فيها من كوارث فى غير موجب. جاء فى كتاب مستر بلنت: « وقد عاد منها كسائر زملائه ساخطاً على ما حدث فيها من سوء التصرف ، وإلى هذا يرجع تفرغه الآن للسياسة ، وتعاظم غيظه الذى كان موجهاً بعد ذلك نحو الخديو »

وفى فبراير عام ١٨٧٨ وقعت مظاهرة الضباط الخطيرة ، تلك المظاهرة التى نلمح فيها بوادر الثورة العسكرية . يتلخص هذا الحادث فى أن عدداً من الضباط بزعامة البكباشى لطيف سليم ، قد توجهوا إلى وزارة المالية يطالبون بمرتباتهم المتأخرة ، فلما حضر نوبار باشا رئيس الوزراء وكان معه السير ريفرز ولسن وزير المالية هجم هؤلاء الضباط عليهما وأشبعوا نوبار لطماً ولكماً وراحوا يجرونه من شاربيه ، وامتدت أيديهم كذلك إلى وزير المالية ؛ وكاد يتفاقم الحادث لولا أن خف إلى هناك الخديو بنفسه فى فرقة من حرسه حينما نمى إليه خبره ، وأمر الخديو بإطلاق النار إرهاباً فأطلقت رصاصات فى الهواء وفر المتظاهرون

ولكن تهمة القيام بهذه المظاهرة أو تدبيرها قد وجهت إلى عرابى واثنين آخرين من الضباط ، وعقد لهم مجلس يحاكمهم وأصدر المجلس حكمه بتوبيخهم وفصل كل منهم عن ألايه إلى جهة بعيدة وكانت الاسكندرية نصيب عرابى ، وفيها اتصل بكثير من الأوربيين

ويدفع عرابى التهمة عن نفسه مقرراً أنه لا يد له فيها مطلقاً إذ كان فى رشيد وقت وقوع الحادث ، ذكر ذلك فى مذكراته وذكره كذلك فى التاريخ الذى كتبه لمستر بلنت بناء على طلبه عام ١٩٠٣ بعد عودته من منفاه . ولقد أطلع مستر بلنت الشيخ محمد عبده على ما كتب عرابى ، فوافق على براءته من هذا الحادث

ولقد أدى اتهام عرابى على هذا النحو إلى ازدياد كراهته لاسماعيل وعهد اسماعيل . ولسوف يكون ذلك من أهم الدوافع التى توجهه إلى الاتصال بالوطنيين بغية معاونتهم والاستعانة بهم على تنفيذ ما كانوا يأملونه من وجوه الإصلاح . ذكر عرابى فيما كتبه لمستر بلنت : « ولكن قبل أن نفترق اجتمعنا (يشير إلى الضابطين اللذين اتهما معه) فاقترحت عليهما أن نكون عصبة لخلع إسماعيل . ولو فعلنا ذلك لحللنا المسألة من وقتها لأن القناصل كانوا يرغبون فى التخلص منه بأية طريقة ... ولكن لم يكن قد ظهر بعد من يقود هذه الحركة فوافق الموجودون على رأيى ولكننا لم نقدر على تنفيذه »

« يتبع » **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ النشاشيبي

٣٦١ — لا أعرف منهم شخصاً ولا يعرفوني

طلع الدين مستغيثاً إلى الله (م) وقال: العباد قد ظلموني! يتسمون بي وحقك لا أعرف (م) منهم شخصاً ولا يعرفوني[1]

٣٦٢ — ... حتى نروي أشعار المجانين

في (الأغاني) قال ابن دأب: قلت لرجل من بني عامر: أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئاً؟

قال: أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين؟! إنهم لكثير

فقلت: ليس هؤلاء أعني، إنما أعني مجنون بني عامر[2] الشاعر الذي قتله العشق

فقال: هيهات! بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها، السخيفة عقولها، الصعلة[3] رؤوسها. فأما نزار فلا

٣٦٣ — ثلاث كلمات بألف دينار

في (سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون): كان رجل على عهد

(١) نقل عن النووي أنه كان يكره من يلقبه بمحيي الدين ويقول: لاجعل الله من دعاني به في حل، ولذا تحاشى عنه بعض العلماء. وفي (صبح الأعشى): بقي الأمر على التلقيب بالاضافة إلى الدولة إلى أيام القادر بالله فافتتح التلقيب بالاضافة إلى الدين، ثم تزايد التلقيب به وأفرط، ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد

(ولا يعرفوني) النون التي سمتها النحاة (نون الوقاية) تحذف جوازاً في الأفعال الخمسة، وقال بعضهم: إن المحذوفة هي نون الاعراب

(٢) الأصمعي: رجلان ما عرفا قط إلا بالاسم: مجنون بني عامر وابن القرية (بكسر القاف والراء وتشديدها) وإنما وضعهما الرواة (الأغاني)

(٣) رجل صعل وأصعل: صغير الرأس، وامرأة صعلة وصعلاء (الأساس)

كسرى أنوشران يقول: من يشتري ثلاث كلمات بألف دينار؟ فتطير منه الناس إلى أن وصل إلى كسرى فأحضره وسأله عنها فقال: (ليس في الناس كلهم خير)

فقال كسرى: هذا صحيح، ثم ماذا؟

فقال: (ولا بد منهم[1])

قال: صدقت، ثم ماذا؟

قال: (فألبسهم على قدر ذلك)

قال كسرى: قد استوجبت[2] المال فخذه قال: لا حاجة لي به وإنما أردت أن أدري من يشتري الحكمة بالمال.

٣٦٤ — أليس نكون شهداء الطرب

(مسالك الأبصار) للعمري: قال محمد بن المؤمل: كنت مع أبي العتاهية في سميريته[3] ونحن سائرون إلى أشموني[4]. فسمع غناء من بعض تلك النواحي، فاستحسنه وطرب له، وقال لي: أتحسن أن ترقص؟ فقلت: نعم. فقال: فقم بنا نرقص. فقلت: في سميرية؟ أخاف أن نغرق

فقال: إن غرقنا أليس[5] نكون شهداء الطرب؟!

٣٦٥ — لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

في (تجارب الأمم) لابن مسكويه (أحمد بن محمد): أفرد في دار عضد الدولة[6] (في بغداد) لأهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه، وهو الحجرة

(١) الجوهري صاحب الصحاح:

العز في العزلة لكنه لا بد للناس من الناس

(٢) استوجبه: استحقه

(٣) السميرية: ضرب من السفن وسمر السفينة أرسلها (التاج)

(٤) دير اشموني: واشموني امرأة بني الدير على اسمها ودفنت فيه وهو بقطربل (ياقوت)

(٥) إذا كان جواب الشرط مصدراً بهمزة الاستفهام سواء كانت الجملة فعلية أو اسمية لم تدخل الفاء، ويجوز حمل هل وغيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة لأنها أصلها، ويجوز دخول الفاء فيها لعدم عراقتها في الاستفهام (شرح الكافية)

(٦) ذكر ابن مسكويه هذه المأثرة في مآثر هذا الملك الجليل ثم قال: وإنما شرحناها لينظر فيها من يأتي بعدنا ويقرؤها الملوك فيعملوا بمثل ذلك لينتشر ذكرهم بالجميل. وفي (ذيل تجارب الأمم): كان عضد الدولة يكرم العلماء أوفى إكرام، وينعم عليهم أهنأ إنعام، ويقربهم من حضرته، ويفاوضهم في أنواع الفضائل، فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها، وصنفت في أيامه المصنفات الرائقة في أجناس العلوم المتفرقة

التي يختص بها الحجاب . فكانوا يجتمعون للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة ، وأقيمت لهم رسوم تصل إليهم ، وكرامات تتصل بهم

٣٦٦ — سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يختار

فى (طبقات الشافعية) : من ظريف ما يحكى عن القاضى عبد الجبار (المعتزلى) أن الأستاذ أبا إسحق الشيرازى (الشافعى) نزل به ضيفاً . فقال (القاضى مداعباً) : سبحان من لا يريد المكروه من الفجار

فقال الأستاذ : سبحان من لا يقع فى ملكه إلا ما يختار.

وهو جواب حاضر .

٣٦٧ — أقدر على تركه

فى (الغرر والدرر) لأبى القاسم على بن الطاهر المرتضى : حكى أبو القاسم البلخى : أن عبدالله بن الحسن قال لابنه محمد[1] . كل خصالك محمودة إلا قولك بالقدر

قال : يا أبت فهو شىء أقدر على تركه . فورد الكلام على رجل عاقل فقال : لا عاتبتك عليه أبداً

قال أبو القاسم البلخى : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولى ، وإن كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبنى على شىء لا أقدر عليه ؟

٣٦٨ — فشرده بقرض دريهمات

إذا استثقلت أو أبغضت خلقا ... وسرك بعدُه حتى التنادى[2]

فشرّدْه بقرض دريهمات ... فإن القرض داعيـة الفساد

(١) المرتضى : حكى أن محمداً وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حج واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة

قال الزمخشرى فى (الأساس) : سألنى بعض المغاربة ونحن فى الطواف عن القدر فقلت : هو فى السماء مكتوب ، وفى الأرض مكسوب

ويعزى إلى الحسن البصرى : من أنكر القدر فقد فجر ومن ورد(حمل) ذنبه على الله فقد كفر

(٢) التنادى : يوم التنادي : وقت القيامة والجزاء (وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد) فى الكشاف : التنادي : ماحكى الله فى سورة الأعراف من قوله : (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) ، (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور

٣٦٩ — دعوه فإنى أعرف عذره ...

فى (المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء) : روى أن النضر بن شُمَيْل صاحب الخليل حضر مع جماعة من الأدباء فغنتهم قينة :

وقالوا لها : هـــذا محبك معرض

فقالت أرى إعراضه أيسر الخطْبِ

وما هى إلا نظـرة بتبسم ... فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

وأحسنت ، فطرب الجماعة إلا النضر . فألحوا عليه بالعذل ، فقالت القينة : دعوه فإنى أعرف عذره. إنما سببه كون إنشادى: (هذا محبك معرض) ولم أقل : (معرضاً) ألم يعلم أن عبد الله ابن مسعود قرأ . (وهذا بَعْلى شيخ[1]) فلما سمع النضر ذلك قام وأظهر الطرب

٣٧٠ — من أجل أنك فارس

أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه :

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً ... فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل : مالى رأيتك راجلاً ؟ ... فقلت له : من أجل أنك فارس!

(١) فى (اعراب القرآن) للعكبرى : هذا مبتدأ ، وبعلى خبره ، وشيخا حال من بعلى موكدة ، والعامل في الحال الاشارة والتنبيه أو أحدهما . ويقرأ شيخ بالرفع وفيه عدة أوجه — سبعة يا أخا العرب — أحدها أن يكون هذا مبتدأ وبعلى بدلا منه وشيخ الخبر الخ

وحي الشاعرية

تمرد الخيال

للأستاذ حسن القاياتي

أبت المناءة أن تغازلها المنَى ... شَبَهَ الفرادس ما أعزّ وأحسنا
لى من زمانى أن أروع مجادةً ... وعلىّ أن أصِلَ الشكاة وأفْتَنَا
لِمَنَ المناءة فى غِنًى ومحبةٍ ... كَلاّ فكم تهِم المحبةُ والغنى ؟
ما للفتاة ازّينت فهفا بها ... لُبُّ الفتى ثم انثنى فازّينّا ؟
صَلَفُ الملاحة أنها معبودة ... تَصِفُ المهانةَ كلما بُذِلَتْ لنا
قسماً لو ان الحسن أُرسل كله ... طَلْقاً لما فتح القلوب وأوْهنا
كم فاتِكٍ حرس الجمالَ مخافةً ... أن يستثير من الحنان الأعينا
إن الذى خلق الصَّباحة زينةً ... قالوا تَغَضّبَ أن تلوح فَتَفْتِنَا !
وَرْدٌ يَرِفُّ نضارةً ما بالُهُ ... لا يُجتلَى إذ كلُّ وردٍ يجتنَى ؟
لولا مخادعةُ الغرائز لم تَرُمْ ... متمنِّعًا بالحسن إلاّ أمْكَنَا
أوّاه واكبدى أكلُّ مُحبَّب ... إذ كان مُقْتَرَحَ العيون تحصّنا ؟
وَتن الجمالُ على الحجاب وقلّمَا ... كان السفور أرقّ منه وَأفتنَا
الحسن يَخْتَبِلُ النفوس لأنها ... وَصَمت حُلاَه بأن تُذال وتُسْجَنَا
زعم الحجا أن اللثام غضاضةٌ ... فاليوم إذ سفر الأوانسُ بَرْهَنَا
ليت الذى صنع السلاسل حليةً ... للغيد أطلق سربهنّ وغلّنَا
للغيد أنفسنا فليت عيُونها ... تُوْدى بنا شغفاً إذا لم تُحْيِنا
« إحسان » ماأقسى هواك فليته ... فى لين عطفك ما أرقّ وألينا
أخلو فيعصمنى الحياء فمن رأى ... كيف انْثَنَيْتُ وفاتنى كيف انثَنَى؟
كَذبُ المنى وكرامة نَشْقَى بها ... دون الهوان وعزةٍ تَشْقَي بِنَا
ماذا لقيتُ وما أرَبْتُ وشدّ ما ... خطب السموّ فتًى أراب فَأعْلَنَا ؟
ذو اللُّبّ تحزنه مشاهدُ جَمّةٌ ... واللُّبُّ يعصم ربّه أن يَحْزَنَا

أدرِ الحديث عن البيان لعله ... يجنى لنا ثمرَ المنَى ولعلّنَا
ماقيمةُ الأدب السَّرِىّ وما جنَى ... منه البديع سوى أجادَ وَأحْسَنَا
سَل أفصح الشّادين أيّةُ غِبطةٍ ... حلَتْ ببيت صاغ أو بيتٍ بَنَى ؟
يُزْجُون من رُتب البيان لمحسن ... يَشَاءُ مُقْتَبَلٌ يَبُذُّ المحسنا ؟
ليس البديع من العلاء ولم يكن ... للأوْجِ أن يُهدي لكوكبه السَّنا
كم فاتن تحت الخمول كما شدا ... غرِّيدُ ليل ما أرقّ وأفْتَنَا
تَرِفُ الشمائل كَمْ يُتَاحُ لجفوةٍ ... كالماء ينبت فى مسالكه القَنَا
يا موحياً سور الإشادة رقيةً ... أناشاعرٌ صفتى ولكن مَن أنا ؟
ملك الفصيح العذب ليتك آخذى ... بوثيقةٍ عبدَ البيان الألْكَنا
مَن عَزّهُ وَزْنُ الرِّجال فقَصْرُهُ ... ألاّ يصوغ الحمدَ حتى يُوْزَنَا
الرّأيُ أشيعه الأفِينُ إذا مشت ... فى الشعب خاطئةٌ أصاخَ فأمَّنَا
شهد الحجا أن الجماعة ضَلّةٌ ... حتى إذا قضت الجماعةُ أيْقَنَا
أوّاهُ من جَنَفِ المشير فإنه ... غَلّ النُّهَا عنتاً وفَلّ الألْسُنَا
العدل فى الأُخرى وتلك عُلالةٌ ... عدلٌ يُقامُ هناك من ظلمٍ هنا !

الحر يَصْطَنِعُ الإباء فديته ... بالشعب يُضْرَعُ بالهوان فَيُقْتَنَى
أمَلُ التَّحَضُّرِ كل جَزْلٍ مُفْضِلٍ ... شَرِقُ الحجا بعلومه غَضُّ الجَنَى
فى الناس مُبْتَكَرُ الحياةِ وهاتفٌ ... شَادٍ غَرِّدْ بالقَديم وغَنِّنَا
إن الحياة فضيلة من هدّهَا ... سقط الأخسّ من الشعوب الأوهنا
من عاش لاوطناً حماه ولا انتحَى ... لصالحات فكيف عاش بلامُنَى ؟
النُّبلُ مُحْتَفَلُ الثراء فلا تَسَلْ ... كيف استقلّ الشعبُ بل ماذا اقتنى

شعبانِ يصطرعان أيّةُ سُبّةٍ ... لحزم إن عَكَفَ الصراعُ وأدْمَنَا ؟
يا جَوُّ مالك بالأخوّةِ عابساً ... كالماء قَطّبَ للنسيم وَغَضّنَا
وَلَعُ الدسائس كم يسود ونسجُهُ ... بيتُ العناكب ما أخسّ وأوْهَنا
ظلَمَ الخلاف مَتَى الوفاق فطالما ... خفّ الجمالُ إلى التّواصُل مَوْهِنَا؟
طلب الحياة سرية رَفافَةَ ... أنَى أعَزّ دعاته وأذلنا ؟
أين الوثَامُ وكلُّ برّ قبله ... صوتُ التآلف كالمُصَلّى أذّنَا ؟
هُبُّوا إلي الرأى الأصيل فإنه ... أمنٌ وإن خلافه لن يُؤْمَنَا
الرأيُ أنبَله تجاربُ أشيب ... كالسيف نازل دهره حتى انحنَى
صدق الحجا . الحزمُ أشرف نزعةً ... والنَّاهضُ الوثّابُ أنبلُ موطنا

« السكرية — دار القاياتى »

حسن القاياتى

قلعة بعلبك

للأستاذ احمد الصافى النجفى

دار وَحْيٍ أم قلعة أنا فيها … كنبيٍّ يستنزل الإلهاما ؟
حرتُ أرنو إلى الطلول وأرنو … لقرونٍ مضت ومجد أقاما
إيه أطلال بعلبك أجيبي ! … أين خلّفتِ قومك الأعلاما ؟
هل يبيد الحِمامُ قوماً إذا ما … نهضوا للحروب قادوا الحِماما ؟
هل يبيد الحِمامُ قوماً وهذى … غرّ آثارهم خلدْنَ عظاما ؟
تلك أرواحهم خلدْنَ بفنٍّ … جلّ عن أنْ يخلّد الأجساما
إيه باخوس ... كم شربتَ قديماً … مِنْ سلافٍ وكم سقيتَ ندامى ؟
صَرَعَتْهُمْ منك المدامُ .. ولكن … أنت صاحٍ مهما احتسيتَ المداما
كم سقيتَ الورى بجامك خمراً … ثم أعقبته من الموت جاما !
أنت تسقى الوضيع كأسك حيناً … ثم تسقى بها المليك الهماما !
رَفَسَتْهُمْ رجلاك لم ترع ذلاً … لوضيع ، أو للمليك احتشاما !
والعواميد خلتها في صلاةٍ … رُكّعًا حول معبدٍ وقياما
صَرَعَ الدهرُ بعضهنّ، و بعض … واقفات تصارع الأيّاما !
وشجاني من العواميد ستّ … واقفات صفاً يروع نظاما
ناظرات يسألن عن قرناء … قد قطعن القرون والأعواما
دُمْنَ يبحثن عن رفاق فلا … يبصرن إلا الإيوان والأهراما
و بقايا من تدمر كعروس … ذات حُسْنٍ بالتبر هامَتْ وهاما !
يتساءلنَ هل أخذنا عهوداً … للّيالى أو هل قطعنا ذماما ؟
درست دوننا القصور ودمنا … ثم نرجو أنْ سوف نبقى دَوَامَا
يتفاخرنَ عكس طبع الغوانى … أيّ أخت تربو على الأخت عاما؟
يبغض السنّ من يخاف فناء … وأخو الخُلدِ يعشق الأعواما
بمرور السنين يَزْدَدْنَ حُسْناً … ثم يَزْدَدْن للخطوب ابتساما ؟
يا لستٍّ من العواميد هاجت … فى فؤادى ذكرى تؤجّ ضراما
أىّ شأن لها ، وأيّ ملوك … سجدتْ حول عرشها تترامى ؟
إنْ رأتْ سجْدَةَ الملوك فهذا … الدهر أبقى لها السجود احتراما !
أنا أكرمتها بدمعى احتراماً … وكرام الأنام تبكى الكراما
يا لستٍّ من العواميد تُلْقى … لجميع الورى دروساً جساما
واقفات كأنهـا خطباء … تعظ الأرضَ والسَّما والأناما
قائلات : المجد يبقى وإنْ كا … نَ بنوه تحت التراب رماما
يا لستٍّ من العواميد كم قد … رفعت ثمّ نكّسَتْ أعلاما
صافحت فى الزمان رُومًا وعرباً … ونصارى الغزاة والإسلاما
صافحتهم وودّعتهم بكفٍّ … لم تطوّل وداعها والسّلاما
ولكم أبصرت ولم تتزعزع … عادياتٍ تجرّ موْتاً زؤاما
كم تلقّتْ بصدرها مِنْ سهام … ورأت للعدى قناً وحساما
بسمت نحوها الغزاة وعادت … وهى تذرى لها الدموع انسجاما
يا لستٍّ من العواميد ظلّت … كشموع للدّهرِ تجلو الظلاما
قد تعالَيْنَ فانحنين رؤوساً … ثم أحكمنَ فى الثرى الأقداما
حاكيات وسط الفضا أخوات … قد تماسكْنَ واتحدنَ غراما
وضع الحسنُ والبها تاجَ حسن … واحداً فوق رأسهنّ تسامى
وَحَّدَ الحسنُ بينهنّ بتاجٍ … حيث فى الحسن قد بلغن التماما!
فتعاهَدْنَ فى كِفاحِ الليالى … لا يبارِحْنَ حظهنّ انهزاما
أو كقوّاد جحفلٍ قد أطلّوا … يصدرون الآراء والأحكاما
يتناجون دون تحريك هام … حيث ولّوا نحو الجيوش الهاما
ظلّ بعضٌ يفضى لبعضٍ برأيٍ … واستمرّوا يُراقبون الصّداما
يا لستٍّ من العواميد تبكى … أخوات لها قضين انهداما
هدّمتها كفّ القضا فاشتهت لو … حطمت معول القضا الهدّاما !
ذكرت عهدها القديم فأمست … وهى يَقظَى تشاهد الأحلاما
كم وعت خطبةً وأصغت لنجوى … آه ... لو أنها تعيد الكلاما ؟
تتراءى كأنها كفّ جبّا … رِ عظيمٍ زادوا بها إبهاما
جسمه القلعة المهيبة لكن … ألْبَسَتْهُ يد البلى أسقاما
فانهدامَاتُهـا جراح بجسم … طالما مارس الوَغى والزّحاما
كسرت عظمة الليالى فلم … يُبْدِ انكسارًا ولا اشتكى آلاما
وسبتنى فيها تماثيل غيد … عبدتها أهل الهوى أصناما
سكب الفجر ضوءه فى ثنايا … ها وألقى الضحى عليها ابتساما

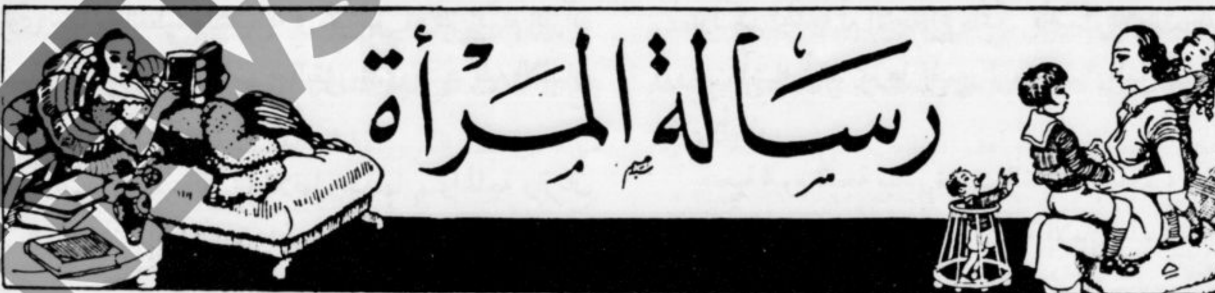

الاسلام (والاتيكيت)

الأتيكيت أو الآداب العامة
دراســـة وتحليل
للانسة زينب الحكيم

نصت الشرائع السماوية كلها ، على مراعاة الآداب العامة فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية . وإذا أنا اخترت أن أبين نسبة آداب الفرنجة إلى الآداب الشرقية وعلى الأخص الإسلامية منها ، فما ذلك إلا لشدة الشبه بين هذه وتلك ، ولأن فى الإسلام وهو دين الاجتماع والتشريع الإنسانى الرفيع — مالو عرفناه وعملنا به — لما احتجنا إلى التقليد والنقل ، مما تضيع معه قوميتنا الشرقية ، وتتلاشى به شخصيتنا المصرية

ولقد اطلعت على كتب كثيرة شرقية وأجنبية فى هذا الصدد حتى كوّنتُ فكرةً تحليلية عن الآداب العامة ونشأتها

فمجمل الكتب الشرقية (الإسلامية على الأخص) تشير إلى أنه من الواجب على الإنسان كفرد ، وعلى الأمة كجماعة ، أن تقوم بواجب الآداب العامة نحو الخالق الذى أوجدها سبحانه وتعالى ؛ فتقر بفضله تعالى عليها — وتعتبر هذه أول خطوة فى الآداب — ثم المحافظة على ما ورثته من نظم ، وأن تتبع هذه النظم ، وتسير على مهل فى سبيل الانتقال بها من طور إلى طور أكمل منه فى غير اهتزاز وعنف . كل هذا يكوّن الميراث التقليدى الأدبى ، ونكون قد تدرجنا على شبه ما تدرج بالبرية موجدُها الأعلى من مهدها ومن زمنها الأول إلى الآن

والأديان السماوية أدل شىء على هذا التدرج المعتدل ، فإن من يترسم خطى هذه الأديان ، يلحظ سمة الطفولة على التوراة ،

يشتهى الثغر لثمها وهى صخر — ويذوب الفؤاد فيها هياما
هِمْتُ فيها فقلت هزؤاً بنفسى — أىّ صبٍّ قبلى أحبّ الرّكاما
عاريات مثل الملائك لم يسـدلن ستراً ولا وضعن لثاما
تخذت عفة النفوس رداء — وسنا الحسن فى الجبين وساما
لم تشوّه بالصبغ يوماً وجوهاً — جعل الحسن عندهن مقاما
هنّ مهما شاب الزمان صبايا — راميات بلحظهنّ سهاما !
وشجتنى منهن هيفاء خود — ساءها الحظ دونهن اهتضاما !
شوّه الدهر ثديها بانكسار — قبل أن يبلغ الرضيع الفطاما
قرنت نحو صحبها بانكساف — خوف نقص يعزى إليها اتهاما
وتمنّتْ لو اكتسين جميعاً — برداء ليستر الأجساما !
ورأيت الضرغام فارتعت منه — أىّ قلب لا يرهب الضرغاما ؟
مُغلياً صمته المهيب زئيراً — ساكناً خضرة السما آجاما
أسد الغاب خلته احتلّ (برج — الأسد) اليوم، واعتلى الأجراما
فاتح الطرف، كاشر الناب، يبغى — أن يخيف القضا إذا ثمّ حاما
نصبوه فى الجوّ حامى عرين — يقظ الطرف ، لا يحب المناما
ظلّ فى الجو حارساً لحماه — ومخيفاً وحش الدجا والطغاما
قام أسد الحمى وظل مفيقاً — لا يذوق الرّقاد حتى لماما
وشجتنى فيها مسارح لهوٍ — وفنون تنوّر الأفهاما
كم عَلَتْ فوق ساحها خطباء — وغوان ترجّع الأنغاما
أقفرت تلكم المسارح منهم — واستحالت ساحاتها آكاما
إنّ أطلالَ بعلبك كتابٌ — قد حلا مبدأً وطاب ختاما
فيه تبدو طلاسم أنا مهما — رمت حَلاًّ لها تزد إبهاما
صار فيها وهمى تخلت بأنّى — كنت فيها أجسّم الأوهاما !

(دمشق) — احمد الصافى النجفى

ويرى سذاجة الفطرة والتضحية فى الإنجيل ، ويعز اتسام القرآن بسمة الرشد ، ومدى النضوج العقلى الذى يعتمد عليه الانسان للسير فى الحياة وقد هُيئ له من أمره رشد

ولهـذا فإن قائد الأمم أخلاقها وطباعها ، والحاجة والزمان هما الـكفيلان بإعداد النظم الجديدة ، وأخلاق الأمة هى التى تحكمها . فـكل نظام أو تشريع لا يتفق مع هـذه الأخلاق ويمتزج بها امتزاجاً تاماً ، يكون نظاماً مؤقتاً وتشريعاً لا يدوم طويلا

ومما يجب التنبه له أن البيئة والأحوال والحوادث ، تدل دلالة واضحة على مقتضيات الزمن الذى هى فيه ... فلو نظرنا إلى التقاليد فى أى زمن ، ولأى أمة ، وجدناها عبارة عن ماضى الأمة فى حاجاتها ومشاعرها وأفكارها

فالتقاليد إذن : عوامل تشخص روح الشعب والحقبة التى وجد فيها لما لها من تأثير عظيم فى القوم

فإذا بحثنا مثلاً فى ضرورة احتياجنا إلى تقاليد فى الآداب العامة (أتيكيت) من نواح كثيرة تساءلنا :

١ — لماذا نلاحظ قوانين واصطلاحات خاصة ؟

٢ — لـماذا يحيى الناس بعضهم بعضاً ، بشتى الطرق مثل الانحناء ، والابتسام ، والسلام باليد ، ورفع غطاء الرأس أخ ؟

٣ — لماذا نقوم بعمل تعارف بين الأفراد ، ونرسل الدعوات بعضنا لبعض ؟

٤ — لماذا نهذب طباعنا وحديثنا ؟

لـكى نستطيع الإجابة على أشباه هذه الأمثلة ، يجب أن نتتبع سير المدنية من مبدئها ؛ فإذا فعلنا ذلك ، وجدنا أنه كان من أولى ضروريات الإنسان الهمجى تدبيرُ بعض الطرق ، واختراع بعض الوسائط التى تقنع الهمج من قبائل أخرى بأنه لا يريد المشاجرة ، ولا الاعتداء ، وإنه يريد أن يعيش فى سلام .

ولـكن كان من الصعب عليه جداً أن يفعل ذلك مبدئياً . فقد كان تفكيره المحدود مرتبكاً بالخوف وبوعورة الحياة . إذ أن الإنسان فى تلك العصور الأولى كان دائم الارتياب ، شديد التطير ، كثير الظن ؛ وقد كان مضطراً إلى أن يكون كذلك ، لأن حياته كانت متوقفة على حذقه وحرصه

ولـكن الحاجة أم الاختراع دائماً . فأقيمت علامات خاصة ، وروعيت أشياء أخذ يميزها الهمج ، وتعارفوا عليها كتحيات سلام وأمان

فتحية اليوم نتيجة مباشرة لتلك الضرورة الغابرة ، ويقاس عليها كثير من التقاليد المتبعة . فإن تحية الأمان هذه كانت أول المخلفات من الآداب العامة التى نطق بها بين الإخوان والمريدين

ولما عرفت قيمة هـذه الشعائر السلمية ، اتبعت تحايا خاصة لـكل ظرف ولـكل مناسبة مما ساعد على وضع الأمور فى نصابها بأقل مشقة ، وبأخص طريق ، فساد السلام نوعا ما ، وأخذت العواطف الإنسانية تقوى (ومن هنا بدأ عهد جديد فى تطور البشرية) .

فإذا أودعت هذه الشعائر خفايا النسيان ، وأسدل عليها ستائر الإهمال كان الغرض استئناف حياة الهمج من جديد .

على أنه لن يكون فى استطاعتنا وأد الآداب دفعة واحدة وهى التى تكونت على مر الدهور ، ولا يمكن أن ينكر أحد أن البشرية نشأت ونمت معها المدنية ، فمن تحية الأمان الأولى ، نمت سلسلة تحايا خاصة ، وأشكال احترام خاصة جمعت الرجال تحت لواء حماية متبادلة ، وصداقة مشتركة ، فتولدت الحفلات ، وحلقات الرقص لتعظيم القوى الطبيعية التى حار العقل البشرى فى فهمها حينئذ ، كالشمس والنجوم ، وقدمت الضحايا لآلهة الخوف التى أزعجتهم ، كالظلام ، والوحوش ، والأصوات غير المعهودة لهم ، كما أقيمت حفلات تأبين الموتى ، وولائم الأفراح ، وغير ذلك .

من ذلك نرى ، أن الهيئة الاجتماعية حريصة على سلامتها ، فهى لذلك أقامت تشريعاً اجتماعيا محدودا واضحا ، مبنياً على الأخلاق والعادات ، فأصبحت هـذه التقاليد تشريعاً ارتآه ، وعمل به نفر ممن تفخر بوجودهم فى زمرتها الجماعة الإنسانية المثقفة الراقية .

فنحن ملزمون إذن أن نتعلم هذه التقاليد رغبنا أو كرهنا ما دمنا نعيش فى جماعات ، وننشد مجتمعاً راقياً فى حياتنا

مما لا ريب فيه أنه توجد عند كل إنسان رغبة للخير ، وإن جانب الخير فى الإنسانية توقظه وتظهره الرحمة والآداب والأخلاق الـكريمة بوجه عام . كما أن المران على (الإتيكيت) أو الآداب

العامة يحتاج إلى أكثر من مجرد استقاء معلومات من معاهد التقاليد الاجتماعية الخاصة بالأخذ والعطاء ، والقبول والرفض ، والدعوات والولائم ، أو عدد البطاقات التي تترك للآخرين بالمناسبات ، أو استعمال الألقاب على وجه صحيح في التحدث وللكتابة . فإن التمرن العملي على (الإتيكيت) يجب أن يبنى على المبادئ الأولية ، وهي الاحترام ، ومشاعر الرحمة والشفقة نحو الآخرين ، وإلا كانت التقاليد مجاملات جوفاء وهذه لا تلبث أن تزول

وإن أميز ما يمتاز به الرجل الملم بمعرفة الآداب (العامة والخاصة) ما يتسم به من وقار وسماحة يغمر من يقابله ، كما يساعده على العمل والقول اللائق الصحيح في كل موقف من المواقف . فالفرد الذي يعرف كيف يوجد بين جماعة راقية ، لا يدع مجالاً للغضب ولا لعدم الصبر ، ولا يتسيطر ولا يتحكم ولا يضغط على الآخرين بطباعه الجافة

إن مركز الآداب الراقية ، يمنع التبجح مع الرؤساء ، كما يمنع الأحاديث التي تؤلم المشاعر ، ويحبذ العمل على إيجاد رغبة صادقة في جلب السرور لمن نوجد معهم . فالمرأة والرجل المثقفان يجتهدان في جعل كل فرد في مجتمعهما سعيداً مطمئناً (على شرط أن يستأهل هو ذلك أيضاً من جانبه) . ثم إن مشاركة عواطف الغير واحترامهم مفروض على كل فرد مهما كان نوعه ، وذلك واجب عليه سواء أكان غنياً أم فقيراً، عالماً أم جاهلاً . ومع أن الأخلاق الرقيقة قد تكون وراثية إلى حد ما ، فإنه يمكن تحسينها وإنماؤها بوساطة البيئة الصحيحة ، وبدراسة القوانين الاجتماعية ومراقبة المجتمع نفسه ، وتطبيق ما حصله الإنسان في معاهد الآداب عملياً في الحياة العملية حتى يجني المجتمع ثمار عمل أفراده وبناته

لعلنا بهذا التلخيص نكون قد أوضحنا بعض الشيء نشأة الإتيكيت وضرورته في الحياة .

زينب الحكيم

ما هي الحيـــاة
وكيف ظهرت على الأرض ؟

وحدة الاحياء والجمادات

للأستاذ نصيف المنقبادي

أثبتنا فى مقالنا السابق وحدة الحيوانات (ومن بينها الإنسان) والنباتات وبيّنا أن النباتات الفطرية إنما هى الحلقة المتوسطة بينهما وقلنا إن هذا دليل على اشتقاقهما من أصل واحد ؛ وهو الجمادات

ونتكلم اليوم عن وحدة الأحياء والجمادات مستعرضين من جديد الصفات المشتركة بين جميع الكائنات الحية لنبين أنها ليست خاصة بها . بل توجد جميعها ولكن مبعثرة ومشتتة فى الجمادات ، كما أشرنا إلى ذلك فى المقال السابق

ونقول إجمالاً من الآن إن تلك الصفات الموصوفة عادةً بالحيوية ليست لازمة للحياة ولا ضرورة لها ، إذ أن هناك بعضاً من مظاهر الحياة — هى أهمها وأدقها — تقوم بها مواد كيميائية وأجسام معدنية محضة لا يتوفر فيها شيء من تلك الصفات أو المميزات . ومن ذلك التخمر

فإذا سحقنا مثلاً كمية من النباتات الميكروسكوبية المكونة من خلية واحدة من النوع الذى يخمر المواد السكرية ويحولها إلى خمر (خميرة البيرة) ، أو من النوع الذى يخمر الخمر ويحولها إلى خل ، أو من النوع الذى يخمر سكر اللبن ويحوله إلى الحامض اللبنى ، ثم نقعناها فى ماء معقم مطهّر ورشحنا الماء بعد ذلك ، نحصل على سائل يخمر هذه المواد مما يدل على أن خواص الحياة ما زالت قائمة فيه . فهل لنا أن نقول إن هذا السائل المرشح كائن حى ؟

وإذا أغلينا هذا السائل إلى درجة المائة فوق الصفر فإنه يفقد خاصة التخمير كأنه مات مقتولاً بالحرارة كما يحدث للكائنات الحية

والواقع أن الذى يقوم بالتخمير وبمعظم أعمال الحياة فى الكائنات الحية من هضم الأغذية على أنواعها ، إلى تحليلها وامتصاصها وتركيبها من جديد داخل أنسجة الجسم وخلاياه الخ إنما هى خمائر تفرزها غدد خاصة فى الأجسام الحية المتعددة الخلايا ، أو كائنات حية أيضاً مكونة من خلية واحدة مثل النباتات والحيوانات الأولية الميكروسكوبية ، وهذه الخمائر تذوب فى الماء وتفعل فعلها هذه وهى ذائبة فيه

والخمائر لا يمكن القول بأنها كائنات حية بالمعنى التام لأنه لا جسم لها ولا قوام ، وهى لا تتغذى ولا تتنفس ولا تنمو ، ومع ذلك تبدو كأنها حية ، وتقوم بأهم مظهر من مظاهر الحياة وهو التخمير

على أن كل هذا لا غرابة فيه ، لأن الخمائر التى تسلك مسلك الأحياء لم تخرج عن كونها مفروزة من أجسام حية ، ولكن المدهش حقاً هو فعل المواد المعدنية الغروية ، فقد توصل العلماء إلى تحضير كثير من المواد المعدنية والعضوية على هذه الحالة ، (à l'état colloïdal) ، وقد شوهد أن بعضها مثل الفضة أو المنغانيز وغيرهما تخمر المواد القابلة للتخمر . فإذا وضع قليل منها فى شراب السكر مثلاً لا يلبث هذا الشراب حتى يختمر ، لا فرق فى ذلك بين هذا التخمر وبين التخمر الذى تحدثه الكائنات الحية بفعل الخمائر التى تفرزها سوى أن التخمر يتم هنا بأسرع مما يتم فى حالة التخمر الحيوى . وأول ما يتبادر إلى الذهن أن جراثيم التخمر العادية تسربت إلى ذلك السائل من الهواء أو الماء أو من الأوعية والأدوات المستعملة ، ولكن الدقة فى تعقيم كل هذه الأشياء لا تدع محلاً لمثل هذا الاعتراض

وأغرب من هذا فعل الكلوروفورم المخدر فى المواد المعدنية الغروية التى نحن بصددها ؛ فإنه يخدرها ويبنجها تبنيجاً ويمنعها عن مواصلة التخمير إلى أن يتطاير ، ويتلاشى فتعود إلى فعلها هذا المدهش ، وإذا أضيف إليها قليل من سيانور البوتاسيوم وهو سم قاتل ، فإنه يمنع فعلها التخميرى بتاتاً ؛ فكأن هذه المعادن

هـذه الجمادات المحضة — ماتت مسمومة ولا يمكن أن تعود إلى إحداث التخمر إلا إذا أزيل عنها هذا السم ثم تحولت إلى معدنها الأصلي الجامد ومنه إلى الحالة الغروية من جديد ، وعند ذلك فقط تبعث بعثاً ، وتعود إليها هذه الخاصة التي كنا نظنها مقصورة على الأحياء دون غيرها .

وإذا لوحظ أن في المادة الزلالية الموصوفة « بالحية » التي تتكون منها خلايا الحيوانات (بما فيها الإنسان) وخلايا النباتات وكذلك في الخمائر التي تفرزها هذه الكائنات الحية أثرا من المواد المعدنية التي كان يظن البيولوجيون إلى عهد قريب أنها مواد إضافية لا شأن لها في المادة الحية ، وإذا قورن هذا بما تقدم بيانه من فعل المعادن الغروية ، لأدركنا معنى النظرية البيولوجية القائلة بأن أداة الحياة أو أن الذي يقوم فعلاً بأعمال الحياة في الكائنات الحية ليست المادة الزلالية الخاصة المسماة « بالبروتوبلاسم » وإنما هي تلك الزوائد المعدنية المحضة . وعلى هـذا يكون الجزء الحي في الأحياء هو المعادن المذكورة أي الجمادات الخالصة ، وما المادة الزلالية إلا قاعدة ترتكز عليها تلك المعادن للقيام بأعمال الحياة .

نعود إلى الصفات المشتركة بين الأحياء التي يقولون إنها تميز الحياة ، لنبين أنها ليست وقفاً على الكائنات الحية بل إنها توجد جميعاً بلا استثناء في الجمادات .

التكوين الخلوي والتكوين المعدني

قلنا إن الكائنات الحية مؤلفة من خلايا صغيرة لا ترى بالعين المجردة . ولكن هذه الظاهرة — أي تكوين جزئيات الجسم تكويناً دقيقاً — ليست خاصة بالأحياء ، فإن الأجسام المبلورة المعدنية التي يتكون منها معظم ما على الأرض من مواد كجبال الجرانيت والرخام وكالأملاح العديدة المختلفة وغيرها ، مكونة من بلورات متلاصقة ؛ كما أن جميع الجمادات على الإطلاق مكونة من جزئيات صغيرة جداً (Molécules) ، وهذه الجزئيات مؤلفة من ذرات (Atomes) وقد اتضح بعد اكتشاف الراديوم والأجسام المتشعة المماثلة له أن الذرات مؤلفة من الكهارب (Électrons) وغيرها (تراجع المقالات النفيسة التي جاد بها أخيراً يراع عالمنا المصري الدكتور محمد محمود غالي على صفحات الرسالة عن تكوين المادة)

التركيب الكيميائي

تتركب الأجسام الحيوانية والنباتية من مواد زلالية ودهنية وسكرية كما بينا في مقالنا السابق . ويظهر أن عدم وجود المواد المذكورة بحالتها هذه في الجمادات قد جعلها من قديم الزمان الحد الفاصل بين الأجسام الحية والأجسام المعدنية، حتى أن الكيميائيين كانوا يفصلون فصلاً تامًّا بين المواد العضوية التي تستخرج من أجسام النباتات والحيوانات وبين المواد المعدنية، وأوجدوا بينهما هاوية سحيقة لا تعبر . ولكن العلم الحديث قد أزال هذا الحد وأثبت وحدة المادة

وأول ما يلاحظ هنا على مواد الأجسام الحية وعلى المواد العضوية عموماً ، أن العناصر المركبة منها وهي الأوكسيجين والهيدروجين والكربون والأزوت والعناصر الإضافية الاخرى موجودة جميعها في الطبيعة، وتدخل في التراكيب المعدنية التي لا عداد لها بحيث لا يوجد عنصر من العناصر خاص بالأحياء دون غيرها

والواقع أن المواد المسماة بالحية ، وعلى العموم المواد العضوية، مشتقة جميعها من الجمادات رأساً، وهي تتركب منها مباشرة في كل لحظة أمام أعيننا وعلى مرأى منا على الوجه المتقدم بيانه في المقال السابق . فمادة النباتات الخضراء (الكلوروفيل) تستعين بقوة الشمس وتحلل غاز الحامض الكربونيك المنتشر في الجو وتنزع منه الكربون وتمزجه بالماء فتتكون منه السكر والنشا والسيليلوز ومادة الخشب والمواد الدهنيـة والأحماض والقلويات العضوية الثلاثية . وفي الوقت نفسه تمتص جذور النباتات التراكيب الأزوتية من الأرض ، وهذه تمتزج بالمواد الكربونية سالفة الذكر بفعل قوة الشمس أيضاً فتتولد المواد الزلالية الحية

وما تنشئه الطبيعة بواسطة النباتات من هذه المواد قد أمكن للانسان أن يصنعه من مواد معدنية محضة ، فقد توصل الكيميائيون إلى تركيب معظم المواد الحيوانية والنباتية ومشتقاتها من الجمادات مباشرة كالسكر والنشا ، وبعض المواد الدهنية ، ومواد الصباغة ، وكثير من القلويات المستعملة في الطب ، وجميع العطور وغير ذلك . ومن المدهش الذي يدعو إلى الإعجاب الكبير أنهم صنعوا عطوراً اصطناعية لا وجود لها في عالم النبات حيث لا توجد زهور تقابلها

ويجدر بنا هنا أن نخص المواد الزلالية بكلمة على حدة لانها كانت إلى وقت قريب تعد معقل الحياة . فقد ثبت من تحليلها بطريقة علمية دقيقة أنها مكوّنة من امتزاج بعض الأحماض العضوية الأزوتية والفسفورية ببعض كالحامض التمليك وغيره . وما أن عرف العلماء

ذلك حتى أخذوا يمزجون بعض هذه الأحماض بعض على صور عديدة مختلفة . فنجحوا فى وضع الجيلاتين والبروتين وزلال اللبن (مادة الجبن) ، وزلال يدعى الكيراتين يدخل فى تركيب أظافر الإنسان والحيوانات الفقرية الأخرى . وهذا النجاح يبشر بقرب الوصول إلى تركيب المواد الزلالية العليا المسماة بالحية .

الشكل النوعى

فضلاً عما ثبت نهائياً وقطعياً من أن الكائنات الحية ليست ثابتة فى أشكالها ، بل إنها فى تغير وتحول مستمرين فى ملايين السنين بحكم ناموس التطور والتسلسل ؛ نقول إنه فضلاً عن ذلك فإن هذه الظاهرة (الشكل النوعى) ليست من جهة شاملة لجميع الأحياء لأن بعض المكروبات غير ثابتة فى شكلها ، بل إنها تتشكل حسب البيئة التى توجد فيها بحيث لا يمكن تمييز أنواعها إلا بمفعولها ، وكذلك الحال بالنسبة للأميبيا ، وبالنسبة لبعض أنواع النباتات الفطرية السفلى من فصيلة الميكزوميست التى سبق لنا الإشارة إليها فى المقال السابق . فإنه ليس لأفرادها شكل معين حيث لا غلاف ولا غشاء لخلاياها فى معظم الأحوال

ومن جهة أخرى فإن لكثير من الجمادات ، ونعنى بها الأجسام المبلورة ، أشكالاً ثابتة وهى أشكال بلوراتها الهندسية تميز كل نوع منها من غيره

وأوجه الشبه بين الكائنات الحية والأجسام المبلورة عديدة . فمن ذلك أن الأنواع المبلورة القريبة التركيب كيميائياً قريبة الشكل هندسياً ، كما أن الأحياء كلما اقتربت أنواعها اقتربت أشكالها

وكما يحدث أحياناً أن الأنواع الحية القريبة يتناسل بعضها من بعض مثل الحصان والحمار كذلك يحدث أحياناً أن الأنواع المعدنية القريبة كيميائياً تتبلور معاً مثل حجر الشب فإنه مؤلف من بلورات سلفات الألمونيوم وبلورات سلفات البوتاسيوم مشتبكة بعضها مع البعض

وهناك ظاهرة كان يظن أن الكائنات الحية اختصت بها دون الجمادات وهى استعداد أفراد الحيوانات والنباتات لإصلاح كل تشويه يحدث لها واستعادة شكلها الأصلى بقدر الإمكان ، فإذا جرحت يلتئم جرحها ، وإذا انقطع جزء منها لا يلبث حتى ينمو غيره مكانه ، وعلى الأخص فى النباتات والحيوانات السفلى وكذلك فى أطراف أعصاب الحيوانات العليا والإنسان . وهذا ما يحدث للبلورات المعدنية المحضة ، فإنه إذا كسرت بلورة من أحد أضلاعها ثم غطست فى سائل مشبع من مادتها أو فوق المشبع نراها تنمو على الأخص من جهة الجزء المصاب إلى أن يعود إلى حالته الطبيعية وشكله الأصلى فيأخذ مجموع البلورة فى النمو

تغذى الأحياء والجمادات

لعل التغذى هو أهم مظاهر الحياة وأكبر مميز للكائنات الحية ، ولكنه غير خاص بها أيضاً بل يحدث لكثير من الجمادات . ففقاعة الهواء التى تبدو صغيرة على قطعة المعدن ثم تكبر إلى أن تنتشر على كل سطحه إنما هى تتغذى فى الواقع من بخار الماء والحامض الكربونيك المنتشرين فى الجو ومن مادة المعدن القائمة عليها ، فتنمو وتتسع كما ينمو ويكبر الجسم الحى من التغذى . والبلورات الصغيرة المغموسة فى ماء مشبع من محلول مادتها تتغذى منها فتنمو وتصبح بلورات كبيرة

على أن خير مثال لتغذى الجمادات بالمعنى الحقيقى التام ما هو حاصل فى الآلات الميكانيكية فإنها تتغذى بالفحم أو البنزين أو البترول ، وما الوقود إلا غذاء تلك الآلات تحترق فيها فتولد الطاقة (القوة) اللازمة لقيامها بأعمالها كما يحترق الغذاء بعد هضمه وامتصاصه فى الأجسام الحية فيولد فيها الطاقة اللازمة للقيام بأعمال الحياة ووظائف الأعضاء ، وسنشرح فى مقال قادم ناموس بقاء الطاقة La loi de la conservation de l'energie وانطباقه على الكائنات الحية (بما فيها الإنسان) ، وحسبنا أن نقول اليوم إن جميع القوى التى تعمل فى الحيوانات (ومن بينها الانسان والنباتات حتى التفكير والقوى العقلية ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغذاء ، أو بعبارة أصح الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء

التنفس فى الأحياء والجمادات

ويلحق بالتغذى التنفس ، وهو أيضاً ليس مقصوراً على الأحياء لأن الجمادات التى تحترق بسرعة أو تتأكسد ببطء إنما هى تتنفس ، أى أنها تمتص الأكسيجين من الهواء وتفرز الحامض الكربونيك وهذا هو التنفس بعينه ، وقد عرف علماء الفسيولوجيا الحياة بأنها حريق أو تأكسد La vie est une combustion كما تقدم لنا القول ، وما الرئتان إلا مدخنة الآلة الحية الحيوانية ، توصل الأكسيجين إلى الجسم وتخرج منه الغاز الناتج من ذلك الاحتراق ، كما هو حاصل فى الآلات الميكانيكية من جميع الوجوه

تحرك الأحياء وتحرك الجمادات

وليست الحركة وقفاً على الأحياء ولا هى خاصة بها ، ولكنها تشمل الجمادات وتعم كل ما فى الكون من الأجرام الفلكية إلى أصغر الذرات وما هو أصغر منها مما اكتشف أخيراً ونعنى به الألكترونات أو الكهارب وغيرها .

ومن حركات الجمادات التى تشبه حركات الحيوانات الأولية الميكروسكوبية الحركة المعروفة باسم حركة براون Mouvement browenien فإننا نشاهد فى كثير من السوائل عند فحصها بالألترا ميكروسكوب أجساماً صغيرة جداً فى حركة مستمرة وهى لا يمكن أن تكون كائنات حية لأنها تشاهد فى السوائل السامة الكاوية التى تقتل الأحياء وجراثيمها فى الحال كالحامض الكبريتيك وغيره . ولا شك فى أن تحرك هذه الذرات ناتج من تحرك جزئيات المادة المستمر كما شرح الدكتور محمد محمود غالى ذلك أخيراً على صفحات الرسالة .

ومن حركات الجمادات التى تكاد تكون اختيارية حركة الأجسام تحت تأثير الجاذبية أو الألفة الكيميائية، فإنه بمجرد أن تشعر هذه الأجسام بقرب بعضها من بعض تتحرك وتنتقل من تلقاء نفسها إلى أن يتصل الواحد منها بالآخر كأنما يعشق بعضها بعضاً . وأمر حب بعض المواد الكيميائية لبعض معروف فى علم الكيمياء . فالماء مثلاً يصعد من تلقاء نفسه رغم جاذبية الأرض ويندفع إلى الطبقة العليا من الجهاز الخاص بمجرد إدخال غاز الكلور فى هذه الطبقة العليا ، ولا يهدأ له بال إلا إذا فاز بالوصل منه شأن العاشق الولهان . وما عاطفة الحب التى يتغنى بها القصصيون والشعراء من قديم الزمان إلا ظاهرة كيميائية محضة ترجع فى النهاية إلى تلك الجاذبية التى تدفع جراثيم التلقيح المذكرة (مثل الحيوانات المنوية وما يقابلها من النباتات) نحو بويضات الإناث مما سنشرحه فى مقال قادم

ومن حركات الجمادات تحرك نقط المواد الرغوية المعدنية المحضة من تلقاء نفسها كما تتحرك الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة واستمرار هذه الحركة بضعة أيام فى التجارب البديعة التى قام بها العالم البيولوجى بوتشلى . ولولا ضيق المقام لشرحناها بالتفصيل

على أن حركة الجمادات المماثلة لحركة الكائنات الحية من جميع الوجوه إنما هى حركة الآلات الميكانيكية نتيجة احتراق الفحم أو البترول أو البنزين فيها كما أن حركة الأحياء هى نتيجة احتراق المواد الغذائية فى العضلات المحركة لها

التأثر فى الأحياء وفى الجمادات

نقول إن التأثر ليس خاصاً بالأحياء بل إنه يوجد فى كثير من الجمادات، وإذا شئت فقل فى كلها مع التفاوت . فالمواد المفرقعة تتأثر بل وتغضب وتنفجر عند أقل لمس . ومواد التصوير الشمسى تتأثر بالضوء ، ولهذه المناسبة نذكر أمر اللوحات الفتغرافية الملونة ، فإنه إذا سلط عليها نور أحمر تلونت فى الحال باللون الأحمر، وإذا سلط عليها النور الأخضر تلونت فى الحال باللون الأخضر . فأملاح الفضة التى على هذه اللوحات لا تتأثر فقط بالضوء بل كأنها تدافع عن كيانه ضده لأنه يقتلها بأن يحللها ويحولها إلى مواد أخرى . فعند ما يسلط عليها النور الأحمر تتلون فى الحال باللون الأحمر لأن هذا اللون يمنع دخول الأشعة الحمراء؛ وكذلك الحال عند ما يسلط عليها النور الأخضر أو غيره . أفلا تكون غريزة حب البقاء القائمة فى الإنسان وفى جميع الحيوانات من نوع هذه الظاهرة الغريبة ؟ وما الفرق بين هذه اللوحات الفتغرافية — هذه الجمادات المحضة — وبين بعض الحيوانات التى تتلون بألوان مختلفة حسب البيئة التى توجد فيها

ومن الأمثلة على تأثر الجمادات ما هو معروف فى علم الصوت من أنه إذا دق إنسان على وتر من آلة موسيقية ، فإن الوتر المقابل له فى الآلة القريبة منها يتأثر ذاتياً ويهتز من تلقاء نفسه اهتزازاً خفيفاً ، ولكنه يظهر جلياً بواسطة الآلة المكبرة للصوت

وقد وضع السير بوز العالم البيولوجى الهندى الكبير الذى زار مصر سنة ١٩٢٨ جهازاً دقيقاً بديعاً لإثبات تأثر المعادن بالكهرباء يدل على أنها تتعب وتضعف اهتزازاتها إذا تكرر تسليط الكهرباء عليها مدة طويلة متعددة . وإذا استراحت مدة من الزمن عادت الاهتزازات التى تحدثها فيها الكهرباء إلى قوتها

النتيجة

يتضح من كل ما تقدم أنه لا يوجد أى فرق جوهرى بين الكائنات الحية وبين الجمادات ، وأن كل ظواهر الحياة توجد فى الجمادات ، بل إن بعض البيولوجيين يرجحون أن الجزء الحى فعلاً فى الحيوانات (ومن بينها الإنسان ، وفى النباتات هو المواد

الموسيقى الإيرانيـــة

للأستاذ محمد السيد المويلحي

لم يتح للموسيقى المصرية لسوء الحظ - ولسبب لا أدريه - أن تشترك فى الاحتفاء بمقدم سمو ولى عهد إيران، كما فاتها حظ الاشتراك مع باقى الفنون العليا فى التعبير عما خالج مصر من عواطف الفرح وخوالج البهجة والمرح . اللهم إلا تلك الحفلات الهزيلة الشاحبة التى لم تقو على إعطاء سمو ولى العهد الإمبراطورى الصورة الحقة للنهضة الموسيقية المصرية الشابة التى طفرت إلى ذروة رفيعة مرموقة مومُوقة ... !

وقد سمعت بعض الشائعات التى تقول بأنها أبعدت لأنها غير مفهومة من سموه ؛ فعجبت لهؤلاء الذين طيروا هـذه الشائعات لأنهم لا يعلمون أن موسيقانا بل وجميع الموسيقى الشرقية إطلاقاً من أصل فارسى ؛ فكيف تنكر الأذن موسيقى نشأت على سماعها منذ الصغر ؟ وكيف لا يستسيغها سموه وهى التى خلقت فى وطنه ؟ إن العبرة ليست بالكلام العربى أو الإيرانى وإنما بالموسيقى التى تصور وتترجم فى حدود الذوق الشرقى !

إن (السلّم) العربى لم يخلق فى مكة أو المدينة ولا فى تركيا أو مصر، وإنما خلق كما هو الآن فى إيران ثم انتقل إلى بلاد العرب حين غزوها للفرس مع باقى الفنون والعلوم الإيرانية. وظل هكذا حتى انتقل إلى بلاد الترك الذين عرفوا كيف يستخدمونه جيداً فركبوا منه نغماتهم وموسيقاهم التى أضفت على الموسيقى الشرقية لوناً زاهياً واستحدثوا نغمات : النوا أثر ، وشط عربان ، والحجاز كاركرد ، والفرح فزا ، والكرد ... الخ

وليكون القارئ على بينة بالسلم سنكتبه له :

(١) يكاه (٢) نيم قرار حصار (وهى لفظة إيرانية يسميها الترك (كابا) (٣) قرار حصار (٤) تيك قرار حصار (٥) عشيران (٦) نيم قرار عجم (٧) قرار عجم (٨) عراق (٩) كَوشْت (١٠) تيك كوشت (١١) راست (١٢) نيم زيركولا (١٣) زيركولاه (١٤) تيك زيركولاه (١٥) دوكاه (١٦) نيم كرد (١٧) كرد (١٨) سيكاه (١٩) بوسالك (٢٠) تيك بوسالك (٢١) جهاركاه (٢٢) نيم حجاز (٢٣) حجاز (٢٤) تيك حجاز

***

هذا هو السلم الفارسى الذى استعمله الشرق قاطبة واستخرجوا منه حسب استعدادهم الفنى وقدرتهم الموسيقية أنغامهم وألوانهم التى تتفق وأذواقهم ومشاربهم ، وهو يتكون من ديوان (أوكتاف) سبعة مقامات: ثلاثة كبيرة وأربعة صغيرة (وهى التى يتكون منها النغم الشرقى الذى لا يعرف الماجيور ، والنيور أو الميجيير والمنير كما ينطقها الفرنسيون ...

المعدنية الغروية التى تدخل كميات قليلة منها فى تركيب خلاياها . وقد ثبت أن المادة الحية تشتق رأساً من الجمادات على الدوام تحت أعيننا وعلى مرأى منا بفعل قوة الشمس بواسطة مادة النباتات الخضراء (الكلوروفيل) بحيث لا يوجد عنصر خاص بالأحياء . كما أن القوى التى تعمل فى الأحياء وتديرها هى من القوة الطبيعية المحضة ومشتقة منها وليس شىء آخر خلافها

وكلما تقدم العلم تلاشى ذلك الخيال الذى كانوا يعتقدون فيما مضى أن له وجوداً خاصًّا قائماً بذاته مستقلاً عن المادة . وما الحياة فى الواقع إلا تفاعلات كيميائية أو بالأحرى طريق بطىء أو تأكسدات مستمرة ، فهى ظاهرة طبيعية مثل باقى ظواهر الطبيعة

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

وقد ابتكر الإيرانيون النغمات الآتية التى لم يكن الشرق يعرفها حتى سمعها منهم وهى :

الدوكاه (البياتى) والأصفهان ، والعجم عشيران ، والعراق والحجاز ، والسيكاه ... الخ ...

وهى نغمات فارسية أصيلة تدل على قدرة عالية ومكنة متمكنة لا حد لها ... !

قد يقال إن السلم عربى، ولكن الأسماء هى الفارسية؛ وربما يستدل على هذا بما قاله الدكتور (هنرى فارمر) من (أن ابن مسجح تعلم فن الغناء الفارسى ، وتلقى أيضاً بعض الدروس عن الموسيقيين الروم العازفين منهم على (البربطين) وعلماء الموسيقى النظرية ، واستعان بما تعلمه فى غربته على وضع نظام للنظرية الموسيقية رضى به رجال الموسيقى فى عصره . على أن هناك ما يدلنا على أن ابن مسجح رفض الطرق الفارسية والرومانية التى رآها غريبة عن الموسيقى العربية . ومن هذا يستدل على أن هذه النظم الموسيقية المنقولة من الخارج لم تكن سابقة لنظرية الموسيقى الوطنية العربية .

قد يقال هذا ، ولكن أليس فارمر هو القائل :

« ليس من العسير الوصول إلى معرفة الزمن الذى انتقل فيه العرب فعلاً من طريقة الديوان الواحد (الأوكتاف) إلى طريقة الديوان المضاعف أو الجمع التام ، فنى أيام إسحق الموصلى والكندى ويحيى بن على والفارابى وإخوان الصفاء كانت أوتار العود الأربعة تسمى من الأعلى إلى الأدنى : زير، مثنى، مثلث، بم، والاسمان الأول والأخير فارسيان »

فكيف يستعين الإنسان بأسماء غريبة عن لغته .

ثم يدعى بعد هذا أن السلم له ؟ إن العقل ليقف قليلاً متسائلاً :

كيف يوفق العرب إلى خلق السلم ثم لايوفقون إلى خلق الأسماء فيسمونها بأسماء إيرانية بحجة أن نفوذ الفرس أدّى إلى هذا !

ثم إذا فرضنا جدلاً أن السلم لا يمت إلى الإيرانية إلا بالأسماء فقط فكيف عجز العرب إلى اليوم عن تعريبها وتسميتها بأسمائها ؟ !

هذا من الناحية الشكلية والعقلية (للسلم) الذى لا نزال نستعمله إلى اليوم بأسمائه الإيرانية من مئات السنين . وقد حرصنا ألا نسهب فيه من الناحية التحليلية الفنية البحتة حتى لا يتسرب الملل إلى نفس القارئ . أما من الناحية التاريخية فإن الفرس قد سبقوا العرب فى الاهتمام بالموسيقى اهتماماً عظيماً حتى تأثر العرب بها تأثيراً كبيراً ، و « طويس » أول من غنى بالعربية غناء إيقاعياً، تعلم الغناء من الفرس ، وكذلك سائب خاثر الذى تأثر بنشيط الإيرانى ونقل مثل غنائه إلى العربية وحاكاه فى العزف على العود بعد أن كان العرب لا يعرفون فى غنائهم إلا (القضيب)

وابن مسجح الذى احتج به الدكتور هنرى فارمر كان أول من نقل الغناء الفارسى إلى العربية وقد أخذ عنه ذلك — كما قلنا قبلا — ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريض .

* * *

ولعل فى هذه العجالة الصغيرة ما يعطى القارىء صورة عن الموسيقى الإيرانية ؛ وفضل الفرس فى هذا الميدان الذى سبقوا جميع الشرق فيه حتى يعلم الجميع أن الموسيقى لم تقم بواجبها الحق أو لم تمكن من ذلك أمام سيد البلد الذى ترعرعت فيه الموسيقى وازدهرت ازدهارا نقل عنه الجميع ...!

محمد السيد المويلحى

عطف ملكي كريم

تلقينا من ديوان حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء هذا الكتاب الكريم الذى نتشرف بنشره :

حضرة المحترم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

أتشرف بإبلاغ حضرتكم الشكر السامى على النسخة التى قدمتموها إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من عدد الرسالة الممتاز الخاص بالهجرة .

وتقبلوا حضرتكم وافر الاحترام ؟

كبير الأمناء
محمد سعيد ذو الفقار

تحريراً فى ٢٦ مارس سنة ١٩٣٩

حول انسانية الرسول

قد قرأت ما كتب الدكتور زكى مبارك فى إنسانية الرسول فى العدد ٢٩٧ من الرسالة الغراء ، وقرأت ما عقب به الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى العدد ٢٩٨ ، فوجدت كلا منهما قد غلب على قلمه فغالى فأخطأ . ومغالاة الأستاذ الصعيدى وخطؤه على قلته أعجب عندى من مغالاة الدكتور زكى مبارك وخطئه على كثرته . فالدكتور لم يتضلع من علم الأزهر ولا من فقه الإسلام وإن كان قد تقدم للعالمية المؤقتة منذ عامين . والقدر الذى عرفه فى الأزهر أيام كان أزهريًّا قد عفت عليه السنون الكثيرة التى قضاها خارج الأزهر فى جو غير جوه الدينى ، بين القاهرة وباريس . ومن هنا الغلطة التى أخذها عليه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى من تصويره شخصية الرسول غير مدروسة حق الدرس فى البيئات الإسلامية . ومن هنا المعانى الشاذة الأخرى التى يعرفها القارئ فى لحن مقاله مما لا يسنده فيه كتاب ولا سنة ولا عقل : من نحو أن النبوة تكتسب ، وأن وحى السماء ينزل على قلب الإنسان كل آن لو وعاه كأنما الوحى الذى كان ينزل على الرسول صلوات الله عليه هو من هذا الذى يسميه الدكتور وحياً يهبط كل وقت من السماء !

هذا وأمثاله ليس غريباً أن يقع فيه مثل الدكتور زكى مبارك لأنه لو لم يقل هذا لقال كما تقول جماعة المسلمين . ولكن الغريب أن يقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى خطابه : « والذى يعرفه المسلمون جميعاً أن الوحى لم يكن له مع النبى صلى الله عليه وسلم شأن فى أمور الدنيا » . هذا غريب من القول فيه غلو كبير من غير شك ، وعبارته من غير شك أعم كثيراً من المعنى الذى إليه قصد . فتأبير النحل الذى ضربه مثلاً ليس هو كل أمور الدنيا ، ولا هو مثال لأهم أمور الدنيا ، وإنما هو مثال لدنيا الناس التى يعرفونها بالتجربة من نحو حرث وزرع وسقى وصناعة، فهذه لم يأت الدين ليعلمهم إياها وإنما وجههم إلى البحث فيها ووكلهم فى التفاصيل إلى نتائج بحثهم وتجاربهم . أما غير هذا النوع من أمور الدنيا فالإسلام قد هدى الإنسان فيه ، وهداه فيه بالوحى ، كما يعرف الأستاذ من الآيات الكثيرة المتعلقة بالأحكام فى القرآن . فليست هناك ناحية من نواحى الحياة إلا وقد شملها الإسلام بهديه ووحيه حتى ما يأكل الإنسان وما لا يأكل ، وما يشرب وما لا يشرب ، وما يلبس وما لا يلبس ، وما يبدى من جسده وزينته وما لا يبدى ، وحتى الاستئذان قبل الدخول والسلام عند الدخول لم يهمل الإسلام تأديب الإنسان فيه . فإذا كانت هذه الأمور وأمثالها ليست من أمور الدنيا فما هى أمور الدنيا يا ترى ؟

إن الأمثلة التى ساقها الأستاذ فى خطابه على أنها من أمور الدين أكثرها من هذا القبيل كعتاب الله سبحانه لرسوله فى إذنه فى غزوة تبوك لبعض من استأذنه من المنافقين فى القعود ، وفى قبوله الفدية ممن قبل منهم من أسرى بدر . هذا كله من أمور الدنيا فى الصميم . وإذا لم يكن القتال وأموره من أمور الدنيا فماذا يكون؟ طبعاً هذا كله أيضاً من أمور الدين، وهذا بالضبط هو الدليل الذى لا ينقض على أن أمور الدنيا فى الإسلام جزء من أمور الدين

بقيت نقطة فى خطاب الأستاذ كان يحسن أن يحتاط لها فيستتمها ولا يتركها كما تركها . فقد قال إن أكثر العلماء جوزوا

على النبي صلوات الله عليه الاجتهاد فى أمور الدين بدون الوحى « وجوزوا عليه الخطأ فيها أيضاً » وسكت عند هذا ، ولا عند هذا يكون السكوت ، فإن إطلاق القول هكذا يوهم أن كثرة العلماء أو قلتهم ترى أن بعض أحكام الدين التى جاءتنا عن الرسول يجوز أن تكون خطأ فى ذاتها . هذا هو لازم القول بتجويز الخطأ على النبي فى الاجتهاد من غير تنبيه إلى الحقيقة الكبرى وهى أنه ما من خطأ اجتهادى وقع فيه النبي إلا وقد نبهه إليه الوحى وصححه له . ومن هنا الأمثلة غير الكثيرة التى عاتب الله فيها رسوله فى القرآن . فكل ما لم يعاتب فيه النبي ، وكل ما لم ينبّه هو صلى الله عليه وسلم الناس إلى خلافه هو من الدين طبق مراد الله سبحانه ، وإلا لأرشد سبحانه نبيه ورسوله إلى الصواب فيه

هذا ما نرى أن الأستاذ الصعيدى كان عليه أن يحتاط فيه للناس فينبه إليه حين كتب ذلك الخطاب . والسلام على الأستاذ .

محمد احمد الغمراوى

اصلاح بيتين فى مجلتين

قال أديب فى مجلة مشهورة شهرية : « إن قول عدىّ بن زيد العبادى :

ويلومون فيك يا ابنة[1] عبدا الـ له والقلب عندكم موثوق

خطأ، والصواب: موثق »

وعدى لم يقل (موثوق) ، بل قال : موهوق ، والموهوق المحبوس ، ووهقه حبسه ، والبيت من شواهدهم

***

وروى (فاضل) فى مجلة مشهورة أسبوعية بيتاً فى أبيات لأحد الشعراء ، والبيت هو :

وقبة ملك كأن النجوم تفىءُ إليها بأسرارها

والأبيات لعلى بن الجهم صاحب (عيون المها ...) وقد حرم بيتَه ذاك الرواية الصحيحة فى كل موضع ورد فيه ، فكتاب ذكر تفىءُ وميم النجوم فى آخر الصدر ، ومجموع قال تصنى والميم المذكورة فى أول العجز . وإنى لموقن أن علياً قال :

وقبة ملك كأن النجو م تفضى إليها بأسرارها

وأفضى إليه بسره أعلمه به . والبيت من المتقارب ، ومن المعلوم أن بحر هذا الشعر تتلاق فيه العروض الصحيحة (والقبض فيها أحسن من التمام) والعروض المحذوفة . وقد بلبل[2] ترتيب الصدور والأعجاز فى أبيات هذا البحر كثيراً من الشعراء والأدباء — من شوقى والعقاد[1] فنازلا — لتلاق تلك الأعاريض التى تطول وتقصر ...

(***)

مسلمو يوغوسلافيا

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة :

قرأت مقالكم الشائق « رسالة الأزهر » وأعجبت به وهزتنى نشوة الطرب لأنه بشير بعدة مقالات لعلى بصرخاتكم الاجتماعية والدينية الاستنهاضية

بيد أننى قد رأيت فى حكمك على مسلمى يوغوسلافيا شيئاً من الشدة لعل سببها عدم إلمام الذى رويتم عنه — بأحوال المسلمين هناك ، وإنى مسلم عربى أعرف أحوال المسلمين فى يوغوسلافيا وأدواءهم لأنى عرفت القوم وعاشرتهم وأقمت بين ظهرانيهم

لذلك أعلن أن البوسنيين والهرسك وهما العنصران اللذان يدينان بالإسلام فى يوغوسلافيا — لا يؤمنون بالصوفية الزائفة ولا يدينون بالخرافات، إلا أن فيهم جهالاً وفى طباعهم شىء من الشدة وفى تمسكهم بالدين شىء من العصبية لعل سببها أنهم مطوقون بالأمم الأجنبية التى لا تعتقد عقيدتهم ولا تدين بدينهم

ولئن كانوا يمتازون عن مواطنيهم بشىء فإنما يمتازون عنهم بطرابيشهم الحمراء القانية وعمائمهم البيضاء الناصعة، ثم بجرأة المسلم وعزة المؤمن والنشاط الإسلامى الذى لا يلهى بدنيا ولا يصرف عن دين

ولئن كانت العجمة والأمية تحولان بين المسلم الأوربى وبين دينه ، فطغيان العامية وانتشار الأمية ، وشظف العيش ، وأعاصير السياسة وعسف السلطات ، والأمراض الفتاكة فى الشرق العربى كفيلة بصرف المسلم عن دينه والحيلولة بينه وبين فهمه .

ولقد طفت الشمال الأفريقى كله وتجولت فى مصر ، والشام ، والحجاز والعراق ، واختلطت بالعامة وتغلغلت فى طبقات المتعلمين فما وجدت فرقاً بين هذه الشعوب .

وما أراها أحسن حالاً من مسلمى يوغوسلافيا ولا سيما إذا صرفنا النظر عن طائفة القرويين فى مراكش ، والزيتونيين فى تونس، والأزهريين فى مصر، وجماعة النجف الأشرف فى العراق

فالمسلم العامى فى يوغوسلافيا لا يختلف فى عقيدته ، وعقليته ، وعاداته عن أخيه المسلم العامى فى الشرق العربى، والمسلم اليوغوسلافى

(١) بعضهم يحذف ألف ابنة فى النداء

(٢) بلبل فى اللغة معناها هو لا كثر مما نريده فى هذا المقام

(١) إن كان نظمه فى المتقارب كما سطره الأستاذ سيد قطب فى مقالاته (بين العقاد والرافعى) فى « الرسالة » الغراء

الذى نزح إلى الشرق ودرس اللغة العربية لا يختلف عن أخيه المسلم الأزهرى ، والمسلم اليوغوسلافى الذى تخرج فى مدارس يوغوسلافيا المدنية لا يبعد عن أخيه المسلم المصرى الذى تخرج فى جامعة فؤاد الأول . على أن المسلم اليوغوسلافى لا يألو جهداً فى فهم دينه بواسطة العلماء والكتب المترجمة ، والتفاسير المنقولة إلى لغته أوغير لغته؛ أما كون هذه التفاسير أوتلك الكتب صحيحة أو غير صحيحة ، فهذا ما نوجه السؤال عنه إلى مشيخة الأزهر .

والحقائق المرة التى نقررها والأسف يملأ جوانحنا هى أن الجهل لا يزال منتشراً بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وأن الذين فهموا الدين أو قاربوا نهجه من المتعلمين لم يتجاوزوا العدد القليل بعد، وأن الجهل سبب ويلات المسلمين أينما حلوا، وأن الأزهر لم يؤد رسالته على الوجه الأكمل بعد، وأن مصر لم تقم بأعباء الزعامة الإسلامية التى تطفح بها صحفها صباح مساء ، وأن الأغلبية من المفكرين والشباب الإسلامى فى مصر لا يعلمون عن إخوانهم فى الأقطار النائية قليلاً ولا كثيراً

حمداً لك يا حضرة الأستاذ وشكراً على اهتمامك بإخوانك وعنايتك بقضيتهم . وإنا معشر الغرباء والضيوف نهيب بحضرتك وحضرات السادة قادة الفكر الإسلامى ، أن تؤدوا زكاة أقلامكم وتبذلوا لإخوانكم المسلمين شيئاً من عنايتكم وتنشروا عنهم الحقائق الصحيحة حتى يعلم قراؤكم العرب أن لهم إخواناً يمدون أيديهم للتعارف . وأملنا وطيد ورجاؤنا أكيد أن تعالج أنت القضية الإسلامية كما عالجت فى الشهور الماضية قضية القضايا (الغنى والفقر) ، ورسالتكم كفيلة إن شاء الله بتحقيق كل أمنية ، لأنها منتظرة كالحبيب، شافية كالمطهر، منتشرة كالقمر، محبوبة كالعافية. ونسأل الله أن يحقق آمالنا ويصلح أعمالنا ويوفقنا إلى فهم ديننا

على محمد رفعت

مسلمون فى فنلندا

هذا عنوان المحاضرة الطريفة التى ألقاها الدكتور بشر فارس فى قاعة جمعية الشبان المسلمين فى الأسبوع الماضى . وأولئك المسلمون لم يسمع بأمرهم قبل رحلة الدكتور بشر إلى بلاد الشمال سنة ١٩٣٤ . فلما لقيهم هنالك تتبع آثارهم وفحص عن أحوالهم الدينية والثقافية والاجتماعية وبحث فى شؤونهم القومية والقانونية فخرج برسالة وجيزة نشرها سنة ١٩٣٥ باللغة الفرنسية فى مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة فى باريس

والمحاضرة جمعت بين الوصف والإخبار والتقرير . وقد قسم المحاضر الكلام ، فتناول الدين والثقافة والقومية وشؤون المرأة على الترتيب ، ثم تلا القرار الذى به اعترفت الحكومة الفنلندية بالدين الإسلامى وأعقبه بقانون الطائفة الإسلامية الفنلندية وهو على خمس وعشرين فقرة تحدد واجب أبناء الطائفة وتعين معاملة بعضهم لبعض وغير ذلك من الشؤون الخاصة

وبعد المحاضرة أبرز الدكتور بشر بعض صور بالفانوس السحرى؛ منها صورة الإمام، وثانية لزفاف بنت الإمام، وثالثة لدكان أحد المسلمين الأغنياء، وأخرى لفرقة كرة القدم

وقد وقعت المحاضرة عند السامعين ألطف موقع لما اشتملت عليه من البيانات الجديدة فى عبارة فصيحة وأسلوب جذاب .

اللغة العربية وتدريسها فى بعض جامعات الصين

ورد من « هونغ كونغ » عاصمة الصين المؤقتة ، أن وزارة التربية والتعليم هناك قررت تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى ثلاث من جامعاتها ابتداء من العام الدراسى المقبل ، واختارت لهذا الغرض ثلاثة من أعضاء البعثة الصينية بالأزهر الشريف ، هم : السيد محمد مكين والسيد عبد الرحمن ناجون والسيد بدر الدين هاى ويليانغ

وسيتولى الأول تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الجامعة المركزية بهونغ كونغ ، والثانى فى جامعة يونان بكوتمينغ حاضرة مقاطعة يونان ، والثالث فى جامعة شمال الصين الغربى بخانغ شونغ فى مقاطعة شينسى

ونذكر لهذه المناسبة أن السيد ناجون نال شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٣٦ ، ونالها السيد هاى ويليانغ عام ١٩٣٧ أما السيد مكين فقد نال شهادة الأهلية من الأزهر عام ١٩٣٥ وسيتقدم لنيل أجازة التدريس من دار العلوم فى الصيف القادم

رقص ورقص

سيدى الأستاذ الزيات :

طالعت اليوم مقال الأستاذ العقاد (رقص ورقص) وقد ملأنى

الحماس والفرح وكلما اكتملت جمهرة من الإخوان قرأت على مسامعهم تلك الكلمات الحقة التي أجمع الكل على صحتها، فهو يعبر فيها عما يخالج كل مصرى يهوى الموسيقى . وقد اتفق صدور المقال فى يوم الذكرى الثانية عشرة بعد المائة لوفاة الموسيقى العظيم بيتهوفن ، وأحيت محطة إذاعة أنقرة (التركية) تلك الذكرى بمقطوعات من ذلك الشاعر الموسيقى . وفى اليوم السابق سمعت أغانى وطنية من محطة روما . والحقيقة أن الإنسان قد حرم على نفسه المقارنة أو المشابهة لأنها كانت تنتج الحسرة والألم

انعقد مؤتمر الموسيقى الشرقية منذ أعوام وجمع أغانينا وسجلها على أقراص احتفظت بها وزارة المعارف ، وقرر التمسك بالموسيقى المصرية لمصر ، وما كانوا إلا مؤتمرين هازئين بالموسيقى الشرقية ولا حاجة بى أن أردد شعورهم نحونا لأنه مفهوم . وقد كتبت مرة فى المجلة الموسيقية أحبذ نشر الموسيقى الأسبانية لأنها سلالة من الأغانى العربية درسها الأوربيون وتتلمذوا عليها ثم كيفوها حسب طبيعتهم ، وتغنوا بها ، فصارت عالية تعبر عن الشعور والإحساس والعواطف . وأمامنا الموسيقى الروسية ، وهى تلائم شرقيتنا . ولم لا تبدأ مراقبة الموسيقى بوزارة المعارف فى تعليم الناشئة أغانى الأطفال التى أصبحت عالية يتغنى بها الطفل الإنجليزى الألمانى والهولندى وغيرهما كل بلغته ، وهى سهلة سائغة محببة للنفس. تلك كلمات سريعة أذكرها وأفوض لأستاذى العقاد وللفنان المويلحى أمر تلك المسألة الحيوية

« أسيوط » دكتور حسن ابراهيم وهبه

حول عياش بن أبى ربيعة

حضرة أستاذنا الزيات

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأت بالعدد رقم ٢٩٧ من الرسالة للأستاذ كامل محمود حبيب قصة إسلام عياش بن أبى ربيعة وافتتانه ثم عودته إلى حظيرة الإسلام بعد أن نزلت الآيات : « ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ... » إلى آخر الآيات الشريفة غير أن الحقيقة المذكورة فى كل مراجع السيرة هى أن الآيات لما كتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسلها إلى هشام ابن العاص (الثالث الذى واعدهم على الهجرة) لا إلى عياش (كما هو مذكور فى قصة الأستاذ)

فعمر رضى الله عنه يقول :

— « فكتبتها بيدى فى صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص »

وقال هشام فى ذلك :

— « فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى . . . » إلى آخر حديث هشام

(المنصورة) درويش الجبل

تنبيه مهم

وقع فى الآية الكريمة التى استشهدت بها فى آخر مقالى فى العدد الماضى من الرسالة تحريف بتقديم كلمة « الكافرين » على كلمة « المنافقين » وصحتها : (إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً) فأرجو كل قارئ أن يتفضل بتصحيحها فى العدد الذى عنده

الغمراوى

في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

— ٣ —

يعلم الله أننا ما نقصد بنقدنا هذا تجريح الأستاذين الفاضلين والعالمين الجليلين العوامرى بك ، والجارم بك . فإن حقهما علينا مرعى ، ومقامهما لدينا كبير . وإنما أشفقنا على العربية التى وقفنا حياتنا على خدمتها أن يشيع فى طبقات أهلها ما اعتقدناه مجانباً للصواب ومتجانفاً من الحقيقة التى ننشدها وينشدها معنا صاحبا العزة الشارحان للكتاب

أشفقنا على الحقيقة أن يضل الناس فى أمرها ، وقد شاع الكتاب وذاع وانتشر فى شرق وغرب، وتناوله كل أديب واحتواه قمطر كل طالب . فأحببنا أن يصحح كل قارئ نسخته ليقرأه بعد ذلك سليماً وليجعله إلى الصواب محجة لا أمت فيها ولا عوج

ودليلنا على حسن النية أننا لا نعترض إلا على خطأ لا سبيل إلى التماس الصواب فيـه ، فأما الذى يحتمل الصواب ولو بوجه من الوجوه ، وأما الخطأ الذى لا يوجب ارتباكاً فى الفهم ، فقد تركنا كل ذلك اتكالاً على فهم القارئ واجتناباً لأن نتهم بالاستكثار من عد التهم والرمى بها جزافاً

فى ص ٣٣ فى رسالة سهل بن هارون التى يخاطب بها بنى عمه يقول :

« وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإلا إصلاح فسادكم وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم »

والكلام واضح لا يحتاج إلى تفسير ، ولكن حضرتى الشارحين يأبيان إلا شرح ما لا يحتاج إلى شرح فهما يقولان :

« قوله (فيما بيننا وبينكم) . (فى) هنا للسببية أى بسبب ما بيننا وبينكم من صلة القرابة أى إن عدم خطئنا سبيل حسن النية إنما هو بسبب ما بيننا وبينكم من صلة »

وهذا كلام ظاهر التكلف : فيه تكلف فى اللفظ بإخراج لفظة (فى) عن معناها الأصلى إلى معنى السببية ، وفيه تجوز فى معنى الكلام وعدم إجراء له على وجهه التبادر . وإنما المعنى المفهوم الذى تدل عليه الألفاظ بوضعها الحقيقى الأول هو : إننا لم نكن غير حسنى النية فى الأمر الذى نحدثكم فيه وهو تصويب الرأى فى البخل وعده حزماً وحيطة

هذا هو الأمر الذى بينهم وبينه وهو الذى بنى عليه رسالته من أولها إلى آخرها . أفرأيت أيها القارئ أننا لم نكن بحاجة إلى جعل فى للسببية وتفسير ما بينه وبينهم بالقرابة وهى لم يجر لها ذكر فى الرسالة؟

فى ص ٣٤ يقول سهل : « إن من أعظم الشقوة وأبعد من السعادة أن لا يزالُ يتذكر زلل المعلمين »

وفى الشرح يرتكب الشارحان خطأ ظاهراً بجعلهما أن فى قوله « أن لا يزال » مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لا يزال خبر لها . وقد تبع ذلك أن ضبطا الفعل يزال بالضم لأنه فى نظرهما لم يسبق بناصب ولا جازم ، كما تبع ذلك أيضاً أن فصلا أن من لا فى الرسم لأنها حين لا تكون ناصبة تفصل من حرف النفى

ولسنا بحاجة إلى الإطالة فى شرح هذا المقام وبيان ضرورة جعل أن مصدرية ناصبة للفعل ، لأن شرط جعلها مخففة من الثقيلة أن تكون مسبوقة بيقين أو ظن ، ولم يسبقها هنا شىء من ذلك

وهذه قصة صغيرة وردت ضمن رسالة سهل نوردها لحسنها فى ذاتها أولاً ، ولنذكر بعدها تعليقاً للشارحين على جملة منها أعرباها إعراباً غريباً ثم شرحاها شرحاً مضطرباً ينقض آخره أوله وهذه هى القصة ص ٤٦

« حدث أحمد بن رشيد قال: كنت عند شيخ من أهل مرو وصبى له صغير يلعب بين يديه فقلت، إما عابثاً وإما ممتحناً: أطعمنى من خبزكم. قال: لا تريده، هو مر! فقلت : فاسقنى من مائكم. قال:

لا تريده، هو مالح! قلت : هات من كذا وكذا قال : لا تريده، هو كذا وكذا ، إلى أن عددت أصنافاً كثيرة . كل ذلك يمنعنيه ويبغضه إلى . فضحك أبو وقال : ما ذنبنا ؟ هذا من علمه ماتسمع. يعنى أن البخل طبع فيهم وفى أعراقهم وطينتهم »

أما الجملة التى نؤاخذهما على إعرابها وشرحها فهى « هذا من علمه ما تسمع » فقد أعرباها هكذا : هذا مبتدأ و (من علمه) جار ومجرور خبره وما بدل من ذا فى هذا » وهذا الإعراب خطأ لا يبرره أى تمحك مما اعتاد المعربون أن يلجئوا إليه ، لأن الإعراب فرع المعنى كما يقولون

فلننظر قبل فى المعنى الذى فهمه الشارحان من الجملة . قالا : «أى هذا الذى تسمعه ناشىء من علمه ولم يلقنه بل هو من سجيته»

وهذا كلام متناقض، كيف يكون الذى تسمعه ناشئاً من علمه ثم يكون لم يعلمه ولم يلقنه ؟ وهل العلم إلا بالتعليم ، فكأنهما قالا : تعلمه ولم يتعلمه فيكونان قد أثبتا شيئاً ثم نفياه فى حال واحدة

إنما المراد لقائل الكلام هو أن هذا الذى بدا من كلام الصبى لم يصل إليه من طريق التعليم ولا التلقين وإنما هو وحى الطبع وإرشاد السليقة؛ وإذا كان كذلك فهو غير داخل فى باب التعليم وإنما هو إلهام وغريزة مركبة فى النفس . وحضرتا الشارحين أولى منا بفهم الفرق بين الغريزة والكسب لأن هذا من مباحث علم النفس الذى طلباه فى أوربا وبه امتازا على إخوانهما ونالا مناصبهما العالية

ومن أجل ذلك وجب أن تقرأ الجملة هكذا : « هذا من علمه ما تسمع » ويكون الكلام على الاستفهام الذى يراد به النفى وتكون الإشارة فى « هذا » إلى الصبى . والمعنى أن هـذا الصبى لم يعلمه أحد ما صدر منه فى جواب الممتحن وإنما أجاب بما ركز فى طبعه وثبت فى نفسه من طبيعة البخل المتوارثة فى قومه

فى ص ٦٦ فى حديث بخيل عرف فضل ماء النخالة فى شفاء السعال وفائدته فى الغذاء ، فقال لامرأته : « لم لا تطبخين لعيالنا فى كل غداة نخالة فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة ، ثم تجففين بعـد النخالة فتعود كما كانت فتبيعين إذاً الجميع بمثل الثمن الأول ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين »

ويعلق الشارحان على عبارة « فتبيعين الجميع بمثل الثمن الأول » بقولها : « الجميع أى دقيق القمح ونخالته . أما الدقيق فلأنه باق على حاله ، وأما النخالة فلأنها عادت بالجفاف كما كانت »

سبحان الله! ما رأيت تكلفاً كتكلف هذا الشرح. من أين جاء الشارحان بالدقيق وهو لم يرد له ذكر فى الكلام ؟ ومن أين لهما هذا الخيال الذى تصورا به أن هـذه الأسرة قد استغنت بماء النخالة عن كل طعام وشراب فلم تعد بعد بحاجة إلى الدقيق ؟ إن أحداً لا يعقل هذا ! ! ولكن الأمر أيسر مما عسّرا وأبسط مما ركّبا، وذلك أن الرجل لما رأى فى ماء النخالة غذاء وشفاء عرض له أن يستفيد من ذلك ، فتقدم إلى امرأته بأن تطبخ للعيال كل غداة نخالة ليكون فى تناول حسائها غنية عن أكلة من أكلات اليوم، ثم هو يوجهها إلى تدبيره المحكم بقوله « فتبيعين إذاً الجميع بمثل الثمن الأول » يريد أنه إذا تجمع عندها مقدار صالح من مطبوخ النخالة بعد تجفيفه باعته بمثل الثمن الذى اشترته به لأن النخالة لم تتغير حالها بعد الطبخ عما كانت عليه قبله

فقد بان مقدار التعسف فى هذا الشرح بتصور القمح وطحنه وإبقاء الدقيق والاستغناء بالنخالة عن كل طعام آخر وأن أصحاب هذا التـدبير قد وفقوا إلى أن يعيشوا حياتهم كلها بفرق ما بين النخالة جديدة ومطبوخة

فيا لله أيها الشارحان إذا كنتما جادين فى هذا الخيال وقد اقتنعتما به ، فلم اشترى الرجل وامرأته القمح وتكلفا طحنه ثم بيع الدقيق الذى بقى بحاله والنخالة بعد طبخها ؟

أما كان يكفيهما أن يشتريا النخالة وحدها ليأخذا فائدتها ثم يبيعاها مسلوبة الفائدة فلا يكونان بحاجة إلى كل هذا التعب ؟ ولـكن تكلف الشارحين وتعسفهما قد جعلهما يكلفان الرجل والمرأة كل هذه المشقة فى أمر معاشهما (للكلام بقايا) **محمود مصطفى**

حيـــاة الرافعى

تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان

للأستاذ محمود الخفيف

عرفت الرافعى رحمه الله ، واتصلت بينى وبينه أسباب المودة فى دار الرسالة أعواماً ثلاثة ؛ وأعرف سعيداً — متعنى الله بطول صحبته — معرفة وثوق وخبرة . لذلك أرانى شديد الغبطة أن أقدم إلى قراء العربية كتاباً عن الرافعى جرت به يراعة سعيد ...

يعتبر هذا النوع من الكتب (كتب التراجم) من أهم أبواب الأدب عند الأمم الغربية ؛ ولقد عظمت عنايتهم بتلك المؤلفات التى يجمع الواحد فيها بين دفتيه حياة رجل كان له فى الحياة الإنسانية خطره وكانت له فيها رسالته ؛ ولذلك كانت تلك الكتب واسعة الانتشار إذ يجد القراء فيها إلى جانب الدراسة والتحليل المتعة واللذة ، وأى متعة أدبيـة هى أجمل من أن تصاحب عظيما لحظة من الزمن على صفحات كتاب ؟

ولقد صار هذا النوع من المؤلفات فناً قائماً بذاته وصارت له أصول وأوضاع كما هو الحال فى القصص والشعر وغيرها من فروع الأدب ؛ فلابد فيه من الإحاطة بالموضوع عامة وفهم فن الترجم له ورسالته خاصة ، ولابد من سلامة المنطق وحسن السياق وعمق النظرة وتقصيها ؛ ولا بد من الإنصاف والنزاهة واللباقة ، ثم لابد بعد ذلك مما يجب توفره فى كل أثر أدبى من استقامة الأسلوب وجماله وبلاغته

فإذا أضفت إلى ما سلف معرفة الكاتب بالترجم له وصلته به شخصياً ، فهنا الكمال الذى لامطمع بعده؛ وبقدر مايكون من هذه الصلة تكون قيمة الترجمة وخطرها ، ولذلك كان طبيعياً أن يعد هذا القسم الخاص من كتب التراجم أكثرها أصالة فى هذا الفن وأعظمها استهواء للقراء ، بله قيمتها من حيث صحة الإسناد وصدق الرواية

والرجل العظيم ، كاتباً كان أو سياسياً أو جندياً أو ما سوى هؤلاء ، لا يعرف من آثاره أو أعماله وحدها ، فلا بد من تمام المعرفة به من درس حياته ، فمن ظروف تلك الحياة ولدت آثاره ومنها استوى له مزاجه ونشأ وجدانه

ولقد كان الرافعى فيما أرى من عظماء رجال القلم لا فى مجال العربية فحسب بل فى مجال الفكر البشرى كله . وكان رحمه الله من ذوى الأصالة ، يجيش نفسه بالمعانى كما يتفجر الينبوع بالرائق العذب ، لأن من طبيعته أن يتفجر بهذا دون حاجة إلى مدد من غيره : فلقد حيل بينه وبين الأدب الأوربى لأنه لم يتحرك بلغة من لغاته لسانه ، وحيل بينه وبين مناقشات الناس فى مجالسهم لأنها لا تنفذ فى مسمعيه ، فلم يبق إلا أن يقرأ العربية ثم ينطوى على نفسه ينظر ويتدبر ...

أعجب سعيد بأدب الرافعى ثم ابتغى إليه الوسيلة حتى لقيه فنشأت بينهما صلة ، ثم توثقت الصلة فكانت مودة ، وتزايدت المودة فصارت إخاء ، ثم كان بعد ذلك ما يكون بين الصديقين الحميمين من زيادة الألفة ورفع الكلفة . وتسنى بذلك لسعيد أن يدرس الرافعى الرجل فى شخصه وأن يستبطن دخيلة نفسه كما درس الرافعى الكاتب فى آثار قلمه ، ومن هذه الناحية كانت ترجمته فهى كما ذكرت الناحية التى تكمل بها التراجم

وأدب الرافعى ثروة عظيمة يضم إلى تراثنا ، ودراسة هذا الأدب لاشك أمر مطلوب فى ذاته لناشئة الأدب عامة ؛ ثم هو أمر لا غنى عنه للباحث المثقف شأن كل أدب رسخ أصله وامتدت فروعه

والرافعى كغيره من فطاحل الكتاب لا بد من معرفة حياته لنفهم آثاره ، بل لعله أجدر بذلك من كثيرين غيره لما أشرت إليه من صفاته ؛ هذا إلى أنه لابد فى دراسته من هاد ، فلقد يعظم ويسمو أحياناً حتى ليغدو كالجبل الأشم لا بد لمن يريد ارتقاءه من دليل . اقرأ على سبيل المثال مقالاته فى النبوة ، واقرأ مقالاته : رؤيا فى السماء ، وابنته الصغيرة وبين خروفين وأضرابها تجد البرهان على ما أقول ؟

ولقد يرق ويسهل حتى تصبح مقالاته كأفواف الزهر ولـكن لابد ممن يشير إلى سر جمالها ، ثم لقد يعمق ويدق حتى يصير كالجدول المتوارى لا سبيل إلى معرفة منبعه إلا أن يهديك إليه هاد ، خذ مثالاً لذلك مقالاته فى الجمال البائس والشكلة ، ثم لا تنس أوراق الورد ورسائل الأحزان وأشباهها فإنك لن تفهمها حق الفهم إلا أن تعرف المنبع الذى تفجرت منه ...

ويسرنى أن أذكر أن الأستاذ سعيداً قد دلنا بكتابه على نواحى القوة والجمال فى هذا الأدب الفذ ، ثم لقد كشف لنا من أسراره وخبيآته ، وفرغ من عمله على خير ما يرجى من الجودة ، وهو بما يرشدنا ويدلنا يؤدى إلى الضاد خدمة من أجل الخدمات

هذا ويسرنى كذلك أن أذكر دون أن أتحيز إلى سعيد ، أنه قدم بكتابه هذا أقوى براهينه على أصالته ، فلقد حيل بينه كما حيل بين أستاذه وبين الأدب الغربى فى لغاته ، ومع ذلك فإنى لأشهد أن ما اتبعه فى كتابة تلك الترجمة لا يختلف فى جوهره عن أصول ذلك الفن . وفى ذلك دليل قوى كما أقول على أنه كالجواد الكريم ، لم يأت كرم أصله من المحاكاة والتعلم ، وإنما كان كرم ذلك الأصل طبيعة فيه لأنه هكذا خلق

سار سعيد سيراً منطقياً فتتبع حياة الرافعى فى مراحلها دون تعثر أو ارتباك ، ثم حلل ودرس المزاج الأدبى والنزعات الاجتماعية والسياسية التى امتاز بها عصر الرافعى ، فكانت طريقته بهذا هى الطريقة العلمية ، طريقة النظر والتبصر ، وبها امتاز كتابه عن تلك الكتب التى تعمد إلى مجرد الحكاية والسرد ، وإنك لتقرأ الكتاب فتحس كأنك صاحبت الرافعى وترتسم لك شخصيته قوية واضحة فتسأل هل كان مرد ذلك إلى حسن سياق الكاتب أم إلى شدة معرفته بمن يكتب عنه ، ثم لا يسعك إلا أن ترده إلى ذلك جميعاً

وثمة حسنة فى الكتاب زادتنى محبة له ، ذلك أن الدافع الأساسى إلى كتابته كما نعلم كان دافع الوفاء نحو صديق راحل فلم يحمل هذا الدافع القوى سعيداً على التحيز وعهده بصاحبه قريب، ورأيناه بصدقه وإنصافه يرينا ناحية من نواحى قوته ككاتب. ثم لقد كان يجد نفسه أمام أمور دقيقة فكانت تواتيه فيها لباقة ترضى الذوق ولا تغضب الحق . . .

أما أسلوب سعيد فلست بحاجة إلى أن أتحدث إلى القراء عنه ، وقد عرف القراء سعيداً بجمال أسلوبه وبلاغة بيانه قبل أن يعرفوه بكتابة هذا ، وحسبى هنا أن أشير إلى إعجابى به

وعهدى بسعيد أنه يحب فى إخلاص أن يعرف رأى المنصفين فيما يكتب فيحفل بأن يسمع مالا يرضيهم أكثر مما يحفل بالثناء والمجاملة وهى خلة تضاف إلى محامده ، ولذلك أصارح سعيداً بأنى كنت أحب منه أن يدرس أسلوب الرافعى وطريقته دراسة نقدية. ولقد يرد على ذلك بقوله إن لهذه الدراسة مجالاً غير هذا المجال ، وهو رأى له وجاهته بل هو رأى أكثر كتاب فن التراجم وفى مقدمتهم أميل لدوج وأندريه موروا وغيرهما ، بيد أنى شخصياً أرى أن الموضوع يكون بهذه الدراسة أتم وأجمل

ولقد طبع الأستاذ سعيد كتابه طبعاً أنيقاً متقناً فى مطبعة الرسالة وختمه بفهرست للموضوعات وثبت دقيق للأعلام والصحف والمجلات والكتب التى ورد ذكرها فيه

أهنئ الأستاذ سعيدا بكتابه الفذ الجميل وأكرر له إعجابى . ويسرنى فى خاتمة هذه العجالة أن أشير إلى معنى آخر هو أن كتابه هذا بموضوعه وبما سلك فيه من طريقة يعتبر من مظاهر التجديد فى أدبنا المصرى ، ولذلك كم أرانى مغتبطاً بالحديث عنه فى هذا الموضع من سجل الرسالة !

الخفيف

(بقية المنشور على صفحة ٦٥٦)

دعاباتهم ، ولـكن لا أظن أن ما ذكرت يدخل فى باب الفكاهة المستملحة . وقد يكون هذا وما إليه محتملاً ، ولـكن الفظيع أن ينعى لك صديق وهو حى يرزق ، فتخف إلى داره لتعزى أهله ، ويلقاك ابنه أو أخوه ، ولا ترى فى وجهه حزناً أو سهوماً ، فلا تستطيع أن تقص عليه الخبر الذى حملك إليه، ولا تجد ما تسوغ به هـذه الزيارة فى ساعة غير مألوفة ! وبعض الناس يضحكهم ويسليهم هذا الضرب من المزاح ! ولم لا ؟ كل ما سر جائز ...

ابرهيم عبد القادر المازنى

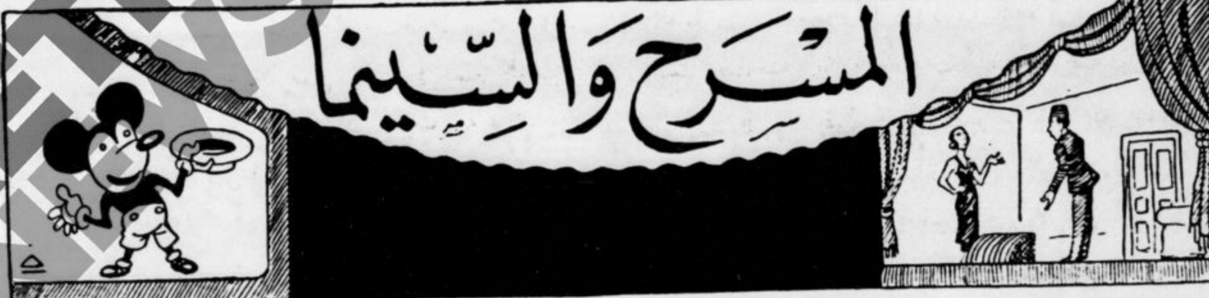

حديث الأسبوع

٦٢٥ جنيهاً تصرف يومياً

على الفرقة القومية

أكدت لنا بعض المصادر العليمة أن حضرات النواب المحترمين الأساتذة عبد الحميد عبد الحق وسليمان غنام واحمد أبو الفتوح سيتقدمون فى هذه الدورة بسؤال إلى معالى وزير المعارف عن الفرقة القومية والرسالة الثقافية التى أدتها للبلاد وعن مبلغ الخمسة عشر ألفاً من الجنيهات التى تصرفها الحكومة إعانة لها . . . وتؤكد هذه المصادر أيضاً أن بعض النواب سينضم إلى الأساتذة مقدمى السؤال وأنهم سيطالبون بتوفير هذا المبلغ وتقديم جزء منه كإعانة للفرق الأهلية

والواقع أن هذه الفرقة يجب أن تحل لأنها تكلف ميزانية الدولة من المال مالا تستطيع أية حكومة فى العالم أن تقدمه لمساعدة جميع الفرق فى بلادها. وإذا عرف القارئ أن الفرقة تعمل فى الوسم دورتين ، وأن كل دورة تستغرق على أكثر تقدير أربعة أسابيع ، وأن أيام العمل فى كل أسبوع تصل إلى ثلاثة أيام لخرج بنتيجة وهى أن مدة عمل الفرقة فى موسمها بأسره أربعة وعشرون يوماً. ومعنى هذا أن الحكومة تدفع لها كل يوم ٦٢٥ جنيهاً مصرياً إعانة خلاف إيجار المسرح وأجور موظفيه وثمن التيار الكهربائى المستهلك والملابس المؤجرة وغيرها

هل يعرف حضرات النواب المحترمين هذه الأرقام المخيفة ؟ ! إن البلاد الآن فى عصر انتقال يتحتم عليها فيه أن تقضى على كل ضار فتمهد لبقاء الصالح . والتجارب العديدة أثبتت أن الفرقة القومية هزيلة الجسد لا تستطيع القيام بأعباء الرسالة الملقاة على كتفيها ، وجدير بالحكومة أن تصرف الإعانة على مشروع جدى يعود بالخير على البلاد ...

تقسيم جديد

قد يعرف المتتبعون للتطورات الفنية فى البلاد أن ستوديو مصر كان قد استحضر خبيراً فنياً ليقدم تقريراً عن أوجه الإصلاح اللازمة للمؤسسة الفنية الكبيرة وأن الرجل قام بعمله وقدم تقريره ثم غادر مصر إلى فرنسا ثانية

وعملت إدارة ستديو مصر على تنفيذ تقرير مسيو أفنيون الذى اقترح وجوه إصلاح عديدة وبدأت فى الأسبوع الماضى تنفيذ الجزء الأول منها وهو القاضى بالتقسيم الإدارى والفنى وتحديد السلطات، فأصبح الأستاذ محمد رفعت مديراً للانتاج بدلا من الهر فريتز كرامب الذى أصبح مستشاراً فنياً ، وأسندت مهمة المدير الإدارى إلى الاستاذ رجائى، ومهمة مدير التوزيع إلى الأستاذ موريس كساب. وكل هؤلاء المديرين يعملون تحت سلطة المدير العام الاستاذ حسنى نجيب

موسيقى للمبيع

المفروض — فنياً — أن الجزء الأكبر من نجاح الأفلام يعود إلى إتقان الناحية الموسيقية فيها وهى ناحية لا نجد فى مصر من المنتجين من يهتم بها، ولذا نشعر بالملال يسود نفوسنا فى معظم الأفلام المصرية التى يعتمد فيها المنتج والمخرج وكاتب السيناريو وواضع الحوار و ... المؤلف أخيراً ... على الحوار

والواقع أن الموسيقى التصويرية فى مصر تكاد أن تكون مهملة، لأن ملحنينا يتجهون إلى مناحى أخرى توفروا عليها . ولذا رأت السيدة بهيجة هانم حافظ المديرة الفنيـة لشركة فنار فيلم بصفتها رئيسة نقابة الموسيقيين المحترفين أن تسد هذا النقص الموجود بأن تضع عدة قطع موسيقية تصلح لشتى « المواقف » السينمية وأن تسجلها وتطبع منها نسخاً عديدة تعرض للمبيع لمن يطلبها من أصحاب الشركات التى ترى نفسها فى حاجة إلى سد هذه الناحية الواجب أن تملأ بما هى جديرة به من الاهتمام والإتقان الفنى

موريس

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾